خزانة الأدب

ولب لباب لسان العرب

تأليف

عبد القادر بن عمر البغدادي

١٠٣٠ – ١٠٩٣

تحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الجزء الرابع

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

الطبعة الرابعة
١٤١٨ هـ = ١٩٩٧ م

مطبعة المدني
المؤسسة السعودية بمصر
٦٨ شارع العباسية - القاهرة - ت : ٤٨٩٧٨٥١

بســمِ الله الرحمن الرحيـم

باب خبر كان وأخواتها

أنشد فيه ، وهو الشاهد السادس والأربعون بعد المائتين :

٢٤٦ (وكان طوَى كَشْحاً على مُسْتَكِنَّةٍ)

هذا صدر عجزه : (فلا هو أبداها ولم يتقدَّمِ)

على أن خبر (كان) يجوز أن يجيء ماضياً بدون تقدير قد .

وهذا البيت من معلقة زُهير بن أبى سُلمى ، وقبله :

(لَعمرى لنِعْم الحىُّ جرَّ عليهمُ بما لا يُؤاتيهم حُصَينُ بن ضَمضَمِ)
(وكان طَوى كشحاً . . . . البيت)

جرَّ من الجريرة ، وهى الجناية . ويؤاتيهم : يوافقهم . حُصَينُ بن ضَمْضَم هو ابنُ عم النابغة الذُّبيانى ، وجنايته أنَّه لما اصطلحت قبيلة ذبيان مع قبيلة عبس ، امتنع حُصين بن ضَمضم من الصُّلح واستتر منهما ، ثم عدا على رجل من بنى عبس فقتله . وإنَّما مدح حىَّ ذبيان لتحملهم الديات إصلاحاً لذات البين .

وضمير (كان) و (طوى) لحصين بن ضَمْضَم . و (الكَشْح) الخاصرة ، يقال : طوى كَشحَه عن فَعْلةٍ ، إذا أضمرها فى نفسه . و (المستكنَّة) : المستترة ، أى أضمر على غدرة مستترة ؛ لأنه كان قد أضمر قتل وَرْد ابن حابس فإنّه كان قتل أخاه هَرِمَ بن ضَمْضَم . وقوله (فلا هو أبداها .. الخ) المعنى : فلم يظهرها ولم يتقدَّم فيها قبل مكانها . ويروى (ولم يتجمجم)

٧٦ بجيمين أى لم يَتَنهْنَهْ عمّا أراد ممّا كتم . وتكون لا مع الماضى بمنزلة لم مع المضارع فى المعنى ، كقوله تعالى : ﴿ فَلَا اقْتَحَمَ العَقَبَةَ[1] ﴾ أى لم يقتحمها . وقال أميّة بن أبى الصَّلْت :

إنْ تغفرِ اللهمَّ تغفِرْ جمًّا وأىُّ عبدٍ لك لا ألمّا[2]

أى لم يلمَّ بالذنب . وقوله (وكان طَوى) هو عند المبرّد بإضمار قد ، أى قد طوى . قال : لأنَّ كان فعل ماض فلا يُخبر [عنه[3]] إلاَّ باسم أو بما ضارعه . قال : ولا يجوز كان زيد قام ، لأنَّ زيد قام يغنيك عن كان . وخالفه أصحابه فقالوا : الماضى قد ضارع الاسم أيضاً فهو يقع خبراً لكان ، كما يقع الاسم والفعل المستقبل ، وأما قولك كان زيد قام فإنّما جىء بكان لتؤكّد أن الفعل لِما مضى .

وقد تقدَّم فى الشاهد السادس والخمسين بعد المائة أول باب الاشتغال[4] شرح هذين البيتين مع أبياتٍ كثيرة من هذه المعلقة ، وذكرنا سبب نظمها بما لا مزيد عليه إن شاء الله تعالى .

وتقدم أيضاً ترجمة زهير بن أبى سُلمى فى الشاهد الثامن والثلاثين بعد المائة[5] .

* * *

(١) الآية ١١ من سورة البلد .

(٢) الأغانى ٣ : ١٨٣ وامالى ابن الشجرى ١ : ٢/١٤٤ : ٩٤ ، ٢٢٨ والانصاف ٧٦ وشرح شواهد المغنى ٢١٣ واللسان (لمم) .

(٣) التكملة من ش . وفى شرح القصائد للتبريزى ١١٦ : «عنها» .

(٤) الخزانة ٣ : ٣ ــ ١٨ .

(٥) الخزانة ٢ : ٣٣٢ ــ ٣٣٦

وأنشد بعده وهو الشاهد السابع والأربعون بعد المائتين :

٢٤٧ (أضحت خَلاء وأضحى أهلها احتَملوا
أخنىٰ عليها الذى أخنىٰ على لُبَدِ[1])

على أن خبر (أضحى) يجوز أن يكون فعلاً ماضياً بدون قد ، فأهلُها اسمُ أضحى ، وجملة احتملوا فى محل نصب على أنها خبر أضحى ، ولا تقدَّر قد كما ذهب إليه ابن مالك ، خلافاً للمبرد كما تقدم بيانه[2] .

وهذا البيت من قصيدةٍ للنابغة الذبيانى مدح بها النعمان بن المنذر واعتذر إليه مما بلغه عنه ؛ وهى من الاعتذاريّات ، وقد ألحقوها لجودتها بالمعلّقات السبع . وهذا أولها :

أبيات الشاهد

يا دارَ ميةَ بالعَلياء فالسَّنَدِ	أقوت وطال عليها سالفُ الأبَدِ
وقفتُ فيها أُصيلاً كى أسائلَها	عَيَّتْ جواباً وما بالرَّبع من أحَد
إلاَّ أوارىَّ لأياً ما أبيِّنُها	والنؤْىُ كالحوض بالمظلومة الجَلَدِ
ردَّتْ عليه أقاصيه ولبَّده	ضَربُ الوليدة بالمسحاة فى الثَّأدِ
خلَّتْ سبيلَ أتِىٍّ كان يحبسهُ	ورفَّعتْه إلى السَّجفَيْن فالنضَدِ
أضحتْ خلاء وأضحى أهلُها احتملوا	. . . . البيت

قوله : يا دارمّية الخ قال الأصبهانى فى الأغانى[3] : « قال الأصمعى : يريد يا أهل دار مية[4] . وقال الفرّاء : نادى الديار[5] لا أهلَها ، أسفاً عليها

---

(١) همع الهوامع ١ : ١١٤ والأشمونى ١ : ٢٣٠ وديوانه ١٧ .
(٢) فى أواخر الشاهد السابق .
(٣) الأغانى ٩ : ١٧٦ .
(٤) ش : « يادارمية » .
(٥) فى الأغانى : « انما نادى الدار » ، بالافراد . وهو الوجه .

وتشوّقاً إليها[١] . وقال : أقوتْ ولم يقل أقويتِ ، لأنَّ من شأن العرب أن يخاطبوا الشيء ثم يتركوه ويكنُون عنه[٢] . اهـ

العَلياء بالفتح والمد : المكانُ المرتفِع من الأرض . قال ابن السكّيت : قال بالعلياء فجاء بالياء لأنَّه بناها على عَلِيت بالكسر . والسَّنَد : سند الوادى فى الجبل ، وهو ارتفاعه حيث يُسنَد فيه ، أى يصعد . وأقوت : خلَت من أهلها . والسالف : الماضى . والأبد : الدهر . ويأتى الكلام على هذا البيت إن شاء الله تعالى بأكثر من هذا فى الفاء من حروف العطف[٣] .

٧٧ قوله : « وقفت فيها » الخ ، الأصيل ما بعد الظُهر إلى الغُروب ، ورُوى أُصَيلاناً مصغَّر أُصلان ، وهو جمع أصيل ، كرغيف ورُغفان ، وقيل هو مفرد كغُفران ، وهو الصَّحيح لأن جمع الكثرة إذا صُغِّر رُدَّ إلى مفرده . ورُوى : وقفتُ فيها طويلاً ، أى وقوفا طويلا . وقوله عيَّتْ ، يقال عييتُ بالأمر ، إذا لم تعرف وجهه . وجواباً قيل منصوب على المصدر أى عيَّتْ أن تجيب . والرَّبع : المنزل فى الربيع ، ثم كثر حتَّى قيل كل منزل رَبع .

وقوله : إلاَّ أواريَّ ، بالنصب لأنه استثناء منقطع . والنُّؤى معطوف عليه . وروى « إلا أوارِيُّ » ، بالرفع على أنه بدل من موضع قوله : من أحد الواقع فاعلاً للظرف ، والأوارىّ هى الأواخىّ جمع آرىّ وآخيَّة بالمد والتشديد فيهما . والآرىُّ : محْبِس الدابة ، والآخيّة قطعة من حبل يُدفن طرَفاه فى الأرض وفيه عُصَيّة أو حجَر ، فتظهر منه مثلُ عُروة تُشَدُّ إليه الدابَّة . وقد

(١) الأغانى : « الى أهلها »

(٢) الأغانى : « ويكفوا عنه » ، وما هنا صوابه .

(٣) فى الشاهد ٨٨٩ .

تسمّى الآخيّة آريًّا ، وفعلهما آريت الدابة وأخّيتها بتشديد الثانى . واللأى ، بفتح اللام وسكون الهمزة : البطء ، يقال فعل كذا بعد لأى ، أى بعد شِدّة . ولأى لأياً والتَّأى ، أى أبطأ إبطاء . والمعنى : بعد بطء تعرّفتها . والنُّؤْى بضم النون وسكون الهمزة : حَفيرة حَوْل الخباء والبيت يجعل ترابُها حاجزاً حولَهما لئلّا يَصل إليهما ماء المطر . والمظلومة : الأرض التى قد حُفر فيها فى غير موضع الحَفر . والجَلَد ، بفتح الجيم واللام : الأرض الغليظة الصُّلبة من غير حجارة ، وإنّما قصدَ الجَلَد لأنّ الحفرَ فيها يصعُب فيكون ذلك أشبهَ شىء بالنؤى . قال ابن السكيت : إنّما قال بالمظلومة لأنّهم مرّوا فى تربةٍ فحفروا فيها ، حَوضاً وليست بموضع حَوض ، فجعِل الشىء فى غير موضعه .

وهذا البيت يأتى الكلام عليه أيضاً إن شاء الله فى خبر ما ولا[1] .

وقوله : « رُدَّت عليه أقاصيه » الخ ، أقاصيه نائب فاعل رُدَّت ، والضمير للنؤى . والأقاصى : الأطراف وما بعُد منه ، أى والأقصى على الأدنى ليرتبع . ولبّده : سكّنه ، أى سكّنه حفر الوَليدة وهى الأمَة . والثّأد ، بفتح المثلثة والهمزة : الموضع النديّ التراب ، أى فى موضع الثأد .

وقوله : « خلّت سبيلَ أتىّ » الخ ، الأتىّ : السَّيل الذى يأتى ، ويقال للنهر الصغير . يقول : لما انسدَّ سبيلُ السَّيل سَهّلَتْ له طريقاً حتّى جرى ، أى تركت الأمةُ سبيلَ الماء فى الأتىّ ، ورفّعته أى قدّمت الحفر إلى موضع السَّجْفين وأوصلته إليهما . وليس الترفيع هنا من ارتفاع العلوّ ، بل هو من قولهم : ارتفع القوم إلى السلطان . والسَّجفان : سِتران رقيقان يكونان فى مقدَّم البيت : والنَّضد ، بفتح النون والضاد المعجمة : مانُضِد من متاع البيت .

---

(١) فى الشاهد ٢٧٢ .

وقوله : « أضحت خَلاء » الخ ، أى أضحت الدار . والخَلاء بالفتح والمد : المكان الذى لاشىء به . واحتملوا : حمَلوا جمالهم وارتحلوا . قال فى الصحاح : وأخنى عليه الدهر : أتى عليه وأهلكه . ومنه قول النابغة :

* أخنَى عليها الذى أخنَى على لُبَدِ *

ولُبَد : آخر نسور لقمان بن عاد ، وهو منصرف لأنّه ليس بمعدول ، وفى المثل « أعمَرُ من لبَد » . قال الزمخشرىّ : وهو نَسْر لقمان العادىّ ، سمَّاه لبداً معتقداً فيه أنه أبدٌ فلا يموت ولا يذهب ، ويزعمون أنه حين كبر قال له : انهض لُبَدُ فأنت نَسْر الأبد . قال فى الصحاح : وتزعم العرب أنّ لقمان هو الذى بعثته عادٌ فى وفدها إلى الحرم يستسقى لها ، فلما أُهلِكوا خُيِّر لقمان بين بقاء سبع بعَرات سُمْر[1] ، من أظبٍ عُفْرٍ ، فى جبَل وعرٍ ، لا يمسُّها القَطْرِ ؛ أو بقاء سبعة أنسرٍ كلما هلك نسر ، خَلف بعده نسر . فاختار النسور ، فكان آخر نسوره يسمَّى لبداً ، وقد ذكرته الشعراء ، قال النابغة :

لقمان صاحب النسور

٧٨

أضحت خَلاء وأضحى أهلُها احتملوا . . . البيت

ولقمان هو ممن آمن بهودٍ عليه السلام ، وهلك قومُه لـكفرهم به — عليه السلام — فأهلكهم الله تعالى بالرِّيح « سَبْعَ لَيَال وثمانيةَ أيَّام حُسُوما[2] » فلم تدَعْ منهم أحداً وسَلِم هودٌ ومَن آمن معه . وأرسلت عليهم يومَ الأربعاء فلم تَدُرِ الأربعاء وعلى الأرض منهم حىٌّ .

لقمان المذكور فى القرآن

وأما لقمان المذكور فى القرآن فهو غيره ، قال صاحب الـكشّاف : هو

(١) فى النسختين : « بقرات » ، بالقاف ، صوابه بالعين كما فى الصحاح .

(٢) الآية ٧ من سورة الحاقة .

لقمان بن باعوراء ، ابن أخت أيوب أو ابن خالته ، وقيل : كان من أولاد آزر وعاش ألف سنة وأدرك داودَ عليه السلام وأخذ منه العلم ، وكان يفتى قبل مبعث داود فلما بُعث قَطع الفتوى فقيل له ، فقال : ألا أكتفى إذا كُفيت ؟ وقيل : كان قاضياً فى بنى إسرائيل . وأكثر الأقاويل أنه كان حكيما ولم يكن نبياً . وعن ابن عباس رضى الله عنهما : لقمان لم يكن نبياً ولا ملكا ؛ ولكن كان راعياً أسود فرزقه الله العتقَ ورضى قولَه ووصيَّته ، فقصَّ أمره فى القرآن ليتمسَّكوا بوصيته . وقال عكرمة والشَّعبى : كان نبيّاً . وقيل : خُيِّر بين النبوّة والحكمة[1] . وعن ابن المسيَّب : كان أسودَ ، من سُودانِ مِصْر ، خياطاً . وعن مجاهد : كان عبداً أسود غليظ الشفتين متشقق القدمين . وقيل : كان نجاراً ، وقيل كان راعياً ؛ وقيل : كان يحتطبُ لمولاه كلَّ يوم حُزمة[2] . اهـ

وهو متأخّر عن لقمان العادىّ ؛ لأن هوداً متقدّم على أيوب وداود ، يقال للعادىّ « لقمان صاحب النسور » .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والأربعون بعد المائتين ، وهو من شواهد سيبويه[3] :

---

(١) بعده فى الكشاف : « فاختار الحكمة » .

(٢) فى الكشاف : « كان راعيا وكان يحتطب لمولاه كل يوم حزمة » .

(٣) فى كتابه ١ : ١٣١ . وانظر أمالى ابن الشجرى ١ : ٣٤١/٢ : ٣٤٧ وابن يعيش ٢ : ٩٦ ، ٨/٩٧ : ١٠١ وشرح شواهد المغنى ٦٨ والعينى ٢ : ٦٦ والهمع ١ : ١٢١ والأشمونى ١ : ٢٤٢

٢٤٨ (قد قِيلَ ذلك إنْ حقًّا وإنْ كَـذِباً
فما اعتذارُك من شيء إذا قِيلا)

على أنّ (كان) تحذف مع اسمها بعد إن الشرطية ، أى إنْ كان ذلك حقاً.
جعله صاحب اللباب من قبيل : « الناسُ مَجزِيُّون بأعمالهم : إن خيراً فخير ، وإن شرًّا فشرّ » فى الوجوه الأربعة . قال شارحه الفالى[١] : يجوز فيه أربعة أوجه : رفعهما ، ونصبهما ، ورفع الأول ونصب الثانى ، وبالعكس . وتقدير الرفع فيهما : إنْ وقع حقٌّ وإن وقع كذبٌ ، أو إن كان فيه — أى فى المقول — حقّ وإن كان فيه كذب . ونصبهما على أنّهما خبر كان ، والتقدير: إن كان المقول حقًّا وإن كان المقول كذبا . وأما رفعُ أحدهما ونصب الآخر فيظهر من بيان نصبهما ورفعهما . وإنما قال : « ومنه[٢] » لأن الوجوه الأربعة كانت فى الشرط والجزاء وهو إن خيراً فخير ، وفى البيت الوجوه فى الشرطين ، وهما إنْ حقاً وإن كذبا .

وقوله : (قيل ذلك) المشار إليه البرَص الذى فى استه .

قصيدة الشاهد

وهذا البيت من قصيدةٍ للنعمان بن المنذر أوّلها :

(شَرِّدْ برحلكَ عنّى حيثُ شئتَ ولا تُكثِرْ علىَّ ودعْ عنك الأقاويلا
فقـد رُميتَ بداءٍ لستَ غاسلَه ما جاورَ السَّيلُ أهل الشام والنيلا
فما انتفاؤك منه بعد ما قطعَتْ هُوجُ المطىّ به أكناف شِمليلا
قد قيل ذلك إنْ حقاً وإنْ كذباً فما اعتذارُك من شىء إذا قيلا
فالحقْ بحيثُ رأيتَ الأرضَ واسعةً وانشُر بها الطرفَ إنْ عرضاً وإنْ طولا)

٧٩

(١) ش : « القالى » ، صوابه بالفاء .
(٢) منه ، أى من بيان نصبهما ورفعهما . والوجه حذف الواو .

قوله شرّد برحلك أى أبعده وارحلْ عنى . وقوله فقد رُميت روى بدله :

* فقد ذُكرتَ به والركبُ حامله *

وضمير به وحامله للبرص المذكور . وقوله شمليلا قال البكرى فى (معجم ما استعجم) : هو بكسر أوله وإسكان ثانيه بعده لام مكسورة على وزن فِعليل بلد ، وأنشد هذا البيت . ومن العجائب تفسير العَينىّ إيّاه بالناقة الخفيفة ؛ وكأنّه يكتب من غير أن يتصوّر المعنى .

سبب الشاهد

والسبب فى هذه الأبيات هو مارواه أبو الحسن الطوسىّ فى (شرح ديوان لبيد) والمفضّل بن سلمة فى (الفاخر) وابن خلف فى (شرح أبيات سيبويه) — وقد تداخل كلامُ كلٍّ منهم فى الآخَر — أنّ وفد بنى عامر منهم طُفيل بن مالك ، وعامر بن مالك ، أتَوا النعمانَ بنَ المنذر أولَ ماملك، فى أُسارى من بنى عامر يشترونهم منه ، ومعهم ناس من بنى جعفر ، ومعهم لبيدٌ وهو غلام صغير فخلّفوه فى رحالهم ودخلوا على النّعمان فوجدوا عنده الربيعَ بن زياد العبسىّ وكان نديمَ النعمان قد غلَب على حديثه ومجلسه ، فجعل الربيع يهزأ بهم ويسخر منهم لعداوة غَطَفان وهَوازن ، فغاظهم ذلك ، فرجَعوا بحالٍ سيّئة ، فقال لهم لبيد : إنكم تنطلقون بحال حسنة ، ثم ترجعون وقد ذهب ذلك وتغيّر . قالوا : خالك — وكانت أُمّ لبيد عبسية — كلّما أقبل علينا بوجهه صَدّه عنّا بلسانٍ بليغ مطاع . فقال لهم لبيد: فما يمنعكم من معارضته ؟ قالوا : لحسن منزلته عند النعمان. قال : فانطلقوا بى معكم . فأزمعوا أن يذهبوا به ، وحلقوا رأسه وألبسوه حُلّةً وغدا معهم ، فانتهوا إلى النعمان وربيعٌ معه وهما يأكلان طعاماً ، وقيل تمراً وزُبداً ، فقال لبيد : أبيت اللعنَ ، إنْ رأيت أن تأذنَ لى فى الكلام . فأذن له ، فأنشد :

مهلاً أبيتَ اللعنَ لا تأكل معهْ   إنَّ استَه من بَرَصٍ ملمَّعهْ
وإنّه يُدخل فيها إصبعه   يُدخلها حتّى يوارى أشجعَه
كأنما يطلبُ شيئاً ضيّعه

وسيأتى شرح هذه الأبيات إن شاء الله تعالى فى رُبَّ من حروف الجرّ[١].

فرفع النعمان يدَه وأفّفَ وقال : كُفَّ ويلك ياربيع ، إنى أحسبك كما ذكر . فقال الربيع : إنَّ الغلام لكاذب . فترك النعمان مؤاكلته وقال : عُدْ إلى قومك . فمضى الربيع لوقته وتجرّد وأحضَر من شاهد بدنَه وأنه ليس فيه سُوء ، ولحق بأهله ، وأرسل إلى النعمان بأبيات ، منها :

لئنْ رَحَلتْ رِكابى لا إلى سَعَةٍ   ما مثلُها سَعةٌ عرضاً ولا طولا
ولو جَمعتَ بنى لَخْم بأسرتها   لم يَعدِلُوا ريشةً من ريش قَتميلا

— وروى : شَمَويلا[٢] — فأجابه النعمان :

شرّدْ برحلك عنّى حيث شئت ولا   تُكثر علىَّ ودعْ عنك الأقاويلا

الأبيات :

والنعمان بن المنذر هو آخر ملوك الحيرة تقدّمت ترجمته فى الشاهد الخامس والخمسين بعد المائة[٣] .

الربيع بن زياد ٨٠

وأما الربيع فهو الربيع بن زياد العبسى ، قال الزمخشرى (فى مستقصى الأمثال) : « أنجب من بنت الخُرْشُب » هى فاطمة الأنمارية ، ولَدت لزياد

(١) فى الشاهد السادس والتسعين بعد السبعمائة .
(٢) وكذا فى الفاخر ١٧٣ . وفى اللسان (سمل) والأغانى ١٤ : ٩٢ : « سمويلا » بالسين المهملة .
(٣) الخزانة ٢ : ٤٤٩ ـ ٤٥١

المبسى الكَمَلَة : ربيعاً الكامل، وعُمارة الوهّاب، وقيسَ الحِفاظِ، وأنس الفوارس . وقيل لها : أىُّ بنيكِ أفضلُ ؟ فقالت : « ربيع ، بل عُمارة ، بل قيس ، بل أنس ، ثكلتهم إن كنتُ أعلم أيهم أفضل ، والله إنّهم لكالحلْقة المفْرَغة لا يُدرَى أين طرفاها » .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والأربعون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[1] :

٢٤٩ (أبا خُراشةَ أمّا أنتَ ذا نَفَرٍ   فإنَّ قومىَ لم تأكلهمُ الضبُعُ)

على أن أصل (أما أنت) : لِأَنْ كنتَ . كما شرحه الشارح المحقق وبيّنَ مختاره ، وسيأتى فى الشاهد الذى يليه ذِكْرُ من وافقه .

وهذا البيت ونحوُه اختلَف فى تخريجه أهل البلدين ، قال أبو علىّ (فى البغداديات) : قال سيبويه : سألته — يعنى الخليلَ — عن قوله أما أنت منطلقاً أنطلقُ معك ، فرفع وهو قول أبى عَمرٍو ، حدّثنا به يونس ، يريد أنه رفع أنطلقُ ولم يجزمه على أنّه جزاء . وحكى أبو عُمر الجَرْمىّ[2] عن الأصمعى

(١) فى كتابه ١ : ١٤٨ . وانظر الخصائص ٢ : ٣٨١ والمنصف ٣ : ١١٦ وابن الشجرى ١ : ٣٤ ، ٢/٣٥٣ : ٣٥٠ والانصاف ٧١ وابن يعيش ٢ : ٨/٩٩ : ١٣٢ وشرح شواهد المغنى ٤٣ ، ٦٥ والعينى ٢ : ٥٥ والهمع ١ : ١٢٢

(٢) فى النسختين : « أبو عمرو » ، وصححه الشنقيطى بقلمه فى نسخته على الصواب المعروف . واسمه صالح بن اسحاق ، أخذ النحو عن الأخفش ويونس ، واللغة عن الأصمعى وأبى عبيدة . وتوفى سنة ٢٢٥ . بغية الوعاة .

فيما أُظنّ المجازاة بأمّا المفتوحة الهمزة وزعم أنه لم يَحكِه غيره . وهذا الذى حكاه أبو عُمَر يقوّيه الذى ذكرنا وهو :

* أبا خُراشة أمّا أنتَ ذا نفرٍ *

لأنه ليس فى البيت ما يُحمل عليه أن فيتعلّق به ، كما أنها فى قولهم أما أنت منطلقاً أنطلق معك متعلق بأنطلق معك .

فإنْ قلت : يكون متعلقاً بفعل مضمر يفسّره ما بعده ، فالجواب ما يكون تفسيراً [١] لا يعطف به على المفسَّر ، ألا ترى أنَّك تقول : انْ زيداً ضربته ، ولا يجوز ، إنْ زيداً فضربته ، فإذا لم يجز كانت الفاء فى فانّ قومى جوابَ شرط وأنت مرتفع بفعل مضمر .

فان قلت : قد تزاد الفاء كما حكى أبو الحسن : أخوكَ فوجد ، فاحملْها فى البيت على هـذا ليصحّ إضمار الفعل المفسَّر ، وفى حمل البيت عليه تقويةٌ لما ذهب إليه سيبويه من أن أمًّا فى البيت إنما هى أنْ الناصبة ضمَّت إليها ما ، إلا أن القول بزيادتها ليس من مذهبي اهـ .

وقال ابن الحاجب فى (أماليه) : دخول الفاء هنا فى المعنى كدخولها فى جواب الشرط ، لأنّ قولك لِأنْ كنتَ منطلقاً انطلقتُ ، بمعنى قولك إن كنتَ منطلقا انطلقتُ ، لأن الأول سببٌ للثانى فى المعنى ، فلما كان كذلك دخلت دلالةً على السببية كما تدخل فى جواب الشرط ، فلهذا المعنى جاءت الفاء بعد الشرط المحقّق والتعليل ، وهى لهما جميعاً فى المعنى . اهـ

وقال ابن خلف : قال علىٌّ بن عبد الرحمن : عندى فيه وجهٌ آخر ، وهو أن تجعل الفاء جواباً لما دلّ عليه حرف النداء المقدَّر ، من التنبيه

---

(١) ش : « فان جواب مايكون تفسيرا » ، صوابه فى ط

والإيقاظ ، كأنه قال : تنبَّهْ وتيقّظ . فإنَّ قومى لم تأكلهم الضبع . وفيه نظر .

وقال بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصل) : الفاء لتعليل « لم أذلَّ » المقدَّر ، والمعنى : لكونك ذا نفر لم أذلَّ ، فإنَّ قومى . كذا فى الإقليد . ويجوز أن تكون الفاء جزاء الشرط فى قوله أمّا أنت ، بناء على مذهب الكوفيين : من أنَّ أصل أنْ فى هذا إنْ المكسورة التى للجزاء وأنّها إنما تفتح إذا دخلت عليها ما ، ليليَها الاسم . ويجيزون أمّا زيد قائما أقم معه بفتح الهمزة اه .

وقال علىّ بن عبد الرحمن : وفى البيت عندى حذف يقوم من بقيّته الدلالةُ عليه ، وهو بَطِرْتَ أو بغَيتَ أو فخرتَ ، وبه يتعلّق الجارّ ، ثم استأنف فقال : إن قومى الخ .

٨١

وقوله (أبا خُراشة) بضمّ الخاء منادىً بحذف حرف النداء المقدَّر[١] .

وأبو خراشة كنيةُ واسمه خُفاف بن نَدْبة بضمّ الخاء وتخفيف الفاء . ونَدْبة بفتح النون وسكون الدال بعدها موحَّدة ، وهى اسم أمّه اشتهر بها .

خفاف بن ندبة

وخُفا فٌ صحابى شهد فتح مكةَ مع النبي صلى الله عليه وسلم ومعه لواء بنى سُليم ، وشهد حنيناً والطائف أيضاً ، وهو ممن ثبت على إسلامه فى الرِّدَّة ، وهو أحد فرسان قيس وشعرائها . وكان أسودَ حالكا ، وهو أحد أغربة

(١) ط : « بحذف النداء المقدر » ، وكلاهما صحيح . وكلمة «حرف» فى ش كتبت بخط الناسخ تحت كلمة « بحذف » بينها وبين كلمة « النداء » .

العرب الثلاثة[١] ، وهو ابن عم الخنساء الصحابية الشاعرة ، وتأتى له ترجمة أبسطُ مما هنا فى محله إن شاء الله تعالى[٢] .

و (أنت) اسم لكان المحذوفة ، و (ذا نفر) خبرها . وعند ابن جنى هما معمولان لما الواقعة عوضاً من الفعل ، ومُصلحةً للفظ لتزول مباشرة أنْ الاسم وهذه عبارته (فى الخصائص) : فإن قلت : بم ارتفع وانتصب أنت منطلقاً[٣] ؟ قيل بما ، لأنَّها عاقبت الفعلَ الرافعَ الناصب فعملت عملَه من الرفع والنصب ؛ وهذه طريقة أبى على وجِلَّة أصحابنا ، من قِبَل أن الشىء إذا عاقب الشىء ولىَ من الأمر ما كان المحذوف يليه ؛ من ذلك الظرفُ إذا تعلّق بالمحذوف فإنه يتضمَّن الضمير الذى كان فيه ، ويعمل ما كان يعمله[٤] : من نصبه الحال والظرف . وعلى ذلك صار قوله « فاه إلى فىَّ » من قوله : كلمته فاه إلى فىَّ ، ضامناً الذى[٥] كان فى جاعلا لمَّا عاقبه . اه

قال ابن خلف : وعلى هذا يُلغَز فيقال : هل تعرف (ما) فى كلام العرب رافعةً للاسم وناصبة للخبر ، وليست بالنافية التى يُعملها أهل الحجاز بل هى موجبةٌ لا نافية ؟

---

(١) أغربة العرب فى الجاهلية خمسة لا ثلاثة ، وهم : عنترة بن شداد ، والسليك بن السلكة ، وأبو عمرو بن الحباب ، وخفاف بن ندبة ، وهشام بن عقبة بن أبى معيط . كما ذكر البغدادى فى الشاهد ٤١١ . ومثله فى اللسان (غرب ١٣٨) . فلعل صواب ما هنا « الثلاثة عشر » ، فقد عد صاحب اللسان ثمانية أغربة آخرين من الاسلاميين . فانظره .

(٢) فى الشاهد ٤١١ وهو قول خفاف بن ندبة :

فقلت له والرمح يأطر متنه تأمل خفافا اننى أنا ذلكا

(٣) وكذا فى الخصائص ٢ : ٣٨١ . وفى ش : « اما أنت منطلقا » .

(٤) أى ما كان يعمله المتعلق المحذوف .

(٥) فى الخصائص : « ضامنا للضمير الذى »

وروى أبو حنيفة الدينورى (فى كتاب النبات) وتبعه ابنَ دُريد (فى الجمهرة) :

* أبا خُراشة أما كنت ذا نفرٍ *

وعليها فلا شاهد فى البيت ، وما زائدة . وهذه الرواية تؤيِّد قول الكوفيين القائلين إنّ أنْ المفتوحة شرطيةٌ يجازَى بها .

ومن الغرائب ما نقله صاحب (نفحات الأرَج ، فى شرح أبيات الحجج) عن الأصمعىّ أنّ العرب تجازى بأنت فتقول: أما أنت منطلق أنطلقْ معك . وهذا نادر ولا يعتبر ، فإن المجازاة لا تقع إلاّ على الفعل ، وأمَّا الأسماء فإنّها لا يصحّ عليها المجازاة . كذا فى (شرح أبيات الموشح) .

و (النفر) قال الفرّاء : نفرُ الرجل : رهطه ، ويقال لعدّة من الرجال من ثلاثة إلى عشرة ، وهذا هو المشهور . و (الضَّبُع) قال حمزة الأصبهانى (فى أمثاله التى على وزن أفعَل) عند قوله « أفسد من الضبُع » : إنها إذا وقعت فى الغنم عاثت[1] ولم تكتفِ بما يكتفى به الذئب . ومن إفسادها وإسرافها فيه استعارت العرب اسمَها للسنة المجدبة فقالوا : أكلتنا الضبع . وقال ابن الأعرابى : ليس يريدون بالضبع السنة ، وإنما هو أنّ الناس إذا أجدبوا ضعفُوا عن الانتصار وسقطت قُواهم فعاثَت فيهم الضباعَ والذئاب فأكلْتهم ، ومنه قوله :

أبا خراشة أما أنت ذا نفر . . . . البيت

---

(١) عاثت : افسدت .

أى إن قومى ليسوا بضعافٍ تَعيث فيهم الضباع والذئاب[١] . وإذا اجتمع الذئب والضبع فى الغنم سلمت الغنم ، ومنه قولهم اللهم ذئباً وضبعاً، أى أجمعهما فى الغنم ؛ لأن كلا منهما يمنع صاحبه ا هـ .

صاحب الشاهد ٨٢

وهذا البيت من أبيات للعباس بن مِرْداس السُّلَمى ، لا للهُذَلى كما زعم بعض شرّاح أبيات المفصل . وبعده :

(السِّلمُ تأخذ منها ما رَضِيتَ به والحربُ يكفيك من أنفاسها جُرَعُ)

وهذا البيت استشهد به البيضاوى عند قوله تعالى : ﴿ادخلُوا فى السِّلم كافّةً[٢]﴾ على أن السِّلم تؤنث كالحرب . قال صاحب (الصحاح) : السِّلم الصلح تفتح وتكسر وتذكر وتؤنث . وكذلك استشهد به ابن السكيت (فى إصلاح المنطق[٣]) قال التبريزى (فى إيضاح الإصلاح) : الجُرَع : جمع جُرْعة ، وهى ملء الفم . يخبره أنَّ السلم هو فيها وادع[٤] ينال من مطالبه ما يريد ، فإذا جاءت الحرب قطَعَتْه عن لذّاته وشغلته بنفسه ا هـ .

---

(١) أما الذئاب فستأكل أحياءهم ، وأما الضباع فتصيب موتاهم . والمراد وقوعهما فى القوم متفرقين . أما اجتماعهما فان معه السلامة للأقوام ، لاشتغال كل واحد منهما بصاحبه ، ومنه قول الشاعر ، كما فى اللسان (ضبع) .

تفرقت غنمى يوما فقلت لها يارب سلط عليها الذئب والضبعا

(٢) الآية ٢٠٨ من سورة البقرة .

(٣) اصلاح المنطق ٣٥ ، ٣٩٩ .

(٤) ط : « رادع » ، صوابه بالواو من الدعة ، كما فى ش .

وهذا تحريضٌ على الصلح وتثْبيط عن الحرب . وأراد بأنفاسها أوائلَها ، ومن فى الموضعين[١] ابتدائية .

والعباس بن مرداس صحابىّ أسلم قبل فتح مكة بيسير ، وهو ممن حرَّم الخمر على نفسه فى الجاهلية ، وقد تقدَّمت ترجمته فى الشاهد السابعَ عشر من أوائل الكتاب[٢] .

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد المحسون بعد المائتين[٣] :

٢٥٠ (إمّا أقمتَ وأمّا أنتَ مرتحلاً فالله يكلأُ ما تأتى وما تذَرُ)

على أنّه يدل لصحة قول الكوفيين : كونَ أنْ المفتوحة الهمزة أداةَ شرط ، مجىء الفاء فى جوابها مع عطف (أمَّا أنت) على (إمَّا أقمت) بكسر الهمزة .

قد صوَّب ابن هشام أيضاً (فى المغنى) رأى الكوفيين ، كما صوَّب الشارح المحقِّق ، واستدلَّ لهم بعينِ ما استدلَّ به الشارح ، وهذا من توافق الخاطر[٤] كما يقال « قد يقع الحافر موضع الحافر » . وهذه عبارته :

---

(١) هما « منها » و « من أنفاسها » . ط : « وهى فى الموضعين » ، صوابه فى ش .

(٢) الخزانة ١ : ١٥٢ .

(٣) ابن يعيش ٢ : ٩٨ ، ٩٩ وشرح شواهد المغنى ٤٤ .

(٤) كانت حياة ابن هشام ما بين سنتى ٧٠٨ ، ٧٦١ . وقد أكمل الرضى شرحه للكافية سنة ٦٨٦ أى قبل مولد ابن هشام . ويشير البغدادى بقوله « توافق الخاطر » الى أن ابن هشام مع تأخره عن الرضى لم يطلع على كتابه « شرح الكافية » . والعلة فى هذا ان الشرح لم ينقل من بلاد العجم إلى مصر الا بعد أبى حيان وابن هشام . انظر مقدمة البغدادى فى الجزء الأول من الخزانة ص ٢٩ .

ويرجّح مذهب الكوفيين عندى أمور : أحدها توارد إن للفتوحة والمكسورة على المحلّ الواحد والأصل التوافق ، وقرئ بالوجهين فى قوله تعالى : ﴿ أن تَضِلَّ إحداهما[1] ﴾ ، ﴿ ولا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أنْ صَدُّوكُمْ[2] ﴾ ، ﴿ أفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً أن كُنتُمْ قوماً مُسْرِفين[3] ﴾ . ورُوِى بالوجهين قوله :

* أتغضب إن أُذنا قُتيبة حُزَّتا[4] *

الثانى مجىء الفاء بعدها كثيراً كقوله :

أبا خراشة أما أنت ذا نفر . . . . البيت

الثالث عطفها على إن المكسورة فى قوله :

إما أقمت وأما أنت مرتحلا . . . . البيت

الرواية بكسر إنْ الأولى وفتح الثانية . فلو كانت للفتوحة مصدريّة لزم عطف المفرد على الجملة . وتعسَّفَ ابنُ الحاجب فى توجيه ذلك فقال : لما كان معنى قولك إن جئتنى أكرمتك ، وقولك أكرمك لاتيانك إيَّاى واحداً ، صح عطف التعليل على الشرط فى البيت . وكذلك تقول : إن جئتنى وأحسنت

---

(١) الآية ٢٨٢ من سورة البقرة . وقرأ بكسر الهمزة فى « ان » حمزة والأعمش ، والباقون بفتحها . تفسير أبى حيان ٢ : ٣٤٩

(٢) الآية ٢ من سورة المائدة . وقرأ بكسرة همزة « ان » ابو عمرو وابن كثير ، والباقون بفتحها . تفسير أبى حيان ٣ : ٤٢٢

(٣) الآية ٥ من سورة الزخرف . وقد قرأ نافع والأخوان بكسر الهمزة وقرأ الجمهور « أن » بفتحها ، وزيد بن على : « اذ كنتم » . تفسير أبى حيان ٨ : ٦ .

(٤) للفرزدق فى ديوانه ٨٥٥ . وعجزه :

* جهارا ولم تغضب لقتل ابن حازم *

إليَّ أكرمتك ، ثم تقول : إن جئتني ولإحسانك إليَّ أكرمتك ، وتجعل الجواب لهما اهـ . وما أظنّ أنَّ العرب فاهت بذلك يوماً . انتهى كلام ابن هشام .

وكلامُ ابن الحاجب الذى نقله هو فى (الإيضاح شرح المفصل) ، وقد اختصر كلامَه ، وهذه عبارته : وقد روى قوله :

إما أقمتَ وأما أنت مرتحلا . . . . البيت

بكسر الأول وفتح الثانى . أمّا كسر الأوّل فلأنَّه شرط فوجب كسره ، ودخول ما عليه كدخولها فى قولك : إمّا تكرمْني أكرمْك . وفتح الثانى واجب لأنه مثل قولك : أما أنت منطلقاً . وقد تقدَّم ذكره .

٨٣ وقوله (فالله يكلأُ ما تأتى الخ) فجواب الشرط معلَّل بقوله أمَّا أنت مرتحلا . وصحَّ أن يكون لهما جميعاً من حيث كان الشرط والعلّة فى معنىً واحد ، ألا ترى أن قولك إن أتيتنى أكرمتك بمعنى قولك أكرمتك لأجل إتيانك ؟ فإذا ثبت أنَّ الشرطية والتعليلَ بمعنىً واحدٍ صحّ أن تعطف أحدَهما على الآخر وتجعل الجواب لهما جميعاً فى المعنى ، فصار مثل قولك : إن أكرمتنى وأحسنتَ إليَّ أكرمتك ، إلاّ أنَّه وضع موضع أحسنت إليَّ لفظَ التعليل ، فصار كأنَّك قلت : إن أكرمتنى فلأجل إتيانك فأنا أكرمك . وذلك سائغ . هذا كلامه .

وقد ناقش الدمامينيُّ كلام ابن هشام فى الأدلّة الثلاثة بالتعسّف كما لا يخفى على من تأمله . (والكلاءة) بالفتح والمدّ : الحفظ ، وما موصُولة والعائد محذوف أى ما تأتيه وما تذره . و (تذر) بمعنى تترك ، وقد أماتوا ماضيه ، ومصدرَه ، واسمَ فاعله ، واسمَ مفعوله كيدع .

وهذا البيت مع استفاضته فى كتب النحو لم أظفر بقائله ولا بتتمته والله أعلم به .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والخمسون بعد المائتين ، وهو من شواهد سيبويه[١] :

٢٥١ (ومِنْ عِضَةٍ ما ينبُتَنَّ شَكيرُها)

على أن زيادة (ما) للتأكيد بمنزلة اللام ، ولأجلها جاز تأكيد الفعل بالنون . وسيأتى نقل كلام سيبويه فى آخر الشاهد السادس والأربعين بعد التسعمائة[٢] فى نون التوكيد .

قال الصاغانى — تبعاً لصاحب الصحاح وغيره — : الشكير : ما ينبت حول الشجرة من أصلها ، قال :

(إذا مات منهم ميت سُرق ابنهُ ومن عِضَةٍ ما ينبتنَّ شكيرُها)

يريد أنَّ الابن يشبه أباه ، فمن رأى هذا ظنَّه هذا فكأن الابن مسروق .

وفى فعله يقال : شكِرت الشجرة تَشكَر شَكَراً ، من باب فرح ، أى خرج منها الشَّكير . وهذا التفسير منقول من (تهذيب الازهرى) .

وأورد الزمخشرى المصراع الثانى (فى أمثاله) وقال : والعِضَة بالهاء والتاء جميعاً . والشكير : الورق . ويروى « فى عِضَةٍ ما ينبت العود » ، يضرب فى مشابهة الرجل أباه اهـ .

وكذلك اقتصر ابن هشام (فى حواشى التسهيل) عليه ، لكنه قال : هذا

---

(١) فى كتابه ٢ : ١٥٣ . وانظر ابن يعيش ٧ : ٩/١٠٣ : ٥ ، ٤٢ وشرح شواهد المغنى ٢٥٨ والتصريح ٢ : ٢٠٥ والأشمونى ٣ : ٢١٧ والحماسة بشرح المرزوقى ١٠٩٢

(٢) كذا فى النسختين ، والصواب « بعد آخر الشاهد السابع والأربعين بعد التسعمائة » حيث كرر هذا الشاهد لمناسبة تأكيد الفعل المستقبل فى غير الشرط .

مثلٌ لمن أظهر خلاف ما أبطن . والعضة : شجرة ، وشكيرها : شوكها ، وقيل صغار ورقها . يعنى أنَّ كبار الورق إنّما تنبت من صغارها ، أى ما ظهر من الصغار يدلُّ على الكبار . ا هـ .

وهذا التفسير مبنيّ على قطع النظر عن المصراع الأوّل .

وقوله (سُرق ابنه) اختُلف فى ضبطه ، فالجمهور على أنه بالبناء للمفعول بتقدير سُرق منه ، وضبطَه الخطيب التبريزى بالبناء للفاعل على تقدير سَرق ابنه صورتَه وشمائله . وضبطه بعضهم « شَرُفَ ابنه » بالمعجمة والفاء والبناء للمعلوم ، من الشرف وهو المجد ، ولا يخفى ركاكته . و (العضة) : واحدة العِضاه عِضاهة وعضهة بكسر فسكون ، وعضة بحذف الهاء الأصلية كما حذف من الشَّفة . ا هـ . وعلى هذا فالعضة بالتاء لا بالهاء .

وروى أبو محمد الاعرابى هذا البيت (فى كتاب السَّلة والسَّرِقة) على ما تقدَّم ، وقال : ومَثَلٌ آخر :

ومن عضة ما ينبتنَّ شِكيرُها قديماً ويُقتَطُّ الزِناد من الزَّندِ

ولم يورد شرّاح أبيات سيبويه هذا المصراع فى شواهده . ٨٤

* * *

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والخمسون بعد المائتين ، وهو من شواهد سيبويه[1] :

(١) فى كتابه ١ : ١٣٤ . وانظر ابن الشجرى ١ : ٢٢٢ وابن يعيش ٤ : ٨/١٠١ : ٣٥ وشرح شواهد المغنى ٢٨٣ والعينى ٢ : ٥١ والتصريح ١ : ١٩٤ والهمع ١ : ١٢٢ والأشمونى ١ : ١٩٤

٢٥٢ (مِنْ لَدُ شَولاً فإلى إتلائها)

على أن (كان) قد تحذف بعد (لَدُ) كما هنا ، والتقدير : من لدُ كانت شولاً .

قد ذكر الشارح فى الظروف أنّ لدن بجميع لغاتها معناها أوّل غاية زمانٍ أو مكان ، وقلّما يفارقها مِنْ ، فإذا أضيفت إلى الجملة تمحّضت للزمان ، لأنّ ظروف المكان لا يضاف منها إلى الجملة إلاَّ حيث ، ويجوز تصدير الجملة بحرفٍ مصدرىّ لما لم يتمحّض لدن فى الأصل للزمان ؛ فنَصب هنا شولاً لأنه أراد بِلَدُ الزمانَ ، ولَدُ إنما يضاف إلى ما بعده من زمان يتّصل به أو مكان إذا اقترنت به إلى ، والشَّولُ لا يكون زماناً ولا مكاناً ، فلما لم يجز أن يُضاف لَدُ إليها نَصبهَا على أنها خبر لكان المقدَّرة .

و (الشَّوْل) بفتح الشين المعجمة وسكون الواو : اسم جمع شائلة بالتاء ، وهى الناقة التى ارتفع لبنها وجفّ ضرعها وأتى عليها من نتاجها سبعة أشهر وثمانية . واسم كان للمقدَّرة ضمير النوق فى كلامٍ تقدَّم قبله ، وأضمِرت كان هنا لوقوعها فى مثله كثيراً ، وحُذفت نون لدن لكثرة الاستعمال . وقيل شَوَلاً هنا مصدر شالت الناقة بذنبها ، أى رفعته للضِّراب ، فهى شائل بغير تاء ، والجمع شُوَّل كراكع ورُكَّع ، فيكون التقدير : من لدن شالت شولا ، فليس فيه حذفُ كان مع اسمها بل هو من باب حذف عامل المصدر المؤكِّد . وللمصادر تستعمل فى معنى الأزمنة ، كجئتك صلاةَ العصر . قال أبو على : الأشبه أن يكون المصدر فى نحو هذا على فعَلان ، فلذلك لم يقوّه سيبويه .

قال ابن هشام (فى شرح شواهده) : وقد يرجح كونه من باب حذف

عامل المصدر المؤكد ، وردُّ[1] بأنه روى من لَدُ شولٍ بالخفض ولا يقال من لدُ النُّوق فإلى إتلائها . ويجاب بأن التقدير من لدن شوَلان شَوْل أو زمان شول أو كون شول ، فحذف المضاف . والتقدير الأخير أولى ليتّحد المعنى فى الروايتين ولكن يحتاج على هذا التقدير إلى الخبر ، أى موجودةً . فإنْ قُدّر الكون مصدرَ كان التامةَّ لم يحتج إلى ذلك ، ولكن لا يقع التوفيق بين الروايتين فى التقدير . وقد يرجَّح الثانى برواية الجَرْمى « من لَدُ شوْلاً » بغير تنوين على أن أصله شولاء بالمد فقصرَه للضرورة ، ولكن هذه الرواية تقتضى أن المحدَّث عنه ناقة واحدة . ومن الغريب أنَّ بعضهم زعم أن انتصاب شولا بعد لدُ على التمييز أو التشبيه بالمفعول به ، كانتصاب غدوة بعدها فى قولهم لدن غدوةً وأنه لا تقدير فى هذا البيت . وهذا مردود باتفاقهم على اختصاص هذا الحكم بغُدْوَة وأنه لم يسمع غُدْوة مع حذف النون من لدن . ا ه

وتقدير الشارح المحقق كان بدون أن للمصدرية هو الصَّواب خلافاً لسيبويه فإنّه قال : التقدير من لد أنْ كانت شولا . قال ابن الدهَّان : الحامل له على هذا التقدير أنَّ لدن لا تضاف عنده إلى الجمل ، وردَّ هذا الحامل بلزوم أن يقدّر سيبويه أنْ فى قوله :

* لدُن شبَّ حتى شاب سود الذوائب[2] *

ونحوه ، وهو كثير ، وذلك بعيد .

واختلف فى تقدير سيبويه : قال الشاطبى (فى شرح الألفية) : فقيل هو ٨٥

---

(١) هذه الكلمة ساقطة من ش .

(٢) للقطامى فى ديوانه ، وهو أول من سمى صريع الغوانى لقوله :

صريع غوان راقهنى ورقنه لدن شب حتى شاب سود الذوائب

تقديرٌ معنوى لا إعرابى ، لأنْ شولاً يصير على ذلك التقدير من صلة أنْ ، وللوصول لا يحذف ويبقى بعض الصلة ، نصَّ عليه سيبويه فى باب الاستثناء فى قوله « الاّ الفرقدان[1] » وإنّما التقدير : من لدُ كانت ، أى من لدكونها شولاً ، لأن الجملة تقدَّربالمصدرإذا أضيف إليها الظرف . هذا مأخذ ابن خروف وابن الضائع وابن عصفور ، وهو رأى الناظم . وظاهر السِّيرافى وجماعةٍ أنه تقديرٌ إعرابىٌ لأنه قدَّرها بأنْ كما قدَّرها سيبويه : من لد أنْ كانت شولاً . قال : والمصادر تستعمل فى معنى الأزمنه نحو مقدمَ الحاج ، وخلافةَ المقتدر ، وصلاةَ العصر . وهذا رأى الشَّلَوبين وابن أبى غالب ، قال ابن مالك : وعندى أن تقدير أنْ مستغنىً عنها كما يستغنى عنها بعد مُذ . اهـ . وفى القول الثانى نظر ، فإنَّ الإشكال باقٍ بحاله ولم يجيبوا عنه . فتأمل .

وقوله (فالى إتلائها) بكسر الهمزة هو مصدر أتْلَت الناقة إذا تلاها ولدها أى تبعها فهى مُتْلِيَة ، والولد تِلو ، بكسر فسكون ، والأنثى تِلوة ، والجمع أتلاء بالفتح .

وهذا البيت من الرجز المشطَّر[2] ، وهومن الشواهد الخمسين التى لايعرف قائلها ولا تتمتها . والله أعلم .

---

(١) قطعة من بيت لعمرو بن معد يكرب ، أو حضرمى بن عامر . انظر الكتاب ١ : ٣٧١ وحماسة البحترى ٢٣٤ والكامل ٧٦٠ والمؤتلف ٨٥ وامالى المرتضى ٢ : ٨٨ . والبيت بتمامه :

وكل أخ مفارقه أخوه ... لعمر أبيك الا الفرقدان

(٢) جعلها الشنقيطى فى نسخته « المشطور »

باب المنصوب بلا التى لنفى الجنس

أنشد فيه ، وهو الشاهد الثالث والخمسون بعد المائتين[1] :

٢٥٣ * أَوْدَى الشبابُ الذى مَجْدٌ عَواقِبُهُ
فيه نَلَذُّ ولا لَذّاتَ للشَّيبِ *

على أن جمع المؤنث السالم يبنى على الفتح مع لا ، بدون تنوين ، كلذّاتَ فى البيت ، فإنّه مبنىٌّ مع لا على الفتح ، ورواه شرّاح الألفية بالفتح والكسر ، كما يجوز مثله فى الجمع المؤنث السالم المبنىّ مع لا .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدة لسَلامةَ بن جَندلٍ السعدىّ عدّتها اثنان وثلاثون بيتاً ، وهى مسطورة فى المفضّليات أوّلها :

أبيات الشاهد

(أودَى الشبابُ حميداً ذو التَعاجيبِ أودَى وذلك شأوٌ غير مطلوبِ
ولّى حثيثاً وهذا الشَّيبُ يطلبه لو كان يُدركُه ركضُ اليعاقيب
أودَى الشبابُ الذى مجدٌ عواقبُه . . . . . البيت
يومانِ يومُ مَقاماتٍ وأنديةٍ ويومُ سَيرٍ إلى الأعداء تأويب)

قوله أودى أى ذهب واضمحلّ ، وحميداً حالٌ من الشباب أى محموداً . وكرّر أودى للتأكيد ، والمراد به التحسّر والتفجّع لا الإخبار المجرّد . قال ابن الأنبارىّ : التعاجيب العَجَب ، يقال إنّه جمع لا واحدَ له . وروى « ذو الأعاجيب » جمع أعجوبة ، والمعنى : كان الشباب كثير العجَب ، يُعجب الناظرين إليه ويروقهم . واسم الإشارة لمصدر أودى . والشأو مهموز الوسط :

---

(١) انظر شذور الذهب ٨٥ والعينى ٢ : ٣٢٦ والتصريح ١ : ٣٢٨ والهمع ١ : ١٤٦ والأشمونى ٢ : ٨ والمفضليات ١٢٠ وديوان سلامة بن جندل ٧ .

الطَّلَق . يقال جرى الفرس شأواً أو شأوين أى طَلَقاً أو طَلَقين ، ويأتى بمعنى السَّبْق أيضاً ، يقال شأوته أى سبقته . يقول : وذلك الإبداء شأوه سابق قد مضى لا يُدرك ولا يُطلب . وروى بدل أودى « ولَّى » .

وقوله : ولَّى حثيثاً الخ ، أى ذهب الشباب وأدبر حثيثاً سريعاً . وجواب لو محذوف ، أى لطلبته ولكنه لا يُدرك . واليعاقيب : جمع يعقوب ، وهو ذكر الحَجَل. وخصَّ اليعقوب لسرعته . قال ابن الأنبارى : وقال عُمارة : اليعاقيب يعنى به ذوات العَقْب من الخيل . والعَقْب : أن يجىء جرىٌ بعد جرى . وروى أبو عمرو : « ركضَ اليعاقيب » بالنصب . يقول : لو أدرك طالب الشباب شبابه بركضٍ كركض اليعاقيب لطلبه ، ولكنَّ الشباب إذا ولَّى لم يُدرَك . ويقال : إن معناه ولَّى الشباب حثيثاً ركض اليعاقيب وهذا الشَّيب يتبعه . ويروى « جرىَ اليعاقيب » .

٨٦

وقوله (أودى الشباب . . الخ) قال ابن الأنبارىّ : يقول : ذهب الشباب الذى إذا تُعقّبت أموره وُجد فى عواقبه الخير إمّا بغزو أو رحلة أو وِفادة إلى ملك . وعواقبه : أوَاخره . وقال أحمد : قوله (مجدٌ عواقبه) أى آخر الشباب محمود ممجّد إذا حلَّ الشيب وذُكر الشباب ، فحمد الشباب لذمّه ، والمجد : كرم الفعل وكثرة العطاء . يقال فى مَثل : « فى كلِّ شجرٍ نارٌ ، واستمجد المَرْخُ والعَفار » أى كثُرت نارهما . وإنّما يمجد الرجل بفعله ، وإنّما يمكنه الفعال وهو شابٌ قوىٌ نشيط . وقوله (فيه نَلَذُّ) بفتح اللام ، أى إنّما تكون اللذاذة والطِّيب فى الشباب ، والجملة استئنافٌ بيانى . و « الشِّيب » بالكسر : جمع أشيب ، وهو الذى ابيضّت لحيته ، يريد ليس فى الشَّيب ما يُنتفع به ، إنّما فيه الهَرَم والعِلل . وإنّما جمع اللذة

لأنه أراد أنواعَ اللذائذ . وروى أيضاً (ذاك الشباب الذى يجدُ عواقبه) .
ولم يروِ أحدٌ (إنّ الشباب) بدل (أودى) فيما رأينا . وزعم ابن هشام فى شرح شواهده أن الرواية بإنّ ، وأن ابن الناظم حرّفه فرواه (أودى الشباب) قال : ولولا (أنّ) لبقى قوله (فيه تلذ) غير مرتبط بشىء . وهذا كما ترى عسفٌ فى الرواية وتخطئهٌ للمصيب .

وقوله يومان يوم الخ ، قال ابن الأنبارى عن الرُّستَمىّ : فسّر العواقب بقوله يومان وبما بعده فى البيتين فقال : يومٌ فى المجالس خطيباً ويومُ سير إلى الأعداء ، والكبير يعجز عن هذا . والمقامة بالفتح : المجلس ، وروى أبو عمرو بالضم بمعنى الإقامة . والأندية : الأفنية . والندىّ والنادى : المجلس . قال أحمد : أراد به اللهو والتنعّم . وتأويب : صفة سير ، وهو السُّرعة فى السير والإمعانُ فيه ، يقال أوّب الرجل في سفره تأويباً ، إذا أمعن . وقال أحمد : أوّب : وصل الليل بالنهار مع الإمعان .

وفى هذه القصيدة أبيات من شواهد أدب الكاتب وغيره .

سلامة بن جندل

و (سلامة) هذا قال يعقوب بن السكيت : هو سَلامة بن جندل ابن عبد عمرو بن عبيد بن الحارث بن مُقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد ابن زيد مَناةَ بن تميم ، قال : وكان من فُرسان العرب المعدودين وأشِدّائهم المذكورين اهـ.

وقال ابن قتيبة فى كتاب الشعراء[1] : سلامة بن جندل جاهلى قديم ، وهو من فرسان تميم المعدودين ، وأخوه أحمر بن جندل من الشعراء والفرسان ،

(١) الشعراء ٢٢٩ — ٢٣٠ .

وكان عمرو بن كلثوم أغار على حيٍّ من بنى سعد[١] فأصابَ فيهم ، وكان فيمن أصاب الأحمر بن جندل . وكان سلامة أحدَ نُعّات الخيل ، وأجود شعره قصيدته التي أولها :

أودى الشباب حميداً ذو التعاجيبِ أودى وذلك شأوٌ غير مطلوبِ

انتهى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والخمسون بعد المائتين[٢] :

٨٧ ٢٥٤ *لو لم تكنْ غَطَفانٌ لا ذُنوبَ لها
إذن لَلامَ ذَوُو أحسابِها عمرا*

على أن (لا) هنا زائدة مع أنّ النكرة بعدها مبنية معها على الفتح .
قال ابن عصفور (فى المقرّب) : أنشد أبو الحسن الأخفش :

لو لم تكن غَطَفان . . . . البيت

والمعنى لها ذنوب إلىّ . وعمل لا الزائدة شاذّ .

وقد تكلّم أبو علىّ الفارسىّ (فى المسائل المنثورة) على هذا البيت بكلام فيه قلاقة وهو قوله : يعترض فى هذا البيت معترضٌ فيقول : الكلام إيجاب ، ومعناها أنّ لغطفان ذنوبا ، فكان الكلام إيجابا ، ولا لا تدخل على الإيجاب . فوجه ما قاله أنه لم يردْ هذا ، وإنما أراد بقوله لا ذنوب لها أنّ

(١) فى الشعراء : « من بنى سعد بن زيد مناة » .
(٢) انظر الخصائص ٢ : ٨٧ والهمع ١ : ١٤٧ وديوان الفرزدق ٢٨٣

الكلام الأوّل قد تمّ وتقضّى ، فأتى بالجملة الثانية وهى الجحد ، فجعلها خبراً للنكرة حيث كانت جملة . ومثل ذلك فى الجحد قد قالت العرب : كان زيد يقوم أبوه ، فقد جعل يقوم أبوه جملة فى موضع الخبر وإن كان جحداً،فكذلك جاز له أن يجعل[1] النفى فى موضع خبر الإيجاب وإن كان إيجابا . ولا يلزم تأويل من تأوّل هذا فقال : إن المعنى ذلك لأنّه وجه من القياس ، وهو ما ذكرنا ، فلا يلزمه التأويل لأن التأويل أيضاً ينساغ على ذلك فيجعل إيجاباً ، لأنّ الإيجاب والنفى جميعاً إخبارٌ ، فلك أن تجعل كل واحد خبرا عن الآخر من حيث كان ذلك فى الجحد . هذا كلامه .

وهذا البيت من قصيدة للفرزدق هجا بها عُمر بن هبيرة الفَزارى أوّلها : صاحب الشاهد

(يا أيها النابحُ العاوى لِشقْوته إليك أخبرْك عمّا تجهلُ الخبرا
لو لم تكن غطَفان . . . . البيت)

إلى أن قال :

(جهّزْ فإنك مُمْتارٌ ومنتجعٌ إلى فَزارةَ عِيراً تحمل الكَمَرا — أبيات الشاهد
إنّ الفَزارى ما يَشفيه من قَرَم أطايبُ العَيْر حتّى ينهش الذكرا
إن الفزارىّ لو يعمى فيُطعمهُ أيرَ الحمار طبيبٌ أبرأ البصرا)

النابح والعاوى ، من نبح الكلب وعوى بمعنى صوّت . وإليك اسم فعل وأصل معناه : ضمّ رحلك وثِقْلك إليك واذهب عنى . وأخبرْك جزم فى جوابه ، ، والخبر مفعول أخبرك ، وعمّا متعلّق بما بعده .

---

(١) ط : « أن يحصل » ، صوابه فى ش .

وقوله : (لو لم تكن غطفان الخ) لا من حيث للمعنى زائدة ، وأصل الكلام لو لم تكن ذنوبٌ لغطفان ، وجملة لا ذنوب لها خبر الكون .

وغطفان أبو قبيلة ممنوع من الصرف للعلمية والزيادة ، وصرفه هنا للضرورة . وهو غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان ، وهو الجدّ الأعلى لفَزارة ، لأن فَزارة هو فَزارة بن ذبيان بن بغيض بن رَيث بن غطفان . وفزارة اسمه عمرو ، ضربه أخٌ له ففزَره فسمّى فزارة .

وأراد بالذّنب الإساءة ، أى لو كانت غطفان غير مسيئة إلىّ لَلام أشرافُها عمر بن هبيرة فى تعرّضه إلىّ ومنعوه عنّى . وعمر عامل من عمّال سليمان ابن عبد الملك من بنى أمية وقوله (إذن لَلامَ الخ) جواب لو الشرطية ، وكثيرا مّا يُصدَّر جوابها بإذن ، واللام للتأكيد ، واللّوم : التعنيف ، وروى أيضاً :

* إلىّ لام ذوو أحسابها عمرا *

وذوو فاعل لام ، جمع ذو بمعنى صاحب . والأحساب : جمع حسَب ، وهو ما يُعَدّ من المآثر ، وهو مصدر حَسُب على وزن كرم . قال ابن السكّيت : الحسب والكرم يكونان فى الإنسان وإن لم يكن لآبائه شرف . ورجل حسيب : كريم بنفسه . قال : وأما المجد والشرف فلا يُوصَفُ بهما الشخص إلاّ إذا كان فيه وفى آبائه . وقال الأزهرىّ : الحسب الشرف الثابت له ولآبائه . و (عمر) مفعول لامَ والألف للاطلاق .

٨٨

وقوله : « جهِّز فإنّك الخ » الممتار : اسم فاعل من امتار المِيرة لنفسه بالكسر ، وهى الطعام . ومارهم مَيراً من باب باع ، إذا أتاهم بالمِيرة . ومنتجع بمعنى : منتفع ، وأصله من انتجع القومُ إذا ذهبوا لطلب الكلأ فى موضعه ،

وإلى متعلقة بجُهِّزْ، وعِيراً مفعول جُهِّز ، وهو بكسر المهملة : القافلة ، قالوا : وأصل العِيرِ الإبل التي تحمل الميرة ثم غلب على كل قافلة : والكَمَر بفتح الكاف والميم : جمع كَمَرة ، قال صاحب المصباح : الكمرة الحشَفة وزناً ومعنًى وربَّما أُطلقت الكمرة على جملة الذكر مجازا .

والقَرَم بفتحتين مصدر قرِم اللحمَ[1] من باب فرح ، إذا اشتدّت شهوته له . ومِنْ للتعليل ، وأطايب : فاعل يشفيه ، جمع أطيب . والعَيْر بفتح المهملة : الحمار الوحشى . وحتَّى بمعنى إلاّ . والنَّهسُ : مصدر نَهَسْت اللحم من بابى ضرب ونفع ، إذا أخذته بمقدَّم الأسنان ، والمعروف بالسين المهملة ، وروى بالمعجمة أيضاً . وبنو فزارة يُرمَون بأكل أير الحمار ، وبسرقة الجار ، وبنيك الإبل ، كما قال سالم بن دارة :

إنَّ بنى فَزارة بن ذُبيانْ قد غلبوا النَّاس بأكل الُجردانْ

وسَرِقِ الجار ونيكِ البُعْرانْ

والُجردان بضم الجيم : وعاء قضيب الحمار . وسيأتى إن شاء الله شرح هذا مفصلاً فى باب المثنى[2] .

وترجمة الفرزدق قد تقدَّمت فى الشاهد الثلاثين[3] .

* * *

(١) فى اللسان : « يقال قرمت الى اللحم ، وحكى بعضهم فيه قرمته » .

(٢) فى الشاهد السبعين بعد الخمسمائة . وقد سبقت ترجمة سالم ابن دارة فى ٢ : ١٣٨ .

(٣) فى الجزء الأول من الخزانة ص ٢١٧ .

وأنشد بعده، وهو الشاهد الخامس والخمسون بعد المائتين وهو من شواهدس[1] :

٢٥٥ (بَكَتْ جزَعاً واسترجعتْ ثم آذنتْ
رَكائبُها أن لا إلينا رجوعُها)

على أن «لا» يجوز عدم تكريرها مع المفصول عند المبرّد وابن كيسان كما في البيت، وعند غيرهما شاذّ.

وقد أنشده سيبويه ومن تبعه على عدم تكرير لا مع المعرفة، وهو الوجه.

قال أبو عليّ (في المسائل المنثورة) : إذا كان بعد لا معرفةٌ ارتفعت المعرفةُ بالابتداء، وهو قولك : لا أبوك، فيرتفع بالابتداء ويكون خبره مضمراً وتكون لا جواباً، كأنه قال : هل أبي، فقال : لا أبوك. فنفى أن يكون أباه. وأما قول الشاعر : بكت جزَعاً واسترجعت. البيت، فرفع رجوعُها بالابتداء وأضمر الخبر كأنّه قال : موجود أو واقع، وجعل إلينا تبييناً مثل قوله سبحانه ﴿إنّي لَكُمَا لمن الناصحين[2]﴾. اهـ

وزعم صدر الأفاضل (في التحبير)، كما نقله عنه بعض فضلاء العجم في شرح أبيات المفصّل، وبعضٌ آخر في شرح أبيات الموشح، أنّ لا هنا ليست بالنافية للجنس، إنّما هي التي تدخل على الفعل المضارع. و (رجوعها) مرفوع على أنه فاعل فعل مضمر، تقديره ألاّ يقع رجوعها. ألا ترى أنّه لو لم

---

(١) في كتابه ١ : ٣٥٥. وانظر أمالي ابن الشجري ٢ : ٢٥٥ وابن يعيش ٢ : ١١٢/٤ : ٦٥، ٦٦ والهمع ١ : ١٤٨ والأشموني ٢ : ١٨.
(٢) الآية ٢١ من سورة الأعراف.

تضمر فيه الوقوع للزم التناقض ، وهذا لأنّ الإيذان يقتضى ألاّ يكون الرجوع فى الحال متحققاً كما يقال : هذه العارضة تؤْذن بالاستسقاء ، إذا لم يكن واقعاً ، ولو لم يضمر الفعل فيه لاقتضت لا أن يكون انتفاء الرجوع ٨٩ فى الحال متحققاً . اهـ .

ولا يخفى أن هذا ليس من المواضع التى يُحذف فيها الفعل ويبقى الفاعل . ويندفع ما عدَّه تناقضاً بجعل خبر رجوعها اسم فاعل من الوقوع . فتأمل .

وقوله (بكت جزَعا) هو مفعول مطلق نوعىٌّ أى بكاء جزع ، ويجوز أن يكون مفعولا لأجله . وروى : (قضت وطراً واسترجعت) وفى الاسترجاع هنا قولان : أحدهما أنه من الاسترجاع عند المصيبة[1] وهو قول ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ[2] ﴾ ، وثانيهما أنه طلب الرجوع من الرَّحيل لكراهة فراق الأحبَّة .

وقوله[3] : (ثم آذنت الخ) ركائبها فاعل آذنت ، جمع رَكوبة ، وهى الراحلة التى تُركب . وآذنَتْ بمعنى أشعرت وأعلمت . جعل تهيؤُ الإبل للرّكوبِ عليها كأنه إعلامٌ منها بالفراق . وفى إسناد الإيذان للركائب دون الحبيبة أمرٌ لطيف لا يخفى حسنه . وقال بعضهم : فيه حذف مضاف ، أى أصحاب ركائبها أو حُداتُها . وهذا كالثّوب المغسول لا طراوة له ولا رونق .

وقوله (أنْ لا إلينا الخ) أن هنا مفسِّرة للإيذان ، وهى الواقعة بعد جملة فيها معنى القول دون حروفه . وقال شرَّاح أبيات المفصَّل إنَّما هى المخففة من الثقيلة ، قالوا . والأصل بأنه ، والضمير للشأن .

---

(١) ط : « أنه استرجاع عند المصيبة » ، وأثبت ما فى ش .

(٢) الآية ١٥٦ من سورة البقرة .

(٣) ط : « وهو قوله » ، صوابه فى ش .

والبيت ظاهره إخبارٌ، ومعناه: تأسُّف وتحسُّر. وهو من أبيات سيبويه الخمسين التي لا يعرف قائلها. والله أعلم.

* * *

وأنشد بعده، وهو الشاهد السادس والخمسون بعد المائتين، وهو من شواهد س[1].

٢٥٦ (وأنتَ امرُؤٌ منّا خُلقتَ لغيرِنا
حياتُكَ لا نفعٌ وموتكَ فاجعُ)

على أنّ «لا» يجوز عدم تكريرها مع المنكّر غير المفصول مع إلغائها عند المبرّد وابن كيسان، وعند غيرهما شاذّ.

قال الأعلم: وسوَّغ الإفرادَ هنا أنَّ ما بعده يقوم مقام التكرير في المعنى، لأنَّ قوله وموتك فاجع دلَّ على أنَّ حياته لا تضرّ. يقول: هو منّا في النسب إلاَّ أن نفعه لغيرِنا، فحياته لا تنفعنا لعدم مشاركته لنا، وموته يفجعنا لأنّه أحدنا اهـ.

وقوله (لا نفعُ) هو مبتدأ، وخبره محذوف أي فيها، والجملة خبر قوله حياتك. وأكثر الرواية على إسقاط الواو أوّله على أنه مخروم[2] وهو الصواب، لأنّه لم يتقدَّمه شيء حتى تكون الواو عاطفة.

---

(١) في كتابه ١ : ٣٥٨ . وانظر ابن يعيش ٢ : ١١٢ والهمع ١ : ١٢٨ والأشمونى ٢ : ١٨ .

(٢) ط : « مخزوم » بالزاى ، وصححها الشنقيطى فى نسخته بالراء . وفرق بين الخرم والخزم . فالخرم : ذهاب أول حرف من وتد الجزء الأول فى البيت ، وأجازوا أن يقع فى مبدأ الجزء الثانى منه ، كما وقع لامرىء القيس فى رواية السكرى :

صاحب الشاهد

وهذا البيت نسبه شراح أبيات الكتاب لرجل من بنى سَلُول، ونسبه العسكرى (فى كتاب التصحيف) والأديب إبراهيم الحُصْرى (فى زهر الآداب) للضحَّاك بن هنّام[1] الرقَاشّى . وزاد الحصرى بعده بيتين وهما :

(وأنت على ما كان منكَ ابنُ حرّةٍ أبيٌّ لما يرضى به الخصم مانعُ[2]
وفيك خِصالٌ صالحاتٌ يَشينُها لديك جَفاءٌ عنده الوُدُّ ضائع)

قوله : وأنت على ما كان الخ أى أنت مع ما كان منك إلينا من سوء المعاملة ، ابنُ حرّة أبيّ ذوحمِيَّة ، مانعُ لما يرضى به الخصم .

قال بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصّل) : المقول فيه هذا الشعر هو الحضين[3] بن المنذر ، وقائله الضحاك بن هَنّام . ا هـ .

وضبط العسكرى ابن هَنّام بفتح الهاء والنون المشدَّدة ، وقد وقع فى بعض كتب الأدب مصحفا بهمّام بالميم بدل النون ، وشذَّ ياقوت الحموى فنسبه (فى مختصر جمهرة الأنساب) إلى جَنَف بن مالك بن الحارث بن ثعلبة ، وينتهى نسبه إلى قُضاعة إحدى قبائل اليمن .

٩٠

= لقد انكـرتنى بعلبك واهلهـا وابن جريج كان فى حمص انكرا
واما الخزم بالمعجمة فهو زيادة فى أول البيت لايعتد بها فى التقطيع ، من حرف الى أربعة ، كقوله (وهو من الهزج) :
(اشدد) حيازيمك للموت فـان المـوت لاقيكـا
ولا تجـزع من المـوت اذا حـل بواديكـا

(١) فى زهر الآداب ٦٥٢ : « بن همام » تحريف ، كما سياتى

(٢) فى زهر الآداب : « وانى لما يرضى به الخصم مانع » وفى نسخة : « طائع » .

(٣) ط : « الحصين » صوابه بالضاد المعجمة كما فى ش

وضبط العسكرى (فى كتاب التصحيف[1]) المتعلق بعلم الحديث الحضين بن المنذر بقوله : حُضَين الحاء مضمومة غيرُ معجمة والضاد معجمة مفتوحة ونون ، هو حُضَين بن المنذر أبو ساسان الرَّقاشى ، من سادات ربيعة ، وكان صاحب راية أمير المؤمنين علىّ يومَ صِفِّين ، وفيه يقول أمير المؤمنين رضى الله عنه :

لمن رايةٌ سوداء يخفُق ظلُّها إذا قيل قدِّمْها حُضَينُ تقدَّما

ثم ولاّه إصطَخر . وكان يُبخَّل ، وفيه يقول زياد الأعجم :

يسُدُّ حضين بابَه خشيةَ القِرى بإصطخَر والشاةُ السمين بدرهمِ

وفيه يقول الضحّاك بن هنّام :

وأنتَ امرؤ منّا خلقتَ لغيرنا حياتك لا نفعٌ وموتك فاجع

وروى الحديث عن عثمان وعلىّ ، وعن مجاشع بن مسعود ، والمهاجر بن قنفذ .

وروى عنه الحسن ، وعبد الله بن الداناج ، وعبد العزيز بن معْمَر ، وعلىّ بن سُويد بن منَجوف .

ولا أعرف من يُسمَّى حُضيناً بالضاد المعجمة غيرَه ، وغير من ينسب إليه من ولده . ومن أولاده : يحيى بن حضين ، وساسان بن حُضَين ، وعياض بن حضين . وفى يحيى يقول الفرزدق :

واصرفِ الكأس عن الفا تر يحيى بن حضينِ

انتهى ما أورده العسكرىّ .

* * *

(١) ط : « كتابه التصحيف » ، واثبت ما فى ش .

وأنشد بعده :

(من صَدَّ عن نيرانها فأنا ابنُ قيس لا بَرَاحُ[١])

على أن « لا » هنا بمعنى ليس، ولهذا لم تـكرَّر . قال الشارح المحقق : قد تقدَّم أنه لم يثبت عملُ لا عملَ ليس . وهذا مخالف لقول أبي عليّ (في المسائل المنثورة) إنّ لا في هذا البيت أُرِيدَ بها ليس والخبر محذوف ، أي لنا ، وكذلك قوله في الجحيم حين لا مُستصرَخ ، أراد لنا . اهـ

وهذا البيت قد تقدّم الـكلام عليه في الشاهد الحادى والثمانين في اسم ما ولا المشبهتين بليس .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والخمسون بعد المائتين وهو من أبيات سيبويه[٢] :

٢٥٧ (تَرَكتني حينَ لا مالٍ أعيش به وحين جُنَّ زمانُ النَّاسِ أو كَلِبا)

على أنّ عدم تـكرّر (لا) في مثل هذا شاذ .

وأنشده س على إضافة حين إلى المال وإلغاء لا وزيادتها في اللفظ[٣] .

وهذه عبارة س : اعلم أنّ لا قد تـكون في بعض المواضع هي والمضاف إليه بمنزلة اسم واحد ، وذلك قولهم : أخذْته بلا ذنب ، وغضبتَ من لا شيء ، وذهبت بلا عَتاد ، والمعنى ذهبت بغير عَتاد . وتقول إذا قلّت الشيء : ما كان

(١) هو الشاهد الحادى والثمانون . وقد سبق في ١ : ٤٦٧ .

(٢) في كتابه ١ : ٣٥٧ . وانظر ابن الشجرى ١ : ٢٣٩ والهمع ١ : ٢١٨

(٣) ط : « والغاء لا لازيادتها في اللفظ » ، صوابه في ش .

إلاّ كلاشىء ، وإنّك ولا شيئاً سَوَاء . ومن هذا النحو قول الشاعر :

تركتَنى حين لا مال أعيشُ به . . . . البيت انتهى

٩١ وجوّز أبو علىّ الفارسى (فى المسائل المنثورة) الحركاتِ الثلاثَ فى مال ، قال : الجرُّ على الإضافة ، والرفع على أن تضيف حين إلى الجمل ولا عاملةٌ عملَ ليس ، والنصب تجعله كما كان مبنيّا ولا تعمل الإضافة ، كما تقول جئت بخمسة عشر فلا تعمل الباء . انتهى

و (جُنَّ) بضمّ الجيم من الجنون يقال أجنّه الله بالألف فجُنّ بالبناء للمفعول فهو مجنون . و (كَلِبا) الكَلَب : مصدر كلِب كَلَباً فهو كَلِبٌ ، من باب تعب ، وهو داء يشبه الجنون يأخذه فيعقِر الناس . ويقال لمن يعقره كَلِب أيضاً . وكَلَبُ الزمانِ : شدّته : وضرَبَ الجنونَ والكَلَب مثلاً لشدّة الزمان .

الشاهد أبيات وهذا البيت [من قصيدةٍ[1]] لأبى الطفيل عامر بن واثلة الصحابىّ ، رثى بها ابنَه طُفيلا . وهذه أبيات منها :

(خلَّى طُفَيلٌ علىَّ الهمَّ فانشعَبا   وهدَّ ذلك رُكنى هِدَّة عجبا

وابنَىْ سُمَيّةَ لا أنساهما أبداً   فيمن نسيتُ ، وكلٌّ كان لى وَصَبا

فاملكْ عَزاءك إنْ رُزْءٌ نُكِبتَ به   فلن يردَّ بكاءُ المرءِ ما ذهبا

وليس يَشفى حزيناً من تذكُّرِه   إلاّ البكاء إذا ما ناح وانتحبا

فإنْ سلكتَ سبيلاً كنتَ سالكَها   ولا محالةَ أن يأتى الذى كُتِبا

فما لغطتُك من رىّ ولا شِبَعٍ   ولا ظلِلتُ بباقى العيش مرتقباً[2]

---

(١) تكملة ليست فى النسختين

(٢) فى الأغانى ١٣ : ١٦١ ، مع كثير من التحريف :

فما لبطنك من رى ولا شبع   ولا ظللت بنا فى العيش مرتعبا

فارقتني حين لا مال أعيش به . . . . البيت)

روى الأصبهانى بسنده (فى الأغانى) أنّ أبا الطُفيل دُعى إلى مأدُبة فغنَّت فيها قينة بهذا الشعر ، فبكى أبو الطفيل حتّى كاد يموت . وفى رواية أخرى : فجعل ينشِج ويقول : هاهْ هاهْ طُفيل — ويبكى — حتّى سقط على وجهه ميتا .

وأرادبابنَي سُميَّة عبّاداً وعُبيد الله ابنىزياد بن سميّة . والوصب : المرض. والعزَاء بالمد : الصبر . وقوله فما لفظُتك من رِىّ الخ ، أى ما رميتك فى القبر لأجل أكلك وشربك بخلا .

أبو الطفيل

و (أبو الطُّفيل) هو عامر بن واثلة بن عبد الله بن عُمير[1] بن جابر ابن حميس بن جُدَىّ بن سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بنخُزيمة ابن مدركة بن الياس بن مُضَر بن نزار . وغلبت عليه كنيته . ومولده عامَ أُحد ، وأدرك من حياة النبي صلى الله عليه وسلم ثمانىَ سنين ، ومات سنة مائة وهو آخر من مات ممّن رأى النبى صلى الله عليه وسلم . وقد رُوى عنه نحو أربعة أحاديث ، وكان محبًّا فى على رضىالله عنهما ، وكان منأصحابه فى مشاهده وكان ثقةً مأموناً يعترف بفضل الشَّيخين ، إلاّ أنه كان يقدّم عليّا . توفى سنة مائة من الهجرة . ولما قتل على رضى الله عنه انصرف إلى مكة فأقام بها حتّى مات ، وقيل أقام بالكوفة ومات بها ، والأوّل أصحّ .

وقد ذكره ابن أبى خيثمة فى شعراء الصحابة . وكان فاضلا عاقلا ، حاضر

---

(١) فى الأغانى ١٣ : ١٠٩ والاصابة ٦٧٠ من قسم الكنى : « عمرو » ، وما فى النسختين يوافق ما فى جمهرة ابن حزم ١٨٣

الجواب فصيحاً . وكان يتشيّع فى علىّ ويفضله ، وهو شاعر مُحسن ، وهو القائل :

أيدعونَني شيخاً وقدعِشتُ حِقبةً وهُنَّ من الأزواج نحوى نوازعُ
وما شابَ رأسى من سنينَ تتابعتْ علىَّ ولكنْ شيّبتنى الوقائعُ

هذا ما ذكره صاحب الاستيعاب .

٩٢ وقال صاحب الأغانى : كان أبو الطفيل مع أمير المؤمنين علىّ رضى الله عنه ؛ ورَوى عنه . وكان من وجوه شيعته ، وله منه محلٌّ خاص يُستغنى بشهرته عن ذكره ، ثم خرج طالباً بدم الحسين — رضى الله عنه — مع المختار ، وكان معه حتىّ قتل المختار . ولمّا استقام لمعاوية أمرهُ لم يكن شىء أحبَّ إليه من لقاء أبى الطفيل ، فلم يزل يكاتبه ويُلطِف له حتّى أتاه ؛ فلمّا قدِم عليه جعل يكلّمه[1] ، ودخل عليه عمرو بن العاص ومعه نفر ، فقال لهم معاوية : أما تعرفون هذا ؟ هذا فارس صِفّينَ وشاعرُها ، خليلُ أبى الحسن . ثم أنشد من شعره . قالوا : نَعَمْ هو أفحش شاعر وألأم جليس ! فقال معاوية : يا أبا الطفيل أتعرفهم ؟ قال : ما أعرفهم بخير ، ولا أُبعِدهم من شرّ ! ثم قال له معاوية : ما بلغ من حبِّك لعلىّ ؟ قال : حبُّ أمِّ موسى لموسى ! قال : فما بلغ من بكائك عليه ؟ قال : بكاء العجوز الثّكلى والشّيخ الرّقوب ؛ وإلى الله أشكو التقصير ! قال معاوية : لكنّ أصحابى هؤلاء لو كانوا سُئلوا عنّي ما قالوا فىّ ما قلتَ فى صاحبك . قالوا : إذاً والله ما نقول الباطل ؛ فقال لهم معاوية : لا والله ولا الحقّ تقولون !

ولمّا رجع محمدُ بن الحنفية من الشام حبسه ابنُ الزبير فى سجن عارم ،

(١) فى الأغانى ١٣ : ١٥٩ : « جعل يسائله عن أمر الجاهلية »

فخرج إليه جيش من الكوفة ، عليهم أبو الطفيل ، حتى أتَوُا السجن فكسروه وأخرجوه ؛ وكتب ابنُ الزبير إلى أخيه مصعب أن يسيِّر نساء كلِّ مَن خرج لذلك ، فأخرج مُصعَبٌ مع النساء أمَّ الطفيل امرأةَ أبى الطفيل ، وابناً له صغيرا يقال له يحيى ؛ فقال فى ذلك :

إن يكُ سيرها مُصعبٌ   فانِّى إلى مُصعَب مُذنِبُ
أقود الكتيبةَ مستلئِما   كأنِّى أخو عَرَّة أجربُ
عَلىَّ دلاصٌ تخيَّرتُها   وفى الكفِّ ذو رونق مِقضَبُ[1]
فلو أنَّ يحيى به قوةٌ   فيغزو مع القوم أو يركبُ !
ولكنَّ يحيى كفرخ العقا   ب فى الوكرِ، مستضعَفٌ أزغبُ

ولما دخل عبد الله بن صفوان على عبد الله بن الزبير بمكة . قال : أصبحت كما قال الشاعر :

فإن تُصبكَ من الأيَّام جائحةٌ   لا أبكِ منك على دنيا ولا دين[2]

قال : وما ذاك يا أعرج ؟ قال : هذا عبد الله بن عباس يفقّه الناس ، وعبيدالله أخوه يُطعم الناس فما بقَّيا لك . فأحفَظَه ذلك فأرسل صاحبَ شرطته عبد الله بن مُطيع ، فقال: انطلقْ إلى ابنَىْ عبَّاسٍ فقل لهما : أعمَدْتما إلى راية تُرابيَّة قد وضعَها الله فنصبتماها ؟ بدِّدا عنِّى جموعكما ومن ضَوَى إليكما من ضُلّال أهل العراقِ ، وإلاّ فعلتُ وفعلت !! فقال له ابن عبّاس : قل لابن الزبير :

(١) مقضب : قاطع . وفى الأغانى : « يقضب »

(٢) الرواية المشهورة : « لم أبك » . وانظر المصون للعسكرى ٢١ . وليس فى قصيدة ذى الاصبع المروية فى المفضليات ١٦٠ وأمالى القالى ١ : ٢٥٥

يقول لك ابن عباس : ثـكلتك أمك ، والله ما يأتينا من الناس إلا رجلان : طالب فقه ، أو طالبُ فضل ، فأىَّ هذين تمنع ؟ فقال أبو الطفيل عامر ابن واثلة :

لا دَرَّ دَرُّ الليالى كيف تضحكنا ... منها خطوب أعاجيب وتُبكينا
ومثل ما تحدث الأيّام من غِيَر ... يا بْنَ الزُّبير عن الدنيا تسلّينا[1]
٩٣ كنّا نجيء ابنَ عباس فيقْبِسنا ... علماً ويُكسبنا أجراً ويَهدينا
ولا يزال عبيدُ الله مترَعةً ... جِفانُهُ ، مطعِماً ضيفاً ومسكينا
فالبرُّ والدينُ والدنيا بدارِهما ... ننال منها الذى نبغى إذا شِينا
إن النبى هو النُّور الذى كُشفَتْ ... به عَماياتُ باقِينا وماضِينا[2]
ورهطه عصمةٌ فى ديننا ، ولهم ... فضلٌ علينا وحقٌّ واجب فينا
ولستَ ـ فاعلمْه ـ أولانا بهمْ رحما ... يا ابنَ الزُّبير ، ولا أولى به دينا[3]
ففيمَ تمنعهمْ منّا وتمنعنا ... منهمْ وتؤذيهمُ فينا وتؤذينا
لن يؤتى الله من أخزى ببغضهم ... فى الدين عِزًّا ولا فى الأرض تمكينا

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والخمسون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[4] :

---

(١) ط : « بابن الزبير » صوابه فى ش والأغانى ١٣ : ١٦١

(٢) ش : « عماية » .

(٣) الأغانى : « أولى منهم رحما » .

(٤) فى كتابه ١ : ٣٥٨ . وانظر ابن الشجرى ١ : ٢٣٩ . وليس فى ديوان العجاج ولا ملحقاته .

٢٥٨ (حنَّتْ قلوصى حينَ لا حِينَ مَحَنّْ)

على أنّ الشاعر أضاف حين الأول إلى الجملة ، كما تقول : حين لا رجلَ فى الدار ، أى حين لا حين حنينٌ حاصل .

قال الأعلم : الشاهد فيه نصب حين بلا التبرئة[1] [وإضافة حين إلى الجملة[2]] وخبر لا محذوف والتقدير حين لا حين محنٍّ لها ، أى حنّت فى غير وقت الحنين . ولو جررتَ الحين على إلغاء لا جاز . والقَلوص : النّاقة الشابّة بمنزلة الجارية من الأناسىّ . وحنينُها : صوتُها شوقا إلى أصحابها . والمعنى أنّها حنّت إليها على بُعدٍ منها ، ولا سبيل لها إليها . انتهى

وقدّر ابنُ الشجرىّ الخبر لنا ، بالنون[3] ، والصواب ما قبله .

وجوّز أبو على (فى المسائل المنثورة) الحركات الثلاث فى حين الثانى : النصب على إعمال لا عمل إنّ ، والرفع على إعمالها عمل ليس ، والجرّ على إلغائها وإضافة حين الأوّل إلى الثانى .

وقال أبو على (فى التذكرة القصرية) لا يقدّر للا هذه فى رواية النصب خبر ؛ فإنّه قال عند الكلام على قولهم : ألا ماء بارد : قال المازنىّ : يرفع بارد على أنه خبر ويجوز على قياس قوله ، أن يرتفع لأنه صفة ماء ويضمر الخبر . ويجوز نصبه على قوله أيضاً على أنه صفة والخبر مضمر ، ويجوز على قياس سيبويه ومن عدا المازنى ألا ماء بارد بلا تنوين ، إلاّ أنك لا تضمر لها خبراً

---

(١) ش : « نصب حين بالتبرئة »

(٢) التكملة من الأعلم .

(٣) الذى فى أمالى ابن الشجرى ١ : ٢٣٩ : « لها » بالهاء لا بالنون : والدقة تقتضى عزو هذا الخطأ الى النسخة لا الى المؤلف .

لأنها مع معمولها الآن بمنزلة اللفظة الواحدة ، كقولهم : جئت بلا مال وغضبت من لا شيء ، أي بفتحهما ، فلا يلزمك إضمارُ الخبر في هذه المسألة . ومثله قوله :

* حنّت قلوصى حين لا حين محنّ *

أضاف حين إليها كما تضيفه إلى المفرد . وقد يحتمل هذا عندى أنْ يكون إضافة إلى جملة والخبر محذوف ، كما يضاف أسماء الزمان إلى الجمل ، وذلك لأنّ حنّت ماض ، فحين بمعنى إذْ ، وهي مما يضاف إلى المبتدأ والخبر . فأما قوله حين لا حين فالثانى غير الأوّل ، لأنّ الحين يقع على الكبير واليسير من الزمان[1] ، قال :

* تطلّقه حيناً وحيناً تراجع[2] *

ولا زائدة ، ولا تكون غير زائدة لما في ذلك من النقض . وقالوا في قوله تعالى ﴿ تُؤْتِى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ[3] ﴾ : ستة أشهر ، فيكون على هذا حين حين من إضافة البعض إلى الكلّ نحو : حَلْقة فضّة ، وعيد السّنة ، وسبت الأسبوع ، فلا يكون إضافة الشيء إلى نفسه . ومثله قول الفرزدق :

ولولا يومُ يومٍ ما أردنا جزاءك والقروضُ لها جزاء

فيومُ الأوّلُ وضح النهار ، والثانى البرهة كالتى في قوله ﴿ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ[4] ﴾ ﴿ والأَمْرُ يَوْمَئِذٍ[5] لِلّهِ ﴾ . وأنشد أبو عمرو :

(١) ش : « يقع على الجزء اليسير من الزمان » صوابه في ط .
(٢) للنابغة في ديوانه ٥٢ وصدره :
* تناذرها الراقون من سوء سمعها *
(٣) الآية ٢٥ من سورة ابراهيم .
(٤) الآية ١٦ من سورة الأنفال .
(٥) الآية ١٩ من سورة الانفطار .

حبّذا العَرْصات يَوْماً في ليالٍ مقمِراتِ[1]

فقال يوماً في ليال، أراد المرّة دون العاقب لليل. انتهى.

وهذا البيت من أبيات سيبويه الخمسين التي لا يُعرف قائلها ولا تتمة لها. والله أعلم بحقيقة الحال.

* * *

وأنشد بعده، وهو الشاهد التاسع والخمسون بعد المائتين، وهو من أبيات سيبويه[2]:

٢٥٩ (ما بالُ جَهْلِكَ بعدَ الحِلْمِ والدين وقد عَلاكَ مشيبٌ حين لاحين)

على أنّ الأولى أنْ[3] تكون لا فيه زائدة لفظاً ومعنى.

قال سيبويه: إنما أراد حين حين، ولا بمنزلة ما إذا ألغيت.

قال الأعلم: وإنما أضاف الحين إلى الحين لأنّه قدر أحدهما[4] بمعنى التوقيت، فكأنه قال: حين وقت حدوثه ووجوبه، هذا تفسير سيبويه. ويجوز أن يكون المعنى: ما بالُ جهلك بعد الحلم والدين، حين لا حين جهلٍ وصِبا، فتكون لا لغواً في اللفظ دون المعنى. انتهى.

ولم يتنبّه ابن الشجري (في أماليه) لمراد سيبويه بعد نقل عبارته، ففهم

---

(١) فتح عين الكلمة في نحو «العرصات» واجب واسكانه ضرورة شعرية كما أسكنت من «زفرات» في قول عروة بن حزام (القالي ٣: ١٦٠): وحملت زفرات الضحى فأطقتها ومالي بزفرات العشي يدان

(٢) في كتابه ١: ٣٥٨. وانظر ابن الشجري ١: ٢٣٩/٢: ٢٣٠ والهمع ١: ١٩٧ وديوان جرير ٥٨٦

(٣) في النسختين: «قد»، ولا وجه له.

(٤) في الشنتمري: «لأنه قد رأى أحدهما».

أنَّ لا زائدة لفظا فقط فقال : حين الأوَّل مضاف إلى الثانى ، وفصلت لا بين الخافض والمخفوض كفصلهما فى جئت بلا شىء ، كأنه قال : حين لا حينِ لهو فيه ولعب ، أو نحو ذلك من الإضمار ، لأنّ المشيب يمنع من اللهو واللعب . هذا كلامه ، وقد أورده فى معرض الشرح لـكلام سيبويه .

وقد طبّق المفصل أبو على الفارسى (فى الحجة) فى الـكلام على آخر سورة الفاتحة ، قال : لافيه زائدة ، والتقدير : وقد علاك مشيبٌ حين حين ، وإنّما كانت زائدة لأنّك إن قلت : علاك مشيبٌ حيناً فقد أثبتّ حيناً علاه فيه المشيب . فلو جعلت لا غير زائدة لوجب أن تكون نافية على حدّها فى قولهم : جئت بلا مال . فنفيت ما أثبت من حيث كان النفى بلا عاماً منتظماً لجميع الجنس ، فلمّا لم يستقم حمله على النفى للتدافع العارض فى ذلك ، حكمتَ بزيادتها ، فصار التقدير : حين حين . وهذه الإضافة من باب حلقة فضة ؛ لأنّ الحين يقع على الزمان القليل كالساعة ونحوها ، يدلّ على ذلك قوله :

* تطلّقه حيناً وحيناً تُراجع[1] *

ويقع على الزمان الطويل كقوله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ من الدَّهر[2] ﴾ ، وعلى ما هو أقصر من ذلك كقوله تعالى : ﴿ تؤتى أُكلها كلَّ حينٍ[3] ﴾ ، فصار حين حين كقول الآخر[4] :

ولولا يوم يومٍ ما أردنا جزاءك والقروضُ لها جزاء

---

(١) انظر الحاشية الثانية من ص ٤٦ .

(٢) الآية الأولى من سورة الانسان .

(٣) الآية ٢٥ من سورة ابراهيم .

(٤) هو الفرزدق . ديوانه ٩ وسيبويه ٢ : ٥٣ .

وليس هذا كقوله :

* حنَّت قَلوصى حين لاحين مَحَنْ *

لأنَّه فى قوله لاحين محنّ ، نافٍ حيناً مخصوصاً لا ينتفى بنفيه جميعُ الأحيان ، كما كان ينتفى بالنفى العامِّ جميعها ؛ فلم يلزم أن تكون لا زائدة فى هذا البيت كما لزم لزيادتها فى حين لاحين . فهذا الحرف يدخل فى النّكرة على وجهين : أحدهما أن يكون زائداً كما مرّ فى بيت جرير ، والآخر أن يكون غير زائد . ٩٥ فإذا لم يكن زائداً كان على ضربين أحدهما : أن تكون لا مع الاسم بمنزلة اسم واحد نحو خمسة عشر [و] نحو غضبت من لا شىء فلا مع الاسم المنكور فى موضع جرّ بمنزلة خمسة عشر ، ولا ينبغى أن يكون من هذا الباب قوله :

* حنَّتْ قَلوصى حين لا حين محنْ *

لأن حين هنا منصوب نصباً صحيحاً ، لإضافته ، ولا يجوز بناء المضاف مع لا كما جاز بناء المفرد معها ، وإنّما حين فى البيت مضافة إلى جملة كما أنها فى قوله تعالى : ﴿ حينَ لا يَكفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النار[1] ﴾ ، إلاّ أنّ الخبر محذوف وخبر لا يحذف كثيراً . ونظير هذا فى حذف الخبر من الجملة المضافِ إليها ظرفُ الزمان قولهم : كان هذا إذْ ذاك . (والآخر) أن لا تعمل فى اللفظ ويراد بها معنى النفى ، فتكون صورتها صورةَ الزيادة ومعنى النفى فيه مع هذا صحيح ، كقول النابغة :

---

(١) الآية ٣٩ من سورة الأنبياء .

أمسى ببلدة لاعمٍّ ولا خالِ[١]

وقال الشَّماخ :

إذا ما أدلجت وصفَت يداها لهـا إدلاج ليلة لا هجوعِ[٢]

وقال رؤبة :

وقد عرفت حين لا اعترافِ[٣]

وبيت الـكتاب[٤] .

تركتني حين لا مالٍ أعيش به (البيت)

وهذا الوجه عكسُ ما جاء فيما أنشده أبو الحسن من قول الشاعر[٥] :

لولم تـكن غَطَفان لا ذنوبَ لها إلىّ لامتْ ذَوُو أحسابِها عُمرا

ألا ترى أنّ لا في المعنى زائدة وقد عمِلت ، وفى قوله : ليلة لاهجوع ، وبابه ، معنى النفى فيه صحيحٌ ولم تعمل . انتهى كلام أبى على .

---

(١) عجز بيت للنابغة الذبيانى من أبيات خمسة يرثى بها أخاه صحارا . وهى فى ديوانه ٩١ بيروت ١٣٤٧ وأربعة منها فى معجـــم البلدان (أبوى) . وصدره :

* بعد ابن عاتكة الثاوى على أبوى *

وعاتكة هى أم النابغة . وأبوى : موضع أو جبل بالشام

(٢) ديوان الشماخ ٥٨ واللسان (وصف)

(٣) ديوان رؤبة ١٠٠ برواية : « قد اعترفت » . وفى ط : « لقد عرفت » ، وأثبت ما فى ش .

(٤) هو الشاهد السابع والخمسون بعد المائتين .

(٥) هو الشاهد الرابع والخمسون بعد المائتين .

أبيات الشاهد

وهذا البيت مطلعُ قصيدة لجرير بن الخَطَفى هجابها الفرزدق ، وبعده

(للغانيات وصال لستُ قاطعَه على مواعيدَ من خُلفٍ وتلوين[١]
إنّى لأرهبُ تصديقَ الوشاة بنا وأن يقول غَوىٌ للنوى بينى[٢]
ماذا يَهيجُكَ من دارٍ تُباكِرُها أرواحُ مُخْتَرَق هُوجِ الأفانين)

وجرير قد تقدمت ترجمته فى الشاهد الرابع من أول الكتاب[٣] والخطاب لنفسه . وقد التزمَ الإتيانَ بالحال بعد ما بالُ ، فجملة وقد علاك مشيبٌ حال والظرف الأول متعلق بجهلك والثانى متعلق بقوله علاكَ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الستُّون بعد المائتين.

٢٦٠ (فى بئر لا حُورٍ سَرى وما شَعَرْ)[٤]

على أنّ (لا) فيه زائدة لفظاً ومعنى ، أوّلُ من قال بزيادتها فى هذا البيت أبو عبيدة ، وتبعه جماعة منهم ابن دريد (فى الجمهرة) قال فيها : ومن أمثالهم « حُورٌ فى مَحارة » يُضرب للرجل الذى لا يعرف وجه أمره ، وأنشد هذا البيت وقال : لا هنا لغو . ومنهم أبو منصور الأزهرىّ (فى التهذيب) إلاّ أنه قال : حُور أصله حُؤور مهموز ، فخفّفه الشاعر بحذفِ الهمزة .

---

(١) ط : « وصيل » ش : « وصل » ، وأثبت ما فى الديوان ٥٨٦ .

(٢) فى الديوان : « أو أن » .

(٣) الخزانة ١ : ٧٥ .

(٤) ديوان العجاج ١٦ والخصائص ٢ : ٤٧٧ وابن يعيش ٨ : ١٣٦ ومعانى القرآن للفراء ١ : ٨

ومنهم صاحب الصحاح قال فيه : حار يحور حَوراً وحُؤوراً :رجع . يقال حار بعد ما كار ، ونعوذ بالله من الحَوْر بعد الكَوْر ، أى من النُّقصان بعد الزيادة .
٩٦ وكذلك الحُور بالضمّ ، وفى المثل « حُورٌ فى مَحارة » أى نقصان فى نقصان ، يضرب للرجل إذا كان أمره يُدْبِر . والحُور أيضاً : الاسم من قولك طحنت الطاحنةُ فما أحارَت شيئاً أى ماردَّت شيئاً من الدقيق . والحُور أيضاً : الهلَكة قال الراجز :

* فى بئر لا حُورٍ سَرَى وما شَعَرْ *

ولا زائدة .

ومنهم صاحب العباب ونقل كلام الصحاح برمّته وزاد فى المثل قولهم : حُور فى مَحارة ، هذا خلاف ما روى ابنُ الأعرابى أنه بفتح الحاء ، قال ابن الأعرابىّ : يقال فلانٌ حَور فى محارة هكذا سمعته بفتح الحاء ، يضرب مثلاً للشىءِ الذى لا يصلح أو كان صالحا ففسد :

ومنهم الزمخشرى (فى تفسيره ، وفى مفصله) قال : لا فى سورة القيامة فى قوله تعالى ﴿ لا أُقْسِم ﴾ زائدة كما زيدت فى هذا البيت . ومنهم ابن الشجرىّ (فى أماليه) قال : ومما زيدت حيه قولُ العجّاج :

« فى بئر لا حُور سَرَى وما شَعَرْ *

معناه فى بئر حُورٍ أى فى بئر هلاك .

وذهب جماعةٌ إلى أنّ لا هنا نافية لا زائدة ، أوّلهم الفرّاء قال (فى آخر سورة الفاتحة من تفسيرِه) : إذا كانت غير فى معنى سوى لم يجز أن تكرَّ عليها لا ، ألا تَرى أنّه لا يجوز :عندى سوى عبد الله ولا زيد . وقد قال

بعض من لا يعرف العربيّة إن معنى غير فى الحمد معنى سوى وإنّ لا صلة فى الكلام ، واحتجّ بقول الشاعر :

* فى بئر لا حُورٍ سَرَى وما شعر *

وهذا غير جائز لأن المعنى وقع على ما لا يتبيّن فيه عمله فهو جَحدٌ محض ، وإنما يجوز أن تجعل لا صلة إذا اتّصلت بجحد قبلها[1] وأراد فى بئر لا حور ، فلا هى الصحيحة فى الجحد ، لأنه أراد فى بئر ماءٍ لا يُحير عليه شيئاً ، كأنك قلت : إلى غير رشْد توجّهَ وما درى ، والعرب تقول : طحنت الطاحنةُ فما أحارت شيئاً ، أى لم يتبيَّن لها أثرُ عمل . انتهى

وتبعه ابن الأعرابى فى نوادره .

ومنهم ابن جنّى قال (فى الخصائص) قال ابن الأعرابى فى قوله :

* فى بئرِ لا حُور سَرَى وما شَعَرْ *

أراد حؤور . أى فى بئر لا حؤور ولا رجوع ، قال : فأسكنت الواو الأولى وحذفت لسكونها وسكون الثانية بعدها .

ورأيت (فى شرح شواهد الموشّح والمفصّل) قال صدر الأفاضل : الحُور هنا : جمع حائر ، من حار إذا هلك . ونظيره — على ما حكاه الغُورِىّ — قُتْل : جمع قاتل ، وبُزْل جمع بازل ، وقُرْح جمع قارح . ويحتمل أن يكون اسم جمع حائر ، أى هلك ، وقيل هى بئر سكنها الجنّ . انتهى

وهذا البيت من أرجوزة طويلة للعجّاج ، وهى نحو مائتى بيت مدح بها صاحب الشاهد

---

(١) بعده فى معانى القرآن : « مثل قوله :

ما كان يرضى رسـول الله دينهم والطيبان أبو بكـر ولا عمر » .

عُمَرَ بن عبيد الله بن معمر ، وكان عبد الملك بن مروان قد وجّهه لقتال أبى فُديك الحرَورِىّ فأوقع به وبأصحابه ومطلعها :

أرجوزة الشاهد

(قدْ جَبَرَ الدينَ الإلهُ فجبَر وعوَّر الرحمن مَن ولّى العوَر

فالحمد لله الذى أعطى الشَّبَر موالىَ الحقِّ أن المولى شكَرْ)

إلى أن قال :

واختارَ فى الدين الحَرورىُّ البطَرْ فى بئر لا حُورٍ سَرَى وما شعَرْ

بإفكه حتّى رأى الصبْحَ جَشَرْ

الجَبْر : أن تغنىَ الرجل من فقره ، أو تصلح عظمه من كسر ، يقال جبر العظمَ جبراً ، وجبر العظمُ بنفسه جُبوراً أى انجبر ، وقد جمعهما العجّاج . وعوَّر بفتح المهملة وتشديد الواو ، أى أفسد الله من ولاّه الفساد . والشَّبَر ، بفتح الشين المعجمة والموحّدة : الخير ، ويُروى « الحَبَر » بفتح المهملة والموحّدة ، وهو السرور . وَمَوالىَ الخير ، بفتح الميم ، يريد العبيد ، وهو مفعول ثان لأعطى ؛ وروى مُوالى بضم الميم ، فيكون من صفة الله ، ونصبه على المدح . والمولى بالفتح : العبد . والحرَورىُّ ، أراد به أبا فُديك ، بالتصغير الخارجىّ . قال فى الصحاح : وحَرَوراء : اسم قرية يمد ويقصر[1] نسبت إليها الحَرورية من الخوارج ، كان أوّل مجتمعهم بها وتحكيمهم منها . وقوله بإفكه الخ الباء سببية متعلقة بقوله سرى ، والإفك : الكذب ، مأخوذ من أفكته إذا صرفته . وكلُّ أمرٍ صُرف عن وجهه فقد أُفك . وجَشَر الصبح ، بالجيم والشين المعجمة يجشُر جشوراً إذا انفلق وأضاء ؛ وروى :

٩٧

(١) ضبطه ياقوت بفتح الراء الأولى ، وفى القاموس كجلولاء ، ومثله فى اللسان (حرر) حيث ضبط بالقلم بضم الراء الأولى .

* حتَّى إذا الصبحُ جَشَرْ *

وملخّص هذه القصّة (كما فى نهاية الأرب فى فنون الأدب ، للنُّويرى) أنّ أبا فديك وهو من الخوارج ، واسمه عبد الله بن ثَور بن قيس بن ثعلبة بن تغلب ، غلب على البحرين فى سنة اثنتين وسبعين من الهجرة ، فبعث خالد ابن عبد الله القَسْرىّ أميرُ البصرة أخاه أميةَ بنَ عبد الله فى جُندٍ كثيف ، فهزمه أبو فُديك وأخذ جاريةً له فاتّخذها لنفسه ، فكتب خالد إلى عبد الملك بذلك ، فأمر عبد الملك عُمر بن عُبيد الله بن مَعْمر أن يندُبْ الناسَ مع أهل الكوفة والبصرة ويسير إلى قتاله ، فانتدبَ عشرةُ آلافٍ وسار بهم ، وجعل أهلَ الكوفة على الميمنة وعليهم محمد بن موسى بن طلحة بن عُبيد الله ، وأهلَ البصرة على الميسرة وعليهم عمر بن موسى بن عبيد الله بن مَعْمَر — وهو ابن أخى عُمر — وجعل خيله فى القَلْب ، وساروا حتى انتهوا إلى البحرَين فاصطفّوا للقتال . فحمل أبو فديك وأصحابه حملةَ رجل واحدٍ فكشفوا ميسرةَ عمر حتى أبعدوا إلاّ المغيرةَ بن المهلّب وفُرسانَ الناس فإنهم مالوا إلى صف أهل الكوفة بالميمنة ، ثم رجع أهل الميسرة وقاتلوا واشتدّ قتالهم حتى دخلوا عسكر الخوارج ، وحمل أهل الميمنة حتَّى استباحوا عسكر الخوارج وقتلوا أبا فُديك وحصروا أصحابه ، حتى نزلوا على الُحكم ، فقتل منهم نحو ستة آلاف وأسر ثمانمائة . ووجدوا جاريةَ أميّة بن عبد الله حُبلى من أبى فُديك وعادوا إلى البصرة ، وذلك فى سنة ثلاث وسبعين من الهجرة . اهـ

وبما ذكرنا يطبَّق المفصِلُ ويُصابُ المحزّ .

ولمّا لم يقف شُرّاح الشواهد على ما مرّ قالوا بالتخمين ورَجموا بالظنون ، منهم بعض فضلاء العجم قال (فى شرح أبيات المفصل) وتبعه فى شرح شواهد

الموشّح : قيل يصف فاسقا أو كافرا . والمعنى على الأوّل أنّ الفاسق سرى بإفكه وأباطيله فى بئر المهلكة من المعاصى وما علم لفرط غفلته إذا صار فيها، حتّى إذا انفلق الصبح وأضاء الحقّ وانكشف ظلمات الشبه واطلع عِلمَ معايَنَة[1] لكنْ لم ينفعه ذلك العلم . وعلى الثانى : أن الكافر سرى بإفكه وبُطلانِه فى ورطة الهلاك من كفره وما شعَر بذلك لإعراضه عن الآخرة ، حتّى إذا قامت القيامة علم أنه كان خابطاً فى ظلمات الكفر ، ولكنّه لا ينجيه من عذاب الله . هذا محصول ما قيل فيه ، ولا يبعد أن يكون هذا وصفاً لرجل جرىء خوّاض فى المهالك سالك فى مسالك الجنّ[2] . وهذا مما تتمدّح به العرب ، وأشعارُهم ناطقة بذلك . ومعنى قوله بإفكه ، أنه يكذِب نفسَه إذا حدَّثها بشىء ولا يصدُقها فيه ، ويقول لها : إن الشىء الذى تطلبينه بعيد ، لتزداد جِدّاً فى طلبه ، ولا تتوانى فيه ، ولذلك قال لَبيد :

٩٨ اكْذِبِ النفسَ إذا حدّثتَها إنّ صدقَ النفس يُزرى بالأمَلْ

والمعنى سار ليلاً هذا الرجلُ ، لجرأته وجلادته ، فى مهاوى الهلاك أو فى المواضع الخالية التى يسكنها الجنّ ، حتّى أضاء الصبح وما شعَر به ذلك[3] الذى ألقى بيده فى المهالك وهو غافل عن ذلك لعدم مبالاته . وهذا المعنى أشبه بمذهب العرب . هذا كلامه .

وترجمة العجّاج تقدمت فى الشاهد الحادي والعشرين من أوائل الكتاب[4] .

---

(١) ش : « على معانيه » .

(٢) جعلها الشنقيطى فى نسخته « فى مساكن الجن » .

(٣) ط : « وما شعر بذلك » ، واثبت ما فى ش .

(٤) الخزانة ١ : ٨٩ ، ١٧٠ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والستون بعد المائتين ، وهو من شواهد سيبويه[١] :

٢٦١ (لا هَيْثَمَ الليلةَ للمَطِيِّ)

على أن (لا) النافية للجنس لا تدخل على العلَم ، وهذا مؤوّل إمّا بتقدير مضاف وهو مِثل ، وإمّا بتأويل العلم باسم الجنس . وقد بيَّنهما الشارح المحقق .

وقد أوردهُ صاحب الكشاف عند قوله تعالى : ﴿ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِلْءُ الأَرْضِ ذَهَباً[٢] ﴾ على أنه على تقدير مثلُ ملء الأرض ، فحذف مثل كما حُذفت من لا هيثم الليلة .

قال الفاضل اليمنيّ : وقد اعتُرض هذا بوجهين : أحدهما التزامُ العرب تجرُّدَ الاسم المستعمَل ذلك الاستعمالَ عن الألف واللام ، ولم يجوِّزوا: قضيةَ ولا أبا الحسن ، كما جوَّزوا ولا أبا حسن ، ولو كانت إضافة مثل منويَّةً لم يحتج إلى ذلك . والثانى : إخبار العرب عن المستعمل ذلك الاستعمال بمثل ، كقول الشاعر :

تبكِّي على زيدٍ ولا زيدَ مثلُه   برىءٌ من الحمَّى سليمُ الجوانحِ[٣]

ولو كانت إضافة مثل منويَّة لكان التقدير : ولا مثل زيد مثله ، وهو فاسد . انتهى

(أقول) : لا يضر هذا الالتزام فإنّه واردٌ على أحد الجائزين ، فإنّ أل

(١) فى كتابه ١ : ٣٥٤ . وانظر ابن الشجرى ١ : ٢٣٩ وابن يعيش ٢ : ١٠٢ ، ١٠٣/٤ : ١٢٣ والهمع ١ : ١٤٥ والأشمونى ٢ : ٤ .
(٢) الآية ٩١ من سورة آل عمران .
(٣) لم يعرف قائله . وانظر الهمع ١ : ١٤٥ ويس ١ : ٢٣٦ .

للمح الأصل ، والغالب عدم ذكرها ، مع أنها علامة لفظيَّة للتعريف . وتعريف العَلمية وإن كان أقوى منها إلاّ أنه معنوى ، فلو وجدت مع لا لـكان القبح ظاهرا .

ثم رأيت (فى تذكرة أبى حيّان) ما نصه : قال الفرّاء من قال قضية ولا أبا حسن لها لا يقول ولا أبا الحسن لها ، بالألف واللام ، لأنها [١] تمحّض التعريف فى ذا المعنى وتبطل مذهب التنكير . وقال : إنما أجزنا لا عبدَ اللهِ لك بالنصب ، لأنّه حرف مستعمل ، يقال لـكلّ أحد عبد الله ، ولا نجيز لا عبد الرحمن ولا عبد الرحيم ، لأن الاستعمال لم يلزم هذين كلزومه الأولَ . وكان الـكسائىُّ يقيس عبد الرحمن وعبد العزيز على عبد الله ، وما لذلك صحة اهـ .

وأما جعله بتأويل اسم الجنس فقد قال سيبويه : وقالوا قضية ولا أبا حسن لها ، قال الخليل : نجعله نـكرة . فقلت : كيف يكون هذا وإنما أرادوا علياً عليه السلام ؟ فقال : لأنه لا يجوز لك أن تُعمل لا إلاّ فى نـكرة ، فاذا جعلت أبا حسن نـكرة حسُن لك أن تعمل لا ، وعلم المخاطَب أنه قد دخل فى هؤلاء المنـكورين .

و (هيثم) اسم رجل كان حسنَ الُحداء للإبل ، وقيل كان جيّد الرِّعية ، والسياقُ يدلُّ للأول كما يظهر . وكذلك قال بعض شراح أبيات المفصَّل : المراد هيثم بن الأشتَر ، وكان مشهوراً بين العرب بحسن الصوت فى حدائه الإبلَ وكان أعرفَ أهلِ زمانه بالبَيداء والفلَوات وسَوق الابل . و (للمطىِّ) خبر لا وهو ظرف مستقرّ عامل فى الليلة ، وبعده : ٩٩

(ولا فتى مثلُ ابنِ خَيْبَرِىِّ)

---

(١) ش : « لازما » ، صوابه فى ط .

قال الصاغانى (فى العباب) : ذِكرِ مثل هنا يعيِّن أن يكون ماقبله بتقدير لا مثل هيثم ، وابن خيبرىّ : قال ابن الكلبىّ (فى جمهرة نسب عُذرة) : فمن بنى ضُبيس جَميل بن عبد الله بن مَعْمَر بن الحارث بن خَيبرىّ ابن ظَبيان اه .

وجميل هذا هوصاحب بُثينة المشهور ، وهو المراد بابن خيبرىّ : فيكون نسب إلى أحد أجداده . ومدحه بالفتوَّة لأنه كان شجيعاً يحمى أدبار المطىّ من الأعداءِ .

وقال بعضهم : المراد بابن خَيبرىّ علىّ رضى الله عنه، والإضافة للملابسة. وهذا لا أصل له . وقيل أراد به مَرْحَبا ، وهو الذى بارزه علىٌّ رضى الله عنه يوم خيبر فقتله .

وهذا الشاهد[1] من أبيات سيبويه الخمسين التى لم يعيَّن قائلها . وقد أورد هذين البيتين أبو عبيد فى الغريب المصنَّف مع أبيات قبلهما ، وهى :

(قد حَشَّها الليلُ بِعَصْلبىٍّ مُهاجرٍ ليس بأعرابىٍّ
أرْوعَ خَرّاجٍ من الدوِّىِّ عمَرَّسٍ كالمرَس الملوىِّ
لا هيثمَ الليلةَ للمطىِّ ولافتىً مثلُ ابنخيبرىِّ)

قال الصاغانى (فى العباب) : العصلَبىّ ، بفتح العين وسكون الصاد المهملتين : الشديد الباقى على المشى والعمل . وأنشدَ الأبياتَ عن الفراء (فى نوادره) لبعض بنى دُبير بضم الدال وفتح الموحدة مصغراً ، وهى قبيلة من بنى أسد . وقال شارح (شواهد الغريب) ابنُ السيرافىّ : يقال حشّ النار يحُشُّها حشّاً ، إذا بالغ فى إيقادها وإحمائها . وإنما يريد أنّ الابل قد رُميت برجُل

(١) ط : « وهذا الثانى » . صوابه فى ش .

عَضْلَبِيٍّ يُسرع سَوْقها ولا يدعها تَفْتُر كما تُحَشُّ النار . وحَشّ بحاء مهملة وشين معجمة . ويروى : « قد لفّها الليل » أى الليل جعل هذا الرجل ملتفًّا بها . وإنما نسب الفعل إلى الليل لأنّ الليل حمله على الجِدّ فى السير . وجعله مهاجراً ، والمهاجر الذى هاجر إلى الأمصار من البادية فأقام بها وصار من أهلها ، ليكون سيره أشدّ . [وخص المهاجر] لأنّه من أهل المصر الذى يقصده ، فله بالمصر مايدعوه إلى إسراع السير ؛ ويجوز أن يكون خصّ المهاجر لأنه أعلم بالأمور من الأعرابىّ وأبصر بما يُحتاج إليه . والأروع : الحديد الفؤاد . والدّوىّ : جمع دوّيّة ، يريد أنه ذو هِداية وبَصر بقطع الفلوات والخروج منها . والعمرّس : الشديد ، بفتح العين والميم وتشديد الراء وبالسين المهملات . والمَرَس : الحبل ، واحد الأمراس . والملوىّ: المفتول انتهى كلامه .

والدّوىّ بتشديد الواو والياء قال (فى الصحاح) : الدوّ والدوّىّ : المفازة وكذلك الدوّيّة ، لأنّها مفازة مثلها ، فنسبت إليها ؛ كقولهم دهرٌ دوّار ودوّارىّ . وعُرف بهذا السياق أنّه مدحٌ لهيثم فى جَودة حُدائه المنشط للإبل فى سيرها ، وأنّه لايقوم أحدٌ مقامه ، ولا يسدّ مسدّه فى حُدائها . وظهر منه أيضاً أن المراد لامثل هيثم ، لا تأويله باسم الجنس لشهرته فى صفة الحداء . فتأمل .

وزعم بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصّل) أنّ هذا الكلام تأسُّف وتحسُّر عليهما . وكأنه فَهِم أنهما ماتا والشعر مِرثيَة فيهما . أو هما غائبان عن المطىّ فى تلك الليلة .

تتمة

قال أبو حيّان (فى تذكرته) : قال الكسائىّ فى قول العرب لا أبا حمزةَ لك : أبا حمزة نكرة ؛ ولم ينصب حمزة لأنه معرفة . لكنهم قدّروا أنه آخر الاسم المنصوب بلا فنصب الآخر ، كما تفتح اللام فى لا رجل . وقال : سمعت العرب تقول : لا أبا زيدَ لك ، ولا أبا محمدَ عندك ، فعلّة نصبهم محمداً وزيداً أنّهم جعلوا أبا محمد وأبا زيد اسماً واحداً ، وألزموا آخرَه نصبَ النكرة . انتهى . ١٠٠

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والستون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[1] :

٢٦٢ (أرى الحاجاتِ عندَ أبى خُبيب
نَكِدْنَ ولا أُميّةَ فى البلادِ)

على أن التقدير إمّا : ولا أمثال أمية فى البلاد ، وإمّا : ولا أجواد فى البلاد ، لأنّ بنى أُميّة قد اشتهروا بالجود . فأوّلَ العلَمَ باسم الجنس لشهرته بصفة الجود .

وهذا البيت من أبيات لعبد الله بن الزَّبير الأسدىّ ، قالها فى عبد الله صاحب الشاهد ابن الزُّبير بن العوّام وكان شديد البخل، قال الحصرىّ فى (زهر الآداب) قال

(١) فى كتابه ١ : ٣٥٥ . وانظر ابن الشجرى ١ : ٢٣٩ وابن يعيش ٢ : ١٠٢ وشذوذ الذهب ٢١٠ والهمع ١ : ١٤٥ والأشمونى ٢ : ٤ والأغانى ١ : ٨/١٠ : ١٦٣ وزهر الآداب ٤٧٤ .

أبو عبيدة : وفد عبد الله بن الزَّبير الأسدى على عبد الله بن الزُّبير بن العوام فقال : يا أمير المؤمنين ، إنَّ بيني وبينك رَحِماً من قبل فلانة الكاهلية وهي عمَّتنا وقد ولدتكم[١]. فقال ابن الزُّبير: هذا كما وصفت ، وإن فكرت[٢] في هذا وجدت الناس كلهم يرجعون إلى أب واحد وإلى أمّ واحدة . فقال : يا أمير المؤمنين ، إنَّ نفقتى قد ذهبت. قال: ما كنت ضمنتُ لأهلك أنها تكفيك إلى أن ترجع إليهم. قال: يا أمير المؤمنين إنّ ناقتى قد نقِبت ودَبِرت . قال: أنجِدْ بها يَبرُدْ خفُّها، وارقَعها بسِبتٍ واخصفها بهُلْب ، وسِرْ عليها البَرْدَين تصحّ. قال : إنما جئتك مستحملا ولم آتك مستوصفاً ، فلعن الله ناقة حملتنى إليك ! قال ابن الزُّبير : إنَّ وراكبها . فخرج وهو يقول :

أرى الحاجاتِ عند أبى خُبيب	نَكِدن ولا أميـة فى البلاد
من الأعياص أو من آل حرب	أغرُّ كغُرَّة الفرس الجواد
ومالى حين أقطع ذاتَ عِرق	إلى ابن الـكاهلية من معاد[٣]
وقلتُ لصحبتى : أدنُوا ركابى	أفارِقْ بطن مكّة فى سـواد[٤]

فبلغ شعرهُ هذا عبدَ الله بن الزُّبير فقال : لو علم أنَّ لى أمّاً أخسَّ[٥]

(١) في زهر الآداب : « هى أختنا وقد ولدتكم ، وأنا ابن فلانة ففلانة عمتى » .

(٢) ط : « نكرت » ، صـــوابه في ش وزهر الآداب وتاريخ الخلفاء للسيوطى ٨٣ .

(٣) زهر الآداب : « من مفاد » ، تحريف .

(٤) فى النسختين : « عن سواد » صوابه فى زهر الآداب وتاريخ الخلفاء وما يقتضيه الشرح التالى .

(٥) زهر الآداب : « أحسن » وما هنا صوابه . وفى الأغانى ١ : ٨ : « علم أنها شر أمهاتى فعيرنى بها وهى خير عماته » .

من عمته الجاهلية لنسبنى إليها . وكان ابن الزبير يكنى أبا بكر وأبا خبيب .

قال الصولى[١] : أخذ المعتصم من محمد بن عبد الملك الزيات فرسا أشهب[٢] كان عنده مكينا ، وبه ضنينا ، فقال:

قالوا جزعت فقلت إنّ مصيبة [جلّت] رزيّتها وضاق المذهب[٣]

قال أبو بكر الصولى : هكذا[٤] أنشدنيه ابن المعتز على أنّ إنّ بمعنى نعم؛ وأنشد النحويون :

قالوا كبرتَ فقلتُ إنّ ، وربما ذَكر الكبيرُ شبابَه فتطرَّبا

انتهى كلام الحُصْرى .

وكذا نقل السيوطى فى تاريخ الخلفاء . وهذه الحكاية عن تاريخ ابن عساكر من طريق أبى عبيدة .

وقوله : إنّ ناقتى قد نقبت ، فى الصحاح : ونقِب البعير بالكسر : إذا رقّت أخفافه . ودبِر البعير بالكسر وأدبره القَتَبُ ، إذا جرحه ، وهى الدَّبَرَة بفتحات . وأنجدَ ، إذا أخذ فى بلاد نجد . وهو من بلاد العرب ، وهو خلاف الغَوْر وتِهامة،وكل ما ارتفع من تهامة إلى أرض العراق فهو نجد . ونجد ١٠١ موصوف بالبرد . والسِّبت بكسر السين وسكون الموحدة : جلود البقر المدبوغة بالقرَظ تحذى منه النعال السِبْتيّة . والهُلب ، بضم الهاء : شَعر الخنزير الذى يُخرز به ، الواحد هُلْبة ، وكذلك ماغلظ من شعرِ الذنَب وغيره . والبَرْدان :

---

(١) عن زهر الآداب أيضا ٤٧٥ .

(٢) فى زهر الآداب : « أشهب أحم » .

(٣) جلت ، ساقطة من النسختين . واثباتها من زهر الآداب .

(٤) فى النسختين : « هذا » . وأثبت ما فى زهر الآداب .

العصران، وكذلك الأبردان وهما الغداة والعشىّ ؛ ويقال ظلاّهما . ومستحِملا أى طالباً أن تحملنى على دابة .

وأبو خبيب، بضم الخاء المعجمة وفتح الموحّدة الأولى كنية عبد الله ابن الزُبير كنى بأكبر أولاده ؛ قال الثعالبي (فى لطائف المعارف) كان له ثلاث كُنًى : أبو خبيب، وأبو بكر، وأبو عبد الرحمن ، وكان إذا هجى كنى بأبى خبيب .

ونـكِدن من نَـكِد نـكَداً من باب تعب ، فهو نـكِد ، إذا تعسّر . ونـكِد العيشُ نـكَداً ، إذا اشتدّ . وأميّة : أبو قبيلة من قريش ، وهما أميَّتان : الأكبر والأصغر ، ابنا عبد شمس بن عبد مناف أولاد عَلّة ؛ فمن أميّة الكبرى أبو سفيان بن حرب ، والعنابسُ ، والأعياص . وأميّة الصغرى هم ثلاثة إخوةٍ لأمٍّ اسمها عَبلة يقال لهم العَبَلات بالتحريك . والأعياص بإهمال الأوّل والآخر ، هم من قريش أولاد أميّة بن عبد شمس الأكبر ؛ وهم أربعة : العاص ، وأبو العاص ، والعِيص ، وأبو العيص . وذات عرق ، بالكسر : ميقات أهل العراق ، وهو من مكة نحو مرحلتين ؛ ويقال هو من نجد الحجاز . والصُّحبة أراد به الأصحاب ، وهو فى الأصل مصدر . وأدنُوا بفتح الهمزة : أمر مسند لجماعة الذكور ، من الإدناء . وركابى : إبلى . وأفارقْ مجزوم فى جواب الأمر .

وعبد الله بن الزّبير بفتح الزاى وكسر الموحدة ، قد تقدمت ترجمته فى الشاهد الثانى والعشرين بعد المائة[1] .

---

(١) كذا فى النسختين ، وصوابه الرابع والعشرين بعد المائة . انظر الخزانة ٢ : ٣٦٤ .

وروى الأصبهانى فى الأغانى[1] هذه الأبياتَ لعبد الله بن فَضالة بن شريك بن سليمان بن خُويلِد ، وأنهى نسبه إلى أسد بن خزيمة بن مُدركة بن إلياس بن مضر . قال : وعبد الله بن فَضالة هو الوافد على ابن الزُّبير ، والقائل له : إنّ ناقتى قد نَقِبت . وذكر القصة بعينها ، إلى قوله فقال له ابن الزُّبير : إنّ وراكبَها . فانصرف وهو يقول :

أقول لغِلمتى شُدُّوا رِكابى أجاوزْ بطن مَرٍّ فى سواد
فمالى حين أقطعُ ذاتَ عِرق إلى ابن الكاهلية من مَعاد
سيُبعِد بيننا نصٌّ المطايا وتعليقُ الأداوى والمزادِ
وكلُّ معبَّد قد أعلمته مناسمُهنَّ ، طَلّاعَ النِّجاد
أرى الحاجات عند أبى خبيب . . . . . . (البيتين)

ثم قال الأصبهانى : وذكر ابن حبيب أنّ هذا الشعر لأبيه فَضالة مع ابن الزُّبير ، وزاد فيها :

شكوت إليه أنْ نقِبت قَلوصى فردَّ جوابَ مشدودِ الصِّفادِ
يضنُّ[2] بناقة ويروم مُلكا محالٌ ذاكمُ غيرُ السداد
وَليتَ إمارةً وبخلت لمّا وليتَهم بملك مستفاد
فإن وَليتْ أميّةُ أبدلوكم بكلِّ سَميدَعٍ وارى الزناد
من الأعياص أو من آل حرب أغرَّ كغرّة الفرس الجواد
إذا لم ألقهم بمنًى فإنى بجوٍّ لا يهشّ له فؤادى[3]

١٠٢

(١) الأغانى ١٠ : ١٦٢ .

(٢) ش : « فضن » . وما فى ط يطابق الأغانى ١٠ : ١٦٥ .

(٣) فى النسختين : « اذا لم ألقيم عنى » ، والتصحيح للشنقيطى مطابق لما فى الأغانى ١٠ : ١٦٥ .

سيدنيني لهم نصُّ المطايا وتعليقُ الأداوَى والمـزادِ
وظهـرُ معبَّدٍ قد أعلمتـه منـاسمُهنّ طُلّاعَ النجـادِ

مع أبيات ثلاثة أخر . قال ابن حبيب : فلما ولىَ عبدُ الملك بعث إلى فضالة يطلُبه ، فوجده قد مات ، فأمر لورثته بمائة ناقة تحمَّل أوقارها بُرًّا وتمراً. قال : والـكاهلية التي ذكرها هى بنت جبيرة من بنى كاهل بن أسد ، وهى أم خويلد بن أسد بن عبد العزىّ · هذا ما أورده الأصبهانى .

وزعم بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصّل) أنّ الـكاهليّة هى أم عبد الله بن الزُّبير ، وهذا لا أصل له . وزعم أيضاً أن ابن الزَّبِير صاحب هذه الأبيات اسمه عبد الله بن فضالة ، ونقله عن صدر الأفاضل .

وقوله : أقول لِغلمتى ، هو بكسر المعجمة : جمع غُلام . وبطن مَرّ ، بفتح الميم : موضع بقرب مكة شرَّفها الله . وقوله : فى سواد ، أى فى ظلام الليل . ونصُّ المطايا : مصدر مضاف إلى مفعوله ، من نَصصت الدابّةَ : استحثثتها واستخرجتُ ما عندها من السَّير . والأداوَى بفتح الواو : جمع إداوة بالـكسر ، وهى المِطْهرة . والمزاد ، بالفتح : جمع مزادة ، وهى شَطر الراوية ، والقياس كسر الميم لأنَّها آلة يستقى فيها ، وهى مَفْعَلة من الزاد لأنّه يتزوَّد فيها الماء . والطريق المعبَّد ، من التعبيد ، وهو التذليل . والمناسم : جمع مَنسِم كمجلس : طرَف خفّ الإبل . وطُلّاع حال من ضمير المطايا جمع طالعة . والنِّجاد ، بكسر النون بعدها جيم : جمع نجد ، ككلب وكلاب ، وهو ما ارتفع من الأرض . والصِّفاد بكسر الصاد : ما يوثَق به الأسير من قِدٍّ وقَيد وغُلّ ، أى أجابنى بجوابِ عاجز مقيَّد لا يقدر على شىء . والسَّميدع ، بفتح السين : السيِّد الذي يَسهُل الوصول إليه . وجوّ ، بفتح الجيم وتشديد الواو : اسم موضع .

وفَضالة بن شُريك الأسدى بفتح الفاء ، أورده ابن حجر (فى الإصابة) فضالة بن شريك من المخضرمين الذين أدركوا النبيَّ صلى الله عليه وسلم ولم يُعلَم اجتماعهم به .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والستون بعد المائتين ، وهو من شواهد سيبويه[1] :

٢٦٣ (فلا أبَ وابناً مِثلُ مَروانَ وابنِهِ)

هذا صدرٌ وعجزه : (إذا هُو بالمجد ارتدَى وتأزّرا)

على أنه عطف الابنَ بالنصب على لفظ اسم لا المبنى ، ويجوز رفع المعطوف باعتبار محلّ لا واسمها ، فإنّهما فى محلّ رفع على الابتداء . وإنّما جاز الرفع لأنّ لا إذا لم تتكرّر فى المعطوف وجب فتح الأوّل وجاز فى الثانى النصب والرفع .

قال أبو علىّ (فى المسائل البصرية) : مِثل يحتمل أن يكون صفة وأن يكون خبراً . فإن جعلته صفةً احتمل أمرين : يجوز أن تنصبه على اللفظ ، لأنّ اللفظ منصوب فتحمله عليه ، وإن حملته على الموضع هنا كان أقبح منه فى غير هذا الموضع ، وذاك أنّك لما عطفت بالنصب فقد أبنأت أنه منصوب ، فإذا رفعته بعد ذلك كان قبيحا ، لأنّك كأنك حكمت برفعه بعد ما حكمتَ بنصبه . وهذا عندى أقبح من أن تحمل الأسماء المبهمة على المعنى ثم تُرْجِعَ إلى اللفظ ، لأنّ الاسم كما يعلم منه الإفراد فقد يعلم منه الجمع ، فتكون دلالته على ذا كدلالته على ذا ، ولا يعلم من الرفع النصبُ ولا من النصب الرفع ؛

---

(١) فى كتابه ١ : ٣٤٩ . وانظر ابن يعيش ٢ : ١٠١ ، ١١٠ والهمع ٢ : ١٤٣ والعينى ٢ : ٣٥٥ والتصريح ١ : ٢٤٣ .

فلهذا يُستحسَن حمل الصفة هنا على اللفظ . فإن قلت : فصفةُ أيِّ الاسمين هو ؟ فإنّا لا تقول صفة أحدهما ، ولكن صفتهما جميعا ؛ ألا ترى أنّه قد أضيف إلى مروان وعطف ابن عليه ، فكأنّه قال مثلهما ؛ ألا ترى أنّ العطف بالواو نظير التثنية ؛ فكما أنّ مِثْلُهُمْ فى قوله تعالى ﴿إنَّكُمْ إذاً مِثْلُهُمْ[1]﴾ خبر عن جميع الأسماء حيث كان مضافا إلى ضمير الجمع ، كذلك يكون مثل وصفاً للاسمين جميعا وتضمر الخبر إذا جعلته صفة . ١٠٣

فإن جعلت مِثْلاً الخبر رفعت لا غير ولم تضمر شيئا ؛ ومثل ذلك :

* ولا كريمَ من الوِلدان مصبوحُ[2] *

وقد يستقيم أن تجعله هنا وصفا على الموضع وتضمر ، ولا يقبح من حيث قبُح فى قوله : فلا أب وابنا . فأما : إذا هو بالمجد ارتدى ، فالعامل فى إذا معنى المماثلة ، جعلته خبراً أو وصفا . وإن شئت جعلتَ العامل فى إذا الخبر إذا أضمرت . انتهى كلام أبى على .

وقال ابن هشام (فى شرح شواهده) : وروى ابن الأنبارى :

* إذا ما ارتدى بالمجد ثم تأزّرا *

ورواية سيبويه أولى ، لأن الائتزار قبل الارتداء . والواو لا ترتيب فيها بخلاف ثمّ . والمجد : العزّ والشرف ؛ ورجل ماجد : كريم شريف . وارتدى : لبس الرداء . وتأزّر : لبس الإزار ، والإزارُ : الثوب الذى يستر النصف

---

(١) الآية ١٤٠ من سورة النساء .

(٢) لرجل من النبيت بن قاصد ، كما فى الأعلم (سيبويه ١ :٣٥٦) . وصدره : * ورد جازرهم حرفا مصرمة *

وانظر ابن الشجرى ٢ : ٢١٢ وابن يعيش ١ : ١٠٤ ، ١٠٧ والعينى ٢ : ٣٦٨ .

الأسفل ، والرداء : ما يستر النصف الأعلى . قال الأعلم : مدح مرْوانَ ابنَ الحكَم وابنَه عبدَ الملك بن مروان ، وجعلهما لشهرة مجدهما كاللابسين له المرتدَيين به ، وجعل الخبر عن أحدها وهو يعنيهما اختصاراً ، لعلم السامع اهـ .

ولقد كذب الشاعر في هذا المدح فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال فى حق مروان : « الوزَغ بن الوزَغ[1] » .

وهذا البيت من أبيات سيبويه الخمسين التى لا يعرف لها قائل . وقال ابن هشام (فى شواهده) : إنّه لرجل من عبد مَناة بن كنانة ، والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والستون بعد المائتين ، وهو من شواهد سيبويه[2] :

٢٦٤ (ألاَ طعانَ إلا فرسانَ عاديةٍ ... إلاّ تجشُّؤَكم حولَ التنانيرِ)

على أن (لا) إذا تقدَّمها همزة الاستفهام تعمل كعملها مجردةً منها .

قال سيبويه : واعلم أنّ لا فى الاستفهام تعمل فيما بعدها كما تعمل فيه إذا كانت فى الخبر ، فمن ذلك قوله : ألا طعان ... البيت .

وقال ابن هشام (فى المغنى) : ألا تأتى للتوبيخ والإنكار كقوله :

ألا طعانَ ألا فرسان .... البيت

---

(١) ش : « بن الوزغة » .

(٢) فى كتابه ١ : ٣٥٨ . وانظر شرح شواهد المغنى ٣٢٢ والهمع ١ : ١٤٧ / ٢ : ١٣٩ : ٤٠٩ والعينى ٢ : ٣٦٢ والأشمونى ١ : ٢٤٠ وديوان حسان ٢١٥ .

وللتمنى كقوله :

أَلا عُمْرَ وَلَّى مُسْتَطَاعٌ رجوعُه فيرأبَ ما أَثْأَتْ يَدُ الغَفَلاتِ

ولهذا نصب يرأب لأنه جواب تمنٍّ مقرون بالفاء . وللاستفهام عن النفى كقوله :

* ألا اصطبارَ لسلمى أم لها جَلَدُ[1] *

وفى هذا البيت ردٌّ على من أنكر وجودَ هذا القِسم وهو الشَّلَوبين . وهذه الأقسام الثلاثة مختصَّة بالدخول على الجملة الاسميَّة وتعمل عمل لا التبرئة ، ولكن تختصّ التى للتمنِّي بأنَّها لا خبر لها لفظاً ولا تقديراً ، وبأنَّها لا يجوز مراعاة محلِّها مع اسمها ، وبأنَّها لا يجوز إلغاؤها ولو تكررت . أمَّا الأوَّل فلأنَّها بمعنى أتمنَّى ، وأتمنَّى لا خبر له ، وأمَّا الأخيران فلأنهما بمنزلة ليت . وهذا كلُّه قول سيبويه ومن وافقه . اهـ باختصار .

١٠٤

وزعم الزجاجيّ (فى الجُمَل) أنّ ألاَ فى هذا البيت للتمنِّي . وليس كذلك ، لأنّ البيت من الهجو ، ولو كان تمنِّياً لما كان ذمًّا .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من أبيات لحسّان بن ثابت الصحابى رضى الله عنه ، هجا بها بنى الحارث بن كعب المذحِجىّ ، جعلهم أهلَ أكل وشرب ، لا أهل غارة وحرب ، يقول : لا خيلَ تعدُون بها على الأقران ، ولا طعانَ لكم فى نحور الشُّجعان ، إلاّ الأكل والجُشاء عند التنانير ، فليس لكم رغبةٌ فى طلب المعالى ، وإنما فعلُكم فعلُ البهائم . كما قال الآخر[2] :

(١) للمجنون ، كما فى شرح شواهد المغنى للسيوطى ١٥/والعينى ١ : ٣٥٨ وديوانه ٢٢٨ . وعجزه : اذا ألاقى الذى لاقاه أمثالى

(٢) هو عبد الرحمن بن حسان. سيبويه ١ : ٤٧٥ والهمع ٢ : ٣ .

إنّي رأيت من المكارم حسبُكم أن تلبسوا خُرَّ الثياب وتشبعوا
فإذا تُذوكرت المكارم مَرَّةً في مجلس أنتم به فتقنَّعوا

وزعم اللخميّ (في [شرح[1]] أبيات الجمل) أنّ الاستفهام هنا للتقرير، قال: قرَّرَهم على ما علم من أمرهم. فيكون المقرر النفي وما بعده.

و (طِعان): مصدر طاعن بالرُّمح. و (الفُرسان): جمع فارس. و (عادية) بالمهملة والنصب: صفة لفرسان، وقيل حال منه، والخبر محذوف أي لكم، وهو مِن عدا عليه بمعنى اعتدى، والمصدر العُدوان. والعرب تتمدَّح به باعتبار ما يلزمه من الشجاعة. وقيل: هو من العَدْو أي الجرى، وقيل هو بالمعجمة من الغدوّ، وهو التبكير، لأنّ العرب تبكر للغارة والحرب. قال النحاس: وعند أبي الحسن الأوّل هو الأحسن، لأنَّ العادية تكون بالغداة وغيرها. وروى بالرفع على الروايتين على أنّه صفة لفرسان على الموضع، وقيل خبر. وقوله: إلا تجشؤكم بالنصب على الاستثناء المنقطع، قيل: ويجوز رفعه على البدل من موضع ألا طعان على لغة تميم. قال النحاس: هذا غلط والصواب عند أبي الحسن النصب. والتجشؤ: خروج نفَسٍ من الفم ينشأ من امتلاء المعدة، يقال تجشّأ تجشُؤاً وتَجشئَةً مهموز، والاسم الجُشَاء بضم الجيم وفتح الشين. قال الأصمعيّ: ويقال الجُشاء على فُعال، كأنّه من باب العطاس والسعال. قال اللخميّ: وروى «إلا تَحَشُّؤُكم» بالحاء المهملة، مأخوذ من الحُشَأ، وهو الكساء الغليظ الذى يُشتَمَل به؛ فمعناه على هذا: إنّكم تشبعون وتلتفُّون في الأكسية، وتنامون عند التنانير. انتهى. والحِشأ على

(١) التكملة للشنقيطي في نسخته.

وزن مِفْعَل[١] والجمع المحاشىء بالهمز على وزن مفاعل . و (التنانير) : جمع تَنُّور وهو ما يُخبز فيه .

والأبيات هذه برُمّتها[٢] :

أبيات الشاهد

(حارِ بن كعب ألا أحلامَ تزجُرُكم | عنّا ، وأنتم من الجُوف الجماخيرِ
لا عيبَ بالقوم من طول ولا عظمٍ | جسمُ البغال وأحلامُ العصافيرِ
كأنّهم قَصب جُوفٌ مكاسره | مثقَّب فيه أرواح الأعاصير
دَعُوا التخاجؤ وامشُوا مِشيةً سُجُحا | إنّ الرجال أولو عَصْبٍ وتذكيرِ
لاينفعُ الطُّول من نُوك القلوب ، ولا | يَهدى الإلهُ سبيلَ المعشر البُور
إنّى سأنصر عِرضى من سَراتكم | إنّ الحماسَ نَسِيٌّ غيرُ مذكور
ألفى أباه وألفى جَدَّه حُبِسا | بمعزِلٍ عن معالى المجد والخيرِ
١٠٥ ألا طِعانَ ألا فرسان عادية | . . . . البيت)

كذا فى شرح أبيات الجمل لابن السِّيد وغيره ، من رواية محمد بن حبيب لديوان حسان .

وقوله : حارِ بن كعب ، هو مرخّم حارث ، وبه استشهد الزجاجى (فى جُمَله) . والأحلام : العقول ، جمع حِلم بالكسر . والجُوف ، بضم الجيم : جمع أجوف ، وهو الخالى الجوف . والجماخير : جمع جُمخُور ، بضم الجيم والخاء المعجمة بينهما ميم ساكنة ، وهو العظيم الجسم الخوّار . وقوله : لا عيب

(١) ش : « مفعال » وهى صحيحة أيضا فى اللغة ، ولكنها لا تستقيم مع جمعها مفاعل التالى .

(٢) كتب الميمنى : الأبيات مع خبرها فى تهاجى النجاشى وعبد الرحمن فى الموفقيات Z. D. M. G. V 54 P. 427-428 ، والديوان ليدن ص ٤٨ ، والحواشى (٧٧) . وفيها : « ألا الأحلام » .

بالقوم، روى أيضاً: «لا بأس بالقوم». يريد أنّ أجسامهم لا تُعاب، هى طويلة عظيمة ولكنّها كأجسام البغال لا عقولَ لها. هكذا رواه الناس؛ ورواه الزمخشريّ: «جسم الجمال وأحلام الخ» عند قوله تعالى: ﴿حتّى يَلِجَ الجمل فى سَمِّ الخِياط[1]﴾ على أنّ الجمل مَثَلٌ فى عظم الجِرم، وهذا مثلُ قول بعضهم[2]:

وقد عظُم البعير بغير لُبٍّ فلم يستغن بالعظم البعيرُ

وقال آخر:

فأحلامُهم حِلْم العصافير دِقَّةً وأجسامهم جسمُ الجمائل أو أجفى

وهذان البيتان أوردها سيبويه على رفع الجسم والأحلام على إضمار مبتدإ لِما أراد من تفسير أحوالهم، دون القصد إلى الذم. والتقدير أجسامهم أجسام البغال، وأحلامهم أحلام العصافير: عِظَماً وحقارة. ويجوز أن يريد لا أحلام لهم، كما أنَّ العصفور لا حِلم له؛ ولو قصد به الذمَّ فنصبه بإضمار فعل لجاز.

قال ابن خلف: ذكر سيبويه هذا الشعر بعد أبياتٍ أنشدها وذكر فيها أسماء قد نصبت على طريق الشتم والتحقير، ورفَع قوله جسم البغال وأحلام العصافير. وقوله: ولم يرد أن يجعله شتماً، يريد أنّه لم يجعله شتماً من طريق اللفظ، إنَّما هو شتمٌ من طريق المعنى، وهو أغلظ من كثير من الشتم. وأفرد الجسم وهو يريد الجمع ضرورة، كقوله[3]:

* فى حَلْقكم عظمٌ وقد شَجِينا *

---

(١) الآية ٤٠ من سورة الأعراف.
(٢) هو العباس بن مرداس. الحماسة ١١٥٥ بشرح المرزوقى.
(٣) هو المسيب بن زيدمناة الغنوى، كما ذكره الأعلم ١ : ١٠٧.

وقوله : كأنّهم قصب الخ ، هو جمع قصَبة ، والجُوف جمعٌ كما مرّ .
ومكاسره مبتدأ جمع مَكِسر أى محلّ الكسر ، ومثقّب خبره ، والأرواح :
جمع ريح . والتخاجُؤ ، بعد المثناة الفوقية خاء معجمة وبعدها جيم بعدها
همزة ، هو مشى فيه تبختر . والمِشيَةُ السُجُح ، بضمّ السين المهملة والجيم بعدها
حاء مهملة : السهلة الحسنة . وأولو عَصْب : أصحاب شِدَّة خَلق ، يقال رجل
معصوب الخلق . والنُوك ، بضم النون : الحماقة . والبُور : جمع بائر ، وهو
الهالك . والحِماس بكسر الحاء المهملة ، من بنى الحارث بن كعب . والنِسىُّ :
المنسىّ الخامل الذكر . وقوله . حُبِسا بالبناء للمفعول ، من الحبس . والمجد :
الشرف . والخِير بكسر المعجمة : الكرم .

وسبب هجو حسّان بنى الحارث أنّ النّجاشى هجا بنى النَّجّار من الأنصار
بشعرٍ يقول فيه :

لستم بنى النجار أكْفاء مثلِنا فأبعد بكم عمَّا هنالك أبعد[1]
فإن شئتمُ نافرتُـكم عن أبيكمُ إلى من أردتم من تِهامٍ ومُنجِدِ

قال السكرىّ (فى ديوان حسّان) : ذكروا أنّ الأنصار اجتمعوا فى مجلسٍ
فتذاكروا هجاء النجاشىّ إيّاهم فقالوا : مَنْ له ؟ فقال الحارث بن مُعاذ بن
عفراء : حسَّانُ له . فأعظم ذلك القومُ فتوجّه نحوه — والقوم كلُّهم مُعْظِمٌ
لذلك — فلما دخل عليه كلّمه فقال : أين أنتم عن ابنى عبد الرحمن ! قال : ١٠٦
إيّاك أردنا ، قد قاوله عبدُ الرحمن فلم يصنع شيئا . فوثب وقال : كنْ وراء

(١) الميمنى : الأبيات ستة فى الموفقيات ، وفيه : « فلستم » من غير خرم و « فأبعدكم عما هنالك » . وأقول : فى ش : « فأبعد بكم هنالك » ، وفى ض : « فأبعدكم هنالك » ، فلعل الوجه ما أثبت .

الباب واحفظْ ما أُلقِي . فضربته [زافرة[١]] البابِ فشجَّته على حاجبه ، فقال : بسم الله ؛ ثم قال : اللهم اخلُف فىَّ رسولَك اليوم صلى الله عليه وسلم ! قال الحارث : فعرَفت حين قالها ليَغلبنه . فدخل وهو يقول :

أبنى الحِماس أليس منكم ماجدٌ إن المروءة فى الحِماس قليلُ
يا ويلَ أمِّكُمُ وويلَ أبيكمُ ويلاً تردَّدَ فيكمُ وعويلُ

إلى أن قال :

فاللؤم حلَّ على الحِماس فما لهمْ كهلٌ يسودُ ولا فتًى بهْلولُ

ثم مكثَ طويلا فى الباب يقول : والله ما بلغتُ ما أريد . ثم ألقىَ علىَّ :

حارِ بنَ كعبٍ ألا أحلام تزجرُكم . . . الأبيات التى تقدمت .

ثم قال للحارث : اكتبْها صُكوكا فألقِها إلى غِلمان الكُتّاب ، قال الحارث : ففعلت ، فما مرَّ بنا بضع وخمسون [ليلةً[٢]] حتى طرقت بنو عبد المدان حسان بالنجاشىِّ موثَقا ، فقال حسّان لبنته : نادِى بأبياتِ أُطُمِ حسَّان ليأتيَك قومُك فيحضروا . فلم يبق أحدٌ إلاَّ جاء ومعه السلاح . فلما اجتمع الناسُ وُضِع له منبر ونزل وفى يده مِخصرة ، فقام عبد الله بن [عبد[٣]] المدان فقال : يا ابن الفُرَيعة ، جئناك بابن أخيك فاحكمْ فيه برأيك ، فأُتى بالنجاشى فأُجلسَ بين يديه واعتذر القومُ ، فقال حسَّان لابنته : هاتى البقية

---

(١) التكملة من ديوان حسان طبع ليدن ١٩١٠ ص ٧٦ من الشرح. وزافورة الباب : مقدمه وأنفه . وانظر شرح البرقوقى لديوان حسان ٣٥٧ .

(٢) التكملة من شرح الديوان ص ٧٧ .

(٣) التكملة من شرح الديوان ٧٧ . والمدان ، كسحاب : صنم لهم .

التى بقيت من جائزة معاوية . فأتته بمائة دينار إلاَّ دينارين ، فقال : دونكَ هذه يا ابن أخى . وحمله على بغلةٍ لعبد الرحمن ، فقال له ابن الديَّان[١] : كنَّا نفتخر على الناس بالعظم والطُّول فأفسدته علينا . قال : كلاَّ ، أليس أنا الذى أقول :

وقد كنَّا نقول إذا رأينا لذى جِسمٍ يُعَدُّ وذى بيان
كأنَّك أيُّهـا المعطَى بياناً وجسماً من بنى عبد المَدان

انتهى ما أورده السكّرىّ .

وعبد المَدان هو ابن الديّان بن قَطَن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة ابن مالك بن كعب بن الحارث بن كعب بن عمرو بن عُلة (بضم المهملة وخفة اللام) ابن جَلْد (بفتح الجيم وسكون اللام) ابن مالك بن أُدد .

وبنو الديّان ساداتُ بنى الحارث بن كعب . وكان بنو الحارث إحدى جَمَرات العرب .

وترجمة حسان بن ثابت تقدمت فى الشاهد الحادى والثلاثين[٢] .

النجاشى الشاعر

والنجاشى اسمه قيس بن عمرو ، من رهط الحارث بن كعب ؛ وكان فيما رُوى ضعيفَ الدين : ذُكر أنه شرب الخمر فى رمضان ، وثبتَ عند علىٍّ عليه السلام فجلده مائةَ سوط ، فلما رآه قد زاد على الثمانين صاح به : ما هذه العلاوة يا أبا الحسن ! فقال علىٌّ رضى الله عنه : لجراءتك على الله فى رمضان .

قال ابن هشام اللخمىّ (فى شرح أبيات الجمل) : روِى أنه لما هاجى

(١) هو عبد الله بن عبد المدان بن الديان ، كما سيأتى .
(٢) الخزانة ١ : ٢٢٧ .

النجاشيُّ عبدَ الرحمن بنَ حسان أعانه أبوه بالشعر المذكور . ورُوى من طريق أخرى أنَّه لما مضت مدَّةٌ لمهاجاة عبد الرحمن بن حسان للنجاشيِّ علم بذلك أبوه حسَّان ، فقال له : يا عبد الرحمن ، أرنِي ما جرى بينك وبين الحارثىّ . فأنشده لنفسه وللحارثىّ ، فقال له : يا عبد الرحمن ؛ إنى أُراه قد أ كلك ، فهل تحبُّ أن أعينَك ؟ قال : نعم يا أبتِ . فقال حسان الأبياتَ المذكورة . ثم ذكر بقية القصة من كِتاف النَّجاشى وعَفْو حسان عنه . والله أعلم أىَّ ذلك كان . ١٠٧

تتمة

كونُ البيت الشاهد لحسَّان هو ما رواه السكّرىّ وغيره من جملة الأبيات المذكورة ، إلاَّ ابن السِّيرافى والزمَخْشَرىَّ ، فإنه رواه فى شرح أبيات سيبويه من قصيدة لخِدَاش بن زُهير يخاطب بها بعض بنى تَميم ، من أجل مسابقةٍ كانت بينهم وبين كُرْز بن ربيعة — وهو من رهط خِداش — وأول القصيدة :

أبلغ أَبا كَنَف إمّا عرضتَ له والأبجرَين ووهباً وابنَ منظورِ
ألاَ طمانَ(١) ألا فُرسانَ عاديةٍ إلاّ تجشُّؤُكم حولَ التنانير
ثم احضُرونا إذا ما احمرَّ أعيُنُنا فى كل يومٍ يزيلُ الهامَ مذكورِ
تلقَوا فوارسَ لا مِيلاً ولا عُزُلا ولا هَلابيج روَّاثينَ فى الدُّور
تلقَوا أَسِيداً وعمراً وابنَ عمِّهما ورقاء فى النفَر الشُّعْثِ المغاويرِ

(١) فى فرحة الأديب الورقة ٥٦ ، ٥٧ من مخطوطة دار الكتب ٧٨ مجاميع ، وهى بخط البغدادى : « ألا جفان » .

من آل كوز غداةَ الرَّوع قد عُرفوا عند القتال إلى ركنٍ ومحبورِ[١]
يحدون أقرانَهم فى كل مُعْتَرَك طعناً وضرباً كشقٍّ بالمناشيرِ

وهى قصيدة تزيد على عشرين بيتا أوردها أبو محمد الأعرابىّ (فى فُرحة الأديب)، وقال: كان من قصةً هذا الشعر أن أوّلَ ما هاج بين قريش وبين بنى عامر بن صعصعة أنّ كُرْزَ بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر ابن صعصعة راهنَ أسيداً وَعمراً وعبدَ الله بنى العَرِقة، من بنى تيم بن غالب وهم تيمُ الأدرم، على فرسٍ لهم يقال له البرق، والسَّبَقُ ثلاثون ناقة[٢]. وجعلوا المَدَى والمضمار إلى كُرْز، فجعل المَدى ما بين السجسج[٣] إلى ذات الفلج، وحمل كُرز على فرسه المجالدَ بن زهير بن ربيعة بن عمرو بن عامر، فجاء سابقاً وهلَك البرق، فأخذ السَّبَقَ وناشدوه فى ردِّه فأبى، فلبثوا قريبا من سنتين، ثم ركب بنو العَرِقة فلقوا أَسِيد بن مالك، وعمرو بن مالك، وعثمان بن أسيد من بنى عامر بن ربيعة، بأسفل العقيق، فى إبل لهم فيها بَكْرة يقال لها العِنب، عُشَراء، فطردوا الإبل فاستقبلها عثمان بن أسيد ينفّر فيها بثوبه[٤] وبعثَ أَمَةً نحوَ أبيه وعمّهِ مُغَوِّثاً[٥] فركب أبوه فرساً كبيرة وركب

(١) فى فرحة الأديب: «من آل كرز» بالراء قبل الزاى. وفى ط: «ومحسور»، صوابه فى ش وفرحة الأديب.

(٢) فى الفرحة: «والسبق ثلاثون، معها مثلها. ليس فيها حذاء ولا جداء ولا أباء ولا حنفاء ولا ذات عوار».

(٣) هذا ما فى الفرحة بخط البغدادى. وفى ط: «السحج»، وفى ش: «السجيج».

(٤) ط: «بها بثوبه»، وأثبت ما فى ش.

(٥) فى النسختين: «مغويا»، صوابه فى الفرحة. والتغويث: الاستغاثة.

عمة بنتها فرساً صعبة ، فلما لحق بالقوم قال عمرو بن مالك : أعلمونا مَن أنتم ؟ قالوا : قريش . قالوا : وأيهم ؟ قالوا : بنو العَرِقة . قالوا : فهل كان منّا حدث[1] ؟ قالوا : لا ، إلاّ يوم البرق . فقال لهم : احبسوا العِنَب ، احبسوا العنب ، احبسوا اللِّقْحة : لِقْحة من لا يغدر[2] ! فقال لهم عمرو : لا واللهِ لا نرضع منها قادماً ولا آخراً ! قال : إنّا لا نرضع الإبل ولكن نحلبُها . وحمل عليه فقتله ، وحمل أُسيدُ بن مالك على أُسيد بن العَرِقة فقتله ، فقال فى ذلك :

إنى كذاك أضرب الكميّ ولم يكن يشقى بىَ السميّ

فذلك يوم العنب . وقال خداش بن زهير فى ذلك :

نكبُّ الكماة لأذقانها إذا كان يومٌ طويلُ الذنبْ ١٠٨

كذاك الزمانُ وتصريفُه وتلك فوارسُ يومِ العِنبْ

ثم وقع بينهم بعد ذلك التغاور والقتال ، فقال فى ذلك خداش بن زهير القصيدة التى منها :

ألا طعان ألا فرسان عادية (البيت)

وخداش بن زهير شاعر جاهلىّ ، وقيل مخضرم كما يأتى فى الشاهد الرابع والعشرين بعد الخمسمائة .

* * *

(١) فى الفرحة . « منا من حدث » .

(٢) جعلها الشنقيطى فى نسخته : « يعذر » .

وأنشده بعده ، وهو الشاهد الخامس والستون بعد المائتين[١] :

٢٦٥ (ألاَ سبيلَ إلى خمرٍ فأشربَها
أمْ لا سبيلَ إلى نصرِ بنِ حَجَّاجِ)

على أنّ (ألا) فيه للتمنى . ولهذا سمِّيت قائلة هـذا البيت المتمنّية ، وضُرب بها المثل فقيل : « أصبُّ من المتمنّية » ، وضُرِب به المثل أيضاً فقيل « أدنَفُ من المتمنَّى » كما يجىء شرحه .

قال ابن برّى (فى شرح أبيات الإيضاح ، للفارسى) : قبله :

(ياليتَ شِعرىَ عن نفسى أزاهقةٌ مِنّي ولم أقض ما فيها من الحاج)

وأنشده الفارسىّ على أن خبر ليت محذوف . قال ابن برّى : والبيت لفُريعة بنت همّام ، وتعرف بالذلفاء وهى أمُّ الحجاج . انتهى .

وقال حمزة الأصبهانى (فى الدرّة الفاخرة) : وأما قولهم أصبُّ من المتمنّية فإنَّ هذا المثل من أمثال أهل المدينة سار فى صدر الإسلام . والمتمنّية : امرأة مدنية عشقت فتًى من بنى سُليم يقال له نصر بن الحجاج بن عِلاط ، وكان أحسن أهلِ زمانه صورةً ، فضنِيت من أجله ودنِفت من الوجد به ، ثم لِهجت بذكره حتّي صار ذكره هِجّيراها ، فقال أحمد بن أعثم (فى الفتوح) : كان السبب فى ذلك : أنّ امرأة من أهل المدينة يقال لها الذّلفاء هويتْ نصر بن الحجّاج ، فأرسلت إليه ودعتهْ إلى نفسها ، فزجرَها ولم يوافقها ، فبينا عمر

(١) انظر أيضا ابن يعيش ٧ : ٢٧ وطبقات الشافعية ١ : ٢٨ .

ذات ليلة يَعُسُّ[١] فى بعض سكك المدينة إذْ سمع نشيدَ شعرٍ من دار ، فوقف يسمع فإذا الذلفاء تقول[٢] :

ألا سبيلَ إلى خمر فأشربَها (البيت)

فلما سمع عمر الشعر أمرَ بالذلفاء فأُخرجت من منزلها فحبَسَها ، فعلمت الذلفاء أنَّه قد سمعها وهى تُنشد الشعر ، فكأنها أنفت على نفسها أن يعاقبها ، فكتبت إليه :

قل للإمام الذى تُخشى بوادرُه (الأبيات الآتية)

فلما نظر عمر فى الأبيات أطلقها من الحبس ، وأرسل إلى نصر فحلق جُمّتَه ونفاه إلى البصرة .

قال حمزة الأصبهانى : قال النسابون : هذه المتمنّية هى الفُريعة بنت همّام ، أم الحجَّاج بن يوسف الثقَفى ، وكانت حين عشقت نصراً تحت المغيرة بن شُعبة ، واحتجُّوا فى ذلك بحديث رووْه ، وهو أنَّ الحجاج حضر مجلس عبدالملك يوماً ، وعروةُ بن الزبير يحدِّثه ويقول : قال أبو بكر كذا ، وسمعت أبا بكر يقول كذا — يعنى أخاه عبدَ الله بن الزبير — فقال له الحجاج : عند أمير المؤمنين تُكنّي أخاك المنافقَ ، لا أُمَّ لك ! فقال له عُروة : يا ابن المتمنِّية ، ألِيَ تقول لا أُمّ لك ، وأنا ابن إحدى عجائز الجنة : صفية ، وخديجة وأسماء ، وعائشة !

(١) بدلها فى ش : « مطل » .

(٢) الميمنى : « الخبر فى المصارع ٤٠٥ ومحاسن الجاحظ ٢٢٠ والبلوى ٢ : ٥١٣ » .

كذا قال ابن الأثير (فى المرصَّع) : ابن المتمنِّية هو الحجّاج بن يوسف الثقفى ، من قول أمّه :

ألا سبيلَ إلى خمرٍ فأشربها . . . . البيت

وقد ذكَر خبرَها مع نصرٍ جماعة منهم الجاحظُ (فى كتاب المحاسن والمساوى[١]) ، وأبو القاسم الزجّاجى (فى أماليه الوسطى) ، وأبو الحسن على ابن محمد المدائنى (فى كتاب المغرَّبين) ، وحمزة الأصبهانى (فى أمثاله) ، والسُّهيلى (فى الروض الأنف) ، وإسماعيل بن هِبَة الله الموصلى (فى كتاب غاية السائل[٢] ، إلى معرفة الأوائل) وقد جمعت بين ما اتّفقوا عليه وبين ما انفردوا به . قالوا :

أوّل من عَسَّ باللّيل فى الإسلام عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه ، فبينا يعسُّ ليلةً سمع امرأةً تقول :

ألاَ سبيلَ إلى خمرٍ فأشرَبها أم لا سبيل إلى نصر بن حجَّاجِ
إلى فتىً ماجدِ الأخلاق ذى كرم سهلِ المحيَّا كريمٍ غير لجماجِ[٣]

كذا رواها الجاحظ . وروى المدائنى البيت الثانى مع بيتين آخرين لرجل من ولد الحجّاج بن عِلاط وهما :

تَنْميه أعراقُ صِدقٍ حين تنسُبُه ذى نجدات عن المكروب فرّاجِ

---

(١) هو المعروف بكتاب « المحاسن والأضداد » . وهو غير المحاسن والمساوى للبيهقى .

(٢) فى ش : « الوسائل » . ولم يذكره صاحب كشف الظنون .

(٣) طبقات الشافعية : « غير ملجاج » . وقد روى هذين البيتين وما بعدهما منسوبين الى تلك المرأة .

سامى النواظر مِنْ بَهزٍ لَه كَرَمٌ تُضىء سُنَّتُهُ فى الحالك الداجى[1]

وروى صاحبُ الأوائل البيتَ الأوَّل :

إلى فتى ماجدِ الأعراق مُقتبَل تضىء صورتُه فى الحالك الداجى
نعمَ الفتى فى سواد الليل نُصرته ليائسٍ أو لملهوفٍ ومُحْتاجِ

وزاد المدائنى :

يا مُنيةً لم أُرَبْ فيها بضائرةٍ والناسُ من صادق فيها ومن داجى[2]

ثم قال : وقال قومٌ : هذا الشعر مصنوع إلاّ البيت الأول .

فقال عمر : من هذه المتمنّية ؟ فلزمها هذا الاسم ، واستلبتْه نساء المدينة فضربنَ به المثل[3] وقلن : « أصَبُّ من المتمنِّية » .

وقال الزجّاجى : لما أنشدَت :

ألاَ سبيلَ إلى خمرٍ فأشربها . . . . البيت

قالت لها امرأةٌ معها : مَنْ نصرُ بن حجّاج ؟ قالت : رجلٌ وددتُ أنّه معى فى ليلةٍ من ليالى الخريف فى أطول ليلةٍ من ليالى الشتاء وليس معنا أحد ! فدعا بها عمرُ فضربها بالدِّرّة ضرَبَاتٍ ، ثم سأل عنها فلم يُخبَر عنها إلاّ بخير ؛

---

(١) بهز : حى من بنى سليم بن منصور بن عكرمة ، منهم الحجاج بن علاط الصحابى . جمهرة ابن حزم ٢٦٢ .

(٢) فى النسختين : « من راج » ، صوابه بالدال ، كما فى الطبقات . والداجى ، من المداجاة ، وهى المداراة والمساترة .

(٣) ش : « بها المثل » .

فلما كان من الغدِ أرسل إلى نصر بن حجّاج فأحضره ، وله شَعرة[١] فقال : إنّه ليُتمثّل بكَ ويُغنّى بك ! وأمر بشَعْرته فحُلقت ، ثم راح إليه بالعشىّ فرآه فى الحِلاق أحسنَ منه فى الشَّعرِ ، فقال : لا تُساكنّي فى بلدة ، فاختر أىَّ البُلدان شئت ! فكتبت المرأة إلى عمر :

قل للإمام الذى تُخشى بوادرُه ما لى وللخمر أو نصر بن حجّاج
إنّى عنيت أبا حفص بغيرهما شرب الحليب وطرف قاصر ساجى[٢]
لا تجعلِ الظنَّ حقًّا أو تَبَيَّنَهُ إنّ السبيل سبيل الخائف الراجى
إنّ الهوى زَمَّهُ التقوى فحبَّسه حتّى أقرّ بإلجام وإسراجِ

فبعث إليها عمر : لم يبلغنا عنك إلاّ خير !

وقال حمزة : فلما أصبح عمر أحضر المتمنَّى فلما رآه بهره جمالُه فقال له : أنت تتمنّاك الغانيات فى خدورهن[٣] ، لا أمَّ لك ، أما والله لأزيلنّ عنك الجمال ! ثم دعا بحجّام فحلق جُمّته ، ثم تأمّله فقال : أنت محلوقًا أحسنُ ؛ فقال : وأىُّ ذنب لى فى ذلك ؟ فقال : صدقتَ ، الذنبُ لى إذًا تركتك فى دار ١١٠ الهجرة[٤] . ثم أركبه جملاً وسيّره إلى البصرة وكتب به إلى مجاشع بن مسعود السُّلَمىّ : بأنّى قد سيَّرت المتمنَّى نصرَ بن حجّاج السُّلَمىَّ إلى البصرة .

وكما قالوا بالمدينة : أصبُّ من المتمنّية قالوا بالبصرة : « أدنَف من المتمنَّى »

(١) فى اللسان : « والشعرة : الواحدة من الشعر . وقد يكنى بالشعرة عن الجمع كما يكنى بالشيبة عن الجنس » .

(٢) فى النسختين : « بعدهما » . وأثبت ما فى الطبقات .

(٣) فى أمثال الميدانى ١ : ٣٧٩ : « أأنت الذى تتمناك الغانيات فى خدورهن » .

(٤) كذا . وفى أمثال الميدانى : « ان تركتك فى دار الهجرة » .

وذلك أن نصر بن حجّاج لما ورد البَصرة أخذ الناسُ يسألون عنه ويقولون : أين المتمنَّى الذى سيّره عمر ؟ فغلب هذا الاسم عليه بالبصرة ، كما غلب ذلك الاسمُ على عاشقته بالمدينة .

ومن حديث هذا المثل الثانى : أنّ نصراً لما نزل البصرةَ أنزله مُجاشع ابن مسعود منزلَه، من أجل قرابته ، وأخدمه امرأته شُميلة[١] — وكانت أجمل امرأةٍ بالبصرة — فَعِلقَته وعَلِقَها ، وخفىَ على كلٍّ واحد منهما خبر الآخر ، لملازمة مجاشعٍ لضيفه ، وكان مجاشعُ أمِّيًّا ونصرُ وشُميلةُ كاتبَين ، فعِيلَ صبرُ نصر فكتب على الأرض بحضرة مجاشع : إنى أحببتُكِ حبًّا لو كان فوقَكِ لأظلَّكِ ، أو تحتَكِ لأقلَّكِ . فوقَّعت تحته غير محتشمة : وأنا كذلك . فقال مجاشع لها : ما الذى كتَبَ ؟ فقالت : كتب كم تَحلُب ناقتكم . فقال : وما الذى كتبتِ ؟ قالت : كتبتُ وأنا . فقال مجاشع : ما هذا لهذا بِطِبْق ! فقالت : أصدُقك ، إنه كتب كم تُغِلُّ أرضُكم ؟ فقال مجاشع ما بين كلامه وجوابكِ هذا أيضاً قرابة ! ثم كفأ على الكتابة جَفنةً ودعا بغلام من الكتّاب فقرأه عليه ، فالتفت إلى نصر فقال : يا ابن عمّ ما سيّرَك عمر إلى خير[٢] ، قمْ فإنّ وراءك أوسعُ لك . فنهض مستحيياً وعدل إلى منزل بعض السُّلَميِّين[٣] ، ووقع لجنبه وضَنِيَ من حُبِّ شُميلة ودنِف حتى صار رحمة[٤] ، وانتشر خبره فضربَ نساء البصرة به المثل فقلن : « أدنف من

---

(١) وكذا عند الميدانى . وفى الطبقات أنها كانت تسمى الخضراء .

(٢) فى الميدانى : « من خير » .

(٣) فى النسختين : « المسلمين » ، صوابه من الميدانى .

(٤) الميدانى : « حممة » . والحممة : واحدة الحمم ، وهو الفحم البارد .

المتمنّى » . ثم إنّ مجاشعاً وقف على خبر علّة نصر فدخل عليه عائداً ، فلحقته رِقّة لِماَ رأى به من الدَّنَف فرجَع إلى بيته وقال لشُميلة : عزمتُ عليك لمـّا أخذتِ خُبزاً فلبَّكتِه بسمن ثم بادرتِ به إلى نصر . فبادرتْ به إليه فلم يكن به نهوض ، فضمّته إلى صدرها وجعلت تُلْقِمه بيدها فعادت قواه وبرأ كأن لم تكن به قَلَبة[١] ، فقال بعض عُوّاده : قاتل الله الأعشى[٢] حيث قال :

لو أسنَدَت مَيْتاً إلى نحرها عاشَ ولم يُنقَل إلى قابر !

فلما فارقته عاوده النُّكس ، ولم يزلْ يتردَّد فى علته حتى مات منها . كذا قال حمزة وصاحب الأوائل .

وقال المدائنى : إن عمرَ لما أخرج نصراً من المدينة إلى البصرة قال نصر : يا أمير المؤمنين أعلِمْهم أنّك إنما أخرجتنى لهذا الشِّعر لا لغيره . وروى عن قَتادة أن نصراً لما أتى البصرةَ دخل مجاشعُ بن مسعود عائداً له ، وعنده شُميلة بنت جُنادة بن أبى أُزَيهر[٣] فجرى بينهما كلامٌ ولم يفهمْ منه مجاشعٌ إلاّ كلمةً واحدة من نصر : قال : وأنا . فلما خرج نصرٌ قال لها : ما قال لك ؟ قالت : قال لى : كم لبن ناقتكِم هذه فأخبرته ، قال : ما هذا جوابُ كلامه ! وأرسل إلى نصر فسأله وأعظم عليه ، فقال : قالت لى إنِّى أحبُّك حباً شديداً لو كان فوقَكَ لأظلّك ، ولو كان تحتكَ لأقلّك ، فقلتُ : وأنا . قال : فأنزِل لك عنها ؟ قال : أذكرُك اللهَ أن يبلغ هذا عُمَر مع مافعل بى ! وأمّا حديث العامة فيقولون : كتَبَتْ له فى الأرض هذا الكلام ، فقال : وأنا ، فسمعها مجاشع

(١) يقال ما بالعليل قلبة ، أى ما به شىء . لايستعمل الا فى النفى . اللسان (قلب) .

(٢) بعده فى الميدانى : « فكانه شهد منهما النجوى حيث قال » .

(٣) ط : « أبى أزهر » .

فلما خرج أكبَّ قَعباً على الكتاب ودعا من قرأه له(1) . انتهى .

وأمّا الزَّجاج فإنه قال بعد ما قرأ خطّهما : ثم التفت إليه فقال : ١١١
يا ابن أخي ، إنْ يكن الطلاق ثلاثاً فهي طالقٌ ألفاً ! فقال : وهي طالقٌ إنْ جمعني وإياها بيتٌ أبداً ! ثم ارتحل إلى فارس . وقال في امرأة مجاشع : كانت امرأته يقال لها خضراء بني سليم ، وكانت من أجمل النساء ، وهي أوّل من لبس الشُّفوف .

وحكى السُّهيلي (في الروض الأُنُف) هذه الحكايةَ على خلاف ما تقدّم قال : الحجاج بن عِلاط وهو والد نصر الذي حلق عمرُ رأسه ونفاه من المدينة ، فأتى الشامَ فنزل على أبي الأعور السُّلميّ ، فهوِيَته امرأته وهويَها ، وفطن أبو الأعور لذلك بسببٍ يطول ذكره ، فابتنى له قُبَّة في أقصى الحيِّ فكان بها ، فاشتدّ ضَناه بالمرأة حتى مات كَلَفاً بها ، وسُمِّي المضنَى ، وضُربت به الأمثال . وذكر الأصبهاني (في كتاب الأمثال له) خبرَه بطوله . انتهى .

قال المدائنيُّ وصاحب الأوائل : وبعد أن أقام نصرٌ بالبصرة حولا كتب إلى عمر رضي الله عنه :

لعمري لئن سَيّرتَني أو حرمتَني ... وما نلتُ ذنباً إنّ ذا لحرامُ
ومالىَ ذنبٌ غير ظنٍّ ظننتَه ... وفي بعض تصديق الظنون أثامُ
أأن غنّتِ الحوراء ليلا بمُنيةٍ ... وبعضُ أمانيِّ النساء غَرام
ظننتَ بيَ الظنَّ الذي ليس بعده ... بقاء ومالى في النَّديِّ كلام
وأصبحتُ منفيًّا على غير ريبة ... وقد كان لى بالمكّتين مقام
ويمنعني مما تظنُّ تكرُّمي ... وآباءُ صدقٍ سالفون كرام

(1) ش : « على الكتابة ودعا من قرأها له » .

ويمنعها مما تمنّت صلاتُها وطولُ قيامٍ ليلَها وصيامِ
فهاتان حالانا، فهل أنت راجعى وقد جُبَّ منى كاهلٌ وسنام

قال الجاحظ : ردّه عمر بعد هذه الأبيات لمَا وصف له من عفته .

وقال صاحب الأوائل : فلما وصلت الأبيات إلى عمر ونظر فيها كتب إلى أبى موسى الأشعرىّ وأمره بالوَصاة به إنْ أحبّ أنْ[1] يقيم بالبصرة ، وإن أحبّ الرجوع إلى المدينة فذاك اليه . قال : فاختار الفتى المقام بالبصرة ، فلم يزل مقيماً بها إلى أن خرج أبو موسى إلى محاربة أهل الأهواز ، فخرج معه نصر بن حجاج فى الجيش ، وحضر معه فتح تُستَر . انتهى .

وروى الزجاجى (فى أماليه) أن نصراً أرسلَ هذه الأبياتَ إلى عمر حين نفاه إلى البصرة ، فبعث إليه عمر : أن لا رَجْعة . فارتحل إلى البصرة فنزل على مجاشع إلى آخر الحكاية .

هذا ما اطّلعت عليه ، ولا يخفى ما فيه من الاختلاف من جميع الجهات حتى فى البيت الشاهد ، فالرواية المتقدمة هى رواية الجاحظ وحمزةَ الأصبهانى والسُّهيلى . وروى المدائنى :

هل من سبيلٍ إلى خمرٍ فأشربَها أم من سبيلٍ إلى نَصر بن حَجَّاجِ

وروى صاحب الأوائل :

هل من سبيل إلى خمر فاشربَها أم هل سبيلٌ إلى نصر بن حجَّاج

---

(١) كلمة « أن » ساقطة من ط ، واثباتها من ش .

وهاتان الروايتان لا يناسبان تسمية المرأة بالمتمنّية ، وتسميه نصر بالمتمنّى[١] . وروى الزجّاجى المصراع هكذا :

(أم هل سبيل إلى نصر بن حجاج)

١١٢ ورواه أبو على الفارسى (فى إيضاح الشعر) عن أبى عبيدة :

(أوْلا سبيل إلى نصر بن حجاج)

على أنّ أو بمعنى الواو . قال : تمنّتهما جميعاً ، وجعله مثل أو فى قوله[٢] :

وكان سِيَّانِ ألا يَسرحوا غنماً أو يَسرحوه بها واغبّرت السُّوحُ[٣]

وأشربَها منصوب بأن مضمرة بعد الفاء فى جواب التمنى .

* * *

وأنشد بعده :

ألاَ رُجلاً جَزاه الله خيراً يدلُّ على محصِّلة تَبيتُ

على أن يونس قال : أصله ألا رجلَ ، فنوّن للضرورة ، وألا عنده فيه للتمنى . وعند الخليل ليست للتمنّي وإنما هى للتحضيض ، ورجلا منصوبٌ بفعل محذوف تقديره : ألا تُرونى رجلا ، بضم تاء تُرُونى .

وقد تقدم شرح هذا البيت مفصّلا فى الشاهد الثالث والستين بعد

---

(١) هذا عجب من البغدادى . فان التمنى واضح فى الشعر بأسلوب الاستفهام

(٢) هو أبو ذؤيب الهذلى . ديوان الهذليين ١ : ١٠٧ . وسيأتى الشاهد فى ٢ . ٣٤٢ وهو الشاهد ٣٥٥ .

(٣) غنما : جعلها الشنقيطى فى نسخته : « نعما » .

المائة[1] . وفى هذا البيت تضمين [2] لأن خبر تَبيت فى بيت بعده وهو :

تُرجِّــل لِمّتي وتَقُمّ بيتى وأُعطيها الإتَاوة إن رَضِيتُ

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والستون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[3] :

٢٦٦ (وَيلُمِّها فى هَوَاءِ الجوِّ طالبةً ولا كهذا الذى فى الأرضِ مَطْلُوبُ)

على أنَّ قوله مطلوبُ ، عطف بيان لاسم لا المضاف : فإن الكاف اسمٌ مضاف لاسم الإشارة فى محل نصب بلا على أنه اسمها ؛ وقد تبعه البيان بالرفع باعتبار أنّ لا مع اسمها فى محلّ رفع على الابتداء والخبر محذوف أى موجود ونحوه . ويجوز أن يكون مطلوب صفة اسم لا ، ولا يضرّ إضافة الكاف إلى اسم الإشارة ، فإنها بمعنى مثل ، وهى لاتتعرَّف بالإضافة إلى المعرفة . هذا محصَّل ما قاله الشارح المحقق .

وفيه أنّهم قالوا : إن البيان يكون فى الجوامد ، والصفةُ تكون فى المشتقّات ، فكيف لايكون فرق بين البيان والوصف .

وقد أورد سيبويه هذا البيت من باب الوصف لا غير . قال الأعلم : الشاهد فيه رفع مطلوب حملا على موضع الكاف ، لأنها فى تأويل مثل

---

(١) الخزانة ٣ : ٥١ .

(٢) وخرجه بعضهم على أن « تبيت » مضارع أبات ، أى تجعل لى بيتا أى زوجة . وعلى هذا التأويل ينتفى التضمين ، وهو توقف البيت على بيت آخر .

(٣) فى كتابه ١ : ٣٥٣/٢ : ١٧٢ . وانظر العمدة ١ : ٦٠ وديوان امرىء القيس ٢٢٧ .

وموضعها موضع رفع ، وهو بمنزلة لا كزيد رجل . ولو نُصب حملاً على اللفظ أو على التمييز لجاز . انتهى

ونقل ابن السرّاج في الأصول عن سيبويه أنّ اسم لا في مثل هذا محذوف والكاف حرف ، وهذا كلامه : وتقول لا كزيدٍ رجلٌ ؛ لأنّ الآخِر هو الأوّل ولأنّ زيداً رجل ، وصار لا كزيد كأنك قلت : لا أحدٌ كزيد ثم قلت رجل ، كما تقول لا مال له قليل ولا كثير على الموضع . وقال امرؤ القيس :

ويلمّها في هواء الجو طالبة . . . . : . . . . . البيت

كأنه قال : ولا شيء كهذا ، ورفع على الموضع ، وإن شئت نصبت على التفسير كأنه قال : لا أحد كزيد رجلا . قال سيبويه : ونظير لا كزيد في حذفهم الاسم قولهم : لا عليك ، وإنما يريدون لا بأس عليك ولا شيء عليك ، ولكنه حُذف لكثرة استعمالهم إياه . انتهى

واعلم أنه يجوز أن يكون مطلوب مبتدأ مؤخرا واسم لا بمعنى ليس والظرف قبله الخبر . قال النحاس : في شرح أبيات الكتاب ناقلاً عن أبي الحسن الأخفش : هذا هو الجيد .

وقوله : (ويلمّها) . الخ ، هذا في صورة الدعاء على الشيء ، والمرادُ به التعجب ، والضمير المؤنث مفسّر بالتمييز ، أعني طالبةً المراد بها العقاب ، وهو تمييز عن النسبة الحاصلة بالإضافة ، وقد أوضحها الشارح المحقق في باب التمييز . ١١٣

ومعنى الكلام : ما أشدّ طيرانَ هذه العقاب في هواء الجوّ . وويل إذا أضيفت فالوجه النصب ، كقولك ويلَ زيد ، لكنها هنا مضمومة اللام أو مكسورة والأصل ويلٌ لأمّها . قد تقدّم شرح جميع هذا مفصّلاً في الشاهد الثامن والتاسع

بعد المائتين[١] .

وهذه رواية النحاة ، وأما الثابت فى ديوان امرئ القيس فهو :

لا كالتى فى هواء الجوّ طالبة (البيت)

و (الهواء) : الشيء الخالى ، و (الجوّ) : ما بين السماء والأرض ،فهو من قبيل إضافة الصفة إلى موصوفها . وأراد بالمطلوب الذئب ، فإنه وصف عقاباً تبعت ذئباً لتصيدَه ، فتعجَّب منها فى شدّة طلبها ، وتعجَّب من الذئب أيضاً فى سرعته وشدة هَرَبه منها .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدة لامرئ القيس وهى[٢] :

أبيات الشاهد

(الخيرُ ماطلعت شمسٌ وماغَرَبت ، مُطلَّبٌ بنواصى الخيل معصوبُ
قد أشهدُ الغارةَ الشعواءَ تحملنى جَرْداءُ معروقةُ اللَّحيَين سُرحُوب[٣]
كأنها، حينَ فاض الماء واختلفت، صقعاءُ لاح لها بالسَّرحة الذيب
فأبصرَت شخصَه من دون مَرْقَبةٍ ودونَ موقِعها منه شنَاخيب
فأقبلت نحوَه فى الريح كاسرة يحثُّها من هواء الجوّ تصويب
صَبّت عليه ولم تنصبَّ من أمَمٍ إنّ الشّقاءَ على الأشقَينَ مصبوب
كالدّلو بُتَّتْ عُراها وهى مُثقَلَة إذْ خانَها وَذَمٌ منها وتكريب
لا كالتى فى هواءِ الجوِّ طالبةً ولا كهذا الذى فى الأرض مطلوب

---

(١) صوابه الحادى عشر والثانى عشر بعد المائتين . الخزانة ٣ : ٢٧٣ ـ ٢٨٤

(٢) نسبه الأعلم فى شرح شواهد الجزء الثانى من الكتاب الى النعمان ابن بشير ، بعد ما نسبه فى الجزء الأول منه الى امرىء القيس . وفى ديوان امرىء القيس ٢٢٥ أن القصيدة يقال انها لابراهيم بن بشير الأنصارى .

(٣) هذا البيت من شواهد العروض . وصحح ابن يسعون أنه لعمران بن ابراهيم الأنصارى . السيوطى ١٦٩ . وفى الارشاد الشافى للدمنهورى أنه عمر بن ابراهيم الأنصارى .

كالبرق والريح مَرٌّ منهما عَجبٌ ... مافى اجتهاد عن الإسراح تغبيب
فأدركتْه فنالتــه مخالبُهــا ... فانسلَّ من تحتها والدَّفُّ مثقوبُ)

وقوله : الخير ما طلعت الخ ، الخير مبتدأ ومُطَّلب خبره ، ووزنه مفتعل من الطلب فأبدل وأدغم : وما مصدرية ظرفية . ومعصوب خبر بعد خبر بمعنى مشدود ، والباء متعلقة بما قبلها أو بما بعدها ويضمر لأحدها ، فهو من التجاذُب كقوله تعالى : ﴿ لا تَثْرِيبَ عليكُمُ اليومَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ[1] ﴾ . وهذا يشبه الحديث وهو : « الخيلُ معقودٌ بنواصيها الخير إلى يوم القيامة » .

وقوله : قد أشهد الغارة الخ ، قد هنا للتكثير ، وأشهد : أحضُر . والشَّعواء ، بالعين المهملة : المتفرقة الفاشية . والجرداء : الفرس القصيرة الشعر . ومعروقة اللحيين ، أى قليلة لحم اللَّحيين بفتح اللام ، وهما العظمان اللذان ينبُت عليهما الأسنان . والسرحوب ، بضم المهملتين : الطويلة الظهر السريعة . وهذان الوصفان مدحٌ فى الخيل .

وقوله : كأنَّها حين فاض ، الضمير للفرس ، أى كأنَّها حين عرقت فأمتلأ عرقُها . واختلفت ، أى استقت ماء ، يريد كأنها استقت ماء من شدَّة عرقها ، أو معناه تردّدت هنا وهنا ؛ فإنّ الاختلاف يأتى بمعنى التردُّد . وصقعاء خبر كأنها ، وهى العقاب بيضاء الرأس ، قال فى الصحاح : والأصقع من الخيل والطير وغيرهما : الذى فى وسط رأسه بياض ، يقال عُقابٌ صقعاء ، والاسم الصُّقعة انتهى . ولاح : ظهر . والسَّرحة : شجرة . وقيل موضع ، يقول : كانت العقاب واقفة تبصر صيداً ، فلاح لها الذئب . ١١٤

وقوله : فأبصرت شخصَه الخ ، المَرقَبَة بالفتح : الموضع العالى الذى

(١) الآية ٩٢ من يوسف .

يُرقَب فيه العدّو . وموقع[1] العقاب الموضع الذى هى واقفة عليه . والشّناخيب : رءوس الجبال . أى بين موقعها من الذئب وبينه رءوسُ جبال عالية .

وقوله : فأقبلت نحوه الخ ، أى نحو الذئب . وكسْر الطائرُ : إذا صفّ جناحيه . والتصويب : الانصباب .

وقوله : صبّت عليه الخ ، الأمَم ، بفتحتين : القُرب ، يقال أخذتُ ذلك من أمَم . والأشقَينَ : جمع أشقى . وهذا المصراع من إرسال المثل .

وقوله : كالدلو بُتّت عراها الخ ، شبّه هُوِىَّ العقاب بسرعةِ هُوِىِّ الدلو الملأى إذا انقطع حَبْلها . وبُتَّت : قُطعت ، من البتّ . والعُرا : جمع عُرْوة . والوَذَم ، بفتح الواو والذال المعجمة : السيور التى بين آذان الدلو وأطراف العَرَاقىّ ، وهى العيدان المصلَّبة تشدّ من أسفل الدلو إلى قدر ذراع أو ذراعين من حبل الدلو مما يلى الدلو ، فإن انقطع حبلها تعلّقت بالوذَم . والتكريب : شدّ الكرَب ، بفتحتين ، وهو الحبل الذى يشدّ فى وسط العَرَاقى ، ثم يُثَنّىَ ثم يثلّث ليكون هو الذى يلى الماء فلا يَعفَن الحبل الكبير .

وقوله : (لا كالتى فى هواء الجوّ طالبة الخ) قال ابن رشيق (فى العمدة) : هذا البيت عند دعبل أشعر بيت قالته العرب ، وبه قدّمه على الشعراء .

وقوله : كالبرق والريح الخ ، يقول : إنّ العقاب والذئب مرُّهما وسرعتُهما كالبرق والريح . والتغبيب : الفتور والتقصير ، يقال غبَّب فلان فى الحاجة ، إذا لم يبالغ فيها ، وهو من الغَبّ بالغين المعجمة بعدها موحدة .

وقوله : فأدركته فنالته الخ ، انسلّ أى انفلت ، والدَّفّ ، بفتح الدال

---

(١) ط : « وموضع » ، صوابه فى ش .

وتشديد الفاء : الجنب ، يعنى أفلت الذئبُ من العقاب ونجا ، لكن ثقبت جنبَهُ .

وترجمة امرئ القيس قد تقدمت فى الشاهد التاسع والأربعين[١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والستون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[٢] :

٢٦٧ (لا كالعَشِيَّةِ زائراً ومَزُورا)

على أن (زائراً) قيل منصوب على تقدير فعل ، أى لا أرى كعشية اليوم زائراً . وإنما لم يجعل الكاف اسماً للا مضافا إلى العشية ويكون زائراً عطفَ بيان للكاف تَبِعَهُ على اللفظ أو صفةً على طِرْز البيت الذى قبله ، لأنّ الزائر غير العشية ، فلما كان الثانى غير الأوّل لعدم صحة الحمل جعلت لا نافية للفعل المقدّر دون كونها نافية للجنس .

وصاحب هذا القيل هو سيبويه ، وهذا نصُّه : وأما قول جرير :

* لا كالعشيّة زائراً ومَزورا *

فلا يكون إلاّ نصباً ، من قِبَل[٣] أنّ العشية ليست بالزائر ، وإنّما أراد لا أرى كالعشية زائرا ، كما تقول ما رأيت كاليوم رجلا ، فكاليوم مثل قولك فى اليوم لأن الكاف ليست باسم . وفيه معنى التعجب كما قال تالله رجلا ،

---

(١) الخزانة ١ : ٣٣٠ .

(٢) سيبويه ١ : ٣٥٣ . وانظر مجالس ثعلب ٣٢١ وابن يعيش ٢ : ١٤٤ وديوان جرير ٢٩٠ .

(٣) فى النسختين : « من قبيل » ، صوابه من سيبويه .

وسبحان الله رجلا ، إنّما أراد تالله مارأيت رجلا وسبحان الله مارأيت رجلا ؛ ولكنّه يترك إظهار الفعل استغناء ، لأنّ المخاطَب يعلم أن هذا الموضع إنّما يضمر فيه هذا الفعلُ لكثرة استعمالهم إياه . انتهى

قال الأعلم : أصله لا أرى زائراً ومزوراً كزائر العشية ومزُورها ، فحذف اختصاراً للعلم ، كما قالوا : ما رأيت كاليوم رجلا أى كرجل أراه اليوم .

١١٥ ولا تجيزنّ[1] فى هذا رفع الزائر ، لأنّه غير العشية ، وليس بمنزلة لا كزيد برجل ، لأنّ زيداً من الرجال . انتهى

وقد نقل أبو العباس ثعلب (فى أماليه) قاعدةً لحذف الفعل مع الظرف الزمانى ، قال : حكى الكسائىّ نزلنا المنزلَ الذى البارحةَ ، والمنزل الذى آنفا ، والمنزل الذى أمس . فيقولون فى كلّ وقت شاهدوه من قرب ، ويحذفون الفعلَ وحده كأنّهم يقولون : نزلنا المنزل الذى نزلنا أمس ، والذى نزلناه اليوم ؛ اكتفوا بالوقت من الفعل ، إذْ[2] كان الوقت يدلّ على الفعل وهو قريب . ولا يقولون الذى يومَ الخميس ، ولا الذى يومَ الجمعة . وكذا يقولون : لا كاليوم رجلا ، ولا كالعشيّة رجلا ، ولا كالسّاعة رجلا ، فيحذفون مع الأوقات التى هم فيها . وأباه الفرّاء مع العَلَم . وهو جائز وأنشد :

* لا كالعشيّة زائراً ومَزُورا[3] *

وكلّ ما كان فيه الوقت فجائز أن يكون يحذف الفعل معه ، لأن الوقت القريب يدلّ على فعلٍ لقربه . انتهى

---

(١) الذى فى الأعلم : « ولا يحسن » .

(٢) فى النسختين : « اذا » صوابه من مجالس ثعلب .

(٣) بعده فى المجالس : « لأنى أقول لقيتك العام ولا أقول لقيتك السنة » .

وقد قدَّر أبو عليّ الفارسيّ (فى المسائل المنثورة) فعلين، قال: نصب زائراً لأنَّ الفعل مقدّر، فكأنّ تقديره: لا أرى زائراً ومزُوراً له كرجل أراه العشيّة. فنصبه على الفعل وحذف ذلك لما فى الكلام من الدّلالة عليه. ويجوز الرفع ههنا، وهو قبيح لأنَّ الزائر ليس هو العشيّة، ويجوز رفعه كأنّك أردت كصاحب العشيّة، فحذفت صاحباً وجعلت العشية إذا رفعتهما دلالة على ما حذفت.

هذا وقد اعترض عليهم الشارح المحقِّق فى إخراجهم لا هذه عن الباب مع قولهم إنَّ الأصل كزائرِ العشية بتقدير المضاف، قال: مع تقديرهم هذا صار الآخرهو [الأصل[1]] الأوّل، كما فى قولك: لا كالعشيّة عشيةٌ، [وعَشيّةً[2]]، فيجوز أن يكون زائراً تابعاً على اللفظ. وهذا حقٌ لا ينبغى العدول عنه. وأل فى العشيّة للعهد الحضوريّ، كقوله تعالى: ﴿اليومَ أكمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ[3]﴾.

و (العشيّة) قال ابن الأنباريّ: مؤنّثة، وربّما ذكّرتها العرب على معنى العشيّ. وقال بعضهم: العشيّة واحدة جَمْعُها[4] عشيّ؛ والعشيّ قيل: ما بين الزوال إلى الغروب، ومنه يقال للظهر والعصر صلاتا العشيّ؛ وقيل هو آخر النهار[5]؛ وقيل من الزّوال إلى الصباح؛ وقيل العشيُّ والعشاء من صلاة المغرب إلى العَتَمة. كذا فى المصباح. وأراد بالزائر نفسه، وبالمزور من يهواه.

---

(١) التكملة من شرح الرضى ١ : ٢٤٣.

(٢) التكملة من شرح الرضى.

(٣) الآية ٣ من سورة المائدة.

(٤) ط: «جمعهما»، صوابه فى ش.

(٥) ط: «الليل»، صوابه فى ش.

وهذا المصراع عجز وصدره :

(يا صاحبيَّ دنا الصباحُ فسِيرَا[١])

صاحب الشاهد والبيتُ من قصيدةٍ لجرير بن الخطَفى يهجو بها الأخطل النصرانىّ مطلَعها :

(صَرَمَ الخليطُ تبايُنا وبُكوراً وحسِبتَ بينَهُمُ عليك يسيرا)

وفيها بيتان من شواهد الكشّاف (أحدهما) فى سورة مريم وهو :

(إنّى إذا مضرٌ علىَّ تحدَّبَتْ لاقيتَ مطَّلَع الجبال وُعورا[٢])

على أن اطّلع فى قوله تعالى : ﴿ اطّلَعَ الغَيْبَ[٣] ﴾ بمعنى ارتقى ، من قولهم اطّلع الجبل . ومُطّلَع الجَبَل مَصعده ومُرتقاه . ووعور : جمع وعر وهو المكان الخشن الصعب ، ونصبه إما على أنه مفعول لاقيتَ ومطّلع الجبال ظرف ، وإما حال من الجبال على أن المطّلع مصدر ، أو حال من المطّلع بتقدير تعدّده لإضافته إلى متعدد . ورُوى (وَعُورا) بفتح الواو : بمعنى أنه من الفخر بمكان لا يُنال . و (الثانى) فى الملائكة وهو :

١١٦ (مَشقَ الهواجرُ فى القِلاص مع السُّرى حتّى ذَهبن كلا كلاً وصُدورا)

أورده عند قوله تعالى ﴿ فَلاتَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَراتٍ[٤] ﴾ .

والرواية المعروفة :

---

(١) اشترك معه الراعى فى هذا الصدر فقال (الأغانى ٧ : ٤٢) :

يا صاحبى دنا الرواح فسيرا غلب الفرزدق فى الهجاء جريرا

(٢) تحدبت عليه : تعطفت وحنت حنوا عليه . ووقعت فى طبعة السلفية « تحدثت » خطأ .

(٣) الآية ٧٨ من سورة مريم .

(٤) الآية ٨ من سورة فاطر .

مَشَقَ الهواجرُ لحمهن منَ السُّرى حتَّي ذهبن الخ

وكذا أنشده سيبويه ، قال الأعلم : الشاهد فى نصب كلا كِلاً بقوله ذهبن نصْبَ التميز ، لا نصبَ التشبيه بالظرف . وعبر [سيبويه[1]] عما أراد من نصب هذا ونحوه على التميز ، بذكره الحال ، لما بين التميز والحال من المناسبة بوقوعهما نـكرتين بعد تمام الـكلام ، وتبيينهما للشيء المقصود من النوع ، تقول ذهب زيد ظَهْراً وصَدْراً ، وتغيَّر وجهاً وجسما ؛ تريد ذهب ظهره وصدره ، وتغيّر وجهه وجسمه . فعبّر سيبويه عن التميز بالحال . وعلى هذا يُجرَى سائرُ الأبيات . انتهى

والمشق : الترقيق والإهزال . والهواجر : جمع هاجرة ، وهى نِصف النهار وقتَ اشتداد الحرّ . والسُّرى : سير الليل . ومن فى الرواية الثانية بمعني مع . والـكلاكل : جمع كلـكل كجعفر ، وهو الصَّدر ، وعطف عليه الصدور للتفسير ، أو أنّه أراد بالكلـكل أعلى الصدر . وصف رواحلَ أنضاها دُءوب السير فى الهواجر والليل حتّي ذهب لحوم صدرها .

وترجمة جرير قد تقدمت فى الشاهد الرابع فى أول الـكتاب[2].

* * *

وأنشد بعده : (ياتيم تيم عدِيٍّ)

وهو قطعةٌ من بيت هو :

يا تَيم تيم عَدىٍّ لا أبا لـكُمُ لا يُلْقِيَنَّـكُمُ فى سَوْءةٍ عُمَرُ

(١) التكملة من الأعلم ١ : ٨١ .

(٢) الخزانة ١ : ٧٥ .

وقد تقدَّم شرحه مفصَّلا فى الشاهد الثانى والثلاثين بعد المائة[1]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والستون بعد المائتين[2] :

٢٦٨ (وقد ماتَ شَمَّاخٌ وماتَ مُزرِّدٌ وأىُّ كَرِيمٍ لا أباكَ مُخَلَّدُ)

على أن إضافة أبا إلى الضمير بدون اللام شاذّة لا يقاس عليها . قال ابن السرّاج (فى الأصول) : والشاعر قد يُضطرُّ فيحذف اللام ويضيف ، قال الشاعر[3]:

أبالموتِ الذى لابدّ أنى مُلاقٍ لا أباكِ تخوِّفينى

وقال الآخر :

وقد مات شَمَّاخٌ ومات مزردٌ وأىُّ كريمٍ لا أباكَ مُخَلَّدُ

وكذا أنشدها المبرد (فى الكامل[4]) .

قال أبو على (فى التذكرة) قال أبو عثمان : لم يجىء فى باب النفى مثل لا أباك مضافا بغير لام إلاّ هذا وحده . وأنشد البيتين .

ولا يخفى أن هذا البيت من قصيدةٍ عينيّة لمسكين الدارمى ، وليس فيها الضرورة . والمصراع هكذا :

---

(١) الخزانة ٢ : ٢٩٨ .

(٢) شذور الذهب ٤١٣ والهمع ٢ : ٩٥ وديوان حسان ١٥٠ من قصيدة مكسورة الروى مطلعها :

لقد لعن الرحمن جمعا يقودهم دعى بنى شجع لحرب محمد

(٣) هو أبو حية النميرى ، كما سيأتى .

(٤) الكامل ٣١٣ ، ٥٦٣ برواية « يخلد » .

* وأيَّ كريم لا أبا لكَ يُمنَع *

وهى قصيدة أورد فيها شعراء كلٌّ منهم نَسب قبره إلى بلده ومسقط رأسه وذكر حالَ الشعراء المتقدِّمين وأنّهم ذهبوا ولم يبق منهم أحدٌ ، يصغّر أمر الدنيا ويحقّره . وهذه أبيات منها :

ولست بأحيا من رجالٍ رأيتهم — لكلِّ امرئ يوما حِمَامٌ ومَصرعُ

دعا ضابئاً داعى المنايا فجاءه — ولما دعوا باسم ابن دارة أُسمعوا[1] ١١٧

وحِصنٌ بصحراء الثَّوِيّة بيتُه — ألاَ إنّما الدنيا متاعٌ يُمتَّعُ[2]

وأوسُ بن مَغْراء القُرَيعىُّ قد ثوى — له فوق أبيات الرِّياحىِّ مَضجعُ[3]

ونابغةُ الجعْدِىُّ بالرَّمل بيتُه — عليه صفيحٌ من رُخام مُوَضَّعُ[4]

وما رَجَعَت من حِميرىٍّ عصابةٌ — إلى ابن وَثيل نفسَه حين تُنزَعَ

أرى ابن جُعيل بالجزيرة بيتهُ — وقد ترك الدُّنيا وما كان يجمع

بنجرانَ أوصالُ النَّجاشىِّ أصبحت — تلوذ به طيرٌ عُكوفٌ ووُقَّعُ

وقد مات شَمَّاخ ومات مزرّدٌ — وأىُّ عزيز لا أبا لكَ يُمنَعُ

أولئك قومٌ قد مضوا لسبيلهم — كما مات لُقمانُ بن عادٍ وتُبَّعُ

قوله : ونابغة الجعدىّ الخ،هذا البيت من شواهد سيبويه ، وأراد بالرمل رمل بنى جَعْدة ، وهى رمالٌ وراء الفَلْج من طريق البصرة إلى مكة . وابن

---

(١) فى النسختين : « ضانيا » وصححها الشنقيطى فى نسخته « ضابئا » . وهو ضابئ بن الحارث البرجمى الذى هم بقتل عثمان . وابن عارة هو سالم بن دارة ، وقد سبقت ترجمته فى ٢ : ١٤٤ .

(٢) هو حصن بن حذيفة بن بدر .

(٣) الرياحى ، هو سحيم بن وثيل ، من شعراء الأصمعيات .

(٤) ط : « مرصع » ، صوابه فى ش وسيبويه ٢ : ٣٤ واللسان (نبغ) .

وَثيل هو سُحيم بن وَثيل بن حِميرىّ . وكعب بن جُعيل دفن بجزيرة ابن عُمر لأنّها بلاد بنى تغلب ، ودفن النجاشى بنجرانَ لأنه من اليمن بلاد بنى الحارث ابن كعب .

وقوله : وقد مات شمّاخ ومات مزرِّد ، هما أخوان لأبٍ وأمّ ، وصحابيان، وشاعران .

وقد تقدَّمت ترجمة الشمَّاخ فى الشاهد التسعين بعد المائة [(١)] ، واسمه مَعقِل بن ضرار ، والمزرِّد اسمه يزيد بن ضِرَار ، وإنَّما سمى مزرِّداً بقوله [(٢)] :

فقلت تزرَّدْها عُبيد فإننى لدُرْدِ الموالى فى السنين مزرِّدُ [(٣)]

ولهما أخ آخر شقيقهما وهو جَزْء بن ضِرار ، بفتح الجيم وسكون الزاى بعدها همزة . ومات الشمّاخ وجَزْءٌ متهاجِرَين .

وسبب ذلك على ماروى الكلبىّ أنَّ الشمَّاخ كان يهوى امرأةً من قومه يقال لها كلبَة بنت جَوَّال ، وكان يتحدث إليها ويقول فيها الشعر ، فخطبها فأجابته وهمَّت أن تتزوّجه ، ثم خرج إلى سفرٍ له فتزوَّجها أخوه جَزء ، فآلى الشمّاخ أن لايكلّمُه أبداً ، وهجاه بقصيدته التى يقول فيها :

---

(١) كذا ، وصوابه الحادى والتسعين بعد المائة . الخزانة ٣ : ١٩٦ .

(٢) فى نوادر المخطوطات ٢ : ٣٠٩ : « وهو يزيد ، وانما زوده قول الحادرة له » . وأنشد البيت التالى .

(٣) فى النسختين : « لزرد » وصححها الشنقيطى بما أثبت . انظر الاشتقاق ١٧٤ والمؤتلف ١٩٠ وشرح الأنبارى للمفضليات ١٢٧ . وفى الشعراء فى ٢٧٤ : « لدرد الشيوخ » . والدرد : جمع أدرد ، وهو الذى ليس فى فمه سن .

لنا صاحبٌ قد خان من أجل نظرةٍ سقيمُ فؤادٍ حبُّ كَلْبَةَ شاغلُه

فماتا متهاجرين .

وقوله : لا أبا لك ، جملة اعتراضية بين أيٍّ عزيز وهو موصوف وبين يُمنَع وهو صفـة لأيّ . وكذلك يخلَّد ومخلَّد على تلك الرواية . قال المبرد (فى الكامل) : لا أبا لك هى كلمة فيها جفاء وغِلظة ، والعرب تستعملها عند الحثّ على أخذ الحقّ والإغراء ، وربَّما استعملتها الجفاةُ من الأعراب[1] عند المسألة والطلب فيقول القائل للأمير والخليفة : انظر فى أمر رعيّتك لا أبا لك .

وسمع سليمانُ بن عبد الملك رجلاً من الأعراب فى سنة مجدبة يقول :

ربَّ العبادِ مالنا وما لكا قد كنتَ تسقينا فما بدا لكا

أنزِلْ علينا الغيثَ لا أبا لكا

فأخرجه سليمانُ أحسنَ مُخرج فقال : أشهد أنَّه لا أبا له ولا ولد ولا صاحبة، وهو الأحد الصمد .

وقال رجلٌ من بنى عامر بن صعصعة أبْعَدَ من هذه الكلمة لبعض قومه :

أبنى عُقيل لا أبا لأبيكم أبِّى وأىُّ بنى كلاب أكرمُ اه ١١٨

وقال ابن هشام (فى شرح بانتْ سعاد) عند قوله :

فقلتُ خلُّوا سَبيلى لا أبا لَكُمُ فكلُّ ماقدَّر الرحمنُ مفعولُ :

اعلم أن قولهم : لا أبا له ، كلامٌ يستعمل كناية عن المدح والذمّ ، ووجه

---

(١) ط : « استعملتها من الجفاة الأعراب » . وفى ش : « استعملتها من الجفاة الاعراب » ، صوابه من الكامل .

الأوَّلِ أن يراد نفى نظير الممدوح بنفى أبيه ، ووجه الثانى أن يراد أنه مجهول النسب . والمعنيان مُحتملان هنا ؛ أمَّا الثانى فواضح لأنَّهم لما لم يُغنُوا عنه شيئا أمَرهم بتخلِيَة سبيله ذامًّا لهم ؛ وأمَّا الأوَّل فعلى وجه الاستهزاء . انتهى .

وزاد عليه شارحها البغدادى قال : تقول العرب لا أبا لك ولا أبَ لك ، يستعمل فى التفجُّع والتعجّب ، ويقال فى المدح والذم ؛ وربَّما قالوا لا أباك وهو نادر . وأمَّا لا أمَّ لك فلا يقال إلاَّ فى الذمِّ وحده ، دلَّ على ذلك استقراء كلام العرب

وقال ابن جنِّي (فى الخصائص[1]) : إن قلتَ إنَّ الألف فى لا أبا لك تُؤذِن بالإضافة والتعريف ، واللام تؤذن بالفصل والتنكير ، فقد جمعت على الشيء الواحد فى الوقت الواحد معنيين ضدَّين[2] قلتُ : الفرق واضح ؛ فإنه كلام جرى مجرى المثل ، فإنَّك لا تنفى فى الحقيقة أباه وإنما تخرجه مُخرَج الدعاء عليه ، أى أنت عندى ممن يستحق أن يُدْعَى عليه بفقد أبيه . كذا فسره أبو على ، وكذلك هو لمتأمِّلِه ؛ ألا ترى أنه قد أنشد توكيداً لما رآه من هذا المعنى فيه قولَه :

* وتترك أخرى فردةً لا أخا لها *

ولم يقل لا أخت لها ؛ ولكنْ لمَّا جرى هذا الكلام على أفواههم لا أبا لك ولا أخا لك ، قيل مع المؤنَّث على حدِّ ما يكون عليه مع المذكَّر ،

---

(١) الخصائص ١ : ٣٤٣ .

(٢) بعده فى الخصائص : « وهما التعريف والتنكير . وهذان كما ترى متدافعان » .

فجرى نحواً من قولهم لـكلّ أحدٍ : مِنْ ذكَر وأنثى ، واثنين واثنتين وجماعة : الصَّيفَ ضيَّعْتِ اللبن — على التأنيث ، لأنَّه كذا جرى أوّله [١]

وأما قوله :

أبالموت الذى لابدَّ أنّى ملاقٍ لا أباكِ تخوِّفينى

فقد قال شارح أبى علىّ الفارسى [٢] : هو لأبى حية النُّميرى قاله أبو عمرو ، قال : جلبه أبو علىّ شاهداً على حذف هذه اللام ضرورة ، فثبوت الألف فى أبا دليلُ الإضافة والتعريفِ ، ووجود اللام دليل الفصل والتنكير . حذف لامَ الجرّوهو يريدها ؛ ولولا أنّها فى حكم الثابت فى اللفظ لما عملت لا ، لأنّها لا تعمل إلاّ فى نكرة . فأما دلالة الألف فيه وحذفِ النون من نحو لا يدَىْ بها لَكَ على إرادة الإضافة ، فلأنّ وجود العمل مانعٌ فيها من اللفظ ، فضعف اقتضاء المعنى مع وجود المانع اللفظى . فإنَّ هذا مثلٌ لم يُقْصَد به نفى الأب وإنّما قُصِدَ به الذمّ . وكذلك لا يدى لك ، إنّما المراد لا طاقة لك بها . وهو قياس من النحويين على قولهم لا أبا لك . وفى الكتاب : لا أبا فاعلم لك ؛ وفيه دليل على أنّه ليس بمضاف . ويجوز أن تكون الألف لام الكلمة كما قال :

* إنّ أباها وأبا أباها *

فأمّا قوله تخوّفينى ، فإنَّه أراد تخوِّفينَنى فحذف إحدى النونين : فقيل حذف الأولى كما حُذف الاعراب ، فى قول امرئ القيس :

---

(١) الى هنا ينتهى كلام الخصائص بدون تنبيه من البغدادى . وسيستأنف النص بعد قليل .

(٢) الميمنى : « الظاهر شرح شواهد ايضاح ابى على الفارسى وشراحها عدة تراهم فى اقليد الخزانة » .

* فاليوم أشربْ غيرَ مستحقِبٍ[١] *

وقال المبرِّد : حذف الثانية ، وهو أولى لأنّها إنما زيدت مع الياء لتَقِيَ الفعل من الكسرة ، والأولى علامة الرفع . انتهى كلامه[٢] .

١١٩ وإذا كان الأمر كذلك علم أنّ قولهم لا أبالك إنما فيه تعادِى ظاهرِه ، واجتماعُ صورتى الفصل والوصل والتعريف والتنكير لفظاً لا معنى . . . . ونحن إنّما عقدنا فساد الأمر وصلاحَه على المعنى كأن يكون الشيء الواحد فى الوقت الواحد قليلاً كثيرا . هذا ما لا يدّعيه مدّع .

ويؤكّد عندك خروجَه مَخرج المثل كثرته فى الشعر ، وأنّه يقال لمن له أب ولمن ليس له أب . وهو دعاء فى المعنى لا محالة ، وإن كان فى اللفظ خبراً ؛ ولو[٣] كان دعاء مصرّحا وأمراً مَعْنيًا لما جاز أن يقال لمن لا أب له ؛ لأنه إذا كان لا أب له لم يجز أن يدْعى عليه بما هو فيه لا محالة ؛ فيُعلَم أنه لا حقيقة لمعناه مطابقة للفظِه ، وإنّما هى خارجة مخرج المثل ، قال عنترة :

فاقْنَيْ حيَاءكِ لا أبالك واعلمى   أنى امرؤ سأموتُ إن لم أُقتَلِ

---

(١) عجزه كما فى ديوان امرىء القيس ١٢٢ :
* اثما من الله ولا واغل *

(٢) بعده فى ش : « واثنى واثنين وجماعة ضيعت اللبن على التأنيث لأنه كذا جرى أوله » ، وصواب « واثنى » و « أنثى » ، وهو تكرار لما سبق فى نهاية النص السابق المقتبس من الخصائص . والنص التالى ، هو تكملة من البغدادى للاقتباس السالف من الخصائص ، وموضعه فيها ص ٣٤٣ .

(٣) كلمة « ولو » ساقطة من ش ثابتة فى ط والخصائص ١ : ٣٤٤ .

وقال :

أَلْقِ الصحيفةَ لا أبا لكَ انَّه يُخْشَى عليكَ من الحِباءِ النقرسُ[١]

وقال .

أبالموت الذى لابُدَّ أنى مُلاقٍ لا أباكِ تخوِّفينى

أراد : لا أبا لك فحذف اللام . وقال جرير :

* ياتيم تيم عدىٍّ لا أبا لكم[٢] *

وهذا أقوى دليل على كونه مثلاً لا حقيقة . ألا ترى أنه لا يجوز أن يكون لتيم كلِّها أبٌ واحد ، ولكن معناه كلُّكم أهلٌ للدعاء عليه والإغلاظِ له .

وقال الحطيئة :

أَقِلُّوا عليهم لا أبا لأبيكم من اللوم أوسُدُّوا المكانَ الذى سَدُّوا

فإن قلت : فقد أثبتَ الحطيئة فى هذا البيت ما نفيتَه فى البيت قبله ، فجعل للجماعة أباً واحداً ، وأنت قلتَ إنه لا يكون لجماعةِ تيم أبٌ واحد . قيل : الجواب عنه من وجهين : أحدهما أنه مثلٌ لا يريد حقيقة الأب ، وإنّما غرضه الدعاء مُرسَلا ، ففحَّش بذكر الأب . والآخر : يجوز أن يريد بأبيكم الجمع ، أى لا أبا لآبائكم ، يريد الدعاء على آبائهم من حيث ذكرها ، فجاء به جمعا مصححاً على قولك أب وأبون ، قال :

---

(١) البيت للمتلمس ، كما فى ديوانه المخطوط ٨ واللسان (نقرس) .

(٢) عجزه ، كما فى الخصائص وديوان جرير ٢٨٥ . وما سبق فى ٢ : ٢٩٨ :

* لا يلقينكم فى سوءة عمر *

فلما تبيَّنَّ أصواتَنا بكَين وفدَّيننا بالأبينا[١]

انتهى كلامه باختصار .

* * *

وأنشد بعده :

* يا بُؤسَ للجَهْل ضَرَّاراً لأقوامِ *

هذا عجز وصدره :

(قالتْ بنو عامر خالُوا بَنى أسدٍ)

وقد تقدَّم شرحه مفصَّلا فى الشاهد الرابع بعد المائة[٢]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والستون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[٣] :

٢٦٩ (كأنَّ أصواتَ ، مِنْ إيغالِهنَّ بنا ،

أواخِرِ المَيْس إنقاضُ الفَراريجِ)

على أنّه قد فصل ، لضرورة الشعر ، بالظرف بين المتضايفين . والأصل : كأنّ أصواتَ أواخِرِ المَيْس من إيغالهن بنا إنقاض الفراريج .

---

(١) البيت لزياد بن واصل ، كما سيأتى فى الكلام على الشاهد ٣٢٨ ، وهو من شواهد سيبويه ٢ : ١٠١ .

(٢) الخزانة ٢ : ١٣٠ .

(٣) فى كتابه ١ : ٩٢ ، ٢٩٥ ، ٣٤٧ . وانظر الخصائص ٢ : ٤٠٤ والانصاف ٤٣٣ وابن يعيش ١ : ٢/١٠٣ : ٣/١٠٨ : ٤/٧٧ : ١٧٢ وديوان ذى الرمة ٧٦٦ .

فى الأصول لابن السرّاج : وقبيح أن تَفصل بين الجارّ والمجرور فتقول لا أخا هذين اليومين لك[١] قال سيبويه : هذا[٢] يجوز فى ضرورة الشعر لأن الشاعر إذا اضطر فَصل بين المضاف والمضاف إليه . وأنشد هذا البيت .

و (من) للتعليل و (الإيغال) : الإبعاد ، يقال أوغل فى الأرض ، إذا أبعَدَ فيها ، حكاه ابن دريد قال : وكلّ داخلٍ فى شىءٍ دخول مستعجل فقد أوغلَ فيه . وقال الأصمعى فى شرح هذا البيت : الإيغال : سرعة الدخول فى الشىء ، يقال أوغل فى الأمر : إذا دخل فيه بسرعة . والضمير للإبل فى بيت قبله . و (الأواخر) : جمع آخِرة ، بوزن فاعلة ، وهى آخرة الرحل ، وهو العُود الذى فى آخر الرحل الذى يَستند إليه الراكب ، ويقال فيه مُؤْخر الرحل . قال ابن حجر (فى فتح البارى) : هو بضم أوله ثم همزة ساكنة ، وأما الخاء فجزَم أبو عبيد بكسرها وجوَّز الفتح ، وأنكر ابن قتيبة الفتح ، وعكس ذلك ابن مكىّ فقال : لا يقال مُقدِم ومُؤخر بالكسر إلاّ فى العين خاصة ، وأمّا فى غيرها فيقال بالفتح فقط . ورواه بعضهم بفتح الهمزة وتشديد الخاء . انتهى . وقال صاحب الصحاح : ومُؤخِر العين ، مثل مؤمن : الذى يلى الصُدغ ، ومُقْدِمُها : الذى يلى الأنف ، ومُؤْخرة الرحل أيضاً لغة قليلة فى آخرة الرحل ، وهى التى يستند الراكب إليها . قال يعقوب : ولا تقل مُؤَخّرة انتهى . و (المَيْس) بفتح الميم : شجر يُتَّخذ منه الرحال

(١) قد يقال لاجار ولا مجرور هنا . فالجواب أن اللام فى « لك » لتوكيد اضافة الأخ الى ضمير المخاطب ، فهى زائدة لذلك . فهذا قول . ويصح فى مثل هذا التركيب أن تكون اللام أصلية ويكون الظرف فى موضع النعت أو الخبر .

(٢) ط : « وهل » ش : « وهو » ، صوابهما فى سيبويه ١ : ٣٤٧ .

والأقتاب ، وإضافة الأواخر إليه كإضافة خاتَم فضةً . و (الإنقاض) : مصدرُ أنقضَت الدجاجة : إذا صوَّتت — وهو بالنون والقاف والضاد المعجمة — ورُوى بدله : « أصوات الفراريج » جمع فرُّوجة ، وهى صغار الدَّجاج . يريد أنَّ رحالهم جُدُد وقد طال سيرهم فبعض الرحل يحكّ بعضاً فتصوَّت مثلَ أصوات الفراريج ، من شدّة السير واضطراب الرحل .

صاحب الشاهد — وهذا البيت من قصيدة لذى الرُّمّة . ومن أبيات هذه القصيدة قوله :

أبيات الشاهد — (وراكدِ الشَمسِ أجّاجٍ نَصبتُ له حواجبَ القوم بالمَهْرِيَّة العُوجِ
إذا تنازع جالا مَجْهَلٍ قَذَفٍ أطرافَ مُطَّرِدٍ بالحَرِّ منسوجِ
تَلوى الثنايا بأحقِيها حواشِيَه لَىَّ المُلاءِ بأبواب التَّفاريج)

أى ربَّ يوم راكدِ الشمس ، أى لا تكاد شمسه تزول من طوله . وأراد بالأجّاج أنّ ذلك اليوم له توهّج واشتعال كالأُجاج بالضم ، وهو اللهب . وقوله : نصبت له الخ ، أى استقبلته بحواجب القوم . والمَهْرِيّة : الإبل المنسوبة إلى مَهْرة . والعُوج : التى ضَمَرت فاعوجّت .

وقوله : إذا تنازع الخ ، إذا ظرف لقوله نصبت ، أى رب يوم نصبت له حواجبَ القوم إذا تنازع الخ . وأخطأ مَن جعلها شرطيّة وجعل جوابها البيت الذى بعدها .

والجالان ، بالجيم : جانباً بلدٍ مَجْهَل . وقَذَف — بفتح القاف والذال — : البعيد . أراد أن الجالين تنازعا أطراف طريق مطّرد بالحرّ ، أى كأنّه ماء يجىء ويذهب يتبع بعضه بعضا ، يعني السَّرابَ ، فإنه يطّرد كالماء ونسجُه من الحر .

وقوله : تلوى الثنايا فعل وفاعل ، وحواشيه مفعول . والثَّنايا : الطُّرُق في الجبال . والأحْقِي جمع حَقْو ، بفتح فسكون : الوسط ، وأصل الحقو الخصْر وموضع شدّ الإزار ، والباء بمعنى على . والحواشي : الأطراف والنواحي . والضمير راجع إلى المطّرد المراد به السَّراب . ولَيَّ المُلاء : كطَيِّها ، وهو مصدر تشبيهي لقوله تلوى. والمُلاء بالضم والمدّ : المِلْحفة إذا كانت من لِفْقة واحدة . والأبواب : جمع باب . والتفاريج (كما في العباب عن ابن الأعرابي) : فَتحات الأصابع ، واحدها تِفراج بالكسر وخرُوق الدَّرابزِين أيضا . وأنشد هذا البيت وقال : الثنايا الطرق في الجبال . يقول : الثنايا تلوى حواشي السراب أي بلغ السرابُ أوساطَ الثنايا . وحواشيه : أطرافه ، قال شارح الديوان : الثنايا تَلوِي أي تلفّ حواشيَ السَّراب بأوساطها كما يُلوى المُلاء بالمصاريع ، وقيل الدرابزين : وما سمعت أنَّ المُلاء يلوى بمصاريع الأبواب . انتهى . ١٢١

وجوابه أنَّ مراد الشاعر أنَّ الستائر تُوضع وتُربط على الدرابزين وأبوابها للتجمُّل كما يفعله الأغنياء .

وهذا البيت أورده صاحب (الكشّاف) عند قوله تعالى : ﴿ يُكَوِّرُ اللَّيلَ عَلى النَّهَارِ ويكَوِّرُ النَّهارَ عَلىَ اللَّيل[1] ﴾ على تشبيه كل منهما باللباس الذى يُكوّر ويُلَفّ على اللابس ؛ فإنَّ أحدَهما لمّا كان غاشياً للآخر أشبه اللباسَ الملفوف على لابسه في ستره إيّاه واشتماله عليه وتغطّيه به ، كما شبّه ذو الرمة طيّ الهضاب حواشيَ السراب بطيِّ الستائر بالأبواب[2] .

---

(١) الآية ٥ من الزمر .

(٢) في النسختين : « الساتر بالأبواب » ، وصوابه من مقتضى التفسير السابق .

وقد أخطأ شارح شواهد التفسيرين فى قوله : تلوى الثنايا ، جواب فى البيت الذى قبله . فتأمَّلْ .

وترجمة ذى الرمة قد تقدمت فى الشاهد الثامن فى أوائل الكتاب[١]

باب خبر ما ولا المشبهتين بليس

أنشد فيه ، وهو الشاهد السبعون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[٢]

٢٧٠ (وما إنْ طِبُّنا جُبْنٌ وَلَكِنْ مَنَايَانَا وَدَوْلَةُ آخَرِينَا

على أن (ما الحجازيّة) إذا ريد بعدها (إن) لا تعمل عمل ليس ، كما هذا البيت .

قال الأعلم : إنْ كافّة لما عن العمل ، كما كَفَّت ما إنّ عن العمل . والطِب بالكسر ههنا بمعنى العلّة والسَّبب ، أى لم يكن سبب قتلنا الجبن وإنّما كان ما جرى به القدر من حُضور للنية ، وانتقال الحال عنّا والدُّولة .

وقال فى الصحاح : تقول ما ذلك بِطِبِّي أى دَهرى وعادتى . وأنشد ها البيت للكميت[٣] . وهذه النسبة غير صحيحة كما يأتى بيانه قريبا .

و (الجبن) : ضدُّ الشجاعة ، وهو مصدر جبُن جَبناً كقرب قرباً ، فهو جَبانٌ أى ضعيف القلب . والجُبْن المأكول فيه ثلاث لغات ، أجودها سكو

---

(١) الخزانة ١ : ١٠٦ .

(٢) فى كتابه ١ : ٢/٤٧٥ : ٣٠٥ . وانظر السيرة ٩٥٠ والخصائص ٣ : ١٠٨ والمنصف ٣ : ١٢٨ وشرح شواهد المغنى ٣٠ والهمع ١ : ١٢٣

(٣) الذى فى الصحاح (طبب) : « قال الشاعر » ، بدون تعيين فلعل النسبة من نسخة خاصة للبغدادى .

الباء والثانية ضمّ الباء للإتباع، والثالثة وهى أقلُّها التشديد[١] كذا فى الصباح و (المنايا) : جمع منيّة، وهى الموت، لأنَّها مقدَّرة، مأخوذة من المَنا بوزن العصا وهو القدَر، يقال مُنِى له أى قُدِّر بالبناء للمفعول فيهما .

روى السيِّد علم الهدىٰ المرتضى (فى أماليه) أنّ مُسلماً الخزاعىَّ ثمّ المصطلِقىَّ قال : شهدتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وقد أنشده منشد قولَ سُويد بن عامر المصطلِقى[٢] :

لا تأمَنَنَّ وإنْ أمسيتَ فى حَرَمٍ ... إنَّ المنايا بكفَّىْ كلِّ إنسانِ[٣]

واسلُكْ طريقَكَ تَمشى غيرَ مختشِعٍ ... حتّى يُبَيَّنَ ما يمنى لك المانى[٤]

فكلُّ ذى صاحب يوماً يفارقُه ... وكلُّ زادٍ وإن أبقيته فانِ

والخيرُ والشرُّ مقرونانِ فى قَرَنٍ ... بكلِّ ذلكَ يأتيك الجديدانِ[٥]

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو أدركته لأسلم . انتهى .

وأنشد فى الصحاح لهذا المعنى قوله :

* حتّى تلاقىَ ما يَمنى لك المانى * ١٢٢

---

(١) أى تشديد النون .

(٢) أمالى المرتضى ١ : ٣٦٨ وكذا فى العقد ٥ : ٢٧٥ ونسبت فى ديوان الهذليين ٣ : ٣٦ - ٣٩ وشرح السكرى ٧٠٩ لأبى قلابة الهذلى . وكذلك حماسة البحترى ١٣٢ قال : « ورويت لغيره » .

(٣) وكذا فى أمالى المرتضى . وفى الهذليين والسكرى : « بجنبى كل انسان » .

(٤) المرتضى والهذليين والسكرى : « حتى تبيَّنَ » .

(٥) فى الهذليين وشرح السكرى : « ان الرشاد وان الغى فى قرن » .

وفى حواشيه : أوّله :

ولا تقولنْ لشىء سوف أفعلُه حتّى تَبيَّنَ ما يَمنى لك الخ

قال : والبيت لأبى قِلابة الهُذَلى . والله أعلم .

والدّولة بالفتح : الغلَبة فى الحرْب ، وبالضمّ تكون فى المال ، وقيل هما بمعنًى اسمُ لقولك تداول القومُ الشىء ، وهو حصولُه فى يد هذا تارةً وفى يد هذا أخرى . ودالت الأيام تدُول ، كدارت تدور وزنًا ومعنى .

وروى ابن هشام (فى السيرة) بدله : (وطُعْمة آخرينا) .

وفيه مع ذكر الجبن مالا يخفى .

وأورد ابن قتيبة (فى ترجمة خُفاف بن نَدبة من كتاب الشعراء[١]) قوله :

فلم يكُ طِبَّهم جُبنٌ ولكنْ رَميناهم بثالثة الاثافى

قال : وهذا مما يُسأل عنه[٢] .

أقول : ثالثة الأثافى هى الجبل ، لأنه يجعل حجَران إلى جنبه فيكون الثالثَ ؛ فيقول : كانوا شجعانا ليس فيهم جُبْن ولكن رميناهم بداهية عظيمة مثلِ الجبل . وقد روى أبو عبيدة البيتَ هكذا :

فلما أنْ أبوا إلاَّ علينا رميناهم بثالثة الأثافِى

---

(١) الشعراء ٣٠١ .

(٢) الميمنى : « هذه الأبيات يسمينا قدامى العلماء أبيات المعانى . وقول ابن قتيبة مما يسأل عنه ، لم تكرر فى كتابه الا مرة أخرى واحدة قبل بيت قاله يحيى بن نوفل فى سالم بن المسيب :

فتى قد كان يعمل اصبعيه بنافذة من البيض القصار

" يعنى الابرة ، يريد أنه كان خياطا » . انظر الشعراء ٧٢٠ .

وهذا البيت من أبياتٍ لفروة بن مُسَيكٍ المُرَادىّ ، رواها أهل السير صاحب الشاهد كابن هشام[١] والكلاعىّ وغيرهما ، وهى :

(فإن نَغْلِب فغلاّبون قِدْماً وإن نُغلَبْ فغير مغلَّبينا
وما إن طِبُّنا جُبْنٌ ولكن منايانا وطُعْمَةُ آخرينا
كذاك الدهر دُولته سِجالٌ تَكُرُّ صروفُه حيناً فحينا
فبينا ما نُسَرُّ به ونرضى ولو لُبِست غَضارته سنينا
إذَا انقلبت به كَرّاتُ دهرٍ فألفيتَ الأُلى غُبِطوا طَحينا
فمن يَغبِط بريب الدهر منهم يجدْ ريبَ الزمان له خؤونا
فلو خَلَد الملوكُ إذن خَلَدنا ولو بقىَ الكرامُ إذن بَقِينا
فأفنى ذلكم سَرَواتِ قومى كما أفنى القرون الأوّلينا)

قوله : فغير مغلَّبينا ، المغلَّب المغلوب مراراً . والسِجال بالكسر : مصدر ساجل يساجل بمعنى ناوب ، قال الميدانى (فى أمثاله) : المساجلة أن تصنع مثلَ صنيع صاحبك مِن جَرْى أو سَقى ، وأصله من السَّجل وهى الدلو فيها ماء قلَّ أو كثر . وحقيقة السجال المغالبة بالسَّقى بالسجل ، ومنه معنى المباراة والمفاخرة والمعارضة . وتَكُر : ترجع . والصُّروف : الحوادث . والغَضارة بالفتح : الخير والخِصب . وألفَيت : وجدت . وغُبِطوا بالبناء للمفعول من الغبطة اسم من غبَطْته غَبطا من باب ضرب ، إذا تمنّيت مثل ما ناله من غير أن تريد زواله عنه ، لِمَا أعجبك منه وعظُم عندك . ورَيب الدهر : ما يحدث منه . والخؤون بفتح المعجمة : مبالغة الخائن . وقوله : فأفنى ذلكم . الإشارة لكَرّات الدهر وحوادثه . والسَّرَوات : جمع سَرَاة بفتح السين ، وهو مفرد

(١) السيرة ٩٥٠ والروض الأنف ٢ : ٣٤٤ .

بمعنى الرئيس والشريف ، وليس جمعَ سرىّ كما يأتى بيانه فى موضع آخر .

١٢٣ فروة بن مسيك

وفَروةُ بن مُسَيك صحابىٌّ أسلم عامَ الفتح ، وذلك [أنه] لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكّة ودانت له قريش عرفت العرب أنّهم لا طاقة لهم بحَربه فدخلوا فى دين الله أفواجاً ، فقدمت عليه وفود العرب . وممن قَدِم فروةُ بن مُسَيك المرادى ، قدم إلى المدينة وكان رجلا له شرف ، فأنزله سعد ابن عبادة عليه ، ثم غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالسٌ فى المجلس ، فسلَّم عليه ثم قال : يا رسول الله ، أنا لِمَنْ ورائى من قومى . قال : أين نزلت يافروة ؟ قال : على سعد بن عبادة . قال: بارك الله على سعد بنِ عُبادة. وكان يحضر مجلسَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتعلَّم القرآن وفرائضَ الإسلام . وكان بين مُراد وهَمْدان قُبيلَ الإسلام وقعةٌ أصابت فيها هَمْدان من مراد — وكان يقال لذلك اليوم يوم الرَّدْم[1] فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا فروة ، هل ساءك ما أصابَ قومك يوم الرَّدْم ؟ قال : يا رسول الله من ذا يصيب قومَه مثلُ ما أصاب قومى لا يسوؤه ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمَا إنَّ ذلك لم يزدْ قومَك فى الإسلام إلاّ خيراً . وفى ذلك اليوم قال فَروة هذه الأبيات . واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على مُراد وزُبيد ومَذْحِج ، وبعث معه خالدَ بن سعيد بن العاصى على الصدقة ، وكتب فيها كتاباً لا يعدُوه إلى غيره ، وكان خالدٌ معه فى بلاده حتى توفِّىَ رسول الله صلى الله عليه وسلم . كذا فى سيرة ابن هشام والكلاعى .

وذكر الواقدى أنّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه استعمله أيضاً على

(١) الميمنى : « تبع البغدادى فى هذا التصحيف عامة نسخ السيرة والاصابة ، والصواب أنه يوم الرزم ، كما هو عند البكرى وياقوت والبلجرامى . وعند السيوطى ٣١ : يوم الرذم مصحفا » .

صدقات مَذحِج . وذكر غيره أنه انتقل إلى الكوفة فسكنها . وأخرج ابن سعد أنّ رسول الله أجاز فروة بمائتى عشرة أوقيّة ، وحمله على بعير نجيب ، وأعطاه حلّةً من نسج عُمان .

وفروة بفتح الفاء وسكون الراء بعدها واو ، ومُسيك بضم الميم وفتح السين .

ومُراد : قبيلة باليمن .

فإن قلت : كيف اعترف بالانهزام مع ما فيه من العار ؟ قلت : هذا موقوف على سماع قصّته فإن أصحاب المعانى لا يقدرون على فهم مثل هذا إلا بقصّته[1] .

وهى كما رواها أبو محمد الأعرابى (فى فرحة الأديب) : أنه كان صنم مرادٍ فى أعلى وأنعَم ، وهما بطنان من مُراد ، فقالت أشرافٌ [من] مُراد : [مابالُ] آلهتِنا لاتكون فى عَرانيننا[2] ! فأرادوا انتزاع الآلهة منهم ، فخرجوا منهم فأتوا بنى الحارث فاستجاروا بهم ، وأرسلت مراد إلى بنى الحارث أن أخرجوا إخوتَنا من داركم وابعثوا إلينا برجلين منكم لنقتلهما بصاحبنا — وكانت مراد تطلب بنى الحارث بدم ، فلما رأى الحصين بن يزيد بن قَنان أنّ مراداً قد ألحت فى طلب أصحابهم هابَهُم وعلم أنه لاطاقة له بهم . وكانت مراد إذا قُتل منهم رجلٌ قَتَلوا به رجلين ، وكانوا لايأخذون الدية إلاّ مضاعفةً — فسار حصين بن يزيد ، وهو رئيس بنى الحارث ، إلى عُمير ذى

(١) مثل هذا الكلام لأبى محمد الأعرابى فى فرحة الأديب ٥٤ بخط البغدادى ، فما وضعته من النص الآتى بين معكفين فهو من هذا الكتاب .

(٢) ط : « فقالت أشراف مراد الهنا لا يكون فى عرانينا » ش : « فقالت أشراف مراد الهنا لايكون فى عرانيننا » ، صوابه من فرحة الأديب .

مُرَّان ، فسأله أن يركب معه إلى أرحبَ فيصلح بينه وبينهم ، ويسألهم الحلفَ على مراد ، لأنه كان بينه وبين أرحب دماء ، فركب معه إليهم فأصلح بينهم وسألهم أن ينصروه ويحالفوه على مراد ، فقال الحصين : يامعشر أرحب ، إنّى لست بأسعد بهلاكِ مرادٍ منكم — وكانت أرحبُ تُغاور مراداً قبل ذلك — فحالفته أرحب ؛ فسار حصين بن يزيد ببنى الحارث ، وسارت البادية

١٢٤ من همدان وعليهم يزيد بن ثُمامة الأرحبي الأصمّ ، وأقبلت مراد [كأنهم حَرَّة سوداء يدِفّون دفيفاً] ، وعليهم الحارث بن ظَبيان المثلّم ، وكان يكنى أباقيس الأنعمى ، فاقتتلوا بموضع يقال له الردم[1] إلى جنب أباء قتالا شديداً ، فتضعضعت بنو الحارث وأقبل عليهم الحصين فقال : يابنى الحارث ، والله لئن لم تضربوا وجوهَ مرادٍ بالسيوف حتى تخلوَ لكم العَرْصة لأتركنّكم تنفَّلون فى العرب ! ثم أقبل على بادية همدان فقال : يامعشر همدان الصَّبرَ الصبرَ ، لاتقول مراد إنّا لجأنا إلى عدَد همدان وعِزّها فلم يُغنوا عنّا ! فاقتتل القوم قتالا شديداً فقُتل الحصين وصبر الفريقان جميعاً ، فتهيّأت بنو الحارث للفِرار وتضعضعت أرحب ، وقد كانوا أحضروا النّساء معهم فجعلوهنّ خلف ظهورهم ، فلمّا رأت أرحب النساء قد بدت خلاخيلُها للفِرار عادوا للقتال وقالوا : لا نفرّ [حتى يَفِرَّ] يغوث ! وصبروا للقوم ، وصبرت بنو الحارث معهم ، فانهزمت مراد واستحرّ القتلُ فيهم ، وسبَوْا نساء من نسائهم ، فأدرك الإسلامُ وهُنّ فى دُور همدان ، وقُتل المثلّم رئيس مراد ، وعزيز ، وقيس ، ونِمْران ، وسُمَىّ ، المراديّون . وقتل فى ذلك اليوم الحصين بن يزيد الحارثى . وقال فى ذلك يزيد ابن ثمامة الأرحبى :

---

(١) انظر ما سبق فى حواشى ص ١١٦ .

لقد علم الحىُّ المصبَّح أنَّني بجنب أباه غيرُ نِكس مُواكِل
تركت عزيزاً تَحجِل الطيرُ حوله وغشّيت قيساً حدَّ أبيضَ فاصِلِ[(١)]
ونِمْرانَ قد قضّيت منه حَزازةً على حَنَق يوم التفاف القبائل[(٢)]
عِكَبٌّ شفيتُ النفسَ منه وحارثُ بنافذةٍ فى صدره ذى عوامل
وأردَتْ سُمياًّ فى المَكرِّ رماحُنا وصادف موتاً عاجلاً غير آجل

وبهذه القصيدة[(٣)] يعرف معنى قوله :

* فإنْ تَهزِمْ فهزّامون قِدما * (البيت)

وذلك أن مراداً لم تدر عليهم دائرة قبل يوم الردم[(٤)] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والسبعون بعد المائتين[(٥)] :

٢٧١ (بَنى غُدانةَ ماإنْ أنتمُ ذَهباً ولا صريفاً ولكنْ أنتمُ الخزَفُ)

على أنه قد جاءت (إن) بعد (ما) غير كافّة . وقد بينه الشارح المحقق.

قال ابن هشام (فى شرح شواهده) : النصب رواية يعقوب بن السكيت، والرفع رواية الجمهور على أنَّ إن كافّة لما عن العمل . قال : وزعم الكوفيون

(١) كذا فى النسختين ، والوجه « قاصل » بالقاف ، وفى اللسان : « وسيف قاصل ، ومقصل ، وقصال : قطاع » .
(٢) ط : « منهم » والتصحيح للشنقيطى فى نسخته .
(٣) كذا فى النسختين ، وهى صحيحة ، وقد تكون « القصة » .
(٤) انظر ما سبق من تحقيق الكلمة فى حواشى ص ١١٦ .
(٥) شرح شواهد المغنى ٣١ وشذور الذهب ١٩٤ والتصريح ١ : ١٩٦ والعينى ٢ : ٩١ والهمع ١ : ٢٣

على رواية النصب أنّ إنْ نافية لا كافة . ويلزمهم أن لا يبطل عملها كما لا يبطل عملُها إذا تكرّرت على الصحيح ، بدليل قوله :

لا يُنسِكَ الأسَى تأسّياً فما   ما من حمامٍ أحدٌ معتصما[1]

ومعنى : هذا البيت : لا يُنسِك ما أصابك من الحزن على من فقدته أن تتأسّى بمن سبقك ممّن فَقَد أحبابه ، فليس أحدٌ ممنوعا من الموت . ومن زعم أنّ ما إذا تكرّرت يبطل عملها جعل منفيّ ما الأولى محذوفا ، أى فما ينفعك الحزن ، وهو تكلّف .

واستشهد شراح الألفية بهذا البيت — على رواية رفعه — على أنّ إن فيه كافّة . و (بنى غُدانة) منادى بتقدير يا ، وغدانة بضم الغين المعجمة : حيّ من يربوع من بنى تميم . و (الصَّريف) بفتح الصاد والراء المهملتين ، قال ابن السكّيت : هو الفضّة . وأنشد هذا البيت . و (الخَزَف) بفتح المعجمتين قال ثعلب (فى أماليه) : هو ما عُمِل من طين وشُوِى بالنار حتى يكون فخّاراً . وأنشد هذا البيت : ولم أر مَنْ نسب هذا البيتَ لقائله مع كثرة الاستشهاد به فى كتب النحو واللغة . والله أعلم

١٢٥

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والسبعون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[2] :

---

(١) العينى ٤ : ١١٠ والهمع ١ : ١٢٤/٢ : ١٢٥ والأشمونى ٣ : ٨٣ ويس ٢ : ١٣٠

(٢) فى كتابه ١ : ٣٦٤ . وانظر الانصاف ٢٦٩ والعينى ٤ : ٤٩٦/٨ : ١٢٩ والهمع ١ : ٢٢٣ ، ٢٢٥/٢ : ١٥٨ وديوان النابغة ١٦ .

٢٧٢ (إلاّ أوارِىَّ ماإنْ لا أبينُها)

على أنّ الفرّاء أنشده بالجمع بين ثلاثة أحرف نافية ، والرواية : (لأياً ماأبينها) . هذه الرواية أنشدها الفراء (فى تفسيره المسمّى بمعانى القرآن فى أواخر سورة يونس) عند قوله تعالى ﴿ فَلولاَ كانتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فنفَعَها إيمانُها إلاّ قومَ يُونُس[١] ﴾ . وهذا نص كلامه : فى قراءة أُبَىٍّ (فهَلاَّ) لأنَّ معناها أنَّهم لم يؤمنوا ، ثم استثنى قوم يونس بالنصب على الانقطاع مما قبله ، ألا ترى أنَّ مابعد إلاّ فى الجحد يتبع ماقبلها فتقول : ماقام أحـدٌ إلاّ أبوك ، وهل قام أحدٌ إلاَّ أبوك ، لأنّ الأب من الأحد : فإذا قلت : مافيها أحد إلا كلباً وحمارا ، نصبت لأنها منقطعةٌ مما قبلَ إلاَّ[٢] ، إذ لم يَكنْ[٣] من شكله ولا جنسه : كذلك كان قوم يونس منقطعين من قوم غيره من الأنبياء . ولو كان الاستثناء هاهنا وقع على طائفةٍ منهم لـكان رفعًا . وقد يجوز الرفع فيها كما أن المختلف فى الجنس قد يتبع فيه مابعد إلاَّ ماقبل إلا كما قال الشاعر[٤] :

وبلدةٍ ليس بهـا أنيسُ إلا اليعافير وإلا العيسُ

والنصبُ فى قوله تعالى : ﴿ مالهُمْ بهِ مِنْ عِلْمٍ إلاّ اتباعَ[٥] الظَّن ﴾ لأنَّ تتبُّع[٦] الظنِّ لا ينسب إلى العلم . وأنشدونا بيت النابغة بالنصب :

---

(١) الآية ٩٨ من سورة يونس . وانظر معانى الفراء ١ : ٤٧٩

(٢) فى النسختين : « لأنهم منقطعون مما قبل الا » ، صوابه من معانى الفراء .

(٣) فى النسختين : « لم يكونوا » صوابه من معانى الفراء .

(٤) هو جران العود . ديوانه ٥٢ . وسيأتى الكلام عليه فى الشاهد ٨٠٤ .

(٥) الآية ١٥٧ من النساء .

(٦) فى المعانى : « لأن اتباع » .

. . . . وما بالربع مِنْ أحَدِ
إلا أوارىَّ ماإن لا أُبيِّنها[1] . . . .

قال الفرّاء : جمع فى هذا البيت بين ثلاثة أحرفٍ من حروف الجحد : لا ، وإن ، وما . والنصب فى هذا النوع المختلفِ من كلام أهل الحجاز ، والإتباعُ من كلام تميم . انتهى كلام الفرّاء .

وأراد اجتماعهـا على سبيل التوكيد ، لا أنّ الثانى نافٍ للنفى فيُثبِت ، والثالثَ نافٍ للثانى فيَنْفى .

وقد أورد الفرّاء (فى تفسيره) الرواية التى ذكرها الشارح فى أواخرسورة النساء عندقوله تعالى ﴿ لاخَيْرَ فى كثيرٍ مِنْ نجْواهُم إلا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقةٍ[2] ﴾ قال : مَنْ فى موضع خفضٍ ونصبٍ[3] : الخفضُ إلا فيمن أمرَ بصدقة . والنَّجوى ههنا رجال كما قال تعالى : ﴿ وإذْهُم نجْوَى[4] ﴾ ومن جعل النَّجوى فعلاً كما قال تعالى : ﴿ ما يَكُونُ مِنْ نجْوى ثلاثةٍ[5] ﴾ فَمَنْ حينئذ فى موضع رفع . وأما النَّصب فأن تجعل النجوى فعلًا فإذا استثنيت الشىء من خلافه كان الوجه النصبَ ، كما قال الشاعر :

. . . . وما بالربع مِنْ أحد
إلا أوارىَّ لأياً ما أبينها والنُّؤى كالحوض بالمظلومة الجَلَد

---

(١) فى النسختين : « لا ان ما » ، صوابه من معانى الفراء ومما سبق .

(٢) الآية ١١٤ من سورة النساء . وانظر معانى الفراء ١ : ٢٨٧ .

(٣) وكذا فى معانى الفراء ، مع أنه تعرض للرفع فيما بعد

(٤) الآية ٤٧ من الاسراء .

(٥) الآية ٧ من المجادلة .

وقد تكون فى موضع رفع وإن رُدَّت على خلافها ، قال الشاعر :

وبلدةٍ ليس بها أنيسُ إلاّ اليعافيرُ وإلاّ العيس[1] انتهى

وإنَّما سقنا كلاَمه فى الموضعين بُرمّته للتبرك ، وليُعلَم طرز تفسيره ، فإنه لقدمه قلّما يطلع عليه أحد[2] .

وقد أورده الزجاجى[3] بهذه الرواية أيضاً (فى تفسيره المعروف بمعانى القرآن) فى سورة البقرة عند قوله تعالى : ﴿ إنّكُمْ ظَلَمْتُمْ أنفُسَكُمْ باتخاذِكُمُ العِجْلَ[4] ﴾ قال : الظُّلم فى اللغة : وضع الشىء فى غير موضعه ، العرب تقول : « مَنْ أشبهَ أباه فما ظَلَمَ » معناه لم يقع الشبهُ غيرَ موقعِه ؛ ويقال ظلم فلان سِقاءه إذا شرب وسَقى منه قبل إدراكه ، وأرض مظلومة ، إذا حُفر فيها ولم يكن حُفِر فيها قبلُ ، وإذا جاء المطر يقربها ويتخطّاها . قال النابغة : ١٢٦

إلا الأُوارىَّ لأياً ما أبينها والنؤى كالحوض بالمظلومة الجَلَدِ

وأورده الزجّاج أيضا عند قوله تعالى : ﴿ ولَوْ أنّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أنِ اقتُلُوا أنفُسَكُمْ أو اخْرُجُوا مِنْ دِيارِكُم[5] ﴾ . قال : وأمّا رفع (إلاَّ قليلٌ منهم) فعلى البدل من الواو ، والمعنى ما فعله إلا قليل . والنصب جائز فى غير القرآن على معنى ما فعلوه ، أستثني قليلا منهم . وعلى ما فسّرناه فى نصب

---

(١) سبق الكلام عليه قريبا .

(٢) طبع معانى القرآن للفراء بدار الكتب المصرية سنة ١٣٧٤ بتحقيق الاستاذين أحمد يوسف نجاتى ومحمد على النجار .

(٣) الميمنى : « الصواب الزجاج ، والتفسير المذكور له للزجاجى . وهو على الصواب فى سائر المظان . انظر اقليد الخزانة » .

(٤) الآية ٥٤ من البقرة .

(٥) الآية ٦٦ من النساء .

الاستثناء فإن كان فى النفى نوعان مختلفان فالاختيار النصب ، والبدل جائز ، تقول : ما بالدار أحدٌ إلا حِماراً . قال النابغة الذبيانى :

وَقَفْتُ فيهـا أُصيـلالا أسائِلُهـا عَيَّتْ جَوَابًا وما بالرَّبْعِ مِنْ أحدِ
إلا أواريَّ لأيًا ما أبيِّنُهـا . . . . الخ

فقال : ما بالربع من أحد ، أى ما بالربع أحدٌ إلاّ أواريَّ . لأنَّ الأواريَّ ليست من الناس . وقد يجوز الرفع على البدل وإن كان من غير جنس الأوّل كما قال الشاعر :

وبلدةٍ ليسَ بهـا أنيسُ إلاّ اليعافيرُ وإلاّ العيسُ

فجعل اليعافير والعيس بدلاً من الأنيس . وجائز أن يكون جعل أنيسَ ذلك البلد اليعافير والعيس . انتهى كلامه .

وقد رويا كلاهما إلاّ الأواريُّ معرّفا ومنكّرا . قال أبو البقاء (فى شرح الإيضاح) حكى عبدُ القاهر عن شيخه عبد الوارث ابن أخت أبى علىّ أنّه قال : الجيّد أن يروى « إلاّ الأواريّ » بالألف واللام ، ليكون الفتح خالصاً . وإذا نُكّر جاز أن يكون بدلاً من أحد ، ولكن لم يُكسر لأنه غير منصرف . انتهى .

وقوله : « وإذا نكّر جاز أن يكون بدلاً من أحد » هذا الجواز ممنوع عند البصريين . وقد بينه ابن السِّيد (فى شرح أبيات الجمل) قال : ويروى عن الكسائى أنّه أجاز خفض الأواريّ على البدل من لفظ أحد . وهذا عند البصريِّين خطأ ؛ لأنه يصير التقدير : وما بالربع إلاّ من أوارى ؛ فتكون من زائدة فى الواجب . ومِنْ لا تزاد إلاّ فى النفى . ولو أنها مِن التى تدخل على الموجب والمنفىّ لجاز ذلك كقولك : ما أخذت من أحد إلا زيدٍ درهماً .

وهذا البيت من قصيدةٍ للنابغة الذبيانى مدح بها النعمانَ بنَ المنذر ، صاحب الشاهد واعتذر إليه مما بلغه عنه . وهذا مطلع القصيدة :

(يا دارَمَيَّـةَ بالعَلْيَـاء فالسَّـنَدِ أَقْوَتْ وَطالَ عليها سَالِفُ الأبَدِ

وقفتُ فيهـا أُصيـلانًا أُسائلُهـا عيَّتْ جوابًا ومابالرَّبع مِنْ أَحَدِ[1]

إلا الأواريّ لأيا . . . . البيت)

وقد تقدّم شرح أبيات كثيرة منها فى عدّة مواضع[2] .

وقد أورد سيبويه هذه الأبيات الثلاثة ، قال الأعلم : الشاهد فى قوله : إلا الأواريّ بالنصب على الاستثناء المنقطع ، لأنها من غير جنس الأَحدِينَ . والرفع جائز على البدل من الموضع . والتقدير : وما بالربع أحد إلا الأواريُّ . على أن يُجعل من جنس الأحدِينَ اتّساعا ومجازاً . انتهى .

١٢٧

قال ابن السِّيد : الرفع على البدل من موضع من أحد . لأنّ مِن زائدة وأحد مرفوعٌ فى المعنى وإن كان مخفوضًا فى اللفظ ، وليست ببدل من موضع الجارّ وحده ، ولا من موضع المجرور وحده ، ولـكنها بدل من موضعهما معًا .

والبيت الأول يأتى شرحه إن شاء الله فى الفاء من حروف العطف[3] .

وقوله : وقفت فيها[4] البيتين ، وصف أن داريَّة خلت من أهلها ، فسألها توجُّعا وتذكّراً لمن حلّ بها فلم تجبه ؛ إذْ لا مجيب بها ولا أحدَ فيها إلا الأواريُّ ؛ وهى محابس الخيل ، واحدها آريّ ؛ وهو من تأرّيت

---

(١) ش : « أصيلالا » ، وهى رواية ولغة فى « أصيلان » بالنون .

(٢) الصواب فى موضعين . انظر الشاهد ٢٣٦ وقد سبق فى ٣ : ٤٠٣ والشاهد ٢٤٧ وسيأتى فى ٤ : ٣ بولاق .

(٣) وهو الشاهد ٨٨٩ .

(٤) ط : « وقفت بها » ، صوابه فى ش .

بالمكان : إذا تحبستَ به . واللأْى : البُطء . والمعنى : تبيَّنتها بعد بُطءٍ لتغيُّرها . والنؤىُ : حاجز حولَ الخباء يَدفع عنه الماء ويُبعِده ؛ وهو من نأيت إذا بعدت . وشبَّهه فى استدارته بالحوض . والمظلومة : أرض حُفر فيها الحوض لغير إقامة لأنَّها فى فَلَاة فظُلمت بذلك ، وإنما أراد أنَّ حفر الحوض لم يُعمَّق فذلك أشبه للنؤى ، ولذلك جعلها جَلَدا ، وهى الصُّلبة .

هذا ما قاله الأعلم إجمالا ، وأما تفصيلا ، فقوله : « أصيلانا » منصوب على الظرف وفيه ثلاثة أقوال : الأوّل أنه مصغر أَصِيل على غير قياس كأنه تصغير أُصلان ، قاله ابن السيد . الثانى : أنه تصغير أُصلان وهو جَمع أصيل كرغفان جمع رغيف . وردَّه أن جمع الكثرة لا يصغَّر إلاّ بردِّه إلى المفرد . الثالث : أنه مصغَّر أُصلان أيضًا ، لكن أُصلانا اسمٌ مفرد بمعنى الأصيل مثل الثُّكلان والغفْران . حكى هذين القولين شارحُ الديوان واللخمىّ . وروى أيضًا : « أصيلالا » بإبدال النون لامًا . والأصيل : الوقت بعد العصر إلى المغرب . وروى أيضًا :

* وقفت فيها أَصِيلاً كى أسائلَها *

وروى أيضا :

* وقفت فيها طويلاً كى أسائلها *

وهو إمَّا بتقدير وقوفا طويلا وإمّا بتقدير وقتًا طويلا . وقوله : أسائلها ، الجملة حال : إمّا من تاء وقفتُ فهى جارية على من هى له ، وإمّا من ضمير فيها فتكون لغير من هى له . وإنما جاز الوجهان لأنّ فى أسائلها ضميراً راجعًا الى السائل وضميراً راجعًا للمسئول ، واستتر الضمير مع جريان الحال على غير من هى له لأنّ الفعل يستتر فيه ضمير الأجنبى وغيره ، لقوّته فى الإضمار . فعلى

الأوّل تقديره مُسائلَها ، وعلى الثاني مُسائلَها أنا ، باظهار الضمير . ولا يجوز أن تكون الجملة حالاً من الضميرين على حدّ لقيته راكبين ، لاختلاف العاملين ، ولِمَا في ذلك من التناقض . كذا قال ابن السيد .

وقوله : عيَّت ، استئناف بيانيٌّ ، وقيل حال ، بتقدير قد ، من ضمير الدار في أسائلها . يقال عَيِيت بالأمر بالكسر : إذا لم تعرف وجهه ، وروى أيضًا : « أعيت » بالألف ، أي عَجَزت . وجوابًا : إمّا تمييز محوّل عن الفاعل أي عيّ[1] جوابُها ، ثم أسند الفعل إلى ضمير الدار . وهذا كقوله[2] :

* وقفت برسمِها فعيَّ جوابها[3] *

وإمّا منصوب بنزع الخافض أي عيَّت بجواب ، ذكرهما ابن السيد .

وقال اللخميّ : جوابًا منصوب على المصدر ، أي عيَّت أن تجيب جوابا . وفيه نظر ظاهر .

وقوله : وما بالربع الخ ، قال ابن السيِّد . إن شئت جعلتَها لا محلّ لها من الإعراب ، وإن شئتَ كانت حالاً من ضمير عيّت المستتر أو من ضمير أسائلها ، ويلزم على هذا تقدير ضمير صاحب الحال ، أي وما بالربع منها . وعند الكوفيّين أل في الربع مُعاقِبة للضمير ، أي وما بربعها . انتهى .

١٢٨

والرَّبع ، بالفتح : مَحَلَّة القوم ومنزِلهم أينما كان . والمربع ، كجعفر : منزلهم في الرَّبيع خاصّة . ولم يصب اللخميّ في قوله : الربع المنزلُ في الربيع

(١) ط : « عن » والتصحيح للشنقيطي في نسخته .

(٢) هو أبو صخر الهذلي . أمالي القالي ١ : ١٤٨ .

(٣) عجزه :

* فقلت وعيني دمعها سرب همر *

خاصةً ، ثم كثر في كلامهم حتى قيل لكل منزل ربع ، وقوله : مِن أحد ، من زائدة ، وأحد فاعل الظرف . وقوله :

* إلاّ الأوارى لأيًا ما أبيِّنها *

الأوارى يقال لها الأواخىُّ أيضًا ، وهما جمع آريّة وآخيّة بمد الهمزة وتشديد الياء فيهما ، وهى التى تُحبَس بها الخيل من وتِد وحَبْل . واللأى ، قال ابن السيد : هو مصدر لم يُستعمل منه فعل إلاَّ بالزيادة ، يقال التأى ولا يقال لأى . والمظلومة فيها أقوال : قيل هى الأرض حُفر فيها ولم يكن بها حفرٌ قبل ذلك ، وقيل هى التى أتاها سيلٌ من أرض أخرى ، وقيل هى أرض مُطرت فى غير وقتها . وشِعْر النابغة يقتضى الأوّل . وقال ابن السكيت : إنما قيل بالمظلومة ، لأنّهم مرُّوا فى بريَّة فحفروا فيها حوضًا وليس بموضع حفر ، فجعلوا الشىء فى غير موضعه . والجَلَد ، بفتح الجيم واللام : الأرض الصُّلبة من غير حجارة ، قال ابن السيد : وخصّها بذلك لأنّها إذا كانت صُلبة تعذَّر الحفرُ فيها فلم يعمق الحفر فيها ، فهو أولى لتشبيه النؤى به . وفى رواية : الأوارىُّ والنؤىُ ، بالرفع على لغة تميم ، بالإبدال من موضع [من[١]] أحد ، وذلك على ثلاثة أوجه :

الأوّل أنّه أراد ما[٢] بالربع إلاّ الأوارىّ ، فذكر مِن أحدٍ تأكيداً ، وكأنه فى التقدير : ما بالربع شىء أحدٌ ولا غيرُه إلاّ الأوارىّ .

والوجه الثانى : أنه جعل الأوارىّ من جنس أحد على المجاز ، كما تقول

(١) التكملة من ش .

(٢) سقطت « ما » من المطبوعة .

تَحِيَّتُه السَّيف ، وما أنت إلا أكلٌ وشرب ؛ فجعل التحيةَ السيفَ ، وجعله الأكل والشرب مجازا .

والوجه الثالث : أنّه خلط من يَعقل بما لا يعقل ، ثم غلَّب من يعقل فقال : وما بالربع من أحد ، وهو يريد من يعقل ومالا يعقل ، ثم أبدل الأواريّ من لفظٍ اشتمل عليه وعلى غيره .

والقولان الأوّلان لسيبويه ، والثالث للمازنى .

وقوله : كالحوض ، قال ابن السيد : يحتمل وجهين : إنْ جعلت النؤى مرفوعاً بالابتداء فالظرف خبره ، وإنْ جعلته مرفوعاً بالعطف على الأواريّ فالظرف حال من النؤى — كمن نصب النؤى بالعطف على الأواريّ — وعامل الحال إذا نُصب النؤى معنى الاستثناء ، وإذا رفع فمعنى الاستقرار فى قوله بالربع . وقوله : بالمظلومة ، حال من الحوض والعامل مافى الكاف من معنى التشبيه[1] . فإن قلتَ : أيُّ (ما) هى فى قوله لأيا ًما أبينها ؟ قلتُ : هى كالتى فى قوله تعالى : ﴿ إنَّ اللهَ لا يَسْتَحْيِي أنْ يَضرِبَ مَثلاً ًما بَعُوضَةً[2] ﴾ قال صاحب الكشّاف : وما هذه إبهاميّة ، وهى التى إذا اقترنت باسم نكرة أبهمته إبهاماً وزادته شياعاً وعُموما ، كقولك : أعطنى كتاباً ًما — تريد أيَّ كتاب كان — أو صلة للتأكيد كالتى فى قوله تعالى : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُم[3] ﴾ انتهى . فالمعنى أنّ هذا الربع لخلوّه من الأهل

(١) ط : « فى معنى التشبيه » ، صوابه فى ش .

(٢) الآية ٢٦ من البقرة .

(٣) من الآية ١٥٥ من النساء « فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله » ، والآية ١٣ من المائدة « فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية » .

قد سَفت الريح عليه التراب حتى خفيت الأواريُّ فيه ، فلا تظهر للناظر باديَ بدء ، وإنما يستبينها ببطء بعد التأمُّل .

فإنْ قلت : رواية الفَراء[1] تناقض روايةَ الجمهور ؛ فإنَّ روايته صريحة فى نفى استبانة الأواريّ ، وحينئذ لا معنى لاستثناء الأوارى . قلتُ : هى بتقدير ما أبينها بسرعةٍ بل ببطء ، فتطابق رواية الجمهور ويصحّ الاستثناء .

١٢٩ فإن قلتَ : هل يصحُّ أن تكون «ما» فى رواية الجمهور نافية ؟ قلتُ : لا ، لأنَّ المعنى حينئذ أنَّ الأواريَّ لم أتبيَّنْها ببطء بل بسرعة . وهذا خلاف مراد الشاعر ، فتأمَّل . وفى ذكر الأواريّ دلالة على أنَّ أهل الرَّبع ذَوُو عزّ وشجاعة لاقتنائهم الخيل . والله أعلم .

وترجمة النابغة الذُّبيانى قد تقدمت فى الشاهد الرابع بعد المائة[2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والسبعون بعد المائتين[3] :

٢٧٣ (وما الدَّهْرُ إلاَّ مَنْجنُونًا بأهْلِهِ وَما صاحِبُ الحاجاتِ إلاَّ مُعَذَّبَا)

على أن يونس استدلَّ به على إعمال ما مع انتقاض نفيها بإلاَّ .

وأجيب بأن المضاف محذوف من الأوّل ، أى [يَدور[4]] دورانَ منجنون ، ويدور خبر المبتدأ ، فحذف هو والمصدر وأقيم منجنون مقام المصدر .

---

(١) للفراء روايتان ، وانما يريد البغدادى رواية « الا أوارى لا ان ما ابينها » .

(٢) الخزانة ٢ : ١٣٥ .

(٣) انظر المقرب لابن عصفور والتصريح ١ : ١٩٧ والأشـــمونى ١ : ٢٤٨

(٤) التكملة من ش .

وأنَّ الثانى أصله وما صاحب الحاجاتِ إلاّ يعذّب معذَّبا أى تعذيباً ، فيعذّب خبر المبتدإ ، فحذف وبقى مصدره . فلا عمل لما فى الوضعين .

وخرَّجه صاحب اللب على أنه بتقدير : وما الدهر إلاّ يُشبه منجنونا ، وما صاحب الحاجات إلاّ يشبه معذَّبا ، فهما منصوبان بالفعل الواقع خبرا ؛ ومعذَّب على هذا اسم مفعول ، وهذا أقل كُلْفَة .

وقال شارح اللب السيدُ عبد الله : ويجوز أن يكون — أى منجنونا — منصوباً على الحال والخبر محذوف ، أى وما الدَّهر موجوداً إلاّ مثلَ المنجنون ، لا يستقرُّ فى حالة . وعلى هذا تكون عاملة قبلى انتقاض نفيها . وكذا يكون التقدير فى الثانى : أى وما صاحب الحاجات موجوداً إلاّ معذَّباً . ولا تقدّر هنا مِثْل ، لأنّ الثانى هو الأوّل .

وقال ابن هشام (فى شرح شواهده) : وجوَّز ابن بابْشاذَ أن يكون الأصل إلاّ كمنجنون ، ثم حذف الجارّ فانتصب المجرور . ومن زعم أن كاف التشبيه لا يتعلق بشىء فهذا التخريج عنده باطل ، إذْ كان حقُّه أن يرفع المجرور بعد حذفها ، لأنّه كان فى محلِّ رفعٍ على الخبريَّة ، لا فى موضع رفع باستقرارٍ مقدَّر ؛ فإذا ذهب الجارُّ ظهر ما كان للمحلّ . انتهى .

وعندى أن يكون من قبيل تأويل من قرأ : ﴿ وَنَحْنُ عُصْبَةً[(١)] ﴾ بالنصب ، أى نُرَى عصبة . والظاهر أن هذا أسهل .

ورواية البيت كذا هى الرواية المشهورة ، ورواه ابن جنّي (فى المحتسب) عند قراءة ابن مسعود : ﴿ إنْ كلٌّ إلاّ لَيُوَفِّيَنَّهُم[(٢)] ﴾ من سورة هود :

---

(١) الآية ٨ ، ١٤ من يوسف .
(٢) الآية ١١١ من هود . وانظر المحتسب ١ : ٣٢٨ طبع لجنة احياء التراث .

أرى الدهر إلاّ مَنْجَنُوناً بأهله وما طالبُ الحاجات إلاّ معلَّلا

قال : معنى هذه القراءة مَا كُلٌ إلاَّ واللهِ ليوفينَّهم ، كقولك : ما زيدٌ إلاّ لأضربنَّه ، أى ما زيد إلاّ مستحق لأن يقال فيه هذا . ويجوز فيه وجه ثانٍ : وهو أن تكون إنْ مخفَّفة من الثقيلة وتجعل إلاّ زائدة . وقد جاء عنهم ذلك ، قال :

أرى الدّهر إلاّ منجنونا (البيت)

أى أرى الدهر منجنوناً بأهله يتقلّب بهم ، فتارة يرفعهم وتارة يخفضهم . انتهى .

قال ابن هشام (فى المغنى) : إنّما المحفوظ : وما الدهر . ثم إن ثبتت روايته فيتخرّج على أنّ أرى جوابٌ لقسم مقدّر وحذفت لا ، كحذفها فى : ﴿ تاللهِ تَفْتَؤُ تَذْكُرُ[1] ﴾ ، ودلّ على ذلك الاستثناء المفرغ . انتهى .

١٣٠ وهذا البيت نسبه ابن جنى (فى كتاب ذا القد[2]) لبعض العرب . و (المنجنون) : الدولاب الذى يستقى عليه ؛ وهو مؤنث . قال ابن جنى (فى شرح تصريف للمازنيّ المسمى بالمنصف) : ليس منجنون من ذوات الخمسة ، هذا محال ، لأجل تكرير النون ، وإنما هو مثل حنْدَقُوق ملحق بعَضْرفوط . ولا يجوز أن تكون الميم زائدة : لأنّا لا نعلم فى الكلام مَفْعَولا . ولا يجوز أن تكون الميم والنون جميعاً زائدتين ، على أن تكون الكلمة ثلاثيّة من

(١) الآية ٨٥ من سورة يوسف .

(٢) فى هامش ش والمطبوعة : « ذا القد كتاب جمعه ابن جنى من كلام شيخه أبى على رحمهما الله تعالى » . قال الميمني : « وكذا فى نسخة من الأدباء ، وفى أخرى : ذى القد » . وانظر معجم الأدباء ١٦ : ١١٣ حيث

لفظ الجن ، من جهتين : إحداهما أنك كنت تجمع فى أول الكلمة زيادتين وليست الكلمة جارية على فعل مثل منطلق ومستخرج . والأخرى : أنّا لا نعلم فى الكلام مَنْفعولا فيُحمل هذا عليه . ولا يجوز أيضاً أن تكون النون وحدَها زائدة: لأنها قد ثبتت فى الجمع فى قولهم مناجين ، ولو كانت زائدة لقيل مجاجين ، فإذا لم يجز أن تكون الميم وحدها زائدة ، ولا النون وحدها زائدة ، ولا أن يكونا كلتاهما زائدتين ، لم يجز إلاّ أن يكونا أصلين وتجعلَ النون لاماً مكرَّرة ، وتكون الكلمة مثل حَنْدَقوق ملحقة بعَضْرفُوط .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والسبعون بعد المائتين وهو من شواهد س[1] :

٢٧٤ * فأصبَحوا قد أعادَ اللهُ دُولتَهمْ
إذْ هُمْ قُريشٌ وإذْ ما مِثْلَهمْ بَشَرُ *

بأنّ سيبويه حكى أن بعض الناس ينصب (مثلَهم) . وهذا لا يكاد يعرف . وقيل : إن خبر ما محذوف ، أى إذْ ما فى الدنيا بشر ، ومثلَهم حال من بشر ، وانتصابه عند الكوفيين على الظرف أى فى مثل حالهم وفى مثل مكانهم من الرفعة .

قول سيبويه مبنى على إعمال ما ، والقولان بعده مبنيان على إهمالها . قال

---

(١) فى كتابه ١ : ٢٩ . وانظر مجالس العلماء للزجاجى ١١٣ وشرح شواهد المغنى ٨٤ ، ٢٦٥ والعينى ٢ : ٩٦ والتصريح ١ : ١٩٨ والهمع ١ : ١٢٤ ، ٢١٩ ، ٢٤٩ والأشمونى ١ : ٢٣٠ ، ٢٤٨ وديوان الفرزدق ٢٢٣ .

سيبويه : وهذا لا يكاد يعرف ، كما أنّ ﴿ لاتَ حِينُ مَناص[١] ﴾ كذلك . وربَّ شيء هكذا . قال السيرافيّ : يعني أنّ نصب مثلَهم بشر على تقديم الخبر قليل ، كما أنّ (لاتَ حينُ مَنَاص) بالرفع قليل لا يكاد يعرف . انتهى .

وقال أبو جعفر النحّاس : يذهب سيبويه إلى أنه نصب مثلهم على أنه خبر وإنْ كان مقدماً ، فكأنه يجيز ما قائماً زيد . (أقول) : كيف ينصبونه مقدماً ؟ قال النحاس : سألت أبا إسحاق عما قاله المبرد فقال : إنّه لعمري من بني تميم . ولكنه مسْلم قدقرأ القرآن وقرأ فيه : ﴿ ما هذا بشرا[٢] ﴾ وقرأ : ﴿ ما هنّ أمّهاتِهم[٣] ﴾ فرجع إلى لغة من ينصب ، فلا معنى للتشنيع بأنه من بني تميم . انتهى .

أقول : من نصب لا ينصب مع تقدُّم الخبر ، فلا يصحُّ هذا جواباً . وقيل : أراد الفرزدق أن يتكلَّم بلغة الحجاز فغلِط . وهذا باطل ، فإن العربيَّ لا يمكن أن يغلَط لسانه ، وإنما الجائز غلطه في المعاني .

وقال الأعلم : والذي حمله عليه سيبويه أصحُّ عندي وإنْ كان الفرزدق تميمياً : لأنَّه أراد أن يخلِّص للمعنى من الاشتراك : وذلك أنه لو قال فيه إذ ما مثلهم بشر بالرفع ، لجاز أن يُتوهَّم أنه من باب ما مثلُك أحداً ، إذا نفيت عنه الإنسانية والمروءة ، فإذا قال : ما مثلَهم بشر بالنصب لم يتوهَّم ذلك وخلص المعنى للمدح دون توهُّم الذم. فتأمله تجده صحيحاً . والشعر موضع ضرورة ،

(١) الآية ٣ من سورة ص . وقراءة رفع الحين هي لأبي السمال ، مع ضم تاء « لات » وقرأها عيسى « ولاتَ حينُ مناصَ » . تفسير أبي حيان ٧ : ٣٨٣ — ٣٨٤ .

(٢) الآية ٣١ من يوسف .

(٣) الآية ٢ من المجادلة . ويبدو أن في هذا النص سقطا .

ويحتمل فيه وضع الشيء في غير موضعه دون إحرازِ فائدة ، فكيف مع وجود ذلك . وسيبويه ممن يأخذ بتصحيح المعانى وإن اختلفت الألفاظ ، فكذلك[1] وجَّهه على هذا وإنْ كان غيره أقرب إلى القياس . انتهى .

يريد بتخليص المدح أنك إذا قلت ما مثلك أحداً فنفيت الأحديّة احتمل المدح والذم ، فإن نصبت المِثْل ورفعت أحداً تعين للمدح . انتهى[2] . ١٣١

قال ابن هشام (في شرح شواهده) : وفيه نظر ؛ فإنّ السياق يعيِّن الكلام للمدح .

وقال في الرد على المبرد أحمدُ بنُ محمد بن ولّاد : إنّ الرواة عن الفرزدق وغيره من الشعراء قد تُغَيِّر البيتَ على لغتها وتَرويه على مذاهبها ، مما يوافق لغة الشاعر ويخالفها ، ولذلك كثرت الروايات في البيت الواحد . ألا ترى أنّ سيبويه قد يستشهد ببيتٍ واحد لوجوهٍ شتَّى ! وإنّما ذلك على حسب ماغيّرته الرواة بلغاتها ، لأنّ لغة الراوى من العرب شاهدٌ ، كما أنّ قول الشاعر شاهد ، إذا كانا فصيحين . فمن ذلك ما أنشده سيبويه :

بدا لىَ أنّى لستُ مدركَ ما مضى ولاسابقٍ شيئاً إذا كان جائيا[3]

---

(١) فى الأعلم : « فلذلك » ، وبذلك غيرها الشنقيطى فى نسخته فيما غيره بقلمه ، وكلاهما صحيح فى العربية .

(٢) يبدو أن هذه الكلمة مقحمة ، فان الكلام رأى خاص للبغدادى لا اقتباس له من غيره .

(٣) البيت لزهير نسبه سيبويه اليه فى ١ : ٨٣ ، ٤١٨ ، ٢/٤٥٢ : ٢٧٨ . ورواية « سابقا » فى أول موضع فقط . لكنه نسبه فى ١ : ١٥٤ الى صرمة الأنصارى مع رواية الجر . ورواه بدون نسبة ومع الجر فى ١ : ٢٩٠ .

ورواه أيضاً : (ولا سابقاً) فى موضع آخر . وكذلك قول الأعور الشَّنِّىّ :

فليس بآتيك مَنْهِيُّها ولا قاصر عنك مأمورُها[1]

بالرفع والجر . وهذا كثير جداً . انتهى .

وفيه أن بيت[2] الفرزدق ليس على لغة الحجاز ولا على لغة تميم وغيرها فكيف يكون من قبيل لغة الراوى ! فتأمّلْ .

والقول الأوّل من القولين هو للمازنى ، وتبعه المبرد وقال : كأنَّ مثلَهم صفةٌ لبشر فلما قدّم عليه صار حالا .

قال السيد عبد الله (فى شرح اللب) : وفيه نظر لأنّ الحال فضلة يتم الكلام بدونها ، وهنا لا يتمّ الكلام بدون مثلهم ، فلا يكون حالاً .

وردّه ابن هشام أيضاً (فى شرح شواهده) بأن معانىَ الأفعال لا تعمل مضمرة . والكوفيُّون القائلون بنصب مثل على الظرف يقولون : أصله ما بشر فى مكانٍ مثل مكانهم ، ثم أنيبت الصفة عن الموصوف ، والمضافُ إليه عن المضاف . قال ابن هشام : ورُدّ بأنَّ الصفة إنّما تخلُف الموصوف إذا اختُصَّت بجنسه ؛ ولهذا جاز رأيت كاتباً ، وامتنع رأيت طويلا .

وبقى تخريج آخر لم يذكره الشارح المحقّق ، وهو أنّ مثلهم خبر ما التيميّة ؛ لكن بنى مثلَ على الفتح لإضافته إلى مبنىٌّ ، ؛ فإنَّ المضاف إذا كان مُبهَما كغير ومثل ودون وأضيف إلى مبنىّ بُنىَ كقوله تعالى : ﴿ إنَّهُ لحَقٌّ

---

(١) سيبويه ١ : ٣١ . ونسبه فى العمدة ١ : ١٣ الى عمر بن الخطاب ، أو الأعور الشنى وفى العقد ٣ : ٢٠٧ لمحمد بن حازم .

(٢) فى النسختين : « باب » وحورها الشنقيطى فى نسخته الى « بيت » .

مثْلَ ما أنَّكُمْ تَنطِقونَ(١)﴾ فيمن فتح مثل، أو كقراءة بعضهم: ﴿أنْ يُصيبَكُمْ مثلَ ما أصابَ(٢)﴾ بالفتح. وهذا أقرب الأقوال.

وزعم ابن مالك أنّ ذلك لا يكون في مثْل، لمخالفتها للمبهمات بأن تثنى وتجمع.

وقوله: (إذ هُمْ قريش الخ) إذ في الموضعين للتعليل. وبه استشهد ابن هشام في هذا البيت (في المغنى).

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدة للفرزدق يمدح بها عمرَ بن عبد العزيز الأموى. وهذه أبيات منها(٣):

أبيات الشاهد

(تقولُ لمّا رأتني وهي طيّبة   على الفراش ومنها الدَّلُّ والخَفَرُ
أصْدِرْ همُومَكَ لا يقتُلْكَ واردُها   فكلُّ واردةٍ يوماً لها صَدَرُ)

إلى أن قال:

فعجْتُها قِبَلَ الأخيارِ منزلةً   والطيِّبي كلّ ما التاثت بها الأُزُرُ(٤)
إذا رجا الركب تعريساً ذكَرت لهم   عيشاً يكون على الأيدى له دِرَرُ(٥)
وكيف ترجون تغميضاً وأهلُكُمُ   بحيث تلْحَسِ عن أولادها البقرُ

---

(١) الآية ٢٣ من الذاريات.

(٢) الآية ٨٩ من هود. وقراءة النصب هي قراءة مجاهد والجحدرى وابن أبى اسحاق، ورويت عن نافع أيضا. تفسير أبى حيان ٥ : ٢٥٥.

(٣) ديوان الفرزدق ٢٢٠ ـ ٢٢٤.

(٤) في الديوان: «به الأزر».

(٥) في الديوان: «غيثا يكون».

١٣٢ سيرُوا فإنّ ابنَ ليلى عن أمامكم وبادروه فإن العُرفَ يُبتَدَر[1])

إلى أن قال:

(وما أُعيدَ لهم حتّى أتيتَهم أزمانُ مروان إذْ فى وحشها غِرَرُ
فأصبحوا قد أعاد الله دَولتهم إذْ هم قريشٌ وإذ ما مثلَهمْ بشَرُ
ولن يزال إمامٌ منهم ملكٌ إليه يَشخَص فوق المنبر البَصَرُ
إن عاقبوا فالمنايا من عقُوبتهم وإنْ عفَوْا فذَوو الأحلام إن قدَروا)

قوله : ومنها الدلّ والخفر ، الدلّ بفتح الدال : مصدر دلّت المرأة من بابى ضرب وتعب . وتدللت تدلّلا ، والاسم الدَّلال وهو جُرءتها فى تكسُّر وتغنُّج ، كأنّها مخالِفة وليس بها خلاف . كذا فى المصباح . والخفَر ، بفتح المعجمة ، وهو شدّة الحياء . وقوله : أصدِرْ همومَك ، أى اصرفْها عنك ، يقال صدر القومَ وأصدرناهم إذا صرفتَهم . وقوله : فكل واردة ، تعليل لقوله أصدِرْ .

وقوله : فعُجْتها قِبَلَ الأخيار الخ ، يقال عجت الناقة أعُوجها : إذا عطفتَ رأسها بالزمام ، والضمير للناقة . والقِبَل ، بكسر القاف وفتح الموحّدة : الجهة . ومنزلةً تمييز . والطيّبي معطوف على الاخيار وهو جمع مذكّر سالم حذفت نونه للإضافة ، والمفرد طيِّب . والتائث : التفّت ، يقال لاث عمامتة يَلُوثها ، إذا لفّها على رأسه . وضمير بها لما الموصولة . والأُزُرُ : جمع إزار ، وهو ما يستر من

---

(١) فى الديوان : « من أمامكم » . وفى العينى ٣ : ٦٢٦ : « فان أبا ليلى أمامكم » . ولاتصح ، فان الممدوح بالقصيدة عمر بن عبد العزيز ، وأمه هى ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، كما أن أم أبيه هى ليلى بنت الأصبغ بن زيادة الكلبى .

السرّة إلى أسفل . والرِّداء : ما يستر من المَنْكِب إلى أسفل . وهذا كناية عن وصفهم بالعفّة ؛ والعرب تكنى بالشىء عمّا يحويه ويشتمل عليه ، كقولهم : ناصح الجيب ، أى الفؤاد . أراد أنّهم أخيار ذوو عفة .

وهذا البيت أورده ابن قاسم (فى شرح الألفيّة) على أنّ الطيِّبى صفة مشبهة مضافة إلى مضاف إلى الموصول .

وقوله : إذا رجا الركبُ الخ ، التعريس : النزول فى آخر الليل للاستراحة والنوم .

وقوله : بحيث تلحس الخ ، أى فى موضع قفر لا نباتَ به ولا ماء .

وابن ليلى هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف . وليلى هى أمّه ، وهى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه . والعُرف ، بالضم : المعروف .

وقوله : إذ فى وحشها غِرِرَ ، الغرر بالكسر : جمع غِرّة ، وهى الغفلة . يريد أن وحشَها لا يَذعرها أحد ، فهى فى غِرّة من عيشها ، يقال هو فى غرّة من العيش ، إذا كان فى عيش ليس فيه كدر ولا خوف . وأزمانُ : نائب فاعل أُعيد . وأتيتَهم : خطابٌ لعمر بن عبد العزيز . وضمير وحشها للمدينة المنوَّرة .

قال ابن خلف : مدح الفرزدق بهذا الشعر عمرَ بن عبدالعزيز . وكان قد ولى المدينة . يقول : وما أُعيدَ لأهل المدينة ولمن بها من قريش أزمانٌ مثلُ أزمانِ مروانَ فى الخِصب والسَّعة ، حتّى وَلِيت أنتَ عليهم فعاد لهم مثلُ ما كانوا فيه من الخير حين كان مروانُ والياً عليهم ، فأصبحوا بولايتك عليهم قد أعاد الله نعمتهم عليهم .

وقال الأعلم : مدح بالشعر بنى أميّة فقال : كان مُلكُ العرب فى الجاهلية

لغير قريشٍ وسائر مضر ، وكانوا أحقَّ به لفضلهم على البشر ، فقد أصبحوا والإسلام فيهم ، فعاد إليهم ما رجع عن غيرهم بما كان واجباً لهم بفضلهم . انتهى .

والمعنى هو الأول ويدلّ له قوله : قد أعاد الله نعمتهم ، فإنّ نعمتهم كانت منقطعةً بعزل مرْوان وأعيدت إليهم بتولية عمر بن عبد العزيز عليهم ، فإنَّ العَود رُجوع الشيء إلى الشيء بعد انفصاله عنه . وأما قوله : فعاد إليهم بعد ما خرج عن غيرهم ، فهذا انتقال لا عود .

١٣٣

وقوله : قد أعاد الله نعمتهم ، هذه الجملة خبر صار . والعجب من العيني في قوله صار من الأفعال الناقصة[1] ، وجعله هذه الجملة حالا مع أنه لم يعيِّن الخبر .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والسبعون بعد المائتين :

٢٧٥ (لوَ أنَّك ياحُسينُ خُلِقْتَ حُرًّا
وما بالحرِّ أنتَ ولا الخليقِ[2])

على أن فيه دليلاً على جواز تقديم الخبر المنصوب ، إذ الباء لا تدخل إلاّ على الخبر المنصوب .

وعلى هذا بنى أبو عليّ والزمخشرى امتناعَ دخولها على ما التميمية ،

---

(١) كذا ، وفى هامش ش : « صوابه أصبح » .

(٢) فى الانصاف ٢٠٠ والمقرب ٣٥ وشرح شواهد المغنى ٤١ والتصريح ٢ : ٣٢٣ : « ولا العتيق » ، وفى يس ٢ : ٢٣٣ : « ولا الخليق» كما هنا .

وأجازه الأخفش . قال أبو على (فى إيضاح الشعر) : أمّا ما أنشده بعض البغداديين :

أما واللهِ عالِمِ كلِّ غيب وربِّ الحِجْرِ والبيتِ العتيقِ
لوَ انّك ياحُسَين خُلِقْتَ حرًّا وما بالحرِّ أنت ولا الخليقِ

فإنّه يكون شاهداً على ما حكاه أبو عمرٍو فى نصب خبر ما مقدَّما . ومن دفع[1] ذلك أمكن أن يقول إن الباء دخلت على المبتدأ ، وحمل ما على أنها ما التميمية . ويقوى أن ما الحجازيّةَ أنّ أنت أخصُّ من الحُرّ ، فهو أولى بأن يكون الاسمَ ويكون الحرّ الخبر . انتهى

أقول : من يدفع ذلك يقول إنّ البـاء زيدت فى خبر ما التميمية ، ولا يذهبُ أن مدخولهـا مبتدأ . والصحيح أنّها تزاد فى خبر ما على اللغتين ، وهو ظاهر كلام سيبويه فى باب الاستثناء فى مسألة مازيد بشىء إلاّ شىء لا يعبأ به .

قال الشاطبيُّ (فى شرح الألفيَّة) : والأصحُّ ما ذهب إليه سيبويه من أوجه :

أحدها : أنّ بنى تَميم يدخلونها فى الخبر ، فيقولون : ما زيد بقائم ، فإذا لم يدخلوها رفعوا . قال ابن خروف : إنّ بنى تَميم يرفعون ما بعدها بالابتداء والخبر ، ويدخلون الباء فى الخبر لتأكيد النفى . ثم حكى عن الفرّاء أنّه قال : أنشدتنى امرأةٌ :

أما واللهِ أنْ لو كنتَ حُرًّا وما بالحرِّ أنتَ ولا العتيقِ

---

(١) فى النسختين : « رفع » وحورها الشنقيطى الى « دفع » بالدال .

قال : فأدخلت الباء فيما يلي ما . فإن ألغيتها رفعت . انتهى

وقد أنشد سيبويه للفرزدق وهو تميمي :

لَعَمْرُكَ ما معنٌ بتاركِ حقِّهِ ولا مُنسىءٌ مَعْنٌ ولا مُتَيَسِّرُ

وهو كثير فى أشعارهم لمن بحثَ عنه .

والثانى : أن الباء إنما دخلت على الخبر بعد ما لكونه منفيًّا ، لا لكونه خبراً منصوبا ، ولذلك دخلت فى خبر لم يكن ولم تدخل فى خبر كنت . وإذا ثبت أن المسوّغ لدخولها إنّما هو النفى فلا فرق بين منفىٍّ منصوب المحل ومنفىٍّ مرفوع المحل .

والثالث : أنه قد ثبت دخول الباء مع إبطال العمل ومع أداةٍ لا عملَ لها البتة ، نحو قوله[1] :

لعمرُكَ ما إن أبو مالك بواهٍ ولا بضعيفٍ قُواه

وأنشد الفارسى (فى التذكرة) للفرزدق :

١٣٤ يقول إذا اقْلَولَى عليها وأقْرَدَتْ ألا هل أخو عيشٍ لذيذٍ بدائم[2]

وإنّما دخلت بعد هل لشبهها بحرف النفى ؛ فدخولها بعد النفى المحض وهو ما التميميّة أحقّ . قال ابن مالك : لأن شبه ما بها أكمل من شبه هل بها . ثم ذكر ماحكى الفرّاء عن كثيرٍ من أهل نجد : أنّهم يجرّون الخبر بعدما بالباء وإذا أسقطوا الباء رفعوا . قال ابن مالك : وهذا دليل واضحٌ على أن دخول

---

(١) هو المتنخل الهذلى ، كما سيأتى فى الشاهد التالى .

(٢) انظر شواهد المغنى للسيوطى ٢٦٢ والعينى ٢ : ١٣٥ ، ١٤٩ والهمع ١ : ١٢٧/٢ : ٧٧ وديوان الفرزدق ٨٦٣ .

الباء جارّة للخبر بعدما [لا[١]] يلزم منه كون الخبر منصوبَ المحل ، بل جاز أن يقال هو منصوب المحلّ وأن يقال هو مرفوع المحلّ ، وإنْ كان المتكلم به حجازياً ، فإنّ الحجازىّ قد يتكلم بغير لغته وغيره يتكلّم بلغته . إلاّ أنّ الظاهر أنّ محلّ المجرور نصبٌ إن كان المتكلّم حجازياً ، ورفعٌ إن كان تميميًا أو نجدياً . قال : فمن دخول اللغة التميميّة فى الحجازيّة كسرُ هاء الغائب بعد كسرة أو ياء ساكنة ، وإدغامُ نحو : ﴿ولا يُضارَّ كاتِبٌ ولاَ شَهِيدٌ[٢]﴾ ورفع الله من قوله تعالى : ﴿قلْ لا يعْلم مَنْ فى السَّمٰوٰاتِ والأرْضِ الغيْبَ إلا اللهُ[٣]﴾ لأنّ اللغة الحجازية بهُ وفيهُ بالضمّ ، ولايضارَرْ بالفكّ ، وإلاّ اللهَ بالنصب لأنّ الاستثناء منقطع . قال : وإذا جاز للحجازىّ أن يتكلّم باللغة التميميّة جاز للتميمى أن يتكلّم باللغة الحجازية ، بل التميمىّ بذلك أولى لوجهين : أحدهما أنّ الحجازية أفصح ، وانقياد غير الأفصح لموافقة الأفصح أكثر وقوعا من العكس . والثانى أنّ معظم القرآن حجازىٌّ والتميميون متعبّدون بتلاوته كما أنزل ، ولذلك لا يقرأ أحد منهم ما هذا بَشَرٌ[٤] إلا مَن جهل كونه منزلا . هذا ما قاله ، وفيه نظر لا يليق بهذا الموضع . انتهى ما أورده الشاطبي .

وروى الفرّاء هذا البيت (فى تفسيره) كذا :

أما واللهِ أن لو كنت حرًّا ... وما بالحرِ أنت ولا العَتيقِ[٤]

أنشده فى سورة الجنّ عند قوله تعالى : ﴿وإنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ[٥]﴾

---

(١) تكملة تقتضيها صحة الكلام .

(٢) الآية ٢٨٢ من البقرة .

(٣) الآية ٦٥ من النمل .

(٤) ط : « بشرا » ، صوابه فى ش بالرفع .

(٥) الآية ١٦ من الجن .

قال : قد اجتمع القراء على كسر إنّا فى قوله تعالى : ﴿ فقالوا إنّا سَمِعْنَا قُرآناً عجباً[1] ﴾ واختلفوا فيما بعدذلك فقرءوا : وأنا ، وإنّا إلى آخر السورة ، فكسروا بعضاً وفتحوا بعضاً . فأمّا الذين فتحوا كلّها فإنّهم ردّوا أنّ على قوله ﴿ فآمَنّا به ﴾ وآمنّا بكلّ ذلك ، ففُتحت أنَّ لوقوع الإيمان عليها .
ويقوّى النصب قوله تعالى : ﴿ وأن لَو استَقَاموا ﴾ فينبغى لمن كسر أنْ يحذفَ أنْ من لو ، لأنّ إنّ إذا خفّفت لم تكن فى حكاية ؛ ألا ترى أنّك تقول : أقول لو فعلتَ لفعلتُ ، ولا تدخل أن . وأما الذين كسروا كلّها فهم فى ذلك يقولون : وأنْ لو استقاموا ؛ فكأنّهم أضمروا يميناً مع لو وقطعوها عن النّسَق ، فقالوا : والله أنْ لو استقاموا . والعرب تدخل أن فى هذا الموضع مع اليمين وتحذفها ، قال الشاعر[2] :

* فأُقسِمُ لو شىء أتانا رسوله[3] *

وأنشدنى آخر :

أما والله أنْ لو كنتَ حرّاً . . . . . البيت

ومن كسر كلّها ونصب ﴿ وأنّ المساجِدَ لله ﴾ خصّه بالوحى ، وجعل وأن لو مضمرة فيها اليمينُ على ما وصفت لك . انتهى .

وكذا أورده ابن هشام (فى المغنى) فى بحث أنْ وجعلها زائدة ، قال :

ومن مواضع زيادتها أن تقع بين لو وفعل القسم ، مذكوراً كقوله[4] :

---

(١) الآية الأولى من الجن .
(٢) هو امرؤ القيس . ديوانه ٢٤٢ . وهو الشاهد ٨١٧ .
(٣) عجزه :
* سواك ولكن لم نجد لك مدفعا *
(٤) هو المسيب بن علس ، من أبيات فى شرح شواهد المغنى ٤١ والخزانة ٤ : ٢٢٦ بولاق . وعجزه :
* لكان لكم يوم من الشر مظلم *

فاقسم أنْ لو التقينا وأنتم . . . .

أو متروكا كقوله:

أما والله أنْ لو كنتَ حُرًّا . . . . . . البيت

١٣٥ وهذا قول سيبويه[1] وغيره. وفى مقرب ابن عصفور: أنها فى ذلك حرف جيء به لربط الجواب بالقسم. ويُبعده أنّ الأكثر تركها، والحروف الرابطة ليست كذلك. انتهى.

ونقضه الدماميني باللام الداخلة على جواب لو المنفى[2] كقولك:

* ولو نُعطَى الخيارَ لما افترقنا[3] *

فإنَّها حرف رابط، والأكثر تركها نحو: ﴿وَلَوْ شاء رَبُّكَ ما فَعلُوهُ[4]﴾ انتهى

وأنشده المرادى أيضاً كذا (فى شرح الألفية) شاهداً على أنّ أنْ رابط لجواب القسم.

وقوله:

أما والله عالمِ كلِّ غيب . . . الخ

(١) الحق أن سيبويه لايرى زيادتها، بل يعدها موطئة للقسم. سيبويه ١ : ٤٥٥ والرضى ٢ : ٣١٦ والخزانة ٤ : ٢٢٥ بولاق فى الشاهد ٨١٦.

(٢) هذا ما فى ش. وفى ط: «على الجواب المنفى».

(٣) ط: «تعطى»، صوابه فى ش والسيوطى ٢٢٨ والهمع ٢ : ٦٦ والأشمونى ٤ : ٤٣.

(٤) الآية ١١٢ من الأنعام. وفى الأنعام غيرها ١٣٧: «ولو شاء الله مافعلوه».

أمَا بالتخفيف حرف تنبيه يستفتح به الكلام ، وجواب القسم محذوف أى لقاومتك ، أو في بيتٍ آخر .

وقوله : لوَ اَنَّك ، يقرأ بنقل فتحة الألف من أنَّك إلى واو لو . والحرُّ من الرجال : الكريم الأصل الذى خلص من الرقّ مطلقاً ، سواء كان رقّ العبودية أو رقّ النفس ، بأن تستخدمه فى الرذائل . والخليق : الجدير واللائق . أي ولا أنت جدير بأنْ تكون حرًّا . والعتيق ، على رواية الفرّاء وغيره ، هو الكريم والأصيل . والذى خلص من الرق عتيق أيضاً . ولذِكرهِ بجنب الحرّ حُسْنُ موقع .

وهذان البيتان لم أعرف قائلهما . وقال العينى ، فى البيت الشاهد : أنشده سيبويه ، ولم يعزه إلى أحد . أقول : لم ينشده سيبويه ولا وقع فى كتابه . وصوابه أنشده الفراء فإنَّه أوّل من استشهد به . والله أعلم

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد السادس والسبعون بعد المائتين[١] :

٢٧٦ (لَعَمْرُكَ ما إنْ أبو مالكٍ بِوَانٍ ولا بِضَعِيفٍ قُواه)

على أنَّ الباء تزاد بعد ماالنافية المكفوفة بإنْ اتفاقاً . وهذا يدلُّ على أنه لا اختصاصَ لزيادة الباء فى خبر ما الحجازيّة .

صاحب الشاهد

وهذا البيت أول أبياتٍ للمتنخِّل الهُذَلىِّ يرثى بها أباه ، وبعده :

---

(١) الهمع ١ : ١٢٧ والأشمونى ١ : ٢٥٢ والهذليين ٢ : ٢٩ والشعراء ٦٤٣ وأمالى المرتضى ١ : ٣٠٦ .

(ولا بألدَّ له نازِعٌ يُغارِى أخاه إذا ما نهاه[1]
ولـكنَّه هيِّنٌ لينٌ كعالية الرُّمح عَرْدٌ نَساه
إذا سُدْتَه سُدْتَ مِطواعةً ومَهْما وَكلْتَ إليه كَفاه
ألا مَنْ ينادى أبا مالكٍ أفى أمرنا هُوَ أمْ فى سِواه
أبو مالكٍ قاصرٌ فَقْرَه على نَفْسِهِ ومُشيعٌ غِناه)

وقوله : (لعمرك ما إنْ الخ) اللام لام الابتداء ، وفائدتها توكيد مضمون الجملة . وعَمْرك ، بالفتح ، بمعنى حياتك مبتدأ خبره محذوف ، أى قسمى . وجملة ما إن أبو مالك الخ جواب القسم . وأبو مالك هو أبو الشاعر . واسمه عُويمر ، لأنَّ المتنخِّل اسمه مالك بن عويمر كما يأتى قريباً . ولم يصب ابن قتيبة فى كتاب الشعراء فى زعمه أنه يرثى أخاه أبا مالك عويمراً . (وَانٍ) : اسم فاعل من ونى فى الأمر وَنًى ووَنْياً من بابى تعب ووعد ، بمعنى ضعف وفتر . وروى بدله (واهٍ) وهو أيضاً اسم فاعل من وهَى من باب وعد ، بمعنى ضعف وسقط . والقُوَى : جمع قُوَّة خلاف الضعف ، قال فى الصحاح : ورجل شديد القُوى ، أى شديد أسر الخَلْق . يريد أن أباه كان جلداً شهماً لا يَـكلُ أمره إلى أحد ، ولا يؤخِّره لعجزه إلى وقت آخر .

١٣٦ وقوله : ولا بألدّ الخ ، الألدّ : الشديد الخصومة ، من اللَّدَد بفتحتين وهو شدّة الخصومة . قال السكرى (فى شرح أشعار هذيل) هنا ، وتبعه السيِّد المرتضَى (فى أماليه) : ومعنى له نازع أى خُلُق سَوء ينزِعه من نفسه ـ يريد أنه من نَزَعت الشىء من مكانه من باب ضرب بمعنى قلعته ـ ويجوز أن يكون من قولهم لعلّ له عرقاً نزع أى مال بالشبَه . ويقولون أيضاً : العرق نزّاع .

(١) ط : « بغارى » ، صوابه فى ش والشرح التالى .

ونزع إلى أبيه ونحوه فى الشبه أى ذهب . وهذا عندى أولى . وقوله : يغارى أخاه ، قال السكّرى ، وتبعه السيد المرتضى : أى يُلاحى ويشارُّ ، من غاريت بين الشيئين ، إذا واليت بينهما . قال أبو عبيدة : وهو من غُرِى بالشىء يُغْرَى به . أقول : كونه من غَرِى فلان إذا تمادى فى غضبه أولى . وروى بدله : (يعادى) من العداوة ضدّ الصداقة . وهذا وما قبله كلاهما داخلان تحت النفى .

وقوله : كعالية الرمح الخ ، عالية الرمح : ما دخل فى السنان إلى ثلثه . ومعنى كونه ليّنا كعالية الرمح أنّه إذا دعى أجاب بسرعةٍ كعالية الرمح ، فإنه إذا هُزّ الرمح اضطرب واهتزّ للينه ، بخلاف غيره من الأخشاب فإنه لا يتحرّك طرفها إذا هُزّت لصلابتها ويبسها . وقوله : عرد نساه ، العَرْد ، بفتح العين وسكون الراء المهملتين : الشديد . والضمير لأبى مالك . والنَّسا ، قال الأصمعىّ : بالفتح مقصور : عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثم يمرّ بالعرقوب حتّى يبلغ الحافر ، فإذا سمنت الدابة انفلقت فخذاها بلحمتين عظيمتين وجَرَى النَّسا بينهما واستبان . وإذا هزلت الدابة اضطربت الفخذان وماجت الرَّبلتان وخفىَ النَّسا . وإذا قالوا : إنه لشديدُ النَّسا فإنّما يريدون به النَّسا نفسه ، كذا فى الصحاح . قال السكرىّ : أراد غليظ موضع النسا .

وقوله : إذا سُدْته سدت الخ قال السيد المرتضى: ومعنى سُدْتَه من المساوَدَة التى هى المسارَرَة ، والسِّواد هو السِّرار ، كأنه قال : إذا ساررتَه طاوعك وساعدك . وقال قوم : هو من السيادةِ فكأنّه قال : إذا كنتَ فوقه سيِّدا له طاوعك ولم يحسدْك ، وإن وكلت إليه شيئا كفاك . وقوم ينشدونه :

* إذا سُستَه سُسْت مِطواعةً *

ولم أجد ذلك فى رواية . انتهى . وهذه الرواية أثبتها أبو تمام صاحب الحماسة (فى مختار أشعار القبائل) . وسسته ، من سست الرعيّة سياسة . والمِطواع : الكثير الطَّوع أى الانقياد ، والتاء لتأكيد المبالغة . واقتصر السكّرىُّ على المعنى الثانى فقال : يقول إذا كان لك السؤدد عليه أطاعك ولم يحسدك . ومهما وكلت إليه أى مهما تركته وإيّاه كفاه . انتهى

والسِّواد بالكسر كالسِّرار وزناً ومعنى .

وهذا البيتُ يأتى شرحه إن شاء الله فى الجوازم[1] وقوله : أفى أمرنا هو الخ ، يعنى غَيبته عنّا ألِنفعنا كما كان تعوَّد[2] ، أم لشىء آخر كالموت . وهذا كلام المتولِّه الذى حصل له ذهول لعظم ما أصابه . وقال السكرىّ : هذا منه توجُّع ، أراد من ينادى أبا مالك فيسأله أمضَى أم قد ذهب ، وأمره يصير إلينا أم يذهب ؟ وقال الباهلى : أمرُنا أمرُه .

وقوله : قاصر فقره على نفسه ، هو من القَصْر وهو الحبس . والمُشيع : من الإشاعة ، وهى الإذاعة . يريد أنه إذا افتقر أخفى فقره ، وإذا أثرى أذاع غناه ليُقصَد من كلِّ جهة ، وهذا من شرف النفس .

وهذه الأبيات على هذا الترتيب للمتنخِّل الهُذَلىِّ رواها ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) ، والسكرىُّ (فى أشعار هذيل) ، والسيد المرتضَى (فى أماليه) والأصبهانى (فى أغانيه) . وروى أبو تمام (فى مختار أشعار القبائل) البيت الشاهد مع بيتين آخرين لذى الإصبع العَدْوانىّ هكذا :

---

(١) وهو الشاهد ٦٨٥ .

(٢) ش : « يغزو » .

١٢٧ وما إن أُسِيدُ أبو مالك بوانٍ ولا بضعيفٍ قواه
ولـكنّه هـيِّنٌ لـينٌ كعالية الرمح عَرْدٌ نَساه
فإن سُسْتَه سُستَ مِطواعةً ومهما وَكَلتَ إليه كَفاه

وأَسِيد، بفتح الهمزة وكسر السين المهملة.

المتنخل الهذلي

والمتنخِّل، بكسر الخاء المشددة اسم فاعل من تنخَّل؛ يقال تنخلته: أي تخيَّرته كأنّك صفّيته من نُخالته. وللمتنخِّل لقبٌ، واسمه مالك وهو جاهلي. ونسبته: مالك بن عُويمر[١] بن عثمان[٢] بن خُنَيس[٣] بن عادِيَة ابن صعصعة بن كعب بن طابخة، أخو بني لِحيان بن هذيل بن مُدرِكة. شاعرٌ محسّن من شعراء هذيل.

قال الآمدي[٤]: والمتنخِّل السعديّ شاعر أيضاً، لم يقع إليّ من شعره. واستشهد الكسائيّ والفرّاء بقوله[٥]:

يا زبرقانُ أخا بني خَلَفٍ ما أنت وَيبَ أبيكِ والفَخرُ

ومن شعر المتنخل الهذليّ، أنشده أبو عبيد البكريّ (في شرح نوادر القالي) وليس موجودا في رواية السكريّ:

لا يُنسِيِ اللهُ مِنّا معشراً شَهِدوا يومَ الأُميلِح لا عاشُوا ولا مَرِحوا

---

(١) وقيل «عمرو».
(٢) وقيل «عثم».
(٣) وقيل «حبيش». وانظر الأغاني ٢٠ : ١٤٥ والمؤتلف ١٧٨ واللآلي ٧٢٤ والعيني ٣ : ٥١٧.
(٤) في المؤتنف والمختلف ١٧٨.
(٥) هو المخبل السعدي. سيبويه ١ : ١٥١ والهمع ٢ : ٤٢ والخزانة ٢ : ٥٣٥ بولاق.

عَقُّوا بسهم فلم يَشْعُر لَه أحدٌ   ثم استفاءوا وقالوا حبَّذا الوَضَحُ

قال البكرىّ[١] : هذا من شعر يهجو به ناساً من قومه كانوا مع أبيه حُجَّاجا يومَ قُتل . وقوله : لا ينسئُ الله ، أى لا يؤخِّر الله موتهم ؛ من الإنساء وهو التأخير . قال أبو العبَّاس ثعلب : التَّعقِيَة : سهم الاعتذار . قال ابن الأعرابىّ : أصل هذا أن يَقتل الرجل رجلاً من قبيلته فيُطلب القاتل بدمه ، فتجتمع جماعةٌ من الرؤساء إلى أولياء المقتول بديةٍ مُكْمَلة ويسألونهم العفو وقَبولَ الدية ؛ فإن كان أولياؤه ذوى قوَّة أبَوا ذلك ، وإلاَّ قالوا لهم : بيننا وبين خالِقنا علامةٌ للأمر والنَّهى ؛ فيقول الآخرون : ما علامتكم ؟ فيقولون : أن نأخذ سهماً فنرمىَ به نحو السماء ، فإنْ رجع إلينا مضرَّجاً بالدم فقد نُهينا عن أخذ الديَة ، وإن رجع كما صعد فقد أُمِرْنا بأخذها . وحينئذ مسحوا اللحاهم وصالحوا على الدية . وكان مسح اللحية علامةً للصُّلح ، قال الأسعر[٢] الجُعْفى :

عقّوْا بسهم ثم قالوا سالِمُوا   ياليتنى فى القوم إذْ مسحُوا اللحى[٣]

قال ابن الأعرابىّ: مارجع ذلك السهمُ قطُّ إلاّ نقياً ، ولكنهم يعتذرون به عند الجهّال . انتهى .

وعقّوا ، بضمّ القاف وفتحها ، لأنهُ جاء من بابين فإنه يقال : عقَّ بالسهم إذا رمىَ به نحو السماء وذلك السهم يسمَّى عقيقة بقافين ، ويقال له أيضاً : سهم

---

(١) ش : « السكرى » ، صوابه فى ط .

(٢) فى النسختين : « الأشعر » وحور الشنقيطى نقط الشين الى سكون فوق السين ، وهو الصواب . والأسعر الجعفى من شعراء الأصمعيات ، لقب بالأسعر لقوله :

فلا يدعنى قومى لسعد بن مالك   لئن أنا لم أسعر عليهم وأثقب

(٣) انظر الأصمعيات ١٥٩ برواية « مسحوا لحاهم ثم قالوا سالموا » .

الاعتذار . فعقُوا بضم القاف . ويقال عقَّى بسهمه تعقية : إذا رماه فى الهواء . فعقَّوا بفتح القاف .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والسبعون بعد المائتين[1] :

٢٧٧ (نَدِمتُ على لسانٍ كانَ مني فليتَ بأنَّه فى جَوْفِ عِكْمِ)

على أنَّ الباء قد تزاد بعد ليت كما هنا .

قال أبو زيد (فى نوادره) : الباء زائدة ، والوجه فليت أنّه[2] .

قال أبو على (فى التذكرة القصريّة) : وجه زيادة الباء فى اسم ليت شبهُ ليت لنصبها ورفعها بالفعل ، والفعل يصل تارةً بنفسه وأخرى بالباء ، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَى[3]﴾ ، ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الحقُّ المبين[4]﴾ . ١٣٨

ومثله فى أنه لما أشبه الفعل عُدِّى تعديته تارةً بنفسه وأخرى بحرف الجر يا زيدُ ويالزيد .

فإن قلتَ : فهل يكون على إضمار اسم ليت كقوله :

ألا ليت أنِّى يوم تدنُو منيتِّي شَمِمْتُ الذى مابين عَينيك والفمِ ؟

فإنّ ذلك لا يستقيم ، لئلا يبتدأ بأنّ مفتوحة .

وسدَّ الظرف فى خبر أنَّ مسدَّ خبر ليت كما سدّ فى قولك علمت أن زيداً فى الدار مسدَّ المفعول الثانى . وجوازُ حذف الخبر فى ليت وأنّ وبابه ، بوقوع الجمل أخباراً لها . انتهى .

---

(١) نوادر أبى زيد ٣٣ وديوان الحطيئة ٦١ واللسان (عكم ، لسن) .

(٢) فى النوادر : « والوجه فليته » .

(٣) الآية ١٤ من سورة العلق .

(٤) الآية ٢٥ من سورة النور .

وقال (في الحجة) عند قوله تعالى: ﴿ ولـكنَّ الشّياطينَ كَفروا[1] ﴾ من سورة البقرة: فأما ما أنشده أبو زيد:

ندمت على لسانٍ فات منّي (البيت)

فيحتمل أمرين: أحدهما أن تكون الباء زائدة وتكون أنّ مع الجار في موضع نصب، ويكون ما جرى في صلة أنَّ قد سدّ مسد خبر ليت، كما أنها في ظننت أنّ زيداً منطلق كذلك. ويحتمل أن الهاء مرادة ودخلت الباء على المبتدإ كما دخلت في بحسبك أن تفعل ذلك. ولا يمتنع هذا من حيث امتنع الابتداء بأنّ، لمكان الباء، ألا ترى أنّ أنّ قد وقعت بعد لولا في نحو قولك: لولا أنك منطلق، ولم يجر ذلك الامتناع مجرى أنَّك منطلق بلغني، لأنّ المعنى الذى له لم يبتدأ بالمفتوحة — مع لولا — معدوم. انتهى كلامه.

وروى شارح ديوان الحطيئة: (فليت بَيَانَه)، فلا شاهد فيه.

أبيات الشاهد

وهذا البيت من أبيات للحطيئةِ قالها لأبي سهم عوذ بن مالك بن غالب[2]. وهي أربعة أبيات في ديوانه. وكذلك قال أبو زيد (في نوادره): قال المفضَّل لم أسمع غير هذه الأربعة الأبيات، وهي:

(فيا نَدَمى على سَهْم بن عَوذٍ[3] نَدامةَ ما سَفِهتُ وضلّ حلمى

ندِمتُ نَدامة الـكُسَعيِّ لمَّا شَرَيتُ رضا بنى سَهْمٍ برَغمى

(١) الآية ١٠٢ .

(٢) ش : « عود بن غالب » باسقاط « مالك » ، وفى النسختين : « عود » بالدال ، صوابه « عوذ » بالذال المعجمة كما فى شرح السكرى لديوان الحطيئة ٦٠ .

(٣) فى النوادر : « سهم بن عوف » .

ندمتُ على لسانٍ فاتَ منى فليت بأنَّه فى جوف عِكْمِ

هُنالِكُمُو تهدَّمت الرَّكايا وضُمِّنَت الرَّجا فهوَتْ بذمِّ)

قوله : فيا ندمى ، قال أبو عُمَر[1] الجَرْمى : أراد فيا ندامتاه ، فحذف الهاء لما وصل الكلام . ويروى : (يا ندمى) بإسقاط الفاء . (وندامةَ) بالنصب ، وما مصدريّة أى ندامةَ سفَهى ، ويشهد له الرواية الأخرى وهى (نَدامة أنْ سَفِهت) ، وقد رواها شارح ديوانه . والسفَه : طيشٌ وخفّة عقل . والحِلم ، بالكسر : العقل .

والكُسَعىُّ : رجل جاهلىٌّ كانت له قوس رمى عليها باللَّيل حميراً من الوحش ، فظن أنه أخطأ — وكان قد أصاب — فغضب فكسرها ، فلما أصبح رأى الحمير مجدَّلةً فندم على كَسْر قوسه . فضُرب به المثل فقيل : « أندَم من الكُسَعىِّ » ، و : « نَدِمت ندامةَ الكُسَعىِّ » .

وشرح هذا المثل مفصَّل فى أمثال حمزة والمَيدانىّ والزمخشرىّ .

وشرَيت هنا بمعنى بعت . يقول : بِعْتُ رضاهم برغمٍ منِّي .

وقوله : (ندمت على لسانٍ الخ) قال شارح الديوان : اللسان ها هنا الكلام فيكون مجازاً أطلق عليه اسم آلته . وقال أبو زيد : اللسان ها هنا المنطق . وقال ابن الأنبارىّ (فى شرح المفضّليات) : اللسان ها هنا الرسالة ، أورَده نظيراً لمطلع قصيدة مرقش الأكبر :

١٣٩ أتتنى لسانُ بنى عامرٍ فجلَّت أحاديثُها عن بَصَرْ

---

(١) فى النسختين : « أبو عمرو الجرمى » وهو خطأ يتكرر كثيرا .

وقد تكلّم أبو على (فى الإيضاح الشعرىّ) على اللسان بكلام مبسوط على قول يزيد بن الحكم :

لسانُك لى أَرْىٌ وعينك عَلْقَمٌ وشَرُّكَ مبسوطٌ وخَيرك مُلتوِى

وقد تقدم هذا البيت فى قصيدته مشروحةً فى الشاهد الثمانين بعد المائة[1] فأحببت أن أورده هنا لحسنه ، قال : ليس يخلو اللسان من أحد المعنيين ، إمّا أن يكون الجارحةَ ، أو التى بمعنى الكلام كقوله عز وجل : ﴿وما أرسلنا مِن رَسُولٍ إلاّ بِلِسانِ قَوْمِه[2]﴾ كأنّ المعنى : بلغتهم . ومما يقوِّى ذلك إفرادُ اللسان حيث أريد به الجارحة ، قال عز وجل : ﴿ واختِلافُ ألسِنَتِكُمْ وألْوَانِكُمْ[3]﴾ . وأنشد أبو زيد :

ندمت على لسانٍ كانَ منّى . . . . البيت

فبهذا يُعلم أنه لا يريد به الجارحة ، لأنَّ الندم لا يقع على الأعيان ، إنما يقع على معانٍ فيها . فإن قلت : فقد قال :

* فليت بأنه فى جوف عِكم *

إنما يكون العين. قيل : هذا اتساع ، وإنما أراد فليتَه كان مطويًّا لم ينشر ؛ كما قال أوس :

ليس الحديثُ بِنُهبَى بينهنّ ولا سرٌّ يحدِّثْنَه فى الحىّ منشورُ

فليس المنشور هنا كقولك نشرت الثوب الذى هو خلاف طويته ، وإنّما يريد أنه لا يذاع ولا يشاع ، فاتّسع . وكذلك قوله :

(١) الخزانة ٣ : ١٣٤ .
(٢) الآية ٤ من ابراهيم .
(٣) الآية ٢٢ من الروم .

* إنّي أتاني لسانٌ لا أُسَرُّ به[١] *

انتهى المراد منه

وتقدّم بقيّة هذا على بيت ابن الحكم هناك . ومراد أبي عليّ بالاتساع الاستخدام ، فإنّ اللسان أريد بظاهره معنى وبضميره معنًى آخر ، كقوله[٢] :

إذا نزَل السماء بأرض قوم   رَعيناه وإنْ كانوا غِضابا

وكانَ هنا تامة بمعنى حدث وجرى ، ويروى بدله (فات منى) .

و (العِكْم) بكسر المهملة : العِدْل ، وقال شارح الديوان : هو مثل الُجوالِق .

وقوله: هنالكم الخ أى عند ذلك القول الذى صدر منّي فى حقهم. والركايا : الآبار ، جمع رَكيّ ، ونائب فاعل ضُمِّنَت ضمير الركايا ، والرجا مفعوله الثانى . قال فى الصحاح : وكلُّ شيء جعلته فى وعاء فقد ضمنتّه إياه . والرجا بالجيم قال شارح الديوان : هو جانب البئر من داخل ، وجُولها بالضمّ : جوانبها من خارج . والرَّجا : الناحية من كلّ شيء ، قال أبو زيد : الرجا هنا بمعنى الأرجاء . يريد أنه مفرد معرَّف باللام وقع موقعَ الجمع ، لأن البئر لها نَواحٍ . يقول : عندما صدر منى قولٌ فى حقّهم كأنّ الآبار تهدّمت وسقطت علىَّ بجميع نواحيها بسبب ذمّى . وروى (بذمٍّ) بالتنكير . قال شارح ديوانه : أى بذمٍّ الركايا . وقال أبو على فى (التذكرة) : يقول، كالذى حفر بئراً وهو حين حفَرها لم يقدِّر أنها تقع على فساد ، فلما أنْ حفرها وقع على فساد ، فبناها

(١) لأعشى باهلة يرثى المنتشر . انظر الأصمعيات ٨٩ وحواشيها . وعجزه :

* من علو لاعجب منه ولا سخر *

(٢) هو معود الحكماء معاوية بن مالك بن جعفر ، أو جرير . معاهد التنصيص ١ : ٢/٢٢٨ : ١٣٩ وديوان جرير ١٧ .

على ذلك وتهدَّم ما بنى ؛ وكان قبل ذلك يأمُل التمام لِما يريد . فمثل هذا لمّا أن مدح على رجاءِ تمام للمدح فأخلف فهوى بذمّ . انتهى

ثم رأيت ديوانَ الحطيئة جمع أبي سعيدَ السكّرىّ من رواية محمد بن حبيب وقبل هذه الأبيات قصيدةٌ فى ذمّ بنى سَهم بن عوذ[1] بن مالك بن غالب ابن قُطيعة بن عَبْس — وهم بنو عمّه — منها :

ولو وجدت سَهمٌ على الغىِّ ناصراً لقد حلَبت فيه زماناً وصَرَّتِ[2]

ولـكنَّ سهماً أفسدت دارَ غالبٍ كما أعدَتِ الُجربُ الصِحاحَ فعرَّتِ ١٤٠

قال السكّرىّ : كان من حديث هذه القصيدة أنّ بنى مالك بن غالب — وهم رهط الحطيئة — وبنى سهم بن عوذ بن مالك بن غالب أغاروا — وفيهم سُمَـير المخزومىّ ، ورئيسهم قدامة بن علقمة ، ومعهم المسيّب — على هوازنَ فأصابوا سبياً وإبلا ؛ فتنازع المسيب وسمير فى الإبل ، فغلب عليها المسيّب . ثم إن سميراً خرج بِنفَرٍ من قومه حتى أتوا الابل فأطردوها ؛ فلما أتى المسيبَ الخبر ركب بأصحـابه [فالتقوا[3]] فاقتتلوا قتالا شديداً فقتل منهم أربعة نفر ، وذهب بها سمير . وكان قال هذه الأبيات قبل أن يذهب بها سميرٌ ، فلما ذهب بها سمير ندم الحطيئة مما قال فقال :

فياندمى على سَهْم بن عوذٍ (الأبيات الأربعة)

(١) فى النسختين : « عود » فى جميع المواضع ، صوابه بالذال المعجمة كما سبق .

(٢) فى الديوان : « لقد حلبت فيها نساء وصرت » ، وقال فى شرحه : « يقول : سبين فصرن رواعى » .

(٣) التكملة من شرح الديوان .

قال السكّرى : أراد باللسان الشعر ، يريد : وددت أنّ الشعر الذى قلتُ فيهم كان مخبوءًا فى جُوالق . والرجا : ما بين رأس البئر إلى أسفلها ، فجعله ها هنا أسفلها . وقوله : وضمَّنت الرجا ، يريد أنها تهدّمت فصار أعلاها فى أسفلها . فلذلك جعل أسفلَها تضمَّن أعلاها . وهذا مثل . وهوت بذمٍّ : سقطت مذمومة[1] إنتهى كلامه .

وترجمة الحطيئة قد تقدّمت فى الشاهد التاسع والأربعين بعد المائة[2]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والسبعون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[3] :

٢٧٨ (مشائيم ليسوا مُصلِحينَ عَشيرةً
ولا ناعِبٍ إلا ببِينٍ غُرابُها)

على أن (ناعبٍ) عطف بالجرّ على (مصلحين) المنصوب على كونه خبر ليس لتوهّم الباء ، فإنها تجوز زيادتها فى خبر ليس ، ويسمّى هذا فى غير القرآن العطف على التوهّم ، وفى القرآن العطف على المعنى

وأنشده سيبويه فى موضعين بروايتين ، الأول أنشده (ولا ناعباً) بالنصب للعطف على مصلحين ، استشهد به على نصب عشيرة بمصلحين لأنّ

(١) الذى عند السكرى : « وبذم ، هذا مثل ، يريد سقطت مذمومة » .
(٢) الخزانة ٢ : ٤٠٦ .
(٣) فى كتابه ١ : ٨٣ ، ١٥٤ ، ٤١٨ والخصائص ٢ : ٣٥٤ والانصاف ١٩٣ ، ٣٩٥ ، ٥٩٥ وابن يعيش ٢ : ٥/٥٢ : ٧/٦٨ : ٥٧/ ٨ : ٦٩ وشرح شواهد المغنى ٢٩٥ والأشمونى ٢ : ٢٣٥ وديوان الفرزدق ٢٣ .

النون فيه بمنزلة التنوين في واحده ، وكلاهما يمنع من الإضافة ويوجب نصب ما بعده ، والثانى بجرّ (ناعب) على توهّم الباء فى خبر ليس .

ولم يجز المبّرد إلاّ نصب ناعب ، قال : لأنّ حرف الجر لا يضمر .

وقد بيَّن سيبويه ضعفَه وبُعدَه مع أخذه لذلك عن العرب سماعاً ، فلا معنى للرد عليه .

وأورده صاحب الكشّاف نظيراً لقوله تعالى : ﴿ كَيْفَ يَهْدِى اللهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرسولَ حَقٌّ[1] ﴾ قال : شهدوا معطوف على ما فى إيمانهم من معنى الفعل ، فهو من قبيل عطف الفعل على المصدر بتقدير أن ، إذ المعنى بعد أن آمنوا وشهدوا ، كما جرّ الشاعر ناعباً بتوهم الباء فى خبر ليس .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدةٍ عدّتها ستة وعشرون بيتاً ، للأَخْوَص اليرْبوعى . وهذه أبيات منها أنشدها الجاحظ (فى كتاب البيان[2]) :

أبيات الشاهد

(وليس بِيَرْبوع إلى العقل حاجةٌ ... سِوى دنَسٍ يسودُّ منه ثيابُها[3]

فكيف بنوكى مالكٍ ان غفَرتم ... لهم هذه أم كيف بعدُ خِطابها[4]

---

(١) الآية ٨٦ من آل عمران . وكذا استشهد به صاحب الكشاف فى سورة هود : « ومن وراء اسحاق يعقوب » بنصب يعقوب . وكذا عند قوله تعالى فى سورة المؤمن : « اذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل » بجر السلاسل .

(٢) البيان ٢ : ٢٦١ .

(٣) فى النسختين : « يسود منها » والتصحيح للشنقيطى فى نسخته .

(٤) البيان : « ان كفرتم » والكفر والغفر بمعنى .

مَشائيم ليسوا مُصلحين عشيرةً . . . . البيت
فإن أنتمُ لم تَقْتُلوا بأخيكم فكونوا بَغايا بالأ كُفّ عيابُها[١]
سيُخبِرُ ما أحدثْتُمو فى أخيكم رفاقٌ من الآفاق شتَّى إيابها)

قال أبو محمد الأسود الأعرابىّ (فى فرحة الأديب) : هذا الشعر لقتال

١٤١ كان بين بنى يربوع وبين بنى دارِم . فأراد بقوله مشائيم بنى دارم بن مالك لا بنى يربوع . وكان من قصة هذا الشعر أنّ ناساً من بنى يربوع وبنى دارم اجتمعوا على القَرعاء ، فقُتل بينهم رجلٌ من بنى غُدانة يكنى أبا بدر ؛ فقالت بنو يربوع : والله لا نبرح حتّى ندرك ثأرنا ! فقالت بنو دارم : إنّا لا نعرف قاتله فأقيموا قَسامةً نعطيكم حقّكم . فقالت بنو غُدانة : نحن نفعل . فأخرجوا خمسين لحلفوا كلّهم إلاّ رجلاً — أنّ الذى قتل أبا بدرٍ عُبيدُ بن زُرعة ؛ فقال الباقى من الخمسين أليس تدفعون إلينا عبيداً[٢] إذا أنا أكملت الخمسين ؟ قالوا : لا ، ولكنّا نَديه لأنّا لا ندرى من قتله . فقال الباقى عند ذلك — وهو أبو بَيْض الغُدانى — والله لا أكملهم أبداً ، ولا يفارقنا عُبيد حتّى نقتله ! فقام ضِرار بن القعقاع بن مَعبد بن زُرارة ، وشَيبان بن حنظلة بن بِشْر ابن عَمرو فكفلا بعُبيد ؛ فدفعته بنو غُدانة إليهما ، فلما جَنَّهم الليل قال ضرار وشيبان لعُبيد : انطلقْ حيث شئت . وغدت بنو غُدانة على بنى دارم ؛ فقالوا لهم : إنّ صاحبكم قد هرب ولكن هذه الدّيةُ ، فاقبلوها من إخوتكم ، ولا تطلبوا غير ذلك فتكونوا كجادِعٍ أنفه ، ولو علمنا مكان صاحبكم

(١) كذا فى ش مع الوضوح . وفى ط : « لم تعقلوا » .
(٢) كذا فى فرحة الأديب ، وسقطت من النسختين كلمة « عبيدا » ، وفى ط : « تدفعونه » .

قصَدْنا إليه . فلمّا سمعهم الأخوص يذكرون الدية قال : دعونى أتكلّم . قالوا : تكلّمْ يا أبا خولة . فقال هذه الأبيات من قصيدة .

قوله : وليس بيربوع إلى العقل الخ ، يقول : إنّ العقل لا ينفعهم بل يضرّهم ويكسبهم عاراً . ونَوكى ، بالفتح جمع أنوَك كأحمق وحمقى ، وزناً ومعنى ، أى كيف العِشرة معهم . ويروى بدل خِطابها (سبابها) بالكسر : مصدر سابَّه أى شاتمه .

و (مشائيم) : جمع مشئوم كمقصور ، قال (فى الصحاح) وقد شأم فلان قومَه يشأمهم فهو شائم : إذا جرَّ عليهم الشؤم ، وقد شُئِم عليهم فهو مشئوم : إذا صار شؤما عليهم ، وقوم مشائيم . وأنشد هذا البيت .

وقال السيد المرتضى[١] رحمه الله تعالى : « إنّ العربَ لا تعرف هذا ، وإنما هو من كلام أهل الأمصار . وإنما تسمّى العربُ مَن لحقه الشؤمُ مشئوما ، كما فى قول علقمةَ بن عَبَدة :

ومَن تعَرَّضِ للغِرْبانِ يَزْجُرُها على سلامته لا بدَّ مَشئومُ »

و (عشيرة) الرجل : بنو أبيه الأدنون . قال الأعلم : نسبهم إلى الشؤم وقلّة الصلاح والخير فيقول : لا يصلحون أمر العشيرة إذا فسد ما بينهم ، ولا يأتمرون بخير ، فغرابهم لا ينعِبُ إلاّ بالتشتيت والفراق . وهذا مثل للتعصُّم[٢] منهم والتشؤُّم . و (النعيب) بالعين المهملة : صوت الغراب ومدّه عنقه عند ذلك ، ومنه يقال ناقة نعوب : إذا مدّت عنقَها فى السير . وقال ابن

(١) أمالى المرتضى ١ : ٥٧٨

(٢) فى الأعلم ١ : ٨٣ : « للتطير » . وفى ش : « للتعظيم » ، وأثبت ما فى ط .

السيرافى (فى شرح شواهد إصلاح المنطق) : يقال نعَبَ الغراب : إذا صاح . وهم يتشاءمون بصوت الغراب . وإنما ذكر هذا على طريق المثل وإن لم يكن غراب ، كما يقال فلان مشئوم الطائر ، ويقال طائر الله لا طائرك . انتهى .

وقال ابن خلف : وقولهم « أشأم من غراب البين » فانّما لزمه هذا الاسم لأنّ الغراب إذا بان أهلُ الدار لنُجعةٍ وقَع فى مواضع بيوتهم يتلمس ما يأكله ؛ فتشاءموا به وتطيَّروا منه ، إذ كان لا يعترى منازلهم إلاّ إذا بانوا ، فسمَّوه غرابَ البين . ثم كرهوا اطلاق ذلك الاسم مخافة الزجر والطيرة ، فعلموا أنه نافذ البصر صافى العين ، حتى قالوا : « أصفى من عين الغراب » كما قالوا : « أصفى من عين الديك » ، فسمَّوه الأعورَ كنايةً ، كما كنَوا عن الأعمى فسمَّوه أبا بَصير ، وكما سمَّوا الملدوغ سليما ، والفيافىَ مَفاوز . وهذا كثير . ومن أجل تشاؤمهم بالغُراب اشتقّوا من اسمه الغُربة ، والاغتراب ، والغَريب . وليس فى الأرض شىء مما يتشاءمون به إلاّ والغراب عندهم أنكد منه . وذكر بعض أصحاب المعانى أن نعيب الغراب يُتطيَّر منه ونَغيقه يُتفاءل به ، وأنشد قولَ جرير :

١٤٢

إنّ الغُراب بما كَرِهتُ مُوَلَّع   بنَوى الأحبّة دائمُ التَّشحاجِ
ليتَ الغُرابَ غَداة يَنعِب دائباً   كان الغرابُ مقطَّع الأوداج

ثم أنشد فى النغيق :

تركتُ الطير عاكفةً عليه   وللغِربان من شِبَعٍ نغيقُ

قال : ويقال نَغَق الغراب إذا قال : غِيقْ غِيقْ . فيقال عندها نَغَق بخير . ونعب نعيباً : إذا قال غاقٍ غاقٍ . فيقال عندها نعَب ببين . قال : ومنهم من يقول نَغَق ببين . وأنشد فى ذلك :

أبقَى فِراقهمُ فى المقلتين قَذًى أمسى بذاك غراب البين قد نَعَقا

قال : وبعض العرب قد يتيمَّن بالغراب فيقال : « هم فى خَيرٍ لا يُطار غرابه » أى يقع الغراب فلا ينفَّر ، لكثرة ما عندهم . فلولا تيمُّنهم به لكانوا ينفِّرونه .

وقال الدافعون لهذا القول : الغراب فى هذا المثل السواد ، واحتجوا بقول النابغة :

ولرهطِ حرّاب وزيد سورةٌ فى المجد ليس غُرابُها بمطارِ (١)

أى من عرض لهم لم يمكنه أن ينفِّر سوادهم لعزِّهم وكثرتهم .

وقوله : فكونوا بَغايا الخ ، البغايا جمع بَغىّ ، يقال بغتِ المرأةِ بِغاء بالكسر والمد أى زنت فهى بغىٌّ . والعِياب ، بكسر المهملة : جمع عَيبة بفتحها وهى مايجعل فيه الثياب .

وقوله : سيُخبر ما أحدثتمو الخ ، المـآب : المرجع ، أى إذا رجعت الرفاق تفرَّقت فى كل وجه وانتشر فيهم قبح صنيعكم ، ونقله مَن سمِعه إلى من لم يسمعه .

والأخوص ، بالخاء المعجمة ، يقال رجل أخوص بيِّن الخوَص : أى غائر العينين وقد خَوِص بالكسر وأما الأحوص بالحاء المهملة فليس هذا ، وكثيراً مايصحف به . والحَوَص : ضِيق فى مؤخرِ العين .

---

(١) سورة المجد : أثره وعلامته وارتفاعه . والذى فى ديوانه ٣٥ واللسان (قدد ، سور) : « حراب وقد » بفتح قاف « قد » . وقالوا : حراب وقد : رجلان من بنى أسد .

الأخوص الرياحي اليربوعي

قال الآمديُّ (في المؤتلف والمختلف) : الأخوص ، بالخاء المعجمة ، اسمه زيد بن عمرو بن قيس بن عتّاب بن هَرْمِيٍّ بن رياح بن يربوع بن حنظلة ابن مالك بن زيد مَناة بن تميم ، شاعر فارس . وهو القائل :

وكنتُ إذا ما بابُ مَلْكٍ قرعتُه ... قرعتُ بآباءٍ ذَوى شرف ضَخْمِ[1]

بأبناء عتّاب وكان أبوهم ... إلى الشرف الأعلى بآبائه يَنمى

وهُمْ مَلّكوا الأملاكَ آلَ محرّقٍ ... وزادوا أبا قابوسَ رُغماً على رغم

وقادوا بِكَرْهٍ من شِهابٍ وحاجب ... رءوسَ مَعَدٍّ في الأَزِمّة والخُطُمِ

أنا ابن الذى سادَ الملوكَ حياتَه ... وساس الأمورَ بالمروءة والحِلْم

١٤٣ وكنّا إذا قوم رَمَينا صفاتَهم ... تركنا صُدوعاً بالصفاة التى نَرمى

حَمينا حِمَى الأسْدِ التى لشبولها ... تجرُّ من الأقران لحماً على لحم

ونَرعَى حِمى الأقوام غير مُحرَّم ... علينا ولا يُرعَى حمانا الذى نحمي

وله (في كتاب بني يربوع) أشعارٌ جياد مما تنخّلته من قبائلهم[2] . انتهى

وكتب أبو محمد بن عبد الله ابن بَرِّيّ النحوى (في هامشه) أنّ صاحب المؤتلف والمختلف لم يذكر الأخوص الرياحى ، وهو قيس بن زيد بن عمرو بن عتاب بن رياح . قال : ومن شعره :

مشائيم ليسوا مُصلحين عشيرةً ... . البيت

(١) الميمني : « الأبيات في النقائض ٦٨ لشريح بن الحارث اليربوعي، وهي تسعة . وفي ص ٣٠٠ للأخوص بزيادة : وفي نسخة وهو الصحيح: وقال شريح بن الحارث اليربوعي ، وهي عشرة . وفي البلدان (طخفة) خمسة للأخوص مصحفا » .

(٢) الميمني : « وفي النقائض ٩١٩ أيضا أبيات له . وهي بعينها في الاصابة ٢٩٩٨ » .

وفيه انَّ الأخوص الرياحى نُسب تارة إلى جدِّه الأدنى وهو رياح ، وتارة إلى جدِّه الأعلى وهو يربوع :

وقدَّم ابن بَرِّىّ بعض الأسماء على بعضها والصواب ما أثبته الآمدىّ .

ويؤيده ماقاله ياقوت (فى مختصر جمهرة الأنساب) ، فانه لما ذكر أولاد هَرْمِىّ بن رياح قال : ومنهم عتَّاب بن هَرْمِىّ بن رياح ، وهو رِدْف النعمان والمنذرِ أبيه . ومن ولده الأخوص بنُ عمرِو بن قيس بن عتَّاب ، والحرُّ ابنُ يزيدَ بن ناجية بن قعنَبِ بن عَتَّاب المقتولُ مع الحسين بن على عليهما السلام . انتهى .

وظهر من هذا أنَّ الأخوص الرِّياحى إسلامى[1] . والله أعلم .

ثم رأيت (فى ضالة الأديب لأبى محمد الأعرابى) شعراً له يتعلق بإبل الصدقة . فعلم أنّه إسلامىٌّ . وهو معاصر لسُحَيم بن وَثِيل .

* * *

وأنشد بعده :

(مُعاوِىَ إنَّنا بَشرٌ فأسْجِحْ فَلسنا بالجبال ولا الحَـديدَا)

على أنَّ قوله (الحديدا) معطوف على محل قوله (بالجبال) ، فإنَّه فى محل نصبٍ ، لأنه خبر ليس ، والباء زائدة .

و (مُعاوِى) منادَى مرخَّم معاوية بن أبى سفيان . و (أَسجِحْ) بفتح الهمزة وكسر الجيم : فعل أمر بمعنى ارفُق وسَهِّل .

---

(١) الميمنى : « كان فى خلافة عثمان . وانظر النقائض ٩١٨ والاصابة ٢٩٩٨ » .

وقد تقدَّم شرحه مفصَّلا فى الشاهد الرابع والعشرين بعد المائة[1] :

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والسبعون بعد المائتين :

٢٧٩ ﴿ إنْ هُو مُسْتَوْلِياً على أحَدٍ   إلاّ على   أضْعَفِ المَجَانينِ[2] ﴾

على أن المبرد أجاز إعمال (إن) النافية عمل ليس ، واستشهد بهذا البيت : فهو اسمها ومستولياً خبرها .

(وإنْ) كما النافية الحجازية فى الحكم ، لا تختص فى العمل بنكرةٍ دون معرفة ، بل تعمل فيهما . قال ابن هشام (فى المغنى) : أجاز الكسائىّ والمبرِّد إعمال إن عمل ليس ، وقرأ سعيد بن جُبير : ﴿ إنِ الذينَ تَدْعُون مِنْ دُونِ اللهِ عِباداً أمْثَالَكم[3] ﴾ بنون خفيفة مكسورة لالتقاء الساكنين ، ونصب عباداً وأمثالكم . وسُمِع من أهل العالية : إنْ أحدٌ خيراً من أحد إلا بالعافية . وإنْ ذلكَ نافعَكَ ولا ضارَّكَ . انتهى .

وقال (فى شرح شواهده) : كذا خرَّج ابن جنِّي قراءة سعيد بن جبير ، فظنَّ أبو حيان أن تخريجها على ذلك يوقع فى تناقض القراءتين ، فإنَّ الجماعة يقرءون بتشديد النون وفتحها ورفع عباد وأمثالكم ، وذلك إثبات ، وقراءة سعيد على هذا التخريج نفىٌ . فخرَّجها على أنَّها المؤكدة خفِّفت ونَصبت الجزأين كقوله :

---

(١) الخزانة ٢ : ٢٦٠ .

(٢) شذور الذهب ٢٧٨ والعينى ٢ : ١١٣ والتصريح ١ : ٢٠١ والهمع ١ : ١٢٥ والأشمونى ١ : ٢٥٥ .

(٣) الآية ١٩٤ من الأعراف .

١٤٤ * إنّ حرّاسنا أُسْدًا[١] *

ولم يُثبت الأكثرون إعمالها النصب فى الجزأين وتأوّلوا ما أوهم ذلك .
ثم إن القائلين به لم يذكروه إلاّ مع التشديد ، لا مع التخفيف . ثم إنّ التناقض الذى توهّمه مدفوع ، لأنّهم أمثالهم فى أنّهم مخلوقون وليسوا أمثالهم فى الحياة والنطق . وقراءة سعيد على هذا التخريج أقوى فى التشنيع عليهم من قراءة الجماعة ، ويؤيدها ما بعدها من قوله تعالى : ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا[٢] ﴾ .... الآيات . انتهى .

وقال ابن الشجرى (فى أماليه[٣]) : إذا كانت إنْ نافية فسيبويه لا يرى فيها إلاّ رفع الخبر . وإنّما حكم بالرفع لأنّها حرف جحد يُحدث معنى فى الاسم والفعل كألف الاستفهام ، وكما لم تعمل ما التميميَّة ، وهو وفاقٌ للقياس . ولما خالف بعضُ العرب القياسَ فأعملوا ما ، لم يكن لنا أن نتعدّى القياسَ فى غير ما . وغيرُ سيبويه أعمل إنْ على تشبيهها بليس كما استحسن ذلك فى ما ، واحتجّ بأنه لا فرق بين إنْ وما فى المعنى ؛ إذ هما لنفى ما فى الحال ، وتقع بعدها جملة الابتداء كما تقع بَعد ليس . وأنشد :

إنْ هو مستولياً على أحدٍ إلاّ على حزبه الملاعين

وهو قول الكسائىّ والمبرد . ووافق الفرّاء فى قوله سيبويه . انتهى .

ورُوىَ العجز أيضاً : (إلاّ على حزبه المناحيسِ)

---

(١) لعمر بن أبى ربيعة . شرح شواهد المغنى ٤٥ والهمع ١ : ١٣٤ والأشمونى ١ : ٢٦٩ . وليس فى ديوانه .

(٢) الآية ١٩٥ من الأعراف .

(٣) لم أجد هذا النص فى نسخة أمالى ابن الشجرى المطبوعة ، ومن المعروف أنها ناقصة الآخر فى أصلها .

قال ابن هشام : وفى البيت شاهد على مسألة أخرى ، وهى أنّ انتقاض النفى بعد الخبر لا يقدح فى العمل ، ومثله فى ذلك قول الآخر :

إنِ المرء مَيْتاً بانقضاء حياته ولكن بأن يُبغى عليه فيُخذلاَ[١]

وهذا الشاهد مع كثرة دورانه فى كتب النحو لم يعلم له قائل . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثمانون بعد المائتين :

٢٨٠ * ولاتَ ساعةَ مَنْدَمِ[٢] *

على أن الفراء قال : لا يختصُّ عمل لات بلفظ الحين ، بل تكون مع الأوقات كلِّها . وأنشد هذا الشعر .

أقول : لعلّ الفرّاء قال مانقله الشارح المحقق عنه فى غير تفسيره ، وأما فى تفسيره فإنّه لم يتعرّض لهذا ولا لغيره أيضًا . وروى هذا الشعر على أنّ لات فيه حرف جرّ ؛ وهذه عبارته فى سورة ص ، عند تفسير قوله تعالى ﴿ فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ[٣] ﴾ : يقول ليس حين فرار . والنَّوْص : التأخُّر . ومن العرب من يضيف لات فيخفض ، أنشدونى :

* ولاتَ ساعةَ مَنْدمِ *

ولا أحفظ صدره . والكلام أن يُنْصب بها فى معنى ليس ، أنشدنى المفضّل :

(١) ط : « ان المرء منا » ، صوابه ما اثبت من تصحيح الشنقيطى والعينى ٢ : ١٤٥ والهمع ١ : ١٢٥ والأشمونى ١ : ٢٥٥ .

(٢) شذور الذهب ٢٠٠ والعينى ٢ : ١٤٦ والهمع ١ : ١٢٦ والأشمونى ١ : ٢٥٦ .

(٣) الآية ٣ من ص .

تذكَّر حبَّ ليلى لاتَ حينًا وأضحى الشيبُ قد قطع القَرينا

فهذا نصب . وأنشد بعضهم :

طلَبوا صُلحَنا ولاتَ أوانٍ فأجَبْنا أنْ ليس حينَ بقاءِ[1]

فخَفَضَ أوانٍ . فهذا خفض . انتهى كلام الفرّاء .

فظهر من كلامه أنّه ليس فيه تقييد معمول لات بزمان ولا غيره .

وقد نقل عنه ابن هشام (فى المغنى) تبعاً لأبى حيّان (فى الارتشاف) خلافَ ما نقله الشارح المحقق ، قال : اختُلفَ فى معمولها : فنصَّ الفرّاء على أنّها لا تعمل إلاّ فى لفظ الحين — وهو ظاهر قول سيبويه — وذهب الفارسىّ وجماعة إلى أنها تعمل فى الحين وفيما رادفه . ثم قال بعد هذا : زعم الفرّاء أنّ لاتَ تستعمل حرفاً جارّاً لأسماء الزمان خاصّة .

١٤٥ قال الدمامينى : بين نقلِ ابن هشام ونقل الرضىّ عن الفرّاء تخالُف . فإنْ قلتَ : هلاَّ حملتَ نقل الرضىّ عن الفرّاء : أنها تكون مع الأوقات ، على ما إذا كانت عاملة للجر كما نقله المصنف هنا ، وحملت حكاية كلام المصنف أوّلاً أنها لا تعمل إلا فى لفظ الحين على ما إذا كانت عاملة عمل ليس ، فلا يكون بين النقلين تعارض . قلتُ : لاَ ؛ لأنّ الرضىَّ لما ذكَر عنه أنها تعمل فى الأوقات[2] أنشد :

* ولاتَ ساعةَ مندم *

والرواية فيه بنصب الساعة . فلم يبق إذا للتوفيق مجال . انتهى .

---

(١) لأبى زبيد الطائى . انظر الشاهد ٢٨٢ .

(٢) ش : « أنها لا تعمل فى الأوقات » ، وهو خلاف ما تقدم .

أقول . قد وقع هذا الشعر فى كلام الشارح المحقق مجملا ، لايعلم هل هو منصوب أو مجرور ، وبان لك من نقلنا لكلام الفرّاء أنّ الرواية عنه عن العرب الجرّ ، فكيف تكون الرواية فيه النصب ؟ نعم رُوى النصب عن غير الفرّاء ، وبه أورده ابن الناظم وابن عقيل (فى شرح الألفية) فتكون ساعةَ خبر لات واسمها محذوف . ويجوز الرفع بقلة على أنها اسم لات والخبر محذوف فيقدَّر فى الأوّل : ولات ساعةُ لك ساعةَ مندم ، أو ولات الساعةُ ساعةَ مندم . وقدَّر الشارح المحقِّق فى الآية أى لات الحينُ حينَ مناص .

فإن قلت : إنهم قالوا لات لاتعمل إلا فى اسم زمان منكّر ، فكان الظاهر فى البيت التقدير الأوّل ، وفى الآية نحو ما قدَّره الشاطبي ، وهو ولاتَ حينُ يُنادَونَ فيه حينَ مناص .

قلتُ : إنّهم قالوا (منهم ابن هشام ، فى المغنى) : إن لات لاتعمل فى معرفة ظاهرة ، فمفهومه أنها تعمل فى معرفة مقدَّرة . ونقَل ناظر الجيش (فى شرح التسهيل) عن شرح الكافية لابن مالك : لابدّ من تقدير المحذوف معرفةً لأنّ المراد نفى كون الحين الحاضر حيناً يَنُوصون فيه أى يهربون أويتأخّرونَ ، وليس المراد نفى جنس حين للمناص ، ولذلك كان رفع الحين الموجود شاذاً لأنه محوج إلى تكلّفِ مقدرٍ يستقيم به المعنى ، مثل أن يقال معناه ليس حين مناص موجوداً لهم عند تناديهم ونزول مابهم ، إذْ قد كان لهم قبل ذلك حينُ مناص ، فلا يصحّ نفى جنسه مطلقاً بل مقيّدا .

وقول الشارح المحقق « وتعمل عملَ ليس بكسع التاء » أى بلحاقها للات وتبعها إيّاها . قال الصاغانىّ (فى العباب) فى فصل الكاف من باب الهمزة : كسأ القوم وكسَعَهم : إذا تبعهم . وهذه عبارة مألوفة للنحاة قديماً وحديثاً . قال

ابن مالك (فى التسهيل) هنا : وتُكسَع بالتاء فتختصّ بالحين أو مرادفه .
وقول الشاطبىّ : كُسعت بالتاء أى ضُرِب فى عجُزها بها[١] فيه تكلّف للمناسبة . وكذلك قول شارح اللباب : يقال كسعت فلانا : إذا ضربتَ دبره بيدك أو بصدر قدمك . أو من كسَعتُ الناقة ، إذا ضربت خِلفَها بالماء البارد ليترادّ اللبن فى ضرعها[٢] . انتهى

ويقدَّر فى الساعة[٣] نحولات ساعةُ مندم ساعةٌ لك . وقدَّر الشارح المحقق فى الآية تبعًا لأبى علىّ (فى المسائل المنثورة) أى لات حينُ مناص حاصلاً .
وفيه أنهم قالوا : إنَّ عمل لات مختصٌّ بالحين اسمًا وخبراً . قال ابن مالك :

وما للاتَ فى سِوى حين عملْ وحذفُ ذى الرفع فَشا والعكس قَلّْ

فالظاهر نحو ما قدَّره الشاطبى أى ولات حينُ مناص حينًا يُنادون فيه .
وقد جاء عمل لات فى غير الحين شذوذاً فى قول الحماسى[٤] :

لهفى عليك لِلهفةٍ من خائفٍ يبغى جِوارَكَ حين لات مجيرُ ١٤٦

ولا ينبغى حمل الآية على هذا .

فإن قلتَ : اجعلْ حاصلاً صفةَ زمان محذوفٍ أى حينًا حاصلا ونحوه .
قلتُ : شرط هذا اختصاص الصفة بالموصوف ، وما هنا ليس كذلك .

ثم قال الشارح المحقق : « ولا يجوز أن يقال بإضمار اسمها ؛ لأنّ الحروف لا يُضمَر فيها » .

---

(١) هذا الصواب فى ش . وفى ط : « أى ضرب عجزها فى عجزها » .
(٢) ط : « فى ظهرها » .
(٣) ش : « فى الثانى » .
(٤) هو عبد الله بن أيوب التيمى يرثى منصور بن زياد . الحماسة ٩٥٠ بشرح المرزوقى وشرح شواهد المغنى ٣١٣ .

أقول : يريد الردَّ على المصنف (فى الإيضاح) فإنَّه عبّر هناك بالإضمار دون الحذف . وهذا شيء قد سبقه سيبويه فيه ، فإنه كثيراً ما يطلق لفظ الإضمار على الحذف . وكذلك فعل صاحب اللبّ ، قال : واسم لات حينَ محذوف أو مضمر ، لجريها مجرى الفعل فى إلحاق التاء عند الخليل وسيبويه . وقال السيد شارحه : فإنَّه لما أُلحقت التاء صارت شبيهة بليسَ صورة ومعنى ، فحسن إضمار الإسم فيها كما فى ليس . وحمل ابن خروفٍ كلامَ سيبويه على التجوُّز لا على حقيقة الإضمار ، بناء على أنَّها عنده حرف لا فعل ، فإنَّهم قد اختلفوا فى حقيقتها على ثلاثة مذاهب[١] ، كما اختلفوا فى عملها .

فالأول فيه أربعة مذاهب :

(أحدها) أنها كلمة واحدة فعل ماض ، وفيه قولان : أحدهما أنها فى الأصل بمعنى نقَص ، من قوله تعالى : ﴿ لا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمالِكُمْ شَيْئاً[٢] ﴾ فإنه يقال لاتَ يَلِيت كما يقال أَلَت يأْلِت — وقد قرئَ بهما — ثم استعملت للنفى كما أنَّ قلّ كذلك ؛ قاله أبو ذَرّ الخُشَني فى شرح كتاب سيبويه ، نقله عنه أبو حيان (فى الارتشاف) وابن هشام (فى المغنى) . والقول الثانى : أنَّ أصلها ليس أبدلت سينها تاء ، كما قالوا سِتّ والأصل سِدْس بدليل التصغير على سُدَيْس والتكسير على أسداس ، فصارت ليت ، ثم انقلبت الياء ألفاً لتحركها فى الأصل وانفتاح ما قبلها ، إذ أصلها عندهم لَيِس بكسر الياء فصارت لات ، فلمَّا تغيرت اختصت بالحين .

---

(١) فى حواشى الطبعة الأولى : « قوله على ثلاثة مذاهب ، هكذا بالأصل ، والصواب : أربعة ، بدليل ما بعده . نعم ان ابن هشام فى المغنى اقتصر على ثلاثة مذاهب ، وهى ما عدا الأخير هنا » .

(٢) الآية ٣ من سورة ص .

والمذهب (الثانى) أنّها كلمتان : لا النافية ، والتاء لتأنيث اللفظ ، كما شرحه الشارح المحقق — وهذا مذهب الجمهور .

و (الثالث) أنّها حرف مستقلّ ليس أصلُها ليس ولا لا ، نقله الشاطبىّ — فى شرح الألفية .

(الرابع) أنها كلمة وبعض كلمة ، وذلك أنها لا النافية والتاء زائدة فى أول الحين . ونسب هذا إلى أبى عبيد[1] وابن الطَّراوة . قال ابن هشام (فى المغنى) : واستدلَّ أبو عُبيد بأنه وجدها فى الإمام — وهو مصحف عثمان ابن عفان — مختلطة بحين فى الخطّ . ولا دليل فيه ، فكم فى الخطّ من أشياء خارجة عن القياس ويشهد للجمهور أنه يُوقف عليها بالتاء والهاء ، ورُسمت منفصلة من الحين ، وأن التاء قد تكسر على أصل حركة التقاء الساكنين . وهو معنى قول الزمخشرىّ : وقرئ بالكسر على البناء كجيرِ . انتهى. ولو كان فعلاً ماضياً لم يكن للكسر وجه .

وأما الاختلاف فى عملها ففيه أربعة مذاهب أيضاً :

(أحدها) أنها لا تعمل شيئاً ، فإنْ وليها مرفوع فمبتدأ حذف خبره ، أو منصوب فمفعول بفعل محذوف وهو قول الأخفش ، والتقدير عنده فى الآية : لا أرى حينَ مناص ، وعلى قراءة الرفع ولا حينُ مناص كائن لهم .

(الثانى) : أنها تعمل عمل لا التبرئة وهو عمل إنّ . وهذا قولٌ آخرُ للأخفش والكوفيين.

(الثالث) : أنها حرف جرّ عند الفرّاء على ما نقل عنه .

---

(١) انظر تحقيق البغدادى لنسبة هذا القول الى أبى عبيد فى أول الشاهد التالى .

(الرابع) : أنها تعمل عمل ليس ، وهو قول الجمهور . قال أبو حيان (فى الارتشاف) : والعطف على خبر لات عند من أعملها إعمال ليس كالعطف على خبر ما الحجازية ، لات حين جزع ولات حين طيش ولات حين قلق بل حين صبر ، تنصب فى الأولى وترفع فى الثانية كما كان فى ما ولا النافية . ثم قال : وقد جاءت لات غير مضاف إليها حين ولا مذكور بعدها حين ولا ما رادفه ، فى قول الأفوه الأودىّ :

١٤٧

تركَ النَّاسُ لنــا أكنافَهُمْ وتولَّوا لاتَ لم يُغْنِ الفِرار

قال ناظر الجيش (فى شرح التسهيل) : وهذا يدلّ على أن لات لا تعمل وإنّما هى فى هذا البيت حرف نفى مؤكّد بحرف النفى الذى هو لم . ولو كانت عاملةً لم يجز حذف الجزأين بعدها ، كما لا يحذفان بعد ما ولا العاملتين عمل ليس .

والبيت الشــاهد الذى قال الفرّاء لا أحفظ صدره ، رواه مع صدره ابن السكيت (فى كتاب الأضداد) ، وهو[1] :

(ولَتعرفنَّ خلائقــاً مشمولةً ولتندمنَّ ولاتَ ساعةَ مَنْدَم)

قال فيه قال ابن الأعرابىّ ، يقال أخلاق مشمولة أى مشئومة ، وأخلاق سَوء . وأنشد :

ولتعرفن خلائقاً مشمولة . . . . . البيت

ويقال أيضاً رجل مشمول الخلائق : أى كريم الأخلاق . قال : وأنشد أبو عمرو لرجل من بنى سعد :

---

(١) الميمنى : « ابن السكيت رقم ٢٩٠ والأصمعى ١٨ وابن الأنبارى ١٠٩ فى كتب الأضداد » .

كأن لم أعش يوماً بصهباء لَذَّةٍ ولم انْدُ مشمولاً خلائقه مِثْلى ... انتهى

وأند ، بالنون قال أبو حنيفة الدينورى (فى كتاب النبات) ناديت الرجل مثل نادمت وهو المجالسة ، ولم أندُ : لم أجالس . والنادى منه ، هو المجلس . وأنشد هذا البيت .

وزعم الشاطبي أنَّ هذا البيت برمّته رواه الفراء عن المفضّل . وهذا لا أصل له ، وإنما الذى رواه عن المفضّل البيت الذى بعده كما هو ظاهر من نقل عبارة الفرّاء .

ورأيت ابن عقيل وغيره ذكر للبيت الشاهد روايةً غير ما نقلناه ، جعله صدراً وتمّمه بعجزٍ كذا :

ندم البغاةُ ولات ساعةَ مندمٍ والبغى مرتَعُ مُبتغيه وخيمُ

وقال : هو لرجل من طيء . أى ولات الساعة ساعة مندم . وهذا هو المشهور المتداول فى كتب النحو .

وقال العينى : قائله محمد بن عيسى بن طلحة بن عبيد الله التيمى ؛ ويقال مهلهل بن مالك الكنانى . والله أعلم بحقيقة الحال .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والثمانون بعد المائتين :

٢٨١ (العَاطِفُونَ تَحِينَ ما مِنْ عاطفٍ والمطعمون زمانَ أينَ المطْعِمُ[١])

على أن أبا عبيد زعم أنَّ التاء فى قولهم لات حين مناص من تمام حين

(١) مجالس ثعلب ٤٤٢ والانصاف ١٠٨ والأشمونى ٤ : ٣٣٩ واللسان (ليت ٢٩٢ حين ٢٩١) .

كما فى هذا البيت . ومثله لصاحب اللب وغيره قال : وعن أبى عبيد : تحين لغة فى حين ، ولا لنفى الجنس .

أقول : إنَّ أبا عبيد لم يذهب إلى هذا ، وإنما هو قول للأموى[1] نقله عنه (فى كتابه فى اللغة ، المشهور بالغريب المصنف) وهذه عبارته فيه : وقال الأحمرَ : تالآن فى معنى الآن ، وأنشدنا :

نَوِّلِى قبلَ نأى دارى جُمَانا ... وصِلِينا كما زعمتِ تالآنا[2]

١٤٧ وكذلك قال الأموىّ ، وأنشد لأبى وَجْزة[3] :

العاطفون تحينَ ما من عاطفٍ ... والمُفضلونَ يداً إذا ما أنعَمُوا[4]

قال : وإنما هو حين[5] ، قال : ومنه قوله تعالى : ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاص﴾ معناه لا حينَ مناص . انتهى كلامه .

فعُلِم به أنَّ القول بكون لات حين هو لا تحين والتاء زائدة إنما هو قول

---

(١) هو أبو محمد عبد الله بن سعيد بن أبان بن سعيد بن العاص . ذكره الزبيدى فى الطبقة الثالثة من اللغويين الكوفيين وقال : وروى عنه أبو عبيد وغيره . بغية الوعاء ٢٨٢ وقال ابن النديم فى الفهرست ٧٢ : « وليس من الأعراب . لقى العلماء ودخل البادية وأخذ عن الفصحاء من الأعراب . وله من الكتب : كتاب النوادر ، كتاب رحل البيت » . وهو شارح قصائد أبى حزام العكلى فى مجموع أشعار ٨٥ ــ ١٠٧ الملحقة بالجزء الأول من مجموع أشعار العرب نشر وليم بن الورد البروسى فى ليبسك سنة ١٩٠٢ .

(٢) تأويل مشكل القرآن ٤٠٤ والانصاف ١١٠ واللسان (حين) .

(٣) ط : « لأبى وجرة » صوابه فى ش .

(٤) ش : « أسغبوا » .

(٥) ش : « تحين » .

الأمويّ لا أبى عبيد ، وإن اشتهر النقل عنه . وقد ردّه الشارح المحقّق ولم يبين موقع التاء فى هذا البيت . وقد رأيت فى تخريجه وجهين :

(أحدهما) ذكره ابن جنّي (فى سر الصناعة) وسبقه ابن السيرافى (فى شرح شواهد الغريب المصنف) وأبو على (فى المسائل المنثورة) : وهو أنها فى الأصل هاء السكت لاحقة لقوله العاطفون ، اضطُرّ الشاعر إلى تحريكها فأبدلها تاء وفتحها . قال ابن جِنّي : أراد أن يجريه فى الوصل على حدّ ما يكون عليه فى الوقف ، وذلك أنه يقال فى الوقف هؤلاء مسلمونه وضاربونه ، فتلحق الهاء لبيان حركة النون ، كما أنشدوا :

أهكذا يا طيب تفعلونه أعَلَلاً ونحن منهلُونَهْ

فصار التقدير العاطفونه ، ثم إنّه شبه هاء الوقف بهاء التأنيث ، فلما احتاج لإقامة الوزن إلى حركة الهاء قلبها بتاء ، كما تقول فى الوقف : هذا طلحهْ ، فإذا وصلت صارت الهاء تاء فقلت هذا طلحتنا . وعلى هذا قال العاطفونه . ويؤنس بصحّة هذا قول الراجز :

من بعدِ ما وبعدِ ما وبعدِ مَتْ صارت نفوسُ القوم عند الغَلْصمَتْ[1]

أراد : وبعد ما ، فأبدل الألف فى التقدير هاء ، فصارت بَعْدَمه ، ثم إنّه أبدل الهاء تاء لتوافق بقية القوافى التى تليها ، وشجّعه شبه الهاء المقدرة فى قوله وبعدمه بهاء التأنيث فى طلحة وحمزة ، ولما كان يراهم قد يقولون فى الوقف :هذا

---

(١) لأبى النجم العجلى فى مجالس ثعلب ٣٢٧ والخصائص ١ : ٣٠٤ وشرح شواهد الشافية ٢١٨ والعينى ٤ : ٥٥٩ والتصريح ٢ : ٣٤٤ والهمع ٢ : ٢٠٩ والأشمونى ٤ : ٢١٢ .

طلْحتْ وحزتْ قال هو أيضاً وبعدمت ، فأبدل الهاء المبدلة من الألف تاء . وليس شيء مما يُضطرّون إليه إلاّ وهم يحاولون به وجهاً . فإذا جاز أن تشبّه هاء وَبَعْدَمَهْ بتاء التأنيث حتى يقال فيها وبعدمتْ جاز أيضاً أن تشبه هاء العاطفونه بهاء التأنيث فيقال العاطفونت ، وفتحت التاء كما فتحت فى آخر رُبّتَ وثُمّتَ . انتهى مختصراً .

قال ابن السيرافى : ويجوز أن ينشد (العاطفونهْ) بإسكان الهاء ، فيكون قد أضمر وجعل مستفعلن فى موضع متفاعلن . وأظنّ أنّ الرواة غيّروه وحرّكوه طلباً لأن يكون الجزء تاماً على الأصل . انتهى

والوجه (الثانى) ذكره ابن مالك (فى التسهيل) وتبعه شارح اللبّ : وهو أن التاء بقيّة لات ، فحذفت لا وبقيت التاء . قال : وقد يضاف إلى لات حين لفظاً أو تقديراً ، وربما استغنى مع التقدير عن لا بالتاء . ومثّل ابن عقيل للأوّل بقوله :

وذلك حين لاتَ أوانَ حلم ولكنْ قبلَها اجتنبوا أذاتِى

ـ أى أذيّتى ـ ومثّل للثانى بقوله :

تذكَّرَ حُبَّ ليلى لات حيناً وأمسى الشيبُ قد قَطع القَرينا

أى حين لات حين تذكر . ومثل للثالث بقوله :

العاطفونت حينَ ما مِنْ عاطفٍ . . . . البيت

أى حين لات حين ما من عاطف ، فحذف حين ولا . ١٤٩

هذا كلامهما ولا يخفى تعسّفه . وتخريج هذا البيت على زيادة التاء أسهل وأقل كلفة من هذين التخريجين وإن كان لا يطّرد زيادة التاء فى كل موضع فيه لا . وهذه التاء زيادتها غير مطّردة وغير لازمة . وقد سمع زيادتها مع لفظ

الآن أيضاً ، قال أبو زيد (فى نوادره) : سمعت من يقول حسبك تالآن ، يريد الآن . وقال ابن أحمر :

نَوِّلى قبل نأى دارى جُمانا وصِلينا كما زعمتِ تالآنا

أى كما زعمت الآن . ونوّلى أمر من النوال وهو القُبْلة . وجُمانا : منادى مرخّم جُمانة بضمّ الجيم وهو امرأة ، والألف للاطلاق .

صاحب الشاهد

وهذا البيت الشاهد من قصيدةٍ لأبى وَجْزَة السعْدِىّ مدح بها آل الزبير ابن العوام ؛ لـكنّه مركّب من مصراعى بيتين وقع فى صحاح الجوهرى هكذا فتبعه الشارح المحقّق وغيره . والذى فى ديوانه كذا :

أبيات الشاهد

(وإلى ذَرا آلِ الزُّبير بفضْلهم نِعْم الذَّرا فى النائبات لَنا هُمُ
العاطفون تَحينَ ما مِنْ عاطفٍ والمسبغون يداً إذا ما أنعموا
واللاحقون جِفانَهمْ قَمَعَ الذُّرا والمطعِمون زمانَ أينَ المطْعِمُ
والمانعون من المضيمة جارَهم والحاملون إذا العشيرة تَغْرم)

والذَّرا بالفتح : كلّ ما استترت به ، يقال أنا فى ظلّ فلان وفى ذَراه أى فى كنفه وسِتره . والنائبات : شدائد الدهر وحوادثه . وفى واللام متعلّقان بالذَّرا ، لأنه بمعنى الملتجأ . وهم هو المخصوص بالمدح .

و (العطفُ) : الشفقة والتحنّن . و (تَحينَ) ظرف للعاطفون ، والتاء زائدة أو أنّها متصلة بما قبلها على أنها هاء السكت كما بيّنّاه ؛ وعلى هذين القولين ما نافية وحين مضافة إلى الجملة المنفيّة ، فإنّ مِن زائدة وعاطف مبتدأ خبره محذوف أى يوجد ونحوه ؛ أو أنه بقية لات وحين خبرها واسمها محذوف كما قال ابن مالك . وفيه غرابةٌ ، حيث يحذف العامل ويبقى منه حرف واحد وهو مع ذلك عامل ، وهذا لا نظير له . وينظر على هذا فى حين ، هل

هى مضافة إلى الجملة المنفية ، أو أنَّ ما ليست نافية ؟ فإن كانت نافية انتقض النفى الأوّل بها . وهذا غير مراد الشاعر . وإن كانت غير نافية فينظر من أى أنواع ما هى . وبالجملة : كون التاء بقيّة لات يشكلُ عليه معنى البيت وإعرابه ولا داعىَ إلى هذا كلّه . وقال ناظر الجيش : وتخريج البيت على ما ذكره المصنّف لا يتعقّل ، لأنّه يكون المعنى هم العاطفون وقت ليس الحين حين ليس ثَمَّ عاطف . و (المسبغون) : مِن أسبغ الله النعمة : أفاضها وأتمّها . وسَبَغت النعمة : اتَّسعت . وروى صاحب الغريب المصنَّف : (المُفْضِلون) بدل المسبغون من الإفضال وهو الإنعام ؛ والجيّد هو الأول . و (اليد) : النعمة . يقول : هم يعطفون على من سألهم واحتاج إليهم ، إذا اشتدت الأحوال وأجدب الزمان ، ولم يجد المسترفِد رافداً ؛ وإذا أنعموا أوسعوا على المنعَم عليه إفضالا ونائلا .

وقوله : واللاحقون الخ ، أى والمُتْبِعون ؛ يقال لحِقته ولحِقت به من باب تعب لحَاقا بالفتح : إذا تبعته وأدركته ؛ وألحقته بالألف مثله ؛ ولحقه الثمن لحُوقا : لزمه ؛ فاللحُوق : اللزوم ، واللحَاق : الإدراك . كذا فى المصباح .

١٥٠ والجِفان ، بالكسر : جمع جَفنة بالفتح ، وهى القَصْعة الكبيرة للطعام . والقَمَع بفتح القاف والميم : جمع قَمَعة بالتحريك ، وهى رأس السَّنام ؛ والذُّرا بالضمّ : جمع ذُروة بضم الذال وكسرها : أعلى السَّنام ؛ وإنّما خصّهُ لأنّه أطيبَ لحم الإبل عندهم . وزمانَ ظرف للمطعمون ، وهو مضاف للجملة بعده لكن بتقدير مضاف أى زمان سؤال أين المطعم . ورواه الأموىّ على ما نقله أبو عبيد فى الغريب المصنّف :

* والمطعمونَ زمانَ ما مِن مطعمٍ *

فيكون فى البيت على هذه الرواية إقواء . مَدَحهم بأنّهم يطعمون الفقراء أطيبَ اللحم فى أيام القحط والجدب ، وفى الزمان الذى يتساءل الناس عن الكرماء المطعِمين للطعام .

وقوله : والمانعون الخ ، الهضيمة : المظلمة ، فعيلة بمعنى فاعلة ، من هضمت الشىء إذا كسرته . والحاملون : من حمل الديَة . يقول : إنْ وُزِّعت دية قتيلٍ على عشيرته حملها عنهم ودفعها من ماله .

وتركيب بيت من بيتين ونحوه فى الاستشهاد شائع عند المصنّفين يفعلونه قصداً ، إما لأنّ المعنى متفرّقا يكون فى أبيات ، وإمّا لأنّ فى أحد المصراعين قلاقةً معنًى أو لغة ، فيختصرونه بأخذ مصراعين منه ، كما فعل ابن الشجرى وابن هشام (فى المغنى) فى قوله :

وناهدةِ الثّديين قلت لها اتَّكى ... فقالت على اسم الله أمرُك طاعة[1]

وهو من شعرٍ لعمر بن أبى ربيعة . وله حكاية ذكرها الجاحظ (فى المحاسن والمساوى) . والأصل هكذا :

وناهدةِ الثديين قلتُ لها اتّكى ... على الرمل من جَنْباته لم توسَّدِ[2]

فقالت على اسم الله أمرك طاعته ... وإن كنت قد كلّفت ما لم أعوّدِ

فأخذ منهما مصراعين ، ولم يتنبه لهذا أحد من شرّاح المغنى . وكما فعل الزمخشرى (فى المفصّل) وغيره كابن هشام (فى المغنى) فى قوله :

---

(١) انظر الخصائص ٢ : ٣٦٢ وابن الشجرى ١ : ٣٢٠ والأغانى ١ : ٧٥ وشرح شواهد المغنى ٣١٤ .

(٢) فى المحاسن والأضداد ٢٦١ : « فى ديمومة لم توسد » وفى الأغانى ١ : ٧٥ : « من جبانة لم توسد » .

حاشِيا أبا ثوبان انَّ له ضَنًّا على المَلْحاةِ والشَّتمِ

وهو من قصيدة مسطورة فى المفضليات[1] ، والأصل :

حاشا أبا ثوبان انَّ أبا ثوبان ليس بِبُسكْمةٍ فَدْمِ

عمرو بن عبد الله إنَّ به ضنًّا على الملحاةِ والشتمِ

أبو وجزة

و (أبو وجزة) هو بفتح الواو وسكون الجيم بعدها زاى معجمة ، يقال رجل وَجْز أى سريع الحركة ، وامرأة وَجْزة .

وأبو وجزة اسمه يزيد بن عبيد ، وقيل ابن أبي عبيد . وهو شاعر ومحدث ومقرئ ، كذا قال الصاغانى (فى العباب) . وقال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : هو من بنى سعد بن بكر بن هوازن أظآرِ النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان شاعراً مُجيداً ؛ وهو الذى روى الخبر فى استسقاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه . وتوفى بالمدينة سنة ثلاثين ومائة ، وهو أوَّل من شبَّب بعجوز[2] .

أقول : أبو وجزة إنما هو من بنى سُلَيم بالتصغير ؛ وإنّما نشأ فى بنى سعد فغلب عليه نسبهم . وقال صاحب التقريب والتهذيب : أبو وجزة السعدى المدنىّ الشاعر ثقة ، وذكره ابن سعد في الطبقة الرابعة من التابعين ، ثم ذكر مشايخه وتلاميذه .

١٥١

* * *

(١) المفضليات ٣٦٧ وبشرح ابن الأنبارى ٧١٨ من قصيدة للجميح الأسدى .

(٢) الذى فى الشعراء ٦٨٤ والأغانى ١ : ٧٧ عن ابن قتيبة : « وهو أحد من شبب بعجوز » .

وأنشد بعده، وهو الشاهد الثانى والثمانون بعد المائتين :

٢٨٢ * طلبوا صُلْحَنَا ولاتَ أوانٍ فأجَبْنَا أنْ لَيْسَ حينَ بَقَاءِ[1] *

على أن أصله عند المبرد والسيرافى : ولات أوانَ طَلَبوا ، فحذفت الجملة وبنى أوان على السكون أو على الكسر ، ثم أبدل التنوين من المضاف إليه كما فى يومئذ .

قال ابن هشام (فى المغنى) : قرئ *﴿ولاتَ حينِ مناصٍ[2]﴾* ، بخفض الحين، فزعم الفرّاء أن لات تستعمل حرفاً جارًّا لأسماء الزمان خاصة ، وأنشد :

* طلبوا صُلحَنا ولات أوانٍ *

وأجيب عن البيت بجوابين :

أحدهما : على إضمار مِن الاستغراقية . ونظيره فى بقاء عمل الجارّ مع حذفه وزيادته قوله :

* ألا رجلٍ جزَاه الله خيرا[3] *

---

(١) ديوان أبى زبيد الطائى ٣٠ والخصائص ٢ : ٣٧٧ والانصاف ١٠٩ والمخصص ١٦ : ١١٩ وابن يعيش ٩ : ٣٢ وشرح شواهد المغنى ٢١٩ ، ٣٢٤ وشذور الذهب : ٢٠١ والعينى ٢ : ١٥٧ والهمع ١ : ١٢٦ والأشمونى ١ : ٢٥٦ . ونحوه قول ابن حلزة اليشكرى فى العقد ٢ : ٣١٩ :

طلبوا صلحنا ولات أوان ان ما يطلبون فوق النجوم

(٢) الآية ٣ من سورة ص .

(٣) لعمرو بن قعاس ، كما فى الخزانة ٣ : ٥١ . وعجزه :

* يدل على محصلة تبيت *

فيمن رواه بجرّ رجل .

والثانى : أن الأصل : ولات أوانَ صلح ، ثم بنى المضاف لقطعه عن الإضافة ، وكان بناؤه على الكسر لشبهه بنزالِ وزناً ، ولأنه قدِّر بناءه على السكون ثم كسر على أصل التقاء الساكنين كأمس ، ونوّن للضرورة ، وقال الزمخشرى للتعويض كيومئذ . ولو كان كما زعم لأُعرب لأن العوض ينزّل منزلة المعوَّض منه .

وعن القراءة بالجواب الأوّل ـ وهو واضح ـ وبالثانى وتوجيهه : أنَّ الأصل حين مناصهم ثم نزّل قطع المضاف إليه من مناص منزلة قَطعِهِ من حين ، لاتّحاد المضاف والمضاف إليه ؛ قاله الزمخشرى . وجعل التنوين عوضاً من المضاف إليه ثم بنى الحين لإضافته إلى غير متمكن . انتهى .

والأولى أن يقال : إنَّ التنزيل المذكور اقتضى بناء الحين ابتداء ، وإنَّ المناص مُعْرب وإن كان قد قطع عن الإضافة بالحقيقة ، لكنه ليس بزمان ، فهو ككل وبعض . انتهى كلام ابن هشام .

(أقول) : تقدير المضاف إليه جملة هو المناسب لتشبيه أوان بيومئذ فى البناء وفى كون التنوين بدلاً من المضاف إليه ، وأما تقديره مفرداً ثم تعليل بنائه بقطعه عن الإضافة كما صنع ابن هشام تبعاً لغيره ففيه أنّ ماذكره مختص بالظروف النِّسْبية ، ويكون بناؤها حينئذ على الضمّ ، وأما أوان فإنّه ظرف متصرف كما يأتى قريباً وليس مضموما ، كقبل وبعد . ويجوز أن يقدّر المضاف إليه ولات أوان نصطلح ، فإن المنفىّ فى الحقيقة هو أوان الصلح ، أو يقدَّر جملة اسمية أى ولات أوانَ صُلحُنا ممكن ، فأوان خبر لات وهو منصوب لفظاً أو مبنى على الفتحة لإضافته إلى مبنىّ ، واسمها محذوف أى ولات الأوان .

قال أبو على (فى المسائل المنثورة) : قال أبو العباس المبرد : أوان هنا مبنيّة ، لأنّ أوان تضاف إلى المبتدأ والخبر ، فكأنك حذفت منه المبتدأ والخبر ، فنوّنت ليعلم أنك قد اقتطعت الإضافة منه .

ولم يرتض ابن جنى (فى الخصائص) كون التنوين عوضا عن الجملة كيومئذ وفرّق بينهما بأن إذْ ظرف ناقص، وأوان ظرف متصرّف . قال : وتأوّل أبو العباس المبرد قول الشاعر :

طلبوا صلحنا ولات أوانٍ . . . . . . البيت

على أنّه حذف المضاف إليه أوان فعوض التنوين عنه ، على حدّ قول الجماعة فى تنوين إذ . وهذا ليس بالسهل ، وذلك أنّ التنوين فى نحو هذا إنما دخل فيما لا يضاف إلى الواحد أى المفرد ، وأما أوان فمعْرب ويضاف إلى الواحد كقوله[1] : ١٥٢

فهذا أوانُ العِرْض حَيٌّ ذبابُه زنابيره والأزرقُ المتلمِّسُ

وقد كسَّروه على آونة وتكسيرهم إيّاه يبعده عن البناء ، لأنّه أخذٌ به فى شقّ التصريف والتصرّف .

وكذا قال (فى سرّ الصناعة) : ذهب أبو العباس إلى أن كسرة أوان ليست إعراباً ولا هى علَماً للجر ، ولا أنّ التنوين الذى بعدها هو التابع لحركات الإعراب ؛ وإنما تقديره عنده أنّ أوان بمنزلة إذْ ، فى أنّ حكمه أن يضاف إلى الجملة نحو قولك: جئتك أوانَ قام زيد ، وأَوَانَ الحجاجُ أمير ،

(١) هو المتلمس . ديوانه ٦ والحماسة ٦٦٢ بشرح المرزوقى .
وبهذا البيت سمى المتلمس ، واسمه جرير بن عبد المسيح الضبعى .

أى إذ ذاكِ كذلك ، فلمَّا حذف المضاف إليه أوَان ، عوِّض من المضاف إليه تنويناً . والنون عنده كانت فى التقدير ساكنة كسكون ذال إذْ ، فلما لقيَها التنوينُ ساكِناً كسِرت النون لالتقاء الساكنين . فهذا شرح هذه الكلمة وقوله هذا غير مَرضيٍّ ، لأن أوانًا قد يضاف إلى الآحاد ، نحو قوله[1]:

* هـذا أوانُ الشدِّ فاشتدِّى زِيَمْ *

وقوله :

* فهذا أوان العِرْض[2] *

وغير ذلك . فإن قيـل : فإذا كان الأمر كذلك فهلاَّ حركوا النون فى يومئذ وأوان لسكونها وسكون الذال والنون قبله ، ولم يحرِّكوهما لذلك دونه ؟ فالجواب : أنَّهم لو فعلوا ذلك لوجب أن يقولوا إذْنِ ، فيشبه التنوين الزائدُ النونَ الأصلية . وأيضا فلو فعلوا ذلك فى إذْ لما أمكنهم أن يفعلوه فى أوان ، لأنهم لو آثروا إسكان النون لما قدَروا على ذلك ، لأنَّ الألف ساكنة قبلها ، وكان يلزمهم من ذلك أن يكسروا النون لسكونها وسكون الألف ، ثم يأتى التنوين بعدها ، فكان لا بد أيضاً من أن يقولوا أوان . فإن قيل : فلعلَّ على هذا كسرهم النونَ من أوان إنَّما هو لسكونها وسكون الألف قبلها ، دونَ أن يكون كسرهم إياها ، لسكونها وسكون التنوين بعدها ، [فالجواب ما تقدم ذكره من أنَّ كسرهم ذال إذ لسكونها وسكون التنوين بعدها[3]].

فعلى هذا ينبغى أن يحمل كسر النون من أوان ؛ لئلا يختلف الباب ،

---

(١) هو رشيد بن رميض ، كما فى البيان ٢ : ٣٠٨ والكامل ٢١٥ والعقد ٤ : ١٢٠/٥ : ١٧ وابن يعيش ٩ : ٣٢ .

(٢) البيت للمتلمس ، وقد سبق قريبا .

(٣) التكملة من سر الصناعة مخطوطة دار الكتب ١٢٠ لغة .

ولأنّ أوان أيضاً لم ينطق به قبل لحاق التنوين لنونه فيُقَدَّرَ مكسورَ النون لسكونها وسكون الألف قبلها ، وإنما حذف منه المضاف إليه وعوّض منه التنوين عقيب ذلك ، فلم يوجد له زمن يلفظ به بلا تنوين ، فيلزم القضاء بأن نونه إنّما كسرت لسكون الألف قبلها ، فاعرف ذلك من مذهب أبى العباس . وأمّا الجماعة غيرَه وغيرَ أبى الحسن فعندهم أنّ أوان مجرورة بلات ، وأن ذلك لغة شاذّة . ورَوينا عن قطرب قال : قراءة عِيسى : ﴿ ولات حينِ مناصٍ ﴾ بالجرّ . انتهى كلامه .

وهذا حقٌّ لا شبهة فيه ، فالوجه كون لات فيه حرف جرّ كما نقله الفرّاء فى قوله :

* ولاتَ ساعةِ مندم *

بجرّ ساعة . وفى هذا البيت أيضاً .

وكذلك نقله أبو على (فى المسائل المنثورة) عن أبى عُمَر الجَرْمى . واستشكله أبو علىّ بأنّ حروف الجرّ لا بدّ أن تتعلّق بشىء ، ولات هنا لا تتعلق بشىء — كما بيّنه الشارح — وجوابه : أنّ لنا حروفَ جرّ لا تتعلّق بشىء ، منها لولا فى نحو قوله : لولاى ولولاه ، فليكن هذا منها .

وقول ابن هشام : « وزعم الفرّاء أن لاتَ تجرّ أسماء الزمان خاصّة » تقدم النقل عنه قبل هذا بشاهدين ، أنّه لم يقيّد معمول لات بشىء ، سواء كانت جارّة أو عاملةً عمل ليس .

١٥٣ وقوله : « وأجيب عن البيت بجوابين : أحدهما على إضمار من الخ » ، هذا الجواب فاسد ، لأنّ تقدير مِنْ يقتضى أن لا يكون لها معمول ، وإذا لم يكن لها معمول اقتضى كونها غير عاملة . والجواب إنّما هو لبيان عملها .

ومِن الغريب قول أبى حيّان على ما نقله السَّمين (فى إعرابه) : إن مِن المقدّرةَ ومجرورَها موضعُهما رفع على أنّهما اسم لات . قال : كما تقول ليس من رِجل قائما، والخبر محذوف . هذا كلامه .

وقوله : « وعن القراءة بالجواب الأول » . وهذا الجواب لا يصحُّ هنا أيضاً لما بيّنّاه .

وقوله : « وتوجيهه أنّ الأصل حين مناصِهم الخ » وهذا الأصل لا يصحّ ، لأنّ معمول لات لا يجوز إضافته إلاّ إلى نكرة .

ودعوى أنّ المضاف وهو حين اكتسب البناء من المضاف إليه ، ففيها أنّ شرط اكتساب البناء بالإضافة فى مثله أن يكون المضاف زماناً مبهما ، وللمضاف إليه إما إذْ ، أو فعل ، أوجملة اسمية ؛ ومناص ليس واحداً منها . ثم إنّ البناء إنما سمع فيما ذكرنا على الفتح لا على الكسر .

ونقل السمين (فى إعرابه) عن الأخفش أنّه خرّج البيت على حذف مضاف ، أى ولات حين أوان ، فبقى المضاف إليه مجروراً بعد حذف المضاف . وردّ عليه مكّى بأنّه كان ينبغى أن يقوم المضاف إليه مقام المضاف . وأجاب عنه السَّمين بأنّ بقاء مثله على الجرّ قليل ، ومنه قراءة من قرأ : ﴿ واللهُ يُرِيدُ الآخِرةِ[1] ﴾ بجرّ الآخرة .

أقول : تقدير هذا المضاف لا قرينة تدلُّ عليه ، وإنْ صحّ إضافة حين إلى أوان بجعل الحين عامّا والأوان خاصّا بحمله على أوان الصلح .

ثم قال السمين : وقال الزجّاج : الأصل ولات أواننا ، فحذف المضاف إليه

---

(١) الآية ٦٧ من الأنفال . وقراءة الجر هى قراءة سليمان بن جماز المدنى . تفسير أبى حيان ٤ : ٥١٨ ـ ٥١٩ .

فوجب ألاّ يعرب ، وكسره لا لتقاء السا كنين . قال أبو حيان : ومنه أخذ الزمخشرىّ قوله أصله ولا أوان صلح .

أقول : عبارة الزجاج (فى تفسيره) : ومن خفض جعلها مبنيّة مكسورة لالتقاء السا كنين ، كما قالوا فداءٍ لك فبنوه على الكسر . ولما قال ولات أوان جعله على معنى ليس حين أواننا ، فلما حذف المضاف إليه بنى على الوقف ثم كسر لالتقاء السا كنين . والكسر شاذّ شبيه بالخطأ عند البصريِّين . انتهى .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدة لأبى زُبيدٍ الطائىّ النَّصرانىّ . سببها ما حكاه أبو عمرو الشيبانى وابن الأعرابى قالا : نزل رجلٌ من بنى شَيبان اسمه المُكَّاء برجل من طيّء ، فأضافه وسقاه ، فلمّا سكر وثب إليه الشيبانىُّ بالسيف فقتله وخرج هاربا . وافتخر بنو شيبانَ بذلك ، فقال أبو زُبيد هذه القصيدة . وهذه أبيات منها :

قصيدة الشاهد

(خبَّرتنا الركبانُ أنْ قد فرحتم ... وفخرتم بضَربةِ المُكَّاء

ولعمرى لَعارُها كان أدنى ... لكمُ من تُقى وحسن وفاء

ظلَّ ضيفا أخوكمُ لأخينا ... فى صَبوح ونَعْمة وشِواء

لم يَهَب حُرمةَ النديم ـ وحقَّتْ ـ ... يالقَومى لِلسَّوءة السوْآء

فاصدُقونى وقد خَبَرتم وقد ثا ... بَتْ إليكم جوائِبُ الأنباء

هل علمتم من معشرٍ سافهونا ... ثم عاشوا صفحاً ذوى غُلواء

كم أزالت رماحُنا من قتيلٍ ... قاتلونا بنكبة وشقاء

بعثوا حرْبنا إليهم وكانوا ... فى مقامٍ لو أبصروا ورَخاء

ثم لمَّا تشذَّرتْ وأنافت ... وتصلَّوْا منها كريهَ الصِّلاء

طلبوا صلحنا، ولات أوانٍ ، فأجبنا أنْ ليس حينَ بقاء
ولعمرى لقد لَقُوا أهلَ بأس يصدُقون الطِّعانَ عند اللقاء
ولقد قاتلوا فما جبُن القو مُ عن الأمَّهاتِ والأبناء)

١٥٤ إلى أن قال :

(فاصدُقونى أسُوقة أم ملوك أنتمُ ، والملوكُ أهلُ عَلاء
أبدِىءٌ أن تقتلوا إذْ قتلتم أم لكم بَسطةٌ على الأكفاء
أم طمعتم بأن تُريقوا دِمانا ثم أنتم بنجوةٍ فى السماء
فلحا الله طالبَ الصلح منَّا ما أطاف المُبِسُّ بالدَّهناء
إنَّنا معشرٌ شمائلنا الصبْـ ـرُ ودفعُ الأسى بحسن العزاء
ولنا فوق كلِّ مجدٍ لواءٌ فاضلٌ فى التمام كلَّ لواء
فإذا ما استطعتمُ فاقتلُونا من يُصَبْ يُرْتَهَنْ بغير فِداء)

المُكَّاء ، بضم الميم وتشديد الكاف : اسم الشيبانى القاتل . وعارها : عار الضَّربة .

وقوله : لم يهب حرمة النديم إلخ ، أورده صاحب الكشَّاف عند قوله تعالى : ﴿ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ[1] ﴾ على أنَّ السوءة مايقبح كشفه . والسَّوءة السَّوْآء ، على وزن الليلة الليلاء : الخصلة القبيحة . ويَهبْ : من الهَيبة والخوف . والمعنى أنه لم يُعظِّمْ حرمة الصاحب ، وحقَّت تلك الحرمة بأن تهاب . ثم نادى قومه ليعجبهم من النظر إلى هذه الفضيحة التى هى هتك حرمة النديم . وروى : (ولكن) بدل قوله : (وحقَّت) .

(١) الآية ٣١ من سورة المائدة .

وقد وقع العجز شاهداً فى الكشّاف ، قال الطيبيّ : إنّى لم أظفر بصدره ولا بقائله .

وجوائب الأنباء : جمع جائبة ، من الجَوْب وهو القطع . قال فى الصحاح : يقال هل جاءكم جائبةُ خبر : أى خبر يجوب الأرضَ من بلد إلى بلد . وقوله : سافهونا ، من السَّفَه وهو ضدُّ الحلم . وصفحاً : إعراضا عنهم . وذوى : حال من الواو فى عاشُوا . والغُلَواء بضم المعجمة : النشاط ومرح الشباب .

وقوله : لو أبصروا ، لو للتمنّي . ورخاء : معطوف على مقام .

وتشذَّرت ، بالشين والذال المعجمتين ، قال فى الصحاح : يقال تشذَّر فلان : إذا تهيأ للقتال ، وتشذَّر القوم فى الحرب : أى تطاولوا . وأنافت : زادت . وتَصَلَّوا : من صلِيَ بالنار صَلًى ، من باب تعب : وجَدَ حرَّها . والصِّلاء ككتاب : حرّ النار .

وقوله : (طلبوا صلحنا الخ) هو جواب لمَّا . ومن العجائب قول العيني : طلبوا فعل وفاعله مستتر فيه ، ولات أوان فى محل الحال من الصلح وقوله : (فأجبنا) معطوف على طلبوا ، وأن مصدرية يقال أجابه بكذا . وقال السيوطى : هى تفسيرية . و (حين) خبر ليس أى ليس الحين حين بقاء . و (البقاء) : اسم من قولهم أبقيت على فلان إبقاء : إذا رحمته وتلطّفت به . والمشهور أنَّ الاسم منه البُقيا بالضم ، والبَقْوى بالفتح . وقال العينى وتبعه السيوطى : المعنى بقاء الصلح .

١٥٥ وقوله : أبدىءٌ ، الهمزة للاستفهام الإنكاريّ ؛ وبدىء بالهمز كبديع وزنا ومعنى . وقُتِّلوا بالبناء للمفعول ، وقَتَلتم بالبناء للفاعل .

وقوله : ثمَّ أنتم بنجوة الخ ، النَّجوة بفتح النون وسكون الجيم : المكان المرتفع .

وقوله : فلحا الله ، أى قَبح َ الله .

وقوله : ما أطاف إلخ ، ما مصدريَّة ظرفيَّة . وأطاف وطاف بمعنى دار حول الشيء . والمُبِس ّ : حادى الإبل ، وهو فى الأصل اسم فاعل من أبسَسْت الإبل : إذا زجرتَها . والدَّهناء : موضع فى بلاد بنى تميم .

ويُصَبْ ويُرَتهَنْ كلاهما بالبناء للمفعول .

أبو زبيد

وأبو زُبيد اسمه المنذر بن حرملة[1] من طيء . قال أبو حاتم (فى كتاب المعمَّرين) وابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) وغيرهما : عاش أبو زُبيد مائة وخمسين سنة ، وكان نصرانيًّا ومات على نصرانيته .

وألحقه الجمحىُّ بالطبقة الخامسة من شعراء الإسلام[2] . وكان أعورَ آدمَ طُوَالاً : طولُه ثلاثةَ عشر شِبراً . وكان من زُوَّار الملوك وخاصةً ملوكَ العَجم . واستعمله عمرُ بن الخطاب على صدَقات قومِه ولم يَستعمل نَصرَانيًّا غيرَه. وكان عثمان بن عفَّان يُقرِّبُه ويُدنى مجلِسَه . وكان مُغرًى بوصف الأسد بعبارات

(١) الميمني : « تبع البغدادى فى هذا ابن قتيبة فى الشعراء والمعمرين والعينى ٢ : ١٥٦ والمعروف بالعكس ، أى حرملة بن المنذر . راجع الاشتقاق ٢٣١ واللآلى وابن عساكر ٤ : ١٠٨ والجمحى ، والأدباء والاقتضاب ٢٩٩ والسيوطى ٢١٩ والاصابة رقم ٤٨٠ من الكنى ، الى غيرهم . ولو جسرت على ضعف منتى وقلة حيلتى لقلت ان أبا حاتم أول من صحف على جلالته ، فتبعه من عثر على كتابه . وقال الأصبهانى ١١ : ٢٣ انه هو الصحيح ، بعد أن ذكر القولين » .

(٢) انظر ابن سلام ٥٠٥ والأغانى ١١ : ٢٣ .

مهولة تُزعج السامع ، حتى كأنه يُشاهد الأسد فى حضوره ؛ فقال له عثمان رضى الله عنه ، يوماً : إنى لأحسَبُكَ جباناً . فقال : كلاً ياأمير المؤمنين ، ولكن رأيتُ منه منظراً وشَهِدتُ منه مَشْهَداً لا يَبرَحُ ذِكره يتردَّد ويتجدَّد فى قلبى !

ثُم وصَفَ ما شاهد منه — ونَقَل كلامَه برمَّته صاحبُ الأغانى — إلى أن قال له عثمان رضى الله عنه : اسكتْ قَطَعَ الله لسانك ، قد أرعبتَ قلوب المؤمنين !

وقال الطبرى[1] : كان أبو زيد فى الجاهلية مقيمًا فى أخواله بنى تغلب بالجزيرة ، وفى الإسلام منقطعاً إلى الوليد بن عقبة بن أبى مُعَيط فى ولاية الجزيرة وولاية الكوفة ، ولم يزل به الوليد حتَّى أسلم وحسُن إسلامه .

هذا كلامه ، وهو خلاف ما قال العلماء : أنَّه مات على نصرانيَّته .

قال صاحب الأغانى : ولمَّا وفد أبو زبيد إلى الوليد بن عقبة أيام ولايته الكوفة أنزله دار عقَيل بن أبى طالب ، على باب المسجد ، فاستوهبها منه فوهبها له ؛ فكان ذلك أوَّل ما طُعن به على الوليد ، لأنَّ أبا زبيد كان يخرج منها إلى الوليد فيسمرُ عنده ويشرب معه ، ويشقّ الجامع وهو سكران ؛ فلمّا شُهِد على الوليد بشرب الخمر عزله عثمانُ عن الكوفة وحدَّه فى الخمر .

وقال ابن قتيبة : ولما اعتزل الوليدُ بن عقبة عليًّا[2] ومعاوية صار إلى الرَّقَّة ، وكان أبو زبيد ينادمه .

وقال صاحب الأغانى : ومات الوليد قبل أبى زبيد ، فمرَّ أبو زبيد بقبره فوقف ثم قال :

---

(١) الطبرى ٣ : ٦٠ فى حوادث سنة ٣٠ .

(٢) فى النسختين : « على » . وانظر الشعراء ٢٦١ .

يا هاجرى إذْ جئت زائرَه ما كَان من عاداتك الهجرُ
يا صاحبَ القبرِ السَّلامُ على من حالَ دون لقائه القبرُ

ثم انصرف . وكان يجىء إلى قبره فيشرب عنده ويصبُّ الشراب على قبره ويبكى . وبقى أبو زُبيد إلى أيام معاوية .

قال أبو حاتم وغيره : كان يجعل له فى كل يوم أحد طعامٌ كثير ، ويهيَّأ له شرابٌ كثير ، ويذهب أصحابه يتفرَّقون فى البِيعة ويحملنَه النساء فيضعنه فى ذلك المجلس ، فيشرب وَالنّصارى حوله ، فجاءه الموت فقال :

إذا جعل المرء الذى كان حازماً يُحَلُّ به حَلَّ الحُوارِ ويُحملُ(١)
فليس له فى العيش خير يريده وتكفينُه مَيتاً أعفُّ وأجملُ
أتانى رسولُ الموت يامرحبًا به لآتيه وسَوف واللهِ أفعلُ ١٥٦

ثم مات فجاءه أصحابه فوجدوه ميتا ، فدفن على البُلَيخ ، وهو موضع إلى جانب قبر الوليد بن عقبة . وفى ذلك يقول أَشجعُ السُّلَمىُّ وقد مرَّ بقبرهما :

مررت على عظام أبى زُبيدٍ وقد لاحت ببلقعةٍ صَلودِ(٢)

---

(١) ط : « حال الحوار » ، وأثبت ما فى ش والشعراء والأغانى . وانظر سائر الروايات فى ديوان أبى زبيد ١٣٢ .

(٢) فى أدب النديم لكشاجم ٣٥ :

مررت على عظام أبى زبيد رهينا تحت موحشة صلود
نديم للوليد ثوى فأضحى مجاور قبره قبر الوليد
وما أدرى بمن قصر المنايا بأشجع أو بحمزة أو سعيد

وحمزة وسعيد : صديقان له وقفا معه على قبرهما ، قال كشاجم : « فيقال انهم ماتوا على هذا النسق أولا أولا » .

وكان له الوَليدُ نَديمَ صدقٍ فنادم قبرُه قبرَ الوليدِ[١]

* * *

وأنشد بعده : ﴿ ألاَ رجُلٍ ﴾

على أنّ رجلاً مجرور بمن المقدرة . وهو قطعة من بيت ، وهو :

(ألا رجلٍ جزاه الله خيراً يدلُّ على محصِّلة تَبيت)

وتقدم شرحه فى الشاهد الثالث والستين بعد المائة[٢] . وذكر الشارح المحقّق هناك أن (رجل) يروى (ألا رجلا) وبالرفع وبالجرّ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثمانون بعد المائتين[٣] :

٢٨٣ ﴿ حنّتْ نَوَارُ ولاتَ هَنّا حَنَّتِ

وبدا الذى كانت نَوارُ أَجَنَّتِ ﴾

على أنَّ هنَّا فى الأصل للمكان ، استعير للزمان ، وهو مضاف إلى الجملة الفعلية ، وهو حنت .

يريد أن لات مع هنا عاملة عمل ليس أيضاً لا مهملة ، وإلاّ لما احتاج إلى هذا التأويل فى هَنّا . واعلم أن هَنَّا بفتح الهاء وكسرها مع تشديد النون ، حكاها السيرافى وقال : الكسر ردىء . ووهم العينى هنا فضبط الهاء بالضمّ ، وتبعه السيوطى (فى شرح شواهد المغنى) . وهى عند أهل اللغة قاطبة اسم إشارة

---

(١) انظر الحاشية السابقة .

(٢) الخزانة ٣ : ٥١ .

(٣) ابن يعيش ٣ : ١٥ ، ١٧ وشرح شواهد المغنى ٣١١ والعينى ١ : ٤١٨ والهمع ١ : ٧٨ ، ١٢٦ والأشمونى ١ : ١٤٥ ، ٢٥٦ .

للقريب ، وعند ابن مالك للبعيد . قال صاحب الصحاح : هَنًّا بالفتح والتشديد معناه ههنا ، وهَنَّاك أى : هُناك . قال :

لما رأيت مِحمَلَيْها هَنَّا محدّرين كدتُ أن أُجَنَّا(١)

ومنه قولهم : تجمَّعوا من هَنًّا ومن هَنًّا ، أى من ههنا ومن ههنا . انتهى .

ومن لازم اسم الإشارة التعريف ، وعدم إضافته إلى شىء ، وقد ورد فى الشعر كثيراً لات هَنًّا ، فالتزم أبو على الفارسى وتبعه ابن مالك إهمال لات ، لأنَّها لا يصح إعمالها فى معرفة ومكان ، وقالا : إذا دخلت لات على هَنَّا كانت مهملة وكانت هَنَّا منصوبة على الظرف فى موضع رفع على الخبر لمبتدإ بعدها ، سواء كان اسماً نحو :

« لات هنّا ذكرى جُبيرة(٢) »

وأورد عليه ابن هشام (فى المغنى ، وفى شرح شواهده) أنّ فيه الجمع بين معموليها ، وإخراج هنَّا عن الظرفية ، وإعمال لات فى معرفة ظاهرة ، وفى غير الزمان — وهو الجملة النائبة عن المضاف وحذف المضاف إلى جملة . انتهى .

وذهب بعض شُرّاح المفصَّل إلى أن هنّا خبر لات واسمها محذوف ، وأنّ هنّا بمعنى الحين ، والتقدير ليس الحين حين حنينها .

وهذا مراد الشارح المحقق ؛ فقوله : « إنّ هَنّا فى الأصل للمكان استعير للزمان » قصد به الردَّ على أبى علىّ ومن تبعه ، بأنّ هنّا ليست على أصلها

---

(١) ليزيد بن الأعور الشنى من أرجوزة طويلة فى الخصائص ١ : ٢٤٧ . وانظر اللسان (هنن ٣٢٨) .

(٢) قطعة من بيت للأعشى ، سيرد بتمامه قريبا .

حتَّى يلزم المحذور ، بل قد استعيرت للزمان فهى ظرف بمعنى حين ، وكان أصلها الإشارة للمكان ، فتُوسِّع فيها فجعلت مجرَّدة للزمان . والمعنى[1] فى جميع ١٥٧ ماورد شاهد له ، فتبقى لات على ما عهد لها من العمل عند سيبويه ومن تبعه ، والاستعارة هنا بمعنى التوسُّع .

وقوله : « وهو مضاف إلى الجملة » أراد به الردَّ على ابن عصفور : بأنَّ هَنَّا خبر لات لا اسمها ، وأنَّها مضافة إلى الجملة بعدها ، لا أنَّ الجملة خبر لات بتقدير مضاف .

والشارح المحقِّق قد أخذ كلامه هذا من الإيضاح لابن الحاجب ، فإنه قال فى فصل إضافة أسماء الزمان إلى الجمل : هَنّا فى قوله ولات هنا حنّت ، البيت ، محمول على الزمان لأمور :

أحدها : أنّ لا التى لنفى الجنس المكسوعة بالتَّاء لا تدخل إلاّ على الأحيان .

والثانى : أنَّ المعنى إنكار الحنين بعد الكبر ، وذلك إنّما يتحقّق بالزمان لا بالمكان .

والثالث : أنهَّ لو جُعل للمكان لم يصحَّ إضافته إلى الفعل ، إذ لم يُضَفْ من أسماء المكان إلى الأفعال إلاّ الظروفُ غير المتمكّنة كحيث . انتهى .

وقد ذهب ابن الخبَّاز أيضاً (فى النهاية) إلى أنّ هَنَّا مضافةٌ إلى الجملة بعدها . نقله عنه ابن هشام (فى شرح شواهده) ، وردّه بأن اسم الاشارة لا يضاف . وهذا الردُّ غير متَّجه ؛ فإنّ من يجعلها مضافة إلى الجملة كالزمخشرىّ

---

(١) ش : « والعينى » ، تحريف .

(فى المفصَّل) لم يقل إنّها اسم إشارة مضافة إلى الجملة ، إذ[١] من القواعد أنّ أسماء الإشارة لا تصحّ إضافتها إلى شيء ، وإنما هى عنده مجرّدة لمعنى الحين .

وبما ذكرنا يسقُط أيضاً توقُّف الدمامينى (فى شرح التسهيل) عندما نقل كلامَ الشارح هناك وقال : قوله : « وهو مضاف إلى الجملة » إن كان مع التزام أنّه اسم اشارة فمشكل ، لأنّه لا يضاف ، وإن كان مع ادّعاء التجرّد عنها فيحتاج إلى نقل ا هـ .

ومنه تعلم فساد كلام الشاطبيِّ أيضاً وجعلِهِ هَنّا اسمَ إشارة للزمان مع إعمال لات ، فإنّه قال : فإن قيل من شرط لات عملُها فى زمان منكَّر ، وقولُهم ولات هَنّا حنَّتِ ونحوُه ، هَنّا فيه معرفة وهى إشارة للمكان . . فالجواب أنّ هَنّا لا تختصُّ بالإشارة إلى المكان ، بل قد يراد بها الزمان ؛ ومن ذلك هذه المواضع ، فإنّ معناها الإشارة إلى الزمان ، أى ذكرى جُبَيرة ليس فى هذا الزمان ، وحنينها ليس فى هذا الوقت . وأمّا عملها فى المعرفة فإنّها عند ابن مالك غير عاملة فى هذه المواضع ا هـ .

فإن قلت : كيف التزم الشارح المحقِّق أن تضاف هَنّا إلى الجملة وقد وقع بعدها المفرد فى قول الأعشى :

لاتَ هَنّا ذِكْرَى جُبَيرةَ أم مَنْ جاء منها بطائفِ الأهوالِ[٢]

وفى قول الطِرمّاح :

لاتَ هَنّا ذكرَى بُلَهنيةِ الدهـــرِ وأنّى لذِى السِّنينَ المَواضِى[٣]

---

(١) بدله فى ش : « للعلم » .

(٢) ديوان الأعشى ٣ .

(٣) فى جمهرة القرشى ١٩٠ والديوان ٨٠ : « وانى ذكرى السـنين المواضى » .

(قلتُ) : ذكرى مفعول مطلق عامله محذوف ، أى لات هنّا أذكر ذِكرَى جُبَيرة ، فالجملة محذوفة مع بقاء أثرها .

و (الحنين) : الشوق ونزاع النفس إلى شيء . والتاء من حنّت وأجنّت مكسورة للوزن . و (نوَار) : فاعل حنّت مبنيٌّ على الكسر فى لغة الجمهور وعند تميم معْرب لا ينصرف ، وهو من أسماء النساء مأخوذ من نارت المرأة تَنُور : إذا نفَرت من الريبة ؛ وجمع نَوَار نُور بالضمّ . وجملة (ولات هنّا حنّت) حال من نوار . قال ابن هشام : وتكون حالا إذا وقعت بعد الواو . و (بَدَا) بمعنى ظهر . و (نَوار) الثانى قد وضع موضع الضمير . و (أجنّت) بالجيم : أخفت وسترت . وبعد هذا البيت بيت ثانٍ لا ثالث له ، وهو : ١٥٨

لما رأت ماء السَّلَى مشروباً والفرثُ يُعصَر فى الاناء أرنّتِ

والسَّلَى بفتح السين المهملة والقصر ، هى الجلدة الرقيقة التى يكون الولدُ فيها من المواشى ، وهى المَشيمة له . والفَرْث ، بالفتح : السِّرجين ما دام فى الكَرِشِ . وأرنّت من الرَّنّة وهو الصوت ؛ يقال رنّت تَرِنّ رنينا وأرنّت إرنانا : إذا صاحت . وإنما صاحت نَوارِ وبكت لأنّها تيقَّنت فى تلك المفازة الهلاكَ حيث لا ماء إلاّ ما يُعصَر من فَرث الإبل وما خرج من المَشِيمة من بطونها .

صاحب الشاهد

وهذان البيتان اختُلف فى قائلهما :

شبيب بن جعيل

فقيل : شَبيب بن جُعَيل التغْلَبيّ ، وهو جاهليّ . وإليه ذهب الآمديّ (فى المؤتلف والمختلف) قال(١) : وشبيب هذا كان بنو قُنَيْنَة(٢) الباهليُّون

---

(١) المؤتلف والمختلف ٨٤

(٢) كذا فى النسختين : « قنينة » بنونين ، وقد ضبطه البغدادى =

أسروه فى حرب كانت بينهم وبين بنى تغلِب ، فقال شبيب هذين البيتين لما رأى أمَّه نوار أرنّت ، وهى بنت عمرو بن كلثوم .

حجل بن نضلة

وقيل : هو حَجْل بن نَضْلة ؛ وهو جاهلى أيضاً . وهو قول أبى عُبيد ، وتبعه ابن قُتَيبة (فى كتاب الشعراء) وأبو علىّ (فى المسائل البصرية) قالوا : قالها فى نوار بنت عمرو بن كُلثوم لمّا أسرها يوم طَلْح ، فركب بها الفلاةَ خوفاً من أن يُلحَق . والله أعلم .

ومنه تعرف أنّه لا وجه لقول ابن الحاجب المتقدِّم هُنا : إنّ معنى البيت إنكار الحنين بعد الكبر ، وذلك إنّما يتحقق بالزمان لا بالمكان .

قال ابن قتيبة والآمدىّ : قد نقص حرف من فاصلة البيت الثانى ، وبعض الناس[1] يسمّون هذا إقواء ، لأنه نقص من عروضه قُوّة ، وكان يستوى البيتُ بأن يقول متشرِّباً . يقال أقوى فلان الحبلَ : إذا جعل إحدى قواه أغلظ من الأخرى . والمشهور أنّ الإقواء — كما قال أبو عمرو بن العلاء — هو اختلاف الإعراب فى القوافى : وذلك أن تكون قافية مرفوعة ، وأخرى مجرورة . وبعض الناس يسمّى هذا الاختلاف الإكفاء . اهـ

= بذلك كما سيأتى . والصواب « قتيبة » كما فى المؤتلف وجمهرة ابن حزم ٢٤٥ والاشتقاق ٢٧١ بتحقيق كاتبه . قال ابن دريد : « وقتيبة تصغير قتب البطن . والأقتاب : الأمعاء » . وهم بنو قتيبة بن معن بن مالك ابن أعصر ، وهم باهلة . ولكنى أبقيت النص على خطئه لأن البغدادى قيده به .

(١) بعض الناس هو أبو عبيد ، ولكن الخليل كان يسميه المقعد ، وقد تكلم على هذا العيب بما لا مزيد فيه أبو العلاء فى شرح قول الربيع بن زياد العبسى :

أفبعد مقتل مالك بن زهير ترجو النساء عواقب الأطهار

وانظر العمدة ١ : ٩٤ .

و (جُعيل) بضم الجيم وفتح العين المهملة . و (التغلَبيّ) بالمثنّاة من فوق بعدها غين معجمة . و (قُنَينة) بضم القاف ونونين[١] .

و (عمرو بن كلثوم) هو صاحب المعلقة إحدى المعلقات السبع ، وقد تقدَّمت ترجمته[٢] .

و (حَجْل) بفتح المهملة وسكون الجيم . و (نَضْلة) بفتح النون وسكون الضاد المعجمة .

تتمة

قال بعض فضلاء العجم (فى شرح شواهد المفصَّل) عند شرح هذا البيت : نَوار اسم لابنة عبد شمس ، وكانت قد عشقت مِلكاً ، فهمَّ الملك بأن يُوقع بعبد شمس ، فشَعرت نوار بذلك وآذنت أباها ، فقال رجل من أقربائها : حنَّت نوار ، أى اشتاقت إلى من تحبه وليس الوقت وقتَ الحنين والاشتياق إليه ، لظهور العداوةِ بيننا ؛ وظهر الذى كانت هذه المرأة أجنَّته وسترته من الاشتياق .

هذا كلامه ، وهو خطأ فاحش،وما قالهشرحٌ لمثل وهو :حَنَّت ولات هنَّت وانَّى لكِ مقروع[٣] » .

---

(١) لا أدرى من أين أخذ البغدادى هذا الضبط . وانظر ما سبق فى الحواشى .

(٢) فى الخزانة ٣ : ١٨٣ .

(٣) الميمنى : « المثل عند الميدانى ١ : ١٧٠ ، ١٣٠ ، ١٧٦ والفاخر رقم ٤٤٩ والعينى طبعتاه ؟ ، ٢٩ ، والعسكرى بومباى ٧٤ ، ١٠٠ و ١ : ١٩٣ ، ٢٥٦ مصر والمستقصى » .

وقد خبط خبط عشواء أيضاً فى بيانه كما يعلم وجهه مما سيأتى .

وهذا المثل أورده الجوهرى (فى مادة ليت ، وفى مادة هنت[1]) وزعم أنه شعر ، وليس كذلك وإنما هو نثر . قال : يقال هَنَّ يَهِنّ هنيناً أى حنّ . وذكره أبو عبيد (فى أمثاله) ، والرواية عنده حنّت ولات هنّت إلى آخره ، قال : يضرب مثلاً لمن يتّهم فى حديثه ولا يصدق ، وأوّل من قاله مازن ابن مالك بن عمرو بن تميم ، لابنة أخيه الهَيجُمانة بنت العنبر بن عمرو بن تميم حين أخبرت أباها أنّ عبد شمس بن سعد بن زيد مَناة يريد أن يُغير عليهم ، فاتّهمها مازنٌ ، لأنّ عبد شمس كان يهواها وكانت تهواه ، فقال مازن هذه المقالة . انتهى كلامه .

١٥٩

وأورده صاحب اللباب للردّ على أبى عُبيد فى زعمه أن تاء لا تحين من الحين . قال شارحه الفالى : وجه الاستدلال أنّ التاء دخلت مع لا على هنّت ، فليس جزءاً من الحين ؛ وهنّت بمعنى حنّت ؛ ومقروع : لقب عبد شمس ابن سعد ، وفيه يقول مازن بن مالك فى الهَيجُمانة بنت العنبر بن تميم :

حنّت ولات هنّت [وأنَّى لكِ مقروعُ[2]] ، وهو مثل ؛ وأصله أنّ الهيجمانة بنت العنبر كانت تعشق عبد شمس — وكان يلقّب بمقروع — فأراد أن يغير على قبيلة الهيجمانة ، وعلمت بذلك فأخبرت أباها ، فقال مازن : « حنّت ولات هنّت » ، أى اشتاقت وليس وقتَ اشتياقها . ثمّ رجع من الغيبة إلى الخطاب فقال : « وأنَّى لكِ مقروع » أى من أين تظفَرين به . يضرب لمن يحنّ إلى مطلوبه قبل أوانه . انتهى

(١) كذا فى النسختين ، وصوابه (هنن) .

(٢) التكملة من ش . وقد أورده فى اللسان (هنن ٣٢٨) مسبوقا بقوله « قال الشاعر » . جعله شعرا ، خلافا لقول البغدادى فيما سبق .

وفى هذا المثل شىء لم يُتنبَّه له ، وهو أنَّ لات فيه لا اسم لها ولا خبر ، لأنّها دخلت على فعل ماض فتكون مهملة كما تقدَّم .

وقول صاحب القاموس تبعاً لصاحب العباب : لا تكون لات إلاّ مع حين ، وقد تحذف وهى مرادة كقوله : « حنت ولات هنت وأنى لكِ مَقروع » فإن أراد أنَّ الزمان المحذوف معمولها — فهذا غير صحيح ، لأنّه لا يجوز حذف معمولى لات كما لا يجوز جمعهما . وإنْ أراد أنَّها مهملة وأنَّ الزمان لابدَّ منه لتصحيح استعمالها فغير صحيح أيضاً ، لأنها إذا أهملت دخلت على غير الزمان أيضاً ، كما تقدَّم بيت الأفوه الأوْدىّ عن أبى حيَّان . والله تعالى أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثمانون بعد المائتين[1] :

٢٨٤ (أفى أثَرِ الأظعَانِ عَينُكَ تَلْمَحُ نَعمْ لاتَ هَنَّا، إنَّ قَلْبَكَ مِتْيَحُ)

على أنَّ (هَنَّا) فيه ظرف زمان مقطوع عن الإضافة ، والأصل لات هَنَّا تلمح ، فحذف تلمح لدلالة ما قبله عليه ؛ فهنَّا فى موضع نصب على أنَّه خبر لات ، واسمها محذوف ، والتقدير ولات الحين حين لمح عينك ، كما حذفت الجملة فى قوله :

* لات هَنَّا ذِكْرَى جُبيرة[2] *

والفرق بينهما : أنَّ الجملة حذفت هنا ولم يبق لها أثر ، وفى لات هَنَّا ذكرى جبيرة حذفت الجملة وبقى أثرها ، كما تقدم بيانه فى البيت الذى قبل هذا .

(١) اللسان (تيح ٢٤١ هنن ٣٢٩) ومعجم البلدان (شرف) .

(٢) قطعة من بيت الأعشى الذى مضى قريبا ص ١٩٨ فى الشاهد ٢٨٣ .

فإن قلتَ : لو كان هَنَّا مقطوعةعن الإضافة ـ كما زعم الشارح المحقِّق ـ لوجب أن يلحقها التنوين عوضاً من المضاف إليه الُجمْلىّ كما قال هو فى باب الإضافة : إنّ الظروف التى فيها معنى النسبة كقبل وبعد إنْ قطعت عن الإضافة بنيت على الضمّ ، وإن كانت غير ذلك وجب إبدال التنوين عوضاً من المضاف إليه كإذٍ وأوانَ . وقال فى شرح بيت لاتَ أوانٍ قبل هذا : ولا يعوَّض التنوين فى المبنيات من المضاف إليه إلاّ إذا كان جملة .

قلت : لم يلحق التنوين لأنّ ألف هنا للتأنيث ، فهو مقدّر فيها .

فإن قلتَ : أىُّ ضرورة إلى ادّعاء حذف الجملة المضاف إليها هَنَّا ، مع أنّه لم يقل به أحد ، ولا ابن الحاجب ؟

قلتُ : لمَّا حقق أن هَنَّا قد تجردت لظرف الزمان ، كان الظرف لابدَّ له من مظروف ، والنفى فى الحقيقة متوجهٌ إليه ، ولولا اعتباره لَمَا كان معنًى لقولنا لات هَنَّا ، إذْ لا فائدة فى نفى الظرف . وهذا المحذوف ملحوظ أيضاً عند من جعل هَنَّا إشارة للمكان ، فإنَّه لا يتم المعنى بدونه ، إذْ لابدَّ للإشارة من مُشارٍ إليه ، فيكون المنفىُّ فى الحقيقة هو المشار إليه . ١٦٠

هذا ما أمكننى أن أفهم [فى] كلامه فى لات هَنَّا ، ولله درّه ! ما أدقَّ نظره ، وألطف فكره (وفوقَ كلِّ ذى علم عليم) . والله أعلم

صاحب الشاهد — وهذا البيت مطلع قصيدةٍ للراعى ، عدتُّها سبعة وخمسون بيتاً ، مدح بها بشرَ بنَ مرْوان المرْوانىّ ، وبعده :

(ظعائنَ مِينافٍ إذا مَلَّ بلدةً أقام الركابَ باكرٌ متروِّحُ)

فقوله : (أفى أثَرِ الأظعان) الهمزة للاستفهام ، وفى متعلّق بقوله تلمح ، وقدِّم لأنَّه هو المستفهَم عنه . و (عينكُ) مبتدأ وتلمح خبره . و (الأظعان) :

جمع ظَعينة ، قال ابن الأثير (فى النهاية) : الظعينة المرأة ؛ وأصل الظعينة الراحلةُ التى ترحل ويُظعَن عليها أى يُسار ؛ وقيل للمرأة ظعينة لأنّها تظعَن مع الزوج حيثُما ظعن ؛ أو لأنّها تحمل على الراحلة إذا ظعنت ؛ وقيل الظعينة المرأة فى الهودج ثمّ قيل للهودج بلا امرأة ظعينة ؛ وجمعها ظُعُن ، وظعائن ، وأظعان ؛ وظعَن يظعَن ظَعناً بالتحريك : إذا سار . انتهى . و (اللَّمح) : الإبصار الخفيف ، قال صاحب الصحاح : لمحه وألمَحَه ، إذا أبصره بنظر خفيف. و (نَعَمْ) : إعلام للمستفهِم السائل . و (المِتْيَح) بكسر الميم وسكون المثنّاة الفوقيّة وفتح المثنّاة التحتيّة ؛ قال ابن حبيب (فى شرح ديوان جِران العَود) : المِتيح الذى يأخذ فى كلّ جهة ، وهو مِفْعل ، كأنّه أُتيح له إتاحة أى قُدِّر . وقال ابن دريد (فى الجمهرة) رجل مِتيح : إذا كان قلبه يميل إلى كلّ شىء . وكلاهما أنشد هذا البيت .

والميناف ، بكسر الميم بعدها ياء ، أصلها الهمز ؛ قال (فى العباب) رجل مئناف أى سائر فى أول النهار ، وقال الأصمعىّ : رجل مئناف : يرعى ماله أُنُفَ الكلأ ، يقال أَنفَت الإبلُ أَنفا : إذا وطئت كلأً أُنُفا ، بضمّ الألف والنون ، أى عُشباً لم يُرعَ ولم يُدَسْ بالأرجل . والبلدة : الأرض . وأقامه مِن موضعه : خلافُ أقعده . والركاب : الإبل التى يُسار عليها ، الواحدة راحلة ، لا واحد لها من لفظها .

ومعنى البيت أن الشاعر خاطب نفسه لما رآها ملتفتة إلى حبائبها ، ناظرةً إلى آثارها بعد الرحيل ؛ فاستفهمها بهذا الكلام ، ثم أجاب جازماً بأنّ عينها ناظرة إلى أثرهنّ . وسفّهها فى هذا الفعل بأن اللمح ليس صادراً فى وقته ، لأن صاحبهن ملتزم أسفار ، ومقتحم أخطار ؛ شأنه الذَّهاب ، وعدم الإياب ؛ فلا ينبغى لها أن تكتسب من النظرة ، شدائد الحسرة .

وقوله : إنَّ قلبك مِتْيَح ، استئناف بيانىٌّ وقع جواباً لسؤال عن سببٍ خاص نشأ من الجملة المنفية ، كأنَّ نفسه قالت له : هل أنا فى هذا الفعل مِتيح ؟ فأجابها بالجملة المؤكدة . وقوله : ظعائن ميناف ، أى هنّ ظعائن ؛ والجملة الشرطية صفة لميناف . وجملة : أقام الخ ، جواب إذا . وباكرٌ فاعل أقام أى سائق باكر ؛ متروحٌ : أى شأنه سوق الإبل بالغداة والرواح .

فإن قلتَ : كيف يرتبط الجواب بالشرط مع خلوّه عن ضمير الميناف؟

قلتُ : هو بتقدير أقام الركاب بأمره . ثمّ وصف رحيل الميناف ونزولَه ومنازلَه فى أبيات كثيرة .

وترجمة الراعى قد تقدَّمت فى الشاهد الثالث والثمانين بعد المائة[1] .

* * *

باب المجرورات

١٦١

الإضــــــافة

أنشد فيها :

(ولَقَدْ أَمُرُّ عَلَى اللَّئيمِ يَسُبُّنى)

على أنَّ ذا اللام فى أصل الوضع لواحدٍ معين ، وقد يستعمل بلا إشارة إلى معيَّن ، كاللئيم ، فإنَّ المراد منه لئيمٌ من اللؤماء ، أىَّ لئيمٍ كان .

---

(١) الخزانة ٣ : ١٥٠ .

وتمامه : (فمَضيتُ ثُمّتَ قلتُ لا يَعْنِينى)

وقد تقدَّم الكلام عليه فى الشاهد الخامس والخمسين(١) .

* * *

وأنشد بعده :

(علَا زَيْدُنا يَوْمَ النَّقَا رَأسَ زَيدِكُمْ ... بِأبيَضَ ماضِى الشَّفْرَتينِ يَمانِى)

على أن العَلَمَ إذا أضيف نكِّر بجعله واحداً مِن جملةِ مَن سُمِّى بذلك اللفظ، كزيد ، فإنه معرفة بالعلَميّة ولمّا أضيف نكِّر واكتسب التعريفَ من الإضافة.

وقد تقدّم الكلام عليه أيضاً فى الشاهد الثامن عشر بعد المائة(٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثمانون بعد المائتين :

٢٨٥ (إن قُلتَ خَيراً قال شَرًّا غَيرَهُ)

على أن ابن السَّرّاج نقض به ما قاله ابن السَّرِىّ ــ وهو أبو اسحق إبراهيم ابن السَرِىّ الشهير بالزجاج ــ من أن (غير) إذا أضيفت إلى معرَّف له ضدٌ واحد تعرَّفت ، كقولك : عليك بالحركةِ غيرِ السكون . ووجه النَّقض : أن غيراً فى البيت قد أضيفت إلى ضمير الخيْر ــ وهو ضد الشر ــ ولم تتعرَّف ، بدليل وقوعها صفة لقوله شرًّا .

---

(١) الخزانة ١ : ٣٥٧ .

(٢) الخزانة ٢ : ٢٢٤ .

و نقض عليه أيضاً بقوله تعالى: ﴿نَعْمَلْ صالحاً غيرَ الذى كُنَّا نَعْمَلُ[1]﴾

وأجاب الشارح المحقِّق بأنّ غيراً فيهما بَدَل لا صفة ، ويجوز أن تكون صفةً على الأكثر الأغلب ، وهو عدم تعرّفها بالمضاف إليه . هذا كلامه ؛ وما نسبه إليهما لم أره فى كلامهما .

أما ابن السَّرِىّ فهذه عبارته فى تفسير الفاتحة : وقوله تعالى : ﴿غيرِ المغضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ فيُخفَض على ضربين : على البدل من الذين، كأنَّه قال : صراطَ غيرِ المغضوب عليهم ؛ ويستقيم أن يكون غير المغضوب عليهم من صفة الذين ، وإن كان غير إنَّما أصله فى الكلام أن يكون صفةً للنكرة ، تقول مررت برجلٍ غيرِك ، فغيرك صفة لرجل ، كأنَّك قلت مررت برجل آخر . ويصلح أن يكون معناه مررت برجل ليس بك ، وأنَّما وقع ههنا صفة للذين لأنَّ الذين ههنا ليس بمقصود قصدهم ، فهو بمنزلة قولك إنِّى لأمرُّ بالرجلِ مثلِك فأكرمه . انتهى كلامه .

فعلم منه أن وقوع غير صفةً للذين لتأويل الذين بما يقرب به من النكرة ، وهو كون المعرَّف الجنسى قريباً من النكرة ، لا لكونها وقعت بين ضدَّين كما نقل عنه الشارح المحقِّق .

وأما ابن السرّاج فقد قال فى باب الإضافة (من الأصول) : وأمّا مثل وغير وسوى ، فإنّهنَّ إذا أضفن إلى المعارف لم يتعرَّفن ، لأنك إذا قلت مثل زيد فمثله كثير : واحدٌ فى طوله ، وآخر فى علمه ، وآخر فى صناعته ، وآخر فى حسنه . وهذا يكاد يكون بلا نهاية . وكذلك غير إذا قلت غير زيد ؛ لأن ١٦٢

(١) الآية ٣٧ من فاطر .

كلّ شيء إلا زيد فهو غير زيد . فهذا وما أشبهه لا يتعرّف بالإضافة . فإن أردت مثل زيد المعروف بشبه زيد كان معرفة . انتهى .

فليس فيه ردٌّ ولا شعْر .

وقد نسب ابن هشام (فى المغنى) إلى ابن السرّاج ما نسبه الشارح المحقّق إلى ابن السرىّ .

والمصراع من أبياتٍ أوردها ابن الأعرابى (فى نوادره) للأسود بن يعفُر ، وهى : صاحب الشاهد

أبيات الشاهد

(إنَّ امرأً مولاه أدْنا داره فيما ألمَّ وشرُّه لكَ بادِى[1]
إن قلتَ خيراً قال شرًّا غيرَه أو قلتَ شرًّا مدَّه بمِداد
فلئن أقمتَ لأظعننَّ لبلدةٍ ولئن ظعنتَ لأُرسِيَنْ أوتادى
كان التفرُّق بيننا عن مِئْرةٍ فاذهبْ إليكَ فقدشفيت فؤادى)

وقوله : إن امرأً مولاه الخ المولى هنا يجوز أن يكون ابنَ العمِّ ، وأن يكون الناصر ، وأن يكون الجار . وأدنا[1] بمعنى أضعف وأذلّ ؛ من الدناءة فسُهِّل . وفى للسببية ، وألمّ من اللَّمَم ، وهو مقاربة الذنب . وبادِى : ظاهر . ومولاه مبتدأ وأدنا[1] خبره والجملة صفة لاسم إنَّ ، وخبرُها الجملة الشرطية ، وهو قوله : (إن قلتَ خيراً الخ) . وقلتَ فى الموضعين بفتح التاء . وقوله : (مدَّه الخ) أى زاده بزيادة متصلة .

وقوله : فلئن أقمتَ الخ ، هذا التفات من الغيبة إلى الخطاب . وقوله : لأُرسيَنْ ، النون الخفيفة للتأكيد . والإرساء : الإثبات، يقال رسا الشىء يرسو :

---

(١) رسمت فى النسختين بالياء ، وانما هى مسهلة من أدنأ .

إذا ثبت ؛ وأرساه : أثبتَه . وأراد بأوتاده أوتاد الخيمة . وإرساؤها كناية عن الإقامة .

والمِئْرة ، بكسر الميم وسكون الهمزة ، هى العداوة ، قال أبو زيد : مأرت بين القوم مأراً وماءرت مماءرة : أى عاديت بينهم وأفسدت . قال : والاسم المِئْرة . وإليك اسم فعل بمعنى تنحَّ وابعد .

والأسود بن يعفر شاعر جاهلىٌّ ، تقدّمت ترجمته فى الشاهد الرابع والستين[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثمانون بعد المائتين[2] :

٢٨٦ (أماوِىَّ إنّى رُبَّ واحِدِ أُمِّهِ
أجَرْتُ فلا قَتْلُ عليه ولا أسْرُ)

على أن (واحد أُمّه) نكرة لا يتعرّف بالإضافة وإنْ أُضيف إلى المعرفة ، لتوغله فى الإبهام ، إذ لاينحصر بالنسبة إلى مضاف إليه معيَّن ، إذ بعد الاضافة لا يتعيَّن للمضاف أيضاً ، فهو نظير غيرك ومثلك ، ولذلك وقع مجروراً لربّ .

١٦٣ والشارح المحقّق نسب جعلَه منكَّرا إلى بعض العرب ، واستدل له بدخول ربّ عليه ، فإنَّها لا تدخل إلاّ على نكرة . وغيرُه نسَبَ التنكير إلى بعض النحاة ، ويؤيّده قول ابن الأنبارى (فى الزاهر) : إنّ الفرّاء وهشاماً قالا :

---

(١) الخزانة ١ : ٤٠٥ .

(٢) همع الهوامع ٢ : ٤٧ وديوان حاتم ١١٨ واللسان (وحد ٤٦٣) .

نَسِيج وَحْدِه وعُيَيْر وَحْدِه ، وواحدُ أمِّه ، نـكرات . والدليل على هذا أن العرب تقول : رُبَّ نسيجٍ وحْدِه قد رأيت ، وربّ واحد أمِّه قد أجَرْت .
واحتجَّ هشامٌ بقول حاتم :

أماوىَّ إنّى رُبَّ واحدِ أمِّهِ . . . . البيت

قال شارح اللباب وغيره : والأكثر أن يكون معرفة على قياس الإضافة إلى المعارف ، وأمّا وروده نـكرةً فنادر ، إنّما جاء فى الشعر .

١٦٣ وقول الشارح المحقّق : « وليس العلة فى تنكيرهما ما قال بعضهم إنّ واحد مضاف إلى أم » إلى آخره ، هو كلام عبد القاهر الجرجانى ، قال : والضمير المتصل ببَطن وأمّ ، لايجوز أن يعود إلى نفس واحد وعبد ، لأنّ المضـاف يكتسب من المضاف إليه التعريف ، فإذا كان تعريف أمّ بإضافتها إلى ضمير الواحد ، كان التماس تعريف الواحدِ منها محالاً ، وكان بمنزلة تعريف الشىء بنفسه ، فوجب أن يعود الضمير إلى شىء غير عبد وواحد ؛ يجوز أن تقول : زيد عبدُ بطنه ، فيكون تعريف عبد بغير ضميره . قال : فإذا قلت جاءنى واحدُ أمِّه ، وعبدُ بطنه ، جاز أن يكون معرفة بأنْ يتقدّم الذكر ، كأنّك قلت جاءنى الـكامل النبيل الذى عرفته . وإذا جعل نـكرة فعلى أنّه يوصف به نـكرة محذوفة كما فى البيت ، كأنّه قال إنسانٌ واحدُ أمِّهِ ؛ بمنزلة قولك : ربَّ إنسان عزيز معظَّم ، لأنّ ربَّ لا تدخل على المعارف . انتهى كلامه .

وقوله : (أماوىَّ الخ) الهمزة للنداء ، وماوىَّ منادى مرخّم ماويَّة ، وهى زوجة حاتم . والماويّة فى اللغة : المرآة التى يُرى فيها الوجه ؛ كأنها منسوبة إلى المـاء ، فانّ النسبةِ إلى الماء مائىّ وماوىّ . و (رُبَّ) هنا لإنشاء

التكثير[1] والعاملُ في محلّ مجرورها (أجَرْتُ) بالجيم والراء المهملة ، بمعنى أمّنته مما يخاف ؛ يقال استجاره أي طلب منه أن يحفظه فأجاره . وروى بدله : (أخذت) .

قال الزمخشريّ (في أمثاله) عند قوله « أجْوَدُ من حاتم » : كان إذا قاتل غلَب ، وإذا غَنِم أنهَب ، وإذا سُئل وهب ، وإذا ضَرَب بالقِدْح سبَق ، وإذا أسر أطلَق ، وإذا أثرى أنفق . وكان أقسم بالله لا يقتل واحدَ أمِّه . انتهى .

وروى صاحب اللباب المصراع الثانى هكذا :

* قتلتُ فلا غُرْمٌ عليَّ ولا جَدْلُ *

من جدل عليه : إذا صال عليه بالظُّلم . وليس كذلك ؛ فإنَّ البيت من قصيدةٍ رائيّة وهى :

قصيدة الشاهد

(أماوِىَّ ، قد طال التجنُّبُ والهَجْرُ ... وقد عَذَرتْنى فى طِلابكُمُ عُذْرُ
أماوىَّ ، إنّ المـال غادٍ ورائحٌ ... ويبقى من المال الأحاديثُ والذِّكرُ
أماوىَّ ، إنّى لا أقول لسـائلى ... إذا جاء يوماً حلَّ فى مالنا النَّزْرُ
أماوىَّ ، إمَّا مانعٌ فمبيِّنٌ ... وإمّا عطـاءٌ لا يُنَهْنِهُه الزجرُ
أماوىَّ ، مايُغنى الثراء عن الفتى ... إذا حَشرجَتْ يوماً وضاق بها الصدرُ
أماوىَّ ، إنْ يُصبح صداىَ بقفرةٍ ... من الأرض لاماءٌ لدىَّ ولا خَمرُ

---

(١) فى النسختين : « التنكير » ، تحريف . قال ابن هشام فى المغنى : « وليس معناها التقليل دائما خلافا للأكثرين ، ولا للتكثير دائما خلافا لابن درستويه وجماعة ، بل ترد للتكثير كثيرا وللتقليل قليلا » . وانظر اللسان (ربب) .

تَرَى أنَّ ما أنفقتُ لم يكُ ضائرى ... وأنَّ يدِى مما بخِلتُ به صفرُ
أماوىَّ إنِّى رُبَّ واحدِ أمّه ... أخذتُ فلا قتلٌ عليه ولا أسرُ
وقد عَلِمَ الأقوامُ لو أنّ حاتماً ... أراد ثراء المال كان له وَفْرُ
أماوىَّ ، إنَّ المال مالٌ بَذَلْتَه ... فأوّلُه شكرٌ وآخره ذكر
وإنّى لا آلُو بمالِى صَنيعة ... فأولُه زادٌ وآخره ذُخرُ
يُفَكُّ به العانى ويُؤكل طيِّباً ... وما إن يُعرِّيه القِداح ولا القَمْرُ ١٦٤
ولا أظلمُ ابنَ العمِّ إن كان إخوتى ... شهوداً وقد أودَى بإخوته الدهرُ
غَنِيناً زماناً بالتَّصعلُكِ والغِنى ... وكُلاًّ سقاناه بكأسيهما الدهرُ
فما زادنا بَأْواً على ذى قَرابة ... غِنانا ، ولا أزرى بأحسابنا الفقرُ
وما ضرَّ جاراً يا ابنة القوم ، فاعلمى ... يجاورنى أن لا يكون له ستر
بعينيّ عن جاراتِ قومىَ غفلةٌ ... وفى السَّمع منّى عن أحاديثها وَقْرُ)

قوله : وقد عذرتنى الخ ، عذرته فيما صنع من باب ضرب : رفعت عنه اللوم ، فهو معذور أى غير ملوم ، والاسم العُذر بالضم .

وقوله : حلّ فى مالنا النزر ، أى القِلَّة . ونَهْنَهَه : كفّه ومنعه .

وقوله : إذا حشرجت يوماً الخ ، أورد صاحب الكشّاف هذا البيت عند تفسير قوله تعالى : ﴿ كلاَّ إذا بَلَغَتِ التَّراقىَ[(١)] ﴾ على إضمار النفس قبل الذكر ، لدلالة الكلام عليه ، كما أضمرها الشاعر فى حشرجت . والحشرجة ، أوله حاء مهملة وآخره جيم : الغرغرة عند الموت وتردُّد النفس . والصَّدَى : ما يبقى من الميت فى قبره ، قاله المبرد فى الكامل[(٢)] عند قول النَّمِر بن تَوْلَب الصحابىِّ :

---

(١) الآية ٢٦ من سورة القيامة .

(٢) ص ٢١٠ ليبسك . وهذا التفسير أحد أوجه ستة ذكرها المبرد فى هذا الموضع .

أعاذلَ إنْ يصبح صَداىَ بقَفْرَةٍ بَعيـداً نآنى صاحبى وقريبى
ترَىْ أنّ ما أبقيتُ لم أكُ ربَّهُ وأن الذى أنفقتُ كان نصيبى

وقوله : لا آلو ، أى لا أقصِّر . والعانى : الأسير .

وقوله : وما إنْ يُعرّيه أى يُغنيه . والقِداح : قِداحُ الميسر . والقَمْرُ بالفتح : المقامرة .

وقوله غنينا ، غَنِيَ كفرح : عاش ، وغنى بالمكان : أقام به . والبأو بالموحدة وسكون الهمزة الـكِبْر والفخر ، يقال : بأوت على القوم أبأى بَأواً .

وسبب هذه القصيدة هو مارواه الزجاجيّ (فى أماليه الوسطى[1]) قال : أخبرنا ابن دُريد قال : أخبرنى عبد الرحمن عن عمه ، وأبو حاتم عن أبى عبيد قالا :

كانت امرأةٌ من العرب من بنات ملوك اليمن ذاتُ جمال وكمال ، وحسب ومال ، فآلت أن لا تزوّج نفسها إلاّ من كريم ، ولئن خطبها لئيم لَتجدعَنّ أنفَه ، فتحاماها الناسُ حتّى انتَدَبَ لها زيدُ الخيل ، وحاتمُ بنُ عبد الله ، وأوسُ بنُ حارثةَ بن لأم الطائيون ، فارتحلوا إليها فلمّا دخلوا عليها قالت : مرحباً بكم ، ما كنتم زُوّاراً فما الذى جاء بكم ؟ قالوا : جئنا زُوّاراً خُطّاباً ، قالت . أكفاء كرام ، فأنزلتهم وفرّقت بينهم وأسبغت لهم القِرى وزادت فيه ؛ فلما كان فى اليوم الثانى بعثت بعضَ جواريها متنـكرةً فى زى سائلة تتعرّض لهم ، فدفع إليها زيد وأوسٌ شطرَ ما حُمِل إلى كلّ واحدٍ منهما ، فلمّا صارت

(١) أمالى الزجاجى ١٠٦ بتحقيق كاتبه . والقصة على وجه آخر فى الأغانى ١٦ : ٩٩ والشعراء ١٩٧ ـ ٢٠٠ وأمالى القالى ٣ : ١٥٤ والعينى ٢ : ٣٦٩ وديوان حاتم ١٣١ ـ ١٣٤ .

إلى رَحْلِ حاتمٍ دفع إليها جميع ما كانَ من نفقته ، وحمل معها جميع ما حُمِل إليه ، فلما كان فى اليوم الثالث دخلوا عليها فقالت : ليصفْ كلٌّ واحد منكم نفسه فى شعره ، فابتدر زيد وأنشأ يقول :

هَلاَّ سألتِ بنى ذُبيانَ ما حَسَبِي … عندَ الطِعان إذا ما احمرَّت الحَدَقُ(١)

وجاءتِ الخيلُ محمرًّا بوادرُها … بالماء يسفح من لَبَّاتِها العَلَقُ

والخيلُ تعلم أنِّى كنتُ فارسَها … يومَ الأكسُّ به من نجدة رَوَقُ(٢)

والجارُ يَعلم أنِّى لستُ خاذلَه … إنْ ناب دهرٌ لِعَظْم الجارِ مُعترِقُ

هذا الثناء فإنْ ترضَىْ فراضيةٌ … أو تستحطى فإلى من تُعْطَفُ العُنق

وقال أوس بن حارثة : انكِ لتعلمين أنّا أكرم أحسابا وأشهر أفعالا ، من أن نصفَ أنفسنا لك ، أنا الذى يقول فيه الشاعر(٣) : ١٦٥

إلى أوْس بن حارثةَ بن لأمٍ … ليَقضىَ حاجتى ولقَد قَضاَها

فما وطىء الحصَى مثلُ ابنِ سُعدَى … ولا لِبسَ النعالَ ولا احتَذاها

وأنا الذى عقَّتْ عقيقته ، وأعتقت عن كلٍّ شعرةٍ فيها عَنْهُ نَسَمَة .

ثم أنشأ يقول :

فإنْ تنكحى ، ماويّة الخير ، حاتماً … فما مثلُه فينا ولا فى الأعاجم

(١) صوابه « بنى نبهان » كما فى أمالى الزجاجى . وسيأتى ذكر « نبهان » فى شعر أوس بن حارثة الذى يذكر فيه زيد الخيل ، وهو زيد الخيل بن مهلهل بن زيد بن منهب بن عبد رضى بن المختلس بن ثوب ابن كنانة بن غوث بن نابل بن نبهان بن عمرو بن الغوث بن طيىء . جمهرة أنساب العرب ٤٠٣ والاصابة ٢٩٣٥ .

(٢) الأكس : القصير الأسنان . والروق ، بالتحريك : اشراف الأسنان العليا على السفلى .

(٣) هو بشر بن أبى خازم . ديوانه ٢٢٢ والكامل ١٣٣ .

فتىً لا يزال الدّهرَ أكبرَ همِّهِ فكاكُ أسيرٍ أو معونةُ غارمِ
وإن تنكحى زيداً ففارسُ قومه إذا الحرب يوماً أقعدت كلَّ قائم
وصاحبُ نبهان الذى يُتّقى به شذَا الأمر عند المُعظِم المتفاقمِ
وإن تنكحينى تنكحى غيرَ فاجر ولا جارفٍ جُرفَ العشيرةِ هادم
ولا مُتَّقٍ يوماً إذا الحرب شمَّرت بأنفسها نفسى كفعل الأشائم
وإن طارقُ الأضياف لاذَ برحله وجدتِ ابنَ سُعدى للقِرى غيرَ عاتِم
فأىَّ فتى أهدى لكِ الله فاقبلى فإنّا كرامٌ من رءوسٍ أكارم

وأنشأ حاتم يقول :

أماوىَّ قد طال التجنُّبُ والهَجْرُ وقد عذرَتْنِى فى طِلابكم عُذرُ

إلى أن انتهى إلى آخر القصيدة — وهى مشهورة — فقالت : أما أنت يا زيد فقد وَتَرت العرب ، وبقاؤك مع الحرّة قليل . وأمّا أنت يا أوس فرجل ذو ضرائر ، والدخول عليهنَّ شديد . وأمَّا أنت يا حاتم فمرضىّ الخلائق ، محمود الشيَم ، كريم النفس ، وقد زوّجتك نفسى . اهـ ما رواه الزجاجىُّ .

وقد روى صاحب الأغانى هذا الخبرَ على غير هذا ، قال : إن معاوية تذاكروا عنده ملوك العرب ، حتى ذكروا الزبّاء وماويةَّ ، فقال معاوية : إنّى لأحِبُّ أن أسمع حديثَ ماوية وحاتم ، فقال رجل من القوم : أفلا أحدّثك به ؟ فقال معاوية : بلى . فقال: إن ماوية كانت ملكة ، وكانت تتزوج من أرادت ، وإنها بعثت يوماً غلماناً لها وأمرتهم أنْ يأتوها بأوسَمِ من يجدونه من الحِيرة ، فجاؤا بحاتم فأكرمته[1] وبعد أنْ رحل عنها دعته نفسه إليها فأتاها يخطبها ،

(١) هنا حديث بينها وبين حاتم . انظر له الأغانى ١٦ : ٩٩ وديوان حاتم ١٢٢ .

فوجد عندها النابغة ورجلاً من الأنصار من النَّبيت ، فقالت : انقلبوا إلى رحالكم وليقلْ كلٌّ منكم شعراً يذكر فيه فَعَالَه ومَنصبه ، فإنّى أتزوج أكرمكم وأشعركم . فانصرفوا فنحر كلُّ واحد منهم جَزوراً ، ولبست ماويّة ثياباً لأمةٍ لها فأعقبتهم ، فأتت النَّبيتى ، فاستطعمته من جزوره فأطعمها ثِيل جَزوره ـ أى وعاء قضيبه ـ فأخذته ثم أتت نابغة بنى ذبيان فاستطعمته فأطعمها ذنبَ جمله ، فأخذته ثم أتت حاتماً وقد نصب قِدره فاستطعمته ، فقال لها : قِرِّى حتى أعطيَك ما تنتفعين به . فأعطاها من العجزُ والسَّنام ، [ومثلها من المخدِّش ، وهو عند الحارك(١)] ، ثم انصرفت فأرسل إليها كلٌّ واحدٍ ظهرَ جمله ، وأهدى حاتم إلى جاراتها مثلَ ما أهدى إليها ، وصبَّحوها فاستنشدتْهم ، فأنشدها النَّبيتىُّ :

هلاَّ سألتِ النَّبيتِيِّينَ ما حَسَبى ... عندَ الشتاءِ إذا ما هَبَّت الريحُ

١٦٦

وبعده أبيات ثلاثة . ثم قالت : أنشدنا يا نابغة ، فأنشدها :

هلا سألتِ بنى ذبيان ما حَسبي ... إذَا الدُّخان تَغشَّى الأَشمَط البَرَما

وبعده بيتان ، ثم قالت : يا أخا طيِّءٍ ، أنشِدْنا . فأنشدها :

أماوىَّ قد طال التجنُّب والهجرُ ... وقد عذَرتنى فى طِلابكم العذْرُ

إلى آخر القصيدة ـ فلمَّا فرغ حاتمٌ من إنشاده دعت بالغَداء ، وكانت قد أمرت إماءها أن يُقدِّمن إلى كلِّ رجلٍ ما كان أطعمها ، فقدَّمن إليهم ما كانت أمرتهنَّ أن يقدِّمنه ، فنكَّس النبيتى والنابغة رأسيهما ، فلما نظر حاتم ذلك رمى بالذى قدَّمتْه إليهما ، وأطعمهما مما قُدِّم إليه ، فتسلَّلا منها .

---

(١) التكملة من الأغانى . والمخدش : كاهل البعير ، لأنه يخدش الفم اذا أكل بقلة لحمه .

وقالت : إنَّ حاتماً أكرمُكم وأشعركم . فلما خرجا قالت : يا حاتم ، خلِّ سَبيل امرأتِك ، فأبَى ، فزوَّدته . فلما انصرفَ عنها ماتت امرأته ، فعاد إليها فتزوَّجها فولدت له عَديًّا . وقد كان عدىٌّ أسلم وحَسُن إسلامه . اهـ مختصرا .

والصحيح أن عديًّا من امرأته نَوَارِ ، لا من ماوية . والله أعلم

وترجمة حاتم الطائى قد تقدمت فى الشاهد التاسع والسبعين بعد المائة(١).

* * *

وأنشد بعده :

(ولقد أمرُّ على اللئيم يسبُّنى)

تمامه : (فمضَيت ثمَّتَ قُلْتُ لا يَعْنِينى)

وقد تقدَّم قريباً (٢).

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثمانون بعد المائتين ، وهو من شواهد س(٣) :

٢٨٧ (لما أتى خَبَرُ الزُّبَيْرِ تَوَاضَعَتْ سُورُ المدينةِ والجبالُ الخُشَّعُ)

على أن (سُوراً) اكتسب التأنيث من المدينة ، ولهذا أنّث له الفعل .

قال الأعلم (فى شرح شواهد س) : إنَّ السُّورَ ، وإن كان بعضَ المدينة

---

(١) الخزانة ٣ : ١٢٧ .

(٢) الخزانة ٤ : ٢٠٦ فى أول باب الاضافة .

(٣) فى كتابه ١ : ٢٥ . وانظر النقائض ٩٦٩ ومجاز القرآن ١ : ١٩٧ والخصائص ٢ : ٤١٨ وديوان جرير ٢٤٥ واللسان (سور ٥٢) .

لا يسمَّى مدينة ، كما يسمَّى بعض السنين سنة ، ولكن الاتِّساع فيه متمكن ، لأنّ معنى تواضعت المدينةُ وتواضَعَ سُورُ المدينة متقارب » .

وذهب أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنَّى إلى أنّ السُّورَ جمع سُورة ، وهى كلّ ما علا ؛ وبها سُمِّى سُور المدينة سوراً . وعلى هذا لا شاهد فى البيت .

قال السيرافى : والجبال الخُشَّع مبتدأ وخبرٌ عندَ بعضهم : أى وصارت الجبال خاشعة متضائلة ؛ لأنّه لا مدح فى قولنا تواضعت الجبال المتضائلة ، بل تواضعت الجبال الشامخة ، لكنّه وصفها بما آلت إليه . وقال بعضهم : هو معطوف على سُور المدينة ، والخشَّعُ صفة له ؛ ولم يُرد أنّها كانت خُشَّعاً قبلُ ، بل هى خُشَّع لموته الآن . وأراد : لما أتى خبر قتل الزبير وتواضعت وقعت إلى الأرض . والخُشّع : التى قد لطئت بالأرض .

وهذا البيت من قصيدة لجرير ، عدّتها مائة وعشرون بيتاً هجا بها صاحب الشاهد الفرزدقَ وعدّد فيها معايبَه ، منها أنَّ ابن جُرمُوز المُجاشعىَّ — وهو من رهط الفرزدق — قَتَلَ الزُّبيرَ بنَ العوام غِيلةً بعد انصرافه من وقعة الجمل ، فهو ينسُبهم إلى أنهم غدرُوا به لأنهم لم يدفعوا عنه . يقول : لمّا وافى خبر قتل الزبير إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، تواضعت هى وجبالُها ، وخشَعت حُزناً له . وهذا مثل ، وإنما يريد أهلها . وقبل هذا البيت :

(إنَّ الرزيَّة مَنْ تضمَّن قَبرَه وادى السباع ، لكلّ جنبٍ مصرعُ)

وبعده :

(وبكى الزُّبيرَ بنَاتُه فى مأتمٍ ماذا يرُدُّ بكاء من لا يَسْمَعُ) ١٦٧

ووادى السباع على أربعة فراسخَ من البصرة . ثم إن ابنَ جُرمُوز قدِم على أمير المؤمنين على رضى الله عنه ، وهنّأه بالفتح وأخبره بقتله الزبير ،

فقال له عليّ : أبشِرْ بالنار ، سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بَشِّرْ قاتِلَ ابنِ صَفِيةَ بالنار » .

وفى ذلك قال ابن جرموز :

أتيتُ عليًّا برأس الزُّبيرِ   وقد كنت أحسِبها زُلفَه
فبشَّرَ بالنار فى قتله   فبئسَ بِشَارة ذى التُّحَفْه

ثم إن ابن جرموز جاء إلى مصعب بن الزبير — وكان والياً على العراق من قِبل أخيه عبد الله — فقال : اقتلنى بالزُّبير ! فكتب فى ذلك إلى أخيه ، فكتب إليه عبد الله : أنا لا أقتله بالزُّبير ولا بشِسْع نعله . فلم يقتله ، ومضى ابن جُرموز من عند مصعب .

وقصّة مقتل الزبير مفصّلة فى التواريخ .

وترجمة جرير قد تقدمت فى الشاهد الرابع من أول الكتاب[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثمانون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[2] :

٢٨٨ (إذا بَعْضُ السِّنينَ تعرَّقتْنا   كَفَى الأيْتامَ فَقْدَ أبى اليَتيمِ)

لما تقدّم قبله ، وهو أنّ (بعضاً) اكتسب التأنيث ممّا بعده بالإضافة ؛ ولهذا قال (تعرّقتنا) بالتأنيث .

قال ابن جنّى (فى سرّ الصناعة) عندما أنشد قول الشاعر :

---

(١) الخزانة ١ : ٧٥ .

(٢) فى كتابه ١ : ٢٦ ، ٣٢ وابن يعيش ٥ : ٩٦ ويس ٢ : ٣٢ وديوان جرير ٥٠٧ .

* سائلْ بنى أسدٍ ما هذه الصوتُ(١) *

إنَّما أنَّثه لأنه أراد الاستغاثة . وهذا من قبيح الضرورة ، أعنى تأنيثَ المذكَّر ، لأنَّ التذكير هو الأصل ، بدلالة أنّ الشيء مذكّر وهو يقع على المذكّر والمؤنّث ، فعلمت بهذا عمومَ التذكير وأنّه هو الأصل الذى لا ينكسر . ونظير هذا فى الشذوذ قوله — وهو من أبيات الكتاب — :

إذا بعضُ السنينَ تعرّقتنا . . . . البيت

وهذا أسهل من تأنيث الصّوت قليلاً ، لأنَّ بعض السنين سنة ، وهى مؤنثة ، وهى من لفظ السنين ، وليس الصوتُ بعض الاستغاثة ولا من لفظها . انتهى .

وزاد المبرد (فى الكامل) على هذا الوجه وجهاً آخر فقال : قوله :

* إذا بعضُ السِّنينَ تعرَّقتنا *

يفسَّر على وجهين : أن يكون ذهب إلى أنَّ بعض السنين يؤنث لأنّه سنة وسنون(٢) . والأجود أن يكون الخبر فى المعنى عن المضاف إليه فأقحمَ المضافَ إليه توكيداً(٣) ، لأنه [غيرُ(٤)] خارجٍ من المعنى . وفى كتاب الله عزَّ وجل : ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ(٥)﴾ والخضوعُ بَيِّنٌ فى الأعناق ،

---

(١) لرويشد بن كثير الطائى فى الحماسة ١٦٦ بشرح المرزوقى . وصدره :

* يأيها الراكب المزجى مطيته *

(٢) فى بعض أصول طبعة ليبسك من الكامل ٣١٢ : « ذهب الى أن بعض السنين سنون » .

(٣) وكذا فى أصول الكامل ، والمراد المضاف ، وهو فى بعض الاعتبار مضاف اليه ما بعده . أو المراد اقحم كلمة « بعض » فى كلمة السنين لتكون توكيدا . وفى اللسان : « وكل ما ادخلته شيئا فقد أقحمته اياه وأقحمته فيه » ، فتكون توكيدا مفعولا ثانيا لأقحم .

(٤) التكملة من الكامل .

(٥) الآية ٤ من الشعراء .

فأخبر عنهم فأقحم الأعناق توكيداً — وكان أبو زيد الأنصاريّ يقول : أعناقهم : جماعتهم — والأوّل قول عامّة النحويّين . انتهى المراد منه .

و (بعض) : فاعل فعل محذوف يفسّره (تعرّقتنا) المذكور ؛ يقال تعرّقتُ العظم : إذا أكلتَ ما عليه من اللحم . يريد أنّها أذهبت أموالنا ومَواشينَا . و (السَّنَة) هنا : القحط والجدْب : ضد الخِصب والرَّخاء . و (كفى) بمعنى أغنى يتعدّى إلى مفعولين ، أوّلها (الأيتام) وثانيهما (فقْدَ) ، ومصدره الكِفاية ، قال تعالى : ﴿ وكَفَى اللهُ المؤْمنينَ القِتالَ[1] ﴾ أى كفى الأيتام فقدَ آبائهم ؛ لأنّه أنفق عليهم وأعطاهم ما يحتاجون إليه ، وكان فى الكفاية لهم والحِراسة والتفقُّد لأحوالهم بمنزلة آبائهم . وأراد أن يقول : كفى الأيتامَ فقدَ آبائهم فلم يمكنْه فقال : فقد أبى اليتيم ؛ لأنّه ذكر الأيتام أوّلا ، ولكنّه أفرد حملاً على المعنى ؛ لأنَّ الأيتام هنا اسم جنس ، فواحدها ينوب مَناب جمعها ، وبالعكس . وكان المقام مَقام الإضمار فأتى بالاسم الظاهر .

١٦٨

أبيات الشاهد

وهذا البيت من قصيدة لجرير مدح بها هشامَ بنَ عبد الملكِ بن مرْوان :

(وأنت إذا نظرتَ إلى هشام عرَفتَ نِجار منتَخَبٍ كريمِ[2]
يَرَى للمسلمين عليـه حَقًّا كفِعل الوالد الرَّؤُفِ الرحيمِ
إذا بعضُ السنِينَ تعرَّقَتنا كفى الأيتامَ فقدَ أبى اليتيم)

والنِّجار ، بكسر النون وبعدها جيم : الأصل .

وقوله : يرى للمسلمين عليه حقّاً ، له مثلُه فى قوله أيضاً :

وإنى لأستحيي أخى أن أرى له عليَّ من الحق الذى لا يرى ليا

(١) الآية ٢٥ من الأحزاب .

(٢) فى الديوان : « منتجب » بالجيم .

قال المبرّد في الكامل : هذا بيت يحمله الناس على خلاف معناه ، وإنّما تأويله إني لأستحيي أخي أن يكون له عليّ فضلٌ ولا يكون لي عليه فضلٌ ومنّي إليه[١] مكافأة ، فأستحيي أن أرى له عليّ حقّاً بما فعل إليّ ، ولا أفعلَ إليه مايكون لي به عليه حقّ . وهذا من مذاهب الكِرام . وأما قول عائدِ الكلبِ الزُّبيْرِيُّ[٢] لعبد الله بن حسن بن حسن بن عليّ[٣] رضى الله عنهم :

له حقٌّ وليس عليه حقٌّ ومهما قال فالحَسَنُ الجميلُ[٤]
وقد كان الرسول يرى حقوقاً عليه لغيره ، وهو الرسول[٥]

فإنّه ذَكَره بقلّة الإنصاف فقال : يرى له حقًّا على الناس ولا يرى لهم عليه حقاً ، من أجل نسبَه بالرسول صلى الله عليه وسلم . وقد قيل لعلي بن الحسين ابن علي رضى الله عنهم : مابالك إذا سافرت كتمتَ نسبَك أهل الرفقة[٦] ؟

---

(١) ط : « عليه » ، صوابه في ش والكامل ٣١٠ .

(٢) في النسختين : « الزبيدى » ، وحورها الشنقيطي الى «الزبيري» بالراء لتصح ، كما في الكامل ٣١٠ والأغاني ٢٠ : ١٨٠ . وعائد الكلب هذا هو عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام . وكان ممن خرج مع النفس الزكية ، سمى بذلك لقوله :
مالي مرضت فلم يعدني عائد منكم ويمرض كلبكم فأعود
وانظر اللآلي ٥٧٠ ، ٦٥٩ .

(٣) في زهر الآداب ٨٦ والعمدة ٢ : ١٤٠ أنه « الحسن بن زيد بن الحسين بن على »

(٤) الكامل ٣١٠ . ونسب البيتان في زهر الآداب لأبى عاصم محمد بن حمزة الأسلمي ، وفي العمدة لابن عاصم المديني ، صوابه « لأبى عاصم » .

(٥) في العمدة : « لأهلها » .

(٦) ط : « الرفعة » ، صوابه في ش والكامل . والرفقة :الأصحاب في السفر .

فقال : أكره أن آخذ برسول الله صلى الله عليه وسلم مالا أُعطِي مثله .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثمانون بعد المائتين وهو شواهد س(١) :

٢٨٩ (مَرُّ اللَّيالِي أَسْرَعَتْ فى نَقْضِي
أَخَذْنَ بعضِي وتَرَكْنَ بَعْضِي)

على أن (مَرّ) اكتسب التأنيث من المضاف إليه ، ولهذا قال : أخذن .

وسيبويه جعل محل الشاهد أسرعَتْ ؛ ففى البيت قد اكتسب المذكّر فيه التأنيث بوجهين : أحدهما التأنيث فقط — وهو بالنظر إلى قوله أسرَعتْ — وثانيهما التأنيث والجمعيَّة — وهو بالنظر إلى قوله أخذن — وكان المناسب للشارح المحقِّق أن يضمَّ هذا البيت مع البيت الذى بعده ، أو يُوافق سيبويه ومَن تبِعه .

ويُروَى : (طُولُ الليالى) .

قال ابن خلف : الشاهد فيه أنَّه قال أسرعَتْ ، فأنَّث الضمير الذى هو فاعل أسرعت . ويجب أن يكون مذكَّراً لأنَّه ينبغى أن يعود إلى المبتدإ ، والمبتدأ مذكَّر وهو الطُّول . وإنَّما أنَّث لأنه أضاف الطُّول إلى الليالى ، وليس الطول شيئاً غيرها ، فأخلص الخبرَ لليالى دون الطول . فقدبان لك أنَّ معنى طول الليالى أسرعت ، والليالى أسرعت سواء . انتهى .

(١) فى كتابه ١ : ٢٦ . وانظر البيان ٤ : ٦٠ والخصائص ٢ : ١٦٨ وشرح شواهد المغنى ٢٩٨ والعينى ٣ : ٣٩٥ والتصريح ٢ : ٣١ والأشمونى ٢ : ٢٨٤ والمخصص ١٧ : ٧٨ وملحقات ديوان العجاج ٨٠ .

وهذا ناظرٌ إلى الوجه الثانى من وجهَىْ كلامِ المبرّد المنقول عنه فى البيت السابق .

وقال أبو على الفارسىّ (فى التذكرة القصرية) : قول ذى الرمّة :

١٦٩ مَشَيْنَ كما اهتزَّتْ رماحٌ تسفَّهتْ
أعاليَها مرُّ الرياح النواسِمِ

أحسن من قوله :

* طول الليالى أسرعَتْ فى نقضى *

لأنَّ الريح لا تكون ريحاً إلاَّ بمرورها ومدافعة الهواء بعضِه بعضاً ، فحسن أن تُجعَل هى هو . وليس طولُ الليالى كذلك ، لأنّ الليل قد يكون ليلاً وإن لم يكن طويلا . انتهى .

وفيه نظر : فإنّه ليس مراد الشاعر أنَّ الليالىَ الطِّوالَ دون القصارِ أسرعت فى نقضه ، وإنّما يريد تَكرار الزمان لياليه وأيامَه ، طالت الليالى أو قصُرت ، والزمان لا ينفكّ عن التكرار كما لا تنفكّ الريح عن الهبوب والمرور . وهذا لازم ، فتأمّلْ .

ورُوى البيت :

(إنَّ الليالى أسرعت)

ورواه الجاحظ أيضاً فى البيان :

(أرى الليالى أسرَعَتْ)

وعلى هاتَين الروايتين لا شاهد فيه . وروى المصراع الثانى هكذا أيضاً :

* نَقَضْنَ كُلِّى ونَقَضْنَ بعْضِى *

والنقض: هدم البناء حجراً فحجرا .

صاحب الشاهد

وهذان البيتان من أرجوزة للأغلب العِجْلى ذكرها أبو حاتم (فى كتاب المعمَّرين[1]) ، وأورد بعدها :

حَنَيْنَ طُولى وحَنَيْنَ عَرْضِى أقعدْنَني من بعد طُول نَهْضِى

وكان الأغلب العجلىّ ممن عُمِّر عمراً طويلا فى الجاهليَّة والإسلام . أسلم واستشهد بوقعة نهاوند .

وقد تقدمت ترجمته فى الشاهد الحادى والعشرين بعد المائة[2] .

وزعم أبو محمد الأعرابى فى (فُرحة الأديب) أنّ هذا الرجز ليس للأغلب ، وإنَّما هو من شوارد الرجز لايعرف قائله . ومَن حفظ حجةٌ على من لم يحفظ .

وقد رواه للأغلب صاحبُ الأغانى أيضاً ، قال أبو محمد وهو كذا :

أصبحت لا يحملُ بعضى بعضى منفَّهاً أرُوحُ مثلَ النِّقْضِ[3]

مرُّ الليالى أسرعَت فى نقضى طَوينَ طُولى وطوين عَرضى

ثمَّ انتحين عن عِظامى مَحضى أقعَدْننى من بعد طول نهضى

* * *

---

(١) المعمرين ٨٧ . وكذا فى نسب الى الأغلب العجلى فى الأغانى ١٨ : ١٦٤ والعينى ٣ : ٣٩٥ .

(٢) الخزانة ٢ : ٢٣٩ .

(٣) المنفه : الضعيف . والنقض ، بالكسر : البعير أعياه السير وهزله .

وأنشد بعده، وهو الشاهد التسعون بعد المائتين[1] :

٢٩٠ ﴿ وما حُبُّ الديارِ شَغفْنَ قلبي
ولكنْ حُبُّ مَنْ سَكَنَ الديارَا ﴾

على أن المضاف وهو (حُبّ) اكتسب التأنيث والجمعيَّة بإضافته إلى الديار، وهو جمع دارٍ، وهو مؤنثٌ سماعيٌّ. وهذا واضح.

وقد يكتسب المضاف الجمعية فقط كقوله :

وكم ذُدتَ عنّي من تحاملِ حادثٍ وسَورةِ أيام حَزَزْنَ إلى اللحم

فسَورة اكتسبت الجمعيّة من إضافتها إلى أيام، ولهذا أعيد الضمير من حززنَ جمعاً. والفرق بينه وبين وما حبُّ الديار شغفن، أنّ هذا اكتسب التأنيث بصفته أعنى الجمعية، فلم يتمحَّض لاكتساب الجمعية، كما فى : وسَورة أيام حززن.

وبقى أشياء لم يذكرها الشارح المحقّق مما تُكسِبه الاضافة، منها تذكير المؤنّث عكس ماذكره كقوله[2] :

إنارة العقل مكسوفٌ بطَوعِ هوى وعقلُ عاصى الهوى يزداد تَنويرا

ومنها الظرفية، نحو قوله تعالى: ﴿تُؤتى أُكُلَها كلَّ حِين[3] ﴾. ومنها

---

(١) تزيين الأسواق ١٧ وديوان الصبابة ١٦ ويس ١ : ٣٠٧ وديوان المجنون ١٧٠ .

(٢) هو أحد المولدين . انظر شرح شواهد المغنى ٢٩٨ والعينى ٣ : ٣٩٦ والتصريح ٢ : ٣٢ والأشمونى ٢ : ٢٤٨ .

(٣) الآية ٢٥ من سورة ابراهيم .

المصدرية نحو قوله تعالى : ﴿وَسَيَعْلَمُ الذين ظَلَمُوا أىَّ مُنْقَلَبٍ ينقلِبُونَ[1]﴾.
فأىٌّ مفعول مطلق ناصبُه ينقلبون ، ويعلَم معلّق عن العمل بالاستفهام . ومنها ١٧٠
وجوب التصدُّر نحو : غلامُ مَن عندك ؟ ونحو صبيحةَ أىِّ يوم سفَرُك ؟ ونحو:
غلام أيِّهم أكرمتَ ؟ ونحوَ : غلامُ أيُّهم أنت أفضل ؟

صاحب الشاهد — والبيت الشاهد لمجنون بنى عامر . وقبله :

(أمرُّ على الديار ديارِ لَيلى أقبِّل ذا الجدارَ وذا الجدارا)

وهما بيتان لا ثالث لهما .

روى أنَّه كان إذا اشتد شوقُه إلى ليلى يمرُّ على آثار المنازل التى كانت تسكنها ، فتارة يقبّلها ، وتارة يلصق بطنَه بكُثبان الرمل ويتقلَّب فى حافاتها ، وتارة يَبكى وينشد هذين البيتين .

و (الديار) : المنازل ، قال الكرمانى (فى شرح شواهد الموشَّح) : قال أبو حاتم : الديار : العساكر والخيام ، لا البنيان والعمران ؛ وإنّ الدار العُمران والبنيان، وعليه قوله تعالى فى سورة هود : ﴿فأصبحوا فى دِيارهم جاثمين[2]﴾ أى فى عساكرهم وخيامهم ؛ وفى سورة الأعراف والعنكبوت : ﴿ فأصبَحوا فى دارهم جاثمين[3] ﴾ أى فى مدينتهم المعمورة . ولو أراد غير ماقيل لجمع الدار. فعُلم من كلامه أنَّ الديار مخصوص بالخيام؛ انتهى كلامه . وهذه غفلة عن قول الشاعر : « أقبّل ذا الجدارَ » وهو حائط البيت . ثم قال : ويجوز أن يكون الديار جمع دَارة ، قال محمد بن جعفر (فى كتاب دارات العرب) : اعلم أنهم

---

(١) الآية ٢٤٧ من الشعراء .
(٢) من الآيات ٧٨ ، ٩١ من الأعراف و ٣٧ من العنكبوت .
(٣) الآيتين ٦٧ ، ٩٤ من هود .

يقولون لدار الرجل التي يسكنها دارة ، ويجمعونها دارات ودُور وديار .

وذا اسم اشارة . وشغف الهوى قلبَه شَغْفاً ، من باب نفع ، والاسم الشَّغَف بفتحتين : بلغ شَغافه بالفتح ، وهو غشاؤه .

المجنون

و (المجنون) اسمه قيس بن مُعاذ ، ويقال قيس بن الملوَّح ، أحد بني جَعْدة ابن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ؛ ويقال بل هو من بني عُقيل (.بالتصغير) ابن كَعب بن ربيعة [١] .

وهو من أشعر الناس ، على أنهم قد نسبوا إليه شعراً كثيراً رقيقاً يشبه شعره ، كقول أبي صخر الهذَلي :

فياهجرَ ليلى قد بلغتَ به المدى وزدتَ على مالم يكن بلغَ الهجرُ [٢]

ويا حبَّها زِدني جوًى كلَّ ليلة ويا سَلوة العُشّاق موعدكِ الحشرُ

وقال الجاحظ : ما ترك الناس شعراً مجهولا لقائل فيه ذكر ليلى إلاّ نسبوه إلى المجنون ، ولا فيه لُبنى إلاّ نسبوه لقيس بن ذَريح .

وفي الأغاني : اختُلف في وجوده : فذهب قومٌ إلى أنه مستعار لا حقيقة له ، وليس له في بني عامر أصل ولا نسب . وقال الأصمعي : رجلان ما عُرفا في الدنيا إلا بالاسم : مجنون بني عامر ، وابن القِرِّيَّة ، وإنما وضعهما الرواة . قيل له : فمن قال هذه الأشعار المنسوبة إليه ؟ قال: فتًى من بني مرْوان ، كان يهوى امرأةً منهم فقال فيها الشعر ، وخاف الظهور فنسبه إلى المجنون ، وعمل له أخباراً وأضاف إليها ذلك ، فحمله الناس وزادوا فيه .

---

(١) ط : « بن كعب بن سعد » ، صوابه في ش ومما سيأتي .

(٢) وجه الرواية : « بي المدى » . شرح السكري للهذليين ٩٥٨ وأمالي القالي ٢ : ١٤٩ .

وقال الذهبي (فى تاريخ الإسلام) أنكر بعضُ الناس ليلى والمجنون ؛ وهذا دفعٌ بالصدر ، فليس من لا يعلم حجّة على من يعلم ، ولا المثبت كالنافى. وعلى القول بوجوده اختلف فى اسمه : فقيل مهدى ، وقيل قيس بن مُعاذ ، وقيل غير ذلك . والاصحّ أنه قيس بن الملوّح بن مزاحم بن قيس بن عدى ابن ربيعة بن جَعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ؛ وصاحبته ليلى بنت مهدىّ ، أم مالك العامريّة .

بعض أخبار المجنون

١٧١

قال ابن قتيبة [١] : وكان المجنون وليلى يرعيان البَهْم وهما صبيّان ، فعلِقها عَلاقة الصبىّ وقال :

تعلّقت ليلى وهى غِرٌّ صغيرة
ولم يبدُ للأتراب من ثَديها حجمُ
صغيرَين نَرعى البَهْمَ يا ليتَ أنّنا
صغيران لم نَكْبَرْ ولم تَكْبَر البَهْمُ

ثم نشأ وكان يجلس معها ويتحدّث فى ناس من قومه ، وكان ظريفاً جميلا راويةً للشعر حلوَ الحديث ، فكانت تعرض عنه وتُقْبِل بالحديث على غيره ، حتى شقّ ذلك عليه وعرَفته فقالت :

كلانا مُظهِرٌ للناس بُغضاً وكلٌّ عندَ صاحبه مَكينُ
تبلِّغنا العيونُ بما رأينا وفى القلبَين ثَمَّ هوى دفينُ [٢]

ثم تمادى به الأمر حتّى ذهب عقله وهام مع الوحش ، وصار لا يلبَس

---

(١) فى الشعراء ٥٤٧ .

(٢) هذا البيت ساقط من نسخة الشعراء .

ثوباً إلاّ خرّقه[١] ، ولا يعقِل إلاّ أن تُذكَرَ له ليلى ، فإذا ذُكِرت عقَل وأجاب عن كلٍّ ما يُسأل عنه . ثم إنَّ قومَ ليلى شكَوا منه للسلطان ، فأهدر دمه ، وترحَّل قومُها من تلك الناحية ، فأشرف فرأى ديارَهم بلاقعَ ، فقصد منزلَها وألصق صدرَه به وجعل يمرِّغ خدَّيه على التراب ويقول الأشعار . ثمّ إنَّ أباه قيَّده ، فجعل يأكل لحم ذراعيه ، ويضرب نفسَه ، ويَعضُّ لسانه وشفتيه ، فأطلقه .

وروى أن نوفل بن مُساحق لمَّا جاء ساعياً على صدقات بنى عامر ، رأى المجنون يلعب بالتُّراب وهو عُريان ، فقال لغلام له : خذ ثوباً وألقِهِ عليه . فقالوا له : ألا تعرفه ؟ قال : لا . قالوا : هذا المجنون قيس بن الملوَّح ، فكلَّمه فجعل يُجيبه بغير ما يسأله عنه ، فقالوا له : إن أردت أن يكلِّمك كلاماً صحيحاً فاذكُرْ له ليلى . فقال : أتحبُّ ليلى ؟ فأقبل عليه يحدّثه عنها وينشده شعره فيها ، فقال له : أتحبّ أنْ أزوّجكها ؟ قال : وتفعل ذاك ؟ قال : نعم ، اخرجْ معى حتى أقدَم بك على قومها فأخطبَها لك ، فارتحل معه[٢] ودعا له بكسوة ، فلبسها وراح معه كأصحِّ أصحابه ، فلمّا قرُب من قومها تلقَّوه بالسلاح وقالوا : والله لا يدخل المجنون لنا بيتاً أو نُقتَلَ عن آخرنا ، وقد أهدر لنا السلطانُ دمه ! فأقبل بهم وأدبر فأبَوا عليه ، فقال له : انصرفْ . فقال : أين ما وعدتَ ؟ قال : رجوعك بالخيبة أهون علىَّ من سَفْك الدماء . ثمّ هام على وجهه فى الفلوات وأَنِسَ بالوحوش فكان لا يأكل إلاّ ما تنبت الأرض من البقول ، ولا يشرب إلاّ مع الظباء ، وطال شعر جسده ورأسه ، وألِفته

---

(١) ط : « ولا خرقة » ، صوابه فى ش والشعراء .

(٢) ط : « له » ، صوابه فى ش والشعراء .

الوحوش ، وكان يَهيم حتى يبلغ حدودَ الشام ، فإذا ثاب عقله سأل عن نجد فيقال : وأنّى نَجْدُ ! فيدلّونه على طريق نجد فيتوجَّه نحوه . وكان أهله يأتونه بالطعام والشراب ، فربما أكل منه . وفى بعض الأيام أتوه بالطعام فلم يروه ، فانطلقوا يفتّشونه فرأوه ملقًى بين الأحجار ميتاً ، فاحتملوه إلى الحىِّ فغسّلوه ودفنوه ، وكثر بكاء النساء عليه . وكان فى مدة ابن الزُّبير .

وقد أطال ترجمته جداً أبو الفرج الأصبهانىُّ (فى الأغانى) .

وكانت ليلى تحبّه أيضاً محبّة شديدة . حكى ابن قتيبة قال : خرج رجلٌ من بنى مُرَّة إلى ناحية الشام والحجاز ، مما يلى تيماء ، فى بِغْية له ، فإذا هو بخيمةٍ قد رُفعت له عظيمةٍ فعدل إليها ، فتنحنح فإذا امرأة قد كلّمته فقالت : انزلْ . فنزل وراحت إبلُهم وغنمهم فإذا أمرٌ كثير عظيم ، فقالت : سلوا هذا الراكب من أين أقبل ؟ فقال : من ناحية نجد . فقالت : يا عبد الله ، وأىَّ بلاد نجد وطئتَ ؟ قال : كلَّها . قالت : فيمن نزلت منهم ؟ قال : بنى عامر . فتنفست الصُّعَداء ثم قالت : بأىِّ بنى عامر ؟ قال : ببنى الحَريش . قالت : فهل سمعت بذكرِ فتيً منهم يقال له قيسٌ ويلقّب بالمجنون ؟ قال : إى والله ، قد أتيته فرأيته يَهيم مع الوحش ولا يعقل شيئاً حتّى تُذكر له ليلى ، فيبكى وينشد أشعاراً يقولها فيها . فرفعتِ السِّترَ بينى وبينها فإذا شِقَّة قمرٍ لم ترعينى مثلَها ، فلم تزل تبكى وتنتحب حتّى ظننت أنّ قلبَها قد تصدّع ، فقلت : يا أَمةَ الله اتَّقى الله ، فوالله ما قلتُ بأساً ! فمكثَتْ على تلك الحال من البكاء والنحيب ، ثم قالت :

١٧٢

ألا ليت شِعرى والخطوبُ كثيرةٌ   متَى رحلُ قيسٍ مستقلٌّ فراجعُ
بنفسىَ مَنْ لا يستقلُّ برَحلِهِ   ومَن هو إن لم يحفَظ اللهُ ضائعُ

ثم بكت حتى غُشىَ عليها ، فلما أفاقت قلتُ : من أنتِ يا أمة الله ؟ قالت : أنا ليلى المشئومةُ عليه غير المواسيةِ له . قال : فوالله ما رأيتُ مثلَ حزنها عليه ، ولا مثلَ جزعها ، ولا مثل وجدها !

* * *

وأنشد بعده :

* يا سارقَ الليلةِ أهلَ الدارْ *

قد تقدَّم الكلام عليه فى الشاهد الرابع والسبعين بعد المائة[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والتسعون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[2] :

٢٩١ * رُبَّ ابنِ عَمٍّ لسُلَيمَى مُشْمَعِلّْ
طَبَّاخِ ساعاتِ الكَرَى زادَ الكَسِلْ *

على أنَّ (ساعات) كان فى الأصل مفعولا فيه[3] ، فاتُّسع فيه فألحق بالمفعول به وأضيف إليه طبّاخ . فكسرة التاء من ساعات كسرة جرّ ، وزادَ الكَسِلِ منصوب على أنه مفعول طبّاخ ، لأنّه معتمد على موصوفه .

قال الأعلم : [الشاهد فيه[4]] إضافة طباخ إلى ساعات ، على تشبيهها

(١) الخزانة ٣ : ١٠٨ .

(٢) فى كتابه ١ : ٩٠ . وانظر مجالس ثعلب ١٥٢ والمخصص ٣ : ٣٧ وابن الشجرى ١ : ٢/١٢٥ : ٢٥٠ وديوان الشماخ ١٠٩ .

(٣) ط : « معمولا فيه » ، صوابه فى ش .

(٤) التكملة من الشنتمرى .

بالمفعول به ، لا على أنَّها ظرف ، ولا تجوز الإضافة إليها وهى ظرف لأنَّ الظرف يقدَّر فيه حرف الوِعاء وهو فى ؛ والإضافة إلى الحرف غير جائزة ، وإنَّما يضاف إلى الاسم . ولما أضاف الطبّاخ إلى الساعات اتّساعا ومجازاً ، عدَّاه إلى الزاد ، لأنّه المفعول به فى الحقيقة . انتهى .

وقول ثعلب (فى أماليه)[1] : «إضافة طبَّاخ إلى ساعات لا تجوز إلاَّ فى الشعر» ممنوع .

وقال ابن برّيّ (فى شرح أبيات الإيضاح لأبى على) : لابدَّ أن تقدَّر الساعاتِ تنزّلت منزلة المفعول به ، حتّى كأنّها مطبوخة ، وإن كان الطبخ فى المعنى إنما هو للزاد ، كما تصير الليلة فى قوله :

* يا سارق الليلةِ أهلَ الدارْ *

بمنزلة المفعول حتَّى كأنها مسروقة . ولما خفض ساعات باضافة طبّاخ إليها انتصب زادَ على المفعول به ، لأنَّه المطبوخ فى الحقيقة . ومن خفض زاد الكسل قدَّر الساعات ظرفاً فاصلاً بين المضاف والمضاف إليه ، على قولهم فى الرواية الأخرى :

* يا سارقَ الليلةَ أهلِ الدارْ *

انتهى كلامه .

وأورده الفرّاء (فى تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ[2] ﴾ قال : أُضيفت مخلف إلى الوعد ، ونصبت الرسلُ على التأويل . وإذا كان الفعل يقع على شيئين مختلفين ، مثل كسوتك الثوب

---

(١) مجالس ثعلب ١٥٣ .

(٢) الآية ٤٧ من سورة ابراهيم .

وأدخلتك الدار تبدأ بإضافة الفعل إلى الرجل ، فتقول هو كاسى عبدالله ثوباً ومدخلُه الدار ، ويجوز هو كاسى الثوبِ عبدَ الله ومدخل الدار زيداً ، جاز ذلك لأنّ الفعل قد يأخذ الدار كأخذه عبد الله . ومثله قول الشاعر : ١٧٣

ترى الثورَ فيها مُدخِلَ الظلّ رأسَه وسائرُه بادٍ إلى الشمس أجمعُ[1]

فأضاف مُدخِل إلى الظلّ ، وكان الوجه أن يضيف مُدخِل إلى الرأسِ .

ومثله :

رب ابن عمّ لسُليمى مُشمِعلّ . . . . الخ

ومثله قوله الآخر :

* يا سارقَ الليلةِ أهلَ الدار *

يريد : يا سارقَ أهلِ الدار الليلة ، [فأضاف سارقاً إلى الليلة[2]] ونصب أهل الدار . وكان بعض النحويين ينصب الليلة ويخفض أهل الدار . انتهى المراد منه .

وقال ابن الشجرى (فى أماليه) وغيرُه : وروى بجرّ زاد أيضاً ، على أنّ طباخا قد أضيف إليه وفصَل بينهما الظرف وهو ساعات ، فتكون الكسرة فيه نائبة عن الفتحة وهو منصوب لا مجرور . قال : ومثل هذا جائز فى الشعر كقوله :

* يا سارقَ الليلةَ أهلِ الدارْ *

(١) البيت من الخمسين ، فى سيبويه ١ : ٩٢ والهمع ٢ : ١٢٣ وأمالى المرتضى ١ : ٢١٦ .

(٢) التكملة من ش ، وما قبلها ساقط من ش ثابت فى ط .

يريد : ياسارق أهلِ الدار الليلةَ . انتهى .

وقال ابن خلف : ويجوز أن يكون زاد الكسل بدل اشتمال من موضع ساعات ، ألا ترى أنّ الزاد تبيينُ[١] لما يطبخ فى الساعات ، وهى مشتملة على الزاد وغيره ، ويجوز أيضا نصب زاد بفعل دلّ عليه طبَّاخ ، أى يطبخ زاد الكسلِ . هذا كلامه فتأمّله .

وقوله (مشْمَعلّ) صفة لمجرور ربّ بَعد وصْفِه[٢] بقوله لسليمى . والمشمعلُّ : الجادُّ فى الأمر الخفيفُ فى جميع ما أخَذَ فيه من العمل ، وهو مشدّد اللام إلاّ أنه سكّنها للشعر .

قال المبرد (فى الكامل[٣]) : أمر مُصعب بن الزبير رجلا من بنى أسد ابن خزيمة بقتل مُرَّة بن مَحْكانَ السعدىّ ، فقال مُرَّة :

بنى أسدٍ إنْ تقتلونى تُحاربوا تميمًا إذا الحربُ العوَان اشمعلَّتِ
ولستُ وإن كانت إلىّ حبيبةً بباكٍ على الدنيا إذا ما تولَّتَ

قال المبرد : واشمعلَّت : ثارت فأسرعت . وأنشد :

* ربَّ ابن عمٍّ لسليمى مُشْمَعِلْ *

و (طبَّاخ) صفة ثالثة لمجرور ربّ . و (الكَرَى) : النعاس . و (الكَسِل) بفتح الكاف وكسر السين ، بمعنى الكسلان ، إلاّ أن فى كسلان مبالغة ليست فى الكسِل وهو المتثاقل المتوانى . يقول : إذا كسِل أصحابه عن طبخ الزاد ،

---

(١) فى النسختين : « تبيين » ، والوجه ما أثبت .
(٢) فى النسختين : « بعده وصفه » ، صوابه ما أثبت .
(٣) الكامل ١١٣ .

عند نزولهم آخر الليل وغلبةِ النعاس عليهم ، كفاهم ذلك وشمَّر فى خدمتهم . وصفه بالنشاط والمضىّ فى الأمور وقت كسل أصحابه وفتورِهم . والعرب تفتخر بمثل هذا .

وروى المبرّد (فى الكامل) هذا الرجز كذا :

ربَّ ابنِ عمٍّ لسليمى مشمعلّْ أروعَ فى السَّفْرِ وفى الحىّ غَزِلْ

طبَّاخ ساعات . . . . (إلى آخره)

والأروع : السيد الذى يروعك عَظمتُه وعزّته . والسَّفْر : جمع سافر ، كصحب جمع صاحب ؛ يقال سفَرتُ أى خرجت إلى السفر ، فأنا سافر وقوم سَفْرٌ . وغَزِل بفتح الغين وكسر الزاى المعجمتين ، يقال رجلٌ غزل : أى صاحب غَزَل ، وهو محادثة النساء ومراودتهنّ . [وهذا الإعراب هو مقتضى هذه الرواية ، وستأتى الرواية الاصلية[1]] .

وقد نسب المبرِّد هذا الرجز إلى الشَّماخ بن ضِرار ، وهو من رجز [الجبّار صاحب الشاهد ابن جَزْء أخى الشماخ[2]] يتعلّق بعمّه الشماخ . وهذا مدحٌ فيه .

وهو من جملة أرجازٍ لجماعة ، لها حكايةٌ مسطورة فى آخر ديوان الشّماخ ، محصّلها :

أن الشماخ أقبل من مِصْر[3] ومعه أولاد إخوته ، فى ناسٍ من قومه ، ١٧٤

(١) التكملة من ش .

(٢) تكملة يقتضيها السياق . وسيأتى ما يؤيد أن الرجز لجبار بن جزء .

(٣) مصر بالصاد المهملة ، وفى ذلك يقول الجليح (ديوان الشماخ ١٠٧) :

اقبلن من مصر يبارين البرى يشكون قرحا بالدفوف والكلى

منهم جندب بن عمرو ، وكان الشّماخ وأصحابه يُبغضونه لأنه كان يتحدَّث إلى امرأة الشّماخ ، حتى إذا كانوا قريباً من تباه على رأس ماء يقال له ثجْر (بفتح المثلثة وسكون الجيم) قال الشّماخ لحسن بن مزرد[١] : انزِل احدُ بالقوم — وكانوا كذلك يفعلون : ينزل الرجل فيسوق بأصحابه ويرتجز بهم — وأمره أن يعرِّض بامرأة جندب ؛ فقال :

خليــلُ خَودٍ غرَّها شبابُه إلى آخر الرجز

فنزل جُندب وحدَا بالقوم ، وعرَّض بامرأة الشّماخ ، وكانت أمَّ صبيٍّ ، واسمُها سليمى ، فقال :

* طيفُ خيالٍ من سُليمى هائجى[٢] *

إلى أن قال :

يا ليتَني كلَّمت غير حَارجِ[٣] قبلَ الرَّواح ذاتَ لون باهجِ[٤]
أمَّ صبيٍّ قد حبا أو دارجِ غرثى الوِشاح كرَّةَ الدَّمالجِ

فغضب الشّماخ لما عرَّض بامرأته ، فنزل وساق بالقوم ، ورجز رجزَين عرَّض فيهما بامرأة جندب إلى أن نزل ، وحدَا جماعةٌ من طرف هذا وجماعةٌ من قِبَل ذاك ، وكلٌّ رجل يتعصَّب لصاحبه ؛ إلى أن تواثبوا بالسيوف . وكان معهم رجل من بني أسد ، فاقتحم بينهم فقال : يا قوم نُهِشْتُ نُهِشْتُ ! فلم يزالوا يَسقونه السَّمن واللّبن حتَّى لَهَوا عن قتالهم ، فأصبحوا وقد سكنوا .

(١) في ديوان الشماخ : « قال الشماخ لابن جزء » .
(٢) في النسختين : « هائج » ، صوابه من الديوان ١٠٠ .
(٣) حارج ، بالحاء المهملة في أوله : آثم مذنب . وفي النسختين : « خارج » ، صوابه من الديوان .
(٤) هذا الشطر ساقط من الديوان .

وهذا رجز جَبَّار[1] ابن أخى الشمّاخ بتمامه :

(قالت سُليمى لستَ بالحادِى المُدِلّْ
مالَكَ لا تَملِك أعضادَ الإبلْ

المُدِلّ : الذى أدلّ بقوّةٍ على شدّة السير . يقول : مالَكَ تتخلّف عن الابل لا تكون عند أعضادها . وهذا خطاب لُجندب بأنه ضعيف لا جَلَدَ له .

ربَّ ابن عمٍّ لسُليمى مُشْمَعِلّْ
يحبُّه القومُ وتَشناَه الإبلْ

أراد بابن العمّ زوجها الشمّاخ . ويحبُّه القوم لأنه يعينهم ويخدُمهم مساعدة. وتشنؤه الإبل : أى تبغضه ، لأنه يسوقها سوقاً عنيفاً بالُحداء . ويحبُّه : جواب ربَّ العاملُ فى محل مجرورها .

فى الشَّوْلِ وَشْواشٌ وفى الحىِّ رِفلّْ
طبَّاخُ ساعات الكرى زادَ الكَسِلْ
أحْوَسُ وَسْطَ القَوم بالرمح الخَطِلْ)

الشَّول ، بالفتح : الإبل التى شوّلت ألبانُها أى رفعته . والوَشْوَاش ، بمعجمتين : الخفيف المتسرِّع . والرِّفَلّ ، بكسر الراء وفتح الفاء واللام مشددة سكّنت للوزن : اللابس الثياب المتجمّل بها . يريد أنه خفيفٌ جَلْد فى السَّفَر يخدُمها ويُراعيها ، وفى الإقامة فى الحىِّ متنعمّ متحمِّل . والجملتان اسميتان . وقد روى بدل هذا البيت ما نقلناه عن المبرّد . وقوله : طبَّاخ ، بالرفع خبر مبتدإ محذوف ، أى هو طباخ كما هو الظاهر من السِياق ، بخلاف ما تقدّم .

(١) ط : « خيار » ، صوابه فى ش .

وفى طبّاخ مبالغة دون طابخ . والأحوس[1] ، بمهملتين : الرجل الشديد الذى لا يبرح عند القتال . والخطِل ، بفتح الخاء وكسر الطاء : الطويل جداً فوق القدْر .

(عاذلتى أبقِى قليلاً مِن عَذَلْ وإنْ تقولى هالكٌ أقُلْ أجَلْ)

١٧٥ عاذلتى : منادى . والعذَل : اللَّوم . ومن متعلّقة بمحذوف . وهالك ، أى أنت هالك . وأجلْ بمعنى نعم .

(قرَّبتُ عنْساً خُلِقَتْ خَلْقَ الجمَلْ لاتشتكى مالقيَتْ مِن العَمَلْ)

قرّبتُ بالتكلم والبناء للفاعل[2] . والعنس ، بالنون : الناقة الصُّلبة .

(كأنّها والنِسع عنها قد فَصَل ونَهَلَ السوط بِدَفَّيْها وعَلّ)

(مُولَعٌ يقرُو صريماً قد نَقَلْ[3])

يريد أن ناقته ضُمرت فاسترخت نُسوعها أى سيُورها . ونَهل السوطُ بدَفَّيها أى بجنبيها . وعَلَّ أى ضُربت بالسوط مرّة بعد مرّة . والمولَع ، بصيغة اسم المفعول : الثور الوحشى ؛ شبَّه ناقته فى حال كلالها وتعبها بالثور الوحشى فى حال ما رأى الصياد وقد أمسى الليل عليه ، فهو يسرع أشدَّ مايمكن . ويقرو بالقاف ، يقال قروت البلاد قرواً ، وقريتها ، واستقريتها : إذا تتبّعتها تخرُجُ من أرض إلى أرض . والصَّريم : القاطع[4] ؛ يريد رفيقه الذى صرمه ونقل رجله عنه فسبقه .

---

(١) ط : « والأحوص » ، صوابه فى ش .

(٢) ط : « للمفعول » ، صوابه فى ش .

(٣) كذا فى النسختين ، وهو المطابق لشرح البغدادى ، لكن الصواب « قد بقل » . وفى شرح الديوان : « صريما : رملا . قد بقل : قد أنبت البقل » .

(٤) هذا وهم من البغدادى انساق فيه الى آخر التفسير . وانظر الحاشية السابقة .

(صَبَّ عليه قانصٌ لمّا غَفَلْ والشمسُ كالمرآة فى كفّ الأشَلْ)

(مقلَّداتِ القِدِّ يقرُون الدَّعل[1])

قانص : فاعل صَبَّ ؛ أى أرسل قانصٌ على الثور لمّا غفل كلاباً . وجملة: والشمس كالمرآة ، حال إمّا من قانص ، أو من فاعل غفل أو من ضمير عليه ، وهما ضمير الثور ، يريد فى حالة أنّ الشمس قد تنكّبت للمغيب . والأشلّ : الذى يبست يده فلا يمسكها إلاّ منكَّسة . والمقلَّدات ، بصيغة اسم المفعول ، يريد كلاباً عليهـا قلائد من السُّيور ؛ وهو مفعول صَبّ . ويقرون : يتْبعن ويطلبن . والدَّعل ، بفتح الدال والعين المهملتين ؛ قال ابن الأعرابى : هو الخَتْل ؛ وهو يداعله أى يخاتله .

وقوله : والشَّمس كالمرآة ، الخ ، أورده القزوينى : (فى تلخيص المفتاح) فى باب التشبيه ، وعدَّه من التشبيه الغريب . ولم يزد العبّاسى شارح شواهد التلخيص على قوله : اختُلف فى قائل هذا البيت ، فقيل للشماخ ، وقيل لأخيه ، وقيل لأبى النجم ، وقيل لابن المعتز .

جبار بن جزء

وجَبَّار قائل هذا الرجز هو بفتح الجيم والباء الموحّدة المشدّدة ومعناه ذو الجَبَرِيّة والعظمة ، يقال قوم فيهم جَبَرِيّة ، بفتح الباء ، أى عظمة وكبر . ونسبُه تقدّم فى ترجمة عمّه الشمّاخ فى الشاهد الحادى والتسعين بعد المائة[2] .

* * *

(١) صوابه « الدغل » بالغين المعجمة كما فى الديوان . والدغل : النبت الكثير الملتف .

(٢) الخزانة ٣ : ١٩٦ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والتسعون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[١] :

٢٩٢ (ضَرُوبٌ بِنَصْلِ السَّيفِ سُوقَ سِمَانِها)

هذا صدر ، وعجزه :

(إذا عَدِموا زاداً فإنّك عاقِرُ)

على أنّ أبنية المبالغة لكونها للاستمرار لا لأحد الأزمنة ، عملت . فضَرُوب مبالغة ضارب ، وقد عمل النصب فى سوق على المفعولية .

قال ابن ولّاد : سألت أبا إسحاق الزجّاج : لمَ صار ضروبٌ ونحوه يعمل وهو بمنزلة ما استقرّ وثبت ، وضاربٌ لا يعمل إذا كان كذلك ؟ فقال : لأنّك تريد أنّها حالة ملازمة هو فيها ، ولستَ تريد أنّه فعل مرّة واحدة وانقضى الفعل كما تريد فى ضارب ، فإذا قلت : هذا ضَروبٌ رءوسَ الرجال ، فإنّما هى حال كان فيها فنحن نحكيها . ١٧٦

قال ابن عصفور : هذا هو الصحيح ، والدليل على صحّته قول أبى طالب :

* ضَروبٌ بنصل السيف * الخ

لأنّه مدَح به أميّة بنَ المغيرة[٢] بما ثبت له واستقرّ ، وحكى الحال التى كان فيها مِن عَقْر الابل إذا عُدم الزاد . ولو أراد المضىّ المحض ولم يرد حكاية حاله ، لما ساغ الإتيان بإذا ، لأنّها للمستقبل .

---

(١) فى كتابه ١ : ٥٧ . وانظر ابن الشجرى ٢ : ١٠٦ وابن يعيش ٦ : ٦٩ ، ١٧٠ والشذور ٣٩٣ والعينى ٣ : ٥٣٩ والتصريح ٢ : ٦٨ والهمع ٢ : ٩٧ والأشمونى ٢ : ٢٩٧ وديوان أبى طالب ١١ .

(٢) صوابه « أبا أمية » . وانظر التحقيق التالى للبغدادى عند تعيين صاحب الشاهد .

قال ابن السّيد (فى شرح أبيات الجمل) : نصل شفرته ، أى حدّه الذى يقطع به ، فلذلك أضافه إلى السيف . وقد يسمّى السيف كلّه نصلا . وسُوق : جمع ساق . والسِّمان : جمع سَمينة . والضمير للإبل . وعقر البعير بالسيف عَقْرا : ضرب قوائمه . لا يُطلق العقر فى غير القوائم . وكانوا يعقرون الناقة إذا أرادوا نحرها : إمّا لتبرُكَ فيكون أسهل لنحرها ؛ أو ليعاجل الرجلُ ذلك فلا تمنعه نفسُه من عقرها فيكون قد عاجلها لئلا تأمره بغير مافى نفسه . وضروب : خبر مبتدأ محذوف أى هو ضروب . فقوله : فإنّك عاقر ، التفات . قال بعضهم : ولو قدّر أنت ضروب لـكان الالتفات فيه(١) ، ويكون إنّك عاقر على مقتضى الظاهر . وإذا شرطيّة تَجزم فى الشعر . وجملة عدموا شرطُها فى محلّ جزم وهى العامل فى إذا ، والجملة المقرونة بالفاء جوابها . ولا يجوز أن يكون عاقر عاملاً فى إذا ، لأنّ ما بعد إنَّ لا يعمل فيا قبلها ، لأنّها حرف والحرف لا يتقدَّم معمولُه ولا معمول معموله عليه . وقيل إذا هنا شرطيّة غير جازمة ، قال ابن هشام (فى المغنى) : وفى ناصبها مذهبان : أحدهما أنّه شرطها(٢) ـ وهو قول المحقّقين ـ فتكون بمنزلة متى وحيثما وأيّان . وقول أبي البقاء إنّه مردود بأنّ المضاف إليه لا يعمل فى المضاف ، غير وارد ، لأنَّ إذا عند هؤلاء غير مضافة كما يقوله الجميع إذا جزمت ، كقوله :

* وإذا تصبْك خصاصة فتجمل(٣) *

---

(١) صوابه « لما كان الالتفات » ، أو « لكان الالتفات معـــدوما فيه » .

(٢) فى النسختين : « شرطيتها » ، وصححها الشنقيطى بما أثبت مطابقا لما فى المغنى .

(٣) لعبد قيس بن خفاف ، أو حارثة بن بدر الغدانى .وصدره: =

والثانى : أنّه مافى جوابها من فعل أو شبهه ، وهو قول الأكثرين . انتهى .

وعلى هذا اقتصر اللخمى (فى شرح أبيات الجمل) فقال : العامل فى إذا فعل محذوف دلّ عليه عاقر ، والتقدير : إذا عدموا زاداً عقرتَ . ولا يجوز أن يعمل فى إذا عاقر ، لأنّه لا يعمل ما بعد إنّ فيما قبلها . والعجب من العينى هنا فإنّه بعد أن ذهب إلى أنّها شرطيّة جازمة ، قال : والعامل فيها فعل محذوف دلّ عليه عاقر أى عقرت . ولا يخفى تعسّفه . وقيل إذا هنا ظرفيّة وليست شرطيّة ، وعاملها ضَروب . وهذا ركيك والأوّل هو البليغ .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدةٍ لأبى طالبٍ عم النبى صلى الله عليه وسلم ، رثى بها أبا أميّة بن المغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم[1] ، وكان خَتَنَه ، فخرج تاجراً إلى الشام فمات بموضع يقال له سَرْو سُحيم ، فرثاه أبو طالب بهذه القصيدة .

كذا فى شروح أبيات سيبويه وأبيات الجمل وغيرها ، إلا أنّ فى بعض نسخ ما ذكرنا سَقطًا من الكُتّاب ، وهو أنّهم حذفوا المضاف من أبى أميّة ، والصواب إثباته كما يأتى بيانه .

وغلِط بعضهم فزعَم أنّها مدحٌ فى مسافر بن أبى عمرو .

وأفحشُ من هذا القول قولِ ابن الشجرىّ (فى أماليه) إنّها مدحٌ فى النبى صلى الله عليه وسلم . والقصيدة هذه[2] :

= * استغن ما أغناك ربك بالغنى *
شرح شواهد المغنى ٩٥ والهمع ١ : ٢٠٦ والمفضليات ٣٨٥ والأصمعيات ٢٣٠ .

(١) فى النسختين : « عمرو بن مخزوم » ، وليس لمخزوم ولد اسمه « عمرو » انما هو « عمر » كما فى كتب الأنساب كجمهرة ابن حزم ١٤٢ ونسب قريش ٢٩٩ والاشتقاق ٦١ ، ٦٣ والسيرة ٢٤٧ .

(٢) الميمنى : « بعض قصيدة أبى طالب باختلاف فى الأغانى ٨ : ٤٨ وديوانه رواية ابن جنى ١٨ : ٢٢٠ ـ ٢٣٩ من المجلة الألمانية : Z. D. M. G وابن أبى الحديد ٤ : ٢٩٤ والاشتقاق ٩٤ » .

قصيدة الشاهد

١٧٧

(أرِقتُ ودمعُ العين فى العين غائرُ … وجادتْ بما فيها الشئونُ الأعاورُ(١)

كأنَّ فِراشى فوقَه نارُ مُوقِدٍ … من اللَّيل ، أوفوقَ الفِراشِ السَّواجرُ

على خير حافٍ من قريشٍ وناعلٍ … إذا الخيرُ يرجَى أو إذا الشرُّ حاضرُ

ألا إنَّ زاد الركب غير مُدافَعٍ … بَسرو سُحَيم غيّبته المقابرُ(٢)

بَسرو سُحَيم عارفٌ ومُناكِرٌ … وفارسَ غاراتٍ خطيبٌ وياسرُ

تنادَوا بأن لاسيِّدَ الحىُّ فيهمُ … وقد فُجع الحيَّان كعبٌ وعامر

وكان إذا يأتى من الشام قافلاً … تَقَدَّمُه تسعى إلينا البشائر

فيصبح أهلُ الله بيضاً كأنَّما … كستهم حبيراً رَيدَةٌ ومَعَافِرُ

ترى دارَه لايبرحُ الدَّهرَ عندها … مُجعجعةٌ كُومٌ سِمانٌ وباقِرُ

إذا أُكلت يوماً أتى الغدَ مثلَها … زواهقُ زُهمٌ أو مَخاضٌ بَهازر

ضَروبٌ بنَصل السَّيف سُوقَ سِمانها … إذا عَدِموا زادًا فانك عاقرُ

فإلاَّ يكنْ لحمٌ غريضٌ فانّه … تُكَبُّ على أفواههنّ الغرائرُ

فيالكَ من ناعٍ ! حُبِيتَ بألَّةٍ … شِراعيَّةٍ تصفرُّ منها الأظافرُ !)

الغائر مِن غار الماء فى الأرض غوراً : ذهب فيها . والشئون : جمع شأن وهو عِرْق ينحدر من الرأس إلى الحاجب ثم إلى العين ، ومنه تجىء الدموع . والأعاور : جمع أعْور ؛ من عَورت العينُ من باب تعب : نقصت أو غارت . والسواجر : جمع ساجر بكسر الجيم ، وهو الموضع الذى يأتى عليه السَّيلُ فيملؤه . يريد كثرة الدموع .

(١) فى النسختين : « فى العين غامر » ، والتصحيح للشنقيطى فى نسخته .

(٢) الميمنى : « فى ديوانه رواية ابن جنى المنشور بالمجلة الألمانية : بوادى أشى » . قلت : وكذلك فى ديوانه ١١ مخطوطة الشنقيطى بدار الكتب المصرية .

وقوله : ألا إنَّ زاد الركب الخ ، زاد الركب لقب أبى أُميةَّ ، قال الزبير ابن بكّار (فى أنساب قريش) : كان أزواد الركب من قريش ثلاثة : أحدهم مُسافر بن أبى عمرو بن أميّة بن عبد شمس ، وثانيهم : زَمعَة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العُزّى ، وثالثهم : أبوأمية بن [المغيرة بن[1]] عبد الله بن عُمر بن مخزوم . وإنّما قيل لهم أزواد الركب لأنهم كانوا إذا سافروا لم يتزَوَّدْ معهم أحد[2] . وسُحيم بضم السين وفتح الحاء المهملتين : موضع ؛ وسَرْوُه : أعلاه . كذا قال ابن السيد وغيره . وليس هذا اللفظ فى معجم ما استعجم ولا فى معجم البلدان[3] . والموجود فى الأول سُخيم بالخاء المعجمة على وزنه ، قال : هو مِخْلاف من مخَاليف اليمن تنسب إليه الخمور الجيِّدة . وقال فى مادة سرو : والسَّرْو ارتفاعٌ وهَبوط بين حَزْن وسهل ، وسروُ حِمْير أعلى بلاد حمير . انتهى . وزعم العَينى أن سَرْواً هنا شجرة . وليس كذلك .

وقوله : بسرو سحيم عارف الخ ، عارف مبتدأ والظرف قبله خبره ، وما بعده معطوف على عارف ؛ وحذف حرف العطف من خطيب ضرورة . والعارف : مِنْ عرَف على القوم يَعرُف ، من باب قتل ، عِرافة بالكسر ، فهو عارف أى مدبرّ أمرهم وقائم بسياستهم . ومُناكر : اسم فاعل من ناكره أى قاتله . وخطيب القوم هو المتكلم عنهم . والياسر : اللاعب بقِداح الميسر

---

(١) التكملة من ش .

(٢) الميمنى : « راجع لأزواد الركب التبريزى بون ٤٦٤ وبولاق ٣ : ٤٢ والثمار ٤٩ والاشتقاق ٥٨ ، ٩٤ والمستقصى والميدانى ٢ : ٦٢ ، ٤٩ ، ٦٦ والعسكرى طبعتاه ١٦٣ و ٢ : ١٢٩ » .

(٣) هذا سهو من البغدادى ، فان ياقوتا ذكره فى رسم (السرو) . وقال فى رسم (سحيم) : « موضع فى بلاد هذيل » .

وهو قِمار العرب ، وتسمَّى الأزلام . وكان الميسر مَنقَبةً فى الجاهلية ، يلعبون به فى أيام الجدْب والقحط ، وكان الغالب يفرّق ماأخذه على الفقراء .

والقافل : الراجع من السفر . والبشائر : جمع بشارة(١) .

وأراد بأهل الله قريشاً ، وكانت العرب تسميِّهم أهل الله لـكونهم أرباب مكة . وبِيض : جمع أبيض ، والبياض لعزَّته عند العرب لغلبة السمرة عليهم ، يستعيرونه لحسن الحال والجودة . والحَبِير ، بفتح المهملة وكسر ١٧٨ الموحدة : ثياب ناعمة كانت تصنع باليمن . ورَيْدة ، بفتح الراء وسكون المثناة التحتية : بلدة من بلاد اليمن . ومعافِر ، بفتح الميم وكسر الفاء وبينهما عين مهملة : حىٌّ من همْدان فى اليمن ، إليهم تنسب الثياب المعافريّة .

وقوله مجعجعة ، اسم فاعل من جعجعت الإبلُ ، إذا صوَّتت ، والجعجعة : أصواتها إذا اجتمعت ، وهى حال من كُوم جمع كَوماء كصحراء ، وهى الناقة العظيمة السنَام . وقال ابن السيد وغيره من شرّاح الشواهد : المجعجَعَة المصروعة ، وعليه فهى اسمُ مفعول . ومن العجائب قول العينى هنا : مجعجعة من الجعجعة وهى صوت الرحَى . والباقر : اسمٌ لجماعة البقر ، كالجامل لجماعة الجِمال .

وقوله : إذا أكلت يوماً [.. الخ] الغد منصوب على الظرفية ، وهو اليوم الذى يلى يومك . ومثلَها : حال من زواهق ، وهى جمع زاهقة ، وهى السمينة . والزُّهم : الكثيرات الشَّحم ، جمع زَهِمة بفتح فكسر ، وكلاهما بالزاى المعجمة . والمخاض : الحوامل من الإبل ، واحدها خَلِفَة من غير لفظها . والبَهازر : جمع بَهزَرَة كحيدرة ، وهى العظيمة الجسم .

---

(١) بكسر الباء وضمها .

وقوله : ضروبٌ بنصل السيف الخ ، السياق والسباق يمنع أن يكون تقديره أنت ضروب ، كما زعمه بعضهم .

والقَرِيض ، بإعجام الطرفين : الطريُّ من اللحم . وتكبّ : تصبّ . والغرائر : جمع غرارة ، وهى العِدل ، يكون فيها الدقيق والحِنطة وغيرها .

وقوله : فيالك من ناع الخ ، هذا تعجُّب . والناعى : الذى يخبر بموت الإنسان . وحُبِيت : خُصِصت ؛ من الحِباء وهى العطيّة[1] . والألّة ، بفتح الهمزة واللام المشددة ، وهى الحَربة . وشِراعيّة بالكسر ، لا بالضم كما ضبطه العينى . قال صاحب الصحاح : ورمح شِراعىٌّ أى طويل ؛ وهو منسوب[2] . وقال ابن السيد وتبعه ابن خلف : الشُّراعية التى قد أشرعت للطعن[3] أى صوّبت وسدّدت . وقوله : تصفر منها الخ أى تموت منها ، لأنَّ الميت يصفرّ ظفره ، دعاء على من أخبر بموت أبى أميّة بالقتل .

أبو أمية ابن المغيرة

وأبو أميّة اسمه كنيتهُ ، تقدم ذكر نسبه قريباً ، مات فى الجاهلية ، وكان زوج أخت أبى طالب ، وهى عاتكة بنت عبد المطلب بن هاشم عمة النبى صلى الله عليه وسلم . قال الزبير بن بكّار (فى أنساب قريش) : كان عندأبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم أربعُ عواتك : عاتكة بنت عبد المطلب ، وهى أم زهير وعبد الله وهو الذى قال للنبى صلى الله عليه وسلم

---

(١) الوجه : « وهو » .

(٢) وفى القاموس : « وكغراب : رجل كان يعمل الأسنة والرماح » .

(٣) ط : « الطعن » ، صوابه فى ش بتصحيح الشنقيطى .

﴿ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعاً[١] ﴾، وقريبةَ الكبرى. وعاتكة بنت جِذْل الطِعان، وهى أم أمّ سلمة والمهاجر. وعاتكة بنتُ عُتْبة[٢] بن ربيعة، وهى أم قريبة الصغرى[٣]. وعاتكة التميمية، وهى بنت قَيس بن سعد بن زَمْعة بن نهشل بن دارم، وهى أم أبى الحكم — دَرَجَ — وأمّ مسعود قتل يوم بدر كافراً، وربيعةَ وهشامٍ الأكبر وصفيّة. وكان زهير ابن أبى أمية من رجال قريش، وكان عبد الله بن أبى أمية شديدَ الخلاف على المسلمين، ثم خرج مهاجراً من مكة يريد النبى صلى الله عليه وسلم، فلقيه بالطَّلُوب بين السُّقيا والعَرْج، هو وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، فأعرض عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له أم سلمة: يا رسول الله ما جُعِل ابن عمك وأخى، ابنُ عمتك[٤] أشقى الناس بك! فقال على بن أبى طالب لأبى سفيان بن الحارث: ائت رسول الله صلى الله عليه وسلم من قِبَل وجهه وقل له ما قال إخوة يوسفَ ليوسف: ﴿ تَاللهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ[٥] ﴾ فإنه لا يرضى أن يكون أحد أحسن منه قولا. ففعل ذلك أبو سفيان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ[٦] ﴾ وقبل منهما وأسلما. وهو أخو أمّ سلمة لأبيها، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وحُنين. وقُتل يوم الطائف شهيداً. وقتل هشام بن أبى أميّة يوم أُحد كافراً.

١٧٩

---

(١) الآية ٩٠ من سورة الاسراء.

(٢) ط: «عقبة» صوابه فى ش والاصابة ٨٨٧ من قسم النساء.

(٣) قريبة هذه بفتح القاف، وتقال أيضا بالتصغير، كما فى الاصابة ٨٨٧ من قسم النساء.

(٤) ابن عمه هو أبو سفيان، وابن عمته عبد الله، وهو أخو أم سلمة. الاصابة ٤٥٣٤.

(٥) الآية ٩١ من يوسف.

(٦) الآية ٩٢ من يوسف.

وأسلم المهاجر وزهير . وولد زهير معبداً ، وقتل يوم الجمل ، وعبد الله بن زهير . وولدت قريبةُ الكبرى لزَمعَة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزَّى[1] . وولدت قريبة الصغرى عبد الله وأمَّ حكيمٍ ابنى عبد الرحمن ابن أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

وترجمة أبى طالب عمّ النبى صلى الله عليه وسلم تقدّمت فى الشاهد الحادى والتسعين[2] .

* * *

وأنشد بعده :

(بمنجردٍ قَيدِ الأوابدِ هَيْكلِ)

على أن قيداً بمعنى مقيِّد ، فاضافته إلى الأوابد لفظية لم تُكسبه تعريفاً ؛ ولهذا وقع نعتاً لمنجرد .

وهذا عجز وصدره :

(وقد أغتدى والطيرُ فى وُكُناتها)

أى أخرج غُدوةً للصيد . والوُكْنة : عُشّ الطائر الذى يبيض فيه . والمنجرد من الخيل : الماضى فى السير . والأوابد : جمع آبدة بالمدّ وهى الوحوش. يريد أنّ هذا الفرس من سرعته يلحق الوحوش فيصير لها بمنزلة القيد

(١) كذا بدون ذكر للمولود ، ومن أولاد زمعة : عبد الله بن زمعة له صحبة ، والحارث بن زمعة ، قتل يوم بدر كافرا مع أبيه ، ويزيد بن زمعة ، استشهد يوم الطائف ، ووهب بن زمعة . جمهرة ابن حزم ١١٩ .

(٢) الخزانة ٢ : ٧٥ .

وهذا البيت من معلّقة امرئ القيس ، تقدّم شرحه والكلام على قيد الأوابد بلاغة وإعراباً فى الشاهد الخامس والثمانين بعد المائة[١] .

* * *

وأنشد بعده :

(يا سارقَ الليلةِ أهلَ الدارْ)

على أنّ إضافة سارق إلى الليلة بمعنى فى ، أى يا سارقا فى الليلة .

وقد تقدّم الكلام على هذا فى الشاهد الرابع والسبعين بعد المائة[٢] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والتسعون بعد المائتين[٣] :

٢٩٣ (لِحَافى لِحافُ الضَّيفِ والبُرْدُ بُرْدُهُ)

على أن (أل) فى البُرد عند الكوفيين عوض من المضاف إليه ، والتقدير : وبُردى برده . وهو المناسب لقوله : لحافى لحاف الضيف .

وقد أورده الشارح فى البدل ، وفى المعرّف باللام ، وفى الصفة المشبهة أيضاً .

وهذا صدر وعجزه :

(ولَمْ يُلْهِنى عنهُ غَزالٌ مُقَنَّعُ)

وبعده :

أحدِّثه إنّ الحديثَ من القِرَى وتَعلَم نَفْسى أنّه سَوف يَهْجَعُ

(١) الخزانة ٣ : ١٥٦ ــ ١٥٩ .

(٢) الخزانة ٣ : ١٠٨ وانظر ايضا ٤ : ٢٣٣ بعد الشاهد رقم ٢٩٠ .

(٣) أمالى المرتضى ١ : ٤٧٥ وابن الشجرى ٢ : ٢٠٥ والحماسة ١٧١٩ بشرح المرزوقى واللسان (بصص) والأغانى ١١ : ٤٩ .

وهذان البيتان أوردهما أبو تمّام فى باب الاضياف (من الحماسة) لمسكين الدارِمىّ ، إلّا أنه روى للمصراع الشاهد :

* لحافى لحاف الضيف والبيت بيته *

وكذلك رواه جميع من سيُذكر من رواته ، منهم ابن الأثير (فى المثل السائر) وقال : الغزال المقنع استعارة للمرأة الحسناء .

ومنهم السيد المرتضى (فى أماليه) وقال : ومعنى أحدّثه إن الحديثَ من القِرَى : أى أصبر على حديثه وأعلم أنه سوف ينام ، ولا أضجر بمحادثتا فأكون قد محقت قِراى . والحديث الحسن من تمام القِرى .

١٨٠

وقال التبريزى : أى تعلم نفسى وقت هجوعه فلا أكلّمه . يريد أنّه يحدثه بعد الإطعام كأنّه يسامره ، حتّى تطيب نفسه ؛ فإذا رآه يميل إلى النوم خلّاه . فإن قيل : كيف يحمد بقوله : إنّ الحديثَ من القرى ، وقد قال غيره[1] في إنزال الضيف :

* ولم أقعدْ إليه أسائله *

قلت : هذا إشارة إلى ابتداء النزول ، وذلك وقت الاشتغال بالضيافة ، وهذا يريد بحديثه بعد الإطعام .

ومنهم الأعلم الشنتمرى (فى حماسته) إلا أنّه روى المصراع الأخير :

* وتكلأُ عينى عينَه حين يَهجع *

---

(١) هو منصور النمرى ، كما فى الحماسة ١٦٩٨ بشرح المرزوقى ، وهو بتمامه :

فقلت له أهلا وسهلا ومرحبا رشدت ولم أقعد اليه أسائله

وتـكلأ : تحرس ، والـكلاءة : الحراسة والحفظ . والعين الأوّل حاسّة البصر ، والثانى بمعنى الذات .

ومنهم أبو زيد (فى نوادره[١]) ، ومنهم الجاحظ (فى البيان والتبيين[٢]) إلاّ أنهما زادا على البيتين قبلهما بيتين آخرين وهما :

أرى كلَّ ريحٍ سوف تَسكن مرّةً — وكلُّ سَماء ذاتِ دَرٍّ ستُقلِعُ

فإنّكِ والأضيافَ فى بُردةٍ معاً — إذا ماتبِضُّ الشمسُ ساعةَ تَنْزِعُ

لحافى لحاف الضيف . . . . البيتين

قال أبو زيد : تَبِضُّ أى تجرى إلى المغرب ؛ أى أمرهم لازم لك ، كأنّك أنت وهم فى بردة . وهو بالضاد المعجمة ، قال صاحب الصحاح : وبضَّ الماء يبِضّ بضيضاً أى سال قليلا قليلا . وتَنزع : تذهبُ ؛ مِن نزع إلى كذا : إذا مال إليه وذهب . وأراد بالسماء السحاب . والدَّرّ القَطر . والإقلاع : الـكفُّ عن الشىء ؛ يقال أقلع عمّا كان عليه .

والـكاف من قوله فإنّكِ الخ مكسورة ؛ لأنّه خطاب مع امرأته .

وقوله : ولم يُلهِنى أى لم يَشغَلنى . والمقنّع : اسم مفعول ، الذى ألبس المِقْنَع والمِقنعة بالـكسر ، وهما ما تقنّع به المرأة رأسَها أى تغطّيه . والقِناع أوسع من المِقنعة . وإنما لم يقل المُقنَّعَـة بالتأنيث لأنّه جرى على لفظ الغزال .

---

(١) لا يوجد شىء من هذه الأبيات فى نوادر أبى زيد طبع بيروت ، وهو دليل على نقص هذه النسخة .

(٢) البيان والتبيين ١ : ١٠ و ٢ : ٣٥٨ بدون نسـبة . وفى الموضع الأول أنشد البيت الثالث والرابع . وفى الموضع الثانى أنشد البيت الأول مع بيتين آخرين .

وكلّهم روى هذا الشعر لمسكين الدارمىّ — وقد تقدمت ترجمته فى الشاهد السابع والستين بعد المائة[١] — إلاّ الجاحظ والأعلم الشنتمرى ، فإنهما نسباه إلى كعب بن سعد الغنوى . ونسبه التبريزى إلى عُتبة بن بُجير ، وبعضُ شرّاح الحماسة .

وقد انفرد ابن الشَّجرىّ بنسبته إلى عُتبة بن مسكين الدارِمىّ ، فإنّه قال : محادثة الضيف من دلائل الكرم ؛ وقد مدحوا [بذلك وتمدّحوا[٢]] به : فمن المدح قول الشّماخ يمدح عبد الله بن جعفر :

إنّك يا ابنَ جعفر نِعْمَ الفتى ونِعمَ مَأوى طارقٍ إذا أتى
ورَبُّ ضيف طرقَ الحىَّ سُرَى صادفَ زاداً وحديثاً ما اشتهى
إنَّ الحديث طَرَفٌ من القِرَى

ومن التمدّح قول عُتبة بن مسكين الدارمى :

لحافى لحافُ الضّيف والبيتُ بيته . . . . (البيتين)

وقوله : ورَبُّ ضيف ، هو بفتح الراء وضمّ الباء عطف على نِعْمَ[٣] .

وقد نسب ابن الشجرى مسكينَ الدارمىَّ[٤] إلى البخل ، فإنه قال قبل ذينك البيتين :

ومن شعره الذى استُدلّ به على بخله قوله يذكر ضيفاً نزل به :

أتَى يَخبط الظلْماء والليلُ دامسٌ يسائلُ عن غير الذى هو آمِلُ

(١) الخزانة ٣ : ٦٩ .

(٢) التكملة من ش وابن الشجرى .

(٣) أى على فاعل نعم . والوجه أن يكون « رُبَّ ضيف » .

(٤) هذا على الحكاية ، والا فالوجه « مسكينا الدرامى » .

فقلت لها قُومى إليه فيسِّرى طعاماً فإنَّ الضيف لا بدَّ نازلُ
يقول وقد ألقى مَراسِيه للقِرى أبِنْ لىَ ما الحَجّاجُ بالناس فاعلُ
فقلتُ لعمرى ما لهذا طرقْتَنا فكُلْ ودَعِ الحجّاجَ ما أنت آكل
أتانا ولم يَعْدِلْه سَحبانُ وائلٍ بياناً وعلماً بالذى هو قائلُ[1]
فما زال عنه اللَّقْمُ حتى كأنَّه من العِىِّ لمّا أن تكلَّمَ باقلُ

قوله : ألقى مراسيه ، أى ألقى أثقاله وثبت كلَّ الثبات . وسؤاله عن الحجاج هو الذى عناه بقوله : « يسائل عن غير الذى هو آمل » . وطرقْتَنا : أتيتنا ليلا . وقوله : فما زال عنه اللَقم الخ ، أراد أنه امتلأ من الطعام حتّى كسبته الكظّة العىّ ، كقولهم : « البطْنَة تذهِب الفِطنة » . ولمّا بدأه الضيف بالحديث وسأله عن الحجاج طلبًا للاستئناس ، قطع عليه كلامه بقوله : ما لهذا طرقتنا ، فكُلْ ودَعِ الحجّاج . وهذا منه نهايةٌ فى البخل ، لأنّ محادثة الضيف من دلائل الكرم[2] . انتهى كلام ابن الشجرىّ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والتسعون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[3] :

(١) ط : « نائل » صوابه فى ش والبيان ١ : ٦ مع نسبة البيت الى حميد بن ثور .

(٢) انظر أيضا من دلائل بخل مسكين ، ما فى كنايات الجرجانى ٥٧ واللآلىء ١٨٦ : أنه وقع بينه وبين امرأته سباب . فقال مسكين :

ناری ونار الجار واحدة واليه قبلى تنزل القدر

فقالت امرأته متهكمة : القدر للجار ، فهى تنزل اليه قبله ! ثم قال :

ما ضر جارا لى أجاوره الا يكون لبابه ستر

فقالت : بل يتسور على جارته فلا يشميها سترها منه .

(٣) فى كتابه ١ : ٩٤ . وانظر همع الهوامع ٢ : ٤٨ ، ١٣٩وديوان الأعشى ٢٥ .

٢٩٤ (الواهبِ المائةِ الهجانِ وعبدِها [عُوذاً تُزَجِّى خَلْفَها أطفالَها(١)])

على أنّه قد يجعل ضمير المعرَّف باللام فى التابع مثلَ المعرَّف باللام ، فإن قوله (عبدِها) بالجر معطوف على المائة ، وهو مضاف إلى ما ليس فيه آل . واغتُفر هذا لكونه تابعاً ؛ والتابع يجوز فيه مالا يجوز فى المتبوع .

قال أبو بكر بن السرّاج فى باب العطف : ومما جاء فى العطف لا يجوز فى الأول قول العرب : كلُّ شاة وسَخْلتِها بدرهم ؛ ولو جعلت السَّخلة تلى كلّ لم يستقم . ومن كلام العرب : هذا الضارب الرجل وزيدٍ ، ولو كان زيد يلى الضارب لم يكن جرّ . وينشدون هذا البيت جرًّا :

* الواهب المائةِ الهِجانِ وعبدِها *

وكان أبو العبّاس المبرّد يفرق بين عبدها وزيد ويقول : إنّ الضمير فى عبدها هو المائة ، فكأنه قال : وعبد المائة ؛ ولا يَستحسِن ذلك فى زيد ولا يجيزه . وأجازه سيبويه والمازنىّ ، ولا أعلمهم قاسوه إلاّ على هذا البيت . وقال المازنىّ : إنّه من كلام العرب . والذى قاله أبو العباس أولى وأحسن . انتهى

وقال الأعلم : قد غلط سيبويه فى استشهاده بهذا ، لأنّ العبد مضاف إلى ضمير المائة ، وضميرُها بمنزلتها ؛ وهذا جائز بإجماع ، وليس مثل الضارب الرجل وعبد الله ، لأن عبد الله علم كالفرد ، لم يضف إلى ضمير الأوّل فيكون بمنزلته . وإنما احتجَّ سيبويه بهذا بعد أن صحّ عنده بالقياس جواز الجرّ فى الاسم المعطوف . وأنشد البيت ليُرى ضرباً من المثال فى الاسم المعطوف . لأنّه حجة له ، لا أنه ليس يجوز فيه غيره . هذا كلامه .

---

(١) التكملة من ش .

ومعنى البيت أنّ هذا الممدوح يهب المائةَ من الإبل الكريمة ، ويهب راعيَها أيضاً ، وهو المراد من العبد . وخصّ الهجان لأنّه أكرمها . والهجان : البيض ، قال الجوهرى : هو من الإبل الأبيض ، يستوى فيه المذكر والمؤنث والجمع ، وقال الأصمعى : الهجان : الكرام ، وأصل الهجان البياض ، وهى تكون للواحد والجمع ، وربما جُمع هجائنَ كما قالوا شمال وشمائل

وعوذا : حال من الهجان ، وهو جمع عائذ بالعين المهملة والذال المعجمة ؛ وهذا جمع غريب ، ونظيره حائل وحُول وفاره وفُرْه . قال ابن الأثير (فى النهاية) : العائذ : الناقة إذا وضعت وبعد ما تضع أيّامًا حتَّى يقوى ولدها . وقال شارح ديوان الأعشى : العوذ : الحديثات النِّتاج قبل أن تُوفىَ خمس عشرة ليلة ، ثم هى مُطْفِل بعده . وقال ابن خلف : هى الحديثة النتاج ، كان معها ولد أو لم يكن . قال الأعلم : وسمِّيت عائذاً لأنَّ ولدها يعوذُ بها لصغره ، وبُنى على فاعل لأنّه على نية النسب لاعلى ما يوجب التصريف ، كما قالوا عِيشة راضية ، وتزجِّى[1] : بالزاى المعجمة والجيم أى تسوق ، والتَّزجيَة : السَّوق ، ومثله الإزجاء . وروى بدله (ترشّح) والترشيح . التربية ، يعنى إذا تخلّفت أولادها وقفت وحنّت حتَّى يلحق أولادها بها فتغذّيها وتدفعها[2] ، وكذلك التزجية . وقيل إنما تكون التزجية من بين يديها . وفاعل تزجِّى ضمير العُوذ ، والجملة صفة لها ، وأطفالها مفعول تزجّى .

وهذا البيت من قصيدة للأعشى ميمون — وقد تقدّمت ترجمته فى الشاهد

(١) هذا الصواب لا ما قاله الأعلم بالبناء للمفعول ، فانه يستلزم رفع الروى ، وحركة روى القصيدة انما هى الفتح .
(٢) ش : « فتقويه وتدفعه » .

الثالث والعشرين فى أوائل الكتاب[١] — وقد استعمل هذا المعنى فى شعره كثيراً ، منها قوله :

الواهب المائةِ الهجانِ وعبدِها قُطُناً تشبِّهها النخيلَ المُكْرِعا

القطُن والقَطِين : أتباع الملك ؛ وهو حال [من العبد[٢]] . وتشبِّهها بالخطاب . والمُكرِع ، بوزن اسم الفاعل : النَّخيل التى على جُول الماء[٣] ومنها قوله :

هو الواهبُ المائةَ المصطفا ةَ إمّا مَخاضاً وإمّا عِشارا

وقال أيضاً فى قصيدة نونية :

هو الواهبُ المائةَ المصطفا ةَ كالنَّخْلِ زيَّنَها بالرَّجَنْ

والرَّجن ، بفتح الراء المهملة وبالجيم ، قال فى الصحاح : قال الفراء : رَجَنَت الإبلُ ورجِنت أيضاً بالكسر وهى راجنة ؛ وقد رَجَنتها أنا وأرجنتها : إذا حبستَها لتَعلِفَها ولم تسرِّحْها .

وقد سَبَق الأعشى فى هذا المعنى إمّا بشرُ بن أبى خازم ، وإمّا أوس ابن حجر ، فإنّهما متعاصران وكانا قبله : قال الأوّل يمدح عمرَو بنَ أمّ أُناس :

والمانح المائةَ الهجانَ بأسرها تُزْجى مَطافِلَها كجنَّة يثربِ

---

(١) الخزانة ١ : ١٧٥ .

(٢) التكملة من ش .

(٣) كذا فى ش . وجول البئر ، بالضم : جانبها . وفى ط : « حول » بالمهملة .

وقال الثانى يمدح فَضالة :

الواهب المائةَ المِعْكاء يشفعها يوم النضار بأخرى غير مجهودِ[١]

والمِعكاء، بكسر الميم وسكون العين المهملة بعدها كاف، قال ابن الأنبارى (فى المقصور والممدود) : يقال أعطاه مائة معْكاء : إذا أعطاه مائةً من الإبل سماناً غلاظاً . وأنشد هذا البيت .

وتلك القصيدة يمدح بها الأعشى قيسَ بن مَعْديكربَ الكندىّ . وهذا مطلعها :

(رَحَلَتْ سُمَيَّةُ غدوةً أجمالَها غَضْبَي عليكَ فما تقولُ بَدَا لَها ١٨٣

هذا النهارُ بدَا لها من همِّها ما بالُها بالليل زال زوالها

سفهاً، وهل تَدرى سُميّةُ ويحَها أنْ ربَّ غانيةٍ قطعتُ وِصالَها)

ثم قال :

(وسَبيئةٍ مما تُعتِّقُ بابلٌ كدَم الذَّبيح سلبْتُها جِريالَها[٢]

وغريبةٍ تأتى الملوكَ حكيمةٍ قد قُلتُها ليقالَ من ذَا قالَها)

ثم وصف ناقته فقال مخاطباً لها[٣] :

(ولقد نزلت بخيرِ من وَطِىء الحَصَى قيسٍ فأثبتَ نَعلَها وقِبالَها

ما النيلُ أصبح زاخراً من مدِّه جادت له ريحُ الصَّبا فجرى لَها[٤]

---

(١) فى ديوان أوس ٢٥ : « يوم النضال » ، وفى اللسان (عكا) : « يوم الفضال » .

(٢) فى النسختين : « يعتق بابل » والشرح ورواية الديوان ٢٣ يقتضى ما اثبت .

(٣) الحق أن الشعر الآلى اخبار لاخطاب . وانظر القصيدة فى الديوان .

(٤) ط : « جاءت له ريح الصبا » ، وأثبت ما فى ش والديوان ٢٤ .

زَبداً بمصرٍ يومَ يَسقى أهلَها وغدًا تفجِّره النبيطُ خِلالَها
يوماً بأغزر نائلاً منـه إذا نفسُ البخيل تجهمتْ سُؤّالها
الواهب المائة المجان وعبدها . . . . البيت
والقارحِ الأحوى وكلَّ طِمِرَّةٍ ما إن تنالُ يدُ الطويل قَذالَها)

وقال فى آخر القصيدة :

(وإذا تجىء كتيبةٌ ملمومة خَرساء يَخشى الذائدون نِهالَها
كنتَ المقدَّم غيرِ لابسِ جُنَّةٍ بالسَيف تَضرِبُ مُعْـلِماً أبطالَها
وعرفتَ أنَّ النفسَ تلقى حَتفَها ما شاء خالقُها المليكُ قَضى لها)

قوله : رحلت سمّيةَ الخ ، الأجمال : هى الجمال ، ورَحلَتْها : حمَّلتهـا ، وسُمية : اسم امرأة .

وقوله : هذا النهار بدا لهـا الخ ؛ قال أبو على (فى الايضاح الشعرى) رواه أبو الحسن : « هذا النَّهارَ » بالنصب ، وكذلك رواه أبو عَمرو الشيبانى ، فامّا من رفع النهار فجعله وصفاً لهذا وحذف الراجع من خبر المبتدأ ، كأنه قال : هذا النهارُ بدا لها فيه . فأما فاعل بدا فيكون ضمير المصدر ، أى بدا البُداء ، وقوله : من همّها ، حال من هذا الفاعل ، ويجوز على قول الأخفش بزيادة مِن فى الواجب أن يكون مجرورها فاعل بدًا . ومن استجاز حذف الفاعل ممّن خالف سيبويه أجاز أن يكون مِن همّها صفة للفاعل المحذوف ، كأنه قال : بدا لها بَدَاء[1] من همِّها . ومن نصب النهار ففيه وجهان : أحدهما أن يكون على حدّ زيداً مررت به ، والآخر أن يكون ظرفاً لبدا ، كأنه قال : بدا لها البَداء من همِّها

(١) ط : « بدو » صوابه فى ش وما يقتضيه الشرح بعده .

فى هذا النهار . ويجوز أن يكون قوله : هذا ، فيمن نصب النهار إشارة إلى الارتحال ، كأنه لما قال : رحلت قال : هذا الارتحال بدا لها النهار ، فيكون فى بدا ذكر يعود إلى المبتدأ الذى هو هذا . وكان المعنى عليه ، لأن المعنى هذا الارتحال والمفارقة قد بدا لها فى النهار ، فما بالها بالليل يعتادنا خيالُها ، هلاّ فارقَتْنا بالليل كما فارقتنا بالنهار . فأمّا فاعل زال فيمن نصب زوالَها ، فجائز أن يكون الهمّ ، لأنّ ذكْره قد تقدّم ، كأنّه قال: زال الهمّ زوالَها ، فدعا عليها بأن يزول الهمُّ زوالَها ، أى زوالُ همِّها معها حيث زالت . وقد حُكى هذا القول ١٨٤ عن أبى عمرو الشيبانى . ويجوز أن يكون الفاعل اسم الله تعالى كأنه قال : زال الله زوالَها ، من قوله زلتُه فلم يزُل ، وعلى هذا قول ذى الرمّة :

وبيضاء لا تنحاش منّا ، وأمّها إذا ما رأتنا زيل منا زويلها

انتهى كلامُ أبى على ، وكأنّه لم يطلع على ما للعلماء بالشعر فى هذا البيت . وقد جمعه حمزة بن الحسن (فى كتاب التنبيه على حُدوث التصحيف) قال[1] : قوله : « هذا النهار بدا » قال الأخفش : النهار ظرف أى فى هذا النهار . وقوله : « مِن همها ما بالها بالليل » قال بعضهم : يقول : هذا الارتحال الذى يرى لنا من همِّها فى النهار ، فما بالها بالليل إذا نمنا ألمّ بنا خيالها . وقال آخر : يقول : هذا الهمّ بدا لها نهارا ، والهمّ ما همّت به من مفارقته وصرمه . وقال آخر : هى بالنهار تخاف العيون وتراقب الوشاة ، فما بالها بالليل أيضاً بمثل تلك الحال لا تزورنى وقد زال عنها ما تحاذر . وقال آخر : إنّما رده على آخر البيت الأول ، وهو قوله : فما تقول بدا لها ، ثم قال مفسراً

(١) التنبيه لحمزة بن الحسن ص ٢٠٢ – ٢٠٧ طبع بغداد ١٩٦٧ .

لذلك : بدا لها أن همّت بصرى نهاراً ، فما بالها بالليل ؛ أى ما لنا ولَهاَ بالليل لَسْناَ تنامه[١] شوقاً إليها وذكراً لها . وقوله : « زال زوالَها » قال الأصمعىّ : هو دعاء على المرأة ، أى هذه المرأة لا أكاد أراها بالنهار فإذا جاء الليل إذ أتانِى خيالها[٢] فما بالها ؟ ثم دعا عليها فقال : زال زوالها ، ومعناه لا زال همُّها يزول زوالَها أى يزول معها ، أراد أنه لا يفارقُها . وقال بعضهم : هذا دعاء على الهمّ ، ومعناه زال الهمُّ معها حيث زالت[٣] . وقال أبو عمرو : هى كلمة يُدعَى بها ، فتركَها على حالها . وقال بعضهم : هو دعاء على الخيال ، ومعناه أذهب الله خيالَها عنِّى كما ذهبت هى فأستريح . وقال الأخفش : هو دعاء على الليل ، ومعناه أزال الله الليل الذى تقاسى فيه منه ما تقاسيه مع صَرمها لنا نهارا كما زالت مُسحية . وهذا كما تقول : هلك فلان ، أى أهلكه الله . وقال الأخفش : قال بعضهم : زال هنا بمعنى أزال ، وهى لغة قوم من العرب ، تقول زُلت الرجلَ عن مَقامه بمعنى أزلته . وعليه قول ذى الرمة :

* زيل منها زويلها[٤] *

فكأنّه قال : ما بال هذا الليل أزالها .

ويُحكى هذا القول بعينه عن أبى عبيدة . وقال الأصمعىّ فى بعض

---

(١) فى التنبيه : « ليست تدعنا نتامه » .

(٢) ط : « اذانى خيالها » ش : « أتانى خيالها » ، والوجه ما اثبت من التنبيه .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من ش ، وكتب ناسخها فى الهامش : « لعله كانت » . وفى ط : « حيث كانت » ، فاثبت ما فى التنبيه .

(٤) البيت بتمامه فى ديوان ذى الرمة ٥٥٤ :

وبيضاء لاتنحاش منا وأمها اذا مارأتنا زيل منها زويلها

الحكايات عنه : هذا مقلوب ، يجب أن يقول زالت زوالَه أى زوال النهار ؛ ثمّ قلَب الكلام كما قال الشاعر :

. . . . كما كان الزناء فريضةَ الرَّجْمِ(١)

وقال بعضهم : هو خبرٌ ليس بدعاء ، ومعناه مابال حظّنا من سميّة بالليل قد زال كما زالت .وإنّما يريد تأخّر الخيال عنه الذى كان يقوم مقامَها فيستريح إليه . وعلّة تأخّر الخيال عنه أنه سهر لفراقها فلم ينم فيبصره . قال :وقد يجوز أن يكون دعاء على الليل إذْ فاته حظُّه فيه منها . وقال أبو عمرو : أنا أرويه : « زالَ زوالُها » بالرفع ، وإن كان اقواء ؛ وعلى هذا يكون دعاء على المرأة بالهلاك وأن تذهب من الدُّنيا ؛ والأعشى شاعر أفحل من أن يُقوِىَ . وقال بعضهم : هو دعاء منه لسميّة لا عليها ، زال ماتُهَمُّ به من صرمنا فى النهار والليل ، كما زالت هى ، أى زال عنا همُّها بذلك . وقال بعضهم : هو إخبار عن الليل وفيه تقدير قد ، أى قد زال زوالها ، أى كأنّ الليل الذى كان لنا منها قد زال ، وهذا كما تقول : مالى مع فلان ليلٌ ولا نهار ، وإنما تعنى مالى حظٌّ من الليل ولا النهار ، ولست تعنى أنّ هناك نهاراً ولا ليلا . انتهى ما أورده حمزة .

١٨٥

وقوله : وسبيئة ممّا تعتّق بابل الخ ، السَّبيئةُ : الخمر ، فعيلة بمعنى مفعولة ، من سبأت الخمر سبْئا : إذا اشتريتَها لتشربَها ، والاسم السِّباء بالكسر على فِعال ، والسَّبَّاء : الخمّار وزناً ومعنى . والجِريال ، بكسر الجيم وبعد الراء

(١) البيت للنابغة الجعدى فى ديوانه ٢٣٥ واللسان (زنا) . وأوله :

* كانت فريضة ما أتيت كما *

مثنّاة تحتيّة ، قال الجواليقى (فى المعرّبات) : هو صِبغ أحمر ، ويقال جِريان بالنون ، وقيل هو ماء الذهب ، وذهب الأصمعى أنّه رومى معرَّب ، ورُوى لى عن الأصمعىّ عن شُعبة عن سِماك بن حرب ، عن يونس بن متّي راوية الأعشى[1] قال : قلت للأعشى : مامعنى قولك : « سلبتْها جِرْيالها » ؟ قال: شربتها حمراء وبُلْتها بيضاء فسلبتها لونها . يقول: لمّا شربتها نقلْتُ لونَها إلى وجهى فصارت حمرتها فيه . وهذا المعنى أراد أبو نواس بقوله :

* أجدَته حُمرتَها فى العين والخدِّ[2] *

وربّما سمّيت الخمر جريالا . انتهى كلامه .

وقوله : « وغريبةٍ تأتى الملوكَ حكيمةٍ » أى ربَّ قصيدة غريبة فى أسلوبها محكمة .

وقوله : «ولقد نزلت » الخ ، قال شارح الديوان ابن حبيب : يجوز ضم التاء بالتكلم وكسرها بخطاب الناقة ، والمراد لقد نزلتُ برجلى فأثبتَ نعلها ، أى قضى حوائجى . وتجهّمت بمعنى استثقلت .

وقوله : « والقارحِ الأحوى» الخ ، هو بالجرّ عطف على المائة الهجان. والقارح : ماجاوز خمس سنين من ذوات الحافر . والأحوى : ماخالط لونَه لون آخر إذا كان كميتاً مثل صدأ الحديد ، وقيل حُمرة يخالطها سواد . والطِمِرّة، بكسرتين وتشديد الراء : المستفز للوثب .

---

(١) فى النسختين : « رواية » ، صوابه فى المعرب ١٠٣ ، وبذلك أصلحه الشنقيطى فى ش .

(٢) فى النسختين وأصل المعرب ١٠٣ : « أخذته حمرتها » ولا يستقيم به الوزن ، ولا هو الرواية ، بل الرواية كما فى ديوان أبى نواس ٢٦٥ : « أجدته » من الاجداء . وصدره :

* كأسا اذا انحدرت فى حلق شاربها *

وقوله : « وإذا تجيء كَتيبة » الخ ، الكَتيبة : الجيش، والخرساء : التى لايُسمع فيها قَعقعةُ سلاح من كثرة الدروع ، وملمومة : مجموعة . والجُنّة ،بالضمّ الوقاية . يريد أنه يهجُم فى الحرب على الأبطال ، غير مكترث بلبس وقاية من السلاح . وهذا غاية فى التهوُّر .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والتسعون بعد المائتين[1] :

٢٩٥ * ولَيْسَ حامِلَنِي إلاَّ ابنُ حَمَّالِ *

على أنَّه قيل النون فى حاملنى هو نون التنوين ، وقيل نون وقاية ، وكلاهما شاذّ . وقيل الرواية (يَحملنى) لاحاملنى . وهذا عجز وصدره :

(ألاَ فتًى من بنى ذُبيانَ يحملنى)

وهو من أبيات لم أرها إلاّ فى كامل المبرّد ، قال فيه : أنشدنا أبو محلّم السَّعْدِىُّ :

(لَطَلْحَةُ بنُ حَبيبٍ حينَ تسألُه	أندَى وأكرمُ من فِنْدِ بنِ هَطَّالِ
وبيتُ طلحةَ فى عِزّ ومكرُمة	وبيتُ فِندٍ إلى رِبْق وأحمال
ألاَ فتًى من بنى ذُبيانَ يَحمِلُنى ؟	وليس يحملنى إلاَّ ابنُ حَمَّال
فقلت : طلحة أولَى مَن عَمَدتُ له	وجئتُ أمشى إليه مَشْىَ مُختال
مستيقناً أنَّ حبْلى سوفَ يُعلِقُه	فى رأس ذَيَّالة أو رأس ذَيَّالِ)

قوله : إلى ربق وأحمال ، أراد جمع حَمَل على القياس كما تقول فى جمع باب فَعَلٍ: جَمَل وأجمال ، وصَنَمَ وأصنَام .

---

(١) الكامل ٢٠٥ والانصاف ١٢٩ .

وقوله : ألا فتًى من بنى ذبيان يحملنى ، يعنى ذبيانَ بنَ بَغيض بن رَيث ابن غَطَفان بن سعد بن قَيسٍ بن عَيلان بن مُضَر .

وأنشد بعضهم :

* وليس حاملَنى إلاّ ابنُ حَمَّال *

١٨٦ وهذا لا يجوز فى الكلام ، لأنَّه إذا نوّن الاسم لم يتَّصل به المضمر ، لأنّ المضمر لا يقوم ، بنفسه وإنّما يقع معاقباً للتنوين : تقول هذا ضاربٌ زيداً غدا وهذا ضاربُك غدا ، ولا يقع التنوين ههنا ، لأنّه لو وقع لانفصل المضمر . وعلى هذا قول الله عزّوجل : ﴿ إنّا مُنَجُّوكَ وأهْلَكَ[(١)] ﴾ .وقد رَوَى سيبويه بيتين محمولَين على الضرورة ــ وكلاهما مصنوع ، وليس أحد من النحويين المتقنين[(٢)] يجيز مثل هذا فى الضرورة ، لما ذكرت لك من انفصال الكناية ــ والبيتان اللذان رواهما سيبويه :

هُمُ القائلونَ الخيرَ والآمِرُونَهُ إذا ما خشُوا يوماً من الأمرِ مُعظَما

وأنشد :

ولم يَرْتَفِقْ والناسُ مُحْتَضِرُونَهُ جميعاً وأيدى المعْتَفِينَ رَواهِقُه

وإنما جاز أن تبيِّن الحركة إذا وقفْتَ[(٣)] فى نون الاثنين والجمع ، لأنه لا يلتبس بالمضمر ، تقول : هما رَجلانِهْ[(٤)] وهم ضاربونَهْ إذا وقفْتَ ؛ لأنَّه

(١) الآية ٣٣ من العنكبوت .

(٢) فى الكامل ٢٠٦ : « المفتشين » .

(٣) ط : « وقعت » ، صوابه فى ش والكامل . والمراد من تبيين الحركة ايلاؤها هاء السكت .

(٤) فى النسختين : « يرحلانه » ، صوابه من الكامل .

لا يلتبس بالمضمر ، إذْ كان لا يقع هـذا الموقع ، ولا يجوز أن تقول ضربتهْ وأنت تريد ضربتُ والهاء لبيان الحركة ، لأنّ المفعول يقع فى هذا الموضع فيكون لَبساً. فأمّا قولهم : ارمِهْ واغزُهْ فتُلحق الهاء لبيان الحركة ، فإنّما جاز ذلك لِما حذفتَ من أصل الفعل ، ولا يكون(١) فى غير المحذوف . وقوله : فى رأس ذَيّالة ، يعنى فرساً أنثى أو حصاناً . والذيّال : الطويل الذنب . وإنما يُحمَد منه طولُ شعر الذنَب وقِصَر العسيب ، فأما الطويل العسيب فمذموم . اهـ كلام المبرد .

قال ابن السِّيد (فيما كتبه على الكامل) : ليس ما أصّلَ بصحيح ولا لازم قد قالوا : ضرَبْتنَهْ وهَلُمَّهْ ، يريدون : ضربتُنَّ وهَلُمَّ ، والمفعول يقع ههنا . وما ذكرتُه مذكور فى كتاب سيبويه(٢) . وأنشد :

* يا أيُّها الناس ألا هَلُمَّهْ *

والمفعول يقع هذا الموقع .

وقوله لَطلحةُ بن حبيب ، اللام للابتداء ، وطلحة مبتدأ وأندى خبره . والسؤال : استدعاء معرفةٍ أو ما يؤدّى إليها ، واستدعاء مال أو ما يؤدى إليه :

فاستدعاء المعرفة جوابُها باللسان ، وتنوب عنـه اليد ، فاليد خليفة عنه بالـكتابة(٣) أو الإشارة . ويتعدى لاثنين ثانيهما بنفسه تارة ، وبحرف الجرّ أخرى ، وهو عن وتنوب عنها الباء .

---

(١) اى الالحاق ، أو بيان الحركة . وفى النسختين « تكون » ، وأثبت ما فى الكامل .

(٢) سيبويه ٢ : ٢٧٩ .

(٣) فى النسختين : « بالكناية » ، والوجه ما أثبت .

واستدعاء المال جوابه باليد، وينوب عنه اللسان بوعدٍ أو ردّ، ويتعدّى بنفسه أو بعن، قال تعالى: ﴿وإذا سألتموهنّ متاعاً[1]﴾، وقال: ﴿واسئلوا الله من فضله[2]﴾. كذا فى مفردات القرآن للسمين.

وأندى: أفعل تفضيل من النَّدى، وهو السخاء. وفِنْد، بكسر الفاء وسكون النون: اسم رجل. والرِّبْق، بكسر الراء وسكون الموحدة: حبل فيه عدّة عُرًا يُشَدُّ به البَهْم، كلّ عُروةٍ ربقة بالكسر والفتح، والجمع كعِنَب. والبَهْم، بفتح الموحدة وسكون الهاء: ولد الضأن والمعز والبقر، وقيل صغار الإبل. والأحمال: جمع حَمَل، بفتح الحاء المهملة والميم: الخروف، وقيل هو الجذع أى الشابُّ من أولاد الضأن فما دونه. جعل بيت طلحة مظروفاً فى العزّ والمكرمة، وبيتَ فِنْدٍ منتهياً إلى ماذكر؛ وأراد أنّ البيت الأوّل مملوء بالخيل وبها يكون العزّ، والبيت الثانى بيت ذلّ وهوان، لأنّ اقتناء الخرفان عندهم يدلُّ على الفقر والضعف، وأنّ بيتهم إنّما هو مربط للبهائم.

وقوله: ألا فتى من بنى ذبيان إلخ، ألا هنا للعرض والتحضيض، وفتًى منصوب بفعل يفسّره يحملنى، أو منصوب بمحذوف، أى ألا تُرُونى فَتى هذه صفته، كما قال الخليل فى قوله: ١٨٧

* ألا رجلا جزاه اللهُ خيراً[3] *

ولا يجوز أن تكون للتمنى فيكون فتًى مبنياً معها على الفتح، لوجود الخبر،

(١) الآية ٥٣ من الأحزاب.

(٢) الآية ٣٢ من النساء.

(٣) هو الشاهد ١٦٣ فى الخزانة ٣ : ٥١ وقد تكرر انشاده بعد ذلك. وعجزه:

* يدل على محصلة تبيت *

وهو يحملنى ؛ فإنَّ التى للتمنِّى لا خبر لها لفظاً ولا تقديراً ، والمعنى أيضاً لا يساعد فى جعلها للتوبيخ أو للاستفهام عن النفى ، فإنّه بعيد . ولامعنى لجَعْلها هنا للتنبيه . ويحملنى : مِن حمله ، إذا أعطاه دابّةً تحمله . وحَمّال هنا مبالغة حامل ، بالمعنى المذكور . وحاملنى ، فيمن رواه ، خبر ليس مقدَّم وما بعد إلاَّ اسمها ؛ وعلى رواية ليس يحملنى اسمها ضمير الشأن .

وقوله : فقلتُ ، التاء مضمومة . وعمَدت : قصدت .

وقوله : مستيقناً أنّ حبلى الخ ، هو حال من فاعل أمشى . ويُعْلقه : مضارع أعلق حبله إذا أمكنه أن يعلق حبله ويربِطه به . وعَسيب الذَّنَب : مَنْبِته من الجلد والعظم . والمعروف أنه لا يقال ذَيَّال إلاَّ أن يكون مع طول الذنب طويلاً فى نفسه ، فإن كان طويل الذنب فقط فهو ذائل .

ومُحَلِّم السعْدى ، بضم الميم وفتح الحاء المهملة وكسر اللام المشدَّدة .

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد السادس والتسعون بعد المائتين وهو من أبيات س[1] :

* * *

٢٩٦ (هُمُ الفاعِلُونَ الخَيْرَ والآمِرُونَهُ ... إذا ما خَشُوا مِنْ مُحْدَثِ الأمرِ مُعْظَما)

على أنَّه قد جمع فى قوله (الآمرونه) النون والضمير ضرورة ، وصوابه والآمِرُوه بحذف نون الجمع للإضافة ، فانَّ حكم الضمير أن يعاقب النون والتنوين ، لأنَّه بمنزلتهما فى الضعف والاتصال ، فهو معاقب لهما إذْ[2] كان المظهر مع قوَّته وانفصاله يعاقبهما .

(١) فى كتابه ١ : ٩٦ . وانظر الكامل ٢٠٦ ومجالس ثعلب ١٥٠ وابن يعيش ٢ : ١٢٥ والهمع ٢ : ١٥٧ .

(٢) ط : « اذا » ، صوابه في ش .

قال أبو جعفر النحّاس : هذا خطأ عند المبرّد ، لأنَّ المجرور لا يقوم بنفسه ولا يُنطَق به وحده ، فإذا أتى بالتنوين فقد فصل ما لا ينفصل وجمع بين زائدين . وهذا لا يلزم سيبويه منه غلط ، لأنَّه قد قال نصًّا : وزعموا أنه مصنوع . فهو عنده مصنوع لا يجوز ، فكيف يلزمه منه غَلط . انتهى .

ولا يبعد أن يكون من باب الحذف والإيصال ، والأصل والآمرون به ، فحذفت الباء واتَّصل الضمير به ، فإنَّ أمَرَ يتعدى إلى المأمور بنفسه ، وإلى المأمور به بالباء ، يقال أمرته بكذا . والمأمور هنا محذوف ، أى الآمرون الناس بالخير ، فيكون الضمير منصوبًا لا مجروراً . يقول : هؤلاء يفعلون الخير ويأمرون به ، فى وقت خشيتهم الأمرَ العظيمَ من حوادث الدهر ، فلا يمنعهم خوفُ الضرر عن الأمر بالمعروف .

وقد رواه المبرد فيما سبق النقل عنه بما يقرب مما هنا . ورُوى فى (المفصَّل) وغيره :

همُ الآمرونَ الخيرَ والفاعلونه إذا ما خشُوا من حادث الدهر مُعظَما

و (المعظَم) : اسم مفعول ، وهو الأمر الذى يعظم دفعُه . وقد روى الجوهرى فى هاء السكت[1] المصراع الثانى كذا :

(إذا ما خَشُوا من مُعظَم الأمر مُفظِعا)

وهو اسم فاعل من أفظع الأمرُ إفظاعاً ، ومثله من فَظُع الأمر فظاعة : إذا جاوز الحدَّ فى القبح . و (خشُوا) بضمِّ الشين ، وأصله خشيُوا بكسرها ، فحذفت الكسرة ونقلت ضمَّة الياء إليها ثم حذفت الياء للساكنين .

* * *

(١) الصحاح ٦ : ٢٥٥٩ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والتسعون بعد المائتين وهو من ١٨٨ أبيات س[١] :

٢٩٧ (ولم يرتَفِقْ والناسُ مُحتضِرُونَهُ
جَميعاً وأيدِى المعتَفِينَ رَوَاهِقُه)

لما تقدَّم قبله ، وهو أنه قد جمع النون والضمير فى قوله : (محتضرونه) ضرورة .

والكلام فيه كما تقدَّم فى الذى قبله ، فمن جعل الهاء ضميراً جعلها ضميرَ الممدوح ، ومن جعلها للسكت فإنه احتاجَ إلى تحريكها .

وفيه أنَّ حضَر واحتَضَر إن كان معناه ضدّ غاب فهو لازم ؛ وغير هذا مرادٌ هنا . وإن كان بمعنى شهد فهو متعدّ ، وهذا هو المراد . يقال حضَرتُ القاضىَ أى شهدته . وفى القاموس : حضَر كنصر وعَلِم حُضوراً وحَضارة : ضدّ غاب كاحتَضَر وتحضّر ؛ ويتعدّى يقال حضَره وتحضّره . انتهى . وعلى هذا فالضمير منصوب على المفعولية ، لا أنّه مضاف إليه . ومحتضِرون عامل النصب فيه ، لوجود شرط عمل النصب ؛ وهو جمع محتضِر . و (الارتفاق) : الاتكاء على المرفَق ؛ أى لم يشتغلْ عن قضاء حوائج الناس . ويحتمل أنّ المعنى لم يرتفق بماله ، أى لم يبذله بالرفق بل جارَ عليه بالجود . و (المعتَفون) : الذين يأتون يطلبون المعروف والاحسان ، يقال عفوته : أى أتيته أطلبُ معروفه . و (الرواهق) : جمع راهقة ، مِن رَهِقِه من باب تعب ، إذا غشِيَه وأتاه .

---

(١) سيبويه ١ : ٩٦ . وانظر ابن يعيش ٢ : ١٢٥ .

ورهقه بمعنى أدركه وقرُب منه أيضاً . والهاء يجوز أن تكون ضميراً وأن تكون للسكت ..

وهذا البيت أيضاً مصنوع.

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والتسعون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[١] :

٢٩٨ (الحافِظُو عورةَ العَشِيرَةِ)

على أنّ الضمير بعد الوصف ذى اللام المثنى والمجموع ، يحتمل عند سيبويه أن يكون مجروراً على الإضافة ، أو منصوباً ، كما ورد الظاهر منصوباً بعده .

قال ابن السرّاج (فى الأصول[٢]) : وقد أجازُوا رأيت الضاربِى زيداً ؛ وليس ذلك بحسن ، وإنّما جواز ذلك على أنّك أردت النون فحذفتها لطول الاسم ، كما تقول : الذى ضربتُ زيدٌ فتحذف الهاء من ضربتُه وأنت تريدها . وحذفُ النون من الضَّارِ بَيْنِ والضار بِينَ مع الإعمال قبيح ، قال الشاعر :

الحافِظُو عَورةَ العَشِيرة لا يَأتيهمُ من ورائنا نَطَفُ

ولو جرُّوا لكان الجيِّدَ الصوابَ . اهـ .

وقال ابن خلف : الشاهد فيه أنّه حذف النون من الحافظون ، ونصب عورة العشيرة بما فى الصلة ، فكأنّه قال : الذين حفظوا عورةَ العشيرة . ولم يحذفها للإضافة ، إنّما حذفها تخفيفاً مع ما فيه الألف واللام .

---

(١) فى كتابه ١ : ٩٥ . وانظر المنصف ١ : ٦٧ والهمع ١ : ٤٩ والأشمونى ٢ : ٢٤٧ وملحقات ديوان قيس بن الخطيم ١٧٢ .

(٢) ط : « الأطول » ، والتصحيح للشنقيطى فى نسخته .

وقال ابن جنّي : حذفوا النون تشبيهاً لهذه الأسماء المتمكّنة غير الموصولة بالأسماء الموصولة ، لأنّها في معنى الموصولة . قال أبو علي : والأكثر الجرّ ، وقرأ بعضهم : ﴿ والمقيمى الصلاةَ [١] ﴾ بنصب الصلاة ، وحكى أبو الحسن عن أبي السماك [٢] : ﴿ واعلموا أنّكم غيرُ معجزِى اللهَ [٣] ﴾ وليست فيه ألف ولام حتى يشبّه بالذين . وقرأ بعضهم أيضاً : ﴿ انّكم لذائقوا العذابَ الأليمَ [٤] ﴾ بالنصب . وقرأ عُمارة بن عَقيل : ﴿ ولا الليلُ سابقُ النهارَ [٥] ﴾ بنصب النهار . والأشبه في هذا أن يكون حذف التنوين لالتقاء الساكنين . ١٨٩

ورُوى : « الحافظو عورةِ العشيرة » بجرّ العورة على أنّ الحافظو مضاف ؛ فيكون سقوط النون للإضافة . وقوله : « الحافظو » صوابه « والحافظو » بالواو ، فإنّه معطوف على خبر مبتدإٍ في بيت قبله كما سيأتي . وبه يسقط قول ابن خلف : الحافظو مرفوع بالابتداء أو على الخبر ، وهو مدح كأنّه قال : هم الحافظون عورةَ العشيرة ؛ فحذف المبتدأ ؛ أو الحافظو عورة العشيرة هم فحذف الخبر هذا كلامه ؛ ولا ينبغي أن يكتب قبل أن يقف على السّياق

(١) الآية ٣٥ من الحج . وهذه قراءة ابن أبي اسحاق ، والحسن ، وأبي عمرو في رواية . تفسير أبي حيان ٦ : ٣٦٩ .

(٢) كذا في النسختين ، ولعله « أبو السمال » ، واسمه قعنب بن هلال . وانظر لسان الميزان ٤ : ٤٧٥ وطبقات ابن الجزرى ٢ : ٢٧ . وفي القراء أيضا « ابن السماك » مصدر بابن وبالكاف في آخره .

(٣) الآية ٢ من التوبة . ولم أهتد الى صاحب القراءة بالتحقيق.

(٤) الآية ٣٨ من الصافات . وهذه قراءة أبي السمال ، وأبان عن ثعلبة بن عاصم . تفسير أبي حيان ٧ : ٣٥٨ .

(٥) الآية ٤٠ من يس . وهذه قراءة عمارة بن عقيل . تفسير أبي حيان ٧ : ٣٣٨ .

والسَّبَّاق . ثم بعد هذا فصَّلَ أنّ المبتدأ يحذف فى خمسة مواضع ، والخبر يحذف فى اثنى عشر موضعاً ، ثم أخذ فى بيان أل الموصولة وأل المعرّفة وأنّها سبعة أقسام ، واستوفى الكلام على الجميع . وهذا كلّه تطويل لا طائل له .

و (العَوْرة) : المكان الذى يُخاف منه العدوّ . وقال ثعلب : كلُّ مَخُوف عورة . وقال كراع : عورة الرجل فى الحرب ظَهْرُه . و (العَشيرة) : القبيلة ، ولا واحد لها من لفظها ، والجمع عشيرات وعشائر . كذا فى المصباح . ولا يناسبه قول العينى هنا : « وعَشيرة الرجل : الذين يعاشرهم ويعاشرونه » . و (النَّطَف) بفتح النون والطاء المهملة ، قال صاحب العباب : قال الفرّاء : النَطَف العيب ، وقال الليث : النطف : التلطّخ بالعيب . وروى بدله (الوكف) بفتح الواو والكاف أيضاً ، قال صاحب العباب : هو العيب والإثم . وأنشد هذا البيت . وهذا المعنى الثانى أورده أبو عُبيد (فى الغَريب المصنف) قال : وكِف وكَفا من باب فرح . وقد ردّه عليه أبو القاسم علىّ بن حمزة البصرىّ (فى كتاب التنبيهات على أغلاط الرواة) بأنَّ الوَكَف إنما هو العيب . وأنشد هذا البيت .

وكذلك قال ابن قتيبة (فى أدب الكاتب) وأنشد هذا البيت .

قال ابن السيد (فى شرح أبيات الجمل ، وأبيات أدب الكاتب) ، وتبعه ابن هشام اللخمى (فى شرح أبيات الجمل) : المعنى نحن نحفظ عورة عشيرتنا فلا يأتيهم من ورائنا شىء يُعابُون به : مِن تضييع ثَغْرهم ، وقِلّة رعايته . هذا على رواية : « مِن ورائنا » . ومن روى : « مِن ورائهم » أخرج الضمير مُخرَج الغيبة على لفظ الألف واللام ، لأنّ معنى الحافظو عورة : نحن الذين يحفظون ، كما تقول أنا الذى قام ، فتخرج الضمير مخرج الغيبة ، وإن كنت

تعني نفسك ، لأن معناه أنا الرجل الذى قام . وقد يقولون أنا الذى قمت . فعلى هذا رواية من روى : « من ورائنا » . انتهى .

وقال ابن خلف : قوله من ورائنا أى من غيبنا ، فكنى بوراء عن ذلك فامتدح بحفظهم عورةَ قومهم بظهر الغيب ، وأمْنِهِم من ناحيتهم كلَّ نقص وعيب . ويجوز أن يعنى من وراء حفظنا إيام وذَبِّنا عن رِحامم ، فحذف المضاف الذى هو حفظ ، وأقام المضاف إليه مُقامه . ومن روى : « من ورائهم » فالمعنى فيه أوضح ، وحمل الضمير على العشيرة أرجح .

وهذا البيت من قصيدة لعَمرو بن امرئ القيس الخزرجى ، وهى هذه[1]: صاحب الشاهد

قصيدة الشاهد

(يا مالِ ، والسيِّدُ المعمَّمُ قد	يَطْرأُ فى بعض رأيه السَّرَفُ[2]
خالفت فى الرأى كلَّ ذى فَخَرَ	والحقُّ يامالِ غيرُ ما تَصِفُ[3]
يامال ، والحقُّ إنْ قَنَعْتَ به	فالحقُّ فيه لأمرنا نَصَفُ
لا ترفَعِ العَبْدَ فوقَ سنَّتِهِ	والحقُّ نُوفى به ونَعترفُ
إنَّ بُجَيراً مولًى لقومكمُ	يامال ، والحقُّ عندَه فقِفُوا
أوتيتَ فيه الوفاء معترِفا	بالحقِّ فيه فلا تَكن تَكِفُ[4]
نحنُ بما عندنا وأنتَ بما	عندك راضٍ والرأيُ مختلف

١٩٠

(١) انظر جمهرة القرشى ١٢٧ وديوان حسان ٢٨٠ حيث نسبت القصيدة فيهما الى عمرو بن امرىء القيس ، وبعض أبياتها فى اللسان (فجر) .

(٢) فى الجمهرة والديوان : « يبطره بعض رأيه السرف » .

(٣) فى ديوان حسان : « كل ذى فجر » ، وكذا في اللسان (فجر) وفسر الفجر بالجود الواسع والكرم ، من التفجر فى الخير .

(٤) الجمهرة : « بالحق فيه لكم فلا تكفوا » .

نحنُ المَكِيثُونَ حيثُ نُحْمَدُ بالـ مُكث، ونحن المَصالتُ الأُنف
والحافظو عورة العشيرةِ لا يأتيهمُ من ورائنا وَكَفُ
واللهِ ، لاتزدهى كتيبتَنا أُسْدُ عرين مَقيلُها الغُرُف
إذا مشينا فى الفارِسِيِّ كما تمشى جمالٌ مَصاعبٌ قُطُف(١)
نَمشى إلى الموت ، من حفائظنا مشياً ذَريعاً وحكْمُنا نَصَفُ
إنَّ سُمَيراً أبت عشيرتُه أن يعرفوا فوقَ مابه نَصَفُ(٢)
أو تُصدِرَ الخيلُ وهى جافلةٌ تحت هواها جَماجمٌ خُفُف(٣)
أو تجرَعوا الغيظَ مابدا لكمُ فهارِشُوا الحربَ حين تنصرفُ
إنى لأُنمَى إذا انتميتُ إلى عزٍّ منيعٍ وقومُنا شُرُف(٤)
بيضٌ جِعادٌ كأنَّ أعينَهم يَكحَلُها فى الملاحم السَّدَفُ

قوله : يامال ، هو منادى مرخّم مالك بن العَجْلان . والعمامة عند العرب لايلبسها إلا الأشراف ، والعمائم تيجان العرب . وطرأ الشيء يطرَأ طرَآناً مهموز : أى حصل بَغْتة . والسَّرَف ، بفتحتين : اسم الاسراف ، وهو مصدر أسرف إسرافاً إذا جاوز القصد .

والفَخَر بفتحتين : لغة فى الفخْر بسكون الخاء ، وهو الافتخار وعَدُّ القديم. والنَّصَف :العدل والاستقامة. والسُّنَّة: الطريقة . وبُجير بضم الموحدة وفتح الجيم .

---

(١) الجمهرة : « فى الفارسى » ، وفسره بقوله : « الفارسى : الدرع » .

(٢) الجمهرة والديوان : « فوق ما به نطفوا » . والنطف : التلطخ بالعيب .

(٣) الجمهرة والديوان : « تحت صواها » . والصوى : الأعلام ، وشبه بها الفرسان فوق الخيل . وبذلك حورها الشنقيطى فى نسخته.

(٤) الجمهرة : « غر كرام وقومنا شرف » .

وتَـكِفُ : مضارعُ وَكِف وكَفًا من باب فرح : إذا جارَ وَعدل عن الحقّ.

وقوله : « نحن بما عندنا الخ » هذا من شواهد النحاة والمعانيّين ، حذف فيه خبر نحن ، أى راضون ، بدلالة خبر المبتـدأ الثانى ، وهو أنت راض بما عندك .

وقوله : « نحنْ المَـكِيثون » جمع مَـكيث فَعيل من المُـكْث وهو الانتظار واللَّبث[1] ، أراد به هنا الصَّبر والرزانة ؛ يقـال رجلٌ مَـكيث ، أى رزين . والمَـكْث بالفتح المصدر ، وبالضمّ والـكسر الاسم . والمَصالِتُ : جمع مِصْلت بكسر الميم ، وهو الماضى فى الأمور لا يهاب شيئاً . وأُنُف بضمّتين : جمع آنِف كضارب ، مِن الأَنَفَة وهى الحَمِيَّة .

وقوله : « والحافظو عورة الخ » . هو معطوف على المصالت ، أى نحن نحفظ عشيرتنا من أن يصيبهم ما يُعابون به .

وقوله : « لا تزدهى كتيبتنا الخ » تزدهى : تستخفّ . والـكتيبة من الجيوش : ما جُمِـع فلم ينتشر . وهو مفعول والفـاعل أُسْدٌ . والعَرين ، بفتح العين وكسر الراء المهملتين : الغابة والأَجَمَة ، وهى مسكن الأُسـد وأضاف الأُسد إليها لأنّها أشدّ ما تـكون وهى فى الغابة ، ولا يقدر أحد أن يهجُم عليها . والغُرُف بضمّتين : جمـع غَريف بالغين المعجمة ، وهى الغابة والأجمة أيضاً .

وقوله : « إذا مشينا فى الفارسينَ » أى بينهم . والمصاعب ، بفتح الميم : جمع مُصعَب بضمها وفتح ثالثِة ، هو الفحل الشديد ؛ يقال أصعبْت الجملَ فهو مُصعَب إذا تركته فلم تركبْه . وقُطُف بضمّتين : جمع قَطوف ١٩١

(١) ط : « اللبس » ، صوابه في ش .

بفتح القاف : البطء ، يقــال قَطَفت الدابةُ من باب قتل ، إذا مشت مع تقارُب الخطو .

وقوله : مِن حفائظنا : جمع حَفيظة ، وهى الحَمِيّة والغضب . والذَّرِيع ، بالذال المعجمة : السريع .

وقوله : أو تصدر الخيل الخ ، أو هنا بمعنى إلى . وخُفُفٌ بضمّتين : جمع خَفيف .

والهِرَاش : مصدر هارش ، وهو التحريش وتحريك الفتنة .

وقوله : « إنّى لأُنْمى إذا أنتميتُ » الأوّل بالبناء للمجهول يقال نميت الرجلَ إلى أبيه نَمْياً : إذا نسبتَه إليه ؛ وانتمى هو : انتسب . وشُرُف ، بضمّتين : أى أشراف .

وقوله : « بيض جعاد الخ » البِيض ، قال ابن السيد (فى شرح سِقط الزَّند) : العرب تمدح السادة بالبياض من اللون ، وإنما يريدون النقاء من العيوب ؛ ورُبمًا أرادوا به طلاقة الوجه ؛ لأنّ العرب تجعل العُبوس سواداً فى الوجه ، قال تعالى : ﴿ وإذَا بُشِّرَ أحَدُهُم بالأُنْثى ظَلَّ وَجهُهُ مُسْوَدًّا[1] ﴾ . والجِعاد : جمع جَعد بفتح الجيم وسكون العين المهملة ، وهو الكريم من الرجال . والملاحم : جمع مَلحَمة بالفتح : القِتال . والسَّدَف ، بفتح السين والدال ، هى الظُّلمة فى لغة نجد ، والضوء فى لغة غيرهم ؛ يقول : سوادُ أعينهم فى الملاحم باقٍ ، لأنّهم أمجادٌ لا تبرق أعينُهُم من الفزَع فيغيب سوادُها .

---

(١) الآية ٥٨ من النحل .

عمرو بن امرئ القيس

قصة الشاهد

وعمرو بن امرئ القيس خزرجيٌّ جاهلي ، وهو جدّ عبدِ الله بن رَواحة .

وكان السبب فى القصيدة : أنّه كان لمالك بن العَجْلان مولى يقال له بُجَير ، جَلس مع نفَر من الأوس من بنى عمرو بن عوف ، فتفاخروا ، فذَكر بجيرٌ مالكَ بنَ العَجلان ففضلّه على قومه ، وكان سيِّد الحيَّين فى زمانه : الأوسِ والخزرج ، فغضب جماعةٌ من كلام بُجير وعدا عليه رجلٌ من الأوس يقال له سُمَير بن زيد بن مالك، أحد بنى عمرو بن عوف فقتله ، فبعث مالكٌ إلى بنى عمرو بن عوف : أنِ ابعَثوا إلىّ بِسُمَير حتَّى أقتله بمولاى ، وإلاّ جرَّ ذلك الحربَ بيننا . فبعثوا إليه : إنّا نعطيك الرضا فخذْ منا عَقْلَه . فقال : لا آخذ إلاّ ديةَ الصريح — وهى عَشْرٌ من الإبل : ضعف دِيَةِ المولى ، وهى خمس — فقالوا : إنّ هذا منك استذلالٌ لنا وبغىٌ علينا ! فأبى مالكٌ إلاّ أخذَ دية الصَّريح ، فوقعت الحرب بينهم فاقتتلوا قتالاً شديداً ، حتى نال بعضُ القوم من بعض . ثمّ إنّ رجلاً من الأوس نادى : يا مالك ، نشدْتُكَ اللهَ والرَّحِمَ أن تجعل بيننا حَكَماً من قومك ! فارعوى مالكٌ وحكَّموا عمرو بنَ امرئ القيس صاحبَ القصيدة التى ذكرناها ، فقضى لمالك بن العَجلان بدية المولى ، فأبى مالك وآذَنَ بالحرب ، فخذلته بنو الحارث لردّه قضاء عمرو ، وأنشد يقول[1] :

إنَّ سُمَيراً أرى عشيرتَه قد حَدِبُوا دونه وقد أنِفُوا[2]

إنْ يكنِ الظنُّ صادِقِى ببنى النجّار لا يطعَموا الذى عُلِفوا

لا يُسلمونا لمعشر أبداً ما دام منَّا ببطنها شرف[3]

(١) انظر جمهرة القرشى ١٢٢ والأغانى ٢ : ١٦٢ .

(٢) فى اللسان (سمر ٤٥) : « وقد أبقوا » ، وما هنا صوابه .

(٣) وكذا فى الأغانى . وفى الجمهرة : « لن يسلمونا » ، وهو الوجه . وفى الجمهرة أيضا : « ما كان منهم ببطنها شرف » .

لكنْ مواليَّ قد بدا لهمُ رأيٌ سوى ما لدىَّ أو ضعفُوا

بين بنى جَحْجَبى وبين بنى زيدٍ فأنَّى لجارىَ التَّلَفُ

يمشون بالبَيض والدُّروع كما تمْشى جمالٌ مصاعبٌ قُطُف

١٩٢ كما تَمشَّى الأُسُودُ فى رَهج الـ موت إليـه وكلُّهم لَهِف[١]

وقال بعده عمرو بن امرئ القيس قصيدته التى شرحناها .

وقال درهم بن زيد أخو سُمَير :

يا قومِ لا تقتُلوا سُمَيراً فإنَّ القتلَ فيه البَوارُ والأسَفُ[٢]

لا تقتُلوه تُرِنُّ نسوتُكم على كريمٍ ويفزَع السلفُ[٣]

إلى أن قال :

يا مالِ ، والحقُّ إنْ قنَعت به فينا وفىَّ لأمرنا نَصَفُ[٤]

إنَّ بُجيراً عبدٌ ، فخُذْ ثمنًا والحقُّ نُوفى به ونعترف

ثم اعلمنْ إن أردتَ ظلم بنى زيد فإنّا ومن له الحلف

لنُصْبِحَنْ دارَكُمْ بذى لَجَب يكون له من أمامه عزف[٥]

البَيضُ حصن لهم إذا فَزِعوا وسابغاتٌ كأنها النُطَفُ[٦]

---

(١) وكذا فى الأغانى . وهذا البيت وسابقه هما بيت واحد فى الجمهرة :

يمشون مشى الأسود فى رهج الـ ـموت اليه وكلهم لهف

(٢) فى النسختين : « ان القتل » صوابه من الأغانى ٢ : ١٦٢ .

(٣) الأغانى : « ان تقتلوه » .

(٤) الأغانى : « فيه وفينا » .

(٥) كذا فى النسختين ، ماعدا القافية ، فهى فى ط : « غرف » ، وفى ش : « عزف » . . ورواية ش توافق الأغانى الا أولها فهى فى الأغانى : « لأصبحن » . وفى الأغانى أيضا : « جون له من أمامه » .

(٦) النطف ، بضم ففتح : جمع نطفة ، وهى الماء الصافى قل أو كثر .

والبيضُ قد فُلّت مَضارِبُها ... بها نُفوس الكُماة تُختطَفُ
كأنَّها فى الأكفِّ إذْ لَمَعَت ... وَميضُ برقٍ يبدو وينكشفُ

وقال قيس بن الخطيم من قصيدةٍ يجيبه (ولم يحضر الوقعة ولا كان فى عصرها[1]) :

أبلغ بنى جحجبى وقومَهمُ ... خَطْمَةَ أنّا وراءهم أُنُف
وأنّنا دون مايسومهم الـ ... أعداءُ مِن ضَيم خُطّة نُكُف
نَفْلى بحدِّ الصَّفيح هامَهمُ ... وفَلْيُنا هامَهم بها عُنُفُ[2]

وبعد هذا ستة أبيات . فردّ عليه حسان بن ثابت شاعر النبى صلى الله عليه وسلم ، وهذا من تلك القصيدة :

دع ذَا وعَدِّ القَريض فى نفرٍ ... يَرْجُونَ مَدحِى ، ومدحِىَ الشَّرفُ
إن تدعُ قومى فى المجد تلقَهمُ ... أهلَ فَعَالٍ يبدو إذا وُصفوا
إنَّ سُميراً عبدٌ طغى سَفَهًا ... ساعدَهُ أعْبُدٌ لهم نُطَفُ[3]

ثم إنهم تهيئوا للحرب وتقاتلوا قتالاً شديداً ، ومَشَت الحرب بين الأوس والخزرج عشرين سنة فى أمر سُمير . فلما طالت الحربُ وكادت العرب يأكل بعضها بعضا ، أرسلوا إلى مالكٍ أن يحكّموا بينهم ثابتَ بنَ المنذر أبا حسّان ، فأجابهم إلى ذلك ، فأتوه وقالوا: قد حكّمناك بيننا . قال : لا حاجة لى فى ذلك .

---

(١) الأغانى ١٠ : ١٦٣ ومعاهد التنصيص ١ : ٦٧ وديوان قيس ٥٣ .

(٢) فى الديوان : « بنا عنف » وفى الأغانى « بها جنف » .

(٣) النطف هنا بمعنى الأقراط ، الواحد نطفة بالتحريك وكهمزة . وكان العبد منهم يقرّط ، وكذا ساقى الشراب ، ويبدو أن تلك نحلة فارسية . وقد ذكر الأعشى تقريط الساقى فى قوله :
يسعى بها ذو زجاجات له نطف ... مقلص أسفل السربال معتمل

قالوا : ولم ؟ قال : أخاف أن تردُّوا حكمى كما رددتم حكمَ عمرو بن امرئ القيس . فأعطوه عهودهم : أن لا يردّون ما حكَمَ به[١] ، فحكم أن يُودَى حليفُ مالك دِيَةَ الصَّريح ، ثم تكون السُّنّةُ فيهم على ما كانت به : الصَّريح على ديته ، والحليف على ديته ؛ وأن يعدُّوا القتلى التى أصابت بعضُهم من بعض[٢] ، فيقابَلَ البعضُ بالبعض ، ثم تعطَى الديةُ لمن كان له فضلٌ فى القتلى من الفريقين . فرضُوا بذلك ففَضَلَت الأوسُ على الخزرج بثلاثة نفر ، فودَتْهم الأوس واصطلحوا . . وقيل : الخمسة المكْمِلة لدية الصريح أعطاها ثابتُ من عنده حين أبت عليه الأوس أن تؤدِّىَ أكثر من خمس ، وأبى مالك أن يقبل أقلّ من عشر ؛ إطفاء لنائرتهم ، ولمًّا لشعَثهم . ١٩٣

وقول مالك : « بين بنى جَحْجَبي الخ » بجاء ما كنة بين جيمين مفتوحتين : حىّ من الأوس ، وكذلك بنو بدر . والاستفهام للإنكار .

وقول قيس بن الخطيم : « أبلغ بنى جَحجبَى وقومَهُم » إلى آخره ، خَطْمة بفتح الخاء المعجمة وسكون الطاء وبعدها ميم ، هو عبد الله بن جُشَم ابن مالك بن الأوس ؛ قيل له لأنَّه ضرب رجلاً بسيفه على خَطْمه أى أنفه ، فسمِّى خطمة . وجَحجَبَى وخَطْمَةُ : حيّانِ لقبيلةِ قيس بن الخطيم ، لأنّه أوسىّ . والسَّوم : التكليف . والخُطّة بالضمّ : الشأن والأمر العظيم . ونُكُف ، بضمّتين : جمع ناكف ، مِن نكَفت من كذا ، أى استنكفته وأنِفت منه .

وعُرِف من إيرادنا لهذه القصائد ما وقع من التخليط بين هذه القصائد ،

---

(١) أن هنا تفسيرية ، ونون « يردون » ثابتة فى ط ، وقد أزالها الشنقيطى فى نسخته .

(٢) فى الأغانى : « الذين أصاب بعضهم من بعض » .

كما فعل ابن السّيد واللّخمى (فى شرح أبيات الجمل) ، وتبعهما العينىُّ والعباسىّ (فى شرح أبيات التلخيص) فإنّهم جعلوا ما نقلنا من شعر قيس ابن الخطيم مطلعَ القصيدة ، ثم أوردُوا فيها البيت الشاهد وهو : « الحافظو عورة العشيرة » والشاهد الثانى وهو : «نحن بما عندنا وأنت بما * عندك راضٍ » ، والحال أنّ هذين البيتين من قصيدة عمرو بن امرئ القيس .

ثم إختلف الناسُ فى نسبة البيت الشاهد أعنى : «الحافظو عورة العشيرة» فنسبه التبريزىّ (فى شرح إصلاح المنطق) ، والجَواليقى (فى شرح أدب الكاتب) وابن برّىّ (فى حواشى صحاح الجوهرى) إلى عمرو بن امرئ القيس ، كما نسبناه نحن . ونسبه ابن السيرافى (فى شرح أبيات الإصلاح) لشُريح بن عمران[1] من بنى قُريظة ، قال : ويقال إنّه لمالك بن العَجْلان الخزرجىّ . ونسبه ابن السِّيد (فى شرح أبيات الجمل ، وفى شرح أبيات أدب الكاتب) ، وابن هشام اللخمى (فى شرح أبيات الجمل) ، وعلى بن حمزة (فى أغلاط الرواة) ، والعباسىُّ (فى شرح أبيات التلخيص) لقيس بن الخطيم . والعجب من العينى أنه نقل عن اللخمى أنّه لعمرو بن امرئ القيس . والله أعلم.

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والتسعون بعد المائتين . وهو من شواهد س[2] :

---

(١) هذا ما فى ش . وفى ط : « عمرو » .

(٢) فى كتابه ١ : ٩٣ . وانظر ابن يعيش ٣ : ٧٢ ، ٧٤ والشذور ٤٣٦ والعينى ٤ : ١٢١ والتصريح ٢ : ٣٣ والهمع ٢ : ٢٢٢ والأشمونى ٣ : ٨٧ .

٢٩٩ (أنا ابنُ التاركِ البَكْرِيِّ بِشْراً)

هذا صدرٌ وعجزه :

(عليه الطيرُ تَرقُبُهُ وُقُوعا)

على أنه عند المبرّد لا يتبع مجرور ذى اللام إلاّ ما يمكن وقوعه موقعَ متبوعه : فبشر عنده منصوب لاغير للحمل على محلّ البكرىّ .

أنشده سيبويه بجرّ (بشر) على أنّه بدل أو عطف بيان للفظ البكرىّ وإن لم يكن فى بشر الألفُ واللام . وجاز ذلك عنده لبعده عن الاسم المضاف ، ولأنّه تابع والتابع يجوز فيه مالا يجوز فى المتبوع .

وغلّطه المبرد وقال : الرواية بنصب بشر . واحتجّ بأنّه إنما جاز أنا ابن التارك البكرىّ ، تشبيهاً بالضارب الرجل ، فلما جئتَ ببشر وجعلته بدلاً صار مثل أنا الضارب زيداً ، الذى لا يجوز فيه إلاّ النصب .

قال الزجّاج : الذى ذهب إليه سيبويه أن بشراً عطف البيان الذى يقوم مقام الصفة ، يجوز فيها مالا يجوز فى الموصوف : تقول يا زيد الظريف ؛ ولا يجوز يا الظريف ؛ وكذا أقول الضارب الرجل زيدٍ ولا أقول الضارب زيد .

قال النحاس : وقد قال المبرّد (فى الكتاب الذى سماه الشرح) : القول فى ذلك أنّ قوله : « أنا ابن التارك البكرى بشرٍ » عطف بيان ؛ ولا يكون بدلا لأنّ عطف البيان يجرى مجرى النعت سواء ؛ ألا ترى بيان ذلك فى باب النداء تقول ياهذا زيدٌ ، وإن شئت [زيداً[1]] على عطف البيان فيهما . وإن أردت البدل قلت زيدُ . فهذا واضح جدّا ؛ لأنك أزلت هذا وجعلت ١٩٤

---

(١) التكملة من ش .

زيداً مكانه منادى . انتهى . وهذا من المبرد رجوع إلى رواية سيبويه وإن كان خالفه فى شىء آخر .

وقد أورده شُرّاح ألفيَّة ابن مالك بجرّ بشر على أنه عطف بيان للبكرى لا بدل ؛ لأنه فى حكم تنحية المبدل منه وحلوله محلّه .

و (التارك) إن كان من التَّرك الذى بمعنى الجعل والتصيير فهو متعدٍّ لمفعولين: الأول قد وقع مضافاً إليه ، والثانى هو جملة عليه الطير من المبتدإ والخبر . وإن كان من الترك الذى بمعنى التخلية فهو متعدٍّ لمفعول واحد وهو المضاف إليه ، فيكون الظرف أعنى عليه حالا من البكرى ، والطير فاعل الظرف أو الطير مبتدأ ، وعليه الخبر ، والجملة حال منه ، وجملة ترقبه حال من الطير .

وأعربه الشارح فى عطف البيان فقال : عليه الطير ثانى مفعولى التارك إن جعلناه بمعنى المصيِّر ، وإلاَّ فهو حال . وقوله : ترقبه ، حال من الطير إن كان فاعلا لعليه ، وإن كان مبتدأ فهو حال من الضمير المستكنّ فى عليه . انتهى .

ومعنى (ترقُبه) أى تنتظر انزهاق روحه ، لأن الطير لا يقع على القتيل وبه رَمَق ، ففيه حذف مضاف . وقوله : (وقوعا) فيه أعاريب : أجودها أنه مفعول له ، أى تنتظر ازهاق روحه للوقوع عليه . وقال الأعلم وتبعه ابن خلف إنه حال من الضمير فى ترقبه . ولو رفع على الخبر لجاز . ووقوعٌ عنده جمع واقع وهو ضدّ الطائر . وهذه الحاليَّة لا تصحّ من جهة المعنى ، لأنّه لا معنى للانتظار بعد الوقوع على الميت . ولو جعله حالاً من الطير كما قاله بعضهم لكان صحيحاً وكان حينئذ فيه بيانٌ لقوله عليه الطير . وقال ابن يَعيش : وقوعا جمع واقع ، وهو حال إمّا من الضمير المستكنّ فى عليه ، وإمّا من المضمر المرفوع فى ترقبه . وقال ابن المستوفى (فى شرح أبيات المفصل) : ويجوز أن يكون مصدراً فى موضع

الحال . ولم يعيِّنْ صاحبَ الحال . وقال بعض فضلاء العجم (فى إعراب أبيات المفصل) : ولا يبعد أن يجعل وقوعاً مصدراً ويكون منصوبا على البدل من الضمير الراجع إلى بِشْر فى ترقُبُه ، لأنّه فى معنى وقوعاً عليه ، فيتخصّص نوع اختصاص ويكون من باب بدل الاشتمال . هذا كلامه ، وهو جيّد ، إلاّ أنّ فيه حذف الضمير . وقال العينىّ : قوله : الطير ، مبتدأ والجملة أعنى قوله ترقبه خبره ، وقد وقعت حالاً عن البكرى . وقوله عليه يتعلق بقوله وقوعا . ولا يخفى مافى تعبيره من الاختلال ، وكأنّه لم يبلغه منع تقدُّم معمول المصدر مع هذا الفصل الكثير .

صاحب الشاهد — وهذا البيت للمرّار بن سعيد الفَقْعَسِىّ . وبعده :

أبيات الشاهد

(عَلَاهُ بضَربةٍ بعثَتْ بليلٍ ... نَوائحَهَ وأرخَصتِ البُضوعا

وقاد الخيلَ عائدةً لِكَلْبٍ ... ترى لوجيفها رَهَجا سريعا

عجِبْتُ لقائلينَ صهٍ لقوم ... عُلاهُمْ يَفرَعُ الشرفَ الرفيعا)

بعثَتْ أى نبهت من النوم ، يقال بعثه أى أهَبّه أى أيقظه . والنوائح : جمع نائحة ، من ناحت المرأة على الميت نَوحا ، إذا بكتَ عليه مع صراخ . ١٩٥ والبُضوع إما جمع بَضْعة بفتح الموحّدة وسكون الضاد المعجمة ، وهى القطعة من اللحم ، وإمّا جمع بُضْع بضمّ فسكون ، يطلق على الفرج والجماع . وروى بدله (البَضيعا) بفتح فكسر ، وهى اللحم . والوَجيف بالجيم : مصدر وجَفَ الفرس إذا عدا ، وأوجفته إذا أعديته ، وهو العَنَق فى السير بفتحتين . والرَّهَج : الغبار وصهٍ أى اسكت سكوتاً ماً . ويَفْرَع بالفاء والعين المهملة بمعنى يعلو ، يقال فرعت الجبل إذا صَعِدته . قال ابن السيرافى (فى شرح شواهد س) : بشر فى قوله : أنا ابن التاركِ البكرىِّ بشر ، هو بشر بن عمرو بن مَرْثَد ،

وقتله رجلٌ من بنى أسد ، ففخرَ المرّارُ بقتله . وبشر هومن بنى بكر بن وائل . وأرخصت البضوعا ، أى أرخصت الضربةُ اللحم على الطير . والبُضوع : جمع بَضعة ، ويروى (البَضيعا) ، وهو اللَّحم . وزعم بعض الرواة أنه يريد بالبضوع بُضوعَ نسائه أى نِـكاحَهنَّ ، يقول : لما قتلوه سبَوا نساءه فنـكحوهنّ بلامهر . والبضوع : النـكاح . والتفسير الأوّل أعجب إلىّ .

قال أبو محمد الأعرابىّ الأسود (فى فرحة الأديب) وقد تقدّمت ترجمته فى أوّل الـكتاب[1] : ما أكثر ما يرجّح ابن السيرافى الردىء على الجيد ؛ وذلك أنه مال إلى القول بأن البُضوع هنا اللَّحم ، ولعمرى أنّها لو كانت لحوم المِعزَى والإبل لجاز أن يقع عليها الرُّخص والغَلاء . والصواب لمّاقتلوه عرّضوا نساءه للسِّباء لأنه لم يبق لهن مَن يحميهنّ ويذود عنهنّ . ثم إنه لم يذكر قاتل بشر مِن أىّ قبائل بنىأسد ؟ وإذا لم يعرف حقيقة هذا لم يدر لأىّ شىء افتخر المرّار بذلك . وقاتله سبع بن الحسحاس الفَقعَسىّ ، ورئيس الجيش جيشِ بنى أسد ذلك اليوم خالدُ بنُ نضلْة الفقعسىّ ، وهذا جدّ المرّار بن سعيد بن حبيب ابن خالد بن نَضلة . انتهى .

ومن العجائب قول العينى : أراد ببشر بشر بنَ عمرو وكان قد جُرح ولم يُعلَم جارحُه ، يقول : أنا ابن الذى ترك بشراً بحيث تنتظر الطيور أن تقع عليه إذا مات . هذا كلامه ، وليت شعرى كيف يفتخر الشاعر بقتيل جُهِل قاتله ! فإن قلت : فعلى قول الأسود الأعرابىّ قاتله سبع بن الحسحاس ، كيف افتخر المرّار به مع أنه ليس بأب من آبائه ولا ممن ينتسب إليه ؟ قلت : افتخاره بجده خالد بن نَضلة فإنه كان أميرَ الجيش ، وسبعُ المذكورُ كان من أفراد عسكره ومأموراً له ، والفعل لسبع والاسم لخالد .

---

(١) الخزانة ١ : ٤٤ .

يوم قلاب

قال أبو محمد الأعرابى : وكان من حديث هذا اليوم وهو يوم قُلاَب : أنّ حيًّا من بنى الحارث بن ثعلبة بن دُودان غزَوا وَعليهم خالدٌ جدّ المرّار المذكور فاعترض بشر بن عمرو لآثارهم ، فلما وصل إليهم قال : عليكم القومَ . قال ابنه : إنّ فى بنى الحارث بن ثعلبة بنى فقعس ، وإن تَلْقَهم تلقَ القتال . فقال: اسكتْ فإنّ وجهك شبيهٌ بوجه أمك عند البِناء[1] ! فلما التقوا هُزم جيش بشر فاتّبعه الخيل[2] حتى توالى فى إثره ثلاثةُ فوارس ، فكان أوّلهم سبع بن الحسحاس ، وأوسطهم عُميلة بن المقتبس الوالبي ، وآخرهم خالد بن نَضْلة ، فأدركَتْ نَبْلُ الوالبيّ فرسَ بشر بن عمرو برميةٍ عقَرته ، ولحقه سبعٌ فاعتنقه ، وجاء خالد وقال : ياسبع ، لاتقتله فإنّا لانطلبه بدم ، وعنده مال كثير . وأتتهم الخيل ، فكلما مرّ به رجلٌ أمره بقتله فيزجرُه عنه خالد . ثمّ إنّ رجلا همّ أن يوجّه السنان ، فنَشَزَ خالدٌ على ركبتيه وقال : اجتنِبْ أسيرى ! فغضب سبع أن يدّعيَه خالد ، فدفَع سبعٌ فى نَحْرِبشر فوقع مستلقياً ، فأخذ برجله ثم أتبع السيفَ فُرَجَ الدرع حتّى خاض به كبدَه ، فقال بشر : أجيروا سراويلى فانّى لم أستعِنْ[3] . وعمد إلى فرسه فاقتاده . انتهى .

١٩٦

المرار بن سعيد

والمرّار بفتح الميم وتشديد الراء المهملة الأولى ، ينسب تارة إلى فقعس وهو أحد آبائه الأقربين ، وتارة إلى أسد بن خُزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر ، وهو جدّه الأعلى .

---

(١) أى البناء عليها ، وهى ليلة زفافها .

(٢) فى نسخة البغدادى من فرحة الأديب : فاتبعته الخيل » .

(٣) ط : « فانى لم أسق » ، صوابه فى ش وفرحة الأديب . وفى اللسان (عين ١٧٤) : « أجر لى سراويلى فانى لم أستعن » . استعان الرجل : حلق عانته .

وهذه نسبته (من المؤتلف والمختلِف للآمدى[1]) : المرّار بن سعيد بن حبيب بن خالد بن نَضْلة بن الأشـتَر بن جَحْوان (بتقديم الجيم المفتوحة على الحاء المهملة الساكنة) ابن فقْعَس بن طَريف، الشاعرُ المشهور .

ثمّ ذكر بعد هذا خمسة من الشعراء، مَنْ يقال لهم المرّار .

والمرّار بن سعيد من شعراء الدولة الأموية، وقد أدرك الدولة العباسية .

قال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : كان المرّار بن سعيد الأسدى يهاجى المُساورَ بنَ هنْد، وكان مُفرِط القِصَر ضئيلا .

تتمـة

هذا المعنى أعنى تتبُّعَ الطير للجيش الغازى للأعداء حتّى تتناولَ من القتلى متداوَلٌ بين الشعراء قديماً وحديثا، وأوّل من جاء به الأفوَهُ الأوْدِىُّ فى قوله :

وترى الطيرَ على آثارنا رأىَ عينٍ، ثقةً أن ستُمارُ[2]

أى تأخذ المِيرَة من لحوم القتلى . وأخذه النابغة الذبيانىُّ فقال :

إذَا ما غزا بالجيش حَلَّق فوقهم عصائب طير تهتدى بعصائب

جوانحُ قـد أيقنّ أنّ قبيلهُ إذا ما التقى الجيشان أولُ غالبِ

لهنّ عليهم عادةٌ قد عرَفْنها إذا عُرِضَ الخطىُّ فوق الكواثِبِ[3]

---

(١) المؤتلف والمختلف ١٧٦ .

(٢) ديوان الأفوه ١٠ نسخة الشنقيطى و ١٣ من الطرائف الأدبية .

(٣) ط : « الخطبى »، صوابه فى ش وديوان النابغة .

والكاتبة من الفرس : حيثُ تقع عليه يدُ الفارس . وأخذه الحطيئة فقال :

ترى عافياتِ الطير قد وثقت لها بشبع من السّخل العِتاق منازله[(١)]

وأخذه مسلم بن الوليد فقال :

قد عوّد الطيرَ عاداتٍ وثِقْنَ بها فهنَّ يتبعْنَه فى كلِّ مرتَحَلِ

ثم تبعه أبو نواس وإنْ كان فى عصره :

تتأيّاً الطيرُ غدوَتَهُ ثِقةً بالشِّبْع من جزَرِه

ثم أخذه أبو تمّام فقال :

وقد ظُلِّلت عقبانُ راياتِهِ ضُحًى بعِقْبان طير فى الدِّماء نواهلِ
أقامت مع الرايات حتّى كأنّها منَ الجيش إلاّ أنّها لم تقاتلِ

وكلُّهم قصّر عن النابغة ، لأنهَ زاد فى المعنى فأحسنَ التركيبَ ، ودلَّ على أنّ الطير إنّما أكلَت أعداء الممدوح . وكلامُهم محتَمِل وإن كان أبو تمام قد زاد فى المعنى . على أنّ الطير إذا شبعت ما تسأل : أىُّ القبيلين الغالب ؟ وقد أحسن المتنبّي فى قوله :

١٩٧ له عَسْكَرَا خيلٍ وطيرٍ إذا رمى بها عسكراً لم تَبقَ إلاّ جماجمُه

وقال أبو عامر :

وتَدرى كُماةُ الطير أنّ كُماتَهُ إذا لَقيتْ صيدَ الكُماةِ سِباعُ

(١) ط : « قد رتقت لها بسبع » ، صوابه فى ش والديوان ٣٨ .

تَطير جياعاً فوقه وتردُّها ظُباهُ إلى الأوكار وهى شِباعُ(١)

وقد أخذ هذا المعنى مَروان بن أبى الجَنوب، فقال يمدح المعتصم:

لا تَشبعُ الطيرُ إلاّ فى وقائعه فأينما سارَ سارتْ خلفَه زُمَرا
عوارفًا أنّه فى كل مُعتَرَكٍ لا يُغمِدِ السيف حتى يُكثِرَ الجزَرا

فأخذه بكر بن النَّطّاح فقال:

وترى السِّباعَ من الجوا رحِ فوق عسكرنا جَوانحْ
ثِقةً بأنّا لا نزا لُ نُمِيرُ ساغبَها الذبائح

وأخذه ابن جَهْوَر فقال:

ترى جوارحَ طيرِ الجوِّ فوقَهمُ بين الأسنَّة والراياتِ تختفقُ

وأخذه آخر فقال:

ولستَ ترى الطيرَ الحوائمَ وُقَّعًا من الأرض إلاّ حيث كان مُواقعا

ومنه قول الكُميت بن مَعروف:

وقد سترتْ أسنَّتَهُ المواضى حُدَيّا الجوِّ والرَّخَمُ السِغابُ(٢)

ومنه قول ابن قيسِ الرُّقَيّات:

والطَّيرِ إن سارَ سارت فوق موكبه عوارفًا أنه يَسطُو فَيَقْرِيها(٣)

(١) ط: «ظباه»، صوابه ما أثبت.

(٢) فى اللسان (حدأ): «قال أبو حاتم: أهل الحجاز يخطئون فيقولون لهذا الطائر الحديا، وهو خطأ، ويجمعونه الحدادى، وهو خطأ».

(٣) ط: «أن يسطو»، صوابه فى ش.

وأخذه عبّاسُ الخياط فقال :

يا مُطعمَ الطيرِ لحومَ العِدا فكلها تثنى على بأسِهِ

وقال ابن نباتة :

إذا حوّمت فوقَ الرماح نُسورُه أطار إليها الضربُ ما تترقَّبُ

وأبدع من هذا كله قولُ المتنبي :

يُطمِّعُ الطَّيرَ فيهم طولُ أكلهمُ حتَّى تكاد على أحيائهم تقعُ

وقد جاء امرؤ القيس بهذا المعنى بوجه آخر فقال :

إذا ماركبنا قال وِلدانُ أهلنا تعالَوا إلى أن يأتنا الصيدُ نَحطِبِ

يقول : قد وثقوا بصيد هذا الفرس فهم يهيّئون لمجىء صيده الحطب .
وأخذه حُميد بن ثور الهلالىّ الصحابى فقال فى صفة الذئب :

ينام بإحدى مُقلتيه ويتقى بأخرى المنايا فهو يقظانُ هاجعْ
إذا ما غدا يوما رأيت غيايَةً من الطير يَنظُرْنَ الذى هو صانعْ[1]

وأخذه ابن المعتز بلفظ امرئ القيس فقال :

قد وثق القوم له بما طَلَبْ فهو إذا جلَّى لصيدٍ واضطرب
عَرّوا سكاكينهُم من القُرُبْ .

* * *

(١) فى النسختين : « غيابة » ، صوابه بياءين ، كما فى ديوان حميد ١٠٦ والحيوان ٦ : ٧/١٠٦ : ٢١ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الموفى ثلاثمائة ، وهو من شواهد سيبويه(١): ١٩٨

٣٠٠ * أقامتْ على رَبْعَيهما جارتا صفًا
كُميتا الأعالِي جوْنَتَا مُصطلاهُما *

على أنّ الصفة المشبهة قد تضاف إلى ظاهرٍ مضاف إلى ضمير صاحبها .

ينبغي أن تُشرَحَ أولاً ألفاظُه اللغوية حتى يظهر ما ينبني عليه من المسألة النحوية فنقول :

هذا البيت للشّماخ بن ضرار ، وقد تقدمت ترجمة فى الشاهد الحادى صاحب الشاهد والتسعين بعد المائة (٢). وقَبل هذا بيت وهو مطلع القصيدة :

(أمِن دِمنتين عرَّس الركبُ فيهما بحَقْلِ الرُّخامَى قـد أنَى لبِلاهُما

وقد أوردها معًا سيبويه (فى كتابه) وبعدها :

وإرثُ رمادٍ كالحمامةِ مائِلٍ ونُؤيان فى مظلومتينِ كُداهما
أقاما للَيلى والرَّباب وزالتا بذات السلام قد عفا طللاهما
فَفاضتْ دموعى فى الرِّداء كأنَّها عَزَالِي شَعيبيْ مُخْلِفٍ وكُلاَهما)

قوله (أمن دمنتين) ، الجار متعلّق بمحذوف تقديره أتحزَن أو أتجزع من دمنتين رأيتَهما فتذكَّرتَ من كان يحلُّ بهما . والاستفهام تقريرىّ ، والخطاب لنفسه . ذكر فى هذه الأبيات أنَّه رأى منازل حبائبه ، وأنه لم يبق فيها غير الأثافى والرماد والنؤى . والدمنة بالكسر : الموضع الذى أثَّر فيه

(١) فى كتابه ١ : ١٠٢ . وانظر الخصائص ٢ : ٤٢٠ وابن يعيش ٦ : ٨٣ ، ٨٦ والعينى ٣ : ٥٨٧ والتصريح ٢ : ١٢٢ والهمع ٢ : ٩٩ والأشمونى ٣ : ١١ وديوان الشماخ ٨٦ .
(٢) الخزانة ٣ : ١٩٦ .

الناس بنزولهم وإقامتهم فيه . والتعريس : نزول المسافرين فى آخر الليل قليلا للاستراحة ثم يرتحلون ، وروى بدله « عرَّج الركبُ ». والتعريج : أن يعطِفوا رواحلهم فى الموضع ويقِفوا فيه . والرَّكْب : ركاب الإبل ، جمع راكب. والحقل بفتح المهملة وسكون القاف : القَرَاح الصُّلب ، وهى المزرعة التى ليس عليها بناء ولا شجر . والرُّخامى بضم الراء بعدها خاء معجمة وآخره ألف مقصورة ، وهو شجر مثل الضال وهو السِّدْر البرِّىّ . وبِحَقْل الرُّخامى[1] حال من الضمير فى فيهما . وأنَى بالنون فعل ماض بمعنى حانَ . والبِلَى بكسر الموحدة : الفَناء والذَّهاب بالمرَّة ، واللام زائدة أى قد حان بِلاهما . وقد روَى كثيرٌ بدلها : (قد عفا طللاهما) ، وهذا غير صواب ، لأنه يتكرَّر مع ما بعده .

وقوله : « أقامت على ربعيهما إلخ » أى بعد ارتحال أهلها . والرَّبع : الدار والمنزل . وضمير المثنَّى للدمنتين ، خلافا للسيد المرتضى (فى أماليه) فإنَّه قال : يعنى بربعيهما مَنزِلَى الامرأتين اللتين ذكرهما ، مع أنه لم يقدِّم ذكرهما بل أخَّرهما كما رأيت . وجارتا : فاعل أقامت ، وهو مضاف . والصَّفا بفتح الصاد المهملة والفاء : الصخر الأَملس ، واحده صفَاة ، وهو مضاف إليه . قال السيد المرتضى (فى أماليه[2]) ويعنى بجارتا صَفاً ، الأُثفيَّتين ، لأنَّهما مقطوعتان من الصفَا الذى هو الصخر : ويمكن فى قوله : جارتا صَفا ، وجهٌ آخر هو أحسنُ من هذا ، وهو أنَّ الأُثفيَّتَين توضعان قريبًا من الجبل لتكون حجارة الجبل ثالثة لهما ، وممسكةً للقِدْر معهما ، ولهذا تقول العرب : « رماه بثالثةِ الأثافى » أى بالصخرة أو الجبل » . انتهى .

---

(١) فى النسختين : « ويجعل الرخامى » ، وبهـذا صـححها الشنقيطى بقلمه فى نسخته .

(٢) أمالى المرتضى ٢ : ٣٠ .

١٩٩ وعلى هذا الأخير اقتصر ابن السيرافى (فى شرح أبيات سيبويه)، وتبعه الجماعة، قال: الصَّفا هو الجبل فى هذا الموضع، وجارتاه: صخرتان تجعلان تحت القِدر، وهما الأثفيَّتان اللتان تقرُبان من الجبل، فيقومُ الجبل مقام صخرةٍ ثالثة تكون تحت القدر. ومقتضى المعنى أنَّ فى كلٍّ من الربعين جارتا صفا[1] لا أنّ فى مجموع الربعين جارتا صفا[1].

وقوله: «كميتا الأعالى الخ» هو صفة جارتا صفا، وهو تركيب إضافىٌّ مثله، وهو مثنَّى كُميت بالتصغير من الكُمْتة، وهى الحمرة الشديدة المائلة إلى السواد. وأراد بالأعالى أعالى الجارتين، قال الأعلم: يعنى أنَّ الأعالىَ من الأثفيّتين لم تسودَّ لبعدها عن مباشرة النار، فهى على لون الجبل. وكذلك قال السيد المرتضَى: شبّه أعلاهما بلون الكميت وهو لون الحجر نفسه، لأنّ النّار لم تصل إليه فتسوِّده. وقال ابن السيرافيّ، وتبعه مَن بعده: يريد أنَّ أعالىَ الأثافىّ ظهر فيها لون الكُمْتة من ارتفاع النار إليها. وقوله: جونَتَا مُصْطَلاهُما» نعتٌ ثان لقوله: جارتا صفا، وهو تركيب إضافى أيضاً. والجَونة: السَّوداء، والجَون: الأسود وهو صفة مشبَّهة، ويأتى بمعنى الأبيض أيضا، وليس بمرادٍ هنا. ومن الغريب قول النحّاس إنّ الجون هنا هو الأبيض. والمصطلى: اسم مكان الصِّلاء أى الاحتراق بالنار، فيكون المصطلى موضع إحراق النار. يريد أنَّ أسافل الأثافىّ قد اسودّت من إيقاد النار بينها. والضمير المثنَّى فى مصطلاهما، عند سيبويه، لقوله جارتا صفا؛ وعند المبرّد، للأعالى كما يأتى بيانهما. وزعم بعض فضلاء العجم (فى شواهد المفصّل) أنّ الكُمتة هنا السواد. وهذا غير صواب.

---

(١) هذا على الحكاية، وإلا فالوجه «جارتى صفا».

وقوله : « وإرث رَماد الخ » هو معطوف على فاعل أقامت . وإرثُ كلِّ شىء : أصله ، وهو بالكسر وآخره ثاء مثلّثة . والحَمامة هنا : القطاة . شبّه لون الرّماد بريش القطاة . وماثل : منتصب . والنُّؤى ، بالضمّ : حُفَيرة تُحفَر حول الخِباء يجعل تُرابه حاجزاً لئلاً يدخل المطر . قال شارح الديوان : والمظلومة : الأرض الغليظة التى يُحفَر فيها فى غير موضع حفر . والكُدْية بالضمّ : الأرض الغليظة التى ظُلِمت كداها ، أى حُفر فيها فى غير موضع حفر .

وقوله : « أقاما لِلِيلَى الخ » قال شارح الديوان : أى هذان الطللان أقاما بعد أهلهما . أشار إلى أنّ اللام فى لليلَى بمعنى بعد . وذات السّلاَم : موضع . وعفا : تغيَّر . والطّلل ، قال الأعلم : هو ما شخص من علامات الدار وأشرفَ كالأثفيَّة والوِتد ونحوهما ؛ وإن لم يكن له شخص كأثر الرماد وملاعب الغِلمان فهو رسم .

وقوله : « كأنّهما عزالِى الخ » هو جمع عَزلاء بفتحِ مهملةٍ وسكونِ معجمة ، وهى فم القِربة ، ومصَبُّ الماء من المزادة . والشَّعيبان : المزَادتان ، قال أبو عبيد : الشَّعيب والمزادة والراوية والسَّطيحة شىء واحد . والمُخْلِف : المستَقِى . والكُلى : الرِّقاع التى تكون فى المزادة ، واحدها كُلْية .

هذا . وأما محلّ الشاهد فقوله : (جَونتاَ مُصطلاهُما) فإنّه أضاف جَونتا إلى مصطلاهما . قال السيرافى : جونتا مثنّى وهو بمنزلة حسنتا ، وقد أضيفا إلى مصطلاهما ، ومصطلاهما بمنزلة وجهها ، فكأنه قال حسنتا وجهِهما ، والضمير الذى فى مصطلاهما يعود إلى جارتا صفا ، ومعنى جارتا صفا الأثافىّ ، والصفا هو الجبل ، وإنّما يبنى فى أصل الجبل فى موضعين ما يوضع عليه القدر ، ويكون الجبل هو الثالث ، فالبناء فى موضعين هما جارتا صفا . وقوله : كميتا الأعالى ، يعنى أنّ الأعالى من موضع الأثافى ، لم تسودّ لأنّ الدخان لم يصل

إليها ، فهى على لون الجبل . وجعل الأعلى من الجبل أعالى الجارتين . وجونتا مصطلاهما يعنى مسودّتا المصطلى يعنى الجارتين مسودّتا المصطلى ، وهو موضع الوَقودِ . وقد أنكر هذا على سيبويه وخرّج للبيت ما يُخرَّجُ به عن : حسَنُ وجهِه وحسنةُ وجهِها ، قال : وذلك أنّه لا خلاف بين النحويين أنَّ قولنا زيد حسنُ وجهِ الأخ جيّد بالغ ، وأنّه يجوز أن يكنى عن الأخ فنقول زيد حسن وجه الأخ جميلُ وجهِه ، فالهاء تعود إلى الأخ لا إلى زيد ، فكأنا قلنا زيد حسنُ وجهِ الأخ جميلُ وجه الأخ . قال : فعلى هذا قوله كميتا الأعالى جونتا مصطلاهما ، كأنه قال جونتا مصطلى الأعالى ، فالضمير فى المصطلى يعود إلى الأعالى لا إلى الجارتين ، فيصير بمنزلة قولك الهندان حسنتا الوجوهِ مليحتا خدودِهما. فان أردت بالضمير فى خدودهما الوجوهَ كان كلاماً مستقيما ، كأنك قلت حسنتا الوجوه مليحتا خدودِ الوجوه . فإن أردت بالضمير الهندين فالمسألة فاسدة ، فكذلك جونتا مصطلاهما إنْ أردت بالضمير الأعالى فهو صحيح ، وإن أردت بالضمير الجارتين فهو ردىء ، لأنّه مثل قولك هند حسنة وجهِها .

قال : فإن قال قائل : فإذا كان الضمير فى مصطلاهما يعود إلى الأعالى فلم يثنَّى والأعالى جمع ؟ قيل له : الأعالى فى معنى الأعلين ، فردّ الضمير إلى الأصل . ومثله :

متى ماتلقَنى فردين ترجفُ رَوانِف أليَتَيكَ وتُستَطارا[1]

فردّ تستطار إلى رانفتين ، لأن روانف فى معنى رانفتين . وعلى هذا يجوز

(١) البيت لعنترة ، وهو من شواهد الخزانة وهو الشاهد ٥٦٩ . الخزانة ٣ : ٣٥٩ بولاق .

أن تقول: الهندان حسنتا الوجوه جميلتا خدودهن ، لأنّ الوجوه فى معنى الوجهين ، فكأنك قلت : جميلتا خدود الوجهين . قال أبو بكر بن ناهض القرطبيّ : هذا التأويل حسن فى إعادة الضمير الذى فى مصطلاها إلى الأعالى ، لولا مايدخل البيتين [من[1]] فساد المعنى، وذلك أنّك إذا قلت كميتا الأعالى جونتا مصطلاهما ، إنّ معناه اسودّت الجارتان واصطلى أعاليهما ؛ كما أن معنى قولك الهندان حسنتا الوجوه مليحتا خدودها ، إنّما المعنى حسنت وجوهُهما وملُحت خدودها ، فكذلك يجب أن يكون مصطلاهما إذا أعيد الضمير إلى الأعالى أن يكون قد اصطلت الأعالى ، وإذا اصطلت الاعالى فقد اسودّت ، وهو يخبر أنّهما لم يسودّا لأنّهما لم يصل الدُّخان إليهما ؛ والدليل على ذلك أنّه وصف الأعالى بالكُمْته ولم يصفها بالسَّواد كما وصف الجارتين ، فلايشبه هذا قولك الهندان حسنتا الوجه مليحتا خدودها ؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ من هذين الضميرين قد ارتفع بفعله ، وكذلك يجب أن يرفع ضمير الأعالى بفعله ، فيكون على هذا الأعالى قد اصطلت بالنّار ، وهذا خلاف ما أراد الشاعر ، ٢٠١ لأنه ذكر أنه لم يصطل منها غيرُ الجارتين وأنَّ الأعالىَ لم يصل إليها الدخان . فهذا خلاف ما نظره النحويون وقاسوه . فلا بدَّ من [الذهاب فى] معنى البيت إلى ما ذهب إليه سيبويه ، من أنّ الضمير فى مصطلاها يعود على الجارتين . انتهى .

وقد ردَّ ما ذهب إليه المبرّد ابنُ جنى أيضاً بوجه غير هذا ، قال فى باب الحمل على المعنى (من الخصائص) : اعلم أنَّ العرب إذا حملت على المعنى لم تكد تراجع اللفظ ، كقولك شكرت من أحسنوا إلىّ على فعله . ولو قلت

---

(١) ليست فى النسختين ، وهى ضرورية فى الكلام .

شكرت من أحسنَ إلىّ على فعلهم جاز ، ولهذا ضعف عندنا أن يكون هما من مصطَلاهما فى قوله كيتاً الأعالى جونتا مصطلاهما ، عائداً على الأعالى فى المعنى إذا كانا فاعلين اثنين(١) ، لأنَّه موضع قد ترك فيه لفظ التثنية حملاً على المعنى لأنَّه جعل كلّ جهة منهما أعلى ، كقولهم : شابت مفارقه ، وهذا بعيرٌ ذو عثأنينَ ، ونحو ذلك . أو لأنَّ الأعليَيْن شيئان من شيئين ، فإذا كان قد انصرف عن اللفظ إلى غيره ضعفت مُعاودته إيّاه ، لأنَّه انتكاث وتراجُع فجرى ذلك مجرى إدغام الملحق وتوكيدِ ما حذف . على أنه قد جاء منه شىء ، قال :

* رءوس كبيرِهنّ ينتطحان *

وأما قوله (٢) :

كلاهما حين جدَّ الجرىُ بينهما قد أقلَعا وكِلا أنفيهما رابِى

فليس من هذا الباب وإنْ كان قد عاد من بعد التثنية إلى الإفراد ؛ وذلك أنه لم يقل كلاهما قد أقلعا وأنفه راب فيكون ما أنكرناه ، لكنه قد أعاد كلاً أخرى غيرَ الأولى فعاملَها على لفظها . ولم يقبح ذلك لأنَّه قد فرغ من حديث الأولى ثم استأنف من بعدها أخرى ، ولم يجعل الضميرين عائدين إلى كلا واحدةٍ . وهذا كقولك : من يقومون أكرِمُهم ومن يقعدُ أضربه(٣) . ولا يحسن ﴿ وَمِنهُمْ مَنْ يَستَمِعُ إِلَيْكَ حتى إذا خرجُوا من

(١) وكذا فى بعض أصول الخصائص ٢ : ٤٢١ . والوجه ما فى سائر أصول الخصائص : « كانا أعليين اثنين » .

(٢) هو الفرزدق . ديوانه ٣٣ ونوادر أبى زيد ١٦٢ .

(٣) بعده فى الخصائص : « فتأتى بمن الثانية فتعاملها على ما تختار مما يجوز مثله » .

عِندِكَ(١) ﴾ لما ذكرناه . وهذا واضح فاعرفه . انتهى .

وهذا مأخوذ من كلام أبي على (في المسائل البغداديات) وقد بَسط القول على هذا البيت ، فلا بأس بإيراد كلامه قال : فأما قوله : جونتا مصطلاهما ، فقد قدَّره سيبويه تقدير حسنةُ وجهِها وجعل قياسه كقياسه ، وكان حكمه عنده — إن أجراه على الأصل دون الحذف — أن يقول : جارتا صفاً جونٌ مصطلاهما فيُجرى جونٌ على الجارَتَين فيرتفع بجَرْيه عليهما ، لأنّهما مرفوعتان ، ثم يرتفع المصطلى بجون ويعود ضمير التثنية على الجارَتين ، فيكون كقولك الهندان حسنٌ ثوبُهما وهند حسنٌ وجهُها . وإن أجراه على الحذف دون الأصل أن يقول: أقامتْ على ربعيهما جارتا صفاً جونتا المصطلَيات ، فيمن قال الهندان حسنتا الوجوه ، وفيمن قال صفا رحلَيهما ، جونتا المصطليين ، فيصير كقولك الهندان حسنتا الثوبين . فلم يستعمله على الإتمام والأصل ، ولا على الاختصار والحذف ، ولكن جعله كقولك هذه امرأة حسنة وجهها ، فثنّي الجونَة وهما وَصْفا الجارتين وأضافه مثنًى إلى المصطلى ، وهو هما في المعنى ، إلاّ أنه وضع الواحد موضع الجمع فيمن قال حسان الوجوه ، وموضع التثنية فيمن قال صفا رحلَيهما ، وهو المصطلى ، ألا ترى أنّ لكل واحدة من الجارتين مُصطلى . وإنْ وجَّهته على أنّ المصطلى يكون جميع ذلك،وأحد لم يضع واحداً موضع جمع ، ثم أضاف مصطلى

(١) الآية ١٦ من سورة محمد أو القتال . وفي النسختين والخصائص كذلك : « من يستمعون » ، وهو تحريف في الكتاب واجب اصلاحه ، وهو مع ما فيه غير صالح للاستشهاد . ومن عجب ألا يتنبه ابن جني ولا البغدادي ولا محقق الخصائص غفر الله لهم . على أنه من أمانة النقل أن أذكر أن في بعض نسخ أصول الخصائص : « حتى اذا خرج » .

إلى ضمير الجارتين كما أضاف الوجه فى قوله هذه امرأة حسنةُ وجهِها إلى ضمير المرأة بعد إضافة حسن الذى هو الوجه فى المعنى إلى الوجه . فعلى هذا وضع سيبويه هذا البيت . وقد يحتمل غير ما تأوّله ، وهو ما ذكره بعضهم : من أنّ الشاعر إنّما رد الضمير المثنّى فى قوله مصطلاهما إلى الأعالى ، لأنه فى الحقيقة اثنان ، وهذا مثل قوله :

رأتْ جبلاً فوقَ الجِبال إذا التقت رءوسُ كبيريهنّ ينتطحانِ ٢٠٢

ولستُ أعرفُ مَن قائلُ هذا القول ، إلا أنَّه ليس بممتنع . ويخرج الكلام به من أن يكون على قولك هند حسنةُ وجهِها ، لأنَّ الضمير المثنّى على هذا فى قوله مصطلاهما ، ليس يرجع إلى الجارتين ، إنّما يرجع إلى الأعالى ، لأنَّ الأعالى وإن كان مجموعاً فى اللفظ فهو اثنان فى المعنى ، فحمله على ذلك ، فكأنه قال جونتا مصطلاهما الأعالى . وإذا كان كذلك لم يكن على حسنة وجهها ، لأنّ الجونة لم تضف إلى اسم يتّصل به ضمير يعود إلى الجارَتَين كما يعود مِن الاسم الذى بعد الصفة فى قولك هند حسنةُ وجهِها ضميرٌ يعود إلى هند ، لكون الضمير العائد إلى الجارتين محذوفاً ، كما أنَّ الضمير من هند حسنة الوجه ودعد حسنة وجه الأب محذوف ، فلذلك أنّث جونة من قوله جونتا مصطلاهما ، كما أنّث حسنة فى قولك هند حسنة الوجه ، لأنه لم يعُدْ فيه إلى هند ضمير . وقياس هذا إذا رفع الاسم بالصفة ولم تضف الصفة إلى ما هو فاعلها فى المعنى كحسنٌ وجهٌ وحسنٌ الوجهُ ، أن يقال جارتا صفاً جونٌ مصطلاهما أعاليهما أو أعليهما ، فمصطلاهما فى موضع رفع مثل قولك هاتان امرأتان حسنٌ غلام أبويهما . وعَيب هذا القول الذى قاله هذا القائل ، هو أنّ التثنية حملت على أنها جمع ، وذلك بعيد ، لأنا وجدناهم يجعلون الاثنين على لفظ الجمع فى نحو

قوله عز وجل : ﴿ إذ تسوّروا المِحراب[1] ﴾ و ﴿ قد صَغَتْ قُلوبُـكما[2] ﴾ وبابِه ، ولم نرهم يجعلون لفظ التثنية للجمع . إلا أنه لا يمتنع ذلك فى هذا الموضع ، لأن المجموع الذى هو قولنا الأعالى هنا اثنان فى الحقيقة ، فحمـله على المعنى ، أو استعمل اللغتين اللتين فى نحو هذا جميعاً ، فحمل الأول على قوله : ﴿ فقَدْ صَغَتْ قُلوبُـكما ﴾ والثانى على صفا رحليهما . وليس ذلك بحسن ، لأنّ الراجع أن يكون على لفظ المرجوع إليه أحسن ، إلا أنّ ذلك لا يمتنع . ففى هذا التأويل تخليص للشعر من عَيب وإدخاله فى عيب آخر . انتهى كلام أبى على .

ومثله لابن السَّرَّاج (فى الأصول) قال : وقد حكى سيبويه أن بعضهم يقول زيد حسنُ وجهِه شبّهوه بحسن الوجه ، واحتج بقوله جونتا مصطلاهما ، فجعل المصطلى ههنا فى موضع خفض والهاء والميم راجعة إلى الاثنتين وهما جارتا صفا . وكان حقّه أن يقول جونتا المصطلين . وقال غيره : ليس للمعنى على هذا والهاء والميم ترجع إلى الأعالى وإن كانت جمعاً ، لأن معناها معنى اثنين ، وإنما جمعت لأنّها من اثنين كما قال :

* ظهراهما مثلُ ظُهور التُرْسَين[3] *

فـكان معنى الشعر مصطلى الأعالى . ونظير هذا : هند فارهة العبد حسنة وجهِه . تريد حسنة وجه العبد . ولو قلت حسنة وجهها كنتَ قد أضفتَ الشىء إلى نفسه . وسيبويه إنّما ذكر هذا البيت على ضرورة الشاعر والغلط عندى . ثم قال (فى آخر الـكتاب ، فى ذكر ما جاء كالشاذّ الذى لا يقاس عليه) : وهو سبعة ، منه تغيير وجه الأعراب للقافية تشبيهاً بما يجوز : قال : وممّا يقرب من

(١) الآية ٢١ من ص .

(٢) الآية ٤ من التحريم .

(٣) لخطام المجاشعى ، كما سبق فى ٢ : ٣١٤ .

هذا قوله جونتا مصطلاهما ، وإنما الكلام المصطلين ، فردّه إلى الأصل في المعنى ، لأنك إذا قلت : مررت برجل حسن الوجه فمعناه حسن وجهه ، فإذا ثنيت قلت مررت برجلين حسنَي الوجه ، فإن رددته إلى أصله قلت برجلين حسن وجوهُهما . فإذا قلت وجوههما لم يكن فى حسن ذكرٌ مما قبله ، وإذا أتيت بالألف واللام وأضفت الصفة إليها كان فى الصفة ذكر الموصوف . ٢٠٣ فكان حق هذا الشاعر لما قال مصطلاهما أن يوحّد الصفة فيقول جون مصطلاهما . انتهى

فقد بانَ لك مما نقلنا عنهم ، وهم أرباب النقد فى هذا العلم ، أن الرادّ على سيبويه ليس المبرّد ، لاسيما أبو على فإنه قال : لا أعرف قائل هذا القول . والشارح المحقق قال هو المبرّد . وفوق كلّ ذى علم عليم . والله أعلم .

وقد تكلَّم على هذا البيت فى باب الصفة المشبّهة أيضاً وقال : كلام المبرّد تكلّف ، والظاهر مع سيبويه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى بعد الثلثمائة[1] :

٣٠١ (رَحيبُ قِطابِ الجَيبِ مِنْها رَفيقةٌ بِجَسِّ النَّدامَى بَضَّةُ المُتَجَرَّدِ)

على أن إضافة (رَحيب) إلى (قِطاب) فى حكم إضافة جَوْنَتا إلى مصطلاهما ، فى القبح . قال السِّيرافىّ : ومما يدخل فى هذا النحو قول طرَفة : « رحيب قِطابِ الجيب » البيت ، وهذه الإضافة رديئة بمنزلة حسنة وجهها ، وذلك أنَّ الأصل وهو الإنشاد الصحيح : « رحيبٌ قطابُ الجيبِ » بتنوين رحيب ، فقطاب يرتفع برحيب وضمير منها يعود إلى الأول ، فإذا أضفنا

(١) اللسان (قطب) .

رحيب فقد خلا منه الضمير العائد ، فلا معنى لمنها على مابيّنّا فى حسنة الوجه ، وكذلك لا يحسن أن تقول زيد حسن العين منه . انتهى .

احب الشاهد — وهذا البيت من معلقة طرَفة بن العَبْد ، وقبله :

(نداماىَ بِيضٌ كالنُّجوم وقَيْنَةٌ ... تَرُوحُ علينا بين بُرْدٍ ومُجْسَدِ

رحيب قطاب الجيب منها — البيت —

إذا نحن قلنا أسمعينا انبرتْ لنا ... على رِسْلِها مَطْروفةً لم تَشَدَّدِ

إذا رَجَّعت فى صوتها خِلْتَ صوتَها ... تَجاوبَ أظآرٍ على رُبَعٍ رَدِى

ومازال تَشْرَابِى الخُمورَ ولَذَّتى ... وبَيْعى وإنفاقى طَرِيفى ومُتْلَدِى

إلى أن تَحامتنى العَشيرةُ كُلُّها ... وأُفْرِدْتُ إفرادَ البَعيرِ المعبَّدِ

رأيتُ بَنى غَبْراء لا ينكروننى ... ولا أهْلُ هذاكَ الطِّرافِ الممدَّدِ)

قوله : « نداماىَ بيضٌ الخ » النَّدامى : الأصحاب ، يقال فلانٌ نديمُ فلان إذا شارَبه ، وفلانةُ نديمة فلان . ويقال ذلك أيضاً إذا صاحبه وحدَّثه وإن لم يكونوا على شراب . قال أبو جعفر : سمِّى النَّديم نديماً لنَدامة جذيمةَ الأبرشِ حين قَتل مالكاً وعَقيلاً ابنى فارج ، اللذين أتيا بعمرو ابن أخته فسألاه أن يكون فى سَمَره فوجدَ عليهما فقتلهما وندم ، فسمِّى كل مشارب نَديما . وواحدهم نَدْمانٌ ونديم ، والمرأة نَدْمانة ونديمة ، ويقال من الندم نَدمانُ وندْمى . وقوله : بيض كالنجوم ، أى هم ساداتٌ مشاهيرُ كالنجوم . وقوله : وقينة ، معطوف على بيض . والقَينة : المغنِّية ، وكلُّ أمَة قينة ، وإنما قيل لها قينة لأنَّها تعمل بيديها مع غِنائها ، والعرب تقول لكلٍّ من يصنع بيديه شيئاً قَين . ومعنى تروح علينا تجيئنا عَشِيًّا . وروى : « تروح إلينا » . والبُرْد : ثوبُ وَشيٍ . ومُجْسَد ، هو بضم الميم وسكون الجيم وفتح السين ،

قال الأعلم (فى شرح المعلّقة) المُجْسَد : المصبوغ بالزعفران المشْبَع . والجَساد ، بالفتح : الزعفران . وقال ابن السكّيت (فى شرح ديوانه) : المُجْسَد : الثوب ٢٠٤ الذى يلى الجسد ، وهو الشِّعار . والمعنى على الأول تأتينا بالعشىّ تارة وعليها بُردٌ ، ومرّةً وعليها ثوب مصبوغ بالزعفران . والمعنى على الثانى تأتينا وعليها هذان الثوبان.

وقوله : « رحيب قطاب الجَيبِ الخ » روى بإضافة رحيب إلى قطاب وتقدّم بيان ضعفه ، وروى تنوين رحيب ورفع قطاب وهو الإنشاد الثابت الصحيح ، فيكون رحيب صفة سببيةً لقينة ، فيكون الرحب وصفاً للقينة فى اللفظ ووصفاً لقطاب الجيب فى المعنى ، لأن المعنى رَحُبَ قِطابُ جيبها ، أى اتَّسع . وضمير منها للقينة . وقِطاب الجيب ، بالكسر : مجتمعه حيث قُطب أى جمع ، وهو مخرج الرأس من الثوب . والرحيب : الواسع ، وإنّما وصَفَ قِطابَ جيبها بالسَّعة لأنّها كانت توسِّعه ليبدوَ صدرها فينظر إليه ويتلذَّذ به . وليس المعنى أنَّ عنقها واسع فيحتاج إلى أن يكون جَيبها واسعاً - كما توهمه أبو جعفر النحوى والخطيب التبريزي - فإنَّ هذا الوصف ذم . وقوله : رفيقة ، بفاء وقاف من الرفق ، وهو اللِّين والملاءمة . وروى رَقيقة بقافين من الرقَّة وهو ضدّ الغلظة . والجَسّ ، بفتح الجيم : اللمس ، أى لمس أوتار اللهو . أى استمرت على الجسّ فهى رفيقة به حاذقة . وقيل جسّ الندامى ما طلبوا من غنائها ، وقيل جسّ الندامى هو أن يجسُّوا بأيديهم فيلمسوها تلذذاً كما فسّرنا أوّلا ، كما قال الأعشى :

* لجسِّ النَدامى فى يد الدِّرع مَفْتَقُ[1] *

---

(١) صدره فى ديوان الأعشى ١٤٧ :

* ورادعة بالمسك صفراء عندنا *

وكانت القينة يُفتَق فتيقٌ فى كُمِّها إلى الإبط ، فإذا أراد الرجل أن يلمس منها شيئاً أدخل يده فلمس . والدِّرع : قميص المرأة ، ويده : كمّه . وروى : « لجسّ النَّدَامى » باللام موضع الباء . والبَضَّة بفتح الموحدة وتشديد الضاد المعجمة : البيضاء الناعمة البدَن الرقيقة الجلد . والمتجرَّد ، على صيغة اسم المفعول : ما ستره الثِّياب من الجسد . يقول : هى بضَّة الجسم عند التجرُّد من ثيابها والنظر إليها .

وقوله : « إذا نحنُ قُلْنا الخ » أَسمِعينا أى غنِّينا . وانبرت ، اعترضت وأخذت فيما طَلبنا من غنائها . ورِسْلها ، بالكسر بمعنى هِينتها ورِفقها ومَهَلها . ومَطروفة ، بالفاء : الفاترة الطَّرْف ، أى كأنَّ عينها طُرِفت فهى ساكنة . وقيل إنَّ معناه تُحِدُّ النظرَ بطرفها . وهذا ليس بشىء . وروى : « مطروقة » بالقاف ، ومعناه مسترخية ليِّنة . وهو حال من فاعل انبرت . ولم تَشدَّد ، أصله تتشدَّد بتاءين ، أى لم تجتهد وإنما غنَّت ما سهُل عليها .

وقوله : « إذا رجَّعت فى صوتها » ، الترجيع : ترديد الصوت . والأَظآر : جمع ظِئْر وهى التى لها ولد . ورُبَع ، بضمِّ الراء وفتح الموحَّدة : ولد الناقة . ورَدِى فعل ماض من الردَى وهو الهلاك . يقول : إذا طرَّبتْ فى صوتها وردَّدت نغماتها حَسبتَ صوتَها أصواتَ نُوقٍ تَحنُّ لهلاك ولدِها . شبَّه صوتَها بصوتهنّ فى التحزين . ويجوز أن يكون الأَظآر النساء والربعُ مستعاراً لِوَلدِ الإنسان ، فشبَّه صوتَها فى التحزين والترقيق بأصوات النوادب والنوائح على صبىٍّ هالك . وهذا البيت قلَّما يوجد فى هذه القصيدة .

وقوله : « ومازال تشرابى الخ » التَّشراب : الشرب ، وهو للتكثير . والطريف والطارف : ما اكتسبه الإنسان من المال . والمُتْلَد ، بصيغة اسم

المفعول ، وكذا التالد والتليد : المال القديم الذى ورثه عن آبائه . ومعناه ٢٠٥
المتولَّد والتاء بدل الواو .

وقوله : « إلى أن تحامَتْني الخ » أى تركَتْنى . والعشيرة : أهل بيت الرجل والقبيلة . والمعَبَّد ، بزنة اسم المفعول : الأجرب ، وقيل المهنوء الذى سقط وبره فأُفرِد عن الإبل . أى تُركتُ ولذَّاني .

وقوله : « رأيت بنى غبراء » غَبراء : الأرض ، وبنو غَبراء الفقراء ويدخل فيهم الأضياف . وأهلُ معطوف على الواو فى ينكرونَنِي . والطِّراف ، بالكسر : بناء من أدَم يكون للأغنياء . والممدَّد : المنصوب . يقول : إن هجرنى الأقارب وصلَتْنى الأباعدُ الفقراء والأغنياء ، فالفقراء لإنعامى عليهم ، والأغنياء لاستطابتهم صحبتى ومنادمتى .

وقد تقدَّم شرح أبيات [من] هذه القصيدة .

وترجمة طرفه تقدَّمت فى الشاهد الثانى والخمسين بعد المائة(١)

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى بعد الثلثمائة :

(إليكم ذَوِى آلِ النبيِّ تَطلَّعتْ نَوازِعُ مِنْ قلبى ظِماءٌ وألبُبُ(٢))

على أنَّ إضافة ذوى آل النبى من إضافة المسمَّى إلى الاسم ، أى يا أصحاب هذا الاسم . أراد بهذا الردَّ على من زعم أنَّ ذا فى مثله وكذا فى الأبيات الآتية زائد .

---

(١) ترجمة طرفة فى ٢ : ٤١٩ . وأما شرح الأبيات فهو فى ٣ : ١٥١ .

(٢) الخصائص ٣ : ٢٧ والمحتسب ١ : ٣٤٧ وابن يعيش ١ : ١٥٤ / ٣ : ١٢ ، ١٥٥ واللسان (لبب ٢٢٥)

وهذا كلُّه ملخَّص من كلام ابن جنّى (فى الخصائص وغيره) وإن موجودًا (في المفصّل وشروحه).

وجوّز أبو عليٍّ (فى الإيضاح الشعرى) أن يكون ذو زائدًا، وأن يكون على جعل الاسم المسمَّى على الاتساع، لمصاحبته له وكثرة الملابسة.

قال ابن جنى (فى المحتسب) عند قراءة ابن مسعود من سورة يوسف ﴿وفوقَ كلِّ ذِي عالمٍ عَليمٌ[1]﴾: تحتمل هذه القراءة ثلاثة أوجه:

أحدها أن تكون من باب إضافة المسمى إلى الاسم، أى فوق شخص يسمى عالما أو يقال له عليم[2]. وقد كثر عنهم إضافة المسمَّى اسمه، منه قول الكميت:

إليكم ذَوِى آل النبيِّ تَطلَّعَتْ نَوازِعُ من نفسى ظِماءٌ وألبُبُ

أى إليكم يا آل النبى، أى يا أصحاب هذا الاسم الذى هو آل النبى وعليه قول الأعشى:

فكذَّبوها بما قالت فصبَّحَهُم
ذُو آلِ حَسَّانَ يُزْجِى الموتَ والشُّرُعا[3]

أى صبَّحهم الجيشُ الذى يقال له آل حسان. وَهو بابٌ واسع تقصَّيناه (فى كتاب الخصائص).

والوجه الثانى: أن يكون عالم مصدرًا كالفالج و الباطل.

---

(١) الآية ٧٦ من يوسف. وانظر المحتسب ١ : ٣٤٦ ـ ٨ وتفسير أبى حيان ٥ : ٣٣٣

(٢) فى المحتسب: «يسمى عالما عليم».

(٣) ديوان الأعشى ٨٣ والخصائص ٣ : ٢٧.

والثالث : أن يكون على مذهب من يعتقد زيادة ذى . انتهى مختصرًا .

وقد ذكر ابن جنّى هذه الاضافة فى أكثر كتبه ، قال (فى إعراب الحماسة) عند قول طُفَيل الغَنوى :

وما أنا بالمستَنْكِرِ البينَ إنَّنى ... بذِى لَطَفِ الجيرانِ قِدْماً مُفَجَّعُ

هذا من باب إضافة المسمَّى إلى اسمه ، أى إنّنى بالشىء المسمّى بلطَف الجيران . ومثله بيت الشماخ :

* وأدرج دَرْجَ ذِى شَطَنٍ[1] *

أى دَرْج الشىء المسمَّى ذا شطَن أو بشَطَن . ومثله بيت الكميت :

إليكم ذوى آل النبى البيت

أى يا أصحاب هذا الاسم ، وأصحابه هم آل النبى صلى الله عليه وسلم فكأنّه قال : إليكم يا آل النبى ، وأمثاله كثيرة جدًّا قد ذكرناها فى غير موضع . ومن ذهب إلى زيادة ذى وذات فى هذا الموضع ذهب إلى زيادتها فى بيت طُفَيل هذا أيضا ، ومعناه فى التأويلين جميعًا أنّى بلطَفِ الجيرانِ أى بوصلهم مفجّع . ٢٠٦

وقال أيضا (فى أواخر إعراب الحماسة) عند قول الشاعر :

فلما رآنى أُبصِرُ الشَخْصَ أشخصاً ... قريباً وذا الشَّخْصِ البعيدَ أُقاربُهْ[2]

---

(١) قطعة من بيت له فى ديوانه ٦١ برواية :

أطار عقيقه عنه نسالا ... وأدمج دمج ذى شطن بديع

(٢) البيت لفرغان بن الأعرف ، فى نوادر المخطوطات ٢ : ٣٦١ ولم يرد فى الحماسة بشرح المرزوقى ١٤٤٥ لكنه ورد فى الحماسة بشرح التبريزى ٤ : ١٩ .

قريباً إن شئت ظرف أى من قريب ، وإن شئت حال ، أى أُبصِره مقارباً أشخُصاً ، معناه أبصره وأنا قريب منه أشخصاً . وقوله : وذا الشخص البعيدَ من باب إضافة المسمَّى إلى اسمه ، كقول الشماخ .. ، وقول الأعشى .. ، وقول الكميت . . ، وأنشد الأبيات الثلاثة ، ثم قال : ومعنى أقاربه ، أى أظنّه قريباً . ولو جرَّ البعيد هنا لم يجز ، لأنَّ الشخص فى هذا البيت اسمٌ لا مسمى . ولو قلت تمَّيته بزيد الظريف على هـذا لم يجز ، لأنّ الظرف لا توصف به الأسماء .

ثم قال : وقد دعاً خفاء هذا الموضِـع أقواماً[1] إلى أن ذهبوا إلى زيادة ذى وذا فى هذه المواضع ، وإنّما ذلك بعدٌ عن إدراك هـذا الموضع . انتهى .

وزاد (فى الخصائص) على ما ذكرناه أنَّ أبا على حدّثه أنّ أحمد بن إبراهيم أستاذَ ثعلب روى عنهم : هذا ذِ زيد ، أى هذا صاحب هذا الاسم الذى هو زيد .

وقد عقد لهذا باباً (فى الخصائص) وهو باب إضافة الاسم إلى المسمَّى والمسمَّى إلى الاسم[2] ، وأطال الكلام فيه وأطاب ، وقال : هذا موضع كان يعتاده أبو علىٍّ ويألفه ، ويرتاح لاستماله[3] ، وهو فصلٌ من العربيّة

(١) لم يرد هذا النص الأخير فى اعراب الحماسة نسخة مكتبة احمد الثالث ٢٠٢ ، لكنى وجدته فى الخصائص ٣ : ٢٩ . وفى النسختين : « وقد ادعى خفاء هذا الموضع أقوام » ، تحريف .

(٢) الخصائص ٣ : ٢٤ .

(٣) الكلام بعده الى آخر الفقرة ليس موضعه هنا ، بل موضعه فى آخر الباب ، فقدمه البغدادى عن موضعه .

غريب ، وقلّ من يعتاده أو ينظر فيه ، وقد ذكرته لتراه فتتنبهَّ على ما هو فى معناه إن شاء الله تعالى .

ثم قال : وفيه دليل يدلّ على فساد قول من ذهب إلى أنّ الاسم هو المسمَّى ، ولو كان إيَّاه لم تجز إضافة واحدٍ منهما إلى صاحبه ، لأنَّ الشيء لا يضاف إلى نفسه . قيل لأنّ الغرض من الاضافة إنَّما هو التعريف والتخصيص والشيء إنما يعرّفه غيره ، لأنّه لو كانت نفسه تعرّفه لما احتاج أبداً إلى أن يعرَّف بغيره ، لأنّ نفسه فى حالى تعريفه وتنكيره واحدة ، وموجودة غير مفتقَدة . ولو كانت نفسه هى المعرِّفة له أيضاً لما احتاج إلى إضافته إليها ، لأنّه ليس فيها إلا ما فيه ، فكان يلزم الا كتفاء به عن إضافته إليها ؛ فلهذا لم يأت عنهم نحو هذا غلامه[1] ، ومررت بصاحبه ، والمظهر هو المضمر المضاف إليه[2] ، هذا مع فساده فى المعنى ، لأنّ الإنسانَ لا يكون أخا نفسه ولا صاحبها .

فإن قلت : فقد تقول مررت بزيدٍ نفسه وهذا نفس الحقّ ، يعنى أنَّه هو الحقُّ لا غيره . قيل : ليس الثانى هو ما أضيف إليه من المظهر ، وإنَّما النفس هنا بمعنى خالص الشيء وحقيقته ، والعرب تُحلُّ نفسَ الشيء من الشيء محلَّ البعض من الكلّ ، ولهذا حكوا عن أنفسهم مراجعتهم إيَّاها وخطابهاَ لهم ، وأكثروا من ذكر التردّد بينها وبينهم . ألا ترى إلى قوله[3] :

---

(١) فى النسختين : « غلمانه » ، صوابه من الخصائص .

(٢) فى النسختين : « والمظهر والمضمر المضاف اليه » ، صوابه فى الخصائص .

(٣) هو أعرابى قتل أخوه ابنا له . الحماسة ٢٠٧ بشرح المرزوقى .

أقول للنفس تَأساءً وتَعزيةً إحدى يَدَىَّ أصابَتْنى ولم تُرِدِ

وقوله :

قالتْ له النفسُ تقدَّمْ راشدًا إنّك لا ترجع إلاّ حامدًا

وأمثال هذا كثير جداً ، وجميع هذا يدلّ على أنَّ نفس الشىء عندهم غير الشىء .

فإن قلت : فقد تقول هـذا أخو غلامه ، وهذه جَارِيةُ بنتها فتعرَّف ٢٠٧ الأول بما أُضيفَ إلى ضميره ، والذى أُضيف إلى ضميره إنّما تعرَّف بذلك الضمير ، ونفس المضاف الأول متعرِّف بالمضـاف إلى ضميره ، وقد ترى على هذا أن التعريف الذى استقرّ فى جارية من قولك هذه جارية بنتها ، إنّما أتاها من قِبَلَ ضميرها ، وضميرُها هو هى ، فقد آل الأمر إذاً إلى أنّ الشىء قد يعرِّف نفسه ، وهذا خلاف ما ركبتَه وأعطيتَ يدك به .

قيل : كيف تصرَّفت الحالُ فالجارية إنّما تعرّفت بالبنت ، التى هى غيرها ، وهـذا شرط التعريف من جهة الإضـافة ، فأما ذلك المضاف إليه أمضاف هو أم غير مضاف فغير قادح . والتعريف الذى أفاده ضمير الأول لم يعرِّف الأول ، وإنّما عرّف ما عرّف الأول ، والذى عرَّف الأوّل غيرُ الأوّل ، فقد استمرت الصفة وسقطت المعارضة .

ويؤكِّد ذلك أيضاً أنَّ الاضافة فى الـكلام على ضربين : أحـدهما ضمّ الاسم إلى اسمٍ هو غيره بمعنى اللام ، نحو غلام زيد . والآخر ضمُّ اسم إلى اسم هو بعضه بمعنى من ، نحو هذا ثوبُ خزٍّ . وكلاهما ليس الثـانى فيه بالأوّل . واستمرار هـذا عندهم يدلُّ على أن المضاف ليس بالمضاف إليه البتة . انتهى .

وقول الكميت : (ذوى آلِ النبى) هو منادى حذف منه حرف النداء، أى يا أصحاب هذا الاسم . وفيه من التفخيم ما ليس فى قولك يا آل النبى ؛ لأنه قد جعلهم أصحاب هذا الاسم ، ومن كان صاحب هذا الاسم فهو ممدوح . و (تطلَّعَتْ) أى تشوَّفت ، وبه يتعلّق قوله إليكم . وقدّمه للحصر ، أى أنا مشتاق إليكم لا إلى غيركم و (نوازع) : جمع نازعة ، مِن نزعت النفسُ إلى الشىء أى اشتاقت إليه ، ومثله نازعَتْ نُزوعاً ونِزاعاً بالكسر . وهذا كقولهم : جُنّ جُنونه . و (الظِماء) : العِطاش ، يقال ظمِئ ظمَأً بالهمز ، كعطش عطشاً وزناً ومعنى ، فهو ظمآن وهى ظمأى ، مثل عطشان وعطشى ، والجمع ظِمَاء كسهام . ووصف النوازع بالظماء للمبالغة فى قوّتها وشدّتها و (ألُبب) : جمع لُبّ بضمّ ، وهو العقل ، وهو شاذّ والقياس ألُبٌّ بالإدغام ، وهو معطوف على نوازع

وهذا البيت من قصيدة طويلة للكميت بن زيد — وقد تقدمت ترجمته فى الشاهد السادس عشر من أوائل الكتاب[١] — مدح بها آل بيت النبى صلى الله عليه وسلم ، وهى إحدى القصائد الهاشميّات ، وهى من جيِّد شعره .

صاحب الشاهد

وقد استشهد النحاة بأبيات من هذه القصيدة ، وهذا مطلعها مع جملة أبيات منها :

أبيات الشاهد

(طَرِبتُ وما شوقاً إلى البيض أطربُ ... ولا لعباً منّي، وذو الشيب يلعبُ ؟

ولم تُلهنى دارٌ ولا رسمُ مَنْزِلٍ ... ولم يَتطرّبْني بَنانٌ مخضّبُ

ولا أنا ممّن يزجرُ الطّيرَ همُّهُ ... أصاح غرابٌ أم تعرّضَ ثعلب

ولا السانحاتُ البارحاتُ عشيّةً ... أمَرَّ سليمُ القَرن أم مَرَّ أعضَبُ

---

(١) الخزانة ١ : ١٤٤ .

ولـكن إلى أهل الفضائل والنهى … وخيرِ بنى حَوَّاء والخيرُ يُطلب
إلى النَفَر البيض الذين بحبهم … إلى الله فيما نابنى أتقرَّب
بنى هاشم رهطِ النبيِّ وإننى … بهم ولهم أرضى مراراً وأغضَب
خفضتُ لهم منّي جَنَاحَ مَوَدَّتى … إلى كنف عِطفاهُ أهلٌ ومرحب
٢٠٨ بأىِّ كتابٍ أم بأيّة سُنَّةٍ … ترى حُبَّهمْ عاراً علىَّ وتَحسِبُ
ومالىَ إلاَّ آلَ أحمدَ شيعةٌ … ومالى إلاَّ مَشْعَبَ الحقِّ مَشعب
ومَنْ غيرهم أرضى لنفسى شيعةً … ومَنْ بعدهم ، لا ، مَنْ أجلُّ وأرحَب
إليكم ذوى آل النبيِّ تَطَلَّعتْ … نَوازعُ من قلبى ظِماء وألبُبُ
وَجدنا لـكم فى آل حاميمَ آيةً … تأوَّلها منَّا تقىٌّ ومُعرِبِ
فإنِّى على الأمر الذى تـكرهونه … بقولى وفِعلى ما استطعتُ لأجْنَبِ
يُشيرون بالأيدى إلىَّ وقولِهم … ألا خابَ هذا ، والمشيرون خُيَّبُ
فطائفةٌ قد أكفرتنى بحبِّهم … وطائفةٌ قالوا : مسىءٌ ومذْنب
يَعيبونَني مِن غَيِّهم وضَلالهم … على حبِّكم ، بل يَسخرون وأعجَب
وقالوا ترابىٌّ هواه ودينُه … بذلك أُدعى فيهم وأُلقَّب(١)
فلا زِلتُ فيهم حيثُ يَتَّهمونني … ولا زلت فى أشياعهم أتقلَّب
ألم ترنى فى حبِّ آل محمَّدٍ … أروح وأغدو خائفاً أترقَّب
كأنِّىَ جانٍ مُحدِثٌ وكأنَّما … بهم يتَّقى من خَشية العَرِّ أجرَبُ
على أىِّ جُرم أم بأيَّة سيرةٍ … أُعنَّف فى تقريظهم وأُؤنَّب
أناسٌ بهم عَزَّت قريشٌ فأصبحوا … وفيهم خِباء المـكرُمات المطنَّب(٢))

---

(١) ط : « وقالوا ترالى » ، صوابه فى ش .

(٢) ط : « وفيهم حباء » ، تحريف ، صوابه فى ش .

من أخبار الكميت

روى الأصبهانىُّ (فى الأغانى) بسنده إلى محمد بن على النوفلى عن أبيه أنه قال : الكميت بن زيد الشاعر كان أوَّلَ ما قال القصائدُ الهاشميَّات فستَّرها ، ثم أتى الفرزدقَ بنَ غالبٍ فقال له : يا أبا فِراس ، إنكَ شيخُ مُضَر وشاعرُها ، وأنا ابن أخيك الكميتُ بن زيد الأسدىّ . قال له : صدقت ، أنت ابنُ أخى فما حاجتك ؟ قال : نُفِثَ على لسانى فقلتُ شعراً فأحببتُ أن أعرِضَه عليك ، فإن كان حسناً أمرتَني بإذاعته ، وإن كان قبيحًا أمرتنى بستره وكنتَ أولى من ستره علىَّ . فقال له الفرزدق : أمَّا عقلُك فحسنٌ ، وإنِّى لأرجو أن يكون شعرك على قدر عقلك ، فأنشِدْنى ما قلت . فأنشده :

* طربتُ وما شوقاً إلى البيض أطرب *

قال : فقال لى : فيما تطربُ يا ابن أخى[1] ؟ فقال :

ولا لعباً منِّي وذو الشيب يلعبُ

قال : بلى يا ابن أخى ، فالعَبْ فإنَّك فى أوان اللعب . فقال :

ولم يُلْهِنى دارٌ ولا رسمُ منزلٍ (البيت)

قال : فما يطربك يا ابن أخى ؟ فقال :

ولا السانحاتُ البارحاتُ عشيَّةً (البيت)

فقال : أجل ، لا تتطيَّرْ . فقال :

ولكن إلى أهل الفضائل والنُّهى (البيت)

---

(١) ش : « فيما تطرب يا ابن أخى » . واثبات ألف ما الاستفهامية مع الجار جائز فى العربية . انظر المغنى والخزانة ٢ : ٥٣٧ بولاق فى الشاهد ٤٣٦ وحواشى البيان ٣ : ١٢٥ .

فقال : ومَن هؤلاء ويحك ؟ فقال :

إلى النفَرِ البيضِ الذين بحبِّهم (البيت)

فقال : أرحْني ويحك ، مَنْ هؤلاء ؟ فقال :

بني هاشم رهطِ النبيِّ فإنني (البيت)

فقال له الفرزدق : أَذِعْ أَذِعْ يا ابن أخي ، أنتَ والله أشعرُ مَن مَضى وأشعرُ مَن بقِي .

وعن عِكْرِمة الضَّبّي عن أبيه قال : أدركت الناس بالكوفة من لم يَروِ :

* طربت وما شوقًا إلى البيض أطرَبُ *

فليس بشيعيٍّ . ومن لم يَرْوِ :

* ذكرَ القلبُ إلفَهُ المهجورَا[1] *

فليس بأمويّ . ومن لم يرو :

* هلاّ عرَفت منازلاً بالأبرق[2] *

٢٠٩ فليس بمهلبيّ .

وقوله : طربتُ وما شوقًا الخ ، استشهد به أبوحيّان على تقديم المفعول له على عامله ، ردًّا على من منع ذلك ، فإنّ شوقًا مفعول له مقدَّم على عامله وهو أطرب . واستشهد به ابن هشام أيضا (فى المغنى) على أنَّ همزة الاستفهام لكونها أصلاً جاز حذفها سواء كانت مع أم أولا ، فإنّه أراد : أوَ ذو الشيب

---

(١) فى الأغانى ١٥ : ١١٧ :

ذكر القلب الفه المذكورا وتلافى من الشباب أخيرا

(٢) الذى فى الأغانى ١٥ : ١٩ : « هلا سالت منازلا بالأبرق » ، ولم يأت بعجزه .

يلعب ؟ والاستفهام إنكارى . وقال شارح السبع الهاشميّات : ذو الشيب خبر وليس باستفهام ، والمعنى لم أطرب شوقاً إلى البيض ، ولا طربت لعباً منّي وأنا ذو الشيب ، وقد يلعب ذو الشيب ويطرب وإنْ كان قبيحا به ، ولكنّ طرَبِي إلى أهل الفضائل والنُّهى .

وقوله : ولم يتطرّبْني الخ ، استشهد به الجوهريّ على أنّه يقال أطربه غيره وتطرّ به ، بمعنى أوجد فيه الطرب .

وقوله : ولا أنا ممن يزجر الطيرَ الخ ، همُّه فاعل يزجر والطير مفعوله . قال ابن الأثير (فى النهاية) : الزجر للطير هو التيمّن والتشاؤم بها والتفاؤل بطيرانها ، كالسانح والبارح ، وهو نوع من الكِهانة والعِيافة . انتهى . وقال ابن رشيق (فى العمدة[١]) : الغراب أعظم ما يتطيّرون به ، ويتشاءمون بالثور الأعضب وهو المكسور القرن . والسانح ما ولاّك مَيامنَه ، والبارح ماولاّك مياسره ، وأهل نجد تتيمَّن بالأوّل وتتشاءم بالثانى ، وأهل العالية على عكس هذا . وأنشد البيتين .

وفى السانحات جوّز الأخفشُ النصبَ للعطف على الطير .

وقوله : « ترى حبّهم عاراً الخ » استشهد به ابن هشام (فى شرح الألفيّة) على جواز حذف مفعولى باب ظن للدّليل .

وقوله : « ومالى الا آلَ أحمدَ الخ » استشهد به النحاةُ ، منهم صاحب الجُمَل[٢] على تقديم المستثنى على المستثنى منه . والمَشْعَب : الطريق ، يقول :

---

(١) فى باب من الزجر والعيافة . العمدة ٢ : ٢٠١ بتصرف .

(٢) انظر أيضا مجالس ثعلب ٦٠ والانصاف ٢٧٥ وابن يعيش ٢ : ٧٩ والشذور ٣٦٣ والعينى ٣ : ١١١ والتصريح ١ : ٣٥٥ والأشمونى ٢ : ١٤٩ .

مالى مذهب إلاَّ طريق الحقّ الذى هو حبُّ آل النبي وتفضيلهم صلى الله عليه وسلم .

وقوله : « وجدنا لكم » الخ آل حَم اسم للسُّوَر السبع التى أولها حَم ، ويقال لها أيضا الحواميم ، وأراد الآية التى فى حَمَعسق : ﴿ قُلْ لا أسألُكُمْ عليه أجراً إلاَّ الموَدَّةَ فى القُرْبَى[1] ﴾ يقول : من تأوّل هذه الآية لم يسعه إلاّ التشيُّع فى آل النبيُّ صلى الله عليه وسلم ،وإبداء المودّةلم على تَقِيَّةٍ كانت أو غير تَقِيَّة . وقوله : تقىٌّ ومُعْرِبُ ، قال الجوهرىّ : أعرب بحجّته إذا أفصح بهاولم يتّق أحداً . وأنشد هذا البيتَ ، ثم قال : يعنى المفصِحَ بالتفضيل والساكتَ عنه للتَّقِيَّة . وهذا البيت من شواهد سيبويه[2] ، أورده شاهداً لترك صرف حاميم لكونه وافق بناء ما لاينصرف من الأعجمية نحو قابيلَ وهابيلَ . قال الأعلم : جعل حاميم اسماً للكلمة ، ثم أضاف السوَر إليها كإضافة النسب إلى قرابة ، كما تقول آل فلان .

وقوله : * الم ترنى فى حبِّ آلِ محمدٍ * الخ

قال السيوطى فى (شرح أبيات المغنى[3]) : أخرج ابن عساكر عن محمدّ بن سهل قال: قال الكميت : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام وأنا مختفٍ فقال لى : ممَّ خوفُك ؟ فقلت : يارسول الله ، من بنى أمية . ثم أنشدته :

ألم ترنى من حبّ آل محمدٍ (البيت)

---

(١) الآية ٢٢ من الشورى .

(٢) سيبويه ٢ : ٣٠ واللسان (حمم ٤٠) .

(٣) شرح شواهد المغنى ص ١٤ .

فقال لى صلى الله عليه وسلم : «اظْهَرْ فقد أمَّنك اللهُ فى الدنيا والآخرة» .

وفى الأغانى للأصبهانى بسنده إلى إبراهيم بن سعيد الأسدى[1] عن أبيه قال : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال لى : من أىِّ الناس أنت ؟ قلت : من العرب . قال : من أىّ العرب ؟ قلتُ : من بنى أسد . قال : من أسد بن خزيمة ؟ قلت : نعم . قال : أهِلالىٌّ أنت ؟ قلت : نعم . قال : أتعرف الكميت بنَ زيد ؟ قلت : يا رسول الله ، عمِّى ومن قبيلتى . قال : أتحفظ من شعره شيئا ؟ قلت : نعم ، قال : أنشدنى : ٢١٠

* طربتُ وما شوقاً إلى البيض أطرَبُ *

قال : فأنشدته حتى بلغت إلى قوله :

فمالىَ إلا آل أحمدَ شِيعةٌ (البيت)

فقال لى : « إذَا أصبحت فاقرأْ عليه السَّلامَ وقل له : قد غفَرَ اللهُ لك بهذه القصيدة » .

وروى أيضــاً بسنده إلى دِعبل بن علىٍّ الخزاعىّ قال[2] : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال لى : مالك وللكميت بن زيد ؟ فقلت : يارسول اللهِ ، ما بينى وبينه إلاَّ كما بين الشعراء . فقال لى : لا تفعل ، أليس هو القائل :

فلا زِلتُ فيهم حَيثُ يتّهمُونَنى ولا زِلتُ فى أشياعهم أتقلّبُ

فإنّ الله قد غفر له بهذا البيت . فانتهيت عن الكميت بعدها .

---

(١) فى الأغانى ١٥ : ١١٩ : « ابراهيم بن سعيد الأسدى » .
(٢) الأغانى ١٥ : ١١٨ .

وروى أيضاً بسنده إلى نصر بن مُزاحِم المِنْقَرِيّ[١] أنه رأى النبيَّ صلى الله عليه وسلم فى النوم وبين يديه رجلٌ ينشده :

* منْ لقلبٍ مُتَيَّمٍ مستهامٍ[٢] *

قال : فسألت عنه فقيل لى : هذا الكميت بن زيد الأسدى . قال : فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « جزاك الله خيراً » . وأثنى عليه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث بعد الثلثمائة[٣] :

٣٠٣ (ألا قَبَحَ الإلَهُ بَنِى زِيادٍ وَحَىَّ أبيهمُ قَبْحَ الحِمارِ)

على أنّ لفظ (حىّ) من حىّ زيدٍ يستعمل فى التأكيد ، بمعنى ذاته وعينه وإنْ كان ميتّا ، بعد أن كان بمعنى ضدّ الميّت ، كما شرحه الشارح .

وكأنه فهم أنّ ما بعد حىٍّ فى البيتين ميّت فبنى كلامه هذا عليه ، وإلاّ فلم يقل به أحدٌ بل صرّح ابن السكّيت (فى كتاب المذكّر والمؤنّث) بأن مثل هذا لا يقال إلاّ والمضاف إليه حىٌّ موجود غير معدوم ، وأنشد هذين البيتين بعينهما وجعل لفظ حىٍّ مما يقع على المُذكر والمؤنّث ، لكن إذا كان المضاف إليه مؤنثاً فلابدّ من تأنيث فعله . قال : رأيت العرب قد أفردت مما يقع

---

(١) صاحب وقعة صفين ، وقد طبعت بالقاهرة بتحقيق كاتبه طبعتين سنة ١٣٦٥ وسنة ١٣٨٢ .

(٢) فى النسختين : « مشتاق » ، تحريف صوابه فى الأغانى ١٥ : ١١٩ والهاشميات ٠٢١ وهو صدر بيت هو مطلع قصيدة له وعجزه :

* غير ما صبوة ولا أحلام *

(٣) انظر الخصائص ٣ : ٢٨ واللسان (حيى ٢٣٣) .

على المذكر والمؤنث شيئاً لا يكادون يذكرون فعله ، ولفظه لفظ المذكر . من ذلك قولك : أتيتك وحيُّ فلانةَ شاهدة ، وحيكُ وحيُّ زيد قائم . ولم أسمع وحي فلانة شاهدٌ — أي بتذكير شاهد — وذلك أنَّهم إنما قصدوا بالخبر عن فلانة إذا كانت حيّة غير ميتة . انتهى .

ومثله لابن جنى (فى المحتسب) عند إنشاده هذا البيت قال : أى وقَبَح أباهم الحيَّ الذى يقال له أبوهم ، ومنه قول الآخر :

* وحيَّ بكرٍ طعنّا طعنةً بَجَرا[1] *

أى الإنسان الحيّ الذى يسمَّى بقولهم بكر .

وقال (فى الخصائص) : أى والشخص المسمَّى بكراً طعنا. فحى ههنا مذكر حية ، أى وشخص بكر الحى طعنا . ومثله قول الآخر[2] :

يا قُرُّ إن أباكَ حى خويلد . . . . . البيت[3]

أى إنّ أباكَ الشخصَ الحيَّ خويلدا . وكذلك قول الآخر :

ألا قَبَحَ الإله بَنى زياد . . . . البيت

أى أباهم الشخصَ الحيّ . وقال : وليس الحيّ هنا هو الذى يراد به القبيلة ، كقولك حيّ تميم وقبيلة بكر ، إنّما هو كقولك هذا رجلٌ حيٌّ وامرأة حيّة .

---

(١) فى الخصائص : « طعنة فجرى » . وفى بعض نسخها « بحرا » كما هنا .

(٢) هو جبار بن سلمى . نوادر أبى زيد ١٦١ والخزانة ٢ : ٦١٦ بولاق .

(٣) عجزه :

* قد كنت خائفهُ على الاحماق*

وجعل ابنُ جنّى هذه الإضافةَ من إضافة المسمّى إلى اسمه ، وبَيَّنها كما رأيت . وخالفه الشارح المحقِّق فجعلها من إضافة العامّ إلى الخاصّ .

٢١١ ومَن حكم بزيادة حيٍّ (كصاحب اللبّ) جعل الإضافة من قبيل إضافة الملغَى إلى المعتبر ، كما قال ابن عقيل (فى شرح التسهيل) .

وممّن ارتضى الزيادةَ الزمخشريُّ (فى المفصَّل) فإنه قال : قالوا : إنَّ الاسم مقحمٌ دخولُه وخروجه سواء ، وقد حُكِى عنهم حيُّ فلانة شاهدٌ ، بدون تأنيث الخبر . وتقدَّم طعنُ ابنِ السكيت فيه ، لكن يَرِدُ عليه ما أنشده أبو على (في الإيضاح الشعرى) من قول الشاعر :

* لو أنَّ حيَّ الغانِيات وَحْشا *

ومن العجب قول شارحه المظفّرى : لفظ حى زائد ومعناه الشخص ، فكأنك قلت هذا الشخص زيد ، فكما أنّ لفظ شخص زائد فكذلك لفظ حى . وقولُه بعد هذا : قيل ولا يضاف لفظ حى إلاّ بعد موت المضاف إليه ، صوابه إلاّ قبل موت المضاف إليه .

ومما ورد عن العرب من إضافة حيٍّ إليه ما قاله الشارح قبل هذا البيت بصفحةٍ « قالهنَّ حيُّ رباح » بإقحام حى . قال المظفّرى : يعنى سمع الأخفشُ أعرابيًّا أنشد أبياتاً فقيل له : من قال هذه الأبيات ؟ فقال : قالهنّ حيُّ رباح بزيادة حيّ ، أى قالهنّ رباح. انتهى . ورباح بكسر الراء بعدها باء موحّدة[1] .

---

(١) الميمنى : « هذا الضبط غلط شنيع منه ، فليس فى العرب رباح بالباء الموحدة الا مفتوح الراء ، ولا رياح بالياء المثناة من تحت الا كسورها . وهذا متعالم متعارف . راجع مشتبه النسبة للذهبى ٢١٢ . والذين مثلوا هنا ذكروه بالياء . راجع اللسان حيا » .

وهو مأخوذ من الإيضاح الشعرى لأبى على، قال حكى: أبو الحسن الأخفش فى أبيات أنه سمع من يقول فيها: قالمن حيُّ رباح. وأنشد:

أبو بحر أشـدُّ الناس منًّا علينا بعد حيٍّ أبى المغيره

صاحب الشاهد

وقوله: (ألا قبح الإله الخ) هذا البيت من جملة أبيات ليزيد بن رَبيعة بن مُفرِّغ الحميرىّ.

(ألا) هنا كلة يُستَفتح بها الكلام، ومعناها تنبيه المخاطب لسَماع ما يأتى بعدها، وجملة (قبح الإله) دعائيَّة، يقال قبحه الله يقبَحُه بفتح الموحَّدة فيهما، أى نحَّاه عن الخير. وفى التنزيل: ﴿هُمْ مِنَ المقبُوحِين[1]﴾ أى المبْعَدين عن الفوز. والمصدر القَبْح بفتح القاف، والاسم القُبْح بضمها يقال قَبْحاً له وقُبحاً أيضاً. والإله تقدّم أنه لا يجمع بين أل وهمزة إله إلاّ على القلّة لكون أل فى الله بدلا من همزة إله[2].

زياد بن أبيه

وزياد هو زِياد بن سُمَيّة، وهى جاريةٌ للحارث بن كَلَدَة الطبيب الثقفىّ، كان زوَّجها بعبدٍ له رومىّ اسمه عبيد، فولدت له زياداً على فراشه. وكان أبو سفيان سافر فى الجاهلية إلى الطائف قبل أن يسلم، فواقعها بواسطة أبى مريم الخمَّار، فيقال إنَّها علقت منه بزياد. ثم إنّ معاوية أحضر من شهد لزيادٍ بالنسب[3] واستلحقه بأبى سفيان، فقيل زياد بن أبيه، أى ابن أبى معاوية. ويقال له أيضاً زياد بن سُميّة، نسبةً إلى أمه. وهذه أول واقعة خولفت فيها الشريعة المطهَّرة علانية، لصريح قوله صلى الله عليه وسلم: « الولد للفراش

(١) الآية ٤٢ من القصص.

(٢) انظر الخزانة ٢: ٢٦٦ ـ ٢٦٩.

(٣) ط: « من شهد لمعاوية بالنسب »، صوابه فى ش.

وللعاهر الحجر » . وأعظمَ الناسُ ذلك وأنكروه ، خصوصاً بنى أمية لكونه ابنَ عبدٍ رومىّ صار من بنى أمية . وقيل فيه أشعارٌ ، منها قول يزيد صاحب البيت الشاهد :

ألا أبلغْ معاويةَ بنَ حربٍ مُغَلْغَلةً من الرجُل اليمانى[1]
أتغضبُ أن يقال أبوك عفٌّ وترضى أن يقال أبوك زانى
فأشهد إنَّ رِحْمَكَ من زيادٍ كرحم الفِيل من وَلد الاتانِ
وأشهدُ أنّها ولدت زياداً وصخرٌ من سُمَيَّة غير دانى

وقصة الاستلحاق مفصَّلة فى التواريخ .

٢١٢ قال أبو عُبيد البكرى (فى شرح أمالى القالى[2]) : كتاب المثالب لأبى عبيدة أصله لزياد بن أبيه ، فإنَّه لما ادَّعى أبا سفيان أباً ، علِم أنَّ العرب لا تقرُّ له بذلك مع علمهم بنسبه ، فعمل كتاب المثالب وألصق بالعرب كلَّ عيب وعار وباطل وإفك وبَهْت . انتهى .

وبنو زيادٍ المشهورُ منهم : عبّاد وَلىّ سِجِسْتان وما والاها ، ومنهم عبيد الله بن زياد الشقىّ الخبيث ، قاتل الحسين بن على رضى الله عنهما .

---

(١) نسبة الأبيات الى يزيد بن مفرغ فى الشعراء ٣٢٢ والموشح ٢٧٣ . وفى الأغانى ١٢ : ٧١ : « والناس ينسبونها الى ابو مفرغ لكثرة هجائه لزياد ، وذلك غلط » . ونسبتها الى عبد الرحمن بن الحكم أخى مروان بن الحكم فى الحيوان ١ : ١٤٦/٧ : ٢٣٥ والأغانى . وجاء فى شفاء الغليل للخفاجى ١٧٣ « كرحم الفيل من ولد الأتان » وقال : « هذا فى شعر للكميت » . ونسبت الى عبد الرحمن بن حسان فى العقد ٦ : ١٣٢ .

(٢) اللآلىء ٨٠٧ . وهذا ايجاز من البغدادى ، فأن البكرى ساق بعد ذلك سلسلة من كتب الشعوبية .

وقوله : (وحيَّ أبيهم) معطوف على بَنِى ، أى وقبح الله أباهم زياداً .
وقوله (قَبْح الحمار) هو بفتح القاف مصدر تشبيهيّ ، أى قَبَحهم الله قبْحاً مثل قبح الحمار . وإنّما ذكر الحمار لأنه مَثَلٌ فى المذلّة والاستهانة به ، ولأنّ صوته أنكر الأصوات وأبشعُها .

يزيد بن مفرغ

ويزيد شاعر إسلامى من شعراء الدولة الأمويّة ، وهو أبو عثمان يَزيد بن رَبيعة بن مُفرِّغ بن ذى العشيرة بن الحارث ، وينتهى نسبه إلى زيد بن يحْصُب الحِميرىّ ، وقال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : هو يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميرىّ، حليف لقريش ، ويقال إنه كان عبداً للضحاك بن يغُوث الهلالى فأنعم عليه . انتهى .

ومُفرِّغ بكسر الراء المشدَّدة : لقب جده ، سمِّى به لأنّه راهن على شرب سِقاءِ لبن ، فشربَه حتّى فرّغه ، فسمّى مفرِّغاً . وقال النوفلىّ : كان حدّاداً باليمن فعمل قُفْلاً لامرأةٍ وشرط عليها عند فراغه منه أن تجيئه بكَرِش من لبن ، ففعلت فشرب منه ووضعه ، فقالت: رُدَّ على الكرش ، فقال : ماعندى ما أفرّغه فيه . قالت : لا بد من ذلك . ففرّغَه فى جوفه فقالت : إنك لمفرِّغ . فعرف به .

وكان السبب فى هجو زياد وبنيه ، هو ما رواه الأصبهانى (فى الأغانى[1]) أنَّ سعيد بن عثمان بن عفان لما ولى خراسان استصحب ابنَ مفرِّغ فلم يصحبه ، وصحب عبَّاد بن زياد ، فقال له سعيد بن عثمان : أمّا إذْ أبَيتَ صُحبتى واخترت عبّاداً عليَّ فاحفظْ ما أوصيك به : إنَّ عباداً رجلٌ لئيم ، فإياك والدَّالّةَ عليه وإن دَعاك إليها من نفسه ، فإنّها خُدعَةٌ منه لك عن نفسك ، وأقلِلْ

(١) الأغانى ١٧ : ٥٢ .

زيارته فإنَّه مَلول ، ولا تفاخره وإنْ فاخرك ، فإنَّه لا يحتمل لك ما كنتُ أحتمله . ثم دعا سعيدٌ بمالٍ فدفعه إليه وقال : استعن بهذا على سفرك ، فإن صلَح لك مكانك من عَبّادٍ ، وإلاّ فمكانك عندى مُمهَّد . ثم سار سعيد من خراسان ، ولما بلغ عُبيدَ الله بن زياد صحبةُ ابن مفرِّغ أخاه عَباداً شقَّ عليه ، فلما سار عَباد إلى سجستان أميراً عليها شيّعه عبيد الله ، وشيَّعه الناس ، فلما أراد عبيد الله أن يودِّع أخاه دعا ابنَ مفرِّغ فقال له : إنك سألت أخى عَباداً أن تصحبه فأجابك إلى ذلك ، وقد شق علىّ ! فقال ابن مفرِّغ : ولِمَ أصلحك الله ؟ فقال : لأنَّ الشاعر لا يُقنعه من الناس ما يُقنع بعضَهم من بعض ، لأنَّه يظُنّ فيجعل الظنَّ يقيناً ، ولا يَعذِر فى بعض العذر[1] ؛ وإنّ عبّاداً يقدَم على أرض حَربٍ فيشتغل بحروبه وخَراجه عنك ، فلا تعذِرُه فتُكسِبُنا عاراً وشرًّا ! فقال : لستُ كما ظنَّ الأمير ، وإنَّ لمعروفه عندى شكراً كثيراً[2] ، وإنَّ عندى إنْ أغفلَ أمرى عذراً ممهَّداً . قال : لا ، ولكن تضمن لى إن أبطأ ما تحبّه ألا تعجل عليه حتّى تكتب إلىّ . قال : نعم . ثم إنَّ عبّاداً لما قدم سجستان اشتغل بحروبه فاستبطأه ابن مفرِّغ ولم يكتب إلى عبيد الله كما ضمن له ، ولكن بسط لسانَه وهجاه ـ وكان عبّادٌ عظيمَ اللحية[3] ، فسار ابن مفرِّغ يوماً مع عبّاد فدخلت الريحُ فيها فنفَشتْها ، فضحك ابن مفرِّغ وقال لرجل من لخم كان إلى جانبه :

ألا ليتَ اللحى كانت حشيشا ... فنعْلِفها دوابَّ المسلمينا[4]

---

(١) الأغانى : « فى موضع العذر » .
(٢) الأغانى : « لشكرا كثيرا » .
(٣) بعده فى الأغانى : « كأنها جوالق » .
(٤) الرواية المعروفة : « خيول المسلمينا » كما فى الأغانى وبعض أصول الشعراء ٢١٠ ليدن ، وفى بعضها الآخر : « دواب » كما هنا ، وتقرأ بتخفيف الباء .

فسعى به اللخمىّ إلى عبّاد فغضب من ذلك وقال : لا نجعلُ عقوبته فى هذه الساعة مع صحبته لى ، وما أؤخرها إلاّ لأشفِىَ نفسى منه ، فإنّه كان يقوم ويشتم أبى فى عِدّة مواطن . وبلغ الخبرُ ابنَ مفرِّغ فقال : إنى لأجد ريحَ الموت عند عبّاد ! ثم دخل عليه فقال : أيها الأمير ، إنى كنتُ مع سعيدِ بن عثمان ، وقد بلغك رأيه فىّ ، ورأيتَ جميل أثره علىّ ، وإنى اخترتك عليه فلم أحظَ منك بطائل(١) ، وإنّى أُريد أن تأذن لى فى الرجوع . فقال له : إنّى اخترتك كما اخترتَنى ، واستصحبتُك حين سألتنى ، فقد أعجلتَنى عن بلوغ محبَّتى فيك ، وقد طلبتَ الإذنَ لترجع إلى قومك فتفضحَنى عندهم ، وأنت على الإذن قادرٌ بعد أن أقضىَ حقّك . فأقام وبلَغَ عباداً أنّه يسبّه وينال من عِرضه . وأجرى عبّادُ الخيلَ يوماً فجاء سابقا ، فقال ابن مفرِّغ :

سَبَقَ عبّادُ وصَلّتْ لحيتُه وكان خرّازاً تجودُ قِربتُه(٢)

قال المدائنى : لما بلغ عبّاداً هذا الشعر دعا به والمجلس حافل ، فقال له : أنشدنى هجاء أبيك الذى هُجى به . فقال : أيُّها الأمير ، ما كُلِّف أحدٌ قطُّ مثلَ ما كلّفتَنى به ! فأمرَ غلاماً عَجميًا(٣) أن يصبَّ على رأسه السوط إن لم يُنشد ، فأنشده أبياتًا هجى بها أبوه أوّلها :

قَبحَ الإلهُ ولا أقبح غيره وجهَ الحمار ربيعةَ بنَ مفرِّغِ(٤)

---

(١) فى الأغانى : « فلم أحلَ منك بطائل » .
(٢) فى الشعراء : « تجور قربته » . وصلت لحيته : تبعته . والسابق الأول من الخيل ، والمصلى : الثانى .
(٣) كذا فى النسختين . وفى الأغانى ١٧ : ٥٤ : « أعجميا » .
(٤) فى الأغانى : « ولا يقبح غيره » .

وجعل عبّاد يتضاحك به ، فخرج ابن مفرِّغ وهو يقول : والله لا يذهب شَتْم شيخى باطلا(١) .

فطلب عليه العِلَل ودسَّ إلى قوم كان لهم عليه ديون أن يقتَضُوا مالهم عليه ، ففعلوا فحبسه وضربه ، وأمر ببيع سلاحه وخيله وأثاثه ، وقسَّم ثمنها بين غُرَمائه ، ثم بعث إليه أن بِعْني الأراكة وبُرْداً ، وكانت الأراكة قينة لابن المفرِّغ وبُرْدٌ غلامه ، ربّاهما وكان شديد الضنِّ بهما ، فبعث إليه ابنُ مفرِّغ : أيبيع المرء نفسَه أو ولده ؟ ! فأضرَّ به عباد حتَّى أخذهما منه ، وقيل اشتراهما رجلٌ من أهل خراسان ، فلما دخلا منزله قال له برد — وكان داهية أديباً(٢) — : أتدرى ما شرَيتَ ؟ قال : نعم ، شريتك وهذه الجاريةَ . قال : لا والله ، ما اشتريتَ إلا العارَ والدَّمار وفضيحةَ الأبد ! فجزع الرجل وقال : كيف ذلك ويلَك ؟ قال : نحن ليزيد بن المفرِّغ ، وما أصاره والله إلى هذه الحال إلاَّ لسانُه وشَرُّه ، أفتراه يهجو عبّاداً وهو أمير سجستان ، وأخاه عبيد الله وهو أمير العراقين ، وعمّه معاوية وهو الخليفة ، ويمسك لسانَه عنك وقد ابتعتنى وأنا مثلُ ولده ، وهذه الجارية وهى نفسُه التى بين جنبيه ؟ ! فوالله ما أدرى أحداً أدْخل بيتَه أشأمَ على نفسه وأهله ممَّا أدخلتَه منزلَك ! فقال : أشهد أنَّكما له ، إن شئتما امضيا إليه ، وإن شئتما تكونا له عندى .

---

(١) مقتبس من قول امرىء القيس :

والله لا يذهب شيخى باطلا حتى أبير مالكا وكاهلا

وما بعده من الخبر فى الأغانى ١٧ : ٥٣ من رواية عمر بن شبة ، وابن الأعرابى ، ولقيط بن بكير .

(٢) وكذا فى الأغانى ، بالدال المهملة ، لا أريبا بالراء .

قال[١] : فاكتب إليه بذلك . فكتب إليه بذلك ، فكتب إليه ابن مفرّغ يشكر فعلَه ويسأله أن يكونا عنده حتى يفرّج الله عنه .

وفى بيعهما قال — وذكر تركَه سعيدَ بنَ عثمان[٢] — :

أصرَمتَ حبلَكَ من أمامَهْ	مِن بعد أيامٍ بِرامَهْ
ورَمَقتَها فوجدتَها	كالضلع ليس لها استقامه
لهفى على الرأى الذى	كانت عواقبه ندامه
تركى سعيداً ذا الندَى	والبيتِ ترفعه الدّعامه
ليثاً إذا شهد الوغَى	تَرَكَ الهوى ومضى أمامَه
فُتحتْ سَمَرقندٌ له	فبنَى بعَرصَتها خِيامَه
وتبعتُ عبدُ بنى عِلا	جٍ ، تلك أشراطُ القيامه
جاءت به حَبشيّةٌ	سَكّاء تحسبها نَعامه
مِن نسوةٍ سودِ الوجو	هِ ترى عليهنَّ الدّمامه
وشرَيتُ برداً ليتَني	من بَعد بُردٍ كنتُ هامه
أو بومةً تدعو صدًى	بين المشقَّر واليَمامه
فالريح تبكى شجوَها	والبرْق يلمعُ فى الغمامه
والعبدُ يُقرع بالعصا	والحرُّ تكفيه الملَامَه

٢١٤

وقوله : وشريت برداً البيت ، استشهد به صاحب الكشّاف عند قوله

(١) ط : « قالا » ، صوابه فى ش والأغانى .

(٢) الأغانى ١٧ : ٤٥ وأمالى الزجاجى ٤٢ بتحقيق كاتبه ، والوفيات ٢ : ٢٩٠ والشعراء ٣٢١ .

تعالى : ﴿ الذينَ يَشْرُونَ الحياةَ الدُّنيا بالآخرة[1] ﴾ على أن الشراء يأتى بمعنى البيع ، فهو من الأضداد والهامة : أنثى الصَّدَى ، وهو ذكر البُوم .

وفى مروج الذهب للمسعودى : من العرب من يزعم أنَّ النَّفْس طائر ينبسط فى الجسم ، فإذا مات الإنسان أو قتل لم يزل يُطيف به مستوحِشاً يصدح على قبره ، ويزعمون أن هذا الطائر يكون صغيراً ثم يكبَر حتى يكون كضَربٍ من البوم ، وهو أبداً مستوحِش ويوجد فى الديار المعطَّلة ، ومصارع القتلى والقبور وأنَّها لم تزل عند وَلد الميت ومخلَّفِه لتعلم ما يكون بعده فتخبره .

وقال أيضاً فى بيعهما[2] :

شَرَيْتُ بُرداً وقد مُلِّكتُ صفقتَهُ ... لما تطلَّبت فى بيعى له رشَدا

يا بُرْدُ ، ما مسَّنا دهرٌ أضرُّ بنا ... من قبل هذا ، ولا بِعنا له وَلدا

أمَّا أراكةُ كانت من محَارمنا ... عيشا لذيذاً وكانت جنَّةً رَغَدا

لولا الدَّواعى ولولا ما تعرَّض لى ... من الحوادث ما فارقتُها أبدا

ثم إن ابن مفرِّغ علم أنه إن أقام فى الحبس على ذمِّ عباد لم يزدد إلاَّ شرًّا فجعل يقول للناس إذا سئل عن حبسه : أنا رجلٌ أدَّبه أميره ليقيم من أوَدَه . فلما بلغ ذلك عبَّادا رقَّ له فأطلقه ، فهرب حتَّى أتى البَصرة ثم الشام ، وجعل يتنقَّل فى البلاد ويهجو بنى زياد ويتأسَّف على تركه صُحبة سعيد ، فمن ذلك قوله :

إن تركى ندى سعيدِ بن عثما ... نَ فتى الجودِ ناصرى وَعديدى[3]

واتِّباعى أخا الضرَاعة واللؤ ... م لنقصٌ وفوتُ شأوٍ بعيدِ

---

(١) الآية ٧٤ من النساء .

(٢) الأغانى ١٧ : ٥٤ والشعراء ٣٢١ .

(٣) الأغانى ١٧ : ٦١ .

قلتُ والليلُ مُطْبِقٌ بعُراه : ليتنى مِتُّ قبل تَرْكِ سَعيد

ثم إنَّه هجا بنى زياد حتّى ملأ منه البلاد ، وتغنّى به أهل البصرة ، فطلبه عبيدُ الله طلباً شديداً وكتب إلى معاوية — وقيل إلى يزيد[1] — « إن ابن مفرِّغٍ هجا زياداً وبنيه بما هتكه فى قبره وفضح بنيه طول الدهر ، وتعدَّى ذلك إلى أبى سفيان فقذفه بالزِّنى ، وسبَّ ولده وهرب إلى البصرة ، وطلبتُه حتّى لفظته الأرض فلجأ إلى الشام يتمضَّغ لحومَنا بها ويهتك أعراضنا ، وقد بعثتُ إليك بما هجانا به لتنتصف لنا منه » . فهرب ابن مفرِّغ من الشام إلى البصرة فأجاره المنذرُ بن الجارود ، وكانت بنت المنذر تحت عُبيد الله ، وكان المنذر من أكرم النَّاس عليه ، فاغترّ بذلك ، فبلغ عُبيدَ الله أن المنذر قد أجاره فبعث عبيدُ الله إلى المنذر ، فلما دخل عليه بعث عبيد الله بالشُّرَط فكبسوا دارَه وأتوه بابن مفرِّغ ، فلما رآه الجارود قام إلى عبيد الله فقال له . أذكِّرُكَ الله أيها الأمير لاتُخفِرْ جِوارى فإنى قد أجرته ! فقال عبيدالله : يمدحك ويمدح آباءك ، وقد هجانى وهجا أبى ثم تجيره علىّ ،والله لا يكون ذلك أبداً ! فغضب المنذرُ وخرج ، وأقبل عبيدُ الله على ابن مفرغ فقال : بئسما صِحِبت به عباداً ! فقال : بئسما صحبنى عباد ، اخترتهُ على سعيد وأنفقت على صحبته جميعَ ماملكته وظننتُ أنّه لا يخلو من عقلِ زيادٍ ، وحِلم معاوية ، وسَماحة قريش ، فعدل عن ظنِّي كلّه ثم عاملنى بكلِّ قبيح . من حبَس وغُرْم وضرب وشتم ، فكنت كمن شام برقاً خُلّباً فى سحاب جَهامٍ ،فأراق ماءه، طمعاً فمات عطشاً،وما هربت من أخيك إلاّ لما خفت أن يجرى فىّ ما يندم عليه ، وها أنا بين يديك فاصنعْ

---

[1] الميمنى : « لم يكن يزيد ولى الخلافة فى حياة زياد ، فان زيادا توفى سنة ٥٣ ومعاوية سنة ٦٠ » .

فىَّ ما شئت ! فأمر بحبسه وكتب إلى معاوية أن يأذن له فى قتله ، فكتب إليه : « إيّاك وقتله ، ولكن تَناوله بما ينكله ويشدّ سلطانك عليه ، ولاتبلغْ نفسَه ، فإنّ له عشيرة هم جُندِى وبطانتى ، ولا يرضون بقتله إلاّ بالقوَد منك ، فاحذَرْ ذلك ، واعلم أنّ الجِدّ(١) منّى ومنهم ، وأنّك مُرْتَهنٌ بنفسه ، ولك فى دون تَلَفِها مندوحةٌ تَشفى من الغيظ . فلما ورد الكتاب أمر بابن مفرِّغ فسُقى نبيذاً حلواً مخلوطاً بالشُّبْرُم والتربُد(٢) فأسهل بطنَه ، وطِيف به على بعيرٍ فى أزقّة البصرة وأسواقها ، وقُرِن بهرّة وخنزير، وجعل يَسْلح والصبيان يتبعونه ويصيحون عليه ، وألحّ ما يخرج منه حتّى أضعفه فسقط ، فقيل لعبيد الله : إنّا لا نأمن أن يموت . فأمر به فغُسل فلما غُسِل قال :

يَغسل الماء ما فعلتَ ، وقولى راسخٌ منك فى العِظام البوالى

ثم ردّه إلى الحبس . وقيل لعبيد الله : كيف اخترت له هذه العقوبة ؟ قال: لأنّه سلَح علينا فأحببتُ أن تسلح عليه الخنزيرة والهرّة .

ثم إن عبيد الله أرسله إلى أخيه بسجستان ، ووكّل به رجالا ، وكان لمّا هرب من عبّاد هجاه وكتب هجاءه على حيطان الخانات ، فأمر عبيدُ الله الموكَّلين به أن يُلزموه بمحو ما كتبه على الحيطان بأظافيره ، فكان يفعل ذلك حتّى ذهبت أظافيره ، فكان يمحو بعظام أصابعه . وأمرهم أيضاً أن لا يتركوه يصلّى إلا إلى قِبلة النصارى إلى أن يُسلموه إلى عبّاد ، فحبسه وضيَّق عليه ، فلما طال حبسه استأجر رسولا إلى دمشق وقال له : إذا كان يوم الجمعة فقِف على دَرَج جامعِ دمشق ، ثم أنشدْ هذه الأبياتَ بأرفع ما يمكنك من صوتٍ ، وهى :

---

(١) فى الأغانى ١٧ : ٥٦ : « أنه الجد » .

(٢) ليست فى الأغانى . والتربد ، كقنفذ : نبت .

٢١٦

أبلغْ لديكَ بنى قحطان قاطبةً عضّت بأير أبيها سادةُ اليمنِ
أضحى دَعِىُّ زيادٍ فقْعَ قرقرةٍ يا للعجائب يلهو بابن ذى يزن(١)
والحميرى طريحٌ فوق مَزْبلةٍ هذا لعمركم غَبنٌ من الغبَن(٢)
قوموا فقولوا : أميرَ المؤمنين لنا حقٌّ عليك ومنٌّ ليس كالمنن
فاكففْ دعىَّ زياد عن أكارمنا ماذا تزيد على الأحقاد والإحنِ

ففعل الرسولُ ما أُمِر به ، فحَمِيت اليمانيَةُ وغضبوا له ودخلوا إلى معاوية فسألوه فيه ، فدافعهم عنه ، فقاموا غِضاباً والشرُّ يلمع فى وجوههم ، فعرف ذلك معاوية منهم فوهبه لهم ، ووجَّه رجلا من بنى أسد يقال له خمخام ، بريداً إلى عبّاد ، وكتب له عهداً ، وأمره أن يبدأ بالحبس فيُخرج ابن مفرِّغ منه ، ويطلقه قبل أن يعلم عباد فيم قَدِم فيغتاله . ففعل ذلك فلما خرج من الحبس قرِّبت بغلةٌ من بغال البريد فركبها فقال :

عَدَسْ ما لعبّادٍ عليكِ إمارةٌ أمِنتِ ، وهذا تحملينَ طليقُ

وهو من جملة أبيات (تأتى إن شاء الله تعالى فى الموصول عند إنشاد هذا البيت هناك(٣)) فلما دخل على معاوية بكى وقال : رُكِب منّى ما لم يُركَبْ من مُسلمٍ قط ، على غير حَدَثٍ فى الإسلام ولا خلع يدٍ من طاعة . فقال له : ألستَ القائل :

---

(١) ط : نقع قرقرة » ، صوابه بالفاء ، كما فى ش والأغانى . والفقع : ضرب من أردأ الكماة . والقرقر : القاع الأملس . يضرب مثلا للذليل . وانظر للشعر الأغانى ١٧ : ٥٩ ، ٦٢ .

(٢) فى الأغانى : « وسط مزبلة » .

(٣) الخزانة ، الشاهد ٤٨٢ .

ألا أبلغْ معاويةَ بنَ حرب مغلغَلةً من الرجل اليماني

الأبيات المتقدمة . فقال : لا ، والذى عظَّم حقَّك ما قُلتها ، ولقد بلغنى أنَّ عبد الرحمن بنَ الحكم قالها و نسبها إلىّ[1] . قال : أفلم تقل كذا وكذا .. وسرد أشعاره ، ثم قال : اذهبْ فقد عفوتُ عن جُرْمك فاسكنْ أىَّ أرض شئت . فاختار الموصل ، ثم ارتاح إلى البصرة فقدِمها ، فدخل على عبيد الله فاعتذر إليه وسأله الصفح والأمان فأمَّنه ، فأقام بها مدَّةً ثم دخل عليه فقال : أصلح الله الأمير إنى قد ظننت أنَّ نفسك لا تَطيبُ لى بخيرٍ أبداً ، ولى أعداء ولا آمن سعيَهم علىَّ بالباطل ، وقد رأيت أن أتباعد . فقال له : إلى أين شئت ؟ فقال : كِرْمان . فكتب له إلى شَريك بن الأعور ، وهو عليها ، بجائزةٍ وقطيعة[2] ، فشخص إليها وأقام بها إلى أن مات فى سنة تسع وستين فى طاعون الجارف أيام مُصعَب بن الزبير .

هذا ما لخَّصته من الأغانى ، وهو كشَذْرة من عِقدِ نَحْر ، أو قطرة من قاموس بحر .

***

وأنشد بعده وهو الشاهد الرابع بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد المفصّل[3] :

٣٠٤ (ياقُرَّ إنَّ أباك حَىَّ خُوَيلِدٍ قد كنتُ خائفَه على الإحماقِ)

لما تقدَّم قبله . وذهب أبو على (فى الإيضاح الشعرى) عند ذكره هذه الشواهد ، إلى أنّ لفظ حىّ زائد لا غير ، وتبعه الزمخشرى (فى المفصَّل) والبيضاوى (فى اللبّ) ، وتعقَّبه شارحه السيِّد عبدُ الله بأنّه غير زائد من

(١) فى الأغانى ١٧ : ٦٠ : « قاله ونسبه الىّ » .

(٢) فى الأغانى : « بجائزة وقطيفة وكسوة » .

(٣) ابن يعيش ٣ : ١٣ . وانظر أيضا نوادر أبى زيد ١٦١ والخصائص ٣ : ٢٨ والأشمونى ٤ : ١٣٣ .

حيث المعنى ؛ فإنّه يفيد نوعاً من تحقير ما أضيف إليه حيّ ، كأنه يقول : هذا شخصٌ ليس سوى أنه حيّ ، وشَبَحٌ مافيه سوى أنه حسّاس . انتهى .

ولا يخفى أن هذه النكتة قاصرة على هذا البيت لا تتمشى له فى غيره .

٢١٧ و (قُرَّ) بضم القاف : مرخم قُرَّة . و (حيّ خويلد) بدلٌ أو عطف بيان من أباك[1] . وجملة (قد كنتُ خائفَه) خبر إنَّ . و (الإحماق) : مصدر أحمق الرجل : إذا وُلد له ولدٌ أحمق ، وكذا أحمقت المرأة ؛ وأمَّا حَمِق بدون ألف فهو من الحُمْق بالضمّ وهو فسادٌ فى العقل ، وهو من باب تعب ، ووصفه حَمِقٌ بكسر الميم ؛ وأما أحمق ففعله حَمُق بالضمّ والأنثى حمقى . وعلى متعلقة بخائفَه ، يقال خفته على كذا أى خفت منه . والمعنى إنَّنى كنت أرى من أبيك مخايلَ تدلُّ على أنه يلد ولداً أحمق ، وقد تحقَّق بولادته إيَّاك . ومثل هذا أبلغ من أن يقول له : أنت أحمق ؛ لأنَّ ذلك يُشعر بتحقُّق ذلك فيه ، أى كان ذلك معروفاً من أبيك قَبلَ أن يلدك . فهذا أبلغ من دعوى الحمق فيه الآن . وإدراكُ مثلِ هذه المعانى لا يكاد يحصل بالتعبير ، وإنما هو أمرٌ فى الغالب يدرَكُ بالقوّة التى جعلها الله تعالى فى أهل هذا اللسان . كذا فى أمالى ابن الحاجب .

وهذ البيت نسبه أبو زيد (فى نوادره) إلى جَبَّار بن سلمى بن مالك[2] ، قال : وهو جاهلى . وأورد بعده :

---

(١) فى النوادر ١١٦ : « قال الرياشى : يعنى حياة خويلد » .

(٢) فى النوادر : « قال أبو الحسن : وقع فى كتابى سَلْمَى ، وحفظى عن أبى العباس محمد بن يزيد : جبار بن سُلْمِىّ . وفى سُلْمِىّ هذا يقول القائل :

وأتيت سـلميا فعذت بقبـره ... واخـو الزمانة عائذ بالأمنع

(وكأنَّ حيًّا قبلكم لم يَشربوا فيها بأقلبةٍ أَجنَّ زُعاقِ)

هذا الحيّ بمعنى القبيلة . وأقلبة : جمع قَليب بمعنى البئر ، قال الرياشيّ : هذا يدلّ على تذكير القليب ، لأنّه قال أقلبة ؛ والجمع قُلُب ، ولكن جاء به على رغيف وأرغفة للجمع القليل . انتهى . والباء بمعنى من . وأجنَّ فعلٌ ماض والنون الأخيرة فاعله تعود على أقلبة ، لما سكن لها لام الفعل أدغمت فيها ، يقال أجَن الماء يأجن بضم الجيم وكسرها . إذا تغيَّر . وضمير فيها للمنيّة . وضرب القليبَ مثلاً لها . وقد يكون القليب القبر ، قاله ابن برّيّ (فى شرح أبيات إيضاح الفارسى) . والزُّعاق ، بضمّ الزاى بعدها عين مهملة : الماء المرّ الغليظ لا يطاق شربه من أُجُوجته . وإذا كثر مِلح الشىء حتى يصير إلى المرارة فأكلته قلتَ : أكلتُه زُعاقا .

جبار بن سلمى

وجبّار ، بفتح الجيم وتشديد الموحّدة وآخره راء مهملة . وقد أورده الآمدى (فى المؤتلف والمختلف) وقال : هو جبّار بن سلمى بن مالك من بنى عامر بن صعصعة[١] . وأنشد له المفضّل فى المقطّعات :

وما للعيَن لا تبكى بُجيراً إذا افترَّتْ عن الرُّمح اليدان[٢]
وما للعيَن لا تبكى بُجيراً ولو أنّى نُعيتُ له بكانى

وذكر ثلاثة من الشعراء يوافقونه فى اسمه ، أحدهم : جبّار بن مالك بن جبّار بن شَمْخ بن فَزارة[٣] .

---

(١) فى المؤتلف ٩٩ : « بن مالك بن عامر بن صعصعة » ، تحريف . وفى جمهرة ابن حزم أنه جبار بن سلمى بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، انظر الجمهرة ٢٨٦ ، ٢٨٢ .

(٢) ط : « اذا فترت » ، وأثبت ما فى ش والمؤتلف .

(٣) ذكر الميمنى أن فى مختار المؤتلف : « مالك بن حمار بن شمخ بن فزارة » .

وثانيهم: جبّار بن عمرو الطائى قاتل عَنْتَرة العبسى، وهما جاهليّان أيضاً.

وثالثهم: جبّار بن جزْء بن ضِرار، وهو ابن أخى الشمّاخ، وهذا إسلامىٌّ ابن صحابىّ.

* * *

وأنشد بعده، وهو الشاهد الخامس بعد الثلثمائة [1]:

٣٠٥ (الى الحَوْلِ ثمَّ اسمُ السلاَمِ عَلَيْكُمَا
ومَنْ يَبْكِ حَوْلاً كاملاً فقد اعتَذرْ)

على أنّ لفظ (اسم) مقحم عند بعض النحاة.

قال ابن جنّي (فى الخصائص): هذا قول أبى عبيدة، وكذلك قال فى بسم الله، ونحن نحمل الكلامَ على أنّ فيه محذوفاً [2]. قال أبو علىّ: وإنما هو [على [3]] حدّ حذف المضاف، أى ثم اسم معنى السلام عليكما، واسم معنى السلام هو السلام، وكأنه قال: ثمّ السلام عليكما. فالمعنى لعمرى ما قاله أبو عبيدة، لكنّه من غير الطريق التى أتاه هو منها، ألا تراه هو اعتقد زيادةَ شىء واعتقدنا نحن نُقصانَ شىء. انتهى. ٢١٨

وقال ابن السِّيد البَطَلْيوسىّ (فى تأليف ألّفه فى الاسم): تقديره ثمّ مسمّى السَّلامِ عليكما، أى ثم الشىء المسمّى سلاماً عليكما، فالاسم هو المسمّى

(١) الخصائص ٣ : ٢٩ والمنصف ٣ : ١٣٥ وابن يعيش ٣ : ١٤ والعينى ٣ : ٣٧٥ والهمع ٢ : ٤٩، ١٥٨ والأشمونى ٢ : ٢٤٣ وديوان لبيد ٢١٤.

(٢) الذى فى الخصائص ٣ : ١٣٠ : «فأبو عبيدة يدعى زيادة ذى واسم».

(٣) التكملة من ش والخصائص.

بعينه وهما يتواردان على معنى واحد . وذهب أبو عبيدة إلى أن لفظ اسم هُنا مقحم . وعند أبى علىّ فيه مضاف محذوف تقديره مسمّى اسم السلام . انتهى .

وردّ عليه الإمام السُّهَيلى (فى كتابه المعتبر) فقال : هذا جوابٌ لا يقوم على ساق ، ولا يكاد يفهم لما فيه من الاستغلاق[1] . وقد تكلّف فى هذا التأليف وتعسَّف ، ومن ألّف فقد استهدف . والأحسن أن يقال : لم يُرِد الشاعر إيقاعَ التسليم عليها لحينه ، وإنّما أراده بعد الحول . فلو قال : ثم السلام عليكما ، لكان مسلِّماً فى وقته الذى نطَق به فى البيت ، فلذا ذكر الاسم الذى هو عبارة عن اللفظ ، أى إنما لفظَ بالتسليم بعد الحول ، وذلك السّلامُ دعاء ، فلا يتقيَّد بالزمان المستقبل ، وإنما هو لحينه ، فلا يقال : بعدَ الجمعة اللهم ارحم زيداً ، وإنما يقال : اغفر لى بعد الموت ، وبعد ظرف للمغفرة ، والدعاء واقع لحينه . فإن أردت أن تجعل الوقتَ ظرفاً للدعاء صرّحتَ بلفظ الفعل فقلتَ : بعدَ الجمعة أدعو بكذا ، وألفِظُه ، ونحوه ؛ لأنَّ الظروف إنّما تُقيَّد بها الأحداثُ الواقعة خبراً أو أمراً أو نهياً ، وأما غيرها من المعانى كالعقود والقَسَم والدعاء والتمنى والاستفهام ، فإنّها واقعة لحين النطق بها . فإذا قال : بعدَ الحول والله لأخرجنّ ، فقد انعقد اليمين حين ينطق به ، ولا ينفعه أن يقول أردت أن لا أوقع اليمين إلاّ بعد الحول ؛ فإنَّه لو أراد ذلك قال : بعدَ الحول أحلف أو ألفظ باليمين . فأمّا الأمر والنهى والخبر ، فإنما تقيّدت بالظروف لأنّ الظروف فى الحقيقة إنما يقع فيها الفعلُ المأمور به أو المخبَر به ، دون الأمر والخبر ، فإنّهما واقعان لحين النطق بهما ، فإذا قلت اضربْ زيداً يوم الجمعة فالضرب واقع في اليوم وأنت اليوم آمره . فلو أنَّ لبيداً قال : إلى الحول ثمّ

---

(١) ط : « الاستقلال » ش : « الاستقلاق » ، والوجه ما أثبت . والعبارة مسجوعة .

السلام عليكما ، كان مسلِّماً لحينه ، وقد أراد إنّى لا ألفِظ بالتسليم والوَداع إلاّ بعد الحول ، ولذا ذكر الاسم الذى هو اللفظ ، ليكون بعد الحول ظرفاً . انتهى كلام السهيلى .

والمراد من قوله : « ثمّ اسمُ السّلام عليكما » الكناية عن الأمر بترك ما كان أمَرَهما به ، وهو سلامُ توديع . وأتَى بثمّ لأنّها للتراخى والمُهْلة . وقد تعسَّف قومٌ لإخراج الاسم عن الزيادة بجعل السلام اسمَ الله تعالى ، ثم اختلفوا فقال بعضهم : عليكما اسم فعل ، أى الزَما اسمَ الله واترُكا ذِكْرى . وفيه أنّ تقديم اسم الفعل لا يجوز إلاّ عند الكسائىّ ؛ على أن الرواية رفع اسمٍ لا نصبُه .

وقال جماعةٌ منهم شارح اللبّ : إنّ المعنى ثم حِفْظُ الله عليكما ، كما يقال للشىء المعجِب : اسمُ اللهِ عليك ، تعويذاً له من السوء . فى ذكر الاسم تفخيمٌ وصيانة للمسمّى عن الذكر .

وقال الشَّلَوبين (فى حاشية المفصّل) : أجاب بعضهم بأن السَّلام هنا اسمٌ من أسماء الله تعالى ، والسّلام عبارةٌ عن التحية ، وهذا هو الذى أراد ، ولكنّه شرّفه بأنْ أضافه إلى الله تعالى لأنّه أبلغُ فى التحية ، كأنه يقول : لو وجدتُ سلاماً أشرفَ من هذا لحيّيتكم به ، ولكنّي لا أجده لأنه اسم السلام . هذا كلامه .

وقال بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصّل) : قوله ثم اسمُ السلام عليكما ، أى حِفْظُ الله عليكما ، والاسمُ مقحم ، وثُمّ تستعمل فى معنى الترك والإعراض . هذا كلامه ، ولا يخفى ما فيه من الخَبْط الظاهر ٢١٩

وهذا البيت من أبيات للبيد بن ربيعةَ بن عامر الصّحابى ، وقد تقدّمت صاحب الشاهد

ترجمته فى الشاهد الثانى والعشرين بعد المائة[1] .

روى أنّه لما حضرته الوفاة قال لابنتيه :

تمنّى ابنتاى أن يَعيشَ أبوهما وهل أنا إلا من ربيعةَ أو مُضَرْ
فقوما وقولا بالذى تعلمانِه ولا تَخمشا وجهاً ولا تحلقا شعَرْ
وقولا : هو المرء الذى لا صديقَه أضاعَ ، ولاخان الخليلَ ، ولا غَدَرْ
إلى الحول ثمّ اسمُ السلام عليكما . . . . . . (البيت)

وبعد وفاته كانتا تلبسان ثيابَهما فى كلّ يوم وتأتيان مجلسَ جعفر بن كلاب قبيلته ، فترْثيانه ولا تُعْوِلان ، فأقامتا على ذلك حولاً كاملاً ثم انصرفتاَ .

وقوله : « تمنّى ابنتاى » هو مضارع ، وأصله تتمنّى بتاءين . وزعم بعضهم أنَّه فعل ماض ، ولو كان كما زعم لقال تمنّت ، ولا موجب لحمله على الضرورة . وقوله : « وهل أنا الخ » أى جميع آبائى من ربيعة أو مضر قد ماتوا ولم يَسلم أحدٌ منهم من الموت ، فكذلك أنا لابدّ لى من الموت . وقال بعض فضلاء العجم (فى أبيات المفصّل) معناه : وما أنا إلاّ من الكرام الأشراف ، ومن كان منهم لا يعيش طويلا ، لأنّ الكرام قليلة الأعمار . وهذا كلامه ، وليس هذا معنى الشعر ، ويكذّبه أن لبيداً من المعمَّرين كما تقدم فى ترجمته .

وقوله : فقوما ، الفاء فصيحةٌ ، لأنّ المعنى إذا ثبتَ أنى من ربيعة أموت كما ماتوا ، فقوما بعد موتى للعَزاء وقولا فى الرثاء ما تعلمانه من الصفات الحميدة وابكيا إنْ أردتُما ولا تخمِشا بأظافيركما ولا تحلقا شعَركما . ويُقدَّر « ابكيا » لقوله ولا تخمشا الخ ، وذلك أنّ خمش الوجه وحلق الشعر لا يكون إلاّ مع

(١) الخزانة ٢ : ٢٤٦ .

البكاء، والبكاء مباح ما لم يكن فيه خمش الوجه وحلق شعر ولطم خدّ . وقوله : لا صديقه ، مفعول مقدم لقوله أضاع ، ومفعول غدر محذوف وهو ضمير الخليل أو أنَّ غدَر منزَّل منزلةَ اللازم ، أى لم يحصل منه غدرٌ لأحد .

وقوله : « إلى الحول » متعلّق بقوله : قوما ، أى امتثِلا ما قلت لكما إلى الحول ، وإنما قال إلى الحول لأنَّ الزمان ساعاتٌ وأيامٌ وجُمعٌ وشهورٌ وسنون ، والسّنون هى النهاية ، فالحول والسنة مدّة هى نهاية الزمان فى التقسيم إلى أجزائه . ويمكن أن يكون ذلك لما روى فى بعض الآثار : أن أرواح الموتى لا تنقطع من التردّد إلى منازلهم فى الدنيا إلى سنة كاملة ، فكأنَّه إنّما أمرهما بما ذكر من الذكر والدُّعاء وغير ذلك ، ليشاهد ذلك منهما ، ولذلك قال : « ومن يَبكِ حولا الخ » . وقال بعضهم : إنّما وقّت بالحول لأنه مُدّة عزاء الجاهليَّة ، وهذا لا يصحّ هنا لأن قائله صحابى . و (اعتذر) بمعنى أعذَرَ ، أى صار ذا عذر ، كذا فى الصحاح . والخطاب فى قوله عليكما لابنتيه كما تقدّم ، ومنه يعلم غفلة [بعض[1]] شرّاح المفصل فى قوله : المعنى بكيت عليكما ، أيها الخليلان ثم السلام عليكما ، يعنى تركت البكاء فإنَّ من يبكى حولاً فقد قضى حقّ الخليل .

وعجيبٌ من صاحب (الكشف[2]) فى سورة المؤمن قوله : إنّ لبيداً قال ذلك يرثى أخاه لأمّه وهو أرْبدُ وابنَ عمه عامرَ بنَ الطُفيل ، لما أصابهما ما أصابهما بدعوة من النبى صلى الله عليه وسلم .

---

(١) تكملة ضرورية .

(٢) الكشف عن مشكلات الكشاف ، لعمر بن عبد الرحمن الفارسى القزوينى المتوفى سنة ٧٤٥ . اقليد الخزانة ٩٣ .

تتمة

رأيت (فى التذكرة الحمدونية) أنَّ الحسن بن الحسن بن علىّ رضى الله
٢٢٠ عنهم ، لما ماتَ قامت زوجته بنتُ الحسين على قبره سنة ثم رَفعت الفُسطاط
وأنشدت :

إلى الحول ثم السلام عليكما . . . . . . البيت

فسُمع صوتٌ من جانب القبر : أهلٌ وَجدُوا ما طلبوا ، وسمع من الجانب
الآخر : بل يئسو فانقلبوا .

ومثل هذا ما رواه ابن الزّجاجى (فى أماليه الوسطى) بسنده عن إسماعيل
ابن يَسَار قال : مات ابنٌ لأرطاة[1] بن سُهَيَّة المرّىّ ، فلزم قبره حولا ،
يأتيه بالغداة فيقف عليه فيقول: أى عمرو ، هل أنت رائحٌ معى إن أقمتُ عندك
إلى العشىّ ! ثم يأتيه بالمساء فيقول مثلَ ذلك ، فلما كان بعدَ الحول
أنشأ متمثّلاً :

إلى الحول ثمّ اسمُ السلامِ عليكما . . . . . . البيت

وأنشد بعد هذا أبياتاً جيّدة فى هذا الباب رواها الزجّاجىّ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس بعد الثلاثمائة ، وهو من أبيات
للفصّل أيضاً[2] :

---

(١) فى ط : « ابن أرطاة » ، والوجه ما أثبت من ش وأمالى الزجاجى ٦٣ .

(٢) ابن يعيش ٣ : ١٤ / ٤ : ٧٢ ، ٨٥ . وانظر أيضا اصلاح المنطق ٣٤ والأشمونى ٣ : ١١٢ واللسان (شيب ٤٩٥ بصر ١٣٣) وديوان ذى الرمة ٦٠٩ . وقد كرر البغدادى الشاهد ووضع له رقما جديدا على خلاف عادته ، سهوا منه ، فان هذا الشاهد هو بعينه الشاهد رقم ٨ .

٣٠٦ * تَدَاعَيْنَ باسمِ الشيبِ فى مُتثلِّمٍ
جَوَانِبُه مِنْ بَصْرَةٍ وسِلامِ *

لما تقدّم قبله : من أنّ اسماً مقحمٌ . قال الشَّلَوبين (فى حاشيته على المفصَّل) : ردَّ هذا بعض المتأخّرين وقال : لو كان البيت على إقحام الاسم لقال باسم شيب ، والشاعر إنما قال باسم الشّيب بالألف واللام ، ولفظُهما غير موجود فى صوت الإبل ، فانّما أراد تداعين بصوت يُشبِه فى اللفظ اسمَ الشيب أعنى جمع أشْيَب . انتهى .

أقول : وجود أل لا يضرّ ، فإنّها زيدت فى الحكاية لاَ أنّها من المحكىّ . على أنّ الصاغانى قال (فى العباب) : الشِيب حكايةُ أصوات مشافر الإبل عند الشرب . وأورد هذا البيت .

والنون فى (تداعَين) ضمير القُلُص أى النوق الشوابّ . و (المتثلِّم) بكسر اللام المشدّدة ، وهو المتهدّم والمتكسّر ، أراد الحوض المتثلِّم . وجملة (جوانبه من بَصْرَة) صفة المتثلِّم . والبصرة ، بفتح الموحّدة : حجارة رِخوة فيها بياض ، وقيل تضرب إلى السواد . والسِّلام ، بكسر السين المهملة : جمع سَلِمة بفتحها وكسر اللام ، وهى الحجر ، وقيل الحجر الرقيق . وإنَّما ذكرها لبيان الواقع .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدةٍ لذى الرمّة تقدّم شرح بعضها مع هذا البيت فى الشاهد الثامن فى أوائل الكتاب[1] . وقد وصف إبلاً وارداتٍ على حوض متهدّم فشربن الماء ، فيقول : دعا بعضُ الإبل بعضاً إلى الشربِ بصوت مشافرها عند شرب الماء من ذلك الحوض ، أى إذا سمع كلٌّ منها صوتَ

(١) الخزانة ١ : ١٠٦ .

تجرُّع الماء من الآخر ازداد رغبةً في الشُّرب ، فكأنَ ذلك كأنه دعاه إلى الشرب .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع بعد الثلثمائة[1] :

٣٠٧ (لا يَنْعَشُ الطرفَ إلا ما تَخَوَّنَهُ
داعٍ يُنادِيه باسم الماء مبغومُ)

على أن اسمًا مقحم . قال ابن الحاجب (في شرح المفصّل) : النداء إنّما هو باللفظ ، فلو حمل الاسم على اللفظ لاختلّ المعنى . والذى يجعل الاسم المسمّى في قوله ثمّ اسم السلام عليكما ، [يجعله[2]] من باب ذات يوم ، ويتأول قوله باسم الماء ، على أن المراد بمسمًّى هذا اللفظ ، ويجعله دالاًّ على قولك ماء ، وهو حكاية بُغام الظبية . ويقوّى ذلك استماله استمالَ رجل وفرس بإدخال اللام عليه وخفضه وإضافته ، ولولا تقديره اسمًا لذلك لم يجرِ هذا المجرى . انتهى .

٢٢١ قال ابن جنّي (في الخصائص) : ذهب أبو عبيدة إلى زيادة الاسم في قوله ثم اسم السلام عليكما ، وفى قوله باسم الماء مبغُوم ، ونحن نقول إن فيه محذوفًا ، أى اسم معنى السلام . . . إلى آخر ما نقلناه عنه قبل هذا[3] .

وزيادة الاسم هنا لا تتّجه ، لأنّ الداعى هنا هو الظبية ، وإنما دعت ولدها بقولها ماء ماء ، فلو كان على إقحام الاسم لقالت باسم ماء ماء ، والماء بالألف واللام ليس إلاّ الماء المشروب ، فكيف يريد حكايةَ صوتها ! ولكنّ الشاعر

---

(١) الخصائص ٣ : ٢٩ والمنصف ١ : ٣/١٢٦ : ١٤٣ وابن يعيش ٣ : ١٤ والأشمونى ٣ : ٢١٢ وديوان ذى الرمة ٥٧١ .
(٢) تكملة ضرورية لم ترد في احدى النسختين .
(٣) انظر هذا الجزء ص ٣٣٧ .

أُلغزَ حيث أوقع الاشتراك بين لفظ الماء وصوتها ، كأنه اللفظ المعبَّر به عن الماء المشروب . كذا فى حاشية المفصل للشلَوبين . وهذا كلُّه مأخوذ من كلام أبى على (فى إيضاح الشعر) قال : فإن قيل إنَّ هـذا من قبيل غاق ، يعنى الصوت ، فـكيف أُلحِق لام التعريف ، وقال آخر :

* ونادى بها ماءٍ إذا ثار ثورةً *

على القياس ؟ فالقول فيه أن قوله باسم الماء ، إن شئت قلتَ إنّ تقديره يناديه بالماء ، والاسم دخولُه وخروجُه سواء ، كقوله : ثمَّ اسم السلام عليكما . وإن شئتَ جعلتَ الاسم المسمَّى على الإتباع ، لمصاحبته له وكثرة الملابسة . وإن شئت قلت : إنَّ التقدير يناديه باسم معنى المـاء ، فحذف المضاف ، واسمُ معنى الماء هو الماء ، فيكون التقدير باسم ماء ، وتـكون أل فيه زائدة لأنها لم تلحق هذا القبيل ، ألا ترى أنهم لم يلحقوه غاقٍ وصه ونحوَه . انتهى كلامه مختصراً .

أبيات الشاهد

والبيت من قصيدة لذى الرُّمَّة تغزَّل فيها بمحبوبته خرْقاء ، ومطلعُها :

أأنْ توهَّمتَ من خرقاء منزِلةً ماء الصبابة من عينيكَ مسجومُ

ويأتى شرحه إن شاء الله تعالى فى الحروف المشبَّهة بالفعل(١) .

وقبل البيت الشاهد :

كأنَّها أمُّ ساجى الطرف أخذَلها مُسْتَوْدَعٌ خَمَرَ الوَعْساءِ مَرخومُ
كأنَّه بالضحى يُرْمَى الصعيدُ به دبَّابةٌ فى عظام الرأس خُرطومُ
لا يَنْعشُ الطرفَ . . . . البيت

(١) فى الشاهد ٨٥١ .

وقوله : كأنّها ، أى كأنّ خرقاء أمُّ غزال ساجٍ طرفهُ ، والساجى : الساكن للحداثة . وأخذلها ، أى خلَّفها عن قطيعها فأقامت عليه فخُذِلتْ هى بالبناء للمفعول ، وهى خاذل وهو خاذل . والمستودع فاعل أخذلها ، وهو اسم مفعول أراد به الغزال، يقول :استودعته أمّه خمرَ الوعساء خوفاً عليه.والوعساء : الأرض الليِّنة لا يبلغ تُرابُها أن يكون رملا . ويقال الوعساء رابيةٌ من رمل . والخمرَ ، بفتح الخاء المعجمة والميم : الشجر الساتر . ومرخوم ، بالخاء المعجمة أى محبوب ، يقال : ألقى عليه رَخمته ، وإن عليه الرخمة بالتحريك أى محبّة . وقوله : كأنَّه ، أى كأنّ الغزال فى وقت الضحى سكرانُ رماه على الصعيد الخمر . والصعيد : الأرض . والدبَّابة : الخمر لأنها تدبّ فى الرأس والجسم . والخُرطوم : أوّل ما ينْزل من الخمر ، وإنما شبّه الغزال فى ضعفه وغلبة النعاس عليه وفتور عظامه بالسَّكران الذى غَلبت عليه الخمر .

وقوله : (لا يَنعَشُ الطّرفَ إلخ) فاعلُ ينعْش ضمير ساجى الطرف ، وهو الغزال ، والطرف مفعوله ، ونَعَش كرفع معنى ووزنا ، ومضارعهما مفتوح العين . وروى أيضاً : (لا يرفع الطرف) : يَصفه بكثرة النوم ، لأنّه يغلب على الطفل لرُطوبة مِزاجه . يقول : لا يرفع طرفه ولا جَفْنَ عينه ، من شدَّة نُعاسه ، إلاّ أن تأتى إليه أمّهُ فيسمعَ حسَّها أو صوتها ، فعند ذلك ينتعش ويقوم . والتخوُّن : التعهد ، يقال للحمَّى: تتخوَّن فلانا ، أى تتعهّده ، وأصل التخوُّن التنقّص ، ويقال تخوَّننى فلانٌ حقِّى ، إذا تنقّصك . قال الجوهرىّ : «يقول : الغزال ناعسٌ لا يرفع طرفَه إلاّ أن تجىء أمُّه وهى المتعهّدة له ، ويقال: إلاّ ما تنقَّصَه نَوْمَه دعاء أمِّه له » .وتخوَّنه فعل ماض فاعله داعٍ المرادُ به أمّه . وأخطأ المظفرىّ (فى شرح المفصّل) حيث قال : تخوَّنه فعل مضارع حذف منه التاء ، وداع بدل من الضمير فى تخوَّنه وهى الظبية .انتهى .وما مصدريَّة وقبلها

٢٢٢

وقت محذوف أى لا يرفع طرفه إلاّ وقت تعهُّدها إيّاه بهذه اللفظة وهى ماءِ ماءِ(١)، وحكى صوتها، وفعله من باب ضرب(٢). وبُغام الناقة : صوتٌ لا تفصح به وبَغَمت الرجلَ : إذا لم تفصح له عن معنى ما تحدّثه به. قال الأصمعىُّ فى شرحه هنا: ومَبغوم : مردودٌ إلى الصوت ، بُغِمَ به فهو مَبغوم ، كما تقول قيل فهو مقول . أشار بهذا إلى أنّه صفة داعٍ ، بمعنى أنه يجيبه ولده بماءِ ماءِ أيضاً(٣). وقيل هو خبر مبتدأ محذوف أى دعاؤه مبغوم ، فلم يذكره اكتفاء بما فى داعٍ من الدعاء ، ومعناه دعاه ذلك الداعى بُغامٌ غير مفهوم . وقيل فاعل يناديه . وهذان القولان تعسّف . ويناديه صفة لداع ، قدم الوصف الجُمْلىُّ على الوصف المفرد . وقيل يناديه حال من داعٍ ، وفيه نظر لأنَّه يلزم الفصل بين الصفة والموصوف .

وقد تقدمت ترجمة ذى الرمة فى الشاهد الثامن فى أوائل الكتاب(٤).

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد المفصَّل (٥):

٣٠٨ (ذَعرتُ به القَطاو نفَيتُ عنه مَقامَ الذئبِ كالرجُلِ اللَّعينِ)

على أن لفظ (مقام) مقحم ، وإليه ذهب الزمخشرى (فى المفصل)

---

(١) ش : « ماما » ، وهما لغتان ، ولغة ثالثة : ماه ماه ، بالهاء الساكنة فى آخرها . اللسان (ما ٣٦٣) .

(٢) كذا فى النسختين .

(٣) بالبناء على الكسر ، وانظر ما سبق قريبا .

(٤) الخزانة ١ : ١٠٦ .

(٥) انظر ابن يعيش ٣ : ١٣ ش ١٥ وكذا المعانى الكبير ١٩٤ ومجالس ثعلب ٥٤٣ والمنصف ١ : ١٠٩ وديوان الشماخ ٩٢ .

والبَيضاوىّ (فى اللبّ)، قال شارحه السيد عبدالله : وفيه نظر ، لأنَّه يفيد تأكيد نفى الذئب لأنّه إذا نفى موضع قيامه فقد نفاه قطعاً . وفى قوله تعالى : ﴿ ولمنْ خافَ مَقامَ رَبِّه[١] ﴾ رعبٌ لايفيده لو لم يذكر المقام. انتهى . وهذا هو ماأجاب به الشارح المحقّق ، وإليه ذهب صاحب الكشّاف فى حَم السجدة[٢] عند قوله تعالى: ﴿ و نأى بِجانبه[٣] ﴾ على أنه يوضع الجانب موضعَ النفس ، فإنَّه يُنَزَّلُ جانب الشىء ومكانه وجهته منزلةَ نفسِه فيقال : حضرة فلان ومجلسه ، وكتبت إلى جانبه وجِهتِه ، والمراد نفسه ، ومنه مقام الذئبِ ، وهو الذئب نفسه .

وسبقَهم إلى هذا ابن قتيبة (فى أبيات المعانى) فإنَّه قال : قوله : مقام الذئب ، أراد الذئب نفسه ، أى نفيتُ الذئب عن مَقامه .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدة عدتّها أربعة وثلاثون بيتاً للشمّاخ بن ضرار ، وقد تقدمت ترجمته فى الشاهد الحادى والتسعين بعد المائة[٤] مدح بها عَرابة ابن أوس . وليست لذى الرمة كما زعم العلامة الشِّيرازى فى سورة الرحمن ، وتبعه الفاضل اليمنى . وهذا بَعْدَ مطلعِها :

قصيدة الشاهد

(وماءٍ قد وردتُ لوصل أرْوَى عليه الطَّيرُ كالوَرَق اللَّجينِ
ذَعرتُ به القَطا ونفيتُ عنه مقامَ الذئبِ كالرجل اللعينِ)

---

(١) الآية ٤٦ من سورة الرحمن .

(٢) هى سورة فصلت التالية لسورة غافر أو المؤمن . فهى من السور ذوات الاسمين كسابقتها . أما السجدة بدون قيد فهى السورة التالية للقمان .

(٣) الآية ٥١ من سورة فصلت . وهى أيضا الآية ٨٣ فى الاسراء .

(٤) الخزانة ٣ : ١٩٦ .

إلى أن قال مخاطباً لناقته :

(إذا بلّغتِني وحَملتِ رحلي عَرابةَ فاشرَقى بدَم الوَتينِ
رأيتُ عَرابةَ الأوسىَّ يسمو إلى الخيرات منقطِعَ القرين ٢٢٣
أفاد سماحةً ، وأفاد مجداً فليس كجامدٍ لَحِزٍ ضنين
إذا ما رايةٌ رُفِعت لمجدٍ تلقّاها عَرابةُ باليمين
فنعم المرتَجى رَكَدت إليهِ رحًى حيزومُها كرَحى الطحين
إذا ضُربت على العلاّت حطّت إليكَ حِطاطَ هاديةٍ شَنون
تُوائِلُ من مِصَكٍّ أنصبَتْه حوالبُ أسهرَيهِ بالذّنين
متى يَنل القطاةَ يَرِكْ عليها بجنوِ الرأس معترِضَ الجبين
شَجٍ بالريق إذْ حَرُمتْ عليه حَصانُ الفَرج واسِقة الجنين
طوتْ أحشاء مُرْتِجَةٍ لوقتٍ على مَشِجٍ سُلالتُه مَهين

إلى أن قال :

إليكَ بعثتُ راحِلتى تَشَكّى هُزالاً بعدَ مَقْحِدها السمين
إذا بَركَتْ على شَرَفٍ وألقتْ عَسيبَ جِرانِها كعصا الهَجين(١)
إذا الأرطَى توسّد أبْرَدَيهِ خُدودُ جوازِئٌ بالرمل عِين
كأن مَحازَ لَحيِها حَصاهُ جِنابا جلدِ أجربَ ذى غُضون)

وهذا المقدار نصف القصيدة ، وإنما سُقْناه لأن فيه شواهد .

وقوله : وماء قد وردت إلخ ، الواو واو رب وجوابها قوله الآتى : ذَعرت. وأروى اسمُ المرأة . واللَّجِين ، بفتح اللام وكسر الجيم ، قال شارح

---

(١) فى الديوان ٩٣ : « على علياء ألقت » .

ديوانه هنيا : اللجين الذى قد رَكِب بعضُه بعضاً فتلجَّن كما يتلجَّن الخِطْمىّ ويتلزّج . ويقال[1] : اللجين : المبلول من الورق وغيره ، تقول لَجَنته ، إذا بلَلته . انتهى

وقال أبو على الفارسى (فى الإيضاح الشعرى) :أما الطير فيرتفع بالظرف بلا خلاف ، وأما قوله : كالورق اللّجين فإنه يحتمل ضربين :أحدهما أن يكون حالاً من الطير ، والآخر أن يكون وصفاً للماء تقديره : وماء كالورق اللجين لوصل أروى عليه الطير . ومثل قوله : وماء كالورق اللجين فى المعنى ، قولُ علقمة :

فأوردتُه ماء جِماماً كأنه من الأَجْنِ حِنّاء معا وصَبيبُ

فكما شبَّه خُثورة الماء لتقادُم عهده بالواردة بالحِنّاء، كذلك شبّه الشمّاخ بالورق اللجين . وقوله : عليه الطير ، على هذا ، قد حذف منه المضاف[2] . ومثل ذلك قول الهُذَلىّ[3] :

تُجيلُ الُحبابَ بأنفاسها وتجلو سَبيخَ جُفالِ النِّسالِ

السبيخ : ما نَسَل من ريش الطير . وقال الأعشى :

وقَليبٍ أَجْنٍ كأنّ من الرِّيـ ـشِ بأرجائه سُقوطَ نِصالِ

وإنْ جعلت كالورق اللجين حالاً للطير ، صار فيه ضميره ، ويكون معنى عليه الطير أنّ الطير اتخذت فيه الأوكار لخلائه وكثرتها عليه،وقلة من يَرِدُه ،

---

(١) ط : « وقال » صوابه فى ش .

(٢) فى اللآلىء ٦٦٢ : « قوله عليه الطير ، أراد ريش الطير ، فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه » .

(٢) هو أمية بن أبى عائذ الهذلى . أشعار الهذليين ٢ : ١٨٢ .

فالطير لكثرتها عليه وتكابُسِها فيه كالورق اللجين . ومثل ذلك فى المعنى قول الراعى :

بدَلوٍ غير مكرَبَةٍ أصابتْ ... حَماماً فى جوانبه فطارا

كأنّه استقى بسُفْرةٍ فلذلك لم تكن مُكْرَبة ، والطير قد اتّخذت فيه الأوكار للخلاء . فقوله كالورق اللجين ، مثل قولك صائداً به وصائد به ، بعد قولك : مررت برجل معه صقر . فجعلته مرةً حالا من الهاء فى معه ، وأخرى صفة لرجل . انتهى ٢٢٤

وقال شرّاح أبيات المفصل : اللجين : الساقط من ورق الشجر عند الضرب بالعصا . قالوا : المعنى اجتمعت على ذلك[1] الطيرُ شبيهةً بالورق الساقط من الشجر ، فى اصفراره ، لأنّه فى القفر فلا يرِده واردٌ من الناس .

وقوله : ذعرت به القطا الخ ، يريد أنّه جاء إلى الماء متنكّرا . وذعرت : خوّفت ونفرّت . ونفَيت : طردت وأبعدت . والباء بمعنى فى ، وخَصّ الذئب والقطا لأنّ القطا أهدى الطير ، والذئب أهدى السباع ، وهما السابقان إلى الماء . قال شارح الديوان : أى ذعرت القطا بذلك الماء ، ونفيت عن ذلك الماء مقامَ الذئب ، أى وردت الماء فوجدت الذئب عليه فنحّيته عنه . أراد مقام الذئب كالرجل اللعين المَنْفىّ المُقْصَى . انتهى . فاللعين على هذا بمعنى الطّريد ، وهو وصف للرجل ، وهو ما ذهب إليه ابن قتيبة (فى أبيات المعانى) قال : اللعين : المطرود وهو الذى خلعه أهله لكثرة جناياته . وقال بعض فضلاء العجم

(١) الاشارة الى الماء .

(فى شرح أبيات المفصل) : اللعين : المطرود الذى يلعنه كلُّ أحد ولا يُؤويه ، أى هذا الذئب خليعٌ لا مأوى له كالرجل اللعين . وقال صاحب الصحاح : الرجل اللَّعين : شىء يُنْصب فى وسط الزَّرع يُستطرَد به الوحوش . وأنشد هذا البيت .

وقد أغرب أبو عبيد البكرى (فى شرح أمالى القالى) بقوله : كان الرجل فى الجاهلية إذا غدر وأخفر الذمة جُعل له مثالٌ من طِين ونُصب ، وقيل : ألاَ إنّ فلاناً قد غدرَ فالعَنوه . كما قال الشاعر[١] :

فَلَنقْتُلَنَّ بخالدٍ سَرَواتِكُمْ   ولَنَجْعَلَنَّ لظالمٍ تِمثالا[٢]

فالرجل اللعين هو هذا التّمثال[٣] . هذا كلامه ، فلينُظَر على هذا ما معنى البيت .

وكذلك فى قول أبى عبيدة خفاء حيث قال : إنّما يريد مقام الذئب اللعين كالرجل ، نقله عنه ابن قُتيبة : (فى أبيات المعانى) ، وأبو على : (فى المسائل البصرية) .

وقوله : إذا بلغتِنى وحملتِ رحلى ، البيت ، قال المبرّد (فى الكامل[٤]): « قد أحسن كلَّ الإحسان فى هذا البيت ، يقول : لست أحتاج إلى أن أرحل

(١) فى اللآلىء ٦٦٤ : « كما قال عبد الله بن جعدة » .

(٢) بعده في اللآلىء : « يعنى خالد بن جعفر وقتل الحارث بن ظالم له » .

(٣) لم أجد هذا التعقيب فى اللآلىء . وقال الميمنى : « ليس فيه اغراب الا من جهة ان الذين أخذ عنهم لم يقولوا به . ثم رأيت هذا الكلام بعينته فى كتاب الأزمنة ٢ : ١٧ عن ابن الكلبى » .

(٤) الكامل ٧٥ ليبسك .

إلى غيره . وقد عاب بعضُ الرواة قولَه: فاشْرقى بدَم الوَتين ، وقال : كان ينبغى أن ينظر لها مع استغنائه عنها(١) » .

وتقدّم نقل ما اعترض الناس عليه فى هذا البيت بسوء مكافأته لناقته فى الشاهد الستين بعد المائة(٢) .

وقوله : أفاد سماحة الخ ، قال الجوهرىّ : أفدت المال : أعطيته غيرى ، وأفدته: استفدته . والجامد بالجيم ، اليابس ، كناية عن الشُحّ . واللَّحِز ، بفتح اللام وكسر الحاء المهملة وآخره زاء معجمة ، هو البخيل الضيّق الخلق . والضَّنين : البخيل . وقوله : تلقّاها عَرابةُ باليمين ، قال شارح الديوان : اليمين القوّة ، قال الله تعالى : ﴿لأَخَذْنا مِنْهُ بِاليمين(٣)﴾ . وقال بعضهم : بيمينه لا بشماله . واليمين عندهم أحمدُ من اليُسرى .

وقال المبرد (فى الكامل) : قال أصحاب المعانى : معناه بالقوة . وقالوا مثلَ ذلك فى قوله تعالى: ﴿والسموات مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِه﴾(٤). قال المبرّد:وكان هذا الشعر سبب ارتفاع عَرَابة بن أوس .

سبب الشاهد ٢٢٥

وسبب الشعر أن عَرَابة قدِم من سفر ، فجمعه والشّماخَ الطريقُ فتحادثا ، فقال له عَرابة : ما الذى أقدمك المدينة ؟ قال : قَدِمتُ لِأَمتارَ مِنها ، فملأ له عَرابةُ رواحلَه بُرًّا وتمْراً وأتحفَه بغير ذلك ، فقال الشماخ هذا الشعر .

---

(١) انظر بقية الكلام عند المبرد فى الكامل .
(٢) الخزانة ٣ : ٣٨ ــ ٤٠ .
(٣) الآية ٤٥ من سورة الحاقة .
(٤) الآية ٦٧ من سورة الزمر .

وقال معاوية لعَرابة بن أوس : بِمَ سُدْتَ قومَك ؟ قال : لستُ بسيِّدهم ولكنّى رجلٌ منهم . فعزَم عليه ، فقال : أعطيت فى نائبتهم ، وحَملت عن سفيهم ، وشددت على يدَى حليمهم ؛ فمن فعل منهم مثلَ فعلى فهو مثلى ، ومن قصّر عنه فأنا أفضل منه ، ومن تجاوزنى فهو أفضل منِّي .

وقوله : فنعم المرتجى الخ ، المخصوص بالمدح محذوف ، أى عَرابة . وَرَكَدتْ إليه ، أى بَرَكت عند عَرابة ، ويقال دام سيرُها إليه ، والراكد : القائم . ورَحَى حَيزومِها أى كِركِرتها ، قال الجوهرىّ : «والكِركِرةُ بالكسر : رَحَى زورِ البعير » . والإبل توصف بصغر الكِركِرة ، وشَبَّه رَحى حَيزومِها برحى الطحين فى الصَّلابة لا فى العِظَم ، فإنَّه عيب .

وقوله : إذا ضُربت على العِلاّت إلخ ، يقول : إذا ضُربت على ما كان بها من عِلّة حَطّت إليك ، أى اعتمدت عليك اعتمادَ هاديةٍ أى أتان متقدمة . والشُّنُونُ ، بفتح الشين المعجمة وضمّ النون ، بين السمين والمهزول .

وقوله : تُوائِل مِنْ مِصَكٍّ إلخ ، تُوائل : تُفاعِلُ ، من وَأَل بمعنى نجا ، أى تنجو وتهرُب تلك الأتان من مِصكّ ، أى حمار شديد ، بكسر الميم وفتح الصاد المهملة ، والكاف مشددة . وأنصبَتْه من النَّصَب وهو التعب . وحَوالبُ فاعل أنصبَتْه ، وهى ما تحلّب وسال من أنفه وذكَرِه ؛ أى ذكرُه يذِنّ بماء ظهره فهُما(١) حوالب أسهريه ، لشدَّة شبَقه . والذَّنين ، بفتح الذال المعجمة ونُونَين(٢) الشيء الذى يسيل ويجرى ، وقد ذنّ يذِنّ ذَنيناً ، إذا سال وجرى . وقال

---

(١) فى النسختين : « فهى » ، والتصحيح للشنقيطى فى نسخته ، يعنى الأنف والذكر .

(٢) فى النسختين : « وتذنين » ، والتصحيح للشنقيطى فى نسخته .

أبو عبيدة : حَوالب أسهريه هما عِرقا الذكَر اللذان يظهران إذا أنعظ . ويقال الأسهران : عرقانِ فى أصل القفا يجرى فيهما الماء حتَّى يبلغ الذكر . ويقال : الذنين : الذكر . كذا قال شارح الديوان .

وقوله ، متى ينل القطاة الخ ، أى متى ينل الحمارُ قطاة الأتان ، وهو موضع الرِّدف ، يَرِكْ عليها أى يتوركَّ عليها . وحِنْو الرأس ، بكسر المهملة : جانب الرأس . وقوله : معترِضَ الجبين ، أى جبينُه فى ناحية من شدَّة نشاطه .

وقوله : شَجِ بالرِّيق ، أى غصَّ ذلك الحمارُ بريقهِ إذْ حَرُمت عليه ، وذلكَ أنَّها حاملٌ ، وهى محصنةَ الفرج ، يعنى الأتان . والواسقة : الحاملة . والجَنين : الولد فى بطنها . فليس فى الأرض أنثى تحمل فتمكن الفحلَ ما خلا المرأة .

وقوله : طوت أحشاء إلخ ، أى هذه الأتان ضمَّت أحشاء مُرتِجَة ، أراد رَحِمَها ، أى أغلقتْ رَحِمَها على ماء الفحل . والمَشِجُ ، بفتح الميم وكسر الشين : ماء الفحل مع الدم ، وقيل ماء الفحلِ والأتانِ جميعاً يختلطان . وسُلالته أى ماؤه ، وهو فاعل مَشِج ، ويقال السلالة الولد ، وهو الرقيق . وَمَهِين : ضعيف ، وهو صفة مَشِج . كذا قال شارح الديوان . وهذا البيت أورده صاحب الكشَّاف عنه قوله تعالى : ﴿ أمْشَاجٍ نَبتَلِيهِ[1] ﴾ ، على أنَّه يقال مَشِجٌ كما يقال أمشاج وكلاهما مفرد .

قال شارح شواهد التفسيرين خَضِرٌ الموصليّ : يجوز أن يكون سلالته مبتدأ وخبره مهين ، وإنّما لم تؤنَّث إمَّا لأنَّه فعيل بمعنى مفعول أو بمعنى فاعل لكنه حمل عليه ، أو لأنَّ المراد شيء مهين . والجملة صفة لمشج . هذا كلامه .

---

(١) الآية ٢ من سورة الانسان .

وقد غفل عن القوافى مع أنّه أورد القصيدة فإنّها مجرورة ، فهين مجرور لا مرفوع حتّى يصح أن يقع خبر المبتدأ .

٢٢٦ والمعنى أنّ هذه الاتان أطبقت رَحِمها إلى وقت الولادة على النُّطفة ، فلا تمكِّنُ الحمار منها ، فهى تهرُب منه بأشدَّ ما يكون ، فناقة الشمّاخ تشبه هذه الأتانَ فى الإسراع للتوجُّه إلى هذ الممدوح .

وقوله : إليك بعثت الخ ، المَقْحِد ، بفتح الميم وسكون القاف وكسر الحاء المهملة : السَّنام .

وقوله: إذا بَرَكتْ على شَرَف إلخ ، الشرَف ، بفتحتين : الموضع العالى . والعسيب هنا : عظم العُنُق ، ويأتى بمعنى عَظْم الذنَب . والجران بكسر الجيم: باطن العنق ، وَهو الذى يمسّ الأرض عند مدّ عنقه عليها . وشبَّه العسيبَ بعصا المَجين لخفَّته وطوله . وخصَّ المجينَ لأنَّ العبيد كانوا يرعَون الإبِلَ ويستجيدُون العصا . وجواب إذا هو قوله كأن مَحاز لحيها البيت الآتى .

وقوله : إذا الأرطَى توسّدَ إلخ ، هذا البيت من أبيات أدب الكاتب لابن قتيبة . والأرْطَى : شجرٌ من أشجار البادية تُدبَغ به الجلود ، وهو مفعول لفعل محذوف ، أى إذا توسّد الأرطى . وأبردَيه بدل اشتمال من الأرْطى . ومعنى توسّد أبرديه اتخذها كالوِسادة . والأبردان ، الظل والفىء ، سمِّيا بذلك لبردها . والأبردان أيضاً : الغداة والعَشى . وخدودُ فاعل توسّد . والجوازئ : الظباء . وبقر الوحش سمِّيت جوازئ ، لأنّهاَ اجتزأت بأكل النبتَ الأخضر عن الماء ، أى اكتفَت به واستغنت عن شرب الماء . والعِين : الواسعات العيون ، جمع عيناء . والمعنى أنَّ الوحوش تتخذ كِناسين عن جانبي الشجر تستتر فيهما من حَرّ الشمس ، فترقد قَبلَ زوال الشمس فى الكِناس

الغربى ، فإذا زالت الشمس إلى ناحية المغرب وتحول الظلُّ فصار فَيئاً زالت عن الـكناس الغربىّ ورَقدت فى الـكناس الشرقىّ . والمعنى أنه قَطع الفلاة فى الهاجرة حين تَفِرّ الوحوشُ من حرّ الشمس . يمدح نفسَه بذلك ويوجب على الممدوح رعايةَ حقِّه . فقوله إذا الأرطى ، ظرف لقوله بعثت فى البيت السابق ، وليست شرطيَّة حتّى يقدّر لها جزاء ، خلافاً لابن السيد .

وقوله : كأنّ مَحاز لَحْيَيها إلخ ، هذا جواب إذا الأولى. أخبر أنّها تطأطىء رأسَها من الذُّباب فتَلزقه بالحصى فتدفع الحصَى بلحيها . فأخبر أنّ تلك الأرض التى دفعت الحصى عنها ، كأنها جلدُ أجرَبَ لم يَبق عليه من الوبر إلاّ القليل . يقول : تقع مُغْيِيةً فتمدُّ جِرانَها فتَفحص التراب والحصى ، فكأنّ ذلك الفحص جِنابا (بكسر الجيم) أى ناحيتا جلدٍ أجرب . وضمير حصاه للرمل .

وقد ذكر أبو الفرج الأصبهانى فى الأغانى حكايةً مستظرفة ، لقوله إذا الأرْطى تَوَسَّدَ أبرديهِ[1] البيت ، فرأيت ذكرها فى هذا الموضع :

عن المدائنى أنّ عبد الملك بن مروان نَصب الموائدَ يُطعِم الناس ، فجلس رجلٌ من أهل العراق على بعض الموائد ، فنظر إليه خادمٌ لعبد الملك فأنكره فقال : أعراقىٌّ أنت[2] ؟ فقال : نعم ! فقال : بل أنت جاسوس ! قال : لا ، ويحكَ دَعْنى أتَهنَّأ طعامَ أميرِ المؤمنين ولا تنغِّصه علىَّ[3] . ثم إن عبد الملك أقبل يطوف على الموائد فوقف على تلك المائدة فقال : من القائل :

---

(١) ط : « أسد ابرديه » ، صوابه فى ش .

(٢) ش : أعرابى أنت » ، صوابه فى ط والأغانى ٨ : ١٠٣ .

(٣) الأغانى : « دعنى اتهنأ بزاد أمير المؤمنين ولا تنغصنى به » .

* إذا الأرْطى توسَّد أبردَيه *

وما معناه ؟ ومن أجاب فيه أجزناه . فقال العراقىّ للخادم : أتحبُّ أن أشرح لك ذلك(١) ؟ قال : نعم ! فقال : هذا البيت يقوله عَدىُّ بن زَيد فى صفة البطِّيخ الرمسي . فنهض الخادمُ مسروراً إلى عبد الملك فأخبره ،

٢٢٧ فضحك عبد الملك حتّى سقط ، فقال له الخادم : أخطأتُ يامولاى أم أصبت ؟ فقال: بل أخطأت . فقال:هذا العراقىُّ لقَّنى إياه(٢). فقال:أىُّ الرجال هو(٣)؟ فأراه إياه . فقال : أأنت لقنته هذا ؟ فقال : نعم . فقال : صواباً لقَّنتَه أم خطأ ؟ فقال : بل خطأ . فقال : ولِمَ ؟ قال : لأنى [كنتُ] متحرما(٤) بمائدتك فقال لى كيت وكيت ، وأردت أن أكفَّه عنّي وأضحكَكَ منه . فقال له عبد الملك : فكيف الصواب ؟ فقال : هذا البيت يقوله الشمّاخ بن ضِرار فى صفة البقر الوحشيّة التى جزأت بالرُّطب عن الماء ، فقال : صدقت ! وأمر له بجائزة ، ثم قال له : ألك حاجة ؟ قال : نعم ، قال : وماهى ؟ قال : تُنحِّى هذا عن بابك ، فإنّه يَشينُه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع بعد الثلثمائة(٥) :

٣٠٩ (فقُلتُ انجُوَا عَنْها نجَا الجِلدِ ، إنَّهُ
سَيُرْضِيكُما منها سَنامٌ وغارِبُهْ)

---

(١) الأغانى : « أن اشرح لك قائله وفيم قاله » .
(٢) الأغانى : « هذا العراقى فعل الله به وفعل لقننيه » .
(٣) هذا ما فى الأغانى . وفى النسختين : « أى الرجل هو » .
(٤) هذا ما فى الأغانى . وفى ط : « لأنى متحريا » . وفى ش : « لانى متحرم » مع أثر اصلاح .
(٥) المنصف ١ : ٢١ والانصاف ١٢٣ وابن يعيش ٧ : ١٢٩ ، ١٥٢ والعينى ٣ : ٣٧٣ والأشمونى ٢ : ٢٤٣ .

على أنَّ الفرّاء يجيز إضافة الشيء إلى نفسه إذا اختلف اللفظان ، كما فى البيت ، فإن النّجاء والجلد مترادفان ، وقد تضايفا ،

وهو معنى قول المرادىّ (فى شرح الألفية) : نجا الجلد من إضافة المؤكِّد إلى المؤكَّد ، قال صاحب الصحاح : النّجا مقصورٌ من قولك نجوتُ جلدَ البعير عنه وأنجيته ، إذا سلخته ، قال الشاعر يخاطب ضَيفَين طرَقاه :

فقلتُ انجُوَا عنها نجا الجِلد إنّه .. البيت

قال الفرّاء : أضاف النجا إلى الجلد لأنّ العرب تضيف الشىء إلى نفسه إذا اختلف اللفظان ، كقولك : عيَن اليَقين ، ولدارُ الآخرة . والجِلد نجاً مقصور أيضاً . انتهى .

وقال القالى فى (المقصور والممدود) : والنَّجا ماسلخته عن الشاة والبعير ، يُكتب بالألف ، لأنّه من نجا ينجو . وأنشد هـذا البيت عن الفراء عن أبى الجرّاح . فيكون أصله نَجَو بالتحريك ، قلبت الواو ألفاً لتحرُّكها وانفتاح ما قبلها .

قال الزَّجاجىّ (فى تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿لَا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِن نَجْوَاهُمْ[1]﴾ : معنى النجوى فى الكلام ما تنفرد به الجماعة أو الاثنـان ، سرًّا كان أو ظاهراً . ومعنى نجوت الشىء فى اللغـة خلَّصته وألقيته ، يقال نجوت الجلد : إذا ألقيتَه عن البعير وغيرِه ، وأنشد هذا البيت .

وقال أبو القاسم علىّ بن حمزة البَصرىّ (فى التنبيهات على أغلاط الرواة) لا يقال فى الإبل سَلَخت ، وإنّما يقال فيها خاصّةً نجوت وَجلَّدت .

(١) الآية ١١٤ من النساء .

قال أبو زِياد : نجوت جِلدَ البعير وجلَّدت البعير تجليدا ، ولا تقول سلخت إلاّ لعنقه ، فإنّهم يقولون ذلك فيه دون سائر الجسد .

وقال ابن السيرافى (فى شرح أبيات إصلاح المنطق) : يريد قشْرا عنها لحمَها وشحمَها ، كما يقشَّر الجلد ، فإنّها سمينة . وغاربُها : ما بين السَّنامِ والعُنُق . ويؤخذ من هذا التفسير أن النجا هنا اسم مصدر بمعنى النجْوِ ، منصوبٌ على أنّه مفعول مطلق وليس اسماً للجلد . فلا يكون كما قاله الفرّاء . فتأمَّلْ .

ورأيتُ (فى حاشية الصحاح) لابن برِّىّ نسبةَ هذا البيت لعبد الرحمن ابن حسّان بن ثابت رضى الله عنه.

ونقل العينى (عن العُباب للصاغانى) أنّه لأبى الغَمْر الكِلابىّ[1] ، وقد نزل عنده ضَيفانِ فنحر لهما ناقةً ، فقالا : إنّها مهزولة . فقال معتذراً لهما : « فقلت انجوا الخ » .

٢٢٨ قال : وقبلَه بيتان آخران وهما :

(وردتُ وأهلى بين قوٍّ وفَرْدةٍ   على مَجزِرٍ تأوى إليه ثعالبُهْ
فصادفتُ خَيرَى كاهلٍ فاجآ بها   يَشُفَّان لحماً بانَ منه أطايبُهْ)

---

(١) وفى العينى ٣ : ٣٧٣ نسبة الشعر أيضا الى أبى الجراح ، نقلا عن القالى فى المقصور والممدود . وأبو الغمر هذا غير أبى الغمر الجبلى الذى ترجم له اليكرى فى السمط ٤٤٣ وذكر أنه كان كاتبا لأبى دلف العجلى أو لابن عمه ، وهو من شعراء الجبل . وهو أيضا غير أبى الغمر الطمرى الذى ترجم له المرزبانى فى معجمه ٤٨٥ وذكر فى الأشباه والنظائر للخالديين ٢ : ٥ وصحف بأبى العمر الطبرى .

وقد فتّشت العُباب فلم أظفر فيه بشيء مما قاله ، والله أعلم بحقيقة الحال .
وقَوٌّ — بفتح القاف وتشديد الواو — هو وادٍ بالعقيق عَقيق بنى عُقَيل .
وفَرْدة — بفتح الفاء وسكون الراء بعدها دال — ماء من مياه نَجدٍ لَجرم .
كذا فى معجم البكرىّ . ومجزِر بكسر الزاى موضع الجَزْر . وكاهل : أبو قبيلة ،
وهو كاهل بن أسد بن خُزيمة . وفاجأ : أى أتى بَغتة . ويَشُفّان : من
شفّه الهمّ يَشُفُّه بالضمّ أى هَزَله ، أى اللحم الذى ظهر منه أطايبُه قالا إنّه
مهزول .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد العاشر بعد الثلثمائة[1] :

٣١٠ *(مَلِكٌ أَضْلَعُ البَرِيَّةِ لا يُو جَد فيها لمـا لدَيه كِفاء)*

على أنّ إضافة أفعل التفضيل عند أبى بكر بن السرّاج ومن تبعه لفظيّة
لا تفيد تعريفاً ، بدليل هـذا البيت ، فإنّ أضْلَع البَريّة وقع نعتاً لملك ،
وهو نكرة ، فلو كانت تفيد التعريف لما صحّ وقوعه نعتاً لنكرة .

قال أبو على (فى التذكِرة القصريّة) : قال أبو بكر ، فى أفعل الناس
نحو أشرف الناس وأفضل القوم : إنّ هذه الإضافة في تقدير الانفصال ، لأنّ
ما تضيفه من هذا القبيل ينبغى أن يكون بعضَ مايضاف إليه ، بدلالة امتناع
زيد أفضل الحمير ، فيجب أنْ يقدّر الانفصال ، وإلاّ لم يَجْز ، لئلا تضيف
الشىء إلى نفسه .

فإن قلت : فإنّ ما يقدّر فيه الانفصال نجد فيه معنى الفعل ، نحو ضارب

---

(١) من معلقة الحارث بن حلزة المشهورة .

وليس فى أفعل معنى الفعل ؛ قيل : هذا وإن قصّرَ عن فاعل فإن فيه معنى الفعل لنصبه الظرف فى بيت أوس : «أحوجَ ساعةً[(١)]» ، ووصولِه تارةً بالحرف وأخرى بنفسه نحو (أَعْلَمُ بمن) و (أَعْلَم من) ، وهذا مما يختصّ بالفعل .

فإن قلت : إذا قدَّرت فيه الانفصال اقتصرت به على النكرة كضارب زيد . قال ﴿فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ[(٢)]﴾ . فالجواب عندى نعم ، وذلك قوله : « ملك أضْلَع البرية البيت » . وأما قوله : أَحْسَنُ الخالقين فيكون مقطوعا ، أى هو أحسن الخالقين ، لأنّه موضع ثناء . انتهى

وهذا البيت من معلّقة الحارث بن حِلِّزة ، وهى سابعة المعلقات السبعة[(٣)] ، وقد تقدَّم جانب منها مع ترجمته فى الشاهد الثامن والأربعين[(٤)] وقطعة فى الشاهد الثامن والثلاثين بعد المائتين[(٥)] ونقلنا فى الموضعين[(٦)] سبب نظمه لهذه المعلقة ، وفى الشاهد الثامن والثمانين بعد المائة أيضاً[(٧)] .

وقبل البيت الشاهد :

(فملَكْنا بذلك الناسَ حتَّى مَلَكَ المنذرُ بنُ ماءِ السماءِ

---

(١) هو قوله فى الديوان ١٢١ :

فانا وجدنا العرض أحوج ساعة الى الصون من ريط يمان مهم

(٢) الآية ١٤ من سورة المؤمنون .

(٣) ط : « السبع » ، وهما وجهان جائزان فى العربية ، فالعدد اذا وقع وصفا جاز فيه المطابقة وعدمها .

(٤) الخزانة ١ : ٣٢٤ .

(٥) الخزانة ٣ : ٤١٤ .

(٦) الصواب « فى الموضع الأول » ، وليس فى الثانى ذكر لسبب النظم .

(٧) الخزانة ٣ : ١٨١ .

وهو الربُّ والشهيدُ على يو مِ الحِيارَينِ والبلاء بلاء
ملكٌ أضْـلَعُ البريَّةِ . . . . البيت)

وقوله : فملكنا بذلك ، فى هذا البيت إقواء ، فإنّه مجرور القافية .
وقيل:هذا البيت منحول إليه، ليس من القصيدة . وقوله : بذلك ، يعنى بالعزّ
والامتناع وبالحروب التى كان الغَلَبُ لنا فيها ذلّلنا الناسَ حتّى ملك المنذر بن
ماء السماء .

٢٢٩ وقوله : وهو الربُّ الخ ، الربُّ عنَى به المنذرَ بن ماء السماء . والربُّ ،
فى هذا الموضع : السيّد . والشَّهيد : الحاضر . والحِيارانِ : بلدٌ ، وهو بكسر
الحاء المهملة بعدها مثنّاة تحتيّة . يخبر أنَّ المنذر كان شهد يوم الحيارين . فإنَّ
المنذر غزا أهلَ الحيارَينِ ومعه بنو يَشكُر ، فأبلَوا بلاءً حسناً ، وكان
البلاء فى ذلك اليوم بلاء عظيما .

وقوله : ملكٌ أضلعُ الخ ، خبرٌ آخرُ لقوله هو ، فيكون مشاركاً
للرب فى الخبريّة ، فإنَّ الأخبار يجوز أن يأتى بعضها بالعطف وبعضها بدونه
كما هنا . وأضلعُ البريّة أى أشدُّ البرية إضلاعاً[1] لما يحمل ، أى هو أحمل
الناس لما يُحْمَل ، من أمر ونهى وعطاء وغير ذلك . وقوله : لا يوجد فيها
الخ ، معناه ليس فى البرية أحدٌ يكافئه ، ولا يستطيع أن يصنع مثلَ
ما يصنع من الخير . والكِفاء ، بالكسر : المِثْل والنظير ، يقال فلان
كفاء لفلان أى كُفء له ونظير . وروى : (مَلِكٌ أضرَعَ البَرِيَّةَ) على

(١) ط : « أضلاعا » ، صوابه بكسر الهمزة . وفى القاموس :
« وهو مضلع لهذا الأمر ومضطلع ، أى قوى عليه » . وحورها الشنقيطى
فى نسخته الى « مضطلعا » ، وهى صحيحة ، لكن ما أثبت أقـرب
تصحيح .

أنَّه فعل ماض ، أى أذلّ البريةَ وقهرَها ، فما يوجد فيهم من يُساويه فى معاليه . وحينئذ لا شاهد فى البيت .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى عشر بعد الثلاثمائة[1] :

٣١١ ﴿ولم أر قوماً مِثْلَنا خيرَ قَوْمِهم
أقلَّ بِهِ مِنَّا عَلى قَومِهم فخرَا﴾

لما تقدَّم قبله ؛ فإنّه وصف النكرة وهى قوماً بخير ، وهو بمعنى التفضيل ، ولو كانت الإضافة معنوية للتعريف لما وقع صفةً للنكرة .

قال الشّلوبين (فى حاشية المفصّل) : هذا إذا جعلت خيراً للتفضيل ؛ فإن جعلتَ خيراً فيهما من الخير الذى هو ضدّ الشرّ ، لم يكن من هذا الباب .

وجوَّز شُرَّاح الحماسة أن يكون خيرَ قومهم بدلاً أيضاً من قَوما ، لكنْ قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة[1]) : في هذا البيت شاهدٌ لجواز : مررت برجل أكرم أصحابه على أصحابه ، على الصّفة ، لأنَّها هنا أظهر من البدل ، والباء فى به ضمير الخير الذى دل عليه قوله خير قومهم ، وليس الثانى هو الأوّل ، لأن خيراً الأوّل صفة ، والثانى المقدّر مصدر ، كقولك : أنا أوثر الخير وأكره الشر ، فدلّت الصفة على المصدر ، كقول الآخر :

إذا نُهِي السَّفيه جرَى إليه وخالفَ ، والسَّفيهُ إلى خلافِ[2] انتهى

---

(١) اعراب الحماسة ٥٢ مخطوطة احمد الثالث .

(٢) هو الشاهد ٣٧٤ من الخزانة .

وقوله : أقل ، بالنصب مفعول ثان لقوله لم أر . وفخراً تمييز . وتقدير البيت:لم أر خير قوم مِثلِنا أقلَّ بذلك فخراً منّا على قومنا . والمعنى إنّا لا نبغى على قومنا ولا نتكبَّر عليهم ، بل نعدُّهم أمثالنا ونظراءنا فنباسطهم ونوازنهم قولا بقول ، وفعلا بفعل .

أبيات الشاهد

وهذا البيتُ أولُ أبيات ثلاثةٍ مذكورة (فى الحماسة) لكن جميع النسخ والشروح على إسقاط الواو من قوله : ولم أر قوماً ، على أنه مخروم . والبيتان اللذان بعدهما :

(وما تَزدَهينا الكبرياء عليهمُ إذا كلَّمونا أنْ نكلِّمَهم نَزْرا
ونحن بنو ماءِ السماء ، فلا نرى لأنفسنا مِن دون مَملكةٍ قَصْرا)

زهاه وأزهاه بمعنى تكبَّر ، والزَّهو : الكبروالفخر . ونزراً أى قليلا ، وهو مفعول مطلق أى كلاماً قليلا ، والمعنى لا يستخفّنا الكِبرُ ، إلى أن نتعلّى عليهم ونقلّل الكلام معهم ترفّعاً عن مساواتهم ، بل نباسطهم ونكاثرهم فى القول والسؤال ، إيناساً لهم وتسكيناً منهم .

ماء السماء

٢٣٠

وماء السماء ، قال فى الصحاح : هو لقب عامر بن حارثة الأزدى ، وهو أبو عمرو مُزَيقيا الذى خرج من اليمن لما أحس بسَيل العَرِم ، فسمّى بذلك ، لأنَّه كان إذا أجدب قومه مانَهمْ حتى يأتيهم الخصب ، فقالوا : هو ماء السماء ؛ لأنه خَلَفٌ منه . وقيل لولده بنو ماء السماء ، وهم ملوك الشام . قال بعض الأنصار[1] :

أنا ابنُ مُزَيقِيا عمرٍو وجَدِّى أبوه عامرٌ ماءُ السماء

---

(١) هو أوس بن الصامت ، كما فى العينى ١ : ٣٩١ .

وماء السماء أيضاً : لقب أمّ المنذر بن امرئ القيس بن عمرو بن عدِىّ ابن رَبيعة بن نَصْر اللّخمىّ . وهى ابنة عَوف بن جُشَم ، من النَّمر بن قاسِط . وسمِّيت بذلك لجمالها ، وقيل لولدها بنو ماء السماء ، وهم ملوك العراق . وقال زُهير بن جناب :

ولازَمتُ الملوكَ منَ آل نصرٍ وبَعْدَهُمُ بنى ماءِ السَّماءِ . انتهى

صاحب الشاهد

فالظاهر أنّ المراد هنا هو الأول ؛ لأنّ قائلَ الأبيات أنصارى ، وهو زيادة ابن زيد الحارثى[1] من بنى الحارث بن سعد أخو عذرة . وقال أبو رياش[2] : هو زيادة بن زيد ، مِن سعَد هُذَيم[3] بن ليث بن سُود بن أسلُم بن الحافِ ابن قُضاعة . كذا قال التبريزى .

زيادة بن زيد

وزيادة شاعر إسلامىٌّ فى الدولة الأموّية ، قتله ابن عمه هُدبةُ بن خَشْرَم . ويأتى إن شاء الله سبب قتله عند ذكر هدبة[4] .

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد الثانى عشر بعد الثلثمائة ، وهو من شواهدس[5] :

(١) ط : « بن زياد الحارثى » ، صوابه فى ش .

(٢) فى النسختين : « ابن رياش » ، وانما هو ابو رياش شارح الحماسة .

(٣) فى النسختين : « بن سعد بن هذيم » ، صوابه من التبريزى ١ : ٢٣٨ . وانظر لسعد هذيم جمهرة ابن حزم ٤٤٧ والمعارف ٤٧ والاشتقاق ٥٤٦ من تحقيق كاتبه . وفى الجمهرة ان سعد هذيم هو ابن زيد بن ليث بن سود .

(٤) انظر الخزانة الشاهد ٧٥٠ .

(٥) فى كتابه ١ : ٣٩٩ . وانظر ابن يعيش ٢ : ٢٣١ واللسان (أيا ٥٩) .

٣١٢ (فأَيِّى ما وأَيُّكَ كانَ شرًّا فَقِيدَ إلى المُقامةِ لا يَرَاها)

على أن هذا ضرورة ، والقياس المستعمل : فأيّنا كان شرًّا من صاحبه .

وما زائدة للتوكيد ، وأيِّى مبتدأ ، وأيُّك معطوف عليه ، واسم كان ضمير ، أى أيّنا ، وشرًّا خبره ، والجملة خبر المبتدأ . وقِيدَ مجهول قاد الأعمى . وجيء بالفاء لأنّه دعاء فهو كالأمر . والمُقامة ، بضم الميم وفتحها : المجلس ، وجملة لايراها حالٌ من ضمير قِيد . يدعو على الشرِّ منهما ، أى من كان منّا شرًّا أعماه الله فى الدُّنيا فلا يُبصر حتى يقاد إلى مجلسه . وقال شارح اللباب : أى قِيدَ إلى مواضع إقامة الناس وجَمعهم فى العَرَصات لايراها ، أى قِيد أعمى لا يَرى المُقامة . انتهى .

وحَمْلُ الدعاء فى الآخرة[1] لا على الدنيا غير جيِّد . وهذا من المعاملة بالإنصاف .

أبيات الشاهد

وهذا البيت من جُملةِ أبياتٍ للعبّاس بن مِرْداس السُّلَمىّ ، قالها لخُفَاف ابن نَدْبَة فى أمرٍ شجَرَ بينهما ، وهى [2]:

(ألا مَنْ مُبلغٌ عَنِّى خُفافاً ألوكاً بيتُ أَهْلِكَ مُنْتهاها
أنا الرجلُ الذى حُدِّثتَ عنه إذا الخفِراتُ لم تُستَربُراها
أشُدُّ على الكتيبةِ لا أُبالى أفيها كان حَتْفِى أم سِواها
فأيِّى ما وأيُّكَ كانَ شَرًّا فقيد إلى المُقامة لايَراها
ولا ولدتْ له أبداً حَصانٌ وخالفَ ما يريد إذا بغاها
ولى نفس تتوقُ إلى المعالى سَتَتلفُ أو أُبلِّغها مُناها)

---

(١) كذا فى النسختين ، والوجه « على الآخرة » .

(٢) الأبيات فى حماسة ابن الشجرى ٣٥ .

٢٣١ وخُفَاف بضم الخاء المعجمة وتخفيف الفاء كغراب، واشتهرَ بالإضافة إلى أمه ، وهى نَدْبة ، بفتح النون وسكون الدال بعدها باء موحدة . وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كالعباس بن مرداس .

وتقدَّمت ترجمةُ العبَّاس (فى الشاهد السابع عشر من أوائل الكتاب[(١)])، أما ترجمة خُفاف بن ندبة فستأتى إن شاء الله تعالى (فى باب اسم الإشارة[(٢)]).

وألوك بفتح الهمزة وضم اللام : الرسالة ؛ ومنها الملائكة : وحُدِّثتَ بالبناء للمفعول والخطاب . والخَفِرات : النساءِ الحييَّات ، بفتح الخاء وكسر الفاء، والفعل من باب تعب . والبرُا :جمع بُرَة بضمّ الباء الموحَّدة فيهما ، وهى كلُّ حَلْقة من سوار وَقُرط وخَلخَال، والمراد هنا الأخير . وعدمُ سترِ الخلاخيل للنساء ، إنَّما يكون عند هُروبهن من السَّبْي والنَّهْب[(٣)]. وإذا ظرف ، إمَّا لقوله حُدِّثت أو لقوله أشُدُّ على الكتيبة . ومثل هذا يسمى (التجاذب). وقوله:أشد على الكتيبة ، قيل : لم يقَلْ فى الشجاعة أبلغُ من هذا البيت . والكتيبة : الجيش . والحتْف : الهلاك . وقوله : فقِيدَ إلى المقامة ، روى أيضاً : « فسِيقَ إلى المقامة » من السَّوق . وقوله : ولا ولدت له الخ ، هذا دعاء عليه بقطع نسْله. والَحصاَن بالفتح : المرأة العفيفة . وتتوق ، تاقت نفسُه إلى الشىء اشتاقته ونازعت إليه . وتَلِف الشىء من باب فرح إذا هلك .

* * *

---

(١) الخزانة ١ : ١٥٢ .

(٢) فى الشاهد ٤١١ وهو :

فقلت له والرمح يأطر منه   تأمل خفافا اننى أنا ذلكـــا

(٣) أنكر قوم صحة « الهروب » . وقد وجدتهـــا فى شعر فى الطبرى ٨ : ١٣ وهو :

* وليس بمنجى ابن اللعين هروب *

وأنشد بعده، وهو الشاهد الثالثَ عَشَرَ بعد الثلثمائة (١) :

٣١٣ ﴿أظلَمِي وأظلَمُهْ﴾

على أنّه ضرورة، والقياسُ أظلمنا . وهو قطعة من رجز رواه أبو على (في إيضاح الشعر) عن أحمد بن يحيى الشهير بثعلب، وهو :

(ياربَّ مُوسَى أظلَمِي وأظلَمُهْ فاصبُب عليه ملَكاً لا يرحَمُهْ)

قال : معناه أظلمُنا، كقوله : أخزى الله الكاذبَ منّي ومنه، أي منّا فالمعنى أظلَمُنا فاصبُب عليه . وهذا يدلّ على جواز ارتفاع زيد بالابتداء، في نحو زيد فاضرْبه، إنْ جعلت الفاء زائدة على ما يراه أبو الحسن .

فإن قلتَ : أضمِر المبتدأ كما أضمرت في قولك : « خولانُ فانكحْ فتاتَهم(٢) »، فان ذلك لايسهل ؛ لأنه للمتكلم، فكما لايتّجه : هذا أنا، على إرادة إشارة المتكلم إلى نفسه من غير أن ينزله منزلة الغائب، كذلك لايحسن إضمار هذا هنا .

فإن قلتَ : إن أظلمُنا على لفظ الغيبة، فليس مثل هذا أنا، فإنّه وإن كان كذلك فالمراد به بعض المتكلمين، ولا يمنع ذلك، ألا ترى أنهم قالوا يا تميمُ كلّهم، فحملوه على الغيبة لما كان اللفظ له وإن كان المراد به المخاطب . وإن جعلت المضمر في علمك، كأنك قلت قد أظلمنا في علمك، كان مستقيما . انتهى .

---

(١) انظر التصريح ١ : ٢٩٩ والهمع ١ : ١١٠ .

(٢) قطعة من الشاهد ٧٧ في الجزء الأول ص ٤٥٥ . وهو بتمامه :

وقائلة خولان فانكح فتاتهم وأكرومة الحيين خلو كما هيا

ورواه ابن عقيل (في شرح التسهيل) هكذا :

* سلّط عليه مَلكاً لا يرحمُهُ *

و (ربّ) منادى مضاف إلى موسى ، وضمير (أظلمه) الغائب راجع إلى (موسى) هذا ، وهو خصم صاحب هذا الرجز .

وكلام أبي علي مبنيّ على رفع أظلمى وأظلمه بالابتداء والخبر الجملة الدعائية ، ويجوز نصبهما على الاشتغال[1] .

* * *

٢٣٢ وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع عشرَ بعدَ الثلاثْمائة[2] :

٣١٤ * فهَلْ لكم فيها إليّ فإنّني طَبيبٌ بما أعيا النِطاسيَّ حِذْيَما *

على أن فيه حذفَ مضاف ، أي ابن حذيم ، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ، لأنه علم أنّه العالم بالطبّ والمشهورُ به ، لا حذيم ، فإنه وَردَ في الأمثال : « أَطبُّ من ابن حِذْيَم » . قال الزمخشري (في المستقصى) : هو رجلٌ كان من أطبّاء العرب . وأنشد هذا البيت وقال : أراد ابن حِذْيم انتهى .

قال أبو الندى : ابنُ حِذْيَم[3] رجلٌ من تيم الرّباب ، كان أطبَّ العرب ، وكان أطبَّ من الحارث بن كَلَدة .

---

(١) ان صح نصبهما على الاشتغال لزمه عيب القافية وهو الاقواء ، فان البيتين من مشطور الرجز .

(٢) الخصائص ٢ : ٤٥٣ وابن يعيش ٣ : ٢٥ وشرح شواهد الشافية ١١٦ وديوان أوس ١١١ .

(٣) في أمثال الميداني ١ : ٤٠٥ : « قال أبو الندى : هو حذيم .... » الخ .

وأورد صاحب الكشاف هذا البيت عند قوله تعالى: ﴿شَهرُ رَمضانَ الذى أُنزِلَ فيهِ القرآن[١]﴾ على أن التسمية واقعةٌ على المضاف والمضاف إليه جميعاً. وأمّا ما يرِد من نحو قوله عليه الصلاة والسلام: «مَنْ صامَ رَمضانَ إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدَّمَ من ذنبه» فهو من باب الحذف لا من الإلباس، كما حذف الشاعر ابن من ابن جذيم. وقد خالف كلامَه هنا (فى المفصّل) فإنه قال فيه: إذا أمِنوا الإلباس حذفوا المضاف. وقد جاء اللَّبس فى الشعر، قال ذو الرّمة:

عَشية فرَّ الحارثيون بعدما قَضى نحبَه فى مُلتَقى القوم هَوبَرُ

وقال:

* بما أعيا النِطاسىَّ حِذيما *

أى ابن هوبر وابن حِذيَم. وهو فى قوله هذا تابعٌ لأبى على (فى إيضاح الشعر) فإنّه قال: قد جاء فى الشعر أبياتٌ فيها حذف مضاف مع أنه يؤدِّى حذفه إلى الإلباس. ومثّل بما ذكر، وبقوله:

أرضٌ تخَيَّرَهاَ لِطيب مَقيلِها كعبُ بنُ مامةَ وابنُ أُمِّ دُوادِ[٢]

هو أبو دواد الشاعر، واسمه جارية، والتقدير ابن أمِّ أبى دواد، فحذف الأب. والصواب مافى الكشاف من أنّه لا إلباس فيه؛ فإنّ الإلباس وعدمَه إنّما يكون بالنسبة إلى المخاطب الذى يلقى المتكلّم كلامَه إليه، لابالنسبة إلى أمثالنا، فإنه وإنْ كان عندنا من قبيل الإلباس، مفهومٌ واضح عند المخاطب به فى ذلك العصر.

---

(١) الآية ١٨٥ من البقرة.

(٢) البيت للأسود بن يعفر فى المفضليات ٢١٧.

ويؤيد ما ذكرنا قول ابن جني (في الخصائص) : ألا ترى أنّ الشاعر لما فُهم عنه ما أراد بقوله قال الشاعر يصف إبلا(١) :

صبّحن من كاظمة الخصّ الخرب يحملن عبّاس بن عبدِ المطلبْ(٢)

وإنما أراد عبدَ الله بن عباس . ولو لم يكن على الثقة بفَهم ذلك ، لم يجد بدًّا من البيان . وعلى ذلك قول الآخر :

* طبيبٌ بما أعيا النِّطاسيَّ حِذْيما *

أراد : ابن حذيم . انتهى .

وحذفَ الصلَتان العَبديُّ أكثرَ من هذا في محاكمته بين جرير والفرزدق في قوله :

أرى الخطَفى بذَّ الفرزدقَ شِعره ولكنَّ خيراً من كِلابٍ مجاشعُ

فإنه أراد : أرى جَرير بن عطية بن الخطفى . وجاز هذا لكونه معلوماً عند المخاطَب .

وقد أنكر الخوارزميُّ كونَ هذا من باب الحذف ، قال : إنّما هو من باب تعدّي اللقب من الأب إلى الابن ، كما في قوله :

* كراجي الندَى والعُرف عند المذلّق(٣) *

(١) كلمة « الشاعر » الثانية لم ترد في نسخة الخصائص ، وهو من باب الاظهار في موضع الاضمار .

(٢) في النسختين : « من كاظمة الحرب » ، واكماله من الخصائص والكامل ٥٥٤ والعقد ٤ : ٣٥٧ .

(٣) صدره في أمثال الميداني ٢ : ٢٧ وابن يعيش ٦ : ٩٢ :
* فانك اذ ترجو تميما ونفعها *

أي ابن المذلَّق(١) . هذا وقد قال يعقوب بن السكيت (فى شرح هذا البيت من ديوان أوس بن حجر) : حِذيَم رجلٌ من تَيم الرباب ، وكان متطبِّباً عالماً . هذا كلامه ؛ فعنده أنَّ الطبيب هو حذيم لا ابن حذيم . وتبعه على هذا صاحبُ القاموس ، فلا حذف فيه ولا شاهد على ما ذكر . وحِذْيَم ، بكسر الحاء المهملة وسكون الذال المعجمة بعدها ياء تحتيَّة آخر الحروف .

٢٣٣

وهذا البيت من أبياتٍ لأوس بن حَجر قالها لبنى الحارث بن سَدوس ابن شَيبان ، وهم أهل القَرية باليمامة ، حيث اقتسموا مِعزاه . وقيل اقتسمها بنو حنيفة وبنو سُحيم ، وكان أوس بن حَجر أغرى عليهم عمرَو بن المنذِر بن ماء السماء ، ثم جاور فيهم فاقتسموا مِعزاه . وهذا مطلعها :

أبيات الشاهد

(فإنْ يأتِكُم منى هجاء فإنَّما حَباكُم به منّي جَميلُ بن أرقَما)

ثم بعد أربعة أبيات :

(فهل لكم فيها إلىَّ فإننى . . . . البيت
فأخرجَكم من ثوب شمطاء عاركٍ مشهَّرةٍ بلَّتْ أسافلُه دَما
ولو كان جارٌ منكمُ فى عشيرتى إذاً لرأوا للجار حقًّا ومَحْرَما
ولو كان حولى من تميمٍ عِصابةٌ لما كان مالى فيكمُ متقسَّما
ألاَ تتَّقون الله إذْ تعلفونها رَضيخَ النوى والعُضَّ حولاً مجرَّما
وأعجبَكُمْ فيها أغرُّ مشهَّرٌ تِلادٌ إذا نام الرَّبيضُ تغمغَما)

وهذا آخر الأبيات . قوله : فإنَّما حباكم الخ ، حباكم به أى وصلكم بالهجاء .

---

(١) فى القاموس (ذلق) : « وابن المذلق : من عبد شمس ، لم يكن يجد بيت ليلة ولا أبوه ولا أجداده ، فقيل : أفلس من ابن المذلق » . ونحوه فى أمثال الميدانى وابن يعيش .

وقوله : (فهل لـكم فيها) الخ ، قال المفضّل بن سَلَمة (فى الفاخر) وابن الأنبارىّ (فى الزاهر) : الطِّبُّ : الفطنة والحذق ، ومنه سمِّى الطبيب لعلمه وحذقه . وأنشد هذا البيت . وروى ابن السكّيت : « فإنّى بصير » بدل طبيب. والبصير : العالم، وقد بصُر بالضم بَصارة ، والتبصُّر : التأمُّل والتعرُّف. و (أعياه) الشىء متعدٍّى عَييت بأمرى إذا لم تهتدِ لوجهه . و (النِّطاسىّ) مفعوله ، و (حذيم) بدل من النطاسى . وفاعل أعيا ضمير ما الموصولة الواقعة على الداء . أى إنّى طبيبٌ حاذق بالداء الذى أعجز الأطباء فى مداواته وعلاجه . والنِّطاسىّ ، بكسر النون ، قال ابن السكّيت : العالم الشديد النظر فى الأمور . قال أبو عبيد:ويُروى : (النَّطاسىّ) بفتح النون . قال الجوهرىّ: التنطُّس للمبالغة فى التطهّر ، وكلُّ من أدقَّ النظرَ فى الأمور واستقصى علمَها فهو متنطس . ومنه قيل للمتطبّب نِطِّيس كفِسِّيق ، ونطاسىّ بكسر النون وفتحها . وقوله : (فهل لـكُم) بضمّ الميم ، وهو خبر مبتدأ محذوف ، أى هل لـكم ميل . وقوله : (فيها) الضمير للمعزى . وفيه حذف مضاف أى فهل لـكم ميلٌ فى ردِّ المعزى إلىَّ .

وقوله : « فأخرجكم من ثوب شمطاء» الخ ، الشمطاء : المرأة التى فى رأسها شَمَط — بالتحريك—وهو بياض شعر الرأس يخالطه سواد ، والرجل أشمَط . والعارك : الحائض . ومشهَّرة : اسم مفعول من شهَّرته تشهيراً ، والشُّهرة : وضوح الأمر . يقول : هل لـكم فى ردِّ معزاى فأخرِجكم من سُبَّةٍ شنعاء تلطخ أعراضكم وتدنّسها كما تدنس الحائض ثوبها بالدم ، فأغسله[1] عنكم . وهذا مثلٌ ضربه .

---

(١) كذا فى النسختين ، والوجه « فاغسلها » ، اى السبة . او المراد فاغسل ذاك عنكم .

وقد خبّط جميعُ من تكلم على هذا الشاهد حيث لم ير السِّياق والسِباق ، فقال شارح (شواهد التفسيرين) : المعنى هل لكم علمٌ وبصيرةٌ فيما يرجعُ نفعه إليّ ؟ ثم أعرَضَ عن سؤالهم وقال : إنّى أعلم بحالى منكم ، فإنّنى بصيرٌ بما أعجزَ الطبيب المشهور .

٢٣٤

وقال المظفّرى (فى شرح المفصّل) : أى هل لكم طريقٌ فى مداواةِ مابى ، فإنى أرى من الداء ما أعيا الطبيبَ عن مداواته .

وقد قارب بعضُ فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصّل) بقوله : والمعنى هل لكم فى هذه الحادثة حاجةٌ إلىّ لأشفيكم برأيى فيها ، فإننى طبيبٌ عالم بالذى عَجَز عنه هذا الحاذق العالمُ بالطب ولم يهتد إليه .

وقوله : «ألا تتّقون الله» الخ ، يقول : لولا أنك سرقتها لأىّ شىء تَعلفها ؟ يقول : فرُدَّها ولا تعلفْها . والرَّضيخ ، بالضاد والخاء المعجمتين : المدقوق ، رَضخت الحصا والنوى كسّرته . والعُضّ ، بضم العين المهملة وتشديد الضاد المعجمة ، قال ابن السكيت : هو القتّ ، وقال الجوهرى : علف أهل الأمصار مثل الكُسْب والنّوى المرضوخ . والمجرَّم ، بالجيم على وزن اسم المفعول : التام والكامل .

وقوله : «وأعجبكم فيها أغرّ» الخ ، قال ابن السكيت ، الأغر : الأبيض . والتلاد : القديم من المال . والرَّبيض هنا الغنم . وقوله : تغمغما ، يعنى هذا الأغر ، والغمغمة هِبابه ، أى لا ينام ، وإنما يعرّض بهم ويفترى عليهم . انتهى

تتمة

قال ابن الأثير (فى المرصَّع) : ابن حِذيم شاعر فى قديم الدهر ، يقال إنه كان طبيباً حاذقاً ، يضرب به المثل فى الطبّ فيقال : « أطبُّ بالكىِّ من ابن حِذيم » ، وسمّاه أوسٌ حذيما ــ يعنى أنّه حذف لفظ ابن ــ فقال :

* عليمٌ بما أعيا النِطاسىَّ حِذيما *

ويقال ابن حَذَام أيضاً ، وإنّه أوّل من بكى من الشعراء فى الديار ، وهو الذى سمّاه امرؤ القيس فى قوله :

عوجا على الطلَل المُحيلِ لعلّنا نبكى الديارَ كما بكى ابنُ حَذامِ

وابن خذام بالخاء المعجمة أشهر ، وقيل هما اثنان . وقال فى الخاء المعجمة : ابن خذام هو المذكور فى حرف الحاء على اختلاف الروايتين ، فمنهم من جعله إيّاه ومنهم من جعلهما اثنين . ويقال : إن هذا البيت الذى فى قصيدة امرئ القيس له ، وهو :

كأنّى غداةَ البينِ حينَ تحمّلوا لدىَ سَمُرات الحى ناقِفُ حنْظَل

ويقال للخمّار ابن خِذام. وخِذام من أسماء الخمر . هذا كلامه .

أقول : جميع من ذكر ابن حذام الشاعر ، لم يقل إنه هو ابن حِذيم الطبيب . وقد اختلف فى ضبط اسمه فالذى رواه الآمدىّ[1] ابن خذام بمعجمتين ، قال : من يقال له ابن خذام ، منهم ابن خذام الذى ذكره امرؤ القيس فى شعره ، وهو أحد من بكى الديار قبلَ امرئ القيس ، ودرس شِعْرُه . قال امرؤ القيس :

(١) المؤتلف ١٠٩ .

عُوجا على الطلل المحيل لأنّنا نبكى الديار كما بكى ابن خِذامِ

قوله : لأننا ، يريد لعلنا ، ذكر ذلك أبو عبيدة وقال : قال لنا أبو الوثيق : ممّن ابن خِذام ؟ فقلنا : ما نعرفه . فقال : رجوت أن يكون علمُه بالأمصار . فقلنا : ما سمعنا به ! فقال : بلى قد ذكره امرؤ القيس وبكى على الديار قبله ، فقال :

كأنى غداةَ البينِ يوم تحمّلوا . . . البيت ! انتهى

وقال ابن رشيق (فى العمدة[1]) : الذى أعرف أن ابن حذَام بذال معجمة وحاء غير معجمة كما روى الجاحظ[2] وغيره . انتهى

وضبطه بعضهم ابن حُمام ، بحاء مهملة مضمومة بعدها ميم غير مشدّدة ، واسمه امرؤ القيس . قال الآمدى[3] ـ عند ذكر المسمّين بامرئ القيس ـ ومنهم امرؤ القيس بن حُمام ، ثم ذكر نسبه وقال : والذى أدركه الرواة من شعره قليل جداً . وكان امرؤ القيس هارباً فقال مهلهل :

لمّا توغّل فى الكُراع هجينُهم هَلهلْتُ أثأرُ جابراً أو صِنْبلا ٢٣٥

فى قصّة مذكورة فى أخبار زهير بن جناب . وبهذا البيت قيل لمهلهل مهلهل . وبعض الرواة يروى بيت امرئ القيس بن حُجْر :

عُوجا على الطلَلِ المُحيل لعلّنا نبكى الديارَ كما بكى ابن حُمامِ

يعنى امرأ القيس هذا ، ويروى ابن خِذام . انتهى .

ومثله للعسكرىّ (فى كتاب التصحيف[4]) قال : ومنهم امرؤ القيس

(١) العمدة ١ : ٥٤ فى باب تنقل الشعر فى القبائل .

(٢) انظر الحيوان ٢ : ١٤٠ .

(٣) فى المؤتلف ١٠ .

(٤) تصحيف العسكرى ٢١٢ .

ابنَ حُمام بن عُبيدة بن هُبَل بنُ أخي زهير بن جناب بن هبل. ويزعم بعضهم أنَّهُ الذى عنى امرؤ القيس بقوله :

* نبكى الديار كما بكى ابن خذام *

وكان يغزو مع مهلهل ، وإياه أراد مهلهلٌ بقوله :

لما توغّلَ فى الـكُلاب هجينُهم . . . . (البيت)

فالهجين هو امرؤُ القيس بن حُمام . وجابر وصِنْبل : رجلان من بنى تغلب . انتهى.

قال ابن رشيق (فى العمدة) : ويروى :

* لمَّا توقّل فى الـكُراع شريدُهم *

قال السكرى : يعنى بالهجين امرأ القيس بنَ حمام ، وكان مهلهل تبعه يوم الـكُلاب ففاته ابن حمام بعد ان تناوله مهلهلٌ بالرمح ، وكان ابن حمام أغار على بنى تغلب مع زُهير بن جَناب فقتل جابراً وصنبلا .

هذا ما اطلعت عليه . وقولُ امرئ القيس بن حُجر :

عُوجا على الطلل المحيل ، البيت

هو من قصيدة له ، استشهد به صاحب (الـكشّاف) عند قوله تعالى : ﴿ وماَ يُشْعِرُكم أنّها إذا جاءتْ لا يُؤْمنُون[1] ﴾ بفتح الهمزة فى قراءة أهل المدينة بمعنى لعلَّ ، كما أنَّ لأنّنا فى البيت بمعنى لعلنا .

قال ابن رَشيق (فى العمدة[2]) : يروى فى البيت : لأنّنا ، بمعنى لعلّنا ؛ وهى لغة امرئ القيس فيما زعم بعض المؤلّفين ، والذى كنت أعرف : لَعَنَّنا بالعين و نونين .

---

(١) الآية ١٠٩ من الأنعام .
(٢) العمدة ١ : ٥٤ .

والمُحِيل : الذى أتى عليه الحول . وعُوجا أمر من عُجتُ البعيرَ أعُوجه عَوْجا ومَعَاجا : إذا عطفتَ رأسه بالزمام .

و (أوس بن حَجَر) بفتح الحاء المهملة والجيم ، شاعر من شعراء تميم فى الجاهلية . وفى أسماء نسبه اختلاف ، فلذا تركنا نسبَهَ .

أوس بن حجر

قال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء[1]) كان أوسُ فحلَ مُضَرَ حتّى نشأ النابغة وزهيرُ فأخملاه . وقيل لعمرو بن مُعاذٍ وكان بصيراً بالشعر : مَن أشعرُ الناس ؟ فقال : أوس . قيل : ثم مَن ؟ قال : أبو ذؤيب . وكان أوسُ عاقلاً فى شعره ، كثيرَ الوصف لمكارم الأخلاق ؛ وهو من أوصفهم للحَمير والسلاح ولا سيّما للقوس ، وسبق إلى دقيق المعانى وإلى أمثال كثيرة . انتهى .

وقال صاحب (الأغانى) : كان أوس هذا من شعراء الجاهليّة وفحولِها ، وذكر أبو عُبيدة أنّه من الطبقة الثالثة ، وقرنه بالحطيئة والنابغة الجعدى . وتميمُ تقدّم أوساً على سائر شعراء العرب . وقال الأصمعى : أوسُ أشعر من زهير إلاّ أنّ النابغة طأطأ منه . وقال أبو عبيدة : كان أوس غَزِلا مغرماً بالنساء ، فخرج فى سفر حتى إذا كان بأرض بنى أسد بين شَرْج وناظرة ، فبينما هو يسير ظلاماً إذْ جالت به ناقته فصرعته ، فاندقّت فخذُه ، فبات مكانَه ، وما زال يقاسى كلَّ عظيم بالليل ، ويستغيث فلا يغاث ، حتّى إذا أصبح غدا جوارى الحىّ يجتَنين الكمأة وغيرَها من نبات الأرض ، والناسُ فى ربيع : فبينا هنّ كذلك إذ بَصُرن بناقته تجول وقد عَلِق زمامُها بشجرة ، وأبصَرْنه ملقًى ففزِعن منه فهرَبن ، فدعا جاريةً منهنّ فقال لها : مَن أنت؟ قالت : أنا حليمةُ بنتُ فضالة بن كلَدَةٍ وكانت أصغرهن فأعطاها حجراً وقال : اذهبى إلى

٢٣٦

(١) الشعراء ١٥٤ .

أبيك فقولي له : ابنُ هذا يقرئك السلام[1] ويقول لكَ : أدركني فإني في حالة عظيمة ! فأتت أباها وقصت عليه القصّة وأعطته الحجر ، فقال : يا بنية لقد أتيتِ أباك بمدحٍ طويل أو هجاء طويل . ثمّ احتمل [هوَ وَ[2]] أهلُه إلى الموضع الذي فيه أوسٌ وسأله عن حاله فأخبره الخبر ، فأتاه بمن جبَر كسره ، ولم يزل مقيماً عنده وبنتُه تخدُمه إلى أن برأ ، فمدحه أوسٌ بقصائدَ عديدة ، ورثاه أيضاً بعد موته . وكان أوسٌ إذا جلس في مجلسٍ قومه قال : ما لأحد عليَّ مِنةٌ أعظمَ من منَّة أبي دُليجة . وكان أبو دُليجة كنيةَ فضالة بن كَلَدَة .

وكلدة ، بفتح الكاف واللام ، وهي في اللغة الأرض الغليظة . وذكره ابن قتيبة في باب الأسماء المنقولة (من أدب الكاتب) .

ومن شعر أوس قوله :

يا راكباً إمّا عرضت فبلِّغَنْ	يزيدَ بنَ عبدِ الله ما أنا قائلُ
بآيةِ . أنّي لم أخُنكَ ، وإنّه	سوى الحقِّ مهما يَنطِق الناسُ باطلُ
فقومَك لا تجهلْ عليهمْ ولا تكن	لهمْ هَرِشا تغتابهمْ وتقاتل
وما يَنهضُ البازي بغير جَناحه	ولا يحمِلُ الماشين إلاّ الحواملُ
ولا سابقٌ إلاّ بساقٍ سليمةٍ	ولا باطشٌ ما لم تُعنْه الأناملُ
إذا أنت لم تُعرض عن الجهل والخنى	أصبتَ حليماً أو أصابكَ جاهلُ[3]

الهِراش : أشدّ القتال ، مثل مهارشة الكلاب . وأراد بالحوامل الأرجل.

* * *

---

(١) في النسختين : « ان هذا » ، وصححه الشنقيطي في نسخته بما أثبت من الأغاني ١٠ : ٧ .

(٢) التكملة من الأغاني .

(٣) نسب هذا البيت أيضا الى زهير في ديوانه ٣٠٠ والشعراء ١٠٠ .

وأنشد بعده :

﴿ وما حبُّ الديار شغفن قلبي ﴾

تمامه : ﴿ ولكنْ حبُّ مَن سكن الديارا ﴾

هو لقيسٍ مجنونِ بنى عامر . وتقدم الكلام عليه فى الشاهد التسعين بعد المائتين(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس عشر بعد الثلثمائة(٢) :

٣١٥ ﴿ يَسقُونَ من وَرَدَ البَرِيصَ عليهمُ
بَرَدَىَ يُصفِّق بالرحيق السلْسَلِ ﴾

على أنه قد يقوم المضاف إليه مَقام المضاف فى التذكير ، لأنه أراد : ماء بردى . ولو لم يقم مقامَه فى التذكير لوجب أن يقال تصفّق بالتاء للتأنيث، لأن بردَى من صيغ المؤنَّث ، وهو نهر دمشق . قال أبو عبيد البكرى : هو من البرْد ، سمِّى بذلك لبَرْد مائه .

وأورده صاحب الكشّاف عند قوله تعالى : ﴿ يَجْعَلونَ أَصابِعَهُم فى آذانِهم(٣) ﴾ على أن الواو فى يجعلون ضمير أصحاب الصّيب وإن كان محذوفا، لبقاء معناه ، كما أرجع الشاعر ضمير يصفق إلى ماء بردى ، مع أنّه غير مذكور ؛ ولهذا ذكَّر يصفّق .

(١) انظر ما سبق فى هذا الجزء الرابع ص ٢٢٧ .
(٢) انظر ابن يعيش ٣ : ٢٥/٦ : ١٣٣ والهمع ٢ : ٥١ والأشمونى ٢ : ٢٧٢ وديوان حسان ٣٠٩ .
(٣) الآية ١٩ من سورة البقرة .

قال ابن المستوفى : لو قال قائل : إنّه أعاد الضمير مذكّراً على المعنى لأنّ بردى نهر لوجد مساغا .

وروى صاحب الاغانى :

* كأساً تُصفّق بالرحيق السَّلسلِ *

وعليه لاشاهد فيه .

و (البَرِيص) قال أبو عبيد البكرى (فى معجم مااستعجم) وتبعه الصاغانى (فى العباب) : هو بفتح الموّحدة وآخره صاد مهملة : موضع بأرض دمشق . وزاد الجواليقى (فى المعرّبات) : وليس بالعربيّ الصحيح ؛ وقد تكلمت به العرب ، وأحسبه رومىّ الأصل . وأنشدَ هذا البيت[1] . ٢٣٧

ولم أر من أهل اللغة من ضبطه بالضاد المعجمة .

وقد اختلف شرّاح المفصّل فى ضبطه ومعناه ، فقال ابن يعيش : هو بالصاد المهملة نهر يتشعب من بردَى ، وهو نهر دمشق ، كالصَّراة من الفرات . ولدمشق أنهار أربعة كلّها من بردى .

وقال المظفرى : هو بالضاد المعجمة وادٍ فى ديار العرب . والبريص بالصاد المهملة : اسم نهر ، وقيل اسم موضع بدِمشق .

وقال ابن المستوفى : هو بالصاد المهملة . قال المفسّرون : هو مأخوذ من البَرَص ، أراد الموضع المبيَّض المجصَّص . ويروى بالضاد المعجمة فعيل من البَرْض وهو الماء القليل . ورواية المهملة أكثر وأجود وقالوا : هو اسم نهر . وكرَّر البَريصَ فى هذه القصيدة فقال :

---

(١) فى النسختين : « وانشدوا هذا البيت » ، وانما المراد أنشد الجواليقى هذا البيت . انظر المعرب ٥٨ ـ ٥٩ وكذلك النص التالى الذى اقتبسه البغدادى بعد الشعر .

فعلوتُ مِن أرض البَرِيصِ عليهمُ حتَّى نزلتُ بمنزلٍ لم يُوغَلِ

فدلَّ على أنّه موضع بعينه، لا ماذهب إليه من فسرَّه قبل. قال ابن دريد: والبريص موضع بدمشق، وليس بالعربى الصحيح، وقد تكلّمت به العرب وأنشد هذا البيت. انتهى

وقال بعضهم[1]: هو موضع فيه أنهارٌ كثيرة، وهو بالمهملة. وأنشد:

أهانَ العـام ما عيّرتمونا شواء المسَمَناتِ مع الَخبيص[2]

فما لحمُ الغراب لنـا بزادٍ ولا سرطانُ أنهارِ البَريصِ

وفاعل يَسقون وهو الواو ضمير عائدٌ على أولاد جفنة فى بيت قبله كما يأتى ومن مفعوله. قال العصام (فى حاشية القاضى): وتعدية الورود بعلى لتضمّنه معنى النزول، وإلاّ فالورود المتعدّى بعلى بمعنى الوصول لايعدّى بنفسه. والباء في قوله بالرحيق للمصاحبة، أى ممزوجا بالخمر الصافية السائغة. ويُصفَّق بالبناء للمفعول، والتصفيق: التحويل من إناء إلى إناء ليتصفَّى، وحقيقته التحويل من صَفْق إلى صَفْق، أى من ناحية إلى ناحية. والبـاء فى بالرحيق متعلق بمحذوف، أى يمزج بالرحيق، وهو الصافى من الخمر. وقال صاحب(الكشاف) فى المطففين: الرحيق: صفوة الخمر، ولهذا فسَّر بالشراب الخالص الذى لاغشَّ فيه. والسَّلسل ومثله السلسال: السهل الانحدار السائغ الشراب.

قال ابن الحاجب (فى أماليه): يجوز أن يكون المراد مدحَ ماء بَرَدَى وتفضيلَه على غيره. ومعنى يصفّق يمزج، يقال صفَّقته، إذا مزجته. والرحيق: الخمر. والسلسل: السهل، أى كأنه ممزوج بذلك، فأسقط التشبيه كعادتهم

---

(١) هو وعلة الجرمى، كما فى الحيوان ٢ : ٣١٧.

(٢) الذى فى الحيوان، وهو الصواب: «فما بالعار ما عيرتمونا».

فى المبالغة . ويجوز أن يكون المراد مدحَ هؤلاء القوم بالكرم وأنهم لا يسقون الماء إلاّ ممزوجاً بالخمر ، لسَعَتهم وكرمهم وتعظيم من يَرِد عليهم . انتهى .

والظاهر أن المراد هو الثانى لا الأوّل ، للسياق والسباق . وليس معنى التصفيق ما ذكره ، والصواب ما ذكره بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصّل) من أنه يصفهم بالجود على من يَرِد عليهم ، فيسقونه ماء مصفًى ممزوجاً بالخمر الصافية السائغة فى الحلق . وحَملُ هذا الكلام على القلب أظهر ، يريد: يسقون من يَرِد عليهم الرحيقَ السلسل يصفّق ببردى أى بمائها . انتهى .

وهذا البيت من قصيدةٍ لحسّانَ بن ثابت الصحابى ، وقد تقدمت ترجمته فى الشاهد الحادى والثلاثين[1] مدح بها آلَ جفنة ملوكَ الشام . وهذه قطعة منها بعد المطلع بثلاثة أبيات : ٢٣٨

قصيدة الشاهد

(لله دَرُّ عِصابةٍ نادمتُهم ... يوماً بجِلَّق فى الزمانِ الأوّلِ
أولادُ جَفْنةَ حول قبر أبيهم ... قبر ابن مارِيَة الكريم المُفْضِلِ
يُغشَونَ حتّى ما تَهِرُّ كلابهم ... لا يَسألون عن السَّواد المقبلِ)

يَسقون من ورد — البيت —

(يُسقَونَ دِرياقَ الرَّحيقِ ولم تكنْ ... تُدْعى ولائدُهم لنَقْفِ الحنظلِ
بيضُ الوجوه كريمةٌ أحسابُهم ... شُمُّ الأنوفِ من الطِّراز الأوَّل
فلَبثتُ أزماناً طِوالاً فيهمُ ... ثم ادَّكرتُ كأنّنى لم أفعلِ)

إلى أن قال بعد بيتين :

(ولقد شربتُ الخمرَ فى حانوتها ... صهباء صافيةً كطعم الفُلفُل

(١) الخزانة ١ : ٢٢٧ .

يسعى علىَّ بكأسها متنطِّف ... فيَعُلّني منها وإن لم أنهَلِ[1]
إنَّ التى ناولتَني فرددتُها ... قُتلتْ قتلتَ فهاتها لم تُقتَلِ
كلتاهما حَلَبُ العَصير فعاطِنى ... بزُجاجةٍ أرخاهما للمَفصِلِ
بزُجاجةٍ رقصت بما فى قعرها ... رَقْصَ القَلوصِ براكبٍ مستعجِلِ)

العِصابة : الجماعة من النـاس : وجِلِّق بكسر الجيم واللام أيضاً ، قال الجواليقى (فى المعربات) : يراد به دمشق ، وقيل موضع بقرب دمشق ، وقيل إنه صورة امرأة كان الماء يخرُج من فيها فى قرية من قرى دمشق ، وهو أعجمىٌّ معرب ، وقد جاء فى الشعر الفصيح . وأنشد هذا البيت .

أولاد جفنة

وقوله : أولاد جَفنة الخ بالجرّ بدل من عصابة ، ويجوز رفعه . وجَفنه بفتح الجيم هو أبو ملوك الشام ، وهو جَفنة بن عمرو مُزيقياء بن عامر بن حارثةَ بن امرئ القيس بن ثعلبةَ بن مازنٍ الغسانىّ .

وابن مارية هو الحارث الاعرج ، وهو الحارث بن بَجيلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جَفنة .

وأما جبَلة بن الأيهم فهو ابن مارية ؛ لأنه ابنُ الأيهم بن جبَلة بن الحارث الأعرج . وأراد بأولاد جفنة أولاد الحارث الأعرج ابن مارية ، وهم : النعمان والمنذر ، والمنيذر ، وجَبَلة ، وأبو شَمِر . وهؤلاء كلُّهم ملوك ، وهم أعمام جبلة ابن الأيهم . كذا فى مختصر أنساب العرب لياقوت الحموىّ .

قال السيّد الجرجانى (فى شرح المفتاح) : ترك تفضيلهم احترازاً عن تقديم بعضهم على بعض . ثم قوله وعن التصريح بأسامى الأناث الداخلة فيهم ، فيه نظر ؛ فإن ذكر نساء الملوك لا يُعهد عند ذكر الملوك . وقوله : إنّ مارية

(١) ط : « يسقى على » ، صوابه فى ش والديوان .

هى أمّ جَفنة غير صواب ، وإنما هى أم الحارث الأعرج . ومارية قال جمهور النسّابين : هى مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية بن ثَور بن مُرتع الكندية . وقال أبو عبيدة وابن السكيت : هى مارية بنت أرقم بن ثعلبة بن عمرو بن جَفنة؛ فتكون على هذا غسّانية، وهى أخت هند امرأة حُجْر والد امرئ القيس صاحب المعلّقة، وليست أمه . ومارية هى التى يضرب المثل بقرطيها فيقال : « خذه ولو بقُرْطَى مارية » ، يضرب للترغيب فى الشىء وإيجاب الحرص عليه ، أى لا يفوتنّك على كل حال ، وإن كنت تحتاج فى إحرازه إلى بذل النفائس . قال الزمخشرى (فى أمثاله) : هى أول عربية تقرّطت وسار ذكر قُرطيها فى العرب ، وكانا نفيسَى القيمة ، وقيل إنّهما قُوِّما بأربعين ألف دينار ، وقيل كان فيهما درّتان كبيض الحمام لم يُرَ مثلهما ، وقيل هى من اليمن أهدَت قرطيها إلى البيت . انتهى . ٢٣٩

وقال أبو محمد الاعرابىّ : هى ذات القرطين، لدرّتين كأنهما بيضتا نعامة أو حمامة .

وأراد بقوله : حول قبر أبيهم ، أنّهم ملوك ذوو حاضرةٍ ومستقَرّ ، ليسوا أصحابَ رحلة وانتجاع . سُئل الأصمعىّ بأنّه ما أراد حسان به[1] ، وأى مدح لهم فى كونهم عند قبر أبيهم ؟ فقال : إنهم ملوكٌ حُلول فى موضع واحد ، وهم أهل مدَر وليسوا بأهل عَمد . وقال غيره : معناه أنّهم آمنون لا يبرحون ولا يخافون كما تخاف العرب ، وهم مخصبون لا ينتجعون .

---

(١) سئل بكذا ، أى عن كذا ، من قوله تعالى : « سأل سائل بعذاب واقع » .

قال السيّد المرتضى (فى أماليه[1]) : هذا من الاختصار الذى ليس فيه حذف . أراد أنّهم أعزّاء مقيمون بدار مملكتهم ، لا ينتجعون كالأعراب . فاختَصَر هذا المبسوطَ فى قوله : حول قبر أبيهم . . قال : والاختصار غير الحذف ؛ وقومٌ يظنون أنّهما واحد ، وليس كذلك ، لأن الحذف يتعلق بالألفاظ : وهو أن تأتى بلفظٍ يقتضى غيرَه ، ويتعلق به ، ولا يستقل بنفسه ويكون فى الموجود دَلالةٌ على المحذوف ، فيُقتصر عليه طلباً للاختصار . والاختصار يرجع إلى المعانى : وهو أن تأتى بلفظٍ مُفيدٍ لمعانٍ كثيرة لو عُبِّر عنها بغيره لاحتيج إلى أكثر من ذلك اللفظ . فلا حذف إلاّ وهو اختصار ، وليس كلُّ اختصارٍ حذفا . انتهى كلامه .

وأدرَجَ ابنُ رَشيق (فى العُمْدة) هذا النوع فى باب الإشارة[2]، قال : والإشارة من غرائب الشعر ومُلَحِهِ ، وبلاغةٌ عجيبةٌ تدلُّ على بُعد المرمى وفَرْط القُدرة ؛ وليس يأتى بها إلاّ الشاعرُ المبرِّز والحاذق الماهر ؛ وهى فى كل نوعٍ من الكلام لمحةٌ دالّةٌ ، واختصار ، وتلويح يعرف مجملا ومعناه بعيد من ظاهر لفظه .

وقوله : يُغشَون حتّى ما تهرُّ كلابُهم الخ ، بالبناء للمفعول أى يُتردَّد إليهم ؛ مِن غشيَه : إذا جاءه . وهرّ الكلب يَهِرّ ، من باب ضرب ، هريراً : إذا صوّت ، وهو دون النُّباح . يعنى أنّ منازلهم لا تخلو من الأضياف والفقراء ، فكلابهم لا تهرّ على من يقصد منازلهم ؛ لاعتيادها بكثرة التردّد إليها من الأضياف وغيرهم . وقوله : لا يَسألون الخ ، أى هم فى سَعَة لا يسألون كم نزل

(١) أمالى المرتضى ٢ : ٧٣ ــ ٧٤ .
(٢) العمدة ١ : ٢٠٦ .

بهم من الناس ، ولا يَهولهم الجمعُ الكثير ، وهو السَّواد ، إذا قصدوا نحوهم .

وهذا البيت استَشهد به سيبويه[1] وابنُ هشام (فى المغنى) على أنَّ حتى فيه ابتدائيّة ، أى حرف يُبتدأ بعده الجملة اسميّةً ، أو فعلية .

وقال أبو على (فى التذكرة القصرية) : اعلم أنّ يُغشَون للحال الماضية ، أعنى أنّه حكاية لما مضى من الحال ، ولولا تقديرك له بالحال ما صحّ الرفع ؛ لأنّ الرفع لا يكون إلاّ والفعل واقع . ويُغشَون لا يكون إلاّ للحال أو للآتى ، فلو قدّرته للآتى لم يصحّ الرفع ؛ إذ لا يكون الرفع إلاّ وما قبله واقع والآتى لا يكون واقعاً ، فثبت أن يغشون للحال إذْ كانت الحال واقعة ، كأنه قال : من عادتهم أنّهم يغشون حتّى لا تهرّ كلابُهم ، أى لا يزالون يُغشون . انتهى .

وقوله : يُسقونَ دِرياق الرَّحيق الخ ، يُسقون بالبناء للمفعول ، قال شارح الدّيوان السكرىّ : الدِّرياق : خالص الخمر وجيّده ، شبّهه بالدرياق الشافى . والولائد : جمع وليدة ، وهى الخادم . والنَّقف : استخراج ما فى الحنظل . يقول : هم ملوكٌ لا تجتنِى ولائدُهم الحنظلَ ولا تَنْتَقِفُه .

٢٤٠ وقوله : من الطِّراز الأول ، يعنى آباءهم الأشراف المتقدّمين الذين لا تشبه خلائقهم وأفعالُهم هذه الأفعالَ المحدَثة .

وقوله : يسعى[2] على بكأسها الخ ، المتنطِّف : المقرَّط ؛ والنُّطَفَة ، بفتحات : القُرط . ويروى (متنطِّق) ، وهو الذى عليه مِنطَقَةٌ . وعلّه : سقاه سَقياً بعد سقى . والنَّهل هنا : العطش . وقال السكرىّ : يقول : يسقينيها على كلِّ حالٍ ، عطِشْت أو لم أعطَشْ .

---

(١) سيبويه ١ : ٤١٣ وشرح شواهد المغني ١٣٠ ، ٣٢٥ .

(٢) ط : « يسقى » ، صوابه في ش .

وقوله : إنَّ التي ناولتني فرددتها قُتلتْ ، بالبناء للمفعول ، أى مزجتْ بالماء ، والجملة خبر إنّ . وقوله : قُتلتَ ، هذا أيضاً بالبناء للمفعول ، لكنّه مسند إلى ضمير المتكلم ، والجملة اعتراضيّة .

وقوله : كلتاهما الخ ، أراد كلتا الممزوجة والصرف ، حلَبُ العنب ، فناولني أشدَّهما إرخاء ، وهى الصِّرف التى طلبَها منه فى قوله لم تقْتَل . وهاتِها بكسر التاء أمرٌ من هاتَى يُهاتى مهاتاة[1] . والحلَب بفتحتين بمعنى المحلوب ، كالقنَص بمعنى المقنوص . وأرخاها هو أفعل تفضيل من أرخَى المزيد ، وهو سماعىٌّ عند قوم مقيسٌ عند آخرين . والمفصل ، روى بكسر الميم وفتح الصاد ، وهو اللِّسان لأنه آلة يُفصَل به ، وروى بفتح الميم وكسر الصاد ، وهو موضع انفصال العضو .

وقوله : رقَص القلوص ، بفتح القاف : الناقة الشابّة ، قال السكرىُّ : يقال رقص رقَصاً وحلَب حَلَباً بفتحتين ، وقد تخفف ، والوجه الفتح[2] .

قال ابنَ الشجرىُّ (فى أماليه[3]) : قال أبو الفرج[4] على بن الحُسَين الأصبهانى صاحب كتاب الأغانى حديثاً رفعه إلى أبى ظَبيان الحِمَّانى قال :

---

(١) كذا . والمشهور أنها اسم فعل أمر بناؤه على الكسر .

(٢) نص السكرى ٣٥ من شرح الديوان طبع ليدن : « يقال رقص رقصا ، وحلب حلبا ، وجلب جلبا ، وقد يخففن أيضا ، والوجه الفتح » .

(٣) لم أعثر على هذا النص فى أمالى ابن الشجرى المطبوعة ، والمعروف أنها منقوصة الأواخر كما نبه محققها فى ٢ : ٣٥٦ أنها تنقصها ستة مجالس .

(٤) الأغانى ٨ : ١٦٣ .

اجتمعت جماعةٌ من الحىّ على شرابٍ ، فتغنّى أحدهم بقول حسان :

إنّ التى ناولتنى فرددتُها (البيت)

وقوله : كلتاهما حلَبُ العصير (البيت)

فقال رجلٌ منهم : كيف ذكر واحدةً بقوله إنّ التى ناولتنى فرددتها ثم قال كلتاهما فجعلها اثنتين ؟ قال أبو ظبيان : فلم يقل أحدٌ من الجماعة جواباً ، فحلف رجلٌ منهم بالطّلاق ثلاثاً إن بات ولم يسأل القاضى عُبيد الله بن الحسَن[1] عن تفسير هذا الشعر ! قال : فسُقِط فى أيدينا ليمينِه ، ثم اجتمعنا على قَصد عُبيد الله . فحدّثنا بعضُ أصحابنا السعديّين قال : فيمّمناه نتخطّى إليه الأحياء ، فصادفناه فى مسجدٍ يصلى بين العشاءين ، فلمّا سمع حِسّنا أوجز فى صلاته ثم أقبل علينا فقال : ما حاجتكم ؟ فبدَرَ رَجلٌ منا كان أحسننا بَقِية[2] فقال : نحن ، أعزّ الله القاضىَ ، قومٌ نزعنْا إليك من طريق البصرة[3] فى حاجة مهمّة ، فيها بعضُ الشىء ، فإن أذنت لنا قلنا . فقال : قولوا . فذكَرَ يمين الرجل والشّعر . فقال : أمّا قوله : إنّ التى ناولتنى ، فإنّه يعنى الخمر . وقوله : قُتِلتْ أراد مزجت بالماء . وقوله : كلتاهما حَلَب العصير ، يعنى الخمر ومِزاجها ، فالخمر

---

(١) فى النسختين : « الحسين » ، صوابه من الأغانى ٨ : ١٦٣ ومواضع اخرى منه ، وهذا هو عبيد الله بن الحسن بن الحصين العنبرى ، قاضى البصرة المتوفى سنة ١٦٨ . وانظر حواشى الحيوان ١ : ٣٤٥ .

(٢) فى النسختين : « نفثة » ، صوابه من الأغانى ، والبقية : الفهم وثقوب الذهن ، كما في قول الله : « أولو بقية ينهــون عن الفساد » .

(٣) فى الأغاني : « من طرف البصرة » .

عصير العنب ، والماء عصير السحاب ، قال الله تعالى: ﴿ وأَنْزَلْنا مِنَ المعْصِرَاتِ ماءً ثَجَّاجا[1] ﴾ . انصرِفوا إذا شئتم .

وأقول : إنَّ هذا التأويل يمنع منه ثلاثة أشياء :

أحدها أنه قال كلتاهما وكلتا موضوعة لمؤنثين ، والماء لمذكر والمذكر أبداً يغلَّب على التأنيث ، كتغليب القمر على الشمس فى قول الفرزدق :

* لنا قمراها والنجومُ الطوالعُ[2] *

أراد : لنا شمسها وقمرها . وليس للماء اسم آخر مؤنث فيحمل على المعنى كما قالوا : « أتته كتابى فاحتقَرها » ؛ لأن الكتاب فى المعنى صحيفة .

والثانى : أنه قال : أرخاهما للمفصل ، وأفعل هذا موضوع لمشتركَين فى معنى ، وأحدهما يزيد على الآخر فى الوصف به ، والماء لا يشارك فى إرخاء المفصل . ٢٤١

والثالث : أنّه قال فى الحكاية : فالخمر عصير العنب ، وقول حسان حلب العصير يمنع من هذا ، لأنّه إذا كان العصير الخمر والحَلَب هو الخمر فقد أُضيفت الخمر إلى نفسها ، والشىء لا يضاف إلى نفسه .

والقول فى هذا عندى : أنه أراد كِلتا الخمرين : الصرف والممزوجة ، حلَبُ العنب ، فناولْنِي أشدَّهما إرخاء للمفصل .

وفرَّق اللغويون بين المِفصل والمَفِصل فقالوا : المِفصل بكسر الميم وفتح

(١) الآية ١٤ من سورة النبأ .

(٢) صدره ، كما فى ديوانه ٥١٩ :

* أخذنا بآفاق السماء عليكم *

الصاد اللسان ، وهو بفتح الميم وكسر الصاد واحد مفاصل العظام ، وهو في بيت حسان يحتمل الوجهين . انتهى كلام ابن الشجرى .

وأما حديث حسان بن ثابت مع جبلة بن الأيهم ، وكيفية إسلام جبلة وارتداده ، فقد أورده صاحب الأغانى(١) مفصّلا وها أنا أورده مجملا :

روى بسنده إلى يوسف بن الماجُشون عن أبيه قال : قال حسّان بن ثابت : أتيت جبلةَ بن الأيهم الغسَّانى و [قد] مدحته ، فأذن لى ، فجلست بين يديه ، وعن يَمينه رجلٌ له ضفيرتان ، وعن يساره رجلٌ لاأعرفه ، فقال: أتعرف هذين ؟ فقلت : أمّا هذا فأعرفه — وهو النابغة الذبيانىّ — وأما هذا فلا أعرفه . قال : هو علقمة بن عَبَدَة ، فإن شئتَ استنشدتُهما [وسمعتَ منهما] ، ثم إن شئت أن تُنشد بعدهما أنشدتَ ، [وإن شئت أن تسكتَ سكتَّ] . قلت : فذاك . فأنشده النابغة :

كِلينى لِهَمٍّ يا أُميمةَ ناصبِ ... وليلٍ أقاسيه بطىءِ الكواكبِ

قال : فذهب نِصفى . ثم قال لعلقمة : أنشدْ . فأنشدَ :

طحابكَ قلبٌ في الحسانِ طَروبُ ... بُعَيْدَ الشبابِ عَصْرَ حانَ مشيبُ

فذهب نصفى الآخر . فقال لى : أنت اعلمُ الآن ، إن شئتَ سكتَّ وإن شئتَ أنشدتَ . فتشدَّدت وأنشدت :

لله دَرُّ عِصابةٍ نادمتُها ... يوماً بجِلّق فى الزمانِ الأولِ

أبناء جَفنةَ عند قَبر أبيهم ... قبر ابن ماريةَ الجوادِ المُفْضل

يَسقونَ من وَرَدَ البريصَ عليهمُ ... كأساً تُصفَّقُ بالرحيق السَلسل(٢)

(١) الأغانى ١٤ : ٢ — ٧ . وما وضع بين معكفين فى هذه النصوص فهو تكملة من الأغانى .

(٢) ط : « بالرحيل » ، صوابه فى ش والأغانى .

يُغْشون حتى ما تَهِرُّ كلابُهم   لا يَسألون عن السَّواد المقبِلِ
بيضُ الوجوهِ كريمةٌ أحسابُهم   شمُّ الأنوفِ من الطِراز الأوّلِ

فقال لى : ادنُ ادنُ ، لعَمْرى ما أنتَ بدُونِهما . ثمَّ أمر لى بثلثمائة دينار وعشرة أقمصة لها جيبٌ واحد ، وقال : هذا لك عندنا فى كلّ عام .

وذكر أبو عمرو الشّيبانى هذه القصّة لحسّان مع عمرو بن الحارث الأعرج ، وأتى بالقصّة أتمّ من هذه الرواية ، قال أبو عمرو : قال حسّان بن ثابت :

قدِمت على عمرو بن الحارث فاعتاصَ الوصولُ إليه(١) ، فقلتُ للحاجب بعد مدّة : إن أذنتَ لى وإلاّ هجوتُ اليمنَ كلَّها . فأذن لى فدخلت ، فوجدت عنده النابغة وعلقمةَ بن عَبَدة ، فقال لى : يا ابن الفُريعة ، قد عرفتُ نسبَك فى غسّان فارجعْ ، فإنى باعثٌ إليك بصلِة سنيّة ولا تحتاج(٢) إلى الشعر فإنى أخافُ عليك هذين السبعين أن يفضَحاك ، وفضيحتُك فَضيحتى ، وأنت والله لا تحسن أن تقول :

رقاقُ النعالِ طيّبٌ حُجُزاتُهم   يُحَيّون بالرَّيحان يومَ السَّباسبِ(٣)

فأبيتُ وقلتُ : لابدّ منه . فقال : ذاك إلى عمَّيك . فقلت لهما : بحقّ الملك إلاّ ماقدّمتمانى عليكما ! فقال : قد فعلنا . فأنشأتُ أقول : ٢٤٢

أبناء جفنةَ عند قبر أبيهمُ   قبرِ ابن مارية الكريم المُفضل

---

(١) فى الأغانى : « فاعتاص الوصول على اليه » .
(٢) الأغانى : « ولا أحتاج » .
(٣) ط والأغانى : « دقاق النعال » ، وأثبت ما فى ش والديوان ٩ قال شارحه : « القتيبى : قوله رقاق النعال ، أراد أنهم ملوك لا يخصفون نعالهم ، وانما يخصف من يمشى » .

(الأبيات[1]) فلم يزل عمرو بن الحارث يزحل عن مجلسه سروراً ، حتّى شاطر البيت وهو يقول : هذا وأبيكَ الشعر ، لا ما يعلّلاني به منذُ اليوم ، أحسنتَ يا ابن الفُريعة ، هاتِ له يا غلامُ ألفَ دينار [مرجوحة[2]]. فأُعطِيتُ ذلك ، ثم قال : لك عليَّ كلَّ سنة مثلُها .

وقال أبو عمرو الشَّيبانى : لمّا أسلم جَبَلة بن الأيهَم الغسّانىّ ـ وكان من ملوك آل جفنة ـ كتبَ إلى عُمر يستأذنُه فى القُدوم عليه ، فأذنَ له فخرج إليه فى خمسِمائةٍ من أهل بيته ، من علكٍّ وغسّان ، حتى إذا كان على مرحلتين كتب إلى عمر يُعلمه بقدومه، فسُرَّ بذلك وأمر الناس باستقباله ، وبعث إليه بأنزال ، وأمر جبلةُ مائتى رجل من أصحابه فلبسوا الديباج[3] والحرير ، وركبوا الخيل معقودةً أذنابُها ، وألبسوها قلائدَ الذهب والفضّة ، ولبس جبلةُ تاجَه وفيه قرطا مارِيَة ، وهى جدّته ، ودخل المدينةَ فلم يبق بها بكر ولا عانسٌ إلاّ خرجتْ تنظر إليه وإلى زِيِّه ، فلما انتهى إلى عُمرَ رحَّب به وألطَفَه وأدنى مجلسه ، ثم أراد [عمرُ] الحجَّ فخرج معه جبَلة ، فبينا هو فى الطّواف إذ وطىء إزارَه رجلٌ من بني فَزارة ، فانحلّ ، فرفع جبلةُ يده فهشم أنف الفزاريِّ ، فاستعدى عليه عمرَ فبعث إلى جبْلةَ فأتاه فقال : ما هذا ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، إنه تعمَّد حلَّ إزارى ، ولولا حرمةُ الكعبة لضربتُ عنقه[4] بالسَّيف !

---

(١) الذى فى الأغانى بيت واحد ، وهو بدل البيت السابق :

أسالت رسم الدار أم لم تسأل　　بين الجوابي فالبضيع فحومل

(٢) وبعدها أيضا فى الأغانى : « وهى التى فى كل دينار عشرة دنانير » .

(٣) فى الأغانى : « فلبسوا السلاح » .

(٤) الأغانى : « لضربت بين عينيه » .

قال عمر ، قد أقررتَ إمّا أن تُرضيَ الرجلَ وإمّا أقدته . قال جبلة : تصنع ماذا ؟ قال : آمرُ بهشْم أنفك ، قال : وكيف ذلك ، هو سُوقه وأنا ملك ؟ قال : [إنّ] الإسلام جَمَعك وإياه ، فليس تفضُله إلاّ بالتُّقى والعافية ! قال جبَلة : قد ظننتُ أنى أكون فى الإسلام أعزَّ منّي فى الجاهليّة . قال عمر : دعْ عنك هذا ، فإنَّك إن لم تُرضِ الرجل أقدتُه منك ! قال : إذَنْ أتنصّر ! قال : إنْ تنصَّرتَ ضربتُ عنقَك ، فلما رأى جبلةُ الجدَّ من عمر قال : أنا ناظر فى ليلتى هذه . وقد اجتمع بباب عمر من حيٍّ هذا و [حيٍّ] هذا خَلقٌ [كثيرٌ] حتّى كادت أن تكون فتنة ، فلما أمسَوا أذن له عمرُ بالانصراف ، حتى إذا نام الناس تحمَّل جبَلةُ مع جماعته إلى الشام ، فأصبحت مكةُ منهم بلَاقع . فلما انتهى إلى الشام تحمَّل فى خمسمائة من قومه حتى أتى القُسطَنطينيّة فدخل إلى هرقل ، فتنصّر هو وقومُه ، فسُرّ هرقلُ بذلك جداً ، وظن أنّه فتحٌ من الفتوح ، وأقعده حيث شاء(١) ، وجعلَه من محدِّثية وسُمّاره . ثم إنّ عمر بدا له أن يكتب إلى هرقلَ يدعوه إلى الإسلام ، ووجّه إليه رسولا [وهو جَثّامة بن مُسَاحق الكنانى] ، فلما انتهى إليه أجابَ إلى كلّ شىء سوى الإسلام ، فلما أراد الرسولُ الانصرافَ قال له هرقل : هل رأيتَ ابنَ عمِّك هذا الذى جاءنا راغباً فى ديننا ؟ قلت : لا . قال : فالقَه . قال : فتوجّهتُ إليه ، فلما انتهيت إلى بابه رأيت من البهجة(٢) والحسن والستور(٣) مالم أر مثله بباب هرقل ، فلما أُدخِلت عليه إذا هو فى بهو عظيم ، وفيه من التصاوير مالا أُحسِن وصفَه ، وإذا هو جالسٌ على سريرٍ من قواريرَ قوائمُه

---

(١) الأغانى : « وأقطعه حيث شاء » .

(٢) فى النسختين : « البهو » ، صوابه من الأغانى .

(٣) ش : « والجيش » وفى الأغانى : « والحسن والسرور » .

أربعةُ أُسْدٍ من ذهب ، وقد أمرَ بمجلسه فاستُقْبِلَ به وجهُ الشمس ، فما بينَ
يديه من آنية الذهب والفضة تلوح ، فما رأيت أحسنَ منه ، فلمّا سلّمت عليه ٢٤٣
ردَّ السلام ورحّب بى وألطفنى ، ولامنى على تركى النزولَ عنده ، ثم أقعدنى
على سريرٍ لم أدر ما هو ، فتبيّنتُه فإذا هو كرسىٌّ من ذهب ، فانحدرت عنه
فقال : مالك ؟ فقلت : إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا . فقال
جبلة أيضاً مثلَ قولى فى النبى صلى الله عليه وسلم حين ذكرته ، وصلّى عليه ،
ثم قال : يا هذا ، إنّك إذا طهّرت قلبَك لم يضرّك ما لبستَه ولا ما جلستَ
عليه . ثم سألنى عن الناس ، وألحفَ فى السؤال عن عمر ، ثم جعل يفكّرُ حتى
عرفت الحزنَ فى وجهه ، فقلت له : مايمنعك من الرجوع إلى قومك والإسلام ؟
فقال ، أبعد الذى قد كان؟ قلت : قد ارتدّ الأشعثُ بنُ قيس عن الإسلام
[ومنَعَهم الزكاةَ] وضربهم بالسيف ثم رجَع إلى الاسلام . فتحدّثنا مَلِيّاً
ثم أومأ إلى غلامٍ على رأسه ، فولّى يُحضِر ، فما كان إلا هُنَيَّة(١) حتى أقبلت
الأخونة فوُضعت ، وجىء بخِوانٍ من ذهب فوُضع أمامى فاستعفيت ، فوُضع
أمامى خِوان من خَلَنْج وجاماتُ قوارير ، وأُديرت الخمرُ فاستعفيت منها ،
فلما فرغنا دعا بكأس من ذهب فشرب منه خمسا ، ثم أومأ إلى غلام فولّى
يُحضِر فما شَعَرت إلاّ بعشرِ جوارٍ يتكسّرن فى الحَلْى والحُلَل ، فقعد خمسٌ
عن يمينه وخمس عن شماله ، ثم سمعتُ وسوسةً من ورائى ، فإذا أنا بعشرٍ
أفضلَ من الأُوَل ، عليهنّ الوشىُ والحَلْى ، فقعد خمسٌ عن يمينه وخمس عن
شماله ، ثم أقبلتْ جاريةٌ على رأسها طائر أبيض كأنه لؤلؤة ، مؤدَّب ،
وفى يدها اليمنى جام فيه مسك وعنبر قد خُلِطا ، وفى اليسرى جام فيه ماء

---

(١) فى النسختين : « هنيئة » ، وفى الأغانى : « هنيهة » ، وما أثبت أقرب تصحيح ، وانظر اللسان والقاموس (هتو) .

ورد ، فألقت الطائر فى ماء الورد فتمعَّك فيه بين جناحيه وظهره وبطنه ، ثم أخرجته فألقته فى جام المسك والعنبر فتمعّك فيهما حتّى لم يدعْ فيه شيئاً ، ثم نَفّرته فطار فسقط على رأس جَبلة ، ثم رفرف ونفض ريشَه فما بقى عليه شيء إلاّ سقط على جبلة ؛ ثم قال للجوارى : أطربْنني . فخفقن بعيدانهنّ يغنّين:

لله درُّ عصابةٍ نادمتُهم يوماً بجِلِّقَ فى الزمان الأوَّلِ

(الأبيات) فاستهلَّ واستبشر وطرِب ، ثم قال : زدننى . فاندفعن يغنِّين :

لمن الدار أقفرت بمَعانِ(١) بين شاطى اليرموك فالصَّمَّانِ(٢)

إلى آخر القصيدة .

فقال : أتعرف هذه المنازل ؟ قلت : لا . قال : هذه منازلنا فى ملِكنا بأكناف دِمَشق ، وهذا شعر ابن الفُريعة حسّان بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم . قلت : أمَا إنّه مضرورُ البصر ، كبير السنِّ ! قال : يا جارية ، هاتى . فأتته بخمسمائة دينار ، وخمسة أثواب ديباج ، فقال : ادفعْ هذه إلى حسّان . ثم راوَدَنى على مثلها ، فأبيت فبكى ، ثم قال لجواريه : أبكِينَني . فوضَعن عيدانهن ثم أنشأن يَقُلْن :

تنصَّرت الأشرافُ من عار لطمةٍ وما كان فيها لو صبرتُ لها ضررْ
تكنَّفنى فيها لَجاجٌ ونَخوةٌ وكنت كمن باع الصَّحيحة بالعوَرْ
فياليتَ أمّى لم تلدْنى وليتنى رَجعتُ إلى القول الذى قاله عمر(٣)

(١) ط : « بمغانى » ش : « بمغان » ، صوابه ما أثبت من الديوان ٤١٤ والأغانى .
(٢) فى النسختين والأغانى : « بين شاطىء » والصواب تخفيف الهمزة . وفى الديوان والعقد ٢ : ٦٠ : « بين أعلى اليرموك فالخمان » . وفى معجم البلدان (الصمان) : « بين شاطىء اليرموك فالصمان » .
(٣) الأغانى : « قال لى عمر » .

٢٤٤ وياليتنى أرعى المَخاضَ بقفرةٍ وكنتُ أسيراً فى ربيعة أو مُضَرْ
وياليت لى بالشام أدنى معيشةٍ أجالسُ قومى ذاهبَ السمعِ والبصرْ

ثم بكى وبكيت معه ، حتى نظرت إلى دموعه تجول على لحيته ، ثم سلّمت عليه وانصرفت ، فلما قدِمت على عمر سألني عن هرقلَ وعن جبلةَ فقصصت عليه القصةَ ، فقال : أبعده الله ، تعجَّلَ فانيةً اشتراها بباقية ، فهل سرَّح معك شيئاً ؟ قلت : سرَّح إلى حسانَ خمسمائة دينار وخمسةَ أثواب ديباج . فقال : هاتِها . وبعثَ إلى حسان فأقبل يقوده قائده حتّى دنا فسلَّمَ وقال : ياأمير المؤمنين ، إنّى لأجد أرواحَ آل جفنة ! فقال عمر رضى الله عنه : قد نزع الله تعالى لك منه على رغم أنفه ، [وأتاك بمعونته] . فأخذها وانصرف وهو يقول :

إنّ ابنَ جفنةَ من بقيَّة معشرٍ لم يَغذُهم آباؤهم باللُّومِ
لم يَنْسَنى بالشَّام إذْ هو ربُّها كلاًّ ولا متنصِّراً ، بالرُّومِ
يُعطى الجزيلَ ولا يراه عنده إلاّ كبعض عطيَّة المذموم
وأتيته يوماً فقرَّبَ مجلسى وسَقَى فروَّانى من الخُرطُومِ

ثم قال للرسول : ما قال لك جبلة ؟ قال : قال لى : إن وجدتَه حيًّا فادفعْها إليه ، وإنْ وجدته ميتاً فاطرح الثِّيابَ على قبره ، وابتعْ بهذه الدنانير بُدْنا فانحرها على قبره . فقال حسَّان : ليتك والله وجدتَني ميتاً ففعلتَ ذلك بى ! انتهى كلام الأغانى .

وروى هذه القصة ابن عبد ربه (فى العقد) على هذا النمط وزاد فيها عند قوله :

« قد ارتدَّ الأشعث بن قيس عن الإسلام ثم رجع وقبل منه[١] » . قال جبلة : ذرنى من هذا ، إنْ كنتَ تضمن لى أن يزوّجنى عمر بنته ، ويولّينى بعده الأمر رجعت إلى الإسلام . قال : فضمنت له التزويج ، ولم أضمن الإمْرَة .

وقال فى آخر القصة[٢] : فلما قدمتُ على عمر أخبرته خبر جبلة وما دعوتُه إليه من الإسلام ، والشرط الذى اشترطه ، فقال لى[٣] عمر : هلاَّ ضمنتَ له الإمْرة أيضاً ، فإذا أفاء الله به [إلى[٤]] الإسلام قضَى عليه بحكمه عز وجل . قال : ثم جهَّزنى عمر إلى قيصر ، وأمرنى أن أضمن لجبلة ما اشترط به . فلما قدمتُ القُسطنطينِيَّة وجدت الناس منصرفين من جِنازته ، فعلمت أن الشَّقَاء غلب عليه فى أمِّ الكتاب . انتهى .

وروى صاحب الأغانى عن ابن الكلبى : أنَّ الفَزارى لما وطىء إزارَ جبلة فلطم الفزاريُّ جبلةَ كما لطمه جبلة ، وثب عليه غسّان[٥] فهشّموا أنفه وأتوا به عمر . ثم ذكر باقى الخبر كما ذُكر .

---

(١) الذى فى العقد ٢ : ٥٨ بدل هذا « قد فعل رجل من بنى فزارة أكثر مما فعلت ، ارتد عن الاسلام وضرب وجوه المسلمين بالسيف ثم رجع الى الاسلام وقبل ذلك منه » . والأشعث بن قيس ، من كندة ، بل كان من ملوكها فيما ذكر ابن سعد ، فالفزارى آخر غيره ، وهو عيينة بن حصن الفزارى ، أسلم ثم ارتد ثم أسلم بعد ذلك على يد أبى بكر . الاشتقاق ٢٨٤ والاصابة ٦١٤٦ .

(٢) العقد ٢ : ٦١ .

(٣) فى النسختين : « له » وانما الضمير لمتكلم . وفى العقد : « فقال » فقط .

(٤) هذه التكملة من العقد .

(٥) فى العقد : « فوثبت غسان » .

وروى الزُّبير بن بَكّار : أنَّ جبلة قدِم على عمر فى ألفٍ من أهل بيته فأسلم وجرى بينه وبين رجل من أهل المدينة كلام ، فسبَّ المدنىَّ فردَّ عليه ، فلطمه جبلة فلطمه المدنىُّ ، فوثب عليه أصحاب جبلة ، فقال : دعوه حتّى أسألَ صاحبَه وأنظر ما عنده . فجاء إلى عمر فأخبره ، فقال : إنَّكَ فعلت به فعلاً ففعل بك مثله . قال : أو ليس عندك من الأمر إلاَّ ما أرَى ؟ قال : لا ، فما عندك من الأمر يا جبلة ؟ قال : مَن سبَّنا ضربناه ، ومن ضربَنا قتلناه ! قال : إنّما أنزل القرآنُ بالقصاص ! ! فغضب وخرج بمن معه ، ودخل أرض الروم فتنصّر ، ثم ندم فقال :

* تنصّرتِ الأشرافُ من عار لطمةٍ *

(وذكر الأبيات الماضية) .

ثم روى صاحب الأغانى[١] بسنده عن عبد الله بن مسعدة الفزارىّ قال :

٢٤٥ وجّهنى معاويةُ إلى ملك الروم فدخلتُ عليه ، وعنده رجل على سرير من ذهب ، فكلّمنى بالعربية فقلت : من أنت يا عبد الله ؟ قال أنا رجل غلبَ عليه الشقاء ، أنا جبَلَة بن الأيهم الغسّانى ، إذا صرتُ إلى منزلى فالقَنى . فلمّا انصرف أتيتهُ فألفيته على شرابه ، وعنده قينتان تغنّيانه بشعر حسّان بن ثابت ، فلمّا فرغتاَ من غنائهما أقبل علىّ فقال : ما فعل حسان بن ثابت . قلت : شيخ كبير قد عمِى ! فدعا بألف دينار ، فقال : ادفعْها إلى حسان . ثم قال : أترى صاحبَك يَفى لى إن خرجتُ إليه ؟ قلت : قلْ ماشئتَ أعرِضْهُ عليه . قال : يعطينى [الثنِيّة[٢] فإنّها كانت] منازلَنا ، وعشرين

---

(١) الأغانى ١٤ : ٧ .

(٢) هى التى كانت تعرف بثنية العقاب ، ذكر ياقوت أنها المطلة على غوطة دمشق .

قرية من الغُوطة ، ويَفرضُ لجماعتنا ويُحسن جوائزَنا . فقلت : أبلِّغُه . فلمَّا قدمتُ على معاوية أخبرته الخبر ، فقال : وددت أنك أجبتَه إلى ما سأل . وكتب إليه بعطاء ذلك ، فوجده قد مات .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس عشر بعد الثلثمائة ، وهو من أبيات المفصّل وغيره[1] :

٣١٦ * وقد جَعَلَتْنِي من حَزِيمَةَ إصبَعا *

على أنّ فيه حذف ثلاث كلمات متضايفات ، أى ذا مقدار مسافة أصبع . الأوْلى تقدير مضافين أى ذا مسافة إصبع ؛ فإنّ المسافة معناها البعد ، و « المقدارُ » لا حاجةَ إليه . كذا قدر جماعةُ منهم أبو علىّ (فى الإيضاح الشعرى) ، ومنهم ابن هشام (فى المغنى) .

وهذا عجز ، وصدره :

(فأدركَ إبقاء العَرَادَةِ ظَلْعُها)

وهو من جملة أبياتٍ للكَلْحَبَة العَرِينى[2] ، تقدّم شرحها وترجمته فى الشاهد الحادى والستين . وأوّل الأبيات :

(فإنْ تَنجُ منها يا حَزِيمَ بنَ طارق
فقد تَرَكتْ ما خَلفَ ظَهرِكَ بلقَعا)

---

(١) ابن يعيش ٣ : ٣١ . وانظر نوادر أبى زيد ١٥٣ والعينى ٣ : ٤٤٢ والأشمونى ٢ : ٢٧٢ والمفضليات ٣٢ .

(٢) ط : « العرنى » ، صوابه فى ش . وانظر ما سبق من تحقيق البغدادى فى ١ : ٣٩٢ .

يقول : إنْ تنجُ يا حَزِيمة من فرسى ، فلم تفلتْ إلاّ بنفسك ، وقد استُبيح مالُك وما كنتَ حوَيتـه وغنِمتَه ، فلم تدَعْ لك هـذه الفرسُ شيئاً .

سبب الأبيات

وسبب هذه الأبيات : أنّ بنى تغلب ـ وكان رئيسُهم حَزيمة بن طارق ـ أغار على بنى مالك بن حنظلة من بنى يربوع ، فاستاق حزيمةُ بن طارق إبلَ بنى يربوع ، ولما أتى الصَريخُ إلى بنى يربوع ، ركبوا فى إثره فهزموه ، واستنقذوا منه ما كان أخذه ، وأُسِر حَزيمة . وهـذا البيت يشهد بانفلات حَزيمة ، وشعرُ جريرٍ يشهَد بأسره ، وهو قوله :

* قُدنا حَزيمةَ قد علمتم عنوةً(١) *

ويُجمع بينهما بأنّ حزيمة بعد أن نجا من الـكلحبةَ أسره غيره . وضمير منها راجع إلى فرس الـكلحبة . وحَزيم ، بفتح الحاء المهملة وكسر الزاء المعجمة : مرخَّم حَزيمة كما فى البيت الآخر . والبلة : القفر الخالى .

وقوله : (فأدرك إبقاء العَرادة) بفتح العين والراء والدال المهملات : اسم فرس الـكلحبة . و (الإبقاء) ما تبقيه الفرس من العَدْو ، إذْ مِن عِتاق الخيل ما لا تعطى ما عندها من العَدْو ؛ بل تُبقى منه شيئاً إلى وقت الحاجة ، يقال فرس مُبقية : إذا كانت تأتى بجَرىٍ عند انقطاع جريها وقتَ الحاجة . وهو مفعول . و (ظلْعها) فاعل (أدرك) . والظَّلْع فى الإبل بمنزلة العَرج اليسير ، ولا يكون فى ذى الحافر إلاّ استعارة . يقول : تبعتُ حَزيمة فى هربه

---

(١) عجزه في ديوان جرير ٤٥٢ :

* وشتا الهـذيل يمارس الأغلال *

٢٤٦ فلما قربتُ منه أصابَ فرسي عرجٌ فتخلّفت عنه ، ولولا عرجُها لما أسره غيري . وجملة (وقد جعلتني) الخ حالية .

وأخطأ المظفّرى (في شرح المفصل) حيث لم يقف على منشأ البيت ، فزعم أن حَزيمة اسم قبيلة ، وقال في معناه : أدرك الظلعُ إبقاء هذا الفرس أي بقاءها وثباتها في السير ، يعني كانت ثابتة في السير فعرجت في حالةٍ لم يبق بيني وبين قبيلتي إلاَّ قدر إصبع . هذا كلامه ، وكان السكوت أجملَ به ، لو كان يعقل !

وقال العيني : كانت فرس الكلحبة مجروحة فقصَّرت لما قرب من حزيمة ففاته . وهذا لم يقله أحد ، وإنّما اعتذر الكلحبة لعرج فرسه وانفلات حزيمة بقوله :

(ونادى منادِي الحيّ أن قد أُتِيتُمُ   وقد شربتْ ماء المَزادةِ أجمَعا)

يقول : أتى الصريخ وقد شربتْ فرسي مِلْءَ الحوضِ ماء[1] . وخيل العرب إذا علمت أنه يُغار عليها ، وكانت عطاشاً ، فمنها ما يشرب بعضَ الشرب ، وبعضها لا يشرب ألبتة ، لما قد جرَّبت من الشدَّة التي تلقى إذا شربت الماء وحُورب عليها . وجملة وقد شربت حال ، أي أُتيتم[2] في هذه الحال . كذا قال ابن الأنباري (في شرح المفضليّات) .

فعلم من هذا أنَّ سبب عرج فرسه من إفراط شرب الماء ، لامن الجُرح . والله أعلم .

* * *

(١) ط : « من الحوض ماء » ، صوابه في ش وشرح ابن الأنباري ٢١ وما سبق في ١ : ٣٨٩ .
(٢) ط : « أوتيتم » ، صوابه في ش وشرح الأنباري وما سبق .

وأنشد بعده :

(يا مَنْ رأى عارضاً أُسرُّ به بين ذِرَاعَىْ وجَبهة الأسدِ)

على أنّ أصله : بين ذراعى الأسد وجبهة الأسد . فحذف المضاف إليه الأوّل على نيّة لفظه . ولهذا لم يُبْنَ المضافُ ولم ينوّن .

و (مَنْ) منادى ، وقيل المنادى محذوف ومَن استفهامية . والرؤية بَصريّة . و (العارض) : السَّحاب الذى يعترض الأفق . وجملة (أُسرُّ به) بالبناء للمفعول صفة لعارض . و (الذراعان) و (الجبهة) من منازل القمر . وعند العرب أن السحاب الذى ينشأ بِنوءٍ من منازل الأسد يكون مطرُه غزيراً ، فلذلك يُسَرُّ به .

قال الأعلم (فى شرح شواهد سيبويه) : وصف عارضَ سَحابٍ اعترضَ بين نَوء الذراع ونوء الجبهة ، وهما من أنواء الأسد ، وأنواؤه أحمَدُ الأنواء . وذكرَ الذراعين ، والنوء إنّما هو للذراع المقبوضة منهما ، لاشتراكهما فى أعضاء الأسد .

وتقدّم شرح هذا البيت ـ وهو للفرزدق ـ بأبسط من هذا فى الشاهد السادس والثلاثين بعد المائة(١) .

* * *

وأنشد بعده :

(إلاّ عُلالَة أو بُداهةَ سابحٍ نَهْدِ الجُزارهْ)

على أنّ الأصل : إلاّ عُلالة سابح أو بُداهة سابح ، كالذى قبله .

---

(١) الخزانة ٢ : ٣١٩ .

قال أبو على (فى التذكرة القصرية) : ليس من اعترض فى قوله إلا علالة أو بداهة قارح [١] بأنّ المضاف إليه محذوف ، يدافع أن يكون بمنزلة ما شبَّهه به من قوله :

* لله درُّ اليومَ من لامَها[٢] *

لأنه قد ولىَ المضاف غير المضاف إليه ، وإذا وليه غيره فى اللفظ فقد وقع الفصل به بينهما ، كما وقع الفصل بينهما فى اللفظ فى قوله : لله درُّ اليومَ . وإذا كان كذلك فقد ساواه فى القبح للفصل الواقع بينهما ، وزاد عليه فيه أنّ المضاف هنا محذوف ، ولله درُّ اليومَ مذكور ، فلا يخلو الأمر من أن يكون ٢٤٧ أراد المضاف إليه فحذفه لدلالة الثانى عليه ، أو أراد إضافته إلى المذكور فى اللفظ وفصل بينهما بالمعطوف . وكيف كانت القصّة فالفصل حاصلٌ بين المضاف والمضاف إليه . واعترض بأن قال : لو كان على تقدير الإضافة إلى قارح الظاهر ، لكان إلا علالة أو بُداهةَ قارحٍ . [و[٣]] لا يلزم لأنّه يجوز[٤] أن يكون : إلا علالة قارح أو بُداهة قارح ، فيظهر المضاف إليه موضعَ الإضمار ، فتحذفه من اللفظ كما جاز عند من خالف سيبويه ، بأن يذكر علالة وهو يريد الإضافة فيحذف المضاف . وله أن يقول : إنّ تقديرى الحذف أسوغ ، ولأنّى أحذفه بعد أن قد جرى ذكره ، وحذفُ ما جرى ذكرُه أسوغُ لتقدُّم الدلالة عليه . انتهى كلام أبى على .

---

(١) اشارة الى رواية أخرى .

(٢) عجز بيت لعمرو بن قميئة ، وهو الشاهد التالى رقم ٣١٧ .

(٣) بهذه الواو يستقيم الكلام .

(٤) ط : « لأنه يلزم » ، والصواب من ش .

وهذا البيتِ من قصيدة للأعشى ميمون تقدّم شرحه وترجمته فى الشاهد الثالث والعشرين(١) . وقبله :

(وهُناكَ يَكذِبُ ظَنُّكم أن لا اجتماعَ ولا زيارَه)

يقول : إذا غزونا كم علمتم أن ظنَّكم بأنَّنا لا نغزوكم كذب ، وهو زعمكم أننا لا نجتمع ولا نزوركم بالخيل غازين .

وقوله (إلا عُلالة) استثناء منقطع من قوله لا اجتماع ، أى لكن نزوركم بالخيل . والعُلالة ، بضم المهملة : بقيَّة جرى الفرس . و (البُداهة) بضم الموحدة : أول جرى الفرس ، وأو للإضراب . وروى بتقديم (بداهة) على (علالة) فأو ، على هذا لأحد الشيئين . و (السابح) : الفرس الذى يدحو الأرض بيديه فى العدْو . و (النَّهد) : المرتفع . و (الجُزارة) بضم الجيم : الرأس واليدان والرجلان . يريد أنَّ فى عنقه وقوائمه طولاً وارتفاعاً . وهذا مدحٌ فى الخيل .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع عشر بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد سيبويه(٢) :

٣١٧ (لما رأتْ ساتِيدَمَا استَعْبَرتْ للهِ درُّ ـ اليومَ ـ مَنْ لامها)

على أنّه قد فصل فى ضرورة الشعر بين المتضايفين بالظرف ، والأصل : لله درُّ من لامها اليوم .

---

(١) الخزانة ١ : ١٧٢ .

(٢) فى كتابه ١ : ٩١ . وانظر مجالس ثعلب ١٥٢ والأزمنة ٢ : ٣٠٩ والانصاف ٤٣٢ وابن يعيش ٢ : ٤٦/٣ : ١٩ ، ٢٠ ، ٧٧/ ٨ : ٦٦ ومعجم البلدان (ساتيدما) وديوان عمرو بن قميئة ٦٢ .

قال أبو على (فى التذكرة القصريّة) قال سيبويه : تقول : عجبت من ضربِ اليومِ زيداً ، ولا يكون على هذا : لله درُّ اليومِ من لامها ، فيضيف درًّا إلى اليوم ؛ لأن درًّا بمنزلة قولهم لله بلادُك ، فليست تجرى مجرى المصدر ولا تعمل عمل الفعل . قال أبو عثمان : فلو أضفت دَرًّا إلى اليوم ، لبقى قولكَ من لامها لا موضع له ، لأنه ليس كالضرب فيكون الثانى فى موضع نصب بالمصدر ، فيكون بمنزلة عجبت من إعطاء زيد دِرهما . فإذا بقى لا موضع له ، لم تجز الإضافةُ فى دَر ، وإذا لم تجز الإضافة فى درّ إلى اليوم ، جعلته فاصلا بين المضاف والمضاف إليه ، وجعلتَه متّصلا باللام ومعمولا له ، ولا يكون معمولاً للاّمها ؛ لأن ما فى حيّز الصلة لا يعمل فيما قبله . انتهى .

وهذا البيت ثانى أبياتٍ ثلاثة لعَمرو بن قميئة[1] ، وهى : صاحب الشاهد

٢٤٨ (قد سألتنى بنتُ عمرٍو عن الـ أرض التى تُنكِر أعلاَمها

لما رأتْ ساتِيدَ ما استعبرت « البيت »

تذكَّرتْ أرضاً بها أهلُها أخوالَها فيهـا وأعمامَها)

قال أبو محمد الأسود الأعرابى (فى فُرحة الأديب) : قال أبو النّدَى : سبب بكائها أنّها لما فارقت بلادَ قومها ووقعت إلى بلاد الروم ، ندمت على ذلك . وإنّما أراد عمرو بن قميئة[1] بهذه الأبيات نفسَه لابنته ، فكنى عن نفسه بها . وساتيدما : جبل بين ميًّا فارِقين ومعرت . وكان عمرو بن قميئة قال هذا لما خرج مع امرئ القيس إلى ملك الروم . انتهى .

وتُنكر : تجهل ، أنكرتُه إنكاراً : خلاف عرفتُه ، و نكِرته مثال تعبت كذلك ، غير أنَّه لا يتصرف . كذا فى المصباح . والأعلام : الجبال ،

---

(١) ط « قمئة » صوابه فى ش وما سيأتى من كلام البغدادى .

ويجوز أن يريد بها المنارَ المنصوبة على الطريق ليستدلّ بها من يسلك الطريق .
يريد : أنها سألته عن المكان الذى صارت فيه وهى لا تعرفه ، لما أنكرته
استخبرته عن اسمه .

و (استعبرت) : بكت من وَحشة الغربة ولبعدها من أراضى أهلها .
والعرب تقول : لله دَرُّ فلان ، إذا دَعوا له ، وقيل : إنَّهم يريدون لله عمله ،
أى جعل الله عمله فى الأشياء الحسنة التى يرضاها . وإنّما دعا للائمها بالخير نكايةً بها
لأنّها فارقت أهلها بحسن اختيارها ، فيكون هذا تسفيهاً لها بتغرُّبها .

وقال الأعلم : وصف امرأةً نظرت إلى ساتيدما — وهو جبل بعيدٌ من
ديارها — فتذكرت بلادها فاستعبرت شوقاً إليها ، ثم قال : لله درّ من لامها
اليوم على استعبارها وشوقها ، إنكاراً على لائمها ، لأنّها استعبَرَت بحقٍّ ،
فلا ينبغى أن تلام . هذا كلامه . وليس هذا معنى الشعر فتأمَّل .

وكذلك لم يصب بعضُ فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصَّل) فى قوله
قد سألتنى هذه المرأة عن الأرَضِينَ التى كان بها أهلها ، إذ أنكرت جبالها
أو أعلامَها المنصوبة فيها ، ولم تعرفها لتقادم العهد بها أو لتغيُّرها ، لمّا رأت
هذا الجبل بكت ، لأنه كان منزلَ أهلها . ثم قال : لله در من لامها على البكاء
وقبَّحه عندها ، لتمتنع عنه(١) . انتهى كلامه . وهذا كلام من لم يصل
إلى العنقود .

وقوله : تذكَّرتْ أرضاً بها أهلها ، قد استشهد سيبويه بهذا البيت
أيضا(٢) على أنّ قوله : أخوالها فيها وأعمامها ، منصوب بفعل مضمر وهو

(١) فى النسختين : « لتمتنع » .
(٢) فى كتابه ١ : ١٤٤ .

تذكّرتْ . وهذا جائز عندهم باجماع ، لأنّ الكلام قد تمَّ فى قوله : تذكّرتْ أرضاً بها أهلُها ، ثم حمل ما بعده على معنى التذكّر .

وأجاز بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصّل) أن يكون قوله : أخوالَها ، بدلا من أرضاً بدل الاشتمال

وقوله : بها أهلها ، الظرف صفة لقوله أرضا وأهلها فاعل الظرف ، ويجوز أن يكون مبتدأ والظرف قبله خبره والجملة هى الصفة .

قال ابن خلف : ولو نصبت أهلها باضمار فعل لجاز على بُعد .

والكلام على ساتيدما قد أجاد فيه ياقوت الحموى (فى معجم البلدان) قال : ساتيدما بعد الألف تاء مثناة من فوق مكسورة وياء مثنّاة من تحت ودال مهملة مفتوحة وميم وألف مقصورة ، أصله مهمل فى الاستعمال فى كلام العرب ، فإمّا أن يكون مرتجلا عربياً لأنَّهم قد أكثروا من ذكره فى شعرهم ، وإمّا أن يكون أعجميّاً . قال العِمْرانى : هو جبلٌ بالهند لا يعدم ثلجه أبداً . وأنشدوا :

أبردُ من ثلجِ ساتيدما   وأكثر ماء من العكرِش[1]

وقال غيره : سُمِّى بذلك لأنه ليس من يوم إلاَّ ويسفك فيه دم ، كأنَّه اسمان جُعِلا واحداً : ساتى ، دما . وسادى وساتى بمعنى ، وهو من سَدَى الثَّوب ، فكأنّ الدماء تُسدى فيه كما يُسدى الثوب . وقد مدّه البحترىُّ فقال :

٢٤٩ ولما استقرت فى جَلُولَى ديارهم   فلا الظَّهْرُ من ساتيد ماء ولا اللُّحفُ

(١) فى معجم البلدان : « وأبرد » بلا خرم . وقد زاد الشنقيطى الواو بقلمه فى نسخته .

قال أبو عبيد البكرىّ (فى معجم ما استعجم) : رأيت البُحتُرىَّ قدمدَّه ، فلا أعلم أضرورة أم لغة ، والبحترىُّ شديد التوقِّى فى شعره من اللحن والضّرورة .

ثم قال ياقوت : وقد حذف يزيدُ بن مفرِّغ ميمه فقال :

* فدَيْر سوَى فساتيدا فبُصرى *

قلت : وهذا يدل على أن هذا الجبل ليس بالهند ، وإنَّما العِمرانىُّ وهم . وذكر غيره أنَّ ساتيدما ، هو الجبل المحيط بالأرض ، منه جبل بارمَّا ، وهو الجبل المعروف بجبل حُمرِين وما يتّصل به قرب الموصل والجزيرة وتلك النواحى. وهو أقرب إلى الصحة . والله أعلم .

وقال أبو بكر الصُّولىّ فى شرح قول أبى نواس :

ويومَ ساتيدما ضربنا بَنى الـ أصفَرِ والموتُ فى كتائبها

قال : ساتيدما : نهر قرب أرزَن ، وكان كسرى وجّه إياس بن قبيصة الطائى لقتال الروم بساتيدما فهزمهم ، فافتخر بذلك.وهذا هو الصحيح. وقوله: فى بلاد الهند خطأ فاحش . وقد ذكر الكسروى فيما أورد فى خبر دجلة عن المرزبانى عنه ، فذكر نهراً بين آمِد ومَيَّا فارقين ، ثم قال : ينسبُّ إليه وادى ساتيدما، وهو خارج من درب الكلاب[1] ، بعد أن ينصبّ إلى وادى ساتيدما وادى الزور الآخذ من الكلك ، وهو موضع ابن بقراط البطريق من ظاهر أرمينيا . قال : وينصبّ أيضاً من وادى ساتيدما ، نهر ميَّافارقين ، وهذا كله مخرجه من بلاد الرُّوم ، فأين هو والهند ، ياللعجب ! وقول عمرو بن قميئة :

(١) ش : « ضرب الكلاب » .

* لمَّا رأت ساتيدما استعبرت *

يدل على [ذلك] ؛ لأنه قاله[1] فى طريقه إلى ملك الروم ، حيث سار مع امرىء القيس . انتهى كلام ياقوت .

وقال البكرىّ (فى معجم ما استعجم) : ساتيدما : جبل متّصل من بحر الرُّوم إلى بحر الهند ، وليس يأتى يومٌ من الدهر إلاّ سُفك عليه دم ، فلذلك سمِّى ساتيدما . وكان قيصر قد غزا كسرى وأتى بلاده على غِرّة ، فاحتال له حتّى انصرف عنه ، واتبعه كسرى فى جنوده فأدركه بساتيدما ، فانهزموا مرعوبين من غير قتال ، فقتلهم قَتْلَ الكلاب ، وَنجا قيصرُ ولم يَكَدْ . وفى شعر أبى النجم ساتيدما : قصر من قصور السواد ، قال أبو النجم يذكر سَكْرَ خالدٍ القسرىِّ لدجلة :

فلم يجُبها المرء حتّى أحكما   سَكْراً لها أعظم من ساتِيدَماَ[2]

انتهى . ولا يخفى أنه ليس فى قول أبى النجم مايعيِّن كونه قصرا ، ولا مانع من أن يحمل على معنى الجبل . وممَّا يرد به على العِمرانىّ فى قوله : إنه جبل بالهند لا يعدم ثلجه ، أن الهند بلاد حارَّة لا يوجد فيها الثلج[3]. والله أعلم .

عمرو بن قميئة

و (عمرو بن قميئة) على وزن فَعيلة ، مؤنث قمىء على وزن فعيل مهموز اللام من قمؤ الرجل بضم الميم قَمْأً بسكونها ، وقماءة بفتحها والمد: أى صار قميئاً ، وهو الصَّغير الذليل.

---

(١) فى النسختين : « يدل على أنه » ، صوابه من معجم البلدان .

(٢) فى معجم ما استعجم : « المد حتى أحكما » ، وما هنا صوابه.

(٣) هذا من أوهام القدماء ، والا فالثلج يغطى أبدا رءوس الجبال العالية فى الجبال الاستوائية ، كما هو معروف .

قال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : عمرو بن قميئة من قيس بن ثعلبة ابن مالك رهط طرَفة بن العبد ، وهو قديمٌ جاهلى كان مع حُجر أبى امرئ القيس ، فلما خرج امرؤ القيس إلى الروم صحبه . وإياه عنى امرؤ القيس بقوله :

بكى صاحِبي لما رأى الدربَ دونه وأيقن أنّا لاحقانِ بقيصرا
فقلت له : لا تبكِ عينكَ ، إنّما نُحاول ملكاً أو نموتَ فنعذرا

٢٥٠ ثم قال ابن قتيبة : وفى عبد القيس عمرو بن قميئة الصغير[١].

أبناء قميئة

وأورد الآمدىّ (فى المؤتلف والمختلف) ثلاثةً من الشعراء يقال لهم ابن قميئة ، أولّهم هذا قال :

هو عمرو بن قميئة بن ذَريح بن سعد بن مالك بن ضُبيعة بن قيس بن ثعلبة الشاعر المشهور ، دَخل بلاد الروم مع امرىء القيس بن حُجر فهلك ، فقيل له عمرٌو الضائع . والثانى هو جميل بن عبد الله بن قميئة الشاعر العُذرى ، أحد بنى ظَبيان بن حُنّ ، وحُنّ بن عنرة[٢]، ولم يكن جميل يعرف إلّا بابن قميئة .

والثالث ربيعة بن قميئة الصَّعْبي أحد بنى صعب بن تيم بن أنمار بن ميسر ابن عميرة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، شاعر له فى كتاب عبد القيس القصيدة التى أولها :

لمن دِمنٌ قفرٌ كأنَّ رسومَها على الحَوْلِ جفنُ الفارسىِّ المزخرَفُ[٣]

* * *

(١) بعده فى الشعراء ٣٣٨ : « وهو شاعر أيضا » .
(٢) هذا من موجز النسب ، والا فهو حن بن ربيعة بن حرام بن ضنة بن عبد بن كبير بن عذرة . أو صوابه « وحن من عذرة » . وانظر جمهرة ابن حزم ٤٤٩ من تحقيق كاتبه .
(٣) فى النسختين : « على الجفن » ، صوابه من المؤتلف ١٦٨ .

وأنشد بعده :

كأنّ أصواتَ مِنْ إيغالِهِنّ بنا أَوَاخِرِ المَيس إنقاضُ الفَرَاريج

على أنّ الظرف قد فصَل بين المتضايفين لضرورة الشعر ، والأصل : كأنّ أصواتَ أواخِر المَيس . ومن للتعليل .

و (الإيغال) : الإبعاد ، يقال أوغل فى الأرض : إذا أبعَدَ فيها . والضمير للإبل . و (الأواخر) : جمع آخِرة الرحْل ، بوزن فاعلة ، وهو العُود الذى فى آخر الرحْل يستند إليه الراكب . و (المَيس) بفتح الميم : شجرٌ يتّخذ منه الرحال والأقتاب . وإضافة الأواخر إليه كإضافة خاتم فضّةً . و (الإنقاض) : مصدر أنقضَت الدّجاجة : إذا صوّتت ، وهو بالنون والقاف والضاد المعجمة . و (الفَراريج) : جمع فَرُّوج ، وهى صِغار الدّجاج .

يريد أنّ رحالهم جَديدةٌ ، وقد طال سيرُهم فبعض الرحْل يحكّ بعضاً ، فيحصل مثل أصواتِ الفراريج من اضطراب الرِّحال ؛ لشدة السير .

وهذا البيت من قصيدةٍ لذى الرّمة تقدم الكلامُ عليه فى الشاهد التاسع والستين بعد المائتين(١).

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن عشر بعد الثلاثمائة(٢) :

٣١٨ * تمُرُّ على ماتستمرّ وقد شفَتْ غلائِلَ عَبْدُ القيس منها صُدورِها *

على أن الفصل بين المتضايفين بغير الظرف نادر ، كما هنا ، والأصل : وقد شفت غلائلَ صُدورِها عبدُ القيس منها ، ففصل بين المضاف والمضاف

(١) انظر هذا الجزء الرابع من الخزانة ص ١٠٨ .
(٢) انظر الانصاف ٤٢٨ .

إليه بالفاعل وبالجارّ والمجرور . والفاعل ، وهو عبد القيس ، فى نية التقديم على المفعول وهو غلائلَ صدورها ، لأن فيه ضمير الفاعل .

و (عبد القيس) قبيلة . و (الغلائل) : جمع غليل[1]، وهو الضغن والحقد . و (شفَت) مجاز من شفى الله المريض . إذا أذهب عنه ما يشكو . و (تمرُّ) من المرور . و (تستمرّ) من الاستمرار .

وهذا البيت مصنوع ، وقائله مجهول ، كذا فى كتاب الإنصاف فى مسائل الخلاف لأبى البركات عبد الرحمن بن محمد الشهير بابن الأنبارىّ .

وقال ابن السيد (فى أبيات المعانى) : هـذا البيت أنشده الأخفش ، وتوجيه إعرابه أنه فصل بين المضاف والمضاف إليه بما ليس بظرف ، وهو أفحش ما جاء فى الشعر ودعت إليه ضرورةٌ ، وتقدير الكلام . وقد شفَت غلائلَ صدورها . و (الغَلائل) : جمع غليلة مثل عظيمة وعظائم ، وكريمة وكرائم . ٢٥١
وقال أبو الحسن الأخفش : إن كان الشعر لم يوثق بعربيَّته فيجوز أن يكون أخرج غلائل غير مضافة وقدَّر فيها التنوين لأنّها لاتنصرف ، ثم جاء بالصدور مجرورةً على نيَّة اعادتها ، كما قال الآخر[2] :

رحم اللهُ أعظماً دفنوها بسجستان طلحةَ الطلَحاتِ

أى أعظُمَ طلحةِ الطَّلَحات . فكذلك هنا يريد غلائل عبد القيس منها غلائل صدورها ، وقد حذف الثانى اجتزاء بالأوّل . وهذا التأويل حسن ، لأنّه مخرج الكلام[3] ، وفيه ضعف من حيث إضمار الجار . انتهى

* * *

(١) كذا فى النسختين ، والوجه « غليلة » . كما سيأتى .
(٢) هو ابن قيس الرقيات . ديوانه ٢٠ .
(٣) ش : « يخرج الكلام » .

وأنشد بعده وهو الشاهد التاسع عشر بعد الثلثمائة :

٣١٩ (فزَجَجْتُها بِمِزَجَّةٍ زَجَّ القلوصِ أبي مَزَادَه[1])

على أنَّه فصّل بين المضاف وهو زجَّ ، وبين المضاف إليه وهو أبي مزاده، بالمفعول، وهو القلوص .

يقال زَجَجته زَجًّا : إذا طعنتَه بالزُّجّ ، بضم الزاء ، وهى الحديدة التى فى أسفل الرمح . و (زجَّ القلوصَ) مفعول مطلق ، أى زجًّا مثل زجّ . و (القَلوص) بفتح القاف : الناقة الشابة . و (أبومزادة) : كنية رجل ، قال صاحب الصحاح « المِزَجُّ ، بكسر الميم : رمح قصير كالمِزراق » . قال ابن خلف : « هذا البيت يُروى لبعض المدنيّين المولّدين ، وقيل هو لبعض المؤنّثين ممَن لا يحتج بشعره . ومِزجَّة ، يروى بفتح الميم وهو موضع الزّجّ ، يعنى أنه زّج راحلته لتسرع كما يفعل أبو مزادة بالقلوص . ويجوز أن تكون الميم مكسورة ، فيكون المعنى فزججتها يعنى الناقة أو غيرها ، أى رميتها بشىء فى طرفه زُجّ كالحربة ، والمزجة ما يزُجّ به . وأراد كزج أبى مزادة بالقَلوص أى كما يزّجها . انتهى

وقول العينى : « الأظهر أن الضمير فى زججتها يرجع إلى المرأة ، لأنّه يخبر أنه زجّ امرأته بالمزّجة كما زجّ أبو مزادة القلوص » ، كلام يحتاج فى تصديقه إلى وحى . وقد انعكس عليه الضبط فى مزَجة فقال : هى بكسر الميم ، والناس يلحنون فيها فيفتحون ميمها . وقد أنشد ثعلب فى أماليه الثالثة هذا البيت كذا :

---

(١) مجالس ثعلب ١٥٢ والخصائص ٢ : ٤٠٦ والانصاف ٤٢٧ وابن يعيش ٣ : ١٩ ، ٢٢ والعينى ٤ : ٣٦٨ والأشمونى ٢ : ٢٧٦ .

فزججتها متمكناً زجَّ الصعَّابِ أبو مزاده

وأنشد بعضهم :

* زجَّ الصعابَ أبى مزاده *

أراد زجَّ أبى مزادة الصعَّابَ ، ثم اعترض بالصعَّاب اﻫ فلا شاهد فى البيت على روايته الأولى . والصعَّاب : جمع صعب ، وهو نقيض الذَّلول .

وهذا البيت لم يعتمد عليه متقنو كتاب سيبويه ، حتى قال السيرافىّ : لم يثبته أحدٌ من أهل الرواية ، وهو من زيادات أبى الحسن الأخفش فى حواشى كتاب سيبويه ، فأدخله بعض النُّسَّاخ فى بعض النسخ ، حتّى شرحه الأعلم وابن خلف فى جملة أبياته . والأخفش هذا هو أبو الحسن سَعيد بن مَسعدَة صاحب سيبويه ، لا الأخفش أبو الخطَّاب فإنّه شيخ سيبويه . قال الزمخشرى (فى مفصّله) وما يقع فى بعض نسخ الكتاب من قوله : فزججتها بمزجة ، البيت : فسيبويه برىء من عهدته[1] . أراد أن سيبويه لم يورد هذا البيت فى كتابه ، بل زاده غيره فى كتابه . وإنّما برَّأ سيبويه من هذا ، لأنّ سيبويه لا يرى الفصل بغير الظرف ، وإذا كان هذا مذهبَه ، فكيف يورد بيتاً على خلاف مذهبه . ومنه يظهر لك سقوط قول الجعبَرىّ (فى شرح الشاطبية) فإنّه بعد أن زعم أن البيت من أبيات الكتاب قال : فإنْ قلتَ : فما معنى قول المفصَّل : برىء من عهدته ؟ قلتُ معناه من عهدة هذه الرواية ، لأنه يرويه : ٢٥٢

* زجَّ القلوصِ أبو مزاده *

بجرِّ القلوص بالإضافة ، ورفع أبو مزادة فاعل المصدر . هذا كلامه .

---

(١) البيت لم يرد فى مظنه من سيبويه ١ : ٩١ ولم أجد الأعلم تعرض له فيما طبع بهامش الكتاب .

ثم قوله : إن هذا البيت أنشده الأخفش والفرّاء ، أقول : نقل الفرّاء لهذا البيت ليس لتأييد قراءة ابن عامر الآتية ، وإنّما نقله للطعن فيه بأنه كلامُ مَن لا يوثق به ، كما يظهر لك من كلام الفرّاء الآتى .

قال ابن جنّيّ (فى الخصائص) : قد فصل بالمفعول به مع قدرته أن يقول : زجَّ القلوص أبو مزاده[1] . وفيه عندى دليل على قوّة إضافة المصدر إلى الفاعل عندهم وأنه فى نفوسهم أقوى من إضافته إلى المفعول . ألا تراه ارتكب ههنا الضرورة مع تمكّنه من ترك ارتكابها ، لا لشىء غير الرغبة فى إضافة المصدر إلى الفاعل دون المفعول . وهذا فى النثر وحال السَّعة صعبٌ جدًّا ، لاسيّما والمفصول به مفعول لا ظرف . اهـ

وبقوله : لا لشىء غير الرغبة الخ ، يُعلَم أنَّ قول العَينىّ : إنّ قائله ليس له عذر فى هذا إلاّ مسّ الضرورة لإقامة الوزن ، صادرٌ عن غير رويّة وفكر .

ونقل جماعة عن ابن جنّي فى توجيهه ، أنّه يقدّر فى الأول مضاف إليه وفى الثانى مضاف ، والتقدير : زجّ أبى مزادة القلوص قلوص أبى مزادة ، على أن يكون قلوص بدلاً من القلوص . وتعسّفه ظاهر . ونقل ابن المستوفى عن الزمخشرى (فى حواشيه) أنّه قال : الوجه أن يجرّ القلوص ويجعل أبى مزادة بعده مجروراً بمضاف محذوف ، تقديره : قلوص أبى مزادة ، كما فى :

* ونارٍ تَوَقَّدُ بالليلِ نارا[2] * اهـ

---

(١) بعده فى الخصائص : « كقولك سرنى أكل الخبز زيدٌ » .

(٢) لأبى دواد الايادى فى سيبويه ١ : ٣٣ . وصدره :

* أكل امرىء تحسبين امرأ *

وينسب أيضا الى عدى بن زيد . الكامل ١٦٣ ، ٤٨٩ .

وقد نقل الخلاف ابنُ الأنباريّ فى هذه المسألة (فى كتابه الإنصاف، فى مسائل الخلاف) فقال: ذهب الكوفيون إلى أنّه يجوز الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف وحرف الخفض، لضرورة الشعر، وذهب البصريّون إلى إنّه لا يجوز ذلك بغيرهما. أما الكوفيّون فاحتجوا بأن قالوا: إنَّما قلنا ذلك لأنّ العرب قد استعملته كثيراً فى أشعارها، قال الشاعر:

فَزَجَجْتُهـا بِمزَجَّـة . . . . . (البيت)

وقال الآخر:

تمرّ على ما تستمرّ وقد شفَتْ . . . . . (البيت[1])

وقال الآخر:

يَطُفْنَ بِحُوزِىِّ المراتع لم يُرَعْ بواديه من قرعِ القِسىِّ الكنائنِ[2]

والتقدير من قرع الكنائن القسىّ. وقال:

وأصبحت بعد خَطَّ بهجتِها كأنّ قفراً رُسومَها قَلَمـا

والتقدير بعد بهجتِها، ففصل بين المضاف الذى هو بعد والمضاف إليه الذى هو بهجتها، بالفعل الذى هو خطَّ. وتقدير البيت: فأصبحت قفراً بعد بهجتها كأن قلما خَطَّ رسومها[3]. وقد حكى الكسائى عن العرب: هذا غلامُ

(١) هو الشاهد ٣١٨ السابق لشاهدنا هذا.

(٢) ط: «بطعن بجوزى المراتع» صوابه فى ش والانصاف وديوان الطرماح ١٦٥ واللسان (حوز).

(٣) كتبت قديما فى طبعة السلفية: «هذا البيت مثال عجيب فى الشعر، ولا أحسبه الا مصنوعا، وجدير أن يطرح للالغاز والتعمية، وقلما يصيب الممتحن فيه».

واللهِ زيدٍ . وحكى أبوعبيدة سماعاً عن العرب : إنّ الشاة لَتجترّ فتسمعُ صوتَ
واللهِ ربِّها . وإذا جاء هذا فى الكلام ، ففى الشعر أولى .

وأمّا البصريّون فاحتجّوا بأن قالوا إنّما قلنا لا يجوز ذلك لأنَّ المضاف
والمضاف إليه بمنزلة شىء واحد ، فلا يجوز أن يفصل بينهما . وإنّما جاز الفصل ٢٥٣
بالظرف وحرف الجرّ كما قال ابن قميئة :

* للهِ درُّ اليومَ مَنْ لامها[1] *

وقال أبو حيّة النّميرى :

كما خُطّ الكتابُ بكفّ يوماً يهوديٍّ يقارِب أو يُزيلُ[2]

وقال ذو الرمة :

* كأنّ أصواتَ مِن إيغالهن بنا[3] *

لأنَّ الظّرف وحرْف الجر يتّسع فيهما مالا يُتّسع فى غيرهما .

وأمّا الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قوله : فزججته بمزجّة البيت ،
فيروى لبعض المدنيّين المولّدين ، فلا يكون فيه حجّة . وأما سائر ما أنشدوه ،
فهو مع قلّته لا يعرف قائله ، فلا يجوز الاحتجاج به . وأما ما حكاه الكسائى
وأبو عبيدة فإنّما جاء فى اليمين لأنها تدخل فى أخبارهم للتوكيد ، فكأنّهم
لما جازوا بها موضعَها استدركوا ذلك بوضع اليمين حيث أدركوا من الكلام .

---

(١) صدره كما مر قريبا :
* لما رأت ساتيدما استعبرت *
(٢) سيبويه ١ : ٩١ واللسان (عجم) .
(٣) تقدم الكلام عليه قبل الشاهد ٣١٨ . وعجزه :
* أواخر الميس انقاض الفراريج *

والذى يدل على صحة هذا أنا أجمعنا وإياكم على أنه لم يجىء الفصل بغير اليمين فى اختيار الكلام. وأما قراءة ابن عامر ، فلا يَسُوغ لكم الاحتجاج بها ، لأنكم لاتقولون بموجبها، لأنّ الإجماع واقعٌ على امتناع الفصل بالمفعول فى غير ضرورة الشعر ، والقرآن ليس فيه ضرورة . وإذا وقع الاجماع على امتناع الفصل بينهما فى حالة الاختيار ، سقط الاحتجاج بها على حالة الاضطرار . والبصريون يذهبون إلى أن هذه القراءة وهم من القارىء ، إذْ لو كانت صحيحة لكان من أفصح الكلام ، وفى وقوع الإجماع على خلافه دليلٌ على أنه وَهَمٌ فى القراءة[1] . وإنما دعا ابنَ عامر إلى هذه القراءة ، أنه رأى فى مصاحف أهل الشام (شركائهم) مكتوباً بالياء ، ووجه إثبات الياء جرّ شركائهم على البدل من أولادهم وجعل الأولاد هم الشركاء ، لأنّ أولاد الناس شركاء آبائهم فى أحوالهم وأموالهم . وهذا تخريج خطّ مصحف أهل الشام. فأما قراءة ابن عامر فلا وجه لها فى القياس ، ومصاحفُ أهل الحجاز والعراق (شُرَكاؤُهُم) بالواو ، فدلّ على صحة ما ذهبنا إليه ، والله أعلم . انتهى كلام ابن الأنبارى .

وفيه أمران : الأوّل : أنّ نسبة جواز الفصل فى الشعر بنحو المفعول إلى الكوفيّين ، لم يعترف به الفرّاء وهو من أجلّ أئمة الكوفيّين ، قال (فى تفسيره المعروف بمعانى القرآن) فى سورة الأنعام[2] ، عن قراءة ابن عامر ما نصه : وفى بعض مصاحف أهل الشام (شركائهم) ، فإن تكن مثبَتة عن الأوّلين فينبغى أن يقرأ (زُيِّن) أى بالبناء للمفعول ويكون الشركاء هم الأولاد ، لأنّهم منهم فى النسب والميراث . فإن كانوا يقرءون (زَيَّن) أى

(١) فى الانصاف : « دليل على وهى القراءة » .

(٢) معانى الفراء ١ : ٣٥٧ فى الآية ١٣٧ من الأنعام .

بالبناء للفاعل ، فلست أعرف جهتها إلاّ أن يكونوا آخذين بلغة قوم يقولون: أتيتها عِشاياً[1] ثم يقولون فى تثنية الحمراء حمرايان . فهذا وجه أن يكونوا قالوا : زيَّن لكثير من المشركين قتلَ أولادِهم شُركايُهم . وإنْ شئت جعلت زيَّن ، إذا فتحته، فعلاً لإبليسَ ثم تخفض الشركاء باتباع الأولاد . وليس قولُ من قال إنّما أرادوا مثل قول الشاعر :

فزججتُها متمكّناً زجَّ القلوص أبى مزاده

بشىء . وهذا مما كان يقوله نحويّو أهلِ الحجاز ، ولم نجد مثله فى العربية . انتهى .

وقال أيضاً فى سورة إبراهيم عليه السلام[2]: وليس قول من قال مخلفَ : وعدَه رسلِه بشىء ، ولا : زيَّن لكثير من المشركين قتلُ أولادَهم شركائِهم ، بشىء . قال الفرّاء : هذا باطل ، ونحويّو أهل المدينة ينشدون قوله : ٢٥٤

* زجَّ القلوصَ أبى مزاده *

والصواب :

* زجَّ القلوصِ أبو مزاده * انتهى

الأمر الثانى : أنّ ابن خلف (فى شرح أبيات الكتاب)، وأبا شامة (فى شرح الشاطبيَّة) ، وتبعه (فى شرحها) بعده [الجعبرىّ[3]] والسمين (فى إعراب القرآن) ، نقلوا عن (الإنصاف لابن الأنبارى) ما يؤيد قراءة ابن عامر .

---

(١) يعنى عشاء .
(٢) معانى الفراء ٢ : ٨١ فى تفسير الآية ٤٧ من ابراهيم .
(٣) التكمله مما يقتضيه الكلام التالى . وقد أثبتها الشنقيطى كذلك فى هامش نسخته .

قال ابن خلف : قد احتجَّ ابن الأنبارى لهذه القراءة بقول العرب : هو غلامُ إن شاء الله أخِيك . ففصل بإن شاء الله . وقول الشاعر :

* زجَّ القلوصَ أبى مزاده *

وقال الجعبرىّ : نقل ابن الأنبارى (فى كتاب الإنصاف) عن الكسائى عن العرب : هو غلام إنْ شاء الله أخيك ، ففصل بالجملة الشرطية .

وقال السَّمين : قال ابن الأنبارى : هذه قراءة صحيحة ، وإذا كانت العرب قد فصلت بين المتضايفين بالجملة فى قولهم : هو غلامُ إن شاء الله أخيك ، فأن تفصل بالمفرد أسهل .

هذا كلامهم ، وأنت ترى هذا النقل لا أصل له ، وإنّما نَقَلُ ابنِ الأنبارى عن الكسائى عن العرب ، هو قولهم : هذا غلام والله زيد . وليس فى كلامه أيضًا ما يؤيّد القراءة ، وإنما هو طاعنٌ فيها تبعاً للزمخشرىِّ وغيره .

وكنت أظنّ أن صاحب الكشّاف مسبوق بابن الأنبارى ، فراجعت ترجمتهما فرأيت الأمر بالعكس ، فإنَّ الزمخشرى توفىَ يوم عرفة سنةَ ثمان وثلاثين وخمسمائة ، وابن الأنبارىّ مات ليلة الجمعة تاسع شعبان سنة سبع وسبعين وخمسمائة وهو تلميذ الجواليقى (صاحب المعرّبات) وابنِ الشجرىّ (صاحب الأمالى) ، والزمخشرىُّ من أقران ابن الشجرىّ ، فابن الأنبارى متأخِّر عن الزمخشرى بأربع طبقات . والزمخشرىُّ فى طعنه على هذه القراءة مسبوقٌ أيضاً بالفرّاء ، فكان ينبغى الردّ على الفرّاء ، فإنَّه هو الذى فتح ابتداء باب القدح على قراءة ابن عامر .

قال السمين : قراءة ابن عامر متواترة صحيحة ، وقد تجرّأ كثير من الناس على قارئها بما لا ينبغى ، وهو أعلى القرّاء السَّبعة سنداً ، وأقدمُهم هجرة ، وإنّما

ذكرنا هذا تنبيهاً على خطأ من ردَّ قراءته ، ونسبه إلى لحن أو اتباع مجرّد المرسوم . وقال أبو على الفارسىّ : هذا قبيح قليل الاستعمال ، ولو عدل عنها كان أولى ، لأنهم لم يفصلوا بين المتضايفين بالظرف فى الكلام مع اتساعهم فى الظروف ، وإنما أجازوه فى الشعر . وقال أبو عُبيد : لا أحبُّ قراءة ابن عامر لما فيها من الاستكراه ، والقراءة عندنا هى الأولى لصحتّها فى العربية مع إجماع أهل المصرين بالعراق عليها . وقال الزمخشرى — وأساء فى عبارته — :

وأما قراءة ابن عامر فشىء لو كان فى مكان الضرورة لكان سَمْجاً مردوداً كما سَمُج ورُدَّ :

* زجّ القَلوصَ أبى مزاده *

فكيف به فى الكلام المنثور ، فكيف به فى القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته . والذى حمله على ذلك ، أنّه رأى فى بعض المصاحف شركائهم مكتوباً بالياء . ولو قرأ بجرّ الأولاد والشركاء لأنّ الأولاد شركاؤهم فى أموالهم ، لوجد فى ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب . وهذه الأقوال كُلها لاينبغى أن يلتفت إليها ، لأنها طعنٌ فى المتواتر ، وإن كانت صادرة عن أئمة أكابر . وأيضاً فقد انتصر لها من يقابلهم ، وجاء فى الحديث : « هل أنتم تاركُو لِى صاحِبى » .

٢٥٥ وقال ابن جنّي (فى الخصائص) باب مايرد عن العربىّ مخالفاً للجمهور[1] : إذا اتفق شىء من ذلك نظر فى ذلك العربىّ وفيما جاء به ، فإن كان فصيحاً وكان ماجاء به يقبله القياس فيُحسنَ الظن به ، لأنه يمكن أن يكون قد وقع إليه ذلك من لغة قديمة قد طال عهدها — ورُوى عن عمر بن الخطاب أنه قال :

---

(١) الخصائص ١ : ٣٨٥ .

كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصحُّ منه فى الإسلام(١) . فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب بالجهاد ولَهَت عن الشعر وروايته ، فلما كثر الإسلام ، وجاءت الفتوحُ واطمأنت العرب ، راجعوا رواية الشعر فلم يئولوا إلى ديوان مدوَّن ، وقد هلك من هلك فحفظوا أقلَّ ذلك وذهب عنهم كثيرُهُ . فإذا كان الأمر كذلك لم يُقطَع على الفصيح يسمع منه مايخالف الجمهور ، بالخطأ إذا كان القياس يَعضُدُه .

وقال ابن ذَكْوان : سألني الكسائى عن هذا الحرف وما بلغه من قراءتنا ، فرأيته كأنه أعجبَه ونزع بهذا البيت :

* نفيَ الدراهيمَ تنقادِ الصَّياريف(٢) *

بنصب الدراهيم وجرِّ تنقاد . وأمَّا ما ورد فى النظم من الفصل بين المتضايفين بالظرف وبغيره ، فكثير . ثم بعد أنْ سَرَد غالبَ ماورد فى الشعر قال : وإذا قد عرفتَ هذا ، عرفتَ أنَّ قراءة ابن عامر صحيحةٌ من حيث اللغة ، كما هى صحيحة من حيث النقل ، فلا التفات إلى قول من قال : إنَّه اعتمد على الرسم لأنه لم يوجد فيه إلا كتابة شركائهم بالياء ، وهذا وإن كان كافياً فى الدلالة على جر شركائهم فليس فيه مايدلُّ على نصب أولادهم ، إذ المصحف مهمل من شكل ونقط ، فلم يبق له حجَّة فى نصب الأولاد إلاَّ النقل المحض .

وقال أبو شامة : ولا بُعدَ فيما استبعده أهل النحو من جهة المعنى ، وذلك

---

(١) الى هنا ينتهى نص كلام عمر ، وما بعده من الكلام يحتمل أن يكون من كلام الفضل بن الحباب ، أو ابن سلام . انظر الخصائص وطبقات ابن سلام ٢٢ .

(٢) قطعة من الشاهد التالى .

أنَّه قد عُهد تقدّم المفعول على الفاعل المرفوع لفظاً ، فاستمرَّت له هذه المرتبة مع الفاعل تقديراً ، فإن المصدر لو كان منوَّناً لجاز تقديمُ المفعول على فاعله ، نحو : أعجبني ضرب عمراً زيد ، فكذا فى الإضافة . وقد ثبت جواز الفصل بين حرف الجرِّ ومجروره مع شدة الاتصال بينهما أكثر من شدته بين المتضايفين ، كقوله تعالى : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم ميثاقهم[1] ﴾ ، ﴿ فبما رحمةٍ[2] ﴾ والمفعول المقدَّم هو فى غير موضعه معنى ، فكأنه مؤخَّر لفظاً . ولا التفات إلى قول من زعم أنه لم يأت فى الكلام المنثور مثلُه . لأنَّه ناف ، ومن أسند هذه القراءة مثبت ، والإثبات مرجَّح على النفى بإجماع . ولو نقل إلى هذا الزاعم عن بعض العرب أنه استعمله فى النثر ، لرجع إليه ، فما باله لا يكتفى بناقل القراءة من التابعين عن الصحابة !

هذا زبدة ما أورده السمين ، ومثله كلام الجعبرى (فى شرح الشاطبية) والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد العشرون بعد الثلثمائة ، وهو من أبيات سيبويه[3] :

---

(١) فى الآية ١٥٥ من النساء : « فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله » . وفى الآية ١٣ من المائدة : « فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية » .

(٢) الآية ١٥٩ من آل عمران .

(٣) سيبويه ١ : ١٠ والكامل ١٤٣ والخصائص ٢ : ٣١٥ وابن الشجرى ١ : ١٤٢ ، ٢/٢٢١ : ٩٣ ، ١٩٧ والانصاف ٢٧ ، ١٢١ وابن يعيش ٦ : ١٠٦ والعينى ٣ : ٤/٥٢١ : ٥٨٦ والتصريح ٢ : ٣٧٠ والأشمونى ٢ : ٢٨٩ وديوان الفرزدق ٥٧٠ .

٣٢٠ (تَنْفِي يداها الحَصَى فى كلِّ هاجرةٍ
نَفْيَ الدراهيمَ تنقادِ الصَّيَارِيفِ)

على أنَّ فيه الفصل بالمفعول أيضاً بين المتضايفين ، فإن أصله : نفى تنقادِ الصياريف الدراهيمَ ، ففصل بالمفعول وهو الدراهيم ، بين المتضايفين .

وإضافة نفى إلى تنقاد ، من إضافة المصدر إلى فاعله . وروى أيضاً بإضافة نفى إلى الدراهيم ورفع تنقاد ، فيكون من إضافة المصدر . وعلى هذه الرواية أنشده ابن الناظم وابن عقيل (فى شرح الألفية) ، قال العينى : وفى شرح

٢٥٦ الكتاب : ويجوز نصب التَّنقاد ورفع الدراهيم فى العمل ، على القلب ، من حيث أمن اللبس ، يعنى أنَّه روى بجر الدراهيم بإضافة نفى إليه ونصب تنقاد، فيكون من قبيل إضافة المصدرِ إلى فاعله على تقدير القلب بجعل الفاعل مفعولا والمفعول فاعلا . وأورده سيبويه (فى أوائل كتابه ، فى باب ما يحتمل الشعرُ) قال : وربَّما مدُّوا فقالوا : مساجيد ومنابير ، شبَّهوه بما جمع على غير واحده فى الكلام كما قال الفرزدق :

* نفَى الدنانيرِ تنقادُ الصياريف *

وينشد : نفيَ الدراهيمِ . انتهى كلامه .

ومحلُّ الشاهد فيه عند أبى جعفرٍ النحاس ، الدنانير والدراهيم ، قال : من روى الدنانير فلا ضرورة عنده فيه ، لأنَّ الأصل فى دينار دنّار فلما جمعتَ رددته إلى أصله فقلت دنانير . ومن روى الدراهيم فذكر أبو الحسن بن كيسان أنه قد قيل فى بعض اللغات دِرهام ، قال : فيكون هذا على تصحيح الجمع . قال : أو يكون على أنَّه زاده للمد . قال : ويكون على الوجه الذى قال سيبويه أنَّه بنى الجمع على غير لفظ الواحد ، كما أنَّ قولهم : مذاكير ليس على لفظ ذكر ، إنما هو على لفظ مذكار ، وهو جمع لذكر على غير بناء واحده .

قال : ولم ينكر أن يكون الجمع على غير بناء الواحد ، فلذلك زاد الياء فى فى دراهيم . وقال لى علىّ بن سليمان : واحدُ الصياريف صيرف ، وكان يجب أن يقول صيارف . انتهى كلامه .

وعند الشنتمرى الشاهد فى الصياريف ، قال : زاد الياء فى الصياريف ضرورة تشبيهاً لها بما جمع فى الكلام على غير واحد ، نحو ذكر ومذاكير ، وسمح ومساميح . ولم يتعرض للدراهيم والدنانير .

وقد جمع ابن خلف بينهما فقال : الشاهد فيه على زيادة الياء فى جمع الدراهم والصيارف .

أقول : الظاهر كلام الأعلم لاغير ، وروى الدراهم بلا ياء ، وجميعهم لم يتعرضوا لإعراب الدراهيم والتنقاد .

و (النفى) بالنون والفاء ، قال صاحب المحكم : كلّ ما رددته فقد نفيته ، ونفيت الدراهم : أثرتها للانتقاد . وأنشد هذا البيت . و (يداها) فاعل تنفى ، والضمير لناقة الفرزدق . و (الحصى) : مفعول . و (الهاجرة): وقت اشتداد الحرّ فى وقت الظهر . و (نفى الدراهيم) : مفعول مطلق تشبيهى ، والأصل تنفى يداها الحصى نفياً كنفى الدراهيم . و (التَّنقاد) بالفتح ، من نقد الدراهم ، وهو التمييز بين جيِّدها ورديئها . و (الصياريف) مجرور لفظاً بالإضافة مرفوع محلاّ ، لأنّه فاعل تنقاد .

قال الأعلم : وصف الفرزدق ناقتَه بسرعة السَّير فى الهواجر فيقول : إن يديها لشدّة وقعِها فى الحصى ينفيانه فيقرع بعضُه بعضاً ويُسمَع له صليلٌ كصليل الدنانير إذا انتقدها الصَيرفىّ فنفى رديئَها عن جيِّدها ، وخصّ الهاجرة لتعذّر السير فيها .

وقال ابن خلف : وصف راحلته بالنشاط وسرعة السَّير فى المواجر ، حين تكلّ المَطيةَّ(١) وتضعف القُوى منها ، تكون هى نشيطة قويّة ، إذا أصابت مَناسمُها الحصى انتفى من تحت مناسمها، كما تنتفى الدراهم من يد الصيرفىّ إذا نقدها بأصابعه . شبّه خروج الحصى من تحت مناسمها بارتفاع الدراهم عن الأصابع إذا نُقدت .

وترجمة الفرزدق تقدمت فى الشاهد الثلاثين من أوائل الكتاب(٢)

* * *

٢٥٧ وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والعشرون بعد الثلثمائة :

٣٢١ (يا ابنَ الزُّبيرِ طَالما عَصَيْكا وطَالَما عَنَّيتَنا إليكا)

(لَنضرِبَنْ بِسَيفِنا قَفَيْكا(٣))

على أنّه جاء فى الشعر قلب الألف ياء مع الإضافة إلى كاف الضمير ، فى قوله قفيكا ، والأصل قفاكا ، فأبدلت الألف ياء . وإنّما كان سبيل هذا الشعر لأنه ليس مع ياء المتكلم فإنّها تقلب معه ياء ، نثراً ونظما ، عند هذيل .

وإنّما قيّد بكاف الضمير لأنّ السماع جاء معه .

وظاهر كلام أبى على (فى المسائل العسكرية) لا يختصّ هذا بالشعر ، فإنّه قال :

---

(١) حورها الشنقيطى فى نسخته الى « المطى » ، وهو الوجه .

(٢) الخزانة ١ : ٢١٧ .

(٣) نوادر أبى زيد ١٠٥ ، ٢٥٧ وأمالى الزجاجى ٢٣٦ وشرح شواهد الشافية ٢٤٥ وشرح شواهد المغنى ١٥٣ والعينى ٤ : ٥٩١ والأشمونى ١ : ٢٦٧/٤ : ٢٨٣ .

وأمّا إبدال الياء من الألف فى قفا ، فى الإضافة ، فإنّما أبدل كما أبدلت الألف منها فيمن قال: رأيت هذان ، أى للتقارض . وقالوا أيضاً : عليك ، وإليك ، وقد اطّرد هذا فى بعض اللغات نحو : هَوَىَّ ، ونَوَىَّ ، وقَفَىَّ ، فأبدلت الياء من ألف هواى ، ونواى ، وقفاى ، كما أبدلت الألف منها فى : حاَحيت ، وعاَعيت ، حيث أريد إزالة التضعيف فيه . كما أريد من نظيره من الواو وهو : ضَوضَيت ، وقوقَيت . هذا كلامه .

وأمّا (عصيكا) فأصله عصيت ، قال ابن جنّي (فى سرّ الصناعة) : أبدل الكاف من التاء لأنها أختها فى الهمس ، وكان سُحَيمٌ إذا أنشد شعراً قال: أحسَنْكَ والله ، يريد أحسنت . انتهى

وقد تقدّم الكلام فى هذا الكتاب ، فى ترجمة سحيم ، أنّه كان حبشيًّا وكان فى لسانه لُكنة(١) .

وقال أبو على (فى المسائل العسكريّة) : قال أبو الحسن الأخفش : إن شئت قلت أبدل من التاء الكاف لاجتماعهما فى الهمس ، وإن شئت قلت أوقع الكاف موقعها ، وإنْ كان فى أكثر الاستعمال للمفعول لا للفاعل ، لإقامة القافية ، ألا تراهم يقولون : رأيتك أنت ، ومررت به هو ، فيجعل علامات الضمير المختصّ بها بعض الأنواع فى أكثر الأمر ، موقع الآخر . ومن ثمّ جاء : لولاك . وإنّما ذلك لأنّ الاسم لا يصاغ معرباً ، وإنّما يستحق الإعراب بالعامل انتهى .

قال ابن هشام (فى المغنى) : ليس هذا من استعارة ضمير النصب مكان

---

(١) الخزانة ٢ : ١٠٢ .

ضمير الرفع ، كما زعم الأخفش وابن مالك ، وإنّما الكاف بدل من التاء بدلاً تصريفيًا .

وهذا الشعر من مشطور السريع ، هكذا أورده أبو زيد (فى نوادره) ونسبه لراجز من حمير . وتبعه صاحب الصحاح فى مادة السين المهملة[1] .

وأمّا الزجاجى فإنّه رواه (فى آخر أماليه الكبرى) على خلاف هذه الرواية فقال : باب التاء والكاف فى المكنيّ ، يقال : ما فعلت وما فعلك ، قال الراجز :

يا ابنَ الزُّبيرِ طالما عَصَيْكا وطالَما عَنّيكَنا إليكا

لَنَضْرِبَنْ بسيفنا قفَيْكا

يريد عَصَيْتنا وعنَّيتنا . فروى (عنَّيْكَنا) بدل التاء كافاً ، مثل (عصيكا).وعنيتنا إليك بمعنى أتعبتنا بالمسير إليك . والنون الخفيفة فى قوله : (لَنَضْرِبَنْ) نون التوكيد . وأراد بابن الزُّبير عبدَ الله بنَ الزُّبير حَوَارىَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والعشرون بعد الثلثمائة :

٣٢٢ (قَالَ لَهَا : هَلْ لَكِ يَاتَا فِيِّ[2])

٢٥٨ على أنّ كسرياء المتكلم من نحو (فىّ) لغةُ بنى يربوع ، لكنّه عند

---

(١) هى مادة (سين) .

(٢) انظر يس ٢ : ٦٠ .

النحاة ضعيف كقراءة حَمْزة : ﴿ما أنتُمْ بِمُصْرِخيِّ(١)﴾ .

وهذا الشعر من أرجوزة للأغلب العجلى ، وهو شاعر جاهلىٌّ إسلامىٌّ ، صاحب الشاهد أسلم وهاجر ، ثم استشهد فى وقعة نهاوَند . وقد تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الحادى والعشرين بعد المائة(٢) . وأوَّل هذه الأرجوزة :

(أقبَلَ فى ثوبٍ مَعافِرىٍّ بينَ اختلاطِ اللَّيل والعَشِىِّ)

إلى أن قال :

(ماضٍ إذا ماهَمَّ بالمُضىِّ قَالَ لها هل لَكِ ياتا فِيِّ)

(قالتْ لَهُ ما أنت بالمَرضىِّ)

قال فى الصحاح : مَعافِر ، بفتح الميم : حىٌّ من همْدان ، وإليهم تنتسب الثياب المعافرية ، وهو بالعين المهملة . والماضى : الذى لا يتوانى ولا يكسل فى أمرٍ همَّ به .

وقوله (قال لها) الخ ، الضمير عائد على امرأة تقدَّم ذكرها . و (يا) : حرف نداء ، و (تا) بالمثناة الفوقيَّة منادى ، وهو اسم إشارة يشار به إلى المؤنث، و (لكِ) بكسر الكاف ، والجارُّ والمجرور خبر مبتدأ محذوف وهو متعلق قوله (فِيَّ) . يقول : قال لها ذلك الرجلُ الماضى : يا هذه المرأة : هل لكِ رغبةٌ فىَّ ؟ قالت له : لست بالمرضىّ فيكونَ لىَ رغبةٌ فيك .

واعلم أنَّ الفرَّاء والزجَّاج وغيرَهما قد أنكروا هذه القراءة ، والشعر . أمَّا الفرَّاء فقد قال (فى تفسيرِه(٣)) : الياء من مُصْرِخىَّ منصوبةٌ ، لأنَّ الياء

---

(١) الآية ٢٢ ابراهيم . وكذا ورد الاقتباس من الآية بترك الواو من أولها ، وهو جائز . انظر ما كتبت فى حواشى الحيوان ٤ : ٥٧ .

(٢) الخزانة ٢ : ٢٣٩ .

(٣) معانى الفراء ٢ : ٧٥ .

من المتكلّم تسكّن إذا تحرّك ما قبلها ، وتنصب إرادة الهاء كما قرئ : ﴿لكم دينكم ولىَ دين[1]﴾ بنصب الياء وجزمها . فإذا سكن ما قبلها ردّت إلى الفتح الذى كان لها ، فالياء من مصرخىّ ساكنة والياء بعدها من المتكلم ساكنة ، فحركت إلى حركة قد كانت لها . فهذا مطّرد فى الكلام . وقد خفض الياء من مصرخىّ الأعمشُ ويحيى بن وثاب جميعاً ، حدثنى القاسم بن معن عن الأعمش عن يحيى أنّه خفض الياء ، ولعلها من وهم القرّاء طبقة يحيى، فإنّه قلّ من سلم منهم من الوهم ، ولعلّه ظنّ الباء من بمصرخىّ خافضة للحرف كلّه ، والياء من المتكلم خارجة من ذلك . وممّا نرى أنّهم وهموا فيه ، قولهم: ﴿نُولّهْ ما تولّى ونُصلهْ جهنّم[2]﴾ وظنّوا — والله أعلم — أنّ الجزم فى الهاء ، والهاء فى موضع نصب وقد انجزم الفعل بسقوط الياء منه . وممّا وهموا فيه قوله : ﴿وما تنزّلتْ به الشياطُون[3]﴾، حدثنى مَندلُ بن على العَنَزىّ[4] عن الأعمش قال : كنت[5] عند إبراهيم وطلحةُ بن مُصَرِّف [يقرأ[6]] : ﴿قالَ لِمَنْ حولَه ألا تستَمِعون[7]﴾ بنصب اللام من حوله فقال لى إبراهيم : ما تزال تأتينا بحرف أشنع ، إنّما هى : لمن حولِه ، بخفض اللام . قال: قلت : لا ، إنّما هى حولَه ، فقال إبراهيم : ياطلحة ، كيف تقول ؟ قال : كما قلت .

---

(١) الآية ٦ من الكافرون .

(٢) الآية ١١٥ من سورة النساء .

(٣) الآية ٢١٠ من سورة الشعراء . وهى قراءة الحسن . تفسير أبى حيان ٧ : ٤٦

(٤) ط : « الغزى » ، صوابه فى ش ومعانى الفراء .

(٥) فى النسختين : « قلت » ، صوابه من معانى الفراء ٢ : ٧٦ .

(٦) التكملة من معانى الفراء .

(٧) الآية ٢٥ من الشعراء .

قال الأعمش قلتُ : لحنتما ، لا أجالسكما اليوم . قال الفرّاء : وقد سمعت بعضَ العرب ينشد :

قال لها : هل لكِ يا تا فيِّ قالتْ له : ما أنتَ بالمرضيِّ

فخفض الياء من فيّ : فإن يكُ ذلك صحيحاً فهو مما يلتقى من الساكنين فيُخفض الآخِر منهما ، وإن كان له أصل فى الفتح . ألا ترى أنهم يقولون : لم أره مُذُ اليوم ومُذْ اليوم ، والرفع فى الذال هو الوجه ، لأنه أصل حركة منذ ، والخفض جائز . فكذلك الياء من مصرخيّ ، خفضت ولها أصلٌ فى النصب . انتهى كلام الفرّاء . ٢٥٩

وأما الزّجاج فقد قال (فى تفسيره) : قرأ حمزة والأعمش (بمصرخيِّ) بكسر الياء ، وهذه عند جميع النحويين رديئة مرذولة ، ولا وجه لها إلاّ وُجَيه ضعيف ذكره بعض النحويِّين ، وذلك أنَّ ياء الإضافة إذا لم يكن قبلها ساكن حرّكت إلى الفتح ، ويجوز إسكان الياء لثقل الياء التى قبلها كسرة، فإذا كان قبل الياء ساكنٌ حُرِّكتْ إلى الفتح لا غير . ومن أجاز بمصرخيِّ بالكسر ، لزمه أن يقول : ﴿هذه عَصايِ أتوكأُ عليها[1]﴾ . وأجاز الفراء على وجهٍ ضعيف الكسر ، لأن أصل التقاء الساكنين الكسر ، وأنشد :

* قال لها هل لكِ ياتا فيِّ الخ *

وهذا الشعر مما لا يلتفت إليه ، وعمل مثل هذا أسهل ، وليس يعرف قائلُ هذا الشعر من العرب ، ولا هو ممّا يحتج به فى كتاب الله تعالى . انتهى كلام الزجاج .

---

(١) الآية ١٨ من سورة طه .

ونقل أبو شامة (فى شرح الشاطبية) عن ابن النحاس : أنَّ الأخفش سعيداً قال : ما سمعت هذا من أحد من العرب ، ولا من أحدٍ من النحويين . قال أبو جعفر : قد صار هذا بإجماع ، لا يجوز ولا ينبغى أن يحمل كتابُ الله على الشذوذ . قال أبو نصر بن القشيريّ (فى تفسيره) : ما ثبت بالتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فلا يجوز أن يقال هو خطأ أو قبيح وردىء ، بل فى القرآن فصيح وفيه ما هو أفصح ، فلعل هؤلاء أرادوا أنَّ غير هذا الذى قرأ حمزة أفصح . قال أبو شامة : قلت : يُستفاد من كلام أهل اللغة ، أنَّ هذه لغة ، وإنْ شذّت وقلّ استعمالها . قال أبو على : قال الفراء (فى كتابه التصريف) : زعم القاسم بن معن أنّه صواب ، قال: وكان ثقةً بصيراً ، وزعم أنّه لغة بنى يربوع . ثمّ بعد أن نقل أبو شامة بعضاً من كلام الفرّاء والزّجاج قال : والزمخشرى قال : هى قراءة ضعيفة ، واستشهدوا لها ببيت مجهول فذكره .

قلت : ليس بمجهول فقد نسبه غيره إلى الأغلب العجليّ الراجز، ورأيته أنا فى أوّل ديوانه . وانظر إلى الفرّاء كيف يتوقّف فى صحة ما أسنده ؟ وهذه اللغة باقيةٌ فى أفواه الناس إلى اليوم ، يقول القائل : مافىِّ أفعلُ كذا .

وفى شرح الشيخ : قال حسين الجعفى : سألت أبا عمرو بن العلاء عن كسر الياء فأجازه . وهذه الحكاية تروى على وجوه ذكرها ابن مجاهد (فى كتاب الياءات) من طرق قال : قال خلاد حدثنا حسين الُجعفى قال : قلت لأبى عمرو ابن العلاء : إن أصحاب النحو يلحّنونها(١) فيها . فقال : هى جائزة أيضاً ، لا نبالى إلى أسفل حركتها أو إلى فوق . ثم ذكر بقية الطرق.

---

(١) ط : «يلحوننا» ، صوابه فى ش واضحة .

واعلم أن علماء العربية قد وجَّهوا قراءة حمزة بوجوه :

أحدها ما ذكره الشارح المحقِّق ، وهو أن ياء الإضافة شبِّهت بهاء الضمير التي توصل بواوٍ إذا كانت مضمومة وبياء إذا كانت مكسورة ، وتكسر بعد الكسر والياء الساكنة . ووجه المشابهة : أنَّ الياء ضمير كالهاء ، كلاهما على حرفٍ واحد يشترك في لفظه النصب والجر ، وقد وقع قبل الياء هنا ياء ساكنة ، فكسرت كما تكسر الهاء في عليه . وبنو يربوع يَصلونها بياء كما يصل ابن كثير نحو عليه بياء ، وحمزة كَسر هذه الياء من غير صلة ، لأنَّ الصلة ليست من مذهبه .

وهذا التوجيه هو الذي اعتمد عليه أبو علي (في الحجة) قال : وجه ذلك من القياس أن الياء ليست تخلو من أن تكون في موضع نصب أو جر ، ٢٦٠ فالياء في النصب والجرِّ كالهاء فيهما ، وكالكاف في أكرمتك وهذا لك ، فكما أن الهاء قد لحقتها الزيادة في هذا له وضربه ، ولحق الكاف أيضا الزيادةُ في قول من قال : أعطيتكاه وأعطيتكيه فيما حكاه سيبويه ، وهما أختا الياء ، كذلك ألحقوا الياء الزيادةَ من المدِّ فقالوا : فيِّ ثم حذفت الياء الزائدة على الياء ، كما حذفت الزيادة من الهاء في قول من قال : « لَهْ أرِقانِ » وزعم أبو الحسن أنَّها لغة .

قلت : نقل الواحديُّ (في تفسيره الوسيط) عن قطرب أنه زعم أن هذا لغة في بني يربوع ، يزيدون على ياء الإضافة ياء ، نحو « هل لكِ ياتا فيّ » وكان الأصل بمصرخيّ ، ثمَّ حذفت الياء الزائدة وأُقرَّت الكسرة على ما كانت عليه . انتهى

وقول أبي علي : « لَهْ أرِقانِ » هو قطعة من بيت وهو :

فبتُّ لدى البيتِ العتيقِ أُريغه ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ومِطواىَ مُشتاقان لَهْ أرِقَانِ

ويأتى شرحه إن شاء الله تعالى فى باب الضمائر(١)

وقال أبو شامة : ليس التمثيل بقوله : له أرقان ، مطابقاً لمقصوده ، فإن الهاء ساكنة حذفت حركتها مع حذف صلتها ، وليس مراده إلاّ حذف الصلة فقط . فالأُولى لو كان مثَّل بنحوِ : عليهِ ، وفيهِ . ثم قال أبو على : وكما حذفت الزيادة من الكاف ، فقيل أعطيتكه ، كذلك حذفت الياء اللاحقة للياء على هذه اللغة وإن كان غيرها أفشَى منها ، وعضُدُه من القياس ما ذكرنا . لم يجز لقائل أن يقول إن القراءة بذلك لحنٌ لاستقامة ذلك فى السماع والقياس ، وما كان كذلك لا يكون لحنا .

الوجه الثانى أن يكون الكسر فى بمصرخىّ ، لأجل التقاء الساكنين ، وهذا هو الوجه الذى نبّه عليه الفرّاء أوّلاً وتبعه فيه الناس . قال الزمخشرىّ : كأنه قدّرياءالإضافةِ ساكنة ، ولكنّه غير صحيح لأن ياء الإضافة لا تكون إلا مفتوحة حيث قبلها ألف فى عصاى ، فما بالها وقبلها ياء .

وممّن تبع الفراء ابنُ جنى (فى المحتسب) فى سورة طه قال : قرأ الحسن وأبو عمرو بخلافٍ عنهما : (هِىَ عَصاىِ(٢)) بكسر الياء ، وكسرُها فى نحو هذا ضعيف ، استثقالاً للكسرة فيها وهربا إلى الفتحة ، كهداى وبشراى ، إلاأنّ للكسر وجهاً ما ، وذلك أنه قد قرأ حمزة (وما أنتم بمصرخىٍّ) وكسر الياء لالتقاء الساكنين مع أنّ قبلها كسرة وياء ، والفتحةُ والألف

(١) هو الشاهد الثالث والثمانون بعد الثلثمائة ، وقائله يعلى الأحول الأزدى .

(٢) الآية ١٨ من سورة طه . وقد وردت فى النسختين محرفة « هذه عصاى » وانظر ما كتبت فى كتابى تحقيق النصوص ص ٤٥ .

فى عصاى ، أخفُّ من الكسرة والياء فى مصرخيٌّ . وروينا عن قطرُب وجماعةٍ من أصحابنا :

* قال لها هل لكِ ياتا فىٍّ *

أراد : فىَّ ، ثم أشبع الكسرة للإطلاق وأنشأ عنها ياء ، نحو منزلِي وحوملِي[1] . وروينا عنه أيضا :

عَلىَّ لعمرو نعمةٌ بعد نعمةٍ لوالدهِ ليست بذات عقاربِ[2]

وروينا عنه أيضا :

إن بنِىَّ صبيةٌ صيفيّونْ أفلَحَ مَن كان له رِبعيون[3] اهـ

الوجه الثالث : أنّ الكسر فى بمصرخىٌّ للإتباع للكسرة التى بعدها ، وهى كسر همزة إنِّى . كما قرأ بعضهم : (الحمدِ لِله) بكسر الدال اتباعا لكسر اللام بعدها .

قال أبو شامة : وهذه الأوجه الثلاثة كلها ضعيفة . والله أعلم . ٢٦١

* * *

وأنشد بعده :

﴿ خالَطَ مِنْ سَلمى خيَاشِيمَ وفا ﴾

تقدّم شرحه فى الشاهد الثالث والأربعين بعد المائتين من باب الاستثناء[4] .

---

(١) يعنى فى قول امرىء القيس :

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

(٢) النابغة الذبيانى فى ديوانه ٣ .

(٣) الرجز لسعد بن مالك أو أكثم بن صيفى . نوادر أبى زيد ٨٧ والاشتقاق ٦٩ ، ١٦٤ والعقد ٣ : ١٠٣ .

(٤) الخزانة ٣ : ٤٤٢ .

وما وجه به الشارح هنا من الوجهين ، هما لأبي عليّ (فى الايضاح الشعرى) وتقدّم نقلهما عنه هناك بأبسط ممّا هنا فليرجع إليه .

وقال فى (البغداديّات) أجرى الشاعر فى فم الإفراد ، مُجرى الإضافة فى الضرورة ، وذلك قوله : خياشيم وفا ، فحُكْمُ ألفِ فا ، أن تكون بدلاً من التنوين ، والمنقلبة من العين سقطت لالتقاء الساكنين ، لأنّه الساكن الأوّل ، وبقى الاسم على حرف واحد . وجاز هذا فى الشعر للضرورة ، لأنّه قد يجوز فى الشعر كثيراً مالا يجوز فى الكلام . قال المبرّد : وقد لّحن كثيرٌ من الناسِ العجّاجَ فى قوله : خياشيم وفا . قال : وليس هو عندى بلاحنٍ ، لأنه حيث اضطر أتى به فى قافيةٍ غير مُلْحِقَة معها التنوين . والقول عندى فيه ما قدّمته : مِن أنّه أجراه فى الإفراد مُجراه فى الإضافة ، فلا يصلح تلحينه ونحن نجد مساغا إلى تجويزه ، ونحن نرى فى كلامهم نظيرَه من استمالهم فى الشعر مالا يجوز مع سواه ، كقولهم :

* ولضفادى جّمِهِ نَقانقُ[1] *

أى لِضفادعِ جّمِهِ ، فكذلك يجوز فيه استمال الاسم على حرف واحد وإن لم يَسُغْ فى الكلام . فامّا قول المبرّد : ومن كان يرى تنوين القوافى لم ينوّن هذا ، فليس فى هذا عنده شىء منع من تنوينه عند من ينوّن . ويُفسد ما ذكره من أنّ من نوّن القوافى لم ينوّن هذا ، أنّ[2] من ينوّن القافية يلزمه تنوين هذا الاسم ، لكونه فى موضع النصب ، وقد أجاز المبرّد فى غير هذا

(١) لخلف الأحمر . انظر سيبويه ١ : ٣٤٤ وشرح شواهد الشافية ٤٤١ . وفى النسختين : « جمة » ، تحريف أصلحه الشنقيطى .

(٢) ط : « مع أن » ، وكلمة « مع » مقحمة ليست فى ش .

الموضع أن يكون الاسم المظهر على حرف مفرد . هذا كلامه ومنه تعلم أنّ نقل الشارح المحقق عن أبى علىّ خلافُ مذهبه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والعشرون بعد الثلثمائة :

٣٢٣ (كَفَى بالنَّأْيِ مِنْ أَسْماء كَافِى(١))

على أنّ الوقف على المنصوب بالسكون لغة ، فإنّ كافياً مفعول مطلق وهو مصدر مؤكّد لقوله كفى ، وكان القياس أن يقول كافياً بالنصب ، لكنّه حذف تنوينه ووقف عليه بالسكون ، والمنصوبُ حقُّه أن يبدل تنوينه ألفا .

(وكافٍ) من المصادر التى جاءت على وزن اسمِ الفاعل ، قال المرزوقى (فى شرح الفصيح) : يريد كفى النأيُ من أسماء كفايةً ، وهو اسم فاعل وُضع موضعَ المصدر كقولهم : قم قائماً ، وعُوفِى عافية ، وفُلج فالجا . وكان يجب أن يقول كافياً ، لكنّه حذف الفتحة كما تحذَف الضمّة والكسرة . انتهى

وكذلك الزمخشريُّ أورده (فى المفصّل) فى المصادر التى جاءت على صيغة اسم الفاعل .

والنأى : البعد ، وهو فاعل كفى ، والباء زائدة فى الفاعل كقوله تعالى :

---

(١) الخصائص ٢ : ٢٦٨ والمنصف ٢ : ١١٥ وابن الشجرى ١ : ١٨٣ ، ٢٨٣ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨ وابن يعيش ٦ : ٥١/١٠ : ١٠٣ وشرح شواهد الشافية ٧٠ وديوان بشر ١٤٢ .

﴿ كَفَى بِاللهِ شَهِيداً[١] ﴾ . و (من أسماء) متعلّق بالنّأى . وأسماء : امرأة ، أصله وَسْماء من الوَسَامة ، وهى الحسن .

وهذا صدر وعجزه :

(وليسَ لنأْيِها إذْ طالَ شافِي)

صاحب الشاهد ٢٦٢

وهذا البيت مطلعُ قصيدةٍ لبشر بن أبى خازم ، مدح بها أوس بن حارثة ابن لأم ، لمّا خلّى سبيله من الأسر والقتل . و (شاف) اسم ليس . و (لنأيها) متعلّق به ، والخبر محذوف أى عندى أو موجود . وفاعل طال ضمير النأى . وإذْ تعليلّية متعلّقة بشاف . وجملة وليس لنأيها ، الخ معطوفة عَلى ما قبلها ، أى يكيفنى بُعدها بلاء فلا حاجةَ إلى بلاء آخر ، إذْ هو الغاية ، ولا شفاء لى من مرض بعدها مع طوله . ويجوز أن تكون الواو للحال .

وقال مَعْمَر بن المثنَّى ، شارح ديوان بشر ، وهو عندى بخطّهِ ، وهو خطٌّ كوفىٌّ : المعنى لا يصيبنى بعدهذا شىء أشدُّمنه ، أى هو سُقم ومرض . ويروى : (ولَيسَ لِسُقْمِه) أى السُّقم الناشىء من بُعدها . ويروى أيضاً : (وليس لسقمها) أى السُّقم الذى حصل لى منها . هذا كلامه ، وليس وَراء عَبّادانَ قرية .

وروى شُرَّاح المفصّل المصراع الثانى كذا :

* وَليس لحبّها إذْ طال شافى *

---

(١) الآية ٤٣ من الرعد و ٩٦ من الاسراء . وفى الكتاب أيضا : « وكفى بالله شهيدا » فى الآيتين ٧٩ ، ١٦٦ من النساء و ٢٨ من الفتح . و « فكفى بالله شهيدا » فى الآية ٢٩ من يونس .

قال شارح أبياته — وهو بعض فضلاء العجم — : قوله : لحبّها ، مفعول شافى والخبر محذوف ، أى عندى أو موجود ، ويجوز أن يكون لحبها أى ليس شاف كافياً أو حاصلا لحبها .ورواه للظفَّرىّ (فى شرحه): «وليس بحبّها» بالموحَّدة وقال : أى ليس حبّها شافياً إذْ طال ، يعنى يحصل الشفاء من وصلها لا بحبّها .

وبشر بن أبى خازم بكسر الموحدة وسكون الشين المعجمة — وخازم — بالخاء والزاى المعجمتين . بشر بن أبى خازم

قال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : بشر بن أبى خازم هو من بنى أسد ، جاهلىٌّ قديم ، وشهد حرب أسد وطيِّء ، وشهد هو وابنه نوفلٌ الحلف بينهما . قال أبو عمرو بنُ العلاء : فحلان من فحول الجاهليّة كانا يُقْويان : بشر بن أبى خازم ، والنابغة الذبيانى : فأمَّا النابغة فدخل يثربَ فغُنِّىَ بشعره [ففَطِنَ] فلم يعُد [للإقواء(١)] . وأمَّا بشر فقال له أخوه سوادةُ : إنك لتُقوِى ! قال : وما الإقْواء ؟ قال : قولُك :

ألم تَرَ أنَّ طُولَ الدهر يُسْلِى ويُنْسِى مِثلَ ما نُسِيت جُذامُ

ثم قلتَ :

وكانوا قومَنا فبغَوا علينا فسُقْناهم إلى البلد الشآمِ

فلم يَعُد للإقواء . اهـ

وأورده محمَّد بن حبيب (فى كتاب أسماء من قُتِل من الشعراء(٢)) فقال: ومنهم بشر بن أبى خازم الأسدى ، وكان أغار فى مِقنَبٍ من قومه على الأبناء

(١) التكملة من الشعراء ٢٢٧ .

(٢) نشر محققا بقلم كاتبه فى نوادر المخطوطات ٢ : ١١٢ — ٢٧٨ . والنص التالى فيه ص ٢١٤

من بنى صعصعة بن معاوية — وَكلُّ بنى صعصعة(١) ، إلاّ عامر بن صعصعة ، يُدعَون الأبناء ، وهم : واثلة ، ومازن ، وَسَلول — فلما جالت الخيلُ مرَّ بشرٌ بغلامٍ من بنى واثلة فقال له بشر : استأسِرْ . فقال له الواثلى : لتذهَبَنَ أو لأرشُقَنك بسهمٍ من كنانتى : فأبى بشرٌ إلاّ أسرَه ، فرماه بسهم على ثُندُوَته فاعتنق بشرٌ فرسَه وأخذ الغلامَ فأوثقه ، فلمّا كان فى الليل أطلقه بشرٌ من وَثاقِه وخلّى سبيلَه وقال : أعلمْ قومَك أنّك قتلتَ بِشراً . وهو قوله :

وأنَّ الواثلىَّ أصاب قلبى   بسهمٍ لم يكن نِكْساً لُغَابا

فى شعر طويل اهـ .

وكان بشر أوّلا يهجو أوس بن حارثة بن لأم ، وكان أوسٌ نذر لئن ظفر به ليحرّقنه ، فلما تمكّن أطلقه وأحسن إليه فمدحه . وهذه القصيدة الفائيّة أول القصائد التى مدحه بها . ولما لم يكن فيها شىء من الشواهد سوى المطلع اكتفينا به وما زدنا عليه شيئاً . وعدّتها أربعة وعشرون بيتاً .

وأوسٌ هذا ، ممّن يُضرب به المثلُ فى الكرم والجود ، يقال له ابن سُعدى ، قال جرير :

٢٦٣

وما كعبُ بن مامةَ وابنُ سُعْدَى   بأجوَدَ منك يا عُمرَ الجَوادا

سبب هجاء بشر لأوس

وسبب هجاء بشرٍ لأوس، هو ماحكاه أبو العباس المبّرد (فى الكامل(٢)) قال: أَوسُ بنُ حارثةَ بن لَأْمٍ الطائىُّ كان سيداً مقدَّماً ، وفد هو وحاتم بن عبد الله الطائى على عمرو بن هندٍ ، وأبوه المنذر بن المنذر بن ماء السماء ، فدعا أوسا

(١) فى نوادر المخطوطات : « وكان بنو صعصعة » .
(٢) الكامل ١٣٢ — ١٣٣ .

فقال : أأنت أفضلُ أم حاتم ؟ فقال : أبيتَ اللعن ، لو مَلَّكنى حاتمٌ ووَلَدى ولُحمتى لوهَبَنا فى غداة واحدة ! ثم دعا حاتماً فقال : أأنت أفضلُ أم أوس ؟ فقال : أبيت اللعن إنّما ذُكرتُ بأوس ، ولَأَحدُ وَلَدِه أفضل منّى . وكان النعمان بن المنذر دعا بُحلَّةٍ وعنده وفودُ العرب من كلّ حىّ — فقال : احضُرُوا فى غدٍ فإنى ملبسٌ هذه الحُلَّةَ أكرَمكم . فحضر القوم جميعاً إلاّ أوساً فقيل له : لِمَ تَتَخَلَّفُ[1] ؟ فقال : إن كان المراد غيرى فأجمَلُ الأشياء ألا أكون حاضراً ، وإنْ كنتُ المرادَ فسأُطلَب ويُعرف مكانى ؟ فلما جلس النعمان لم ير أوساً ، فقال: اذهبوا إلى أوس فقولوا له : احضُرْ آمناً مما خفتَ . فحضر فألبسه الحُلّة[2] ، فحسده قومٌ من أهله فقالوا للحطيئة : اهجُهُ ولكَ ثلثمائةِ ناقة . فقال الحطيئة : كيف أهجو رجلاً لا أرى فى بيتى أثاثاً ولا مالا إلاّ مِن عنده ! ثم قال :

كيف الهجاء وما تنفَكُّ صالحةٌ   من آل لَأْمٍ بظهر الغيب تأتينى[3]

فقال لهم بشر بن أبى خازم — أحد بنى أسد بن خُزيمة — : أنا أهجوه

(١) فى الكامل : « لم تخلفت » .

(٢) الكامل : « فالبس الحلة » .

(٣) الذى فى ديوان الحطيئة ٨٣ : « وكان الحطيئة قد دعى الى هجاء زيد — يعنى زيد الخيل الطائى — وأرغبوه فى ذلك فابى وأنشأ يقول :

كيف الهجاء وماتنفك صالحة   من آل لأى بظهر الغيب تأتينى

وبعده أربعة أبيات . والظاهر أن صواب الرواية « لأم » فانه ليس فى آباء أوس من اسمه « لأى » . انظر الاصابة والأغانى . كما يظهر أن سبب الشعر عند السكرى مبتور ، ففى الأغانى أنه طلب الى الحطيئة أن يهجو بنى لأم وزيداً فأبى . الأغانى ١٦ : ٥٥ .

لكم . فأخذ الإبل وفعل ، فأغار أوس عليها فاكتسحها ، فجعل لا يستجير حيًّا إلاَّ قال قد أجرتُك إلاَّ من أوس . وكان فى هجائه قد ذكر أمَّه فأتى به ، فدخل أوسٌ على أمِّه فقال : قد أُتينا ببشر الهاجى لك ولى(١) ! قالت : أوَ تطيعنى(٢)؟ قال : نعم . قالت : أرى أن تردَّ عليه مالَه وتعفُوَ عنه وتحبُوَه ، وأفعلَ مثلَ ذلك، فإنه لا يغسل هجاءه إلا مدحُه ! فخرج فقال : إنَّ أمى سُعْدَى التى كنتَ تهجُوها ، قد أمرتْ فيك بكذا وكذا ! فقال : لاجرمَ ، والله لامدحتُ حتَّى أموتَ أحداً غيرَك . ففيه يقول :

إلى أوس بن حارثةَ بن لأمٍ ليقضيَ حاجتِى فيمن قَضاها
فما وطِىء الثَّرى مثلُ ابن سُعدَى ولا لبِسَ النِعالَ ولا احتَذاها

هذا ما أورده المبرّد ، ولم يذكر كيف تمكَّن منه أوس .

وقد حكاه معْمَرُ بن المثنَّى (فى شرحه) قال : إنَّ بشرَ بن أبى خازم غزا طيئاً ثم بني نبهان ، فجُرِح فأثقل جراحة ، وهو يومئذ بحِمى أحدِ أصحابه وإنَّما كان فى بني والبة ، فأسرته بنونَبْهان فخبَّئوه كراهية أن يبلغ أوساً ، فسمع أوسٌ أنه عندهم فقال : والله لا يكون بينى وبينهم خير أبداً أو يدفعوه ! ثم أعطاهم مائتى بعير وأخذه منهم ، فجاء به وأوقد له ناراً ليحرِّقه — وقال بعض بنى أسد : لم تكن نار ، ولكنَّه أدخله فى جلد بعير حين سلخه ، ويقال جلد كبش ، ثم تركه حتَّى جفَّ عليه فصار فيه كأنه العصفور(٣) — فبلغ ذلك سعدى بنت حُصين الطائيَّة ، وهى سيِّدة(٤)، فخرجت إليه فقالت:

---

(١) بعده فى الكامل : « فما ترين فيه ؟ » .
(٢) الكامل : « أو تطيعنى فيه » .
(٣) كذا وردت هذه المبالغة .
(٤) أى ذات سيادة فى قومها .

ما تريد أن تصنَع ؟ فقال : أُحرقُ هذا الذى شتمنا . فقالت : قَبَحَ الله قوما يسوِّدونك أو يقتبسون من رأيك ، والله لـكأنَّما أُخذتَ به ، أمَا تعلم منزلته فى قومه ، خلِّ سبيله وأَكرِمْه ، فإنّه لا يغسل عنك ماصنع غيرُه . فحبسه عنده وداوى جُرحه ، وكتمه ما يريد أن يصنع به ، وقال : ابعث إلى قومك يفدُونك ، فإنى قد اشتريتك بمائتى بعير . فأرسل بشرٌ إلى قومه فهيَّئوا له الفداء ، وبادرهم أوسٌ فأحسن كُسوته وحمله على نجيبِه الذى كان يركبه ، وسار معه ، حتى إذا بلغ أدنى أرضِ غطَفَان ، جعل بشرٌ يمدح أوساً وأهلَ بيته ، بمكان كلِّ قصيدة هجاهم بها قصيدة ، فهجاهم بخمسٍ ومدحهم بخمس . وقد قيل: إنَّ بنى نبهان لم تأسر بِشْراً قط ، إنما أسره النعمان بن جبلة بن وائل ابن جلاح الـكلبى ، وكان عند جبلةَ بنت عبيد بن لأم ، فولدت منه عوف ابن جبلة ، فبعث إليه أوس بن حارثة يتقرّب بهذه القرابة ، فبعث ببشر إليه فـكان من أمره ما كان . ٢٦٤

هذه حـكايته ، وقد نقلتها من خطِّه الـكوفىّ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والعشرون بعد الثلثمائة :

٣٢٤ (وَآخُذُ مِنْ كُلِّ حَىٍّ عُصُمْ[1])

هذا عجز ، وصدره :

(إلى المرء قيسٍ أُطيلُ السُّرَى)

---

(١) الخصائص ٢ : ٩٧ وابن يعيش ٩ : ٧٠ وشرح شـــواهد الشافية ١٩١ وديوان الأعشى ٢٩ .

على أنه وقف على المنصوب المنوّن بالسكون ، ولم يبدل تنوينه ألفا كالذى قبله .

والاستشهاد بهذا البيت كثيرٌ فى مؤلفات أبى علىّ وتلميذِه ابن جنى . وكان القياس أن يقول : عُصَماً ، لأنه مفعول آخُذ ، وهو جمع عِصام ، ككتب جمع كتاب .

قال ابنُ جنى (فى المبهج ، وهو شرح أسماء شعراء الحماسة لأبى تمام[1]) : عِصام القربة : وِكاؤها ، وعصامها أيضاً : عُروتها . وأنشد هذا البيتَ وقال : هو جمع عصام ، يعنى عهداً يبلغ به ويَعِزُّ به . فقضيته أنّه بضمتين .

واستشهد به ابن هشام صاحب السيرة النبويّة ، على أن عِصَما فيه بكسرة ففتحة ، جمع عصمة ، فإنه قال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ ولا تَمَسَّكُوا بِعِصَم الكوَافِر[2] ﴾ : واحدة العِصَم عِصْمة وهى الحبْل والسبَب . ثم أنشد هذا البيت[3] .

أبيات الشاهد

وهو من قصيدة للأعشى ميمونٍ مدح بها قيسَ بنَ معد يكرِب ، مطلعُها :

(أتهجرُ غانيــةً أم تُلِمّْ أم الحبلُ واهٍ بها مُنجذِمْ
أم الصَّبْرُ أحجَى فإنَّ امرأً سينفعه علمُه إن عَلِمْ)

إلى أن قال :

(ويَهماء تعزِفُ جِنّانُها مَناهلُها آجناتٌ سُدُمْ
قطعتُ برَسّامةٍ جَسْرةٍ عُذافِرةٍ كالفنيق القَطِمْ

(1) المبهج ص ٤٧ .
(2) الآية ١٠ من سورة الممتحنة .
(3) السيرة ٧٥٤ جوتنجن .

تُفرِّج للمرء من هَمِّهِ ويُشفَى عليها الفؤادُ السَّقِمْ
إلى المرء قيسٍ أُطِيلُ السُّرى وآخُذُ من كلِّ حيٍّ عُصُمْ
فكم دونَ بابك من مَعْشَرٍ خِفافِ الحلوم عُداةٍ غُشُمْ(١)
إذا أنا حيَّيْتُ لم يَرجِعوا تحيَّتَهمْ وهُمُ غيرُ صُمّْ)

إلى أن قال :

(ولم يُودِ مَنْ كنتَ تَسعى له كما قيل فى الحرب أودَى دَرِمْ)

إلى أنْ قال :

٢٦٥ (تقول ابنتى حِينَ جَدَّ الرحيل أُرانا سَواءً ومَن قد يَتِمْ
فيا أبتاَ لا تَزَل عِندَنا فإنَّا نخافُ بأن نُخترَمْ(٢)
فلا رِمْتَ يا أبتا عِندنا(٣) فأنَّا بخيرٍ إذا لم تَرِم
نُرانا إذا أضمرَتْكَ البلا دُ نُجفَى ويُقطعُ منَّا الرَّحِمْ)

الغانية : الجارية التى استغنت بزوجها ، وقد تكون التى استغنت بحسنها . والإلمام : النزول ، وأراد به هنا الزيارة والمواصلة . والحبل : الوصل . ووهى الحبل ونحوه : تشقّق واسترخَى . والانجذام ، بالجيم والذال المعجمة : الانقطاع. وأحجى : أليق ، من الحِجا وهو العقل .

والنَّهْماء ، بفتح المثناة التحتيَّة : الفلاة التى لا يُهتدَى إلى الطريق فيها. وتعزف : تصوّت، وهو بالعَين المهملة والزاى المعجمة . والجِنّان بكسر الجيم :

---

(١) فى الديوان ٣٠ : « صباة الحلوم عداه عشم » باهمال عين « عشم » . وفسر ثعلب الصباة بقوله : أبو عبيدة : صباة الحلوم : خفاف الحلوم .

(٢) الديوان : « تخترم » بالتاء فى أوله .

(٣) الديوان : « أبانا فلا رمت من عندنا » .

جمع جانٍّ، وهو أبو الجنّ . والمنهل : المورِد ، وهو عينُ ماء ترده الإبل . والآجن : الماء المتغيِّر الطم واللون . والسُّدُم ، بضم السين والدال المهملتين ، فى الصحاح : رَكِيَّة سُدُم وسُدُم ، مثل عُشْر وعُشُر : إذا ادَّفنت .

وقوله : قطعت،جواب ربَّ المقدَّرة فى قوله : ويهماء ، وهو العامل فى محله. والرسَّامة : الناقة التى تؤثّر فى الأرض من شدَّة الوطء . والجَسْرة ، بفتح الجيم : الناقة القوية الشديدة ، ومثلها العُذافرة ، بضم العين المهملة . والفَنِيق بفتح الفاء وكسر النون : الفحل العظيم الخَلْق . والقَطِم ، بفتح القاف وكسر الطاء : وصفٌ من قَطِم الفحلُ بالكسر : أى اهتاج وأراد الضراب ، وهو فى هذه الحالة أقوى ما يكون . والهَمُّ : الغمُّ . والفؤاد فاعل يشفى . والسَّقَم بفتحتين مفعوله .

وقوله : (إلى المرء قيس) إلخ أل فى المرء لاستغراق خصائص الأفراد ، نحو زيد الرجل ، أى الكامل فى هذه الصفة . وقيس بدل من المرء . و (السُّرَى) بالضم : جمع سَرْية ، يقال سَرَينا سُرية من الليل وسَرية ، بالضم والفتح . قال أبو زيد : ويكون السُّرَى أولَ الليل وأوسطه وآخرَه . وهذه طريقة المتقدِّمين فى التخلص إلى المديح ، وهو أنهم يصفون الفيافى وقطعَها بسيَر النوق ، وحكاية ما يعانون فى أسفارهم إلى ممدوحهم . وقوله : (وآخُذُ من كلٍّ) الخ ، معطوف على أُطيلُ السرى . وإنما كان يأخذ من كل قبيلةٍ عهداً إلى قبيلةٍ أخرى ، لأن له فى كل حىٍّ أعداء ممن هجاهم، أو ممن يكره ممدوحه ، فيخشى القتل أو غيره ، فيأخذ عهداً ليصل بالسّلامة إلى ممدوحه ، فذكر له ما تجشّمه من المشاق فى المسير إليه، ليُجزل له العطايا .وقدذكر الأعداء بقوله :

فكم دونَ بابك من معشرٍ . . . إلخ

وخِفاف : جمع خفيف ، ككرام جمع كريم . والحُلوم : جمع حِلم بالكسر ، وهو الأناة ، أراد به العقل . وعُداة ، بضم العين : جمع عادٍ ، كقضاة جمع قاض من عدا عليه يعدو عُدوانا : إذا ظلمه وتجاوز الحدَّ عليه . وغُشُم ، بضمتين : جمع غشوم ، من الغَشْم وهو الظُّلْم .

وقوله : ولم يودِ من كنت الخ ، أودى فلان أى هلك فهو مُودٍ . ودَرِم بفتح الدال وكسر الراء ، قال فى الصحاح : « اسم رجل من بنى شيبان ، قُتِل فلم يُدرَك بثأره ، وقال المؤرِّج : فُقِد كما فقد القارظ العَنَزِىّ » . وفى ديوان الأعشى : انه دَرِم بن دُبٍّ بن مُرَّة بن ذُهل بن شيبان[1] ، كان النعمان يطلبه فظفِروا به ، فمات فى أيديهم قبل أن يصلوا به إلى النعمان ، فقيل «أودى دَرِم» فذهبت مثلا . وروى : ٢٦٦

* كما قيل في الحيِّ أودى دَرِمْ *

قال العسكرىّ (فى التصحيف[2]) : اجتمع رُواة بغداد[3] على أنّ دَرِمْ مفتوح الدال مكسور الراء إلاَّ ابن الرومىَّ الشاعر ، فإنه ذكر أن روايته (دِرَم) بكسر الدال وفتح الراء ، وكان يعزوه إلى محمَّد بن حبيب . وإنَّما احتاجَ إلى أن يجعله هكذا فى شعر له هربا من التوجيه ، فقد كان ابتداء قصيدته :

---

(١) كذا فى شرح ثعلب للديوان ٣١ . وفى جمهرة ابن دريد ١: ٢٦ : « وفىْ بنى شيبان بطن يقال له دب ، وهو دب بن مرة بن شيبان، وهم قوم درم الذى يضرب به المثل فيقال : أودى درم . وانظر المثل عند العسكرى والزمخشرى والميدانى .

(٢) تصحيف العسكرى ٢٨٩ .

(٣) فى التصحيف : « أجمع الرواة رواة البصرة وبغداد » .

* أَفيضاَ دماً إنّ الرزايا لها قِيَمْ[(١)] *

فبناها على فتح ما قبل الروىّ ثم قال :

* فطاحت جُباراً مثل صاحبها دِرَمْ *

وأنشدها علىٌّ هكذا(٢) ، فأنكر ذلك عليه أبو العباس ثعلب(٣) . ودَرِمٌ هذا مشهور عند النسّابين ، وهو دَرِم بن دُبّ بن مرّة بن ذهل ابن شيبان . إنّما قالوا : أودى دَرم ، لأنه قُتِل فلم يودَ ولم يثأرْ به ، وقال قائل : أودى درم فضُرِب مثلا .

وقوله : أرَانا سواءً الخ ، أى نرى أنفسَنا مثلَ الأيتام سواء . وقد يَتِم بالكسر يَيْتَمَ(٤) بالفتح يُتما بالضّم والفتح وسكون التاء فيهما . واخترمهم الدهر ، وتخرّمهم : أى اقتطعهم واستأصلهم . ونُختَرم ، بضمّ النون .

وقوله : فلا رِمتَ الخ ، رام من مكانه يريم : إذا برح وزال . ونُرانا ، بضم النون من الرؤية بمعنى الظّن . ونُجفى بضم النون من الجفوة ، أى نعامَل بها .

* * *

(١) عجزه كما فى التصحيف :

* فليس كثيرا أن تجودا لها بدم *

(٢) يعنى على بن العباس بن جريج الرومى المتوفى سنة ٢٨٣ . والذى فى التصحيف : « وأنشدها على هذا » .

(٣) بعده فى التصحيف : « وأقام ابن الرومى على أنه درم بكسر الدال » .

(٤) فى النسختين : « يتم » وحورها الشنقيطى الى يتيم .

٣٢٥ وأنشد بعده، وهو الشاهد الخامس والعشرون بعد الثلثمائة :

(كالحوتِ لا يُرويه شيءٌ يَلقَمُهْ   يُصْبِح ظمآنَ وفى البحرِ فَمُهْ(١))

على أنه قد يقال فى غير الأفصح فى وفمه وفم زيد ، فى جميع حالات الإضافة . وهذا ظاهر فإثبات الميم عند الإضافة فصيح ، ويدلّ له الحديث : « لَخُلُوفُ فَم الصائم(٢) » .

ولا التفات إلى قول أبى على (فى البغداديّات) : قد اضطُر الشاعر فأبدل من العين الميمَ فى الإضافة ، كما أبدلها منها فى الإفراد ، فقال : وفى البحر فمُه . وهذا الإبدال فى الكلام إنما هو فى الإفراد دون الإضافة ، فأجرى الإضافة مُجرى المفرد فى الشعر للضرورة . هذا كلامه .

ويَلقَمُه : مضارع لقِمْت اللُّقمة لَقَماً من باب طَرِب : إذا بلعتها ، وكذلك التقمتها وتلقّمتها : إذا ابتلعتها . وروى بدله : (يَلهَمُه) وهو بمعناه ، يقال لهِمَه لهماً من باب طرِب(٣) أيضاً . إذا ابتلعه . و (ظمآنَ) بالنصب خبر (يصبح) . وجملة : (وفى البحر فمه) حال من الضمير المستتر فى ظمآن . قال حمزة الأصبهانى (فى الدرّة الفاخرة) : « أظمأُ من حوت » مثلٌ يزعمون دعوَى بلا بينةٍ أنه يعطش وفى البحر فمه ، واحتجّوا بقول الشاعر : كالحوت لا يرويه شىء الخ . وينقضون هذا بقولهم : « أروى من حوت » ، فإذا سُئلوا عن علّة قولهم قالوا : لأنه لا يفارق الماء . انتهى .

---

(١) الحيوان ٣ : ٢٦٥ والشذور ٣٢٣ والعينى ١ : ١٣٩ والتصريح ١ : ٢/٦٤ : ٢٩٢ والهمع ١ : ٤٠ والمخصص ١ : ١٣٦ وديوان العجاج ١٥٩ .

(٢) تمامه « أطيب عند الله من رائحة المسك » . انظر الحديث ١٦٢ من الألف المختارة من صحيح البخارى .

(٣) فى النسختين : « ضرب » ، صوابه ما أثبت .

ولم يزِد الزمخشريُّ (فى المستقصى) فى شرح هذا المثل على قوله : يزعمون أنه يعطش فى البحر ، قال : كالحوت لا يرويه شىء الخ .

وقد نقل الكرمانى كلام الدرّة (فى شرح شواهد الخبيصىّ) ثم قال : يمكن تصحيح المثَلين حقيقةً ، وهو أن الحوت لا يشرب ماء البحر ماأمكنه لملوحته ، فهو إذنْ ظمآن . ولكثرة صبره على العطش مع وجود الماء كأنه ريّان ، إذ لو لا أنه كذلك لشربِ الماء . وجاز أن يكون قلّة شربه لخوف غرقه بوصول الماء إلى جوفه متجاوزَ الحدّ .

هذا كلامه ، ولا ينبغى له تسطير مثل هذا . والوجه أن يقال : لوجوده فى الماء إنما ضُرب المثل بريّه ، ولعدم طاقته على مفارقة الماء قيل : « أظمأُ مِنْ حُوت » . كأنّ ملازمته للماء إنما هى لشدة ظمئه .

٢٦٧

وقال صاحب حياة الحيوان : هذا البيتُ مثلُ يضرَب لمن عاش بخيلاً شرها[1] .

وهو من رجز طويل لرؤبة بن العجّاج ، عِدّته أربعمائة وخمسة وثلاثون بيتاً ، مدح به أبا العباس السفّاح أول الخلفاء العباسيّة ، وأوله :

(قلت لزيرٍ لم تَصِلْه مرْيَمُه)

وذكر فى أواخره فقرَه وشدّة حاجته إليه . وهذه قطعة منه :

(جاءك عَوْدٌ خِندِفِىٌّ قَشْعَمُه)

العَود ، بالفتح : المسنّ القديم ، وأصله فى الإبل ، عنَى به نفسَه . وخِندف :

---

(١) انظر حياة الحيوان للدميرى فى رسم (الحوت) .

امرأة الياس بن مضر . وأراد بكونه خندفيًّا أنه عَدْنانىٌّ لا قَحطانى .
والقَشْعَم : الكبير .

(عليهِ من لِبْدِ الزّمانِ هِلْدِمُه)

لِبْد الزمان ، بكسر اللام وسكون الموحّدة : جفوفه ووَسخه . وهِلْدِمُه :
ما تراكم بعضُه على بعض ؛ وقال بعضهم : خُلْقانه . وهو بكسر الهاء والدال
وسكون اللام بينهما .

(مُوَجَّبٌ ، عارِى الضلوعِ حِرْضِمُه[1])

الموجّب ، بكسر الجيم وروى بفتحها : الذى يأكل فى اليوم والليلة مرّةً ،
يقال فلان يأكل وجبةً وقد وجَّب نفسَه توجيباً : إذا عوّدها ذلك . أراد :
إننى لا أصيب من القوت فى اليوم والليلة إلاّ مرّة . والحِرضِم ، بكسر المهملة
والضاد المعجمة بينهما راء مهملة : المهزول ، كذا فى شرح ديوانه .

(لم يَلقَ للجَشْبِ إداماً يَأدِمهْ)

الجَشْب ، بفتح الجيم وسكون الشين المعجمة : ضِيق العيش . فى الصحاح :
طعام جَشِب ومجشوب أى غليظ ، ويقال هو الذى لا إدام معه .

(ما زال يَرجُوكَ لحقٌّ يزعُمهُ)

(على التنائى وَيَراك حُلُمهْ)

التنائى : التباعد . والحُلُمُ بضمتين : ما يراه النائم . والإسناد مجازىّ
أى يراك فى حُلُمه .

(١) فى النسختين : « عادى » بالدال ، وحورها الشنقيطى الى
« عارى » كما فى الديوان . وانظر اللسان (وجب) .

(قدْ طالمَا حَنّ إليك أهْيَمُهْ)

أهيمه : عقله وفؤاده .

(إيّاكَ لم يُخطِءْ به ترَسُّمُهْ)

الترسّم، بالراء : التفرّس ، من الفراسة .

(كالُحوتِ لا يُروِيه شىء يَلْهَمُهْ)

شبّه نفسَه بالحوت أى هو كالحوت .

(يُصبِح ظمآنَ وفى البحر فمُهْ)

(مِنْ عَطَشٍ لوّحه مُسَلْهِمُهْ)

لوّحه : غيّره ، من لوّحته أى غيّرته ، ومن لوّحت الشىء بالنار : أحميته .
والمُسَلْهِم : المغيّر .

(أطال ظِمئاً وجِباك مَقْدَمه)

الجبا ، بكسر الجيم بعدها موحّدة : الماء المجموع للإبل ، وهو بالقصر .
ومَقدَمه : مَورِده .

(وفيضُك الفيضُ الرَّواء أطغَمُهْ)

الرَّواء ، بالفتح والمدّ : الماء العذب . وأطغمُه ، أى أكثره ، وهو
بالغين المعجمة .

(قد كان جَمًّا شاؤُه ونَعَمُهُ)

أخبر عن نفسه بأنّه كان قبل اليوم كثيرَ الغنم والإبل .

(فعَضّه دهرٌ مُذِفٌّ مَحْطِمُهُ)

(والدَّهرُ أحيَى لا يزالُ ألَمُهْ)

الأحبي : الشديد الحانى الضلوع ، أى المشرف المنتفخ الجنبين من الغيظ .

(أفنَى القُرونَ وهو باقٍ أزْنُمُهْ)

أى حوادثه ، وهو بالزاء المعجمة والنون .

(بِذَاكَ بادت عادُه وإرَمُهْ)

بادت : هلكت . وعاد وإرم : قبيلتان .

وهذا آخر الرجز . وترجمة رؤبة قد تقدمت فى الشاهد الخامس من أوائل الكتاب(١) .

وقد حَظِيَ الأصمعىُّ عند هارونَ الرشيدِ بروايته لهذا الرجز .

روى السيِّد المرتضى (فى أماليه : الدرر والغُرر) بسنده إلى الأصمعىِّ أنه قال : تصرَّفتْ بِى الأسبابُ على باب الرشيد مؤمِّلا للظفر به والوصول إليه ، حتّى إنِّى صرتُ لبعض حَرَسه خَديناً(٢) ؛ [فإنِّى(٣)] فِي بعض ليلةٍ قد نثرت السعادةُ والتوفيق فيها الأرَقَ بين أجفانِ الرشيد ، إذ خرج خادمٌ فقال : أمَا بالحضرة أحدٌ يحسن الشعر ؟ فقلت : الله أكبر ! رُبَّ قَيدٍ مُضيَّق قد حلّه التيسير(٤) ! فقال لىَ الخادم : ادخُل ، فلعلّها أن تكون ليلةً يُعرَس فى صباحها الغِنى(٥) إن فزْتَ بالحظوة عند أمير المؤمنين . فدخلتُ ٢٦٨

---

(١) الخزانة ١ : ٨٩ .

(٢) فى النسختين : « حديثا » ، صوابه من أمالى المرتضى ٢ : ٩ . والخدين : الصديق والصاحب .

(٣) التكملة من ش والأمالى .

(٤) فى أمالى المرتضى : « رب قيد مضيقة حله التيسير » .

(٥) المرتضى : « تعرس فى صباحها بالغنى » .

فواجهتُ الرشيدَ فى مجلسِه ، والفضلُ بن يحيى إلى جانبه ؛ فوقف بى الخادمُ حيث يَسمعُ التسليم ، فسلمت فردَّ علىَّ السلامَ ثم قال : ياغلامُ أرِحْه لِيفُرِخَ رُوعُه إنْ كان وجَدَ للرَّوعة حِسًّا ! فدنوت قليلاً ثمَّ قلت : يا أمير المؤمنين ، إضاءة مَجدك وبهاء كرمك مُجيرانِ لمن نظَر إليك مِن اعتراضِ أذيَّة ! فقال : ادنُ . فدنَوت فقال : أشاعرٌ أم راوية ؟ فقلت : رواية لكلِّ ذى جِدٍّ وهَزْل ، بعد أن يكون مُحسِناً ! فقال : تالله مارأيتُ ادِّعاء أعظمَ مِن هذا ! فقلت : أنا عَلى المَيدان ، فأطلِقْ مِن عِنانى يا أمير المؤمنين ! فقال : « قد أنْصفَ القارَةَ مَنْ راماها » ، ثمَّ قال : ما المعنى فى هذه الكلمة بَديئاً ؟ فقلت : فيها قولان : القارة هى الحرَّة من الأرض ؛ وزعمت الرواة أنَّ القارَة كانت رُمَاةً للتبابعة ، والملِكُ إذ ذاك أبو حَسَّان ، فواقفَ عسكره عسكر السُّغْد[1] فخرج فارسٌ من السُّغد قد وضع سهمَه فى كَبِد قوسه فقال : أين رُماة العرب ؟ فقالت العرب : « قد أنصفَ القارَةَ مَنْ راماها » . فقال لى الرشيد : أصبت ! .

ثم قال : أتروى لرؤبة بن العجّاج والعجَّاجِ شيئا ؟ فقلت : هما شاهدانِ لك بالقوافى وإن غُيِّبا عن بَصرك بالأشخاص . فأخرَج من ثِنْي فرشِه رُقعةً ثم قال : أنشِدْنى :

* أرَّقنى طارقُ همٍّ أرَّقا[2] *

فمضيت فيها مُضِىَّ الجواد فى سَنَن مَيدانه[3] تهْدِرُ بها أشداقى ، فلمَّا

---

(١) فى النسختين : « فوافق عسكره عسكر السعد » ، وما اثبت من امالى المرتضى وتصحيح الشنقيطى بقلمه فى نسخته . والمواقفة : ان يقفا معا فى حرب او خصومة .

(٢) هى مطلع ارجوزة لرؤبة فى ديوانه ١٠٨ ــ ١١٥ .

(٣) المرتضى : « فى متن ميدانه » .

صرت إلى مديحه لبنى أمية ، ثنيتُ لسانى إلى امتداحه لأبى العباس(١) فى قوله :

(قلتُ لزيرٍ لم تَصِلْه مَرْيَمُهْ)

فلما رآنى قد عدلت من أُرْجوزة إلى غيرها قال : أعنْ حَيرةٍ أمْ عن عَمد ؟ قلت : عن عمد ، تركتُ كِذْبَهُ إلى صِدْقه فيما وصف به جَدّك(٢) من مَجْده ! فقال الفضل : أحسنتَ ، بارك الله فيك ! مثلُك يُؤَهّل لمثل هذا المجلس ! فلما أتيتُ على آخرها قال لى الرشيد : أتروى كلمةَ عدىٍّ بن الرِّقاع :

* عرَفَ الديارَ توَهُّماً فاعتادها(٣) *

قلت : نعم . قال : هاتِ . فمضيتُ فيها حتّى إذا صرتُ إلى وصف الجمل قال لى الفضل : ناشدتك الله ان تَقْطع علينا ما أُمْتِعْنا به من السهر فى ليلتنا هذه ، بصفةِ جَملٍ أجرب ! فقال له الرشيد : اسكتْ فالإبل هى التى أخرجتك من دارك ، واستلبتْ تاجَ ملككَ ، ثم ماتت وعُمِلت جلودُها سِياطاً ضُرِبْتَ بها أنت وقومك ! فقال الفضل : لقد عوقبتُ على غير ذنب ، والحمدُ لله ! فقال الرشيد : أخطأتَ ، الحمدُ لله على النِّعم ، ولو قلتَ : وأستغفرُ اللهَ كنتَ مُصيباً . ثمّ قال لى : امضِ فى أمرك . فأنشدته ، حتّى إذا بلغت إلى قوله :

* تُزْجى أغنَّ كأنَّ إبرة رَوْقِه *

استوى جالساً ثم قال : أتحفظ فى هذا ذِكْراً ؟ قلتُ : نعمْ ، ذكرتِ

---

(١) أبو العباس هو السفاح . وفى المرتضى : « للمنصور » .

(٢) فى المرتضى : « المنصور » .

(٣) عجزه كما فى اللسان (بلد) والطرائف الأدبية ٨٧ :

* من بعد مادرس البلى ابلادها *

الرواةُ أنَّ الفرزدقَ قال : كنتُ فى المجلس ، وجرير إلى جانبي ، فلما ابتدأ عدِيٌّ فى قصيدته ، قلتُ لجرير ـ مُسِرًّا إليه ـ نسخر من هذا الشامىّ(١) . فلما ذقنا كلامَهَ يَئِسنا منه ، فلمَّا قال :

* تُزْجى أغَنَّ كأنَّ إبرةَ رَوقه *

— وعدىٌّ كالمستريح — قال جرير : أما تراه يستَلِبُ بها مثلا ؟ فقال الفرزدق : يا لُكع ، إنَّه يقول :

* قلم أصابَ من الدواة مِدادها *

فقال عدىٌّ :

٢٦٩ * قَلَمٌ أصابَ من الدَّواة مِدادَها *

فقال جرير : أ كان سمعُك مخبوءاً فى صدره ؟ ! فقال له : اسكتْ ، شَغَلنى سَبُّكَ عن جيِّد الكلام ! فلمَّا بلغ إلى قوله :

ولقد أرادَ اللهُ إذْ وَلاَّكَها مِنْ أُمَّةٍ إصلاحَها ورشادَها

قال الرشيد : ما تُراه قال حين أنشدهُ هذا البيت ؟ قلت : قال : كذاك أراد الله . فقال الرشيد : ما كان فى جلالته لِيقولَ هذا ، أحسَبه قال : ما شاء الله ! قلت : وكذا جاءت الرواية . فلما أتيت على آخرها قال : أتروى لذى الرمَّة شيئاً ؟ قلت الأكثر . قال : فما أراد بقوله :

---

(١) عند المرتضى : « هلم نسخر من هذا الشامى » .

تُمَرُّ أُمِرَّتْ فتلَه أَسَدِيَّةً ذِراعيةٌ حَلاَّلةٌ بالمصانع[١]

قلت : وصف حمارَ وحش أسمنه بقلُ روضةٍ تواشجتْ أصولُه وتشابكت فروعهُ ، مِن مطرِ سحابةٍ[٢] كانت بنوءِ الأسد ثم فى الذراع من ذلك . فقال الرشيد : أرِحْ ، فقد وجدناك مُمتِعا وعرفناك محسنا . ثم قال : أجدُ مَلالة — ونَهض — فأخذ الخادم يُصلح عَقِب النعلِ فى رجله — وكانت عربيّة — فقال الرشيد : عقَرتَنى يا غلام ! فقال الفضل : قاتلَ اللهُ الأعاجم ، أما إنّها لو كانت سِنْدِيّةً لما احتجتَ إلى هذه الكلمة[٣] . فقال الرشيد : هذه نعلى ونعلُ آبائى ؛ كم تُعارِض فلا تُترَك من جوابٍ ممضّ ! ثم قال : ياغلام ، يؤمَر صالحُ الخادم ، بتعجيل ثلاثين ألف درهم على هذا الرجل ، فى ليلته هذه ، ولا يحجَب فى المستأنف . فقال الفضل : لولا أنّه مجلسُ أمير المؤمنين ولا يأمر فيه غيرُه ، لأمرتُ لكَ بمثلِ ما أمَرَ لك ، وقد أمرتُ لك به إلاّ ألفَ درهم ، فتلقَّ الخادمَ صباحا . قال الأصمعىّ : فما صلَّيت من غدٍ إلاَّ وفى منزلى تسعةٌ وخمسون ألفَ درهم .

* * *

(وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والعشرون بعد الثلثمائة [وهو من شواهد س[٤]] :

---

(١) فى ديوانه ٣٦١ وأمالى المرتضى : « متنه أسدية » .

(٢) المرتضى : « عن مطر سحابة » .

(٣) المرتضى : « هذه الكلفة » .

(٤) التكملة من ش . وانظر سيبويه ٢ : ٨٣ ، ٢٠٢ ومجالس العلماء ٣٢٧ والخصائص ١ : ١٧٠/٣ : ١٤٧ ، ٢١١ والانصاف ٣٤٥ وشرح شواهد الشافية ١١٥ والهمع ١ : ٥١ وديوان الفرزدق ٧٧١ .

٣٢٦ (هُمَا نَفَثَا فِي فِيَّ مِن فَمَوَيْهِمَا على النابحِ العاوِي أشدَّ رِجامِ)

على أنّه جمع بين البدل والمبدل منه ، وهما الميم والواو .

وتكلف بعضُهم معتذراً بأنْ قال : الميم بدل من الهاء التي هي اللام ، قُدِّمت على العين .

وتقدير القول الأوّل (كما فى البغداديّات لأبى على) أنّه أضاف الفم مبدلا من عينها الميم للضرورة ، كقول الآخر :

* وفى البحر فَمُهُ[1] *

ثم أتى بالواو التي هى عين ، والميم عوض منه ، فيكون جمعاً بين البدل والمبدل منه للضرورة . وقد وجدنا هذا الجمعَ فى مذاهبهم ، قال الشاعر :

* أقول يا اللهمّ يا اللهمّا[2] *

فجمع بين حرف التنبيه وبين الميمين اللتين هما عوضان منه ، فيكون قد اجتمع فيه على هذا الوجه ضرورتان : إحداهما[3] إضافة فم بالميم وحكمه أن لا يضاف بها ، وثانيتهما[3] جمعه بين البدل والمبدل منه .

أقول : إضافة فم بالميم فصيح ، وليس بضرورة ، وتقدّم الرّد عليه بحديث : « لَخُلُوف فمِ الصائم[4] » .

وأما القول الثانى فهو يشبه أن يكون مذهب سيبويه ، فإنّه قال فى باب

---

(١) انظر الشاهد السابق .

(٢) انظر الشاهد ١٣٠ فى الخزانة ٢ : ٢٩٥ .

(٣) فى النسختين : « أحدهما » و « وثانيهما » ، والوجه ما أثبت .

(٤) فى أثناء الكلام على الشاهد السابق .

النسبة — واسمه عنده باب الإضافة — مانصه : « وأما فم فقد ذهب من أصله حرفان ، لأنّ كان أصله فَوَه ، فأبدلوا الميم مكان الواو ، فهذه الميم بمنزلة العين نحو ميم دم ثبتت فى الاسم ، فمن ترك دم على حاله إذا أضيف ترك فم على حاله ، ومن ردّ إلى دم اللام ردّ إلى فم العينَ فجعلها مكانَ اللام ، كما جعلوا الميم مكان العين فى فم . قال الشاعر :

* هما نفثا فى فىَّ من فمويهما *

٢٧٠ وقالوا فموان . فمن قال فَمَانِ فهو بالخيار ، إن شاء قال : فَمَوِىٌّ ، وإن شاء قال : فَمِىٌّ . ومن قال: فَمَوان قال : فَمَوِىٌّ ، على كل حال » .

هذا كلام سيبويه،وبه يظهر خطأ الأعلم فى شرح شواهده حيث قال : [الشاهد(١)] فى قوله فمويهما وجمْعِه بين الواو والميم التى هى بدل منها فى فم . ومثل هذا لايُعرف لأنَّ الميم إذا كانت بدلا من الواو فلا ينبغى أن يُجْمَع بينهما . وقد غَلِط (٢) الفرزدق فى هذا ، وجُعِلَ من قوله إذْ أسنَّ واختلط عقلُه . ويحتمل أن يكون لمّا رأى فما على حرفين توهّمه مما حذفت لامه من ذوات الاعتلال ، كيد ودم ، فردّ ماتوهّمه محذوفا منه » . انتهى كلامه .

وقوله : ومثل هذا لايعرف ، تقدّم عن أبى علىّ أنه معروف فى قولهم : يا اللهم .

وقوله : وقد غلط(٢) الفرزدق فى هذا الخ ، فيه أنّه لا يجوز أن يتوهّم فى البدوىّ أنه يغلط فى نطقه ويلحن ، فإنه لايطاوعه لسانه وإنْ تعمّده كما قيل ، فالعرب معصومون عن لحن اللسان. نعم يجوز أن يغلطوا فى المعانى .

---

(١) التكملة من ش والشنتمرى .

(٢) ط : « خلط » صوابه فى ش والشنتمرى .

وقوله : ويحتمل أن يكون لمّا رأى فما على حرفين الخ ، كأنه حين كتب هذا الكلام لم ينظر إلى كلام سيبويه .

وقد نقل أبو على (فى البغداديّات) وجهاً آخر فى توجيه فمويهما ، مع أنه لم ينقل فيها مذهب سيبويه ، قال :

« وأمّا قول الفرزدق فمويهما ، فإنه قيل إنّه أبدل من العين الذى هو واوٌ الميمَ ، كما تُبدل منه فى الإفراد ، ثم أبدل من الهاء التى هى لامٌ الواوَ . وبدل الواوِ من الهاء غير بعيد ، ويدل على سَوغ ذلك أنهما يَعتقبان الكلمةَ الواحدة، كقولك عِضَة ، فإنّ لامه قد يُحكم عليها بأنها هاء لقولهم عِضاه ، وقد يحكم عليها أنها واو لقولهم: عِضَوات .

وذهب ابن جنّي (فى سر الصناعة) إلى أنّ فمويهما مثنّى فَماً بالقصر ، قال فى قول الشاعر :

* يا حبّذا عينا سُليمَى والفما *

يجوز أن يكون الفما فى موضع رفع ، وهو اسمٌ مقصور بمنزلة عصا ، وعليه جاء بيت الفرزدق :

* هما نفثا فى فىّ من فمويهما *

فاعرفْه . انتهى .

وقوله : (هما نفثا) ضمير التثنية راجعٌ إلى إبليس وابنِه ، كما يأتى . ونفثا : أى ألقَياَ على لسانى ، من نفث الله الشىء فى القلب : ألقاه . وأصل نفث بمعنى بزَق ، ومنهم من يقول : إذا بزق ولا ريقَ معه . ونفث فى العُقدَة عِندَ الرُّقية(١) ، وهو البزاق اليسير . ونفثه نفثاً أيضاً : إذا سحره . ورُوى

---

(١) ط : « عن الرقية » ، صوابه فى ش .

أيضاً : (هما تفلا) من تفل تفْلا ، من بابى ضرب وقتل ، من البزاق ؛ يقال بزق ثم تَفَل . و (النابح) أراد به من يتعرَّض للهجو والسبّ من الشعراء ، وأصله فى الكلب . ومثله (العاوى(١)) بالعين المهملة . و (الرِّجام): مصدر راجمه بالحجارة أى رَاماه ، وراجم فلانٌ عن قومه : إذا دافع عنهم ، جَعل الهجاء كالمراجمة لجعله الهاجى كالكلب النابح . وكأنَّ الأعلم لم يقفْ على ماقبل هذا البيت ، ولهذا ظنّ أنّ ضمير التثنية لشاعرين من قومه ، نزع فى الشعر إليهما .

وهذا البيتُ آخرُ قصيدةٍ للفرزدق ، قالها آخرَ عمره تائباً إلى الله عز وجل ممّا فرَط منه من مهاجاته الناسَ ، وقذفِ المحصنات ؛ وذمّ فيها إبليسَ لإغوائه إيّاه فى شبابه . وهذه أبياتٌ منها(٢) :

أبيات الشاهد

(ألم ترَنى عاهدتُ ربّى ، وإننى لَبينَ رِتاجٍ قائماً ومَقام
على حِلفةٍ لا أشتُم الدهرَ مسْلِماً ولا خارجاً مِن فىَّ زورُ كلامِ
وأصبحتُ أسعَى فى فِكاكِ قلادةٍ رَهينةَ أوزارٍ علىَّ عظامِ
ولم أنتَبهْ حتّى أحاطت خطيئتى ورائى ، ودقَّتْ للأمورِ عِظامى ٢٧١
أطعتُك يا إبليسُ سبعين حِجةً فلما انتهى شَيبى وتمّ تَمامى
فزِعتُ إلى ربّى وأيقنتُ أننى مُلاقٍ لأيام المنونِ حِمامى
ألا طالما قد بتُّ يُوضِعُ ناقتى أبو الجنّ إبليسُ بغير خِطامِ
يَظَلُّ يمنّينى على الرحل واركاً يكونُ ورائى مرّةً وأمامى
يبشّرُنى أن لا أموتَ ، وأنّه سيُخلِدُنى فى جَنَّة وسَلام

(١) ط : « العادى » بالدال هنا وفى الشاهد ، وصوابه فى ش.
(٢) ديوان الفرزدق ٧٦٩ والكامل ٦٩ والنقائض ١٢٦ .

فقلت له : هلاَّ أُخَيَّكَ أخرجتْ ... يمينُكَ من خُضر البحور طوامى(١)
فلما تلاقى فوقه الموجُ طامياً ... نكَصتَ ولم تَحتلْ له بمرام
ألم تأت أهل الحِجْر ، والحِجر أهلُه ... بأنعمِ عيشٍ فى بُيُوتِ رُخام(٢)
وآدمُ قد أخرجته وهو ساكنٌ ... وزوْجَتَه من خير دارِ مُقام
وأقسمتَ يا إبليسُ أنك ناصحٌ ... له ولها ، إقسامَ غير أثام
وكم من قرونٍ قد أطاعوك أصبحوا ... أحاديثَ كانوا فى ظِلال غمام(٣)
وما أنت يا إبليس بالمرء أبتغى ... رضاه ، ولا يقتادنى بزمام
سأجزيكَ مِن سَوءاتِ ما كنت سقْتَنى ... إليه جُروحاً فيكَ ذاتَ كِلام
تُعَيِّرُها فى النارِ والنارُ تلتقِى ... عليكَ بزَقُّوم لها وضِرَام(٤)
وإنَّ ابنَ إبليسٍ وإبليسَ ألبَنا ... لهمْ بعذابِ الناسِ كلَّ غُلام
هما نفثا فى فىَّ من فمويهما .. .. البيت)

وقوله : ألم ترنى عاهدت ربى ، البيتين ، هما من شواهد الكشاف ومغنى اللبيب ، ويأتى إن شاء الله شرحهما فى محلّه .

وقوله : وإن ابن إبليس الخ ، ألبَنا : سقَيا اللبن ، يريد أن إبليس وابنه سقَيا كلَّ غلام من الشعراء هجاء وكلاماً خبيثاً . ثم إنَّ الفرزدق سامحه الله وغفر ذنبه بعد هذا نقض توبته ورجع إلى الأوّل .

---

(١) ط : « لغيك » ، صوابه من الديوان ٧٧٠ . والمراد بهذا الأخ فرعون موسى ، اذ خدعه ابليس فغرق فى اليم ، وهو بحر القلزم .

(٢) فى النسختين : « فى البيوت رخام » ، صوابه من الديوان ٧٧١ .

(٣) فى النسختين : « ضلال غمام » ، صوابه من الديوان .

(٤) فى النسختين : « تعبرها فى النار » ، صوابه من الديوان .

وكان السبب فى نقض التوبة هو ما حكاه شارح النقائض : أن الفرزدق لما حج عاهد الله بين الباب والمقام أن لا يهجو أحداً أبداً ، وأن يقيِّد نفسَه حتى يحفظ القرآن ، فلما قدِم البصرة قيَّد نفسه وقال :

ألم ترنى عاهدتُ ربِّى وإننى لَبَيْنَ رِتاجٍ قائماً ومَقامِ

الأبيات . ثم إن جريراً والبعيث هَجَياه[1] ، وبلغ نساء بنى مجاشع فحشَ جريرٍ بهن ، فأتينَ الفرزدق وهو مقيد فقلن : قبح الله قيدَك ، وقد هتك جريرٌ عَوْراتِ نسائك ، فلُحيت شاعرَ قوم ! فأغضبْنَه ففك قيده وقال ، وهو من قصيدة[2] :

لعمرىَ لئنْ قيَّدت نفسى لطالما سعيتُ وأوضعتُ المطيَّة فى الجهل[3]
ثلاثين عاماً ما أرى من عَماية إذا برقت أن لا أشدَّ لها رحلى[4]
أتتنى أحاديثُ البَعيثِ ودونه زَرودُ فشاماتُ الشَقيق من الرمل[5]
فقلت أظنُّ ابن الخبيثة أنَّنى شُغِلت عن الرامى الكنانة بالنَبْلِ
فإنْ يكُ قَيدِى كان نذراً نذرتُه فما بىَ عن أحساب قومى من شغل ٢٧٢
أنا الضامن الراعى عليهم وإنَّما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلى

وقوله : أوضَعْت المطيّة ، أى دفعتها فى السير . والعماية ، بالفتح : الجهل والصبا .

(١) كذا فى النسختين ، وصوابه « هجواه » لأنه من هجايهجو .
(٢) ديوان الفرزدق ٧١١ والنقائض ١٢٧ .
(٣) ط : « لعمرى ان » ، صواب الرواية من ش والديوان والنقائض .
(٤) فى الديوان والنقائض : « الا شددت لها رحلى » ، والمعنى يستقيم بكل منهما .
(٥) فى الديوان والنقائض : « الى الرمل » .

وقوله : أظنَّ ابنُ الخبيثة ، الهمزة للاستفهام ، وابن الخبيثة فاعل ظنّ ، وأراد به جريراً . يقول . إنما أراد جريرٌ بهجاء البَعيث غيرَه ، كما صنع رامى الكنانة بصاحبها[1]: وذلك أن رجلا من بنى فَزارة ورجلاً من بنى أسد كانا راميين ، فالتقيا ومع الفزارى كِنانةٌ جديدة ومع الأسدى كنانة رثّةٌ ، فقال الأسدىُّ للفزارى . أنا أرْمَى أو أنت؟ فقال الفزارى : أنا أرمَى منك! فقال له الأسدى : فانى أنصِب كنانتى وتنصبُ كنانتك حتّى نرمىَ فيهما ، فنصب الأسدىُّ كِنانته فجعل الفزارىُّ يرميها فيقُرطِس ، حتّى أنفد سهامَه كلَّها ، [كلّ ذلك يصيبُها ولايخطئها[2]] ، فلما رأى الأسدىُّ أنَّ سِهام الفزارى نَفِدت قال : انصِب لى كنانتك حتّى أرميَها . فرمى فسدَّد السهم نحوَه حتى قتله . فضربه الفرزدق مثلا ، يعنى أنّ جريراً يهجو البعيث وهو يعرّض بالفرزدق .

وقوله : أنا الضامن الراعى عليهم إلخ ، هذا البيت من شواهد النحاة والبيانيِّين ، وروى صدره بغير هذا أيضاً[3] .

وترجمة الفرزدق قد تقدمت فى الشاهد الثلاثين[4] .

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد السابع والعشرون بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد المفصّل وغيره[5] :

---

(١) فى النقائض : «كما صنع صاحب الكنانة» .

(٢) التكملة من النقائض ١٢٨ .

(٣) فى العينى ١ : ٢٧٧ وشرح شواهد المغنى ٢٤٥ :

* أنا الذائد الحامى الذمار وانما *

(٤) الخزانة ١ : ٢١٧ .

(٥) مجالس ثعلب ٥٤٤ وابن الشجرى ٢ : ٣٧ وابن يعيش ٣ :=

٣٢٧ (وَأَبِيَّ مالَكَ ذو المَجازِ بِدارِ)

هذا عجزٌ وصدره :

(قَدَرٌ حَلَّكَ ذا المَجازِ وقد أَرَى)

على أن (أبيّ) عند المبرد مُفردٌ ردَّ لامُهُ فى الإضافة إلى الياء كما ردَّت فى الإضافة إلى غيرها ، فيكون أصله أبُوى ، قلبت الواو ياء وأدغمت فيها ، عملاً بالقاعدة حيث اجتمعا وكان أولهما ساكنا ، وأبدلت الضمّة كسرة لئلا تعود الواو .

وكلام المبرّد وإن كان موافقاً للقياس إلا أنّه لم يقم عليه دليل قاطع . قال الزمخشريّ (فى المفصل) : وقد أجاز المبرّد أَبِيّ وأَخِيّ ، وأنشد :

* وأبِيَّ مَالَكَ ذو المجازِ بِدارِ *

وصِحَّةُ حَمْله على الجمع فى قوله :

* وفَدَّيْننا بالأبينا(١) *

تدفع ذلك . يريد أن أبيّ جاء على لفظ الجمع ، ولا قرينةَ مخلِّصة للإفراد فتعارض الاحتمالان ، فحمل على لفظ الجمع وسقط الاحتجاجُ به فى محلّ الخلاف فيكون أصله على هذا أبِينَ ، حذفت النون عند الإضافة ، فأدغمت الياء التى هى ياء الجمع فى ياء المتكلم . فوزن أبِى فَعِى لا فَعِلِي . وعلى هذا حمل ابن جنّي وغيرُه قراءة من قرأ : ﴿نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ أَبِيكَ إبراهِيمَ وإسْمَعِيل وإِسْحَقَ(٢)﴾ ؛ ليكون فى مقابلة آبائك فى القراءة الأخرى .

= ٥٦ وشرح شواهد المغنى ٢٩٢ ومعجم الأدباء ١٣ : ٢٠٠ ومعجم ما استعجم (الربذة) .

(١) قطعة من بيت هو الشاهد التالى لهذا .

(٢) الآية ١٣٣ من سورة البقرة . وانظر المحتسب ١ : ١١٢ .

قال أبو على (فى الإيضاح الشعرىّ) : ومن زعم أن قول الشاعر :

* وأَبِىَّ مالَكَ ذو المجاز بِدارِ *

إنما ردَّ الواو التى هى لام الفعل ، فى الإضافة ، إلى الياء كما ردَّه مع الكاف والهاء فى نحو أبوك وأبوه ، فليس بمصيب ، وذلك أنَّ هذا الموضعَ لمّا كان يلزمه الإعلالُ بالقلب ، وقد استمرَّ فيه القلب وأمضِىَ ذلك فيه ، فلم يرد فيه ما كان يلزمه الإعلال ، وإنّ أبِىَّ مثل عِشْرِىَّ . انتهى

واحتج [ابنُ الشجرىّ فى أماليه بمثل هذا[1]] .

٢٧٣ وقد عزا ثعلب (فى أماليه العاشرة [2]) إلى الفراء ما عزاه الزمخشرىُّ وابن الشجرىّ إلى المبرد ، من كون أبى مفرداً رد إليه لام فعله . وهذه عبارة ثعلب : الفراء يقول : من أتمّ الأب فقال هذا أبوك فأضاف إلى نفسه قال : هذا أبِىَ ، خفيفٌ[3] . قال : والقياس قول العرب : هذا أبوكْ وهذا أَبِىَّ فاعلم [ثقيلٌ[4]] ، وهو الاختيار . وأنشد :

فلا وأبِىَّ لا آتيك حتَّى يُنَسَّى الوالهُ الصبُّ الحنينا

وقال : أنشد الكسائىّ بِرِنبويَهْ[5] — قرية من قرى الجبل — قبل أن يموت :

---

(١) تكملة يقتضيها السياق . وانظر أمالى ابن الشجرى ٢ : ٣٧ .

(٢) يعنى الجزء العاشر من مجالس ثعلب ص ٥٤٤ .

(٣) ط : « خفف » ، صوابه فى ش ومجالس ثعلب .

(٤) التكملة من مجالس ثعلب ، ومن قلم الشنقيطى بهامش نسخته .

(٥) ط : «زنبويه» بالزاى ، صوابه بالراء المهملة كما فى ش =

قدرٌ أحلَّك ذا النُّجيل وقد أرى وأبِيَّ مالكَ ذو النُّجَيل بدار
إلاّ كدارِكُمُ بذى بَقَر الِحمى هيهاتَ ذوبَقَرٍ من المُزْدارِ . انتهى .

وقوله : (قدرٌ) مبتدأ ، وجملة (أحلّك) إلخ خبره . وهو كقولهم : « شرٌّ أهرَّ ذا ناب » ، أى ما أحلَّك ذا المجاز إلاّ قدر .

وأورده ابن هشام (فى مسوِّغات الابتداء بالنكرة من الباب الرابع ، من المغنى) على أنَّ المسوِّغ للابتداء به صفة محذوفة ، كقولهم : « شرٌّ أهرَّ ذاناب » أى قدرٌ لا يغالَب وشرٌّ أىُّ شر . والقدر : قضاء الله وحكمه . وأحلَّك بمعنى أنزلك ، متعدّى حلَّ بالمكانُ حلولا ، إذا نزل ، وهو متعدٍّ إلى مفعولين أولهما الكاف وثانيهما ذا المجاز ، والهمزة للتصيير أى صيَّرك حالاًّ بذى المجاز .

ذو المجاز

و (ذو المجاز) بفتح الميم وآخره زاء معجمة : سوقٌ كانت فى الجاهليّة للعرب . قال ابن حجر (فى شرح البخارىّ) : ذكر الفاكهىّ من طريق ابن إسحاق : أنَّ ذا المجاز سوقٌ كانت بناحية عرَفة إلى جانبها . وعند الأزرقىّ من طريق هشام بن الكلبىّ ، أنَّها كانت لهذيل على فرسخ من عرفة . ووقع (فى شرح الكرمانىّ) أنَّها كانت بمنىً . وليس بشىء ، لما رواه الطبرانى عن مجاهد ، أنهم كانوا لا يبيعون ولا يبتاعون فى الجاهليّة بعرفة ولا بمنى . انتهى .

= ومعجم البلدان ووفيات الأعيان ١ : ٤٥٤ فى نهاية ترجمة محمد بن الحسن . وقال ياقوت : « قرية قرب الرى ، بهـا مات على بن حمزة الكسائى النحوى ، ومحمد بن الحسن الشيبانى صاحب أبى حنيفة ، فدفنا بها . وكانا خرجا صحبة الرشيد فقال : اليوم دفنت الفقه والنحو برنبويه » . ورنبويه ، آخره هاء ساكنة ، كما فى الوفيات .

والكِرْمانىُّ فى هذا تابعٌ لصاحب الصحاح ، فإنّه قال فيه : ذو المجاز موضع بمنى كان به سوقٌ فى الجاهلية . وتبعه أيضاً بعضُ فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصّل) والدّمامينىّ (فى الحاشية الهنديّة) .

ذو النجيل

و (ذو النُّجيل) فى روايه ثعلب بضمّ النون وفتح الجيم ، كذا رأيته مضبوطاً (فى نسخة صحيحة قديمة من أماليه عليها خطوط الأئمّة) . قال ابن الأثير (فى المرصّع) : ذو النُّجيل بضم النون وفتح الجيم : موضع من أعراض المدينة وينبُع اه . ورُوِى أيضاً (ذو النُّخيل) بضم النون وفتح الخاء المعجمة وهو مُناسبٌ أيضاً ، قال ابن الأثير (فى المرصّع) : هو عين قرب المدينة ، وأخرى قرب مكة ، وموضع دُوَين حَضْرَمَوت . وكلا هذين اللفظين غير موجود فى معجم ما استعجم للبكرىّ[1] .

وقوله : (وقد أرى) قد للتحقيق وأرى بمعنى أعلم معلّق عن العمل بما النافية ، والجملة بعدها سادّة مسدّ المفعولين . وقوله : (وأبىّ) الواو للقسم ، وجملة القسم معترضة بين أرى ومعموله ، أتى بها للتأكيد ، وجوابُ القسم محذوف يدلّ عليه مفعول أرى . وحرّفه بعضهم فرواه : (ولا أرى) بلا النافية موضع قد ، وزعم أنّ الجملة المنفيّة جواب القسم وأنّ مفعولى أرى محذوفان تقديره : لا أراك أهلاً لذى المجاز . وقيل لا دعائيّة . هذا كلامه . ولم يروِ هذه الرواية أحدٌ ، والثابتُ فى رواية ثعلب وغيره من شروح المفصل هو ما قدّمناه وليس المعنى أيضاً على ما أعربه ، فتأمّل . وقال بعضهم : (أُرى) بالمبنىّ للمفعول بمعنى أظن ، وبكسر الكاف من (أحلّكِ) و (لكِ) ، وكلاهما لا أصل له . ٢٧٤

---

(١) الحق أن البكرى قد أوردهما فى معجمه ، فالنجيل رسم لها فى باب النون ص ١٣٠٠ . والنخيل ، أوردها فى (نخل) ١٣٠٣ كما أوردها عرضا فى ٦٣٥ عند ذكر (الربذة) .

وقوله : (مالَكَ ذو المجاز) الخ ، وذو المجاز فاعل لكَ لاعتماده على النفى ، أو هو مبتدأ ولك خبره ، وعليهما فقوله بدارٍ حالٌ صاحبُها ذو المجاز على الأوّل وضميرُه المستترُ في لك على الثانى ، أو قوله بدار خبر المبتدأ ، ولك كان فى الأصل صفة لدار فلمّا قدّم صار حالاً . خاطبَ نفسَه وقال : قدرُ الله وقضاؤُه أحلّك هذا الموضع ، وقد أعلم أنّه ليس لك هذا الموضع بمنزلٍ تقيمُ فيه ، بل ترتحل عنه ، وأُقسم على ذلك بأبى . وقوله : إلاّ كداركُمُ ، صفة لموصوف محذوف أى إلاّ دار كدارکم ، أو الكاف زائدة .

ذو بقر

وذو بقر ، بفتح الموحَّدة والقاف ، قريةٌ فى ديار بنى أسد ، وقال أبو حاتم عن الأصمعى : هو قاعٌ يَقْرِى الماء ، وقال يعقوب : هو وادٍ فوق الرَّبذة. انتهى[1] .

والمراد هو الأخير بدليل إضافته إلى الحمى ، فإنّ الربذة كانت حمًى خارج المدينة المنورة . قال أبو عبيد[2] : الرَّبذة ، بفتح أوله والموحَّدة وبالذال المعجمة ، هى التى جعلها عمر حِمًى لإبل الصدقة ، وكان حماه الذى أحماه بريداً فى بريد ، ثم زادت الولاة فى الحمى أضعافا ، ثم أبيحت الأحماء فى أيّام المهدىّ العباسىّ فلم يحمِها أحدٌ بعد ذلك .

إلى أن قال : ثمّ الجبال التى [تَلى القَهْبَ[3]] عن يمين المصعِد إلى مكة جبلٌ أسودُ يدعى أسْوَدَ البُرَم ، بينه وبين الرَّبذة عشرون ميلا ، وهو فى أرض

---

(١) كذا بدون ذكر لاسم الكتاب المقتبس منه ، أو المؤلف ، وهذا النص بعينه فى معجم ما استعجم ٢٦٣ - ٢٦٤ .

(٢) أبو عبيد البكرى فى معجم ما استعجم ٦٣٣ .

(٣) التكملة من معجم ما استعجم ٦٣٤ .

بنى سُليم ، وأقربُ المياه من أسودِ البُرْم حفائرُ حفرها المهدىُّ على ميلين منه ، تدعى ذا بقر ، وقد ذكرها مؤرِّج السُلَمىُّ فقال :

قدرٌ أحلَّكَ ذا النُّجَيل وقد أرى . . . . البيتين

وأنشدهما على رواية ثعلب (فى أماليه[1]) .

والمزدار : اسم فاعل من ازدار : افتعل من الزيارة . وأراد الشاعر به نفسَه ، استبعد أن يزور أرضه . وروى أبو عبيـد فى المعجم (الزُّوَّار) جمع زائر .

مؤرج السلمى

وقائل هذين البيتين مؤرِّج السُلَمىُّ كما قال أبو عبيد (فى المعجم) ، وهو شاعر إسلامىٌّ من شعراء الدولة الأمويّة . ومُؤرِّج ، بضم الميم وفتح الهمزة وتشديد الراء المكسورة وآخره جيم ، وهو اسم فاعل مِن أرّجت بين القوم تأريجا : إذا هيَّجت الشرَّ بينهم . والسُّلَمىّ ، بضمّ السين وفتح اللام ، نسبة إلى سُلَيم بن منصور ، مصغرا ، وهو أبو قبيلة .

تتمـة

أسواق العرب

قال ابن حجر (فى شرح البخارى) : أسواق العرب فى الجاهلية أربعة ذو المجاز ، وعُـكاظ ، ومجنّة ، وحُباشة .

أما ذو المجاز فقد تقدَّم نقله عنه .

وأمّا عُـكاظ بضمّ أوّله ، فعن ابن اسحاق : أنّها فيما بين نخلة والطائف إلى بلد يقال لها الفُتُق ، بضمّ الفاء والمثنّاة بعدها قاف . وعن ابن الـكلبيّ : كانت بأسفل مكة على بَرِيدٍ منها غربىَّ البيضاء ، وكانت لـكنانة .

(١) الحق أنه أورد « النخيل » بالخاء المعجمة لا الجيم .

وأما حُباشة بضم الحاء المهملة وتخفيف الموحدة ، وبعد الألف شين معجمة ، فكانت فى ديار بارق نحو قَنُونا ، بفتح القاف وبضم النون الخفيفة وبعد النون ألف مقصورة ، من مكة إلى جهة اليمن على ست مراحل . وقد ذُكر فى الحديث الثلاث الأول ، وإنما لم تُذكر حُباشة فى الحديث لأنها لم تكن من مواسم الحج ، وإنما كانت تقام فى شهر رجب . قال الفاكهى : ولم تزل هذه الأسواق قائمة فى الإسلام إلى أن كان أول ما ترك منها سوق عكاظ فى زمن الخوارج ، سنة تسع وعشرين ومائة ، وآخر ما ترك منها سُوق حباشة فى زمن داود بن عيسى بن موسى العباسى ، فى سنة سبع وتسعين ومائة . ثم أسند عن ابن الكلبى : أن كلّ شريفٍ إنما كان يحضر سوق بلده إلا سوق عكاظ ، فإنهم كانوا يتوافون بها من كل جهة ، فكانت أعظم تلك الأسواق . وقد ذكرها فى أحاديث ، منها حديث ابن عباس رضى الله عنهما : « انطلق النبى صلى الله عليه وسلم فى طائفةٍ من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ » الحديث فى قصة الجن . وروى الزبير بن بكار (فى كتاب النسب) أنها كانت تُقام صبحَ هلالِ ذى القَعدة إلى أن يمضىَ عشرون يوما . قال : ثم تقوم سوق مَجَنّة عشرةَ أيام إلى هلال ذى الحجة ، ثم تقوم سوق ذى المجاز ثمانية أيام ، ثم يتوجهون إلى مِنى بالحج . وفى حديث جابر : « أنَّ النبىَّ صلى الله عليه وسلم لبثَ عَشْرَ سنينَ يتبع الناسَ فى منازلهم فى الموسم ، بمَجَنّة وعُكاظ يبلّغ رسالاتِ ربه » . انتهى ما أورده ابن حجر .

٢٧٥

وفيه : أنّ أسواق العرب أكثر من هذا ، جَمعها صاحبُ قبائل العرب(١)

---

(١) انظر أيضا الأزمنة والأمكنة للمرزوقى ٢ : ١٦١–١٧٠ وصبح الأعشى ١ : ٤١٠ . وقد ألف فى ذلك بعض معاصرينا الأفاضل وهو الأستاذ سعيد الأفغانى ، كتابا سماه « أسواق العرب » .

قال : (دُومة الجندل) كانت تقوم أوّل يوم من ربيع الأول إلى النصف منه ، وكانت للمبايعة فيه إلقاء الحجارة على السِلعة ، فمن أعجبته ألقى حجراً فتُرِكت له . و (المشقَّر) تقوم من أوّل يوم من جُمادى الآخرة ، وكان بيعهم بالملامسة والإيماء والهمهمة ، خوفَ الحلف والكذب . ثم (صُحار) بضم الصاد المهملة تقوم لعشر يمضين من رجب ، خمسة أيّام . ثم (الشِّحْر) بالكسر ، يقوم فى النصف من شعبان ، وكان بيعهم فيه بالحجارة أيضاً . ثم (صنعاء) فى النصف من شهر رمضان إلى آخره . ثم سوق (حَضْرَمَوت) فى النصف من ذى القَعدة ثم (عُكاظ) فى هذا اليوم بأعلى نجد قريب من عرفات . وعكاظُ من أعظم أسواق العرب ، وكان يأتيها قريشٌ وهوازن وغطفان ، وسُليم والأحابيش وعُقيل والمصطلق ، وطوائف من العرب إلى آخر ذى القعدة ، فإذا أهلَّ ذو الحجة أتوا (ذا المجاز) ـ وهو قريب من عكاظ ـ فتقوم سوقُه إلى التروِيَة ، ثم يصيرون إلى منى ، وتقوم سوق (نَطاة) بخيبر ، وسوق (حَجْر) بفتح المهملة وسكون الجيم يوم عاشوراء إلى آخر المحرم . هذا ماأورده صاحب قبائل العرب .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والعشرون بعد الثلاثمائة ، وهو من شواهد سيبويه[١] :

٣٢٨ (فلمَّا تبيَّنَّ أصواتَنا بكينَ وفدَّيْننا بالأبينا)

على أن الأب يجمع على (الأبِين) على حدّ جمع المذكر السالم ، كما فى هذا البيت .

(١) فى كتابه ٢ : ١٠١ . وانظر الخصائص ١ : ٣٤٦ والمحتسب ١ : ١١٢ وابن الشجرى ٢ : ٣٧ وابن يعيش ٣ : ٣٧ واللسان (أبى ٦) .

قال سيبويه : وسألته ـ يعني الخليلَ ـ عن أب فقال : إنْ أُلحقت فيه النون والزيادة التي قبلها قلت أبون ، وكذلك أخ تقول أخون ، لا تغيِّر البناء ، إلاّ أن تحدث العرب شيئاً كما يقولون دَمُون[١] ، ولا تغيِّر بناء الأب[٢] عن حال الحرفين لأنه بني عليه ، إلا أن تحدث العرب شيئاً ، كما بَنَوه على غير بناء [الحرفين[٣]] . وقال الشاعر :

فلمّا تبيَّنَّ أصواتَنا . . . (البيت)

أنشدَناه مَنْ نثِق به ، وزعم أنه جاهليٌّ . وإنْ شئت كسَّرت فقلت : آباء وآخاء . انتهى نصّ سيبويه .

وأورد ابن جنّي (في المحتسب) بعد هذا البيت — عند قراءة ابن عباس والحسن : (وإلهَ أبيك) على أنَّه أبِينَ ، حذفت النون للإضافة - قولَ أبي طالب نظيراً له :

ألم ترَ أنِّي بعـدَ همٍّ هَمَمْتُه لفرقة حُرٍّ من أبِينَ كرامِ

وقول الآخر :

* فهو يفدِّي بالأبِينَ والخالْ[٤] *

قال الأعلم : جمعُ أب جمعَ سـلامة غريبٌ ، إذ حقّه للأعلام والصفات ٢٧٦ الجارية على فعلها ، كمسلمين .

---

(١) ط : « دومون » وحورها الشنقيطي في نسخته الى «ذوون» ، صوابه من سيبويه .

(٢) في النسختين : « بناء الألف » صوابه من سيبويه .

(٣) في النسختين : « كما ثنوه على غـير بناء » والتصـحيح والتكملة من كتاب سيبويه .

(٤) المحتسب ١١٢ واللسان (أبى ٧)

وقوله (تبيَّنَّ) بمعنى (تعرَّفن) وبه روى أيضاً . أى لمَّا عرفن أصواتنا معرفةً بيِّنة ، ووزنه تفعَّلن ، أدغمت النون الأصلية فى نون جماعة النساء .

وقوله (فدَّيْنَنا) إلخ ، أى قلن : جعل الله آباءنا فداء لكم .

قال ابن السيرافى (فى شرح أبيات الكتاب) وتبعه مَن بعده من شرّاح الشواهد : البيت لزياد بن واصل . لمَّا عرفنَ أصواتهم ركِبنَ إليهم حتّى يستنقذوهنّ وفدّينهن بآبائهن . ويروى :

* فلما تبيَّنَّ أشباحنا *

جمع شَبَح .

وقال أبو محمد الأعرابى الغندجانى (فى فُرحة الأديب[1]) : كذَب ابن السيرافى [فى تفسير هذا البيت] ، ولم يعرف منه قليلا ولا كثيراً ، كيف رَكِبن إليهم حتّى يستنقذوهنَّ سبايا كما زعم ، وإنّما معنى البيت أنّ زياداً افتخر فى أبياتٍ[2] بآباء قومه وبأمهاتهم من بنى عامر ، وأنّهم قد أبلَوْا فى حروبهم ومعاونتهم ، فلما عادوا إلى [حِلَلِهِمْ وعِنْدَ] نسائهم وعرفن أصواتهم فدَّينهم لأجلْ أنّهم أبلَوْا فى الحروب . والأبيات تدلّ على صحة هذا المعنى . وأولها — وهى لزياد بن واصل السُّلَمىّ — :

عزَتنا نساء بنى عامرٍ فسُمنا الرجالَ هواناً مبينا[3]
ونحن بَنوهُنَّ يومَ الصفَا قِ إذ نُقبل القومَ وَعْثاً حُزونا
بضربٍ كوَلْغ ذُكورِ الذئا بِ تَسمع للهامِ فيه رَنينا

(١) الورقة ٥٧ من مخطوطة البغدادى بدار الكتب المصرية ، وما بين معكفين فهو منها .

(٢) فى الفرحة : « فى هذه الأبيات » .

(٣) فى الفرحة : « هوانا مهينا » .

ورَمْيٍ على كلِّ عزّافةٍ تردُّ الشِّمال وتعطى اليمينا
وكنّا مع الخيل حتى استوت شبابُ الرجال وسَرُّوا العيونا
ولما تبيَّنَّ أصواتنا رِئِمن وفدَّيننا بالأبينا

انتهى ما أورده أبو محمد .

و (رئمن) بمعنى عطفن وحَنَنَّ من الحنين ، ومعناه على رواية (بكين) أنَّهنّ بكين فرحا بسلامتهم ، وفدَّينهم بآبائهن إشفاقا عليهم .

وقوله عزَتنا ، من عزوته إلى أبيه : إذا نسبته إليه . أراد : نُسبت نساء بنى عامر إلينا ، وقلن نحن منكم .

وقوله : فسُمنا الرجال ، من سامه خسفا ، أى أولاه ظلماً ومهانة .

وقوله : بضرب إلخ هو متعلّق بسُمنا ، يقال : ولغَ فى الإناء يلَغ ولْغا وولُوغا إذا شرب مافيه بأطراف لسانه . وقوله : تسمع ، صفة ضرب ، والهامة الرأس ، وضمير منها للرجال[١] .

وقوله : ورميٍ ، إلخ هو بالجرّ عطف على ضرب . والعزّافة : الشُّجاع الجهير الصوت[٢] ، وهو صيغة مبالغة من العَزْف ، بالعين المهملة والزاى المعجمة والفاء ، وَهو الصَّوت . أى ورميٍ على كلِّ شجاع صيِّت يردُّ الضرب عن شِماله ويُعطيه عن يمينه .

---

(١) كذا فى النسختين ، وهو سهو من البغدادى ، صوابه « وضمير فيه للضرب » .

(٢) كذا . والحق أن العزافة هى القوس ، يقال عزفت عزفا وعزيفا : صوتت .

زياد بن واصل

وزياد بن واصل من شعراء بنى سُلَيم ، وهو جاهلىٌّ كما قال سيبويه[١] . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والعشرون بعد الثلاثمائة[٢] :

٣٢٩ (وكنتُ لهُ كشَرٍّ بنى الأَخِينا)

على أن أخا يجمع على (أخين) جمع مذكّر سالم كما يجمع أب على أبين .

وهذا عجز ، وصدره :

(وكان لنا فَزَارةُ عمَّ سَوْء)

وهذا البيت أورده أبو زيد مفرداً فى نوادره[٣] ، ونسبه إلى عَقيل بن عُلَّفَة المرِّىّ ، وقال : أراد الإخوة .

قال ابن الشجرىّ (فى أماليه) : وأما قول الآخر ، وهو من أبيات الكتاب[٤] :

٢٧٧ فقلنا أسلموا إنّا أُخوكم فقد بَرِئت من الإحَنِ الصُّدُور

---

(١) هذا يوهم أن سيبويه عين اسمه أيضا ، ولكن سيبويه لم يذكر اسم الشاعر ، بل قال بعد أن روى الشاهد : « أنشدناه من نثق به وزعم أنه جاهلى » .

(٢) نوادر أبى زيد ١١١ ، ١٩١ والبيان ١ : ١٨٦ واللسان (أخا ٢١) .

(٣) فى الموضعين ١١١ ، ١٩١ .

(٤) وكذا فى أمالى ابن الشجرى ٢ : ٣٨ . والحق أن البيت ليس من أبيات الكتاب ، كما سيأتى فى كلام البغدادى ، الا أن يكون احد شراح شواهده قد تعرض له .

فقيل : إنه وضع الواحد موضعَ الجمع ، وقيل : إنّه جمع أخ كجمع أب على أبين ، وحذف النون من أخون للإضافة . ومن قال الأبون والأخون قال فى التثنية الأبان والأخان ، فلم يردَّ اللام فى التثنية كما لم يردَّها فى الجمع . انتهى.

أقول هذا البيت ليس من شواهد الكتاب ، وأورد الجاحظُ (فى البيان والتبيين) ما قبل البيت الشاهد قال : وقال الآخر فى إنجاب الأمّهات وهو يخاطب بنى إخوته :

عفاريتاً علىَّ وأخذِ مالى وعَجزاً عن أناسٍ آخَرينا[1]
فهلاّ غيرَ عمّكم ظلمتمْ إذا ما كنتُم متظلّمينا
ولو كنتم لِمُكْيِسةٍ أكاسَتْ وكَيسُ الأمِّ كَيسٌ للبنينا
ولكنْ أمُّكمْ حمُقَت فجئتمْ غِثاثاً ما نرى فيكمْ سمينا
وكان لنا فَزارةُ عَمَّ سَوء وكنتُ له كشرِّ بنى الأخِينا

وقوله : متظلّمينا ، فى الصحاح : تظلّمنى فلان ، أى ظلمنى مالى . وقوله : ولو كنتم لمكْيسة ، إلخ هو بضمّ الميم وسكون الكاف وكسر التحتيّة ، هى المرأة التى تلد أولاداً أكياساً . وأكاست المرأة : ولدت ولداً كيّساً . قال صاحب الصحاح : الكَيْس : خلاف الحمق ، والرجل كيِّس مكيَّس باسم المفعول ، أى ظريف ، والكِيسَى ، بالكسر : نعت المرأة الكيّسة، وهو تأنيث الأكيس ، وكذلك الكُوسى بالضم ، وقد كاس الولدُ يكيس كيْساً . وأكْيَسَ

---

(١) هذا البيت وثلاثة بعده فقط فى اللسان (كيس) ، مع نسبتها الى رافع بن هريم .

وفى البيان ١ : ١٨٥/٥٧٤ : « عفاريتاً على » و « وعجزاً » ، بالنصب فيهما . وفى اللسان (كيس) :

عفاريتا على واكل مالى وجبنا عن رجال آخرينا

الرجلُ وأ كاس ، إذا ولد له أولاد أ كياس . وأنشد هذا البيت مع ما بعده .
وروى المصراع الثانى هكذا :

* فـكَيس الأمّ يُعرَف بالبنينا *

وكذا أنشدهما الصاغانىّ (فى العباب) ونسبه إلى رافع بن هُرَيم .
وقد رَجعتُ إلى ديوان رافع بن هريم ، فلم أجد فيه إلاّ البيتين الأوّلين وهما :

عفاريتٌ علىّ وأخذِ مالى . . . . . البيت

والبيت الذى بعده . وليس فيه البيتان اللذان أوردهما صاحبُ الصحاح
والعبابِ منسوبين إليه .

وقوله : ولـكنّ أمّـكم حمُقت ، بضم الميم ، أىصارت حمقاء . والغِثاث ،
بكسر المعجمة بعدها مثلَّثة : جمع غثيث بمعنى المهزول ، كـكرام جمع كريم .
وفَزارة ، بفتح الفاء والزاى المعجمة : أبو حىّ من غطَفان ، وهو فَزارة
ابن ذُبيان بن بَغيض بن رَيث بن غطَفان . والسَّوء ، بالفتح ، هو المؤذى .
فى المصباح وغيره : هو رجلَسَوء ، بالفتح والإضافة ، وعملُسَوء ، فإن عرّفت
الأول قلت : الرجل السَّوء والعمل السَّوء ، على النعت .

وقوله : (وكنتُ له) إلخ فى أ كثر نسخ الشرح (وكنتُ لهمْ) بضمير
الجمع ، وهو خطأ والصواب الإفراد ، وهو بالتـكلُّم لا بالخطاب . وإنما قال :
(كشَرٍّ) بالـكاف لا بدونها ، لأنّه أراد مثل أشرِّبنى إخوةٍ فى الدنيا ، ولم يردْ
أنّه مثلُ أشرِّبنى إخوة فَزارة .

والظاهر أنّ هذا البيت وحده لعَقيل بن عُلَّفة ، وهو غير مرتبطبالأبيات
التى أوردها الجاحظ قبله . وتلك الأبيات البيتان الأوّلان منها ، رأيتهما فى
ديوان رافع بن هُرَيم ، من رواية أبى عمرو .

رافع بن هريم

ورافع هُو رافع بن هريم بن عبد الله بن الحارث بن عاصم بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع . قال أبو زيد (فى نوادره) : هو شاعر قديم أدرك الاسلام وأسلَمَ(١) . وديوانه صغير ، وهو عندى وعليه خطُّ أبى العباس ثعلب إمام الكوفيين ، وخطُّ الحسن بن الخشّاب البغدادى ، وليس فيه من شواهد هذا الشرح شىء . وهُريم بضم الهاء وفتح الراء المهملة .

عقيل بن علفة

وأما عَقِيل بن عُلَّفة فهو شاعر فصيح مُجيد من شعراء الدولة الأمويّة . وعَقيل بفتح العين وكسر القاف . وعُلَّفة ، بضمّ العين المهملة وتشديد اللام المفتوحة بعدها فاء ، وهو علم منقول من واحد العلّف ، وهو ثمر الطلح .

وهو عَقيل بن عُلَّفة بن الحارث بن معُاوية بن ضِباب بن جابر بن يربوع بن غَيظ بن مرة بن سعد(٢) بن ذبيان بن بَغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر . وأمّه عَمْرة بنت الحارث بن عوف المرّى(٣) . وأمُّها بنت بدر بن حصن بن حذيفة(٤) .

قال صاحب الأغانى ، كان عَقيلٌ هذا جافيا أهوجَ شديدَ الغَيرة والعجرفيّة وهو فى بيت شرفٍ فى قومه من كِلا طرفيه . وكان لا يرى أنّ له كفئاً ، وكانت قريش ترغب فى مصاهرته ، وتزوّج إليه من خلفائها(٥) وأشرافها ،

(١) الذى فى النوادر ٢٢ : « وقال رافع بن هريم ، اسلامى » . وفى ص ٦٩ : « وقال رافع بن هريم وأدرك الاسلام » .

(٢) فى جمهرة ابن حزم ٢٥٣ « غيظ بن مرة بن عوف بن سعد ابن ذبيان » .

(٣) فى الأغانى ١١ : ٨٢ : « وأم عقيل بن علفة العوراء ، وهى عمرة بنت الحارث بن عوف » .

(٤) فى الأغانى : « زينب بنت حصن بن حذيفة » .

(٥) ط : « حلفائها » ، صوابه فى ش والأغانى .

وخطب إليه عبدُ الملك بن مرْوانَ بعض بناته لبعض وَلَده ، فأطرق ساعة ثم قال : إنْ كانَ ولا بدّ فجَنِّبنى هُجناءك ! فضحك عبد الملك وعَجِب من كِبْر نفسه على ضيقته وشدّة عيشته بالبادية .

ودخل على عثمان بن حَيان — وهو أمير المدينة — فقال له عثمان : زوِّجنى بعضَ بناتك . فقال : أبكرةً من إبلى تعنى ! فقال له عثمان : أمجنونٌ أنت ؟ قال : أىَّ شىءٍ قلتَ لى ؟ قال : قلت لك : زوِّجنى ابنتَك . فقال: إن كنتَ تريد بكرةً من إبلى فنعَمْ . فأمر به فوُجئت عنقه ، فخرج وهو يقول :

لحا الله دهراً ذَعذَعَ المالَ كلَّه وسوَّدَ أبناء الإماءِ العَوارِكِ

وكان له جار جُهَنِى ، وقيل سَلامانىّ ، فخطب إليه ابنتَه ، فغضب عَقيلٌ وأخذه فكتَفَه ودهَنَ استَه بشحمٍ أو زيت ، وأدناه من قرية النمل ، فأكل خصيتيه حتى ورم جسده ، ثم حلّه وقال : يخطب إلىَّ عبدُ الملك فأردُّه ، وتجترىءُ أنت علىَّ فتخطب ابنتى !

ورَوى أنَّ عمر بن عبد العزيز عاتبَ رجلاً من قريش أمُّه أختُ عقيل ابن علّفة ، فقال له : قبَحَكَ الله ، لقد أشبهت خالَكَ فى الجفاء ! فبلغت عقيلاً فرَحَل من البادية حتَّى دخل على عمر فقال له : أما وجدتَ لابن عمِّك شيئاً تعيِّره به إلاّ خئولتى ، قبَح [الله] شراً كما خالا ! فقال عمر : إنك لأعرابىٌّ جافٍ ، أما لو كنتُ تقدَّمتُ إليك لأدّبتك ، والله ما أراك تقرأ شيئاً من كتاب الله . فقال : بلى ، إنى لأقرأ . ثم قرأ : إنا بعثنا نوحاً إلى قومه ! فقال له عمر : ألم أقل إنك لاتقرأ ؟ فقال : ألم أقرأ ؟ فقال : إن الله قال : ﴿ إنا أرسلْنا نوحاً ﴾ . فقال عَقيل :

خُذُوا بطْنَ هَرْشَى أو قفاها، فإنه ... كِلا جانِبَيْ هَرْشى لهنّ طَرِيقُ(١)

فجعل القوم يضحكون من عَجرفته ويعجبون .

ورَوى أنّه قرأ (إذا زُلزلت الأرض) حتّى بلغ آخرها ، فقدّم (ومن يَعمل مِثقالَ ذرّة شرًّا يره) على : (فمن يَعملْ مِثقال ذرّة خيراً يره) فقال له عمر : إنّ الله تعالى قدّم الخير وأنت قدّمت الشرَّ ! فأنشد البيت .

وأورده صاحب الكشّاف فى (إذا زلزلت) لهذه الحكاية . ٢٧٩

وهَرْشى بالفتح والقصر : ثنيَّة فى طريق مكة حرسها الله ، قريبة من الُجحفة يُرى منها البحر . وهذا مثلٌ فى التخيير . ولهرشى طريقان ، من سَلك أيَّهما شاء أصاب . وضمير لهنّ للإبل . والمعنى يا صاحبيَّ سِيرا فى بطن هذه الثنيَّة أو قَفاها ، أى أمامها أو خلفها ، فإنّ كلا جانبيها طريقٌ للإبل . كأنه ظنّ أن التقديم والتأخير فى هذا المقام لا يضر، وهو غفلةٌ عن المزايا القرآنية .

وقدِم عَقيلٌ المدينة فدخل المسجد ، وعليه خفّان غليظان ، فجعل يضرب برجله ، فضحكوا منه ، فقال : ما يُضحككم ؟ فقال له يحيى بن الحكم ـ وكانت ابنة عَقيل عنده ، وكان أميراً على المدينة ـ إنّهم يضحكون من خفَّيك وضربك برجليك ، وجفائك . فقال : لا ، ولكنّهم يضحكون من إملاقك ، فإنّها أعجبُ من خُفَّيَّ .

* * *

(١) الرواية : « خذا بطن هرشى » بخطاب الاثنين ، وقد حورها الشنقيطى فى نسخته الى « خذا » كما فى الأغانى ومعجم البلدان ومعجم ما استعجم .

وأنشد بعده، وهو الشاهد الثلاثون بعد الثلاثمائة وهو من شواهد س[١] :

٣٣٠ (رُحْتِ وفى رِجليك ما فيهما وقد بَدا هَنْكِ من المِئزَرِ)

على أن تسكين (هن) فى الإضافة للضرورة، وليس بلغة .

وأورده سيبويه فى باب الإشباع فى الجرّ والرفع وغير الإشباع قال : وقد يجوز أن يسكنوا الحرف المجرور والمرفوع فى الشعر ، شبّهوا ذلك بكسر فَخِذ حيث حذفوا فقالوا فَخْذ، وبضمّة عضُدٍ حيث حذفوا فقالوا : عضْد، لأنّ الرفعة ضمة والجرّة كسرة . ثم أنشد هذا البيت .

ومثله فى الضرورة قول جرير :

سيرُوا بَنى العمِّ فالأهوازُ منزلُكم ونهرُ تِيرَى ولا تَعْرِفْكم العربُ[٢]

ومن أبيات الكتاب أيضاً[٣] :

فاليومَ أشربْ غيرَ مستحقبٍ إثماً من اللهِ ولا واغِلِ

قال ابن جنّي (فى المحتسب) : وأما اعتراض أبى العباس للمبرّد هنا على الكتاب فإنّما هو على العرب لا على صاحب الكتاب، لأنه حكاه كما سمعه، ولا يمكن فى الوزن أيضاً غيره . وقول أبى العباس : إنّما الرواية فاليوم فاشربْ ، فكأنه قال لسيبويه : كذبتَ على العرب ولم تسمعْ ما حكيتَه

---

(١) فى كتابه ٢ : ٢٩٧ . وانظر الخصائص ١ : ٧٤/٣ : ٩٥ والمحتسب ١ : ١١٠ وابن الشجرى ٢ : ٣٧ والعمدة ٢ : ٢١١ وابن يعيش ١ : ٤٨ والعينى ٤ : ٥١٦ عرضا والهمع ١ : ٥٤ .

(٢) فى الديوان ٤٨ والبلدان (نهرتيرى) : « فلم تعرفكم العرب » . و « ولم تعرفكم » . وفى سمط اللآلى ٥٢٧ : « فما تعرفكم» وبرواية الخزانة والسمط يصح الاستشهاد .

(٣) سيبويه ٢ : ٢٩٧ . وهو لامرىء القيس .

عنهم . وإذا بلغ الأمر هذا الحدَّ من السرف ، فقد سقطت كُلفة القول معه .
وكذلك إنكاره عليه أيضاً قولَ الشاعر :

* وقد بدا هنْك من المئزر *

فقال : إنما الرواية :

* وقد بدا ذاكِ من المئزر *

وما أطيبَ العروسَ لولا النَّفقة . انتهى

وهذا البيت ثالث أبياتٍ للأُقيشر الاسدى .

صاحب الشاهد

قال صاحب الأغانى وغيره : سكِر الأقيشرُ يوماً فسقط ، فبدت عورتُه وامرأته تنظر إليه ، فضحكت منه وأقبلت عليه تلومُه وتقول له : أما تستحى يا شيخ من أن تبلغ بنفسك هذه الحالة ! فرفع رأسه إليها وأنشأ يقول :

تَقول : يا شيخُ أما تستَحى	مِن شُربكَ الخمرَ على المَكْبِرِ
فقلت : لو باكرتِ مَشمولةً	صَهْباً كلَونِ الفرَس الأشقر
رُحتِ وفى رجلَيكِ عُقّالةٌ	وقدْ بدا هَنْكِ مِن المِئْزَرِ !

انتهى . وقال بعض من كتب على شواهد سيبويه : مرَّ سكرانَ بسكّة بنى فَزارة ، فجلس يُريق الماء ، ومرَّ به نسوةٌ فقالت امرأة منهنّ : هذا نشوانُ قليلُ الحياء ، أما تستحى يا شيخ من شربك الخمر ؟ فقال ذلك .

٢٨٠

وقال ابن الشجرى (فى أماليه) : مر الفرزدق بامرأةٍ وهو سكران يتواقع ، فسخِرت منه ، فقال هذه الأبيات . انتهى ، والصواب الأول .

وقوله : أما تستحى ، هو شاهدٌ على أنه يقال استحى يستحى كاستبى يستبى . وقد قرأ يعقوب وابن مُحيصن : (إن الله لا يَستَحِى أن يَضربَ

مثلا[١]) بياء واحدة ، ورويت عن ابن كثير أيضاً ، وهى لغة تميم .
قال ابن هشام (فى شرح بانت سعاد[٢]) : والأصل بياءين فنقلت حركة العين إلى الفاء فالتقى ساكنان : فقيل حذفت اللام فالوزن يَسْتَفِعِ ، وقيل حذفت العين فالوزن يَسْتَفِلِ .

وروى بدل الخمر (الراح) وهى بمعناها . وقوله : على المَكْبِر ، بفتح الميم وكسر الموحَّدة ، مصدر كبر يكبر من باب علم أى أسنّ، والمصدر الكِبَر بكسر ففتح والمَكبِر أيضاً ، قال صاحب الصحاح : يقال علاه المَكبِر بكسر الباء ، والاسم الكَبْرة بفتح الكاف وسكون الباء أى السن . وباكرت بمعنى سارعت فى البُكرة . والمشمولة : الخمر الباردة الطعم ، والأصلُ فى المشمولة التى ضربتها ريح الشَمال حتّى بَرَدت ، يقال : غدير مشمول، ونحوه . ويقال للخمر شَمُول أيضاً ، لأنّها تشتمل على عقل صاحبها ، وقيل لأنّ لها عصفةً كعصفة الريح الشمال . والصُهْبة : الشقْرة ، وسميت الخمر الصهباء للونها ، وهى ممدودة وقد قصرها للضرورة ، وفيه ردٌّ على الفرّاء إذ زعم أنه لا يقصر للضرورة إلاّ ما مأخذه السماع ، ولا يجوز قصرُ الممدودِ القياسى .

وقوله : (وفى رجليك ما فيهما) يريد أن فيهما اضطراباً واختلافا . ورُوى : (وفى رجليكِ عُقّالةٌ) وهو بضمٍّ العين وتشديد القاف : ظَلْع يأخذ

---

(١) الآية ٢٦ من سورة البقرة .

(٢) عند الكلام فى قول كعب :

شجت بذى شبم من ماء محنية صاف بأبطح أضحى وهو مشمول

فى القوائم . و (بدا) بمعنى ظَهر . و (الهَنُ) : كناية عن [كلّ ما يقبُح[١]] ذِكرُه ،وأراد به هنا الفرج . و (المِئزر) هو الإزار ، كقولهم مِلحف ولحاف .

الأقيشر

والأقيشر : مصَغَّر أقشَر ، قال صاحب الصحاح : رجل أقشر بيِّن القَشَر بالتحريك ، أى شديد الحمرة .

قال صاحب الأغانى[٢] : الأقيشر لقبٌ لقّب به ، لأنه كان أحمرَ الوجه أقشر . واسمه المغيرة بن عبد الله بن مُعْرِض بن عمرو بن أسد بن خزيمة[٣] ويكنى أبا مُعرض بضم الميم وكسر الراء الخفيفة .

وقال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : اسمه المغيرة بن الأسود بن وَهب ، أحد بنى أسد بن خزيمة .

قال صاحب الأغانى : وعُمِّر الأقيشر عمراً طويلا . ولد فى الجاهلية[٤] ، وكان كوفياً خليعاً ، ماجناً ، فاسقاً ، فاجراً مدمنَ الخمر ، قبيحَ المنظر . وهجاهُ رجلٌ من بنى تميم فقال :

يا أيها المبتغى حُشّاً لحاجتِه وجهُ الأقيشر حُشٌّ غيرُ ممنوعِ

---

(١) تكملة ليست فى النسختين .

(٢) ترجمة الأقيشر فى الأغانى ١٠ : ٨٠ ــ ٩٠ والمؤتلف ٥٦ والمرزبانى ٣٦٩ ــ ٣٧٠ .

(٣) فى النسختين : « بن عمرو بن معرض بن أسد بن خزيمة »، وكلمة « معرض » مقحمة ، وليس لأسد من اسمه معرض . جمهرة ابن حزم ١٩٠ . والصواب ما أثبت من الأغانى والاصابة ٥٤٤٩ .

(٤) نص أبى الفرج :« وما أخلقه بأن يكـــون ولد فى الجاهلية ونشأ فى أول الاسلام » .

(والحُشُّ ، بضمّ الحاء المهملة وتشديد الشين المعجمة : بيت الخلاء)

قال ابن قتيبة : وكان يغضب إذا قيل له أقيشر . فمرّ يوماً بقوم من بنى عبس فقال رجل منهم : يا أقيشر ! فسكت ساعة ثم قال :

أتدعونى الأقيشرَ ! ذاك إسمى وأدعوك ابنَ مُطفِئة السّراجِ [1]
تنادى خِدنَها بالليل سِرًّا وربُّ الناسِ يَعلمُ ما تناجى [2]

فسمّى الرجلُ ابنَ مطفئة السراج ، وولده ينسبون إلى ذلك إلى اليوم .

قال صاحب الأغانى : وله حكاياتٌ فى شرب الخمر والافتراء على الخمّارين، ولم يسلَمْ من هجوه أحَد .

٢٨١ وقد أطنب صاحب الأغانى فى قبائحه : منها أنه كان له ابن عمٍّ موسر فكان يسأله فيعطيه ، حتى كثُر ذلك عليه فمنعه فقال : إلى كم أُعطيك وأنت تنفقه فى شرب الخمر ! لا والله ، لا أعطيك شيئاً ! فتركه حتى اجتمع قومُه فى ناديهم — وهو فيهم — ثم جاء فوقف عليهم ثم شكاه إليهم وذمه ، فوثب إليه ابن عمه فلطمَه ، فأنشأ يقول :

سريعٌ إلى ابن العمِّ يَلطِمُ وجهَه وليس إلى داعى النَدَى بسريعِ
حريصٌ على الدنيا مُضيعٌ لدِينه وليس لما فى بيته بمُضِيعِ

والبيت الأول أورده صاحب تلخيص المفتاح ، شاهداً لردّ العجز على الصدر [3] .

---

(١) فى الشعراء ٥٤١ : « ذلك اسمى » ، فتنتفى الضرورة .
(٢) فى بعض نسخ الشعراء : « من تناجى » .
(٣) دلائل الاعجاز ٩٩ ومعاهد التنصيص ٢ : ٨٢ .

ومنها أنه كان عِنِّيناً لا يأتى النساء ، وكان يصف ضدَّ ذلك من نفسه ، فجلس إليه يوماً رجلٌ من قيس فأنشده الأقيشر :

ولقد أروحُ بمُشرفٍ ذى ميعةٍ عَسِر المَكَرَّةِ ماؤُه يتفصَّدُ(١)

مِرحٍ يَطيرُ من المِراحِ لُعابُه ويَكاد جِلْدُ إهابِه يتقدَّدُ(٢)

ثم قال للرجل : أتعرف الشعر ؟ قال: نعم . قال :ما وصفتُ ؟ قال : فرساً. قال : أفكنتَ لو رأيتَه ركبته ؟ قال : إى والله — وأمالَ عطفَه — فكشف الأقيشر عن أيره وقال : هذا وصفتُ فقم واركَبْه . فوثبَ الرجلُ عن مجلِسه وهو يقول : قَبَّحك الله من جَليس !

وذكره ابن حجر (فى قسم المخضرَمين من الإصابة) ، وأورد له هذين البيتين .

ومنها : أنَّ عَمَّةَ الأقيشر قالت له يوماً : اتق الله وقم فصَلِّ ! فقال : لا أصلى ! فأكثرت عليه فقال : قد أبرمتِنى ، فاختارى خَصلةً من خَصلتَيْن . إما أن أصلّىَ ولا أتطهَّر ، أو أتطهَّرَ ولا أصلِّى ! قالت : قبحك الله ، فإن لم يكن غيرُ هذا فصلِّ بلا وضوء . فصلى بلا وضوء .

ومنها أنَّه أتى إلى قيس بن محمد بن الأشعث — وكان ضَريراً وناسكا —

(١) ط : « يتنضد » ، وفى ش والأغانى : « يتقصد » ، صوابه من الاصابة ، وقال الميمنى : « رواهما أبو تمام فى الحماسة بتغيير القافية : يتدفق ، ويتمزق . وفى كنايات الجرجانى ٢٠ عن ابن دريد لأعرابى وقف على أبى عبيدة ، بزيادة :

حتى علوت به مشق ثنية طورا أغور به وطورا أنجد

(٢) الاصابة : « جلد أريمه » ، وفى الأغانى : « وتكاد جلدته به تتقدد » . وانظر الحماسة بشرح المرزوقى ١٨٨٠ .

فسأله فأعطاه ثلثمائة درهم ، فقال . لا أريدها جُملة ، ولكن مر القَهرُمان أن يعطينى فى كلّ يومٍ ثلاثةَ دراهم حتى تَنفَد . فأمر بذلك ، فكان يأخذها ، فجعل درهماً لطعامه ، ودرهماً لشرابه ، ودرهماً لدابةٍ تحمله إلى بيوت الخمّارين؛ فلما نفدت الدراهمُ ، أتاه الثانيةَ فسأله فأعطاه كالأولى ، وعمل بها مثل ذلك . ثمّ أتاه الثالثة فأعطاه وفعلَ مثل ذلك وأتاه الرابعةَ فسأله فقال قيس : لا أُبالك كأنّك قد جعلته خراجاً علينا . فانصرف وهو يقول :

ألم ترَ قيسَ الأكْمَهَ ابنَ محمّدٍ يقولُ ولا تلقــاه للخير يَفعلُ
رأيتُك أعمى العينِ والقلبِ مُمسكاً وما خيرُ أعمى العينِ والقلْبِ يَبخلُ
فلو صَمَّ تمّتْ لعنــةُ اللهِ كلُّهــا عليهِ ، وما فيه من الشرّ أفضلُ

فقال قيس ، لو نجا أحدٌ من الأقيشر لنجوت منه !

ومنها : أنّه تزوّج بابنة عم له ، يقال لها الرَّباب ، على أربعة آلاف درهم ، فأتى قومَه وسألهم فلم يعطوه شيئاً ، فأتى ابنَ رأسِ البغل — وهو دِهقان الصِّين ، وكان مجوسياً — فسأله فأعطاه الصداق كاملاً ، فقال[1] :

كفانى المجوسىُّ مَهرَ الرَّبابِ فِدًى للمجوسىّ خالى وعمْ[2]
شهدتُ عليكَ بِطيب الأرُومِ فإنّك بحرٌ جوادٌ خِضَمّْ[3]
وإنّك سيدُ أهلِ الجحيمِ إذا ما تردَّيتَ فيمن ظَلَمْ

---

(١) الأبيات فى الحيوان ٥ : ١٥٩ للحكم بن عبدل أو غيره ، وفى عيون الأخبار ٢ : ١٩٦ منسوبة لبعض الأعراب ، وفى الشعراء ٣٣ لمجهول ، وفى نهاية الأرب ٤ : ٥٣ للأقيشر نقلا عن الأغانى .

(٢) فى نهاية الأرب : « هم الرباب » .

(٣) فى القاموس : « والأرومة ، وتضم : الأصل ، جمعه أروم» .

تجاوِرُ هامانَ في قعرِها وفرعونَ والمكتَنِي بالحكَمْ

فقال المجوسيُّ: ويحك. سألتَ قومك فلم يُعطوك شيئاً وجئتني فأعطيتُك فجزيتَني هذا القول! فقال: أوَما ترضى أن جعلتُك مع الملوك وفوق أبي جهل!

ومن شعره:

يا أيُّها السائلُ عمَّا مضى من علم هذا الزمنِ الذاهبِ[1]
إن كنتَ تبغي العلمَ أو أهلَه أو شاهداً يُخبِرُ عن غائبِ
فاعتَبرِ الأرضَ بأسمائها واعتبرِ الصاحبَ بالصاحبِ[2]

ومن قصيدة له:

لا تَشرَبَنْ أبداً راحاً مُسارَقةً إلاَّ معَ الغُرِّ أبناءِ البطاريقِ
أفني تِلادِي وما جمَّعتُ من نَشَبٍ قَرعُ القَواقيزِ أفواهَ الأباريقِ[3]

وهذا البيت من أبيات مغني اللبيب في الباب الخامس.

ومن هذه القصيدة:

عليكَ كلَّ فتًى سَمْحٍ خلائقُه مَحضِ العرُوقِ كريمٍ غيرِ ممذوقِ
ولا تصاحِبْ لئيماً فيه مَقرَفةٌ ولا تَزُورَنَّ أصحابَ الدوانيقِ

---

(١) الأبيات من قصيدة طويلة في شعر الأعشين ٢٧٥ منسوبة الى أعشى جلان. وفي البيان ١ : ٥٤ أن معاوية تمثل بها.

(٢) ط: «فاختبر الأرض»، تحريف.

(٣) في شرح شواهد المغني ٣٠١: «أفواه يروى بالرفع فاعلا وبالنصب مفعولا، لأن من قرعك فقد قرعته».

وكان الأقيشر مولعاً بهجاء عبد الله بن إسحاق[١] ، ومدح أخيه زكرياً[٢] ، فقال عبد الله لغلمانه : ألا تريحونَا منه ؟ فانطلقوا فجمعوا بَعراً وقَصباً بظهر الكوفة ، وجعلوه فى حُفرة ، وأقبل الأقيشر وهو سكرانُ من الحِيرة ، على بغل رجلٍ مُكارٍ ، فأنزله عن البغل وعاد ، فأخذوا الأقيشر فشدّوه ثم وضعوه فى تلك الحفرة ، وألهبوا النَّار فى القصب والبعر ، وجعلت الريح تلفح وجهَه وجسمَه بتلك النار ، فأصبح ميِّتاً ولم يُدرَ مَن قتله . وكان ذلك فى حدود الثمانين من الهجرة .

تتمـــة

ذكر الآمدىّ (فى المؤتلف والمختلف) مَن اسمه الأُقيشر ، ومن اسمه الأقيسِر من الشعراء .

فالأقيشر هو المغيرة بن عبد الله الأسدىّ الشاعر المشهور ، وصاحب الشراب .

والأقيسر[٣] هو صاحب لواء بنى أسد ، جاهلى . قال ابن حبيب : اسمه عامر بن طريف بن مالك بن نصر ، وأنهى نسبه إلى دُودان بن أسد بن خزيمة .

* * *

---

(١) هو عبد الله بن اسحاق بن طلحة بن عبيد الله ، كما فى نهاية الأرب ٤ : ٥٦ .

(٢) هو زكريا بن اسحاق بن طلحة ، وفيه يقول (الأغانى ١٠ : ٨٢) :

قرب الله بالسلام وحيا زكريا بن طلحة الفياض

(٣) الذى فى المؤتلف ٥٥ : « الأقشر » .

وأنشد بعده، وهو الشاهد الحادى والثلاثون بعد الثلثمائة(١) :

٣٣١ (حَتَّى إذا ما خَرَجَتْ من فُمِّهْ)

على أنّ تشديد الميم مع ضمّ الفاء وفتحها ضرورة وليس بلغة عند ابن جنّى .

أقول : قاله ابن جنّي (فى سرّ الصناعة، فى حرف الميم) وهذه عبارته : اعلم أنّ الميم حرف مجهور، يكون أصلاً، وبدلا، وزائداً .

فالأصل نحو مَرَس وسَمر ورسم .

وأما البدل فقد أبدلت من الواو ، والنون، والباء، واللام . أما إبدالها من الواو فقولهم فم وأصله فَوْه بوزن سوط ، فحذفت الهاء تخفيفاً ، فلما بقى على حرفين ثانيهما حرف لين، كرهوا حذفه للتنوين فيجحفوا به ، فأبدلوا من الواو ميماً للقرب، لأنّهما شفهيّان، وفى الميم هواء فى الفم يضارع امتداد الواو . ويدلّ أنّ فم مفتوح الفاء وجودك إياها مفتوحةً فى هذا اللفظ ، وهو المشهور . وأمّا ما حكى فيها أبو زيد وغيره، من كسر الفاء وضمّها ، فضربٌ من التغيير لحق الكلمةَ لإعلالها بحذف لامها وإبدال عينها . وأمّا قول الآخر :

٢٨٣

يا ليتَها قد خرجتْ من فُمِّه حتى يعود الملكُ فى أُسطُمِّه

يروى بضمّ الفاء وفتحها، فالقول فى تشديد الميم عندى أنّه ليس ذاك

---

(١) اصلاح المنطق ٥٦ والخصائص ٣ : ٢١١ وابن الشجرى ٢ : ٣٥ وابن يعيش ١٠ : ٣٣ والهمع ١ : ٣٩ وملحقات ديوان العجاج ٨٩ .

بلغة . ألا ترى أنك لا تجد لهذه للشدَّدة للميم تصرُّفاً . إنّما التصرّف كلُّه على: ف و ه ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ يقُولونَ بأفواهِهم [(١)] ﴾ ، وقال الآخر [(٢)] :

فلا لَغْوٌ ولا تأثيمَ فيها   وما فاهُوا به أبداً مقيمُ [(٣)]

وقالوا : رجل مفوَّه : إذ أجادَ القول ، لأنه يخرج من فيه . وقالوا : ماتفوّهت به ، وهو تفعّلت . وقالوا في جمع أفوه ، وهو الكبير الفم : فُوهٌ . ولم نسمعهم قالوا : أفمام ، ولا تفمّمت ، ولا رجل أفمّ كما قالوا أصم. فدلّ اجتماعهم على تصريف الكلمة بالفاء والواو والهاء على أن التّشديد لا أصل له ، وإنما هو عارضٌ لِحقَ الكلمةَ .

فإن قال قائل : فإذا ثبت بما ذكرتَه أن التشديد ليس من أصل الكلمة، فمن أين أتاها ؟ وما وجه دخوله إياها ؟ فالجواب : أن أصل ذلك أنهم ثقّلوا الميم في الوقف فقالوا : هذا فمّْ كما يقولون هذا خالدّْ ، وهو يجعلّْ ، ثم إنَّهم أجرَوُا الوصلَ مُجرى الوقف فيما حكاه سيبويه عنهم من قولهم ثَلاثَهَرْبَعة ، وكقوله :

* ببازلٍ وَجْنَاءَ أو عَيْهَلّْ [(٤)] *

---

(١) الآية ١٦٧ من آل عمران .

(٢) هو أمية بن أبي الصلت . ديوانه ٥٤ والعيني ٢ : ٤٣٦ .

(٣) البيت ملفق من بيتين ، وهما :

وفيها لحم ساهرة وبحر   وما فاهوا به أبدا مقيم

وبعده بأبيات :

ولا لغو ولا تأثيم فيها   ولا غول ولا فيها مليم

(٤) لمنظور بن مرثد الأسدي ، كما في نوادر أبي زيد ٥٣ ومجالس ثعلب ٦٠٣ . وهو من شواهد سيبويه ٢ : ٢٨٢ .

فهذا وجه تشديد الميم عندى[1] .

فإن قلت : إذا كان أصل فم عندك فَوْه ، فما تقول فى قول الفرزدق :

* هُما نفثا فى فىَّ من فمويهما[2] *

وإذا كانت الميمُ بدلاً من الواو فكيف جاز له الجمع بينهما ؟

فالجواب : أن أبا علىّ حكى لنا عن أبى بكر وأبى إسحاق ، أنهما ذهبا إلى أنّ الشاعرَ جَمع بين العِوض والمعوَّض منه ؛ لأن الكلمة مجهورة منقوصة. وأجاز أبو على أيضاً فيه وجهاً آخر ، وهو أن تكون الواو فى فمويهما لاما فى موضع الهاء من الأفواه ، وتكون الكلمة يعتقب عليها لامانِ : هاء مرة ، وواو أخرى ، فيجرى هذا مجرى سنَةٍ وعِضة . ألا تراهما فى قول من قال سَنَوَات ، وأسنتوا ، ومساناة ، وعِضَوات، واويِّن ، وتجدهما فى قول من قال سنة سَنْهاء وبعير عاضه ، هائيِّين . وإذا ثبت بما قدّمناه أن عين فم فى الأصل واو، فينبغى أن يُقضَى بسكونها ، لأنَّ السكون هو الأصل .

فإن قلت : فهلاً قضيتَ بحركة العين بجمعك إياه على أفواه ، نحو بطل وأبطال ، وقدَم وأقدام ، ورسَن وأرسان ؟

فالجواب : أن فَعْلاً مما عينُه واوٌ بابُه أيضاً أفعال ، كسوط وأسواط ، وحوض وأحواض ، ففَوْهٌ لأنّ عينَه واوٌ بسوطٍ أشبَهُ منه بقدم ورسَن . فاعرف ذلك . انتهى كلام ابن جنّي باختصار قدر النصف .

---

(١) فى النسختين : « فهذا حكم تشديد الميم عندى » ، صوابه من النسخة رقم ١٣ ش من الخزانة .

(٢) هو الشاهد ٣٢٦ وقد سبق فى ص ٤٦٠ من هذا الجزء الرابع . وعجزه :

* على النابح العاوى أشد رجام *

وقول الشارح : « والجمع أفام » . يوهم أنه مسموع ، وقد نص ابن جنّي وصاحب الصحاح على أنَّه لايقال ذلك .

صاحب الشاهد والبيت من أرجوزةٍ للعجاج ، وقد تقدمت ترجمته فى الشاهد الحادى والعشرين من أوائل الكتاب[1] .

ورواية الشارح للبيت غير جيدة ، والصواب :

* ياليتَها قد خرجَت من فمِّه *

كما هو فى ديوانه . وكذا رواه ابن السكيت (فى إصلاح المنطق) . يقول :

٢٨٤ ياليتَها قد خرجتْ منْ فمِّه حتّى يعود الملك إلى أهله . ويجوز أن يكون أراد كلمة يتكلَّم بها . وأسطُمُّ الشيء : وسَطه ومعظمه . انتهى .

وقال صاحب الصحاح : يقال فلانٌ فى أسطُمَّة قومه ، أى فى وسطهم وأشرافهم . وأسطمَّة الحسب : وسطه ومجتمعه ، والأُطْسُمَّة مثله على القلب . وأنشد بيت العجاج وقال : أى فى أهله وحقّه ، والجمع الأساطم . وتميم تقول : أساتم ، تُعاقِب بين الطاء والتاء فيه ، وأورد البيت فى مادة الفاء والميم أيضاً .

* * *

وأنشد بعده :

(فلا أعْنِى بذلكَ أسفَليكُمْ ولكِنِّى أُريد به الذَّوِينا)

على أن قوله (الذوين) فيه شذوذان : أحدهما قطعُه عن الإضافة ، وثانيهما إدخال اللام عليه .

---

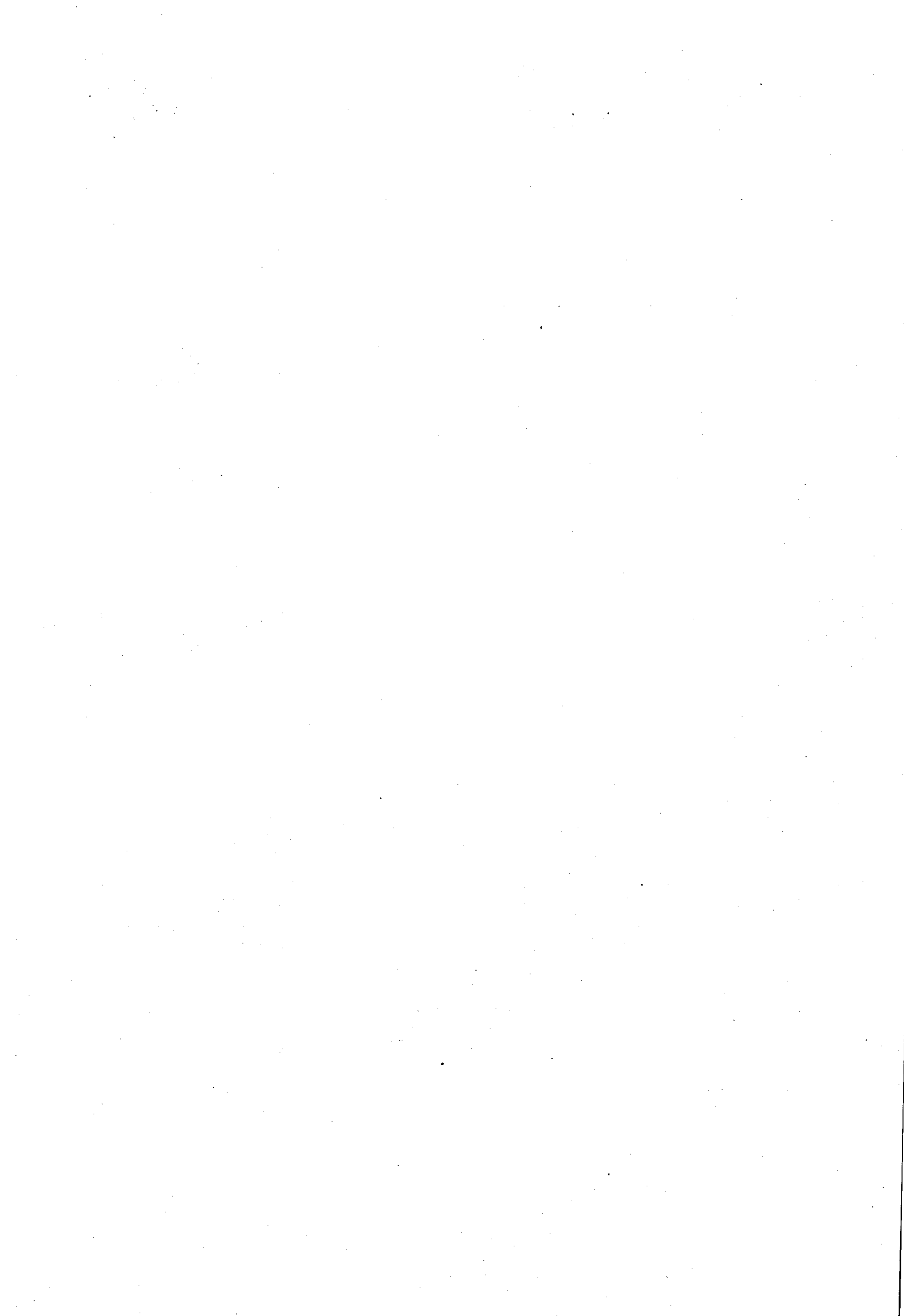
(١) الخزانة ١ : ٨٩ ، ١٧٠ .

وهذا البيت للكميت بن زيد ، من قصيدةٍ هجا بها أهلَ اليمن تعصُّباً لمضر . يقول : لا أعنِي بهجوى إيا كم أراذلَكم ، وإنما أعنى ملوككم ، كذى يزن ، وذى جدَن ، وذى نواس ، وهم التبابعة . والأسفلون : جمع أسفل ، خلاف الأعلى . وأراد بالذوين : الأذواء[1] .

وقد تقدّم شرح هذا البيت فى الشاهد السادس عشر من أوائل الكتاب[2] .

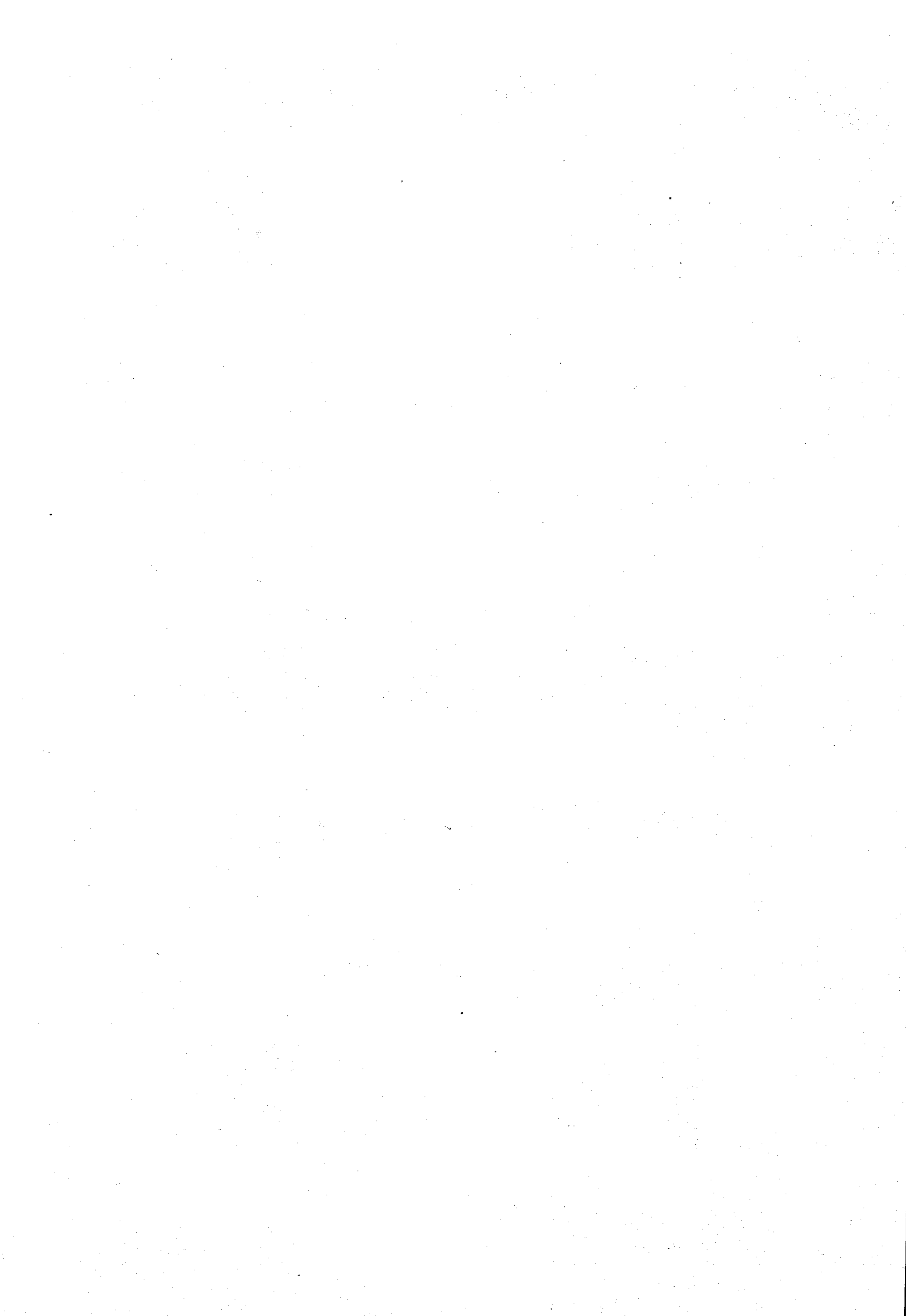
تم بعون الله تعالى وحسن تيسيره .
الجزء الرابع من خزانة الأدب
بتقسيم محققه

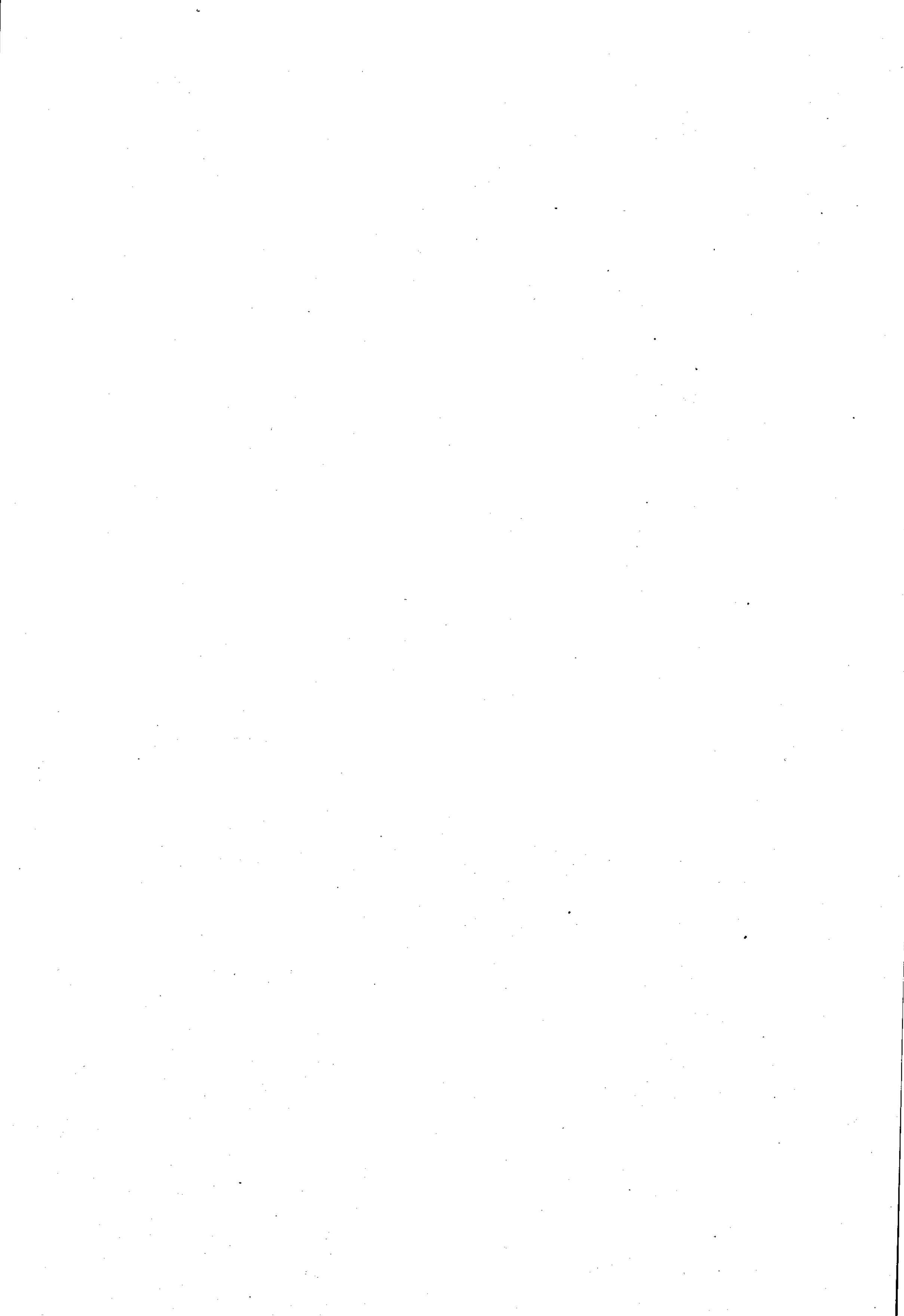
(١) انظر الخزانة ٢ : ٢٨٩ ـ ٢٩٣ .
(٢) الخزانة ١ : ١٣٩ ـ ١٤٣ .



(١)

فهرس التراجم





(ب)

فهرس الشــــواهد



باب خبر كان وأخواتها

باب المنصوب بلا التى لنفى الجنس

باب خبر ما ولا المشبهتين بليس

باب المجرورات : الإضافة



تأليف

عبد القادر بن عمر البغدادي

١٠٣٠ – ١٠٩٣

عبد السلام محمد هارون

الجزء الخامس

الطبعة الثانية

١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م

الناشر

مكتبة الخانجي بالقاهرة — دار الرفاعي بالرياض

صف هذا الكتاب بطريقة الجمع التصويرى

مكتبة الخانجى

ص . ب ١٣٧٥ القاهرة

مطبعة المدني

المؤسسة السعودية بمصر

٦٨ شارع العباسية - القاهرة . ت : ٨٢٧٨٥١

بسم الله الرحمن الرحيم

التوابع

النعت

أنشد فيه :

وهو الشاهد الثانى والثلاثون بعد الثلثمائة ، وهو من أبيات إيضاح أبى على الفارسىّ :

٣٣٢ (رَبّاءُ شَمَّاءَ لايأوِى لقُلَّتِها ... إلَّا السَّحابُ وإلَّا الأَوْبُ والسَّبَلُ(١))

على أنّ الموصوف قد يحذف فى الأغلب مع قرينةٍ دالّة عليه ، كما فى البيت . والتقدير : هو رجُلٌ ربَّاء هضْبة شمّاء . فحُذف الموصوف وأقيم الوصف مقامه فى الموضعين ، فإنّ ربَّاء فعّال ، وهو وصف مبالغة من قولهم : هو ربّاء لأصحابه بالهمز ، ربأ يربأ ، من باب منع ، إذا صار ربيئةً لهم ، أى ديدبانا . فى (الصحاح) : المربأة : المرقَبة ، وكذلك المربأ والمرتبأ . وربأت القوم ربئاً وارتبأتهم ، أى رقبْتهم ، وذلك إذا كنتَ لهم طليعة فوق شرَف ، أى موضع مرتفع . يقال ربأ لنا فلان وارتبأ ، إذا اعتانَ . وربأتُ المرَبأة وارتبأتها ، أى علوتها . والرَّبِىء والربيئة : الطليعة . انتهى .

---

(١) أمالى ابن الشجرى ٢:٣٣ وابن يعيش ٣:٥٨ وديوان الهذليين ٢:٣٧ واللسان (أوب) .

وهو فعيل وفعيلة . فالربّاء وصف مبالغة ، والوصف لابدَّ له من موصوف . ومن المعلوم أن الذى يرقب الأعداءَ لأصحابه إنّما هو الرجل فى الغالب [(١)] . وقيل إنه من ربأت الجبل ، إذا صعِدته وعلوته ، فيكون رباء شمّاء كقولهم : « طلّاع أنجُدٍ » . وهو مضاف إلى شمّاء ، والشمّاء مجرورٌ بالفتحة ، وهو مؤنث أشمّ ، من الشَّمم ، وهو الارتفاع . أراد هضبة شمّاء ، فحذف الموصوف ، بدليل « القُلَّة » وهى رأس الجبل . والهضبة : الجبل المنبسط على وجه الأرض . ومن المعلوم أيضاً أنّ التى لايأوى إلى قلتها إلاّ السّحاب والمطرُ لاتكون إلاَّ هضبة . وإضافة رَبّاء إلى شمّاء لفظيَّة . وقال السُّكَّرىُّ (فى شرح أشعار هذيل) : إنّ ربَّاء من ربأت الجبل ، إذا صَعِدته وعَلَوته ، فيكون مثل قولهم : طَلَّاع أنجُد ، لمن هو ركَّابٌ للصِّعاب من الأمور . وقال ابن يعيش (فى شرح المفصل) : الشاهد فى قوله ربَّاء شماء ، والمراد رجل ربّاء ربوةٍ شماءَ أو رابية شماءَ . وهو فَعَّالٌ من قولك : ربوت الرابية ، إذا علوتها . وضعَّف العين للتَّكثير ، والهمزة فى آخرهِ بدلٌ من واوٍ هى لامُ الكلمة ، كهمزة كِساء . ولم ينوِّنْه لأنّه مضاف إلى شَمَّاء . وشَمَّاء فَعْلاء من الشمم ، يقال جبل أشمُّ ورابية شمَّاء ، أى مرتفعة .

٢٨٥

أقول : ليس فى هذا كثيرُ فائدة ، وهو مع تكلُّفه يدفعه قوله : لايأوى لقُلَّتها إلاّ السحاب إلخ . فتأمله .

وحكى الأندلسىُّ (فى شرح المفصل) عن الخوارزمى : قلة ربّاء وهضبة شَمَّاء ؛ لأنَّ الربَّاء هى العالية ، واشتقاقها من الربِّ لعلوِّه على المربوب .

أقول : لاوجه لما ذهب إليه الخوارزمىّ ، فإنَّ رباء من وصف الرّبىء لا القُلَّة كما يأتى ، وهو فعَّال لافعلاء .

---

(١) تعليل لكون « ربيئة » وصفا للرجل .

وقال أبو البقاء (فى شرح الإيضاح لأبى على) : أنَّثَ ربَّاء لما أراد به الربيئة ، وهو الحافظ لأصحابه فى الأمكنة العالية .

أقول : هذا خطأ ، فإنَّ ربَّاء فعَّال لافعلاء .

ورواه بعضهم : « زنّاء شماء » بالزاى المعجمة والنون ، من زنأ فى الجبل يزنأ زنئاً وزنُوءًا ، بمعنى صعِد . وهو مهموز .

وقال بعضهم : إنَّ شمَّاء اسم هضبة ، وهو منقولٌ من الصفة إلى العلَمية ، مثل حَسَن ، فلا شاهد فيه .

أقول : كون شماء اسم هَضْبة ذكره أبو عُبيدٍ البكرىُّ (فى معجم مااستعجم) ، قال : شماء على لفظ تأنيث أشم : هضبةٌ ببلاد بنى يشكر . قال الحارث بن حِلِّزة فى معلقتِه :

بعد عهدٍ لنا ببُرقة شَمَّا ءَ فَأَدنى ديارِها الخَلْصاءُ

لكن الظاهر هنا أنَّ المراد بشمَّاء اسم جنس ، بدليل وصفه بقوله : لايأوى لقلتها إلخ .

فإنْ قلت : أجعل الجملة حالاً من شماءَ لتعريفها .

قلت : صاحب البيت هذلى ، وشمَّاء الهضبة المعروفة فى بلاد بنى يشكر ، مع أنَّ مقام المدح يقتضى أنه يربأ كلَّ جبلٍ موصوفٍ بهذا الوصف ، وليس فى جعلها علماً كثيرُ مدح .

وقوله : (لايأوى لقُلَّتها إلخ) هو من أوى إلى منزله يأوِى من باب ضرب أُوِيًّا ، بمعنى أقام . والمراد لايصل إلى قلَّتها . وروى السكرى : «لايدنو لقُلَّتها» .

وضمير قلَّتها لِشمَّاء . وقُلَّة الجبل : رأسه . وروى : «لقُنتَّها» بالنون . والقُنَّة هى القُلَّة .

وقوله : (إلاَّ السَّحاب) هو استثناء مفرَّغ ، أى لايقرب إلى قُلَّتها شىءٌ إلاّ السحاب . وكرَّر إلاّ فى قوله « وإلاَّ الأَوْب » للتوكيد . والأَوْب ، قال السكرى : هو النَّحل حين تؤوب : ترجع . ويؤيده أنَّه روىَ : «وإلاّ النُّوب» بضم النون ، وهو النحل ، وهو جمع نائب لأنَّها ترعى وتؤوب إلى مكانها ، أى ترجع ؛ وقيل : هو الريح ، ذكره الصاغانى (فى العُباب) . وقال الخوارزمى : هو المطرُ لأنَّه بخار ارتفع من الأرض ثم آب إليها أى رجع ، ولذلك سمِّى رَجْعا ، فسمَّوه أوباً ورجعا تفاؤلاً ليرجع ويؤوب . وقيل لأنَّ الله تعالى يَرجعه وقتاً فوقتاً . وإليه ذهب صاحب (الكشَّاف) عند قوله تعالى : ﴿والسَّماءِ ذَاتِ الرَّجع [١]﴾ وأنشد هذا البيت على أنَّ المطر تسمَّى رجعاً [٢] كما فى الآية ، وأوْبا كما فى البيت ، تسمية بمصدرَىْ رجع وآب . وذلك أنَّ العرب كانت تزعم أنَّ السحابَ يحمل الماء من البحر ثم يرجعه إليه [٣] . قال صاحب (الكشف) : جعل صاحب الكشاف الأوب والسَّبَل بمعنى المطر ، والأَولَى ماقيل أنَّ الأوب النحل ، لأنَّها تؤوب إلى محالِّها بعد ما خرجَتْ للنجعة . والسَّبَل . بفتحتين : المطر المنسبِل ، أى النازل .

٢٨٦

قال ابن خلف (فى شرح أبيات الكتاب): السحاب اسم عامٌّ للغيم والماء ينسحب فى الأفق ، أى ينجرُّ ، نازلاً ماؤه وغيرَ نازل . والسَّبل : المطر النازل ، فهو إذن أخصُّ من السَّحاب ، ولذلك جاء قوله تعالى : ﴿فترى الوَدْقَ يَخْرُجُ مِن خِلاله [٤]﴾ ، لمَّا كان الودق الماءَ النازل نفسه .

---

(١) الآية ١١ من سورة الطارق .

(٢) كذا وردت « تسمى » فى النسختين بجعل المطر مؤنثا . والذى فى الكشاف : « سمى المطر رجعا كما سمى أوبا » .

(٣) فى ش : « من بحار ثم يرجعه اليه » . وفى الكشاف : « من بحار الأرض ثم يرجعه الى الأرض » .

(٤) من الآية ٤٣ من النور و ٤٨ من الروم .

صاحب الشاهد

وهذا البيت آخر قصيدةٍ عدّتُها عشرون بيتاً للمتنخِّل الهذَلى ، تقدمت ترجمته فى الشاهد السادس والسبعين بعد المائتين (١) ، رثى بها ابنه أُثَيلة بضم الهمزة وفتح المثلثة . وهذان البيتان قبله :

أبيات الشاهد

(أقول لمَّا أتانى الناعيانِ به ... لايَبْعَدِ الرُّمحُ ذو النَّصلين والرّجلُ

رُمحٌ لنا كان لم يُفْلَلْ ننوءُ به ... تُوفَى به الحَرْبُ والعَزَّاءُ والجُلَلُ

ربّاءُ شمَّاء لا يدنو لقلتها ... . البيت)

قوله : « الناعيان به » فى الصحاح : الناعى : الذى يأتى بخبر الموت .

قال الأصمعىُّ : كانت العرب إذا مات فيهم ميِّت له قدرٌ ركبَ راكبٌ فرسًا وجعل يسير فى الناس ويقول : نعاءِ فلاناً ، أى انعَه وأظِهْر خبرَ وفاتِه . وهى مبنية على الكسر مثل نزال . وقوله : « به » أى بنعيه ، حذف المصدر لدلالة النّاعيات عليه . والمصدر جاء على نَعْى بفتح فسكون ، ونعِىّ على وزن فعيل ، ونُعيان ، بضم النون . والضمير راجعٌ إلى أُثيلةَ المقتول ، وهو ابنُ المتنخِّل . وذلك أنّه كان خرجَ مع ابن عّمٍ له يقال ربيعة بن الجَحدر غازيينِ ، فأغارا على طوائف من فَهْم بن عمرو (٣) بن قيس عيلان ، فقُتِل أثيلةُ وأفلت ربيعة ، فقال المتنخل هذه القصيدة فى رثاء ابنه . وقوله : « لايبعَد الرُّمح » الرمح فاعل يبعَد ، يقال بعِد بَعَداً من باب فرح فرحاً ، إذا هلك . وعادة العرب أن تقول عند ذكر الميت : لايَبعَدْ فلان ! إمّا استعظاماً لموته ، وإمّا رجاءَ بقاءِ ذِكره . ويأتى شرحُ

(١) فى الجزء الرابع ص ١٥٠ .

(٢) ش : «توق به الحرب» بالقاف . وسيأتى فى الشرح التنبيه على الروايتين . واقتصر السكرى فى الشرح ٣ : ١٢٨٥ على رواية الفاء « توفى » .

(٣) كذا فى ش مع أثر تصحيح . وفى ط : « فقيم بن عمرو » تحريف . وليس لعمرو بن قيس عيلان إلا ولدان : فهم ، والحارث . انظر جمهرة ابن حزم ٢٤٣ .

هذا مبسوطاً إن شاء الله بعد أبيات . والنَّصل : حديدة الرمح الذى يُطعَن به ، وهو السِّنان ، ويقال لحِديدة السَّهم والسيف والسكين أيضاً . والحديدةُ التى يُركز بها الرُّمح فى الأرض من الطَّرَف الأسفل يقال لها الزُّجُّ ، بضم الزاى المعجمة وتشديد الجيم . وسَمَّى الزُّجُّ نصلاً بالتغليب فقال : النَّصلين ، وإنما غُلِّب على الزج لأنَّ العمل للنصل ، وإذا كان للرمح زُجٌّ كان أمكنَ للطَّعن به . وأراد به رمح المقتول .

وقوله : «والرجل» أراد الرجل الكامل [١] فى الشجاعة والفعل ، وهو ابنه ، وقيل أراد بالرمح ابنه ، شبهه بالرمح الذى له نصلٌ وزجّ ، ويؤيده قوله رمح لنا ، أى هو رمح لنا . وضمير كان راجعٌ إليه ، وجملة لم يفلل خبرها ، أى لم يُكسر ولم يُثْلم ، من الفَلّ بفتح الفاء ، وهو واحد الفلول ، وهى كسور فى الشىء .

وقوله : « تنوء به » أى ننهض به . يقال ناء بكذا أى نهض به مثْقلا . وقوله « توفَى به الحرب » أى تعلى به وتقْهرَ . وهو بالفاء ، وروى بالقاف أيضاً من الوقاية . والعَزَّاء بفتح العين وتشديد الزاءَ المعجمة : السنة الشديدة . والجُلَل بضم الجيم وفتح اللام : جمع جُلّى ، وهو الأمر الجليل العظيم ، مِثل كبرى وكُبَر ، وصُغرى وصُغَر .

٢٨٧ وفى هذه القصيدة أبياتٌ من الشواهد ، فينبغى أن نورد بقيَّتها مشروحة إجمالا . وهذا مطلع القصيدة :

(ما بالُ عينِكَ أمسَتْ دمعُها خَضِلُ كما وَهَى سَرِبُ الأخرَابِ منبزلُ [٢])

(١) ش : « وقوله الرجل : الرجل الكامل » .

(٢) ط : « الأحزاب » صوابه فى ش وشرح السكرى . وقد رواه السكرى : «الأخرات» بالتاء فى آخره ، جمع خرت ، وهو الثقب ، ثم قال : « ويروى : الأخراب » .

هذا خطابٌ مع نفسه . وخَضِل : ندىّ . ووَهَى السقاء ، إذا تخرَّق وانشقّ .
والأخراب : جمع خُرْبةٍ (١) بالضم ، وهى عروة المزادة وكلُّ ثقب مستدير . وسَرِب
بفتح فكسر : السائل ، يقال سَرِبت المزادةُ من باب فرح ، إذا سالت . ومنبزلٌ :
منشقّ . وقد أخذ ذو الرمة مَطلع قصيدته من هذا فقال :

مابالُ عينِك منها الماءُ ينسكبُ كأنَّه من كُلَى مَفرِيَّةٍ سَرِبُ

والكُلَى : جمع كُلية بالضم ، وهى جُليدة مستديرة تحت عُروة المزادة
تُخرزٌ مع الأديم .

(لاتفتأ اللَّيلَ مَعْ دمعٍ بأربعةٍ كأنَّ إنسانَها بالصاب مكتَحِلُ(٢))

لاتفتأ : لاتزال ، يقال جاءنا وعيناهُ بأربعة ، أى بأربعة مدامع أو
مَسايل (٣) ، أى تسيل من نواحيها من المأقين واللِّحاظين . والصاب : شجرٌ له
لبنٌ مرٌّ إذا أصاب لبنُه العينَ حَلبَها .

(تَبكى على رجلٍ لم تُبْلِ جدّتَه خَلَّى عَليكَ فجاجاً بينها خَللُ)

لم تُبْل جِدَّتَه : لم تستمتع بشبابه ، من الإبلاء . وروى : « لم تَبْلَ جدّتُه »
من البِلَى وجِدَّتُه فاعل . وفجاجاً أى طرقا . بينها خَلَل ، أى فرجة أى كان
يسدُّها .

ومعنى خَلَّى تركها . يريد أنَّه لم يمتَّعْ منه ، كما قال ابن أحمر :

لبِست أبى حَتىّ تملَّيتُ برهةً وبَلَّيت أعمامى وبلَّيت خاليـا

(فقد عجبتُ وما بالدَّهر من عجبٍ أنَّى قُتِلتَ وأنتَ الحازمُ البطَلُ)

---

(١) ط : «والأحزاب جمع حزبة» ، صوابه فى ش والسكرى .
(٢) عند السكرى : « من سح بأربعة » . وفى ط : « كأن أسنانها » ، صوابه فى ش والسكرى .
وإنسان العين : ناظرها ، وهو المثال الذى يرى فى السواد .
(٣) ش : « مسائل » بالهمز ، والقياس التسهيل .

أى كيف قُتِلتَ مع كونك شجاعاً حازما . يقول : لاتعجبْ من الدَّهر ، فإن البَطل يُقتَل فيه ، والضّعيف ينجو فيه ، وفيه أمورٌ مختلفة .

(ويْلُمِّهِ رجلاً تأبَى به غَبَنا   إذا تجرَّدَ لاخالٌ ولا بَخَلُ)

هذا البيت من شواهد أدب الكاتب لابن قتيبة . قوله : « ويلمِّهِ رجلا» هذا مدحٌ خرج بلفظ الذمّ ، يروى بكسر اللام وضمها . ورجلاً تمييز للضَّمير . وقد تقدم الكلام على هذا مستوفى فى باب التمييز [١] . وتأبى مضارع أبى ، بمعنى تكرَه ، والجملة صفة رجلا . والغَبَن بفتح الباء : الخديعة فى الرأى ، وفعله من باب فرِحَ . وبسكونها : الخديعة فى الشِّراء والبيع ، وفعلهُ [٢] من باب ضرب . يقول : تأبى أنت أن تَقبل به نقصانا . ومعنى التجرُّد ههنا التشمُّر للأمر والتأهُّبُ له . وأصل ذلك أنَّ الإنسان يتجرَّد من ثيابه . يقول : إذا حاول فعل أمرٍ أو الدُّخول فى حرب . فصار مثلا لكل من جدّ فى الشيء وإنْ لم يتجردّ من ثيابه . يقول : إذا أتيته قام معك وتجرَّد وجَدّ . وقوله : «لاخالٌ ولا بخل» فيه وجهان : أحدهما الخال الاختيال والتكبُّر ، فخال مبتدأ محذوف الخبر ، أى لافيه تكبُّرٌ ولابخل ، أو هو خبر بتقدير مضاف لمبتدأ محذوف ، أى لاهو ذو خال . وثانيهما : الخال المتكبِّر ، وذكر المصدر وأريد الوصف مبالغة ، أو هو وصف وأصله خَوِل ، فانقلبت الواو المكسورة ألفا كقولهم ، رجل مالٌ ويومٌ راح ، وأصلهما مَولٌ ورَوِح . ويؤيِّده أنّه روى : «ولا بَخِلُ» بكسر الخاء . فخال خبر مبتدأ محذوف ، أى لاهو خال ،

٢٨٨

(١) الجزء الثالث ص ٢٧٣ ، ٢٧٩ .

(٢) ط : « وقوله » ، صوابه فى ش .

ولا ذو بخل ، فيقدرَّ فى بخل مضاف لأنّه مصدر . وإن أطلق على الوصف مبالغةً فلا تقدير .

(السالك الثُّغرةَ اليقظانَ كالئُها
مَشْىَ الهلوكِ عليها الخيعلُ الفُضُلُ [١])

أى هو السالك . ويجوز نصبه على المدح : أى أعنى السالك ؛ والثّغرة بالضم والثغر بمعنًى واحد ، وهو موضعٌ يُخاف دخول العدوّ منه . وكالئها : حافظها . والهَلوك من النساء : التى تتهالك فى مِشيتها ، أى تتبختر وتتكسَّر ، وقيل هى الفاجرة التى تتواقَع على الرجال . والخيعل ، بفتح الخاء المعجمة ، قال السكرى : هو ثوبٌ يخاط أحدُ شِقَّيه ويترك الآخر . والفُضل هو الخَيْعل ليس تحته إزار . وقال ابن الشجرى : الخيعل : القميص الذى ليس له كُمَّانِ ، وقيل : ولا دَخاريصَ له . ويقال امرأةٌ فُضُلٌ بضمتين ، إذا كان عليها قميصٌ ورداء وليس عليها إزارٌ ولا سراويل . و (فى العباب) : المِفْضَلَ والفُضل بضمتين . وفى هذا عن الفراءِ [٢] كالخيعل تلبسُها المرأة فى بيتها ، والمرأة فضلٌ بضمتين إذا لبسته . قال الأعشى :

ومستجيبٍ تخالُ الصّنج يُسمعِهُ إذا ترجِّع فيه القينةُ الفُضلُ

المُستجِيب : العُود شبَّه صوته بصوت الصنج ، فكأنَّ الصنج دَعَاه . يقول : هو الذى من شأنه سُلوكُ موضع المخافة ، يمشى متمكّنا غير فَروقٍ ولا هَيُوب ، كمشى المرأة المتبخترة الفضل [٣] .

---

(١) ش : « سالكهما » ، وصوابه فى ط وشرح السكرى .
(٢) كذا فى النسختين .
(٣) ط : « والفضل » ، والواو مقحمة .

قال ابن الشجرى (فى أماليه) :الوجه نصب الثُّغرةِ بالسالك ، كقولك الضارب الرجلَ ، ويجوز خفضها على التشبيه بالحسن الوجهِ . واليقظان صفة الثُّغرة نصبتَها أو خفضتها ، وارتفع به كالئُها ، وجاز ذلك لعودِ الضمير على الموصوف . وقوله : مشىَ الهلوك ، منصوب بتقدير : تمشى مشىَ الهلوك . وإن شئت نصبته بالسالك ؛ لأن السَّالك يقطع الأرض بالمشى . انتهى.

وقال العينى : لايجوز نصبه بالسالك ، لأنّه موصوف باليقظان ، ولاتعمل الصفة بعد وصفها .

أقول : هذا سهو منه ، فإنَّه قال : اليقظان صفة الثغرة كما نقلنا .

والفضل نعت للهلوك على الموضع ، لأنها فاعلة للمصدر الذى أضيف إليها . والتقدير : تمشى كما تمشى الهلوك الفضل . وبه أنشد ابن الناظم (فى شرح الألفية) . وزعم جماعةٌ أنه مرفوع على المجاورة للمرفوع الذى هو الخيعل . وهذا شيءٌ لم يقل به أحدٌ من المحقِّقين . وسيأتى الكلام عليه إن شاء الله تعالى بأوسع من هذا فى آخر هذا الباب .

وعلى تفسير الفراء والسكرى للفُضل يكون صفةً للخيعل .

وقد تكلَّم أبو علىّ (فى الإيضاح الشعرى) على المصراع الأول بغير ماذكرنا تمريناً للطالب ، أحببنا ذكره هنا ، قال : إن نصبت كالئَها لم يجز أن تجعلها حالا من السالك وأنت قد وصفته باليقظان ، لأنك حينئذ تفصل بين الصلة والموصول ،ولكن يجوز أن تنصبه حالاً عمَّا فى يقظان ، كأنّه يتيقَّظ فى حال حفظه إياها .ويجوز إذا نصبت كالئَها أيضاً أن تجعله بدلا من اليقظان.

فإن قلت : أفيجوز إذا نصبتُ كالئَها أن أجعلَ الكالىء حالاً من الموصول الذى هو السالك على أن لا أجعل اليقظان صفة للألف واللام ،

٢٨٩ ولكن أجعلهُ صفة للثغرة ، فلا يلزم حينئذ إذا جعلتُه حالا أن أكون قد فصلتُ بين الصلة الموصول .

(فالجواب) أنّ وصف الثُّغرة باليقظان ليس بالسَّهل ، لأنَّ اليقظان من صفَةِ الرجل دون الثغرة ، وهو مع ذلك مذكَّر ، والثغرة مؤنث .

فإن قلت : فهل يجوز أن أحمل على الاتساع فأقول:ثغرة يقظان ، وأنا أريد يتيقَّظ فيها لشدَّة خوف السالك لها ، كما أقول:ليلٌ نائم أريدُ أنَّه ينُام فيه ، وأحمل التذكيرَ على المعنى ، لأنَّ الثغرة والثغر والموضعَ واحدٌ فى المعنى ؟ (فالجواب) : أنّك إن حملتَه على هذا لم يمتنع أن يكون كالئَها حالاً من اللام التى فى السالك المنتصب . وإن جعلت اليقظان على هذا الذى ذكرتَه من الاتِّساع جاز أيضا فى الكالئ أن تجعله حالاً مما فى السالك ، مما يعود إلى اللام . ألا ترى أنَّك إذا جعلت اليقظان وصفاً للثُّغرة ولم تجعله صفةً لِلاَّم لم تتم الصلّة ، وإذا لم تتمّ ولم يكن فى الكلام شيءٌ يؤْذن بتمامها من صفةٍ لها أو عطفٍ عليها أو تأكيدٍ يتبعها ، لم يمتنع أن تجعل كالئَها حالاً من الضمير كما وصفنا . فإنْ رفعت كالئُها ورفعت السالك ، جاز أن يكون السالك ابتداءً مثل الضارب هنداً حافظها . فإن نصبت السالك ورفعت كالئُها كان ارتفاع كالئُها باليقظان ، كأنه قال : السالك الثغرة المتيقظ كالئُها ، كأنَّه ثغرٌ مخوف ، يحتاج حافظه أن يكون متيقظا حذراً لايغفُلُ ولايدع التحرُّزَ من شدَّة الخوف فيها. ويجوز أن ترفع اليقظان وتنصبَ السالك وكالئُها ، فيكون اليقظان بدلاً من الذِّكر العائد إلى الألف واللام فى السالك ، فيكون كالئُها حالا من السالك. انتهى كلام أبى على.

وبعد خمسة أبيات قال :

(فاذهبْ فأىُّ فتًى فى الناس أَحرزه

مِن حتفه ظُلَمٌ دُعْجٌ ولا جَبلُ)

هذا الاستفهام معناه النفى ، ولذلك عطف عليه قوله: ولا جبل . وبهذا المعنى استشهد العلماء بهذا البيت ، منهم الفرَّاء (فى تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ ومالنا أن لانقاتل [١] ﴾ ، وقال : هذا البيتُ مما حمل على معنى هو مخالف لصاحبه فى اللفظ ، أى ليس يُحرز الفتى من يومه ظُلَمٌ دُعْجٌ ولاجبل . قال : ومثلُه قول الشاعر [٢] :

* ألا هل أخو عيش لذيذٍ بدائمٍ [٣] *

أى ما أخو عيش . ومثله فى قراءة عبد الله : ﴿ كيف يَكُون للمشرِكينَ عهدٌ عِنْدَ الله ولاذمَّة [٤] ﴾ ، أى ليس للمشركين .

وقال الكسائىُّ : سمعت العرب تقول : أين كنتَ لتنجوَ منِّى ؟ أى ماكنت لتنجو منِّى [٥] . وذكر له نظائر كثيرة .

ولهذا أيضا أورده ابنُ هشام (فى مغنى اللبيب) فى الواو العاطفة . وأحرزه بمعنى جعله فى حِرز يمنع من الوصول إليه . ومن حتفِه متعلِّق به . والحتف: الهلاك . والظُّلَمُ بضمة ففتحة : جمع ظلماء ، وهى الليالى السُّود . والدُّعْج: جمع دعجاء ، وهى الشديدة السَّواد . والعرب تسمِّى الليلة الأُولى من ليالى المَحَاق الثلاثة فى آخر الشهر : دعجاء،وهى ليلة ثمانية وعشرين؛والثانية: السِّرار بالكسر؛

---

(١) الآية ٢٤٦ من سورة البقرة .

(٢) هو الفرزدق . ديوانه ٨٦٣ .

(٣) صدره فى الديوان ومعانى الفراء ١ : ١٦٤ :

* يقول إذا اقلولى عليها وأقردت *

والثالثة : الفلتة [١] بالفاء ، وهى ليلة الثلاثين . والجَبَل بالجيم والموحدة ، وروى : « الحِيل » بكسر المهملة ، جمع حِيلة .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثلاثون بعد الثلثمائة :

٣٣٣ (وذُبْيانيَّةٍ أوصَتْ بَنِيها بأَنْ كذَبَ القَراطِفُ والقُروفُ)

على أنَّ الكذب مستَهْجَنٌ عندهم ، بحيث إذا قصدوا الإغراءَ بشىء قالوا : كذب عليك [٢] . أى عليكم بهما فاغتنموهُما .

٢٩٠

وقد بيَّنه الشارح المحقق فى باب اسم الفعل ، بأوضحَ من هذا ، ونزيد هناك ماقيل فيه ، إن شاء الله .

قال الزمخشرى (فى الفائق) عن أبى علىّ : هذه كلمةٌ جرت مجرى المَثل فى كلامهم ، ولذلك لم تَصرَّف ، ولزمَتْ طريقةً واحدة فى كونها فعلاً ماضيا معلَّقا بالمخاطب ليس إلاّ ، وهى فى معنى الأمر ، كقولهم فى الدُّعاء : رحمك الله .

والمراد بالكذب الترغيب والبعث ، من قول العرب : كذَبتْه نفسُه ، إذا منته الأمانىَّ وخَيَّلت إليه الآمال مما لايكاد يكون [٣] . وذلك مايرغِّب الرجلَ فى الأمور ، ويبعثه على التعرُّض لها . انتهى .

ومضر تنصب بكذب ، وأهل اليمن ترفع به . قال ابن السكيت : يرفعون المُغْرَى به ، ومن نصب فعلى الأمر والإغراء .

---

(١) ط : « الفلبة » بالباء ، صوابه فى ش . وانظر تعليل تسميتها بالفلتة فى اللسان (فلت) .
(٢) أمالى ابن الشجرى : ٢٦٠ والسمط ٤٨٤ واللسان (كذب ، قرطف ، قرف) .
(٣) فى الفائق ٢ : ٤٠٢ : « وخيلت إليه من الآمال مالا يكاد يكون » .

وأورد صاحب (الكشّاف) هذا البيت عند قوله تعالى : ﴿ ووصَّينا الإنسانَ بوالديه حُسْنا [(١)] ﴾ على أنَّ وصَّى يجرى مجرى أَمَرَ معنى وتصرُّفا .
و(القراطف) : جمع قَرْطَفٍ كجعفر ، وهو القطيفة ، أى كساء مُخْمل .
و(القُروف) : جمع قَرْف بفتح فسكون ، وهو وعاءٌ من جلد يدبغ بالقرفة بالكسر ، وهى قُشور الرمَّان ، ويُجعَل فيه الخَلْع ويطبخ بتوابلَ فيفرَّغ فيه .
والخَلْع بفتح الخاء المعجمة وسكون اللام : لحم يُطبخ بالتوابل ثم يجعل فى القَرْف ، ويتزوَّد به فى الأسفار . والواو واو رُبَّ . يقول : رب امرأةَ ذبيانيَّة أمرت بنيها أن يستكثروا من نهب هذين الشيئين إن ظفروا بعدوِّهم وغنموا ، وذلك لحاجتهم وقلَّة مالهم . كذا فى (أبيات المعانى لابن قتيبة [(٢)]) وفى (نوادر ابن الأعرابى) .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدة لمعقِّر البارقىّ ، مدح بها بنى نُمير وذكَر مافعلوا بنى ذبيان بشِعب جَبَلة ، وهو يومٌ كانت فيه وقعة بين بنى ذبيان و [بين] بنى عامر ، فظهرت بنو عامر على بنى ذبيانَ فى ذلك اليوم .

ونمير : أبو قبيلة من قيس ، وهو نمير بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هَوازن ، وكان معقِّر حليفاً لهم ، وذكر مافعلوا ببنى ذبيان .

أبيات الشاهد

وبعد هذا البيت :

(تجهِّزهُم بما اسْطاعتْ وقالتْ بَنِىَّ ، فكلُّكُمْ بطَلٌ مُسيِفُ
فأخلفْنا مَودتَّها فقاظت وما فى عينها حَذِلٌ نَطوفُ)

وبنىَّ منادى ، أى يابَنِىَّ . والفاء فى « فكلُّكم » فصيحة ، أى إنْ تغزوا فكلُّكم إلخ .

---

(١) العنكبوت ٨ .
(٢) انظر المعانى الكبير ٣٨١ ، ٨٠٤ .

قال ابن قتيبة وابن الأعرابى : المسيف الذى ذَهب مالُه ووقع فى إبله السَّواف . يقال أساف الرجلُ ، أى هلك مالُه . والسَّواف بالفتح وقيل بالضم : مرض المال وهلاكُه . يقال : وقع فى المال سَوافٌ ، أى موت . تعنى أنَّ أولادها فقراءُ . تحرِّضهم على الغنيمة .

وقوله : « فأخلفْنا مودَّتها » الخ أى أخلفْنا هَواها ، وخيَّبنا مأمُولها . وقاظت : أى أقامت فى القيظ ، وهو الصَّيف . والحَذِل بفتح الحاء المهملة وكسر الذال المعجمة : المُوق الذى فيه بَثر وحُمرة . والمأقِى : لغة فى المُوق ، وهو طرف العين ناحيةَ الأنف . ونَطوفٌ أى سائل . يقال نطف الماء ينْطِف بالضم والكسر ، إذا سال .

معقر بن أوس

ومعقَّر بضم الميم وفتح العين وتشديد القاف المكسورة ، وهو معقِّر بن أوس بن حمار ، على لفظِ واحدِ الحمير ، ابن الحارث بن حِمار [(١)] بن شِجنْة بن مازن بن ثعلبة بن كنانة بن بارق ، وهو لقبٌ ، واسمه سعد .

قال صاحب (العباب) : وبارق:أبو قبيلة من اليمن ؛ واسم بارق سعد بن عدىّ بن حارثة بن عمرٍو مزيقيا بن عامرٍ ماء السماء الأزدى . قيل : بارقٌ فى الأصل جبلٌ باليمن نزله بنو عدىٍّ بن حارثة فسمُّوا بهِ .

٢٩١

وكان قوم معقِّر قد حالفوا بنى نمير بن عامر فى الجاهليَّة ، لدمٍ أصابوه منهم ، وشهدوا يوم جبلة ، وكان [(٢)] معقِّر قد كُفّ بصره ؛ وكان قبل ذلك

(١) فى المؤتلف ٩٢ : « معقر بن الحارث بن أوس بن حمار » . وفى الأغانى ١٠ : ٤٤ « معقر بن أوس بن حمار » . وفى ١٠ : ٤٥ : « واسمه سفيان بن أوس . يعنى أن « معقرا » لقب له سمى به لقوله :

لها ناهض فى الوكر قد مهدت له ... كما مهدت للبعل حسناء عاقر

(٢) وكان ، ساقطة من ش .

من فرسان قومه وشعرائهم ، المشهورين يوم جَبَلة ، وكان قبل الإسلام بتسع وخمسين (١) سنة ، قبلَ المولد الشريف النبوى بتسع عشرة سنة . كذا فى الأغانى للأَصبهانىّ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثلاثون بعد الثلثمائة (٢) :

٣٣٤ (ولَيلٍ يقولُ النَّاس من ظُلُماتِهِ سَواءٌ صحيحاتُ العُيونِ وعُورُها
كأنّ لنا منه بيوتاً حَصينةً مُسُوحاً أعاليها،وساجاً كُسُورُها)

على أنّ مسوحاً وساجاً نعتان لقوله : بيوتا . وصحَّ النَّعت بهما مع أنّ كلاً منهما (٣) اسمُ جوهرٍ ، أى جسمٌ ، لتأويلهما بالمشتقّ . فالأوَّل يؤوَّل بسُوداً ، والثانى بكثيفا .

قال ابن مالك : رفع الأعالى والكسور بمسوح وساج ، لإقامتهما مقام سود .

وقال السيرافى : ذهب بمسوح إلى سُود ، وبساج إلى كثيف . انتهى .

وأورد ابن جنى هذا البيت (فى إعراب الحماسة) مع نظائرَ له ثم قال : وهذا يدلُّكَ مِنْ مذهبها (٤) على أنَّها إذا نقلت شيئاً من موضعه إلى موضع آخر مكَّنته فى الثانى . ألا ترى أنَّ هذه الأشياء كلَّها أسماءٌ فى أصولها ، ولماَّ

---

(١) ش : «بخمس وسبعين» ، ولايستقيم . وفى معجم البلدان : «بسبع وخمسين سنة وقبل مولد النبى ﷺ بسبع عشرة سنة» . وفى العقد ٥ : ١٤١ :« وكان يوم شعب جبلة قبل الإسلام بأربعين سنة ، وهو عام ولد النبى ﷺ » .

(٢) حماسة ابن الشجرى ٢٠٤ وزهر الآداب ٧٥١ .

(٣) ط : «وصح النعت بها مع أن كلا منها» ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٤) يعنى مذهب العرب .

نقلَتْها إلى أن وصفَتْ بها مكَّنتْها وثبَّتت أقدامَها فيه ، حتَّى رفعتْ بها الظاهر ، وحتَّى أنَّثَتْها تأنيث الصِّفة ، وأجرتْها على ماقبلها جَرَيان الصِّفات على موصوفاتها . وعكس ذلك ماأخرج من الصِّفة إلى الاسم فمُكِّن فيه ، نحو صاحب ووالد . ألا تراهم حمَوْا كلامهم أن يقولوا فيه : مررت بإنسان صاحب ، حتّى صار صاحب بمنزلة جار وغلام . انتهى باختصار .

و(المسوح) : جمع مِسْح بالكسر ، وهو البِلَاس بكسر الموحدة وفتحها ، وهو فارسيٌّ معرب أورده الجواليقى (فى المعربات) .وهو يُنسَج من الشَّعَر الأسود .

قال صاحب (الصحاح) : وأهل المدينة يسمُّون المِسْحَ بلاسا . ومن دعائهم : أرَانيكَ اللهُ على البُلُس [١] ! وهى غرائر كبارٌ من مسُوح ، يجعل فيها التبِّن فيشهَّر عليها من ينكَّل به ويُنادَى عليه .

(والساج) بالجيم : ضربٌ من الشجر لاينبُت إلاَّ بالهند والزِّنج ، يجلب خشبُه ، وهو أسود . وإليه يشير تفسير الشارح له بِالكثيف . والساج أيضا : الطَّيْلسان الأخضر ، وهو ألوانٌ متقاربةٌ يطلق كلٌّ منها على الآخر . وبهذا المعنى فسَّر الساج ههنا .

صاحب الشاهد

قال غلام ثعلب (فى كتاب اليوم والليلة) : يقال إنَّ أشعَر ماقيل فى فى الظُّلمة قول مضرِّس . وأنشد هذين البيتين . ثم قال : يريد الطَّيلسان .

وكذلك قال الشريف ضياء الدين هبة الله على بن محمد بن حمزة الحسينى (فى الحماسة) التى صنَّفها كحماسة أبى تمام ،وزاد عليه أبواباً كثيرة، وأورد

(١) فى اللسان : « البلس » بفتحتين . والصواب أن يكون بضمتين جمعا لبلاس .

فيها أشعاراً جيدة ، وقد أجاد فى الاختيار والنقد عندما أورد هذا الشعر فيها .
وعلى هذا يؤوّل الأوّل بسُودا كثيفة ، والثانى بأسودَ لطيف .

وإلى هذا أشار الحُصْرىُّ (فى زهر الآداب) بعد ماأورد البيتين بقوله :
أراد أنَّ أعلاه أشدُّ ظلاما من جوانبه . وهذا معلومٌ حِسًّا ، فإن الإنسان إذا
كان قائماً فى الظلام لايكاد يرى شيئاً ، وإذا لَطِئَ بالأرض فربَّما رأى شيئاً . ٢٩٢

و(الكسور) : جمع كِسْر بكسر الكاف ، وهو أسفل شُقَّة البيت التى
تلى الأرض من حيث يُكسر جانباه ، من يمينك ويسارك . وفى جميع نسخ
الشرح : « ستورها [1] » بدل كسورها ، والظَّاهر أنَّه تحريف من الكتَّاب .
و(البيوت) : جمع بيت ، قال ابن الأنبارى (فى شرح المفضليات) : البيت
عند العرب هو مايكون من صُوف أو شَعَر ، والخيمة لاتكون إلاَّ من شجر .

وضمير أعاليها وكسورها راجعٌ للبيوت . شبَّه الليل بالبيوت الحصينة ،
للتحصين بهول الظَّلام ، فإنّه لايقدر أحدٌ أن يهجم على أحد .

وقوله : (وليل يقول الناس) إلخ ، من للتعليل ، (سواء) خبر مقدَّم ،
و(صحيحات) مبتدأ مؤخر ،والجملة مقول القول . أى العيون الصحيحة
والعيونُ العُور سواءً فى عدم رؤية شىء لتكَاثُفِ الظَّلام . وروى : (بصيرات
العيون) . والواو فى وليل هى واو رُبَّ ، وجوابها:تجاوزْته فى بيتٍ بعدهما ، وهو:

أبيات الشاهد (تجاوزْتُه فى ليلةٍ مدلهمَّةٍ يُنادى صدَاها ناقتى يَستجيرُها)

كأنه أراد بليلة قطعة منها . والمدلهمَّةُ : الشديدة السَّواد . وروى :

---

(١) ط : «سطورها» ، صوابه فى ش .

* تجاوزتُه فى هِمَّة مشمعلَّة *

أى سريعة . والصَّدى من طيور الليل ، وهو ذكر البُوم ، وإنَّما استجار بناقتِه لتفاقم هول الليل ، فأراد أن يصحبَها ليأمنَ . والأصل يستجير بها ، فحذف ووصلَ . قال الشريف [صاحب الحماسة] : من أحسن ماوصف به سوادُ اللَّيل هذه الأبيات . وقبلها بيتان [١] فى وصف اليَوْم وهما :

(ويومٍ من الشِّعرى كأنَّ ظباءه كواعبُ مقصورٌ عليها ستورُها

نَصبتُ له وجهى وكَلَّفتُ حَمْيَهُ أفانينَ حُرجوجٍ بطيءٍ فتورُها)

أى ربَّ يوم من أيام طُلوع الشِّعرى ، وهو الكوكب الذى يطْلع بعدَ الجوزاء ، وطلوعُه فى شدَّةِ الحَرِّ . والكواعب : جمع كاعب ، وهى الجارية التى يبدو ثديُها للنُّهود . وقَصرت الستر : أرخيته . شبَّه الظباء الكانسة من شدّة الحَرِّ بعذَارَى أُرخِىَ عليهن السِّتْر لئلاَّ يراهنَّ أحد .

ونصبت له ، أى لذلك اليوم . ونصب الشىء : أقامَه ، وهو جواب ربَّ . وكَلّف يتعدَّى لمفعولين أوَّلهما : حَمْيه ، أى حَمْىَ ذلك اليوم ، وهو مصدر حَمِيت الشَّمس والنارُ مثلاً ، إذا اشتد حرُّهما . وثانيهما : أفانين ، وهو جمع أفنون بالضم ، وهو الجرى المختلط من جَرْىِ الفرسِ والناقة . كذا فى القاموس . والحُرْجوج ، بضم الحاء المهملة وجيمين أولاهما مضمومة ، وهى الناقة السَّمِينة ، وقيل الشديدة ، وقيل الضامرةُ الوقَّادة القلب . وبطىء بالجر صفةٌ سببيَّةٌ لحرجوج ، وفتورُها فاعل بطىء ، والضميرُ لحرجوج . والفُتور : مصدر فتر من باب دخل ، إذا ضَعُف وتعب .

---

(١) ط : « وقيل بيتان » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

صاحب الشاهد

وهذه الأبياتُ لمضرِّس بن رِبْعىّ ، وهو بكسر الراء وسكون الموحدة ، الأسدى . وهو شاعر جاهلى . وهو بضم الميم وكسر الراء المشددة فى اللغةِ : الأسد الذى يَمضَغ لحم فريسته ولا يبتلعه . وقد ضرَّس فريسته تضريسا ، إذا فعل بها ذلك . وقال أبو عَمرو : المضرِّس الذى قد جرَّب الأمور ، وقيل مشتقٌّ من الضِّرس ، أى قد نبتَ [1] له ضِرس الحُلم .

مضرس بن ربعى

وهذا نسبُه من (المؤتلف والمختلف للآمدى) : مضرِّس بن ربِعىٍّ ، بكسر الراء وسكون الموحدة وتشديد الياء المكسور ماقبلها ، ابن لَقيط بفتح اللام ، ابن خالد بن نَضْلة ، بفتح النون وسكون الضاد المعجمة ، ابن الأشتر بن جَحْوان بفتح الجيم وسكون الحاء المهملة ، ابن فَقْعَس بن طَريف بن عَمرو بن قُعين ، بضم القاف ، ابن الحارث بن ثعلبة بن دُودان ، بضم الدال ، ابن أسد بن خُزيمة . وهو شاعر محسِّن متمكِّن ، وهو القائل :

٢٩٣

فلا تُهلكنّ النفسَ لَوماً وحسرة على الشَّىءِ سَدّاهُ لغيرك قادرُه [2]

ولا تيأسَنْ من صالحٍ أن تنالَه وإن كان بؤسا بين أيدٍ تُبادرُه

وما فات فاتركه إذا عزَّ واصطبر على الدهر إن دارتْ عليك دوائرُه [3]

فإنّك لاتعطى امرأً حظَّ غيره ولاتعرف الشقّ الذى الغيثُ ماطرُه [4]

ورِبعىّ : منسوب إلى الربيع . وأربع الرجلُ ، إذا وُلد له ولدٌ وهو شابٌّ.

---

(١) ط : «ثبت» ، صوابه فى ش .

(٢) ط : «أسداه» ، وأثبت مافى ش والمؤتلف ١٩١ . وفى اللسان : « واذا نسج إنسان كلاما أو أمرا بين قوم قيل : سدّى بينهم » .

(٣) ط : والمؤتلف : «عن الدهر» ، صوابه فى ش . وفى الكتاب العزيز : « واصطبر عليها » .

(٤) ويروى : « قاطره » كما فى حواشى المؤتلف . والى هنا ينتهى نص المؤتلف .

وولده ربعىٌّ . وأصاف فهو مُصِيفٌ ، إذا ولد له بعد ماكبر . وولده صَيفىٌّ.قال الراجز [(١)]:

إنّ بنىّ صِبيةٌ صيفيونْ   أفلحَ مَن كان له رِبْعيُّونْ

وذكر الآمدى شاعراً آخر اسمه مضرِّس ، وهو مضرِّس بن قرطة [(٢)]بن الحارثِ المزنى ، شاعر محسِّن مُقِلٌّ ، وهو القائل :

وأقسمُ لولا أن تقولَ عشيرتى   صَبَا بسُليمى وهو أشمطُ راجفُ

لخَفَّتْ إليها من [بعيد] مطِيَّتى   ولو ضاعَ من مالى تليدٌ وطارفُ [(٣)]

ذكرت سليمى ذِكرةً فكأنّما   أصابَ بها إنسانَ عينِىَ طَارِفُ

ألا إنّما العينانِ للقلب رائدٌ   فما تألف العينانِ فالقلب آلفُ

وليس فى الصحابة من اسمه مضرِّس إلاَّ مضرِّس بن سفيان بن خفاجة . كذا فى الإصابة [(٤)]

* * *

وأنشد بعده :

(ولقد أمرُّ على اللئيم يسبنى)

وتمامه :

* فمضيت ثُمَّتَ قلت لايعنينى *

وقد تقدم شرحه مستوفًى فى الشاهد الخامس والخمسين [(٥)].

* * *

(١) هو سعد بن مالك . انظر نوادر أبى زيد ٨٧ والمحتسب ٢ : ٤٩ .

(٢) وكذا فى المؤتلف بالطاء المهملة . وانظر سمط اللآلى ٨٩٣ .

(٣) فى النسختين:«لحقت» صوابها من المؤتلف . وكلمة :«بعيد» ساقطة من النسختين،وإثباتها من المؤتلف.

(٤) الحق أن فى الصحابة مضرسا آخر.هو مضرس بن عمرو، الثعلبى ذكره ابن حجر برقم ٨٠٠٣.

(٥) الخزانة ١ : ٣٥٧ .

وأنشد بعده :

(جاءُوا بمذقٍ هل رأيتَ الذّئبَ قَطّْ)

وهذا أيضاً تقدم شرحه مفصلا فى الشاهد السادس والتسعين [١].

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثلاثون بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد س [٢]:

٣٣٥ (ونَظَرْنَ من خَلَلِ السُّتور بأَعينٍ مَرْضَى مُخالِطِها السَّقامُ صِحاحِ)

على أنّ مخالطها بالجر صفة لأعيُن . قال سيبويه : سمعنا العرب تنشد هذا البيت جرًّا . ومرادُه الردُّ على يونسَ فى زعمه أنّ الوصف إذا كان للاستقبال يجب رفعُه على الابتداء ، ولايجوز إتباعه لما قبلَه . فلو كان كما زعم لرفع الوصف ، فدلَّ روايةُ الجر على جواز مازعمه [٣].

ونصُّ سيبويه : وبعضهم يجعله نصبا إذا كان واقعاً ، ويجعله على كلِّ حال رفعاً إذا كان غير واقع . هذا قول يونس . ٢٩٤

وكلام سيبويه هنا فيه غموضٌ ، وقد لخَّصه الشارح المحقِّق وبيَّن المذاهب الثلاثةَ بألطفِ عبارة وأظهر بيان ، فلله دَرُّه ، ماأحسن استنباطه وأجود تقريره .

صاحب الشاهد — وهذا البيت من قصيدة لابن ميَّادة ، وقبله :

قرين الشاهد — (وارتَشْنَ حين أردْنَ أن يرمينَنا نَبلاً بلا ريشٍ ولا بقداحِ)

وقوله : وارتشن ، أى اتخذن ريشاً لسهامهنَّ . وهذا على طريق المثل ، جعل أعينهنّ إذا نظرن بمنزلة السِّهام التى يُرمى بها . ونبلاً إمّا منصوب بارتشن بمعنى

---

(١) الخزانة ٢ : ١٠٩ .

(٢) فى كتابه ١ : ٢٢٧

(٣) أى لا على وجوبه .

رشن ، وإمَّا منصوب بإضمار رشن ، كأنه قال : ارتشن فرشن نبلاً . تقديره : اتخَّذن ريشاً فرِشن به نبلا . والقداح : جمع قِدح بكسر القاف وسكون الدال ، وهو عود السَّهم قبل أن يُوضع فيه النَّصل والرِّيش . وروى :

* نبلاً مقذَّذة بغير قداح *

والمقذَّذة : السهام التى لها قُذّة ، بضم القاف وتشديد الذال المعجمة ، وهى ريش السهم . يريد أنّ السِّهام التى أصلحْنَها ورَمين بها ليست بسهامٍ من خشب ، وإنّما هى أعينُهنّ إذا نظرن بها إلى إنسان . وخَلَل الستور، بفتح الخاء المعجمة : الفُرَج التى فيها .

وأورده الزجاج فى معانى القرآن عند قوله تعالى : ﴿ واتَّخَذ اللهُ إبراهِيمَ خَليلاً ﴾ [1] قال : والخَلل : كلُّ فرجة تقع فى شىء ، فإنّ معناه نظرن من الفرج التى تقع فى الستور . انتهى .

وروى : « من خلل الخدور » جمع خِدر بالكسر ، وهو السِّتر . وجارية مخدَّرة ، إذا أُلزِمت [2] السِّتر . أشار إلى أنَّهنَّ مصونات لاينظرن إلاّ من وراء حجاب . والعيون المرضى : التى فى طرفها فُتور ، وجعل ذلك الفتور والضَّعف الذى فى نظرها بمنزلة السَّقام فيها وهى صحاحٌ فى أنفسها لاعلّة فيها . وإنما يفتر النظر من رُطوبة الجسم والنَّعمة والتُّرفَة . وصفَ نساءً يُصبن القلوب بفتور أعينهنّ وحسنهنّ ، فجعل نظرهنَّ كالسهام ، ووصف عيونَهن بالمرض لفتور جُفونهن ، ثم بيَّنَ أنَّ فتورها من غير علَّة . فقوله : ونظرن ، معطوف على قوله : وارتشن، ومن والباء متعلّقان به ، وذكَر [3] لأجل وصفها المذكور، وإلَّا فالنظر

---

(١) الآية ١٢٥ من النساء .

(٢) ط : « لزمت » ، وأثبت مافى ش .

(٣) يعنى ذكر « العين » .

لايكون إلّا بالعين . ومرضى : جمع مريض ، **وصف الجمع بالجمع** ، أو جمع مريضة . والسَّقام فاعل مخالط . والصحاح بالكسر : **جمع صحيحة** ، وهو وصف ثالث .

وابن ميّادة شاعر إسلامى ، تقدَّمتْ ترجمته فى الشاهد التاسعَ عشر من أوائل الكتاب [١].

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثلاثون بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد س [٢] .

٣٣٦ (حَمَيْنَ العراقيبَ العصا وتركْنَه به نَفَسٌ عالٍ مخالطُه بُهُرُ)

على أنَّ مخالطه بالرفع صفة لنَفَس ، وبهر فاعله ، والإضافة لفظيَّة والتنوين مقدَّر لنية الانفصال ، كالبيت السابق .

قال سيبويه : وإن ألغيت التنوين [٣] وأنت تريد معناه جرى مثلَه منوّنا . ويدلُّ على ذلك أنَّك تقول: مررت برجل ملازمِك، فتجرّ ويكون صفة للنكرة بمنزلته [٤] إذا كان منوَّنا . وتقول : مررت برجلٍ مخالطٍ بدنَه أو جسدَه داء ، فإنْ ألغيت التنوين [٥] جرى مجرى الأوّل إذا أردتَ ذلك المعنى ، ولكنَّكَ تُلغى التنوينَ [٦] تخفيفا . فإنْ قلت: مررت برجل مخالطٍ داء، وأردت معنى الأوّل جرى على الأوّل ، كأنَّك قلت: مررت برجل مخالط إياه داءٌ. فهذا تمثيلٌ وإن كان يقْبحُ فى الكلام . فإذا كان يجرى عليه إذا التبسَ بغيره ، فهو

---

(١) الخزانة ١ : ١٦٠ .

(٢) فى كتابه ١ : ٢٢٧ . وانظر ديوان الأخطل ١٩٨ .

(٣) فى سيبويه ١ : ٢٢٧ : «وإن ألقيت التنوين» بالقاف .

(٤) ط : «بمنزلة» ، صوابه من ش وسيبويه .

(٥) فى سيبويه : «فان ألقيت التنوين» بالقاف .

(٦) فى سيبويه : « تلقى التنوين » بالقاف

إذا التبسَ به [١] أحرى أن يجرىَ عليه . انتهى .

وفى البيت ردٌّ على يونسَ فى زعمه أنّ الصفة إذا كانت للحال وجب نصبُها على الحال ؛ فإنّ الرواية برفع مخالطه على الإتباع ، مع أنه للحال لا للاستقبال . قال سيبويه : وأُنشدَ غيره ، أى غير ابن ميَّادة من العرب ، بيتاً آخر ، فأجروه هذا المجرى ، وهو قوله:

* حمين العراقيب العصا وتركنه *

والعمل الذى لم يقع والواقع الثابتُ فى هذا الباب سواء ، وهو القياسُ وقولُ العرب . انتهى .

وظهر من هذا أنَّ قول الشارح المحقق : وأنشد غيرُه ، داخلٌ تحت مقول قول سيبويه ، وإن كان ظاهرُ العبارة يُوهم أنَّ المنشد غير سيبويه . وقوله أيضاً : « وليونس أن يحمل رفعَه على الابتداء » هو تخريج الأعلم (فى شرح أبيات الكتاب) . قال : « ويجوز أن يكون رفعهما على الابتداء والخبر» .

وقول ابن خلف : ولم ينصب مخالطه على الحال لأنَّ المخالطَةَ فاعلها البهر ، ساقط ، وما المانع من كونه حينئذ حالاً سببيَّة ، والعراقيب والعصا مفعولان لحمين ، وتركنه معطوف على حمين بمعنى فارقنه . وجملة (به نفس عال) إلخ حالٌ من الهاء . و(البُهْر) بالضم : تتابع النَّفس من التعب . يعنى أنَّهنّ سِرن سيراً شديداً ففُتْنَ الحادىَ ، فحمين عراقيبَهنَّ من ضربه بالعصا ، فأخذه البُهر لشدَّة عدْوِهِ خلفهنَّ . وقوله :« حمين العراقيب » جواب إذا فى بيتٍ قبله ، وهو :

(إذا اتَّزر الحادى الكميشُ وقوّمَتْ
سوالفَها الرُّكبانُ والحَلَقُ الصُّفْرُ)

---

(١) فى النسختين : « ألبس به » ، وأثبت ماق سيبويه .

واتَّزر بمعنى لبس الإزار . والحادى : سائق الإبل . والكميش : السَّريع الماضى . وقد كمُشَ بالضم كماشةً ، فهو كمِشٌ وكميش . وقوّمَت : عدّلت . والسوالف : جمع سالفة ، وهى من الإبل والخيل : الهادية ، أى ماتقدّم من العُنق ، وهو مفعولٌ مقدّم ، والرُّكبان فاعل مؤخر . والحلق معطوف على الركبان ، وهو جمع حَلَقة بالتحريك أيضاً ، وأراد البُرَةَ ، وهى حَلْقة من نحاس تُجعل فى أنف الإبل ، لتذليلها . والصُّفر : النُّحاس بضم الصاد وكسرها .

وصف فى هذين البيتين سرعةَ الإبل .

صاحب الشاهد

وهما من قصيدة للأخطل ، وهو شاعرٌ نَصرانىٌّ من شعراء الدولة الأموية ومادِحيهم . وقد تقدّمت ترجمته فى الشاهد الثامن والسبعين [١].

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثلاثون بعد الثلثمائة :

٣٣٧ (قولُوا لهذا المرءِ ذو جاءَ ساعياً هلُمَّ فإنَّ المشرفىَّ الفَـرائضُ [٢])

على أنَّ « ذو » الطائية إنما وقعت وصفاً وإن كانت على حرفين ، لمشابهتها لذو الموضوعة للوصف بأسماء الأجناس .

صاحب الشاهد

وهذا البيتُ أوّل أبياتٍ ثلاثة لقَوّالٍ الطائى ، أوردها أبو تمام فى الحماسة .

و(الساعى) : الوالى على صدقة الزكاة . يقال سعَى الرجل على الصَّدقة يسعى سعيا : عمِل فى أخذها من أربابها . و(هلمَّ) : أقبلْ وتعالَ . و (المشرفىُّ) بفتح الميم والراء هو السَّيف ، نُسب إلى المشارف ، وهى قرًى كانت السيوف

---

(١) الخزانة ١ : ٤٥٩ .

(٢) انظر الإنصاف ٣٨٣ والأشمونى ١ : ١٥٧ والحماسة بشرح المرزوق ٦٤٠ .

تُصنَع فيها . و (الفرائض) : جمع فريضة ، وهى الأسنان التى تصلح أنْ تُؤخذ فى الصَّدقات . قال صاحب الصحاح : الفريضة مافُرِض فى السائمة من الصَّدقة ، يقال أفرضَتِ الماشيةُ ، أى وجبت فيها الفريضة ، وذلك إذا بلغت نصاباً . يقول : أبلغا هذا الرجل الذى جاء لأخذ الصدقات : تعال [1] فإنّ لك عندنا السيفَ بدلاً من الفرائض .

٢٩٦ قال التِّبريزى : وهذا مأخوذٌ من المثل السائر : « خُذْ من جِذعٍ ماأعطاك » . وجذعٌ : رجل مُصَدِّق ،فطَلب منه فوق حَقِّه ، فقتله جذعٌ .

(وإنَّ لنا حمَضاً من الموت منقَعاً وإنّك مُخْتلٌّ فهل أنت حامضُ)

أى وقولا له : إنّ لنا حَمضا ، بفتح المهملة ، وهو من النَّبات ماله ملوحة ومرارة . والخُلَّة ، بضم المعجمة :ماكان حلواً من النبات .تقول العرب: « الخلة خُبز الإبل ، والحمضُ [2] فاكهتها »، ويقال لحمها . ومنه قولهم للرجُّل إذا جاء متهدِّدا : « أنت مختلٌّ فتحمّض » . المختلُّ : الذى يرعى الخلَّة . قال التبريزى : وما فى البيت مثل ؛ يقول : قد مللتَ العافية والسَّلامة ، هلم إلى الشرّ . والخلَّة مثل ضربه للحياة ، والحمض مثلٌ ضربه للموت . يقول : إن ضاق صدرُك من الحياة فأتنى مصدِّقا فإنّى أقتلك . والمُنقَع بزنة اسم المفعول : الثابت . يقال « انقع له الشرَّ حتىّ يسأم » ، أى أَدِمْهُ .

(أظنُّكَ دونَ المال ذو جئت تَبتغى ستَلقاك بِيضٌ للنُّفوس قوابضُ)

المال : الماشية ، ودون متعلّق بأظنك لا بجئت ولا بتبتغى ، لأنّ معمول

---

(١) ش : «يقال» ، تحريف مافى ط . وفى شرح الحماسة : « أقبل وتعال » .

(٢) ط : « والحمضة » ، صوابها فى ش .

الصلة لايتقدّم على الموصول ، وذو هو المفعول الثانى للظن [١] بمعنى الذى . والبيض : السُّيوف . أراد التهكم ، وقد خلط به التوعُّد والاستهانة ، ولذلك قال : أظنك . وتبتغى جملة حالية ، ومفعوله محذوف ، والمعنى أحسبك الذى جاء دون المال تبتغى صدقاته ، سترى ما أُهَيِّئُ لك من سيُوف تنتزع الأرواح .

قوال الطائى

وقوّال الطائى بفتح القاف وتشديد الواو : شاعرٌ إسلامىٌّ فى آخر الدولة الأموية ، وقد أدرك الدولة العباسيَّة .

خبر الأبيات

وقال هذه الأبياتَ فى مصدِّق جاء يطلب منهم إبل الصدقة . وسببُها هو مارواه أبو رياش (فى شرح الحماسة) قال : كان من خبر هذه الأبيات أنّ معدان بن عبيد بن عدىّ بن عبد الله ، حدَّث أنه تزوّج امرأةً من بنى بدر بن فَزارة ، قال : وكان شبابٌ من بنى بدرٍ يزوروننا ، فأدرك الثمارُ فاجتمعوا على نبيذ لهم مع شباب منّا ، فأسرع فيهم الشَّراب ، فوقع بينهم كلام ، فوثب غلامٌ منا فضرب شابًّا من بنى بدر فشجَّهُ فمات منها [٢] ، فقلت للبدريين : لكم دية صاحبكم . فأبَوْا إلاَّ أن يُدفع الطائىُّ إليهم ، وأبيت أن أفعل ، فأتوا صاحبَ المدينة فى ذلك ، وكنَّا قد منعْنا الصّدقةَ حين وقعت الفتنة ، فكتب أميَّةُ بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان عاملُ صدقةِ الحليفَين : طيِّىء وأسد ، إلى مروانَ الحمار آخِرِ ملوك بنى أمية ، يخبره بمنعنا الصدقةَ وقَتْلِنا الرجل ، فكتب إليه : أنْ سيِّر إليهم جيشاً . وكتب إلىّ : أنْ مكِّن البدريِّين من صاحبهم ، وأدِّ الصدقة ، وإلاَّ فقد أمرتُ رسولى أن يأتينى بك ، وإن أبيتَ أتانى برأسك ، ثم والله لأبيلَنّ الخيلَ فى عَرَصاتك ! فأمرتُ بضرب عنق

(١) ش : « لظن » .
(٢) وكذا عند التبريزى . والمراد : من الشجة .

الرسّول . فقال الرَّسُولَ : إنّ الرسّول لايُقتل ، وإنى لأسيرُ فيكم يامعشرَ طيِّيء استحياءً ! فقلت : قد صدقت ، وخلَّيت سبيله ، وقلت له : قل لمروان : آليتَ تُبيل الخيلَ فى عرصاتى وبينى وبينك رملُ عالج [١] ، وعديد طيِّيء حولى ، والجَبَلان خلفَ ظهرى ، فاجهَدْ جَهْدَك ، فلا أبقى الله عليك إن أبقيت .وكتبت إليه :

ألا مَنْ مبلغٌ مروانَ عنِّى ... على ماكان من نأيِ المزارِ
ألم ترَ لِلخِلافة كيف ضاعَتْ ... إذا كانت بأبناء السّرارى
إذا كانت بذى حُمق تراه ... إذا مانابَ أمرٌ ، كالحمارِ ٢٩٧

وكتب إليه غالبُ بن الحُرِّ الطائىّ :

لقد قلتُ للركبان من آل هاشمٍ ... ومِن عبد شمس والقبائلُ تسمعُ
قفوا أيُّها الركبانُ حتى تَبيَّنوا ... ويأتيكم الأمرُ الذى ليس يُدفَعُ
وحتَّى تروّا أيـنَ الإمـامُ وتشعَبـوا ... عصا المُلك إذْ أَمسى وبالملك مَضيَعُ
أرى ضيعةً للمال أن لا يضمَّه ... إمـامٌ ولا فى أهلـه المالُ يُودعُ

فكتب إلى عبدِ الواحد بن منَيعٍ السَّعدىٌ من سعد بن بكر ، وإلى أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان : أن سِرْ بأهْل الشامِ وأهل المدينة وأهل البوادى وقيسٍ وغيرهم ، إلى مَعْدانَ حتّى تأخُذوا منه الصَّدقة وتُقيدوا البدريِّين من صاحبهم ، وأوطِئِوا الخيلَ بلادَ طيِّئً وائتونى بمعْدان ! فسار أميَّةُ فى ثلاثين ألفاً من أهل المدينة والشام والوادى ، من قيس وأسد ، وبعث إلى كلِّ

(١) ط : « عاجل » ، صوابه فى ش وشرح التبريزى للحماسة فى مقطوعة أدهم بن أبى الزعراء ٢ : ١٧٠ .

صاحبِ ذَحْل ودِمنةٍ [1] يطلبها فى طيِّىء ، وقدَّم على مقدَّمته رجلاً يقال له الحريز بن يزيد بن حَمَل ، من الضِّباب ، وثارت قيسٌ تطلب الثأر من طيِّئ .
قال معدان : وكنت فى اثنى عشر ألفا ، فلما انتهيت إلى عسكر أمية إذا جبالُ الحديد وعسكرٌ لايُرى طرفاه ، فرفع طيِّىءٌ النار على أجأ فاجتمعوا ، فنحروا الجُزُر وعملوا من جلودها دَرَقا ، وطَعِموا من لحومها ، فقلت : يابنى خَيبرىٌّ ويامعشَر طيِّىء ، هو والله يومُكم لبقاءِ الدَّهر أو الهَلاك ، فإذا وقَعَ النَّبلُ عندكم فقبَحَ الله أجزعَ الفريقين ! فصافَفْناهم فرمَوْا بالنَّبل ، ثمَّ شددنا عليهم شَدَّةَ رجلٍ واحد ، فما كان إلاَّ سيفٌ أوسيفان حتّى قُتل الحَريزُ وسِرْحانُ مولى قيس ، واستحرَّ القتلُ فى قيس لأنَّهم حامَوْا عن الحريز ، وكان يلى المعادن [2] ، فقتل من قيس ثلثمائة ، وانهزموا أقبحَ هزيمة وأسوأها ، فأُتِيتُ بأميَّة أسيراً فخلَّيت سبيله ، وأُتيت بجاريةٍ له فألحقتها به إلى المدينة ، وناديت أن لايتبْعوا مُدْبراً ولايُجهِزُوا على جريح ، وإنَّ الكتابَ الذى كتبه مروان لفى أيدينا مانحسن أن نقرأه ، وجَدْناه فى متاعه ، حتى قرأه بعضُ فتيانى فإذا فيه : اقتلْ واسْبِ . وبالله لو كنتُ علمتُ مافى الكتاب ماأفلتَ منهم صبىٌّ ! فكتب صاحبُ المدينة إلى مروان يخبره بما صنعَتْ طيِّىء من قتل الحريز وسِرحان ، وأسْرِ أمية وقتل ابنه ، ومالقيت قيس ، ومن أجاب دعوتَه . فوجَّه مروان من عنده ابن رَباح الغَسَّانى [3] فى عشرة آلاف ، فكتب ابنُ هبيرة إلى مَرْوان بقتل ابن ضُبارة وفُصول قحطبة متوجِّها من الرى . فقال : ماتصنع

---

(١) الدمنة : الحقد الذى يدمن الصدر ويفسده .
(٢) المعادن : المواضع التى يستخرج منها جواهر الأرض ، والمشهور فى ذلك معادن القبلية من نواحى الفرع بالمدينة .
(٣) فى شرح التبريزى : « ابن رياح » بالياء التحتية المثناة .

بشَغْل عشرة آلاف فى قتال أعراب طيِّىء ! فصرَفهم إلى ابن هبيرة .

قال مَعْدان : وكتبتُ إلى قحطبة وبعثْتُ رسولاً فوافقه بهمَذان (١) والجيشُ بنهاوَنْد ، فكتب إلىَّ يسدِّد رأيى ويصوِّب أمرى ، ويُخبر أنه لو قدِم الكوفة بعث إلىَّ جندا .

ثم كان من أمر قَحطبة ماكان ، وقام أبو العبَّاس السّفَّاح فقدِمت إليه فى مائتى رجل من طيِّئ ، فأمر لى بعشرين ألف درهم وخِلعة ، وأمر لأصحابى بثلاثمائةٍ ثلاثمائة ، وخصّ قوماً نحواً من ثلاثين رجلا بخمسمائة درهم لكلِّ رجل ، ولعشرةٍ منهم بألِفٍ لكلِّ رجل ، فوالله مارزأْنا مروان ولاجندَه ولاعمّالَه شاةً ولابعيراً ، وإنَّا لأوّلُ من نقَم عليه ونَصَر آل محمد ، حتى انتهى ٢٩٨ إلينا صاحبُنا قحطبةُ بن شبيب بن خالد بن معدان ، ولجأ إلىَّ يومئذ فِراراً من الحرب عبدُ العزيز بن أبى دَهْبل الجعفرى ، وكنَّا أخوالَه ، فقال عبد العزيز يمدح معدان فى قطعةٍ :

وإنَّ امرأً مَعدانُ فى الحرب خالُه إذا ماحتْنى من دونه لمنيعُ (٢)

وقيلت أشعار كثيرة فى تلك الوقْعة ، أورد بعضها أبو تمَّام فى الحماسة (٣).

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثلاثون بعد الثلثمائة ، وهو من أبيات سيبويه (٤) :

---

(١) ط : « بهمدان » ، صوابه فى ش ، وهو بالذال المعجمة اسم للبلدة المعروفة لا للقبيلة .

(٢) ط : « ماجتنى » ، وأثبت مافى ش مع أثر تصحيح . وفى التبريزى : « احتبى » .

(٣) يشير إلى الأرجوزة البائية التى أولها :

قد صَبحت معن بجمع ذى لجب قيسا وعُبدانهُـــم بالمنتهب

(٤) فى كتابه ١ : ٢٢٢ .

٣٣٨(ولا تَجعلِي ضَيفيَّ ضَيْفٌ مقرَّبٌ وآخرُ معزولٌ عن البيت جانبُ)

على أنّه يجوز القطعُ إلى الرفع فى خبر نواسِخ المبتدأ ، فإنَّ جَعَلَ هنا بمعنى صيَّر ، من نواسخ المبتدأ والخبر ، ينصبهما على المفعولية ، وضيفيَّ المفعول الأول وهو فى الأصل مبتدأ وهى مثنًّى مضافٌ إلى ياء المتكلم ، وضيفٌ مقرّبٌ وآخرُ ، بتقدير وضيفٌ آخر ، كانا فى الأصل منصوبين على أنّهما مفعولٌ ثان لَجعَل ، وفُرِق بينهما بالعطف لأجْل وصف كلٍّ منهما بصفة تغاير صفةَ الآخر ، فقطِعا من المفعولية إلى المبتدأ ، فيكون الخبر محذوفاً ، أى منهما ضيف مقرَّب ، ومنهما ضيف آخر إلخ . أوْ هما خبران لمحذوفٍ ، أى أحدهما ضيفٌ مقرَّب وثانيهما ضيفٌ آخر إلخ . وجملة المبتدأ والخبر فى محل نصب على أنها المفعول الثانى لجعل .

قال سيبويه بعد إنشاده هذا البيت:والنصبُ جيِّدٌ كما قال الجعدىّ:

وكانت قشيرٌ شامتاً بصديقها وآخـرَ مزريًّا عليـه وزاريـا

قال الأخفش : يعنى النصب فى ضيف على البدل . ورفع جانب بتقدير : هو جانب .

أقول : صوابه النصب على أنّه مفعولٌ ثان لا على البدل ، وشامتاً فى البيت نصبٌ على أنه خبر كان . ولم يجعل الكلام تبعيضاً ، ولو رفع شامتا لكان التقدير منهم شامتٌ ، والجملة حينئذ خبرُ كان .

هجا قُشَيراً،وهى قبيلةٌ من بنى عامر،وكان بينه وبينها مهاجاة ،فجعل

منهم من يشمت بصديقهِ إذا نكب . وجَعَل بعضهم يرزأ بعضاً (١) ، للؤمهم واستطالة قويِّهم على ضعيفهم . وبنى مَرْزِيًّا على تخفيف الهمزة ، ولو بناه على الأصل لقال مرزوءا (٢) . وجانب بمعنى المجانب والمتنحِّى .

صاحب الشاهد

والبيت للعُجَير السَّلولى خاطب به امرأته . يقول لها : سوِّى بين ضيفىَّ فى التقريب والإكرام ، ولا تكرمى بعضاً وتهينى بعضا .

العجير السلولى

والعُجَير ، بضم العين المهملة وفتح الجيم ، كنيته أبو الفرزدق : وقال الآمدى (فى المؤتلف والمختلف) : هو مولى لبنى هلال . ويقال هو العجير ابن عبد الله بن عَبيدة ، بفتح العين وكسر الموحدة ، ابن كعب . وأنهى نسبَه إلى مرَّة بن صعصعة . قال : وهم سَلول (٣) . انتهى .

وفى الأغانى (٤) : العجير بن عبد الله بن عَبيدة بن كعب ، ويقال ابن عُبيدة بضم العين ، واسمه عمير ، من بنى سَلول بن مُرة بن صعصعة ، أخى عامر بن صعصعة . وأُمُّ بنى مُرّة سَلولُ بنتُ ذُهل بن شيبان بن ثعلبة ، غلبت عليهم وبها يُعرفون . ويكنى العجير أبا الفرزدق ، وأبا الفيل . شاعرٌ من شعراء الدولة الأمويَّة ، مُقِلٌّ إسلامىّ . انتهى .

---

(١) ط : « يزرى بعضا » ، صوابه فى ش .

(٢) ط : « مزرأ » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

وهذا كله لايتسق الا مع رواية الشنتمرى لآخر البيت : « مرزيا وآخر رازيا » والذى فى نسخ سيبويه وكذا الديوان ١٧٨ : « مزريا عليه وزاريا » ، من الزراية .

(٣) المؤتلف ١٦٦ . وفى جمهرة ابن حزم ٢٧١ : « بنو مرة بن سلول — وهم أمهم — ابن صعصعة بن معاوية » . ثم قال : « سلول هذه بنت ذهل بن شيبان بن ثعلبة » . فبنو مرة هؤلاء هم بنو سلول .

(٤) الأغانى ١١ : ١٤٦ .

قال ابن السِّيد (فى شرح أبيات الجمل) : عُجير : اسمٌ منقول .

٢٩٩ ويحتَمل أن يكون مصغر عَجُر من قولهم : عجر عنقه إذا لواها ، ويحتمل أن يكون مصغَّراً مرخَّما ، من أعجر ، وهو النَّاتىء السرَّة . وأمَّا سلَول فاسمٌ مرتجل غير منقول . انتهى .

وله خبرٌ مع بنت عمِّه ، يأتى إنْ شاء الله تعالى فى باب الجوازم (١).

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثلاثون بعد الثلثمائة ، وهو من أبيات سيبويه (٢):

٣٣٩ (فأصْبَحَ فى حيثُ التقينا شَريدُهم

طَلِيقٌ ومكتوفُ اليدين ومُزْعَفُ)

لما تقدَّم فى البيت الذى قبله ،من أنه يجوز القطع إلى الرفع فى خبر النواسخ ، فإنَّ أصبحَ هنا من أخوات كان ، وشريدهم اسمها ، وطليق ومابعده كان فى الأصل منصوباً على أنَّه خبر أصبح ، فقُطع عن الخبرية ورُفع على أنَّه مبتدأ وخبره محذوف ، أى منهم طليق ومنهم مكتوف إلخ ، أو خبر لمبتدأ محذوف ، أى بعض الشريد طليق إلخ . والجملة فى محلِّ نصب على أنَّها خبر أصبح ، ويجوز أيضا النصب كما قال سيبويه ؛ فيقال طليقا ومكتوفا ومزعفا .

فإن قلت : أيجوز أن يكون طليق مقطوعا عن الحالية ويكون خبر أصبح قوله : فى حيث التقينا ؟

قلت : لايجوز معنىً ، فإنَّ المقصود تقسيم الشَّريد وتبيين أنواعه بما ذكر ، لا أنه ذكر فى موضع الالتقاء .

(والشريد) واحدٌ يؤدِّى معنى الجمع ؛ لأنه واقعٌ على كلّ من شرَّدته

---

(١) فى الشاهد السابع والتسعين بعد الستمائة ، وهو :

وما ذاك أن كان ابن عمى ولا أخى ولكن متى ما أملك الضر أنفع

(٢) فى كتابه ١ : ٢٢٢ . وانظر ديوان الفرزدق ٢٩٩ .

الحرب ، فهو يعمُّ ما ذكر . قال الأخفش : يريد : أصبحوا منهم قتيلٌ ومنهم مكتوف ، لا أنَّ الشَّريد وحدَه اجتمع فيه ماذكره . وقال ابن خلف : لايصِحُّ أن يكون فى حيث التقينا خبر أصبح،لأنَّ ظرف الزمان لايصحُّ أن يكون خبراً عن الجثَّة . وهذا سهوٌ ؛ لأنَّ حيث للمكان ، لا للزمان . و(الشريد) : الطَّريد . و(الطليق) : الأسير الذى أطلقَ عنه إساره . والإسار ، بالكسر : القِدّ ، ومنه سمِّى الأسير ، لأنهم كانوا يشدُّونه بالقِدّ ، ثم سمِّى كلُّ أَخيذٍ أسيرا وإنْ لم يشدَّ به . و(المكتوف) من كتفت الرجل ، إذا شددت يديه إلى خلفٍ بالكِتاف . قال ابن دريد : الكِتاف بالكسر : حَبلٌ يشدُّ به وظيفُ البعير إلى كتفيه . و(المزعَف) بالزاى المعجمة والعين : اسمُ مفعولٍ من أزعفته . قال الأصمعى : أزعفته وازدعفته ، إذا أقعصته . يقال ضربه فأقعصَه أى قتله مكانَه . وقال الخارَزنجى : أزعفت عليه ، إذا أجهزتَ عليه وتممَّت قتله . وقال الأعلم : رواه حَملة الكتاب « مُزعِف » بكسر العين ، ومعناه : ذو زُعافٍ ، أى ذو صَرْع وقتل ، وليس بجارٍ على الفعل . وقال ابن خلف : ورواه غيرهم بفتح العَين ، من أزعفه الموتُ إذا قاربه ، وهو مأخوذ من قولهم : موت زُعاف وذُعاف ، أى معُجَّل . انتهى .

وإلى هذا ذهب الشارح المحقِّق . قال الصَّاغانى (فى العباب) : زعفه يزعفه زَعْفًا من باب منع ، أى قتله مكانَه . وسمٌّ زعاف وذُعاف بضم المعجمتين ، أى قاتل .

صاحب الشاهد

وهذا البيتُ من قصيدةٍ طويلة ، عدَّتها مائةٌ وخمسة وعشرون بيتا ، للفرزدق ، وقد تقدمت ترجمته فى الشاهد الثلاثين من أوائل الكتاب [1].

وهى قصيدةٌ افتخاريَّةٌ هجا فى آخرها . ومنها وهو قبل البيت :

---

(١) الجزء الأول ص ٢١٧ .

(وأضيافِ ليلٍ قد نقَلْنا قِراهمُ إلينا فأتلفْنا المنايا وأتلفوا
قريناهُم المأثورةَ البيضَ قبلها يَثُجُّ العُروقَ الأزأنيُّ المثقَّفُ
فأصبح فى حيث التقينا شريدُهم البيت)

٣٠٠ قوله : وأضيافِ ليلٍ ، الواو واو ربّ ، والأضياف هنا كنايةٌ عن الأعداء الهاجمين عليهم ليلاً . قال الصغانى فى مادة تلف ، وقد أورد هذا البيت : هؤلاء غَزِىٌّ غزَوهم . يقول : فجعلناهُم تلفاً للمنايا ، وجعلونا كذلك ، أى وقَعْنا بهم فقتلناهم ، أى صادفنا المنايا مُتلفة وصادفوها كذلك ، كما تقول : أتينا فلاناً فأبخلناه وأجبنَّاه ، أى صادفناه كذلك . انتهى .

فالهمزة فى أتلَفْنا للوِجْدان . وغَزِىٌّ فى كلامه : جمع غازٍ مثل قاطن وقَطِين ، وحاجّ وحجيج . أو هو بضم الغين وتشديد الزاى المفتوحة : جمع غازٍ أيضاً ، كسابق وسُبَّق .

وقوله : « قريناهم المأثورة » إلخ يقال قريت الضيفَ قِرًى ، أى أحسنت إليه . وهذا من قبيل الاستعارة التهكميَّة . قال صاحب الصحاح : المأثور : السَّيف الذى يقال إنَّه من عمل الجنّ . قال الأصمَعىُّ : وليس من الأُثْر الذى هو الفِرنْد . والبِيض : السُّيوف أى البيض المأثورة . ونَجَعت الماء والدَّمَ بالجيم ، إذا سيَّلته ، فالعروق مفعولٌ بتقدير مضاف ، أى دم العروق . والأزْأنىّ فاعل . قال صاحب الصحاح : ذو يَزَنَ ملكٌ من ملوك حِمير تنسب إليه الرِّماح اليزنية ، يقال رمح يَزنىٌّ وأَزَنىٌّ ويزأنىٌّ وأزْأنىٌّ . والمثقَّف : المعدَّل . والتثقيف : التعديل . وقوله : «قبلها» ، أى قبل المأثورة البيض . يقول : طاعنَّاهم بالرِّماح قبل أنْ جالدناهم بالسُّيوف .

وفى هذه القصيدة شاهدٌ آخر يأتى شرحه إن شاء الله تعالى فى باب العطف (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الأربعون بعد الثلثمائة :

٣٤٠ (كأنَّ حُمولَهمْ لمَّا استقلّتْ ثلاثةُ أكلبٍ متُطاردانِ)

على أنَّ بعضهم أجاز وصفَ البعض دون بعض ، محتجًّا بهذا البيت .

لم أر هذا البيتَ إلاّ فى (كتاب المعاياة للأخفش) ، وهو على طريقة أبيات المعانى . ونصُّه : قال بعضهم : إِنَّ هذا شعر وُضع على الخطأ ليعلم الذى يسأل عنه كيف فهمُ مَن يسأله . وقال بعضهم : لا ولكنه وصَف اثنين منها وأخبر عنهما بتطاردَ ، وأجاز مررت برجلين صالح ، وصف أحد الرجلين وكفَّ عن الآخر ، ومررت بثلاثة رجالٍ صالحَيْنِ . ولايقول هذا كلُّ أحد . وقد يحتمله القياس . انتهى كلامه .

ويجوز أن يقرأ (متطاردان) باسم الفاعل ، وأن يقرأ (يتطاردان) بالمضارع . وعلى كلٍّ منهما هو وصفُ ثلاثة لكنْ بإلغاء واحدٍ منها . ويشبه هذا قول جَرير :

صارتْ حَنيفةُ أثلاثاً فثُلْثُهمُ من العَبيدِ وثُلثٌ من مواليها

قال ابن السيد (فى شرح كامل المبرد) : هذا مماًّ عيب عليه ، لأنّه لم يذكر الثالث .

قال الآمدىّ : لمَّا قال جرير هذا البيت قيل لرجلٍ من بنى حنيفة : من أىِّ الأثلاث أنت ؟ قال : من الثلث الملغَى . انتهى .

وأراد جريرٌ بالثلث المتروك أشرافَهم وترك الثالث عمداً ، لأنَّه فى مقام

---

(١) الشاهد ٣٥٧ .

الذم لايُثبت لهم أشرافاً صراحة . و(الحمول) بضم الحاء المهملة والميم ، هى الإبل التى عليها الهوادج ، كذا (فى العباب) . و(استقلّت) : ارتفعت . واستقلَّ القوم : ارتحلوا ومضَوا . و(التطارد) ، و (المطاردة): أن يَحملَ بعضُهم على بعضٍ فى الحرب . و (أكلب) : جمع كلب ، جمع قِلّة .

وفى هذا البيت مبالغةٌ من الهجو ، فإنَّ الإبل التى يعدُّونها عندهم كثيرةً عدَّتها ثلاثة لاغير ، وإنَّها صغيرةٌ فى الجثّة جداً ، حتّى إنّها مع ماعليها فى مقدار جِرْم الكلاب ، وإنها ليس عليها مايثقلها [١] من الأثاث والمتاع ، ولذلك تطاردت لخفَّة ماعليها ، وإنَّ بعضَها هزيلٌ جداً لا يَقِدر على الطِّراد . هذا ماسنح لى [٢] ، والله أعلم .

٣٠١

* * *

وأنشد بعده :

(ويأوِى إلى نِسوةٍ عُطّـلٍ وشعثاً مَراضيعَ مثلَ السَّعالى)

على أنّ الأعرَفَ مجىءُ نعت النكرة المقطوع بالواو .

وتقدمَّ عن الشارح فى الشاهد الثالث والخمسين بعد المائة [٣] أنّ شعثا منصوب على الترحُّم . قال سيبويه : كأنّه حيث قال نسوة عُطّل صِرن عنده ممن عُلم أنّهن شُعث ، ولكنه ذكر ذلك تشنيعاً لهنَّ وتشويها . قال الخليل رحمه الله : كأنّه قال : وأَذكرهنَّ شعثا ، إلاَّ أن هذا فعلٌ لايُستعمَل إظهاره . وإن شئت جررت على الصفة . وزعم يونسُ أنّ ذلك أكثر ، كقولك : مررت بزيد أخيك وصاحبك . انتهى

---

(١) ش : « ليس عليها مما يقلها » .

(٢) ش : « سنح الى » .

(٣) الخزانة ٢ : ٤٢٦ .

وفاعل يأوى ضمير الصيَّاد ، أى يأتى مأواه ومنزلَه إلى نسوةٍ بعد أن ذهب إلى الصيد ، فيجدهنَّ فى أسوأ الحال . وعُطّل : جمع عاطل ، أى لاشىء عندها . والشُّعث : جمع شَعثاء ، وهى المتغيِّرة من الجوع ونحوِه .

وتقدّم شرحه هناك مفصلاً فليرجع إليه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والأربعون بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد س [(١)] :

٣٤١ (لايَبْعَدَنْ قومِى الذين هُمُ   سمُّ العُداةِ وآفةُ الجُزْرِ
النَّازلين بكلِّ مُعتَرَكٍ   والطَّيِّبون مَعاقِدَ الأُزْرِ)

على أنّه يجوز قطع نعت المعرفة بالواو ، كما يجوز قطع نعت النكرة بها . فقولها : والطيبون ، نعتٌ مقطوع بالواو من قومى للمدح والتعظيم ، بجعله خبر مبتدأ محذوف ، أى هم الطيبون . وإنّما حكم بالقطع مع أنّه مرفوع كالمنعوت وهو قومى ، لقطع النازلين قبله ، لما ذكرنا أيضاً ، بجعله منصوبا بفعل محذوف تقديره أعنى أو أمدح ونَحوهما . والعرب إذا رجعت عن شىءٍ لم تَعُدْ إليه .

وقال ابنُ السكيت (فى أبيات المعانى) : قال ابنُ الأعرابىّ : النازلين تابعٌ لقومى على المعنى ، لأنّ معناه النصب ، كأنه قال : لايُبعِد اللهُ قومى .

قال سيبويه (فى باب ماينتصب على التعظيم والمدح) : وإن شئت جعلتَه صفةً فجرى على الأوّل ، وإن شئت قطعته فابتدأته ، وذلك قول الله عز وجل :

---

(١) فى كتابه ١ : ١٠٤ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩ ، ٢٨٨ . وانظر الجمل ٨٢ والمحتسب ٢ : ١٩٨ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٢٤٤ والإنصاف ٤٦٨ ، ٧٤٣ والعينى ٣ : ٦٠٢ / ٤ : ٧٢ والتصريح ٢ : ١١٦ ، ٢٠٤ والهمع ٢ : ١١٩ والأشمونى ٣ : ٦٨ ، ٢١٤ .

(لكِنِ الرَّاسخون فى العِلْم مِنْهُمْ والمُؤمنونَ يُؤْمِنُون بما أُنزل إليك وماأُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ والمُقيمِينَ الصّلاةَ والمُؤْتُون الزكاةَ (١) ﴾. فلو كان كلُّه رفعا كان جيِّداً .فأمّا المؤتون فمحمول على الابتداء . وقال تعالى : ﴿ ولكنّ البِرَّ مَنْ آمَنَ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ والمَلَائكةِ والكِتَاب والنَّبيِّينَ وآتى المَالَ على حُبِّه ذَوِى القُرْبَى واليَتَامَى والمَسَاكِينَ (٢) ﴾ إلى قوله : ﴿ وَحِينَ البأس (٣) ﴾ . فلو رفَعَ الصابرين على أوّل الكلام كان جيِّداً ، ولو ابتدأ فرفعه على الابتداء كان جيِّداً كما ابتدأت : والمؤتون الزكاة . ونظيرُ هذا من الشِّعر قولُ الخِرْنق :

* لايبعَدَنْ قومى الذين هم * (البيتين)

فرفعُ الطيِّبين كرفع المؤتين . ومثلُ هذا فى الابتداء قول ابن خَماط العُكْلىّ (٤) :

وكلُّ قومٍ أطاعُوا أمْرَ مُرشِدِهمْ ... إلاّ نميراً ، أطاعت أمرَ غاويها (٥)
الظّاعنينَ ولمّا يُظعِنوا أحَداً ... والقائلون لِمَنْ دارٌ نخلِّيها

٣٠٢

وزعم يونس أنَّ من العرب من يقول : النازلون بكلِّ معترك والطيِّبين ، ومن العرب من يقول : الظاعنون والقائلين ، فنَصْبهُ كنصب الطيِّبين ، إلاّ أنَّ هذا شتمٌ لهم وذمٌّ كما أنّ الطيبين مدحٌ لهم وتعظيم . وإن شئتَ أجريت هذا كلّه على الاسم الأوّل ، وإن شئت ابتدأته جميعا فكان مرفوعا على

---

(١) النساء ١٦٢ .

(٢) البقرة ١٧٧ .

(٣) واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس .

(٤) فى سيبويه : « ابن خياط العكلى » . وانظر الإنصاف ٤٧٠ .

(٥) ط : « إلا نمير » ، صوابه فى سيبويه والانصاف .

الابتداء . كلُّ هذا جائزٌ فى ذين البيتين ومأأشبههما. انتهى كلام سيبويه.

وقال الزجّاج : اختلف الناس فى إعراب المقيمين فقال بعضهم : هو نَسَقٌ على ما ، المعنى : يؤمنون بما أنزل اليك وبالمُقيمين الصلاة ، أى يؤمنون بالنبيين المقيمين الصّلاة. وقال بعضهم : نسَقٌ على الهاء والميم ،المعنى : لكن الراسخون فى العلم منهم ومن المقيمين الصلاة يؤمنون بما أنزل إليك . وهذا عند النحويِّين ردىء ، لايُنسَق بالظاهر على المضمر إلاَّ فى شعر . وذهب بعضُهم إلى أنّ هذا وهَمٌ من الكاتب . وقال بعضهم : فى كتاب الله أشياءُ ستصلحها العرب بألسنتها . وهذا القولُ عند أهل اللغة بعيدٌ جداً لأنّ الذين جمعوا القرآن أصحابُ رسول ﷺ ، وهم أهلُ اللُّغة وهم القُدْوَة ؛ وهم الذين أخذوه عن رسول الله ﷺ وجَمَعوه . وهذا ساقط عمن لايعلم بعدهم ، وساقطٌ عمن يعلم ، لأنَّهم يقُتَدى بهم ، فهذا مما لاينبغى أن يُنسَب إليهم . والقرآنُ محكَمٌ لالحنَ فيه حتَّى [1] يتكلَّم العرب بأجود منه فى الإعراب . ولسيبويه والخليل وجميع النحويّين فى هذا بابٌ يسمُّونه باب المدح ، قد بينّوا صحّة هذا وجودَته .

قال النحويُّونَ : إذا قلت مررت بزيد الكريم وأنت تريد أن تخلِّص زيداً من غيره فالخفض هو الكلام ، حتّى تعرف زيداً الكريم من زيد غير الكريم . وإذا أردت المدحَ والثناء فإنْ شئتَ نصبتَ وإن شئتَ رفعت . وجاءنى قومُك المطعمين فى المحل والمغيثون فى الشدائد ، على معنى أذكر المطعمين وهم المغيثون . وعلى هذا الآيةُ ؛ لأنّه لما قال : بما أنزل إليك ومأنزل من قبلك عُلم أنهم يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، فقال : والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة

---

(١) ط : « بشىء » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

على معنى : أذكر المقيمين ، وهم المؤتون . وأنشدوا بيت خِرنق بنت هِفَّان :
لايبعدن قومى الذين هم ، البيتين ، على معنى أذكر النازلين وهم الطيبون ،
رفعه ونصبه على المدح . وبعضهم يرفع النازلين وينصب الطيبين ، وكلَّه واحدٌ
جائزٌ حسَن . انتهى .

وقال ابن جنى (فى المحتسب) : القطع لكونه بتقدير الجملة أبلغ من
الإتباع لكونه مفرداً . قال فى سورة فاطر : قرأ الضحَّاك : ﴿ الحمد لله فَطَرَ
السَّمٰوات ﴾ [١] . وهذا على الثناء على الله سبحانه وذِكرِ النِّعمة التى استحق
بها الحمد . وأفرد ذلك فى الجملة التى هى جَعَل بما فيها من الضمير ، فكان
أذهبَ فى معنى الثَّناء ، لأنّه جملة بعد جملة . وكلما زاد الإسهاب فى الثناء أو
الذم كان أبلغ [٢] . ألا ترى إلى قول خِرْنق :

* لايبعَدن قومى الذين هم * (البيتين)

ويروى النازلون والطيبون ، والنازلين والطيبون ، والنازلون والطيبين . والرفع
على هم والنصب على أعنى ، فلمَّا اختلفت الجمل كان الكلامُ أفانينَ
وضروباً ، فكان أبلغ منه إذا أُلزِم شَرْجًا واحدا [٣] .فقولك : أُثنى على الله
أَعطانا فأَغنى ، أَبلغ من قولك : أُثْني على الله المعطينا والمغنينا ؛ لأَنَّ معك هنا ٣٠٣
جملة واحدة ،وهناك ثلاث جمل .ويدلُّك على صحة هذا المعنى قراءة الحسن :

(١) الآية الأولى من سورة فاطر . وهى قراءة الضحاك والزهرى كما فى تفسير أبى حيان ٧ : ٢٩٧ . وفى هامش ش : « الحمد لله فاطر » ، وهى قراءة الجمهور .

(٢) فى المحتسب : « كان أبلغ فيهما » .

(٣) ط والمحتسب : « شرحا » بالحاء المهملة ، صوابه بالجيم كما فى ش . يقال هما شرج واحد وعلى شرج واحد ، أى ضرب واحد .

﴿جاعلُ [١] الملائكة﴾ بالرفع. فهذا على قولك: هو جاعل الملائكة . ويشهد به أيضا قراءة خُليد بن نُشيط [٢] :«جَعَلَ الملائكة» . قال أبو عبيدة : إذا طال الكلام خرجوا من الرفع إلى النصب ومن النصب إلى الرفع . يريد مانحن عليه ، لتختلف ضروبه وتتباين تراكيبه . هذا كلامه .

وقد أورده سيبويه (فى باب الصفة المشبَّهة) أيضاً ، على أنَّ معاقدَ منصوبٌ بقوله : الطيِّبون على التشبيه بالمفعول به ، وليس مفعولا به ، لأنّ عاملَه غير متعَدٍّ ، ولاتمييزاً كما زعم الكوفيون ، لأنّه معرفة .

فإن قيل : يكون تمييزاً من باب حسنٌ الوجهَ المنوىٌّ به الانفصال ، فيكون نَكِرة .

أجيب بأنه ليس منه فى شىء ، إنما إضافته من باب إضافة المصادر أو الأمكنة إلى مابعدها ، كقيام زيد ومقام عمرو ، فانّ إضافتهما معنوية .

وقولها : (لايبعَدن) معناه لايهلكن ، وهو دعاءٌ جاء بلفظ النَّهى . ويبعَدَنْ فعل مستقبل مبنى مع نون التوكيد الخفيفة ، وموضعه جزم بلا الدعائية وقومى فاعله ، يقال : بعِدَ من باب فرح إذا هلك . وإما الذى هو ضد القرب فهو بَعُد يبعد بضم العين فيهما ، ومصدره البُعْد ، وقد يستعمل فى الهلاك أيضاً لتداخل معنييَهْما ، كقوله تعالى : ﴿ألَا بُعْداً لمدينَ كما بَعِدَتْ ثمود [٣]﴾.

قال اللخمى (فى شرح أبيات الجمل) : واسم الفاعل منهما جميعاً بعيدٌ ، استويا فيه كما استويا فى المصدر،تقول:بَعُد وبَعِد بُعْدا وبَعَدا . وقال ابن السِّيد (فى شرح أبيات الجمل): فإن قيل :كيف دعت لقومها بأن لايهلكوا وهم قد

---

(١) وقراءة الجمهور « جاعل » بالجر ، كما فى تفسير أبى حيان ٧ : ٢٩٧ .

(٢) نشيط ، بضم النون فى ش والمحتسب .

(٣) الآية ٩٥ من سورة هود .

هلكوا ؟ فالجواب أنَّ العرب قد جرت عادتُهم باستعمال هذه اللفظة فى الدعاء للميت ، ولهم فى ذلك غرضان : أحدهما أنَّهم يريدون به استعظامَ موت الرجل الجليل ، وكأنهم لايصدِّقون بموته . وقد بيَّن هذا المعنى زهيرُ بن أبى سُلمى بقوله :

يقولون :حِصْنٌ ،ثم تأبَى نفوسُهمْ وكيفَ بحصنٍ والجبالُ جنوحُ
ولم تَلفِظِ الموتى القبورُ ولم تَزُلْ نجومُ السَّماء والأديمُ صحيحُ

يريد أنهم يقولون : مات حصن ، ثم يستعظمون أنْ ينطقوا بذلك ويقولون : كيف يجوز أن يموت والجبالُ لم تنسف ، والنجوم لم تنكدر ، والقبور لم تُخرج موتاها ، وجِرم العالم صحيح لم يحدُث فيه حادث ؟!

والغرض الثانى أنهم يريدون الدعاء ه بأن يبقى ذكره ولايذهب ، لأنَّ بقاء ذِكر الإنسان بعد موته بمنزلة حياته . ألا ترى إلى قول الشاعر [(١)] :

فأثنُوا علينا لاأبـا لأبيكـمُ بأفعالنا إنّ الثناء هو الخُلْدُ

وقال آخر يرثى يزيد بن مَزْيَدٍ [(٢)] الشيبانى :

فإن تكُ أفنتْه الليالى فأوشكت فإنّ له ذكراً سيفنى اللَّياليا

وقال المتنبى وأحسَنَ :

ذِكر الفتى عُمره الثانى ،وحاجتُه مافَاته ،وفُضولُ العَيش أشغالُ

وقد بيَّن مالك بن الريب المازنىّ [(٣)] مافى هذا من المُحال ، من قصيدةٍ تقدّمت :

يقولونَ لاتبعَـدْ وهـم يَدفِنوننـى وأين مكـان البُعْـدِ إلاَّمكانيـا

---

(١) هو الحادرة ، كما فى البيان ٣ : ٣٢٠ . وانظر حواشى البيان .

(٢) ط : « بن يزيد » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٣) ط : «المزنى» ، صوابه فى ش . وانظر الخزانة ٢ : ٢١٠ .

٣٠٤ وقال الفرَّار السُّلَمى :

ماكان يَنْفعنى مقالُ نسائهم وقُتِلْتُ دونَ رجالهم لاتَبْعَدِ

وقولها : (سمُّ العداة) الخ ، السم معروف ، وسينه مثلثة . و(العُداة) : الأعداء جمع عاد ، كقضاة جمع قاض ، حكى أبو زيد : أشمت الله عادِيَكَ أى عدوّك . ولايكون العداة جمع عدوّ ؛ لأنّ عدُوّ فَعول ،وفعول لايجمع على فُعَلة إنما يجمع عليه فاعل المعتل اللام . والأعداء : جمع عدوّ ، أجروا فَعُولا مجرى فعيل ، كشريف وأشراف . وقد جمعوا أعداءً على أعادىّ . و (الآفة) : العلَّة . و (الجُزْر) بضم فسكون : جمع جزور ، والأصل بضمتين ، كرسول ورسل ، فسكن الثانى تخفيفا . والجزور هى الناقة التى تُنحر . فإن كانت من الغنم فهى جَزَرة بفتحتين . وصفتْهم أوّلاً بالشّجاعة والنّجدة ، وأنّهم يقتلون أعداءهم كما يقتلهم السمّ . وثانيا بالكرم ونحر الإبل للأضياف ، فكأنّهم آفةٌ للإبل تصيبها فتهلكها .قال ابن السِّيد : فإنْ قيل : كيف قالت الذين هم ، وإنما يليق هذا بمن هو موجود ، وإنما كان ينبغى أن تقول كانوا ، كما قال الآخر :

كانوا على الأعداء نارَ محرِّق ولقومهم حَرَماً من الأحرامِ [1]

فالجواب عنه من وجهين : أحدهما أنّ العرب كانت تضمِّن [2] كان ، اتّكالاً على فهم السامع ، كقوله تعالى : ﴿ واتَّبَعُوا ماتتلُوا الشّياطِينُ على مُلْكِ سليمان [3] ﴾ ، قال الكسائى : أراد ما كانت تتلو . وثانيهِما أنها إذا دعَت ببقاء الذِّكر بعد موتهم صاروا كالموجودين ، وكانوا موصوفين بما كانوا يفعلونه .

وقولها : (النازلين) الخ ، قال ابن خلف : يجوز فى النازلين والطيبين

(١) ط : « نارا محرقا » تحريف ، صوابه فى ش .
(٢) ش : « تضمر » مع أثر تصحيح .
(٣) البقرة ١٠٢ .

أربعة أوجه: رفعهما ، ونصبهما، ورفع أحدهما مع نصب الآخر مقدّما ومؤخّرا ، على القطع ، غير أنّك إن رفعتَهما جاز أن يكونا نعتين لقومى ، فيكون الرافع لهما رافع قومى بعينه ، والكلام جملة واحدة ، وجاز أن يكونا مقطوعين فى التقدير بإضمار مبتدأ ، فيكونا جملتين . والرافع والنّاصب المقدّران [١] لايجوز أن يظهر واحدٌ منهما لفظا ، إنما يكون مُقدَّراً أبداً منوِيًّا ، وامتناعُ إظهاره إشعارٌ باتِّصاله بما قبله وتشبيهٌ به ، فلو ظهر أمكن أن يكون جملةً قائمة بنفسها مستقلّة ، وليس الغرض ذلك .ويجوز أن يكون الطِّيِّبون معطوفاً على سمّ العداة وآفة الجزر ، وأن يكون على الضمير فى النازلين . ويجوز الرفع على إضمار مبتدأ كما ذكر فى الكتاب . ولايجوز أن يكون النازلون رفعاً صفة لمجموع قومى وسمّ العداة ، لاختلاف العاملين .

فإن قيل: هل الأقيس [٢] أن يكون نعتاً لقومى أو لسمّ العداة ؟ فالجواب : لقومى ، لأنه محض الاسم ، فهو أولى بالوصف من الصفة . انتهى

وإنما كان سمّ صفة لتأويله بالقاتل .

ثم قوله : وفى نصب النازلين اختلاف ، فالزجاجى يذهب إلى أنه نصب على إضمار أعنى ، وعلى قياس قول سيبويه نصبٌ على المدح — ساقط ؛ إذ لااختلاف معنى ، فإنَّ هذا ونحوه منصوب على المدح سواء قدّر أمدح أو أعنى أو نحوهما .

والباء فى (بكل) ظرفية متعلّقة بالنازلين . و(المعترك) ،وكذلك المعرك كجعفر ،والمعركة :موضع القتال .وهذا مشتقٌ من عَرَكتِ الرَّحا[٣]الحبَّ،

---

(١) ط : « المقدرين » صوابهما فى ش .

(٢) ش : « فان قيل فالأقيس » .

(٣) الرحا ، تكتب بالألف وبالياء . وفى اللسان : « الرحا معروفة وتثنيتها رحوان . والياء أعلى » .

إذا طحنَتْه . أرادوا أنَّ موضع القتال يَطحن كما تَطحن الرَّحا مايحصل فيها ، ولذلك سمَّوه رحاً . قال عنترة :

* دارت على القوم رحاً طَحُونُ *

وقد بيَّن ذلك زُهير بن أبى سُلمى بقوله :

فتعركْكُمُ عركَ الرَّحا بثِفالها وتَلقَحْ كِشافاً ثم تحمل فتَفْطِمِ (١)

وقولها : (النازلين بكلِّ مُعتَرَك) يعنى أنَّهم ينزلون عن الخيل عند ضيق المعتَرك فيقاتلون على أقدامهم ،وفى ذلك الوقت يتداعون : نَزَالِ ! كما قال ربيعة بن مقرومٍ الضَّبِّىّ (٢):

ولقد شهدتُ الخيلَ يومَ طِرادها بسليم أوظفةِ القوائم هيكلِ
فدعَوْا نزالِ فكنتُ أَوّلَ نازلٍ وعلامَ أركبه إذا لم أنـزلِ

وقال ابن السِّيد : النزول فى الحرب على ضربين :أحدهما ماذكر ،والثانى فى أول الحرب ، وهو أن ينزلوا عن إبلهم ويركبوا خيلهم (٣) . قال اللخمى:وإنَّما ينزلون عن الإبل إلى الخيل فى الغارات ، يقودون خيولهم ليريحوها ؛ ويركبون إبلهم ، فإذا قربوا من عدوِّهم وأغاروا نزلوا عن إبلهم إلى خيلهم ، مخافة أن يُتَّبعوا فيدركوا . وزعَم ابن سيده فى نزولهم إنما هو من الإبل إلى الخيل . وليس كذلك .

وفى قولها: (النازلين)إلخ إشارة إلى أنّ حالهم فى القتال على الخيل كحالهم

---

(١) كذا وردت الرواية هنا ، ولم أجدها فى مرجع آخر . وفى هامش ش : « ترضع » مقرونة بالرمز « صح » . ويروى : « ثم تنتج » .

(٢) من الحماسية التاسعة بشرح المرزوقى ٦١ .

(٣) ش : « ويركبوا » فقط بسقوط : « خيلهم » .

فى القتال على الأقدام ،وأنهم لايكِعُّونَ عن النزول (١)، إذ أحوال الناس فى ذلك مختلفة ، ولاينزل فى ذلك الموضع إلاّ أهل البأس والشدّة. ولذلك قال مهلهل :

لم يُطيقــوا أنْ ينزلــوا فنَزلنــا وأخو الحرب مَن أطاقَ النُّزُولا

وقولها : (والطَّيبون) أرادت أنَّهم أَعفَّاءُ فى فروجهم ؛ لأنّ العرب تكنى بالشىء عما يحويه أو يشتمل عليه ، كقولهم : ناصح الجيب ، يريدون الفؤاد ، فكنوا عنه بالجيب الذى يقع عليه أو قريباً منه . تقول : لايحلُّون أزرهم على ماليس لهم . قال اللخمى : وقال ابن خلف : إذا وصفوا الرجل بطهارة الإزار وطيبه فهو إشارة وكناية عن عفة الفرج ، يراد أنّه لايعقد إزاره على فرج زانية . وكذلك طهارة الذيل . وإذا وُصِف بطهارة الكُمّ أو الرُّدن وهو الكمُّ بعينه ، أرادوا أنّه لايسرق ولايخون . وإذا وصفوه بطهارة الجيب أرادوا أنَّ قلبَه لاينطوى على غشّ ولا مَكْر . وقد يكنون عن عفة الفرج بطِيب الحُجْزة ، كما قال النابغة :

* رقاق النعال طيب حُجُزَاتهم *

(والمعاقد) إما جمع مَعْقِد بكسر القاف ، وهو موضع العَقْد ، وإمَّا جمع معقَد بفتحها وهو مصدر ميمى . قال اللخمى : المعاقد الحجَز . والحجزة بضم المهملة وسكون الجيم بعدها زاى معجمة ، وهى حيث يثنَى طرف الإزار فى لَوْث الإزار أى طيّه . وحكى ابنُ الأعرابى حُزّة بضم المهلة وتشديد الزَّاء ، كما ينطق بها العامة . وقيل المعاقد للأزُر ، والحُجز للسَّراويلات . والحُجَزُ للعَجَم وملوك العرب كما قال النابغة ، والمعاقد للعرب لأنها لاتكاد تلبس إلا الأزُر ؛ وهو جمع إزار ، وسكن الزاء أيضاً تخفيفا والأصل ضمها . والإزار عند العرب : ماستر النِّصف الأسفلَ من الإنسان ، والرداء : ماستر النصف الأعلى منه.

---

(١) يكِعُّون : يجبنون . وفى ط : « يكفون » ، صوابه فى ش.

ولبس السراويل عند العرب نادر . يروى أنّ أعرابيا مرّ بسراويلَ مُلقاةٍ فظنَّها قميصا ، فأدخل يديَه فى ساقيها وأدخل رأسه فلم يجد منفذاً ، فقال: ماأظنُّ هذا إلاّ من قُمُصِ الشَّياطِين ! ثم رماها . ٣٠٦

صاحب الشاهد وهذان البيتان من قصيدة لخرنِق بنت هِفَّان ، رثت بها زوجها بشر بن عمرو بن مَرثد الضُّبَعىّ ، وابنهَا علقمة بنَ بشر ، وأخويه حسانَ وشرَحبيل ، ومَنْ قُتِلَ معه من قَومه ، وكان بشرٌ غزا بنى أسد بن خُزيمة هو وعمرو بن عبد الله بن الأشلّ ، وكانا متساندين : بشرٌ على بنى مالك وبنى عتاب بن ضبيعة ، وعمرو على بنى مالك وبنى رُهْم . ومعنى التساند والمسانَدَة أن يَخرج كلُّ رجل على حِدَته وانفراده ، ليس لهم أميرٌ يجمعهم .فأَغار على بنى أسد فتقدمّتهم بنو أسد إلى عَقَبة يقال لها قُلاب ، فقُتِل بشر بن عمرو وبنوه ،وفرّ عمرو بن عبد الله بن الأشلّ فسمى ذلك اليوم يوم قلاب [(١)] . كذا قال ابن السيد واللَّخمى .

وبعد البيتين :

قومٌ إذا ركبوا سمِعتَ لهم	لغَطاً من التَّأييهِ والزَّجْرِ
فى غيرِ ما فُحْشٍ يُجاء به	بمَنَائح المُهُرات والمُهْرِ
إن ينشربوا يَهبُوا وإن يَذرُوا	يتواعظوا عن مَنطِق الهُجْرِ [(٢)]
والخالطين نحيتَهم بنُضارهم	وذوِى الغنى منهم بِذى الفقرِ
هذا ثنائى مابقيتُ عليهمُ	فإذا هلكتُ أجَنَّنى قبرى

(١) قلاب ، بالضم : جبل فى ديار بنى أسد . وانظر لهذا اليوم معجم البلدان .
(٢) ط : « وان يزدوا » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح ، والعينى ٣ : ٦٠٣ .

واستدلّ بعضهم بهذه الأبيات على أنّ ماتقدَّم دعاءٌ لمن بقىَ من قومها ، أى لاأبعدَ الله مِن قومى كبُعد من مضى منهم .

ويردُّ عليه قولها فى القصيدة :

لاقَوا غداة قلابَ حتَفهمُ سَوق العَتير يساق للعَترْ

واللَّغط بفتح المعجمة وسكونها : الأصوات المختلطة . والتأبيه : الدُّعاء . يقال أيَّهت بالرجل ، إذا دعوته ، وأيَّهْتُ بالفَرس . وفى الحديث : « أنّ ملك الموت سُئل : كيف تقبض الأرواح ؟فقال : أُؤيِّه بها كما أُؤَيِّهُ بالخيل فتجىء إلىَّ » .

وقولها : فى غير مافحش إلخ ، مازائدة .قال ابن السكيت :تقول يزجرونها بعفاف من ألسنتهم ، لايذكرون الفُحش فى الزجر .

وقولها : إن يشربوا يهبوا ، ليس بمدح تامّ ، لأنَّها جعلت العلّة فى كرمهم شربَ الخمر . وقد عِيب على طرفة قولُه :

فإذا ما شربوها وانتشَوْا وهَبوا كلّ أمونٍ وطِمِرّْ

وعيب على حسَّان قولُه :

ونشربها فتتركنـا مُلوكـاً وأُسداً مايُنَهْنِهُنا اللِّقـاءُ

وقد قال البحترىُّ فى هذا فأحسن :

تكرَّمتَ من قبل الكئوس عليهم فما اسطَعن أنْ يُحدثنَ فيك تكرُّما

وأول من نطق بهذا امرؤ القيس فى قوله :

سماحةَ ذا وبرَّ ذا ووَفاء ذَا ونائلَ ذا إذا صحا وإذا سكِرْ

---

(١) قبله فى ديوانه ١٩٣ :

وتعرف فيه من أبيه شمائلا ومن خاله ومن يزيد ومن حُجُرْ

فاخبر أنّه جوادٌ فى الحالين جميعاً : فى حال الصَّحْو وفى حال السُّكر . وهذا هو المدح التامّ . ثم اتَّبعه زهير فقال :

أخو ثِقَةٍ لاتُتْلِف الخمرُ مالَه ولكنّه قد يُهلِك المالَ نائلُه

والهُجْر بالضم : الكلام القبيح .

وقولها :والخالطين نحيتهم إلخ ،النّحيت بفتح النون وكسر المهملة:الخامل الساقط الذكر. والنُّضار بضم النون بعدها ضاد .معجمة :الخالص النّسب العزيز الشَّهير .يقول: إنهم خلطوا خاملَهم برفيعهم، وفقيرَهم بغنيِّهم ، فاكتسبوا منهم الغنى والخصالَ الحميدة؛فليس فيهم خاملٌ ولافقير .ومثله قولُ زهير:

على مُكْثِرِيهم حقُّ من يعتريهمُ وعند المُقِلِّين السَّماحةُ والبذْلُ

وهذا البيتُ وقع فى شعر حاتم الطائى(١)،قال أبو عبيدة:والصواب أنّه لخرنق.

والعروض فى هذا البيت على متفاعلن تامّة ؛ وهى فى جميع الأبيات على فَعِلُنْ حَذّاء ، ولايجوز ذلك . والشّعر من الضرب الرابع من الكامل .

وقولها:فإذا هلكت إلخ ،أجنَّني :ستَرنى .قال ابن السِّيد :كلامٌ لافائدة فيه على ظاهره ، والمعنى فإذا هلكت قام عُذرى فى تركى الثناء عليهم لهلاكى، فهو مما وضع السبب فيه موضع المسبَّب (٢) .

وقولها : لاقَوْا غداة إلخ ، الحتف : الهلاك . وسَوقَ مفعول مطلق ، أى سيقو إلى الحتف سوقا كسَوق العتير ، وهو بفتح العين المهملة وكسر المثناة الفوقية : مايُذبح للأصنام فى رجبَ فى الجاهلية ، تعظيماً لأصنامهم . والعَتْر ، بفتح العين المهملة : ذبح العتيرة ، فهو مصدر .

---

(١) من مقطوعة فى ديوانه ١٦١ عدتها ستة أبيات أولها :

إن كنت كارهة معيشتنا هاتى فحلِّى فى بنى بدرِ

(٢) ش : « فى موضع المسبب » .

وقلاب يضم القاف وتخفيف اللام وآخره باء موحدة ، قال أبو عبيدٍ البكرى (فى معجم مااستعجم) : هو جبلٌ من محلَّة بنى أسد على ليلة .وفى عَقَبة قلابٍ قتلت بنو أسدٍ بشرَ بن عمرو ، زوْجَ خرنق ، وابنهَا منه علقمة بن بشر فقالت [(١)] :

مُنَتْ لهم بواثلـة المنايـا بحرف قلابَ للحَيْن المَسُوقِ [(٢)]

ثم إنَّ بنى ضُبيعة أصابوا بنى أسد بهَرْشَى وأدركوا بثأرهم ، فقال وائل بن شرحبيل بن عمرو بن مرثد :

أبِى يومَ هَرْشى أدرك الوِتْرَ فاشتفَى بيوم قُلاب والصُّروفُ تَدورُ

انتهى . ومُنَتْ أصله مُنيت ، أى قُدِّرت المنايا لهم ، فحذفت الياء .

وهو آخر بيت من أبيات ، وهى :

لا وأبيكَ آسَى بعد بشرٍ على حىّ يموت ولا صديقِ
وبَعد الخيرِ علقمةَ بنِ بشرٍ إذا ماالموت كان لدَى الحُلوقِ
ومال بنو ضُبَيعة بعد بشر كما مال الجذوعُ من الحريق
فكم بقُلابَ من أوصالِ خِرقٍ أخى ثقة وجُمْجمةٍ فليقِ [(٣)]

(١) سقطت هذه الكلمة من ش ، كما سقط منها « زوج خرنق » السابقة .

(٢) وكذا فى معجم ياقوت : « واثلة » بالثاء المثلثة قال : « مأخوذ من الوثيل وهو ليف النخل ، وهى قرية معروفة » وفى ش : « وابلة » بالباء ، تحريف ، وفى معجم مااستعجم : « بوالبة » ، ولم أجد لهذا المكان ذكرا إلا فى هذا الموضع من معجم مااستعجم .

(٣) ط : « أوصاف خرق » ، صوابه فى ش ومعجم البلدان لياقوت ، حيث أنشد هذه الأبيات مع زيادة ونقص .

وآسى : أحزن .ولا محذوفة ، أى وأبيك لاأحزن بعد بشر . والحلوق : جمع حَلق ،وهو مجرى الطعام. ومال بنو ضُبيعة ، أى تساقطوا بعد بشر . والخِرْق بكسر المعجمة ، من الفتيان : الظريف فى سماحة ونجدة .

خرنق بنت بدر

وخرنق بكسر الخاء المعجمة وسكون الراءِ المهملة وكسر النون بعدها قاف،هى امرأة شاعرة جاهليَّة .قال أبو عبيدة :هى خِرنق بنت بدر بن هِفَّان،من بنى سعد بن ضُبيعة رهط الأعشى.كذا (فى العباب) للصاغانى. وفى كتاب (التصحيف للعسكرى) و (شروح أبيات الكتابِ والجمل): خرنق بنت هِفان القيسيَّة ، من بنى قيس بن ثعلبة بن عُكابةَ بن صَعب بن علىّ بن بكر بن وائل ، بحذف « بدر» . وقالوا :هى أخت طرفة بن العبد لأمّه . وقال يعقوب بن السكيت (فى أبيات المعانى) :هى عمّة طرفة بن العبد .والله أعلم .

٣٠٨

وقيس هو رهط الأعشى أيضاً ، وإليه ينسب فيقال أعشى قيس .

وخرنق من الأسماء المنقولة ،لأنَّ الخرنق فى اللغة ولدُ الأرنب .والخرنق أيضاً :مَصنْعَة الماء، وهو نحو الصِّهريج ، والنون أصليَّة .

وأما هَفَّان بفتح الهاءِ وكسرها وتشديد الفاء ، فهو اسم مرتجل غير منقول ، مشتقٌ من الهفيف ، وهو سُرعة السيَّر .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والأربعون بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد سيبويه [1] :

٣٤٢ (وما الدَّهرُ إلاَّ تارتان فمنهما أَموتُ وأخرى أَبتغِي العَيْشَ أَكْدَحُ)

---

(١) فى كتابه ١ : ٣٧٦ . وانظر ديوان ابن مقبل ٢٤ والمقتضب ٢ : ١٣٨ والكامل ٧٣٨ والحيوان ٣ : ٤٨ والمحتسب ١ : ١١٢ والهمع ٢ : ١٢٠ وحماسة ابن الشجرى ١٨٣ .

على أنَّ الموصوف محذوف ، أَى منهما تارةٌ أَموت . هكذا قدَّرَ سيبويه وأورده فى باب حذف المستثنى ، نحو قولك ليس غير وليس إلاَّ أنّه ، كأنَّه قال : ليس إلاَّ ذاك ، وليس غير ذاك . قال : وسمعنا بعض العرب الموثوق بهم يقول : مامنهما مات حتى رأَيته فى حالٍ كذا ، وإنما يريد : مامنهما واحدٌ مات . انتهى .

وأورده الفراء أيضاً (فى تفسيره) عند قوله تعالى :﴿ ومن آياته يُرِيكم[1]﴾ ، قال : من أظهر [2] أَنْ فهى فى موضع اسم مرفوع ، كما قال : ﴿ ومن آياته مَنَامُكم باللَّيل [3] ﴾ ، فإذا حذفت أنْ جعلت مؤدِّية [4] عن اسم متروك يكون الفعل صلة له ، كقول الشاعر :

وما الدهر إلاّ تارتان .... البــــيت

كأنّه أراد : فمنهما ساعةٌ أَموتُها وساعةٌ أَعيشها ، وكذلك : ومن آياته آيةٌ للبرق وآية لكذا . وإنْ شئت : يريكم من آياته البرق ، فلا تضمر أَن ولا غيره . انتهى .

وكذلك أنشده الزجاج (فى تفسيره) عِند قوله تعالى :﴿ مِنَ الذين هَادُوا يُحَرِّفون الكلمَ [5]﴾أى قومٌ يحرِّفون ، كهذا البيت . والمعنى منهما تارةٌ أَموت فيها،فحذف تارةٌ وَأَقام الجملة التى هى صفتها نائبة عنها،فصار :أموت

---

(١) من الآية ٢٤ فى سورة الروم .

(٢) فى النسختين : « أضمر » ، صوابه فى معانى الفراء ٢ : ٣٢٣ .

(٣) من الآية ٢٣ فى سورة الروم .

(٤) فى النسختين : « جعلت مورية » ، وصوابه وإكماله من معانى الفراء .

(٥) من الآية ٤٦ من النساء .

فيها ،فحذف حرف الجر فصار التقدير : أموتها ، ثم حذف الضمير فصار أموت . ومثله فى الحذف من هذا الضَّرب ، بل هو أطولُ منه :

تَروَّحى ياخَيرة الفَسِيــــل تروّحى أجدَرَ أنْ تَقيلى (١)

أصله : ائتى مكاناً أجدرَ بأن تَقيلى فيه، فحذف الفعل الذى هو ائتى لدلالة تروَّحى عليه، فصار مكاناً أجدر بأن تقيلى فيه ، ثم حذف الموصوف الذى هو مكاناً ، فصار تقديره أجدرَ بأن تَقِيلِي فيه ، ثم حذف الباء أيضاً تخفيفا ، فصار أجدر أن تقيلى فيه . ففيه إذن خمسة أعمال ، وهى حذف الفعل الناصب ، ثم حذف الموصوف ، ثم حذف الباء ، ثم حذف فى ،ثم حذف الهاء .وهنا عمل سادس (٢) وهو أنَّ أصله ائتى مكانا أجدر بأن تقيلى فيه من غيره ، كما تقول : مررت برجل أحسنَ من فلان ، وأنت أكرم علىَّ من غيرك . انتهى .

وهذا البيت من قصيدة لتميم بن أبىّ بن مقبل ، وهو شاعر إسلامى تقدمت ترجمته فى الشاهد الثانى والثلاثين من أوائل الكتاب (٣) . وقبله يصف القحط : صاحب الشاهد

(ألم تعلمى أن لايذُمُّ فُجاءتى دخيلى إذا اغبرَّ العِضاهُ المجلَّحُ
وأن لا ألومُ النَّفسَ فيما أصابنى وأن لا أكادُ بالذى كنتُ أفرحُ ٣٠٩

---

(١) لأحيحة بن الجلاح . وانظر المحتسب ١ : ٢١٢ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٣٤٣ والعينى ٤ : ٣٦ والتصريح ٢ : ١٠٣ الأشمونى ٣ : ٤٦ .

(٢) ش : « وهناك وجه سادس » ، صوابه فى ط .

(٣) الجزء الأول ص ٢٣١ .

وما العيش إلا تارتان فمنهما
أموتُ وأُخرى أبتغى العيشَ أكدَحُ (١)
وكلتاهما قد خُطَّ لى فى صحيفةٍ
فلا العيشُ أهوى لى ولا الموتُ أروَحُ)

أن فى المواضع الثلاثة مخفَّفة من الثقيلة ، والفعل بعدها مرفوع ، وفجاءتى مفعول مقدَّم . والفُجَاءة بضم الفاء والمد:مصدر فجأه الأمر كضربه ، وفجئه كعلمه ،إذا أتاه بغته .ويقال أيضاً فاجأهُ الأمر مفاجأة وفِجاءً . ودخيلى أى ضيفى ، فاعل مؤخر ، والدَّخيل :الضيف إذا حلَّ بالقوم فأدخَلوهُ . يقول :إذا جاءنى بغتةً ضيف فى أيام القحط فلا بدَّ من إطعامه وإكرامه ولاأدعه يذمُّنى . واغبرَّ :صار بلون الغُبرة .والعِضاه بكسر العين المهملة بعدها ضاد معجمة وآخره هاء : شجرٌ عظيم شائك تأكل الماشية ورقَه .والمجلَّح بالجيم ، قال صاحب الصحاح : المأكول ، ومنه قول ابن مُقْبل :

* إذا اغبرَّ العضاهُ المجلَّحُ *

وهو الذى قد أُكِل حتى لم يُترك منه شىء .

والكَدْحُ : الكسب والسَّعى ، وجملة أكدح حالٌ مؤكِّدة لعاملها ، وهو أبتغى .وتارة المحذوفة مبتدأ وجملة أموت صفتها ،والعائد إلى الموصوف محذوف ،أى فيها .ومنهما خبر مقدم ،وأُخرى صفة مبتدأ محذوف ، أى تارة أخرى .وليس فى هذا شاهد.وجملة أبتغى العيش خبر المبتدأ والعائد محذوف

(١) فى الديوان :« فى صحيفتى » . وفيه أيضا : « فللعيش أشهى لى وللموت أروح » والصواب ماهنا ، وهو المقارب لما فى الحيوان وحماسة البحترى .

أيضاً ، أى فيها . يقول : لاراحة فى الدنيا لأنّ وقتها قسمان : إمّا موت ، وهو مكروه عند النفس ، وإما حياة وكلُّها سعىٌ فى المعيشة .

* * *

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والأربعون بعد الثلثمائة :

٣٤٣ (وكلَّمتُها ثِنتين كالماءِ منهما وأُخرى على لَوحٍ أحرَّ مِنَ الجَمْرِ[1])

لما تقدَّم قبله ، أعنى أنَّ الموصوف محذوف إذا كان بعضاً من مجرورٍ بمن ، سواء تقدَّم المجرور كما مضى ، أو تأخر كما هنا ، ولهذا كرر الشاهد ، فإنَّ التقدير :كَلَّمْتُها كلمتين ، منهما كلمة كالماء ، وكلمة أخرَى أحرُّ من الجمر. وتقدُّم المجرور أكثرىٌّ .

وهذا ثالث أبياتٍ ثلاثة أوردها الجاحظ (فى كتاب البيان والتبيين)وهى:

أبيات الشاهد

(لقِيتُ ابنة السَّهمىِّ زينبَ عن عُفرٍ ونحن حرَامٌ مُسىَ عاشِرة العَشرِ
وإنى وإيَّاهـا لحَتْمٌ مَبيتنـــا جميعاً وسَيرانا مُغِذٌّ وذُو فتْرِ
فكلَّمتها ثنتين كالثلج منهُما على اللَّوح،والأخرى أحرُّ من الجمر)

السَّهمى : نسبة إلى سهم ، بفتح السين المهملة:قبيلةٌ من قريش ، وقبيلة فى باهلة أيضاً .وزينبَ بدل من ابنةَ ، وعُفْر بضم العين المهملة وسكون الفاء وبضم الفاء أيضاً، قال الجاحظ:يقال مايلقانا إلا عن عُفْر ، أى بعد مدَّة. وكذلك قال القالى (فى أماليه):قوله عن عفر أى بعدَ حين ،يقال ماألقاه إلاّ عن عُفر ، أى بعد حين.وقال الزمخشرى(فى مستقصى الأمثال): لقيته عن عفر، أى بعد شهر ونحوه ، والأصل قلّة الزيارة ،مِن تعفير الظَّبية ولدَها ،وهو

(١) البيان ١ : ٢٨٠ وأمالى القالى ١ : ٩٨ ودرة الغواص ٧٢ .

أن ترضعَه ثم تدعَه ثم ترضعَه ثم تدعَه، وذلك إذا أرادت أن تفطمه .وعَكَس
٣١٠ المأخذَ [١]صاحبُ الصحاح فقال: والتعفير فى الفطام أن تمسحَ المرأةُ ثديَها
بشيءٍ من التراب تنفيراً للصبىِّ.ويقال هو من قولهم:لقيت فلانا مِن عُفر
بالضم أى بعد شهر ونحوه ، لأنَّها ترضعه بعد اليوم واليومين [٢]، تبلُو بذلك
صبرَه . وقوله : « ونحن حرام » قال القالى : أى محرمون . قال صاحب
الصحاح:ورجلٌ حَرام بالفتح أى مُحْرِم،والجمع حُرُم مثل قَذال وقذل.انتهى.
وإنما لم يجمعه هنا لأنّه فى الأصل مصدرٌ يستوى فيه الجمع[والتثنية والمفرد[٣]].
وجملة ونحن حرام حالٌ من الفاعل والمفعول. وقوله «مُسْىَ عاشرة»الخ مُسْىَ
بضم الميم وسكون السين،وكسر الميم لغةٌ :اسمٌ للمَسَاء ، كالصُّبح اسمٌ
للصباح، ولهذا قال الجاحظ : أى وقت المساء.وهو ظَرفٌ لقوله لقيت .وعاشرة
العَشْر هو اليوم العاشر من ذى الحجة،يريد أنَّه لِقيهَا بعرفات عشيَّة عرفة،وهى
مُسْىُ عاشرة العشر.

وقوله : «لحتمٌ مبيتنا»الحتم ،بفتح الحاء المهملة: اللازم .يريد إنَّ مبيت النَّاس
بالمزدلفة حتمٌ لايتجاوزها أحد. وجميعاً حال من المضاف إليه، وهو ضمير المتكلم
مع الغير. وقوله : « وسيرانا » إلخ ،سيراً : مثنى سير، حذفت نونه للإضافة ،ونا
ضمير المتكلم مع الغير .وروى : «مسرانا» بالإفراد .قال صاحب
الصحاح :وسريت سُرى ومَسرًى وأَسريت بمعنىً ، إذا سِرتَ ليلاً[٤]. وأما السَّير
فلا يختص باللّيل .قال صاحب الصحاح :سار يسير سيرا ومَسِيرا، يكون بالليل
وبالنهار، ويستعمل لازما ومتعدِّيا .ومُغِذٌّ بالغين والذال المعجمتين

---

(١) الحق أنه لم يعكسه ، وإنما جمع بين المأخذين ، كما يفهم من نهاية النص .
(٢) فى الصحاح : « بين اليوم واليومين » .
(٣) هذه التكملة من هامش ش مقرونة بكلمة « صح » .
(٤) فى النسختين : « سريت » ، صوابه من الصحاح .

اسم فاعل من أَغَذَّ فى السير إغذاذاً ،أى أسرع فيه وجَدّ .والفتر ، بفتح الفاء، بمعَنى الفترة والفتور ، أى الانكسار والضَّعف .قال القالى : أى سيرى أنا مسرعٌ ،وسيرُها ذو فتور وسكون ،لأنها يُرفَقُ بها. ولم يرو القالى (فى أماليه) إلاّ هذين البيتين عن أبى بكر بن دريد .

وقوله : (فكلَّمتها ثنتين) إلخ الصواب رواية الجاحظ ،وهى (كالثلج) بَدل (كالماء) . والمِصْراع الثانى كذا :

* على اللَّوْح والأخرى أحرُّ من الجَمْرِ *

وكذا رواه الزمخشرى : (فى المستقصى) . واللّوح بفتح اللام وآخره حاء مهملة :العطش .قال الجاحظ : لاح الرحل يلوح لَوحا،والتاح يلتاح التياحا ، إذا عطش . انتهى .

وعلى بمعنى مع .يريد :إنِّى كلمتها كلمتين ، كانت إحداهما كالثلج مع العطش زال بها ماأجد من الحرارة ، وكانت الكلمة الأخرى أحرَّ من الجمر ، فالتهب قلبى من حرارتها .

قال الحريرى (فى درة الغواص) : أراد بالكلمة الأولى تحية القدوم ، وبالأخرى سلام الوَدَاع .

وجعل الزَّمَخشَرىُّ أحرَّ من الجمر من الأمثال ، وأنشد له هذا البيت مع البيت الأوَل عن الجاحظ ، لكن روى المصراع الأول هكذا :

* فقالت لنا ثنتين كالثلج منهما *

وهذا أنسب بما قاله الحريرى .

وقوله :ثنتين منصوب على المفعول المطلق ، أى تكليمتين ، والأخرى

مبتدأ بتقدير موصوف ، أى والكلمة الأخرى ؛ وأحرُّ من الجمر خبر المبتدأ.

صاحب الشاهد

وهذه الأبياتُ نسبها الجاحظ والقالىُّ والحريرىُّ إلى أبى العَمَيْثل عبد الله ابن خالد [١] والعميثل ،بفتح العين المهملة والميم وسكون المثناة التحتية وفتح الثاء المثلثة. والعميثل فى اللغة يأتى لمعانٍ منها الأسد الضّخم،والسيِّد الكريم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والأربعون بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد س [٢]:

٣١١ **٣٤٤** (لو قُلتَ مافى قَومِها لم تِيثَمِ يَفْضُلها فى حَسَبٍ ومِيسمِ)

على أنَّ جملة يفضلها صفة لموصوف محذوف هو بعض المجرور بفى .
قال سيبويه : يريد مافى قومها أحدٌ يفضلها ، كما قالوا : لو أنّ زيدا ههنا ، وإنما يريدون لكان كذا . انتهى .

وأنشده الفراء (فى تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ من الذينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ [٣] ﴾ على أحد وجهين ، وذلك من كلام العرب ، أن يضمروا مَنْ فى مبتدأ الكلام بمنْ ، فيقولون : منّا يقول ذاك ومنّا لايقوله . وذلك أنّ مِنْ بعضٌ لما هى منه ، فلذلك أدّت عن المعنى المتروك . قال الله تعالَى : ﴿ وما مِنَّا إلا له مَقَامٌ مَعْلوم [٤] ﴾ ، وقال : ﴿ وإنْ مِنْكُم إلاّ

(١) من شعراء الاعراب . توفى سنة ٢٤٠ ، انظر حواشى الحيوان ١ : ١٥٥ .

(٢) فى كتابه ١ : ٣٧٥ . وانظر الخصائص ٢ : ٣٧٠ وابن يعيش ٣ : ٥٩ ، ٦١ والعينى ٤ : ٧١ والتصريح ٢ : ١١٨ والهمع ٢ : ١٢٠ والأشمونى ٣ : ٧٠ .

(٣) الآية ٤٦ من النساء .

(٤) الآية ١٦٤ من الصافات .

وَارِدُهَا (١) ﴾. ولايجوز إضمار مَنْ فى شيءٍ من الصفات إلاّ على هذا الذى نبأتُكَ به . وقد قالها الشاعرُ فى فيٍ ، ولستُ أَشتهيها ، قال :

لو قلتَ مافى قومِها لم تأثم   يَفضُلها فى حَسبٍ ومِيسَمِ

ويروى أيضاً : «تيثم» لغة .وإنما جاز ذلك فى فيٍ لأنك تجد معنى مَنْ أنَّه بعضُ ماأضيفت إليه . ألا ترى أنَّك تقول : فينا الصالحون وفينا دون ذلك ، فكأنَّك قلت : منَّا .ولا يجوز أنْ تقول فى الدار يقول ذاك،وأنت تريد فى الدار مَنْ يقول ، إنما يجوز إذا أضيفت فى إلى جنس المتروك . انتهى كلامه.

وأَراد بمَنْ المضمرةِ النكرةَ الموصوفة لا الموصولة ،فإنها لاتحذف وتبقى صلتها، أو أنها هى المرادة عنده فإنَّه كوفىٌّ ، والكوفيون يجوِّزون حذف الموصول .

وقد بيَّن الضابط فى حذف الموصوف مع المجرور بمن وفى ،إلاّ أنَّه جعل الثانىَ دون الأول ، ووافقه السِّيرافىُّ فقال :أكثر مايأتى الحذف مع مِن ، لأنَّ مِنْ تدلُّ على التبعيض . وقد جاء مثله مع فى ، وليس مثل مِنْ فى الكثرة . انتهى .

وقوله : (لم تيثم) جواب لو الشرطية ، أى لم تكذب فتأثم ، وأَصله تأثم فكسر التاء على لغة من يكسر حروف المضارعة إلا الياء للكراهَة ، وهم بنو أَسد. قال ابن يعيش : وذلك إذا كان الفعل على فَعِل نحو يعلم ويسلم.انتهى. وقبل كسر التاء قلبت الهمزة ألفا،وبعد كسر التاء قلبت الألف ياء لانكسار ماقبلها . وقوله : (مافى قومها) خبر لمبتدأ محذوف ، وهو الموصوف بقوله يفضلها. وقدَّره ابنُ يعيش بإنسان يفضُلها ، والجملة المنفيَّة مقول القول .

---

(١) الآية ٧١ من مريم .

وقوله : (فى حسب) متعلّق بيفضلها .والحسب : مايعدُّه الإنسان من مفاخره ، وأراد به الشرف النَّسَبى وهو شرف الآباء ، وأراد بالميسم الشرَفَ الذاتىّ ، فإنَّ الميسم الحسن والجمال ، من الوَسْم ، وهو الحسن .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من رجزٍ لحكِيم بن مُعَيَّة الرَّبَعى ، من بنى رَبِيعة بن مالك بن زيد مناةَ بن تميم . وهو راجزٌ إسلامىٌّ كان فى زمن العجّاج وحُميدٍ الأرقط . نسبهُ إليه سيبويه فى موضع آخر من كتابه (١) . وبعده :

(عفيفة الجيب حَرامُ المَحْرَمِ

من آل قيسٍ فى النِّصاب الأكرمِ)

والنصاب وكذا المنصب : الأصل .

وكان يفضِّل الفرزدق على جرير ، فهجاه جرير لذلك .

ونسب ابنُ يعيش البيتَ الشاهد للأسود الحِمّانى . والله أعلم .

و (مُعَيَّةُ) بضم الميم وفتح العين وتشديد التحتيةِ : مصغّر معاوية . والحِمَّانى بكسر الحاء المهملة وتشديد الميم : نسبة إلى حِمَّان (٢).

* * *

وأنشد بعده :

٣١٢ (أنا ابنُ جَلَا وطَلّاعُ الثنَّايا مَتَى أضِعِ العِمامَةَ تَعرِفُونى (٣)

على أنَّ الاسم الموصوف بالجملة لايحذف بدون مِنْ أوفى،إلا فى الشعر كما هنا ، فإنَّ أصله : أنا ابن رجلٍ جلا . فجلا فعلٌ ماض بمعنى كشف الأمور،

---

(١) كذا . ولم أجد هذا الموضع .

(٢) هم بنو حمان بن عبد العزى بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . الجمهرة ٢٢٠ .

(٣) الجزء الأول ص ٢٥٥ . وانظر أيضا المعانى الكبير ٥٣٠ والكامل ١٢٨ ٢١٥ والمجمل ٢١٢ والمقرب ٦١ وشرح شواهد المغنى ١٥٧ ، ٢٥٤ .

أو بمعنى انكشف أمره . وفيه ضمير يعود على الموصوف المحذوف لضرورة الشعر . وهذا على أحد التخريجين المشهورين فى هذا البيت.والتخريج الثانى لسيبويه ، وهو أنَّ جلا مع ضميره المستتر جملة محكية جُعِلت علما ، ولاشاهد فيه على هذا.ولنا عليه كلام أسلفناه فى الشاهد الثامن والثلاثين من أوائل الكتاب.

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والأربعون بعد الثلثمائة [١]:

٣٤٥ (مالَكَ عِندى غَيْرُ سَهْمٍ وحَجَرْ وغَيْرُ كَبْداءَ شديـدةِ الوَتَـرْ

* جادت بكَفَّىْ كانَ من أرمى البَشَرْ *)

على أنّ جملة كان مع ضميره المستتر صفةٌلموصوفٍ محذوف ضرورة ، أى بكَفَّىْ رجل أو إنسان كان. والأوْلَى بكَفَّىْ رامٍ ، للقرينة . قال ثعلب (فى أماليه) : لم أسمعْ مِنْ فى موضع الاسم إلاّ فى ثلاثة مواضع : قوله:

جادت بكَفَّىْ كان مِنْ أرمى البَشر

وقوله :

* ألاَ ربَّ مِنْهم منَ يقوم بمالِكا *

وقوله :

* ألا ربَّ منهم دارعٌ وهو أشْوَسُ *

انتهى . وإنما قال لم أسمع لأنّ كان فعل ، وربَّ حرف ، ولايليهما إلاّ الأسماء . وبهذا يستدلُّ على حرفيةِ من التبعيضية ، لأنَّ ربَّ لاتجر إلاّ النكرة .

---

(١) انظر المقتضب ٢ : ١٣٩ ومجالس ثعلب ٥١٣ والخصائص ٢ : ٣٦٧ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ١٤٩ والإنصاف ١١٤ وشرح شواهد المغنى ١٥٧ .

وأقول : لولا وقوع هذا الموصوف مضافاً إليه هنا لجاز أن يكون من قبيل :

* وكلَّمتُها ثنتين كالماء منهما [(١)] *

وقال ابن جنى (فى الخصائص) : روى أيضاً بفتح ميم مَنْ أى بكَفَّىْ من هو أرمى البشر ، وكان على هذا زائدة . انتهى .

أقول : جعل مَنْ على هذه الرواية نَكرة موصوفة أولى من جعلها موصولة .

وقوله : (مالك عندى) إلخ لك ظرف مستقرّ وغير فاعله ، وعندى متعلق بلك . (كبداء) أى قوس كَبداء ،وهى التى يملأ الكفَّ مقبضُها .و(جادت) أَى أَحسنت . وهذه رواية ثعلب وابن جنى وغيرِهما ، ووقع فى رواية ابن هشام (فى المغنى) : « ترمى » بدل « جادت » .ويروى فى بعض نسخ هذا الشرح « كانت » ، وهذا لايناسب المعنى .

وقوله :(بكفَّىْ) متعلق بمحذوف على أنَّه حال ، وهو مثنَّى كفٌّ ، وحذفت النون للإضافة .

وهذا الشاهدُ قلَّما خلا منه كتابٌ نحوىّ ؛ لكنَّه لم يعرف له قائل . والله أَعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والأربعون بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد سيبويه [(٢)] :

---

(١) انظر الشاهد ٣٤٣ ص ٥٩ .

(٢) فى كتابه ١ : ٣٧٥ . وانظر المقتضب ٢ : ١٣٨ وابن يعيش ١ : ٦١ — ٣ : ٥٩ ، ٦٠ والعينى ٤ : ٦٧ والأشمونى ٣ : ٧١ وديوان النابغة ٧٩ .

٣٤٦ (كأنَّكَ مِنْ جمالِ بنى أُقَيشٍ يُقعقَعُ خَلْفَ رِجلَيْهِ بِشَنِّ)

على أنَّ حذف الموصوف هنا بدون أن يكون بعضاً من مجرور بمن أوفى ، لضرورة الشعر ، والتقدير : كأنَّك جمل من جمال بنى أقيش . وهذا مثالٌ لقيام الظروف مقام الموصوف لضرورة الشعر ، والبيتان قبله لقيام الجملة مقامه كذلك .

٣١٣ وقد أورده ابنُ الناظم والمرادى (فى شرح الألفيَّة) كما أورده الشارح المحقق . وفيه أنَّ البيت من القسم الأوَّل ،وهو أنَّ الموصوف بالجملة أو الظرف إذا كان بعضاً من مجرور بمن أو فى يجوز حذفه كثيراً . وبيانه أنَّ الموصوف يقدَّر هنا قبل يُقعقع ،والجملة صفة له ، أى كأنك جملٌ يقعقع ، وهو بعضٌ من المجرور بمن ، ويكون قوله من جمال بنى أُقيش حالاً من ضمير يقعقع الراجع إلى جمل المحذوف .

وقد أورده الزمخشرى (فى المفصل) وصاحب (اللباب) فيما يجوز حذف الموصوف منه ، إلا أنهما جعلاه خبراً لكان كالشارح المحقق . وهما فى ذلك تابعان لسيبويه ، فإنَّه قال (فى باب حذف المستثنى استخفافاً) ،قال : وذلك قولك ليس غير ، وليس إلاّ ، كأنَّه قال : ليس إلاَّ ذاك وليس غير ذاك ، ولكنهم حذفوا ذلك تخفيفاً واكتفاءً بعلم المخاطب مايُعنَى . وسمعنا بعضَ العرب الموثوق بهم يقول :مامنهما مات حتى رأيته فى حال كذا ، وإنما يريد مامنهما واحدٌ مات . ومثل ذلك قوله تعالى جدُّه : ﴿ وإنْ من أَهلِ الكِتاب إلاّ لِيُؤمِنَنَّ به قَبْلَ موته [1] ﴾ ، ومثل ذلك من الشعر :

* كأنك من جمال بنى أقيش *

(١) الآية ١٥٩ من النساء .

أى كأنّك جمل من جمال بنى أقيش . ومثل ذلك قوله أيضاً :

* لو قلت مافِى قومها لم تيثم *

البيت . انتهى

وليس فى كلامهم مايُشعر كونَه من قبيل الضَّرورة ، بل جعله الزمخشرى وصاحب (اللباب) من قبيل ما إذا ظهر أمرُ الموصوف ظهوراً يُستغنى معه عن ذكره فحينئذ يجوز تركه وإقامةُ الصِّفة مقامه . ولم يذكر ماذكره الشارح (١) المحقِّق من جواز حذفه كثيراً إذا كان بعضاً من مجرور بمن أوفى .

وقوله (بنى أقيش) بضم الهمزة وفتح القاف وآخره شين معجمة. قال أبو عمرو:هو حيٌّ من عُكْلٍ ،وجِمالهم ضعاف تنفر من كل شيء تراه.وقال ابن الكلبى:بنو أُقيش:حيٌّ من الجنّ،وإنما أراد:إنّكَ نفورٌ وليس لك معَقودُ رأْى. وقال الأصمعىُّ :جمال بنى أُقيش حُوشيَّة ليست ينتفع بها، فيضرب بنفارها المثل .

ورأيت فى (جمهرة الأنساب) : أقيش بن مِنقر بن عُبيد بنُ مقاعس بن عمرو بن كعب (٢) . وأنشد هذا البيت . وقيل بنو أُقيش فخذ من أشجع ، وقيل حيٌّ من اليمن .

و(يقعقع) بالبناء للمفعول . والقعقعة : تحريك الشيء اليابس الصلب . و(الشّنّ) بالفتح : القِربة البالية ، وجمعها شِنان ، وتَقعقُعُها يكون بوضع الحصا فيها وتحريكِها فيُسمع منها صوت ، وهذا ممَّا يزيدها نفورا . ووقع مثله فى شعر صخَر بن حَبْناء ، يخاطب أَخاه المغيرة :

تجنَّيتَ الذنوبَ علىَّ جهلا لقد أُولعتَ ويحكَ بالتَّجَنِّى
كأَنّك إذْ جَمعت المال عَيرٌ يقعقَع خلفَ رجليه بشَنِّ

---

(١) ش : « ماذكر الشارح » .

(٢) وقع فى جمهرة ابن حزم ٢١٦ : « أنيس » بالنون ، ويبدو أن ماهنا صوابه .

ومنه المثل : «فلان مايقُعقَع له بالشِّنان» ، يضرب لمن لايتّضع لما ينزل به من حوادث الدهر ، ولا يروعُه ما لا حقيقة له .وقال الزمخشرى (فى المستقصى): يضرب للرَّجل الشَّرس الصعب ، أى لايهدَّد ولاينْزِع .وقال الحجاج على مِنبر الكوفة : « إنى والله ياأهلَ العراق مايُقعقَع لى بالشِّنان » .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدةٍ للنابغة الذبيانى . قال ابن السيرافى (فى شرح أبيات سيبويه) : سبب هذا الشعر أنّ بنى عبس قتلوا رجلاً من بنى أسد ، فقتلت بنو أسد رجلين من بنى عَبس ، فأراد عُيينة بن حِصن الفَزارىُّ أن يُعِينَ بنى عبس عليهم وينقضَ الحلفَ الذى بين بنى ذبيان وبين بنى أسد ،فقال له النابغة: أتخْذُل بنى أسد وهم حلفاؤنا وناصرونا، وتعينَ بنى عبسٍ عليهم .انتهى.

٣١٤

أبيات الشاهد

وهذه أبياتٌ من القصيدة بعد ثمانية أبيات من أوّلها :

(أتخذُلُ ناصرى وتُعِزَّ عبساً أيربوعَ بنَ غَيظٍ للمِعَنِّ [1]

كأنّك مِن جمالِ بنى أُقيشٍ يُقعقَع خلف رجليه بشَنِّ

تكون نعامةً طوراً ، وطوراً هُوِىَّ الريحِ تنسِجُ كلَّ فنِّ

إذا حاولتَ فى أسدٍ فجوراً فإنِّى لستُ مِنك ولستَ منِّى

همُ درعى التى استلأمتُ فيها إلى يوم النِّسار وهم مِجَنِّى

وهُمْ ورَدُوا الجفارَ على تميم وهمْ أصحاب يوم عكاظ إنِّى

شهدتُ لهم مواطنَ صادقاتٍ أتيتُهُمُ بنصح الصَّدْرِ منِّى

بكلِّ مجرّب كاللَّيث يسمو على أوصالِ ذَيالٍ رِفَنّ

ولو أنِّى أطعتُكَ فى أمور قَرعتُ ندامةً من ذاك سِنِّى)

(١) ش « بن قيظ » ، تحريف .

وهذا آخر القصيدة . وقوله :

* أتخذل ناصرى وتُعزّ عبسا *

هذا خطابٌ لعيينة بن حصن ،وأرادَ بناصره بنى أسد.وقوله :

* أيربوع بن غيظ للمِعَنّ *

هذا خطاب آخر ليربوع بن غيظ بن مرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان ، وهو من قوم النابغة .والمِعَنّ بكسر الميم وفتح العين المهملة :المعترض فى الأمور [١] ، وعنى به عيينة بن حصن ، يقال عنّ يعنّ ، وإنّك لتعِنّ فى هذا الأمر أى تَعرَّضُ فيه .واللام فى للمعنّ متعلّقة بمحذوف ،أى تعجب يايربوع من هذا المتعرِّض .

وقوله : (كأنّك من جمال) إلخ هذا خطابٌ لعيينة أيضاً ، يقول:أنت سريع الغضب والنُّفور ،تنفر مما لاينبغى لعاقلٍ أن ينفر منه . وقيل معناه إنَّك جبانٌ فى الحرب لاتقدر على الطِّعان والضراب ، بل تنفر عنها كما ينفر الجمَل عن صوت الشَّنِّ وقعقعته .

وقوله : «تكون نعامة» ،قال أبو عَمرو : يقول :تتخيَّل مرّة كذا ومرّة كذا . وقوله : « هوىَّ الريح » يريد طوراً تهوى هُوىَّ الريح . والفنّ : اللون ، والجمع الفنون . وقال الأصمعىُّ : كأنّه يهوى هوىّ كل فن ، أى كلَّ ضربٍ من الجرى .

وقوله : « إذا حاولت فى أسدٍ فجوراً » ،استشهد به الزمخشرى عند قوله تعالى : ﴿ وربائبكم اللاَّتى فى حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائكم [٢]﴾.

---

(١) ط : « المقبوض فى الأمور » ، صوابه فى ش .
(٢) الآية ٢٣ من النساء .

وقوله : «درعى التى» إلخ اللأْمة بالهمزة :الدرع . واستلأمتها: تحصنت فيها . والمجنّ : التُّرس . والنِّسار ، بكسر النون : اسم ماء لبنى عامر مِن بنى تميم ، وفيه وقعة كانت لأسد وغطفان على تميم .

وقوله : «وردوا الجفار» البيتين ، فى البيت التضمين ، وهو عيبٌ ، وهو أن يتوقَّف على البيت الثانى ، فأَن خبر إنّ هو أَوّل البيت الثانى . والجفار بكسر الجيم : اسم ماءٍ لبنى تميم بنجد .

وقوله «بكل مجرب كالليث» الخ أَى بكلّ شجاع مجرَّب فى الحروب . ورِفَنّ بكسر الراء المهملة بعدها فاء ، قال أبو عمرو : هو السريع .والذيَّال: الطويلِ الذنب .والأوصال : المفاصل ، أَى على أوصال فرسٍ يَذِيل فى مشيته سابغ الذَّنَب .

٣١٥

والنابغة الذُّبيانى شاعرٌ جاهلى قد تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الرابع بعد المائة [(١)] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والأربعون بعد الثلثمائة [(٢)]:

٣٤٧ (والمؤمِنِ العائذاتِ الطَّيرَ يَمسَحُها
رُكْبانُ مَكَّةَ بينَ الغِيل والسَّنَدِ)

على أنَّ العائذات كان فى الأَصل نعتاً للطير ، فلمَّا تقدم وكان صالحاً لمباشرة العامل أعرب بمقتضى العامل ، وصار المنعوت بدلا منه ،فالطير بدل من العائذات،وهو منصوب إن كان العائذات منصوباً بالكسرة على أنَّه مفعول به للمؤمن ،ومجرور إن كان العائذات مجروراً بإضافة المؤمن إليه.والأَصل على الأول:والمؤمن الطير[(٣)]بنصب الأول بالفتحة والثانى بالكسرة.وعلى الثانى:والمؤمن

---

(١) الخزانة ٢ : ١٣٥ .
(٢) ديوان النابغة ١٥ وابن يعيش ٣ : ١١ .
(٣) كلمة « الطير » ساقطة من ش .

الطير العائذات ، بجرِّهما بالكسر ، فلمَّا قدِّم النعت أعرب بحسب العامل وصار المنعوت بدلاً منه .

هذا محصَّل كلام الشارح المحقق ، وهو فى هذا تابعٌ لأبى علىّ (فى الإيضاح الشعرىّ) ،وهذه عبارته :مَنْ كانت الكسرة عنده جرَّة ، على هذا الحسن الوجهِ جرَّ الطير ،لأنَّ العائذات مجرورة .ومن كانت الكسرة عنده فى موضع نصب على قولك الضارب الرجل نصب الطَّير ، والطير فى هذا الموضع بدل أو عطفٌ ،وإنّما كَان حدُّه:والمؤمن الطيرِ العائذات أَو الطيرَ العائذات ، فقدَّم العائذات وأخَّر الطير.و (المؤمن) هو الله سبحانه ، وهو اسم فاعل من آمن كما قال: ﴿ الذى أطْعَمَهُمْ من جُوعٍ وآمَنَهُمْ مِنْ خوف [١] ﴾ أى آمنهم من الخوف لكونهم فى الحَرَم وحُلولهم فيه . انتهى .

ولم يرضَ الزمخشرىُّ هذا (فى المفصل) فى باب الإضافة:أنَّ العائذات كان فى الأصل الطير العائذات ،فحذف الموصوف وجعل العائذات اسماً لا صفة، فلمّا جعلت اسماً احتاجت إلى تبيين ،فأجرى عليها بالتبيين . قال : وليس هذَا من تقديم الصفة على الموصوف .

ولايخفى أنَّ هذا تكلُّف ، ولهذا أعرض عنه الشارح .

وزَعم بعضُهم أنَّ الطير بدلُ بعضٍ من العائذات ، لأنَّ العائذات عامٌّ يقع على الطير والوحش وغيرهما .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدةٍ للنابغة الذبيانى ، وهو أحسن شعره ، ولهذا ألحقوها بالقصائد المعلَّقات ، مدح بها النُّعمان بن المنذر ملكَ الحيرة ، وتبرّأ فيها مما اتُّهِم به عند النعمان .

(١) الآية ٤ من سورة قريش .

وتقدَّمَ أبياتٌ منها فى باب الاستثناء ،وفى خبر كان وفى غيرهما.

وهذه أبيات منها :

أبيات الشاهد

(فلا لعَمْرُ الذى قد زُرْتُهُ حِجَجاً ... وماهُرِيقَ على الأنصاب من جَسَدِ

والمؤمنِ العائذاتِ الطّير .... البـــيت

ماإن أتيتُ بشيءٍ أنت تكرهُه ... إذَنْ فلا رفَعَتْ سَوطِى إلىَّ يدى

إذَنْ فعاقَبَنى رَبِّـى معاقبـــةً ... قَرّتْ بها عينُ من يأتيك بالحسَدِ

هذا لأبـرأَ من قولٍ قُذِفتُ به ... طارت نوافذهُ حَرَّى على كبدى)

قوله : «فلا لعمر الذى» إلخ لا الداخلة على القسم قيل نافية منفيُّها محذوف ، أى ليس الأمر كما زعموا ، وقيل زائدة زِيدت توطئةً لنفى جواب القسم ، وعمر مبتدأ محذوفُ الخبر وجوباً ، أى قسمى.وحِجَجاً : جمع حِجّة، بكسر المهملة فيهما ، وبعدها جيم ، وهى السَّنة .أقسَمَ بالبيت الذى زاره فِى سنين متعدِّدة ، وهو البيت الحرام.وقوله: «وماهُرِيق على الأنصاب» هريق بمعنى أريق ،والهاء بدل من الهمزة . والأنصاب:حجارةٌ كانت العرب فى الجاهليَّة تنصبها وتذبح عندها. والجسَد بفتح الجيم ، هو الدم . ومامعطوف على الذى،وكذا قوله: والمؤمن.وزعم من لم يطّلع على البيت الأوَّل أنّ الواو واو القسم .والعائذات:ماعاذَ بالبيت من الطيرّ،قال ثعلب:أراد بالعائذات الحمامَ،لما عاذت بمكة والتجأت إِليها حرَمٌ قَتلهَا وآمنها مِن أن تُضام.وقد أغْرب بعضُهم بقوله : العائذات جمع عائذ،وهى الحديثة النتاج من الطيور والبهائم، وهو مِن عُذت بالشىء : التجأت إليه،لأنّ الحامل إذا ضربها المخَاضُ عاذت.وهو فى الأصل من باب الكناية.انتهى

٣١٦

وفيه أنّ العائذ بالمعنى المذكور خاصٌّ بالناقة .

والطّير :جمع طائر ، مثل صحب وصاحب ،وقد يقع على الطّير الواحد، وجمعه طيور وأطيار . ورُكبان : جمع رَكب ،وجملة «يمسحها ركبانُ مَكَّةَ » حالٌ من الطيّر . والسَّنَد ، بفتحتين : ماقابلك من الجبَل وعلا عن السفح [(١)] . وروى أبو عبيدة الغيل بكسرِ الغين المعجمة ،وقال : هى والسنّد أجمتان كانتا بين مكة ومنى . وأنكرها الأُصمعىُّ وقال :إنَّما الغيل بالفتح ، وهو ماءٌ . يعنى النابغةُ ماءً كان يخرج من أَبى قُبيْس .كذا فى شرح ديوان النابغة . ولم يذكر أبو عبيد هذا (فى معجم مااستعجم [(٢)])

وقوله :« ماإنْ أتيت بشىء » إلخ هذا [هو] جوابُ القسم. واستشهد به ابن هشام (فى المغنى) على أنّ « إنْ » تزاد بعد ما النافية . يقول : مافعلت شيئاً تكرهه أنت ، وإلاَّ فلا رفعت يدى إلىّ سوطى ، أى شلَّت يدى ولم تقدر على رَفْع السوط .

وقوله :« إذَنْ فعاقَبَنى رَبِّى » إلخ هذا دعاءٌ آخر على نفسه .

وقوله : « هذا لأبرأ » إلخ أى هذا القسم لأجل أن أتبرّأ مما اتُّهمت به . والنوافذ تمثيل ، من قولهم : جرح نافذ . أى قالوا قولاً صارَ حَرُّه على كبدى وشَقِيتُ به .

* * *

وأنشد بعده :

(وليلٍ أقاسيهِ بطىء الكواكبِ)

على أنَّه يجوز أن توصف النكرة بالجملة قبل وصفها بالمفرد إذا اجتمعا ،

---

(١) ط : « من السفح » ، صوابه فى ش واللسان (سند) .

(٢) ش : « فى المعجم فيما استعجم » .

كما هنا ، فإنَّ ليلا قد وُصِفَ بجملةٍ أقاسيه قبل وصفه بقوله : بطىء ، وليس مجروراً بالعطف على همٌّ فى صدر البيت ، وهو :

* كِلينى لهَمٍّ ياأُميمةَ ناصبِ *

يقول : دعينى واتركينى لهذا الهمّ المتعِب ومقاساةِ الليل البطىء الكواكب .

وهذا البيتُ مطلع قصيدةٍ للنابغة الذبيانى أيضاً تقدَّم الكلام عليه مفصَّلا فى الشاهد السابع والثلاثين بعد المائة [١] :

* * *

وأنشده بعده ، وهو الشاهد الثامن والأربعون بعد الثلثمائة [٢] :

٣٤٨ (ألا أيُّها الطَّيرُ المُرِبَّة بالضُّحَى على خالدٍ لقد وَقَعْتِ على لَحْـمِ)

على أنّ الصفة ربَّما تنوَى ولم تذكَرْ ، للعلم بها كما هنا . فإنَّ التقدير : على لحم أىّ لحم .

وكذا أُوردَه فى (التفسيرين [٣]) عند قوله تعالى :﴿ أُولئك عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهم [٤] ﴾على تنكير هدًى للتعظيم ، أى هدى عظيم ، كتنكير لحم فى هذا البيت ، أى لحم عظيم . والفرق بينهما أنَّ الأول مفهومٌ من اللفظ المحذوف ، والثانى من الفحوى ، والمحوِجُ إلى هذا استقامة المعنى ، ولولاه لكان لَغـواً ٣١٧

(١) الخزانة ٢ : ٣٢١

(٢) ديوان الهذليين ٢ : ١٥٤ . وسيأتى فى ٣ : ١٨ بولاق .

(٣) هما تفسيرا الزمخشرى والبيضاوى . وقد شرح شواهدهما معا « خضر الموصلى » .

(٤) الآية ٥ من البقرة .

لا يفيد شيئاً ، ولهذا اعتُبر ، سواء كان بالطريق **الأولى أم** الثانية .

ولجوازهما قدَّر الشارح المحقق هنا الوصف ، **واعتبره هناك** من التنكير لما فيه من الإبهام المقتضى للتفخيم والتعظيم .

ونُقل عن الزمخشرى أنّه كان إذا أُنشد هذا البيت يقول : ماأفصحك من بيت !

صاحب الشاهد

وصدر البيت لم أره كذا إلاَّ فى رواية الشارح المحقق . والبيت من شعرٍ مذكور فى أشعار هذيل ذُكر فى موضعين منها ، ذكر فى الموضع الأول ستة أبيات ، وفى الموضع الثانى اثنين وثلاثين بيتاً . أما الرواية الأولى ، والشعر منسوبٌ لأبى خراش فهى هذه :

(إنَّكِ لو أبصرتِ مصرع خالِدٍ بجنب السِّتارِ بين أظْلَمَ فالحَزْمِ

لأيقنتِ أَنَّ البَكـرَ ليس رزيَّـة ولا النَّابَ ، لااضطمَّتْ يداكِ على غُنْمِ

تذكَّرتُ شجواً ضافنى بعدَ هَجعةٍ على خالِدٍ فالعينُ دائمةُ السَّجْمِ

لَعَمْرُ أَبى الطَّيرِ المُرِبَّةِ بالضُّحي على خالِدٍ لقد وَقعْتِ على لَحْمِ

كُليهِ ، وربِّى ،لاتجيئِينَ مِثْلَه غداةَ أُصابتْهُ المنيَّـةُ بالـرَّدْمِ

ولا وأبى لا تأكُلُ الطَّيرُ مِثْلَه طويلَ النِّجاد غير هارٍ ولا هَشْمِ)

قوله : « إنكِ لو أبصرتِ » ، هذا خطابٌ لعشيقة خالد بن زُهيرٍ الهذلى ، قُتِل بسببها كما يأتى بيانُ قتله . وخالدٌ هو ابن أخت أبى ذُؤيب الهذلى . والسِّتار ، بكسر السين المهملة بعدها مثناة فوقية وآخره مهملة ، قال البكرى (فى معجم ما استعجم):هو جبلٌ معروف بالحجاز. وأنشد هذا البيت. وأظْلَمُ

على وزن أفعل التفضيل من الظُّلم [1] ، قال البكرى : هو موضعٌ قريبٌ من السِّتَّار . والحَزم ، بفتح المهملة وسكون الزاى المعجمة ،هو موضعٌ يقال له حزم بنى عُوَال .-ووقوع هذه الفاء بعد بَيْنَ قد شرحه الشارح المحقق فى الفاء العاطفة .

وقوله : «لأيقنتِ أَنَّ البَكْر » هو بالفتح : الجمل الشابُّ . والنابُ : الناقة المسنَّة . يقول : لو رأيتِ هلاكَ خالدٍ لعلمتِ أنَّ ذهاب البكر والنابِ ليسا بمصيبة ، واستخففتِ مُصابَهما. وقوله : «لااضطمَّتْ» إلخ هو دعاءٌ عليها ، وهو افتعلت من الضّمِّ ، أَى لاغنِمتْ يداكِ بل خيّبَكِ الله ، إذ صِرت تحزَنينَ على هذا البكر .

وقوله : «تذكَّرتُ شجواً» هو بضم التاء. والشَّجْو :الحزن. وضافنى : نزلَ بى كالضَّيف . والهَجْعة : النَّومة .والسَّجم : السَّكب .

وقوله : «لعمر أبى الطير» قال السكرى (فى شرح أشعار هذيل [2]):قوله : لقد وقعتِ على لحم:كان ممنوعاً . والطيرِ مضبوط بالكسرة فى نسختى،وهذه نسخة قديمة صحيحة ، تاريخ كتابتها فى سنة مائتين بعد الهجرة،وعليها خطوطُ العُلماء منهم ابن فارس صاحب (المجمل) فى اللغة ، كتب على ظهرها سَنَد روايته . ولعمر مبتدأ محذوف الخبر،أى قسمى ، وقوله: «لقد وقعت» جواب القسم،وهو خطابٌ للطير على الالتفات. وروى : «لقد عَكَفن»بدله من العكوف بالغَيبة،والنون ضمير الطير، وعليه لا التفات. وأراد

---

(١) الذى فى معجم مااستعجم : « من الظلمة » .

(٢) شرح السكرى ١٢٢٦ .

بأبى الطَّير خالداً [١] سمّاه به لوقوعها عليه ، كما يقال أبو تراب ونحوه . وقيل أراد : أبا الطَّيْرِ [٢] الواقعَةِ على لحمه ، واستعظمها بالقسَمِ بها لاستعظام لحم خالدٍ العظيم ، ففيه تعظيم للإقسام عليه بنفسه ، كما قال أبو تمام :

٣١٨

* وثناياكِ إنَّها إغريضُ [٣] *

و(المرِبَّة) : اسم فاعل ، صفة الطير ، من أربَّ بالمكان ، إذا أقامَ به . وروى (فى التفسيرين) :

* فلا وأبى الطير المرِبَّة بالضُّحى *

فلا : ردٌّ لما يُتوهَّم من تحقيره بأكل الطير له ، وقيل زائدة . وزعم بعضهم أن أبى بياء المتكلم ، والطيرُ بالرفع . وبعض آخر أنَّ أَبى أصله أبينَ بالجمع حذفت نونُه للإضافة . ولا يخفى ركاكته .

وقال السعد (فى حاشية الكشاف) : وروى برفع الطير على أنَّه فاعل فعل يفسِّره لقد عكفن .

وقوله : « كُليه ورَبِّى » أمرٌ للطير بالأكل ، يرغِّبها فى أكلها إياه فإنّها لاتجىء إلى مثله ولا تظفَر به .

وقوله : « ولا وأبى لا تأكل الطير » إلخ هارٍ أصله هائر ، أى ضعيفٌ ساقط ، فقلبَ وحذف بالإعلال ، مثل شاكى السلاح أصله شائك . والهشيم [٤] : الرِّخو الضعيف .

---

(١) ط : « خالد » ، صوابه فى ش .

(٢) ط : «أرادبالطير » ، صوابه فى ش .

(٣) مطلع قصيدة فى ديوانه ١٨١ يمدح بها أبا الغيث موسى الرافقى . وعجزه :

* ولآلٍ تُومٌ وبرقٌ وميضُ *

(٤) كذا . والذى فى البيت « الهشم » فلعله « والهشم والهشيم » .

وأبو خراش : شاعرٌ إسلاميٌّ صحابى ، تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الثانى والسبعين [١] .

وأما الرواية الثانية بعد ثمانية أوراق [٢] بعد هذا [٣] ، ونسبها الأخفش لخراش ابن المذكور . والقصيدة هذه :

(أرقتُ لهمّ ضافَنى بعد هجعةٍ   على خالدٍ فالعينُ دائمةُ السّجْمِ [٤]

إذا ذكرتـه العيـنُ أغرقَهـا البُكـا   وتشرقُ من تَهْمالها العينُ بالـدمِّ

فباتت تُراعِى النّجمَ عينٌ مريضة   لِمَا عالها واعتادَها الحُزْن بالسُّقمِ

عالها : أثقلها وشقَّ عليها ـ

وما بعدَ أن قد هدَّنى الحزنُ هدَّةً   تَضَالَ لها جِسْمى ورقَّ لها عَظمى

وأنْ قد أصابَ العظمَ منِّى مُخامرٌ   من الدَّاء داءٌ مستِكنٌّ على كلْمِ

تَضالَ بمعنى صغُر وضعف ، وأصله بالهمزة بعد الألف ، فحَذَفها للضرورة . ومخامر : مخالط وملازم . والكَلْم بالفتح : الجرح ـ

وأنْ قد بدا منِّى لِمَا قد أصابنى   من الحزن أنِّى ساهمُ الوجه ذُو هَمِّ

شديدُ الأسى بادى الشُّحوب كأنَّنى   أخو جِنّةٍ يعتاده الخَبْلُ فى الجِسم

الساهم : المتغيِّر . والأسَى : الحزن . والشُّحوب : التغير . وجِنَّة بالجيم ،

---

(١) الخزانة ١ : ٤٤٣ .

(٢) كذا فى النسختين . والوجه « ثمانى أوراق » .

(٣) كذا وردت العبارة فى النسختين .

(٤) ديوان الهذليين ٢ : ١٥١ وشرح السكرى ١٢٢٣ .

هو الجنّ . وروىَ: « حيَّة » بمهملة ومثناة تحتية ، يعنى ملسوعا . والخَبْل ، بفتح المعجمة : فساد الجسم والعقل ــ

لِفقدِ امرئٍ لا يجتوى الجارُ قربه
ولم يك يُشْكَى بالقطيعة والظلْمِ

يعود على ذِى الجهل بالحلم والنُّهَى
ولم يك فحَّاشاً علَى الجار ذا عَذْمِ

ــ لا يَجتوِى بالجيم ، أى لايكره . والعذم ، بفتح العين المهملة وسكون الذال المعجمة : العَضّ [1] والوقيعة ــ

ولم يكُ فَظًّا قاطعاً لقرابةٍ ولكن وَصولاً للقرابة ذا رُحْمِ [2]
وكنتَ إذا ساجرتَ منهم مُساجراً صفحتَ بِفضلٍ فى المروءة والعِلمِ

ــ هذا خطابٌ لخالد . وساجرتَ بالجيم ، بمعنى عاشرت . والسجير : العشير والصاحب ــ

وكنتَ إذا ماقلتَ شيئاً فعلته وفُتَّ بذاك الناسَ مجتمِعَ الحزمِ
وإن تكُ غالتك المنايا وصَرفُها فقد عشتَ مَحمودَ الخلائق والحِلْمِ
٣١٩ كريـمَ سجيَّـاتِ الأمـور محبَّـــاً كثيرَ فضولِ الكفِّ ليس بذى وَصْمِ
أشمَّ كنصل السَّيف يرتاح للنّدى بعيداً من الآفات والخُلقِ الوَخْمِ

---

(١) العض ، بالعين المهملة ، كما فى اللسان عند إنشاد البيت .

(٢) فى شرح السكرى : « ذا رحم : ذا رحمة » . وفى اللسان : الرحم : العطف والرحمة .

جَمعت أموراً يُنفذ المِرْءَ بعضُهـا ... من الحلم والمعروف والحسبِ الضَّخمِ (١)

ـــ المِرءَ مفعول يُنفذ ، وبعضُها فاعله . يقول : بعض هذه الأمور التى فيك تجعل المرء نافذاً فائقا لا يقدر على كسبها فكيف كلُّها (٢) ، وقد اجتمعت فيك . والمرء ، بكسر الميم ، فى لغة هذيل (٣) ـــ

لعمر أبى الطَّيرِ المُرِبَّةِ غُدوة ... على خالدٍ لقد عَكفنَ على لحم

ـــ رواية هذا البيت هنا كذا وقعت ، وقال السكرىُّ هنا : أَراد التعجب ، أى أَىّ لحم وقعت عليه . ويروى :

لقد قلتُ للطَّير المرِبَّة غُدوةً ... على خالدٍ لقد وقعتِ على لحمِ

والمُرِبَّةُ : المقيمة . انتهى ـــ

ولحمِ امرىءٍ لم تَطعَمِ الطَّيرُ مثلَه ... عشيَة أمسى لايُبين من البَكْمِ

أراد البَكَمَ بفتحتين فَخفَّف ـــ

فكَلاَّ وربِّى لا تعودى لمِثله ... عشيـةَ لاقَتْـهُ المنيَّـةُ بالـــرَّدْمِ

فلا وأَبى لا تأكل الطيرُ مثلَه ... طويلَ النِّجاد غير هارٍ ولا هَشْمِ

أُبعدكَ أرجُو هالكاً لحياتِـه ... لقد كنتُ أُرجوه وماعشتُ بالرُّغمِ

فوالله لاأنساكَ ماعشتُ ليلة ... صَفىٌّ من الإخوان والولِدِ الحَتْمِ

---

(١) فى ديوان الهذليين وشرح السكرى : « المر » . وقال السكرى : « المر لغتهم ، يريد المرء يا هذا » . لكن فى اللسان (مرأ) أنشد البيت بالرواية المثبتة هنا . وقال : « هكذا رواه السكرى بكسر الميم وزعم أن ذلك لغة هذيل » .

(٢) فى الديوان وشرح السكرى : « تجعل المرء نافذا فكيف كلها » .

(٣) انظر التعليق السابق .

ـــ الضّفى : فَعول من ضفا يضفو ، إذا كُثر . والحَتْمُ : الحقّ ـــ

تُطِيف عليه الطَّيرُ وهو ملحَّبٌ   خِلافَ البُيوت وهو محتمل الصرِّمِ

ـــ الملحَّب : بفتح الحاء المهملة : المقطَّع . والصِّرم ، بالكسر : الحيّ ـــ

فإنّكِ لو أبصرتِ مَصرعَ خالدٍ   بجنب السِّتّارِ بين أظلمَ فالحَزْمِ

لأيقنتِ أنّ النابَ ليست زريَّةً   ولا البَكْرَ ، لا التفَّت يداكِ على غُنْمِ

ـــ هذا خطابٌ مع المرأة ، يقول : إنَّ المصيبةَ قتلُ ذاك ، ليس المصيبةُ ناباً تُصابِين بها . ثم دعا عليها : لا زرقَ الله يديك خيراً تلتفُّ عليه ـــ

وأيقنتِ أن الجودَ منه سجيَّةٌ   وما عشتِ عيشاً مثلَ عيشكِ بالكُرْمِ

أتته المنايا وهو غضٌّ شبابُه   وما للمنايا عن حِمَى النفس من عَزْمِ

ـــ ما نافية . والكُرم بالضم : العزَّة . والعَزْم هنا : الصَّبر ـــ

وكلُّ امرئٍ يوماً إلى الموت صائرٌ   قضاءٌ إذا ماحانَ يُؤخَذ بالكَظْمِ

وما أحدٌ حَيٌّ تأخَّرَ يومُه   بأخلدَ ممَّن صار قبلُ إلى الرَّجمِ

ـــ والكَظم بالفتح : الحَلْق ، وقيل الفم ، وقيل مخرج النَّفس ، وأصله بفتحتين فسكِّن ضرورة . والرَّجْم بالفتح : القبر ، وأصله أيضاً بفتح الجيم فسكِّن ـــ

سيأتي عَلَى الباقين يومٌ كما أتى   عَلَى مَن مَضَى حتمٌ عليه من الحَتْمِ

٣٢٠ جزى الله خيراً خالداً من مُكافِئٍ   عَلَى كلِّ حال من رَخاء ومن أَزْمِ

فلست بناسيهِ وإنْ طال عهده   وما بعده للعيش عندىَ من طَعْمِ

وهذا آخر القصيدة . والأزْم :الشّدّة .وإنّما سقتُها بتمامها لِحُسْنها وانسجامها ، ولأنَّ شرّاح شواهد التفسير زعموا أنَّ البيت الشاهد ليس هو إلاَّ من أبيات أربعة ، لعدم اطّلاعهم .

وروى السكرى فى آخر أشعار الهذليين (١)فى بيان سبب قتل خالد المذكور ، أنَّ البيت الشاهد ومامعه من الشعر لخاله أبى ذؤيب الهذلى .

وهذه قصة قتلهِ ، قال: زعموا أنَّ رجلاً من هُذيل كان يقال له وَهْب بن جابر ، هوِىَ امرأةً من هذيل ، كان يُقال لها أمّ عمرو ، فاصطاد يوما ظبية فقال يخاطبها (٢) :

فمالكِ ياشبيهةَ أُمِّ عمرو إذا عايَنْتِنا لا تأمَنينا
فعينكُ عينُها إذ قمتِ وَسْنَى وجيدُك جيدُها لو تَنطقينا
وساقُكِ حَمْشةٌ ولأمِّ عمرو خَدَلَّجةٌ تُضِيقُ بها البُرينا
ورأسك أزعرٌ ولأمِّ عمرو غدَائــرُ يَنعفِــرْنَ وينثنينا

ــ تُضيق من الإضاقة . والبُرِينَ : جمع بُرَة ، وهى الخلخال ــ

ثم خلَّى سبيلَها ، فبلغ ذلك أُمَّ عمرو فعطفَتْ عليه ، فاستمكن منها وكان رسولها إليه أبا ذؤيب الشاعر ، فلما أيفَعَ أبو ذؤيب وكان جميلاً رغبتْ فيه واطَّرَحَتْ وهباً ، ففشا أمرُهما فى هذيل وقصَّر عن بعض زيارتها وأخفى أمرَها خشية أن يُرصَد فيُغتال ، فانطلق إلى ابن أخت له يقال له خالد بن زهير فأخبره بأمرِ أُمِّ عمرو ، وقال له : هل لك أن تكونَ رسولى إليها وتعاهدَنى

(١) فى النسختين : « أبيات الهذليين » ، وأثبت مافى هامش ش مقرونا بكلمة « صح ». وانظر ماسيأتى فى آخر القصة التالية .

(٢) فى ش :«كان يقال لها أم عمرو فقال » فقط .

على أن لاتَغدرَنى (١).فأعطاه خالدٌ مواثيقَه واختلف بينهما ،فلم تلبث أَنْ عشِقتْ خالداً وتركت أبا ذؤيب،وكان أبو ذؤيب يرسل خالداً إليها فينطلق فيتحدث إليها بحديث نفسه ، فإذا انصرف قال لأبى ذؤيب :لم ألجْ إليها الخباءَ ، وجدتُها وسْنَى ! وكان ينصرف عنها ملطَّخا بالطِّيب ، فارتاب أبو ذؤيب من ذلك ، وجعل يمسُّ خدَّه ويشمُّ ثوبَهُ فيجد منه ريح الطِّيب ، وأنكر ذلك خالدٌ من خاله فقال خالد لأمِّه ، وهى أُخت أبى ذؤيب :

ياقوم مَنْ لى وأبا ذؤيبِ كنت إذا أَتَوْتُه من غَيْبِ
يشمُّ خدِّى ويَبُزُّ ثوبى كأنَّنى أرَبْتُه بريبِ
* مِن أَجل أَنْ يرمِيَنى بغَيْبِ *

فقال له أبو ذؤيب يوماً:انطلقْ إليها ياخالد،فإنى أُريد أَنْ آتيَها السَّاعةَ . فانطلق خالدٌ إليها فعانَقَها وقضى ماأَراد من لهوه وضاجَعَها ، وذهب بهما النَّوْم فجاء أَبو ذؤيبٍ بعد ذلك فأخذ سهمَين من سِهامه ، فوضعَهُما عند رءوسهما وأَرجُلِهما ثم انصرف ، فلما انتبه خالد عَرَف السَّهمين،فأعرضَ عن أَبى ذؤيب إِذْ عرف أَنَّه قد أيقن بغَدْره. وأَقبل أَبو ذؤيب على أُمِّ عمرو فقال :

تُريدين كيما تجمَعِينى وخالداً وهلْ يُجْمع السَّيفانِ ويحكِ فى غِمْدِ

فأَجابه خالدٌ من شعر : ٣٢١

فلا تسخَطَنْ من سُنَّةٍ أنتَ سِرتَها فأَوَّلُ راضٍ سِيرةً مَنْ يَسيرُها

وجَرَى بينهما أَشعارٌ مذكورة فى أشعار الهذليين .فلمَّا رأى وهبُ بن جابر فسادَ مابينَهما بعث ابنه عمرَو بنَ وهب،فبذلَ لأمِّ عمرٍو ذاتَ يده، فعطَفَها على نَفْسِهِ بالطَّمَع ، وكان عمرو من أعظم شَباب هذيل،واستمسكت

(١) يقال غدره وغدر به ، يتعدى ولا يتعدى ، كما فى اللسان ، أى نقض عهده .

بخالدٍ لعِشْقِها إيَّاه ، فكان لِخالد سِرُّها ، ولعمرٍو علانيتُها،فبينا عمرٌو عندها ذات يومٍ إذ أتاها خالدٌ وهي وهو على شَرابهما ، فقام مستبطناً سَيفَه فولَجَ عليهما ، فضرب رأسَ عمرٍو ثم خرج هارباً، فمرَّ بأبى ذؤيب ،وأبى خراش، وربيعةَ بن جَحْدر ، وهم يتصيَّدُون ، فقال أبو ذؤيب:ماوراءك ياخالد؟فقال: قتلتُ عمراً .قال:قد أوقعتَنِى فى شرٍّ طويل ، عليك بالحَزم[1]! فبلغ الخبرُ وهبَ بنَ جابر ، فركبَ وركب معه جَبَّار بن جابر فى رهطهما ،فمرُّوا بأبى ذؤيب وأبى خراش وربيعةَ بن جحدر ، فسألهم عنه فقالوا:لم نعلمه ،ولكن هل لك فى شياهٍ من الأرْوَى [2] ؟قال : مالى بهنَّ من حاجة ! ومضَوْا فى طلب خالدٍ حتَّى لَحِقُوه بجبل يقال له أظلم ، فقتلوه ، فبلغ ذلك أبا ذؤيبٍ وخِراشا وربيعةَ بن جَحدر ، فعند ذلك قال ربيعة من شعر :

فوالله لا ألقَى كيومٍ لخالدٍ حَياتىَ حتَّى يَعلوَ الرَّأسَ رامسُ

وقال أبو ذؤيب يرثى خالدا :

لَعَمْرُ أبى الطّير المرِبَّة فى الضحى على خالدٍ لقد وقَعْتِ على لَحمِ

ثم جمعَ أبو ذؤيب رهطَه فاقتتلوا قتالاً شديدا ، فقُتِل عروةُ بن جحدر ، ونجا خراش بن أبى جحدر ، فعند ذلك قال أبو جحدر :

حمدتُ إلهى بعد عُروةَ إذْ نجا خِراشٌ وبعضُ الشَّرِّ أهْوَنُ من بعضِ

ثم إنَّ القوم تحاجزوا ، والقَتْلَى [3] فى أصحاب أبى ذؤيبٍ أكثر ، فطلَبوا خويلداً ، وهو أبو خراش بن وائلة الهذلى ، وهو فى الحَزْمْ ، ومعه امرأتُه فلما علم بأمرهم أمَرَ امرأتَهُ أن تسير أمامه ، وتقيم بمكانٍ وصفَهُ لها ، فأخبرها

---

(١) الحزم : اسم لعدة مواضع . وأصل الحزم المكان الغليظ .

(٢) ط : « من الأراوى » ، وأثبت مافى ش .

(٣) هذا مافى ش . وفى ط : « والقتل » .

أَنَّ قومَه يطلبونه بِذَحْلٍ ،فإن أَبطَأْتُ عليكِ فانْعينى لقومِك . فقصدوا خُويلداً حتَّى خرجَ عليهم ، فتنكَّروا له ورحَّبوا به ، ففَطِن لهم وانصرفَ راجعاً ، فاتَّبعوه فسبقَهم ، ورمَوْهْ بأسهمٍ فلم تصبْه .فهو حيث يقول :

رَفَونى وقالوا : ياخويلد لاتُرَعْ فقلتُ وأَنكرتُ الوجوهَ :همُ همُ

هذا ماأورده السكرى فى آخر أَشعار الهذليين .

وأوردنا القصَّة هنا لأنّ فيها أَشعاراً فيها شواهدُ إذا جاءَت فيما سيأتى نُحِيل عليها .

وكانت هذه الوَقْعَةُ [١]قبل إِسلام أَبى ذؤيب وأَبى خراش .والله أعلم.

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والأربعون بعد الثلثمائة [٢]:

٣٤٩ (فإيَّاكُمْ وحَيَّةَ بطنِ وادٍ هموزِ النّابِ ليس لكم بِسِيٍّ)

على أَنَّ سيبويه استدلَّ به على جرِّ الجوار ، ردًّا على الخليل فى زعمه أنّه لايجوز إلاّ إذا اتَّفقَ المضافُ والمضاف إليه ، فى أُمور ذكرها الشارح المحقق : منها اتِّفاقهما فى التذكير والتأنيث ، وهذا البيت يردُّ عليه ؛ فإنَّ هَموزِ نعتُ الحيَّة المنصوبة ، وجُرَّ لمجاورته لأحد المجرورَين ، وهو بطن أَو واد [٣]. ٣٢٢

وعيَّنه ابن جنِّى (فى شرح تصريف المازنى) فقال : جرّ هموز لمجاورته لوادٍ مع اختلاف المضاف والمضاف إليه تذكيراً وتأنيثاً؛فإنَّ حيّة مؤنث ومابعدها مذكر . وفيه أَن كلاًّ من الحية ومابعدها مذكر .

---

(١) ط : « الواقعة » ، وأثبت مافى ش .

(٢) الخصائص ٣ : ٢٢٠ والمنصف ٢ : ١٥ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٣٤٢ وابن يعيش ٢ : ٨٥ واللسان (سوا ١٣٧) والحماسة بشرح المرزوقى ٤١٧ وديوان الحطيئة ٦٩ .

(٣) ش : « بطن وواد » .

أما الحية فقد قال صاحب الصحاح : الحية للذكر والأنثى ، وإنما دخله الهاءُ لأَنه واحدٌ من جنسٍ ، كبطة ودجاجة . وفلانٌ حيَّةٌ ذكر . على أنَّه قد روى عن العرب : رأيت حَيًّا على حية ، أى ذكرا على أنثى .انتهى .

أما البطن فقد قال صاحب الصحاح أَيضا : البطن : خلاف الظهر ، وهو مذكر ، وحكى أَبو حاتم عن أَبى عبيدة أن تأنيثه لغة . انتهى .

وأما الوادى فهو مذكر لا غير ، فيجوز للخليل أن يدَّعىَ توافق المضاف والمضاف إليه تذكيراً بجعل الحية للواحد المذكر من الجنس ؛وكذلك هموز فإنه فعول يُوصف به المذكر والمؤنث ، اللهم ألا أن يكتفى «س» للتَّخالف بالتأنيث والتذكير اللفظيَّين . هذا وسيبويه لم يستشهد بهذا البيت ، وإنَّما استشهد بقول العجاج :

* كأنَّ نسجَ العنكبوت المرْمَلِ *

ووجْه الاستدلال منه أنَّ العنكبوت مؤنث والمرمل مذكر ، لأنَّه وصف للنَّسج ، فقد اختلفا تأنيثاً وتذكيراً . وللخليل أن يمنع هذا أيضاً فإنَّ العنكبوت قد جاء مذكراً أَيضاً ، نقل ذلك عن العرب . وأنشدوا :

على هَطَّالهمْ منهم بيوتٌ كأنَّ العنكبوت هو ابتناها [١]

وعلى تسليم أنها فى البيت مؤنثة فإنه تأنيثٌ ليس بعلامة ، إذْ ليس مؤنثاً بالتاء ولا بإحدى الألفين المقصورة والممدودة ، فأشبه التذكير ، إذ لم يظهر فيه من التنافر مايظهر فى التثنية .

وقد استدلّ لسيبويه بعضُهم بقراءة يحيى بن وثَّاب والأعمش:﴿إنَّ الله

---

(١) الهطال : اسم جبل ، كما فى معجم البلدان واللسان (هطل) عند إنشاد البيت .

هو الرزّاق ذو القُوَّةِ المتينِ [١] ﴾ بجرِّ المتِين . ورُدّ هذا أيضًا باحتمال أن يكون المتين صفة للقوّة ، لأنها فى معنى السبب فذكَّر على المعنى ، فلا يكون من باب الخفض على الجوار . وهذا نصُّ سيبويه فى باب النعت : وقال الخليل رحمه الله : لايقولون إلا هذان جُحْرا ضبٍّ خربان ، من قبَل أنَّ الضب واحد والجحر جحران،وإنَّما يغلطون إذا كان الآخر بعِدَّة الأول وكان مذكّراً مثله أو مؤنثا. وقالوا : هذه جِحَرةُ ضباب خربة ، لأنَّ الضِّباب مؤنثة ،ولأنَّ الجحَرة مؤنثة والعدَّة واحدة ، فغلطوا. وهذا قول الخليل رحمه الله. ولانرى هذا والأوَّل إلاّ سواء ، لأنه إذا قال هذا جحر ضبّ متهدّم ، ففيه من البيان أنّه ليس بالضب مثلُ مافى التثنية من البيان أنّه ليس بالضب .قال العجاج :

* كأنَّ نسجَ العنكبوتِ المرْمَلِ *

والمرمل مذكر ، والعنكبوت مؤنث .هذا كلام سيبويه

وقول الشارح المحقق: وقال بعض البصريين:إنَّ التقدير :هذا جحر ضب خرب جُحرهُ إلخ، هذا تخريج ابن جنى (فى الخصائص) قال فيه :الأصل هذا جحر ضب خربٍ جحرُه ،حذف الجُحر المضاف إلى الهاء وأُقيمت الهاء فارتفعت، لأنَّ المضاف المحذوف كان مرفوعا ،فلما ارتفعت استتر الضمير المرفوع فى نفس خرب ، فجرى وصفاً على ضَبّ وإن كان الخراب للجُحر لا للضب على تقدير .

٣٢٣

وقال السيرافى :ورأيتُ بعض نحويِّى البصريِّين قال فى هذا حجر ضب خرب ، قولاً شرحتهُ وقوَّيتُه بما احتمله من التقوية . والذى قاله النحوىُّ أنَّ معناه هذا جحر ضب خربِ الجحر ، والذى يقوِّيه أنّا إذا قُلنا خرب الجحر فهو من باب حسن الوجه ، وفى خرب ضمير الجحر مرفوع،لأن التقدير كان

---

(١) الآية ٥٨ من الذاريات .

خرب جحره.ومثله مما قاله النحويون :مررت برجل حسن الأبوين لاقبيحين ، والتقدير لاقبيح الأبوين وأصله لاقبيح أبواه ، ثم جعل فى قبيح ضمير الأبوين فثنى لذلك ، وأجرى على الأَوّل فخفض ، واكتفى بضمير الأبوين ولم يُعِدْ ظاهرهما لما تقدَّم من الذكر . انتهى .

قال أبو حيان ، بعد أن نقل قولهما : ومذهبهما خطأ من غير ماوجه ، لأنه يلزم أن يكون الجحر مخصَّصا بالضبّ ، والضب مخصص بخراب الجحر المخصَّص بالإضافة إلى الضب ، فتخصيص كلٍّ منهما متوقّف على صاحبه ، وهو فاسدٌ للدَّور ، ولايوجد ذلك فى كلام العرب ؛ أعنى لايوجد مررت بوجهِ رجل حسنِ الوجه ، ولا حسن وجهه ، ولأنّه من حيث أجرى الخرِبَ صفة على النَّصْب لزم إبراز الضمير لئّلا يُلبِس [1] .وقد فرق سيبويه بين حسن الوجه وحسن .ولأَنَّ معمول هذه الصفة لايتصرَّف فيه بالحذف لضعف عملها. فأمّا قول الشاعر :

ويَضحك عِرْفانَ الدُّروع جلودُنا إذا جاء يومٌ مظلمُ الشمس كاسفُ

فلا يريد كاسف الشمس ،فيكون قد حذف معمول الصفة وإن كان قد ذهب إليه بعضُهم ، وإنَّما هو عندنا صفة لليوم نفسه ،لأَنَّ الكسوف يكون فيه ،فيكون نحو قولهم :نهارك صائم وليلك قائم. ولأَنَّ هذه الصفة لايجوز نقل الضمير إليها حتى يصحَّ نسبتُها إلى الموصوف على طريق الحقيقة .ألا ترى أنَّه لايصحُّ عندنا : مررت برجل حائض البنت ،لأَنَّ الحيض لايكون للرجل. وكذلك الخرب لايكون للضَّبّ ،والمرمل لايكون للعنكبوت .وكذلك هموز الناب لايكون للوادى . والذى يقطع ببطلان ماذهبا إليه قولُ الشاعر :

---

(١) ط : « يلتبس » .

ياصاح بَلِّغْ ذوى الحاجاتِ كلِّهِم
أن ليس وصلٌ إذا انحَلَّتْ عُرى الذَّنَب[١]

وقول أبى ثَروان فى المفضَّل « كان والله من رجال العرب المعروفِ له ذلك » بخفض المعروف على المجاورة . وفى كلام أبى ثروان ، وهو ممن تؤخذ عنه اللغة والعربية ، ردٌّ على من يقول بأنَّ الجوار لايكون إلاّ مع النكرة ؛ فإنَّ كُلاًّ من البيت ومن كلام أبى ثروان لايمكن فيه أن يكون تابعاً للمجرور الذى قبله بحال . وتشبيه السيرافى المسألة [٢] بنحو قول النحويين : مررت برجل قائم أبواه لا قاعدين ، تشبيهٌ غير صحيح . انتهى كلام أبى حيان .

وبَيَّنه ابنُ هشام (فى المغنى) بعد نقل كلامهما ، بأنَّه يلزم استتار الضمير مع جريان الصفة على غير من هى له ، وذلك لايجوز عند البصريين وإنْ أُمِن اللبس. وقول السيرافى : إنَّ هذا مثلُ مررت برجل قائم أبواه لاقاعدين ،مردود ، لأَنَّ ذلك إنَّما يجوز فى الوصف الثانى دون الأَوّل.انتهى.

وقوله:ولأَنَّ هذه الصفة لايجوز نقل الضمير إليها حتى يصحَّ نسبتها إلى الموصوف ، إلى آخره ، هذا كلامُ السيرافى ، وهو معترف به ، فإنّه قال بعد مانقلناهُ [٣]: ولايشبه عندى : وحَيَّةَ بطنِ واد هموز الناب ، على هذه العلّة لإنّا إذا خفضنا هموز الناب فهو محمولٌ على واد أو على بطن واد ، وليس هموز بمضاف إلى شيءٍ إضافتُه إليه تصحِّحه فى التقدير ، كما كان تقدير إضافة خرب الجحر توجب تصحيح الخفض . انتهى .

٣٢٤

---

(١) مجهول القائل . وانظر شرح شواهد المغنى ٣٢٥ والشذور ٣٣١ والهمع ٢ : ٥٥ . والشاهد فيه جر « كلهم » على المجاورة للحاجات ، وانما هى توكيد لذوى المنصوبة .

(٢) ش : « فى المسألة » .

(٣) ش : « بعد ما نقلنا » فقط .

وقد بيَّنَ الشارحُ المحقّق إضافة هموز إلى مايصحِّح إضافته فى التقدير ، وشرَحَه بمالا مزيدَ عليه ، وكأنَّه قصد بهذا البيانِ الردَّ على السيرافى .

واعلمْ أنَّ قولهم : جُحر ضبٍّ خربٍ مسموعٌ فيه الجر والرفع ، والرفع فى كلامهم أكثر .قال أبو حيان (فى تذكرته) : ينبغى أن لاتجوز مسألة التثنية والجمع ، لأنَّ جر الجوار لم يسمع إلاَّ فى المفرد خاصّة فلا يُتَعدَّى فيه السماع. وقد قال الفرّاء وغيرُه : لايخفض بالجوار إلا مااستعملته العرب كذلك ، والمسموع منه ماتقدم ، وماسيأتى فى الشرح من بيت امرئ القيس ، وقول دريد بن الصِّمَّة :

فجئت إليه والرماحُ تَنوشُه كوقع الصَّياصِى فى النَّسيج الممدَّدِ
فدافعتُ عنه الخيلَ حتى تبدَّدتْ وحتى علانى حالكُ اللونِ أسودِ

وأسود نعت لحالك ، وجُرّ لمجاوته المجرور .

وقول آخر :

كأنَّما ضَربتْ قُدَّامَ أعينها قُطناً بمستحصد الأَوتار محلوجِ (١)

ومحلوج نعت لقوله قطنا ، لكنَّه جرَّ بالمجاورة .

وقوله ذى الرمة :

تريك سُنَّة وجهٍ غيرِ مقْرِفة مَلساءَ ليس بها خالٌ ولا ندَبُ

وغير: نعتٌ لسنَّة المنصوبة، وجرَّ للمجاورة .ووُرى بالنصب أيضاً .قال الفراء: قلت لأبى ثروان ،وقد أنشدنى هذا البيت بخفض غير : كيف تقول :

* تريك سُنّة وجه غيرِ مقْرِفةٍ *

---

(١) فى النسختين : «كأنك ضربت» ، صوابه من الإنصاف ٦٠٥ : وفى ط : « بمستحصل » ، صوابه فى ش . والمستحصد : المحكم الفتل .

قال :

* تريك سُنّةً وجهٍ غيرَ مُقْرِفةٍ *

بنصب غير . قلت له : فأنشد بخفض غير ، فخفض غير ، فأعدت عليه القول فقال :الذى تقول أنت أجود ممَّا أقول أنا . وكان إنشاده على الخفض . انتهى

قيل : ومنه قوله تعالى :﴿اشتدَّتْ به الرِّيحُ فى يومٍ عاصِفٍ [١]﴾،لأنَّ عاصف من صفة الريح لا من صفات اليوم . وهذا القول للفرَّاء .قال :لما جاء العاصف بعد اليوم أتبعته إعراب اليوم ، وذلك من كلام العرب ، أن يُتبعوا الخفض إذا أشبهه .

قال أبو حيان (فى تذكرته) :قد أُوِّلتْ هذه الآية . أقول :أوّلها الفَرَّاء بتأويلين : أوّلهما وهو جيدّ قال: جعل العُصُوف تابعاً ليوم فى إعرابه ، وإنَّما العصوف للريح . وذلك جائز على جهتين : إحداهما أنّ العصوف وإن كان للريح فإنَّ اليوم يُوصف به ، لأنَّ الريح فيه تكون ، فجاز أن تقول يوم عاصف كما تقول :يوم بارد ،ويوم حارٌّ . وقد أنشدنى بعضهم :

* يومين غَيْمين ويوماً شَمْسا *

فوصف اليومين بالغيمين ، وإنَّما يكون الغيم فيهما .

والوجه الآخر : أن تريد فى يومٍ عاصف الريح ، فتحذف الرِّيح لأنَّها قد ذُكرت فى أوَّل الكلمة ، كقوله :

* إذا جاء يومٌ مظلمُ الشمس كاسفُ [٢] *

---

(١) الآية ١٨ من إبراهيم .

(٢) سبق البيت بتمامه فى ص ٨٩ .

يريد كاسف الشمس . انتهى

وقد تقدم ردُّ هذا فى كلام أبى حيان .

وجَرُّ الجوار لم يسمع إلاّ فى النعت على القلة . وقد جاء فى التأكيد فى بيتٍ على سبيل النُّدرة . قال الفراء (فى تفسيره) : أنشدنى أبو الجرَّاح العُقَيلىُّ: ٣٢٥

ياصاحِ بلِّغْ ذَوى الزَّوجاتِ كلِّهم
أنْ ليس وصلٌ إذا انحلت عُرَى الذَّنَبِ[1]

فاتبع كلّ خفض الزوجات ، وهو منصوب ، لأنه توكيد لذوى .انتهى

وزعم أبو حيان (فى تذكرته) وتبعه ابن هشام (فى المغنى) أنَّ الفرَّاء سأَل أبا الجرَّاح فقال : أليس المعنى ذوى الزوجات كلَّهم؟ فقال:بلى ،الذى تقوله خيرٌ من الذى نقول . ثم استنشده البيتَ فأنشده بخفض كلِّهم . انتهى

والفراء إنَّما نقل هذه الحكايةَ فى بيت ذى الرمة السابق .

أبو الغريب النصرى

وهذا البيتُ لأبى الغريب . قال أبو عُبيدٍ البكرى (فى شرح أمالى القالى):هو أعرابىٌّ له شِعر قليل ، أدرك الدولةَ الهاشميَّة .قال أبو زياد الكلابى : كَان أَبو الغريب شيخاً قد تزوَّج فلم يُولم،فاجتمعْنا على باب خبائه وصِحنا:

أولِمْ ولو بيربوعْ أو لو بقردٍ مَجدُوعْ[2]

(١) سبق الكلام عليه فى ص ٩٠ .

(٢) كتبت فى ش : « أولم ولو بقرد مجدوع » ، ثم صححت فيها بقلم الناسخ بحذف كلمة « ولو » . وفى سمط اللآلى ٦٥٠ : « أو بقراد مجدوع » وكذا فى الاشتقاق ١٤٢ .

* قتلتنا من الجوعْ *

فأولمَ واجتمعنا عنده ، فأعرس بأهِله ، فلما أصبح غدَوْنا عليه فقلنا :

ياليتَ شعرى عن أبى الغريبِ إذْ بات فى مَجَاسِدٍ وطيبِ

معانقــاً للــرَّشأ الربــيبِ أأحْمَدَ المِحفارَ فى القليبِ

* أمْ كان رِخواً يابسَ القصيبِ *

فصاح إلينا : يابس القضيب واللهِ ، يابسَ القضيب ! وأنشأ يقول :

سَقياً لعهدِ خليلٍ كان يأدِمُ لى زادى ويذهب عن زوجاتِىَ الغضبا

كان الخليلَ فأضحَى قد تخوّنَه هذا الزمانُ ،وتَطعانِـى به الثُّقَبـا

وقال :

ياصاحِ بلِّغْ ذوى الزَّوجاتِ كلِّهِمِ
أنْ ليس وصلٌ إذا استرخت عُرَى الذَّنَبِ

انتهى . وأراد باسترخاء عُرى الذنب استرخاء الذكر .

وأما جرّ الجوار فى العطف فقد قال أبو حيان (فى تذكرته) : لم يأت فى كلامهم ، ولذلك ضعُف جداً قول من حمل قوله تعالى :﴿وامْسَحُوا برؤسِكم وأرجلِكم [١] ﴾، فى قراءة من خفض على الجوار [٢] . والفرق بينه وبين النعت كونُ الاسم فى باب النعت تابعاً لما قبله من غير وَساطة شىء ، فهو أشدُّ له مجاورة ، بخلاف العطف ، إذْ قد فَصَل بين الاسمين حرفُ العطف ، وجاز

(١) الآية ٦ من سورة المائدة .

(٢) قرأ نافع والكسائى وابن عامر وحفص:« وأرجلكم » بالنصب . وقرأ سائر القراء بالجر . وقرأ الحسن : « وأرجلكم » بالرفع على أنها مبتدأ محذوف الخبر ، أى اغسلوها إلى الكعبين . تفسير أبى حيان .

إظهار العامل فى بعض المواضع ، فبعُدَت المجاورة . وذهب بعضُ المتفقّهة من أصحابنا الشّافعية إلى أنَّ الإعراب على المجاورة لغةٌ ظاهرة ، وحمل على ذلك فى العطف الآية الكريمة ، وقوله تعالى : ﴿ لم يَكُنِ الذينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكتاب والمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّين [١] ﴾، قال : فخفض المشركين لمجاورة أهل الكتاب. وماذهب إليه يمكن تأويله على وجهٍ أحسن ، فلا حجّة فيه .انتهى.

وقال ابن هشام (فى المغنى) :وقيل به فى ﴿وحورٍ عِين [٢] ﴾فيمن جرَّهما ، فإن العطف على ﴿ولِدانٌ مُخَلَّدُون [٣] ﴾لا على ﴿أكوابٍ وأباريق [٤] ﴾، إذ ليس المعنى أنَّ الوِلدان يطوفون عليهم بالحُور . وقيل العطف على جنَّات ، وكأنَّه قيل: المقرَّبون فى جناتٍ وفاكهةٍ ولحم طير وحُورٍ . وقيل على أكواب باعتبار المعنى ، إذْ معنى يطوف عليهم ولِدانٌ مخلَّدونَ بأكوابٍ: يَنْعَمون بأكواب . انتهى . ٣٢٦

وأمَّا قوله فى البدل فقد قال أبو حيان أيضا : لم يُحفَظ ذلك فى كلامهم ، ولا خرَّج عليه أحدٌ من علمائنا شيئاً فيما نعلم . وسبب ذلك والله أعلم أنه معمولٌ لعامل آخر للعامل الأوّل على أصحِّ المذهبين ، ولذلك يجوز ذكره إذا كان حرف جرٍّ بإجماع ، وربما وجب إذا كان العامل رافعاً أو ناصبا . ففى جواز إظهاره خلاف ، فبعُدت إذ ذاك مراعاة المجاورة ، ونزِّل المقدَّر الممكن إظهارُه منزلة الموجود ، فصار من جملة أخرى . انتهى .

وقد آن لنا أن نرجع الى البيت الشاهد فنقول:هو من أبيات للحطيئة، صاحب الشاهد

(١) الآية الأولى من سورة البينة .

(٢) الآية ٢٢ من الواقعة .

(٣) الآية ١٧ من الواقعة .

(٤) نصها : « بأكواب وأباريق » ، من الآية ١٨ من الواقعة .

وقد تقدمت ترجمته فى الشاهد التاسع والأربعين بعد المائة [١] ،مدح بها عدىَّ ابن فزارة ، وعُيينة بن حصن ، وحذيفة بن بدر ، فقال بعد تسعة أبيات [٢] من الغزل :

(فأبلغْ عامراً عنى رسولاً رسالةَ ناصحٍ بكُمُ حفىٍّ
فإيَّـاكم وحيَّـةَ بطـــنِ وادٍ حديدِ النَّاب ليس لكم بسِىٍّ
فحُلُّوا بطنَ عُقْمةَ واتَّقونـا إلى نجرانَ فى بلدٍ رخىٍّ
فكمْ من دارِ حىٍّ قد أباحت لقومهم رِماحُ بنـى عدىٍّ
فما إن كان عن ودٍّ ولكنْ أباحوها بصُمٍّ السَّمهرىِّ [٣])

وبعد هذا خمسة أبيات أُخَر .

وقوله : « فأبلغ عامراً » الخ قال أبو عمرو : يعنى عامر بن صعصعة ، وهو أبو قبيلة . والرسول: الرِّسالة . انتهى .فيكون على هذا قولُه:رسالة ناصح بدلاً من رسولاً ، وأجودُ منه أن يكون رسولا حالا من ضمير أبلِغْ . والحفِىُّ ، بالحاء المهملة ، هو المشفق اللطيف .

وقوله : (فإياكم وحَية) إلخ إياكم محذَّر وحية محذَّر منه ، منصوبان بفعلين ، أى أبعِدوا أنفسَكم واحذروا الحية . وأراد الحطيئة بالحية نفسه ، يعنى أنه يحمى ناحيتَه ويُتقَّى منه كما يُتَّقى من الحية الحامية لبطن واديها ، المانعةِ منه. والوادى : المطمئن من الأرض . وقوله : (حديدَ النَّاب) هكذا وقع فى رواية ديوانه ، وهذا لايدلُّ على أن المراد بالحية الذكر ، لأنّ حديداً فى الأصل

---

(١) الخزانة ٢ : ٤٠٦ .
(٢) ط : « من بعد تسعة أبيات » .
(٣) السمهرى : الرماح المنسوبة إلى سمهر زوج ردينة ، وكان مثقفا للرماح . والصم : جمع أصم . وهو الصلب المصمت . ط : « بضم السمهرى » ، صوابه فى ش والديوان ٦٩ .

مسند إلى الناب ، أى حديد نابه . والناب من الأسنان مذكَّر مادام له هذا الاسم ، والجمع أنياب ، وهو الذى يلى الرَّباعِيَات . قال ابن سينا : ولايجتمع فى حيوانٍ نابٌ وقرن . كذا فى المصباح . و(الحديد) : القاطع ، وروى بالنصب إتباعاً للفظ الحية ، والمشهور فى رواية النحويِّين (هَمُوزِ النَّاب) بالجر على المجاورة كما تقدم . و(الهموز): فعول من الهَمز بمعنى الغَمْز والضغط . وقوله : (ليس لكم بسِيٍّ) ، هذا يدلُّ على تذكير الحية ، فإنَّ ضمير ليس عائد إلى الحية ، ولو أراد المؤنث لقال ليست .والسيُّ بكسر السين المهملة : المثل ؛ أى لا تَستوون معه ، بل هو أشرفُ منكم .

وقوله « فحلُّوا بَطْنَ عُقْمة » إلخ حُلُّوا أمرٌ من الحَلول بمعنى النزول . وعُقْمَةُ ، بضم العين وسكون القاف ، قال أبو عُبيد البكرى (فى المعجم) : هو موضعٌ مابين ديار بنى جعفر بن كلاب وبين نَجْران . وأنشدَ هذا البيت .والمعنى: أتَّقُونا من ههنا إلى نَجْران . ونجران : مدينةٌ بالحجاز من شِقٍّ اليمن . ورَخىّ : بعيد ، وقيل واسع مخصب .

وقوله : « فكم من دار حَىٍّ » إلخ حىّ هنا بمعنى القبيلة . وأباحت : بمعنى جعلتْهُ مباحا [1] .

وقوله:« فما إنْ كان عن ودٍّ » إلخ يقول : لم ينزلوا هذه المنازلَ عن مودَّةٍ بينهم وبين هؤلاء ، ولكن أباحتها لهم رماحُهم وسيوفُهم .

وأمّا بيت سيبويه ،وهو :

* كأنَّ نسجَ العنكبوتِ المُرْمَلِ *

(١) ط : « جعلت » ، صوابه فى ش .

فهو للعجَّاج . وبعده (١):

على ذُرَى قُلَّامِهِ المهدَّلِ سُبوبُ كَتّانٍ بأيدِى الغُسَّلِ

النسج :الغَزْل . والمرمَل : المنسوج ،والمَغْزول .والذُّرى : الأعالى ، جمع ذِرْوة بالكسر .والقُلّام بضم القاف وتشديد اللام : ضربٌ من النبت ، وضميرُ قلَّامِه راجعٌ إلى الماء ، فإنَّه فى وصف ماءٍ وَرَدَه . والمهدَّل :المُدلَّى (٢) . والسُّبوب : جمع سِبٍّ بالكسر ، كجذوع (٣). والسِّبُّ : ثوبٌ من كَتّان أبيض .والغُسَّل : جمع غاسل وغاسلة .يعنى أنَّ العنكبوت قد نسجت على القُلّام الذى نبت حول الماء .شَبَّهَ مانسجتِ العنكبوتُ عليه بثوبٍ رقيق من الكتّان .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخمسون بعد الثلثمائة (٤):

٣٥٠ (كَبيرُ أناسٍ فى بِجَادٍ مُزمَّلِ)

على أن قوله « مزمَّل » انجرّ لمجاورته لأناسٍ تقديراً ، لا لبجادٍ ؛ لتأخُّره عن مزمّلٍ فى الرُّتبة . فالمجاورة على قسمين : ملاصقة حقيقية كما فى البيت السابق ، وملاصقة تقديرية كما فى هذا البيت .

وفيه ردٌّ على شرّاح المعلقّات ومن تبعهم ، فإنهم قالوا : جرّ مزمّلا على الجوار لبجاد ، وحقه الرفع لأنه نعت لكبير .

---

(١) فى ديوانه ٤٧ . وانظر سيبويه ١ : ٢١٧ والخصائص ٣ : ٢٢١ والانصاف ٦٠٥ . ش : « وما بعده » .

(٢) ش : « المدل » ، صوابه فى ط .

(٣) أى كجذوع ، جمع جذع بالكسر .

(٤) الخصائص ١ : ١٩٢ / ٣ : ٢٢١ والمحتسب ٢ : ١٣٥ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٩٠ وسيعاد فى ٣ : ٦٣٩ بولاق .

ومن تبعهم أبو حيان ، قال (فى تذكرته) : خفض مزمَّلا على الجوار للبجاد ؛ وهو فى المعنى نعت للكبير ، تغليباً للجوار . ومنهم ابن هشام (فى بعض تعاليقه) قال : لما جاور المخفوض وهو البجاد خفض للمجاورة . ولايخفى أن المجاورة رُتْبيَّة كانت أو لفظية ، كافية .

وما قاله [١] الشارح المحقق لادَاعىَ لَه .

ولم يجعل أبو على هذا البيتَ من باب الجر على الجوار ، بل جعل مزمَّلا صفة حقيقية لبجاد ، قال : لأنه أراد مزمل فيه ، ثم حذف حرف البجر فارتفع الضمير واستتر فى اسم المفعول . انتهى

وقال الخطيب التِّبريزىُّ (فى شرح المعلقات) : وفى البيت وجهٌ آخر ، وهو أن يكون على قول من قال : كُسِيتْ جبَّةٌ زَيداً ،فيكون التقدير :فى بجاد مزمَّلِهِ الكساءُ ، ثم تحذف كما تقول : مررت برجل مكسوَّتِهِ جبةٌ ، ثم تكنى عن الجبَّة فتقول : برجل مكسوَّتِه ، ثم تحذف الهاءُ فى الشعر . هذا قول بعض البصريين [٢] . انتهى

ولايخفى تعسُّف هذا القول . وتخريج أبى علىّ أقرب من هذا .

والمصراع عجزٌ ؛ وصدره :

(كأنَّ ثَبيراً فى عرانينِ وَبْلِهِ)

والبيت من معلقة آمرىء القيس المشهورة .و(ثبير) : جبل بمكة [٣]. صاحب الشاهد

---

(١) ش : « وما قال » .

(٢) فى شرح التبريزى : « بعض النحويين » .

(٣) من أعظم جبال مكة ، بينها وبين عرفة ، سمى ثبيرا برجل هذلى مات فيه .

و(العرانين) :الأوائل ،والأصل فى هذا أنْ يقال للأنف عِرنين ،استعير لأوائل المطر ؛ لأن الأنوف تتقدم الوجوه . و(الوبل) : مصدر وَبَلت السماء وَبْلاً ؛ إذَا أتَت بالوابل ، وهو ماعظم من القَطْر . وضمير وبله راجعٌ للسحاب فى بيت قبله . و(البجاد) بالجيم بعد الموحَّدة المكسورة ، وهو كساءٌ مخطط من أكسية الأعراب من وبَر الإبل وصُوف الغنم . و(المزمَّل): اسم مفعول بمعنى الملفَّف [1] .قال الزوزنى (فى شرح المعلقات) : كأنَّ ثَبيرا فى أوائل مَطِر هذا السحابِ سيِّدُ أناسٍ ملفَّف بكساءٍ مخطّط . شبَّه تغطِّيَه بالغُثَّاء [2] بتغطِّى هذا الرجل بالكساء . انتهى . ونقل الخطيب التبريزى عن أبى نصر أنَّ امرأ القيس شبَّه الجبل وقد غطاه الماء والغُثَّاء الذى أحاط به إلاّ رأسَه ، بشيخ فى كساء مخطط . وذلك أنَّ رأس الجبل يضرب إلى السواد والماءُ حوله أبيض . انتهى .

٣٢٨

وقال أبو حنيفة الدينورى (فى كتاب النبات) : شبَّهَ ثَبيراً برجل مزمَّل بالثِّياب ، لأنَّ المطر لمَّا سَحَّ ستره .

وروى المبرد (فى الكامل) تبعاً للأصمعى :

كأنّ أبانا فى أفانينِ ودقه   كبير أناس .... الخ

وقال :أبان: جبلٌ ، وهما أبانان : أبان الأسود وأبان الأبيض. وقوله : فى أفانينِ وَدْقِه،يريد ضروباً من ودقه . والوَدْق : المطر. قوله كبير أناس إلخ يريد مزمَّلا بثيابه ؛ قال تعالى : ﴿ يأيُّها المزَّمِّل * قُمِ اللَّيل [3] ﴾ ،

---

(١) ط : « المكنف » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٢) الغثاء كغراب ، وبتشديد الثاء أيضا : مايجىء فوق السيل مما يحمله من الزبد والوسخ وغيره .

(٣) الآية الأولى من المزمل .

وهو المتزمِّل والتاء مدغمة فى الزاى . وإنَّما وصف امرؤ القيس الغيثَ . فقال قوم : أراد أنَّ المطر قد خَنَّق الجبل فصار له كاللِّباس على الشيخ المتزمّل . وقال آخرون : إنَّما أراد ماكساه المطر من خُضْرة النبت . وكلاهما حَسن . وذكر الوذْقَ لأنَّ تلك الخُضرةَ من عمله . انتهى .

تتمتان

(إحداهما) : لم يذكر الشَّارح المحقق الرفعَ على المجاورة ، لأنَّه لم يثبت عند المحققين ، وإنَّما ذهب إليه بعض ضَعَفة النحويين فى قوله :

السالك الثُّغرةَ اليقظانَ كالئها   مشىَ الهلوكِ عليها الخيعلُ الفضلُ(١)

أوَّلهم الأَصمعى ، ذكره على بن حمزة البصرى (فى كتاب التنبيهات على أغلاط الرواة) قال : سأل الرياشىُّ الأَصمعىَّ عنه فقال : الفُضُل من نعت الخيعل ، وهو مرفوع ، وأصله أنَّ المرأة الفضل هى التى تكون فى ثوب واحد ، فجعل الخيعل فضُلاً لأنَّه لاثوب فوقه ولا تحته ، كما يقال امرأة فُضل . قال الرياشى : وهذا مما أُخِذ على الأَصمعىِّ . ثم رجع عن هذا القول وقال بعد:هو من نعت الهلوك ، إلا أنَّه رفعه على الجوار كما قالوا: جحر ضب خرب. انتهى.

ومنهم ابن قتيبة ، قال (فى أبيات المعانى (٢)) : الثُّغرة والثَّغْر سواء ، وهو موضع المخافة . والكالىء : الحافظ . والخيعل : ثوب يُخاط أحد جانبيه ويُترك الآخر . والهلوك : المتثنِّية المتكسرة . والفُضُل من صفة الهلوك ، وكان ينبغى أن يكون جراً ، ولكنه رفعه على الجوار للخيعل . ومثله :

* كأنَّ نسجَ العنكبوتِ المرمَلِ *

---

(١) للمتنخل الهذلى فى ديوان الهذليين ٢ : ٣٤ والخصائص ٢ : ٢٩٢ .

(٢) المعانى الكبير ٥٤٤ .

ومثله جحر ضبٍّ خربٍ . ومثله :

* كبير أناسٍ فى بجادٍ مزمَّلِ *

وأراد أنَّه آمنٌ لايَخاف ، فهو يمشى على هينته . انتهى .

وقد ردَّ العلماءُ هذا القول ، منهم ابن الشجرى (فى أماليه) قال : وزعم بعضُ من لا معرفة لهم بحقائق الإعراب ، بل لامعرفة لهم بجملة الإعراب ، أنَّ ارتفاع الفُضُل على المجاورة للمرفوع ، فارتكب خطأً فاحشا ، وإنَّما الفضل نعت للهلوك على المعنى ، لأنها فاعلة من حيث أسند المصدر الذى هو المشى إليها ، كقولك : عجبت من ضرب زيدٍ الطويلُ عمراً ،رفعت الطويل لأنَّه وصفٌ لفاعل الضرب وإن كان مخفوضاً فى اللفظ .فلو قلت :عجبت من ضرب زيدٍ الطويلَ عمرٌو فنصبت الطويل لأنَّه نعت لزيد عَلَى معناه من حيث هو مفعول فى المعنى كان مستقيما،كما عطف الشاعر عليه المنصوب فى قوله:

قد كنتُ داينت بها حَسَّانا مخافةَ الإفلاس واللَّيَّانا[1]

ومثل رفع الفضل على النعت للهلوك رفع المظلوم على النعت للمعقِّب فى قول لبيدٍ يصف الحمار والأتان : ٣٢٩

يُوفِى ويرتقبُ النجادَ كأنَّه ذو إرْبَة كلَّ المرامِ يرومُ
حتَّى تهجَّر فى الرَّواح وهاجَها طلبَ المعقِّب حقَّه المظلومُ [2]

يوفى ، أى يُشْرف . والنجاد : جمع نجد ،وهو المرتفع.أى يشرف

---

(١) لرؤبة فى ملحقات ديوانه ١٨٧ . وهو من شواهد سيبويه ١ : ٩٨ .

(٢) البيت من شواهد الخزانة . وقد سبق فى ٢ : ٢٤٠ .

عَلَى الأَماكن المرتفعة ، كالرقيب، وهو الرَّجل الذى يكون ربيئة القوم،يربِض عَلَى نَشزٍ متجسسا[١] . والإربة : الحاجة

وقوله : « حتى تهجَّرَ فى الرَّوَاح » أى عجَّل رواحَه فراحَ فى الهاجرة . وهاجها ، أى هاج الأتان وطردها وطلبها مثلَ طلب الغريم المعقِّب حَقَّه؛ فالمعقِّب فاعل الطلب . ونصب حقه لأنّه مفعول الطلب . والمظلوم صفة للمعقب ، على المعنى ، فرفعه لأنَّ التقدير : طلبَها مثل أن طلب [٢] المعقِّب المظلوم حقَّه . والمعقِّب : الذى يطلب حقَّه مرة بعد مرة . انتهى .

ومنهم أبو حيان (فى تذكرته) قال فى أولها : قال بعض معاصرينا : أكثرهم يعتقد الجوار مخصوصا بالمجرور ، وقد جاءَ فى المرفوع ، وأنشد :

السالك الثغرة اليقظان كالئُها ..... البيت

قال : رفعوا الفضل إتباعا لما قبله لقربه .

قال أبو حيان : قلت : وليس الرفع كما ذكر إتباعا للخيعل ، بل رفعه على النعت للهَلوك على الموضع ، لأنَّ معناه : كما تمشى الهلوك الفضل . وعليها الخيعل حال معمولةٌ لتَمْشِى ، أو جملة اعتراضية . انتهى .

واليقظان بالنصب : صفةٌ للثغرة ، وكالئُها فاعل اليقظان ، ومشىَ مفعول مطلق ، أى مشياً [٣] كمشى الهلوك . والفُضُل بضمتين : المرأة التى عليها قمِيصٌ ورداء ، وليس عليها إزارٌ ولا سَرَاويل .

---

(١) ش : « متحسسا » بالحاء المهملة ، وهما سواء ، وفسر قوله تعالى ،« ولا تجسسوا » ، بقولهم : « ولا تحسسوا » . على أنها فى أمالى ابن الشجرى ٢ : ٣٢:« متجسسا » بالجيم .

(٢) ش : « مثل طلب » مع أثر تصحيح بالخط على « أن » ، وهو الموافق لما فى أمالى ابن الشجرى .

(٣) ش : « ماشيا » .

وقال الفراء والحسن السكرى (فى الهذليات) : الفضل : ثوبٌ كالخيعل تلبسه المرأة فى بيتها . وعلى هذا فَلَا مجاورة ولا إتباعَ على المحلّ . يقول : هذا من شأنه سلوكُ موضع المخافة متمكّنا غيرَ خائف ، كمشى المرأة المتبخترة الفضل .

وقد تقدم الكلام على هذا البيت فى جملةِ شرح قصيدته فى الشاهد الحادى والثلاثين بعد الثلثمائة (١) .

(ثانيتهما) : قد ضُرب المثل بخفض مزمَّل فى كون الشريف يعاشر دَنيئاً فيسفُل بعشرته . قال الأُمين المحلِّىُّ :

عليكَ بأرباب الصدور فمن غَدا مضافاً لأُرباب الصُّدورِ تصدَّرا
وإيّاك أن ترضى صَحابة ناقصٍ فتنحطَّ قَدرا من عُلاك وتُحقَرا
فرفع أبو مَنْ ثم خفض مزمَّل يبيِّـــن قولى مُغرِيـــا ومحذِّرا

وأورد ابن هشام هذا الشعر (فى مغنى اللبيب) فى الأمور التى يكتسبها الاسمُ بالإضافة . منها : وجوب التصدُّر . ومما له الصدَّارة كلماتُ الاستفهام يجب أن تتصدَّر فى جملتها ، فإذا أضيف إليها اسمٌ وجب تصدُّره أيضا ، وحينئذ لايعمل ماقبله فيه ، ولهذا وجب الرفع فى قولك : علمت أبو مَن زيد . وإليه الإشارة بقوله « فرفع أبو من » . والإشارة بقوله « ثم خفض مزمَّل » إلى بيت امرىء القيس الذى شرحناه . وقوله « مغريا » راجع إلى قوله أوّلاً : «عليك بأرباب الصدور » ، وقولُه : « محذِّرا » راجعٌ إلى قوله ثانيا : « وإياك أن ترضى صحابة ناقص » .

---

(١) الصواب أنه الثانى والثلاثون بعد الثلثمائة . وهو أول هذا الجزء الخامس .

فإن قيل : « قوله:يُبَيِّن قولى » ، إلخ لا يصح أن يكون خبراً عن مجموع قوله : فرفع أبو من ثم خفض مزمل ، إذ لم يقل يبيِّنان . ولا عن أحدهما لاشتمال الجملة على قيدٍ لايصح تعلُّقه بكلّ منهما . وذلك أنَّ رفع أبو من لايبيِّن قوله مغريا ومحذّرا ، وإنمّا يبين قوله مغريا ، وكذا الثانى .

٣٣٠

أجيب بأن قوله:« يبيِّن قولى » فقط هو خبر الأول ، وخبر الثانى محذوف ، وأنّ قوله : مغريا ومحذرا قيدانِ للمحذوف ، والتقدير فرفع أبو من يبيِّن قولى ، وخفض مزمَّل كذلك ، هما يبيِّنان قولى مغريا ومحذّرا . ومثل هذا الشعر قول ابن حزمٍ الظّاهرىّ :

تجنَّبْ صديقا مثل ما،واحذر الذى   يكون كعمرو بين عُرب وأعْجَمِ(١)
فإنَّ صديق السَّوء يزرى،وشاهدى: كما شَرِقتْ صدرُ القناةِ من الدمِ

قال ابن هشام (فى المغنى) فى المبحث الذى تقدَّم ذكره :مراده بما الكنايةُ عن الرجل الناقص ، كنقص ما الموصولة . وبعمرٍو الكنايةُ عن المتزيِّد الآخذ ماليس له ، كأخذ عمرو الواو فى الخط .

وقال فى (موقد الأذهان وموقظ الوسنان) وهى رسالة له ، بعد أن ذكر أنّه سئل عن الأبيات : يريد بالصديق الذى كعمروٍ المستكثر بما ليس له ،فإن عمراً قد أخذ الواو فى الخط فى الرفع والجر ، وليست داخلة فى هجائه ، ومن ثَم نسب الشعراء إلحاقَها له إلى الظلم . قال الشاعر :

أيُّها المدَّعى سُليماً سَفَاهاً   لستَ منها ولا قُلامةَ ظُفْرِ
إنما أنت من سُليمٍ كواوٍ   أُلحقَتْ فى الهجاء ظلماً بعمرو

---

(١) يقال رجل أعجم وقوم أعجم أيضا . وأنشد فى اللسان :

سَلُّوم لو أصبحت وسط الأعجم   فى الروم أو فارس أو فى الديلم

وأما المشار إليه بما فهو الصديق الناقص (١) ، وذلك على أنه يريد ما الموصولة ، فإنها مفتقرة إلى صلةٍ وعائد ؛ وما الاستفهامية ، فإنها تنقص حرفاً إذا دخل عليها الجار . وهذا أحسن من قوله (فى المغنى) كنقص ما الموصولة . لأن ما الناقصة أعمُّ من الموصولة لشمولها الاستفهامية . وأما الموصوفة فهى كالموصولة.

وأما الشاهد الذى أشار إليه ابن حزم فهو قول الأعشى ميمون ، من قصيدة :

وتشرق بالقول الذى قد أذعتَهُ كما شَرِقَتْ صدر القناة من الدمِ(٢)

وبيانه أنَّ الفعل إنما تلحقه التاء إذا كان الفاعل مؤنثا ، ولايجوز قالت زيد ، فكان ينبغى أن لايجوز كما شرقت ؛ لأنَّ الصدر مذكَّر ، لكنه لما أضافه للقناة سرى منها التأنيث إليه . وعكس ذلك قوله :

إنارة العقل مكسوفٌ بطَوْعِ هوى
وعقلُ عاصى الهوى يزداد تنويرا(٣)

فكان ينبغى أن يقول مكسوفة ؛ لأنّ الإنارة مؤنثة ، ولكنه لما أضافها إلى العقل سرى إليها منه التذكير .

الأمين المحلى

والأمين المحلىُّ من الفضلاء المِصْرية ؛ له تأليفاتٌ فى علم العروض . والمحلّة : كورةٌ بمصر القاهرة .

---

(١) ش : « فهو للصديق الناقص » .

(٢) ديوان الأعشى ٩٤ . وفى ط : « قد أزعته » بالزاى ، صوابه فى ش والديوان . والبيت من شواهد سيبويه ١ : ٢٥ والمقتضب ٤ : ١٩٧ ، ١٩٩ . وانظر معجم شواهد العربية ١ : ٣٦٨ .

(٣) البيت لأحد المولدين . وانظر شواهد المغنى ٢٩٨ والعينى ٣ : ٣٩٦ والتصريح ٢ : ٣٢ والأشمونى ٢ : ٢٤٨ .

باب العطف

أنشد فى أوله :

(إلى الملكِ القَرمِ وابنِ الهمامِ وليثِ الكتيبةِ فى المزدَحَمْ) ٣٣١

على أنَّ الصفات يعطف بعضها على بعض ، كما هنا . وقد تقدم الكلام عليه فى الشاهد الخامس والسبعين فى باب المبتدأ والخبر [١].

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والخمسون بعد الثلثمائة [٢] :

٣٥١ (يالهفْ زَيَّابةَ للحارِثِ الـ ـصَّابحِ فالغَانِم فالآيبِ)

على أنَّ الصِّفاتِ يعطف بعضها على بعض كما هنا ، فانَّ الغانم معطوفٌ على الصابح ، والآيب معطوف على الغانم . وأشار بالبيتين إلى أن عطف الصفات يجوز بالواو إن قصد الجمع ، وبالفاء إن قصد التعقيب .

قال الخطيب التبريزى (فى شرح الحماسة) : لما كانت هذه الصفات متراخية حسُن إدخال فاء العطف ، لأن الصابح قبل الغانم،والغانم أمام الآيب . ويقبح أن تدخل الفاء إذا كانت الصفات مجتمعة فى الموصوف ،فلا يحسن أن يقال عجبت من فلان الأَزرق العين فالأَشمِّ الأَنف فالشديد الساعد ؛ إلا على وجه يبعد ، لأَن زرقة العين وشمم الأَنف وشدة الساعد قد اجتمعن فى الموصوف . انتهى .

والصواب أن يقال متعاقبة بدل متراخية،فإنَّ التعاقب هنا كالتعاقب

---

(١) الخزانة ١ : ٤٥١ .

(٢) أمالى ابن الشجرى ٢ : ٢١٠ وشرح شواهد المغنى ١٥٨ وهمع الهوامع ٢ : ١١٩ والحماسة بشرح المرزوقى ١٤٧ والتبريزى ١ : ١٤٢ .

فى قولك : تزوَّجَ زيد فوُلد له : وكذلك كل شىء بحسبِ حُصوله وإن كان فيه تراخ .

وقال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : أراد الذى يَصْبَح العدوَّ بالغارةِ فيغنم فيئوب سالما ، فعطف الموصول على الموصول ، وهما جميعا لموصوف واحد . والشىء لايعطف على نفسه ، من حيث كان العطفُ نظيرَ التثنية فى المعنى ، فكما لايكون الواحد اثنين كذلك لايعطف الواحد على نفسه . وعلَّة جواز ذلك قوَّة اتصال الموصول بصلته ،حتى إنه إذا أريد عطف بعض صلته على بعض [جىء به [1]]هو معطوفا فى اللفظ على نفسه. ومثله [2] قول الله تبارك وتعالى : ﴿الذى هو يُطْعِمُنى ويَسْقِينِ * وإذا مَرِضْتُ فَهوَ يَشْفِينِ [3] ﴾ إلى آخر الآية .وهذا كلُّه صفةُ موصوفٍ واحد ، وهو القديم عزَّ اسمُهُ . وقد تقصَّيت هذا فى كتاب [4] (المعرب) وهو تفسير قوافى أبى الحسن. فأمَّا قول الله تعالى : ﴿والعادياتِ ضَبْحاً * فالمورِياتِ قَدْحاً * فالمُغِيرَاتِ صُبْحاً [5] ﴾ فقد يمكن أن يكون ممَّا نحن فيه ؛ وقد يمكن أن تكون العاديات غير الموريات ، والمغيرات غيرهما ؛ فيكون عطف موصوفٍ على موصوف آخر حقيقةً لامجازاً كقولك : مررت بالضاحك فالباكى ، إذا مررت باثنين أحدهما ضاحك والآخر باكٍ . انتهى .

وأورد الزمخشرىُّ هذا البيتَ والذى قبله عند قوله تعالى :﴿والذينَ

---

(١) التكملة من اعراب الحماسة لابن جنى الورقة ٤٣ . وبدلها فى ش « حسبته » تحريف .

(٢) ش : « ومثل » ، صوابه فى ط واعراب الحماسة .

(٣) الآية ٧٩ ، ٨٠ من الشعراء .

(٤) ط : « كتابى » ، وأثبت مافى ش واعراب الحماسة .

(٥) الآيات ١ — ٣ من سورة العاديات .

يُؤمِنُون بِمَا أنزل إليك (١)﴾ من سورة البقرة ؛فى توسُّط العاطف بينه وبين قوله تعالى قبله : ﴿الذينَ يؤمِنُون بالغيب﴾ فإنَّهما واحد؛ كما توسَّط بين الصفِّات فى البيتين . وعطف الصِّفات على الصفات كثير ، بناءً على تغاير المفهومات وإنْ كانت متَّحدة بالذات . وقد يكون العطف بالواو كما فى الآية والبيت الأوّل ؛ وقد يكون بالفاء كما تقدَّم بيانه .

قال صاحب (الكشاف) فى أول الصَّافَّات ،ونقله ابن هشام (فى المغنى) : للفاءِ مع الصفات ثلاثة أحوال : أحدها أنْ تدلَّ على ترتب معانيها فى الوجود ؛ كقوله : يالهف زيّابة البيت ؛ أى الذى صبَحَ فغَنِم فآب .

٣٣٢ والثانى :أن تدلّ على ترتُّبها فى التفاوت من بعض الوجوه ، نحو قولك : خذ الأكمل فالأفضل ، واعمل الأحسن فالأجمل .

والثالث : أنْ تدلَّ على ترتيب موصوفاتها فى ذلك ، نحو : رحم الله المحلِّقين فالمقصِّرين . انتهى .

قال الفاضل اليمنى : والقسمة الصحيحة تقتضى أربعة،لأنّه كما جاز فى الصفات الدلالة على ترتُّب (٢) معانيها فى الوجود ، كذلك يجوز فى الموصوفات ، كما تقول : حلَّ المتمتع فالقارنُ فالمفرِد (٣).

صاحب الشاهد: وهذا البيتُ أوَّل أبياتٍ ثلاثة لابن زيَّابة ،مذكورة فى الحماسة .وبعده:

([و] الله لو لاقيتُه خالياً لآبَ سَيفانا مع الغالبِ (٤)

أنا ابنُ زيَّابة إن تدعُنى آتِكَ والظنُّ على الكاذبِ)

---

(١) الآية ٤ من البقرة .

(٢) هذا ما فى ط . وفى ش : « ترتيب » .

(٣) يقال حل المحرم من إحرامه يحل حلا بالكسر وحلالا ، إذا خرج من حرمه .

(٤) الواو فى أول البيت تكملة من ش والحماسة .

قال الجوهرى : يالهفَ : كَلِمةٌ يتحسَّر بها على مافات . ولهف منادى مضاف ، أى يالهف احضُرْ .

وزيَّابة بفتح الزاى المعجمة وتشديد المثناة التحتية وبعد الألف باءٌ موحَّدة : اسم أمِّ الشاعر .ومثل هذا البيت فى تلهيف الأمّ والتحسُّر على الفائت ، قول النابغة الذبيانىّ :

يالهف أمِّى بعد أسرةِ جَعْوَلٍ أن لا ألاقيَهم ورَهْطَ عِرارِ[1]

وزعم ابن هشام (فى المغنى) أنَّ زيابة أبو الشاعر ، ولم أره لغيره . وقال : أراد يالهف أبى على الحارث أن لاأكونَ لقيتُه فقتلتُه . وذلك لأنَّه يريد يالهفَ نفسى .

وفيه أنَّه يصح أن يكون الَّلهف من أمِّه وأبيه ، فلا حاجة إلى إقامة غيره مقام نفسه .

واللام فى (للحارث) للتعليل ، أى يالهف أمى من أجل الحارث . وجعلها ابنُ هشام بمعنى على .قال أمين الدين الطَّبرسىُّ (فى شرح الحماسة) : يجوز أن يكون أوردَ هذا الكلام على الحقيقة ، فلهَّفَ لما رأى من نجاحه فى غَزَواته ، وسلامته فى مآبه . ويجوز أن يكون أوردَه على طريق الاستهزاء فوصفه بهذه الصفات والأمرُ بخلافه . والأشهر أنْ يوصف الرجلُ بما هو متَّصف بضده تهكُّما به وسخرية . وهذا من أشدِّ سباب العرب ، يقول الرجل لغيره . ياعاقلُ أو ياحليم ، إذا استجهله . ونحوه قوله تعالى : ﴿ ذقْ إنَّكَ أنتَ العزيزُ الكريم[2] ﴾ . انتهى

---

(١) البيت لم يرد فى ديوان النابغة برواية البطليوسى ولا برواية ابن السكيت .

(٢) الآية ٤٩ من الدخان .

وحمل أبو عُبيدٍ النمرى (فى شرح الحماسة) هذا الكلامَ على ظاهره فقال : يقول : يَصبَحُ أعداءهُ بالغارة فيغنم ويؤوب ، فوصفَهُ [1] بالفتك والظَّفر وحسن العاقبة . وهذا بيِّن واضح .

وردَّ عليه أبو محمد الأعرابىّ الأسود فقال:هذا موضع المثل: « اخطأتِ استُك الحُفْرة» .كيف يذكره بالفتك والظَّفَر وهو أعدى عدوٍّ له؟ وإنَّما المعنى أنَّه لهَّف أمَّه وهى زيابة،أنْ لا يلحقه فى بعض غاراته فيقتله أو يأسِره.انتهى.

ومنه تعلم أنَّ قول ابن هشام يالهف أبى على الحارث إذ صَبَح قومى بالغارة غير جيِّدٍ من وجهين : أحدهما تفسير زيَّابة بالأب ، والثانى تقييد صَبح بقوله قومى .

وقد ذهب إليه أبو عبيد البكرى (فى شرح أمالى القالى) فقال : تأسَّف أنْ صَبَحهم فغنم وآبَ سالما . والصَّابح :الذى يَصْبَح القوم بالغارة .

والحارث هذا هو الحارث بن همَّام بن مُرّة بن ذُهل بن شَيبان . وإنَّما قال ابن زيابة فيه هذا الشِّعر جوابا عن شعر له فيه . وهذا شعر الحارث بن همَّام :

الحارث بن همام ٣٣٣

أيا ابنَ زيَّابة إنْ تلقَنى ... لا تلقَنى فى النَّعَمِ العازبِ

وتلقَنى يشتدُّ بى أجردٌ ... مُستقْدِم البِركةِ كالراكِب

العازب :البعيد.يريد إنك لاترانى راعىَ إبل .والمعنى : إنما أنا صاحب فرسٍ ورمح ،أغير على الأعداء وأحارب من يبتغى حربى . ويشتد من الشَّدِّ ، وهو العدْو .والأجرد : الفرس القصير الشعر : والبركة بكسر الموحدة : الصَّدر ، أى متقدِّم الصَّدرِ مشرفُه . كالراكب ، أى إشرافه إشراف الرَّاكب لا المركوب . وأيا حرف نداء ، وابن زَيَّابة منادى .

---

(١) ط : « وصفه » ، وأثبت مافى ش .

وقوله : « والله لو لاقيته خالياً » الخ ، يقول : لو لاقيتهُ لقتلته أو قتلنى ، ورَجَعَ السَّيفانِ مع الغالب . وفى هذا الكلام وصفٌ لنفسه بالشجاعة وقلة مبالاته بالموت ، وإنصافٌ للمحارِب .

وقوله : « إن تدعنى » إلخ هذا يحتمل وجهين .

أحدهما : إنَّك إنْ دعوتَنى علمتَ حقيقة ماأقول ،فادعُنى واخلُصْ من الظَّنّ ، لأنَّك لاتظنُّ بى العجز عن لقائك . والظَّنُّ من شأن الكاذب .

والآخر : أنْ يكون معنى قوله والظنُّ على الكاذب ، أى يكون عوناً عليه مع الأعداء ، كما تقول : رأيك عليك ، أى إنَّك تُسيئهُ فيكون كالمتظاهر عليك .هذا كلام الخطيب التبريزى .

وقال الطَّبْرِسىُّ : قوله والظنُّ على الكاذب ، جرى مجرى الأمثال ، ومعناه قولُ لبيد :

واكذِبِ النَّفسَ إذا حدَّثْتَها إنَّ صِدْقَ النَّفس يُزْرِى بالأَمَلْ

والمعنى كلٌّ يحدِّث صاحبه بكذِبها ثمَّ الظنُّ على من لايتحقَّقُ أصله . ويجوز أن يريد : أنا المشهور المعروف ، إن تدعُنى لمبارزتك أجبتكَ ، فإن كنت تظنُّ غير هذا فظنُّك عليك ؛ لأنَّك تَكذِب نفسَك فيما تتوهَّمه من قعودى عنك ، ونكولى عن الإقدام عليك . ويجوز أن يريد : إن ظننت أن تكون الغالبَ فظنّك عليكَ لأنَّك تكذب نفسك :

ابن زيابة

وابن زيابة : شاعرٌ من شعراء الجاهليَّة ، واختُلف فى اسمه ، فقال أبو رِيَاش (فى شرح الحماسة) : هو عَمْرو بن لأْى ، أحد بنى تيم اللات بن ثعلبة ، وهو فارس مجلز [1] .

---

(١) فى القاموس : « ومجلز كمنبر : فرس عمرو بن لأى التيمى » .

وقال أبو محمد الأعرابى،والمَرْزُبانى : اسمه سلمة بن ذُهل .

وقال أبو عبيدٍ البكرى (فى شرح أمالى القالى) : اسمه عَمرو بن الحارث بن همَّام ، أحد بنى تَيْم اللات بن ثعلبة .

وزيَّابة اسمٌ مرتجل ، قال ابن جنى (فى المبهج) : هو فَعَّالة أو فيعالة أو فوعالة ، من لفظ الأزْيَب ، وهو النَّشاط . انتهى .

قال صاحب الصحاح عن ابن السكيت : الأزْيَب على أفعَل : النشاط ، ويؤنث ، يقال : مرَّ فلانٌ وله أزيبٌ مُنْكرة ، إذا مرَّ مراًّ سريعاً من النشاط . والأزْيب : الدَّعىّ . والأزْيب : العَدَاوة . والأزْيب : النكباء التى تجرى بين الصَّبا والجنوب . وقال أبو زيد : أُخذنى من فلانٍ الأزْيَبُ ، وهو الفَزَع .

وأخطأ محمد بن داود الجرَّاح فى ضبطه ابن زيَّابة [١] بباءين موحَّدتين خفيفتين ، قال :وهى فأرةٌ صمَّاء يشبَّه بها الجاهل ،قال ابن حِلِّزة :

وهُـمُ زَبـابٌ حائـر لاتسمعُ الآذانُ رَعدا [٢]

وشعره يردُّ عليه [٣] ، فإنَّه لايستقيم على ماقال . نقله أبو عُبيد البكرىّ.

٣٣٤ واللَّأْىُ ، بفتح اللام وسكون الهمزة بمعنى ، البطء . وتيم بمعنى عبد ، واللات صَنَم .ومِجْلَز بكسر الميم وسكُون الجيم وفتح اللام وآخره زاى معجمة : اسمُ فرسه ، وهو من الجلز ، وهو الفَتْل الشديد .

---

(١) ش : « ابن زبابة » ، ولكل منهما وجه .

(٢) ط : « زبابة حائر » ، صوابه فى ش والحيوان ٤ : ٤١٠ / ٥ : ٢٦٠ وعيون الأخبار ٢ : ٩٥ واللسان (زبب) .

(٣) أى شعر ابن زبابة ، وهو قوله :

أنا ابن زيابة إن تدعنى آتك والظن على الكاذب

ولابن زيَّابة شعرٌ جيد ، أورد منه المبرد (فى الكامل) هذه الأبياتَ ، وأبو تمام (فى الحماسة) [١] :

مالِدَدٍ مالــدَدٍ مالــهُ ... يَبكى وقد أنعمت ماباله

مالى أراه مُطْرِقاً ساميا ... ذا سِنَة يُوعِد أخوالَه

وذاك منه خُلقٌ عادةٌ ... أن يفعلَ الأمرَ الذى قالَه

إنَّ ابنَ بيضاءَ وتركَ الندى ... كالعبدِ إذْ قيَّدَ أجمالَه

آليتُ لا أدفِنُ قَتلاكمُ ... فدخِّنــوا المرءَ وسربالَــه

الدِّرع لا أبغى بها نثرةً ... كلُّ امرئٍ مُستودَعٌ مالَه

والرُّمحُ لا أملأُ كَفِّى به ... واللِّبـدُ لا أتْبَـع تَزْوَالـه

قال المبرد : قوله مالددٍ ، يعنى رجلا . ودَدٌ فى الأصل هو اللَّهو ، قال رسول الله ﷺ : « لستُ من ددٍ ولاددٌ منى » . وقد يكون فى غير هذا الموضع مأخوذاً من العادة . وقوله « أنعمت ماباله » مازائدة ، والبال هنا : الحال .

وقوله : « مطرِقا سامياً » السامى : الرَّافع رأْسَه ؛ يقال سما يسمو ، إذَا ارتفع . والمطرِق : السَّاكت المفكِّر ، فإنَّما أراد سامياً بنفسه . وقوله : «ذا سِنة» يقول : كأنَّه لطول إطراقِهِ فى نعْسةٍ . انتهى . قال ابن السِّيد (فيما كتبه على الكامل) : حكىَ الزَّجَّاجىُّ أنّ المطرق من هو بذىءٌ فى أفعاله ويطلب معالىَ الأُمور . وقال غيره : المطرق الخامل الذكر ، أى هو خاملٌ فى الحقيقة وهو يتكبَّر فى نفسه . وقوله : « ذا سِنَةٍ » يريد أنَّ وعيده لاحقيقة له فكأنَّه يراه فى النوم . انتهى كلام ابن السِّيد .

---

(١) انظر الكامل ٢٠٧ والحماسة ١٤٢ بشرح المرزوقى و ١ : ١٣٦ بشرح التبريزى .

وروى أبو تمام المصراع الأول :

نُبِّئْتُ عَمْراً غارزاً رأسَه ذا سِنَةٍ .... إلخ

قال الخطيب التبريزى : نبّى متعدٍّ إلى ثلاثة مفاعيل ، أولها نائب الفاعل وهو تاء المتكلم ، ورأسه منصوب بغارزاً ، بمعنى مدخلا رأسه ، ومنهُ الغرز بالإبرة . وغرزُ الرأسِ : كنايةٌ عن الجهل والذَّهاب عما عليه وله من التحفُّظ . والسِّنَة بالكسر : النعاس . يقول : كأنَّه [١]وسنانُ قد تغيَّر عقله ، فهو يوعد من لايَجِبُ [٢] أن يُوعده ، وجملة يوعد حالٌ . وروى : فى «سَنَة» بفتح السين ، أى فى جدب وقحط .

وقوله: « وذاك منه خلقٌ عادةٌ » روَى بدله أبو تمام : « وتلك منه غيرُ مأمونةٍ » .

قال الخطيب : أى تلك الخَصْلة لايُؤمن وقوعُها من عمرٍو ، وهو فعلُه لما يقوله . وهذا تهكُّم . وأنْ يفعل موضعه بدل من قوله : وتلك منه .

وقوله : « كالعبد إذ قيَّدَ أجماله » قال المبرد :يريد غير أنه مكترث لاكتساب المجد والفضل ؛ وذلك أنَّ العبد الراعىَ إذا قيَّد أجمالَهُ لَفَّ رأسه ونام ناحية [٣] . وهذا شبيهٌ بقوله [٤] :

* واقعد فإنَّك أنتَ الطاعمُ الكاسى *

---

(١) ط : « لكأنه » وأثبت مافى ش والتبريزى .

(٢) فى النسختين : « من لايحب » بالحاء المهملة ، صوابه بالجيم من التبريزى .

(٣) الذى فى الكامل : « نام حجرة » . وحجرة ، بفتح الحاء فى أوله بمعنى الناحية ، ومنه قول الحارث بن حلزة :

عنتا باطلا وظلما كما تعـ ـتر عن حَجْرة الربيض الظباء

(٤) هو الحطيئة . ديوانه ٥٤ . وصدره :

* دع المكارم لا ترحل لبغيتها *

وهذا البيت ساقطٌ فى رواية أبى تمام .قال الخطيب :قال النَّمرى: وفيها:

* إنك ياعمرُو وتركَ العِدَى *

قال ابن السكيت [١] : يقول : أُنت كالعبد اقتصَر على موضعٍ يرعى فيه [٢] ولايعزُب بإبله . وعندى أنّه غير ممتنع أن يكون قوله « وترك النَّدى » معناه إنّك وبخلكَ ؛ فإنَّه من تَرك النَّدَى فقد أخذ البخل . يقول : وبخلكَ وحبسك مالك [٣] كالعبد قيَّد أجماله فلا يبرح منها بعير .وكذلك أنت قيَّدت مالك لايبرحك . قال أبو محمد الأعرابى : هذا موضع المثل : ٣٣٥

فلا يدرى نُضَيرٌ من دَحَاها ومن هو ساكنُ العرشِ الرَّفيعِ[٤]

أخبرنا أبو النَّدى قال :هذا البيت من المختلِّ القديم ، والصواب :

إنِّى وحوَّاءَ وتركَ النـدى كالعبـد إذْ قيَّـد أجمالَـه

قال : حَوّاء : فرسه .ومعناه إنى متى أتركِ الغزوَ على ظهر حَوّاء واغتنام الأموال [٥] وتفريقها على الزائرين والسائلين ، لم يبق لى همٌّ ، لأنَّ أكثرَ همى فى ذلك ، وكنتُ مثلَ العبد إذا شبعت إبله فأراحها وقيَّدها فى مُراحِها [٦]لم يبق له همٌّ حينئذ .يقول : همِّى فى الغزو واغتنام الأموال وبذلها . انتهى .

---

(١) موضع كلمة « السكيت » بياض فى ش . وفى ط : « ابن السيد » . وهذا الكلام منسوب إلى ابن السكيت فى شرح التبريزى ١ : ١٤٠ .

(٢) فيه ، ساقطة من ش . وفى شرح التبريزى نقلا عن ابن السكيت : « يرعى فيه ولا يتعزب بإبله » .

(٣) فى النسختين : « وكسبك مالك » ، صوابه عند التبريزى .

(٤) عند التبريزى : « فلا يدرى نصير » بالصاد المهملة .

(٥) ش : « أو اغتنام الأموال » ، وأثبت مافى ط والتبريزى .

(٦) المراح بالضم : مأوى الابل . وفى ط : « مراحلها » ، صوابه فى ش والتبريزى .

وقوله : «فدَخِّنوا المرءَ وسِرباله» . قال المبرد : يروى أنّه طعن فارساً منهم فأحدث ، فقال : نظِّفوه فإنى لاأدفن القتيلَ منكم إلا طاهراً .

وقوله : «الدرع لاأبغى بها نَثْرةً » قال المبرد:النَّثرة : الدِّرع السابغة. يقول : درعى هذه تكفينى (١) .

وقوله : « كل امرئٍ مُستودَعٌ ماله » قال المبرد :أى مُسترهَنٌ بأجله ، وهو كقول الأعشى :

كنتَ المقدَّمَ غير لابسِ جُنّة بالسَّيف تضربُ مُعْلما أبطالَها(٢)
وعلمتَ أنَّ النفسَ تَلقى حَتْفَها ماكان خالقُها المليكُ قَضَى لها(٣)

انتهى .وقال الإمام أبو الوَليد (فيما كتبه على الكامل) : ليس هذا بالمعنى ،لأنَّ الاستيداع غير الاسترهان ، والمال غير الأجَل ، وإنَّما المعنى مال الإنسان وديعةٌ مرتَجَعة ، وعاريَّة مؤدَّاة ، كما قال لبيد :

وما المالُ والأهلونَ إلاَّ وديعةٌ ولا بدَّ يوماً أن تُردَّ الودائعُ(٤)

ويروى :

* والدِّرع لا أبغى بها ثروةً *

وهذه الرواية تدلُّ على معنى بيت لبيد ، ولا يجوز معها تأويل المبرد . انتهى

وهذه رواية شرَّاح الحماسة . قال الخطيب : أى درعى مالى الذى أدَّخره (٥) . وهذا كقول الآخر :

---

(١) ط :« تكفننى » ، صوابه فى ش والكامل .
(٢) ط : « يضرب » ، وأثبت مافى ش والكامل والديوان ٢٧ .
(٣) فى الكامل : « ماكان خالقها الفضيل » .
(٤) ديوان لبيد ١٧٠ .
(٥) كلمة « الذى » ساقطة من ط ، ثابتة فى ش وشرح الحماسة . وفى شرح الحماسة : « الذى أذخره » .

ومالىَ مالٌ غيرُ درعٍ حصينةٍ وأبيضَ من ماءِ الحديد صقيلِ

ويحتمل أنَّه لايبيعها فيأخذ العِوضَ عنها فيُثْرى به .

وقوله : « كلُّ امرئٍ » الخ ، يريد احتفاظه بالدِّرع ، وأنَّ كل إنسانٍ يحفظ مالَه فهو عنده كالوديعة التى قد لزم حِفظُها . ويحتمل أن يريد تعزيةَ نفسِه إذ لا مال له ،فيقول : كلُّ امرئٍ مُستودَعٌ ماله ، أى إنه سيسْتَرَدُّ منه كما تُستردُّ الوديعة . ويجوز أن تكون «ما» بمعنى الذى ، فيكون المعنى كل امرئٍ مرتهن بأجله ، وبالذى كتب له . ولا يمتنع أن يكون أشار بما إلى مايقْتَنَى من أعراض الدنيا . ويروى : « مستودِعٌ » بكسر الدال ، والمعنى أنَّ مايجمعه المرءُ ويكسِبه إذا جاء محتومُ القضاء يتركُه لغيره لا محالة ، فلِمَ أرغب فيه وأزهدُ فى اكتساب المحامد ؟! ويروى « والدِّرعُ لاأبغى بها نَثْرة » وهى ، الواسعة . والمعنى إنِّى أكتفى من الدرع ببدنِهِ . انتهى كلامُ الخطيب [٢] .

وقوله :

* والرُّمحُ لا أملأ كفِّى به *

٣٣٦ قال المبرد : يُتأوَّل على وجهين :أحدهُما أنَّ الرمح لايملأ كفِّى وحده ،أنا أقاتل بالرُّمح وبالسَّيف وبالقوس وغيرِ ذلك .والقول الآخر :إنِّى لاأملأ به كفِّى ، وإنَّما أختلِس اختلاسا [٣] ، كما قال :

ومدجّج سَبَقتْ يداىَ له تحت الغبار بطَعْنةٍ خَلْسِ

وقوله :

* واللِّبْدُ لاأتبعُ تَزواله *

---

(١) البدن : الدرع القصيرة . والدرع يؤنث ويذكر .

(٢) أى انتهى ماأراد نقله منه . وإلا فإنَّ للخطيب بعد هذا كلاما آخر .

(٣) فى الكامل : « انى لاأملأ كفى به ، انما أختلس به اختلاسا » .

يقول : إن انحلَّ الحِزامُ فمالَ اللبْدُ لم أمِلْ معه ،أى إنِّى فارسٌ ثابتٌ على ظهور الخيل [١] . انتهى

وأوضحُ منه قول الطَّبرسى : يجوز أن يكون المعنى : أى لاأقتصر [٢]من تعاطى أنواع السلاح على الرُّمح فقط ، ولكنِّى أجمع فى الاستعمال بينها ، وهذا كما يقال [٣]:ملأ كفَّهُ من كذا ،فليس فيه موضعٌ لغيره. ويجوز أن يكون المعنى إنِّى أستعملُ رمحى بأطراف أصابع اليدِ ،لحذق واقتدارى ، ولاآخذه بجميع كفِّى . وقوله : « واللبد لاأتبع » إلخ ، يريد: ألزمُ ظهر دابَّتى فإنْ مال اللِّبد لم أملْ معه . يصف نفسَه بالفروسيَّة ويعرِّض بأنَّ أضداد هذه الأوصافِ مجتمعةٌ فى خَصمه.

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والخمسون بعد الثلثمائة [٤] :

٣٥٢ (ولَستُ بنازلٍ إلَّا ألمَّتْ   برَحلِي أو خَيالتُها الكذوبُ)

على أن قوله «خَيالتُها» معطوف على الضمير المستتر فى ألمت،وجاز مع عدم تأكيد المستتر بمنفصل لوجود الفصل قبل حرف العطف وهو قوله:«برحلى».

قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : عَطفَ على الضَّمير المرفوع المتَّصل بغير تأكيد ،ولو أكَّد فقال ألمَّت هى، لكان أحسن، غير أنَّ الكلام طال بقوله برحلى ،فناب طولُه عن التأكيد [٥] ،كما أن قول الله سبحانه: ﴿ ماأشْرَكْنا وَلا آباؤُنا [٦] ﴾ لمَّا طال الكلامُ فيه بلا . وإن كانت بعد

---

(١) فى الكامل : « أى أنا فاوس ثبت » فقط .

(٢) ش : « لاأقصر » .

(٣) ش : « كما قال » .

(٤) همع الهوامع ٢ : ١٤١ وشرح الحماسة للمرزوقى ٣١٠ .

(٥) فى إعراب الحماسة ٦٢ : « عن توكيده » .

(٦) الآية ١٤٨ من سورة الأنعام .

الواو (١) حسُنَ الكلام بطولها . انتهى .

أبيات الشاهد

وهذا البيتُ أوّلُ أبياتٍ ثلاثة مذكورة فى الحماسة . وبعده :

(فقد جعَلَتْ قَلُوصُ بنى سُهيل   من الأكوار مَرتَعُها قريبُ

كأنَّ لها برحلِ القومَ بَواً   وما إنْ طِبُّها إلّا اللُّغوبُ)

قوله : (ولستُ بنازل) مفعول نازل محذوف ،أى منزلاً أو مكانا . والإلمام: زيارةٌ لا لبثَ معها،أو هو من ألَمَّ الرجُلُ بالقوم إلماما (٢)بمعنى أتاهم فنزلَ بهم. وفاعل ألمَّت ضمير الحبيبة . و(الرَّحْل) : كلُّ شيء يعدُّ للرَّحيل من وعاءٍ للمتاع . و(الخيالة) : الطَّيف ، يقال خيال وخيالة ، كما يقال مكان ومكانة. و(الكذُوب):صفةُ خيالة ، وإنَّما لم يؤنِّثه لأن فَعولاً يستوى فيه المذكر والمؤنث وجعلها كذوباً لأنّها تخيِّل إليه فى النوم مالا يحقّ .وقال المرزوق :وجعلها كذوباً لما لم يُحقِّق قولُها وفعلها (٣).يقول : لاأنزِلُ محلاً إلاَّ رأيت هذه المرأة ملمَّةً برحلى ،أى متصوَّرة لى بهذه الصُّورة ، تشوُّقاً منِّى ، وهذا فى حال اليقظة ، أو رأيتُ خيالها الكاذب الذى لاحقيقةَ له ، وهذا فى حال النوم. والمعنى إنِّى ماأنفكُّ منها فى يقظةٍ ولانوم . وهو أبلغُ من قول الآخَر :

أآخرُ شيءٍ أنتِ فى كلِّ هَجعةٍ   وأوّلُ شيءٍ أَنتِ عندَ هبوبى(٤)

لأنَّ هذا فى حالٍ دون حال ، وذاك الدَّهرَ كلَّه .

---

(١) أى وأن كانت لا واقعة بعد الواو . وفى النسختين : « وان كان » ، والتذكير للفظ الحرف .

(٢) ط : « لماما » ، صوابه فى ش .

(٣) واو « وجعلها » ساقطة من ط ، ثابتة فى ش والحماسة . وفى الحماسة : « لما لم يتحقق فعلها وقولها » .

(٤) ط : « هبوب » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح ومن شرح الحماسة للمرزوق ١٣٢٠ . وهو أول أبيات حماسية لم يعرف قائلها .

و«قد جعلت قلوص» إلخ جعلت هنا بمعنى طَفِقت وأقبلت –وأخطأ العينىُّ فى قوله إنَّ جعلت هنا بالبناء للمفعول ــ وقلوص اسمُها ،وهى النَّاقة الشابَّة. وجملة «مرتعها قريب» فى محل نصب خبرها،و «من الأكوار» [1] متعلق بقريب . واستعيرت الاسميّة موضعَ الفعليّة لأن المراد : وقد جعلت هذه القلوص يقرُب مرتعها من الأكوار . وقد أورده الشارح المحقِّق فى آخر أفعال المقاربة ، ويأتى بيانه هناك إن شاء الله تعالى . وقال المرزوقىّ : ومرتعها قريب فى موضع الحال .

٣٣٧

يقول :أقبلت قلوص هذين الرجلين قريبةَ المرتع من رحالهم ، قصيرة المسرح فى رواحهم ؛ لأنَّه [2]لِمَا لِحقها من الكلال والإعياء لم تقدِرْ على التباعد فى المرعى [3] .انتهى .

وقد شرحهَ قولُ الآخر وأَبلَغَ فقال :

من الكَلالِ لايَذُقْنَ عُودا لاعُقُلاً تبغى ولا قُيودا

والأكوار : جمع كُور بالضم ، وهو الرحل بأداته . أى إذا سرحت لم تُبعِدِ فى المرعى ، لشدَّة كلالها .

وزعم الدمامينى (فى الحاشية الهندية) وتبعه غيره ، أنَّه يصح أن يكون أكوار هنا جمع كَور بالفتح ، وهى الجماعة الكثيرة من الإبل . وهذا وإن كان صحيحاً فى نفسه إلَّا أنّه لايناسب المقام . فتأمَّلْ .

وقوله : « كأنَّ لها برحل » إلخ قال المرزوقى : يقول : كأنَّ لهذه الناقة ولداً برحل القوم تتعطَّف عليه ولا تتباعد عنه،وماداؤها إلّا الإعياء . والطِّبُّ

---

(١) ش : « من أكوارها » صوابه فى ط.

(٢) ماأثبت من ط يطابق ماعند المرزوقى . وفى ش : « لأنها » .

(٣) ط : « لم يقدر على التباعد فى المراعى » ، صوابه فى ش وشرح الحماسة .

بالكسر أصله العلم ،والمراد به هنا الذى يعُلم ويُعرف . والبوُّ ، أصلهُ جلدُ فصيلٍ يُحشَى تبناً لتدرَّ الأمُّ عليه . انتهى .

وقال شارحٌ آخرَ :قوله:وما إنْ طِبُّها،قال أبو الندى :أى شأنُها وداؤها. وقال غيره : الطِّبُّ ههنا : السُّقم ، ومنه « آخر الطِّبّ الكّى » . وأكثر مايستعمل ذلك فى السِّحر ، ومنه رجل مطبوب . واللغوب :الإعياء ، وقد لغَب لغوبا كدخل دخولا ، ولغِب لغباً كفرح فرحا . انتهى .

صاحب الشاهد

وهذه الأبيات أوردها أبو تمَّام فى باب الحماسة ، مع أنه لاتعلُّق لها بها بوجه (١) فإنَّ البيت الأول من باب النَّسيب ،والبيتان الأخيران من باب الوصف ،وهو نعْتُ الناقة بشدَّة التعب ، وهذا بمعزلٍ عن الحماسة .ولم أر من تنبه لهذا من شرَّاحه ، ولم أرَ أيضا منهم من نسبَها إلى قائلها .

ورأيت الصغانى (٢) نسبها فى مادة الخيال (من العباب) إلى رجلٍ من بنى بُحتُر بن عَتود (بضم الموحدة وسكون المهملة وضم المثناة الفوقية) . وعَتُود (بفتح المهملة بعدها مثناة فوقية مضمومة وآخره دال) .

* * *

وأنشد بعده :

(الحافظو عورةَ العشيرة)

على أن أصله الحافظون عورة العشيرة ،فحذفت النون طلباً للاختصار، لأنّ الصلة قد طالت . وعورة منصوب به . وروى أيضاً بجرها بالإضافة .

وهذا صدرٌ من بيت ، وهو :

(الحافظو عورة العشيرة لا يأتيهمُ من ورائنا وكَفُ)

---

(١) كلمة « بها » من ش .

(٢) ش : « الصاغانى » ، وهما نسبتان صحيحتان إلى صغانيان ، وهى ولاية عظيمة كانت بما وراء النهر .

والوكف : العَيب والإثم . أى نحن نحفظ عورة عَشِيرتنا فلا يأتيهم من ورائنا شيءٌ يعابون به ، من تضييع ثغرهم وقلة رعايته .

وقد تقدم الكلام عليه مستوفى فى الشاهد الثامن والتسعين بعد المائتين[١].

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والخمسون بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد سيبويه [٢] :

٣٥٣ (فاليومَ قَرَّبْتَ تَهْجُونا وتَشتِمُنَا فاذهَبْ فما بكَ والأَيامِ مِنْ عَجَبِ) ٣٣٨

على أن حرف الجر قد يترك ضرورةً ، عند البصريين ، أى مابك وبالأيام عجبٌ.

قال سيبويه قبل أن ينشد هذا البيت : ومما يقبح أن يشرك المظهرُ علامةَ المضمرِ المجرور ، وذلك قولك : مررت بك وزيدٍ ، وهذا أبوك وعمروٍ ، فكرهوا أن يشرك [٣]المظهر مضمراً داخلاً فيما قبله ، لأنَّ هذه العلامة الداخلة فيما قبلها جمعت أنها لايتكلم بها إلاّ معتمدة على ماقبلها ، وأنها بدلٌ من اللفظ بالتنوين ، فصارت عندهم بمنزلة التنوين ، فلما ضعفت عندهم كرهوا أن يتبعوها الاسم ، ولم يجز أن يُتْبعوها إياه . إلى أن قال : وقد يجوز فى الشعر . وأنشدَ هذا البيتَ وبيتًا آخر . انتهى .

وأوضحُ منه قول ابن السَّراج (فى الأصول) : وأمّا المخفوض فلا يجوز أن يعطف عليه الظاهر،لايجوز أن تقول: مررت بك وزيد،لأن المجررو ليس

(١) الخزانة : ٤ : ٢٧٢ .

(٢) فى كتابه ١ : ٣٩٢ . وانظر الكامل ٤٥١ والانصاف ٤٦٤ وابن يعيش ٣ : ٧٨ ، ٧٩ والمقرب ٥٠ والعينى ٤ : ١٦٣ والهمع ١ : ١٢٠ / ٢ : ١٣٩ والأشمونى ٣ : ١١٥ .

(٣) ط : « تشرك » صوابه فى ش . وفى كتاب سيبويه : « ومما يقبح أن يشركه المظهر ».

له اسمٌ منفصل فيتقدم ويتأخَّر كما للمنصوب ، وكل اسم معطوف عليه فهو يجوز أن يؤخَّر ويقدم الآخر عليه ؛ فلما خالف المجرور سائر الأسماء لم يجز أن يعطف عليه . وقد حكى أنه جاءَ فى الشعر :

* فاذهب فما بكَ والأيامِ من عَجَبِ * انتهى

ووافق الكوفيين يونسُ ، والأخفشُ ، وقطربٌ ، والشَّلَوبين ، وابن مالك .

وهذه المسألة أوردها ابنُ الأنبارى (فى مسائل الخلاف) بأدلَّة الفريقين، قال : احتجَّ الكوفيون على جوازها بمجيئها فى التنزيل ، قال تعالى : ﴿ واتَّقُوا الله الذى تَساءَلُون به والأرحام [١] ﴾ بالخفض ؛ وهى قراءة حمزة وغيره [٢] . وقال تعالى: ﴿ويَستَفتْونك فى النساء قُلِ اللهُ يُفْتيكم فيهنَّ ومايُتلى عليكم [٣] ﴾فما عطفٌ [٤] على ضمير فيهن . وقال تعالى : ﴿لكِنِ الراسخُون فى العِلْمِ مِنْهُمْ والمؤمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بما أنزل إليك وما أنزِلَ مِنْ قبلك والمِقيمين الصَّلاة [٥] ﴾ ، فالمقيمين عطفٌ على الكاف فى إليك، أو على الكاف فى قَبْلك. قال تعالى:

---

(١) من الآية الأولى فى النساء . وفى ط : « الذين » تحريف .

(٢) هى قراءة إبراهيم النخعى ، وقتادة ، ويحيى بن وثَّاب ، وطلحة بن مصرف ، والأعمش أيضا . ورواية الأصفهانى والحلبى عن عبد الوارث . كما فى تفسير أبى حيان ٣ : ٥١٧ والإنصاف . ووافقه المطوعى كما فى إتحاف فضلاء البشر ١٨٥ . وانظر ماسيأتى فى ص ١٢٧ .

(٣) الآية ١٢٧ من النساء .

(٤) ط : « عطفه » ، وأثبت مافى ش . وفى الإنصاف : « فما فى موضع خفض لأنه عطف على الضمير المخفوض فى فيهن » .

(٥) الآية ١٦٢ من النساء .

تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُم له برازقين [١] ﴾ فمن عطفٌ على ضمير لكم . وقال الشاعر :

* فاذهب فما بك والأيَّامِ من عَجَبِ *

وقال الآخر :

أكرُّ عَلَى الكتيبة لاأبالى أفيها كان حتفى أم سواها

أى أم فى سواها [٢] . وقال آخر [٣]:

نعلِّق فى مِثلِ السوارِى سيُوفَنا وما بينها والكَعْبِ غُوطٌ نفانفُ

أى بين السيوف وبين كعب الرَّجُل .

وقال آخر :

هلا سألتَ بذى الجماجم عنهُم وأبى نُعَيْمٍ ذى اللواء المحرقِ

أى عنهم وعن أبى نعيم .

ثم قال : والجواب عن الأول من وجهين ، أحدهما أنَّ الأرحام مجرورٌ بواو القسم لا بالعطف ، وجوابُ القسم:﴿ إنّ الله كان عليكم رقيبا ﴾ .

وثانيهما : أنَّها مجرورة بباءٍ مقدَّرة حُذفت لدلالة الأولى .

وأما الجواب عن الثانى فمن وجهين أيضا:أحدهما أنَّ مامعطوف على الله ، أى الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم يفتيكم فيهنّ ، وهوالقرآن .

---

(١) الحجر ٢٠ .

(٢) هذا التعليق ساقط من ش .

(٣) هو مسكين الدارمى . ديوانه ٥٣ .

(٤) ويروى : « تعلق » بالتاء والبناء للمجهول ، كما فى الديوان والإنصاف ٤٦٥ والأشمونى ٣ : ١١٥ / ٣ : ١١٥ والحيوان ٦ : ٤٩٤ .

٣٣٩ وثانيهما معطوف على النساءِ من قوله : «يستفتونك فى النساء» .

وأمَّا الجواب عن الثالث فمن وجهين أيضا :

أحدهما : أنَّ المقيمين منصوبٌ على المدح ؛ وذلك أنَّ العرب تنصب على المدح عند ترك العطف ، وقد تستأنف فترفع .

وثانيهما : أنَّه معطوفٌ على «ما» من قوله «بما أنزل إليك» أى يؤمنون بما أنزل إليك وبالمقيمين .على أنه قد رُوِى عن عائشة أنَّها سُئلت عن هذا الموضع فقالت: هذا من خطأ الكاتب. ورُوىَ عن بعض ولِدِ عُثمان أنَّه سئل عنه فقال:إنَّ الكاتب لمَّا كتب: وماأُنزِلَ من قبلك ،قال: ماأكتب ؟فقيل له اكتب : والمقيمين الصَّلاة ، يعنى أنَّ المملىَ أعمَلَ قوله اكتب فى المقيمين ، على أنَّ الكاتب يكتبها بالواو كما كتب ماقبلها على لفظ المملى .

وأما الجواب عن الرابع فأنَّ المسجد الحرام مجرورٌ بالعطف على سبيل الله لا بالعطف على به ، لأن إضافة الصَّدِّ عنه أكثرُ استعمالاً من إضافة الكفر به . ألا ترى أنَّهم يقولون صددته عن المسجد الحرام ولا يكادون يقولون : كفرتُ بالمسجد الحرام .

وأما الجواب عن الخامس فإنَّ مَنْ عطفٌ على معايش ، أى جعلنا لكم فيها المعايش والعبيدَ والإماء . وأما قول الشاعر :

* فاذهب فما بك والأيامِ *

فلا حجَّة فيه أيضاً ، لأنه مجرورٌ على القسم لا بالعطف على الكاف .

وأما قول الآخر :

* أفيها كان حتفى أمْ سِواها *

فإنَّ سواها منصوب على الظرف ؛ لأنها مجرورةٌ بالعطف .

وأما قوله :

* وما بينها والكعبِ *

فالكعب مجرورٌ بإضافة بينَ إليه محذوفاً لا بالعطف ، حذف بين الثانية لدلالة الأولى عليه .

ثم لو حمل ماأنشده من الأبيات على ماادّعَوه لكان من الشاذّ الذى لايُقاس عليه .

هذا ماأورده ابنُ الأنبارى ، ولايخفى مافى غالبه مِن التعسُّف .

وقد أنكر النُّحاة قراءة حمزة بجرِّ الأرحام ، وهى قراءةُ مجاهدٍ والنّخعىّ وقَتادة وأبى رزين (١) ويحيى بن وثّاب ، والأعمش ، وأبى صالح أيضا .

قال الفراء (فى معانى القرآن) : حدّثنى شريك بن عبد الله ، عن الأعمش ، عن إبراهيم النخعى ، أنه خفض الأرحام فقال : هو كقولهم بالله والرَّحِم (٢). وفيه قبحٌ ؛ لأن العربَ لاتردُّ مخفوضاً على مخفوضٍ وقد كُنِىَ عنه، وإنما يجوز هذا فى الشعر لِضيقه .

وقد بالغ الزجاجى(فى تفسيره) فى إنكار هذه القراءة فقال:القراءة الجيِّدة نصب الأرحام،والمعنى واتَّقوا الأرحام أن تقطعوها،فأما الخفض فى الأرحام فخطأ فى العربية لايجوز إلاَّ فى اضطرار شعر.وخطأ أيضاً فى أمر الدين عظيم،

---

(١) أبو رزين الكوفى ، واسمه مسعود بن مالك ، روى عن ابن مسعود وعلى بن أبى طالب ، وروى عنه الأعمش . طبقات ابن الجزرى ٣٥٩٧ .

(٢) أى قاسه على عطف المجرور الظاهر على المجرور الظاهر . وهو قياس مع الفارق .

لأن النبى ﷺ قال : « لاتحلفوا بآبائكم » ، فكيف يكون تَساءلون بالله وبالرَّحِم على ذا ؟ ! ورأيت إسماعيل بن إسحاق ينكر هذا ، ويذهب إلى أن الحلف بغير الله أمرٌ عظيم ، فإن ذلك خاصٌّ بالله عزّ وجل . فأما العربية فإجماع النحويِّين أنه يَقبُح أن يُنسَق باسم ظاهر على اسم مضمرَ فى حال الخفض إلا بإظهار الخافض . فقال بعضهم : لأن المخفوض حرفٌ متصل غير منفصل ، فكأنه كالتنوين فى الاسم ، فقبح أن يعطف باسمٍ يقوم بنفسه على اسم لا يقوم بنفسه .

وقد فسَّر المازنىُّ هذا تفسيراً مقْنِعا فقال: الثانى فى العطف شريكُ الأوّل ، فإن كان الأول يصلح أن يكون شريكاً للثانى وإلا لم يصلح أن يكون الثانى شريكاً له . قال: فكما لا تقول مررت بزيدٍ وكَ ، كذلك لاتقول مررت بك وزيد ، وقد جاء فى الشعر ، أنشد سيبويه :

٣٤٠ * فاذهب فما بك والأيام من عجب * انتهى .

وتعقَّبه أبو شامَة (فى شرح الشاطبية) بعد مانقل عبارة الزجاج بقوله : قلتُ : هاتان العلتان منقوضتان [1] بالضمير المنصوب وقد جاز العطف عليه ، فالمجرور كذلك . انتهى

أقول : قد فرق الشارح المحقّق بينهما بأن اتِّصال المضمر المجرور بجارِّهِ أشد من اتِّصال الفاعل المتَّصل ، والمضمر المنصوب المتّصل ليس كالجزء معنى كما بيَّنه ، فالقياس ممنوع .

ثم قال أبو شامة:وأما إنكار هذه القراءة من جهة المعنى لأجل أنها سؤالٌ بالرحم فهو حَلف ،وقد نُهى عن الحَلف بغير الله تعالى ،فجوابه أن هذا حكاية ماكانوا عليه،فحَضَّهم على صلة الرحم ونهاهم عن قطْعها،ونبَّههم

(١) ش : « مختصتان » .

على أنها بلغ من حرمتها عندهم أنَّهم يتساءلون بها . وحسَّنَ حذف الباء هنا أن موضعها معلوم ، فإنه قد كثر على ألسنتهم قولهم : سألتك بالله وبالرحم ، فعومل تلك المعاملة مع الضمير . انتهى

أقول : أوَّل كلامِه يدفع آخره ، فإنَّ أوَّله اقتضى أن الواو للقسم السؤالى . وقد ردَّ الشارح هذا بأن قسم السؤال لايكون إلا مع الباء ، وأنَّ آخره اقتضى أنها للعطف والجر بالباء المقدرة . وفيه النزاع فتأمَّل .

ثم قال أبو شامة فى تعليل قراءة حمزة : إنَّها على القسم ، وجوابُه (إن الله كان عليكم رقيباً) : أقسمَ سبحانه بذلك كما أقسم بما شاء من مخلوقاته من نحو : (والتين والزيتون) . وهذا الوجهُ وإن كان لامطعنَ عليه من جهة العربية فهو بعيد ، لأنَّ قراءة النصب وقراءَة ابن مسعود «وبالأرحام» بالباء مصرِّحتان بالوَصاةِ بالأرحام . وأما ردُّ بعض أئمة العربية ذلك فقد قال القشيرى (فى تفسيرِه): لعلهم أرادوا أنه صحيح فصيح وإن كان غيره أفصح ؛ فإنَّا لاندعى أنَّ كل القراءاتِ على أفصح الدرجات فى الفصاحة . وإن أرادوا غير هذا فلا يقلَّد فيه أئمة اللغة والنَّحو ، فإن القراءاتِ التى قرأ بها الأئمة ثبتت عن النبى ﷺ . وهذا كلام حسن صحيح . انتهى

والبيت من أبيات سيبويه الخمسين التى لم يعرف لها قائل .

وقوله : (فاليوم قرَّبت) : إلخ قال الأعلم : معنى قرَّبت وأخذت واحد ، يقال قرَّبتَ تفعل كذا أى جعَلت تفعله . والمعنى : هَجْوكَ لنا من عجائب الدهر ، فقد كثُرتْ فلا يُتعجَّب منها . انتهى . فأفاد أن قرَّبت هنا من أفعال الشروع ، ويؤيده رواية الكوفيين كما نقله النحاس :

فاليوم أنشأت تهجونا * الخ .

فجُمْلةُ تهجونا خبر قرَّبَ ، والتاء اسمها .

وزعم العينى وتبعه غيره أنَّ قربت هنا بالتشديد بمعنى قَرُبت بالتخفيف أى دنوت ، وجملة تهجونا حال ، ويقال قربت هنا من أفعال المقاربة فحينئذ تكون الجملة خبراً . هذا كلامه .

قال شارح (شواهد الموشح) : يروى « قرّبت » معروفاً ومجهولاً . فعلى الأول معناه : اليوم قرَّبت هجاءنا أى أُدنيته ، ويجوز أن يكون معناه الإسراع أى أسرعتَ فى الهجاء . وجملة تهجونا حالية ، أى قرّبت هاجياً . وعلى الثانى يريد أنك كنت مهجوراً مبعَداً فاليوم قُرِّبت تهجونا ، وليس هذا جزاء الإحسان والتقريب . وقوله:فاذهب·أمر تهديد وتحذير . انتهى .

وهذا ناشئٌ عن عدم الاطلاع ، ولا ينبغى تسويد الورق بمثله .

وقوله : (فاذهب) قال العينىُّ : هو جواب شرطٍ محذوف ، والتقدير فإنْ فعلت ذلك فاذهبْ ، فإنَّ ذلك ليس بعجبٍ من مثلك ومن مثل هذه الأيام . انتهى .

٣٤١ وقال ابن جِنِّى (فى إعراب الحماسة) عند قول الشاعر :

فإنْ كنتَ سيِّدَنا سُدتَنا وإنْ كنت للخال فاذهَبْ فخَلْ

أراد باذهب توكيداً [(١)] كما تقول : أخذ يتحدث ؛ وجعل يقول ، وأنت تريد حديثه [(٢)] . وكذلك قام يشتمنى ، قال حسان .

* على ماقام يشتمنى لئيم *

---

(١) ش : « أراد اذهب توكيدا » . والذى فى إعراب الحماسة الورقة ٥٣ : « أراد : فخل ، فزاد اذهب » .

(٢) فى إعراب الحماسة : « حديثه وقوله » .

أى علامَ يشتمنى . وعليه بيت الكتاب :

فاليوم قربت تهجونا ... ... البيت.

أى فما بك عجب . واذهب توكيدٌ للكلام وتمكين له . ومثله قوله:

من دون أن تلتَقِىَ الأركابُ ويقعد الأير له لعابُ [١]

وليس هناك قيامٌ ولاقعود ولاذهاب ، ولكن هذه استراحاتٌ من العرب وتطريحات منها فى القول . انتهى .

* * *

وأنشد بعده :

(الواهب المائةِ الهجانِ وعَبْدِها)

على أن عطف قوله وعبدها بالجرِّ على المائة ضعيف . ووجه الضَّعف أنَّ اسم الفاعل المقرونَ بأل المضافَ يلزم أن يكون المضاف إليه معرّفاً بها أيضاً ، لمشابهته للحسن الوجه ، فإذا عطف على المضاف إليه شيءٌ لزم أيضا أن يكون معرَّفا بها ، لأنَّ المعطوف فى حكم المعطوف عليه . وإنَّما جاز هنا عطف (عبدِها) مع خلوِّه من أل على المائة ، لكونه مضافاً إلى ضميرِ المعرف بأل ،والتقدير وعبد المائة ؛ ولكونه تابعاً ،والتابع يجوز فيه مالا يجوز فى متبوعه.

وقد تقدَّم شرحُ هذا مستوفًى مع القصيدة التى هذا المصراعُ منها فى الشاهد الرابع والتسعين بعد المائتين [٢] .

* * *

(وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والخمسون بعد الثلثمائة [٣]) :

٣٥٤ (أتعرِفُ أمْ لا رَسْمَ دارٍ مُعطَّلَا مِنَ العام يَغشاهُ ومن عامٍ أوَّلا

قِطارٌ وتاراتٍ خَرِيقٌ كأنَّها مُضِلَّةُ بَوٍّ فى رعيلٍ تعجَّلا)

---

(١) قبله فى اللسان (ركب) :

لايقنع الجارية الخضاب ولا الوشاحان ولا الجلباب

(٢) الخزانة ٤ : ٢٥٦ .

(٣) نوادر أبى زيد ٢٠٨ وحاشية يس على التصريح ٢ : ١٦٣ .

على أن الشاعر قد فصَل بالظرف وهو تاراتٍ بين العاطف وهو الواو ، وبين المعطوف وهو خريق ، والأصل : قطارٌ وخريقٌ تاراتٍ .

صاحب الشاهد وهذان البيتان من أبياتٍ خمسة للقُحَيف العُقَيلى ، مذكورةٍ فى أواخر (نوادر أبى زيد) ، ولم أرها إلّا فيها .

والأبيات الثلاثةُ لاارتباطَ لها بِهما ، ولهذا تركناها .

وقوله : (أتعرف أم لا) إلخ رسمَ مفعولُ تعرف . ومعناه الأثر . ومعطَّلا صفة رسم ، أى خالياً من الأنيس والسُّكّان . ومن العام متعلِّق بمَعَطَّلَا ، و (من عام أوّلا) معطوف عليه . والعام : الحول. قال ابن الجواليقى : ولاتفرق عوامُّ النَّاس بين العام والسنة ، ويجعلونهما بمعنىً ، فيقولون لمن سافر فى وقتٍ من السنة ، أىَّ وقتٍ كان إلى مثله : عام ، وهو غلط ، والصواب ماأُخبرتُ به عن أحمدَ بن يحيى أنّه قال : السَّنة من أىِّ يوم عددته إلى مثله ، والعام لايكون إلّا شتاء وصيفا . وفى التهذيب أيضاً : العام حولٌ يأتى على شَتوة وصَيْفَة . وعلى هذا فالعام أخصُّ من السَّنَة وليس كلُّ سنة عاماً . وإذا عددت من يومٍ إلى مثله فهو سنة ، وقد يكون فيه نصفُ الصَّيف ونصف الشِّتاء . والعام لايكون إلا صيفاً وشِتاء متواليين . واللام فيه للعهد الحضورى ، أى هذا العام. ٣٤٢ وعامٌ أوّل [1] هو الحولُ السابق . وأوّل له استعمالان : أحدهما بمعنى سابق ومتقدِّم ، ويُصْرف على هذا . وثانيهما بمعنى أسبق ، ولاينصرف على هذا . قال صاحب (المصباح) : وتقول عامٌ أوّل ، وإنْ جعلته صفةً لم تصرفه لوزن الفعل والصفة ، وإن لم تجعله صفةً صرفته . انتهى . وألفُ آخِره للإطلاق ، ومن التفضيلية محذوفة ، أى من عام أوّل من هذا العام .

---

(١) ط : « عام أول » ، وإثبات الواو من ش .

وقال أبو الحسن علىّ بن سليمان الأخفش (فيما كتبه على نوادر أبى زيد) : قوله ومن عام أوّلا ، يريد من عام زمان أوّل أو دهر أوّل ، فأقام الصفة مقام الموصوف . قال أبو عبيدة (١) ، فى قوله تعالى : ﴿ ترمِيهمْ بحجارةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (٢) ﴾ قال : أراد والله أعلم : من شديدٍ . ولم يزدْ على هذا ، وتقديره عند أهل العربية : من رام شديد . انتهى

ولايخفى تعسُّفه .

و(يغشاه) من غشِيَه من باب تعب بمعنى أتاه ، والاسم الغِشيان . والذى رواه أبو زيد:« يمحاه » بدل يغشاه . قال أبو الحسن الأخفش : تقول العرب : محا يمحو ويمحا ؛ وقد جاء يَمْحي (٣) وهو شاذ [قلِيلٌ (٤)] . يقول بعضهم : محيتُ ، كما يقول الآخرون محوت . ومن قال يَمْحا فإنَّما يفتح لأنَّ الحاء من حروف الحلق . انتهى

و(قطار) فاعل يغشاه أو يمحاه ، وجملة الفعل والفاعل فى محل نصب على الحال من رسم ، ولايجوز أن يكون حالاً من دار لتذكير الضمير فى يغشى (٥) . وقطار ، بكسر القاف : جمع قطر بمعنى المطر .وهذا عيبٌ فى الشعر عند الخليل ، ويسمِّيه المضَمَّن؛وهو أن يكون تمام المعنى فى البيت الثانى . و(تاراتٍ) منصوب على الظرف ليغشى ، وهو جمع تارة بمعنى مَرّة . و(خريق) معطوف على قطار ، فصل بينه وبين الواو العاطفة الظرف ، وهو بفتح الخاء المعجمة وكسر الراء المهملة

---

(١) هذا النص من نوادر أبى زيد له أصل فى مجاز القرآن لأبى عبيدة ٢ : ٣١٢ .

(٢) الآية ٤ من سورة الفيل .

(٣) وكذا فى النوادر . وفى ش : « يمحا » ، تحريف .

(٤) التكملة من ش . وفى النوادر : « وهى شاذة قليلة » .

(٥) ش : « يغشاه » .

وآخره قاف . قال صاحب العباب:الخريق:الرِّيح الباردة الشديدة الهُبوب . وضمير كأنَّها للخريق . و(مُضلَّة): اسم فاعلٍ من أضللته بالألف، بمعنى فقدتُهُ وأضَعْته . قال الأزهريُّ :وأضللت الشيء بالألف، إذا ضاع منك فلم تعرف موضعه ، كالدَّابَّة والناقة وماأشبهَهُما.فإنْ أخطأتَ موضعَ الشيء الثابت كالدار قلت: ضلِلته وضلَلته .ومُضِلّة صفة موصوفٍ محذوف،أى ناقة مُضِلَّة .و(البَوُّ): جلدُ الحُوار ، أى ولد الناقة ،يُحشى إذا مات فتعطف عليه الناقة فتدِرُّ . و(الرعيل) بالراء والعين والمهملتين : الجماعة من الخيل . و(تعجَّل) فعل ماضٍ بمعنى أسرع ،وفاعله ضمير الرعيل، وجُملة كأنَّها مضلّة إلخ حالٌ من خريق. شبَّه الريح العاصفة فى رسم الدار بناقة أضاعت ولداً فى جَمْع خيلٍ أسرعَ ومضى، فهى والهةٌ تريد اللَّحاق إليه،فتسرعُ بأشدِّ مايُمكنها

القحيف العقيلي

والقُحَيف بضم القاف وفتح الحاء المهملة وآخره فاء.والعُقَيلى بضم العين وفتح القاف؛وهو شاعرٌ جاهلىٌّ،وتقدم ذكره فى الشاهد الثالث والخمسين بعد الثلثمائة(١).

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والخمسون بعد الثلثمائة :

٣٥٥ (وكان سِيَّانِ أَنْ لا يَسْرَحُوا نعَماً
أو يَسْرَحُوهُ بِها واغبَّرتِ السُّوح(١))

على أن أو هنا بمعنى الواو ، وإنما احتيج إلى جعل أوْ بمعنى الواو ، لأنَّ سواء وسِيّين يطلبان شيئين ، فلو جعلت أوْ لأحدِ الشَّيئين لكان المعنى سِيَّانِ أحدُهما . وهذا كلامٌ مستحيل .

---

(١) كذا . وستأتى ترجمته مفصلة فى الشاهد الخامس والعشرين بعد الثمانمائة .

(٢) الخصائص ١ : ٣٤٨ / ٢ : ٤٥٦ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٦١ / ٢ : ٣١٥ وابن يعيش ٢ : ٨٦ / ٨ : ٩١ وشرح شواهد المغنى ٧٢ .

٣٤٣ قال أبو على (فى إيضاح الشّعر) : والذى حسَّنَ ذلك للشاعر أنّه يرى جالس الحسن أو ابنَ سِيرين ، فيستقيم له أن يجالسهما جميعا . وكُلِ الخبز أو التّمر ، فيجوز له أن يجمعهما فى الأكل . فلمّا جَرَت مجرى الواو فى هذه المواضع استجازَ أن يستعملها بعد سىّ . ولم نعلم ذلك جاء فى سواه ، وقياسُه قياس سِيّان . انتهى .

وبيَّنَ ابنُ جنّى سرَّهُ (فى باب تدريج اللغة من الخصائص) قال : وذلك أى تدريج اللُّغة أنْ يشبه شيءٌ شيئاً من موضع ، فيمضى حكمهُ على حكم الأوَّل ثم يرقَى منه إلى غيره . فمن ذلك قولهم : جالس الحسن أو ابن سيرين . فلو جالسهما جميعاً لكان مصيباً مطيعاً لا مخالفا ، وإن كانت أوْ إنّما هى فى أصل وضعها لأحد الشَّيئين . وإنَّما جاز ذلك فى هذا الموضع لالشيءٍ رجع إلى نفس أو ، بل لقرينة انضمَّت من جهة المعنى إلى أوْ . وذلك لأنّه قد عُرِف أنّه رغِب فى مجالسة الحسن ، لما لِمُجالسته فى ذلك من الحظّ . وهذه الحالُ موجودةٌ فى مجالسة ابن سيرين أيضاً . فكأنَّه قال: جالسْ هذا الضَّربَ من الناس. وعلى ذلك جرى النَّهىُ فى هذا الطرز من القول فى قوله تعالى : ﴿ولا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أو كَفُوراً [٢]﴾. فكأنَّه والله أعلم قال : لاتطع هذا الضَّربَ من الناس ، ثم إنَّه لما رأى أو فى هذا الموضع قد جرت مجرى الواو تدرَّجَ من ذلك إلى غيره ، فأجراها مجرى الواو فى موضع عارٍ من هذه القرينة التى سوَّغته استعمال أوفى معنى الواو . ألا تراه كيف قال :

فكان سِيّانِ أن لايَسْرَحُوا نَعَماً ... البيت

وسواء وسيَّانِ لايستعمل إلاَّ بالواو . انتهى .

(١) ط : « فلما صارت » ، وأثبت مافى ش .

(٢) الآية ٢٤ من الانسان .

وقد أخذ هذا من كلام أبي عليّ (فى التذكرة القصرية) قال : إنَّما جاز أوْ مع سيَّانِ اتّساعاً ، وذلك أنَّهم لما رأوا أنَّ أوْ يُجمع بها ماقبلها ومابعدها كما جمع بالواو وإن كان المعنى مختلفا ، شبّهوهُ بِها فعطفوا بها فى هذا الموضع كما يعطف بالواو . وكذلك العلم بأنَّ هذا الموضع يقتضى اثنين فصاعداً ولا يُقتصر فيه على أحد الاسمين . انتهى

(وسيَّانِ) : مثنَّى سيّ بالكسر بمعنى مثل ، وأصله سِوْى ، لأنَّه من السَّواء والسويَّة ، فقلب وأدغم ، عملاً بالقاعدة. قال ابن يسعون : كان ينبغى أن يقول سِيَّيْنِ ، لأنَّ المعرفة أولى بأن تكون اسم كان ، وكأنَّه كره اجتماع ثلاثِ ياءاتٍ فعدل إلى الألف ، أو قدَّر فى كان ضميرَ الشأن ورفعه على الخبر ، لأنَّ المبتدأ هو قوله أن لايَسرحُوا . انتهى .

وقال أبو على (فى إيضاح الشعر) : إمَّا أن يكون أضمر فى كان الحديث أو الأمر ، فيكون سيَّان خبر الاسمين اللذين هما أن لايسرحوا نعماً أو يسرحوه ، أو يكون جعل سيَّان المبتدأ وإن كان نكرة ، وأدخل كان على قوله سيَّان . والوجه الأَوَّل أشبَه . انتهى .

قال الدمامينى (فى الحاشية الهندية) : ولقائل أن يقول : الإخبار عن المعرفة بالنكرة مغتفر فى الضرورة . على أنَّ ابن مالك قال بجوازه مطلقاً .

وسَرحتِ الإبلُ سَرْحا ،من باب نفع ، وسُروحا أيضا: رعت بنفسها، وسَرَحتها ، يتعدَّى ولا يتعدَّى . وهو هنا متعدٍّ . والنَّعم : المال الراعى ، وهو جمعٌ لا واحدَ له من لفظه ، وأكثر مايقع على الإبل : قال أبو عبيد : النَّعم : الجِمال فقط ، وتؤنَّث وتذكّر [1] ، وجمعه نُعمانٌ كحَمَلٍ وحُملان ،وأنعامٌ

---

(١) ش : « ويؤنث ويذكر » .

أيضا .وقيل النعم : الإبل خاصَّة ، والأنعام :ذوات الخُفّ والظِّلف ، وهى الإبل والبقر والغنم . وقيل تطلق الأنعام على هذه الثلاثة ، فإذا انفردت الإبل فهى نعَمَ ، وإن انفردت البقر والغنم لم تسمَّ نَعَما . كذا فى المصباح . وضمير (بها) قال ابن يسعون : للسنة المجدبة التى دلَّت الحال عليها . ويحتمل أن يريد البقعة التى وصَفها بالجدْب . والباء بمعنى فى .واغبَرَّت ، اسودَّت فى عين من يراها ، أو كثُر فيها الغبار لعدم الأمطار . وروى بدله : « وابيضَّت » . والسُّوح : جمع ساحة ، وهى فَضاءٌ يكون بين دُور الحىّ . والواو فى اغبرَّت للحال .

٣٤٤

قال ابن الشجرى(فى أماليه): وصف سنةً ذاتَ جدب ، فرغْىُ النَّعم وتركُ رعيها سواءٌ . قال أبو على (فى إيضاح الشعر): زعم أبو عمرٍو أنَّ الأصمعىَّ أنشدهم هذا البيتَ لرجل من هذيل . وجميع النحويِّين رووا هذا البيت كذا . وقد رأيتُه ملفَّقا من بيتين فى قصيدةٍ لأبى ذؤيب الهذلىّ ، وهما : صاحب الشاهد

(وقال راعيهمُ : سيَّانِ سَيركمُ ... وأن تقيموا به واغبَرَّتِ السُّوحُ

وكان مِثلينِ أن لايَسْرَحُوا نَعماً ... حيث استردت مَواشيهمْ وتَسريحُ)

وعلى هذا لا شاهدَ فيه .

والقصيدة مرثيَةٌ رثى بها أبو ذؤيبٍ صديقاً له قُتل فى وقْعة . وهذه أبياتٌ منها من المطلع :

(نامَ الخلىُّ وبتُّ اللَّيلَ مشتجراً ... كأنَّ عينىَ فيها الصابُ مذبوحُ

لمَّا ذكرت أخا العُمْقَى تأوَّبنى ... هَمِّى وأفرد ظهرِى الأغلبُ الشِّيحُ

المانح الأُدمَ كالمَرْوِ الصّلاب إذا ... ماحارَد الخُورُ واجتُثَّ المجاليحُ

وزَفَّت الشَّوْلُ من برد العشىّ كما ... زَفَّ النَّعامُ إلى حَفّانِه الرُّوحُ

وقال ماشيهم سِيَّانِ سيركم .... البيتين

واعصَوْصبَتْ بَكَراً من حَرجِفٍ ولها وَسْطَ الدِّيار رَزِيَّاتٌ مَرازيحُ

أمّا أُولاتُ الذُّرى منها فعاصبةٌ تجول بين مَناقيها الأقاديحُ (١)

لا يُكرمون كريماتِ المَخاضِ وأنْـ ـسَاهمْ عقائلَهَا جُوعٌ وترزيحُ)

قوله : « نام الخلىّ » إلخ قال السكرى فى شرح أشعار هذيل : الخلىّ : الذى لاهمَّ له . والمشتجر :الذى قد وَضَع حنكَه على يده أو فَمَه عند الهمّ . والصاب :نبتٌ إذا شُقَّ يخرج من ورقه كاللَّبَن ، يُحرق العين. ومذبوح : مشقوق. وذبحه : شقَّه .

وقوله : « لما ذكرت أخا العمقى » إلخ العُمْقَى بضم العين المهملة وكسرها وبالقصر : أرض قُتل بها هذا الرجلُ المرثىُّ . وتأوَّبنى : أتانى ليلاً . و « أفرد ظهرى » أى كان يمنع ظهرى من العدوّ . والأغلب : الأسد الغليظ الرقَبة . يقال رجلٌ شيحٌ ومُشِيحٌ ، إذا كان جلداً . يقول : خلّانى للأعداء .

وقوله : « المانح الأدم » إلخ ماأوردناه من الأبيات ، أورده أبو حنيفة الدِّينورى (فى كتاب النبات) وقال : ومماً وصُف به المحْلُ قول أبى ذؤيبٍ ومدحَ رجلاً ببذلِ ماله فيه (٢) .

قال السكرىّ : المانح هو أنْ يدفع الأُدْمَ كالعاريَّة يشرب لبنَها سَنة . كالمرو : فى صلابتها . والمرو : الحجارة البيض . والخُور : الغِزار الرِّقاق وليست بسِمَان . وحارَد : ذهبَ ألبانها ؛ وهى من المحارَدَة . والمجاليح : اللواتى يَدْرُرْنَ فى القُرّ والجهد ، والواحدة مُجالِح .

---

(١) ط : « ألات الذريح » ، صوابه فى ش وديوان الهذليين .

(٢) ش : « ببذله ماله فيه » .

وقال الدينورىّ : المحاردة : انقطاع اللبن . والمجاليح : الصُّبُرُ من النّوق على الجدب الباقيةُ الألبانِ ، الواحدة مُجالحة . فاجتُثَّت لتدرَّ ولا دَرَّ بها . ٣٤٥

وقوله : « وزَفَّت الشَّول » إلخ الزَّفيف : مشىٌ سريع فى تقارُب الخَطْو . والشَّول : التى شالت ألبانُها وخَفّت بطونُها من أولادها وأَتى على نتاجها سبعةُ أشهر أو ثمانية .والحَفّان ، بفتح المهملة وتشديد الفاء : صغار النَّعام . والرُّوحُ : نعت النعام وهو جمع أروَحَ ورَوحاء ، وصفٌ من الرَّوَح بفتحتين ،وهو سعةٌ فى الرِّجلين . والأَرْوَحُ تتباعد [1] صدورُ قدمَيه وتتدانى عَقباه . يقول : زَفَّت الشَّوْل إلى أن تأتى مَكاناً تستتر فيه . وإنَّما خصَّ الشَّوْل لقلَّة صبرها على البرد ، لخِفَّةِ بُطونها .

وقوله : « وقال راعيهمُ سيَّانِ » إلخ ، روى السكرى : « وقال ماشيهمُ » أيضا . وقال : يريد اغبرَّت ساحاتُ ماحولهم من الجَدْب . وماشِيهم ، يريد ماشىَ الحىِّ ، والمُمْشِى : صاحبها . قال الباهلى : زعموا أنَّ ماشيهمَ فى معنى مُمْشيهم ، أى صاحب الماشية . يقال : أمشى الرجُل .أى سواءٌ سيركم إن سرتم وإن أقمتم فأنتم فى جدب . وروى الدينورى : « وقال رائدُهم سيَّانِ سيركم» إلخ .

وقوله : « وكان مثلين » إلخ هذا على القياس بنصب مثلين ، قال السكّرىّ : أراد : أن لايسرحوا وتَسْريحهم [2] سواء . ومعنى أن لايَسْرَحوا أن لايَرْعَوْا . واستزادت مواشيهم ، أى ترود وتطلب المرعى ، أى فهو جدب رعَوْا أم لم يرعَوْا .

---

(١) ط : « يتباعد » .

(٢) ش : « وتسريح » . وفى شرح السكرى ١٢٢ : « أراد : كان تسريحهم وتركهم سواء » .

وقوله : « واعصوصبت بَكراً » إلخ قال **الدينورى** : اعصوصبت : اجتمعت من البرد يتقّى بعضُها ببعض . والبَكَر ، **بفتحتين** : جمع بَكْرة ، وهى الناقة الشابَّة . والحرجف ، بتقديم المهملة المفتوحة على الجيم : الريح الباردة اليابسة . والرذيَّة : الهزيلة الساقطة ، وكذلك المرازيح ، وهى التى رزحت فلا حَرَاك لها . ولم يقل السكّرىُّ فى هذا البيت شيئاً .

وقوله : « أمّا أُولاتُ الذُّرى » إلخ ، قال السكرى : أولات الذرى : ذوات الأسنمة . «فعاصبة» أى قد عَصَبَت واستدارت لاتبرح . والأقاديح: جمع قِداح ،أى تجول القداحُ بين مَناقيها ، وهو أن يُضرَب عليها بالقداح . يقول : يختار مُنْقياتها ، أى سمانها ، للعَقْر .

وقوله :« لايكرمون كريمات » إلخ قال السكرى :يقول :ينحرون كريماتِ المَخَاض ، وهى الحوامل ، فهى أنفسُ عندهم إذا نحروها . وعقائلها : كرائمها . أى أنساهم الجوع والترزيح ،وهى الرازح [١] التى قد قامت من الهزال وسقطت .

وترجمة أَبى ذؤيب الهذلى تقدمت فى الشاهد السابع والستين [٢] .

وهو شاعر إسلامىّ .

* * *

وأنشد بعده، وهو الشاهد السادس والخمسون بعد الثلثمائة [٣]:

٣٥٦ (باتَ يُعَشِّيها بعَضْبٍ باترٍ   يَقصِدُ فى أسوُقِها وجائرِ [٤])

---

(١) ط : « الرزاح » صوابه فى ش وشرح السكرى .

(٢) الخزانة ١ : ٤٢٢ .

(٣) أمالى ابن الشجرى ٢ : ١٦٧ والعينى ٤ : ١٧٤ والأشمونى ٣ : ١٢٠ .

(٤) أسوُقها وردت بالواو فى جميع المواضع هنا فى ط، لكنها فى ش مهموزة فى جميع المواضع.وهما لغتان.

على أنَّ (جائر) معطوفٌ على يقصد ، لكونه بمعنى الفعل ؛ أى يقصد ويَجُور .

وأورده الفراء والزَّجاج (فى تفسيرهما) عند قوله تعالى :﴿ ويُكلِّمُ النَّاسَ فى المَهْدِ (١) ﴾على أنَّ جملة يكلّم معطوفةٌ على وَجيهاً . قال الزَّجاج : وجائزٌ أن يعطف بلفظ يفعل على فاعلٍ لمضارعة يفعل فاعلاً ، أى قاصدٌ فى أسوُقها وجائر.

وأورده الفراء فى سورة الأنبياء أيضا ، عند قوله تعالى : ﴿لاهِيَةً قُلوبُهُم (٢) ﴾.

وكذلك استشهد به أبو على (فى إيضاح الشعر) وابن الشجَرىّ (فى أماليه) ؛ ولم ينسبه أحدٌ منهم إلى قائله . ولم أر له تتمة .

وهو بيتان من الرجز المسدّس .

٣٤٦ وقوله : (بات يعشِّيها) إلخ بات من أخوات كان ، اسمها مستتر فيها ؛ وجملة يعشِّيها فى موضع نصب على أنَّها الخبر ؛ أى يطعمها العَشَاء بالفتح ؛ وهو الطعام الذى يؤكل وقتَ العِشاء بالكسر .

ورأيت فى أمالى ابن الشجرى فى نسخة صحيحة قد صحَّحها أبو اليُمْن الكندىّ وغيرُهُ ، وعليها خطوطُ العلماء : « بات يُغشِّيها » بالغين المعجمة ، من الغشاء كالغطاءِ ، بكسر أولهما وزناً ومعنىً ، أى يشملُها ويعمُّها . وضمير المؤنث للإبل وهو فى وصف كريم بادرَ يعقِرُ إبلَهُ لضيوفه .

وزعَم العينى أنَّ الضمير للمرأة التى عاقبها زوجُها بالسَّيف . ولايخفى أنَّ هذا غير مناسب لسِياق الكلام .

---

(١) آل عمران ٤٦ .

(٢) الأنبياء ٣ .

ورواه الفراء (فى تفسيرِهِ) : « بتُّ أعشِّيها » بالتكلُّم [١].

و (العَضْب) بفتح العين المهملة وسكون الضاد المعجمة : السَّيف ، وهو فى الأصل صفة بمعنى قاطع ، عَضَبه بمعنى قطعه ، والباء متعلِّقة بيعشِّيها ، وهذا من باب : عتابُه السَّيف ، وتحيَّتُه الضَّرب . (وباتر) صفةٌ أُولى لِعَضْبٍ ، وجملة يقصد صفة ثانية له ، و (جائر) صفة ثالثة ، وهو بمعنى قاطع ، من بتره بتراً من باب قتل ، إذا قطعه على غير تَمام . و (يقصِد) : مضارع قصدَ فى الأمر من باب ضرب ، أى توسَّط ولم يجاوز الحدَّ . وفى متعلقه بيقصد . وأسؤق : جمع قلَّة لساقٍ ، وهى مابين الرُّكبة والقدم . وجائر مِنْ جار فى حكمه ، إذا ظلم .

فإن قلت : عَقْره الإبلَ إمّا قصدٌ وإمّا جَور فكيف وصف بهما ؟ قلت : هو على التوزيع ، أى يقصد فى أسؤق إبل تستحقُّ العقر كالنِّيب ، ويجور فى أسؤق إبلٍ لاتستحقُّ العقر كالحوامِلِ وذواتِ الفصال .

وجائرٌ فى الحقيقة معطوف على جملة يقصد الواقعة صفةً ثانية لعَضْب ، كقول راجز آخر :

* أمٍّ صبيّ قد حبا ودَارِج [٢] *

وفاعله ضمير العضب .

وزعم العينى أنَّ الضمير عائد على ماعاد عليه ضميرُ بات ،وأنَّ الجملة حال.وهذ فاسدٌ؛لأنَّه لو كان كما زعمَ لنصب جائر،لأنَّه معطوف عليه.ولاجائز

---

(١) معانى القرآن ١ : ٢١٣ . ولم يرد هذا الشطر فى تفسير سورة الأنبياء .

(٢) مجهول القائل . وانظر أمالى ابن الشجرى ٢ : ١٦٧ والتصريح ١ : ١٤٢ ، ٢ : ١٥٢ والأشمونى ٣ : ١٢٠ .

أن يكون منصوباً أو مرفوعاً ؛ لأن الشِّعر من الرجز الذى يجب [(١)] توافُق قوافيه .
ويدلُّ لما قلنا رواية الفراء :

بِتُّ أعشِّيها بعَضب باتِرِ   يَقصِد فى أسؤقها وجائـرِ

والقافيتان مضبوطتان بضبط القلم بالجر فى نسخٍ صحيحةٍ مقروءة ، وعليها خُطُوطُ العلماء ، منها (تفسيرُ الفراءِ والزجاج) ،ومنها (إيضاح الشِّعر) بخط ابن جنِّى ، ومنها (أمالى ابن الشجرى) كما ذكرنا .

ولو رفع باتر على أنّه نعت مقطوع من النكرة غيرِ المخصَّصة لرفَعَ جائر . وفيه مالايخفى . وكذلك لايجوز أن يكون جملة يقصد خبراً ثانيا لبات أو بدلاً من يعشِّيها ؛ لما ذكرنا .

ولم يذكر الشارحُ المحقِّق شرطَ عطفِ الاسم على الفعل مضارعا أو ماضياً وعكسِه .وقد بيَّنه ابنُ الشجرى (فى أماليه) فى فصلٍ عَقَدهُ له ، فلا بأس بإيراده ؛ قال: عطفُ اسم الفاعل على يفعل ، وعطفُ يفعل على اسمِ الفاعل جائزٌ ، لمَا بينهما من المضارعة التى استحقَّ بها يفعل الإعرابَ واستحقَّ بها اسمُ الفاعل الإعمال ، وذلك جَرَيانُ اسم الفاعل على يفعل . ونَقْلُ يفعل من الشِّيَاع إلى الخصوص بالحرف المخصِّص كنقل الاسم من التنكير إلى التعريف بالحرف المعرِّف ، فلذلك جاز عطفُ كلٍّ واحدٍ منهما على صاحِبه ، وذلك إذا جاز وقوعُه فى موضعه،كقولك: زيد يتحدَّث وضاحك،وزيد ضاحكٌ ويتحدَّث، لأنَّ كلّ واحدٍ منهما يقع خبراً للمبتدأ . وكذلك مررت برجل ضاحكٍ ويتحدَّثُ ، وبرجل يتحدَّث وضاحك ؛ لأنَّ يفعل مما يُوصف به النكرات. فمِن عطف الاسم على الفعل قولُ الرَّاجز :

٣٤٧

بات يغشِّيها بعَضبٍ باتـرِ   يقصد فى أسؤقها وجائـرِ

فإن قلت:سيتحدث زيد وضاحك لم يجز،لأنَّ ضاحكا لايقع موقع يتحدَّث،

(١) ش : « تجب » تحريف .

من حيث لايلى الاسم السين . وكذلك : مررت بجالس ويتحدَّث لايجوز ، لأنَّ حرف الجر لايليه الفِعل .

فإن عطفت اسم الفاعل على فعلٍ لم يجز ؛ لأنه لا مضارعة بينهما .

فإن قرَّبت فعلَ إلى الحال بقد جاز عطفُ اسم الفاعل عليه ؛ كقول الراجز :

* أمٍّ صبىٍّ قد حبا ودارِجِ *

فإن كان اسم الفاعل ؛ بمعنى فَعَل جاز عطف الماضى عليه ؛ كقوله تعالى : ﴿إنَّ المصَّدِّقين والمصَّدِّقات وأقرَضُوا الله [١]﴾ ،لأنَّ التقدير إن الذين تصدَّقوا واللاتى تصدَّقن .

* * *

وأنشد بعده ؛ وهو الشاهد السابع والخمسون بعد الثلثمائة [٢]:

٣٥٧ (وعَضُّ زمـانٍ ياابـنَ مَروانَ لم يَدَعْ   من المال إلاَّ مُسْحَتـــاً أو مجلَّـــف)

على أنّه تجوز المخالفة فى الإعراب إذا عُرف المراد كما هنا ، فإنَّ قوله مجلَّف معطوف على قوله مُسْحتاً ، وهما متخالفان نصباً ورفعا .

قال أبو بكر محمد بن عبد الملك التاريخى (فى تاريخ النحاة) فى ترجمة عبد الله بن أبى إسحاق النحوىّ الحضرمّى : قال ابن سلَّام:وحدثنا يونس قال ابن أبى إسحاق فى بيت الفرزدق إلَّا مسْحَتاً أو مجلَّف ،قال:للرفع وجهٌ.وكان أبو عمرو ويونس لايعرفان للرفع وجهاً.قلتُ ليونس:لعلَّ الفرزدق

---

(١) الآية ١٨ من الحديد .

(٢) ابن سلام ١٩ والجمل ٢١٣ والخصائص ١ : ١٩٩ والمحتسب ١ : ١٨٠ / ٢ : ٣٦٥ والإنصاف ١٨٨ وابن يعيش ١ : ٣١ / ١٠ : ١٣ واللسان (جلف) وديوان الفرزدق ٥٥٦ .

قالها على النصب ولم يأبَهْ للقافية . قال : لا ، كان ينشدها على الرفع ، وأنشدنيها رؤبة على الرفع . انتهى .

وهذا البيت صعبُ الإعراب . قال الزمخشريّ : هذا بيتٌ لاتزال الرُّكَبُ تصطكُّ فى تسوية إعرابه . وقال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : رفع الفرزدق آخر البيت ضرورة [١] ، وأتعب أهلَ الإعرابِ فى طلب الحيلة ، فقالوا وأكثرُوا ولم يأتوا فيه بشيء يُرتَضى . ومن ذا يخفى عليه من أهل النّظر أنَّ كلَّ ماأتوْا به احتيالٌ وتمويه . وقد سأل بعضُهم الفرزدقَ عن رفعه هذا البيت فشتمه وقال : علىّ أن أقول وعليكم أن تحتَجُّوا . انتهى .

وقال الفراء(فى تفسيره [٢]):حدثنى أبو جعفر الرّؤاسى،عن أبى عمرو بن العلاء قال:مرَّ الفرزدقُ بعبد الله بن أبى إسحاق النحوى فأنشده هذه القصيدة:

* عزفتَ بأعشاش وماكدتَ تعزف [٣] *

حتى انتهى إلى هذا البيت ، فقال عبد الله : علام رفعت مجلَّف ؟ فقال له الفرزدق : على مايسوءُك .

وفى (تذكرة أبى حيان) من النهاية قال عبدُ الله بن أبى إسحاق للفرزدق : بم رفعتَ أو مجلف ؟ فقال : بما يسوءُك وينوءك ، علينا أن نقول وعليكم أن تتأولوا . ثم قال الفرزدق :

فلو كان عبدُ اللهِ مولًى هجوتُه ولكنَّ عبدَ الله مولى مواليـاَ

فقال له عبد الله : أردتَ أن تهجوَنى فلحَنتَ أيضا . والفرزدق مشغوفٌ فى شعره بالإعراب المشكل المحوج إلى التقديرات العَسِرة ، بالتقديم والتأخير

---

(١) وكذا فى الشعراء ٣٥ . وفى ش : « رفع الفرزدق آخره ضرورة » .

(٢) معانى القرآن ٢ : ١٨٢ فى الآية ٦١ من سورة طه .

(٣) فى النسختين : « بأعياش » ، صوابه من الفراء ومعجم البلدان وديوان الفرزدق ٥٥١ .

المخِلِّ بالمعانى . وسمعت شيخَنا يقول : أنّى لأعجب من إبراهيم بن هشام المخزومى حين فهِمَ قولَ الفرزدق :

٣٤٨ ومامثلهُ فى الناس إلاّ مملَّكا أبو أمِّه حىٌّ أَبوه يُقاربُه

وقال أبو محمد بن الخشاب (فى كتابه الموضوع لجوابه المسائلَ الستَّ الإسكندرية): إنَّ أبا حاتم السجستانى قال: ليس الفرزدقُ أهلاً لأن يُستشهَد بشعره على كتاب الله ، لما فيه من التَّعجرف . وقال ابن الخشاب أيضاً :لم يجرِ فى سَنَن الفرزدق ، من تعجرُفه فى شعره بالتقديم والتأخير المخلِّ بمعانيه ، والتقدير المشكل ، إلاّ المتنبىِّ ، ولذلك مال إليه أبو علىّ وابن جنِّى ، لأنَّه مما يوافق صناعتَهما . ولاينفع المتَنبىِّ شهادة أبى على له بالشعر ، لأنَّ أبا علىّ معربٌ لا نقَّاد ، وإنّما تنفعُه شهادةُ مثل العسكريَّين وأبى القاسم الآمدى ، فإنَّهم أئمةٌ يُقتدَى بهم فى نقد الإعراب .انتهى ماأورده أبو حيان .

وقد تكلَّفَ له العلماءُ عدَّة توجيهاتٍ ذكر الشارح المحقق منها ثلاثة أوجه ، والثلاثة مبنيَّة على رواية (لم يَدَع) بفتح الدال وعلى رواية نصب مُسحَت .

أمَّا (الأوّل) فهو للخليل بن أحمد ، وقال: هو على المعنى ، كأنَّه قال :لم يبق من المال إلاّ مُسحَت ، لأنَّ معنى لم يبقَ ولم يَدَع واحد ، واحتاج إلى الرفع فحمله على شيءٍ فى معناه . قال أبو على (فى إيضاح الشعر) : نصب مُسحَت بيدع بمعنى الترك ، وحمل مجلَّف بعده على المعنى ، لأنَّ معنى لم يدع من المال إلاَّ مسحتا ، تقديره : ولم يبق من المال إلاّ مسحتٌ ، فحمل مجلّف بعده على ذلك . ومثل ذلك فى الحمل عَلَى المعنى من أبيات الكتابِ قوله :

بادت وغيَّرَ آيهنَّ مع البلَى إلاَّ رواكدَ جَمرهُنَّ هباءُ[(١)]
ومُشجَّجٌ أمَّا سواءُ قذالِه فَبَدا وغيَّـر ساره المَعْـزاءُ

لأنَّ معنى بادت إلا رواكد ، معناه:بها رواكد ، فحمل مشجَّجا عَلَى ذلك ، فكذلك قوله لم يدع من المال إلاّ مسحتا معناه:بقى مُسحَت . قال أبو عمرو : هذا قولُ الخليل ، وليس البيت فى الكتاب (٢) ، فلا أُدرى أسمعه عنه أم قاسه . انتهى .

ومحصله أنَّ مجلفًا مرفوع بفعل محذوف دلَّ عليه لم يدع.وإليه ذهب ابن جنى (فى المحتسب فى سورة والضحى)،قال:إنه لما قال لم يدع من المال إلاَّ مسحتا دل على أنه قد بقى،فأضمر مايدل عليه(٣)،فكأنه قال:وبقى مجلف.

وأما (الثانى) فهو لثعلب ، قال (فى أماليه) (٤) نصب مُسْحَت بوقوع يدع عليه وقد وليه الفعلُ ولم يل مجلفا ، فاستؤنف به فرفع ، والتقدير : هو مجلف . انتهى .

وقول الشارح المحقق إنَّ أو فى هذا الوجه للإضراب بمعنى بل ، لايناسب المعنى ، وإنما يناسب لو كان مسحتا بعد أو ، فهى هنا لعطف جملة على مفرد ، ومعناها أحد الشيئين .

وأما (الثالث) فهو لأبى على الفارسى (فى التذكرة) قال : مجلَّف معطوف عَلَى عضّ ، وهو مصدر جاء على صيغة المفعول ، قال تعالى : ﴿ ومزَّقْناهُمْ كلَّ ممزَّقٍ (٥) ﴾ كأنّه قال : وعض زمان أو تجليف .

---

(١) من شواهد سيبويه فى كتاب ١ : ٨٨ .
(٢) يعنى البيت الشاهد .
(٣) فى المحتسب ٢ : ٣٦٥ : « فأضمر مايدل عليه القول » .
(٤) هذا من المواضع المستدركة على مجالس ثعلب . وقد أثبته فى ذيل المجالس .
(٥) الآية ١٩ من سورة سبأ .

وبقى غير ماذكره الشارح توجيهُ الفراء ، قال : إنَّ مجلفاً مرفوع بالابتداء ، وخبره محذوف ، كأنه قال : أو مجلف كذلك . ونسبَهُ إليه ابنُ السِّيد (فى شرح أبيات الجمل) ، وكذلك نسبه إليه على بن حمزة البصرى (فى كتاب التنبيهات على أغلاط الرواة) ونصُّه : قال الفراء : ومن روى مسحتا أراد لم يدع فيه عضٌّ الزمان إلا مسحتاً أو مُجلَّفٌ بقى ، فرفعه عَلَى هذا الإضمار . قال الكسائى : هذا كما تقول : ضربت زيداً وعمروٌ ، كأنّه يرفعه بفعل مضمر ، أى وعمروٌ مضروب ، أوْ وعمرو كذلك . انتهى .

٣٤٩

وقد ذهب إلى هذا ابن الأنبارىّ أيضاً (فى مسائل الخلاف) ، قال ابن السِّيد (فى شرح أبيات المعانى) : فيكون هذا من عطف جملة اسمية على جملة فعلية ، كما تقول : رأيت زيداً وعمرو مرَّ بى أيضا .

وبقى أيضاً توجيه الكسائى ، وهو أنَّ مجلفا معطوف على الضمير المستتر فى مُسحَت . قال ابن السيد (فى شرح أبيات الجمل) : حكى هشامٌ هذا التوجيه عن الكسائى .

هذا مااطلعتُ عليه من توجيه هذه الرواية ، وهى الرِّواية المشهورة . وقد أوردها صاحب الكشاف فى سورة طه .

وفيه روايات أخر :

إحداها : « إلاّ مسحتٌ أو مجلَّف » برفعهما . قال علىّ بن حمزة (فى كتاب التنبيهات) : رواه أبو جعفر بن حبيب (فى كتاب النقائض) برفع الاسمين . قال ابن الأعرابى والفراء : حروف الاستثناء تجىء بمعنى قليل من

---

(١) ط : « أو مجلفا » ، صوابه فى ش .

(٢) ط : « أو عمرو كذلك » وأثبت مافى ش .

كثير ، فجعل إلاَّ معلَّقة بأن يكون ، فأضمرها ونواها ، ورفع مُسْحَت عَلَى هذا المعنى . أراد إلا أن يكون مسحت أو مجلف ، فرفعه بيكون المضمرة ، وإلاّ تدلُّ عَلَى تعلُّقها بأن يكون كقولك : ماأتانى أحدٌ إلا زيد ، وإلاَّ أن يكون زيد . ومثلهُ لشبيب بن البرصاء :

ولا خير فى العِيدان إلاَّ صلابُها
ولا ناهضاتِ الطير إلا صقورُها

أراد : ولاخير فى العيدان إلا أن يكون صلابها ،وإلا أن يكون صقورها . انتهى .

وهذا التوجيه مردود ، فإنَّ الموصول لايحذف مع بعض الصلة ويبقى بعضها .

والصواب توجيه صاحب (الكشاف) فإنه استشهد به عَلَى قراءة أُبىّ والأعمش : ﴿فشرِبُوا منه إلا قليل [1]﴾ بالرفع مع كونه استثناء من كلام موجب حملاً له عَلَى المعنى ، فإنَّ قوله فشربوا منه فى معنى فلم يطيعوه إلا قليل ، فرفعه كرفع الشاعر مسحتا ومجلفا مع كونه استثناء مفرَّغا فى موقع المفعول به ، لأنه فى المعنى واقعٌ موقع الفاعل ، لأنَّ لم يدع فى معنى لم يَبْقَ .

والأحسن ماذهب إليه الطوسىُّ ، نقله عنه صاحب (التنبيهات) قال : أراد لم يَدَعْ من الدعة .

ونقل ابن الأنبارى أيضاً (فى شرح المفضليات) عن أبى عمرو أنه قال : لم يَدَعْ من الدَّعة والسكون ، يقال رجل وادع إذا كان ساكنا ، فيكون عَلَى هذا مسحت فاعل ليَدَع .

وثانى الروايات الأخر رواية خالد بن كلثوم وهى :

---

(١) الآية ٢٤٩ من البقرة .

وعضُّ زمانٍ ياابن مروانَ مابه من المال إلا مسحَتٌ أو مجلَّفُ

برفع الاسمين أيضاً ، حكاه عنه على بن حمزة صاحب التنبيهات .

وقال الفراء (فى تفسيره) : قيل لى إن بعض الرواة يقول : « مابه من المال إلاّ مسحَتٌ أو مجلف » فقلت : ليس هذا بشىء . انتهى .

وعندى أنَّ هذه أحسنُ الروايات وأصحُّها .

وثالث الروايات الأُخر : « لم يَدِع من المال إلا مُسْحَت » بكسر دال يَدِع ورفع الاسمين أيضاً ، وقد نسبها صاحب (التنبيهات) إلى أبى عبيدة ، وابنُ الأنبارى (فى شرح المفضليات) إلى عيسى بن عمر ، عند قول سويد بن أبى كاهل اليشكرىّ من قصيدة :

أرَّقَ العينَ خيالٌ لم يَدِعْ من سُلَيمى ففؤادى مُنتزَعْ (١)

قال : يدِع بمعنى يَقَرّ ويمكُث . وإليه ذهب ابن جنى فى باب الاطّراد والشُّذوذ (من الخصائص) قال فيه : ومن ذلك امتناعُك من وَذر وودَع لأنهم لم يقولوهما . فأما قولُ أبى الأسْوَد :

٣٥٠

ليت شِعرى مِنْ خليلى ماالذى

غالَهُ فى الحبِّ حتَّى ودَعَهْ

فشاذٌّ،وكذلك قراءة بعضهم:﴿ماودَعَك ربُّك وماقَلَى﴾ .فأمَّا قولهم ودَعَ الشىءُ يدِعُ ، إذا سكن فاتَّدع،فمسموع متَّبع،وعليه بيت الفرزدق،فمعنى لم يَدِع بكسر الدال،أى لم يتَّدِع ولم يثبُت.والجملة بعدَ زمانٌ فى موضع جر لكونها صِفة له ، والعائد منها إليه محذوف للعلم بموضعه ، وتقديره لم يَدِع فيه أو لأجله من المال إلا مُسحَت أو مجلّف ، فيرتفع به مسحت ، ومجلف

---

(١) المفضليات ١٩٥ .

عطف عليه . وهذا أمرٌ ظاهر ليس فيه من الاعتذار والاعتلال مافى الرواية الأخرى . ويحكى عن معاوية رضى الله عنه أنه قال : خير المجالس ماسافر إليه البصر ، واتَّدَعَ فيه البدن . انتهى .

وقال فى سورة الضحى (من المحتسب) : قرأ : ﴿ماوَدَعَكَ﴾ [1] خفيفة النبىُّ ﷺ وعروة بن الزبير . وهذه قليلة الاستعمال . قال سيبويه : استغنوا عن وذر وودَعَ بقولهم ترك . عَلَى أنها قد جاءت فى شعر أبى الأسود . وأما لم يِدع فى بيت الفرزدق بكسر الدال فهو من الاتِّداع ، كقولك : قد استراح ووَدِع ، فهو وادعٌ من تعبه . والمسْحَت عَلَى هذه الرواية مرفوعٌ بفعله ، ومجلف معطوف عليه . وهذا ما لا نظر فيه لوضوحه .

ورابع الروايات الأخر : « لم يُدَعْ » بضم الياء وفتح الدال ، مع رفع الاسمين أيضاً ، ذكرها ابن جنى (فى المحتسب) ونقلها عنه ابن السِّيد واللخمى (فى شرح أبيات الجمل) ، ولم ينسبها أحدُهم إلى راوٍ .

قال ابن جنى : وأما رواية «يُدَعْ» بضم الياء وفتح الدال فقياسه يُودَع ، كقوله تعالى:﴿لم يَلِدْ ولم يُولَد﴾ومثلهُ يُوضَع ،والحديد يُوقَع ،أى يُطرَق ، من قولهم وَقعت الحديدةَ ، أى طرقتها . قالوا : إلاّ أنَّ هذا الحرف كأنّه لكثرة استعماله جاءَ شاذا فحذفت واوه تخفيفاً فقيل لم يُدَع أى لم يترك . والمسحَت والمجلف جميعاً مرفوعان أيضاً كما يجب . انتهى .

وهذا ماوقفت عليه من روايات هذا البيت . والله أعلم .

وقوله : (وعَضُّ زمان) هو مرفوع بالعطف على (همومُ المنى) فى بيت قبله ، وهو :

---

(١) الآية ٣ من سورة الضحى .

(إليكَ أميرَ المؤمنين رمَتْ بنا
همومُ المَنى والهَوْجلُ المتعسِّفُ)

أراد : ياأمير المؤمنين . و(ابن مَرْوان) : عبد الملك بن مروان . شكا إليه مافعل به الزمان من تفريق أمواله وتغيير أحواله . والهَوجل : الفلاة التى لاأعلام فيها يُهتدَى بها . والمتعسِّف : التى يُسار فيها بلا دليل . وعَضُّ الزمان : شِدَّته . قال اللخمى (فى شرح أبيات الجمل) : قال الخليل بن أحمد : العضُّ كله بالضاد،إلا عَظَّ الزمانِ والحَرْب . وقال ابن سِراج [١] : العَظُّ المجازىُّ بالظاء والحقيقى بالضاد . وهذا كقول الخليل . وقيل إنّ العضَّ كله بالضاد مجازيا كان أو حقيقياً. انتهى .

و (المجلَّف) بالجيم : الذى ذهب معظمه وبقى منه شيء يسير . و(المُسْحَت) : المستأصَل الذى لم يبق منهُ بقية . قال الفراء فى سورة طه ، فى قوله تعالى :﴿ فيُسحِتَكم [٢] ﴾: سَحَتَ أكثَرُ ، وهو الاستئصال . والعرب تقول : سَحَتَ ،أسْحَتَ بمعنى واحد . وأنشد هذا البيت .

وقال مثلَه الزجاجُ فى سورة المائدة ، وأنشد البيت أيضاً .

وقال صاحب الصحاح : مالٌ مسحوت ومُسْحَت أى مُذهَب . وأنشدَ هذا البيت أيضاً ، ومنه أخذ الشارح .

٣٥١ ومثل هذا البيتِ مأورده أبو عبد الله محمد بن الحسين اليمنى تلميذُ ابن ولّاد (فى طبقات النحويين)فى ترجمة أبى الفَضْل الرِّياشى،بسنده عن أبى الفضل قال: وقع رجُلٌ بأمَةٍ لرجل فولدت،فحلف سيِّدُها أن لايُعتِقه،فقال الذى وقَع فى الجارية:

---

(١) ابن سراج ، بكسر السين وتخفيف الراء ، هو عبد الملك بن سراج امام أهل قرطبة ، وهو ممن درس جمهرة ابن دريد واستظهرها . توفى سنة ٤٨٩ . س : « ابن السراج » .

(٢) الآية ١١ من سورة طه .

تَحلَّلْ جزاكَ اللهُ خيراً أمَا ترى　　تَخاذُلَ إخوانى وقِلَّةَ ماليا
وعضُّ زمانٍ لم تَدَعْ جَفَواتُه　　من المالِ إلا جِلّةً وعَنَاصيا
تألَّ على مافى يديكَ كأنّما　　رأيتَ ابن ذَى الجَدَّينَ عِندكَ عانيا[1]

انتهى التحليل فى اليمين : أن يحلف ثم يستثنىَ استثناء متَّصلا . والجِلّة بكسر الجيم من الإبل : المَسَانُّ ، وهو جمع جليل ، كصبىّ وصبية . والعَناصى بفتح المهملة ، قال صاحب الصحاح : مابقى من مالِه إلا عَنَاصٍ ، وذلك إذا ذهب مُعظمُه وبقى نَبْذٌ منه . وتألَّ فعلُ أمر ، يقال تألَّى على كذا أى أقسمَ عليه . والعانى : الأسير .

صاحب الشاهد

والبيتان من قصيدةٍ طويلة للفرزدق ، تزيد على مائة بيت ؛ ليس فيها مديحٌ غير هذين البيتين ، وماقبلهُما من أوَّل القصيدة نسيب ، ومابعدهما عدَّة أبياتٍ فى كَلال الإبل . وشَرَحها الشريفُ المرتضَى قُدِّس سرُّه (فى أماليه غرر الفرائد ودرر القلائد [2]) .

ومابَعدها إلى آخر القصيدة افتخارٌ بآبائه على جرير .

وفيها شاهدٌ يأْتى شرحُه مع أبيات منها إن شاء الله تعالى فى باب الفعل[3]. ومضى بيتٌ منها فى باب النعت [4] .

وتقدَّمت ترجمة الفرزدق فى الشاهد الثلاثين [5] .

---

(١) ط : « ذو المجدين » ، صوابه فى ش . والجد بمعنى الحظ . وذو الجدين هو قيس بن مسعود بن قيس بن خالد الشيبانى ، وهو والد بسطام بن قيس ، وقيل مسعود بن عمرو ، وقيل عمرو بن ربيعة ابن عمرو ، وقيل عبد الله بن عمرو بن الحارث . وانظر تعليل تسميته فى جنى الجنتين ١٥٧ .

(٢) أمالى المرتضى ١ : ٥٨٢ — ٥٨٤ .

(٣) هو الشاهد ٦٦٦ فى ٣ : ٦٠٧ بولاق .

(٤) هو الشاهد ٣٣٩ فى هذا الجزء الخامس .

(٥) فى الجزء الأول ص ٢١٧ .

باب التوكيد

أنشد فيه ؛ وهو الشاهد الثامن والخمسون بعد الثلثمائة [(١)] :

٣٥٨ (أقسَمَ باللهِ أبو حَفْصٍ عُمَرْ)

على أنَّه رَّبما دلَّ على عطف البيانِ بعضُ متبوعاته مع قلّة الاشتراك ، كأبى حفص وهو المتبوع ، يدلُّ على عطف البيان وهو عُمَر ، كما بيَّنه الشارحُ المحقّق .

وقد أورده فى باب عطف البيان وشرحَه هناك .

صاحب الشاهد — وهو أوَّل رجز قاله أعرابىٌّ لعمر بن الخطاب رضى الله عنه .

قصة الشاهد — وسببه مارواه المحدِّثون عن أبى رافع ، أنَّ اعرابيًّا أتى عمر فقال : ياأمير المؤمنين ، إنَّ أهلى بَعيد ، وإنِّى على ناقةٍ دَبْراءَ ، فاحملنى . فقال عمر كذبتَ ، واللهِ مابها نقبٌ ولا بَرَ ! فانطلق الأعرابىُّ فحلَّ ناقتَه ، ثمَّ استقبل البَطحاء وجعل يقول ، وهو يمشى خلفَ ناقته :

أقسَم باللهِ أبو حَفْصٍ عُمر ما إنْ بها من نَقَبٍ ولادَبَرْ
اغفِرْ له اللهمَّ إن كانَ فجرْ

ويروى : « مامسَّها من نَقَب » . وعمر بن الخطاب رضى الله عنه مقبلٌ من أعلى الوادى ، فجعل إذا قال :

* اغفر له اللهمَّ إنْ كان فجرْ *

قال : اللَّهمَّ صَدَق ! حتىَّ التقيا فأخذ بيده فقال:ضَعْ عن راحلتك.

---

(١) المخصص ١ : ١١٣ وابن يعيش ٣ : ٧١ وشذور الذهب ٤٣٥ والعينى ١ : ٣٩٢ / ٤ : ١١٥ والتصريح ١ : ١٢١ ، ١٣١ والأشمونى ١: ١٢٩ ومعاهد التنصيص ١ : ٩٤ .

فوضَع فإذا هى كما قال ، فحمَله على بعير ، وزوَّده وكساه .

ورُوِىَ هذا الأثرُ بألفاظٍ مختلفة .

وهذا المقدارُ من الرجز هو المشهور ، وفى رواية الأصمعىِّ أزيدُ من هذا . قال أبو عبد الله محمد بن الحسين اليمنى (فى طبقات النحويين) فى ترجمة الأصمعى :أخبَّرنا ابن مطرِّف قال : أخبرنا ابن دريد قال : أخبرنا عبد الرحمن عن عمه الأصمعىّ قال : وقف أعرابىٌّ بين يَدىْ عمر بن الخطاب فقال : ياأمير المؤمنين ، أُبدِعَ بى وأدْمَتْ بى راحلتى ، ودبر ظهرُها ونَقِبَ خُفُّها ! فقال له عمر : والله ماأظنُّك أَنقَبْتَ ولا أَحْفَيْتَ ، فخرج الرجلُ ثم خرج عمر . قال : والرجل يقول : ٣٥٢

أقسم بالله أبو حفص عُمَرْ ... مامَسَّها من نَقَبٍ ولادَبَرْ
حَقاًّ ولا أجهدَها طولُ السَّفَرْ ... والله لو أبصرتَ نِضوى ياعُمَرْ
ومابها ،عَمْرُكَ ، من سُوء الأثَرْ ... عددتَنى كابن سبيلٍ قد حُضِر[1]

فرقَّ له عمرُ وأمر له ببعيرٍ ونفقة . انتهى .

والدَّبْراء ، من دَبِرَ ظهرُ الدابّة من باب فَرِحَ ، إذا جُرِجَ من الرَّحل والقتب . وأدبرت البعير فدَبِرَ [2] وأدْبَرَ الرجلُ ، إذا دَبِر بعيرُه ، فهو مُدْبِر . والنَّقْباء مِن نَقِبَ البعيرُ من باب فرح أيضاً ، إذا رقَّ خُفُّهُ . وأنقبَ الرجُل ، إذانَقِب بعيرُه . وقوله : فاحمِلْنى ، أى أعطِنى حَمولةً ، وهى بالفتح مايحمِلُ عليه الناسُ من الدوابّ ، كالرَّكوبة .

---

(١) يقال حضر فلان واحتضر ، بالبناء للمجهول فيهما ، إذا دنا موته .

(٢) ط : « تدبرة » ش : « تدبر » ، صوابه من اللسان (دبر ٣٥٩ س ٢) .

وقوله : (أقسم بالله أبو حَفْصٍ عمر) عمر أبو حفص : فاعل أقسَمَ بمعنى حلف ، وهو كنية عمر . واستشهد به ابنُ هشام (فى شرح الألفية) فى جواز تقديم الكُنْية على الاسم .

وقوله : « ماإنْ بها » إنْ زائدة . وقوله « إنْ كان فجر » ، قال ابنُ الأنبارى (فى الزاهر) : الفاجر فى كلام العرب : العادل المائل عن الخير ، وإنَّما قيل للكذّاب فاجر لأنّه مال عن الصدق . وأنشَدَ هذ الشعر .

وقوله : « ضَعْ عن راحلتك » ، أى ارفعْ عنها قَتَبها . وقوله فى رواية الأصمعى « أُبدِعَ بى » بالبناء للمفعول ، أى انقُطِعَ بى لكلال راحلتى ، فكأنَّ راحلته جاءت ببدعة .

وقوله : «ماأظنُّكَ أُنْقِبْتَ ولا أحفَيْت » كلاهما بالبناء للفاعل [١] ، يقال أحفى الرجلُ إذا حَفِيت دابَّته ، أى رقَّ خفُّها وحافرها من كثرة المشْى . والنِّضو ، بكسر النون وسكون المعجمة : المهزول . وقوله : عَمرُكَ ، مبتدأ وخبره محذوف ، أى قسمى ، والجملة معترضة ؛ وهى بفتح العين .

عبد الله بن كيسبة

وهذا الرجز نسة ابن حجر (فى الإصابة) إلى عبد الله بن كَيْسَبة ، بفتح الكاف وسكون المثناة التحتية وفتح المهملة بعدها باء موحَّدة ، النَّهدى . ذكره المرزبانىُّ (فى معجم الشعراء) قال : وكَيْسبة أُمُّه ، ويقال اسمه عَمروٌ . وهو القائل لعمر بن الخطاب واستحملَهَ فلم يحمِلْه :

* أقسم بالله أبو حفصٍ عُمَرْ *

الأبياتَ الثلاثة.وكان نظرَ إلى راحلته لمَّا ذكرَ أنَّها أُعجفت فقال:والله مابها من عِلة!فردَّ عليه،فَعلَاه بالدِّرَّة ، وهرب وهو يقول ذلك،فلما سمع

(١) فى النسختين : « للمفعول » ، والصواب ماأثبت .

عمرُ آخر كلامه حَمله وأعطاه . وله قصّةٌ مع أبى موسى فى فتح تُسْتَر . وقيل أنّ كنيته أبو كيسبة ، وإنّ عمر سَمِعَه ينشدُها ، فاستحلفه أنّه ماعرف بمكانه ، فحلف فحمله . انتهى .

وقد ذكره فى قسم المخضرمين الذين أدركوا النبىّ — ﷺ — ولم يَرَوْهُ .

وزعم ابن يعيش (فى شرح المفصل) أنّ الرجز لرؤبة بن العجّاج . وهذا لاأصل له ، فإنّ رؤبة مات فى سنة خمس وأربعين ومائة ، ولم يعدّه أحدٌ من التابعين فضلاً عن المخضرمين [١] . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده :

(فَلَا واللهِ لايُلفَى لِما بى ولا لِلِمَا بهِمْ أبداً دواءُ)

على أنّه ضرورة ، حيث أكّد اللّامَ الأولى باللام الثانية بدون ذكرِ مجرورِ الأولى ، والقياس لما لمابى .

٣٥٣

وهذا البيت قد تقدّم شرحهُ مع قصيدته وسببِها مستوفىً فى الشاهد الرابع والثلاثين بعد المائة [٢] .

* * *

وأنشد بعده :

(وصَالياتٍ كَكَما يُؤَثْفَيْنْ)

لما تقدّم قبله ، ومضى الكلامُ عليه مفصَّلا فى الشاهد الخامس والثلاثين بعد المائة [٣] .

* * *

---

(١) وكذا لم يرد الرجز فى ديوانه .

(٢) الخزانة ٢ : ٣٠٨ .

(٣) الخزانة ٢ : ٣١٣ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والخمسون بعد الثلثمائة [١] :

٣٥٩ (فأَينَ إلى أَينَ النَّجاءُ ببغْلَتِى أَتاكَ أَتاكَ اللاحِقُوكَ احبسِ احبسِ)

على أنّ المستقبل يجوز تكريره بلا فَصْل . والظاهر أَنَّ المراد أنّه من تكرير المفردات لا الجمل ، وهو الظاهر أَيضا من كلام ابن جنّى (فى إعراب الحماسة) قال : أَول البيت توكيد الاستفهام ،وفى الثانى توكيد الخبر ، وفى آخره توكيد الأمر .

وقال ابن الشجرى (فى أماليه) : هذا البيت فيه تكرير ثلاث جمَل ، أراد إلى أين تذهب إلى أين تذهب ، أَتاك أتاك اللاحقوك [٢] احبس احبس [٣]. وهذا يقوِّى ماذهب إليه الكسائىُّ من حذف الفاعل فى باب إعمال الفعلين . أَلا تراه لو أضمر الفاعل ولم يحذفه لقال : أتوك أَتاك اللاحقوك ، أَو أَتاك أَتوك . انتهى

والصحيح أنَّ الثلاثة من توكيد المفردات .

أمّا الأوَّل فأين مجرورة بإلى المحذوفة المدلول عليها بالمذكورة ، وهو خبر مقدَّم ، وإلى أَين توكيده ، والنَّجاء مبتدأً مؤخَّر ، وهو مصدر نجا ينجو نجاء ، إذا أسرعَ وسَبق .

وزعم العينىُّ أنَّ إلى أين هو الخبر ، وأنّ أَين ظرف لمحذوف ، أى أين تذهب . وهذا غنىٌّ عن الرد .

وأمَّا الثانى فإنّ اللاحقوك،وهو جمع مذكر سالم،مضاف للكاف وحذفت

---

(١) أمالى ابن الشجرى ١ : ٢٤٣ والعينى ٣ : ٩ والتصريح ١ : ٣١٨ والهمع ٢ : ١١١ : ١٢٥ والأشمونى ٢ : ٩٨ .

(٢) ط : « اللاحقون » ، صوابه فى ش وأمالى ابن الشجرى .

(٣) احبس احبس ، ساقط من ش .

نونه للإضافة فاعل لأتاك الأوّل ، وأتاك الثانى تأكيدٌ له . ولمَّا كان الأوّل متصلا به ضميرُ المفعول اتَّصل بالثانى ليوافق الأوَّل .

وقد اختلف النحويون فى نحو : قام قامَ زيد ، فقيل زيد فاعل الأول فقط ، وأمَّا الثانى فإنَّه يحتاج لفاعل ، لأنّه لم يؤت به للإسناد ، وإنَّما أُتىَ به لمجرد التأكيد . وقيل فاعلهما ، ولا يلزم منه اجتماع العاملين على معمولٍ واحد لأنّ لفظهما ومعناهما واحد ، فكأنَّهما عامل واحد . وقيل فاعلُ أحدهما وفاعل الآخر ضمير محذوف ، على أنّهما تنازعاهُ . وقد ردّه ابن الناظم وابن هشام (فى شرح الألفيَّة) لأنه ليس هذا من مواضع حذف الفاعل ، ولو كان من التنازع لقيل : أتوك أَتاكَ ، أوأَتاك أَتوك .

وأما الثالث فإنّ الأمر الثانىَ توكيدٌ للأمر الأوَّل ، وتوكيد الضمير للضمير بالتبعية ضرورة ، إذْ لايمكن انفكاكه عن الأمر . ويجوز أن يكون توكيداً مقصوداً فيكون من قبيل توكيد الجُمَل .

وزعم العينى أن مفعول احبس تقديره نفسَك . وهذا لايناسب المقام . والظاهر أنَّه بغلتى ؛ لوجود القرينة .

وهذا البيت مع شهرته لم يُعلَم له قائل ولا تتمة . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الستون بعد الثلثمائة :

٣٦٠(لَالَا أبوحُ بحُبِّ بَثْنَةَ إنَّها أخذَتْ علىَّ مواثقاً وعُهودَا[1])

لمَا تقدَّم قبله.وهذا فى الحرف ، وماقبله فى تكرير[2] الاسم والفعل . ٣٥٤

و(أَبُوح) : مضارع باح الشىءُ بَوحاً من باب قال،بمعنى ظهر . ويتعدَّى

---

(١) العينى ٤ : ١١٤ والتصريح ٢ : ١٢٩ والهمع ٢ : ١٢٥ والأشمونى ٣ : ٤ وديوان جميل ٧٩ .

(٢) ط : « تكرر » .

بالحرف فيقال باح به صاحبهُ، وبالهمزة أيضا فيقال أباحه .(بَثنة) بفتح الموحَّدة وسكون المثلثة بعدها نون :اسم محبوبة جميل بن مَعْمر العُذرىّ، والمشهور (بثينة)بالتصغير،وهى مجرورة بالفتحة لأنَّها لاتنصرف. وزعم العينى أنَّها فى محل الجرّ.وقوله إنَّها بالكسر استئناف بيانى. و (مَواثق):جمع مَوثِق ،وهو العهد. وأمّا المواثيق فهو جمع ميثاق ،وربَّما قيل مياثيق على لفظ الواحد.

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ لجميلٍ العُذْرىّ ، وقد تقدمت ترجمتهُ فى الشاهد الثانى والستين [١] .

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد الحادى والستون بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد سيبويه [٢] :

٣٦١ (تَرَاكِها من إبلٍ تَرَاكِها)

على أنَّ المستقبل يجوز تكريره للتأكيد مع فاصلٍ ، كما جاز بدونه . وتراك اسم فعل أمر بمعنى اترك .

وله أورده سيبويه . وهو متعدٍّ إلى الضمير ، [نصبه[٣]] على المفعولَّية. ولما لم يتقدَّم مرجعه فسَّره بالتميز المجرور بمن المبيِّنة .

قال أبو عُبيدة (فى أماليه) : كانوا فى الجاهلية إذا غنموا الغنيمة فلحقها أربابُها قالوا للسائقِين [٤] :

* تَراكِها من إبلٍ تَراكها *

---

(١) الخزانة ١ : ٣٩٧ .

(٢) فى كتابه ١:١٢٣/٢:٣٧ وانظر المقتضب ٣:٣٦٩/٤. ٢٥٢ والكامل ٢٦٩ والمخصص ١٧:٦٦ وابن الشجرى٢: ١١١، ١٣٥ والإنصاف ٥٣٧ وابن يعيش ٤:٥٠ والشذور ٩٠ واللسان(ترك٢٨٧).

(٣) التكملة من ش .

(٤) ط : « للسايقين » بالياء .

أى خلُّوا عنها . فيقول السائِقون [١] .

* أمَا تَرى الموتَ على أوراكها *

أى مآخيرها ، أى إنَّا نحميها . وبعضهم يقول :

* منَاعِها من إبلٍ مناعِها *

فيجاب بقولهم :

* أما ترى الموتَ لدى أرباعها *

يعنون أفتاءها [٢] . انتهى .

وقال يعقوب بن السِّكِّيت : أغيرَ على إبلِ قومٍ منَ العرب ، فلحق أصحابُ الإبل؛فجعلوا لايدنو منها أحدٌ إلا قتلوه،فقال الذين أغارو على الإبل:

تَراكِها من إبـلٍ تَراكهـا أمَا ترى الموتَ لدى أرباعِها

فقال أصحاب الإبل :

مَناعِها من إبلٍ مَناعِهـا أمَا تَرى الموتَ لدى أرباعِها

وفى أمالى ابن الشجرىّ : وقال آخر :

تَراكها من إبـلٍ تَراكِهَـا أمَا تَرى الموت لدى أوراكها

أراد أنَّ أوراكها من شدَّة السَّير كأنها فى استرخائها قد شارفت الموت . ومثلُه قولُ الآخر :

مَناعها من إبلٍ مَناعِهـا أما تَرى الموتَ لدى أرباعِها

(١) ط : « السابقون » بالباء .

(٢) الأفتاء من الدواب : خلاف المسانّ ، واحدها فتى ، مثل يتيم وأيتام . وفى ط:«أفناءها» ، بالنون ، وفى ش : « أبناءها » بباء قبل النون ، والوجه ماأثبت .

الأرباع : جمع الرُّبَع ، وهو ولد النَّاقة التى تَلِده فى الربيع . والهُبَع : الذى تلدُه فى أوّل الصَّيف ، وجمعه أهباع ، كرُطَب وأرطاب . انتهى .

وقوله : أراد أن أوْراكها من شدة السير ، إلخ لا وجه له ، وكأنه لم يقف على ماقدَّمنا .

صاحب الشاهد وقال ابن خلف : هذا قول طُفَيل بن يزيدَ الحارثىّ حين أغارت كِندةُ على نَعَمه ، فلحقهم وهو يقول :

* تَرَاكها من إبل تراكها *
أما ترى الموت إلخ .

ويروى :

* دَرَاكِها من إبِلٍ دَرَاكِها *

ويروى :

* قد لحق الموتُ على أوراكها *

وحمل على فحل الإبل فعقَره ، فاستدارت النَّعم حوله ولحقت به بنو الحارث بن كعب ، فاستنقذوا ماله وهزِمت كندة . قال سيبويه : فهذا اسمٌ لقوله اتركْها ، أى هى محمية من أنْ يُغار عليها ، فاتركها وانجُ بنفسك .وقوله : أرباعها ، الأرباع : جمع رُبَع ،وهو ولد النَّاقة .وأولادُ الإبل تتبعها. والقتالُ يشتدُّ إذا لحق الإبلَ أصحابُها؛وإنما يقع القتالُ عند مآخيرها ، لأنَّ الذين أغاروا عليها يطردونها ويسوقونها ، وأصحابها يمنعونهم من ذلك.وهو مثلُ قول الآخر: ٣٥٥

* أما ترى الموتَ لدى أوراكها *

ويجوز أن يريد بالأرباع جمع ربع بالفتح ، وهو المنزل ، يعنى أنَّهم اقتتلوا فى المواضع التى فيها الإبل . انتهى .

طفيل الحارثى

وطُفيل بن يزيد الحارثى : شاعرٌ فارسٌ جاهلىّ .

ولم يذكر الآمدى (فى المؤتلف والمختلف) هذا ، مع أنّه أورد خمسة ممن اسمهم طفيل

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والستون بعد الثلثمائة [(١)] :

٣٦٢ (أَقْبَلْنَ من ثَهْلانَ أو وادِى خِيَمْ

على قِلاصٍ مثلِ خِيطانِ السَّلَمْ)

على أنَّ الأَندلسىَّ جوَّز أَن يقال فى جمع المذكَّر العاقل المكسَّر: الرِّجال كلُّهنّ،مستدلاّ بهذا البيت . ولم يظهر لى وجهه ، وكأنَّ وجه الاستدلال أَنَّ نون أقبلن ضمير العقلاء الذكور ، أى الرجال أو الرَّكْب أو نحوهما،وإنما أُنِّث لتأويله بالجماعة.والدليل على أَنَّ مرجع الضمير ماذكر قوله بعدُ:

* حتَّى أنخناها على باب الحَكَمْ *

فدلَّ مابعد الكلام على ماقبله . وفيه [أنّه [(٢)]] لايجب أن يتَّحدا ، ويجوز أن تكون النون ضمير النسوة ، أو أَنَّ أصله أقبلنا ، فحذفت الألف ضرورة ، فيكون من باب التقارض .

وهذه المسألة لمْ أرها إلاَّ هنا عن الأندلسى . وقد راجعتُ شروح التسهيل وارتشافَ الضرب ، فلم أر فيها أن النون تعود عَلَى الجمع المكسَّر للعاقل [(٣)] بتأويله بالجماعة.ويشهد لما ذهب إليه الأندلسىُّ قولُ الفرزدق:

* بَحوران يعَصِرن السَّليطَ أقاربه *

(١) ديوان جرير ٥٢٠ برواية مخالفة ، وكامل المبرد ٣٠١ ، ٥٤٦ وسمط اللآلى ٦٤٦ .

(٢) التكملة من ش .

(٣) ط : « العاقل » ، وأثبت مافى ش .

سواء أجعلت النون حرفاً أمْ ضميراً . ويأتى شرحه بعد هذا فى الشاهد السادس والسبعين [(١)] .

صاحب الشاهد

وهذا أوّل رجز لجرير بن الخطفى ، أورد المبرد بعضاً منه (فى الكامل) (وفى الاعتنان) . قال أبو عبيدة : أخبرنا أيُّوب بن كسيب بن عطاء بن الخطفى قال : قدم جرير فى إمرة الحكم بن أيوب الثقفى البصرة ، وكان الحكُم ابنَ عَمِّ الحجاج وعامِلَه . وأنا معه ، وكان أيوب بن كُسَيب لايفارقه ، ومدحَ الحكم فقال :

أقبْلْنَ مِن ثَهْلانَ أو وادِى خِيَمْ
على قِلاصٍ مثلِ خيطان السَّلَمْ
حتى أَنخناها إلى بابِ الحكَمْ [(١)]
خليفةِ الحجَّاج غيرِ المتَّهَمْ
* فى ضئضئ المجد وبُحبوحِ الكرَمْ *

فأعجب به الحكم بن أيوب ووجدَه باقعة . قال : فكتب إلى الحجاج : إنّه قدِم علىَّ أَعرابىٌّ شيطانٌ من أشعر الناسِ وأَفصحهم ، ووصفه له . قال : فكتب الحجاجُ أن يسرِّحه إليه حين يقرأ كتابه . قال : فلما قدم الكتابُ أمرَنا الحكم فشخَصْنا حتى قدِمنا عَلَى الحجَّاج ، وامتدحه جريرٌ بكلمته التى يقول فيها :

ومَن يأمَنُ الحجَّاجَ ، أَمَّا عقابُه
فمُرٌّ وأَمَّـا عَقْـدهُ فوثيـقُ

---

(١) هو الشاهد ٣٧٦ .

(٢) بين هذا الشطر وتاليه فى الكامل :

* اذا قطعن علما بدا علم *

(٣) الباقعة : الذكى العارف لايفوته شىء .

٣٥٦ قال : وأما مِسْحَل بن كسيب أخو أيُّوب فحدَّثنى أنَّ أوَّل كلمةٍ امتدحه بها كلمتُه التى يقول فيها :

مَن سدَّ مُطَّلَعَ النِّفاقِ عليكُمُ
أم من يصولُ كصَولَةِ الحجّاجِ
أم مَن يَغار عَلَى النِّساء عشيَّةً
إذ لا يثقــنَ بغَيرةِ الأزواجِ

قال : فأمر له الحجاج بأربعة آلاف درهم ، وكساءُ حُلَّةً صفراء ، وأنزلَنا فى دار ضيافته . انتهى .

وزاد (فى الكامل) أنَّ جريراً لما دخل عَلَى الحجَّاج قال له : بلغنى أنك ذو بديهةٍ فقل لى فى هذه ـــ لجاريةٍ قائمةٍ عَلَى رأسه ـــ فقال جرير : مالى أنْ أقول فيها حتى أتأمَّلها ، ومالى أنْ أتأمَّل جارية الأمير ؟! فقال : بلى فتأمَّلْها واسألها . فقال لها : مااسمك ياجارية ؟ فأمسكَت ، فقال لها الحجاج : خبِّريه يالَخنْاء . فقالت : أمامة . فقال جرير [(١)] :

ودِّعْ أمامةَ حين حانَ رحيلُ إنَّ الوداَعَ لمن تحبُّ قليلُ
مثلُ الكثيب تمايلَتْ أعطافُه فالرِّيح تجبُرُ متنه وتُميلُ
هذى القلوبُ صواديًا تيَّمتِها وأرى الشفاءَ وما إليه سبيلُ

فقال الحجاج : قد جعل الله لك السبيلَ إليها ، خذْها ، هىَ لك . فضربَ بيده إلى يدها فتمنَّعتْ عليه ؛ فقال :

إن كان طِبُّكم الدَّلاَلَ فإنَّه حسنٌ دَلالُكِ ياأُمَامَ جميلُ [(٢)]

---

(١) ديوان جرير ٤٧٢ .

(٢) الطب ، بالكسر : العادة والشأن . ط :«طلبكم» ،صوابه من الديوان ومن ش مع أثر تصحيح.

فاستَضحكَ الحجاج وأمرَ بتجهيزها معه إلى اليمامة . وخُبِّرْتُ أنَّها كانت من أهل الرَّىِّ ، وكان إخوَتُها أحراراً ، فاتَّبَعوه فاعطَوْه بها حتى بلغوا عشرين ألفا ، فلم يفعل . وفى ذلك يقول :

إذا عَرَضوا عشرين ألفاً تعرَّضَتْ
لأمِّ حكيم حاجةٌ هى ماهيا [1]

لقد زدتِ أهلَ الرَّىِّ عندى مودَّةً
وحبَّبْتِ أضعافاً إلىَّ المواليا [2]

فأولدها حكيما ، وبلالا ، وحَزْرة ، بنى جرير [3] . انتهى .

وثهلان : بفتح المثلثة : جبل باليمن ، وقال حمزة الأصبهانى : هو جبلٌ بالعالية . وأصل الثَّهَل الانبساط على الأرض . ولضخم هذا الجبل تضرب به العربُ المثَلَ فى الثِّقَل فتقول : « أثقل من ثَهْلانُ ! » . و(خِيَم) بكسر الخاء المعجمة : جبل . قال صاحب الأغانى : ثَهْلان :جبلٌ كان لباهلة ، ثم غلبت عليه نمير . وخِيَم : جبلٌ يناوحه من طرفه الأقصى ، فيما بين رُكنه الأقصى وبين مطلِع الشمس ، به ماءٌ ونخل . انتهى .

وهذا هو المشهور ، والذى فى ديوانه ، ورواه أبو عبيد البكرى (فى المعجم) :

* أقبلن من جَنْبى فِتاخ وإضَمْ *

---

(١) فى ديوان جرير ٥٩٩ · « اذا أعرضوا ألفين منها » ، تحريف ماهنا .

(٢) فى ديوان جرير : « عندى ملاحة » .

(٣) قال المبرد بعد هذا : « هؤلاء من أذكُرُ من ولدها » . وقد وجدت فى الأغانى ٧ : ١٦٣ وجمهرة بن حزم ٢٢٥ ابنا رابعا هو نوح ابن جرير .

وقال : فِتاخ بكسر الفاء بعدها مثناة فوقية وآخره خاء معجمة:موضع. وقال الهَجَرىُّ : فتاخ بأطراف الدَّهناءِ مما يلى اليمامة . وإضم بكسر الهمزة : وادٍ دون المدينة ، وقيل جبل .والقلاص : جمع قَلوص ، وهى الناقة الشابة. و(خِيطان) : جمع خُوط بضم الخاء المعجمة ، وهو الغصن . وروى الزمخشرى (فى مستقصى الامثال) : « مثلَ أغصان السلم » . أراد أنَّ القلاص هُزِلت من شدة السفر حتى صارت كأغصان السَّلم ، فى الدِّقّة والضمر .

وزاد أبو عبيدة البكرى بعد هذا (فى شرح أمالى القالى) :

٣٥٧ قد طُويت بطونُها على الأُدَمْ إذا قطعن علماً بدا علَمْ

فهنَّ بَحْثاً كمضِلَّات الخدم حتَّى تناهينَ إلى باب الحكم

العلمُ : الجبل . قال الزمخشرى (فى مستقصى الامثال) . قوله :

* إذا قطعْنَ علماً بدا عَلمْ *

مثلٌ يضرب لمن يفرُغ من أمر فيعرضُ له آخر .

وقوله : « فهن بحثا » أى يبحثن بحثاً بمناسِمهنّ الأرض ، كما يبحث المُضِلّات خَلاخِيلَهنَّ فى التراب . والخَدَم : جمع خَدَمة بفتح الخاء المعجمة وفتح الدال المهملة ، هو الخلخال . والضِّئْضِىءُ، بكسر الضادين المعجمتين والهمزة الأولى بينهما ساكنة : الأصل والجنس . والبُحبوح بضم الباءين والحاء المهملة الأول بينهما ساكنة : الوسط .

وقد أورد صاحب (الأغانى) حكاية جرير مع الحجاج على غير هذا النَّمَط ، وأطال وزاد الأبيات [1] .

---

(١) الأغانى ٧ : ٤٠ .

وترجمةُ جرير قد تقدَّمت فى الشاهد الرابع فى أول الكتاب [١].

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والستون بعد الثلثمائة [٢]:

٣٦٣ (ياليتَنى كنتُ صبيًّا مرضَعا تَحمِلنى الذَّلفاءُ حولاً أكتعا)

على أنَّ الكوفيين استشهدوا به على جواز توكيد النكرة المؤقَّتة المعلومة المقدار ، وهو حَولٌ بمعنى العام.

قال صاحب المصباح : حال حَوْلا من باب قال ، إذا مضَى . ومنه قيل للعام حَولٌ وإن لم يمض ، لأنَّه سيكون حولاً ، تسميةً بالمصدر .

وفيه شاهدٌ آخر،وهو التأكيد بأكتع غيرَ مسبوق بأجمع.وبعده بيتٌ آخر وهو:

(إذا بكيتُ قبَّلتنى أربَعا إذن ظَلِلتُ الدَّهرَ أبكى أجمعا)

وفيه أيضا شاهدانِ : أحدهُما : التأكيد بأجمع غير مسبوق بكلّ . وثانيهما : الفصل بين المؤكِّد وهو الدهر ، وبين المؤكَّد وهو أجمعا ، بجملة أبكى . وبهذا استشهد ابن هشام (فى المغنى) .

قال ابن عبد ربه (فى العقد الفريد) : نظرَ أعرابىٌّ إلى امرأةٍ حسناءَ ومعها صبىٌّ يبكى ، فكلَّما بكى قبَّلته ، فأنشأ يقول هذا الرجز .

وقوله : (ياليتنى) إلخ ياحرف تنبيه ، ومُرضَع اسم مفعول من أرضعتْه إرضاعا . وجمله (تحملنى الذلفاء) صفة ثانية . ويجوز أن تكون حالاً من ضميرِ مُرضَع ، ويجوز أن تكون خبراً ثانيا لكنت . و(الذلفاء) بفتح الذال المعجمة وبعد اللام الساكنة فاء : وصفٌ مؤنّثُ أذلف ، من الذَّلَف ، وهو صِغَر الأنف واستواء الأرنبة . ويحتمل أنّه اسم امرأةٍ منقولٌ من هذا .

---

(١) الخزانة ١ : ٧٥ .

(٢) العقد ٣ : ٣٦٠ والمغنى ٦١٤ والعينى ٤ : ٩٣ والهمع ٢ : ١٢٤ والأشمونى ٣ : ٧٦ ، ٧٨ .

و(أكتع) قال صاحب الصحاح : يقال إنّه مأخوذٌ من قولهم : أتى عليه حولٌ كتيع ، أى تامّ .

وقوله : « أربعا » ، أى تقبيلاً أربعا . وظللت بكسر اللام ، وظلّ بمعنى استمر من أخوات كان ، التاء اسمها ، وجملة أبكى فى موضع نصب خبرها ، والدَّهرَ ظرف لأبكى . وجملة إذن ظللت إلخ جوابٌ لشرط محذوف ، أى إن حصل ماتمنَّيتُه استمررْتُ فى البكاء حتّى تستمرَّ الذلفاءُ تحملنى وتقبّلنى كلّما بكيت . وزعم العينى أنّ التقدير إن لم يكن الأمر كذا إذن ظللت إلخ . ولايخفى أنّ هذا عكسُ مراد الشاعر .

* * *

وأنشد بعده :

(قد صرَّت البَكْرةُ يوماً أجمعا)

لما تقدَّم قبله .

قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة)[1] : هذا شاذٌّ ، وإنْ لم يكن مصنوعاً فوجهه عندى أنَّ أجمع هذه ليست التى تستعمل للتأكيد ، أعنى التى مؤنثها جمعاء ، ولكن التى فى قولك أخذت المال بأجمَعه وأجْمُعه ، بفتح الميم وضمها ، أى بكُلِّيّته ، فدخول العامل عليها ومباشرتُه إيَّاها يدلُّ على أنَّها ليست التابعة للتوكيد ، فذلك قوله يوما أجمعا أى يوما بأجمعه ، ثم حذف حرف الجر ، ثم أبدل الهاء ألفاً فصار أجمعا . انتهى

وقال العينى : الرواية الصحيحة :

* قد صرَّت البكرة يومَا أجمَعِ *

على أنّ يومَا من غير تنوين ، وأصله يومِى ، فالألف منقلبة عن ياء المتكلم ، فأجمع توكيد للمعرفة .

(١) الورقة ١٤٧ .

أقول : إن كان يومى ظرفاً فلم لم ينصب أجمع ، وإن كان غير ذلك فما هو ، مع أنّ ماقبله عنده :

* إنّا إذا خُطّافنا تقعقعا *

وهذا من الرجز الذى لايجوزُ اختلاف قوافيه . وهذا التوجيه تعسُّفه ظاهر ككلام ابن جنى .

وقد استدلَّ الكوفيُّون بأبياتٍ أُخر ، منها قوله :

لكنّه شاقَه أن قيل ذا رجبُ ياليتَ عدّة حولٍ كلّه رجبُ

ومنها قوله :

* ثلاثٌ كلُّهنّ قتلتُ عمداً *

ومنها قوله :

إذا القَعودُ كرَّ فيها حَفَدا يوماً جديدا كلَّه مطّردا

ومنها قوله [1] :

زَحَرتَ به ليلةً كلَّها فجئْتَ به مُودَناً خنفقيقا

قال ابن الأنبارى (فى مسائل الخلاف) : أجاب البصريُّونَ عن هذه الأبيات بأنّ الرواية فى الأوّل «ياليتَ عدّة حَولى» بالإضافة إلى الياء . وعن الثانى بأنَّ كلهنّ بدلٌ من ثلاث ، أو جملة كلُّهن قَتلتُ خبر عن الثلاث . وعن الثالث بأنّ كله بالرفع لتوكيد الضمير فى جديد . وأمَّا قد صرّت البكرة يوماً أجمعا فمجهول . لايعرف قائله .

هذا كلامه ، وهو مبنىٌّ على الطعن فى روايتهم ، وهذا لايجوز ، لأنَّهم ثِقات .

ثم قال : وأمّا قول الكوفيين بأنّ اليوم مؤقت فيجوز أن تقعد بعضه،

---

(١) هو شتيم بن خويلد ، كما فى الحيوان ٣ : ٨٢ واللسان (خفق). وانظر الإنصاف ٤٥١ ــ ٤٥٦ .

والليلة مؤقّتة فيجوز أن تقوم بعضها ،فإذا أُكِّدتْ صحَّ معنى التاكيد . قلنا : هذا لايستقيم ، فإنّ اليوم وإن كان مؤقتا إلا أنه لم يخرج عن كونه نكرة شائعة ،وتأكيدها بالمعرفة لايجوز،لأن تأكيد ما لا يُعرف لافائدة فيه.انتهى

أقول : ادِّعاؤه عدمَ الاستقامة ممنوع ، والفرق ظاهر ، فإن التأكيد باعتبار أجزاء اليوم والليلة ليشمل جميعها ، والشُّيوع باعتبار جنس اليوم والليلة ، فأين هذا من ذاك .

وقد أشار الشارح المحقق إلى ماذكرنا ، والله أعلم .

وقد تقدم شرحُ هذا البيت فى الشاهد الخامس والعشرين من أوائل الكتاب[١].

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والستون بعد الثلثمائة [٢] :

٣٦٤ (أُولَاكَ بنو خيرٍ وشرٍّ كليهما   جميعاً ومعروفٍ أَلَمَّ ومُنكَرِ)

على أنَّ حمل (كليهما) فيه على البدل عند أهل المصرَين أولى ؛ لأنَّ خيراً وشراً ليسا بمؤقتين .

قال ابن جنىّ (فى إعراب الحماسة) : الوجه فى قوله : بنو خير وشرٍّ كليهما ، أن لايكون كليهما تأكيداً ، لكن يكون بدلاً من خير وشرّ ، حتى كأنه قال : بنو كلِّ خيرٍ وشرٍّ ؛ فقد يضاف إلى المفرد المعطوف عليه مثلُه بالواو فى ضرورة الشعر ، كما قال :   ٣٥٩

كلا السيَّف والسَّاقِ التى ضُرِبتْ به   على دَهَشٍ أَلقاه باثنين صاحبه[٣]

---

(١) الجزء الأول ص ١٨١ .

(٢) يس على التصريح ٢ : ١٢٤ والحماسة بشرح المرزوقى ٩٩٠ وشرح التبريزى ٣ : ٣٤ .

(٣) وكذا فى نسخة إعراب الحماسة الورقة ١٤٦ : « باثنين » .

وإنما جاز ذلك من حيث كان ماعُطف بالواو بمنزلة ماجمع فى لفظةٍ واحدة . ألا تَراكَ تقول : زيد وعمرو أخوَاكَ ، فإن أخبرتَ عنهما جميعاً قلت : اللذان هما أخَوَاك زيد وعمرو ، فتأتى بضميرهما جزءاً واحداً ، وكان أحدهما على صاحبه معطوفاً [١] . وكذلك : زيد وعمرو مررت بهما . انتهى .

صاحب الشاهد

وهذا البيت آخر أبياتٍ أربعة لمسافع بن حُذيفة العبسىّ ، مذكورةٍ فى باب المراثى من الحماسة ، وهى :

(أبعْدَ بنى عمرو أُسَرّ بُمقْبلٍ من العيش أو آسىَ عَلَى إثْر مُدبرِ

وليس وراءَ الشىء شىءٌ يرُدّه عليك إذا ولّى سوى الصَّبر فاصبرِ

سلامٌ بنى عمرو عَلَى حيث هامُكم جمال النَّدىِّ والقنا والسَّنَوَّرِ

أولاك بنو خير .... البيت)

قوله : « أبعد بنى عمرو » إلخ الهمزة للاستفهام الإنكارى ، وأُسَرُّ بالبناء للمفعول من السرور ، ومُقبل بمعنى آت ، ومدبر بمعنى ذاهب . وآسى : مضارعُ أسِىَ ، من باب تعب ، بمعنى حزن .

وقوله : « سوى الصبر » استثناء منقطع ، لأنَّ الصَّبر ليس من الشىء الرادّ الفائتَ فى شىء . يقول: أأسر بعيش مُقبل ،أو زمنٍ مُساعد ،بعد أن فجعت بهؤلاء، أو أحزنُ فى إثر فائت أُو أجزع لتولِّى مُدْبر ،وليس وراءَ الشىء الفائت شىءٌ يردُّه عليك، فالأولى أنْ تتمسَّك بالصَّبر وتعتصِمَ به، فاصبر.

وقوله:«سلامٌ بنى عمرو»إلخ سلام مبتدأ،وجاز الابتداء به لتضمُّنه الدعاء وخبره قوله «على حيث هامكم».قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : هامُكم مبتدأ محذوف الخبر،من جملة مجرورة الموضع بإضافة حيث إليها،أى

---

(١) ط : « معطوف » ، صوابه فى ش واعراب الحماسة .

حيث هامكم متصوَّرة ، أى موجودة [1]. ومثله قولهم : جئتك إذ ذاك ، أى إذْ ذاك كذاك ، فحذف الخبر من الجملة المجرورة الموضع بإضافة إذ إليها . انتهى.

وذكر الهام على عادة العرب ،فى زعمهم أنَّ عظامَ الموتى تصير هاماً تطير. وبنى عمرو منادًى بحرف النداء المحذوف . وجمال الندِىِّ منصوب على المدح . وقال ابن جنى : نصب جمالَ الندىِّ لأنَّه بدلٌ من بنى عمرو . والنَّدِىُّ بتشديد الياء : المجلس ، لغة فى النادِى . وقال ابن جنى : لام الندىّ واو ، لأنه فعيل من النَّدوة ، وهى موضعُ جلوس النادى والندِىّ . انتهى .

والقنا : جمع قناة ، وهى الرُّمح . والسَّنَّوَّر بفتح السِّين والنون والواو المشدَّدة : لَبوسٌ من قِدٍّ كالدِّرع . يعنى أنَّهم جمالُ المجالسِ يومَ الجَمْع ، وزَين السِّلاح غداةَ الرَّوع .

وقوله : (أولاك) الخ هو مبتدأ ، لغة فى أولئك ؛ وبنو خبر المبتدأ . أراد أنَّهم ملازمون لِفعل الخير والشَّرّ مع الأصدقاء والأعداء ، كما يقال فلان أخو الحرب . وجميعاً : حال مؤكِّدة لصاحبها . وقوله (معروفٍ) هو بالجرّ معطوف على خير ، وكذلك منكر . والمعروف : الجميل الظاهر ، وضدُّه المنكر ، فهما أخصُّ من الخير والشر ، فإنَّ الخير قد يكون ظاهرُهُ شَراًّ كالدواء المُرّ . والشرُّ قد يكون ظاهره خيراً كهوى النفس . و(ألَمَّ) بمعنى نزل وعرَض ، والجملة صفة معروف ، ومثله مقدَّر بعد منْكر . ٣٦٠

ومسافع،بضم الميم وكسر الفاء ،ابن حُذيفة بالتصغير ،العَبْسى بالباء الموحدة ، وهو شاعرٌ فارسٌ من شعراء الجاهلية . (مسافع العبسى)

---

(١) فى إعراب الحماسة ١٤٦ : « أى حيث هامكم مقبورة أو موجودة » .

البدل

أنشد فيه ، وهو الشاهد الخامس والستون بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد سيبويه [١] :

٣٦٥ (يامَىَّ إنْ تَفقِدى قوماً ولدتِهِمُ
أوْ تُخْلَسِيهِمْ فإنَّ الدَّهرَ خَلاَّسُ
عمروٌ وعبدُ منافٍ والذى عَهِدتْ
ببطن عَرعَرَ : آبى الظُّلم عبَّاسَ)

على أن قوله (عمرو وعبد مناف والذى) بدلٌ مقطوع من قوماً .

ومانقله الشارح من سيبويه إلى الشعر ، هو نصُّ عبارته بحروفه .

قال ابن خلف : الشاهد فيه رفع عمرو ومابعده بالابتداء ، كأنه قال : منهم أو من القوم الذين فقدوا ، أو يكون خبر مبتدأ ، كأنّه قال : بعضهم . ولو نُصِبَتْ على البدل من القوم لجاز . وعباس بدلٌ من آبى،وآبى بدل من الذى ، ولو أبدِلَتْ فسد الكلام ، لأنَّا إذا نصبنا وجب أن ينصب الذى هو بدل منه ، فكنا نقول عباساً . وقوله : (تُخْلَسيهم) بالبناء للمفعول،أى يؤخذون منكِ بغتة ، فإنَّ الدهر من شأنه أنْ يؤخذَ فيه الشيء بغتة . وعرعر: مكان.ويروى:«ببطن مكة». وأراد بعمرو عمرو بنَ عبد مناف بن قُصىّ،وهو هاشم بن عبد مناف،وسمِّى هاشماً لهَشْمه الثرِيدَ لقومه فى مَجاعةٍ أصابتهم.والعباَّس هو ابن عبد المطَّلب،وإنما قال ولدتِهِم لما بين هُذيل وقريش من

(١) فى كتابه ١ : ٢٢٥ وديوان الهذليين ٣ : ١ وشرح السكرى ٢٢٦ ، ٤٣٩ .

القرابة فى النَّسب والدارِ ، لأنهم كلَّهم من ولد مدركة بن الياس بن مضر .
وقوله : (والذى عهدَتْ) الضمير يرجع إلى مىّ ، وعدلَ عن خطابها وأخبر عنها باللفظ الذى يكون للغائب ، أراد الذى عهدتِ ، فلم يستقم له . ومَىّ : مرخَّم ميَّة .

صاحب الشاهد

وهذان البيتان مطلعا قصيدة لأبى ذؤيب الهذلى ، عدّتها خمسة عشر بيتا أوردها أبو سعيد السكَّرىُّ فى أشعار الهذليين ، وبعدهما :

أبيات الشاهد

(يامىّ إنَّ سبَاع الأرض هالكةٌ والغُفْر والأُدْمُ والآرامُ والنّاسُ)

الغُفْر بضم الغين وسكون الفاء : ولد الوعِل ، ونقل شارح (شواهد المفصَّل) عن صاحب (المقتبس) أنه القُفْز بالقاف والفاء والزاى المعجمة ، وهو جمع أقفز ، وهو من الخيل : المحجَّلُ من يديه لا رجليه . وهذا تحريفٌ قطعا . ونقل أيضاً عن صاحب (الإقليد) أنه العُفْر بعين مهملة ، وهو جمع أعفر ، وهو الأبيض . وليس بسديد . وظبية عَفْراء : يعلو بياضها حمرة ؛ وهى قصارُ الأعناق . والأدم بالضم من الظباء : بيضٌ تعلوهنَّ خطوطٌ فيهنَّ غبرة تسكن الجبال ، يقال ظبيةٌ أدماء وظبىٌ آدم . والآرام: الظِّباء البِيض الخالصة البياض ، الواحد رئم بالهمز ، وهى تسكن الرمل .

تاللهِ لايُعجِزُ الأيَّامَ مبتركٌ فى حومة الموتِ رزّامٌ وفرَّاسُ)

لايُعجِزُ : لايغلب . والمبترك : الأسد ، من ابتركه ، إذا صرعه وجعله تحت بَرْكِه ، وهو الصَّدر . وأغرب الكَرْمانى (فى شرح شواهد الموشح)ورواه «المنتزِك» بالنون والزاى المعجمة ،أى الذى له نَيزك[1] أى رمحٌ قصير،

---

(١) ط : « منزك » ، صوابه فى ش . ومنه قول العجاج :

* مطرر كالنيزك المطرور *

كأنّه فارسيٌّ معرب . وحَومة الموت : الموضعُ الذى يدور فيه الموت لايبرح منه.والرَّزّام بتقديم المهملة : الصرَّاع ، يقال رَزَم به ، إذا صرَعه . والفَرَّاس : الذى يدقُّ الأعناق ؛ ومنه فريسة الأسد ، لأنّه يدقّ عنقها .

(يَحمي الصَّرِيمَةَ أُحْدانُ الرِّجالِ له
صَيدٌ ومُستَمِعٌ بالّليلِ هَجّاسُ)

قال السكرىّ : الصريمة ههنا : موضع . وأحدانُ الرجال : ماانفردَ من الرِّجال . وقال غيره : الصَّرِيمة : رملةٌ فيها شجرٌ حماها من أن يدخَلها أحدٌ خوفاً منه . وأُحدانُ الرجال : الذين يقول أحدهُم : أنا الذى لانظير له فى الشجاعة والبأس . يقول : هذا الأسد يصيد هؤلاء الذين يُدِلُّون بالشجاعة .

وهذان البيتان أيضاً استشهد بهما سيبويه على جرى الصِّفات على ماقبلها مع مافيها من معنى التعظيم ، ولو نصَب لجاز . وهَجَّاس : يهجس . وروى بدله : « همَّاس » من الهمس . قال النحّاس : همَّاس : دَقَّاق للرِّقاب مكسِّر لها . قال ابن خلف : وأحدان الرجال يروى بالرفع والنصب ، فمن رفع قال أحدان مبتدأ وصيد خبره ، ومن نصب جعله مفعول يحمى ، كأنه قال : يحمى الصَّرِيمة من أحدان الرجال ، فصيدٌ على هذا مبتدأ وله خبره . ومستمع ، وروى بدله « مجترئ » : خبر مبتدأ محذوف ، أى وهو مستمع ، أو هو معطوف على رزَّام ، وهو الوجه الذى رواه [(١)] سيبويه ، والشاهد على أنه عطف همَّاس . قال النحاس : ويجوز نصب مجترئ على أعنى .

(يامىّ لايُعجز الأيَّامَ ذو حَيدٍ
بمشْمَخرٍّ به الظَّيَّانُ والآسُ)

---

(١) ط : « أراد » صوابه فى ش . وانظر هذه الرواية فى سيبويه ١ : ٢٥١ .

روى صدرَه صاحب (المفصَّل) :

* لله يبقَى عَلَى الأَيَّام ذو حيدٍ *

على أنَّ اللام فى لله للقسم والتعجُّب معا . وتبعه صاحب (المغنى) . ورواه صاحب (الجمل) : «تالله يبقى» بالمثناة الفوقية . قال ابن السِّيد : ويروى بالباء الموحَّدة ، وكلاهما قسمٌ فيه معنى التعجُّب . وقال اللخمى : ورواية سيبويه « لله » باللام . وقوله « يبقى » جواب القسم بتقدير لا النافية ، ويعنى بقوله ذو حيد الوعِل . قال المبرد : الحيَد بفتحتين : الرَّوغان والفِرار . والمشهور حِيَد بكسر المهملة وفتح المثناة التحتية ، جمع حَيْدة ، كحِيَض جمع حَيضة . وهذه رواية ثعلب والسكرى . قال اللخمى : قوله ذو حيد يروى بفتح الحاءِ وكسرها،فمن رواه بالفتح فهو اعوجاجٌ يكون فى قرن الوعل ، وقيل إنه مصدر من حاد يحيد حَيْدا ، وأصله السكون فلما اضطُرّ حرَّك الياء ، ومعناه الرَّوَغان . وقيل هو جمع حيدة ، وهى العُقدة التى تكون فى قرنه . وقيل الحَيَد القوّة .ومن روى : «حِيَدا» بالكسر فهى نتوءات ، والواحدة حَيْدة.ويروى : «ذو جَيَد» بالجيم ،وهو جناح مائل من الجبل ، وقيل يعنى به الظَّبْى . والوَعِل : التَّيس الجبَلى ، ويقال للأُنثى أُروِيَّة بضمّ الهمزة وتشديد الياء ، وربما قالوا وَعِلة . انتهى .

وزعم الدمامينىُّ (فى الحاشية الهندية) أنّ حِيَدا بكسر الحاءِ جمع حَيدة بفتحها، كبِدَر جمع بَدْرة ،وهى الحرف النَّاتِىءُ فى عرض الجبل لا فى أعلاه . هذا كلامه ،وهذا غير مناسب للمقام. والمشمخرُّ :الجبل الطويل ،وقيل العالى. والباء بمعنى فى.والظَّيَّان بفتح المعجمة وتشديد المثناة التحتية:ياسَمين البَرّ ،وقيل الرمّان الجبَلى.والآسُ،قال ابن السِّيد :هو الرَّيحان ،وقيل الآس : أثرُ النحل إذا مرَّت فسقط منها بعضُ نقط من العسل ،حكاه الشَّيبانى. وقال صاحب كتاب العين: هو شىءٌ من العسل . وأوضحه ابن المستوفى (فى شرح شواهد

٣٦٢

المفصل) فقال : هو نقطٌ من العسل تقع من النحل على الحجارة ، فيستدلُّون بتلك النُّقَط على مواضع النحل . وقال اللخمى : الآس هنا بقيَّة العسل فى موضع النحل ، كما سمِّىَ بقيَّةُ التمر فى الجُلَّة [1] قَوسا ، وباقى السَّمن فى النِّحْي كعبا ، وقالوا للقطعة من الأقط ثَوْر .والآسُ فى غير هذا : المشموم . قال ابن دريد : وهو دخيلٌ فى كلام العرب ، إلا أنَّهم قد تكلَّموا به . وقوله «على الأَيام» حال على حذف مضاف ، أى على تعاقُب الأيام أو على مرورها ، أى لايبقى ذو حِيدَ والأيامُ متعاقبةٌ عليه . وقوله : «بمشمخرّ» صفة لذى حيد . وكذلك قوله « به » صفة لمشمخرّ . والظيان فاعل به . ووقع فى رواية سيبويه تركيب مصراعين من بيتين هكذا :

يامىّ لايعجز الأَيَّامَ ذو حيدٍ ... فى حَومة الموت رزَّامٌ وفرّاسُ
يحمى الصريمة . . . . البيت

قال السيرافى : وقع فى البيت الأول من هذين غلطٌ من كتاب سيبويه ، لأنَّ قوله ذو حِيَد وعل ، ورزّام وفراس أسد ، والصواب الذى حملته الرواة :

يامىّ لايعجز الأيامَ ذو حِيَد ... بمشمخرٍّ به الظَّيَّانُ والآسُ

والقصيدة لأبى ذؤيب الهذلى كما ذكرنا ، وقد أثبتها له السكرىُّ فى أشعار الهذليين ، وتقدمت ترجمته فى الشاهد السابع والستين [2] .

صاحب الشاهد

ووقع هذا الشعرُ فى كتاب سيبويه معزواً لمالك بن خالد الخُنَاعىّ بضم الخاء المعجمة وتخفيف النون : بطنٌ من هذيل ، وهو خُناعة بن سعد بن هُذيل بن مدركة بن الياس بن مضر .

وقال اللخمى : وبعضهم رَوى هذا الشعر لأمية بن أبى عائذ الهذلى .

---

(١) الجلة ، بالضم : وعاء من الخوص يكنز فيه التمر . ط : « الجاهلية » صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٢) الخزانة ١ : ٤٢٢ .

وأنشده الزمخشرى (فى المفصل) لعبد مناف الهذلى .

وقال ابن السيد : وروى للفَضْل بن عباس بن عتبة بن أبى لهب .

وقال ابن المستوفى (فى شرح شواهد المفصَّل) : ورواه أبو الحسن الأخفش لأبى زبيد الطائى . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده :

(أقسم بالله أبو حفص عمر)

تقدم شرحُه قريباً [1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والستون بعد الثلثمائة [2]:

٣٦٦ (فلا وأبيكِ خَيرٍ منك أنِّى
لَيُؤْذينى التَّحمحُمُ والصَّهيلُ)

على أنّ (خيرٍ) بالجر بدل من أبيك بتقدير الموصوف ، أى رجل خير منك ، وهذا البدل بدلُ كلٍّ من كلّ . ومع اعتبار الموصوف يكون الإبدال جارياً على القاعدة ، وهى أنه إذا كان البدل نكرةً من معرفة يجب وصفها كقوله : ﴿بالناصية * ناصِيَةٍ كاذبة [3] ﴾.وهذا على رواية الجر . وفيه رواية أخرى وهى رفع خير ، قال أبو الحسن الأخفش فى شرحَ نوادر أبىَ زيد : ومن روى « خيرٌ منك » بالرفع فكأنه قال : هو خيرٌ منك .

وهذا البيت من أبيات سبعة لشُمَير بن الحارث الضبى،رواها أبو زيد ٣٦٢ صاحب الشاهد

(١) فى الشاهد ٣٥٨ ص ١٥٤ .

(٢) نوادر أبى زيد ١٢٤ والمقرب لابن عصفور ٥٢ .

(٣) الآيتان ١٥ ، ١٦ من العلق .

(فى نوادره) . وهى فى رواية ابن الأعرابى خمسةٌ بحذف الثالث والسابع . وهذه رواية أبى زيد :

أبيات الشاهد

(دعوتُ اللهَ حتى خفتُ أن لا يكونَ الله يَسمعُ ماأقولُ
لِيحملَنى عَلَى فرسٍ فإنّى ضعيفُ المشى للأَدنى حَمولُ
أُحِبُّ الخيلَ إن لامت عليه إناثُ الخيل والذكرُ الطويلُ [١]
ينعِّم بالَ عينِى أنْ أراه أمامَ البيت مَحْجِرُهُ أسيلُ
فإنْ فزِعُوا فزِعتُ وإن يعودوا فَراضٍ مشيُه عَتِدٌ رجيلُ
فلا وأبيكِ خيرٌ منكِ إنِّى ليؤذينى التحمحمُ والصَّهيلُ
ولست بنأنأٍ لمَّا التقينا تَهيَّبُنى الكريمةُ والأفيلُ)

قال أبو حاتم :يَسْمَع أى يجيب ، ومنه:سمع اللهُ لمن حَمِده . وقوله : ليحملنى علة لدعوت [٢] . وقوله : «ضعيف المشى» رواه أبو حاتم : «ضعيف المتن» وحمول خبرٌ ثان لإنّ.وقوله:أُحِبُّ الخيلَ إن لامت عليه، هو مثل قولك أقوم إنْ قامَ زيد . ولامت من اللوم ، فاعله ضمير امرأته ونحوها . قال أبو على:أى لامت على حَبْسه ، وفى لامت ضمير فاعلةٍ أضمِرَت لدلالة الحال عليه . انتهى .

وفيه شاهدٌ ، وهو رجوع الضَّمير المذكر على الخيل . وقوله : « إناثُ الخيل » هو خبر مبتدأ محذوف ، أى الذى أحبُّ أو ماأحبُّ إناث الخيل . وقوله : « الذكر الطويل » أى طويل الظهر .

وقوله : «ينعِّم» الخ من التنعُّم وهو الترفُّه ، يقال نعَّمه تنعيماً أى رفَّهه ، وفاعله قوله أن أراه ، والهاء ضمير الذكر الطويل . وروى ابن الأعرابىّ فى

---

(١) فى النوادر : « أحب المال » .

(٢) علة ، ساقطة من ش .

نوادره : « ينعِّم بالَ نفسى » .وعليه فالبال بمعنى الخاطر والقلب . وجملة « محجره أسيل » حال منه . والمحجر ، كمجلس ، بتقديم الحاء على الجيم : ماحول العين ، أراد أسفل العين وهو الخدُّ ، لأنَّه يقال أسيل الخدِّ إذا كان ليِّنَ الخَدِّ [1] طويلَهُ . وكل مسترسل أسيلٌ أيضاً .

وقوله : « فإن فزعوا فزعت » الفزع : الإغاثة والنَّصر . ويعودوا فى رواية أبى زيد بالعين ، وفى رواية ابن الأعرابىِّ بالقاف . وقوله : «فراضٍ مشيهُ » روى برفع مشيه على أنه مبتدأ أوّل وراضٍ خبره ، أى ذو رضا، كقوله:عيشة راضية ولَيلٌ نائم . وروى بنصب مشيَه براضٍ ، فراض خبر مبتدأ محذوف ، أى فأنا راضٍ مشيَه . كذا قال الأخفش فيما كتبه على نوادر أبى زيد . وفرس عَتَد بفتحتين وبفتح فكسر : المعَدُّ للجرى . قال ابن السكيت : هو الشديد التامُّ الخلْق . والرَّجيل بالجيم ، هو من الخيل الذى لايَحْفَى ، وقيل الذى لايعرق .
وروى ابن الأعرابىّ فى نوادره :

فإنْ فزعوا فزِعتُ وإن يقودوا
فراضٍ مشيُـه حَسنٌ جميـلُ

وعلى هذا تقديره : فأنا راض ، ومشيه مبتدأ وحَسَنٌ خبره .

وقوله : (فلا وأبيكِ خَيرٌ منكِ) الكاف فى أبيك ومنك مكسورة ، خطابٌ للمرأة التى لامته على حبِّ الخيل،على طريق الالتفات من الغيبة إلى الخطاب ،و«لا» نفى لما زعَمتْه ،والواو للقسم.وجملة (إنِّى ليؤذينى)إلخ جواب القسم. واختلفوا فى معناه ، فقال أبو الفضل:قوله ويؤذينى أى يغمُّنى وليس هو لى فى مِلك.وقال أبو حاتم والفارسى:أى ليؤذينى فقد التَّحمحم.وفى هذا

(١) ط : « لين الخلق » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

حذفُ مضاف ، ورواه ابن الأعرابى : (فى نوادره) وتبعه ابن دريد : «ليؤذننى» بنونين ، قال: يؤذُنُنى أَى يعجبنى ، من أذِنت له . قال أَبو محمد الأسود الأعرابىّ فيما كتبه على نوادر ابن الأعرابى وسماه (ضالة الأديب) : وصوابه «لُيؤْذينى التَّحمحم» من الإيذاء ، أى فِقدانُ التحمحم ، فحذف .

والتحمحم:صوت الفرس إذا طلب العلف . يقال حمحم الفرس وتحمحم .وصهيل الفرس : صوته مطلقاً ، فهو من عطف العام على الخاصّ.

وقوله : « ولست بنأنأ » إلخ النأنأ بنونين وهمزتين على وزن جعفر ، هو الضعيف من الرجال . يقال نأنأ فى رأيه نأنأة ، إذا ضُعف فيه.وقوله : تهيَّبُني أصله بتاءين ، مضارع تهيَّبه أى هابه، وفيه قلب ،أى لاأهاب الكريمة من الإبل أن أعقرَها للضيف ولايتعاظمُنى ذلك .والأفيل ،قال أبو زيد: هو الأفتاءُ من الإبل .وقال الأصمعى : ابن تسعة أشهر أو ثمانية . وفى العباب : الأفيل : ابن المَخاض وابنُ اللَّبون ، والأنثى أفيلة ، فإذا ارتفع عن ذلك فليس بأفيل . وروى بدل الكريمة : «الكريهة» وهى الحرب .قال الأخفش (فيما كتبه على نوادر أبى زيد) : الذى أَختار رواية « لايُهيِّبُني الكريمة [١]» يقول : لايهيِّبي كبير مالى ولاصغيرُه إذا ورد ضيفٌ علىّ . والأفيل : الصَّغير ، هكذا حفظى ، وليس له وقتٌ محدود . ومَن روَى الكريهة يقول: أنا أقاتل وأعقر للأضيافِ الأفيل . ولا أدرى لم خصَّ الأفيل دون غيره . انتهى .

شمير بن الحارث

وشُمير بضم الشين المعجمة وفتح الميم وآخره راء مهملة ، وهكذا ضبطه أبو زيد.وقال الأخفش فيما كتبه عليه:الذى فى حفظى سُمير بالسين المهملة.وكذا ضبطه الصاغانى (فى العباب) بالمهملة،وقال :وهو شاعر جاهلى .والله أعلم .

* * *

(١) فى النسختين : « رواية لا تهيبنى » ،و « لا » مقحمة فى النص ، والصواب فى النوادر .

وأنشد بعده :

(العائذاتِ الطَّير)

وهو قطعة من بيت للنابغة الذبيانى ، وهو :

(والمؤمن العائذاتِ الطير يمسحُها رُكبانُ مكَّة بين الغِيل والسَّنَدِ)

وقد تقدم شرحه فى الشاهد السابع والأربعين بعد الثلثمائة [١] .

* * *

وأنشد بعده .

(أنا ابن التارك البكرىِّ بشرٍ)

وتمامه :

(عليه الطير ترقبهُ وقوعا)

وتقدَّم شرحه هذا أيضاً فى الشاهد التاسع والتسعين بعد المائتين [٢] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والستون بعد الثلثمائة :

٣٦٧ (إنَّا وجَدْنا بنى جِلَّانَ كلَّهُمُ كساعد الضَّبِّ لاطُولٍ ولاقِصَرِ[٣])

على أنَّه يجوز [ترك] وصف النكرة المبدلة من المعرفة إذا استفيد من البدل ماليس فى المبدل منه كما هنا ، فإنّ قوله «طول» المنفىَّ بدلٌ من ساعد الضب ، ومعنى الطول وماعطف عليه موجودٌ فى ساعد الضب .

وفيه شاهدٌ آخر ، وهو إبدال النكرة من المعرفة والنكرةُ بغير لفظ المعرفة . قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) عند قول الحماسىِّ : ٣٦٥

نَهِلَ الزَّمانُ وعَلَّ غيرَ مُصرَّدِ من آل عَتّابٍ وآلِ الأسودِ[٤]

---

(١) فى هذا الجزء من الخزانة ص ٧١ .

(٢) الخزانة ٤ : ٢٨٣ .

(٣) الحيوان ٦ : ١١٢ برواية : « لاطول ولاعظم » .

(٤) الحماسية ٢٦٨ بشرح المرزوقى ٨٠٥ .

غير أنّه أعاد العامل معه وهو الجارّ. وبهذا استدللنا[١] على أنَّ البدل من جملة غير الجملة التى منها المبدل.وهو كثيرٌ فى القرآن والشعر.وأكثر مايُعاد العامل مع البدل إذا كان العاملُ جارًّا،من حيث صار الجارُّ مع ماجرَّه[٢] بمنزلة الجزء الواحد . نعم وأبدل النكرة من المعرفة والنكرة بغير لفظ المعرفة. وهذا شيء يأباه البغداديُّون ويقولون : لاتبدل النكرة من المعرفة حتَّى يكونا من لفظ واحد ، نحو قوله تعالى ﴿بالناصية * ناصيةٍ كاذبةٍ خاطئة[٣] ﴾ . وردَّ ذلك أبو الحسن بما أنشده من قول الشاعر :

إنَّا وجدنا بنى جِلّانَ كلَّهُمُ .. .. .. البيت

ومثله ماأنشده أبو زيد :

فلا وأبيكِ خيرٍ منكِ إنِّى البيت .انتهى

وإنّما أوَّله الشارحُ المحقّق بقوله : أى لاذِى طول ولا ذى قصر ، ليصحَّ جعلُه بدلَ كلٍّ من كل ، إذ لولا التأويل لَكَانَا متغايرين . وإنَّما لم يجعل لا طولٍ بأحد التأويلات الثلاثة صفةً كقوله [٤]أبيك . لتخالف الموصوف والصفة فيهما تعريفاً وتنكيراً ، فلو كان معرَّفا لكان صفة ، كما فى قول أَبى خراش الهذلىّ لامرأته وكانت تسأله الطلاق :

فلا وأَبيكِ الخيرِ لا تجدينه جَميلَ الغنى ولَا صبورا على العُدْمِ[٥]

---

(١) فى اعراب الحماسة: « وهذا هو الذى أرانا ودلنا » .

(٢) كتبت فى نسخة اعراب الحماسة : «معما جره» بوصل مع بما .

(٣) الآيتان ١٥ ، ١٦ من العلق .

(٤) فى النسختين : « لقوله » ، ولا وجه له .

(٥) فى أصول شرح السكرى ١١٩٨ وكذا فى ش مع أثر تصحيح « إلا صبورا على العدم » . والاستشهاد يقتضى رواية ط .

يقول : إن تزوجتِ زوجاً لاتجدينه متعفّفا ولا يصبر على العُدْم بالضم ، أى الفقر .

و (جِلّان) بكسر الجيم وتشديد [١] اللام ، علمٌ لا ينصرف . قال الأصمعىُّ فى شرح هذا البيت من شعر ذى الرمة :

وبالشّمائِلِ من جِلَّانَ مُقتنِصٌ رَذْلُ الثياب خفىُّ الشَّخص منزربُ [٢]

الشمائل : جمع شمال .وجِلَّان : قبيلة من عَنَزة ،وهم رُماة [٣] . ورذل الثِّياب : خَلَقُها . وخفىُّ الشخص بمعنى ضئيل الشَّخص خِلقةً [٤]. والمُنْزَرِب :الداخل فى الزَّرْب ،وهو قُترة الصائد. يقال انزربَ، إذا دخل .انتهى

وعَنَزة : حيَّان أحدهما : عَنَزة بن أسد بن ربيعة بن نزار . وثانيهما : عَنَزة بن عمرو بن عوف بن عدىّ بن عمرو بن مازن بن الأزد . ولاأعرف عنزة المنسوبَ إليها جِلَّان أىّ العَنَزتَين [٥].

وقوله : (كلّهم) تأكيد لبنى جِلّان ، لا لجلّان . وقوله : (كساعد الضبّ) الساعد: ذراع اليد . والضبُّ ساعدُ جميعِ أفرادِه على مقدارٍ معيَّن خِلقة ، لايزيد ساعدُ فردٍ من أفراده طولا على ساعد فرد آخر ، وكذلك لا ينقص عن ساعدِ فردٍ آخر ، بخلاف سائر الحيوانات فإنّ بين ساعد أفرادها تفاوُتاً فى الطُّول والقصر بحسب الجثة . وهذا ينبغى أن يكون من الأمثال فى الأشياء

---

(١) ضبط فى القاموس ضبط قلم بفتح الجيم . وانظر جمهرة ابن حزم ٢٤٧ ، ٢٩٤ . وضبط فى الاشتقاق ٣٢٣ ضبط قلم أيضا بكسر الجيم .

(٢) ط : « زول الثياب » ، صوابه فى الديوان ١٤ وفى ش مع أثر تصحيح .

(٣) ط : « وهم مار » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٤) فى النسختين : « خلفه » ، والوجه ماأثبت .

(٥) الذى فى الجمهرة ٢٩٤ أن جلان من بنى عنزة بن ربيعة بن نزار .

المتساوية ، كقولهم :« هم كأسنان المُشْط » لكنىّ لم أره فى كتب الامثال . أراد أنَّ بَني جِلَّان متساوون فى فضيلةِ رشق السِّهام لايرتفع أحدُهم على الآخر فيها ولا ينْحطُّ عنه .

وهذا البيت لم أقف على قائله . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده :

(فلا وأبيك خيرٍ منكِ)

٣٦٦ البيت السابق ذكرهُ آنفاً لما تقدَّم فى البيت قبله . لكن قدَّم الشارح المحقِّق أنَّه بتقدير رجلٍ خير منك ؛ فالبدل إنّما هو النكرة الموصوفة ، غايتُه أنَّه حذف الموصوف وبقيت صفته .ويمكن أن يقال :ماتقدَّم لأجل جمود البدل لا لأجْلِ وصف النكرة المبدلة ، فإنَّ اشتراط الوصف مذهبُ الكوفيين.

قال السَّمِين عند قول صاحب الكشاف فى قوله تعالى : ﴿ناصية كاذبة [1]﴾ : جاز إبدالُ النكرة من المعرفة [2] لأنَّها وصِفت،فاستقلَّت بفائدة . قلت : هذا مذهب الكوفيِّين ، لايجيزون إبدال نكرةٍ من غيرها إلاَّ بشرط وصفها ، أو كونها بلفظ الأوّل . ومذهب البصريين:لايُشتَرط شيء. وأنشدوا:

فلا وأبيك خيرٍ منكِ ... . البيت . انتهى

وقال ابن عقيل (فى شرح التسهيل) : ولم يشترط البصريُّون فى إبدال المعرفة من النكرة والنكرة من المعرفة اتحادَ لفظٍ ، ولا وجودَ وصف . ونقل ابن مالكٍ عن الكوفيِّين أنَّهم لايبدلون النكرة من المعرفة إلاَّ إن كانت من لفظ الأوَّل ، ونسب هذا بعضُ النحويِّين لنحاةِ بغداد . ونُقل عن الكوفيِّين

---

(١) الآية ١٦ من العلق .

(٢) ط : « عن المعرفة » ، صوابه من ش مع أثر تصحيح .

أيضاً أنَّهم لايفعلون ذلك وعكسَه إلا بالشرط المذكور . وكلام الكوفيِّينَ على خلاف هذا . قال الكسائى والفراء فى : ﴿ قتالٍ فيه [١] ﴾ إنّه على نية عن ، وصُرِّح بعن فى قراءَةِ عبد الله . وأجاز الفرَّاء فى :﴿ هرون أخى [٢] ﴾ كونَهُ مترجِماً لوزيراً . قال : فيكون نصاً للتكرير .

ونُقل أيضا عن الكوفيِّين والبغداديين اشتراطُ وصف النكرة المبدلة من المعرفة . وتابعهم [٣] السُّهيلىُّ وابن أبى الربيع .

ونقل عن بعض الكوفيين فى إبدال النكرة المبدَلة من النكرة اشتراط وصف المبدلة .

ويدلُّ للبصريِّين:﴿ حدائقَ وأعنابا [٤] ﴾ ، وقولُه :

فألقت قِناعاً دونه الشمسُ واتَّقتْ بأحسن موصولَينِ كفٌّ ومِعصمِ[٥]

وقوله :

فلا وأبيكِ خيرٍ منكِ . . . . البيت . انتهى

* * *

وأنشد بعده :

(لحافى لحافُ الضَّيف والبردُ بُردُه)

هذا صدر بيتٍ ، وعجزُه :

(ولم يُلهِني عنه غزالٌ مُقَنَّعُ)

على أنَّ اللام قد تنوب عن الضمير كما هنا،فإنَّ الأَصل «وبردى برده».وتقدَّم شرح هذا البيت فى الشاهد الثالث والتسعين بعد المائتين[٦].

* * *

(١) الآية ٢١٧ من البقرة .

(٢) الآية ٣٠ من طه .

(٣) ش : « وتابعهما » ، ولكل وجه .

(٤) الآية ٣٢ من النبأ .

(٥) البيت لأبى حية النميرى . البيان ٢ : ٢٢٩ ، والعقد ٦ : ١٦٥ .

(٦) الخزانة ٤ : ٢٥١ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والستون بعد الثلثمائة [١] :

٣٦٨ (أوعَدَنى بالسِّجنِ والأداهِم
رِجلى ورِجلى شَثْنةُ المَناسِم)

على أنّ قوله (رِجلى) بدلُ بعضٍ من ياء المتكلم فى (أوعدنى) .

هذا هو الظاهر . وعليه اقتصر الفراء (فى تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ للذين اتَّقَوا عِنْدَ ربِّهِمْ جَنَاتٌ [٢] ﴾ .

واستُشْكلت البدلّية بأنّ الرِّجْل لاتُوعَد بالسّجن . وأجيب بأنّها لما كانت سبباً للدخول ناسبَ إيعادُها بذلك .

وفيه وجوه ثلاثة :

أحدها : ماقاله ابن السِّيد (فى شرح أبيات أدب الكاتب) ، وهو أنّه يجوز أن يكون رجلى مفعولاً ثانيا حذف منه حرفُ الجرّ اختصاراً ، كأنه أراد : لرجلى .

وثانيها : ماقاله أبو حيان (فى تذكِرته) ومن خطِّه نقلت ، وهو أن يكون رجلى منادًى على طريق الاستهزاء بالمُوعد . ٣٦٧

ثالثها : مانقله ابنُ السِّيرافى (فى شرح أبيات إصلاح المنطق) عن بعضهم ، وهو أن تكون الأداهم معطوفةً على السِّجن، ورجلى معطوفةً على ضمير المتكلم،أى أوعدنى بالسجن وأوعد رجلى بالأداهم، كما تقول:ضربَنى

---

(١) إصلاح المنطق ٢٥٣ ، ٣٢٦ ومجالس ثعلب ٢٧٤ واعراب القرآن المنسوب للزجاج ٢٠٧ وابن يعيش ٣ : ٧٠ والشذور ٤٤٢ والعينى ٤ : ١٩٠ والتصريح ٢ : ١٦٠ والهمع ٢ : ١٢٧ والأشمونى ٣ : ١٢٩ واللسان (وعد ٤٧٩) .

(٢) الآية ١٥ من آل عمران .

بالعصا والسَّوطِ ظهرى ، تريد ضربنى بالعصا وضربَ ظهرى بالسَّوط ، ويكون على هذا من باب عطف معمولين على معمولى عاملين مختلفين .

و(رجلى) الثانية مبتدأ وشثْنةُ خبرها ، وأتى بها ظاهرةً غير مضمرة تعظيماً لأمرها وإشادةً بذكرها ، أوْ لأنَّها وقعت فى جمله ثانية .والواو للحال ، وروى : (فرجلى) بالفاء على السببية . و(الشثْنة) : الغليظة الخشنة ، يقال فى صفة الأسد : شثْن البراثن . قال العينى : ويجوز أن يكون بتقديم النون على المثلثة ، من شَنِثَتْ مشافِرُ البعير ، أى غلُظت من أكل الشَّوك . و(المناسم) : جمع مَنسِم كمجلس ، وهو طرَفُ خفٌ البعير ، استعاره للإنسان . وحسُن ذلك ههنا لما ذكره من جَلَده وقوَّته،وبذلك يَصِفون أنفسَهم.وقال ابن السيرافى: المنسم : أسفل خُفّ البعير ، ولايستعمل لغيره إلّا فى ضرورة شعر . وأراد بالمناسم هنا باطنَ رجليه . يقول : رجلى غليظةٌ لاتألم لجعلها فى القيد . هذا كلامه ، وهذه الإرادة غير ظاهرة . و(الأداهم) : جمع أدهم ، وهو القيد . والسِّجن بالكسر : اسمٌ للمحبس ، والمصدر بالفتح . يقال سجنته سَجْناً من باب قتل . و(أوعَده) بكذا بمعنى هدَّده به . قال الخطيب التِّبريزى (فى شرح إصلاح المنطق) : قال الفراء : يقال وعدته خيرا ووعدته شرًّا بإسقاط الألف ، فإذا أسقطوا الخير والشر قالوا فى الخير : وَعدته ، وفى الشرّ أوعدته . فالوعد والعِدة فى الخير ، والإيعاد والوعيد فى الشر . فإذا قالوا أوعدته بكذا أثبتوا الألف مع الباء . وأنشد :

أوعدَنى بالسِّجن والأداهـم . . . . . . البيت . انتهى

وقال ثعلب (فى أماليه): يقال وعدته خيرا وشراً ،وإذا لم يُذكَر الخير ولا الشرّ قيل فى معنى الخير : وعدته ، وفى الشر : وَعَدته ، وفى بعض اللغات أوعدته بالشر . وأنشد هذا البيت .

وفيه مخالفةٌ للفراء فيما إذا لم يُذكر الموعود به ، فانّه إذا أريد المكروه زيدت الألف .

وثعلبٌ ساوى بين ماإذا أريد الخير أو المكروه فى أنه يقال بلا ألف . قال (فى الفصيح) : وعدت الرجل خيراً ، وإذا لم تذكر الشرَّ قلت وعدته. وأوعدتُه بكذا ، تعنى الوعيد .

قال الإمام المرزوقى (فى شرح الفصيح) : وعدته خيراً وشراً . فإنْ أطلقْت ولم تقيِّد قلت فى الخير : وعَدت وعْدا وعِدة وموعدا ومَوعدة . والميعاد : الوقت ، والموضع . وفى الشر : أوعدته إيعادا ووعيدا . هذا هو الصحيح . وقوله فإذا لم تذكر الشر قلت أوعدته بكذا ، قال أبو إسحاق الزجاج : قلت لثعلب : قولك بكذا ينقُض ماأصَّلته ؛ لأنَّ وعَدَ بإطلاقه ضمانٌ فى الخير ، وأوعد ضمانٌ فى الشرِّ ، ولا حاجة إلى بكذا . قال أبو على : ويمكن أن يقال فى جوابه بكذا إشارة إلى نوع مما يتوعَّدُ به ، وإذا كان القصد إلى التنويع احتيج إليه . ألا ترى قوله :

* أوعدنى بالسِّجْن والأداهم . (١)*

وقول الآخر :

* أتوعدنى بقومك ياابنَ سُعدَى *

والمنكَر أن يقال أوعَدنى بالشر . فاعلمْهُ . انتهى .

٣٦٨ وهذا الشعر بيتان من الرجز المسدَّس . قال ابن السيد : لاأعلم قائله .

صاحب الشاهد — وقال ياقوت (فى حاشية الصحاح)، وتبعه العينى : قائله العُديل بن الفُرْخ ، العُدَيل بن الفُرْخ — وهو شاعر إسلامىٌّ فى الدولة المروانيَّة ، وهو بضم العين وفتح الدال المهملتين . والفُرْخ ، بضم الفاء وسكون الراء وآخره خاء معجمة .

---

(١) لبشر بن أبى خازم فى ديوانه ٢١ . وعجزه :

* وذلك من مُلمَّاتِ الخطوب *

قال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء [١]) : العُديل بن الفُرخ لقبه العَبَّاب ، بفتح العين المهملة وتشديد الموحدة الأولى . والعَبَّاب : اسمُ كلبِه . وهو من رهط أبى النَّجم العجلى ، وكان هجا الحجَّاجَ وهرب منه إلى قيصرَ مَلكِ الروم ، فبعث إليه : لترسلنَّ به أو لأجهِّزَنَّ إليك خيلاً يكون أوّلُها عندك وآخرُها عندى ! فبعث به إليه ، فلما مثَل بين يديه قال : أنت القائل :

ودونَ يدِ الحجاج من أن تنالَنى بَساطٌ بأيدى النَّاعجاتِ عريضُ
مهامِهُ أشباهٌ كأنّ سَرابَها مُلاءٌ بأيدى الغانياتِ رحيضُ

فقال : أنا القائل :

فلو كنتُ فى سَلْمَى أجَا وشِعابها لكان لحجَّاجٍ علىَّ دليلُ
خليلُ أميرِ المؤمنين وسيفُه لكلِّ إمامٍ مصطفًى وخَليلُ
بَنى قُبَّة الإسلام حتَّى كأنّما هَدَى الناسَ من بعد الضلالِ رسول

فعفا عنه وأطلقه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والستون بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد س [٢] :

٣٦٩ (ذرينى إنَّ حُكمكِ لن يُطاعا
وما ألفيتُنى حِلمِى مُضاعَا)

على أن قوله : (حلمى) بدل اشتمال من الياء فى ألفَيتنى .

قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة):أنّما يجوز البدل من ضمير المتكلم

---

(١) الشعراء ٣٧٥ والأغانى ٢٠ : ١١ ــ ١٩ .

(٢) فى كتابه ١ : ٧٨ . وانظر ابن يعيش ٣ : ٦٥ والشذور ٤٤٣ والعينى ٤ : ١٩٢ والهمع ٢ : ١٢٧ وديوان عدى بن زيد ٣٥ .

وضمير المخاطب إذا كان بدلَ البعض أو بدلَ الإشتمال ، نحو قولك : عجبت منك عقلِك ، وضربتُك رأسَك . ومن أبيات الكتاب :

ذرينى إنَّ أمرك لن يُطاعا ....البـــيت

فحلمى بدل من نى . ولو قلت قمتُ زيدٌ ، أو مررتَ بى جعفر ، أو كلمتك أبو عبد الله ، على البدل لم يجز ، من حيث كان ضمير المتكلم والمخاطب غايةً فى الاختصاص ، فبطل البدل ، لأنّ فيه ضرباً من البيان ، وقد استغنى المضمر بتعرُّفه . انتهى

وكذلك الفراء (فى تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ مثلُ الذين كَفَروا بربِّهم أعمالُهمْ كَرَمادٍ (١) ﴾ . الحلم منصوب بالإلفاء (٢) على التكرير ، يعنى البدل ، ولو رفعه كان صواباً . وأورده أيضا عند قوله تعالى : ﴿ويومَ الفيامة تَرَىَ الذينَ كَذَبُوا على اللهِ وجوهُهم مسوَدَّةٌ (٣) ﴾.

وتبعه الزجاجُ فيها ، ونسبه إلى عدىّ بن زيد ، قال فى الآية:ترفع « وجوههم»و «مسودّة»لأنَّ الفعل قد وضع على الذين،ثم جاء بعد الذين اسمٌ له فعلٍ،فرفعتَه بفعله وكان فيه معنى نصب.وكذلك فافعلْ بكلِّ اسم أوقعت عليه الظنَّ والرأى ومأأشبههما،فارفع مايأتى بعده من الأسماء إذا كان أفاعيلها بعدها،كقولك رأيت عبد الله أمره مستقيم (٤).فإنْ قدَّمت الاستقامة نصبتها ورفعت الاسم فقلت :رأيت عبد الله مستقيما أمره.ولو نصبت الثلاثة فى

---

(١) الآية ١٨ من إبراهيم .

(٢) أى عامله ألفى ، على نية تكرار العامل فى البدل . وفى ش : «بالإلغاء» . وفى معانى القرآن ٢ : ٧٣ : « بالإلقاء » ، والصواب ماأثبت من ط .

(٣) سورة الزمر ٦٠ .

(٤) ط : « وأمره مستقيم » ، والصواب حذف الواو كما فى ش .

المسألة الأولى على التكرير كان جائزا ، فتقول : رأيت عبد الله أمرَه مستقيما .
وقال عدىّ بن زيد :

ذرينى إنّ أمرك لن يُطاعا ..... البيت

فنصب الحلم والمضاع على التكرير . ومثله :

* ما للجمالِ مَشْيِها وئيدا *

فخفض الجمال والمشى على التكرير . فلو قرأ قارئٌ : وجوهَهم مسودَّةً على هذا لَكان صوابا . انتهى

٣٦٩ وقوله : (ذرينى) خطابٌ لامرأته ، أى اتركينى ودعينى . وجملة (إنَّ حكمك) إلخ مستأنفة للتعليل .

وروى سيبويه : « إنَّ أمرَكِ » وهو بمعناه . وجملة (ماألفيتُنى) الخ معطوفة عَلَى الجملة المستأنفة .

وروى العينى : « ولا أُلفيتِنِى » .وأَلفَى بمعنى وجد من أخوات ظنّ تنصب مفعولين ، والتاء المكسورة فاعلها ، والنون نون الوقاية ، والياء مفعول ، وحلمى بدل من الياء . وتَساهلَ النحاسُ (فى شرح أبيات سيبويه) وتبعه ابن السِّيد (فى أَبيات المعانى) فقالا:حلمى بدلٌ من النون والياء . ومن العجائب قول العينى:حلمى بدل من النون ، وكأنه أراد أن يتبع النَّحَّاسَ فيسقط من قلمه أو من قلم الناسخ عطفُ الياءِ على النون.و(الحِلم) بالكسر:العقل.يقول لها:ذرينى من عَذْلك فإنِّى لاأطيع أمرك،ولا وجدتُنى سفيهاً[1]مضيَّعَ الحلم،وعقلى يأمرنى بإتلاف مالى فى اكتساب الحمد.(ومضاعا) مفعول ثان لألَفى،وهو اسم مفعول من الإضاعة،ولايصحُّ أن يكون حالاً كما زعم بعضهم.

---

(١) ط : « سفها » ، صوابه فى ش .

ونقل العينى عن (تذكرة أبى حيان) بأنه يجوز حلمى مضاع بالرفع على الابتداء والخبر ، والجملة مفعول ثان . وفيه أنَّ هذا البيت من قصيدة قوافيها منصوبة . قال ابن السِّيد : لايجوز رفعهما ؛ لأنَّ القوافىَ كلَّها منصوبة .

صاحب الشاهد

والبيت نسبه سيبويه لرجل من خثعم أو بجيلة . وتبعه ابن السراج (فى أصوله) . وعزاه الفراء والزجاج إلى عدىّ بن زيد العِبادىّ ، وهو الصحيح.

أبيات الشاهد

وكذلك قال صاحب (الحماسة البصرية) وأورد من القصيدة بعده هذه الأبيات :

(ألاَ تلك الثعالبُ قد تهاوَتْ
علىّ وحالفتْ عُرْجاً ضِبَاعا [1]
فإنْ لم تندَموا فثَكِلتُ عَمْراً
وهاجــرتُ المروَّق والسَّماعـــا
ولا ملكتْ يداى عِنانَ طِرفٍ
ولاأَبصرتُ من شمسٍ شعاعـا
وخُطَّةَ ماجدٍ كلّفتُ نفسى
إذا ضاقوا رَحُبتُ بها ذراعا)

قوله:«تعاوت» تفاعلت من العُواء،وهو صياح الكلب والذئب والثعلب. وأراد بالثعالب الذين لاموه على جُوده حسداً ولؤما .والثعلب سبعٌ جبان مُستضعف ، ذو مَكْرٍ وخديعة،ولكنَّه لفرط المكر والحيلة ، والخبث والخديعة يجرى مع كبار السباع .قال الجاحظ [2]:ومن أشدّ سلاح الثعلب الرَّوَغان ،وفى المثل: «أروَغُ من ثعلب» .والرَّوَغان بالتحريك:مصدر راغ الثعلب

---

(١) الحماسة البصرية ١ : ٦٥ .

(٢) الحيوان ٦ : ٣٠٢ بتصرف .

يروغ رَوغا ورَوَغانا ، أى ذهب يَمنْة ويَسْرة فى سُرعةٍ خديعةً ، فهو لايستقرُّ فى جهة . و «حالفت» بالحاء المهملة ، أى عاهدت ، يقال تحالفا ، أى تعاهدا وتعاقدا عَلَى أَن يكون أمرهُما واحداً فى النُّصرة والحماية . وبينهما حِلْف بالكسر ، أى عهد . والحليف : المعاهِد .

وضباعا مفعول حالفت : وعرجا كان فى الأصل صفة لِضِباعاً ، فلما تقدَّم صار حالاً منه . أى عاهدتْ تلك الثعالب مَن هو أسوأ حالاً منها . والضِّبَاع بالكسر : جمع ضبع،وهى يُضرب بها المثل فى حمقها فيقال: «أحمقُ من ضبع». قال صاحب المصباح : الضَّبُعُ بضم الباء فى لغة قيس ، وبسكونها فى لغة تميم ، وهى أنثى ، وقيل يقع عَلَى الذكر والأنثى ؛ وربما قيل فى الأنثى ضَبْعة كما قيل سَبع وسَبْعة بالسكون مع الهاء للتخفيف . والذكر ضِبْعانٌ والجمع ضَباعِينُ ، مثل سِرحان وسَراحين . ويجمع الضَبُع بضم الباء عَلَى ضباع ، وبسكونها [1] عَلَى أضبع . انتهى .

٣٧٠

والعُرْج : جمع عرجاء ، كصُفْر جمع صفراء . والضَّبع توصف بالعَرَج وليست بعرجاء ، وإنما يخيَّل ذلك للناظر . وسبب ذلك التَّخيُّلِ لدونةٌ فى مفاصلها ، وزيادةُ رطوبة فى الجانب الأيمن عَلَى الأيسر منها . كذا فى حياة الحيوان للدَّمِيرى .

ومن الغرائب قول العينى هنا : قوله تعاوت من عُواء الكلب . وقوله ضباعا جمع ضبع ، وهو الحيوان المعروف ، وهذا الجمع للذكر والأنثى مثل سباع وسبع. وقوله عَرِجا بفتح العين وكسر الراء صفة للضّباع قدِّمتْ عليه للضَّرورة . وتوصف الضِّباعُ بالعَرَج كما توصف بالخَمَع . والعَرْج أَيضاً يقال للقطيع من الإبل نحو الثمانين أو المائة والخمسين . فعلى هذا يكون قوله ضباعا بالكسر:

---

(١) ط : « وبسكون » ، وأثبت مافى ش .

جمع ضابع إذا كانت شديدة الجرى . هذا كلامه بحروفه . وأىُّ فائدة فى تسطيره ، ولا يُزَادُ الطالب منه إلّا جَهالة .

وقوله : « فإنْ لم تندموا » إلخ التفاتٌ من الغيبة إلى الخطاب . وأراد بالنَّدم الرجوعَ عن لوْمِه ، فإنَّ النَّدمَ لازمه . وجملة ثكلتُ دعائيّة . وعمروٌ : ابنُه.وهاجرت بمعنى قاطعت ، من الهَجْر بالفتح ، أى التّرك . والمروَّق أراد به الخمر . يقال خمرٌ مروَّق [(١)] . والسَّماع أراد به آلة الطرب واللهو . والطِّرف بالكسر : الكريم من الخيل . والخطّة بضم الخاء المعجمة : الحالة والخَصْلة ، وهو مفعولٌ مقدَّم لكَلَّفتُ . وذراعاً : تمييز محوَّل عن الفاعل . ورُحْب الذراعِ : سَعتها [(٢)]. وبسطها:طولها . وضيق الذِّراع والذَّرْع :قِصَرها . ووجههُ أنَّ القصير الذراعِ لاينال مايناله الطَّويل الذراع ، ولايُطيق طاقته . فضُرِب للذى سقطتْ قُوَّتُه دونَ بلوغ الأمر والاقتدار عليه.وبالعكس طول الذراع وبَسْطها.

وقد تقدّمت ترجمة عدى بن زيد مفصَّلة فى الشاهد الستين [(٣)] . وهو شاعرٌ جاهلى .

والعباديّ ، بكسر العين وتخفيف الموحدة ، نسبة إلى عِبَاد ، وهم قبائلُ شتَّى من العرب اجتمعوا على النَّصرانية بالحِيرة . وزعم الجوهريُّ أنّه بالفتح . والصواب ماذكرنا .

* * *

وأُنشد بعده،وهو الشاهد السبعون بعد الثلثمائة،وهو من شواهد سيبويه[(٤)]:

---

(١) الخمر مؤنَّثة ، وقد تذكَّر كما هنا .

(٢) السَّعَة بفتح السين وكسرها : الاتساع . ط : «وسعها» ش : «وسعتها» ، والصواب ماأثبت .

(٣) الخزانة ١:٣٨١ .

(٤) فى كتابه ١:٨٠.وانظر ابن يعيش ٣:٦٧ والهمع ٢:١٥٧ ، ونسب للأعشى ، وليس فى ديوانه .

٣٧٠ (وكأَنَّهُ لِهقُ السَّراةِ كأَنَّه
ما حاجِبَيْه مُعَيَّنٌ بسَوَادِ)

على أنه قد يعتبر الأوَّل فى اللفظ دون الثانى ، أى يعتبر المبدل منه فى اللفظ دون البدل ، فإنَّ قوله حاجبيه بدلٌ من ضمير كأنه . قال ابن السيد (فى أبيات المعانى) وابن خلف : هو بدل اشتمال ، ومازائدة . وقال أبو على (فى إيضاح الشعر) : قوله حاجبيه بدل من الضمير ، وما لا تكون إلا زائدة ، وقد روعى الضَّمير المبدل منه فى اللفظ بجعل معيَّن مفردا ؛ ولو روعىَ الذى هو حاجبيه لقيل معيَّنان بالتثنية . وقد يقال إنّ الحاجبين لما لزم أحدُهُما الآخر صار الإخبار عنهما كالإخبار عن الشيء الواحد ، وكذا حال ماهو مثّنى فى البدن ، يجوز إفراد خبرِهِ وصفتهِ على المعنى ، وتثنيتُه على اللفظ ، كقوله :

لمن زُحلوقــــةٌ زُلٌّ لها العينان تنهَلٌّ [(١)]

فأخبرَ عن العينين بما يكون خبراً عن الواحد . وعليه قول المتنبى : ٣٧١

حَشَاىَ على جمرٍ ذكيٍّ من الهوَى
وعيناىَ فى روض من الحسن ترتعُ[(٢)]

وقال آخر [(٣)]:

وكأَنَّ بالعينين حبَّ قرنفُلٍ أو سُنْبلاً كُحِلتْ به فانهلَّتِ

وكانَ الظاهر أنْ يقول : كحلتا ، فأفرد لأنهما لايفترقان . ويجوز عكس هذا فيخبر عن الواحد منهما بالتثنية ، كقوله :

وَعين لها حَدْرةٌ بَدرةٌ وشُقَّتْ مآقيهما من أُخُرْ [(٤)]

---

(١) اللسان (زلل) . وقال : « ويروى : زحلوفة » ، يعنى بالفاء .

(٢) ط : «حشائى» ، صوابه فى ش وديوان المتنبى ١ : ٣٨٤ .

(٣) هو سلمى بن ربيعة . الحماسة بشرح المرزوقى ٥٤٧ .

(٤) لامرئ القيس فى ديوانه ١٦٦ . وفى ش والديوان : «شقت» بغير واو .

فابتدأ بذكر عينٍ واحدة ، ثم أخبر عن الاثنتين . ومنه قول الآخر على وجهٍ :

تسائِلُ بابن أحمرَ مَنْ رآهُ أعَارت عَينُه أم لم تعَارا [١]

فلمَّا استفهم عن الواحدة عطف بالاثنتين فى قوله «أم لم تعَارا» . وقيل معيَّن مصدر كممزَّق [٢] ؛ وإذا أخبِر بالمصدر كان موحَّداً .

هذا وسيبويه إنّما أُورد البيتَ للبدل ، ولم يذكر مااعتبره الشارح المحقِّق . وهذه عبارته : وإن شئت قلت : ضُرِبَ عبدُ الله ظَهرُه ، ومُطِرَ قومُك سهلُهم ، على قولك : رأيت القومَ أكثرهم ، ورأيت عمراً شخصَه ، كما قال :

وكأنّه لهِقُ السَّراة... ...... البيت . انتهى.

ويجوز أَن يكون هذا من قبيل بدل البعض . وماذكره الشارح المحقِّق هو كلامُ أبى علىٍّ (فى إيضاح الشعر) ،قال فى موضع آخر منه: قد جاء الحمْلُ على المبدَل منه . قال :

وكأنَّه لَهِقُ السَّراةِ .... البيت

فجعل الخبر فيه عن المبدل منه دون البدل .

وقوله : (وكأنّه لهق) إلخ رواه سيبويهِ «فكأنه» بالفاء .قال الأَعلم: وصف الشاعر ثوراً وحشِياً شَبَّه به بعيره فى حِدّتهِ ونشاطه ، فيقول:كأنّه ثورٌ لهِق السَّراة ، أى أبيض أعلى الظَّهر [٣]أَسفع الخدَّين ، كأنّما عُيِّنَ بسواد.وكذلك بقر الوحش بيضٌ كلُّها إلاّ سُفعةً فى خدودها ومغابنها وأكارِعها.انتهى.

---

(١) لابن أحمر . شرح شواهد الشافية ٣٥٣ . وفى ط : « أغارت أم لم تغارا » بالغين المعجمة ، وأثبت مافى ش مع أثر تصحيح ، وهو مافى شرح شواهد الشافية . وهما روايتان كما نص البغدادى .

(٢) ط : « كنمرق » ، صوابه فى ش .

(٣) ط : « أبيض الظهر أعلاه » ، صوابه فى ش وشرح الأعلم .

وقال ابن خلف : اللَّهَق :البياض . والسَّراة: أعلى الشَّىء . وثور الوحش يُوصف بأنّه لهِق السَّراة . وقيل إنّه يصف جملاً وسيرَه وسُرعته ، وشبَّهه بثورٍ وحشٍ فى سرعته . والجملة التى هى « كأنه ماحاجبيه » إلخ ، وصفٌ للثور . وترتيب الكلام : كأنَّ هذا الجملَ ثورٌ لهق السراة ، كأَنَّ هذا الثور حاجبيه معيَّن بسواد ، يعنى أنَّ ماحول حاجبيه وعينيه أسود . والعِينَة : ماحول العينين ، كأنّه قال : مسودّ العينة . انتهى .

وفى العباب : قال الليث : اللَّهَق بالتحريك : الأبيض ليس بذى بريق كاليَقَق ، إنَّما هو نعتٌ فى الثوب والشَّيب . والبعير الأعيَسُ لهِقٌ ، والأنثى لهِقة ، والجمع لهِقات ولِهَاق . ولَهَق الشىءُ لَهقا مثل سَحَق سَحْقاً ، ولهِق لهَقا مثل أرِق أرقا ، إذا كان شديد البياض . انتهى .

يريد أنّه جاء من بابى فتح فتحا وفرح فرحا . و(السَّراة) بفتح السين ، قال صاحب الصحاح: وسراة كلِّ شىء : ظهره ووسطهُ . و(المعيَّن) بزنة اسم المفعول .ولم يزد صاحب الصحاح على قوله:المعيّن: ثور . وفى القاموس : والمعيَّن كمعظَّم : ثورٌ بين عينيه سوادٌ ، وهو مشتقٌّ من العِينة بالكسر ، وهى مصدر عَيِنَ عيَناً من باب فرح وعِينةً ، إذا عُظم سواد عينه فى سَعة . والعِينة أيضاً من النَّعجة : ماحول عينيها .

وهذا البيت من أبيات سيبويه الخمسين التى لم يُعرَف لها قائل . ٣٧٢

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والسبعون بعد الثلثمائة [1] :

٣٧١ (إنَّ السّيُوف غُدوَّها ورَوَاحَها
تركَتْ هَوَازِنَ مثلَ قَرنِ الأعضَبِ)

---

(١) ديوان الأخطل ٢٨ والكامل ٤٣٩ والأشمونى ٣ : ١٣٢ .

لما تقدَّم قبله ، فإنَّ قوله غدوَّها بدلٌ من السيوف .

قال المبرد (فى الكامل) : هو بدل اشتمال ، وقد روعى المبدلُ منه فى اللَّفظ بإرجاع الضمير إليه من الخبر ، ولم يُراعَ البدل ، ولو رُوعِىَ لقيل تُركا بالتثنية .

وهذا أيضاً كلام أبى على (فى إيضاح الشعر) فإنه أورد هذا البيت مع البيت الذى قبله لما ذُكر . وفيه أنه يحتمل أنَّ نصب غدوَّها على الظرف ، كخفوقَ النجم ، وكأنَّه قال : إنَّ السيُّوفَ وقتَ غدوِّها ورواحِها .

و(هَوازن) : أبو قبيلة ، وهو هوازن بن منصور بن عِكرمة بن خَصَفَة ابن قيس بن عَيْلان بن مضر . و(الأعضب) بإهمال العين قال صاحب (العباب) : العَضْباء : الشاة المكسورةُ القَرن الداخل،وهو المشاش [1] . ويقال هى التى انكسر أحدُ قرنيها . وقد عَضِبت بالكسر ،وكبشٌ أعضب بيِّن العَضَب . وأنشد هذا البيت .

صاحب الشاهد — وهو من قصيدة للأخطل عِدَّتها ستةَ عشَر بيتاً ، مدح بها العبَّاسَ بن محمد بن عبد الله بن العباس رضى الله عنه ، فأعطاهُ ألف دينار ، وكان يقال له «المذْهَبُ» لجماله . روى أنَّه خرج على فرسٍ له وعليه مُطْرفُ خزٍّ ، فأشرفت امرأةٌ فنظرت إليه فقالت : ماأحسن هذا ؟! فتقطَّرَ به فرسُه فمات .

من أبيات الشاهد — وهذا مطلع القصيدة :

(بانَ الشَّبابُ وربَّما عللّتُـه بالغانيات وبالشَّراب الأصهبِ
ولقد شربتُ الخمرَ فى حانوتها ولعبتُ بالقَيناتِ عَفَّ الملعبِ [2])

---

(١) ط : « وهى المشاش » ، صوابه فى ش .

(٢) فى ديوان الأخطل : « كل الملعب » .

وقال فى مدحه :

(لذٌّ تقبَّله النَّعيم كأنَّما مُسِحتْ ترائبه بماءٍ مُذهبِ[١]
لَبَّاسِ أرديةِ الملوكِ تَروقُه من كلِّ مُرتقَبٍ عيونُ الرَّبربِ
يَنظُرن من خَلَلِ السُّتور إذا بدا نَظَرَ الهجانِ إلى الفنيقِ المُصعَبِ
خَضِلِ الكِياسِ إذا تشتَّى لم تكنْ خُلفا مَواعدُه كبرق الخُلَّبِ [٢]
وإذا تُعوورت الزُّجاجة لم يكنْ عند الشراب بفاحش متقطِّبِ)

اللَّذُّ : المتلذّذ . وتقبَّله النعيم ، إذا استبان عليه . والرَّبرب : جماعة النساء . والهجان من الإبل : كرامُها وبيضها . والفنيق : الفحل المتروك لايركب ولايُحمل عليه . والخَضِل : الندىُّ . والكياس [٣] . والتعاور : التداول .

وبعد هذا اقتضب الكلام فقال :

إن السيُّوفَ غُدُوَّها ورواحَها . . . . . البيت

وبعده :

(وتركن عمَّك من غنىٍّ ممسكاً بإزاء منخرق كجُحْر الثعلبِ [٤]
وتركن فَلَّ بنى سُلَيمٍ تابعاً لبنى ضَبِينةَ كاتِّباع التَّولبِ
أَلْقُوا البُرينَ ، بنى سُليمٍ ، إنَّها شانت وإنَّ حَزَازها لم يذهبِ [٥]

---

(١) قبله — وذلك لتوضيح إعرابه :

ولقد غدوت على التجار بمسمح هرت عواذله هرير الأكلب

(٢) ط : «إذا تنشا» ، صوابه فى الديوان وش مع أثر تصحيح .

(٣) والكياس ، كذا وردت فى النسختين بدون تفسير بعدها ، وهى جمع كأس ، يقال فى جمعها أكؤس وكؤوس وكئاس وكياس . اللسان (كأس) وشرح ديوان الأخطل .

(٤) فى النسختين : «منحرق» ، صوابه فى الديوان . يقول : كأنهم تمسكوا بحوض صغير قد ذهب ماؤه .

(٥) شانت ، من الشين ، أى قبحت ، وهو على حذف المفعول . وفى الديوان : «شابت» من الشيب . وهو تعريض بالمرأة التى خزمت أنفها .

٣٧٣ ولقد علمت بأنَّها إذْ عُلِّقَتْ سِمةُ الذَّليل بكلِّ أنف مُغْضَبِ
والخَيلُ تعدو بالكماة كأنَّها أُسْدُ الغياطِلِ من فوارسِ تَغْلِبِ)

وهذا آخر القصيدة :

وقوله : « وتركن عمك من غنى » إلخ غنيّ : قبيلة .قال شارح ديوانه السكرى: هذا مثلٌ ،يقول : لاشيء بأيديهم ، كأنهم تمسَّكوا بحوضٍ صغير قد ذهب ماؤه . وإزاء الحوض : موضع مصبِّ الدَّلو فى مقدَّمه ، فيوضع هناك حجرٌ يصَبُّ عليه الماء أو عباءةٌ ، لئلاّ يثور الطينُ فيفسدَ الماء .

وقوله : « وتركن فَلَّ بنى سُليم » الفَلّ بالفتح: المنهزمون . وسليم بالتصغير . وضَبِينة ،بفتح المعجمة وكسر الموحَّدة وقبل الهاء نون ، هى أمُّ سعدِ مَناة بن غامد بن الأزد ، غلبت على نسب ولدها . قاله السكرى .

وقوله :« ألقُوا البرين» الخ ألقوا : أمرٌ من الإلقاء . والبُرينَ : جمع بُرةٍ بضم الموحَّدة ، وهى مايُخزم به الأنف .وبنى سليم منادًى . وذلك أنَّ أمرأةً من سُليم خزمت أنفها لما قتل عمير بن الحُباب [١] وحلفت أن لاتنزعَها حتى تدرك بثأره . والغياطل : جمع غَيطَلٍ ، وهو الشَّجر الكثير الملتفّ . وتغلب : قبيلة الأخطل . افتخر بفوارس قومه .

وترجمته تقدمت فى الشاهد الثامن والسبعين [٢] .

* * *

---

(١) ط : « عمرو بن الحباب » ، صوابه « عمير » بالتصغير كما فى ش وجمهرة أنساب العرب ٢٦٤ . وكان له شأن فى الحرب بين قيس وتغلب ، وقتلته تغلب . الأغانى ١١ : ٥٥ ‘ ٢٠ : ٢٦ . قتله زياد بن هوبر ، كما فى الاشتقاق ٣٣٩ . وفى الاشتقاق ٣٠٨ : « وكان عمير من فرسان الناس فى أيام عبد الملك وأيام الفتنة بالشام ، وكان امتنع على عبد الملك بنصيبين وغلب عليها وعصاه .

(٢) الخزانة ١ : ٤٥٩ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والسبعون بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد سيبويه [١] :

٣٧٢ (إنَّ عَلَيَّ اللهَ أن تُبايِعا تؤخذَ كَرهاً أوتجيءَ طائعا)

على أنَّ الفعل قد يُبدل من الفعل إذا كان الثانى راجحَ البَيان عَلَى الأوّل كما فى البيت . فتؤخذَ بدل من تبايعَ ، وتجيء معطوف على تؤخذ . وهذا البدل أبين من المبدل منه ، والبدل فى الحقيقة إنما هو مجموع المعطوف والمعطوف عليه ، إذْ لاتكون المبايعة [٢] إلاّ عَلَى أحد الوجهين من إكراه أو طاعة . وهو كقولهم : الرُّمّان حلو حامض ، وإن كان يقال باعتبار اللفظ إنَّ تجيء معطوفٌ عَلَى تؤخذَ ، كما يقال فى مثل ذلك من الخبر والحال .

والآية قبل البيت [٣] من بدل الكلّ ،قال الخليل : لأنَّ مضاعفة العذاب هى لُقيُّ الأَثام . والظاهر أنَّ بدل الفعل من الفعل عند الشارح المحقق إنما يكون فى بدل الكل ، وهو مذهب السِّيرافى ، قال : لايبدل الفعل إلاّ من شيء هو فى معناه [٤]لأنه لايتبعَّض ولا يكون فيه اشتمال ، فتؤخذ كرها أو تجيء طائعا هو معنى المبايعة ، لأنها تقع عَلَى أحدهما .

وقد يَظْهر من كلام سيبويه فى باب مايرتفع بين الجزمين .

وقد جوَّز المتأخرون الأبدال الأربعة فى الفعل،منهم الشاطبى (فى شرح

---

(١) فى كتابه ١ : ٧٨ . وانظر المقتضب ٢ : ٦٣ والعينى ٤ : ١٩٩ والتصريح ٢ : ١٦٢ والأشمونى ٣ : ١٣١ .

(٢) ش :« المتابعة » ، صوابه فى ط .

(٣) يشير إلى استشهاد الرضى بقوله تعالى : « ومن يفعل ذلك يلق أثاما * يضاعف له العذاب » . الرضى ١ : ٣١٧ .

(٤) ش : « إلا من شيء هو فى معناه » .

الألفية) قال : يتصوَّر فى بدل الفعل من الفعل **ماتُصوِّر فى** بدل الاسم من الاسم ، فقد يكون فيه بدل الكلّ من الكلّ ، **ومنه قوله :**

* متى تأتنا تُلمم بنا فى ديارنا [١] *

وقد يكون فيه بدل البعض كقولك : إنْ تصلِّ تَسجدْ لله يرحَمْك .

وبدل الاشتمال أيضاً . ومنه قوله :

إنَّ علىّ الله أن تبايعا ..... البيت

لأنَّ الأخذ كرها والمجىء طوعا من صفات المبايعة . وظاهر كلام سيبويه يقتضى أنّه أنشده شاهداً على بدل الاشتمال ؛ لأنه أتى به مع قول الآخر : ٣٧٤

* فما كان قيسٌ هلكه هُلك واحِدٍ [٢] *

وقول الآخر :

* وما ألفيتُنى حِلمى مُضاعا [٣] *

وذلك فى بابٍ من أبواب بدل البعض والاشتمال. وإذا ثبت بدلُ البعض ثبت بدل الاشتمال: لأنَّه مشبَّه به، إذ عدُّوا وصف الشيءِ كالجزء منه. وقد يكون فيه بدلُ الإضراب والغلط، نحو : إنْ تطعم زيداً تكسُه أكرِمْك. وقد سأل سيبويه الخليل عن قولك: إن تأتنا تسألْنا نُعطِك، بجزم تسألنا . فقال : هذا يجوز على أن يكون مثل الأوّل ، لأنَّ الأوّل الفعلُ الآخِر تفسيرٌ له[٤]،

---

(١) لعبيد الله بن الحر ، وهو من شواهد سيبويه ١ : ٤٤٦ والخزانة ٣ : ٦٦٠ بولاق . وعجزه :

* تجد حطبا جزلا ونارا تأججا *

(٢) لعبْدة بن الطبيب . سيبويه ١ : ٧٧ . وعجزه :

* ولكنه بُنْيانُ قوم تهدما *

(٣) سبق الكلام عليه فى هذا الجزء ص ١٩١ فى الشاهد ٣٦٩ .

(٤) هذا صواب النص من سيبويه ١ : ٤٤٦ . وفى النسختين : « على غير أن يكون مثل الأول لا من الأول والفعل الآخر تفسير له » .

وهو هو . يعنى ماتقدَّم فى بدل الشىء من الشىء ، والسؤال لايكون الإتيان . قال : ولكنه يجوز على الغلط والنسيان ثم يتدَارَك . وقال بعد : فلو قلت:إن تأتنى آتك أقلْ ذلك . كان غير جائز ، لأنَّ القول ليس بالإتيان ، إلا أن تجيزَه على ماجازَ عليه تسألنا . فهذا نصٌّ لجواز بدل الغلط والنِّسيان . وجوازُ بدل الإضراب أولى . انتهى كلام الشاطبى .

فإن قلت : بدل الاشتمال والبعض لابدَّ لهما من ضمير فكيف الحالُ على قول الشاطبى ؟ قلت : لايمكن الضَّمير هنا لظهور أنَّ ذاك خاصٌّ بالأسماء ، لتعذُّر عودِ الضمير على الأفعال . كذا فى (شرح التوضيح للشيخ خالد) .

وقول الشارح المحقق : «إذا كان الثانى راجحَ البيان» ، مثلُه فى التسهيل قال : «ويبدلُ فعلٌ من فعل موافقٍ فى المعنى مع زيادة بيان » . انتهى .

ولم يعتبر غيرُهما هذا القيد . ولم يتعرض له أصلاً أبو حيانَ (فى الارتشاف) . قِيلَ : والحقّ عدمُ اعتباره . وأمَّا اعتبارُ الموافقة فى المعنى فقد اعتبروه ، منهم ابن معطى ، قال : وأبدلوا الفعل من الفعل إذا كان بمعناه .

قال ابن الخبَّاز : إنَّما يكون ذلك إذا ترادف اللفظان ، كقولك : مَنْ يأتِ يَمْشِ [(١)] إلىَّ أكلمْه . انتهى .

وهذا عند الشارح المحقق من باب التوكيد كما صرَّح به هنا . وقوله:إنما يكون فى ترادف اللفظين ، ممنوع .

وهُنا فائدة حسنة ذكرها ابن هشام(فى حواشى الألفية)،وهى أنه ينبغى أن يُشترط لإبدال الفعل من الفعل مااشتُرِط لعطف الفعل،وهو الاتحاد فى

---

(١) ط : « من يأتى يمشى » ، صوابه فى ش .

الزمان فقط ، دون الاتحاد فى النَّوع ، حتى يجوز : إن جئتنى تمش إلىّ أكرمْك . انتهى .

واعلم أنَّ إبدال الفعل من الفعل هو إبدالُ مفرد من مفرد ، بدليل ظهور النَّصب كما فى الشاهد ، وظهور الجزم كما فى الآية .

وزعم ابن السِّيد فى (أبيات المعانى) ، وتبعه ابن خلف ، والعينى ، والحفيد (فى حاشية المختصر) أنّ هذا من إبدال جملة من جملة . وهو سهو . قال الشيخ خالد (فى شرح التوضيح) : والفرق بين بدل الفعل وحده والجملةِ ، أنّ الفعل يتبع ماقبله فى إعرابه لفظا أو تقديراً ، والجملة تتبع ماقبلها محلاّ إن كان له محلٌّ . وإلا فإطلاق التبعية عليها مجاز ، إذ التابعُ كلُّ ثانٍ أعرب باعراب سابقِهِ الحاصل والمتجدِّد . انتهى .

وقضيَّة هذا : أنه لايتصوَّر فى الفعل المرفوع أن يكون بدلا من فعل مرفوع ، وذلك لأنَّ سبب الإعرابِ متوفِّر فيه مع قطع النظر عن التبعية ، وهو تجرُّده عن الناصب والجازم ، فرفعهُ لتجرده ، لا لكونه تابعاً لغيره ، فكيف يكون بدلاً مع انتفاء التبعية لانتفاء الإعراب بإعراب سابقه . وهكذا يقال فى العطف : لايتصوَّر عطفُ الفعل المرفوع على مثله .

وممَّا يشكل فى البدل قولُ البيضاوى وغيره : إنَّ ﴿ يتزكَّى ﴾ فى سورةِ واللَّيل ، بدلٌ من قوله : ﴿ يُؤْتِى مالَه ﴾ ، لأنَّ يؤتى مرفوعٌ لتجرُّده،فلم يُعربْ بإعراب سابقه . ٣٧٥

وأجاب بعضهم بأنَّ المراد أنَّ البدل جملة يتزكَّى من جملة يؤتى ماله . وهذا لايدفع الإشكال عن كلام البيضاوى ، لاعن ظاهر كلامهم أنّ الفعل يُبدل من الفعل ، وعمومه شاملٌ للفعل المرفوع .

وجزم السيد عيسى الصَّفوىُّ بأنَّه لايكون مضارعٌ مرفوع تابعاً لمضارع

مرفوع ، وأَجاب عما أُورِدَ على البيضاوى بأنَّ المراد كلٌّ ثانٍ أعرِبَ بإعراب سابقه ولم يكن معرباً لمُقْتَضٍ للإعراب غير التبعية .

قيل : قد يقال لامانع من كون المضارع عند التبعية مرفوعاً بالتبعية ، وإن كان فيه مقتضٍ آخر للرفع وهو التجرد ، بناءً على جواز تعدُّد السبب . وفيه نظر ، فإنهم قالوا: العامل بمنزلةِ المؤثِّر الحقيقى ، ولايجتمع مؤثِّران على أثر.

وسكت الشارح المحقق عن إبدال الجملة من الجملة ، وعن إبدال الجملة من المفرد وعكسِه .

أمَّا الأوّل فقد قال الشيخ خالد :تبدل الجملة من الجملة بدلَ بعض واشتمال وغلط، ولاتبدل بدلَ كل،نحو قعدت جلست فى دار زيد، فإنَّه توكيد.

أمَّا بدل البعض فنحو قوله تعالى : ﴿ أمدّكم بما تَعْلَمونَ ٭ أَمَدَّكُمْ بأَنْعَامٍ وبَنِين (١) ﴾ ، فجملة أمدكم الثانية أخصُّ من الأولى باعتبار متعلِّقَيهِمَا، فتكون داخلة فى الأولى .

وأمَّا بدل الاشتمال فكقوله :

٭ أقول له ارحلْ لاتقيمنَّ عندنا (٢) ٭

فقوله تقيمن عندنا بدلُ اشتمال من ارحلْ ، لما بينهما من الملابسة اللزومية ؛ وليس توكيداً له ، لاختلاف لفظيهما ، ولابدَل بعضٍ لعدم دخوله فى الأوَّل ، ولا بدل كلٍّ لعدم الاعتداد به ، ولاغلطٍ لوقوعه فى الفصيح .

وأمَّا بدل الغلط فنحو : قم اقعد .

---

(١) الآية ١٣٢ ، ١٣٣ من الشعراء .

(٢) هو مجهول القائل ، وتمامه كما فى العينى ٤ : ٢٠٠ :

٭ وإلاَّ فكن فى السر والجهر مسلما ٭

وأمّا إبدال الجملة من المفرد فقد أوردَ لهُ ابنُ هشام (فى شرح الألفية) قولَ الفرزدق :

إلى الله أشكو بالمدينة حاجةً

وبالشام أخرى كيف يلتقيانِ[١]

قال ، أبدل كيف يلتقيان وهو جملةٌ مستأنفة ، نبَّه بها على سبب الشكوى وهو استبعادُ مابين الحاجتين [٢] .

وأمّا عكس هذا وهو إبدال مفرد من جملة فقد قال أبو حيان (فى البحر) فى قوله تعالى :﴿ولم يجعَلْ له عِوَجاً * قَيِّماً [٣] ﴾قال : قَيِّماً بدلٌ من جملة لم يجعل له عوجا ، لأنها فى معنى المفرد ، أى جعله مستقيما . وقال ابن هشام (فى المغنى) فى بحث كيف : إنَّ جملة كيف خلقت بدل من الإبل بدلُ اشتمال ، والمعنى إلى الإبل كيفية خلقها . ومثله : ﴿ ألم تَرَ إلى ربِّك كيف مدَّ الظِّلَّ [٤] ﴾. وكل جملة فيها كيف فهى بدلٌ من اسم مفرد . وقال السيوطى (فى الهمع) : إنَّ بدل الجملة من المفرد بدل اشتمال .

وبقى إبدالُ الفعل من اسم يشبهه ، وبالعكس ، وإبدال الحرف من مثله .

أمّا الاول فقد قال ابن هشام (فى حواشى الألفية) : ينبغى أن يجوز إبدال الاسم من الفعِل وبالعكس ، كما جاز العطف ، نحو : زيد متَّقٍ يخاف الله ، أو يخافُ الله متَّق . انتهى .

---

(١) من شواهد العينى ١ : ٥٤٣ . ولم يرد فى ديوان الفرزدق .
(٢) ش : « وهو استبعادها الحاجبين » ، صوابه فى ط .
(٣) الكهف ١ ـــ ٢ .
(٤) الفرقان ٤٥ .

والظاهر أنّ يخاف الله استئنافٌ بيانى ، أو البدل هو الجملة لا الفعل وحده فى الأوَّل ، ومتّق خبر بعد خبر فى الثانى ، والتقوى غير الخوف ، فإنَّ الوقاية فرْط الصيانة .

وأما الثانى فقد ذكره سيبويه ، وجعل منه : ﴿ أَيَعِدُكُمْ أنَّكمْ إذا مِتُّمْ وكُنتم تُراباً وعظاما أَنَّكم مُخْرَجون[1] ﴾ ، فجعل أنّ الثانية بدلاً من الأولى ، لاتوكيداً كما قال غيره .

٣٧٦

وقوله : (إن علىَّ الله) إلخ قال ابن خروف (فى شرح الكتاب) : اللهَ منصوبٌ على القسم ، ويجوز أن يكون اسمَ إنّ ، والخبر الجار والمجرور ، وأنْ مفعولٌ من أجله . وأنشد يحيى :

وإنَّ علىّ اللهَ لاتحملوننى على خُطّةٍ إلاّ انطلقتُ أسيرُها

فلو حذفت إنّ لقلت : علىَّ عهدُ الله لأضربنَّك . قال الفراء : ويجوز علىَّ اللهُ أنْ أضربك . انتهى .

وقال ابن خلف : هذا الشاعر حلفَ على مخاطَبه بالله ، أنَّه لابدَّ له من أن يبايع ، فلماَّ حذف حرف القسم نصبَ الاسم ، وأن تبايعَ : اسم إنّ ، وعلىّ خبر إنّ ، والقَسَم معترض بين الاسم والخبر .

ونقل العينىُّ عن بعض شرّاح الكِتاب أنّ علىَّ متعلّق باستقرارٍ محذوف فى موضع خبر إنَّ ، كأنه قال : وجب علىَّ اليمينُ بالله ، لأَنَّ هذا الكلام قسَم ، وأنْ تبايعا يتعلق بعلىَّ ، أعنى بما فيه من معنى الاستقرار . انتهى . وهذا التعلُّق غير ظاهر .

و(المبايعة):بمعنى البَيعة والطاعة للسلطان .وأصلُ البيعة الصفْقة على

---

(١) المؤمنون ٣٥ .

إيجاب البيع . وأيمان البَيعة (١) هى التى رتبهَّا الحَجَّاج مشتملةً على أمور مغلّظة من طلاق وعتق وصوم ونحو ذلك .(وتؤخذ) بدلٌ من تبايع كما تقدَّم. قال السيرافى : النصب فى هذه الأَبيات على البدل جيِّد ، ولو رفع على الابتداء لكان أكثر وأعرف ، فيقول (٢) : هلكه هلكُ واحد ، وماألفيتُنى حلمى مضاعٌ ، وتكون الجملة فى موضع الحال ، وتؤخذُ كرهاً أو تجىءُ طائعاً على معنى أنت تؤخذ كرها ؛ فيكون أنت تؤخذ فى موضع الحال . انتهى .

وهذا كقوله :

مَتَى تأتِه تعشو إلى ضوء ناره
تجدْ خيرَ نارٍ عندَها خيرُ موقدِ(٣)

رفع تعشو بين المجزومين ، أعنى الشرط والجزاء لأَنه قَصد به الحال ، أى متى تأته عاشياً ، أى ناظراً إلى ضوء ناره . وكذلك كل ماوقع بين مجزومين . وعليه قراءة : ﴿ يَرِثُنِي ويرثُ من آل يعقوب (٤) ﴾ بالرفع ، لم يجعله جوابا ، وإنما جعله وصفاً ، أى وارثاً من يعقوب . فتدَّبرْه فإنه كثيرٌ . كذا (فى أبيات المعانى) لابن السِّيد .

وقوله : (كرهاً) مفعول مطلق ، أى تُؤخذ أخذاً كرها . ويجوز أن يكون حالاً بتأويله باسم الفاعل . وهو المناسب لقوله طائعاً ، فإنَّه حالٌ .

وهذا البيتُ قلَّما خلا عنه كتابٌ نحوىٌّ ، ومع شهرته لايعلم قائله ، وهو من أبيات سيبويه الخمسين التى لم يعرف قائلها .والله أعلم.

* * *

(١) ش : « وأعيان البيعة » ، صوابه فى ش .
(٢) ط : « فتقول » .
(٣) للحطيئة فى ديوانه ٢٥ . وهو من شواهد سيبويه ١ : ٤٤٥ .
(٤) الآية ٦ من سورة مريم .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والسبعون بعد الثلثمائة ، وهو من أبيات س [١]:

٣٧٣ (وكنتُ كذى رِجْلين رجلٌ صحيحةٍ
ورجلٌ رمَى فيها الزمانُ فَشَلَّتِ)

على أنه يروى (رِجلٍ) بالجر على أنَّه بدلٌ مع أخرى مفصَّلٌ من رِجْلين. ويروى بالرفع على أنه بدلٌ مقطوع .

أنشده سيبويه فى باب مجرى النعت على المنعوت والبدل على المبدل منه ، قال : ومثل مايجىء فى هذا الباب على الابتداء وعلى الصفة والبدل ، قولُه جلّ وعز : ﴿ قد كان لَكُمْ آيةٌ فى فِئتَينَ التقَتا فئةٌ تقاتلُ فى سَبيلِ الله وأخرى كَافِرةٌ [٢] ﴾ . ومن الناس من يجرُّ ، والجرُّ على وجهين : على الصِّفة وعلى البدل . ومنه قولُ كثيِّر عزَّة : ٣٧٧

وكنتُ كذى رجلين رجل صحيحة . . . (البيت).

وقوله : « ومثل مايجىء فى هذا الباب » إلخ ، يريد أَنَّهُ يرفع على أنه خبرُ مبتدأ محذوف ، والتقدير : إحداهما فئة تقاتل إلخ . والجملة صفة لفئتين .

وقوله : « ومن الناس من يجرّ » إلخ يريد أنّ فئة بدل من فئتين . والصفة جائزة كما تقول : مررت برجلين قائم وقاعد . وإنّما جعل فئة صفة لفئتين ، لأنّ فئة موصوفة ، فكان اعتماد الصفة فى فئتين على صفة فئة ، كما تقول مررت برجُلين :رجُلٍ صادق ورجل كاذب .

وقول كثيِّر :(ورِجْلٌ) على رواية الرفع إمّا خبر مبتدأ محذوف،تقديره

---

(١) فى كتابه ١ : ٢١٥ . وانظر المقتضب : ٢٩٠ والجمل ٣٦ وابن يعيش ٤ : ٢٠٤ والأشمونى ٣ : ١٢٨ وديوان كثير ١ :٤٦ .

(٢) آل عمران ١٣ .

هما رِجْل صحيحة ورجْلٌ أخرى ، أو تقديره : إحداهما رجل صحيحة والأخرى رجل . فالكلام على الأوّل جملة واحدة وعلى الثانى جملتان . وإمّا مبتدأٌ محذوفُ الخبر ، والتقدير : منهما رجل صحيحة ومنهما رِجْل ، فالكلام جملتان . وقال العينى : ويجوز نصب رجل فى الموضعين على إضمار أعنى . وعلى رواية جرّ رجْل يكون على الإبدال من رِجْلين ، بدلَ نكرة من نكرة ، وبهِ [(١)] أورده ابن هشام (فى المغنى) والمرادى (فى شرح الألفية) . وإنّما أبدل لأجل الصفة ، وهو وصْف الرِّجل الأولى بصحيحة والثانية بجملة رَمَى . ولمَّا كان المبدل منه مثنًّى وجب الإتيان باسمين . ويعرف نحو هذا الإبدال ببدل المفصَّل من المجمل ، لأنَّه أجمل أولا ثم فصَّل ثانيا . وجملة رمى إلخ صفةٌ لرِجْل الثانية . ومفعول رمى محذوفٌ تقديره : رمى فيها الزمان داءً فشَلَّت .

و(شَلَّت) أصله شَلِلَتْ تَشَلُّ شلَلاً،من باب فرح . والشلَّل:آفة تصيب اليدَ أو الرجلَ فتيبس منها،وقيل تسترخى.يقال شَلَّت يدُه وأشلَّها الله.

وقبل هذا البيت :

(وكُنّا سَلكنا فى صَعودٍ من الهوى فلمَّا توافَيْنـا ثبتُّ وزَلَّتِ
وكنّا عقَدْنا عُقدةَ الوصلِ بيننا فلما تواثقنا شَددت وحَلَّتِ
أريدُ الثَّواءَ عِندها ، وأظنُّها إذا ماأطَلْنا عندها المُكْثَ مَلَّتِ
فليتَ قلوصى عِند عَزّة قُيِّدتْ بحبلٍ ضعيف عَزَّ منها فضَلّتِ
وغُودر فى الحىِّ المقيمِينَ رحلُها وكان لها باغٍ سِوایَ فبَلَّتِ)

الصَّعود بالفتح : خلاف الهَبوط . والثَّواء ، بالفتح : الإقامة . وعزّ منه بمعنى غلبه وقوىَ عليه . وفى (العباب) : قال الفرَّاء :يقال بَلّت مطيَّته على وجهها،إذا هَمَت [(٢)] ضالَّة . وأنشد هذا البيت ، وهو بالباء الموحدة .

---

(١) ط : « وجه » ، صوابه فى ش .
(٢) وكذا فى اللسان (بلل) . يقال همت الناقة هميا : ذهبت على وجهها فى الأرض .

واختلف أصحابُ المعانى فى معنى البيت الشاهد ، فقال الأعلم : تمنَّى أن تشَلّ إحدى رجليه وهو عندها ، وتضلَّ ناقتُه فلا يرحلَ عنها ، فيكون قوله: وكنت كذى رجلين إلخ معطوفاً على قوله:قُيِّدت ، ليدخُل فى التمنِّى .

وقال ابن سيده : لما خانته عَزَّةُ العهدَ فزلَّت عن عهده ، وثبَتَ هو على عهدها ، صار كذى رجلين رجل صحيحة ، وهو ثباته على عهدها ، وأخرى مريضة ، وهو زَلَلُها عن عهده .

وقال عبد الدائم [١] : معنى البيت أنّه بينَ خوفٍ ورجاء ، وقُربٍ وتَناءٍ ، كما قال المتنبى :

وأحلى الهوى ماشَكّ فى الوصلِ ربُّه
وفى الهجرِ،فهو الدّهرَ يرجو ويتَّقِي [٢]

٣٧٨ وقال غيرهم: تمنّى أن تضيع قَلوصُه فيبقى فى حَىّ عزة ، فيكون ببقائه فى حيِّها كذى رجلٍ [٣] صحيحة ، ويكون من عدمه لقَلوصهِ كذى رجلٍ عليلة .

حكى هذه الأقوالَ اللخمىُّ وقال : وهذا القول الأخير هو المختار المعوّل عليه ، وهو الذى يدلُّ عليه ماقبل البيت ، وهو اختيار الأستاذ أبى عبد الله ابن أبى العافية . وقد أخذ كثيرٌ هذا البيتَ من النّجاشىّ ، وهو قولُه :

---

(١) هو عبد الدائم بن مرزوق القيروانى ، كما سيأتى فى الشاهد ٤٥٣ . قال السيوطى فى البغية ٢٩٦ : « نحوى قديم ، روى عنه أبو جعفر محمد بن حكم السرقسطى ، وأكثر أبو حيان فى الارتشاف من النقل عنه » . وذكر البغدادى له « كتاب حلى العلى ، فى الأدب » . فلعل هذا النقل منه . ومهما يكن فإنَّ هذا النص ثابت فى شرح شواهد المغنى للسيوطى ٢٧٥ . فلعله كذلك نقل عن نقل .

(٢) ديوان المتنبى ١ : ٤٢٨ .

(٣) ط : « كذى رجلين » ، صوابه فى ش .

وكنتُ كذى رِجلين رجلٍ صحيحةٍ
ورجلٍ رمت فيها يدُ الحَدَثانِ
فأما التى صحّتْ فأزدُ شنوءةٍ
وأما التى شَلَّت فأزدُ عُمانِ

وقد أوردهُ ابن رشيق(فى العمدة)فى السّرقات الشعرية،وسمّاه الاهتدام.قال:فأخذ كثيرٌ القسمَ الأوّل واهتدم باقىَ البيت ،فجاءَ بالمعنى فى غير اللفظ.

وهذه القصيدة كلها نسيبٌ بعزَّة ، وهى من منتخبات قصائده ، والتزم فيها مالا يلزم الشاعر ، وذلك اللام قبل حرف الروى ، اقتداراً فى الكلام وقوّةً فى الصناعة ، وماخرم ذلك إلّا فى بيتٍ واحد ، هو :

فما أنصفَتْ،أمّا النِّساءَ فبغَّضتْ إلىّ وأمّا بالنّوال فضنّتِ

وهى قصيدة .وهذا مطلعُها مع جملة أبياتٍ منها وقعت شواهدَ للنحويِّين :

(خليلىّ هذا ربعُ عَزّة فاعقِلا قَلوصَيكما ثم أبكيا حيثُ حلَّتِ
وماكنتُ أدرى قبلَ عزّةَ ماالبُكا ولا مُوجعاتِ القلبِ حتى تولَّتِ)

إلى أن قال :

(وإنِّى وتَهيامى بِعزّة بعد ما تخلَّيتُ فيما بيننا وتخلَّتِ
لكالمبتغِى ظِلّ الغمامةِ كلَّما تبوأً منها للمقيل اضمحلَّتِ
يكلِّفها الغَيرانُ شتمى وما بها هَوانى ولكنْ للحليل استذلَّتِ
هنيئاً مريئاً غيرَ داءٍ مخامرٍ لعزَّةَ من أعراضنا مااستحلَّتِ
أسيئى بنا أو أحسنى لا ملومةً لدينا ولا مَقليَّةً إنْ تقلَّتِ)

وقوله :«وما كنت أدرى قبلَ عزّة» إلخ استشهد به ابن هشام(فى

(١) العمدة ٢ : ٢٣٠ .

شرح الألفية) على نصب موجعات عطفاً على محلّ مفعول أدرى المعلَّق بما الاستفهامية ، لأنَّ المعلِّق أبطل عمله لفظاً لا محلاًّ . وقال (فى مغنى اللبيب) : فائدة الحكم على محلّ الجملة فى التعليق بالنصب ظهورُ ذلك فى التابع ، فتقول : عرفت من زيد وغَيرَ ذلك من أموره . واستدلَّ ابن عصفور بنصب موجعات من هذا البيت . ولك أنْ تدَّعىَ أنّ البكاء مفعول ، وأنّ مازائدة ، أو أنَّ الواو للحال وموجعات اسمُ لا ، أىْ وماكنت أدرى قبل عزة ، والحالة أنّه لا موجعاتٍ للقلب موجودة ، ماالبكا . انتهى .

وقوله : « وإنّى وتَهيامى بعزّة » إلخ ، التَّهيام : بالفتح:مبالغة الهُيام بالضم ، وهو كالجنون من العشق . قال ابن جنى (فى سرِّ الصناعة) : سألت أبا على عن قول كثيِّر : وإنى وتهيامى بعزة البيت ، فقلت له : ماموضعُ تهيامى من الإعراب ؟ فأفتى بأنّه بالابتداء وخبره بعزة ، وجعلَ الجملة اعتراضاً بين اسم إنّ وخبرها ، لأنّ فيها ضرباً من التسديد للكلام . ويحتمل أن تكون الواو للقسم فالباءُ على هذا متعلقة بتهيامى.وعرضتُ هذا على أبى علىّ فقبله. انتهى ٣٧٩

وقد نقل ابنُ هشام ماحكيتهُ عنهما فى الجملة المعترضة (من المغنى) .

وقوله :« هنيئاً مريئاً غيرَ داءٍ » إلخ ، أورده صاحب (الكشاَّف) عند قوله تعالى : ﴿كُلُوا واشْرَبوا هَنيئاً بما كُنْتُم تَعْمَلُون [1]﴾ على أنّ الباء زائدة وما فاعل هنيئاً ، وهو صفةٌ استعمِلت استعمال المصدر القائم مقامَ الفعل ، كأنه قال : هنَأكم الأكل والشرب . وهنيئا لعزَّة مااستحلَّت [2] من أعراضنا . الهنىءُ والمرىء صفتان من هَنؤ الطعام ومرؤ كشرف ، إذا كان سائغاً لاتنغيصَ فيه . والمخامر : المخالط .

(١) الآية ١٩ من الطور ، و ٤٣ من المرسلات .

(٢) ط : « لعزة المستحلة » .

وقوله: « أسيئى بنا أو أحسنى » إلخ ، هذا التفاتٌ من الغيبة إلى الخطاب . وأورده صاحب (الكشاف) أيضاً عند قوله تعالى : ﴿ أنفقوا طَوْعاً أو كَرْهاً لن يُتَقَبَّلَ منكم (١) ﴾ على تساوى الإنفاقين فى عدم القبول ، كما ساوى كُثيِّرٌ بينَ الإحسانِ والإساءة فى عدم اللَّوم . والنُّكتةُ فى مثل ذلك إظهارُ نفيِ تفاوت الحال بتفاوت فعل المخاطب ، كأنّه يأمرها بذلك لتحقيق أنه على العهد . ومَقليَّة بمعنى مُبغَضة ، من القِلَى وهو البُغْض . وقوله : « إنْ تقلَّت » التفاتٌ من الخطاب إلى الغيبة .

وروى صاحب (الأغانى) بسنده عن هيثم بن عدىٍّ قال :

سأل عبد الملك بنُ مروان كثيِّراً عن أعجب خبرٍ له مع عَزّة ، فقال : يأمير المؤمنين ، حججْتُ سنةً وحجَّ زوج عزّةَ معها ، ولم يعلم أحدُنا بصاحبه ، فلمَّا كنا ببعض الطريق أمَرها زوجها بابتياع سَمن تصلح به طعاماً لرفقته، فجعلت تدور الخيامَ خيمةً خيمةً ،حتى دخلت إلىَّ وهى لاتعلم أنَّها خيمتى ، وكنت أبرى سهماً ، فلما رأيتها جعلت أبرى لحمى وأنظرُ حتَّى بريت ذراعى وأنا لاأعلم به ، والدم يجرى ، فلما عِلمَتْ ذلك دخلتْ إلىَّ فأمسكتْ يدى وجعلتْ تمسح الدَّمَ بثوبها ، وكان عندى نِحْيُ سمن فحلفتُ لَتأْخُذِنَّه (٢) . فأخذَتْه وجاءت زوجَها ، فلما رأى الدم سألها عن خبره فكاتمته ، حتى حلفَ عليها لتَصدُقَنَّه . فصدَقَتْهُ فضربهَا ، وحلَف عليها لتَشْتُمنِّى فى وجهى ، فوقفَتْ علىّ وقالت لى وهى تبكى : ياابن الزانية ! ثم انصرفا(٣) . وذلك حيثُ أقول :

* يكلِّفها الغَيرانُ شتمى ومابها *

---

(١) الآية ٥٣ من التوبة .

(٢) فى النسختين : «لتأخذه». والوجه ماأثبت من الأغانى ٨ : ٣٧

(٣) وكذا فى الأغانى . وفى ش : « ثم انصرفت » مع أثر تغيير .

الأبيات الثلاثة .

وروى صاحب الأغانى أيضاً قال : وقفتُ على جماعةٍ تكلَّموا فىَّ وفى جميل : أيُّنا أصدق عِشقاً ، وهم لايعرفوننى ، ففضلَّوا جميلا ، فقلت لهم : قد ظلمتم كُثيِّراً ، كيف يكون جميل أصدقَ منه عشقاً وحين أتاه من بثينة مايَكره قال :

رمَى الله فى جَفْنَىْ بثينةَ بالقذَى
وفى الغُرِّ من أنيابها بالقوادحِ

وكثِّيرٌ حين أتاه مايكره من عَزّة قال :

هنيئاً مريئاً غير داءٍ مخامر ...... (البيت).

وهذه القصيدة جيِّدة فلا بأس بإيرادها على رواية أبى على القالى (فى أماليه [١] قال : قرأت هذه القصيدة على أبى بكر بن دريد فى شعر كثيِّر ، وهى من منتخبات كثيِّر ، وأوَّلها :

قصيدة الشاهد

(خليلىَّ هذا ربعُ عَزّة فاعقِلا قلوصَيكما ثم أبكيا حيثُ حَلَّتِ[٣]
ومُسَّا تراباً كان قد مَسَّ جلدَهَا وبيتاً وظِلاً حيث باتت وظلَّتِ
ولا تيأسا أن يمحوَ الله عنكما ذنوبا إذا صلَّيتما حيث صلَّتِ
وما كنتُ أدرى قبلَ عزَّةَ ما البكا ولا موجعاتِ القلب حتىّ تولَّتِ ٣٨٠
وقد حلفَتْ جَهداً بما نحرتْ له قريشٌ غداةَ المأزِمين وصلَّتِ

---

(١) أمالى القالى ٢ : ١٠٩ .

(٢) البيتان التاليان لم يردا فى مطبوعة الدار .

أناديكِ ماحجَّ الحجيجُ وكبَّرتْ بفيفَا **غزالٍ رُفقةٌ** وأهلَّتِ

وكانت لقَطع العهد بينى وبينها كناذِرةٍ **نذراً فأوفتْ** وحَلّت

— ويروى : « وفَتْ فأحلّتِ » —

فقلتُ لها ياعزَّ كلُّ مصيبةٍ إذا وُطِّنت يوما لها النّفسُ ذلَّتِ

ولم يَلقَ إنسانٌ من الحبِّ مَيعةً لغمٍّ ولا عمياءَ إلاّ تجلّتِ[1]

كأنِّى أُنادى صخرةً حين أعرضتْ من الصمِّ لو تمشى بها العُصمُ زلَّتِ

صَفوحاَ فما تلقاك إلاّ بخيلةً فمن ملّ منها ذلك الوصلَ ملّت

أباحت حِمىً لم يرعَهُ الناسُ قبلَها وحلّتْ تلاعاً لم تكن قبل حُلّتِ

فليت قَلوصى عند عَزّة قُيِّدتْ بقيدٍ ضعيفٍ فَرَّ منها فَضَلَّتِ [2]

وغُودر فى الحىِّ المقيمين رحلُها وكان لها باغٍ سواىَ فبَلّتِ

وكنتُ كذى رجلين رجلٍ صحيحة ورجلٍ رمى فيها الزّمانُ فشَلَّتِ

وكنتُ كذاتِ الظَّلْع لمَّا تحاملتْ على ظلعها بعد العِثار استقلّتِ

أريدُ الثّواءَ عندها وأظُنُّها إذا ماأطلنا عندها المُكْثَ مَلَّتِ

فما أنصفَتْ،أمَّا النساءَ فبغّضتْ إلينا وأمَّا بالنَّوال فضنَّتِ

---

(١) فى الأمالى وديوان كثير ١ : ٤٢ : « ميعة تعم ولا غماء » وفى شرح الديوان : « ويروى : تغم ، أى تغطى » .

(٢) فى الأمالى والديوان : « بحبل ضعيف غر منها » أى عقد ذلك الحبل على غرة ، أى على غفلة ، فهو غير موثوق . وفى ش وإحدى روايات الديوان : « عز منها » . وفى شرح الديوان : « أى غلبها قوى عليها » ، ثم قال : « ويروى حز منها ، أى قطع منها » .

يكلِّفها الغَيرانُ شتمى ومابها هَوانى ولكنْ للمليك استذلّت
هنيئاً مريئاً غيرَ داءٍ مخامرٍ لعزَّةَ من أعراضِنا مااستحلّتِ)

قال أبو على : قيل لكثيِّر : أَنت أشعرُ أم جميل ؟ فقال :بل أنا . فقيل له : أتقول هذا وأنت راوِيتُه ؟! قال : جميلٌ الذى يقول :

رمى الله فى عينَىْ بثينةَ بالقذى وفى الغُرِّ من أنيابها بالقوادِحِ

وأنا أقول :

هنيئاً مريئاً غير داءٍ مخامر ..... البيت
ووالله ماقاربتُ إلا تباعدَتْ بصُرمٍ ولا أكثرْتُ إلاّ أقلَّتِ
فإنْ تكن العُتبى فأهـلاً ومرحبـاً وحَقَّت لَهاَ العُتبى لدينا وقَلّتِ(١)
وإن تكن الأخرى فإنَّ وراءَنا مَنادحَ لو سارت بها العيِسُ كلّتِ(٢)
خليلىَّ إنَّ الحاجبية طَلّحت قلوصيكما وناقتى قد أُكلّتِ (٣)
فلا يبَعدَنْ وصلٌ لعزّة أصبحت بِعاقبةٍ أسبابُه قد تولَّتِ (٤)
أسيئى بنا أَو أحسنِى لا ملومةً لدينا ولا مقليَّةً إنَّ تقلَّتِ
ولكن أنيلِى واذكرى من مودَّةٍ لنا خُلَّةً كانت لديكِ فضلَّتِ (٥)

---

(١) فى الأصل : « بها العتبى » ، صوابه من الأمالى والديوان .

(٢) ط : « مناوح » ، صوابه فى ش والأمالى والديوان .

(٣) ط : « قد أطلت » ،صوابه فى ش والأمالى والديوان .

(٤) فى الأصل : « لعاقبة » ، صوابه فى الأمالى والديوان .

(٥) ط : « أميلى » ، ش : « أبينى » ، وأثبت مافى الأمالى والديوان . وفى الأمالى والديوان : « كانت لديكم فطلت » . وفى الديوان : « ويروى فضلت ، من ضل فلان فلانا : نسيه ومطله » .

وإنِّى وإنْ صدّت لمثنٍ وصادقٌ ‏ ‏ عليها بما كانت إلينا أزلَّتِ
فما أنا بالداعى لعزَّةَ بالجوَى ‏ ‏ ولا شامتٍ إنْ نعلُ عزّةَ زلَّتِ
٣٨١ فلا يحسب الواشونَ أنَّ صبابتى ‏ ‏ بعزَّةَ كانت غَمرةً فتجلَّت
فأصبحتُ قد أُبللتُ من دَنَفٍ بها ‏ ‏ كما أُدنِفَتْ هَيماءُ ثم استبلَّت [(١)]
ووالله ثُمَّ اللهِ ماحلَّ قبلها ‏ ‏ ولا بعدَها من خُلّة حيث حلَّتِ
ومامرَّ من يومٍ علىَّ كيومها ‏ ‏ وإن عظُمت أيَّامُ أُخرى وجَلَّتِ[(٢)]
فأضحَتْ بأعلى شاهقٍ من فؤاده ‏ ‏ فلا القلبُ يسلاهَا ولا العينُ ملَّتِ
فياعجبًا للقلبِ كيف اعترافُه ‏ ‏ وللنَّفس لمَّا وُطِّنت كيف ذَلَّتِ
وإنِّى وتَهيامى بعزَّة بعدما ‏ ‏ تخلَّيتُ ممَّا بيننا وتخلَّتِ
لكالمُرْتجى ظِلَّ الغَمامة كلَّما ‏ ‏ تبوَّأَ منها للمَقِيلِ اضمحلَّتِ
كأنِّى وإيّاها سَحابةُ مُمْحِلٍ ‏ ‏ رجَاها فلما جاوزَتْهُ استهلَّتِ

قال أبو على : المأزِمان : عَرفة والمزدِلفة . وأناديك : أُحادثك ؛ مأخوذٌ من النَّدِىّ والنادى جميعاً ؛ وهو المجلس . ومَيعةُ كلِّ شيء : أوَّله . والصَّفوح : المعْرضة . وبلَّتْ : ذهبت . قال أبو علىّ : ماأعرف بلَّت ذهبت إلا فى تفسير هذا البيت . والعُتبى : الإعتاب ، يقال عاتبنى فلان فأعتبته ، إذا نزعتَ عمَّا عاتبك عليه ، والعُتبى الاسم ، والإعتاب المصدر . وقوله : « طَلَّحت » ، الطليح : المُعيى الذى قد سقَط من الإعياء . وطلّت [(٣)] : هدرت . وأَزلَّت : اصطنعت . ويقال بلَّ من مرضِه وأبلّ واستَبَلَّ ، إذا برِئَ. واعترافه : اصطباره ، يقال نزلت به مصيبة فوُجِد عَروفاً ، أى صبورا . والعارف : الصَّابر . هذا ماأورده أبو علىّ القالى .

---

(١) فى النسختين : « من مدنف » ، صوابه من الأمالى والديوان .
(٢) ط « أمام أخرى » ، صوابه فى ش والأمالى والديوان .
(٣) الذى فى متن البيت : « فضلّت » . وانظر حاشيته هناك .

وروى السيوطى (فى شرح شواهد مغنى اللبيب) عن أبى الحسن بن طَباطبا (فى كتاب عِيارِ الشعر) أنَّ العلماء قالوا : لو أنَّ كُثيِّرا جعل قوله :

فقلت لها ياعزَّ كلُّ مصيبة . . . . البيت

فى وصف حربٍ لكان أشعرَ الناس . ولو جعل قوله : أسيئى بنا أو أحسنى ، البيت ، فى وصف الدُّنيا كان أشعر الناس .

كثير عزة

وكُثيِّر ، بضم الكاف وفتح المثلثة وكسر الياء المشددة التحتية . وهو كُثيِّر بن عبد الرحمن بن أبى جُمعة بن الأسود بن عامر . وقال اللخمىّ : هو كُثيِّر بن أبى جمعة . وهو خُزاعىٌّ . وأبو خزاعة : الصَّلت بن النضر بن كنانة . وفى ذلك يقول كثيِّر :

أليس أبى بالنَّضر أمْ ليس والدى لكلِّ نجيبٍ من خُزاعةَ أزهرا

فحقَّق كثيِّر أنّه من قريش . وقيل إنّه أزدىٌّ من قحطان . وهو شاعر حجازىٌّ من شعراء الدولة الأموية ، ويكنى أبا صخر ، واشتهر بكثيِّر عزَّة بالإضافة إلى عزَّة ، وهى محبوبته ؛ وغالب شعره تشبيبٌ بها [1] .

وعَزَّة بفتح العين المهملة وتشديد الزاى . والعَزّة فى اللغة : بنت الظَّبية ، وبها سُمِّيتْ . وهى كما قال ابن الكلبى : عَزّة بنت حُمَيْل ، بضم المهملة ، بن حَفْصٍ بفتحها ، من بنى حاجب بن غِفار ، بكسر المعجمة وخفةّ الفاء ، وكنيتها أُمُّ عمروٍ الضَّمريَّة ، نسبة إلى قبيلة ضَمرة . وكثيراً مايُطلِق عليها الحاجبيَّة ، نسبة إلى جدِّها الأعلى ، كقوله فى هذه القصيدة :

(١) ط : « مشبب بها » ، صوابه فى ش .

خليليَّ إنّ الحاجبيةَ طَلّحتْ قلوصيكما وناقتى قد أُكَلّتِ [١]

٣٨٢ ومن الغرائب تفسير العينى للحاجبية هنا بالرَّمل الطويل . وهو غفلةٌ عن نسبِها .

قال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : بعثت عائشة بنت طلحةَ بن عُبيد الله إلى كثيِّر : ياابن أبى جمعة ، ماالذى يدعوك إلى ماتقول من الشعر فى عزَّة ، وليست على ماتصِف من الجمال ، لو شئتَ صرفتَ ذلك إلى مَن هو أولى به منها ، أنا أَوْ مثلى ! وإنّما أرادت تجربته بذلك ، فقال :

إذا وصلَتنا خُلّةٌ كى تزيلَها أبينا وقلنا : الحاجبيَّةُ أوّلُ

لها مَهَلٌ لايُستطَاع دِراكُه وسابقةٌ مِلْحُبٌ لا تتحوّلُ

سنُوليكِ عُرفا إن أردتِ وصالَنا ونحن لتلك الحاجبيَّةِ أَوصَلُ

فقالت : والله لقد سمَّيتنى لك خُلّة ، ومأأنا لَكَ ، وعرضْتَ علىَّ وصالكَ ومأأريدُ [٢] ، هلَّا قلتَ كما قال جميل :

يارُبَّ عارضةٍ علينا وصلَها بالجدِّ تَخْلِطه بقول الهازِلِ

فأَجبتُها بالرِّفق بعد تستُّرٍ حُبِّى بثينةَ عن وصالِك شاغلِي

لو كان فى قلبى كقَدرِ قُلامةٍ وصَلتْكِ كتْبى أَو أتتْكِ رسائلى

وروى القالىّ (فى أماليه) عن العتبىّ قال : دخلَتْ عزَّةُ على عبد الملك بن مَروْان ، فقال لها : أَنتِ عزَّة كثيِّر ؟ فقالت : نعم . قال لها : أتروين قول كثيِّر :

وقد زعمتْ أنِّى تغيَّرتُ بعدَها ومن ذا الذى ياعزَّ لا يتغيَّرُ

---

(١) ط : « أطلت » ، صوابه فى ش والأمالى والديوان .

(٢) فى الشعراء ٤٨٩ : « وما أريد ذلك وأن أردت » .

قالت : لاأروى هذا ، ولكنى أُروى قولَه :

كأنِّى أُنادِى صخرةً حين أُعرضَتْ ... من الصُّمِّ لو تمشى بها العُصْمُ زلّتِ

صَفوحاً فما تلقاكَ إلا بخيلةً ... فمن مَلَّ منها ذلك الوصلَ ملَّتِ

وروى ابن قتيبة (فى كتاب الشعراءِ) أُن عائشة بنتَ طلحة قالت لعَزّة : أَأَيتِ قولَ كثيِّر :

قَضى كلُّ ذى دَينٍ فوفّى غريمَه ... وعزّةُ ممطولٌ معنًّى غريمُها

ماكان ذلك الدّين ؟ قالت : وعدتُه قُبلةً فتحرَّجْتُ منها . فقالت : اقضِيها وعلىَّ إثمُها .

قال صاحب الأغانى : كان ابن إسحاقَ يقول : كثيِّرٌ أشعر أُهل الإسلام ، وكانت له منزلة عند قريش وقدرٌ ، وكان عبدُ الملك معجباً بشعره . وقال الجمحِىُّ : كان لكثيِّر فى النسيب نصيبٌ وافر ، وكان له من فنون الشعر ماليس لجميل ، وكان راويةَ جميل . وإنّما صغِّر اسمُه لشدَّة قصره وحقارته . وقال الوقَّاصى : رأيتُ كثيِّراً يطوف بالبيت فمن حدَّثك أنّه يريد على ثلاثة أشبار فلا تصدِّقْه ، وكان إذا دخل على عبد الملك أو أخيه عبد العزيز يقول : طأطىءْ رأسك لايصيبُه السَّقف ! وهجاهُ الحزينُ الكِنانىُّ [١] بقوله :

(١) فى النسختين : «الحر بن الكنانى» ، والصواب ماأثبت ، والحزين لقب له ، واسمه عمرو بن عبيد بن وهب بن مالك ، شاعر من شعراء الدولة الأموية ، حجازى . وكان هجَّاء متكسبا بالشعر . وقد وفد الى مصر ومدح عبد الله بن عبد الملك . الأغانى ١٤ : ٧٤ — ٨٢ والمؤتلف ٨٨ .

قصير قميصٍ فاحشٌ عندَ بيته يَعَضُّ القرادُ باسْتِه وهْوَ قائمُ[(١)]

وروى صاحب الأغانى عن طلحة بن عُبيد الله قال : مارأيت أحمقَ من كثيِّر ، دخلت عليه يوماً فى نفر من قريش وهو مريض ، وكُنّا كثيراً مانهزأ به وكان يتشيَّع تشيُّعاً قبيحا ، فقلت له : كيف تجدُك ياأبا صخر ؟ قال : أجدنى ذاهباً . قلت : كلَّا . قال : فهل سمعت الناسَ يقولون فىَّ شيئاً ؟ قُلت : نَعم ، يتحدثون بأنَّك الدجَّال . قال : أمَا لئن قلتَ ذاك فإنِّى لأجد فى عينى هذه ضَعفا منذُ أيام . فقال له محمد بن على : تزعم أنك من شيعتنا وتمدح آل مروان ! قال : إنّما أسخر منهم وأجعلُهم حيّاتٍ وعقارب ، وآخذ أموالَهم .

٣٨٣

وكانت وفاته فى خلافه يزيدَ بنِ عبد الملك بالمدينة المنوَّرة على ساكنها أفضلُ الصلاة والسَّلام . قال جُويريَة بن أسماء : مات كثيِّر وعكِرمة مولى ابن عباس فى يوم واحد ، فقال الناس : اليومَ مات أفقَه الناس وأشعر الناس ! ولم يتخلَّف رجلٌ ولا امرأة عن جنازتَيهما ، وذلك فى سنة خمسٍ أو سبعٍ ومائةٍ . وغَلبت النساءُ على جِنازة كثيِّر يبكينه . ويقال : إنَّه لما حَضرتَه الوفاةُ قال :

برئت إلى الإله من ابنِ أرْوَى ومن دين الخوارج أجمعينا
ومن عُمرٍ برئتُ ومن عَتيقٍ غداةَ دُعِى أميرَ المؤمنينا

ثم خرجتْ رُوحُهُ كأنَّها حصاةٌ وقعَتْ فى ماء .

قال ابن السِّيد (فى شرح أبيات الجُمَل) : هذا الشعر من حماقته ورَفْضه . وابن أروى هو عثمان بن عفّان رضى الله عنه .

وقد أطنب الأصبهانىُّ (فى الأغانى) فى ترجمته .

---

(١) فى الأغانى ٨ : ٢٨ : « قصير القميص » . وفى الحيوان ٥ : ٤٤٠ : « يكاد خليلى من تقارب شخصه » ، وفى الحماسة ١٨٨٠ : « أظن خليلى من تقارب شخصه » ، وفى محاضرات الراغب ٢ : ١٢٩ : « رأيت خليلى » .

عطف البيان

أنشد فيه :

* أقسم باللهِ أَبو حفصٍ عُمرْ *

تقدم الكلام عليه فى الشاهد الثامن والخمسين بعد الثلثمائة [1].

* * *

وأنشد بعده :

* أنااْبْنُ التاركِ البكرىِّ بشرٍ *

تقدَّم أيضاً مايتعلّق به فى الشاهد التاسع والتسعينَ بعد المائتين [2]. والله أعلم.

---

(١) فى هذا الجزء الخامس ص ١٥٤ .

(٢) الخزانة ٤ : ٢٨٤ .

المبنيات

المضمر

أُنشد فيه :

(هذا سراقة للقرآن يدرسه)

تمامه :

(والمرءُ عند الرُّشا إنْ يلقَها ذيبُ)

وتقدَّم الكلام عليه فى الشاهد الثانى والثمانين [١].

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والسبعون بعد الثلثمائة [٢]:

٣٧٤ (إذا زُجِرَ السَّفِيهُ جَرَى إليه)

تمامه :

(وخالف والسَّفيهُ إلى خلافِ)

على أنَّ الضمير فى « إليه » راجعٌ على المصدر المدلول عليهِ بالوصف ، أى إلى السفه .

وهذا البيتُ أوردَه الفَرَّاء (فى تفسيره) عند قوله تعالى:﴿ولكنّ البرَّ من آمن بالله [٣]﴾ فى توجيه صحةّ الخبر عن المبتدإ فيه،قال :من كلام العرب

---

(١) الخزانة ٢ : ٣ .

(٢) مجالس ثعلب ٧٥ والخصائص ٣ : ٤٩ والمحتسب ١ : ١٧٠ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٦٨ ، ١١٣ ، ٣٠٥ / ٢ : ٢٠٩ والإنصاف ١٤٠ والهمع ١ : ٦٥ .

(٣) الآية ١٧٧ من سورة البقرة . وانظر معانى الفراء ١ : ١٠٤ .

قولهم : « إنّما البِرُّ الصادق الذى يصل رحمَه ويُخفى صدقَته » فيجعل الاسمُ خبراً للفِعْل ، والفعلُ خبراً للاسم ، لأنّه أمرٌ معروفُ المعنى . فأمّا الفعل الذى جُعل خبراً للاسم فقوله تعالى : ﴿ ولا تحسَبَنّ الذين يَبخلونَ بما آتاهم اللهُ مِنْ فَضْلِه هو خيراً لهم [١] ﴾ فهو كنايةٌ عن البخل . فهذا لمن جعل الذين فى موضع نصب وقرأها « تحسَبَنّ » بالتاء من فوق ، ومن قرأ بالياء من تحت جعل الذين فى موضع رفع وجعل «هو» عماداً للبخل المضمر ، فاكتفى بما ظهر فى يبخلون من ذكر البخل . ومثله فى الكلام :

٣٨٤

هُمُ الملوكُ وأبناء الملوك لهم والآخذون به والسّاسةُ الأُوَلُ [٢]

وقوله « به » يريد بالملك . وقال الآخر :

* إذا نُهِىَ السّفيهُ جَرى إليه * البيت

يريد : إلى السّفَه . انتهى .

وأنشدهُ ثعلب أيضا (فى أماليه) وقال : أى جرى إلى السّفه . واكتفى بالفعل من المصدر .

وأورده ابن جنى أيضا (فى إعراب الحماسة) عند قوله :

ولم أرَ قوماً مثلَنا خيرَ قومهم أقلَّ به مِنَّا على قومِهِمْ فَخرا

وتقدم الكلام عليه فى الشاهد الحادى عشر بعد الثلثمائة [٣] .

وأورده (فى المحتسب)أيضاً عند قراءة الأعمش :﴿ ومن يُرِدْ ثوابَ

---

(١) الآية ١٨٠ من آل عمران . وقراءة «ولا تحسبن» بالتاء ، هى قراءة حمزة ، ووافقه المطوعى . وقرأ سائر السبعة «ولا يحسبن» بياء الغائب . تفسير أبى حيان ٣ : ١٢٨ وإتحاف فضلاء البشر ١٨٢ .

(٢) للقطامى فى ديوانه وهو آخر قصيدة له يمدح فيها قريشا وبنى أمية ، وعبد الواحد الأموى . وانظر أمالى بن الشجرى ١ : ٣٠٥ .

(٣) الخزانة ٤ : ٣٦٤ .

الدنيا يؤتِه منها ومَنْ يرد ثواب الآخرةِ يؤته منها وسَيجزى الشاكرين ﴾ بالياء فيهما . قال : أضمر الفاعل لدلالة الحال عليه ، وإضماره فاشٍ ، وعليه قوله :

إذا زجر السفيهُ جَرَى إليه .... البيت

أقول : هذا ليس من قبيل إضمار الفاعل فى قراءة الأعمش كما هو ظاهر . وقوله بعد هذا وكما أضمر المصدر مجروراً ، أعنى الهاء فى إليه ، يعنى إلى السَّفه كذلك أيضاً أضمره مرفوعا بفعله ، لم أفهم معنى قوله : أضمره مرفوعا بفعله [١] . وفاعل جرى وخالف ضمير السَّفِيه .

وأورده ابنُ الشجرى أيضاً عند شرح قول الشاعر :

ومن يكُ بادياً ويكن أخاه أبَا الضَّحَّاكِ ينتسج الشَّمالا [٢]

قال : الهاء فى قوله أخاه عائدة إلى البَدْوِ الذى هو ضدُّ الحَضَر ، يقال بدا فلان يبدو بَدْواً ، إذا حَلَّ فى البدو ، دلَّ على عود الهاء إلى البدْوِ قولُه بادياً ، كما دل السَّفيه على السفه فأضمره القائل :

إذا نهَى السفيه جرى إليه .... البيت .

ومثله قولُ القطامى :

* هُمُ الملوك وأبناء الملوك لهمْ *

البيت المذكور. ثم ذكر كلام الفراء من غير أن يعزوَه إليه .ثم قال ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿ وإنْ تشكرُوا يَرضهُ لكُمْ [٣] ﴾ ،أى يرض الشكر.

---

(١) لم يتنبه صاحب الخزانة الى مايعنيه ابن جنى ، فانه قصد بذلك ماأنشده فى المحتسب ١ : ١٧٠ من قول الشاعر :

ومجوفات قد علا ألوانها أسآر جرد مترصات كالنوى

وقال : «أى قد علا التجويف ألوانها» فهذا معنى قوله «أضمره ــ أى المصدر ــ مرفوعا بفعله».

(٢) أمالى ابن الشجرى ١ : ٣٠٥ .

(٣) الآية ٧ من الزمر .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ الذين قال لهم الناسُ إنَّ النَّاسَ قد جَمَعُوا لكم فاخشَوْهم فزادَهُمْ إيمانا [١] ﴾ أى فزادهم قولُ الناس إيمانا . قال : وقوله : أبا الضحاك ، نصب على النداء ، فكأنّه قال : ومن يك باديا ويكن أخا البدْوِ يأبا الضحاك . وجعَله أخا البدو كقولك : ياأخا العرب ويأخا الحضر .

وإنما قال : ومن يك باديا ثم قال:ويكن أخا البدو ، لأنّه قد يحلُّ فى البدو من ليس من أهل البدو ، فسمِّى باديا مادام مقيماً فى البدو . والشِّمال هنا : وعاءٌ كالكيس يُجعل فيه ضرع الشاة يحفظ به . يقال شملتُ الشاة ، أى جعلت لها شِمالا . وينتَسج : يفتعل من قولك نسجت الثوب . فالمعنى : من يكن من أهل البدْو يمارسْ مايحتاج إليه الغنم . انتهى مختصراً .

وقوله : (إذا زُجر) هو بالبناء للمفعول ، ورواه الجماعة «إذَا نُهِىَ» مثله . ومتعلق النهى عامٌّ محذوف،أى عن أىِّ شىءٍ كان . وقوله:(وخالف) مفعوله محذوفٌ أى خالَف زاجرَه . وقوله (والسفيه إلى خلاف) جملة تذييلية ؛ أى شأن السفيه الميلُ إلى مخالفة الناصح . ٣٨٥

وهذا البيت لم يعزه الفرَّاء إلى أحد . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والسبعون بعد الثلثمائة :

٣٧٥ (ولوْ أنَّ الأطبَّا كانُ حَولِى وكان مع الأطباءِ الأساةُ [٢])

على أنه قد يُستغنى بالضمَّة عن واو الضمير فى ضرورة الشعر كما هنا فإنَّ الأصل : ولو أنَّ الأطباءَ كانوا حولى ، فحذفت الواو ضرورة ، وبقيت الضمةُ دليلاً عليها .

---

(١) الآية ١٧٣ من آل عمران .

(٢) معانى القرآن ١ : ٨٩ ومجالس ثعلب ١٠٩ والإنصاف ٣٨٥ . ٧٥٣ وابن يعيش ٧ : ٥ / ٩ : ٨ والعينى ٤ : ٥٥١ والهمع ١ : ٥٨ .

وأورده الفراء (فى تفسيره) عند قوله تعالى فى سورة البقرة : ﴿ فلا تخشَوْهُمْ واخشَوْنِي ولأتمَّ نِعمتى عَليكمْ [١] ﴾ قال : قوله واخشونى أثبتت فيها الياء ولم تثبت فى غيرها ، وكلٌّ ذلك صواب . وإنّما استجازوا حذف الياء لأن كسرة النون تدلُّ عليها ، وليست العرب تهاب [٢] حذف الياء من آخر الكلام إذا كان ماقبلها مكسوراً . من ذلك : «أَكرَمنِ» و «أَهانن» فى سورة الفجر [٣] وقوله : ﴿أَتمدُّونَنِ بمال [٤]﴾ . ومن غير النون : « المناد [٥] » و «الداع [٦]» وهو كثير ، يكتفى من الياء [٧] بكسرة ماقبلها ، ومن الواو [٨] بضمة ماقبلها مثل قوله : ﴿ سندْعُ الزبانية [٩] ﴾ ﴿ ويدْعُ الإنسانُ [١٠] ﴾ وماأشبهه . وقد تُسقط العرب الواو وهى واوُ جمع [١١] اكتفاءً بالضمة قبلها فقالوا فى ضربُوا : قد ضَربُ ، وفى قالوا : قد قالُ . وهى فى هوازن وعُليا قيس [١٢] . أنشدنى بعضهم :

---

(١) الآية ١٥٠ من البقرة .

(٢) فى معانى الفراء : « وليست تَهَيَّبُ العرب » .

(٣) الآيتان ١٥ ، ١٦ من الفجر .

(٤) الآية ٣٦ من النمل .

(٥) الآية ٤١ من ق .

(٦) فى الآيتين ٦ ، ٨ من القمر .

(٧) ش : « استغنى عن الياء » ، وماأثبت من ط يطابق مافى معانى الفراء .

(٨) ش : «وعن الواو» ، وماأثبت من ط يطابق مافى معانى الفراء .

(٩) الآية ١٨ من العلق .

(١٠) الإسراء ١١ .

(١١) معانى القرآن : « وهى واو جماع » .

(١٢) هذا مافى معانى القرآن . وفى النسختين : «وعلياء قيس» .

إذا ماشاءُ ضرُّوا من أُرادوا [ولا يأْلو لهم أحدٌ ضِرارا (١)

وأنشدنى الكسائى :

متى تقول خلَتْ من أهلها الدارُ(٢)] كأنَّهم بجناحَىْ طائر طارُوا (٣)

وأنشدنى بعضهم :

فلو أن الأطبَّا كانُ عندى .... البيت

وتفعل ذلك فى ياء التأنيث من تحت ، كقول عنترة :

إنَّ العدوَّ لهمْ إليك وسيلةٌ إن يأخذوكِ تَكحَّلى وتخضَّبِ

يحذفون الياء وهى دليل على الأنثى ، اكتفاءً بالكسر (٤) . انتهى .

وظاهر كلامه أنَّ هذا لغةٌ لاضرورة .

وأورده صاحب (الكشاف) أيضاً فى سورة المؤمنين شاهداً لقراءة من قرأ : ﴿ قد أفلحُ (٥) ﴾ بضم الحاء اجتزاء بالضمة عن الواو ، والأصل قد أفلحوا ، على لغة أكلونى البراغيث .

ونقل ابن هشام (فى المغنى) فى الجهة الرابعة من الكتاب الخامس ، عن

---

(١) فى تفسير أبى حيان ٤ : ٢٥٦ : «ولايألوهم أحد ضرارا » ، وكذا فى الإنصاف .

(٢) التكملة من معانى القرآن . وبدونها يفسد القول ، إذ يظل الشطر السابق ، وهو من الوافر ، صدرا للعجز التالى وهو من بحر البسيط .

(٣) وكذا رسمت فى معانى القرآن . وفى ش مع أثر تصحيح «طارُ» طبقا لما تقتضيه القراءة للاستشهاد بحذف الواو .

(٤) فى معانى القرآن : « بالكسرة » .

(٥) الآية الأولى من سورة المؤمنين .

التبريزى ، فى قراءة يحيى بن يعمر: ﴿عَلَى الذى أحسَنُ [١]﴾ بالرفع أنَّ أصله أحسنوا ، فحذفت الواو اجتزاءً عنها بالضمة ، كما قال :

إذا ماشاءُ ضرُّوا من أرادوا ..... البيت

ثم قال : وحذفت الواو . وإطلاقُ الذى على الجماعة ليس بالسَّهل ، والأولى قول الجماعة إنه بتقدير مبتدأ ، أى هو أحسن . وأمّا قول بعضهم فى قراءةِ ابن محيصِن : ﴿ لمن أرادَ أن يتمُّ الرَّضاعة [٢] ﴾ إنّ الأصل أن يتموا بالجمع ، فحسُنَ لأنَّ الجمع عَلَى معنى مَن . ولكن أظهرُ منه قول الجماعة : إنّه جاء عَلَى إهمال أن الناصبة . انتهى مختصراً .

وهذا الكلام أيضاً يدلُّ عَلَى أنّه غير ضرورة .

وأورده المرادىُّ (فى شرح الألفية) كذلك ، ولم يقيِّده بضرورة .

وفى البيت شاهدٌ آخر ، وهو قصر الممدود ، وبه أورده ثعلب (فى أماليه) قال : قُصِرَ الأطباء فى أول البيت ومُدَّ فى آخره وأصله المد . وأمّا قوله: «كانُ حولى» فإنّه اكتفى بالضمة عن واو الجمع . هذه عبارته .

٣٨٦ وأورده ابن الأنبارى أيضاً (فى مسائل الخلاف) فى موضعين بالوجهين ذكره فى المسألة الخامسة والسبعين [٣] فى مسألة فعل الأمر هل هو معرب أو مبنىّ

---

(١) قراءة فى الآية ١٥٤ من الانعام . وقد شارك يحيى فى هذه القراءة ابن أبى اسحاق كما فى تفسير أبى حيان ٤ : ٢٥٥ . وقراءة الجمهور : « ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذى أحسن » بفتح النون على أنها فعل ماض .

(٢) الآية ٢٣٣ من البقرة . ونسبت القراءة إلى مجاهد فى البحر المحيط ٢ : ٢١٣ .

(٣) هى المسألة الثانية والسبعون فى نشرة الأستاذ الشيخ محيى الدين .

عَلَى أَنَّ الاكتفاء بالضمة ضرورة . وأورده فى المسألة الثانيةَ عشرة بعد المائة [١] فى المقصور والممدود ، عَلَى قصر الأطبَّا لضرورة الشعر . قال : والقياس يوجب مدَّه ؛ لأن الأصل فى طبيب [أن [٢]] يجمع عَلَى طُبَيَاءَ ، كشريف وشرفاء ، إلا أنه اجتمع حرفان متحرِّكان من جنس واحد ، فاستثقلوا اجتماعهما فنقلوه من فُعَلاء إلى أفعِلاء ، فصار أُطبباء ، فاستثقلوا أيضاً اجتماعَ حرفين متحرِّكين من جنس واحد ، فنقلوا كسرة الباء إلى الطاء وأدغموا .

وأطنب فى الموضعين،وبيَّن حجج الفريقين،وجاء بما يجلو العين، ويمحو عن القلب الرَّين وروَى بعد البيت الشاهد بيتا ثانيا،والرواية عنده هكذا:

(فلو أنَّ الأطبَّا كانُ حولى وكان مع الأطبَّاء الشُّفاةُ
إذنْ ماأذهَبوا ألماً بقلبى وإنْ قيل:الشُّفاة هم الأُساة)

والطِّبّ بالكسر فى اللغة : الحِذق . والطبيب : الحاذق . والأساة : جَمع آس ، كقضاة جمع قاض . قال فى الصحاح : الآسى : الطبيب . وكذلك الشُّفاة : جمع شاف .

وقوله : (إذن ماأذهبوا) جواب لو . ورواية العينى تقديم الأساة فى قافية البيت الأول وتأخير الشفاة فى قافية البيت الثانى .

ولم يعزهما الفراء فمن بعده إلى أحد . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده . وهو الشاهد السادس والسبعون بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد س [٣] :

---

(١) هى المسألة التاسعة بعد المائة فى نشرة الأستاذ الشيخ محيى الدين .

(٢) التكملة من الانصاف ٧٥٣ .

(٣) فى كتابه ١:٣٢٦ . وانظر ديوان الفرزدق ٥٠ والخصائص ٢:١٩٤ وأمالى ابن الشجرى ١:١٣٣ وابن يعيش ٣:٨٩ / ٧:٧ والهمع ١:١٦٠. وسيأتى أيضا فى ٣:٢٩٣ ، ٤/٣٣٤: ٥٥٤ بولاق .

٣٧٦ (بحَوْرانَ يَعصِرْنَ السَّليطَ أَقارِبُه)

على أَنَّه جاء على لغة أكلونى البراغيث .

قال سيبويه:واعلم أنّ من العرب من يقول ضربونى قومك،وضرباني أخواك،فشبهوا هذا بالتاء التى يُظهرونها فى قالت فلانة،وكأنهم أرادوا أن يجعلوا للجمع علامةً كما جعلوا للمؤنث،وهى قليلة.قال الشاعر:

ولكنْ دِيَافِىٌّ أبوه وأُمُّه بَحَوران يعَصِرن السَّليطَ أَقارِبُه

انتهى .

فأقاربه فاعل يعصر،والنون علامة لكون الفاعل جمعاً ءكتاء التأنيث.

قال ابن هشام (فى شرح شواهده):إنما قال:يعصرن لأنّه شبَّههم بالنِّساء لأنهم لاشجاعة لهم،والخدمة والتبذل فى العرب إنما هو للنِّساء،وإمّا الرجال فشغلهم بالحروب . وقيل:شبَّهه بِبعير دِيافيٍّ،ثم أقبل يصف أقارب البعير وأقارُبه جمال،فلذلك جاء بالنون.انتهى.

أَقول : الوجه الثانى بعيد لا قرينة له ، ويزيده بعداً يعصرن السليط.

قال ابن خلف : وفى رفع أقاربه أوجهٌ أُخَر : أَحدها : يجوز أن يكون مبتدأ ويعصرن خبر مقدَّم عليه ؛ وهذا سائغ عند أَهل البصرة كما قالوا : مررت به المسكينُ ، يريدون:المسكينُ مررت به . وقال أبو على : وفيه مع هذا قبح ، لأن الخبر جملة وليس بمفرد ، فلا ينبغى أن يجوز فيه ماجاز فى الأَصل الذى هو المفرد . وأهل الكوفة لايجيزون مثل هذا . ويحتمل أن يكون رفعاً بحَوْران ويكون بحوران صفة لديافىّ ، ويعصرن حالاً من الأقارب . ويجوز أن يكون بدلا من النون كما قيل فى : ﴿وأَسَرُّوا النَّجْوَى الذين ظَلَمُوا [١]﴾ .ويجوز أن يكون خبر مبتدأ مضمر،

(١) الآية ٣ من سورة الأنبياء .

٣٨٧ والجملة جوابٌ لسؤال مقدَّر ، كأنه لما قيل بحوران يعصرن السَّليط فقيل : من هم ؟ فقال : هم أقاربه .

أقول : هذه الوجوه الأربعة مبنيَّة على أنّ النون ضمير ، وهذه النون فى البيت سواء كانت حرفا أم اسماً ، تدلُّ على صحة مانقله الشارح المحقق فى باب التوكيد عن الأندلسى ، من جواز رجوع ضمير جماعة المؤنث إلى الجمع المكسَّر العاقل ، فكان ينبغى أن يستدلَّ بهذا البيت دون البيت المتقدّم لخفائه كما تقدم .

وقوله : (ديافىٌّ) خبر لمبتدأ محذوف ، تقديره : لكن أنت ديافى ، يدلُّ عليه قوله فيما قبله : لو كنت ضبِّيًّا ، أو هو دِيافىٌّ : لقوله فلو كان ضبِّياً كما يأتى . وهو منسوبٌ إلى دياف بكسر الدال بعدها مثناة تحتية وآخره فاء . قال صاحب العباب : دِيافٌ من قرى الشّام،وأهلها نَبَط الشام ، وتنسب الإبل إليها والسُّيوف . وإذا عرَّضوا برجلٍ أنه نَبطىٌّ نسبوه إليها . قال :

ولكن ديـافىٌّ أبـوه وأمـه ...... البيت

وهذا يدلُّ على أنّ دياناً بالشام لا بالجزيرة كما قيل ، لأنّ حَوران من رساتيق دمشق .

وكذا قال الحسن السكرى [١] (فى شرح ديوانه) : وقال جرير :

إنّ سليطاً كاسمه سليطُ لولا بنو عمرو وعمروٌ عِيطُ [٢]

* قلتَ:دِيافيُّون أو نبيطُ [٣] *

---

(١) السكرى هذا هو الحسن بن الحسين بن عبيد الله بن عبد الرحمن العتكى ، أبو سعيد . ولد سنة ٢١٢ وتوفى سنة ٢٥٥ وهى سنة وفاة الجاحظ .

(٢) عيط : جمع أعيط وعيطاء ، وهو الطويل العنق . وفى معجم البلدان : « والعيط الضخام ، واحدهم أعيط » .

(٣) عقب عليه ياقوت فى (دياف) بقوله : « يقول : هم نبيط الشام أو نبيط العراق » .

أراد : عمرو بن يربوع ، وهم خلفاءُ بنى سَلِيط .

وقال الأخطل :

كأنّ بناتِ الماء فى حَجَراتِهِ

أَباريقُ أهدتْها دِيافٌ لِصَرْخَدَا[١].انتهى

ولم يورد أبو عبيد البكرى دياف (فى معجم ما استعجم) .

و(أبوه) مرفوع بديافيّ لأنه خبرٌ سببيٌّ . وأتى بضمير الغيبة لأنّ التقدير أنت رجل ديافى أبوه . وأُمه معطوف عليه . وقوله (بحَوْران) متعلِّق بيعصرن ، وجملة (يعصرن) صفة لديافى ، وضمير (أقاربه) راجعٌ عليه . هذا هو الظاهر .

وذكر ابن خلف أُوجهاً متعسّفةً فى إعراب كلّ لفظةٍ من هذا البيت لافائدة فى نقلها .

و(يعصِرن) بكسر الصاد قال صاحب المصباح : عصرت العنب ونحوه عصراً ، من باب ضرب : استخرجت ماءه ، وأراد هنا يستخرجن السَّليط، بفتح السين وكسر اللام . قال الصاغانى (فى العباب) : السليط : الزيت عند عامَّة العرب ، وعند أهل اليمن : دهن السمسم . وقال ابن دريد وابن فارس : السّليط بلغة أهل اليمن . وبلغة من سواهم : دهن السمسم . أقول : الأمرُ على خلافه ، فإنِّى سمعت أُهل مكة حرسها الله تعالى وأهلَ تهامة واليمن يسمُّون دُهن السِّمسم : السَّليط . انتهى .

---

(١) فى النسختين : « لصرخد » ، صوابه من ديوان الأخطل ٩٧ . وصرخد : بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق ، قال ياقوت : « وهى قلعة حصينة وولاية حسنة واسعة ينسب اليها الخمر » . والبيت من قصيدة مفتوحة الروى مطلعها :

صحا القلب إلا من ظعائن فاتنى بهن أمير مستبد فأصعدا

وقال ابن خلف : السّليط: الشَّيرج [١] وهو هنا الزيت ؛ لأنّ حَوْران من مدن الشام ، وأهلها نبط ، فهى بعصر الزيت أشهر منها بعصر الشيرج . وقد يجوز أن يكون الشَّيرَجَ ، لأنّه يعصر بالشام كما يعصر الزيت . والدليل على أنّ السليط يقع على الزيت قولُ النابغة الجعدىّ :

أضاءت لنا النارُ وجهاً أَغَـ ـرَّ ملتبساً بالفؤاد التباسا
يضىءُ كضوء سِراج السَّليـ ـطِ لم يجعل الله فيه نُحاسا

والنُّحاس : الدخان ، وذلك معدوم فى الزّيت ، وأمّا الشَّيرج فكثير الدخان . هجاهُ بذلك إذْ جعله من أهل القُرى المستخدَمين لإقامةِ عيشهم [٢] ، ونفاه عما عليه العرب من الانتجاع والحرب .

٣٨٨

والبيت من أبيات للفرزدق ، وهى :

صاحب الشاهد

أبيات الشاهد

(سَتعلمُ ياعمرو بنَ عَفْرى من الذى يُلام إذا ماالأمر عيَّتْ عواقِبُه
فلو كنتَ ضبِّيًّا صفحتُ ولو سرت عَلَى قدمى حَيَّاته وعقاربُـه
ولكـنْ ديـافىٌّ أبـوه وأمُّـه بحَوْرانَ يَعصرن السَّليطَ أقاربُه
ولمَّا رأى الدَّهْنا رمتْه حبالُها وقالت دِيافىٌّ مع الشام جانبه
فإن تَغضبِ الدَّهنا عليك فما بها طريقٌ لزيَّـاتٍ تُقـاد رَكائبُـهُ

(١) الشَّيرج : دهن السمسم ، كما فى تاج العروس . وفى الألفاظ الفارسية المعربة لأدى شير ٨٩ : « السِّيرج : دهن السمسم ، ويقال الشيرج أيضا ، تعريب شِيرَه » . وفى شفاء الغليل ١٠٧ : « سيرج بكسر السين المهملة : دهن السمسم ، معرب شيره ، مولد » .

وفى معجم استينجاس ٧٧٤ أن « شيره » من معانيها « زيت السمسم » .

(٢) ط : « عيسهم » ، صوابه بالشين كما فى ش .

تَضِنُّ بمالِ الباهلىِّ كأنّما تضَنّ على المال الذى أنت كاسبُه
وإنّ امرأً يغتابُنى لم أُطأْ له حريما ولا تنهاه عنِّى تجاربه (١)
كمحتطبٍ يوماً أساودَ هضبةٍ أتاهُ بها فى ظُلمة اللَّيل حاطِبُه
أحينَ التقى نابَاىَ وابيضَّ مِسْحَلى وأطرَقَ إطراقَ الكَرا من أحارُبه)

روى صاحب الأغانى بسنده عن محمَّد بن سلام قال :

أتى الفرزدقُ عبدَ الله بنَ مسلمٍ الباهلىَّ فسأَلهُ ، فثقُلَ عليه الكثيرُ وخِشيَه فى القليل ، وعنده عمرو بن عفراء الضّبىُّ راويةُ الفرزدق ، وقد هجاه وابنَه (٢) الفرزدقُ فى قوله :

نبِّئت جوَّاباً وسَكْنا يسبُّنــى وعمرو بن عَفْرَى لاسلامٌ على عمرو(٣)

فقال ابن عفراء الضبى : لايهولنّك أمرهُ . فقال : وكيف ذاك ؟ قال : أنا أُرضيهِ عنك بدون ماكان همَّ له به . فأعطاه ثلثمائة درهم ، فبلغ الفرزدقَ صنيعُ عمرو فقال هذه الأبيات .

قال : فأتاه ابنُ عفراءَ فى نادى قومه فقال له : اجهَدْ جهدَك ، هل هو إلا هذا ، والله لأدعُ لك مساءةً إلا أتيتُها ، ولا تأمرُنى بشىءٍ إلَّا اجتنبته ، ولا تنهانى عن شىء إلا ركِبته . قال : فاشهدُوا أنِّى أنهاه أن ينيك أمَّهُ . فضحكَ القومُ وخجل ابن عفراء .

وروى أيضا بعد هذا فى موضعٍ آخر عن يونسَ النحوى قال :

---

(١) فى ط : « عنه تجاربه »، صوابه فى ش .
(٢) فى الأغانى : « وقد هجا حرما وابنه »
(٣) كذا ورد « عفرى » بالياء فى ط ، لكن فى ش « عفرا » ، كما هو المألوف . وسيأتى فى كلام البغدادى : « وعفراء بالمد ، قصر ضرورة فكتب بالياء » .

مدحَ الفرزدقُ عمرو بن مسلمٍ الباهليَّ فأمر له بثلثمائة درهم ، وكان عمرو بن عفراء الضبى صديقا لعمرٍ ، فلامهُ وقال : أتعطى الفرزدقَ ثلثمائة درهم ، وإنما كان يكفيه أن تعطيه عشرين درهما ؟! فبلغ ذلك الفرزدقَ فقال :

نهيتُ ابن عَفْرَى أن يعفِّ أُمَّه كعفرِ السَّلَى إذْ جرَّدته ثعالبُه
وإنَّ امرأً يغتابُنى لم أطأْ له حريما فلا تنهاه عنى أقاربه
كمحتطبٍ ليلا أساودَ هضبةٍ أتاه بها فى ظلمة الليل حاطبُه
ألمَّا استوى ناباىَ وابيضَّ مِسْحَلِى وأطرق إطراق الكرا من أحاربُه
فلو كان ضبياً صفحتُ ولو سَرت على قدمى حيّاته وعقاربه
ولكنْ ديافىٌّ أبوه وأمه بِحَوْرانَ يعصرن ... (البيت) .انتهى.

وقال ابن خَلَف ، وصاحب العباب :

سبب هذا الشعر أنّ عمرو بن عفراء الضبىَّ قال لعبد الله بن مسلمٍ [1] الباهلى : [وقد أعطى] الفرزدق خِلْعة [3] ، وحمله على دابّه وأمر له بألف درهم ، فقال له عمرو بن عفراء : مايصنع الفرزدق بهذا الذى أعطيته ، إنّما يكفى الفرزدق ثلاثون درهما ، يزنى بعشرة ، ويأكل بعشرة ، ويشرب بعشرة . فهجاه الفرزدقُ بهذا . انتهى .

٣٨٩

وكذا رأيته (فى شرح ديوانه للحسن السكرى من رواية ابن حبيب) .

وقوله : «ستعلم ياعمرو» إلخ هذا تهديدٌ . وعفراء بالمد، قُصِر ضرورةً فكُتب بالياء ، وهى أُمُّه . وعىَّ بمعنى لم يهتد لوجهه .

---

(١) فى الأغانى ١٩ : ١٣ وكذا ديوان الفرزدق ٥٠ : « عبد الله ابن سلم » .

(٢) بمثل هذه التكملة يلتئم الكلام . وفى ديوان الفرزدق : « وكان عبد الله بن سلم الباهلى أعطى الفرزدق جعلته » ، وفيه تحريف .

(٣) هذا مافى ش . وفى ط : « حلقة » ، تحريف . والخلعة من الثياب : ماخلعته فطرحته على آخر أو لم تطرحه .

وقوله : « فلو كنت ضبيا » إلخ ، نفاه عن قبيلته لكونه سكنَ القُرى ، ولم يكن على طريقة العرب .

وقوله : «ولما رأى الدهنا » إلخ الدهنا يمدّ ويقصر ، وهو موضعٌ ببلاد تميم . وحبالها : أسبابها .

ودياف بتقدير هو ديافى ، وجملة « مع الشام جانبه » صفة له ، وجواب لما محذوف ، والتقدير سكن الشام ونحوه . وقال الحسن السكَّرىّ : الواو هنا مقحمة فى وقالت ، لا موضع لها ، أراد:قالت . انتهى .

وقوله : « فإن تَغضب الدهنا » هذا وجهُ رمى الدهنا [1] له ، فإنَّه سُوقىٌّ يتاجر بالزيت . والدَّهنا لاتقبل مَنْ هو كذا . وقوله:تَضَنُّ ، أى تبخل.

وقوله : « كمحتطب يوما » إلخ هو خبر إنَّ فى قوله وإنَّ امرأ ، وهو الذى يجمع الحَطب . والأساود : جمع أسود ، وهو العظيم من الحيات ، وفيه سَواد . والهضبة : الجبل المنبسِط على وجه الأرض ، أشار إلى المثل المشهورِ لمن يتكلَّم بالغثِّ والسمين : «حاطبُ ليل » ؛ لأنَّه لايبصر مايجمع فى حبله ؛ ربَّما يجمع فى حطبه حيَّةً يكونُ هلاكُه بها .

وقوله : « أحين التقَى نابایَ » إلخ التقاء النابين واستواؤهما كناية عن بلوغ الأشُدُّ . والمِسْحل بكسر الميم وسكون السين وفتح الحاء المهملتين . عارضُ الرجل ، أى صفحة خدِّه . وأطرق ، أى أرخى عينيه ينظر إلى الأرض . والكَرا : لُغةٌ فى الكرَوَان . يقول : أيؤذينى فى وقتِ شدَّتى وحين تهابُنى أقرانى وأطرقُوا منِّى كإطراق الكرَوان . والاستفهام إنكارى .

وقوله :«نهيت ابن عَفْرَى أن يعفِّر أمَّه» إلخ التعفير:التمريغ فى التراب.

---

(١) ش : « الدهناء » فى هذا الموضع وتاليه .

والسَّلَى بفتح السين المهملة والقصر ، هو الجلدة الرَّقيقة التى يكون فيها الولد من المواشى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والسبعون بعد الثلثمائة (١):

٣٧٧ (إنْ كنتُ أدرِى فعلىَّ بدنَهْ   مِن كثرة التخليط أنِّى من أنَهْ)

على أنّه قد يبيَّنُ فتح أنا فى الوقف بهاء السكت ، كما فى آخر القافية فى هذا البيت .

قال ابن جنى (فى سِرِّ الصناعة) : فأمَّا قولهم فى الوقف على أنَ فعلت : أنا وأنه ، فالوجه أن تكون الهاءُ فى أنه بدلاً من الألف فى أنا ، لأنّ الأكثر فى الاستعمال إنّما هو أَنا بالألف ، والهاء قليلة جداً ، فهى بدلٌ من الألف . ويجوز أن تكون الهاء أيضاً فى أنَهْ أُلحقت لبيان الحركة ، كما ألحقت الألف،ولا تكون بدلاً منها بل قائمةً بنفسها، كالتى فى قوله تعالى : « كتابيهْ » و « حسابيهْ » و « سلطانيهْ » و « ماليهْ » و ماهيَهْ (٢) » . انتهى

و(البدَنة) قال صاحب المصباح :قالوا : هى ناقة أو بقرة . وزاد الأزهرى:أَو بعير ذكر .قال: ولاتقع البدَنة على الشاة . وقال بعضُ الأئمة : البدنة هى الإبل خاصَّة ،وإنّما ألحقت البقرة بالإبل بالسُّنَّة .وقوله (من كثرة) متعلِّق بالفعل المنفىِّ ضمناً ، أَى ماأدرى مِنْ كثرة التخليط . قال صاحب الصحاح : والتخليط فى الأمر:الإفساد فيه .وقوله (أنِّى) بفتح الهمزة. وقوله (مَن أنه) مَنْ عند سيبويه مبتدأ،وأنَه خبر،وعند غيره بالعكس.والجملة فى

(١) انظر ابن يعيش ٣ : ٩٤ وشرح شواهد الشافية ٢٢٢

(٢) نهايات الآيات ٢٥ ــ ٢٩ من سورة الحاقة .

محلَّ رفع خبر أنّى ،وجملة أنّى مَنْ أنه فى محل نصب،سادٌّ مسدَّ مفعولى أدرى.

وهذا البيت لم أُقف له على أثر . والله أعلم . ٣٩٠

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والسبعون بعد الثلثمائة [١]:

٣٧٨ (أنا سيَفُ العشيرةِ فاعرِفونى حُمَيـــداً قد تذرَّيتُ السَّنامـــا)

على أنَّ ثبوت ألف (أنا) فى الوصل عند غير بنى تميم لايكون إلا فى الضرورة .

قال ابن جنى (فى شرح تصريف المازنى):أمّا الألف فى أنا فى الوقف فزائدة ليست بأصل . ولم نَقْضِ بذلك [٢] فيها من جهة الاشتقاق . هذا مُحالٌ فى الأسماء المضمرة ، لأنَّها مبنية كالحروف ، ولكنْ قضينا بزيادتها من حيث كان الوصلُ يُزيلها ويُذهبها ، كما يُذهب الهاءَ التى تلحق لبيان الحركة فى الوقف . ألا ترى أنّك تقول فى الوصل : أنَ زيدٌ ، كما قال تعالى : ﴿ إنِّى أنا ربّك [٣] ﴾ تكتب بألف بعد النون ، وليست الألف فى اللفظ ، وإنّما كتبت على الوقف ، فصار سقوط الألف فى الوصل كسقوط الهاء التى تلحق فى الوقف لبيان الحركة فى الوصل ، وبيِّنت الفتحة بالألف كما بيِّنت بالهاءِ ، لأنَّ الهاء مجاورة للأَلف . وقد قالوا فى الوقف أنه ، فبيَّنوا الفتحة بالهاء كما بَيَّنوها بالألف ، وكلتاهما ساقطة فى الوصل . فأمَّا قول الشاعر :

أنا سيف العشيرة فاعرفونى . . . . . البيت

---

(١) المنصف ١ : ١٠ وابن يعيش ٣ : ٩٣ / ٧٤ والمقرب ٥٣ وشرح شواهد الشافية ٢٣٢ .

(٢) ط : « ولم يقض فى ذلك » ، وفى ش : « ولم يقض بذلك » ، وأثبت مافى المنصف .

(٣) الآية ١٢ من طه .

فإنما أجراه فى الوصل على حدِّما كان عليه فى الوقف . وقد أجْرتِ العربُ كثيراً من ألفاظها فى الوصل على حدِّ ماتكون عليه فى الوقف ، وأكثر مايجىء ذلك فى ضرورة الشعر . انتهى .

(وحُمَيداً) بدلٌ من ياء اعرفونى لبيان الاسم ، أَوْ هو منصوب على المدح [١] . قال أبو بكر الخفَّاف (فى شرح الجمل) : قال الزجاج : حميداً بدل من الياء ، وهذا لا حجَّة فيه ، لاحتمال أنْ يكون منصوباً بإضمار فعلٍ على المدح ، كأنه قال : فاعرفونى مشهوراً.وأناب قوله حميدا مَناب قوله مشهوراً، لكونه علماً . و(حُميد) يروى مصغَّرا ومكبرا . وأنشد صاحب الصحاح بدله «جميعاً» . و(تذرَّيتُ السَّنام) بمعنى علوته [من الذِّروة [٢]] والذُّروة بالكسر والضم ، وهو أَعلى السَّنام . وحقيقة تذرَّيت السنام علوت ذِروته .

صاحب الشاهد

ونسب ياقوتُ هذا البيتَ (فى حاشية الصحاح) إلى حُميد بن بحدل ، شاعر . وقال ابنُ الأعرابى : بحدل الرجلُ ، إذا مالت لِثَتُه أى لحم أسنانه [٣].وقال الأزهرىّ : البحدلة : الخفّة فى السَّعى . قال : وسمعتُ أعرابياً يقول لصاحبٍ له : بَحدِلْ بجِدِّك . يأمره بالسُّرعة فى المشى . انتهى .

حميد بن حريث

وحميدٌ مضاف إلى جدّه ، لأنه حُميد بن حريث بن بحدل ، من بنى كلب بن وبرة ، وينتهى نسبه إلى قضاعة .

وحميدٌ شاعرٌ إسلامىٌّ ، وكانت عَمَّتُه ميسونُ بنتُ بحدل أمَّ يزيد بن معاوية .

وكان ابنُ عمه حسَّانُ بن مالك بن بحدل سيِّدَ كلبٍ فى زمانه ، وهو

---

(١) ط : « وهو منصوب على المدح » ، صوابه فى ش .
(٢) التكملة من ش .
(٣) الذى فى اللسان عن ابن الأعرابىّ : « إذا مالت كتفه » ، ولعله الصواب .

الذى بايع مَرْوان بن الحكم يوم المَرْج ، وكان ولّاه يزيدُ بن معاوية على فلسطين [١] والأردنّ ، وأخوه سَعِيد بن مالك بن بحدل على قِنَّسْرين ، فلما مات يزيد بن معاوية وثب زُفر بن الحارث على سعيدٍ فأخرجه منها وبايعَ لابن الزُّبير ، ثم خرج عُمَير بن الحُباب مُغيراً على بنى كلب بالقتل والنَّهب ، فلما رأت كلبٌ ، ما لقىَ أصحابُهم ، اجتمعوا إلى حُميد بن حريث بن بحدل ، فقتَلَ حميدٌ بنى فزارة قتلاً ذريعا .

والقصة مفصَّلة فى ترجمة عويف القوافى فى الأغانى [٢] .

* * *

٣٩١ وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والسبعون بعد الثلثمائة ، وهو من أبيات المفضَّل [٣] :

٣٧٩ (فقلتُ أهْىَ سَرَتْ أمْ عادَنِى حُلُمُ)

هذا عجز ، وصدره :

(فقمتُ للطَّيف مُرتاعاً فأرَّقنى)

على أنَّ هاء هى قد تسكن بعد همزة الاستفهام .

وفى التسهيل مايقتضى أنّه قليل ، وفى شرح مصنِّفه [٤] أنّه لم يجئْ إلاّ فى الشعر .

وقال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) :أسكن أوَّل أهْىَ لاتَّصال حرف

---

(١) ش : « فنسطين » ، تحريف .

(٢) الأغانى ١٧ : ١١٢ — ١١٣ .

(٣) ابن يعيش ٧ : ١٣٩ . وانظر الخصائص ١ : ٣٠٥ / ٢ : ٣٣٠ وشرح شواهد الشافية ١٩٠ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٤٩ والتصريح ٢ : ١٣٢ والأشمونى ٣ : ١٠١ وشرح المرزوق للحماسة ١٣٩٦ .

(٤) هو ابن مالك . وكتابه تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد .

الاستفهام به ، وأجراها فى ذلك مجرى المتصل ، فصار أُهْىَ كعَلْم ، وأجرى همزة الاستفهام مجرى واو العطف وفائِه ولام الابتداء ، نحو قوله [١] تعالى : ﴿ وهْوَ اللهُ [٢] ﴾ وقوله : ﴿فَهْوَ جَزَاؤُه [٣] ﴾ ،وقولك : وهْىَ قامت ، وفَهْىَ جالسة ، و﴿ إنَّ اللهَ لهْوَ السَّميعُ العَليم [٤] ﴾ . غير أنّ هذا الإسكان مع همزة الاستفهام أضعفُ منه مع ماذكرناه ، ومن حيث كان الفصل بينهما وبين المستفهم عنه جائزاً ، نحو قولك : أزيد قام وأزيداً ضربت [٥] ، وليس كذلك واوُ العطف وفاؤه ولا لام الابتداء ، لايجوز الفصل بين شيءٍ منهنّ وبين ماوُصِلن به . فأمَّا فصل الظَّرف فى نحو : إنَّ زيداً لفى الدار قائم ، فمغتفرٌ لكثرته فى الكلام ، ألا تراها فى هذا البيت مفصولاً بينها وبين ماهى سؤالٌ عنه من اللفظ . وهذا الاتِّصال أو ضدُّه من الانفصال ، إنما هو شيءٌ راجعٌ إلى موجود اللفظ لا إلى محصول المعنى . انتهى .

وهذا البيت من قصيدة مسطورة (فى الحماسة) عدَّتُها ثلاثة وأربعون بيتا للمَرَّار العَدَوىّ ، وقبله : صاحب الشاهد

(زارتْ رُوَيقة شُعْثاً بعد ما هَجَعوا لَدَى نواحلَ فى أرساغها الخَدَمُ أبيات الشاهد

فقُمتُ للزَّورِ مرتاعاً وأرَّقَنى . . . . البيت

---

(١) الذى فى إعراب الحماسة : « نحو قولك » وكذلك « قوله » التالية ، هى فى إعراب الحماسة : « قولك » .

(٢) الأنعام ٣ .

(٣) يوسف ٧٥ .

(٤) ليست هذه من آيات الكتاب .

(٥) ط : « أزيد ضربت » بالرفع ، صوابه فى ش واعراب الحماسة الورقة ١٩٣ .

وكانَ عهدى بها والمشْىُ يَبْهَظُها من القريب ومنها النَّوم والسَّأَمُ (١)
وبالتكاليف تأتى بيتَ جَارتها تَمشى الهُوَيْنى ومايبدو لها قدمُ
سودٌ ذوائبها بيضٌ ترائبها دُرمٌ مرافقُها فى خَلقها عَمَمُ
رُوَيْقَ إنِّى ومَنْ حجَّ الحجيجُ له وما أهلَّ بجنبَىْ نَخلة الحُرُمُ
لم يُنسِنِى ذكركم مذ لم أُلاقِكُمُ عَيشٌ سَلوت به عنكم ولا قِدَمُ
ولم يشاركْكِ عِندِى بَعدُ غانيةٌ لا والذى أصبحت عندى له نِعَمُ)

قوله : زارت رُوَيقة ، يقول : زار خيال رُوَيقة قوماً شعثاً غُبرا بعد ما ناموا عند إبل ضوامرَ شُدَّت فى إرساغها سيورُ القَيْد ، لشدَّة سيرها وتأثير الكلال فيها (٢) .

وقوله : « فقمتُ للطَّيف » إلخ ، الطَّيف : الخَيال . وروى : « فقمتُ للزَّوْر » وهو مصدرٌ بمعنى الزائر ، يستوى فيه الواحد والجمع ، والمذكر والمؤنث . و(المرتاع) : الخائف الفزع .

وقد أنشده (صاحب المفصل) لمَا ذكره الشارح المحقق .

وأنشده ابن الناظم وابن هشام (فى شرح الألفية) على أنَّ أم المتصلة وقعت بين جملتين فعليتين فى معنى المفردين ، والتقدير فقلت : أَسارت هى أم عادنى حلمها ، أىْ أىُّ هذين .

وأنشده ابن هشام فى موضعين (من المغنى) .

٣٩٢ الأول فى أم ،قال: إنَّ أم المعادِلة لهمزةِ الاستفهام تقع بين مفردين،

---

(١) فى النسختين : « ينهضها » صوابه من الحماسة ، ومما سيأتى فى التفسير من أن معناه يعييها قطع المسافة القريبة . وفى اللسان : « بهظنى الأمر والحمل بهظا : أثقلنى وعجزت عنه وبلغ منى مشقة».

(٢) ط : « لتأثير الكلال فيها » ، صوابه فى ش .

وهو الغالب ، وبين جملتين ليستا فى تأويل المفردين ؛ وتكونان أيضا اسميّتين [و] فعليتين (١) كهذا البيت . قال : وذلك على الأرجح فى هى ، من أنَّها فاعلٌ بمحذوف تفسِّره سَرَتْ .

والثانى فى أول الباب الثانى ، قال : وتقدير الفعلية فى أهى ، أكثر رجحانا من تقديرها فى : ﴿ أبشَرٌ يَهْدُوننا (٢) ﴾ لمعادلتها الفعليَّة . قال ابن الحاجب (فى أمالى المفصَّل) : يريد : إنِّى قمتُ من أجل الطَّيف منتبهاً مذعوراً للقائه ، وأرَّقنى لمَّا لم يحصل اجتماعٌ محقَّق ، ثم ارتبت لعدم الاجتماع هل كانَ على التحقيق أم كان ذلك فى المنام . ويجوز أن يريد : فقمتُ للطَّيف وأنا فى النوم إجلالاً فى حالِ كونى مذعوراً لاستعظامها ، وأرَّقنى ذلك لمَّا انتبهت فلم أجدْ شيئاً محقَّقا ، ثم من فرطِ صبابته شَكَّ أهى فى التحقيق سَرَتْ أم كان ذلك حلماً ، على عادتهم فى مبالغتهم ، كقوله :

* آأنتِ أم أمُّ سالم (٣) * انتهى .

قال الدمامينى بعد أن نقل هذا (فى الحاشية الهندية) : حاصله احتمال كون القيام فى اليقظة أو فى المنام ، وأمَّا الشَّكُّ فى الاجتماع هل كان فى النَّوم أو فى اليقظة فثابتٌ على كلٍّ من الاحتمالين .

وقوله : «وكان عهدى بها» إلخ يقول: كيف يجوز مجيئها وقد عهِدتها

(١) زيادة الواو مما يقتضيه صنيع ابن هشام فانه بعد أن أورد البيت على أن «أم» واقعة بين جملتين فعليتين ، ذكر أنها تقع أيضا بين جملتين كقوله :

لعمرك ماأدرى وإن كنت داريا شعيث ابن سهم أم شعيث ابن منقر

(٢) الآية ٦ من التغابن .

(٣) من شواهد سيبويه فى كتابه ٢ : ١٧٨ بولاق . وهو لذى الرمة فى ديوانه ٦٢٢ . وتمامه :

أيا ظبية الوعساء بين جلاجل وبين النقا آأنت أم أم سالم

يَبهَظُها [١] أى يُعييها قطعُ المسافة القريبة ، والغالبُ عليها طلب الراحة بالنَّوم . ونصب الهُوَينى على المصدر ، أى تمشى مشيا هيِّنا . والهُوَينى : تصغير الهُونى مؤنث الأهون . وقوله : « ومايبدو لها قدم » أى تجرُّ أذيالها .

وقوله :« بيضٌ ترائبها » جمع تَريبة ، وهو أعالى الصَّدْرِ . ومِرفقٌ أدرمُ ، إذا لم يكن له حجمٌ لاكتنازه باللحم . والعَمَم ، بفتح العين المهملة والميم : الطُّول .

وقوله : « رُوَيق إنّى » إلخ هو منادى مرخَّم رُوَيقة . ونخلة : موضعٌ قربَ مكة ، قال (صاحب معجم مااستعجم) : نخلةُ على لفظ واحدة النخل : موضعٌ على ليلة من مكة ،وهى التى نُسِبَ إليها بَطنُ نخلة ، وهى التى ورد فيها الحديث ليلةَ الجنّ . انتهى .

وزعم العينىُّ أنه موضعٌ قربَ المدينة . وحُرُم بضمتين : جمع حرام ، كسحب جمع سحاب ، بمعنى المحرم . وروى أيضا : « وما حجَّ الحجيجُ » . قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة):ماهنا يحتمل أن تكون عبارةً عن الله تعالى وأراد فى ماالثانية له، غير أنَّه حذفها. ويجوز أن تكون مصدريَّة فتكون الهاء فى له ِلله تعالى [٢] وإنْ لم يجر له ذكر، لأنَّه قد جرى ذكر الحجّ، فدلَّت الطاعة على المطاع سبحانه ، فكأنَّه قال : إنِّى وحج الحجيج لله. ويؤكد ذلك أنَّه لم يُعد مع الثانية له، لأنَّه غير محتاج إليها من حيث كان مصدراً. ويجوز أن تكون عبارة عن البيت ؛ فأقسَمَ به ، فحينئذ يحتمل الهاء فى له أن تكون

---

(١) فى ط : « ينهضها » وفى ش : « يبهضها » ، صوابه ماأثبت . وانظر الحاشية رقم ١ من ص ٢٤٦ .

(٢) فى إعراب الحماسة ١٩٤ : « فيكون الهاء فى قول الله تعالى » ، وماهنا صوابه .

للبيت على أنَّ اللام بمعنى إلى ، وأن تكون لله ، أى والبيت الذى حجَّه الحجيج لطاعة الله .

وقوله : « لم ينسِنى » إلخ هو مضارع أنسَى ، وذكرَكم مفعول مقدَّم ، وعيشٌ فاعل مؤخر ، وقِدَم بكسر القاف معطوف على عيَش . قال ابن جنى :هذا البيت جواب القسم ، وأجاب بلم ، وحرفَا الجواب فى النفى إنّما هما : ماولا ، لكن اضطُرَّ فشبَّه لم بما ، كما اضطرّ إلى ذلكَ الأعشى فى قوله :

* أجِدَّك لم تغتمض ليلةً (١) *

فاعرف ذلك فإنّه لطيف .

ومن أواخر القصيدة :

(بلْ ليتَ شعرى متَى أغْدُو تُعارِضُنِى
جَرداءُ سابحةٌ أو سابحٌ قُدُمُ

نحوَ الأميلِح من سَمْنانَ مبتكراً
بفتيةٍ فيهم المَرّارُ والحكَمُ)

٣٩٣

بل للإضرابِ عما قبله . وتعارضنى أى أقودها فتسبقنى من سلاسة قيادها . والجرداء : الفرس القصيرة الشعر ، وهو محمودٌ فى الخيل . وسابحة : كأنها تسبح فى سيرها وجريها . وقُدُم بضمِّ القاف والدال بمعنى متقدِّم ، يوصف به المذكر والمؤنث :

ونحو ظرف متعلق بأغدو . والأميلح : اسم ماء . وسَمْنان بفتح السين:ديار الشاعر.والفتية : جمْع فتى . والمرَّار والحكم : رجلان. وهذا البيت أول شاهدٍ وقع (فى شرح الشافية) للشارح المحقق ، قال فيه:وكذا سمنان

(١) عجزه كما فى الديوان ٥٠ :

* فترقدها مع رقادها *

إمّا أن يكون مكرر اللام للإلحاق بزلزال ، أو يكون زيد فيه الألف والنون لاللتكرير ، بل كما زِيدَا فى سلمان . ولا دليل فى هذا البيت يمنع صرف سمنان على كونه فعلان ، لجواز كونه فَعلالاً . وامتناع صرفه لتأويله بالأرض والبقعة لأنه اسم موضع . انتهى .

قال أبو عبيد (فى معجم مااستعجم) : الأميلح بضم أوله وبالحاء المهملة كأنه مصغر أملح : موضع . ولم يقل : إنه ماء . وقال فى سمنان : بفتح أوله وإسكان ثانيه على وزن فَعْلان : مدينة بين الرَّىّ ونيسابور . وسُمْنان بضم السين : جبلٌ فى ديار بنى أسد ، وقال أبو حاتم : فى ديار بنى تميم .

وهذا ضبطٌ مخالف لسائر الرُّواة .

قصيدة الشاهد

وأول هذه القصيدة فى ذمِّ صنعاءِ اليمن ومَدْح بلدِه وقومه . وهذا أوَّلها :

(لاحبَّذا أنتِ ياصنعاءُ من بلدٍ ولا شَعوبُ هَوًى منى ولانُقُمُ
ولن أحبَّ بلاداً قد رأيت بها عَنسا ولا بلداً حلَّتْ به قُدُمُ
إذا سقى الله أرضاً صوبَ غاديةٍ فلا سقاهنَّ إلا النَّارَ تضطرمُ
وحبَّذا حين تمسى الريحُ باردةً وادِى أُشيٍّ وفتيانٌ به هُضُمُ)

إلى أن قال :

(هُمُ البُحور عطاءً حين تسأَلهم وفى اللِّقاء إذا تلقى بهم بُهَمُ
وهم إذا الخيلُ جَالوا فى كواثبها فوارسُ الخيل لا مِيلٌ ولا قَزَمُ[٢]
لم ألقَ بعدهُمُ حيًّا فأُخْبُرَهمْ إلاَّ يزيدهُمُ حباً إلىَّ هُمُ)

---

(١) ط : « لضرورة » ، وأثبت مافى ش .

(٢) كذا فى النسختين : « جالوا » بالجيم فى المتن والشرح ، صوابه « حالوا » بالحاء المهملة كما فى الحماسة وشروحها.وفى القاموس : « وفى ظهر دابّته : وثبَ » .

شعوب بفتح الشين ، وكذلك نقُم بضم النون والقاف : موضع باليمن ، وهو جبلُ صنعاء الشرقى . وعنس ، بفتح المهملة وسكون النون، وقُدُم بضم القاف والدال :حيَّان من اليمن .وأشىٌّ ، بضم الألف وفتح الشين المعجمة وتشديد الياء، قال أبو عبيد : هو واد وجبل فى بلاد العدوية من بنى تميم .وقال عمر بن شبّة : أشىٌّ:بلد قريبٌ من اليمامة . وأنشد هذا البيت. وهُضم بضمتين: جمع هَضوم وهو الذى ينفق فى الشتاء ، أى حبَّذا هم فى برد الشتاء إذا اشتدَّ الزمان ، لأنهم يُطعمون فيه .

والبُهَم بضم ففتح : جمع بُهْمة بضم فسكون ، وهو الشجاع الذى لايُدْرَى من أين يؤتى من شدَّة بأسه . وتلقى مفعوله محذوف ، أى إذا تلقى بهم عدوّك .

وقوله: «وهم إذا الخيل» أراد بالخيل فرسانَها ، كقولهم : «ياخيلَ الله اركبى » .وجالُوا، أى وثبوا ، يقال جاَلَ فى ظهر دابَّته ، إذا ركبها . لامِيلٌ : لامائلون عن وجوه الأعداء ، جمع أمْيَل ، وقيل هو الذى لايثبت على ظهر الدابة ، وهو عطفٌ على فوارس ، ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف ، كأنه قال:لاهم ميل . وقزَم بفتح القاف والزاى:رذال الناس وسَفِلتهم ، يطلق على الواحد والجمع ، والذكر والأنثى ؛لأنه فى الأصل مصدرٌ بمعنى الدناءة والقماءة. والكواثب:جمع كاثبة بموحدة بعد مثلثة، وهى فى عرف الفَرَس[1] المتقدِّم من قَرَبوس السَّرج حيث يقع عليه يدُ الفارس.كذا فى شرح الحماسة. وأورد صاحب الكشاف هذا البيت فى سورة الأعراف على أن الخبر فى قوله تعالى ﴿ يَمُدُّونهمْ فى الغىّ[2] ﴾ جارٍ على غير ماهو له،كما فى البيت،فإنَّ الخيل

٣٩٤

(١) ط : «الناس» ، صوابه فى ش .

(٢) الآية ٢٠٢ من الأعراف .

مبتدأً وجالوا خبره مسندٌ إلى ضمير القوم . وفيه كلامٌ طويل .

وقوله : « لم ألقَ بعدهُم » إلخ الحيُّ : القبيلة . وخَبرت الشيء أخبره ، من باب قتل ، خُبراً بالضم ، بمعنى علمته . وانتصب أخبرهم فى جواب النفى . وهمُ الأخير فاعل يزيدُ ، فصِل ضرورة . والمعنى : لم ألق بعد فراق قومى حيا من الأحياء فأخبرهم إلاّ ازدادوا فى عينى إذا قستهم بمن سواهم .

وروى ابن قتيبة الصَّدرَ (فى كتاب الشعراء) ، والأصبهانى (فى الأغانى) :

* وماأُصاحبُ من قومٍ فأَذكُرَهم *

وزعم أبو حيان أنَّ الرواية كذا من تحريف ابن مالك . هذا قصورٌ منه . ويجوز رفع فأَذكرُهم عطفا على أُصاحب . والذِّكر هنا قلبىٌّ بمعنى التذكر ، فإن المعنى : إنى إذا صاحبت قوماً فتذكرت قومى ازددت محبةً فيهم ، لفضل قومى عليهم . وهذا البيت أورده ابن الناظم وابن هشام(فى شرح الألفية) لما ذكَرنا من فصل الضمير المرفوع ضرورة . قال ابن هشام (فى المغنى) : ادَّعى ابنُ مالك أن الأصل يزيدون أنفسُهم ، ثم صار يزيدونهم ، ثم فصل ضمير الفاعل للضرورة وأخّره عن ضمير المفعول . وحامله على ذلك ظنه أن الضَّميرَينِ لمسمًّى واحد ، وليس كذلك . قال (فى شرح شواهده):وزعم بعضُ من فسَّر الضرورة بما ليس للشاعر عنه مندوحة ، أن هذا ليس بضرورة [١] لتمكن قائله من أن يقول:إلاّ يزيدونهم حباً إلىَّ هم ، ويكون الضمير المنفصل توكيداً للفاعل . ورَدَّه ابن مالك بأَنه يقتضى كون الفاعل والمفعول ضميرين متصلين لمسمًّى واحد ، وإنما يجوز ذلك فى باب ظن . وهذا

---

(١) ط : « لضرورة » ، وأثبت مافى ش .

سهو ، لأنّ مسمَّى الضميرين مختلفان ، إذْ ضمير الفاعل لقومه وضمير المفعول لقومه الممدوحين . ويحتمل عندى أن يكون فاعل يزيد ضمير الذِّكر ، ويكون هم المنفصل توكيداً لهم المتَّصل . انتهى كلام ابن هشام .

وقد أخذ مسلمُ بنُ الوليد معنى بيت المرّار فقال :

ويَرجعنى إليك إذا نأتْ بى ديارِى عنك تجربةُ الرِّجالِ (١)

المرار بن منقذ

والمَرَّار شاعرٌ إسلامى فى الدولة الأموية ، من معاصرى الفرزدق وجرير . وهو بفتح الميم وتشديد الراء . قال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : المرار العدوىُّ هو ابن منقذ ، من صُدَىّ بن مالك بن حنظلة . وأم صُدَىّ بالتصغير من جَلّ بن عَدىّ ، فيقال لولده بنو العَدَوية . وقال لهم عَوف بن القعقاع : يابنى العدوية،أنتم أوسع بنى مالكٍ أجوافا ، وأقلُّهم أشرافا . والمرّار هو القائل :

وما أصاحبُ من قومٍ فأذكرَهم إلا يزيدُهم حباً إلىَّ همُ

٣٩٥

وأنشد معه أبياتاً أخر من هذه القصيدة . قال وفيه وفى قومه يقول جرير :

إن كنتمُ جَرْبى فعندى شفاؤكم
وللجنِّ إن كان اعتراكَ جنونُ (٢)

---

(١) ط : « ديار عنك » ، وماأثبت من ش يطابق الديوان ٣٣٦ وزهر الآداب ١٦٥ .

(٢) ط : « حزبى » ، تحريف ، صوابه فى ش . وفى الشعراء ٦٧٩ : « فإن كنتم كلبى » ، وهى كذلك فى الحيوان ٢ : ١٥ وديوان جرير ٥٨٩ .

وما أنتَ يامرّار يازَبَدَ استِها
بأوَّل من يشقَى بنا ويَحِينُ (١)

وقد رفع الآمدى نسبه (فى المؤتلف والمختلف) فقال : هو المرَّار بن منقذ بن عمرو بن عبد الله بن عامر بن يثربىّ بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زَيد مناة بن تميم . شاعرٌ مشهورٌ . ا هـ

واسم المرّار هذا زياد بن منقذ ، قاله الحُصْرىُّ (فى زهر الآداب) ، وإلى اسمه نسب الشعر . وفى الحماسة [قال شُرَّاحُ الحماسة (٢)] : هو لزياد بن منقذ ، وهو أحد بنى العدَويّة من تميم ، ولم يقل غير هذه القصيدة ، ولم يقل أحدٌ مثلَها . وكان قد أتى اليمنَ فنزع إلى وطنه ببطن الرمَّة . قال أبو العلاء : الرمَّة : وادٍ بنجد ، يقال بتشديد الميم وتخفيفها.ا هـ

وصحَّفه بعضهم وتبعه العينى فقال : ببطن الرِّمث بالمثلثة .

وقد نسب الحُصْرىُّ أيضاً هذا الشعر للمرّار ، قال : أنشد أبو عبيدة لزياد بن مُنقذ الحنظلى ، وهو المرَّار العدوى ، نُسِب إلى أُمِّه العدَوية ، وهى فُكَيهة بنت تميم بن الدُّئل بن جَلّ (٣) بن عدىّ بن عبد مناة (٤) بن تميم بن أدّ بن طابخة ، فولدت لمالك بن حنظلة عديًّا ويربوعا . فهؤلاء من ولده يقال لهم بنو العدَوية (٥).

---

(١) ط : «ياريد استها» ، صوابه فى ش والشعراء والديوان . وأصل الزبد زبد الماء واللعاب والبعير والفضة ، وهو طفاوته وقذاه .

(٢) التكملة من ش .

(٣) ط : « جبلة » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح وجمهرة ابن حزم ٢٠٠ .

(٤) عبد مناة هذا،هو ابن أد بن طابخة،كما فى الجمهرة وزهر الآداب ١٠٦٤ . و«تميم» هنا مقحمة.

(٥) وكذا فى زهر الآداب ، لكن فى جمهرة ابن حزم ٢٢٨ أن أبناء العدوية هم : زيد ،والصدىّ ، ويربوع وقد سبق ذكر « صدى » فى ترجمة المرار .

وكان زيادٌ نزل بصنعاء فاجتواها ومنزلُه فى نجد ، فقال فى ذلك قصيدةً يقول فيها وذكَر قومه :

لم ألقَ بعدهُمُ حيًّا فأخبرَهم إلّا يزيدُهم حباً إلىَّ هُمُ

وأراه أوّل من استثار هذا المعنى . وكان ابنُ عَرادة السَّعدى [1] مع سَلْم وابن زياد بخُراسان ، وكان مكرِماً له ، وابن عَرَادة يتجنَّى عليه ، إلى أن تركه وصحِب غيره فلم يحَمْده ، فرجع إلى سلم وقال :

عَتبتُ على سَلْم فلمّا فقدتُـه وصاحبتُ أقواماً بكيت على سَلْم

رجعَتُ إليه بعـد تجريبِ غيره فكان كُبرءٍ بعد طُولٍ من السُّقمِ

ومنه قول أبى العتاهية فى جعفر بن المنصور ، المعروف بابن الكردية ، وهو جعفرٌ الأصغر :

جزى الله عنِّى جعفراً بوفائه وأضعف إضعافاً له بجزائه

بلوتُ رجالا بَعدَه فى إخائهم فما ازددتُ إلّا رغبة فى إخائه

ومنه أيضاً لكنَّه فى الهجو ، لبعضهم :

ذممْتُك أوّلاً حتى إذا ما بلوتُ سِواك عاد الذمُّ حمدا

ولم أحمَدْكَ من خيرٍ ولكن رأيتُ سواك شراً منك جدًّا

كمضطرٍّ تحامى أكلَ ميْتٍ فلما اضطُرَّ عاد إليه شَدّا

قال الصُّولى : وآخر من أتى بهذا المعنى أحمد بن أبى طاهر :

بلوتُ الناس فى شرقٍ وغربِ وميَّزتُ الكِرامَ من اللئامِ

---

(١) فى النسختين «ابن عرادة السعدى وكان» والوجه تقديم « وكان » كما فى زهر الآداب ، لكن فيه : « بن أبى عرادة » تحريف . وانظر أمالى القالى ٣ : ٣١ وذيل سمط اللآلى ص ١٧ .

فردَّنى ابتلاىَ إلى علىّ بْـ ـنِ يحيى بعد تجريبِ الأنامِ

٣٩٦ وعندى فى هذا المعنى مقاطيعُ جيِّدة ، لولا خشية السَّأَم لسردتُها .

وزعم أبو تمام فى الحماسة أن القصيدة التى منها البيت الشاهد لزياد بن حَملَ بن سعيد بن عُميرة بن حُريث .

وأخطأ أبو عبيدٍ [١] البكرى (فى معجم مااستعجم) فى زعمه أن زياد بن حمَل هو المرار العدوى .

وزعم الأصفهانى (فى الأغانى) والخالديان (فى شرح ديوان مسلم بن الوليد) أن هذه القصيدة للمرَّار بن سعيد الفقعسى . والله أعلم . والصواب أنها لزياد بن منقذ العدوى . قاله ياقوت (فى معجم البلدان) ، قال : والمرَّار والحكم أخَوَان .

(تتمة)

ذكر الآمدى (فى المؤتلف والمختلف) من يقال له المرّار ستة . أولهم المرار الفقعسى . وستأتى ترجمته إن شاء الله فى الكاف من حروف الجر [٢] .

ثانيهم : المرَّار بن منقذ ، وتقدَّمت ترجمته هنا .

ثالثهم : المرارُ بن سَلامة العجلى ، وهو إسلامىٌّ .

رابعهم : المرارُ بن بشير السَّدوسى .

خامسهم : المرَّار الكلبىّ .

سادسهم : المرار بن مُعاذ الحَرَشىّ .

* * *

---

(١) ط : «أبو عبيدة» ، صوابه فى ش .

(٢) هذا سهو من البغدادى ، فإن المرار بن سعيد الفقعسى تقدمت ترجمته فى الخزانة ٤ : ٢٨٨ ــ ٢٨٩ فى شواهد الإضافة .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثمانون بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد سيبويه [١]:

٣٨٠ (فبيناهُ يَشرِى رَحلَه قال قائلٌ

لِمَنْ جَمَلٌ رِخْوُ المِلاطِ نجيبُ)

على أن واو (هوَ) قد يحذف ضرورة كما هنا ، فإنَّ الأصل : فبينا هو يَشرى .

قال سيبويه (فى باب مايحتمل الشعر): اعلمْ أنَّه يجوز فى الشعر مالا يجوز فى الكلام . إلى أن قال : وليس شىء يُضطَرُّونَ إليه إلَّا هم يحاولون به وجهاً . ومايجوز فى الشعر أكثر من أن أذكره لك ههنا ، لأن هذا موضعُ جُمَلٍ . قال أبو الحسن : سمعت من العرب قولَ العُجَير السلولى :

فبيناهُ يشرِى رحله قال قائلٌ . . . . البيت

قال الأعلم : أراد : بينا هو ، فسكن الواو ثم حذفها ضرورة ، فأدخلَ ضرورةً على ضرورة ، تشبيها للواو الأصليّة بواو الصلة فى نحو منهُ وعنه .

وزعم ابن الأنبارى (فى ترك صرف ماينصرف من مسائل الخلاف) : أنَّ الواو حذفت متحرِّكة . قال : إذا جاز حذفُ الواو المتحرِّكة للضرورة من فبيناه يشرى ، فَلَأَن يجوز حذفُ التنوين للضرورة من باب الأَوْلى ، لأنَّ الواو من هو متحركة ، والتنوين ساكن ، ولا خلاف أنّ حذف الساكن أسهل من حذف المتحرك . اهـ

---

(١) ستأتى الاشارة إلى أن الشاهد وقع صدره فى أكثر نسخ كتاب سيبويه ، وهو دليل على سقوطه من كثير من النسخ . ومهما يكن فهو من شواهد أبى الحسن الأخفش لا من شواهد سيبويه ، كما نص الشنتمرى فى سيبويه ١ : ١٣ ـــ ١٤ بولاق . وانظر لهذا الشاهد الخصائص ١ : ٦٩ وابن الشجرى ٢ :٢٠٨ والإنصاف ٥١٢ وابن يعيش ٣ : ٩٦ وحواشى نشرتى من سيبويه ١ : ٣٢ .

و(بين) ظرفٌ ، لمَّا وصلِ بالألف إشباعاً للفتحة جاز إضافتُه إلى الجمل ، وحدَث فيه معنى زائد وذلك ظرفُ الزمان ، كما حدث فى مع لمَّا أُشبعت فتحتُها وحَدث بعدها ألفٌ من قولهم : معاً . وهو مبتدأ وجملة يشرى خبره ، والمجموع فى محل جر بإضافة بينا إليها . وإنما جاز هذا على تقدير حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ، والتقدير : فبينا أوقاتٍ هو شارٍ رحلَه فإنَّه يقول . وبينا عند سيبويه لاتقع إلا للمفاجأة ، ولاتقع إلا فى صدر الجملة ، جعلوها بمنزلة الظُّروف المبهمة [1] التى تقع فى صدور الجمل ، فإذا أضفتها الى الجملة التى بعدها جئت بالفعل الذى عمل فيها ، نحو قولك : بينا زيد قائم جاء عمرو . وأما الأصمعى فإنه يقول : إضافة بينا الى المصدرِ المفرد جائزة ، ويروى لأبى ذؤيب : ٣٩٧

* بينا تعنُّقِهِ الكُماةَ ورَوغِه *

بجر تعنُّقه . وقال ابن قتيبة : سألت الرياشىَّ عن هذه المسألة فقال . إذا ولىَ لفظة بينا الاسمُ العلم رفعتَ ، فقلتَ : بينا زيدٌ قائم جاء عمرو . وإن وليَها المصدر فالأجود الجر . وقومٌ من النحويِّين لايجيزون إضافته إلى المصدر المفرد ولا إلى غير مصدر ، ويمضون على الأصل .

و(يشرِى) هنا بمعنى يبيع، وهو من الأضداد . والرَّحل : كلُّ شىءٍ يُعدّ للرحيل من وعاءٍ للمتاع ، ومركَب للبعير ، وحِلْس ورَسَن . و(المِلاط) بكسر الميم : الجنْب . ورِخو المِلاط :سهلُه وأملسُه .كذا قال القالى [2].وقال

---

(١) ط : « المهمة » ، ووجهه ماأثبت من ش .

(٢) ط:«قال القاتل»، وأثبت مافى ش . ولأبى على القالى كتاب فى اللغة،هو «البارع» .ذكره البغدادى فى ١ :٥١٠/ ٣ :٢٩٠، ٣٠١، ٣٤٣ بولاق. وقال ياقوت:«جمع فيه كتب اللغة ، يشتمل على ثلاثة آلاف ورقة .قال الزبيدى:ولانعلم أحدا من المتقدمين ألف مثله» . ثم نقل عن أبى محمد العربى قوله:«كتاب البارع لأبى على القالى يحتوى على مائة مجلد ، لم يصنف مثله» . معجم الأدباء ٧ :٢٩ .

ابن حلَف : الملاط : مقدَّم السَّنام ، وقيل جانبه . وهما ملاطان : العضدان ، وقيل الإِبطان . وقوله : (رخو) إشارة الى عظَمه واتِّساعه . قال الأعلم : وصف بعيراً ضلَّ عن صاحبه فيئس منه ، وجعل يبيع رحلَه ، فبينا هو كذلك سمع منادياً يبشِّر به [١] . وإنما وصف ماورد عليه من السُّرور بعد الأسَف والحزن . والملاط : ماولى العَضُد من الجنب ، ويقال للعضدين : ابنا مِلاط . ووصف برخاوته لأنّ ذلك أشدُّ لتجافى عضديه عن كركرته ، وأبعَدُ له من أن يصيبه ناكت [٢] أو ماسح ،أو حازّ ، أو ضَبٌّ . وهذه كلها أعراضٌ وآفات تلحقه إذا حكَّ بعضده كِركِرته . اهـ . و(النجيب) : الجيِّد الأصيل ، والصواب بدله (ذلول) فإنَّ القصيدة لامية .

قال ابن خلف : وهذا البيت قد وقع صدرُه فى أكثر نسخ كتاب سيبويه ، وأنشده أبو الحسن الأخفش : «رخو الملاط نجيب» بالباء ، وأنشده أيضا (فى كتاب القوافى) كذا ، وقال : سمعت الباء مع اللام والميم والراء ، كلَّ هذا فى قصيدةٍ واحدة ، وهى :

أبيات الشاهد

(ألَا قدْ أرى إن لم تكنْ أمُّ مالك
بمِلْكِ يدِى أنَّ البقاءَ قليلُ

خليلَىَّ سيرا واترُكا الرَّحْلَ إنّنى
بِمَهْلكــة والعاقبــاتُ تدورُ

رأى من رفيقَيهِ جفاءً وغِلظةً
إذا قام يبتاعُ القلاصَ دميمُ

---

(١) ط:«يشير به»،وفى ش:«ينشده» مع أثر تصحيح، والوجه ماأثبت من شرح الأعلم ١:١٤.

(٢) الناكت ، بالتاء المثناة فى آخره ، وهو أن يحز مرفق البعير فى جنبه . ط : «الناكث» ، صوابه فى ش .

فبيناه يشرى رحلَه قال قائلٌ
لمن جملٌ رخوُ المِلاط نجيبُ)

قال : والذى أنشده أعرابىٌّ فصيح لايحتشم من إنشادها .

وقال أبو الفتح بن جنى : هكذا أنشده أبو الحَسن ، وهو بعيد ، لأنّ حكم الحروف المختلفة فى الروىّ أن يتقارب مخرجها كما أنشد سيبويه فى كتاب القوافى . والذى وجد فى شعر العُجير السَّلولى :

فباتت همومُ الصَّدرِ شتىَّ يَعدنه كما عِيدَ شِلوٌ بالعَراء قتيلُ
فبيناهُ يشرى رحله قال قائلٌ لمن جملٌ رِخو المِلاط ذلولُ
محلًّى بأطواقٍ عِتاقٍ كأنَّهـا بقايا لُجَينٍ جَرسُهنَّ صليلُ .اهـ

صاحب الشاهد

وقال صاحب العباب : البيت للعُجَير السلولى ، ويروى للمُخَلَّب الهلالى ، وهو موجود فى أشعارهما . والقطعة لاميَّة ، ووقع فى كتاب سيبويه «نجيبُ» بدلَ : «ذلول» ، وتبعه النحاة على التحريف . وهى قطعةٌ غرَّاء . اهـ .

قال الأسود أبو محمد الأعرابى (فى ضالّة الأديب) : قال أبو الندى : القصيدة للمخلَّب الهلالىّ ، وليس فى الأرض بدوىٌّ الاَّ وهو يحفظُها ، وأوّلها :

وجَدتُ بها وجدَ الذى ضَلَّ نِضوهُ بمكة يوماً والرِّفاقُ نزولُ (١)
٣٩٨ بغَى مابَغى حتّى أتى اللَّيلُ دونَهُ وريحٌ تَعَلّى بالتُّرابِ جَفُـولُ
أتى صاحبَيْه بعدَما ضلَّ سعيُه بحيث تلاقت عامرٌ وسَلولُ
فقال : احملا رحلِي ورحلَيكما معاً فقالا له : كلَّ السَّفاهِ تقولُ
فقال : احملانى واتركا الرَّحل إنّه بمهلكـةٍ والعاقبـاتُ تُدولُ

---

(١) ط : « وجدت لها » ، صوابه فى ش .

فقالا : مَعاذَ اللهِ ، واستَرْبعتهما ورَحليْهـا عَيرانـةٌ وذَمـولُ [١]
شكا من خليليه الجفاءَ ونقدُه إذا قام يستام الركابَ قليلُ
فباتت همومُ النَّفس شتَّى يَعُدْنَه كما عِيد شِلوٌ بالعَرَاء قتيلُ
فبيناهُ يَشْرِى رحلَه قال قائل : لمن جَملٌ رِخوُ الملاطِ ذلولُ
محلًّى بأَطواق عِتاق تزينه أهِلَّـةُ جِنّ بينهنَّ فصولُ
فهلَّل حيناً ثم راح بنضوِه وقد حانَ من شمس النهار أفولُ
فما تمَّ قرنُ الشَّمسِ حتى أناخه بقَرنٍ وللمستعجِلات زليلُ
فلما طوى الشَّخصينِ وازورَّ منهما ووطَّنه بالنَّقْرِ وهو ذلولُ [٢]
فقاما يجرّان الثيابَ كلاهما ، لما قد أسرّا بالخليل ، قبيلُ
فقال : ارفعا رَحْلَيكما وترفَّعا فماءُ الأَداوِى بالفلاة قليلُ [٣]

وقد سلك العُجَير السلولى طريقة المخلَّب الهلالى ، وأدرج معانىَ قطعته فى شعره فقال :

ألا قد أرى إنْ لم تكن أُمّ خالدِ بِمَلك يدى أنّ البقاء قليلُ [٤]
وأن ليس لى فى سائر الناس رغبةٌ ولا منهمُ لى ماعداكِ خليلُ

---

(١) يقال ربع الحجر يربعه ربعا وارتبعه : شاله ورفعه ، وقيل حمله . وفى ش : « واسترجعتهما » .

(٢) النقر : صوت اللسان ، وهو أن يلزق طرفه بمخرج النون ثم يصوت به فينقر بالدابة لتسير . ط : « بالنفر » ، صوابه بالقاف كما فى ش .

(٣) الأداوى : جمع إداوة ، وهى إناء صغير يتخذ للماء .

(٤) يقال هذا مِلك يدى ومَلكها بكسر الميم وفتحها ، كما فى إصلاح المنطق ٧٠ واللسان (ملك ٣٨٣).

وما وجَدَ النَّهدىُّ وجداً وجدته عليها ، ولا العُذرىُّ ذاك جميلُ (١)
ولا عُروةٌ اذْ مات وجداً وحسرة بعفراء لما أنْ أجدَّ رحيلُ (٢)
ولا وجدُ مُلْقٍ رحلَه ضَلّ نضْوه بمكّـةَ أمسى والرِّفـــاقُ نزولُ
سَعى ماسعَى حتى أتى الليلُ دونه وريحٌ تَلهَّى بالتُّراب جَفـولُ

وساق هذا المساق حتى قال بعد سبعة أبيات :

فبيناهُ يشرى رحله قال قائلٌ لمن جملٌ رَسْلُ المِلاط طويلُ

كذا فى شعر العجير: «رسل الملاط طويل» ، فعلُم أن السبق للمُخَلَّب الهلالى . شبّه الشاعر حاله فى هوَى امرأةٍ يُحِبُّها وشدّةِ وجدهِ بها ، بوَجدِ هذا الرجل الذى ضَلّ بعيرهُ وفارقه أصحابُه فباتت همومُ هذا الرجل شتى تذهب عنه حيناً فيسكن ، وتجيئه حيناً فيعود إليه الألم ويأتيه ، كما يأتى العوائدُ إلى المريض وإلى القتيل ينظُرنه ، فبينا هو يبيعُ رحل جمله الذى ضَلَّ منه سمع من يعرِّف الجمل ليردَّه على صاحبه .

والشلو بالكسر : العضو . والعَرَاء بالفتح : الفضاء . والأطواق : جمع طوق . والعِتاق : الحسان . والجَرْس : الصوت . والصليل : صوتٌ فيه شِدّة مثل صوت الحديد والفضة ومأأشبههما . والنِّضو ، بالكسر : البعير المهزول . والرِّيح الجفول : التى تلقى التراب شيئاً على شيء. والسَّفاهُ ، بالفتح : مصدر سَفِه فلان سفاهة وسَفاهاً.وتدول بمعنى تدور.يقال دالت الأيامُ تدُول مثل ٣٩٩

---

(١) النهدى هو عبد الله بن عجلان ، وهو شاعر جاهلى ، قال فيه المجنون :

فما وجدت وجدى بها أم واحد ولا وجد النهدى وجدا على هند
ولا وجد العذرى عروة فى الهوى كوجدى ولا من كان قبلى ولا بعدى

تزيين الأسواق ٧٦ .

(٢) ط : « إذ مان » ، صوابه فى ش .

دارت تدور ، وزناً ومعنى . واستام : افتعل من السَّوم ، يقال سام المشترى السلعة واستامها ، إذا طلب بيعَهَا ، والرِّكاب : الإبل ، وهو مفعول ، وقليل خبر المبتدأ الذى هو نَقْدُه ، أى دراهمه . وقرْنٌ الثانى : موضعٌ . وزليل : مصدر زلّ يزِلّ بالزاى ، إذا مرّ مَراً سريعا .

العجير السلولى

والعجير السلولى بضم العين وفتح الجيم ، قال ابن السيد (فى شرح أبيات الجمل) : هو منسوبٌ إلى بنى عُجَير ، وهو حىٌّ من أحياء العرب .

أقول : العجير لقبٌ ، وليس فيه نسبة . على أنَّ الصاغانى قال (فى العباب) : بنو عُجرة : قبيلةٌ من العرب . وليس فيه بنو عجير .والعُجير يحتمل أن يكون مصغر عَجر ، مصدر عجّر عنقَه ، إذا لواها ، ومصغّرَ عَجَر بفتحتين ، مصدر عجِر بالكسر ، أى غلُظ وسَمِن . ويحتمل أن يكون مصدرَ ترخيم أعجر ، يقال كيس أعجر ، أى ممتلىء [(١)] ، وفحل أعجر أى ضخم.

قال اللخْمىّ (فى شرح أبيات الجمل):اسم العجير عُمَير بالتصغير، ابن عبد الله بن عَبيدة:بفتح العين وكسر الموحدة،وقيل ابن عُبيدة بضمها. وهو من بنى سَلول بن مرّة بنْ صعصعة،أخى عامر بن صعصعة.وأمُّ بنى مُرَّة سلول بنت ذُهل بن شيبان بن ثعلبة،غلبت عليهم وبها يعرفون .ويكنى العُجير أبا الفرزدق،وأبا الفيل.وهو شاعرٌ إسلامىٌّ من شعراء الدولة الأموية.اهـ

وقال الآمدى (فى المؤتلف والمختلف):أبو الفرزدق عُجيرٌ السَّلولى،مولًى لبنى هلال.ويقال هو العجير بن عبد الله بن عَبيدة بن كعب بن عائشة بن ضبيط بن رفيع بن جابر بن عمرو بن مرة بن صعصعة،وهم سلول.اهـ

وسَلُولُ : اسمٌ مرتجل غير منقول .

وتقدَّمت ترجمته فى الشاهد الثامن والثلاثين بعد الثلثمائة [(٢)] .

---

(١) فى اللسان « وكيس أعجر وهميان أعجر ، أى ممْتلئ » .

(٢) انظر ص ٣٥ .

وأما المخلَّب الهلالى فهو بضم الميم وفتح الخاء المعجمة وتشديد اللام المفتوحة اسم منقول . قال صاحب العباب : يقال ثوبٌ مخَلَّبٌ ، إذا كانت نقوشه كمخالب الطير ، وقيل هو الكثير الوشْى من الثِّياب . وكرسىٌّ مخلّب : معمول بالليف . وخُلْب التنُّور : طينه .

وهذا الشاعر لم أقفْ على نسبه ولا على شىءٍ من أثره . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو من أبيات س ، وتقدَّم عليه الكلام فى الشاهد الثالث والثمانين [١] :

(دارٌ لسُعدَى إذهِ من هَواكا)

على أنّ الأصل (إذهى) فحذفت الياء ضرورة . قال الفالىّ (فى شرح اللباب) أوله :

* هل تَعرِفُ الدار على تِبراكا *

وهو بكسر التاء موضع .

وفى هذا ردٌّ على الكوفيين فى زعمهم أنَّ الضمير فى هو وهى إنّما هو الهاء ، والواو والياء زائدتان .

قال ابن الأنبارى (فى مسائل الخلاف) : ذهب الكوفيون إلى أنّ الاسم من هو وهى الهاء وحدها . وذهب البصريون إلى أنّ الهاء والواو من هو ، والهاء والياء من هى ، هما الاسم بمجموعهما . أمَّا الكوفيون فاحتجوا بأنْ قالوا : الدليل على أن الاسم هو الهاء أنّ الواو والياء يحذفان فى التثنية، نحو : هما ؛ ولو كانت أصلاً لما حذفت . والذى يدلُّ عليه أنّهما يحذفان فى الإفراد وتبقى الهاء قولُه :

(١) الخزانة ٢: ٤ .وانظر أيضا العقد ٤: ١٨٥ وابن يعيش ٣: ٩٧ .

فبيناه يَشْرِى رحله . . . . البيت

٤٠٠

وقال الآخر

بيناهُ فى دارِ صدقٍ قد أقام بها حيناً يعللّنا وما نعلّلهُ (١)

وقال الآخر :

إذاهُ سِيم الخَسْفَ آلَى بِقَسَمْ باللهِ لايأخذ إلّا ماأحتكَمْ (٢)

وقال الآخر :

* دار لسُعْدَى إذه من هواكا *

فدلَّ على أنَّ الاسم هو الهاء وحدها . وإنَّما زادوا الواو والياء تكثيراً للاسم ، كراهية أن يبقى على حرفٍ واحد .

وأمَّا البصرِيُّون فاحتجوا بأن [قالوا : الدليل على أنّ (٣)] الواو والياء أصلٌ أنّه ضميرٌ منفصل ، والضمير المنفصل لايجوز أن يُبنى على حرفٍ ، لأنّه لابد من الابتداء بحرف والوقِف على حرف ، فلو كان الاسم هو الهاء لكان يؤدِّى أن يكون الحرف الواحد ساكناً متحركا ، وهو محال . وأمَّا قولهم: إن الواو والياء يحذفان فى التثنية . قلنا : إنَّ هُما ليس تثنية، وإنّما هى صيغة مرتجلة للتثنية ، كأنتما . وأمَّا ماأنشدوه من الأبيات فإنَّما حذفت الواو والياء لضرورة الشعر ، كقول الشاعر :

فلستُ بآتيـهِ ولا أستطيعُـه ولاكِ اسقنى إنْ كان ماؤك ذا فضْلِ

أراد : ولكن اسقنى ، فحذفت النون للضرورة .وأمَّا قولهم:زادوا الواو

(١) سيبويه ١ : ١٢ والانصاف ٦٧٨ .
(٢) الانصاف ٦٧٨ واللسان (ها ٣٦٦) .
(٣) التكملة من الإنصاف .

والياء تكثيراً للاسم كما زادوا الواو فى ضربتهو ، قلنا : هذا فاسد ، لأنَّ هو ضمير منفصل ، والهاء ضمير متَّصل ، وقد بيَّنَّا أنَّ المنفصل لايجوز أن يكون على حرفٍ ، بخلاف المتَّصل ، لأنَّه لايقوم بنفسه ، فلا يجب فيه ما وجب فى المنفصل ، والواو فى ضربتهو لازمةُ السُّكون ، بخلاف واو هو فإنَّها جائزة السكون، ولو كانا بمنزلةٍ لوجب أن يسوَّى بينهما فى الحكم . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والثمانون بعد الثلثمائة [١] :

٣٨١ (وإنّ لسانى شُهدةٌ يُهتدَى بها وهُوَّ على من صبَّه الله عَلقمُ [٢])

على أن هَمْدان تشدِّد واو (هو) كما فى البيت ، وياء (هى) ؛ ولم يمثّل له ، وهو فى هذا البيت :

والنّفس ماأُمِرت بالعنف آبيةٌ وهىَّ إن أُمرت باللُّطف تأتمرُ

وهَمْدان ، بفتح الهاء وسكون الميم والدال مهملة : قبيلة من اليمن ، وهو لقبٌ،واسمه أَوْسَلَة بن ربيعة بن لِحْيان بن مالك بن زيد بن كَهلان. وهمدان وصفٌ من الهمدة ، وهى السَّكتة .وهمدت أصواتهم : سكتت .

و(شهدة) بضم الشين : العسل بشَمْعه . قال ابن هشام (فى شرح شواهده) : هذا البيتُ أورده الفارسى (فى التذكرة) عن قطرب والبغداديِّين ، وفيه أربعة شواهد : أحدها تشديد واو هو . الثانى : تعليق الجار بالجامد لتأويله بالمشتق ، وذلك لأنّ قوله هو علقم مبتدأ وخبر ، والعلقم هو الحنظل ، وهو نبتٌ كريه الطَّعم ، وليس المرادَ هنا ، بل المراد شديدٌ أو صعب ، فلذلك علّق به « على » المذكورةُ . ونظيره قوله :

---

(١) انظر ابن يعيش ٣ : ٩٦ وشرح شواهد المغنى ٢٨٥ والعينى ١ : ٤٥١ والتصريح ١ : ٤٨ والهمع ١ : ٦١ / ٢ : ١٥٧ والأشمونى ١ : ١٧٤ .

(٢) فى هامش المطبوعة : « قوله يهتدى ، المعروف يشتفى . كذا بهامش الأصل » .

* وكلُّ فؤادٍ عليك أُمُّ [1] *

فعلَّق عَلَى بأُمّ ، لتأويله إياها بمشتقّ . وعلى هذا ففى علقم ضميرٌ كما فى قولك : زيد أسد ، إذا أوَّلته بقولك : شجاع ، إلّا إذا أردت التشبيه . ومن تعلُّق الظرف بالجامد لِمَا فيه من معنى الفعل قولُه :

تركتِ بنا لَوْحاً ولو شئتِ جادنا بُعَيْدَ الكَرى ثلجٌ بكَرمانَ ناصحُ [2]

منعتِ شفاءَ النفسِ ممن تركتِهِ به كالجوى مما تجنُّ الجوارحُ [3]

٤٠١ لَوحا بفتح أوّله ، أىْ عَطَشا ، يقال لاح يلُوح أى عطش . وبُعَيْدَ متعلِّق بثلج ، لما فيه من معنى بارد ، وإذا كان ريقها بارداً فى وقت تغيرُّه من نومها فما ظنُّك به فى غير ذلك . وكَرْمان بالفتح : مدينة معروفة .وناصح :خالص.

الثالث : جواز تقديم معمول الجامد المؤوّل بالمشتق ، إذا كان ظرفاً . ونظيره فى ذلك أيضاً فى تحمُّل الضمير قوله :

* كلُّ فؤادٍ عليك أُمُّ *

الرابع : جواز حذف العائد المجرور بالحرف مع اختلاف المتعلَّق ، إذ التقدير : وهو علقم على من صبَّه الله عليه . فعلى المذكورة متعلِّقة بعلقم ، والمحذوفة متعلِّقة بصبَّه .

وبهذين الوجهين الأخيرين أورده فى مغنى اللبيب .

* * *

(١) صدره كما فى الخصائص ٣ : ٢٧٢ :

* مأأملك اجتاحت المنايا *

(٢) لجرير فى ديوانه ١٠٠ وشرح شواهد المغنى ٣٠١ من قصيدة يمدح بها عبد العزيز بن مروان .

(٣) فى الديوان وشرح شواهد المغنى : «الجوانح» ، وهو الأوفق ، كما أن هذا البيت فيهما سابق لسابقه هنا .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والثمانون بعد الثلثمائة [١]:

٣٨٢ (رَمَيتيهِ فأقصدتِ وما أُخطَأْتِ **الرَّمْيَهْ**)

على إنَّ أبا علىّ قال : تلحق الياء تاء المؤنث مع الهاء . **قال أبو على** (فى الحجة) فى توجيه قراءة حمزة : ﴿ وما أنتُمْ بِمُصْرِخِىِّ [٢] ﴾ : بكسر الياء المشددة من سورة إبراهيم عليه السلام [٣] : «والأكثر أن يقال رميته بكسر التاء دون ياء ؛ كما قال أقصدتِ بدون ياء » .وأقصَدْتِ بمعنى قَتَلْتِ . قال صاحب الصحاح : وأقصد السَّهمُ أى أصاب فقَتل مكانه . وأقصدته حيَّة : قتلته . قال الأخطل :

فإن كنتِ قد أَقصدتِنى أوْ رميتنى بسهمَيْك فالرَّامى يَصيدُ ولا يَدرى[٤]

أى ولا يَخْتِل . انتهى .

وهذه رواية أبى عَلّىٍ فى كتابه (الهاذور[٥]) . ورواه (فى الحجة) : «رميتيه فأصْمَيتِ [٦]» . قال صاحب الصحاح : وأصميت الصَّيد ، إذا رميته فقتلته وأنت تراه . وقد صَمَى الصيدُ يَصمِى كرمى يرمى ، إذا مات وأنت تراه . والرمْيَة : فاعل أخطأت ، وسكّن آخره للقافية . وروى :

* وما أُخطأتِ فى الرَّميه *

---

(١) لم أجد له مرجعا آخر .

(٢) الآية ٢٢ من ابراهيم .

(٣) ط : « ابراهيم صلى الله وسلم على نبينا وعليه » .

(٤) فى الديوان ١٢٨ : «بسهمك والرامى يصيب وما يدرى » .

(٥) هو المعروف بنقض الهاذور ، وهو فى الرد على ابن خالويه فى رده كتاب الأغفال لأبى على الفارسى . انظر ماسبق فى ٢ : ٢٨١ .

(٦) ط : « فأصمت » ، صوابه فى ش .

بالخطاب أيضا . وبعده :

(بسهمين مليحين أعارتْكِيهما الظَّبْيَهْ)

وأعارَتكِيهمَا مثل رَمَيتيه ، بزيادة الياء من إشباع الكسرة . كذا أنشد البيتين أبو حيان (فى تذكرته) عن أبى الفتح بن جنِّى .

* * *

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثمانون بعد الثلثمائة :

٣٨٣ (فبتُّ لدَى البيْتِ العَتيقِ أُريغُه
ومِطْوَايَ مُشتاقانِ لَهْ أرِقَانِ)

على أنّ بنى عقيل وبنى كلاب يجوِّزون تسكين الهاء ، كما فى قوله «له» بسكون الهاء .

والذى نقله ابن السرَّاج (فى الأصول) ، وابنُ جنى (فى الخصائص والمحتسب وغيرهما) أنَّ تسكين الهاء لغةٌ لأزد السَّراة . وجعله ابن السَّراج من قبيل الضرورة عندهم . قال : وقد جاء فى الشعر حذفُ الواو والياء الزائدة فى الوصل مع الحركة ، كما هى فى الوقف سواء . قال رجلٌ من أزد السراة :

فظَلْت لدى البيْتِ العتيق أُخِيله .. .. البيت .

وكذلك يشعر كلام أبى عَليّ (فى المسائل العسكرية) حيث قال : هذا من إجراء الوصل مجرى الوقف . وأما قوله :

* ما حَجّ ربَّهُ فى الدُّنيا ولا اعتمرا [٢] *

---

(١) الخصائص ١ : ١٢٨ ، ٣٧١ والمحتسب ١ : ٢٤٤ والمنصف ٣ : ٨٤ .

(٢) من شواهد سيبويه فى كتابه ١ : ١٢ والإنصاف ٥١٦ . وصدره :

* أو معبر الظهر ينبى عن وليته *

٤٠٢ فهذا خارج عن حدِّ الوقف والوصل جميعاً ، والصواب أنَّه لغة لاضرورة .
وإليه ذهب ابن جنى فى موضعين (من الخصائص) قال فى الموضع الأول ،
وهو باب تعارض السماع والقياس : ومما ضَعُف فى القياس والاستعمال جميعاً
بيتُ الكتاب :

له زجلٌ كأنَّهُ صوتُ حادٍ إذا طلب الوسيقةَ أو زميرُ [(١)]

فقوله «كأنَّه» خَلْس بحذفِ الواو وتبقية الضمة ، ضعيف فى القياس
قليلٌ فى الاستعمال . ووجه ضعفِ قياسه أنه ليس على حدِّ الوصل ولا على
حدِّ الوقف ، وذلك أن الوصل يجب أن تتمكن فيه واوه ، كما تمكنت فى قوله
أول البيت : له زجل ، والوقف يجب أن تحذف الواو والضمة فيه جميعاً وتسكن
الهاء ؛ فضمُّ الهاء بغير واو منزلةٌ بين منزلتى الوصل والوقف .

وقال أبو إسحاق فى نحو هذا : إنه أجرِىَ فى الوصل مجرى الوقف .
وليس الأمر كذلك ، لما بيَّناه ، لكنْ ماأجرى من نحو هذا فى الوصل على حدِّ
الوقف قولُ الآخر :

فظلْتُ لدى البيت العتيق أُخِيله .. .. البيت

على أنَّ أبا الحسن حكى أنَّ سكون الهاء فى نحو هذا لغةٌ لأزد السراة .
ومثل هذا البيت مارويناه عن قطرب ، قولُ الشاعر [(٢)]:

وأشربُ الماء مابى نحوه عطشٌ إلا أنَّ عيونَهْ سيلُ وادِيها [(٣)]اهـ

---

(١) سيبويه ١ : ١١ . وهو للشماخ فى ديوانه ٣٦ . وفى النسختين : «زميل» ، صوابه ماأثبت من سيبويه والديوان والخصائص ١ : ١٢٧ / ٢ : ١٧ ، ٣٥٨ .

(٢) فى الخصائص : « من قول الشاعر » .

(٣) مجهول القائل . وانظر المحتسب ١ : ٢٤٤ والهمع ١ :٥٩ .

وقال مثله فى سورة الأنعام (١)(من المحتسب) .

وقال فى الموضع الثانى ، (وهو باب الفصيح) : يجتمع فى الكلام الفصيح لغتان فصاعداً من ذلك قوله : فظلت لدى البيت إلخ ، فهذان لغتان ، أعنى إثباتَ الواو فى أُخيله ، وتسكينَ الهاء فى قوله «له» ؛ لأنَّ أبا الحسن زعم أنَّها لغةٌ لأزد السَّراة . وإذا كان كذلك فهما لغتان . وليس إسكان الهاء فى له عن حذفٍ لحق بصيغة الكلمة ، لكن ذلك لغة . وأما قول الشمّاخ :

له زجل كأَنَّهُ صوتُ حاد .. .. البيت

فليس هذا لغتين ، لأنَّا لانعلم رواية حذف هذه الواو وإبقاء الضمة قبلها ، فينبغى أن يكون ذلك ضرورة وصنعةً ، لا مذهبا ولا لغة (٢) انتهى .

(تتمة)

ذكر الشارح المحقق حذف واو الصلة ويائها ، ولم يذكر حذف الألف من نحو رأيتها . قال ابن جنِّى (فى سر الصناعة) : أمّا الألف فى نحو رأيتها فزيدت علما للتأنيث . ومَنْ حَذَفَ الواو من نحو : كأنَّه صوت حاد ، ومن نحوِ : له أرقان ؛ لم يَقُلْ فى نحو رأيتها ونظرت إليها إلاّ بإثبات الألف ، وذلك لخفَّة الألف وثقل الواو . إلَّا أنا روينا عن قطرب بيتاً حُذفت فيه هذه الألف ، تشبيهاً بالواو والياء ، لما بينهما وبينها من النسبة . وهو قوله :

أعلقْتُ بالذِّئب حبلاً ثم قلتُ له اِلحَقْ بأهلك واسلمْ أيُّها الذِّيبُ (٣)

---

(١) هذا سهو من البغدادى ، وصوابه « الأعراف » الآية ١٩ عند قوله تعالى : « مِن هذى الشجرة » بقراءة ابن مُحَيْصِن . انظر المحتسب ١ : ٢٤٤ .

(٢) فى الخصائص : «لا مذهبا ولغة» .

(٣) البيتان فى اللسان (ركب ٤١٤) بدون نسبة أيضا . وفى الثانى منهما إقواء ظاهر .

إمّا تقودُ به شاةً فتأكلُها
أُو أن تبيعَهَ فى بعض الأراكيبِ

يريد :تبيعَها ، فحذف الألف . وهذا شاذ . انتهى .

وقوله:(فبتُّ) باتَ من أخوات كان ، التاء اسمها ، وجملة أريغُه خبرها . وبات يفعل كذا معناه اختصاص ذلك الفعل بالليل ، كما اختص الفعل بالنهار فى نحو: ظلَّ يفعل كذا . ومنه تعرف ضعف الرواية الأخرى ، وهى : «فظَلْت لدى البيت » بفتح الظاء وأصله ظَلِلْت بلامين ، فخفِّف بحذف إحدى اللامين . وهى من أخوات كان أيضا . قال الخليل : لاتقول العرب ظلَّ إلاّ لعمل يكون بالنهار . (ولدَى) بمعنى عند . و(البيت العتيق) : مكة شرفها الله تعالى . والعتيق : الشَّريفُ والأصيل ، أو لأنه عُتِق من الطوفان . ٤٠٣

وروى : « البيتِ الحرامِ » بمعنى الممنوع ، من باب إطلاق المصدر وإرادة اسم المفعول . يقال البيت الحرام ، والمسجد الحرام ، والبلد الحرام ، أى لايحلُّ انتهاكه . و(أريغه) بمعنى أطلبه ، يقال أرغت الصيد . وماذا تُرِيغ ، أى ماذا تريد ، وهو بالراء المهملة والغين المعجمة . ويقال أرِيغُونى إراغتكم ، أى اطلبونى طلبتكم . قال خالد بن جعفر بن كلاب فى فرسه حَذْفَةَ :

أريغونى إراغتكم فإنِّى وحَذْفة كالشجا تحتَ الوريدِ

وقال عَبيد بن الأبرص يردُّ على امرىء القيس :

أتوعد أُسرتى وتركتُ حجرا يُرِيغُ سوادَ عينيه الغرابُ

وقال زُهير بن أبى سلمى فى ابنه سالم :

يديروننى عن سالم وأريغه وجلدةُ بين العين والأنفِ سالمُ

وهذا المصراع الثانى أراد عبد الملك فى جوابه عن كتاب الحجاج : أنت

عندى كسالم : وقد أخطأ صاحب الصحاح خطأً فاحشا فى قوله : يقال للجلدة التى بين العين والأنف : سالم .

وأخطأ ابن خلفٍ أيضاً (فى شرح أبيات سيبويه) فى نسبة هذا البيت لعبد الله بن عمر ، قاله فى ابنه سالم ، والصواب أنّه تمثّل به لا أنّه قاله .

وأخطأ صاحبُ (العباب) أيضاً فى زعمه أنّ هذا البيت لدارةَ أبى سالم ، والصواب أنه تمثل به أيضاً ، فإنَّ البيت من أبيات لزهير بن أبى سلمى ثابتةٍ فى ديوانه .

قال شارح ديوانه : كان لزهير ابنٌ يقال له سالم ، جميلُ الوجه حسنُ الشعر ، وبعث إليه رجلٌ ببردين ، فلبسهما الفتى وركب فرساً له جيدا ، وهو بماءةٍ يقال لها النُّتاءة [١] ، بضم النون بعدها مثناة فوقية بعدها ألف ممدودة ، فمرَّ بامرأةٍ من العرب فقالت : مارأيتُ كاليوم رجلا ولا بُردَين ولا فَرَسا [٢]!! فعثرت به الفرسُ فاندقَّت عنقه وعنق الفرس ، وانشقَّ البردان ، فقال زهير يرثى ابنه سالما :

رأتْ رجلاً لاقى من العَيش غبطةً ... وأخطأه فيها الأمورُ العظائمُ
وشبَّ له فيها بنونَ وتُوبعت ... سلامةُ أعوامٍ له وغنائمُ
فأصبح محبوراً ينظِّر حوله ... بمغبطةٍ لو أنَّ ذلك دائمُ
وعندى من الأيام ماليس عنده ... فقلت تعلَّمْ أنما أنت حالمُ [٣]

(١) ط : « بماء » صوابه فى ش . وفى ش : «النتاية» ، صوابه فى ط . قال ياقوت : « وهو من النتوء ، وهو خروج الشىء عن موضعه من غير بينونة » .

(٢) فى شرح الديوان ٣٤١ : « ولا فرسا أحسن » .

(٣) فى شرح الديوان : « يخاطب ابنه يقول : ماأنت فيه من السرور والشباب بمنزلة الحلم » .

لعلَّكِ يوما أن تُراعِى بفاجع كما راعنى يومَ النُّتاءة سالمُ [1]
يديروننى عن سالم وأريغه وجلدة بين العين والأنف سالمُ

انتهى .

وروى جماعة بدل أريغه : « أُخِيله » بالخاء المعجمة ، يقال أخلْت السَّحابةَ وأخْيَلتها ، إذا رأيتها مُخِيلةً للمطر ، بضم الميم ، أى تخيِّل مَن رآها أنها ممطرة . وهو من خال أى ظَنَّ . ومَخِيلة أيضاً ، أى موضع لأن يُخالَ فيها المطر . كذا قال المعرى (فى شرح ديوان البحترى) . وأنشد هذا البيت .

وروى صاحب الأغانى ، وعلى بن حمزة البصرى بدله : « أُشيمه » ، يقال شامَ البرقَ ، إذا نظر إليه ، أى إلى سَحابته أين تمطر .والهاء فى الروايات الثلاث ضمير البرق فى بيت قبله .

وقوله : (ومِطْوَاىَ) هو مثنى مِطوٍ ، حذفت نونه عند الإضافة إلى ياء المتكلم . قال على بن حمزة البصرى (فى كتاب التنبيهات على أغلاط الرواة) : ٤٠٤
المطو بكسر الميم وضمها : الصاحب . وأنشد هذا البيتَ وقولَ الشاعر :

عَلامَ تقول الأسعدان كلاهما
ومِطوُهما كبشٌ بذِورةَ مُعْبَرُ

وقال صاحب الصحاح : مِطْوُ الشىء ، بالكسر : نظيره وصاحبه . وأنشد :

ناديتُ مِطوى وقد مالَ النهارُ بهم
وعَبرة العين جارٍ دمعُها سَجِمُ

---

(١) يخاطب زهير هذه المرأة التى حسدت ابنه سالما . وفى معجم البلدان : « تراع » ، تحريف يخالف مافى النسختين والديوان .

وقال رجلٌ من أزدِ السَّراة يصف برقا :

فظلتُ لدَى البيت العتيق أُخيله ومِطوايَ مشتاقان لَهْ أرقانِ

أى صاحباى . انتهى .

وقوله : (مشتاقان) خبر مطواى . وكذلك (أرقان) ، وضمير له للبرق أيضاً .

وروى صاحب الأغانى ، ومحمد بن حمزة العلوى (فى حماسته) :

* ومطواى من شوقٍ له أرِقانِ *

وعليه لاشاهد فيه ، فأرقان خبر مِطواى ، ومن تعليلية متعلقة بأرقان ، وهو مثنى أرق بكسر الراء ، وهو وصف من الأرَق بفتحها ، بمعنى السَّهَر.

وهذا البيت من قصيدةٍ ليَعْلَى الأحولِ الأزدىّ ، مطلعُها فى رواية أبى عمرو الشيبانى : صاحب الشاهد

(أويحَكما ياواشِيَىْ أمِّ مَعمرٍ بمن وإلى مَن جئتما تَشيانِ أبيات الشاهد

بمَنْ لو أراه عانياً لفدَيْتُه ومن لو رآنى عانياً لفدانى

أرِقتُ لبرقٍ دونـــه شَدَوانِ يمان وأهوى البرقَ كلَّ يمانِ

فبتُّ لدى البيت الحرام أشيمه ومِطواى من شوق له أرِقانِ

إذا قلت شِيماهُ يقولانِ والهوى يصادفُ منَّا بعضَ ماتريانِ)

إلى أن قال بعد أربعة أبيات :

(ألا ليتَ حاجاتى اللواتى حبَسنَنى لدى نافع قُضِّينَ منذُ زمانِ

ومابيَ بُغضٌ للبلادِ ولاقِلًى ... ولكنَّ شوقا فى سواهُ دعانى
فليتَ القلاصَ الأدمَ قد وَخَدَت بنا ... بوادٍ يمان فى رُباً ومَحانِ
بوادٍ يمَانٍ ينبت السِّدرَ صدرُه ... وأسفلُهُ بالمرخ والشَّبَهانِ
يدافعنا من جانبيه كلاهما ... غريفان من طَرفائه هَدِبانِ
ولَيْتَ لنا بالجوْز واللوز غِبلةً ... جَناها لنا من بطن حَلْية جاني
وليت لنا بالدِّيك مُكَّاءَ روضةٍ ... على فنن من بطن حَلية دانى
ولَيتَ لنا من ماءِ زمزم شَربةً ... مُبرَّدةً باتت على طَهَيانِ)

الواشي : النَّمام ، وشى يشي وشيا . والعانى : الأسير . وشَدَوان ، بفتح الشين المعجمة والدال (١) ، قال أبو عبيد (فى المعجم) : هو موضعٌ ذكره أبو بكر .

ونافع : والى مكة ، كان حبس الشاعر .

والقِلاص : جمع قلوص ، وهى الناقة الشَّابَّة . والأدم : جمع أدماء . والأُدمة فى الإبل : البياض الشديد .ووَخدت : أسرعت . ورُباً : جمع ربوة . ومحانٍ : جمع محنِيَة ، بفتح الميم وكسر النون ، وهو موضع انحناء الوادى .

والمرْخ : شجرٌ سريع الوَرْى . والشّبهانُ بفتح الشين المعجمة وضم الموحَّدة وفتحها : شجرٌ شائك ، وقيل هو النَّمَّام من الرياحين .

٤٠٥ والغَريف ، بالغين المعجمة : الشجر الكثير الملتفّ ، أىَّ شجر كان . والهدِب بفتح فكسر : الشجر الذى له هَدَب بفتحتين ، وهو كل ورق ليس له عرض ، كورق الأثل والطَّرْفاء والسَّرو .

---

(١) قيده ياقوت بلفظ التثنية . وذكر البكرى أنه على وزن فعَلان .

والغيلة ، بكسر الغين المعجمة : ثمرة الأراك الرطبة . تمنّى أن يأكل الغِيلة بدلَ الجوز واللوز .

وحلية : بفتح الحاء المهملة وسكون اللام بعدها مثناة تحتية ، قال أبو عبيد (فى المعجم) : أجمة باليمن معروفة ، وهى مأسَدة .

وقوله : وليت لنا بالدِّيك ، أى بدل الديك .

وطَهَيان بفتح الطاء والهاء والمثناة التحتية ، وهو جبل . يريد أيضاً بدلا من ماء زمزم . وهذا البيت يأتى شرحُه إن شاء الله تعالى فى حروف الجر فى الشاهد الخامس والسبعين بعد السبعمائة .

يعلى الأحول الأزدى

ويعلى الأزْدىّ ، بفتح المثناة التحتية وسكون العين المهملة واللام بعدها ألف مقصورة . قال الأصبهانى (فى الأغانى) : يعلى الأحول الأزدى ، هو ابن مسلم بن أبى قيس ، أحد بنى يشكر بن عمرو بن فلان ـــ وفلان هو يشكر [1] ـــ ويشكُر لقَبٌ لُقِّبَ به ـــ ابن عمران بن عمرو بن عدىّ بن حارثة بن لوذان بن كهف الظلام ـــ هكذا وجدته بخط المبرد ـــ ابن ثعلبة بن عمرو بن عامر . شاعرٌ إسلامىٌّ لصٌّ ، من شعراء الدَّولة الأموية . وقال هذه القصيدة وهو محبوسٌ بمكة عند نافع بن عَلقمة الكنانى ، فى خلافة عبد الملك بن مروان . قال أبو عمرو الشيبانى: كان يعلى الأحولُ الأزدىٌّ لصًّا فاتكا،وكان خليعاً يجمع صعاليك الأزد وخلعاءهم فيُغير بهم على أحياء العرب،ويقطع الطَّريقَ على السَّابلة،فشُكِيَ إلى نافع بن علقمة بن مُحرِّث[2] الكنانى ثم الفقيمى ، وهو

(١) فى الأغانى ١٩ : ١١١ : «بن رألان ، ورألان هو يشكر » .

(٢) فى الأغانى : « الحارث » ، وماهنا صوابه . و «محرث» نسبة الى جده الأعلى ، وهو كما فى البيان ١ : ٣٠٢ ، ٣٩٣ : نافع بن علقمة بن نضلة بن صفوان بن محرث . وقال الجاحظ : إنه كان خال مروان ، وكان واليا على مكة والمدينة ، وكان شاهرا سيفه لايغمده .

خال مَرْوان بنِ عبد الملك ، وكان والىَ مكة ، فأخذ به عشيرته الأزديين ، فلم ينفعه ذلك ، واجتمعَ إليه شيوخُ الحى ، فعرَّفوه أنه خليع قد تبَّرءوا منه ومن جرائره إلى العرب ، وأنه لو أخذ به سائر الأزد ماوضع يده فى أيديهم . فلم يقبل ذلك منهم وألزمهم إحضاره ، وضمَّ إليهم شُرَطا (١) يطلبونه إذا طَرَق الحىَّ يَجيئونه به ، فلما اشتدَّ عليهم فى أمره طلبوه حتى وجدوه ، فأتَوْهُ به فقيده وأودعَه الحبس ، فقال فى محبِسِه هذه القصيدة . كذا قال المبرد ، وعمرو بن أبى عمرو الشيبانى عن أبيه (٢) . قال الشيبانى : ويقال إنها لعمرو بن أبى عمارة الأزدى ، من بنى خُنَيْس . ويقال إنها لجوَّاس بن حَيَّان ، من أزد عُمان . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثمانون بعد الثلثمائة (٣) :

٣٨٤ (وما نُبالى إذا ماكنتِ جارتَنا   أن لايُجاوِرَنا إلّاكِ دَيَّارُ)

على أنّ وقوع الضمير المتصل بعد إلاَّ شاذٌّ ، والقياس وقوعُه بعدها منفصلا نحو : أن لايجاورنا إلاّ إيَّاكِ ديار .

وإنما استحقَّ النصب لأنه استثناءٌ مقدَّم على المستثنى منه وهو ديَّار .

وإنما استحقَّ الفصل مع أنه معمول لإلاّ على الصحيح ،لأنَّه مانحو مالقيت

(١) ط : « شرط » ، صوابه فى الأغانى وفى ش مع أثر تصحيح . والشرط بضم ففتح : جمع شرطى .

(٢) ط : « عن أبى أبيه » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٣) الخصائص ١ : ٣٠٧ / ٢ : ١٩٥ وابن يعيش ٣ : ١٠١ ، ١٠٣ وشرح شواهد المغنى ٢٨٥ والعينى ١ : ٢٥٣ والتصريح ١ : ٩٨ ، ١٩٢ والأشمونى ١ : ١٠٩ .

إلا إياك [١] ، لأنّه معمول للفعل بالاتفاق فلا يصحُّ اتصاله بغير عامله ، ثمّ حمل عليه غير المفرّغ ليجريا على سَنَنٍ واحد .

وإنما سُهل وصله فى الضّرورة لثلاثة أمور :

أحدها : أنَّ الأصل فى الضمير الاتصال .

الثانى:أنَّ الأصل فى الحرف الناصب للضمير أن يتَّصل به،نحو إنك ولعلَّك.

الثالث : أُجرى إلَّا مجرى أختها فأجريت مجراها فى الوصف بها . ٤٠٦

وزعم ابنُ مالك (فى شرح التسهيل) أنّ مافى البيت ليس بضرورة ، لتمكن الشاعر من أن يقول :

* أن لايكون لنا خِلٌّ ولا جارُ *

وإذا فتح هذا الباب لم يبق فى الوجود ضَرورة ، وإنما الضرورة عبارة عما أتى فى الشّعر على خلاف ماعليه النثر . كذا قال ابن هشام فى شرح شواهده .

وهذا البيت أنشده الفراء (فى تفسيره) [٢] ولم يعزُه إلى أحد . قال شارح اللبّ : ورواية البصريين :

* أن لايجاورَنا حاشاكِ ديَّارُ *

قال صاحب الكشاف : ديَّار من الأسماء المستعملة فى النّفى العام ، يقال مافى الدِّيار دَيَّارٌ [٣] ، ودَيُّور ، كقَيَّامٍ وقيُّوم.وهو فيعال من الدَّور،أو من

---

(١) كذا وردت العبارة فى النسختين . وكتب مصحح طبعة بولاق : «هكذا بالأصل ، ولعل العبارة : لأن إيا فى نحو مالقيت إلا إياك معمول » .

(٢) لم يرد هذا الشاهد فى سورة نوح عند كلمة « ديار » فلعله ساقط من النسخة المطبوعة من معانى القرآن .

(٣) كذا فى النسختين ؛ وفى الكشاف : «ما بالدار » ، وهو الوجه .

الدار ، أصله دَيْوار ، ففُعِل به مافعل بأصل سيِّد ؛ ولو كان فَعَّالا لكان دَوّار .

وقال ابن الحاجب (فى أمالى المفصَّل) : معناه إذا حصلت مجاورتك فانتفاء مجاورة كلٍّ أحد مغتفرةٌ غير مُبالًى بها ؛ لأنَّ مجاورتك هى المقصودَةُ دون جميع المجاوَرات . وأن لايجاورنا فى موضع مفعول ، إمَّا على تقدير حذف حرف جر ، كقولك : ماباليت بزيد ، أو على التعدّى بنفسه كقولك : ماباليت زيداً . وديّار فاعل ليجاورنا . انتهى .

وقول العينى إلاّ هنا بمعنى غير ، فاسدٌ يظهَر بالتأمل .

وهذا البيت قلَّما خلا عنه كتابٌ نحوى .والله أعلم بقائله .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثمانون بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد س [(١)] :

٣٨٥ (كأنَّا يومَ قُرَّى إ نَّمَا نقْتُلُ إيَّانا)

على أن (إيَّانا) فصل من عامله لوقوعه بعد معنى إلا ، وهو شاذّ .

قال سيبويه فى بابٍ من أبواب المضمر : هذا بابُ مايجوز فى الشعر من ايّا ولا يجوزُ فى الكلام . فمن ذلك قولُ حُميدٍ الأرقط :

* إليكَ حتَّى بلغَتْ إيَّاكا *

وقال الآخر ، لبعض اللصوص :

كأنَّا يومَ قرَّى إ نَّما نقتُلُ إيانا . انتهى

---

(١) فى كتابه ١ : ٢٧١ ، ٣٨٣ . وانظر الخصائص ٢ : ١٩٤ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٣٩ والإنصاف ٦٩٩ وابن يعيش ٣ : ١٠١ ، ١٠٢ .

قال الأعلم : الشاهد فى وضع إيانا موضع الضمير المتصل فى نقتلنا ، وفى وضع إيَّاك موضع الكاف ضرورة .

وقال الزجاج : أراد بلغَتك إياك ، فحذف الكاف ضرورة . وهذا التقدير ليس بشيء ، لأنَّه حذف المؤكد وترك التوكيد مؤكِّداً لغير موجود ، فلم يخرج من الضَّرورة إلَّا إلى أقبح منها . والمعنى : سارت هذه الناقُة إليك حتى بلغتك . انتهى .

وقبله :

(أتتكَ عَنْسٌ تقطَعُ الأراكا)

والعَنْس ، بسكون النون : الناقة الشديدة ، أى تقطع الأراضىَ التى هى منابت للأراكِ . وكان حقُّ الكلام فى البيت الشاهد أنْ يقول : نقتل أنفُسَنا . لأنَّ الفعل لايتعدى فاعله إلى ضميره ، إلا أن يكون من أفعال القلوب ، لاتقول ضربتُنى ، ولا أضربُنى ولا ضربتَك ، بفتح التاء ، ولازيدٌ ضربه ، على إعادة الضمير إلى زيد ، ولكن : تقول ضربتُ نفسى ، وضربتَ نفسك ، وزيد ضربَ نفسه . وإنما تجنَّبوا تعدِّىَ الفعل إلى ضمير فاعِله كراهةَ أن يكون الفاعل مفعولاً فى اللفظ ، فاستعملوا فى موضع الضمير النفس ، نزَّلوها منزلةَ الأجنبىِّ ،واستجازوا ذلك فى أفعال العلم والظنّ الداخلة على جملة الابتداء فقالوا : حَسِبتُنى فى الدار ، ولم يأت هذا فى غير هذا الباب إلا فى فعلين قالوا : عدِمتُنى وفقدتنى . ولمَّا لم يمكن هذا الشاعرَ أن يقول : نقتل أنفسنا ولانقتلنا ، وضع إيَّانا موضع نا ، وحسَّن ذلك قليلاً أنَّ استعمال المتَّصل ههنا قبيح أيضاً ، وأنَّ الضمير المنفصل أشبه بالظاهر من المتصل ، فإيَّانا أشبه بأنفسنا من نا . ولكن أقبح منه قول حُميد :

٤٠٧

* إليكَ حتى بلغَتْ إيّاكا *

لأنَّ اتصال الكاف ببلغَتْ حسنٌ .

صاحب الشاهد — والبيت من أبياتٍ لذى الإصبع العَدْوانى ، وهى :

أبيات الشاهد

(لقينا منهُم جمعاً فأوفى الجمعُ ماكانا [1]
كأنّا يوم قُرَّى إ نَّما نقتُل إيّانا
قَتلنا منهُم كلَّ فتىً أبيضَ حُسَّانا
يُرَى يرفُل فى بُردَيْـ ـنِ من أبراد نَجْرانا)

كذا فى أمالى ابن الشجرى .

ولم يرو ابنُ الأعرابىِّ (فى أماليه) البيتَ الأوّل ، وأنشد بعد «نجران» :

(إذا يَسرحُ ضأناً مـ ـائةً أتبعَها ضانا)

وقوله : «فأوفى الجمع» إلخ هو فعل ماض من الوفاء ، ويجوز أن يريد فأوفى بما كان عليه ، فحذف وأوصل . ويجوز أن يريد فوفَّى الجمع الذى لقيناه ماكان عليه أن يفعله من الإقدام على قتالنا .

وقوله : (كأنَّا يومَ قُرَّى) إلخ بضم القاف وتشديد الراء المهملة بعدها ألفٌ مقصورة . قال أبو عبيد البكرى وياقوت (فى معجمَيْهما) : قُرَّى : موضعٌ فى بلاد بنى الحارث بن كعب . وزاد أبو عبيد : وقال أبو حنيفة الدِّينورى : قُرَّى : ماءة [قريبة [2]] من تَبالة ، وتَبالة بفتح المثناة الفوقية بعدها باء موحدة بعدها لام ، على وزن فَعَالة : بلدٌ،وهى التى يُضرب بها المثل فيقال:« أهْوَنُ من تَبالة على الحجاج ».أبو اليقظان:هى أوّلُ عملٍ وليه الحجّاج ،وهى بلدةٌ صغيرة من اليمن،فلما قرب منها قال للدليل : أين هى ؟ قال : تستُرها عنك هذه الأكمة . قال : أهوِنْ علىّ بعملٍ بلدةٍ تسترها عنى أكمة ! وكرَّ راجعا .

---

(١) ط : «مانا» ، صوابه فى ش وأمالى ابن الشجرى .

(٢) التكملة من معجم مااستعجم ١٦٢ .

قال ابن الشجرى : ومعنى قوله كأنَّا نقتل إيّانا ، تشبيه المقتولين بنفسه وقومه فى الحُسْن والسيادة ، فلذلك وصفَه بما بعده ، أى هم سادةٌ يلبسون أبرادَ اليمن ، فكأننا بقتلنا إيَّاهم قتلنا أنفسنا . انتهى

وقال ابن الأعرابى : أى لاينبغى أن نقتُل منهم لنفاستهم ، ولكن ألجئونا إلى ذلك .

وقال الأعلم : وصف قوماً أوقعوا ببنى عمِّهم ، فكأنهم بقتلهم قاتلون أنفسَهم .

وقوله : «كلّ فتىً أبيضَ حُسَّانا » هو بضم الحاء وتشديد السين : وصف بمعنى الكثير الحُسْن ، كالطُّوَّال بمعنى المفرط فى الطُّول ، والكُبَّار بمعنى المفرط فى الكبر . والبياض هنا : نقاء العِرض عن كلِّ مايعاب به .

وهذا البيت أورده سيبويه فى باب مالا يكون الاسم فيه إلاّ نكرة ، قال:حدَّثنى أبو الخطَّاب أنَّه سمع من يوثق بعربيته من العرب يُنشد هذا البيت:

قتلنـــــــا منهم كلَّ فتىً أبـــيضَ حُسَّانـــا

فجعله وصفاً لكلَّ . انتهى

فأبيضَ وحُسَّان منصوبان على أنَّهما نعتان . ويجوز عندى أن يكونا صفتين لفتى ، وفتحتهما نائبة عن الكسرة لأنَّهما ممنوعان من الصرف .

٤٠٨ وتَبع ابن الشجرى سيبويه فقال : نصب حُسّانا على الوصف لكلَّ ، ولو كان فى نثر لجاز حُسَّانِينَ وصفاً [1] لكلّ على معناها ، لأنَّ لفظها واحد ومعناها جمع . قال : يقال حسَنة وحسنٌ ، فإذا بالغوا فى الحُسْن قالوا حُسَان وحُسَانة مخفَّفان ، فإذا أرادوا النِّهاية فيه قالوا حُسَّان وحُسَّانة مشدّدان .

---

(١) ط : « وصف ».

وقوله: «يُرَى يَرفُل» إلخ الأول بالبناء للمفعول ، يقال رفَل [١] فلانٌ فى ثوبه ، وذلك إذا طال الثوبُ على لابسه وجَرَّه فى مَشْيه ، ويفعلون ذلك تكبُّرا. ونَجْران : بلدٌ باليمن يُنسَج فيها البرود الجيدة [٢] .

ذو الإصبع العدوانى

وذو الإصبع العَدْوانى : شاعرٌ معمَّر من شعراء الجاهلية . قال أبو حاتم (فى كتاب المعمرين) : عاش ذو الإصبع ، وهو حُرثان بن محرِّث ، من عَدْوان بن عمرو بن قيس عيلان ، ثلثَمائة سنة ، وقال :

أصبحتُ شيخاً أُرى الشَّخصين أربعةً
والشَّخْصَ شخصين لما مَسَّنى الكِبَرُ
لاأسمعُ الصَّوتَ حتى أستديرَ له
ليلاً وإنْ هو ناغانى به القمرُ

وإنما قال ليلاً ، لأنَّ الأصوات هادئة ، فإذا لم يسمع بالليل والأصوات ساكنة كان من أن يَسمع بالنهار مع ضجّة الناس ولَغَطهم أبعد [٣] . وإنما قيل له ذو الإصبع ، لأنه كانت له فى رجْله إصبعٌ زائدة .

وقال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : ذو الإصبع حُرثان بن عَمْرو ، من عَدْوان بن عمرو بن قيس عيلان ، وكان جاهليًّا . وسمى ذا الإصبع لأنَّ حيَّةً نهشت إصبعه فقطعها . انتهى .

وقال ابن الأَنبارى (فى شرح المفضليات) :نسَبَه أحمد بن عُبيد وغيره فقالوا:هو حرثان بن الحارث.والأصمعىُّ يقول : ابن السموءل بن محرَّث بن

---

(١) ط : « يرفل » ، وأثبت ماورد فى ش مع أثر تصحيح .
(٢) ش : « تنسج » بالتاء .
(٣) مابعده من الكلام لم يرد فى كتاب المعمرين . وهو نهاية كتاب المعمرين .

شبابة [١] بن ربيعة بن هُبيرة بن ثَعلبة بن الظَّرِب بن عمرو بن عِياذ بن يشكُر ابن عَدْوان ، وهو الحارث [٢] ، بن عمرو بن سعْد بن قيس بن عيلان بن مُضَر بن نزار . وانما سمى ذا الإصبع لأن أفعى نهشت إبهامَ رجله فقطَعَها . ويقال إنه كانت له إصبعٌ زائدة . انتهى

وقال علم الهدى السيد المرتضى (فى أماليه غرر الفوائد ودرر القلائد): ومن المعمَّرين ذو الإصبع العدوانى ، واسمه حُرْثان بن محرِّث بن الحارث بن ربيعة بن وهب بن ثعلبة بن ظَرِب بن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عَدْوان ، وهو الحارث ، بن عمرو بن قيس بن عيلان [٣] بن مضر . وإنما سمى الحارث عدوان لأنه عدا على أخيه فَهْمٍ فقتله . وقيل بل فقأ عينه . وقيل : إنَّ اسم ذى الإصبع محرِّث بن حُرثان ، وقيل حرثان بن حويرث ، وقيل حرثان بن حارثة . ويكنى أبا عَدْوان . وسبب لقبه بذى الإصبع أن حيَّة نهشته على إصبعه فشَلَّت فسمِّىَ بذلك . ويقال إنه عاش مائة وسبعين سنة . وقال أبو حاتم : إنه عاشَ ثلثمائة سنة . وهو أحدُ حكام العرب فى الجاهلية .

ثم أورد السيِّد جملاً من أحواله الى أن أورد هذه الحكاية . وأوردها الزجاجى أيضا (فى أماليه الصغرى) [٤] بسندهما الى سعيد بن خالد الجَدَلى ، أنه قال : لما قدم عبد الملك بن مروان الكوفة بعد قتل مُصعب بن الزبير دعا الناس إلى فرائضهم ، فأتيناه فقال : ممَّن القوم ؟ فقلنا : من جديلة . فقال : جديلةُ عدْوان ؟ قلنا : نعم . فتمثَّل عبدُ الملك :

(١) فى شرح المفضليات ٣١٢ : « بن شباب » .

(٢) فى شرح المفضليات : « بن عدوان بن الحارث » .

(٣) فى أمالى المرتضى ١ : ٢٤٤ : « بن قيس عيلان » ، وكل صواب .

(٤) انظر ملحقات أمالى الزجاجى بتحقيق كاتبه ص ٢٢١ — ٢٢٢ .

عَذِيرَ الحىِّ من عَدْوا نَ كانوا حيَّةَ الأرضِ
بغى بعضُهم بعضاً فلم يُرْعوا على بَعْضِ
ومنهم كانت السادا تُ والمُوفون بالقرض (١)

٤٠٩

ثم أقبل على رجلٍ كنّا قدَّمناه أمامنا ، جسيمٍ وسيم ، فقال : أيُّكم يقول هذا الشعر ؟ فقال : لاأدرى . فقلت مِنْ خلفه : يقوله ذو الإصبع . فتركنى وأقبل على ذلك الجسيم فقال : وماكان اسمُ ذى الإصبع ؟ فقال : لاأدرى . فقلت أنا من خلفه : اسمه حُرْثان . فأقبل عليه وتركنى . فقال : لم سمى ذا الإصبع ؟ فقال : لاأدرى . فقلت أنا من خلفه : نهشته حيّةٌ على إصبعه (٢) . فأقبل عليه وتركنى . فقال : من أيِّكم كان ؟ فقال : لاأدرى . فقلت أنا من خلفه : من بنى ناج . فأقبل على الجسيم فقال : كم عطاؤك ؟ فقال : سبعُمائة درهم. ثم أقبل علىَّ فقال : كم عطاؤك ؟ قلت : أربعمائة درهم . فقال لكاتبه (٣) حُطَّ من عطاء هذا ثلثمائة وزدْها فى عطاءِ هذا . فرُحْتُ وعطائى سبعمائة وعطاؤه أربعمائة . ا هـ

وأورد له من شعره قوله :

أكاشِرُ ذا الضِّغْنِ المبيِّنِ منهمُ وأضحك حتَّى يبدوَ النّابُ أجمعُ (٤)
وأُهدِنه بالقَول هَدْنا ولو يرى سريرةَ ماأُخفى لباتَ يفـزَّعُ

---

(١) بعده فى أمالى المرتضى ١ : ٢٥٠ :
ومنهم حكـــم يقضى فلا يُنْـقَض مايــقضى
ومنهم من يجيـز النـــا س فى السنة والفـرض

(٢) فى الأمالى : « فى اصبعه » .

(٣) فى أمالى المرتضى : « فقال : ياأبا الزعيزعة » ، وهو اسم كاتبه على ديوان الرسائل ، كما فى تاريخ الطبرى ٦ : ١٨٠ . وفيه ص ١٤٥ وقد قيل إن عبد الملك بن مروان لما خرج إلى الصلاة أمر غلامه أبا الزعيزعة بقتل عمرو . وفى الأمالى : «ياابن الزعيزعة ، تحريف .

(٤) ط : «أكاشر كالضغن» ، صوابه فى ش وأمالى المرتضى والزجاجى .

ومعنى أهدِنه : أسكِّنه . ومنه قوله :

إذا ما الدَّهرُ جرّ على أناسٍ شَراشِرَهُ أناخ بآخرينا
فقلْ للشَّامتين بنا:أفيقوا سيَلقى الشامتون كما لقينا

ومعنى الشَّراشرِ، هنا:الثقل. يقال:ألقى عليَّ شراشرهُ وجراميزه، أى ثِقله.

ومن قوله أيضا (١) :

ذهبَ الذين إذا رأونى مُقْبلاً هشُّوا إلىَّ ورحَّبُوا بالمقبلِ
وهمُ الذين إذا حملت حَمالةً ولقيتهمْ فكأنَّنى لم أحملِ

والحَمالَة بالفتح : تحمُّل ديةِ القتيل عن القاتل .

وحُرْثان بضم الحاء المهملة وسكون الراء بعدها ثاء مثلثة . ومحرِّث بكسر الراء المشددة على زنة اسم الفاعل (٢) . وعَدْوان بفتح العين وسكون الدال المهملتين . والسَّموءل بفتح السين والميم وسكون الواو بعدها همزة مفتوحة ولام . وشَبَابة بفتح الشين المعجمة بعدها موحَّدتان خفيفتان . وعِياذ بكسر العين المهملة بعدها مثناة تحتية وآخره ذال معجمة . والظَّرِب بفتح الظاء المعجمة المشالة وكسر الراء . وفَهْم بفتح الفاء وسكون الهاء وثالثه ميم ، وهو أخو عَدْوان .

* * *

وأنشد بعده :

(تَراكِها من إبلٍ تَراكِها)

وتقدم شرحُه مستوفى فى الشاهد الحادى والستين بعد الثلثمائة(٣).

---

(١) ط : « ومنه قوله أيضا » ، وأثبت مافى ش ومالى المرتضى .
(٢) الذى فى اللسان والقاموس أنه كمحمَّد ، بزنة اسم المفعول .
(٣) انظر هذا الجزء ص ١٦٠ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثمانون بعد الثلثمائة [1]:

٣٨٦ (ضَمِنَتْ إيَّاهُم الأرضُ)

هذا قطعة من بيت ، وهو :

(بالباعث الوارثِ الأمواتَ قد ضَمِنت
إيّاهم الأرضُ فى دَهْر الدَّهاريرِ)

على أنَّ فصل الضمير ضرورة ، والقياس ضَمِنتْهم الأرض .

كذا أنشده ابن الشجرى (فى أماليه) وقال : ومثله فى القُبْح [2] ضمير الرفع . قال طرَفة :

٤١٠ أصرَمْتَ حبلَ الوصل بل صَرَموا ياصاحِ ، بل قطَعَ الوِصالَ هُمُ

وأنشدهُ شرّاح الألفية ، وابن هشام (فى شواهده) أيضاً ، بتقديم الباعث على الوارث . والأنسب الرواية الأولى .

والباء فى قوله (بالوارث) متعلّقة بحلفت فى بيتٍ متقدِّم ، وهو :

(إنِّى حَلفتُ ولم أحِلفْ على فَنَدٍ فناءَ بيتٍ من السَّاعين معمورِ)

وقوله : « ولم أحلف على فند » الجملة حال من التاء فى حلفت . والفَنَد ، بفتح الفاء والنون : الكذِب .وفناءُ البيت : ساحته ؛ وهو بكسر الفاء بعدها نون ، وهو ظرف لقوله حلفت . وأراد بالبيت بيتَ الله الحرام ، زادَه الله شرفاً . ومن متعلقه بمعمورٍ . والسَّاعين : الذين يسعَوْن إليه من جميع البلاد . ومعمور صفة لبيت .

---

(١) الخصائص ١ : ٣٠٧ / ٢ : ١٩٥ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٤٠ والإنصاف ٦٩٨ والعينى ١ : ٢٧٤ والتصريح ١ : ١٠٥ والأشمونى ١ : ١١٦ وديوان الفرزدق ٢٦٦ .

(٢) ط : «فى الفتح» ، صوابه فى ش . وفى أمالى ابن الشجرى : « .. قبيح ، ومثله فى ضمير الرفع » .

و (الوارث) و(الباعث) : اسمان من أسماء الله الحسنى ، أقسَمَ بهما . والوارث : الذى يرجع إليه الأملاك بعد فناء المُلَّاك [١] . والباعث هو الذى يبعَثُ الخلق ، أى يُحييهم بعد الموت يومَ القيامة . و(ضَمِنَتْ) بكسر الميم بمعنى تضمَّنت عليهم ، أى اشتملت عليهم ، أو بمعنى كفلت ، كأنَّها تكفَّلت بأبدانِهم . و(الأرض) فاعل ضمنت . و (الدهر) : الزمان . ودهر الدَّهارير : الزمان السالف ، وقيل أوّل الأزمنة السالفة . وإذا قيل دهرٌ دَهاريرُ [٢] بالصفة فمعناه شديد ، كما يقال ليلةٌ ليلاء .

قال ابن هشام : و (الأموات) إمَّا منصوب بالوارث على أنَّ الوصفين تنازعاه وأعمل الثانى والأوّل لاضمير فيه [٣] ،وإما مخفوض بإضافة الأول أو الثانى ، على حد قوله [٤] :

* بين ذراعَىْ وجبهةِ الأسدِ *

وأما قوله : قد ضمنت إياهم الأرض ، فهو إما حالٌ من الأموات [٥] أو وصفٌ ، لأنَّ أل فيها للجنس .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ للفرزدق يمدح بها يزيد بن عبد الملك ، ويهجو يزيد ابن المهلَّب .

وقبله :

أبيات الشاهد

(ياخير حىٍّ وقَتْ نعلٌ له قَدَماً وميِّتٍ بعدَ رُسْلِ الله مقبورِ

---

(١) ش : «الملك» .

(٢) ط : « دهر الدهارير » ، صوابه فى ش .

(٣) ط : « وإلا لأضمر فيه » ، صوابه من ش مع أثر تصحيح بخط الناسخ لا الشنقيطى .

(٤) ط : « على حد قولهم » ، وأثبت مافى ش .

(٥) ط : « إما حال من الأرض » ، صوابه فى ش .

إنِّى حلفتُ ولم أحلف على فنَدٍ فناءَ بيتٍ من السَّاعين معمورِ[١]
فى أكبرِ الحجِّ حافٍ غيْرَ منتعلٍ من حالفٍ مُحرِمٍ بالحجِّ مصبورِ[٢]
بالباعث الوارث الأمواتَ قد ضمِنَتْ إياهمُ الأرضُ فى دهر الدَّهاريرِ
إذا يثورون أفواجاً كأنَّهمُ جرادُ ريحٍ من الأجداث منشورِ
لو لم يبشِّرْ به عيسى وبيَّنَه كنتَ النبىَّ الذى يدعو إلى النورِ
فأنت إن لم تكن إيّاه صاحبهُ مع الشَّهيدينِ والصِّدّيقِ فى السُّورِ[٣]

والفَنَد ، بفتح الفاء والنون : الكذب . والمصبور : الذى صَبَر نفسه على أفعال الحجِّ ، أى حبسها.

وقوله : إذَا يثورون ، متعلِّق بالباعث ، يريد : كأنهم جرادٌ نشرته الريح وفرَّقته . ومنشور كان حقُّه الرفع ، لأنَّه نعتٌ لجراد ، ولكنَّه خفضَه على المجاورة .

وقوله : لو لم يبشِّرْ به إلخ ، هذا جوابُ القسم ، وفيه مبالغةٌ فاحشة .

وترجمة الفرزدق تقدَّمت فى الشاهد الثلاثين [٤] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثمانون بعد الثلثمائة [٥] :

---

(١) فى شرح الديوان ٢٦٤ : « ونصب فناء لما ترك الصفة ، يريد فى فناء بيت » ، يعنى نصب على نزع الخافض . والكوفيون قد يسمون حروف الجر حروف الصفات لأنها تقع صفات لما قبلها من النكرات . انظر ابن يعيش ٨ : ٧ .

(٢) المصبور هنا : الذى صبر نفسه على الحج ، أى حبسها عليه .

(٣) فى الديوان : « اذ لم تكن » . والسور : جمع سورة ، وهى أعلى المنازل .

(٤) فى الخزانة ١ : ٢١٧ .

(٥) ديوان الأعشى ١١٩ . وأمالى ابن الشجرى ١ : ٣١٧ والإنصاف ٥٨ .

٣٨٧ (وإنَّ أمرأً أسرى إليكَ ودونه
من الأرض موماةٌ وبيداءُ سمْلَقُ
لَمحقوقةٌ أن تستجيبى لصوتِه
وأنْ تعلمى أنَّ المُعانَ موفّقُ)

عَلَى أنّ الكوفيين أجازوا ترك التأكيد بالمنفصل فى الصفة الجارية عَلَى غير من هى له ، إن أُمِنَ اللَّبس ، فإنَّ قوله (لمحقوقة) خبر عن اسم إنّ وهو فى المعنى للمرأة المخاطبة ، ولم يقل لمحقوقةٌ أنت .

٤١١

وأقول : الظاهر من كلام ابن الشجرى (فى أماليه) ومن كلام ابن الأنبارى (فى مسائل الخلاف) ومن كلام غيرهما ، أنَّ مذهب الكوفيِّين جوازُ ترك التأكيد مطلقاً ، سواء أُمِن اللبس أم لا .

قال ابن الأنبارى:احتجَّ الكوفيون لمذهبهم بالشِّعر المتقدِّم ،وبقوله:
تَرى أرباقَهـــمْ متقلِّديهَـــا كما صَدِئَ الحديدُ عَلَى الكماةِ[1]

ولو كان إبراز الضمير واجباً لقال متقلِّديها هم ، فلما لم يبرز الضمير دلَّ عَلَى جوازه . وأجاب البصريُّون عن هذا بأنّه على حذف مضاف ، أى ترى أصحاب أرباقهم متقلِّديها . وعن الأوَّل بجوابين : أحدهما مانقله ابن الشجرى عن أبى عَليّ ، وهو أنَّه ليس فى قوله محقوقة ضمير ، لأنّه مسنَد إلى المصدر الذى هو أن تستجيبى ،فالتقدير لمحقوقةٌ استجابتك ، فجعل التأنيث فى قوله لمحقوقة للاستجابة للمرأة ، حتى إنّه لو قال لمحقوق بالتذكير لجاز ، لأنَّ تأنيث الاستجابة غير حقيقى . وحاصله أنَّ المصدر المؤوَّل نائبُ الفاعل لقوله محقوقة . وإلى هذا ذهب ابن هشام (فى شرح شواهده) .

(١) فى معانى الفراء ٢ : ٢٧٧ : « اذا صدئ الحديد » .

والجواب الثانى ماذكره ابن الأنبارىّ ، بأنَّ قوله أن تستَجيبى مبتدأٌ مؤخر ومحقوقة خبر مقدم ، والجملة خبر اسم إنَّ ، والرابط الضمير فى لصوته .

ويحتمل هذين الجوابين مانقله العسكرى [١](فى كتاب التصحيف) قال : أخبرنى أَبى قال : أَخبرنا عسَل بن ذَكْوان قال : قال أَبو عثمان المازنى : سألنى الأصمعىُّ لم أَنَّث محقوقة [٢] ؟قلت : لأنَّه موضع مصدر مؤنَّث ، لأَنَّ معناه استجابتك لصوته ؛ وأَن تستجيبى هى استجابتك . فلم يردَّ علىَّ شيئاً . ا هـ

وأجاب صاحب اللباب بأَنَّ هذا لضرورة الشعر ، ولم يرتض الجوابين المذكورين . قال فيما أَملاه على اللباب : قوله لمحقوقة إنَّما جرى على غير من هوَ له ، لأنَّ التقدير وإنّ امرأً محقوقة بالاستجابة . لايقال جاز أن يكون تستجيبى فاعل محقوقة ، أَو مبتدأ خبره محقوقة مقدَّما ، لأَنه يقال زيد حقيق بالاستجابة ، فيسند إلى الذات ، ولايقال الاستجابة حقيقة بزيد . ولذلك يتأوّل قوله تعالى : ﴿ حقيقٌ عَلَى أَن لا أَقول [٣] ﴾ ، كما هو مذكور (فى الكشَّاف)۔اهـ

وأَجاز شارحه الفَالى [٤] مامنعه ، وأجاب عما أَورده فقال :ويمكن أَن

---

(١) ط : « السكرى » ، صوابه فى ش

(٢) فى التصحيف ٣٦ : «سألنى الأصمعى عنها لم أنث المحقوقة » .

(٣) الأعراف ١٠٥ .

(٤) فى النسختين : «القالى» بالقاف ، صوابه بالفاء ، كما سبق التنبيه فى مواضع كثيرة . وفى بغية الوعاة : « محمد بن سعيد بن محمد بن أبى الفتح السيرافى المعروف بالفالى بالفاء ، صاحب شرح اللباب لم أقف له على ترجمة » . لكن ذكر الميمنى فى الإقليد أن أسمه إسماعيل الفالى ، وأنه يوجد من كتابه كثير من النسخ بالهند .

يُقال إنَّ قوله أَن تستجيبى مبتدأ مؤخر [١] ومحقوقة خبر مقدم ، والجملة خبر إنّ،فقد جرت على من هى له . ومحقوقة بمعنى جديرة . يقال أَنت حقيقٌ أَن تفعل كذا،وزيد حقيق به ومحقوق به ، أَى خليق له . وكان حقه أَن يسند إلى الذات فيقال زيد حقيق بالاستجابة ، لا أَنّ الاستجابة حقيقة بزيد . ونظير ذلك مااستشكل من قوله تعالى : ﴿حَقيقٌ عَلَى أَنْ لا أَقولَ على اللهِ إلاَّ الحقَّ﴾ فيمن قرأَ بغير تشديد الياء من علىَّ . وتأول بتأويلات أَحدها : أَنَّه على القلب . والثانى : أَنَّ مالزمَك فقد لزِمْتَه . والثالث : أَنَّ المراد حقيق على ترك القول إذْ أَكون أَنا قائله ، ولايرضى إلاَّ بمثلى ناطقاً به [٢] .اهـ

والبيت الأَول من هذين البيتين قد أَنشده الشارح فى الشاهد الرابع بعد المائتين ، من باب الحال ، وتقدَّم الكلامُ عليه مع أَبياتٍ من أَوَّل القصيدة هناك [٣] .

صاحب الشاهد

والقصيدة للأعشى ميمون .

وقبله :

أبيات الشاهد ٤١٢

(وخَرقٍ مَخُوفٍ قد قطعتُ بجَسْرةٍ ... إذا خبَّ آلٌ وسْطَــه يترقــرقُ
هيِ الصَّاحبُ الأدنى وبينى وبينها ... مَجُوفٌ عِلافىٌّ وقِطعٌ ونُمْرُقُ
وتصبح من غِبِّ السُّرى وكأَنَّما ... أَلمَّ بها من طائفِ الجنِّ أولقُ
وإنَّ امرأً أسرى إليك ودونه ... . البيتين [٤]
وكم دُونه من حَزن قُفٍّ ورَمْلةٍ ... وسَهب به مُستوضِحُ الآلِ يبرقُ

(١) كلمة « مؤخر » ساقطة من ش .
(٢) ش : « الا بمثل ناطقاً به » .
(٣) الخزانة ٢ : ٢٥٢ .
(٤) فى الديوان ١٤٩ : «وكم دون ليلى من عدو وبلدة » .

وأصفرَ كالحِنّاء ذاوٍ جِمامُـهُ متى مايذقْه فارطُ القوم يَبصُقُ [(١)]
به تُنْفَض الأحلاسَ فى كلِّ منزل وتُعقَد أطراف الحبال وتُطلَقُ [(٢)]
وإنَّ عتاق العيس سَوف يزوركم ثناءٌ على أعجازِهنَّ معلَّقُ [(٣)]
ولا بدّ من جار يُجير سبيلَهـــا كما سَلك السّكِّىّ فى الباب فَيتقُ [(٤)]

قوله : «وخرق» بفتح الخاء المعجمة : القفرُ ، والأرض تنحرِق فيها الرياح ، وهو مجرورٌ بربَّ المقدرة بعد الواو . والجَسْرة ، بفتح الجيم وسكون السين المهملة : النَّاقة القوّية على السير . وخبَّ بمعنى خدع . والآل : السرّاب فى أوّل النهار ووسطِه ، ويترقرق أى ينصبُّ خبرُه ، والجملة صفة آل ، والعائد الضمير . يقال رَقرق الماءَ وغَيره ، إذا صبّه رقيقا . والسراب هكذا يُرى للنَّاظر إليه .

وقوله : «هى الصاحب» إلخ الأدنى : الأقرب . والمجوف بالجيم : الرّحْل . والعِلافِىُّ منسوب إلى علاف ، بكسر المهملة ، وهو رجلٌ من قُضاعة كان يعمل الرِّحال . والقِطْع ، بكسر القاف : طِنفسة ، أى بساطٌ ، يجعله الراكب تحتَه ، ويغطِّى كَتِفَى البعير. والنُّمرق:الوسادة ، وهى هنا وسادةٌ فوق الرّحْل.

وقوله : «وتصبح من غِبّ» إلخ الغِبُّ بالكسر : عاقبة الشىء . وألمَّ بمعنى نزل ، وفاعله أوْلَق ، وهو الجنون . يريد أنَّها شديدةٌ جداً لايحصُل لها إعياء كالمجنون .

وقوله : «وإنَّ امرأً أسْرَى» إلخ ، هذا انتقالٌ من وصف ناقته إلى خطاب امرأة. وأراد بالمرءِ نفسه . وأسرى : لغةٌ فى سرى . ودُونه بمعنى أمامه وقُدّامه .

---

(١) فى الديوان : «طام جمامه اذا ذاقه مستعذب الماء » .
(٢) فى الديوان : « وتعقد أنساع المطى » .
(٣) ط : «تزوركم» ، صوابه فى الديوان وش مع أثر تصحيح.
(٤) فى الديوان : «يجيز سبيلها كما جوز السكى » .

والمَوماة ، بفتح الميم : الأرض التى لا ماء فيها . والبيداء : القفر . والسَّملق : الأَرض المستوية .

وهذا البيت رُوى (فى ديوانه وغيره من كتب الأَدب) كذا :

وإنَّ امرأً أهداكِ بينى وبينه فيافٍ تَنُوفاتٌ ويَهماءُ سَمْلَقُ

فالمراد من المرء ممدوحه ، والخطاب لناقته المذكورة .وكان ممدوحه أهداها له ، فالكلام على هذه الرواية من أوله إلى هنا خطابٌ لناقته . ومنه يظهر أنَّ المناسب فى الرواية الأُولى أيضا كونُ المراد بالمرء ممدوحَه والخطابُ لناقته ، وأنَّ أسرى بمعنى حُمِل على السُّرى ، وإلى بمعنى على ، ليكون الكلام على وتيرةٍ واحدة . وفيافٍ : جمع فَيفاءَ (١) ، وهى الفلاة . و(تنوفات) : جمع تنوفة ، وهى القفر . واليَهماءُ بفتح المثناة التحتية : الأرض التى لايُهتَدى فيها . وروى « خيفق » بدل « سملق » بفتح الخاء المعجمة وسكون المثناة التحتيَّة وفتح الفاء ، وهى الفلاة الواسعة .

وقوله : « أنَّ المُعان مُوفَّق » كلاهما اسم مفعول من الإعانة والتوفيق . قال السيد المرتضى (فى أماليه) : فيه قلبٌ (٢) ، يريد أن الموفق معان . وقال المرزبانى (فى الموشح) : ينبغى للشاعر أن يتفقد مصراع كلِّ بيت حتى يشاكل ماقبله ، فقد جاء من أشعار القدماء مايختلف مصاريعه ، كقول الأعشى :

* وأن تعلمى أنَّ المعان موفَّقُ (٢) *

---

(١) يقال فيفاء وفيفاة ، كلاهما بمعنى الصحراء الملساء .

(٢) فى ط : « قلت » موضع « فيه قلب » ، صوابه فى ش . والذى فى أمالى المرتضى ١ : ٤٦٦ «يريد أن الموفق معان» فقط .

(٣) ط : «وأن تعلموا» ، صوابه فى ش والموشح ٥٤ .

غير مشاكلٍ لما قبله . وكذلك قال صاحب (تهذيب الطبع) .

٤١٣ وقوله : «وكم دونه » إلخ ، الضمير للمرء . والحزن ، بالفتح : الأرض الوعرة . والقُفُّ بضم القاف : ماارتفع من الأرض . والسَّهب بالفتح : الفلاة والأرضُ المتّسعة .

وقوله : «وأصفَرَ كالحِنَّاء» يعنى ماءً أصفر كالحِنّاء . وذاوٍ : متغيِّر . والجمام بكسر الجيم : جمع جَمّ بفتحها ، وهو الماء الكثير . وفارط القوم ، بالفاء ، هو الذى يتقدَّمهم إلى الورْدِ لإصلاح الحوض والدِّلاءِ . يقال فرط القومَ يفرُطهم فَرْطاً ، إذا تقدَّمهم لما ذكرنا . وإنما يبصقُ عند ذوقه لمرارة الماء وتغيُّرِه .

وقوله : « به تُنفض » إلخ ، الحِلْس بكسر المهملة : كساءٌ على ظهر البعير تحت البَرْدعة [١] ويبسَط فى البيت تحت حُرِّ الثياب . وإنّما تُنفَض للرَّحيل .

وقوله : «وإنَّ عِتاقَ العِيس» الخ ، هذا المعنى أوَّلُ مَن اخترعه الأعشى ، وأخذَه مَن جاء بعده . قال القطامى :

لأعلِّقنَّ على المطىِّ قصائداً أذَر الرُّواةَ بها طويلِى المنطقِ [٢]

وقال نُصَيب :

فعاجوا فأثنَوْا بالذى أنتَ أهلُه
ولو سكَتوا أثنتْ عليك الحقائبُ

---

(١) ط : «البرذعة» بالذال المعجمة ، وكلاهما صحيح . وفى اللسان : « البردعة : الحلس الذى يلقى تحت الرحل . قال شمر : هى بالذال والدال » . وكلاهما بفتح الباء .

(٢) ط : « أزر » ، صوابه فى ش وديوان القطامى ٣٥ . وفى النسختين : « طويل المنطق » ، صوابه من الديوان .

ومن هنا أخذ أبو العتاهية قوله :

فإذا وردن بنا وردنَ خفائفاً   وإذا صدرن بنا صدَرْنَ ثِقالا

وقوله : «ولا بدَّ من جارٍ» إلخ ، الجار له معان ، والمراد هنا المجير ، ويقال أيضاً للمستجير [(١)] وللحليف ، وللناصر ، وللمجاور الذى أجَرْتَه من أن يُظلَم . والسَّكّىُّ ، بفتح السين المهملة وتشديد الكاف والياء ، وهو المسمار ، ويقال له السَّكُّ أيضاً بدون الياء . والفيْتَق ، بفتح الفاء وسكون المثناة التحتية وفتح المثناة الفوقية : النَّجّار ، والحدَّاد .

وترجمة الأعشى تقدمت فى الشاهد الثالث والعشرين من أوائل الكتاب [(٢)] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثمانون بعد الثلثمائة[(٣)]:

٣٨٨ (فلا تَطمعْ أبيتَ اللّعنَ فيها   ومَنْعُكَها بشىءٍ يُستطاعُ)

على أنَّ مابعد الضمير المجرور إذا كان أنقَصَ تَعريفاً جاز فيه الانفصالُ والاتصالُ ، فإنَّه كما جاز (مَنعكها) يجوز منعك إياها . وكاف المخاطب محلُّها الجر بإضافة المصدر إليها وهو المنع ، وضمير الغائب أنقصُ تعريفا من ضمير المخاطب .

قال ابن هشام (فى شواهده) : هذا ممَّا اتُّفق على أنَّ فصلَهُ أرجح .

وأورده ابن الناظم والمرادىّ (فى شرح الألفية) على أنَّ هذا، أعنى وصل ثانى ضميرين عاملُهما اسمٌ واحد،ضعيف،والقياس:ومَنعُكَ إيَّاها.كذا نقل

---

(١) ط : « المتسجير » ، صوابه فى ش .

(٢) الخزانة ١ : ١٧٥ .

(٣) شرح شواهد المغنى ١١٦ والعينى ١ : ٣٠٢ والأشمونى ١ : ١١٨ ، ١٢٠ وشرح المرزوقى للحماسة ٢١١ .

العينىُّ عنهما هذا . والمنقول فى اللغة أنَّ منَع مما يتعدى إلى المفعول الثانى تارةً بنفسه وتارة بحرف الجر ، يقال منعتك كذا ، أو منعتك عن كذا أو من كذا . ففى تصوير الفصل ينبغى أن يقَّيد المفعول الثانى بحرف الجر . وفاعل المصدر هنا محذوف ، أى مَنعيك [١] عنها . والهاء ضمير راجع لسَكابِ ، وهو اسم فرس . والباء فى قوله : (بشىء) زائدة فى خبر المبتدأ الذى هو منعكها . وبه استشهد ابنُ هشام (فى المغنى) . قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : قد جاء زيادة الباءِ فى الخبر ، ألا ترى إلى قول أبى الحسن فى قول الله تعالى : ﴿ جزاءٌ سِّيئة بمثلها [٢] ﴾ : إن تقديره جزاء سيئةٌ مثلها ، اعتباراً لقوله عَزَّ اسمه [٣] : ﴿ وجزاءُ سيئة سيئةٌ مثلها [٤] ﴾ ، فكأنَّه قال : ومنعكها شىءٌ يستطاع ، أى أمرٌ مُطاقٌ غير باهظٍ ولا معجز ، أى فالهُ عنها ولا تعلِّق فكرَك بها . ويجوز وجه آخر وهو أن يريد:ومنعكها بمعنىً من المعانى ممَّا يستطاع ،وذلك المعنى إمَّا غلبةٌ ومُعازَّة،وإمّا بفداء نَفْديها به منك ، أو غير ذلك ، فيكون المعنى قريباً من الأوَّل ، إلا أنّه [٥] ألينُ جانبا منه.فالباء على هذا متعلقة بنفس المنع .ويجوز أيضاً أن تعلَّق بِيستطاع،أى يستطاع بمعنى من المعانى ويُقْدَر عليه به .اهـ.

٤١٤

صاحب الشاهد

وهذا البيت آخر أبيات أربعة أوردها أبو تمام فى الحماسة ، ونسبَها إلى رجل من بنى تميم [٦] وقد طلبَ منه ملكٌ من الملوك فرسا يقال لها سَكابِ ، فمنَعه إيَّاها وقال :

---

(١) ط : «منعتك» ، صوابه فى ش .

(٢) يونس ٢٧ .

(٣) وكذا فى اعراب الحماسة ٣٨ « لقوله عن اسمه » .

(٤) الآية ٤٠ من الشورى .

(٥) ط : «لا أنه» ، صوابه فى ش واعراب الحماسة .

(٦) هو عبيدة بن ربيعة بن قحفان ، كما فى خيل ابن الأعرابى ٦٢ .ونسبت الأبيات فى الحماسة البصرية إلى القحيف العجلى .

أبيات الشاهد

(أبيتَ اللَّعنَ إنّ سَكابِ عِلقٌ نفيسٌ لا يُعارُ ولا يُباعُ [(١)]

مفـــدَّاةٌ مُكرَّمــة علينـــا يُجاع لها العِيال ولا تجاعُ

سَليلةُ سابقَيْـنِ تَناجلاهـا إذا نُسبا يضمُّهما الكُـراعُ

فلا تطمع أبيتَ اللعنَ فيها ... البيت

وكفِّى تستقلُّ بحملِ سَيْفِي وبى ممَّن تَهضَّمنى امتناعُ

وحَولى من بنى قُحفانَ شِيبٌ وشَبّـانٌ إلى الهيجـــا سِراعُ

إذا فزعوا فأمرُهُم جميـعٌ وإن لاقَوْا فأيديهم شَعـاعُ)

وقوله : «أبَيْتَ اللعنَ» الخ ، أى أبيت الأمر الذى تُلعن عليه إذا فعلتَه . قال المرزوقى (فى شرح الحماسة) :أبيت اللعنَ :تحيةٌ كان يستعطف به الملوك [(٢)]. وأصل اللَّعن ؛ الطرد . قال الشاعر :

ولَكُلُّ ما نال الفتى قد نِلتُه إلاّ التحيَّه [(٣)]

يعنى إلا أن يقال لى : أبيتَ اللعن ؛لأنَّه تحية الملوك ، وكأنه قال : نلتُ كلَّ شيء إلا الملك . وسَكابِ : فرسٌ ، إذا أعربته منعته الصرف لأنه علم ، فلحصول التعريف فيه والتأنيث مع كثرة الحروف يمنع الصرف ، والشاعر تميمى وهذه لغةُ قومه . وإذا بنيته على الكسر أجريته مجرى حذامِ لأنَّه مؤنَّث معدول معرفة . فلمشابهته هذه الأوصاف:دَراكِ ونزالِ بنِيَ ،وهذه اللغة

---

(١) فى الحماسة : « لاتعار والاتباع » .

(٢) وكذا فى شرح الحماسة للمرزوقى ، والمراد : هذا التعبير . وفى ش مع أثر تغيير: « يستعطف بها الملوك » .

(٣) لزهير بن جَنَاب ، فى المعمرين ٢٦ .

حجازية . واشتقاق سَكاب من سكبتُ ، إذا صببتَ [١] . ويقال فى صفة الفرس بَحرٌ وسَكْب .

وقوله : «علق نفيس» أى مالٌ يُبخل به ، وهذا كما يقال هو عِلق مَضِنَّة بالكسر . يقول : إنَّ فرسى نفيسٌ لايُبذل للإعارة ، ولايُعرَض للبيع .

وقوله : « مفدَّاة مكرمة » ، إلخ يقول : هى لعزَّتها على أربابها تفدَّى بالآباء والأمَّهات ، وتُؤْثَرُ تكريماً لها على العيال ، عند الإضافة والإقتار ، فيجوع العيالُ ولاتجوع هذه .

وقوله : « سليلة » إلخ يقول : هى ولد فرسين سابقين ، إذا نُسبا ضَمّ مَنَاسِبَهُما الكراع ، وهو بالضم فحل كريم معروف . وأصل الكُراع أنفٌ يتقدم من الجبَل ، فسمِّى هذا الفحل به لعِظَمَه . وسليلة أُلحِق الهاءُ بها وإن كان فعيلا فى معنى مفعول لأنَّه جُعِل اسما ، كما تقول هى قتيلة [٢] بنى فلان . ومعنى سُلَّ نُزع . ويقال نجلا ولدهما وتناجلاهُ بمعنى واحد ، ومنه النَّجل بمعنى الولد [٣] .

وقوله : «وفيها عِزَّة» إلخ نحيِّدها بالحاء المهملة ، أى نجعلها حائدة . وحَرّ بالمهملتين ؛ أى اشتَّد . والقِراع : مصدر قارعه ، أى ضاربه .

٤١٥ وقوله :(فلا تطمعْ) إلخ قال المرزوقى :يقول ارفع طمعك فى تحصيل هذه

---

(١) ط : « صلبت » ، صوابه فى ش .

(٢) فى النسختين : « قبيلة » ، والوجه ماأثبت .

(٣) مابعده من التفسير يبدو أنه متعلق ببيت ساقط من الأبيات هنا . كما تنبه الى ذلك مصحح المطبوعة الأولى نقلا عن هامش الأصل .. ومما يجدر ذكره أن المراجع التى بين يدى لم يرد فيها الا الأبيات الأربعة الأولى من هذه المقطوعة .

الفرس ، أبيت أن تأتىَ ماتستحق به اللعن ، ودفعك عنها يقدر عليه بوجهٍ مّا وبحيلةٍ ما . والمعنى :إنِّى لأسعفك بها إن استوهبتها ، ماوجدتُ إلى الردِّ طريقا . فلا تطمع مادامت لى هذه الحالة .

وقوله : «وكفِّى تستقلُّ» الخ يقال تهضَّم حقَّه ، أى ظلمه . وقُحفان بضم القاف وسكون الحاء المهملة بعدها فاء .. والشِّيب ، بالكسر : جمع أَشْيب ، وهو الذى حَصَل له الشيب .

وقوله : «إذا فزعوا» إلخ الشَّعاع بفتح الشين : المتفرِّق . يقول : إن فزعوا من أمرٍ فكَلِمتُهم واحدة ، وإذا لاقَوُا العَدوّ فأيديهم متفرِّقة عليه بالطَّعن والضرب .

وعُبَيدة بن ربيعة : مصغر عَبْدة بالتأنيث ، وهو شاعرٌ فارس جاهلىٌّ [(١)] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثمانون بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد س [(٢)] :

٣٨٩ (وقد جعلَتْ نفسى تَطِيب لضَغمةٍ

لِضَغمِهماهَا يقرعُ العَظْمَ نابُها)

على أنَّ الضمير الثانى إذا كان مساويا للأوَّل شذَّ وصلُه كما هنا ، فإنَّه جمع بين ضميرى الغيبة فى الاتصال ، وكان القياس لضغمهما إياها .

قال سيبويه فى باب إضمار المفعولين : إذا ذكرت مفعولين كلاهما غائب قلت[(٣)]أعطاهُوها وأعطاهاهُ[(٤)] ،جَازَ وهو عربىٌّ ؛ ولاعليك بأيِّهما بدأت ، من

---

(١) فى حواشى المطبوعة الأولى : «قوله وعبيدة بن ربيعة انظره فإنه لم يتقدم له ذكر . اهـ من هامش الأصل ». ويبدو أن البغدادى أراد أن يذكره فى نسبة أبيات الحماسة ، ولكنه لم يفعل .

(٢) فى كتابه ١ : ٣٨٤ . وانظر أمالى ابن الشجرى ١ : ٨٩ / ٢ : ٢٠١ وابن يعيش ٣ : ١٠٥ والعينى ١ : ٣٣٣ .

(٣) كذا فى النسختين . والذى فى سيبويه : « فقلت » .

(٤) هذا مافى سيبويه . ورسمت فى النسختين : « أعطاها هو » .

قِبَل أنَّهما كلاهما غائب . وهذا أيضاً ليس بالكثير فى كلامهم ، والكثير فى كلامهم:أعطاهُ إياها (١) . على أنَّ الشاعر قال :

وقد جعلت نفسى تطيبُ لضَغمةٍ .. .. البيت اهـ

قال النحاس والأعلم : إنَّما كان وجه الكلام لضغْمِهما إيَّاها ، لأنَّ المصدر لم يستحكم فى العمل والإضمارِ استحكامَ الفعل .

وجَعَل هنا من أفعال الشُّروع ، ونفسى اسمها ، وجملة تطيب خبرها . والضَّغمة ، بفتح الضاد وسكون الغين المعجمتين : العَضَّة .

وقد اختلف الناس فى معنى هذا البيت ، وأصوبُ مَن تكلَّم عليه ابنُ الشجرى (فى أماليه) فى موضعين منها ، وتبعه صاحب اللباب (فى تعليقِهِ على اللباب) قال : يقول : جعلتْ نفسى تطيب لأنْ أضغمَهما ضَغمة يَقرع لها النابُ العظمَ . وصفَ ضغمةً بالجملة ، والمصدر الذى هو الضَّغم مضاف إلى المفعول وفاعله محذوف ، التقدير:لضغمى إيَّاهما . والهاء التى فى قوله لضغمهماها عائدة إلى الضَّغمة ؛ فانتصابها إذن انتصابُ المصدر ، مثلُها فى قوله تعالى :﴿إنَّ هَذَا لَمكْرٌ مَكَرْتمُوهُ فى المَدِينة (٢) ﴾ .وأضاف الناب إلى ضمير الضغمة ، لأنَّ الضغم إنَّما هو بالناب . واللام فى قوله لضغمهماها متعلقة بيقْرع ، أى يقرع عظمَهُما نابى ؛ لضغمى إيَّاهما ضغمةً واحدة.اهـ

وعلى هذا الضَّغمتان والقَرْع والناب جميعُها للمتكلّم ، واللام الأولى متعلِّقة بقوله:تطيب .

وينبغى أن نورد الأبياتَ التى منها هذا البيتُ وسبَبَها ، حتى يتَّضح المعنى ويزول الإشكال ، فإنَّ غالبَ مَن تكلَّم عليه لم يقفْ على ماذكرنا .

---

(١) فى سيبويه : « أعطاه اياه » .

(٢) الآية ١٢٣ من الأعراف .

سبب الشعر

قال أبو محمد الأسود الأعرابى (فى ضالّة الأديب ، وهو ماكتبه على نوادر ابن الأعرابى) : إنَّ مُغَلِّس بن لَقيط ؛ وهو من ولد مَعْبد بن نَضْلة ، كان رجلاً كريماً حليما شريفا ، وكان له إخوةٌ ثلاثة : أحدهم أُطَيط ، بالتصغير ، وكان أُطيطٌ به بارًّا ، والآخران وهما مُدرِك ومُرّة مُمَاظَّين [1] ، فلمّا مات أُطيط أظهرا له العداوة ، فقال :

أبيات الشاهد ٤١٦

(أبقَتْ لك الأيّامُ بعدك مُدركا ... ومُرّةَ ،والدُّنيا قليلٌ عتابُها[2]

قَرِينين كالذَّئبين يبتدرانني ... وشرُّ صَحَابات الرِّجال ذئابُها

وإنْ رأيا لى غِرّةً أغرَيَا بها ... أعادىَّ ، والأعداءُ كلبىَ كلابُها [3]

إذا رأيانى قد نجوتُ تلمَّسَا ... لرجلِي مُغَوّاةً هَياماً ترابُها

وأعرضتُ أستبقيهما ثمَّ لا أرى ... حُلومَهما إلاّ وشيكاً ذَهابُها

لعلَّ جَوازى الله يَجزِين منهما ... ومرُّ الليالى صرَفُها وانقلابُها

فيشمتَ بالمَرْأين مرءٌ تخطَّيَا ... إليه قَراباتٍ شديداً حجابُها[4]

وقد جعَلَتْ نفسى تَطيب لضَغمةٍ ... أعضِّهماها يقرع العظم نابُها[5]

ولامثلَ يَومٍ عند سعدِ بن نوفل ... بِفَرْتاجَ إذ تُوفِي علىّ هضابُها

لأجعَلَ مالم يجعل اللهُ لامرئٍ ... وأكتبَ أموالاً عَداءً كتابُها

خرجتُ خُروجَ الثّورِ قد عصَبتْ به ... سَلوقيَّةُ الأنسابِ خُضعٌ رقابُها

---

(١) المماظة : المخاصمة والمشاتمة والمنازعة . ش : «مماضين» ، تحريف .

(٢) فى معجم المرزبانى ٣٩٠ : «كريه عتابها» .

(٣) وكذا فى الحماسة البصرية ١ : ١٩٩ . وفى معجم المرزبانى ٣٩١ : «تعوى كلابها» .

(٤) ط : «تخطئا» ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٥) جعلت فى ش : « لضغمهماها » .

حُبِسْتُ بغُمَّى غمرةٍ فتركتُها وقد أترك الغُمَّى إذا ضاق بابُها[1])

ثم رثى أُطيطاً فقال :

(ذكرتُ أُطيطا والأَداوَى كأنَّها كُلَى من أديمٍ يستشنُّ هزومُها

لعمرى لقد خلَّيتَنى ومَواطِناً تُشيب النَّواصى لو أتاك يقينُها

وأبدتْ لىَ الأعداءُ بعدكَ منهم ثَرَى دِمَنٍ ماكان يبدو دفينُها)

انتهى ما أورده أبو محمد .

وقوله : «والدنيا قليل عتابها» أراد أنَّ عتابَ الدُّنيا غير نافع ، فمُعاتبها غير مُستكثر منه .

وقوله:«قرينين كالذئبين»شبَّههما بالذئبين لأنَّ الذئابَ أخبثُ السِّباع.

وقوله : «وإنْ رأيا لى غِرّة» إلخ روى بدله :

* إذا رأيالى غفلةً أَسَّدَا لهَا *

أى أفسدا قلوبَ أعادىَّ حتَّى جعلا أخلاقَهم كأخلاق الأُسود . والكَلْبى: جمع كَلِب ، كزَمْنَى جمع زمِن .

وقوله : «إذا رأيانى قد نجوتُ » إلخ تلمَّسا ألِفُه ضميرُ الاثنين . والمُغوّاة ، بضم الميم وفتح الغين المعجمة وتشديد الواو : حُفرةٌ كالزُّبية . يقال :«مَنْ حَفر مُغَوَّاةً وقَعَ فيها» . والهَيَام بفتح الهاء ، لا بكسرها كما زعمه العينى ، بعدها مثناة تحتية:الرَّمل الذى لايتماسك أن يَسيل من اليد للينِه.ونقل العينى عن أبى على (فى التذكرة) أنَّ الرواية عنده «هَيَالَى تُرابُها»،قال:وهــذا يدلُّ على

---

(١) ط : « جلست » ، وأثبت مافى ش مع أثر تصحيح .

(٢) بين البيتين وسابقهما مايسمى بالإكفاء ، وهو اختلاف الروى بحروف متقاربة .

أنَّ التُّراب جمع تُرْب ، ولو كان مفرداً لقال هائل ترابها . قال صاحب العين : الهائل : الرمل الذى لايثْبُت . وضَرَبَ هذا مثلاً لكثْرةِ معرفتهما بالشرّ ، والتحيُّلِ فى جلب أنواع الضَّرر . وفَرْتاج ، بفتح الفاء [(١)] : موضع .

والخُضع : جمع أخْضع ، وهو الذى فى عنقه تطامنٌ خلقة .

والغَمْرة ، بالفتح : الشِّدّة . والغُمِّى ، بفتح المعجمة وضمها : الغامَّة [(٢)] أى المُبْهَمة [(٣)] الملتبسة . وروى السِّيرافى بعد قوله هَياماً تُرابها :

(فلولا رجائى أن تؤوبا ولا أرى عُقولَكما إلاّ شديداً ذَهابُها
سَقيتكما قبل التفرُّق شَربةً يَمُرُّ على باغى الظِّلام شَرابُها
وقد جعلت نفسى تطيب... .. .. البيت).

والظِّلام ، بالكسر : جمع ظُلمْ بالضم .

وقد أنشد البيت الشاهدَ أبو الحسن على بن عيسى الرَّبَعى هكذا :

فقد جعلَتْ نفسى تَهُمُّ بضَغمةٍ على عَلِّ غيظٍ يَقصِم العظمَ نابُها

والعَلّ بفتح المهملة : التكرُّر . والقَصْم بالقاف : كسْرٌ مع فصل . ٤١٧

وعلى هذا لا شاهد فيه ، والمشهور الرواية الأُولى .

وقد اختلف العلماءُ فى معناه فقال الخوارزمى: الضَّغمة:العَضّة، ولضغمهماها بدلٌ من قوله لضغمةٍ،والضمير الأوّل لسُبعين ، أمَّا الثانى فلضغمة،والضمير فى نابها لضغمة.يقول:لكثرة ماابتُليت [به] من المحن قد طابت نفسى أن يعضَّنى سبعان ناباهما يضربان العَظم.وقرعُ النابِ العظمَ كنايةٌ عن الصَّوت.هذا كلامه.وقال الأعلم:هذا الشاعر وصف شدَّةً أصابه بها رجلان،فيقول:قد جعَلتْ نفسى تطيب لإصابتهما بمثل الشدَّة التى أصابانى بها.

---

(١) وضبطه ياقوت والبكرى بكسر الفاء .

(٢) ط : «العامة» بالعين المهملة ، صوابه فى ش .

(٣) ط : « المهمة » ، صوابه فى ش .

وضَرب الضَّغمة مثلاً ، ثم وصف الضَّغمة فقال : يقرع العظمَ نابُها ، فجعل لها ناباً على السَّعة . والمعنى : يصل النابُ فيها إلى العظم فيقرعُه . اهـ

وقال الأندلسىّ (فى شرح المفصل) : قيل إنَّ معنى البيت أنَّ نفسه طابت لإصابة الشِّدَّة ، من أجل أنَّ هذين القاصدَينِ له بالشدَّة أصابتهما مثلُها . وفى البيت إشكالٌ ، فإنَّ الضغم عبارةٌ عن الشدّة ، فإذا قدَّرت إضافتها إلى المفعولِ وهو الظاهر وجَبَ أن يكون ضميرُها فاعلاً فى المعنى ، فلا يستقيم لوجهين : أحدهما : أنَّها ليست من ضمائر الرفع . والآخر : أنّ ضمائر الرفع لاتأتى بعد ضمير المفعول [١] .فالوجه أنْ يقال إنّ الضَّغم بمعنى الإصابة ، أضيف إلى الفاعل الذى هو ضمير التثنية ، ثمَّ ذكر بعد ذلك المفعول ، فكأنه قال : لإصابة هذه الشدة التى عبرَّ عنها بالضَّغمة أوّلاً . هذا كلامه .

ونقل ابن المستوفِى (عن حواشى المفصل) أنّه قال فى الحواشى : هما عائدان للأسد والضبع ، وقيل للأسد والذئب ، و«ها» للضغمة [٢] . ووجدت فى موضعٍ آخر من الحواشى قال : الضمير الأول يرجع إلى الذئب والضبع ، والثانى إلى النفس. وهذا أشبه من الأوّل، إلاّ أنَّه مع وجود مايعود إليه ضمير الاثنين من قوله قرينين كالذئبين،لاحاجة إلى أن يذكر ماذكره من الأسد والضّبع،أو الأسد [٣] والذئب؛لعدم [٤] ذكرهما فى الشعر.والذى أراه أنَّ معنى البيت:إنَّ نفسى قد طابت أن تصيبها ضغمةٌ بهذه الصِّفة لأجل ضغمهما

(١) ط : «أحدهما أنها ليست من ضمائر الرفع لأنها لاتأتى بعد ضمير المفعول » . وقد تنبه ناشر الأولى لهذا النقص . والتكملة هنا من ش .

(٢) ش : «وهما للضغمة» ، صوابه فى ط .

(٣) ط : «والأسد» ، صوابه فى ش .

(٤) ط : «تقدم» ، صوابه فى ش .

إياها ، إذْ ليسَا من نظرائى وأشكالى . فيكون موضع لام لضغمهماهَا نُصِبَ على أنّه مفعول له ، وموضع هما رُفِعَ بالفاعلية ، وموضع ها نصب بالمفعوليّة . هذا كلامه .

وقال ابن الحاجب (فى أماليه) ، ونقله شارح (اللباب) : يقول : طابت نفسى للشدَّة التى أصابتنى لوقوع القاصد لى بها فى أعظمَ منها . والضَّغمة عبارة عن الشدّة ، وهما اثنان قصداه بسوء فوقعاً فى مثل ماطلباه له . وجَعَل من أفعال المقاربة ، ولضغمة معمول لتطيبُ إعمالَ الفعل فى مفعوله ، وليست بمعنى المفعول من أجله ، لأنّه لم يُرِدْ (١) أنَّها لأجل الضغمة، وإنَّما طابت بها .والتعليل هو قوله لضغمهماها ، أى طابت نفسى لما أصابنى من الشدة لإصابة مَنْ قصدنى بمثلها . والضَّغمة : العضَّة ، فكنى بها عن المصيبة . ويقال ضَغَمَ الشِّدَّةَ وضَغَمَتْه . وجاء البيت على الوجهين . فقوله : لضغمةٍ من قولهم عضتّه الشدة ، لقوله : يقرع العظمَ نابُها . وقوله : لضغمهماها من قولهم : عضضت الشِّدَّة ، لأنّ الفاعل ههنا ضمير مَنْ أصابها ، وضمير المفعول ضميرها ، أى لضغمهما إيّاها ، فهى معضوضةٌ لاعاضّة ، لمجيئها مفعولةً لا فاعلة . ويجوز أن يكون الموضعان من ضغمْتُ الشِّدَّةَ لا ضغمتنى ، ويكون قوله : يقرع العظم نابها مبالغةً فى أنّه عض الشِّدّة عضاً قويًّا بليغًا ، منتهى مايبلغه العَضّ . وكنى ببلوغ الناب العظمَ عن ذلك .

٤١٨

وموضع استشهاده مجىء الضميرين الغائبين متَّصلين وليس أحدهما فاعلاً وهما:ضمير الفاعلين ،وهو قوله له،وضمير الضغمة وهو قولك ها . وهو شاذّ،والقياس فى مثله ضغمهما إيّاها،كراهَة اجتماع ضمائر الغائبين البارزة من

(١) ط : « لم يرو » صوابه فى ش .

جنس واحد ، بخلاف مالو اختلفا . والضمير الأوّل فى موضع خفضٍ بالإضافة ، وهو فاعلٌ فى المعنى،والضمير الثانى فى موضع نصب على المفعولية بالمصدر ،أى لأنْ ضَغَماها . ويقرع العظم نَابها فى موضع صفة ، إما لِضَغْمةٍ الأولى وفصَل للضرورة بالجارّ والمجرور الذى هو لضغمهماها ، ويضعف لأجل الفصل بين الصفة والموصوف بالأجنبىّ ، وهو غير سائغ . وإمَّا فى موضع صفةٍ لمعنى قولك ها ، إذ معناه لضغمهما مثلها ، إذ الأولى لم تصب هذين وإنَّما أصابهما مثلُها ؛فهو فى المعنى مُراد . ومثل نكرةٌ وإن أضيفت الى المعرفة ، فجاز أن توصف بالجملة . ويجوز أن يكون يقرع العظم نابها جملة مستأنفة لتبيين أمْر الضغمة فى الموضعين جميعا ، فلا موضع لها من الإعراب ؛ لأنَّها لم تقع موضع مفرد . ومايُتوَهَّم من أنَّ لضغمهماها مضافَ إلى المفعول وها فى المعنى فاعل ، فيؤدى إلى أنَّه أضاف إلى المفعول وأتى بعده بالفاعل بصيغة ضمير المنصوب ــ مندفعٌ بما تقدَّم ، من أنَّه لم يرد أنَّ الشدة عضت ،وإنَّما أراد أنهما عضَّا الشدة ، إذ لايستقيم [١] أن يضاف المصدر إلى المفعول ويؤتى بالفاعل بصيغة ضمير المنصوب باتّفاق ، فوجب حملُه على ماذكرناه ، دفعاً لما يلزم مما أجمع على امتناعه . ا هـ كلامه .

وهذا كلُّه مبنىٌّ على خلاف التحقيق ، ومنشؤه عدم الاطِّلاع على الأبيات وسببها ، وكذلك قول بعض فضلاء العجم (فى شرح شواهد المفصل) إن قوله لضغمهماها بدلٌ من قوله لِضغمةٍ .

والضمير الأوّل فى لضغمهماها للسَّبُعين .

وأما الثانى فقال صاحبُ (التحبير[٢] ،والإيضاح[٣]):لضغمة.ووافقهما

---

(١) فى النسختين : «إذ يستقيم» ، والوجه ماأثبت . وقد تنبه إلى هذا مصحح المطبوعة الأولى .

(٢) ش : «التخمير» . وقد ورد بهذا اللفظ فى الخزانة ٤ : ١١٩ ، ٢٦٣ بولاق . وهو لصدر الأفاضل الخوارزمى .

(٣) الإيضاح شرح لابن الحاجب على المفصل .

فى ذلك صاحب (الإقليد [١] ،والموصَّل [٢]) .وقال صاحب (المقتبس [٣]) : هو لنفسى . وتابعه فى ذلك صاحب (المقاليد [٤]).

وقوله : لضغمهماها مصدر مضاف إلى الفاعل على الوجهين ، إلَّا أنَّ المفعول فى الوجه الأوَّل يكون محذوفا وهو النفس ، وفى الثانى يكون مذكوراً . هذا كلامه .

وأغرب من هذا كله قول (شارح اللب السيِّد عبد الله) لضغمةٍ مفعول تطيب على أنّه مفعول به لا مفعول له . وقوله : لضغمهماها ، هو المفعول له . أىْ جعلت تطيب لضغمةِ سبع يقرع العظمَ نابُ تلك الضغمة ، لضغمة هذين السبُّعين النفس . والمراد به أنَّ ضغمة سبع واحدٍ أهوَنُ من ضغمة سبُعين. اهـ

وقد لخَّص ابن هشام (فى شرح شواهده) هذه الأقوالَ فقال : وفى معنى البيت وتوجيهه أوجه :

أحدها:أنَّ الضغمة الأولى له والثانية لهما ، أى نفسه طابت لأن يوقع بهما مصيبةٌ عظيمة لأجل ضغمهما إيّاه مثلَها.واللام من لضغمة تتعلَّق بتطيب،وهى لام التعدية،واللام من لضغمهما متعلق بضغمةٍ أو بجعلت أو بتطيب،وهى لام العلّة.وضمير التثنية فاعل،وضمير المؤنَّث مفعول مطلق.والمعنى

(١) الإقليد شرح على المفصل ، للتاج أحمد بن محمود بن عمر الخجندى .

(٢) الموصل من شروح المفصل . قال الميمنى فى الإقليد ١١٧ : «لعله كما فى الكشف لحسام الدين حسين بن على الصغناقى ؟ المتوفى سنة ٧١٠ جمع فيه بين الإقليد والمقتبس » .

(٣) المقتبس هذا من شروح المفصل ، واسمه «المقتبس ، فى توضيح ما التبس » ، وهو للفخر الإسفيذرى المتوفى سنة ٦٩٨ .

(٤) لعله هو الإقليد ، أو هما كتابان .

لضغمهما إيّاى ضغمةً مثلَها ، فحذف المفعول به والموصوف وأناب عنه صفته ، ثم حذف المضاف وأناب عنه المضاف إليه ووصّله شذوذاً .

الثانى : أن يكون المعنى كذلك ، لكن يكون ضمير المؤنث عائداً على الصفة المتقدِّمة فى اللفظ ، والمراد غيرها ، على حدِّ قولهم : عندى درهم ونصفه .

الثالث : أنَّ الضَّغمتين كلتيهما من فعل المتكلم ، أى جعلت نفسى لأجل إيذائهما لى تطيب لإيقاع ضغمةٍ بهما يقرع العظم نابُها ، لشدة ضغمهما [1] إيّاها ، فحذف المضافين : الشدَّة المضافة إلى الضغمتين ، وياء المتكلم المضاف إليها الضغمتان ، وهى فاعل المصدر . فاللامُ الأولى متعلقة بتطيب ، والثانية متعلقة بيقرع .

الرابع : أنَّ الضغمتين للمتكلِّم وأنَّ الثانية على تقدير ياء المتكلم كما تقدَّمَ ، ولكن الثانية بدل من الأولى بإعادة الجارّ . فاللامان للتعدية ، والتقدير لأنْ أضغَمهما ضغمة يقرع العظمَ نابها .

الخامس : أنَّ الضَّغمة الأولى لأجنبىّ والثانية لهما ، أى تطيب لأن يضغمنى ضاغمٌ ضغمةً يقرع العظم نابها لضغمهما إيّاىَ مثلها ، كما تقول : طابت نفسى بالموت لما نالنى من أذَى فلان . واللام الأولى للتَّعدية والثانية للتعليل .

وراجحُ الأوجُهِ الثالثُ ؛ لأنَّ السِّيرافى روى : «تهُمُّ بضغمةٍ علىّ علَى غيظٍ » ، ولأنَّ بعضَهم روى :« لضغمة أعضَّهماها » . وضمير نابها راجعٌ للضَّغمة إمَّا على أنّه جعل لها ناباً على الاتساع ، والمراد صاحبها ، أو على أنَّ التقدير نابُ صاحبها ، ثم حذفِ المضاف . اهـ

---

(١) ط : «ضغمتها» ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

وقال ابن يَسعُون [١] (فى شرح [٢] شواهد الإيضاح) :استشهد به أبو علىّ على وقوع الضَّمير المتّصل موقع المنفصل ، لأن مجىء الضمير المنفصل مع المصدر أحسن ، والمصدر هو لضَغمهما ، وهو مضاف إلى هما ، وهما فى المعنى فاعلان ، والمفعول المضْغوم محذوف . ولو ذكره مع ها المتَّصلة العائدة على ضغمة لقال لضغمهماها إيّاى . ولو أتى بضمير الضغمة منفصلاً على الوجه الأحسن لقال لضغمهما إيّاى إيّاها ، فكان يتقدم لوجهين : أحدهما لأنّه ضمير المخاطب وهو أولى بالتقدم من ضمير الغائب . والوجه الثانى أنّ إيّاى ضمير المفعول به ، وايّاها ضمير المصدر ، وهى فضلةٌ مستغنًى بما هو آكَدُ منها ، وكان الأصل لضغمهما إيّاى مثلها ، أى مثل تلك الضغمة ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ، فكان ينبغى أن يأتىَ بالضَّمير المنصوب المنفصل . وحذفُ المفعول مع المصدر إذا كان معه الفاعل كثيرٌ ، كما قد يحذف معه الفاعل أيضاً .

هذا ماوقفت عليه .

مغلس بن لقيط

ومغلِّس بن لَقيط : شاعرٌ من شعراء الجاهلية ، وهو بضم الميم وفتح الغين المعجمة وكسر اللام المشددة . ولقيط بفتح اللام وكسر القاف . ومَعْبَد بفتح الميم الموحدة وسكون العين المهملة .

وكون الشعر لمغلِّس بن لقيط المذكور هو ماقاله الأعلم . قال : واسم هذا الشاعر مغلِّس بن لقيط الأسدى . والرجلان من قومِه ، وهما مدرك ، ومُرّة.

وكذا قال السيرافى ، لكنّه قال:هو لمغلِّس بن لَقيط الأسدى، من ولد مَعبَد بن

---

(١) اسمه يوسف بن يبقى بن يوسف بن يسعون التُّجيبى الباجلى المتوفى فى حدود ٥٤٠ . وكتابه هو « المصباح ، فى شرح ماأعتم من شواهد الإيضاح ».

(٢) كلمة «شرح» ساقطة من ط . وإثباتها من ش .

نَضْلَة ، يعاتب فيه مُدرِك بن حصن ، ومُرّة بن عَدَّاء ، ويذكر أخاه أُطَيط بن لقيط.

٤٢٠ وقال العَيْنى : هو لمغلِّس بن لقيط بن حبيب بن خالد بن نضلة الأسدىّ ، جاهلىٌّ ، هو وأخواه:بَعثر ونافع ابنا لقيط شعراء . وهو من قصيدة هائية يرثى فيها أخاه أُطيطا [(١)] ، ويشتكى من قرينَين له يُؤذيانه . وقيل هما ابنا أخيه ، وهما مدرك ، ومرة . اهـ

نسبة أخرى للشاهد

ونسب ابنُ الشجرى (فى أماليه) ، وتبعه شارح (اللباب) ،هذا الشعرَ إلى لقيط بن مُرة ، قال : رثَى فيه أخاه أطيطا ، وهجا مُرّة بن عَدّاءٍ ومُدركَ بن حِصْن الأسديِّين.

وقال ابن هشام (فى شرح شواهده) : هو لمغلِّس [(٢)] بن لقيط السَّعدى لا الأسدىّ ، وكان له ثلاثة أخوة : مُرّة ،ومدرك ،وأطَيط وكان أبرَّهُمْ به ، فمات وأظهر الأخَوانِ عداوته وآذياه ، فقال يرثيه ويشتكى من أخويه . وقيل هما ابنا أخيه المذكور ، وقيل أجنبيَّان .

هذا ماوقفتُ عليه ، والله أعلم بحقيقة الحال .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التسعون بعد الثلثمائة [(٣)]:

٣٩٠ (لئنْ كان إيَّاهُ لقد حالَ بَعْدَنا

عن العَهدِ ، والإنسانُ قد يتغيَّرُ)

على أنّ المختار فى خبر كان وأخواتها إذا كان ضميرا ، الانفصال كما هنا؛ لأنَّه خبر ، والأصل فى الخبر الانفصال .

---

(١) ش : «شعراء يرثى أخاه أطيطا» بسقوط «فيها» و «وهو من قصيدة هائية» .

(٢) ط : «هو المغلس» ، وأثبت ماف ش .

(٣) ديوان عمر بن أبى ربيعة ٨٦ وابن يعيش ٣ : ١٠٧ والمقرب ١٦ والعينى ١ : ٣١٤ والتصريح ١ : ١٠٨ والأشمونى ١ : ١١٩ .

وقال بدر الدين (فى شرح ألفية والده) : الصحيح اختيارُ الاتِّصال لكثرته فى النظم والنَّثر الفصيح .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدةٍ لعُمَر بن أبى ربيعة . وقبله :

أبيات الشاهد

(أَلِكْنِى إليها بالسَّلامِ فإنّه يُشهَّر إلمامى بها وينكَّرُ
بآيةِ ماقالت غداةَ لقيتُها بمَدفع أكنانٍ : أهذا المشهَّرُ
قفى فانظرِى أسماءُ هل تعرفينه أهذا المُغِيرىُّ الذى كان يُذكَرُ
أهذا الذى أطريتِ ذِكْراً فلم أكنْ وعَيْشِك أنساهُ إلى يومَ أُقبرُ
فقالت:نعمْ لاشَكَّ غيَّرَ لونَه سُرَى اللَّيلِ يُحيى نصَّهُ والتهجُّرُ
لئن كان إياه لقد حَالَ بَعْدَنا ... البيت)

قوله : «أَلِكنى» أى كنْ رسولى وتحمَّلْ رسالتى إليها .

وقوله : «قفى» أمرٌ من الوقوف ، والآمرة هى نُعْمٌ محبوبةُ الشاعر . « وأسماءُ » : صاحبة نُعْم . وأسماء منادًى بحرف النداءِ المحذوف . وروى أيضا:«قفى فانظرى ياأسم» وهو مرخَّم أسماء . وهذا على طريقته ، فإنَّه كثيراً مايتغزَّل بنفسه ، زعماً منه أنَّ المخدَّرات يعشِقْنه لحسنه وجماله ، وقد عيب عليه . والهاء فى «تعرفينه» ضمير الشاعر وهو عمر ، كما أنَّ المغيرىَّ عبارةٌ عنه . قال الخُوارَزمى : المغيرىُّ منسوبٌ إلى المغيرة بن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم [١] وهو من أجداده .

وقوله: «وعيشك أنساه» ،الواو للقسم ، والجملة معترضة بين لم أكن وبين خبره وهو جملة أنساه. وسُرَى الليل فاعل غَيَّرَ ،والتهجُّر معطوف عليه ،

(١) ش : « ابن عمرو بن مخزوم » ، صوابه فى ط وجمهرة ابن حزم ١٤٤ وكتاب نسب قريش للزبيرى ٢٩٩ .

وهو السَّير فى الهاجرة . ويُحيِى : مضارعٌ معلوم من الإحياء ، وفاعله ضمير المغيرىّ ، ونصَّه مفعولُه .

وقوله :«قفى فانظرى» إلى آخر البيتين من مقول قالت : وزعم بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصل) أنَّ البيتين من مَقُول الشاعر ، فإنّه قال : والمعنى قلت لحبيبَتى أسماء : قفى ياأسماءُ فانظرى وتأمَّلى هل تعرفين هذا الرجل الذى ترينَه ؟ يريد به نفسه . ولما قال لها ذلك توهَّمتْه فقالت متعجِّبة متفكِّرة لفرط تغيُّره : الذى تَراه عمرُ المُغيرىُّ الذى كان يذكر عندنا ؟ والله لئن كان المغيرىُّ إيّاه لقد حال وتغَّير عما عهدناه ، فإنَّه [1] عهدناه شابًّا وقد كبر ، وعهدناه ناضراً طريًّا وقد حال عن ذلك ! ثم قالت تسليةً له : والإنسان قد يتغيَّر عن حالٍ إلى حال ، فلا تحزن . ويجوز أن يكون هذا مقول الشاعر ، قال ذلك نفياً لتعجُّبها مما استعظمته من تغيُّره بعدها . أى إنَّ الإنسان يتغيَّر فلا تتعجبى .اهـ . وفيه مالا يخفى .

٤٢١

وقوله : (لئن كان) إلخ اللام موطئة للقسم ، واسم كان ضمير المغيرىّ وإياه خبرها ، وجملة (لقد حال) إلخ جواب القسم المحذوف ، وقد سدَّ مسَدَّ جواب الشرط .وحال بمعنى تغيرَّ ، من قولهم : حالت القوس ، أى انقلبت عن حالها التى عَمِرت عليها ، وحصل فى قالبها اعوجاج . و(بعدنا) متعلِّق بحالَ . وكذلك قوله : (عن العهد) ، أى عمَّا عهدنا من شبابه وجماله . وجملة (والإنسان قد يتَغيرَّ) حالية . ومثله قول كُثيِّر عزَّة :

وقد زعمَتْ أنِّى تغيرَّتُ بعدَها
ومن ذا الذى ياعزَّ لايتغيَّرُ

---

(١) ش : « فانا » .

وهذه القصيدة عدة أبياتها ثمانون بيتا أوردها القالىُّ (فى أماليه [١])، ومحمد بن المبارك بن محمد بن ميمون (فى منتهى الطَّلب من أشعار العرب) .

وقد أنشد المبرد أبياتاً منها (فى الكامل)[٢] وقال : يروى من غير وجه أنَّ ابن الأزرق [٣] أتى ابنَ عباسٍ رضى الله عنه يوماً ، فجعَلَ يسأله حتى أملّه ، فجعل ابن عباس يُظهر الضَّجَر ، وطلع عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة على ابن عباسٍ وهو يومئذٍ غلام ، فسلَّم وجلس ، فقال له ابن عباس : ألا تنشدنا شيئاً من شعرك ؟ فأنشده :

أمِن آل نُعمٍ أنتَ غادٍ فَمُبْكرُ
غداةَ غدٍ أم رائحٌ فمهجِّرُ

حتَّى أتَمَّها،وهى ثمانون بيتا ، فقال له ابن الأزرق : لله أنت ياابن عبَّاس،أنضرِب إليك أكبادَ الإبل نسألك عن الدين فتُعرِض ، ويأتيك غلامٌ من قريش فيُنشدك سفهاً فتسمعه ! فقال : تالله ماسمعت سفها . فقال ابن الأزرق : أمَا أنشدَك :

رأتْ رجلاً أيْمَا إذا الشمسُ عارضَتْ
فيخزَى وأما بالعشىِّ فيخْسَرُ

فقال : ماهكذا قال ، إنما قال :

* فيضحى وأما بالعشىِّ فيخصَرُ *

---

(١) انظر الأمالى ٣ : ١٤١ حيث ذكر صدر مطلع القصيدة .

(٢) الكامل ٥٧٠ . وانظر ديوان عمر ٨٤ — ٩٥ .

(٣) هو نافع بن الأزرق الحرورى ، الذى تنسب إليه طائفة الأزارقة ، وله أسئلة عن ابن عباس مجموعة فى جزء من روايته ، وأخرج الطبرانى بعضها فى مسند ابن عباس من المعجم الكبير ، وكان مقتله سنة ٦٥ . لسان الميزان .

قال : أوَ تحفظ الذى قال ؟ قال : والله ماسمعتها إلا ساعتى هذه ، ولو شئت أن أردَّها لرددتها . قال : فارْدُدْها . فأنشده إياها . وروى الزُّبيريون أن نافعا قال له : مارأيت أروى منك قطُّ ! فقال ابن عباس : مارأيت أروى من عمر ، ولا أعلم من على . انتهى كلام المبرد .

وفى هذه القصيدة أبيات شواهدُ فى هذا الشَّرح وغيره ، لابأس بإيرادها هنا . وهى هذه :

قصيدة الشاهد

(أمِنْ آل نُعمٍ أنت غادٍ فمُبْكِرُ ... غداةَ غدٍ أم رائحٌ فمهجِّرُ (١)

بحاجةِ نفسٍ لم تَقلْ فى جوابها ... فتبلغَ عُذراً والمقالةُ تُعذِرُ

نَهيمُ إلى نعمٍ فلا الشَّمْل جامعٌ ... ولا الحبلُ موصولٌ ولا القلب مُقْصِرُ(٢)

ولاقربُ نعمٍ إذْ دنت لك نافعٌ ... ولا نأيُها يُسلى ولا أنت تصبرُ

وأُخرى أتت من دونِ نُعم ومثلُها ... نَهَى ذا النهى ،لو ترعوى أو تفكّرُ (٣)

إذا زرتُ نُعماً لم يزل ذو قرابةٍ ... لها كُلَّما لاقيتها يتنمَّرُ

عزيزٌ عليه إن أَلِمّ بِبَيتها ... مُسِرٌّ لى الشَّحناءَ ،للبغضِ مظهرُ (٤)

(١) ط : «أورائح» ، وأثبت مافى الديوان وش مع أثر تصحيح.

(٢) فى الديوان والكامل : « تهيم » بالتاء .

(٣) ط : «لو يرعوى أو تفكر» ، والوجه توحيد حرف المضارعة كما فى ش . وفى الديوان والكامل : «لو يرعوى أو يفكر» .

(٤) فى الديوان : « والبغض يظهر » . وفى الكامل : « والبغض مظهر » .

٢٤٢

أَلِكْنى إليها بالسَّلام فإنَّه يُشَهَّرُ إلمامى وبها وينكَّرُ
على أَنَّها قالت غداةَ لِقِيتها بمَدفع أكنانٍ : أهذا المشهَّرُ
قفى فانظرى ياأسمَ هلْ تعرفينه أهذا المغيرى الذى كان يذكَرُ
أهذا الذى أطريتِ نعتا فلم أكُنْ وعيشِك أنساهُ إلى يومَ أقبرُ (١)
لئن كان إياهُ لقد حالَ بَعدَنا عن العهد ، والإنسان قد يتغيَّرُ
فقالت : نعم لاشكَّ غيرَّ لونَه سُرى الليل يُحيى نصَّه والتهجُّرُ
رأتْ رجلاً أمّا إذا الشمسُ عارضَتْ فيَضحَى وأمّا بالعَشِيِّ فيَخصَرُ
أخا سفرٍ جوابَ أرضٍ تقاذفتْ به فَلَواتٌ فهو أشعثُ أغبرُ
قليلٌ على ظهر المطِيَّةِ ظِلُّه سوى مانَفَى عنه الرِّداء المُحَبَّرُ
وأعجبَها مِن عيشها ظلُّ غُرفةٍ وريَّانُ ملتفٌّ الحدائقِ أنضرُ (٢)
ووالٍ كفاها كلَّ شيءٍ يُهِمُّها فليست لشيءٍ آخرَ الليل تسهرُ
وليلةَ ذى دَوْران جشَّمْتِنِى السُّرى وقد يَجشَم الهولَ المحبُّ المغرَّرُ (٣)
فبتُّ رقيباً للرِّفاق على شَفاً أراقبُ منهم من يطوف وأنظرُ (٤)
إليهمْ ،متى يستأخِذُ النَّومُ فيهم ولى مجلسٌ لولا اللُّبانةُ أوعرُ (٥)
وباتت قَلوصى بالعَراءِ ورحْلُها لطارقِ ليلٍ أو لمن جاءَ مُعْوِرُ

---

(١) ط : «فلم أكد» ، وأثبت مافى ش والديوان والكامل .

(٢) فى الديوان : « أخضر » .

(٣) ط والديوان : « جشمنى السرى » ، وأثبت مافى ش .

(٤) فى الديوان : « أحاذر منهم » .

(٥) الديوان : « متى يستمكن » .

فبتُّ أناجى النَّفسَ أين خِباؤُها وأنَّى لما تأتى من الأمر مصدرُ [١]
فدلَّ عليها القـــلبَ نارٌ عرَفتها بها ، وهوى الحب الذى كان يظهرُ [٢]
فلمَّا فقدْتُ الصَّوتَ منهم وأُطفِئت مصابيحُ شُبّتْ بالعِشاء وأنوُرُ [٣]
وغاب قُميرٌ كنت أهوَى غيوبه وروَّح رُعيـانٌ ونـوَّمَ سُمَّـــرُ
ونفَّضت عنى النّومَ أقبلتُ مشية الـ ـحُباب ولكنِّى من القوم أزوَرُ [٤]
فحَيَّيتُ إذ فاجأتها فتولَّـهتُ وكادت بمرفوع التحية تَجهرُ [٥]
فقالت وعضَّت بالبنان : فضحتنى وأنت امرؤٌ ميسورُ أمرك أعسَرُ
أريْتَكَ إذْ هُنَّا عليك ألم تخَفْ رقيبا وحولى مِن عدوّك حُضرَّ [٦]
فقلت:كذاكِ الحبُّ قد يحمِل الفتى على الهَوْل حتى يُستقادَ فيُنحرُ [٧]
فَوالله ماأدرى أتعجيلُ حاجةٍ سَرت بكَ أم قد نام مَن كنتَ تحذرُ
فقلت لها:بل قادنى الحبُّ والهوى إليكِ ، ومانفسٌ من الناس تَشعُرُ [٨]
فقالت وقد لانت وأفرخَ رُوعُها: كَلاكَ بحفـظِ ربُّكَ المتكبِّرُ
فأنتَ أبا الخطاب غيرَ مُنازَع علىَّ أميرٌ مامكثْتَ مؤمَّرُ [٩]

---

(١) الديوان : « وكيف لما آتى من الأمر » .

(٢) فى الديوان : « ربا عرفتها لها وهوى النفس الذى كاد » .

(٣) فى الديوان : « وأنؤر » بالهمز .

(٤) فى الديوان : « عنى الصوت » و « وشخصى خشية الحى أزور » .

(٥) الديوان : « بمخفوض التحية » .

(٦) فى الديوان : « لم تخف ، وقيت » .

(٧) هذا البيت لم يرد فى الديوان .

(٨) الديوان : « بل قادنى الشوق والهوى » .

(٩) الديوان : « غير مدافع » .

فبتُّ قريرَ العين أُعطِيتُ حاجتى … أُقبِّل فاها فى الخلاءِ فأُكثِرُ
فيالكَ من ليلٍ تقاصرَ طولُه … وماكان ليلى قبلَ ذلك يقصرُ
ويالكَ من ملهىً هناك ومجلسٍ … لنا لم يكدِّره علينا مكدِّرُ
يمجُّ ذكىَّ المسك منها مُفلَّجٌ … نقىُّ الثنايا ذو غُروب مؤشَّرُ[1]
يَرِفُّ إذا تَفْترُّ عنه كأنّه … حَصَى بَردٍ أوْ أُقحوانٌ منوِّرُ[2]
وترنو بعينيها إلىَّ كما رنا … إلى ظبيةٍ وسْطَ الخميلة جؤذُرُ
فلمَّا تقَضَّى الليلُ إلاّ أقلَّه … وكادت توالى نَجمِه تتغوّرُ
أشارت بأنّ الحىَّ قد حان منهمُ … هُبوبٌ ولكنْ موعدٌ لك عَزْوَرُ
فما راعنى إلاّ منادٍ : تَحمَّلوا … وقد شُقَّ معروفٌ من الصُّبح أشقرُ
فلمَّا رأتْ من قد تَنوَّر منهمُ … وأيقاظَهمْ قالت: أشِرْ كيفَ تأمرُ[3]
فقلتُ: أُباديهمْ فإمَّا أفوتُهم … وإمّا ينالُ السَّيفُ ثأراً فيثأرُ
فقالت : أتحقيقٌ لما قالَ كاشحٌ … علينا، وتصديقٌ لما كان يؤثَرُ[4]
فإنْ كان ما لا بدَّ منه فغيرُه … من الأمر أدنى للخفاء وأسترُ
أقُصُّ على أُختىَّ بَدءَ حديثِنا … وما بىَ من أن تَعلما متأخَّرُ[5]
لعلّهما أن تبغيا لك مَخرجاً … وأنْ تَرحُبا سِرْباً بما كنتُ أحصرُ[6]
فقامت كئيباً ليس فى وجهها دمٌ … من الحُزن تُذْرِى عَبرةً تتحدَّرُ[7]

٤٢٣

(١) الديوان : « ذكى المسك منها مقبل » .
(٢) الديوان : « تراه إذا مافتر عنه » .
(٣) الديوان : « من قد تنبه » .
(٤) الديوان : « أتحقيقا » و « وتصديقا » .
(٥) الديوان : « ومالى من أن تعلما » .
(٦) الديوان : « أن تطلبا لك مخرجا » .
(٧) ط : « تدنى » ، صوابه من الديوان ومن ش مع أثر تصحيح .

فقالت لأختيها :أعِيناَ على فتىً ... أتى زائراً ،والأمرُ للأمر يقـدَرُ
فأقبَلَتَا فارتاعتـــا ثُمَّ قالتـــا ... أقِلّى عليكِ اللّومَ فالخطبُ أيسَرُ
فقالت لها الصُّغرى :سأُعطِيهِ مُطْرَفى ... ودِرعى وهذا البُردَ ، إنْ كان يَحذرُ
يقـومُ فيـمشى بيننـا متنكِّـراً ... فلا سرُّنا يفشُو ، ولاهو يَظهرُ
فكان مَجِنِّى دونَ مَن كنتُ أتَّقى ... ثلاثُ شخوصٍ : كاعبانِ ومُعصِرُ
فلمَّا أجَزْنا ساحةَ الحىِّ قُلن لى: ... أمَا تتَّقى الأَعداءَ والليلُ مقُمِرُ
وقُلن : أهذا دأبُك الدَّهرَ سادراً ... أمَا تستحِى أو تَرعوِى أو تفكّرُ
إذا جئتَ فامنَحْ طرفَ عَينِكَ غيرَنا ... لكى يَحسِبوا أنَّ الهوى حيث تَنظرُ
على أنَّنى يانُعْمُ قد قلتُ قَولةً ... لها، والعتاقُ الأرحَبيَّاتُ تُزْجَرُ (١)
هَنِيئاً لبعلِ العامريةِ نَشرُها الـ ... ـلَّذيـذُ وريَّاهـا الـذى أتذكَّــرُ
فقمتُ إلى حرفٍ تخوَّنَ نَيَّها ... سُرى الليل حتَّى لحمُها يتحسَّرُ (٢)
وحَبْسى على الحاجاتِ حتَّى كأنَّها ... بقيَّةُ لَوحٍ أو شجـارٌ مؤسَّرُ
ومـاءٍ بمومـاةٍ قليـلٍ أنـيسُه ... بسَابسَ لَم يَحْدُثْ بها الصَّيفَ مَحضرُ (٣)
به مُبتَنًى للعنكبوتِ كأنَّـه ... على شَرَفِ الأرجاء خامٌ منشَّرُ (٤)
وردتُ وماأدرى: أمَا بعد موردى ... من اللَّيل أمْ ماقد مضىَ منه أكثرُ

---

(١) الديوان : « سوى أننى قد قلت يانعم قولة » .

(٢) الديوان : « متحسر » .

(٣) الديوان : « لم يحدث به » .

(٤) الديوان : « على طرف الأرجاء » .

فطافت به مِغْلاةُ أرضٍ تخالُها إذا التفتَتْ مجنونةً حينَ تنظُرُ [1]
تُنازِعنى حِرصاً على الماء رأسَها ومِن دون ماتهوَى قَليب مُعوَّرُ
مُحاوِلةٌ للوردِ لولا زمامُها وجَذْبى لها كادتْ مراراً تَكسَّرُ [2]
فلما رأيتُ الضَّرَّ منها وأنَّنى ببلدةِ أرضٍ ليس فيها مُعصَّرُ ٤٢٤
قَصرتُ لها من جانب الحوضِ مُنْشأً صغيراً كقِيدِ الشِّبرِ أو هو أصغرُ
إذا شرعَتْ فيه فليس لملتقَى مَشافِرِها منه قِدَى الكفِّ مَسْأَرُ [3]
ولا دَلْوَ إلاَّ القعبُ كان رِشاءَه إلى الماء نِسعٌ والجديلُ المضفَّرُ
فسافَتْ وماعافت وماصَدَّ شِربَها عن الرىِّ مطروقٌ من الماء أكدرُ)

هذا آخر القصيدة . وقد شرح العَينىّ ألفاظَها اللغويَّة إجمالا .

وقوله : « رأت رجلاً أمّا إذا الشمس عارضَت » البيت ، أورده الشارحِ المحقِّق فى حروف الشرط من أواخر الكتاب ؛ ويأتى إن شاء الله شرحُه هناك .

وقوله : « فكان مجنِّى دون من كنت أتَّقى » . البيت ، أورده أيضا فى باب العدد .

وقوله : « إذا جئتَ فامَنحْ طرفَ عينِكَ غيرنا » البيت ، أورده ابن هشام (فى المغنى) فى حرف الكاف برواية : « كما يحسبوا » .

---

(١) الديوان : « فقمت الى مغلاة أرض كانها » .

(٢) فى النسختين : « كانت » ، صوابه من الديوان .

(٣) قدى الشىء ، بكسر القاف وفتح الدال : قدره ومقداره . ش : « قذى » تصحيف صوابه فى ط والديوان .

وعمر بن ربيعة قد تقدَّمت ترجمته فى الشاهد السابع والثمانين من أوائل الكتاب [١].

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والتسعون بعد الثلثمائة ؛ وهو من شواهد س [٢] :

٣٩١ (ليت هذا الليلَ شهرٌ لانَرَى فيه عَرِيبَا
ليس إيَّاىَ وإيَّا كِ ولا نخْشَى رَقِيبا)

لما تقدَّم قبله ، من أنَّ الفصل هو المختار فى خبر كان وأخواتها كما قال (لَيْسَ إيَّاى) ، ولو وصل لقال: ليسنى .

قال سيبويه : ومثل ذلك كان إيَّاه ، لأنَّ كانَه قليلةٌ ، لاتقول : كانَنى ولَيسنى ، ولا كانَكَ ؛ فصارت إيَّا ههنا بمنزلتها فى ضربى إيَّاك . قال الشاعر :

* ليت هذا الليل شهر * إلخ

وبلغنى عن العرب الموثوقِ بهم أنَّهم يقولون : ليْسنى ، وكذلك كَانَنِى . اهـ

قال الأعلم: الشاهد فى إتيانه بالضمير بعد ليس منفصلاً ،لوقوعه موقع خبرها والخبر منفصلٌ من المخبر عنه،فكان الاختيار فصلَ الضمير إذا وقع موقعَه.واتِّصاله بليس جائزٌ لأنَّها فعل وإنْ لم تقوَ قوَّة الفعل الصحيح.و«ليس»

---

(١) الخزانة ٢ : ٣٢ .

(٢) فى كتابه ١ : ٣٨١ . وانظر المقتضب ٣ : ٩٨ والمنصف ٣ : ٦٢ وابن يعيش ٣ : ٧٥ ، ١٠٧ والهمع ١ : ٦٤ .

فى هذا البيت تحتمل تقديرين : أحدهما أن تكون فى موضع الوصف للاسم قبلها ، كأنّه قال : لانرى فيه عَرِيباً غيرِى وغيرَكِ . والتقديرُ الآخرُ : أن تكون استثناءً بمنزلة إلاَّ . وعَريب بمعنى أحد ، وهو بمعنى مُعْرِب ، أى لانرى فيه متكلِّما يخبر عنَّا ويُعرِب عن حالنا . اهـ

وقوله : (ليت هذا الليل شهرٌ) قال أبو القاسم سعيد الفارقى فيما كتبهُ (فى تفسير المسائل المشكلة) فى أوّل (المقتضب للمبرد) : وقد رُوى فى «شهر» الرفع والنصب جميعا ؛ وهو عندى أشبَهُ بمعنى البيت . وكلاهما حسن . وقد قضينا هذا فى كتابنا (تفسير أبيات كتاب سيبويه) . اهـ

ولم يظهر لى وجهُ النصب (١) .

و(نرى) من رؤية العين . و(عريب) من الألفاظ الملازمة للنفى ، واسم ليس ضمير مستتر راجعٌ إلى عريب ، وإياى خبرها بتقدير مضاف ، أى ليس عريبٌ غيرى وغيرك ، فحذف غير وانفصل الضمير وقام مقامه فى النصب . تمنَّى أن تطول ليلتُه بمقدارِ شهر . وجملة (لانرى فيه) خبر ثان للَيْتَ (١) . وجمله (لانخشى رقيبا) معطوف عليه ، والرابط محذوف أى فيه . ويجوز أن يكون جملة لانرى صفةً لشهرٌ .

وقال بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصل) : يقول لحبيبته :٢٥ ليت هذا الليل الذى نجتمع فيه طويلٌ كالشَّهر ، لانُبصر فيه أحداً ليس إيّاى

---

(١) كتب مصحح المطبوعة الأولى : « قوله ولم يظهر لى وجه النصب ، أقول:يمكن أن يوجه نصبه على أنه خبر لكان مقدرة أو منصوب على الظرفية متعلق بمقدر . والله أعلم.اهـ من هامش الأصل».

وإيّاك ، أى ليس فيه غيرى وغيرك أحد . وهو استثناءٌ لنفسه كما قال إلّاكِ (١) ، ولا نخاف فيه رقيبا .

صاحب الشاهد

وهذا الشعر نسبَه خَدَمَةُ كتاب سيبويه إلى عُمر بن أبى ربيعة المذكور آنفاً .

العرجى

ونسبه صاحبُ الأغانى ، وتبعه صاحب الصحاح إلى العَرْجى ، وهو عبد الله ابن عمر بن عَمْرو بن عُثمان بن عفّان . نُسِب إلى العَرْج ، وهو من نواحى مكّة ، لأنّه ولد بها ، وقيل بل كان له بها مال ، وكان يقيم هناك . والله أعلم .

وتقدّمت ترجمة العَرجى فى الشاهد السادس من أوائل الكتاب (٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والتسعون بعد الثلثمائة :

٣٩٢ (عَدَدتُ قَومى كعديد الطَّيْسِ   إذْ ذهَبَ القومُ الكرامُ ليسِى)

على أنّه جاء متّصلا . قال الزَّنجانى : هذا الشعر أنشده السِّيرافى ، وفيه شذوذٌ من وجهين : الأوّل : أنّه أتى بخبر ليس متّصلا . والثانى : أنّه أسقط نونَ الوقاية ، وحقُّه أن يقال : ليسَني . اهـ

وأنشدهُ شُرَّاح الألفية على أنَّ حذف نون الوقاية منه ضرورةٌ.

وكذلك حكم ابن هشام بأنّه ضرورة ، فى قد ، وفى النون (٤) (من المغنى) وقال (٥)فى (شرح شواهده):والذى سهّل ذلك مع الاضطرار أمور:

---

(١) يشير إلى الشاهد المعروف ، وهو الشاهد ٣٨٤ من هذا الجزء :

وما نبالى إذا ماكنتِ جارتنا   ألا يجاورنا إلّاكِ ديـار

(٢) الخزانة ١ : ٩٨ .

(٣) ابن يعيش ٣ : ١٠٨ وشرح شواهد المغنى ١٦٧ والتصريح ١ : ١١٠ واللسان (طيس) وديوان رؤبة ١٧٥ .

(٤) ط:«بأنه ضرورة فإنه قد ذكره فى النون» ، وأثبت مافى ش .وانظر المغنى فى (قد)،وفى (النون).

(٥) ش : «قال» ، بدون واو .

أحدها : أنَّ الفعل الجامد يشبه الأسماء ، فجاء ليسى كما تقول غلامى وأخى ، ومن ثمَّ جاز : إنَّ زيداً لعسى يقوم كما جاز لقائمٌ ، ولايجوز إنَّ زيداً لقام . وجاز أيضاً نحو : ﴿ وأَنْ ليس للإنسان إلَّا ماسَعَى (١) ﴾ ، كما جاز : علمت أنْ زيدٌ قائم (٢) ولايجوز علمت أنّ قام ولا أنّ يقوم

والثانى : أنّ ليس هنا للاستثناء ، فحقُّ الضمير بعدها الانفصال ، وإنَّما وصَله للضرورة كقول الآخر :

* أن لايجاورنا إلّاكِ ديّارُ *

والنون ممتنعة مع الفصل ، فترَكَها مع الوصل التفاتا إلى الأصل .

الثالث : أنَّ ليس (٣) بمعنى غير ، ولا نون مع غير . اهـ

واسم ليس هنا ضمير اسم الفاعل المفهوم من ذهب ، والتَّقْدير : ليس هو إيّاى ، أى ليس الذاهب إيّاى .

وقال (شارح أبيات الموشح) : اسم ليس مضمر يرجع إلى الكريم المستفاد من الكرام . وفيه مالا يخفى .

وقال ابن المستوفى (فى شرح أبيات المفصل) : كذا أنشد العلماء هذا البيت . ويروى :

* عَهدِى بقومى كعديدِ الطَّيسِ *

وهو الصحيح . وأنشدَه الخليل (فى كتاب العين فى طيس) لرؤبة ، صاحب الشاه قال : الطَّيس : العدد الكثير . وأنشد البيتين لرؤبة .

واختلفوا فى تفسير (الطَّيْس) فقال بعضهم : هو كل ماعلى وجه الأرض من خَلق الأنام . وقال بعضهم : بل هو كلٌّ كثير النَّسل نحو النمل والذُّباب والهوامّ .

---

(١) الآية ٣٩ من النجم .

(٢) ش : « أن زيدا قائم » .

(٣) ط : « ليسنى » ، صوابه من ش مع أثر تغيير .

وقال غيره : الطَّيس : الكثير من الرمل والماءِ وغيرهما . وأراد به رؤية هنا الرّمل. اهـ

وكذلك أنشده ابن الأعرابىّ (فى نوادره) : «عهدت قومى» . ورواه بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصَّل) : «عهدى بقومٍ» ، وقال : أراد بقومٍ المنكَّرِ قومَه ، بدليل رواية قومى ، واللام فى القوم إشارة إليهم ، وهذا من باب وضع الظاهر موضعَ المضمر ، والأصل : إذ ذهبوا . وفائدته التوصُّل إلى وصفهم بالكرم . وقوله : « عهدى بقومٍ» مبتدأ خبره محذوف ،وهو حاصل .

٤٢٦ وقوله : (ليْسى) استثناء لنفسه من القوم الكرام الذاهبين . يفتخر بقومه ويتحسَّر على ذهَابهم فيقول : عهدى بقومى الكرامِ الكثيرينَ مثلَ كثرةِ الرمل حاصلٌ إذْ ذهبوا إلاَّ إيَّاى . فإنِّى بقيتُ بعدهم خَلَفاً عنهم . ولايبعد أن يريد قوماً غير كرام ، فيكون المعنى : أرى قومًا كثيرا غير كرام إذْ ذهب الكرام غيرى . انتهَى كلامه .

وهذا المعنى هو الظاهر دون الأوّل ، وهو معنى قول العينى : والمعنى عددت قومى وكانوا بعدد الرمل ، ومع تلك الكثرة مافيهم كريمٌ غيرى . وعليه فيكون العامل فى إذ : عدَدت ، أو عهِدت ، أو عهدى ، على الروايات .

وقال شارح (أبيات الموشح) : قوله : « كعديد الطيس » : حال من قومى . وقوله : إذ ذَهب ظرف ليسى . يقول : عهدى بقومى الكرام الكثيرين مثلَ كثْرةِ الرمل حاصلٌ ، وليس فيهم الآن كريم غيرى ، إذْ ذهب القوم الكرام وبقيتُ بعدهم خَلفاً عنهم . هذا كلامُه فتأمَّلْه .

وقال العينى : عديد الطيس صفةُ مصدرٍ محذوف ، تقديره : عَدًّا كعدد الطيس . والعديد بمعنى العدَد . يقال هم عديدُ الحصَى والثرى فى الكثرة .

وترجمة رؤبة تقدَّمت فى الشاهد الخامس من أوائل الكتاب [١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والتسعون بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد س [٢] :

٣٩٣ (فإنْ لا يَكُنْها أو تَكُنْه فإنَّه أخوها غذَتْه أُمُّه بِلِبانِها)

لما تقدَّمَ قبلَه من وصل الضمير المنصوب بكان ؛ والقياس : فإن لايكن إيّاها أو تكنْ إيّاه .

وأنشده سيبويه (فى أوائل كتابه) فى باب الفعل الذى يتعدَّى اسمَ الفاعل إلى اسم المفعول ، واسمُ الفاعل والمفعول فيه لشيءٍ واحد ، قال فيه : وتقول:كُنّاهم كما تقول:ضربناهم . وتقول : إذا لم نكنْهم فمن ذا يكونهم [٣] كما تقول : إذا لم نضربهم فمن يضربهم . قال أبو الأسود الدؤلى :

فإلاّ يكنْها أو تكنه فإنَّه . . . البيت

قال الأعلم : أراد سيبويه أنَّ كان لتصرُّفها تجرى مجرى الأفعال الحقيقية فى عملها ، فيتصل بها ضمير خبرها اتصالَ ضميرِ المفعول بالفعل الحقيقى فى نحو ضربتُه وضَرَبَنى وماأشبَهَه.اهـ

وقبْل هذا البيت :

دع الخمرَ تشربْها الغُواةُ فإنَّنى رأَيتُ أخاها مُجزئاً لِمكانها [٤]

---

(١) الخزانة ١ : ٨٩ .

(٢) فى كتابه ١ : ٢١ . وانظر المقتضب ٣ : ٩٨ والإنصاف ٨٢٣ وابن يعيش ٣ : ١١٧ والمقرب ١٦ والعينى ١ : ٣١٠ والأشمونى ٣ : ١١٨ وديوان أبى الأسود الدؤلى ٨٢ .

(٣) فى النسختين : « إذا لم تكنهم » بالتاء ، وكذلك فيما يأتى « إذا لم تضربهم » ، صوابه من سيبويه .

(٤) وكذا فى اللسان (كون) والديوان . لكن فى الإنصاف والعينى : « بمكانها » .

سبب الشعر

قال شُرَّاح أبيات سيبويه ، وشراح أبيات أدب الكاتب : سببُ هذا الشعر أنَّ مولىً لأَبى الأسود الدؤلى كان يحمل تجارة إلى الأهواز ، وكان إذا مضى إليها تناول شيئاً من الشَّراب ، فاضطرب أمرُ البضاعة ، فقال أبو الأسود هذا الشعر ينهاه عن شرب الخمر . فاسم يكنها ضمير الأخ و «ها» ضمير الخمر ، وهو خبر يكن ، واسم تكنه ضمير الخمر ، والهاء ضمير الأخ ، وهو خبر تكن . وأراد بأخى الخمر الزبيب . يقول : دع الخمر ولاتشربها ، فإنى رأيتُ الزبيب الذى هو أخوها ومن شجرتها مُغْنياً مَكانَها [(١)] ، وقائماً مَقامها ، فإلا يكن الزبيب الخمرَ أو تكن الخمر الزبيبَ فإنَّ الزبيب أخو الخمر ، غَذَتهْ أُمُّه بلبانها . يعنى أنَّ الزبيب شَرِب من عروق الكرمة كما شرب العنبُ الذى عُصِر خمراً . وليس ثمة لِبانٌ وإنَّما هو استعارة . كذا قال جماعةٌ ، منهم الجواليقى ، قال (فى شرح أبيات أدب الكاتب) : نهاه عن شرب الخمر ، وقال له : إنَّ الزبيب يقوم مقامها . فإن لم تكن الخمر نفسُها من الزبيب فهى أختُه ، اغتذتا من شجرةٍ واحدة .

٤٢٧

ومنهم ابن الأنبارى (فى مسائل الخلاف) قال : أراد بقوله أخاها الزبيب ، وجعله أخا الخمر لأنهما من شجرةٍ واحدة .

ومنهم ابن هشام (فى شرح شواهده) قال : زعم مولى أبى الأسود أنه يشرب الخمر لحرارتها ، فأمره بأكل الزبيب فإنه أخوها ، أى ارتضَعَ معها من ثديٍ واحد ، أى إنَّه شرب من عروق الكَرْمة كما شرب العنبُ الذى هو أصلها .

وقال جماعة:أراد بأخى الخمر نبيذ الزبيب،منهم الأعلم قال:وصَفَ نبيذَ الزبيب وأطلقه على مذهب العراقيين فى الأنبذة،وحثَّ على شربه وَتْرِكِ الخمر

---

(١) ط : « لمكانها » .

بِعَيْنِها ، للإجماع على تحريمها . وجعلَ الزبيب أصلاً للخمر لأنَّ أصلَهُما الكَرْمة . واستعار اللِّبان لما ذكره من الأخوة .

ومنهم ابن السيد (فى شرح أبيات أدب الكاتب) قال : يعنى بأخيها نبيذ الزبيب . يقول : إن لم يكن الزبيبُ الخمرَ أو تكن الخمر الزبيبَ فإنهما أخوَانِ غُذيا بلبَنٍ واحد ، ينوب أحدهما مناب الآخر .

ومنهم صاحب (فرائد القلائد) . قال : إنَّ أخاها نبيذ الزبيب ،يريد به الماء الذى نُبذ بزبيب ليصير حلواً من غير أن تشُوبَه حرمة ، فإنه أخوها ، إلا أنه حلال وهى حرام .

وقد أنشده الزجاج (فى تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿يسألونك عن الخمرِ والمَيْسِرِ [١] ﴾،قال : الخمر المجْمَعُ عليه . وقياسُ كلِّ ماعمل عملَها أن يقال له خمر ، وأن يكون فى التحريم بمنزلتها ، لأنَّ إجماع العلماء أنَّ القِمَار كلَّه حرامٌ، وإنما ذُكر الميسر من بينه . وجعل كله حراما [٢] قياساً على الميسر ، والميسر إنما كان قِماراً فى الجُزُر خاصَّة . فكذلك كلُّ ماكان كالخمر فهو بمنزلته . وتأويل الخمر فى اللغة : أنَّه ماستَرَ على العقل ، يقال لكل ماستر الإنسانَ من شجرٍ وغيره خَمَر بالتحريك . وماستره من شجر خاصَّة ضَراً [٣] ، مقصور . يقال : دخل فى خُمَار الناس [٤] ، أى فى الكثير الذى يستتر فيهم . وخِمَار المرأة قِناعُها ، وإنما قيل له خمار لأنه يغطِّيها . والخمرة بالضم : التى يُسْجَدُ عليها إنّما سمِّيت بذلك لأنها

(١) البقرة ٢١٩ .

(٢) كلمة «حراما» ساقطة من ش .

(٣) رسمت فى ش « ضرًى » بالياء . ولم يذكر القصر فى كل من اللسان والقاموس ، بل جعلاه ممدودا « الضَّراء » .

(٤) يقال بفتح الخاء وضمها كما فى القاموس . ومثله غمار الناس بضم الغين وفتحها .

تستر الوجه عن الأرض . وقيل للعجين : قد اختمر ، لأنَّ فطورته قد غَطَّاها الخمر ، أعنى الاختمار . يقال قد أخمرت العجين وخمرته وفطرته . فهذا كُلّه يدلُّ على أنَّ كلَّ مُسْكِرٍ خمرٌ ، وكلُّ مُسكِرٍ مُخالطٌ العقل [١] ومغطٌ عليه . وليس يقول أحد للشَّارب إلا مخمور، من كل مسكر ؛ وبه خُمَار . فهذا بيِّنٌ واضح. وقد لُبِّس على أبى الأسود الدؤلى فقيل له : إنَّ هذا المسْكر الذى سمَّوه بغير الخمر [٢] حلال ، فظنَّ أنَّ ذلك كما قيل ، ثم ردَّه طبعُه إلى أن حَكَم بأنَّهما واحد ، فقال :

دع الخمرَ يشربها الغُواةُ... .. .. البيتين

وماذكره خلاف المعنى الذى ذكره الجماعة . وقد وافقه فى هذا المعنى أبو القاسم عبد الرحمن السعدى الأندلسى — وتُوفِّىَ بمصر فى سنة خمس وخمسين وخمسمائة — (فى كتاب مساوى الخمرة) ،وهو كتاب ضخم ، وهو عندى فى جلدين ، قال فيه : وقد حرَّم الخمرَ والقِمار والزِّنى على نفسه فى الجاهلية عُفَيِّف بن مَعد يكربَ [٣] الكندىُّ بقوله :

وقالت لى : هَلُمَّ إلى التَّصابى فقلتُ : عففتُ عمَّا تعلمينا
وودَّعتُ القِداحَ وقد أُرانى لها فى الدَّهر مشغوفاً رهينا
وحرَّمتُ الخمورَ علىَّ حتَّى أكونَ بقعر ملحودٍ رهينا [٤]

٤٢٨ أنت ترى كيف تفهَّمَ مافى القِمار من المشاركة للزنى والخمر،فى سُوء

---

(١) ط : « يخالط » ، والوجه ماأثبت من ش للتناسق .

(٢) ط : «بعير الخمر» ، صوابه من ش .

(٣) ذكره ابن حبيب فى المحبر ٢٣٧ ، ٢٣٩ فيمن حرم فى الجاهلية الخمر والسُّكَر والأزلام . وذكر أن اسمه كان « شراحيل » ثم سمى عُفَيِّفا لتحريمه على نفسه ذلك . وانظر القاموس (عفف) حيث ضبطه .

(٤) فى المحبر : « لقعر ملحود رهينا » . والملحود : اللحد ، وهو القبر .

الذِّكر . ولاتنس قوله :« وحرَّمت الخمور » فأتى بها بلفظ الجمع ، إشارةً إلى اختلاف أجناسها ، كالخمر المتَّخَذة من ماء العنب ، ونبيذ الزبيب والتمر والشعير والحنطة والعسل ، وأمثال هذه ، إذ الكلُّ خمورٌ مختلفة الألوان والطُّعوم والأمزجة . وقد قال ابن شُبُرمة (١) منبِّها على اشتراك هذه كلِّها فى المَعْنَى :

ياأخِلَّاءُ إنَّما الخمرُ ذيبُ ... وأبو جَعدةَ الطِّلاءُ المُرِيبُ

ونبيذُ الزبيب مااشتدَّ منه ... فهو للخمر والطلاءِ نسيبُ

وقال عَبيد بن الأبرص :

وقالوا هى الخمر تُكنى الطِّلاءَ ... كما الذئب يكنى أبا جَعْدَةِ(٢)

وقد قال أبو الأسود الدئلىّ (٣) :

دع الخمر يشربها الغُواة ... . البيت

فقيل له : فنبيذ الزبيب ؟ فقال :

فإلّا يكنْها أو تكنه فإنّه ... أخوها غذته أمُّه بلبانها .اهـ

وقوله : (دع الخمر) ، أى اترك . و (الغواة) : جمع غاوٍ ، وهو الضالّ . وقوله : (مجزئاً) قال ابن الأنبارى (فى الزاهر) :يقال أجزأنى الشىء يُجزئنى ، إذا كفانى . وأنشدَ هذا البيت ، وروى بدله : « مغْنيا » بمعناه .

---

(١) هو عبد الله بن شبرمة بن حسان الضبى الكوفى ، القاضى . ولد سنة ٧٢ وتوفى سنة ١٤٤ . تهذيب التهذيب : وكان شاعرا فقيها ورعا .

(٢) وقالوا ، فى أول البيت ، ساقطة من النسختين ، وإثباتها من الديوان ٣ واللسان (جعد،طلا) . ط : « يكنى » ، وهى فى ش مهملة نقط الحرف الأول . والوجه ماأثبت .

(٣) ط : « الدؤلى » .

وقوله : «فإلاّ يكنها» الخ الفاء للتفريع والتفسير ، وإن شرطية ، ولا نافية وتكُنْه معطوف على تكنْها فهو منفىٌّ أيضاً ، وجملة فإنه أخوها جوابُ الشرط. وجملة غذْته أُمه إلخ لامحل لها من الإعراب ، لأنّها مفسِّرة للأُخوّة ، كقوله تعالى : ﴿ إنَّ مَثَلَ عيسى عندَ اللهِ كمثل آدمَ خَلَقه مِنْ تُراب [1] ﴾ . وقال العينى : هى خبرٌ بعد خبر ، ويجوز أن تكون حالا من الهاء فى أخوها ، والعامل فيها إنّ . هذا كلامه .

و(اللّبان) بكسر اللام قال الأعلم : هو للآدميّين ، واللبنُ لغيرهم ، وقد يكون جمعَ لبن فى هذا الموضع . اهـ

قال ابن السكّيتِ : يقال هو أخوه بِلبان أمه ولايقال بلبن أمه ، إنما اللبن الذى يشرَب . قال الكميتُ يمدح مَخْلد بنَ يزيد :

تَرى النَّدى ومَخْلداً حليفينْ كانا معاً فى مهدِه رضيعينْ [2]

* تنازعا فيه لِبانَ الثَّديينْ *

وقال الحريرى (فى درّة الغواص) [3]: اللِّبان : مصدر لابنه . قال ابن برى (فى حاشيته عليه) : اللِّبان مصدر لابنَه ، أى شاركه فى اللبن ، ليس بإجماع بل الأكثر على جواز غير ذلك . قال بعضهم : اللبان بمعنى اللبن ، إلّا أنه مخصوصٌ بالآدمى ،وأمّا اللبنُ فعامٌّ فى الآدمى وغيره . وقال آخرون : اللِّبان جمع لَبَن .فممَّا جاء فيه اللِّبان للمشاركة فى اللبن قولهم :هو أخوه بلِبان أمِّه . كذا فسَّره يعقوبُ ،أى هو أخوه لمشاركته فى الرِّضاع.وعليه قول الكميت

---

(١) آل عمران ٥٩ .

(٢) لم يرد هذا الرجز فى ديوان الكميت جمع داود سلوم .

(٣) درة الغواص ص ٩٩ .

المذكور . وقال أبو سهل الهرويّ : لِبان هنا جمع لَبَن ، وعلى قول غيره هو لغةٌ فى اللبن . وكذلك بيت أبى الأسود الدؤلى . انتهى كلامه .

وترجمة أبى الأسود قد تقدمت فى الشاهد الأربعين [1].

* * *

وأنشده بعده ، وهو الشاهد الرابع والتسعون بعد الثلثمائة [2] :

٣٩٤ (لولاكَ فى ذا العامِ لم أَحجُجِ)

على أنه يجوز ورود الضمير المشترك بين النصب والجر على قلّة بعد لولا . و «لولا» حرف جر عند سيبويه كما ذكره الشارح ، ويأتى نص كلامه فى البيت الذى بعد هذا .

وأنشده الزمخشرى فى سورة صٓ ، مستشهداً به على أنَّ لاتَ تجرُّ الأحيان كما أنَّ لولا تجر الضمائر .

وهو عجزٌ ، وصدره :

* أومَتْ بعينيها من الهودج *

وبعده :

(أنتَ إلى مكَّةَ أخرجتَنى ولو تركتَ الحجَّ لم أَخْرُجِ)

وروى :

* حُبًّا ولولا أنت لم أخرُجِ *

وهما من شعر عمر بن أبى ربيعة.و(أومَتْ):أشارت.والكاف فى

---

(١) الخزانة ١ : ٢٨١ .

(٢) أمالى ابن الشجرى ١ : ١٨١ والإنصاف ٦٩٣ وابن يعيش ٣ : ١١٨ ، ١٢٠ والعينى ٣ : ٢٦٤ والهمع ٢ : ٣٣ وملحقات ديوان عمر بن أبى ربيعة ٤٧٩ .

(لولاكَ) مفتوحة ، كما أن التاء من أنتَ كذلك . خاطبتُه حبيبته ومنَّت عليه بتحمُّل المشاقّ لأجله .

صاحب الشاهد

وزعم الخطيبُ التِّبريزى (فى شرح ديوان أبى تمام) أنَّ البيت الشاهدَ للعَرْجى المذكور آنفا . ولم يوجد فى ديوانه ، والذى رواه العلماء أنه لعمر بن أبى ربيعة ، وهو موجودٌ فى شعره . وسببُ توهُّمه : أنَّ للعرجىَّ أبياتاً على هذا النمط رواها الزجَّاجىُّ (فى أماليه الوسطى[1]) بسنده إلى إسحاق بن سعد بن عمرو بن سعيد بنِ العاص، قال : كان العرجىُّ ،وهو عبد الله بن عمر بن عَمرو بن عثمان بن عفان ، يشبِّب بامرأةِ محمد بن هشام . وقال غيره : إنه يشبِّب بامرأته الحارثية :

أبيات الشاهد

عُوجـى علينـا ،بَّـةَ الهودج ... إنَّك إن لاتفـعلى تُحْرَجـى

أيسَرُ ماقـــال محبٌّ لدى ... بينِ حبيب قولُه : عرِّجِ [2]

يَقضِى إليكم حاجةً أو يقُلْ ... هل لىَ مما بىَ من مَخرجِ [3]

مِن حَيِّكم بنتمْ ولم ينصرِمْ ... وجدُ فؤادى الهائمِ المنضَجِ [4]

فما استطاعت غير أنْ أومأتْ ... بطرف عينَىْ شادنٍ أدعجِ [5]

تذُود بالبرد لها عَبرةً ... جاءت بها العينُ ولم تنشِجِ [6]

---

(١) انظر ملحقات أمالى الزجاجى بتحقيق كاتبه ص ٢٣٠ وديوان العرجى ١٧ والأغانى ١ : ١٥٦ .

(٢) فى النسختين : «عرجى» ، الوجه ماأثبت من الديوان والأغانى .

(٣) الديوان : « تقض اليه حاجة » وفى الأغانى : «نقض إليكم حاجة أو نقل » .

(٤) الديوان . «وجد فؤاد الهائم » .

(٥) الديوان : « نحوى بعينى شادن » .

(٦) أصل الديوان : لاتجود بالبرد » و «جادت بها العين » .

مخافةَ الواشين أن يَفطِنوا بشأنها والكاشحِ المزعِجِ [١]

أقولُ لماَّ فاتنى منهمُ ماكنت مِن وصلهِمُ أرتجى

أنَّى أُتيحتْ لى يمانيةٌ إحدى بنى الحارث من مَذحِجِ

نمكث حولا كاملا كلَّه لانلتقى إلاَّ على مَنْهَجِ

فى الحجِّ إن حَجَّت وماذا مِنىً وأهلُه إنْ هىَ لم تَحْجُجِ)

فقال عطاء [٢] : الكثير الطيب ياخبيث .

وروى أيضاً صاحب الأغانى بسندِه أنَّ مما قال العَرْجى فى الجيداءِ أمِّ محمد بن هشام المخزومى ، وهى من بنى الحارث بن كعب :

* عُوجِى علينا ربَّةَ الهودجِ *

الأبيات الأربعة :

فلما سمع البيت الأخير عطاءُ بن أبى رَبَاح قال : الخير والله كله فى مِنًى وأهلِه ، حجَّت أم لم تحجج .

ولقى ابنُ سُرَيج عطاءً فى مِنًى وهو راكب على بغلته فقال له : سألتك بالله إلاّ ماوقفت حتى أُسمعَكَ شيئاً . قال : ويحكَ دعنى . فقال : امرأتى طالقٌ إن لم تقف ، مختاراً للوقوف ، لأمسكنَّ بلجام بغلتك ثم لا أفارقها ولو قطعتْ يدى ، حتَّى أغنِّيَك وأرفعَ صوتِي . فقال : هاتِ وعجِّل . فغنَّاه :

فى الحجِّ إن حجَّت وماذا منًى ... البيت

٤٣٠

(١) الديوان : «لشأنها» .

(٢) هو عطاء بن أبى رباح ، كما سيأتى .

فقال : الخير والله كلُّه فى مِنىً وأهله ، لاسيما وقد غيَّبها الله عن مشاعره ، خلِّ سبيل البغلة.اهـ [١]

وقوله : «نلبث [٢] حولا كاملا كلَّه» البيت ، هو من شواهد الكوفيين استدلُّوا به على جواز توكيد النكرة المحدودة . وقد نقله عنهم ابن هشام (فى مغنى اللبيب) ، ولأجله أوردت هذه الأبيات .

وترجمة عمر بن أبى ربيعة تقدَّمت فى الشاهد السابع والثمانين [٣].

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والتسعون بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد س [٤] :

٣٩٥ (وكم موطنٍ لولاىَ طِحْتَ كما هَوَى

بأجرامِهِ من قلةِ النِّيقِ مُنْهوى)

لما تقدَّم قبله .قال سيبويه فى باب مايكون مضمراً فيه الاسم متحوِّلا عن حاله إذا أُظهر [٥]بعده :وذلك لولاك ولولاى ،إذا أُضمِرَ فيه الاسم جُرَّ ، وإذا أظهر رفع .ولو جاءت علامة الإضمار على القياس لقلت لولا أنت ،كما قال الله تعالى : ﴿لولا أنتمْ لكُنَّـا مؤمنين [٦] ﴾ ، ولكنهم جعلوه مجروراً .

---

(١) رمز الانتهاء هذا من ش فقط .

(٢) كتب مصحح المطبوعة الأولى : « قوله نلبث ، لعله رواية ، والا فالذى تقدم نمكث » .

(٣) الخزانة ٢ : ٣٢ .

(٤) فى كتابه ١ : ٣٨٨ . وانظر المقتضب ٣ : ٧٣ والخصائص ٢ : ٢٥٩ والمنصف ١ : ٧٢ وأمالى القالى ١ : ٦٨ والإنصاف ٦٩١ وابن يعيش ٣ : ١١٨ / ٩ : ٢٣ والمقرب ٤١ والعينى ٣ : ٢٦٢ والهمع ٢ : ٣٣ والأشمونى ٢ : ٢٠٦ / ٤ : ٥٠ ويس على التصريح ١ : ٣١٠ .

(٥) ط : «ظهر» صوابه فى ش . وفى سيبويه : « إذا أظهر بعده الاسم » .

(٦) الآية ٣١ من سورة سبأ .

والدليل على ذلك أنّ الياء والكاف لاتكونان علامة مضمر مرفوع ، قال يزيد بن الحكم :

وكم موطن لولاى طِحتَ ... . البيت

وهذا قولُ الخليل ويونس . وأمَّا قولهم : عساك ، فالكاف منصوبة . قال الراجز :

* ياأبتا عَلَّكَ أو عَسَاكا *

والدليل على أنها منصوبةٌ إنك إذا عنيتَ نفسَك كان علامتك «نيِ» ، قال عمران بن حِطَّان :

ولى نفسٌ أقول لها إذا ما تُنازعنى لعلِّى أو عسانى [1]

فلو كانت الكاف مجرورةً لقال:عساىَ ، ولكنهم جعلوها بمنزلة لعلَّ فى هذا الموضع . فهذان الحرفان لهما فى الإضمار هذا الحالُ ، كما كان للدُنْ حال مع غدوة ليست مع غيرها ، وكما أنَّ لات إذا لم تُعملها فى الأحيان لم تعملها فيما سواها ، فهى معها بمنزلة ليس ، فإذا جاوزَتها فليس لها عمل [2].

ورأىُ أبى الحسن أنَّ الكاف فى لولاك فى موضع رفع على غير قياس ، كما قالوا: ماأنا كانت ولاأنت كأنا ، وهذان [3]علم الرفع،كذلك عسانى. ولايستقيم أن تقول :وافق الجرَّ فى لولاى كما وافقه النصب ،إذْ قلت مَعَكَ وضَرَبَكَ ؛ لأنك إذا أضفت إلى نفسك فالجرُّ مفارقٌ للنَّصبِ فى هذه الأشياء . ولاتقل وافق الرفعُ النَّصبَ فى عسانى كما وافق النصب الجرَّ فى

---

(١) هو الشاهد ٣٩٧ فيما سيأتى .

(٢) التعليقة التالية لأبى الحسن الأخفش ليست فى جميع نسخ سيبويه . وانظر سيبويه ٢ : ٣٧٥ من تحقيق كاتبه .

(٣) ط : « وهذا ان » ، صوابه فى ش .

ضَرَبَكَ ومعَك ، لأَنهما إذا أضفْتَ [١] إلى نفسك اختلفا .وزعم ناسٌ أن موضع الياء فى لولاى ، ونى فى عسانى ، فى موضع رفع ، جعلوا لولاى موافقة للجر،ونى موافقة للنصب ، كما اتفق النصب والجر فى الهاء والكاف . وهذا وجهٌ ردىء لما ذكرت ، ولأنَّك لاينبغى أن تكسِر البابَ وهو مطردٌ وأنت تجد له نظائر . وقد يوجَّه الشىء على الشىء البعيد إذا لم يُوجَد له غيره . وربَّما وقع ذلك فى كلامهم ، وقد بُيِّن بعضُ ذلك وستراه فيما يستقبل إن شاء الله . هذا نصُّ سيبويه برُمَّتِه .

قال الأعلم : الشاهد فى هذا البيت إتيان ضمير الخفض بعد لولا التى يليها المبتدأ ، ولمَّا كان مبتدؤها محذوف الخبر أشبه المجرور لانفراده ، والمضمر لايتبين فيه الإعراب ، فوقع مجروره موقع مرفوعِهِ ، والأكثر لولا أنت كالظاهر . وردّ هذا المبردُ وسفَّه قائله تحامُلاً منه وتعسُّفا.اه ٤٣١

وقد رأيت كلام المبرد (فى الكامل) فإنَّه بعد أن نقل كلام سيبويه قال : والذى أقول أنَّ هذا خطأ ، ولايصلح أن تقول إلا لولا أنت ، قال تعالى : ﴿ لولا أنتُمْ لكُنَّا مؤمنين [٢] ﴾ .ومَن خالفنا يزعم أنَّ الذى قلنا أجود ويَدَّعى الوجه الآخر ويُجيزه على بعد . اهـ

وقد فصَّل ابن الشجرى (فى أماليه) الأقوالَ فقال فى وقوع المضمر بعد لولا التى يرتفع الاسمُ بعدها بالابتداء:وللنحويين فى ذلك ثلاثة مذاهب:

فذهب سيبويه أنه يرى إيقاع المنفصل المرفوع بعدها هو الوجه،كقولك : لولا أنت فعلت كذا . ولايمتنع من إجازة استعمال المتصل بعدها كقولك :

---

(١) ط : «إذا أضفتهما» ، وأثبت مافى ش . والذى فى سيبويه : «لأنهما مختلفان إذا أضفت إلى نفسك» .

(٢) الآية ٣١ من سورة سبأ .

لولاى ولولاك ولولاه ، ويحكم بأنَّ المتَّصل بعدها مجرورٌ بها فيجعل لها مع المضمر حكما يخالف حكمها مع المظْهَر .

ومذهب الأخفش أنَّ الضمير المتصل بعدها مستعارٌ للرَّفع ، فيحكم بأنَّ موضعه رفع بالابتداء وإن كان بلفظ المضمر المنصوب أو المجرور . فيَجعل حكمها مع الضمير موافقا حكمها مع المظهر .

ومذهب المبرد أنه لايجوز أنْ يليَها من المضمرات إلا المنفصل المرفوع . واحتجَّ بأنه لم يأت فى القرآن غير ذلك . ودفع الاحتجاج بهذا البيت وقال : إنَّ فى هذه القصيدة شذوذاً فى مواضع ، وخروجاً عن القياس،فلا معرَّجَ على هذا البيت .

وأقول :إنَّ الحرف الشاذَّ أو الحرفين أو الثلاثة ، إذا وقع ذلك فى قصيدة من الشعر القديم لم يكن قادحاً فى قائلها ، ولا دافعاً للاحتجاج بشعره . وقد جاء فى شعرٍ لأعرابىّ :

* لولاكَ فى ذا العامِ لم أحجُجِ *

وللمحتجِّ لسيبويه أن يقول : إنَّه لما رأى الضمير فى لولاى ونحوه خارجاً عن حيزِّ ضمائر الرفع ، وليسَت لولا من الحروف المضارِعة للفعل فتعملَ النصب كحروف النداء ، ألحقَها بحروف الجَرّ . وحجة الأخفش أن العرب قد استعارت ضمير الرفع المنفصل فى قولهم : لقيتك أنت ، وكذلك استعارُوه للجرِّ [١] فى قولهم : مررت بك أنت ، أكّدوا المنصوب والمجرور بالمرفوع . وأشذُّ منه إيقاعُهم إياه بعد حرف الجر فى قولهم : أنا كانت وأنت كأنا.فكما استعاروا المرفوع للنصب والجرّ كذلك استعاروا المنصوب للرفع فى قولهم : لولاى ولولاك ولولاه . اهـ

وقد نسب ابن الأنبارى (فى مسائل الخلاف) مذهبَ الأخفش إلى

(١) جعلها الشنقيطى فى نسخته : «للنصب» ، وليس بشىء .

الكوفيين ، وذكر حجج الفريقين ،وصحَّحَ مذهب الكوفيين ،وردّ كلام سيبويه بأنّ قوله إن الياء والكاف لايكونان علامة مرفوع غير مسلَّم ؛ فإنَّه يجوز أن يستعار للمرفوع علامة المخفوض. كما يستعار له علامة المنصوب فى نحو : عساك.

ثم قال : والذى يدلُّ على أن لولا ليس بحرف خفض أنّه لو كان كذلك لوجب أن يتعلَّق بفعل أو معنًى ، وليس هنا ذلك . وقول البصريين إنَّه قد يكون الحرف فى موضع مبتدأ لايتعلَّق بشىء ، قلنا : الأصل فى حروف الخفض أن يجوز الابتداء بها ، وأن تقع فى موضع مُفيدٍ [1]، وإنما جاءَ ذلك نادراً ، فى قولهم : بحسبك زيد وما جاءنى من أحد ، لأنَّ الحرف فى نية الاطِّراح ، إذ لا فائدة له ، بخلاف لولا فإنَّه حرفٌ جاء لمعنى وليس بزائد . ألاَ ترى أنَّك لو حذفتها لبطل ذلك المعنى الذى دخلت من أجله ؛ بخلاف الباء ومِنْ . فبانَ الفرقُ بينهما . انتهى كلامه . ٤٣٢

وما نسبه ابن الأنباريّ للكوفيين نسبَه النحَّاس (فى شرح أبيات سيبويه) للفراء قال : مذهب سيبويه عند المبرد خطأ ، لأنَّ المضمر يَعقُب المظهر فلا يجوز أن تقول المظهرَ مرفوعاً والمضمر مجروراً . وأبو العباس المبرِّد لايجيز لولاك ولولاه ، وإنما يقول لولا أنت . قال أبو العبَّاس : وحُدِّثتُ أن أبا عَمرو اجتهدَ فى طلب مثل لولاك ولولاى بيتاً يصدِّقه ، أو كلاما مأثورا عن العرب ، فلم يجدْه . قال أبو العباس : وهو مدفوعٌ لم يأت عن ثقة . ويزيد بن الحكم ليس بالفصيح . وكذلك عندَه قولُ الآخر :

*لولاكَ هذا العامَ لم أحجج *

قال:إذا نظرت إلى القصيدة رأيت الخطأ فيها فاشياً [2].وقول سعيدٍ

---

(١) فى النسختين : «مقيد» بالقاف ، والتصحيح للشنقيطى فى نسخته بقلمه .

(٢) ط : «فاحشا» ، وأثبت مافى ش .

الأخفش [١] فى لولاك : وافق ضمير الخفض فى لولاى ؛ ليس هذا القول بشىء، ولايجوز هذا . وقال الفرّاء : لولاى ولولاك المضمرُ فى موضع رفع ، كما تقول : لولا أنّك ولولا أنت . قال : فإنما دعاهم أن يقولوا هذا لأنّهم يجدون المكنىَّ يستوى لفظُه فى الخفض والنصب والرفع ، فيقال ضَرَبَنا ، ومرَّ بنا ، وقُمنا ، فلما كان كذلك استجازوا أن تكون الكاف فى موضع أَنت رفعاً إذْ [٢] كان إعراب المكنىِّ بالدَّلالات لا بالحركات . قال أبو الحسن بن كيسان : الوجه لولا أنت ، ولايجوز أَن يكون المضمر خلاف المظهر فى الإعراب وهو بدلٌ منه وموضوعٌ موضِعَه ، ولكنَّ المكنىَّ مستغنٍ عن دلالته بالحرف الذى يوجَب فيه الرفع ولا يقع منصوب ولا مخفوض ؛ واكتفى بدلالةِ الحرف من دلالة المكنى ، وكان حرفٌ أخصر من حروف . قال : وهذا الذى اخترتُه هو مذهب الفراء .

ثم قال النحاس : وأما أبو إسحاق فجرى على عاداته [٣] فى الاحتجاج عن سيبويه والتصحيح عنه ، فقال : إنَّ خبر المبتدأ الذى بعد لولا لايظهر ، فأشبهتْ لولا حروف الجرِّ لوقوع اسم بعدها ، وكان المضمر لايتبين فيه إعراب ، فجعل موضع المجرور . وهذا احتجاجٌ لطيف لم نر أحداً يُحسنُ مثل هذا. وزاد عليه هذا أنه احتجَّ بقول رؤبة ، وهو ممن لاتُدفَع فصاحته :

* لولاكُمَا قد خرجت نفْساهما *

انتهى ماأورده النحاس مختصراً .

---

(١) هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط تلميذ سيبويه .

(٢) ط : «اذا» ، صوابه فى ش .

(٣) ش : «عادته» ، بالإفراد .

قال ابن الأنباريٌّ : وأما إنكار أبى العباس المبرد جوازَه فلا وجه له ؛ لأنَّه قد جاء كثيراً فى كلامهم وأشعارهم . قال الشاعر :

وأنت امرؤ لولاىَ طِحتَ كما هوى ... البيت

وقال الآخر :

أتُطمعُ فينا من أراقَ دماءنا ولولاك لم يعرِض لأحسابنا حَسَنْ (١)

وقال بعض العرب :

* لولاكَ هذا العامَ لم أحجُجِ *

وأما مجىء الضمير المنفصل بعده فلا خلاف أنه أكثر وأفصح ، وعدم مجىء الضَّمير المتَّصل فى التنزيل لايدلُّ على عدم جوازه .

وقد أنشد المبرد (فى الكامل) فى الموضع الذى نقلنا منه آنفاً بيتاً فى وَقعةٍ للخوارج ، وهو :

ويومٌ بجىٌّ تلافَيْتَهُ ولولاك لاصطُلِمَ العسكرُ (١)

وجَىّ (١) : اسم مدينة .

---

(١) أى ياحسن . يعنى الحسن بن على بن أبى طالب . وفى النسختين : «لم تعرض لأحسابنا عبس» ، صوابه فى الإنصاف وابن يعيش ٣ : ١٢٠ والعينى ٣ : ٢٦٠ . وقبل البيت كما فى العين :

معاوى إنى لم أبايعك فلتة وماازال ماأسررتُ منى كما علن

والأبيات عند العينى ثمانية على روى النون من قصيدة لعمرو بن العاص ، يخاطب بها معاوية بن أبى سفيان .

(٢) ط : « ويوم يجىء » ، صوابه فى ش والكامل ٦٥٠ ومعجم البلدان ، وأوله فيه : « ويوما » بالنصب . وجى ، بالفتح وتشديد الياء : اسم مدينة ناحية أصبهان القديمة . قال ياقوت : « وتسمى الآن عند العجم : شهرستان » . وفى النسختين : « تلاقيته » بالقاف ، وصوابه بالفاء كما فى معجم البلدان ، مع نسبة البيت إلى أعشى همدان .

(٣) ط : « وجىء » ، صوابه فى ش .

وقوله : (وكم موطن) كم [١] هنا لإنشاء التكثير ، وهو مبتدأ خبره محذوف تقديره : لك . والموطن، قال صاحب الصحاح :هو المشهد من مشاهد الحرب . وقد استشهد صاحب الكشاف بهذا البيت عند قوله تعالى : ﴿ لقد نَصَرَكُم اللهُ فى مَوَاطِنَ كَثيرةٍ [٢] ﴾ ، على أنَّ المراد بالمواطن مواقفُ الحروب ، كما فى البيت . ولولا هنا عند سيبويه حرف جرٍّ لايتعلَّق بشىء . وعند غيره الياء مبتدأ ، استعير لفظُ غير المرفوع للمرفوع ، وخبره محذوف تقديره حاضر . وجملة (طِحتَ) فى موضع النَّعت لموطن ، والرابط محذوف تقديره فيه ، وهو قد سدَّ مسدَّ جواب لولا عند من يجعلها على بابها ، وتكون معترضة بين النعت والمنعوت . قال ابن الشجرى : والجملة التى هى « لولاى طحت » مَحَلُّها جر على النعت لموطن ، والعائد محذوف . انتهى .

٤٣٣

وهذا باعتبار مذهب سيبويه .

و(طَاح)يطوح ويطيح أَيضاً بمعنى هلك وسقط،وكذلك إذا تاهَ فى الأرض.

وقوله :(كما هوى) إلخ مفعول مطلق لطحتَ من غير لفظه ، أى طِحْت طَيْحاً [٣] كُهويِّ الساقِطِ؛فما مصدرية،وقيل كافَّةٌ .وهَوَى بالفتح يهوِى بالكسر هُويًّا بضم فكسر فتشديد ، أى سقط إلى أسفل . و(الأجرام) : جمع جرم بالكسر ، وهو الجسَد .قال المبرد (فى الكامل) بعد إنشاده هذا البيت : جِرَم الإنسان : خَلْقُه . والنِّيق : أعلى الجبَل . وهذا مِثْل « شابَتْ مفارِقه »؛ كأنَّه جعل أعضاءه أجراماً توسُّعا .

وقد زلَّ قلمُ ابن الشجريِّ فقال :بأجرامه أى بذنوبه،جمع جُرْم.

---

(١) ط : « وكم » بزيادة واو .

(٢) الآية ٢٥ من التوبة .

(٣) فى النسختين : « طحوا » ، تحريف .

ويروى :«بإجرامِه» مصدر أجرم ، بقال جرم وأجرم ، لغتان ، إذا أذنبَ . وأجرمَ لغة القرآن . انتهى .

ولا يخفى أنَّ جعل الأجرام جمع جُرم بالضم ، وتفسيره بالذَّنب ، لا وجه له هنا .

و(النِّيق) بكسر النون : أرفع الجبل . وقُلَّته : ماستدقَّ من رأسه .

و(مُنهوى) : ساقطٌ ، وهو فاعل هَوَى . ونُقل عن المبرد الطعن فى هذه أيضاً ، قال : انفعل لايجىء مطاوع فَعَل إلا حيث يكون علاجٌ وتأثير . وقال ابن جنى (فى شرح تصريف المازنىّ) . اعلَمْ أنَّ انفعَلَ إنما أصله من الثلاثة ، ثم تلحقها الزيادتان ، نحو قطعته فانقطع ، ولا يكاد يكون فعلٌ منه متعديا حتَّى تمكِن المطاوعةُ والانفعال . وقد جاء فعلٌ منه غير متعدّ ، وهو « وكم موطن لولاى طحت » البيت . فإنَّما هذه مُطاوِعُ هَوَى ، إذا سقط ، وهو غير متعدٍّ كما ترى . وقد جاء فى هذه القصيدة « مُنْغَوِى » قال أبو على : إنما بنى مِن هوى وغوى [1] منفعلاً ، لضرورة الشعر . انتهى .

وقال صاحب الصحاح : هوى وانهوى بمعنى . وقد جمعهما الشاعرُ فى قوله . وأنشد هذا البيت .

صاحب الشاهد

وهو من قصيدةٍ طويلة ليزيدَ بن الحكم ، يعاتب بها ابن عمِّه ، وقيل أخاه . وقد تقدَّمت مشروحة فى الشاهد الثمانين بعد المائة [2] .

---

(١) ط : « إنما بنى منهوى ومنغوى » وهو تصحيف سَمْج ، صوابه من ش مع أثر تصحيح ، ومن سر الصناعة ١ : ٧٣ .

(٢) الخزانة ٣ : ١٣٠ ــ ١٣٩ .

وهذا البيتُ مع شهرته لم يعرفه شارح (شواهد التفسيرين) خَضرٌ الموصليّ ، حتى إنه قال : هو بيت لم يعزهُ أحدٌ إلى قائله .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والتسعون بعد الثلثمائة [1] :

٣٩٦ (لعلَّكَ يوماً أنْ تُلِم مُلِمَّةٌ)

على أنّه قد يجيء خبر لعلَّ مضارعا مقروناً بأنْ ، حملاً لها على عسى.

قال الزمخشرى (فى المفصل) : قد جاء فى الشعر :

(لَعلَّكَ يوماً أن تُلِمَّ مُلِمَّةٌ
عليكَ من اللائى يَدَعْنَك أُجدعا)

قياساً على عسى. ٤٣٤

وقال ابن هشام (فى المغنى) : ويقترن خبر لعلَّ بأنْ كثيراً ، حملاً على عسى . كقوله :

* لعلّك يوماً أن تلم ملمّةٌ *

وبحرف التنفيس قليلاً كقوله :

فقولا لها قَولا رقيقاً لعلَّها ستَرحمنى من زفرةٍ وعَويلِ

انتهى . فلم يخصَّه بالشعر .

وأمَّا كثرة الاقتران بأنْ فهو بالنسبة إلى اقترانه بحرف التنفيس.وأمّا بالنسبة إلى التجرد فهو قليلٌ قطعا.ويؤيِّده أن المبرد قال (فى الكامل)،عند إنشاده هذا البيت:إنَّ التجرد من أنْ هو الجيِّد،والاقتران بها غير جَيِّد. فلم يقيِّده بالشعر .

---

(١) المقتضب ٣ : ٧٤ والكامل ١١١ ، ٢٥١ وابن يعيش ٨ : ٨٦ وشرح شواهد المغنى ٣٢٧ والمفضليات ٢٧٠ .

وقال بعضهم : الخبر فى هذا البيت محذوف، تقديره:لعلَّكَ مُعَذَّ لأن تلمَّ ملمّة ، أو نحوه .

قال الخطيب التبريزى (فى شرح المفضليات) قوله : « لعلك يوما أن تلم » إلخ ، أظنك أنْ ألم بك ملمَّةٌ من الملمَّات التى تتركك ذليلاً مجدوع الأنف والأُذن [١] . وخَبر لعلَّ محذوف مع حرف الجر من أن تلم ، ويكون تقدير الكلام ومعناه : لعلك لأرجوك لأنْ تلمَّ بك ملمَّة . قال سيبويه : لعلَّ طمعٌ وإشفاق . يريد أنه يكون للأمرين جميعاً . فإذا كان هذا المعنى فكأنه يرجو الشر [٢] له ، ويطمع فيه . انتهى .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدة لمتمم بن نُويرة الصحابى ، رثى بها أخاه مالك بن نويرة لما قتله خالد بن الوليد بتهمة [٣] الرِّدَّة . وقد تقدم الكلام على قصَّةِ قتله مع شرح أبياتٍ من هذه القصيدة ، فى الشاهد السادس والثمانين [٤] .

وهذه أبياتٌ قبل البيت المذكور :

أبيات الشاهد

(ألم تأتِ أخبارُ المحلِّ سراتَكم
فيغضبَ منكُم كلُّ من كان مُوجَعا

بمشمتِهِ إذ صادفَ الحتفُ مالكاً
ومَشْهِدِه ماقد رأى ثم ضَيَّعا [٥]

أآثَرْتَ هِدماً بالياً وسَوِيّـةً
وجئتَ بها تعدو بريداً مُقَزَّعا

(١) ط : «والآذان» ، وأثبت الأوفق من ش .
(٢) ط : « يرجو البشر » ، صوابه فى ش .
(٣) ط : «التهمة» .
(٤) الخزانة ٢ : ٢٤ .
(٥) ط : «بمشمتة» ،صوابه فى المفضليات وش مع أثر تصحيح فيها .

فلا تَفرحَنْ يوماً بنفسِك إنني   أرى الموتَ وقَّاعاً على من تشجَّعا

لعلك يوما أن تلمّ ملمة   . . . البيت

نعيتَ امرأً لو كان لحمُك عنده   لآواه مجموعاً له أو ممزَّعا

فلا يَهْنِئ الواشينَ مقتلُ مالك   فقد آبَ شانيه إياباً فودَّعا (١)

وهذا آخر القصيدة :

وقوله : « ألم تأت أخبارُ المُحِلّ» إلخ هو بضم الميم وكسر الحاء المهملة ، هو رجلٌ من بنى ثعلبة ، مرَّ بمالك مقتولا كأنه شامِتٌ ، فذمَّه متمم . وقال ابن الأنبارى : المحلّ بن قدامة مرَّ بمالك فلم يُوارِه . والسَّراة : الأشراف . وروى : « فيغضبَ مِنْهم » و «منها» أى من الأخبار . وقوله : « بمشمتِه » متعلق بموجعا ، وهو مصدر شَمِت به شماتة ومَشمَتاً (٢).

ويروى : « أنْ صادف الحتفَ مالكٌ » . ورفع الحتف أجود من نصبه . ومَشهده معطوف على مشمتِهِ ، والضَّمائر كلها للمُحِلّ .

وقوله : «أآثرت» استفهامٌ توبيخى ، والخطاب للمُحلّ . والهِدْم بالكسر :الثَّوب الخَلَق.والبالى:الفانى.والسَّوِية بفتح المهملة وكسر الواو :كساء محشوٌّ بثُمام أو نحوه ، يُجعَل على ظهر الإبل كالحَلْقة لأجل السَّنام.

---

(١) ط : «فلا يهنأ» ، هنا وفى التفسير فى آخر الكلام ، وصواب الرواية من ش والمفضليات . وهما لغتان ، يقال هنأنى الأمر يهنؤنى ويهنئنى . والأسْيَرُ فى الشعر « يهنئى » ، قال أعشى باهلة :

أصبت فى حرم منا أخا ثقة   هند بن أسماء لايهنئ لك الظفر

وقال الأخطل :

إلى إمام تغادينا فواضله   أظفره الله فليهنئ له الظفر

(٢) ط : « ومشمتة » ، صوابه فى ش .

قال أبو جعفر : أُعْطِىَ المحلُّ سَلبَ مالكٍ ففرح به ، وأقبلَ راجعا . وقَزّع الرجلُ ، بالقاف والزاى المُعجمة ، إذا أسرع فى سيره . وقزَّع القومُ رسولاً إذا أرسلوا [١] . أراد : إنك تسعى بخَبَره مسرعاً كمجىء البريد .

٤٣٥ وقوله : « فلا تفرحَنْ يوما » إلخ هذا دعاءٌ عليه ، أى لافرحْتَ بنفسك. وقوله : «وقَّاعا على من تشجَّعا» أى لايفلتُ من الموت أحدٌ . يقول : آثرت الثِّياب وجئتَ تعدو بشيراً تُرِى الناسَ أنّك قد فزعتَ لمقتله ، وإنما ذاك شماتةٌ منك وسرورٌ به .

وقوله : (لعلَّكَ يوما) إلخ ، الإلمام : النزول . و (الملمّة) : البليَّة النازلة. و(الأجدع) : المقطوع الأنف والأذُن ، ويستعمل فى الذليل ، وهو المراد هنا . يقول : أيها الشامتُ ، لاتكنْ فرحاً بموت أخى ، عسى أن تنزلَ عليك بليَّةٌ من البليَّات اللاتى يتركْنَك ذليلاً خاضعا .

وقوله : « نعيتَ امرأ» إلخ النَّعْى : الإخبار بالموت . والممزَّع : الممزَّق والمفرَّق . يقول : لوْ كنتَ أنت القتيل لآوى لحمَك بدفنه ، سواء كان مجموعا أو ممزَّقا .

وقوله : « فلا يهنِئِ الواشين [٢] » إلخ هذا دعاءٌ عليهم فى صورة النّهى .

* * *

---

(١) فى شرح ابن الأنبارى للمفضليات ٥٤٣ : «أرسلوه» .

(٢) ط : « فلا يهنأ » .وانظر التعليق السابق .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والتسعون بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد سيبويه [١]:

٣٩٧ (ولى نفسٌ أقولُ لها إذا ما
تُنازِعنى لعلِّى أو عسَانى)

على أنَّ سيبويه استدلَّ على كون الضمير ، وهو الياء ، منصوباً بلحوق نون الوقاية فى عسانى . قد تقدَّم نصُّ سيبويه قبل هذا بِيتين .

قال النحاس : قال سيبويه فى قولهم عساك : الكاف منصوبة . واستدلَّ على ذلك بقولهم : عسانى ، ولو كانت الكاف مجرورةً لقال : عساى . قال : ولكنَّهم جعلوها بمنزلة لعلَّ فى هذا الموضع . قال : فهذان الحرفانِ لهما فى الإضمار هذا الحال ، كما كان للدُنْ مع غدوة حالٌ ليست مع غيرها .

قال محمد بن يزيد المبرد : هذا غلطٌ منه ، يعنى جَعْلَه عسى بمنزلة لعلَّ . قال : لأنَّ أفعال الرجاءِ لاتعمل فى المضمر إلاّ كما تعمل فى المظهر . قال : تقديره عندنا أنَّ المفعول مقدّم والفاعل مضمر ، كأنَّه قال : عساك الخيرُ والشرُّ .

أراد المبرد أنَّ عسى ككان ، لأنَّهما فعلان . وذهب أبو إسحاق إلى صحَّة قول سيبويه ، واحتجَّ له بأنَّ عسى ليس بفعلٍ حقيقى ، بل هو شبيهٌ بلعلَّ . ووجدتُ بخطِّى عن أبى إسحاق : يجوز أن يكون الضمير فى موضع نصبٍ بعسى فى عساك والمرفوع محذوف ، أى عسى الأمر إيَّاك . وليس هذا بناقضٍ [٢] لما أخذته عنه ، لأنَّه قال : يجوز . فذاك عنده الأصل . وأجازَ قول المبرد . انتهى .

---

(١) فى كتابه ١ : ٣٨٨ . وانظر المقتضب ٣ ٧٢ والخصائص ٣ : ٢٥ وابن يعيش ٣ : ١٠ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢٢ / ٧ : ١٢٣ والمقرب ١٨ والعينى ٢ : ٢٢٩ .

(٢) ط : «تناقضا» ، صوابه فى ش .

وزعم الأخفش تبعاً ليونس أنَّ عسى باقيةٌ على عملها عملَ كان ، ولكن استُعير ضمير النَّصبِ مكان ضمير الرفع .

قال ابن هشام (فى المغنى) : ويردُّه أمرانِ : أحدهما : أنَّ إنابة ضمير عن ضمير إنَّما ثبت فى المنفصل ، نحو ما أنا كأنت ولا أنت كأنا . والثانى : أنَّ الخبر قد ظهر مرفوعاً فى قوله (١):

فقلتُ عساها نارُ كاسٍ وعلَّها تَشكَّى فآتِي نحوَها فأعودُها

انتهى .

صاحب الشاهد

وهذا البيت لعِمرانَ بنِ حِطّانَ الخارجّى . وقبله :

(ومَن يقصِدْ لأهلِ الحقِّ منهمْ فإنِّى أتَّقيه كما اتَّقانى
علىّ بذاك أنْ أحميِه حَقاً وأرعاه بذاك كما رعانى

يقال : قصدته وقصدت إليه . وضمير منهم للخوارج . ومن للبيان .

٤٣٦

جعل الخوارجَ بزعمه أهلَ حقٍ . أى من قصد لأهل الحقِّ من الخوارج بمكروهٍ فإنّى أُدافِعه وأُحاربه ، واتقّيه كما يتقينى .

وقوله : (ولى نفسٌ تُنازعنى) إلخ يقول : إذا نازعتنى نفسِى فى حملها على ماهو أُصلحُ لها أقول: لها طاوِعينى لعلِّى أجد المرادَ والظَّفَرَ ، أو قلت لها: لعلِّى أفعل هذا الذى تدعونى إليه . فإذا قلت لها هذا القول طاوعَتْنى .

عمران بن حطان

وعمران بن حِطّان ، هو على مافى الجمهرة : عمران بن حِطّان بن ظَبْيان بن شَعْل بن معاوية بن الحارث بن سَدوس بن شَيْبان بن ذُهل بن ثعلبة ابن عُكَابَةَ بن صَعب بن علىّ بن بكر بن وائل السَّدوسى ، البصرىّ ، التابعى المشهور ،أحد رءوس الخوارج من القعَدية بفتحتين ، وهم الذين يرون الخُروج ويحسِّنونه لغيرهم ، ولا يباشرون بأنفسهم القتالَ . وقيل القعدية لا يَرون الحربَ وإنْ كانوا يُزيِّنونه (٢) .

---

(١) هو صخر بن الجعد الخُضْرى ، كما فى معجم الشواهد .

(٢) الحرب مؤنثة ، وحكى ابن الأعرابى فيها التذكير ، كما هنا .

وفى الأغانى : إنَّما صار ابنُ حِطَّانَ من القَعَدة لأنَّ عمره طال وكِبر وعَجَز عن الحرب وحُضورها ، فاقتصر على الدعوة والتحريض بلسانه . وكان أوّلاً مشمِّراً لطلب العلم والحديث ، ثم بُلِىَ بذلك المذهب . وقد أدرك صَدراً من الصحابة ، وروَى عنه أصحابُ الحديث .

قال ابن حجر (فى الإصابة) : وقد أخرج له البخاريُّ وأبو داود ، واعتذر عنه بأنَّه إنَّما خرَّج عنه ماحدَّث به قبل أن يبتدع . واعتذر أبو داود عن التخريج بأنَّ الخوارج أصحُّ أهل الأهواء حديثا عن قتَادة . وكان عِمرانُ لايُتَّهم فى الحديث . وكان سبب ابتلائه أنَّه تزوَّج امرأةً منهم فكلَّموهُ فيها ؛ فقال : سأردُّها عن مذهبها . فأضلَّته .

وفى الإصابة أنّها كانت بنتَ عمِّه ، بلغه أنَّها دخلت فى رأى الخوارج ،فأراد أن يردَّها عن ذلك فصرفته إلى مذهبها . وذكر المدائنى أنَّها كانت ذاتَ جمال ، وكان دميما قبيحا ، فقالت له مرّةً : أنا وأنت فى الجنَّة . قال : من أين علمتِ ذلك ؟ قالت : لأنَّك أعطِيتَ مثلى فشكرتَ ، وابتُليتُ بمثلكَ فصبرت .والشاكر والصابر فى الجنة . ومن شعره فى مدح عبد الرحمن ابنِ مُلجَم المرادىّ قبحَهما الله تعالى ، قاتِلِ أمير المؤمنينَ وقائِد الغرِّ المحجَّلين ، زوجِ البتول وصهرِ الرسول رضى الله عنه :

لله دَرُّ المرادىِّ الذى سفكت ... كفَّاهُ مُهجةَ شرِّ الخلق إنسانا

أمسَى عشيّة غشَّاه بضربته ... مُعطًى مُناهُ من الآثام عُريانا

يا ضربةً من تقيٍّ ما أراد بها ... إلاَّ ليبلغَ من ذى العرش رِضوانا

إنِّى لَأذكرُه حيناً فأحْسبه ... أوفَى البرية عند الله ميزانا

قال أبو محمد بن حزم : إنَّ ابنَ ملجَمٍ عند الخوارج النُّصيرية [١] أفضلُ أهلِ الأرض ، لأنّه خلَّص روح اللّاهوت من ظلمة الجسد وكدره . وعند الشِّيعة أنّه أشقى الخلق فى الآخرة . انتهى .

وقد أجابه من القدماء بكرُ بن حمَّاد التَّاهَرْتى من أهل القَيروان ، وأجابه عنها السيِّد الحميرىّ الشيعى ، وهى :

قُلْ لابن مُلجَمَ والأقدارُ غالبةٌ هَدمتَ ويلَك للإسلام أركانا
قتلتَ أفضَلَ من يمشى على قدمٍ وأوَّلَ النـاسِ إسلامـاً وإيمانـا
وأعلمَ النَّاسِ بالإيمان ثَمَّ بما سَنّ الرسول لنا شَرعاً وتِبيانا
٤٣٧ صِهرَ الرَّسول ومـولاه ونـاصِرَهُ أضحت مَناقبـه نوراً وبُرهانـا
وكان منه على رَغْم الحَسودِ له مكانَ هارون من موسى بن عِمرانا
وكان فى الحرب سيفاً ماضياً ذَكرا ليثاً إذا لَقِىَ الأقرانُ أقرانـا
ذكرتُ قاتِلَه والدمعُ منحـدرٌ فقلت:سبحانَ ربِّ العرش سبحانا
إنّى لأحسَبِهُ ماكان من بشرٍ يَخشى المعاد ولكنْ كان شيطانا
أشقَى مرادٍ إذا عُدَّت قبائلها وأخسرُ النَّاس عند الله مِيزانا
كعاقر الناقة الأولى التى جَلبتْ على ثمودٍ بأرض الحِجْر خُسرانا
قد كان يُخبرهم أنْ سوف يَخضِبِها قبلَ المنيـة أزمانـاً وأزمانـا [٢]

---

(١) ط : «النصريّة» صوابه فى ش . وفى الملل والنحل ٢ : ٢٤ أن النصيرية والإسحاقية من غلاة الشيعة . وذكر السمعانى فى الأنساب ٥٦٢ أن النصيرية من غلاة الشيعة ، ينتسبون إلى رجل اسمه «نصير» . كان فى زمن على عليه السلام ، وكان مع جماعته يزعم أن علياً هو الله . وذكر له قصة طويلة .

(٢) فى طبقات الشافعية : « أزمانا فأزمانا » . ويروى : « قبل المنية أشقاها وقد كانا » .

فلا عَفا الله عنه ماتحمَّله ولاسقى قَبر عِمرانَ بنِ حِطّانا
لقولِه فى شقيٍّ ظلَّ مجترِماً ونال مانالَه ظلما وعُدوانا
«ياضربةً مِنْ تقىٍّ ماأراد بها إلاَّ ليبلغَ من ذى العَرش رِضوانا»
بل ضربَةٌ من غَوىّ أوردتْه لَظَى فسوفَ يلقى بها الرَّحمنَ غضبانا
كأنه لم يُرِدْ قصداً بضربته إلاَّ ليَصْلَى عذابَ الخُلْد نيرانا

قال ابن السبكى (فى طبقات الشافعية [1]) : لقد أحسن وأجاد بكر بن حَمَّادٍ فى معارضته ، فرضى الله عنه وأرضاه ، وأخزى الله عمران بن حطان وقَبَحه ولعنه ، ماأجرأه على الله !

قال : وقال القاضى أبو الطَّيِّب الطبرىُّ :

إنِّى لأبرَأ مما أنتَ ذاكِرُه عن ابن مُلجَمٍ الملعونِ بُهتانا
إنِّى لأذكره يوماً فألعنُه دِيناً وألعنُ عمرانَ بنَ حِطَّانا
عليكَ ثُمَّ عليه من جماعتنا لَعَائنٌ كثُرتْ سِرًّا وإعلانا
فأنتما من كلابِ النار جاء به نصٌّ الشريعة إعلاناً وتِبيانا

وقد أجاب أيضا الإمام طاهر بن محمد الأَسفرائنى (فى كتاب الملل والنحل ، المسمَّى بالتبصير فى الدين) :

كذبتَ وآيمُ الذى حجَّ الحجيجُ له وقد رَكِبتَ ضلالاً منكَ بهتانا
لَتَلقيَنَّ بها ناراً مؤجَّجة يومَ القيامة لا زُلفَى ورِضوانا

---

(١) طبقات الشافعية ١ :٢٨٧ ـــ ٢٩٠ تحقيق الطناحى والحلو .

تبَّت يداه لقد خابت وقد خَسِرتْ وصار أبخَس من فى الحشْر مِيزانا
هذا جوابِىَ فى ذا النذْلِ مُرتَجِلاً أَرجو بذاك من الرَّحمن غفرانا

ونقل الإمام الباقلاّنىُّ أنَّ السيِّد الحميرىّ نقضها عليه بقوله [1] :

لادرَّ درُّ المرادىِّ الذى سفكَتْ
كَفَّاهُ مهجةَ خيرِ الخلق إنساناً
أصبحَ مما تعاطاه بضربته
مماًّ عليه ذَوُو الإسلام عُريانا[2]
أبكَى السماءَ لبابٍ كان يعمُره
منها وحنَّت عليه الأرضُ تَحنانا
طوراً أقول : ابنُ مَلعونَين مُلتقَطٌ
من نَسل إبليسَ ،لابل كان شَيطانا[3]
ويْلُمِّهِ أيَّماذا أُمُّه ولَدَتْ
لا إن كما قال عمران بن حِطَّانا[4]
عبْد تحمَّلَ إثماً لو تحمَّله
ثَهلانُ طرفةَ عين هَدَّ ثهلانا

انتهى ماأورده ابن السبكى .

ونقل الذهبىُّ (فى تاريخ الإسلام) أنَّ شعر عمران بن حِطّانَ المذكور لمَّا بلغ عبد الملك بن مروان أدركتْه الحميّةُ ونذر دمه[5] ، ووضع عليه العيونَ،

٤٣٨

---

(١) القصيدة فى ديوان السيد الحميرى ٤٢١ — ٤٢٦ . ونص الباقلَّانى التالى فى كتابه « مناقب الأئمة » كما فى طبقات الشافعية ١ : ٢٩٠ .

(٢) ط : « عما تعاطاه » ، صوابه فى ش وطبقات الشافعية .

(٣) فى الديوان : « بل قد كان شيطانا » .

(٤) فى الديوان والطبقات : «أيماذا لعنة ولدت » .

(٥) ط:«وهدر دمه»، صوابه فى ش وتاريخ الإسلام١:٢٨٥ .

واجتهد الحجاج فى أخذه . وقيل : لما اشتهر بمذهبه أراده الحجاج ليقتله ، فهرب فلم يزل ينتقل من حىّ إلى حىّ إلى أن ماتَ فى تَوَارِيه ، فى سنة أربع وثمانين .

قال المبرد : (فى الكامل) : وكان من حديث عِمرانَ بنِ حِطّان ، فيما حدثنى العباس بن الفرج الرِّياشى ، عن محمد بن سلَّام ، أنه لما أطْرَده الحجاج كان ينتقِل فى القبائل ، فكان إذا نزل فى حيٍّ انتسب نسباً يقرب منه [(١)] ، ففى ذلك يقول :

نزلنا فى بنى سعد بن زيد ... وفى عَكٍّ وعامرِ عَوبثانِ [(٢)]
وفى لخمٍ وفى أُددَ بنِ عمروٍ ... وفى بكر وحَيٍّ بنى العَدَانِ[(٣)]

ثم خرجَ حتى نزل عندَ [(٤)] رَوح بن زنباع الجذامى ، وكان رَوحٌ يَقرى الأضياف ، وكان مسامراً لعبد الملك بن مَرْوان أثيراً عنده ، فانتمى له من الأزْد [(٥)]. وكان رَوح بن زنباع لايسمع شِعراً نادراً ولا حديثاً غريبا عند عبد الملك فيسأل عنه عمرانَ بن حِطان إلاّ عرفه وزادَ فيه [(٦)]

فذكَر ذلك لعبد الملك فقال: إن لى جاراً من الأزد ماأسمع من أمير المؤمنين خبراً ولا شعراً إلاّ عرفَه وزاد فيه .

فقال:خبِّرْنى ببعض أخباره .فخبَّره وأنشده ،فقال:إنَّ اللغة عدنانية،

---

(١) وكذا فى الكامل ٥٣١ . ش : « بقرب منه » .
(٢) فى النسختين : « عوبثان » ، صوابه من الكامل وجمهرة ابن حزم ٢٥٤ والقاموس (عبث).
(٣) ش : «وفى بنى العدان» ، تحريف .
(٤) ش فقط : «على» ، وأثبت مافى ط والكامل .
(٥) ط فقط : «الى الأزد» .
(٦) الكلام بعده الى « فيه » التالية ساقط من ش .

وإنى لأحسبه عمران بن حِطَّان . حتى تذاكروا ليلةً قولَ عمران بن حطان :

ياضربةً من تقىٍّ ماأراد بها إلاَّ ليبلغَ من ذِى العرش رِضوانا
إنِّى لَأذكرهُ حيناً فأحسبه أوفَى البريَّةِ عند الله مِيزانا

فلم يدر عبدُ الملك لمن هو . فرجع رَوحٌ فسأل عمرانَ بن حطان ، عنه ،فقال عمران :هذا يقوله عمران بن حطان يمدح به عبد الرحمن بن مُلجَم قاتل على بن أبى طالب ، رحمة الله عليه ! فرجع رَوحٌ إلى عبد الملك فأخبره ، فقال عبد الملك : ضيفك عمرانُ بن حطان اذهب [1] فجئنى به . فرجع إليه فقال : إنَّ أمير المؤمنين قد أحبَّ أن يراك . فقال عمران : قد أردتُ أن أسألك هذا فاستحيت منك [2] فامضِ فإنِّى بالأثَر . فرجع إلى عبد الملك فخبَّره [3] فقال له عبد الملك : أمَا إنك سترجع فلا تجده . فرجع فوجد عمران قد احتمل وخلَّف رقعة فيها :

يارَوْحُ كم من أخى مثْوًى نزلتُ به
قد ظنَّ ظنَّك ، من لَخمٍ وغَسّانِ
حتى إذا خِفتُه فارقتُ منزِلَه
من بعدِ ماقيل :عمران بن حِطَّانِ
قد كنت جارَكَ حولاً ماتروِّعنى
فيه روائعُ من إنسٍ ومن جَانِ

---

(١) هذا مافى ش والكامل . وفى ط : « فاذهب » .

(٢) الكامل : «فاستحييت منك» بياءين . وكلمة « فامض » بعده ساقطة من ش .

(٣) الكامل : « فأخبره » .

حتى أردتَ بىَ العُظمى فأدركَنى
ماأدرك الناسَ من خوف ابنِ مروانِ

فاعذِر أخاك ابنَ زنباعٍ فإنَّ له
فى النائبات خُطوباً ذاتَ ألوان

يوماً يمانٍ إذا لاقيتُ ذا يَمنٍ
وإن لقِيتُ معدِّيًّا فعدنانى

لو كنتُ مستغفراً يوماً لطاغيةٍ
كنتَ المقدَّم فى سِرِّى وإعلانى[1] ٤٣٩

لكنْ أبتْ لىَ آياتٌ مطهَّرة
عند الولاية فى طه وعِمرانِ

ثم ارتحل حتى نزل بزفرَ بنِ الحارث الكلابى ، أحد بنى عمرو بن كلاب ، وانتسب له أُوزاعياً . وكان عمرانُ يطيل الصلاة ، وكان غلمانٌ من بني عامر يضحكون منه ، فأتاه رجلٌ يوماً ممن رآهُ عند روح بن زنباع ، فسلَّم عليه فدعاه زفر فقال : من هذا ؟ فقال : من الأزد ، رأيته ضيفاً لروح بن زنباع . فقال له : زفر : ياهذا ، أزديًّا مرَّة وأوزاعيًّا مرَّة ، إن كنت خائفا أمَّنَّاك ،وإن كنت فقيراً جَبَرناك [2] . فلما أمسى خلَّفَ فى منزلِهِ رقعة وهرب ،فيها :

إن التى أصبحتْ يَعيَا بها زفرٌ
أعيت عياءً على رَوح بن زِنباعِ [3]

(١) ط : « لطاعنه » صوابه فى ش والكامل .
(٢) ش : « أجبرناك » ، صوابه فى ط .
(٣) ش فقط : « أصبحت يعنى بها » مع أثر تغيير .

مازال يسألنى حَولاً لأُخبـرَه
والناسُ مابين مخدوع ونَخـدّاع
حتى إذا انقطعت عنىّ وسائله
كَفَّ السُّؤالَ ولم يُولَع بإهلاعِ
فاكفف كما كفَّ عنى إنّنى رجلٌ
إمَّا صميمٌ وإمَّا فَقْعةُ القـاع
واكفف لسانك عن لومى ومَسألتى
ماذا تريد إلى شيخٍ لأوزاعِ
أمَّا الصلاةَ فإنِّى لستُ تاركَها
كلٌّ امرئٍ للذى يُعنى به ساعى
أكرِمْ بروح بن زنباعٍ وأسرتِهِ
قومٌ دعـا أوَّليهمْ للعـلا داعِ
جَاورتُهُمْ سَنَة فيما أُسَرُّ به
عِرضى صحيحٌ ونومى غيرُ تَهجاعِ
فاعمـلْ فإنك منعىٌّ بواحـدة
حسبُ اللبيب بهذا الشَّيب مِن ناعى

ثم ارتحل حتَّى أتى عُمان ، فوجدهم يعظِّمون أمر مرداسٍ أَبى بلالٍ[١] ويظهرونه ، فأظهر أمره فيهم،فبلغ ذلك الحجَّاجَ فكتب إلى عامل عُمَان فيه[٢]فهرب عمران حتى أتى قوماً من الأزد،فلم يزل فيهم حتى مات.وفى نزوله يقول[٣]:

---

(١) فى النسختين : «أمر مرداس بن أبى بلال» ، صوابه من الكامل . وأبو بلال هو مرداس بن أدية الخارجى ، كما سيأتى .

(٢) كلمة «فيه» ليست فى ش ولا فى الكامل . وفى الكامل : « إلى أهل عمان » .

(٣) الكامل : « وفى نزوله بهم يقول » .

نزلنا بحمد الله فى خير منزل
نُسَرّ بما فيه من الأُنس والخَفَرْ
نزلنا بقوم يَجمعُ اللهُ شَملهمْ
وليس لهم أصلٌ سوى المجدِ يُعتصَرْ [١]
من الأزد إنّ الأزد أكرمُ معشرٍ
يمانيةٍ طابُوا إذا نُسِبَ البشرْ
فأصبحتُ فيهم آمناً لا كمعشرٍ
أتَونى فقالوا : مِن رَبيعة أو مضرْ
أم الحىّ قَحطان ،وتلكُمْ سفاهةٌ
كما قال لى رَوحٌ وصاحِبُه زفرْ
ومـا منهمـا إلا يُسَرُّ بنسبـةٍ
تقرِّبنى منه وإنْ كان ذا نفَرْ
فنحنُ بنو الإسلام واللهُ واحدٌ
وأولَى عبادِ الله باللهِ مَنْ شكرْ

وكان عمران رأس القَعَدية من الصُّفرية ،وفقيهَهُم وخطيبهم وشاعرَهم . وقال ، لما قتل أبو بلال ، وهو مرداسُ به أُدَيَّة ،وهى جَدَّته ،وأبوه حُدَيْر [٢]، وهو أحد بنى ربيعةَ بنِ حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم :

لقد زادَ الحياةَ إلىَّ بغضاً وحُبًّا للخـروج أبـو بلال
أحاذرُ أَن أموتَ على فراشى وأرجو الموتَ تحت ذُرَى العَوالى [٣]

---

(١) الكامل : «وليس لهم عود» .
(٢) ط : «حدبر» صوابه فى ش والكامل ٥٣٠ .
(٣) بعده فى الكامل بين هذا البيت وتاليه :
ولو أنى علمت بأن حتفى كحتـف أبى بلال لم أبـال

٤٤٠ فمن يكُ همُّه الدُّنيا فإنِّى   لها واللهِ ربِّ البيتِ قالى

وفيه يقول :

ياعينُ بكِّى لمرداسٍ ومصرعِهِ   ياربَّ مرداسٍ ألحِقْنِى بمرداسِ [١]
تركتَنى هائما أبكى لمرزِئتى   فى منزلٍ موحشٍ من بعد إيناسِ
أنكرتُ بعدكَ ماقد كنت أعرفُه   ماالناسُ بعدك يامِرداسُ بالناسُ
إمَّا شربتَ بكاسٍ دارَ أوَّلُها   على القرون فذاقوا جُرعة الكاسِ
فكُلُّ من لم يذقْها، شاربٌ عجِلاً   منها بأنفاسِ وِرْدٍ بعد أنفاس

هذا ماأورده المبرد (فى الكامل) .

وقال المرزبانى : كان عمرانُ شاعراً مُفْلقا مُكْثِرا . وقال الفرزدق : كان عمرانُ من أشعر الناس ، لأنه لو أراد أن يقول مثلَنا لقال ، ولسنا نقدر أن نقول مثله .

ويروى أنَّ امرأته قالت له يوما : أمَا زعمت أنك لم تكذب فى شعرك قَطُّ ؟ قال : أوقَعَ ذلكِ ؟ قالت : نعم ، ألم تقل :

فهناك مَجزأة بن ثو   رٍ كان أشجعَ من أُسامه

أفيكون رجلٌ أشجعَ من أسد . قالَ : أمَا رأيتِ مجزأة بن ثور فتح مدينةً والأسدُ لايقدر على ذلك .

وروى عن قتادة أنه قال : لقينى عمران بن حِطَّانَ فقال : ياعمِّى ؛ احفظْ عنّى هذه الأبيات :

حتّى متى تُسقَى النفوسُ بكأسِها   ريبَ المنون ، وأنت لاهٍ تَرتعُ
أفقَدْ رضيتَ بأن تُعلَّل بالمُنَى   وإلى المنية كلَّ يومٍ تُدفعُ

(١) فى الكامل : « يارب مرداس اجعلنى كمرداس » .

أحلامُ نوم أمْ كظلٍّ زائل   إنَّ اللبيبَ بمثلها لايُخدَعُ (١)

وفى تاريخ الإسلام للذهبى : أنَّ سفيان الثَّورى كان يتمثل بأبيات عمران بن حِطّان هذه :

أرى أشقياءَ الناس لايسأمونها   على أنهم فيها عُراةٌ وجُوَّعُ
أُراها وإن كانت تُحَبُّ فإنها   سحابة صيف عن قليل تَقَشّعُ
كركبٍ قضَوْا حاجاتِهم وترحَّلوا   طريقُهُم بادى الغيابة مَهيعُ (٢)

ومن شعره السائر :

أيُّها المادح العبادَ ليُعطَى   إنَّ لِلهِ مابأيدى العبادِ
فسَلِ اللهَ ماطلبتَ إليهم   وارجُ فضلَ المهيمن العَوَّادِ

ومن شعره ، وأورده أبو زيد (فى النوادر) ، وقال : إنها قصيدةٌ طويلة :

وليس لعيشنا هذا مَهَاهٌ   وليست دارُنا هاتَا بدارِ (٣)
وإن قلنا لعلَّ بها قراراً   فما فيها لحىّ من قرارِ
لنا إلاّ ليالىَ هيِّناتٍ   وبُلغتنا بأيامٍ قصارِ
أُرانا لانمَلُّ العيشَ فيها   وأُولِعنا بحرص وانتظارِ
ولا تَبقى ولا نَبْقَى عليها   ولافى الأمر نأخذ بالخِيارِ

(١) بعده فى تاريخ الإسلام ١ : ٢٨٥ :

فعزودنٌ ليوم فقرك دائبا   واجمع لنفسك لا لغيرك تجمع

(٢) الغيابة ، كذا وردت فى النسختين . والغيابة الهبطة من الأرض . والذى فى تاريخ الإسلام : «بادى العلامة» .

(٣) ط : «مهاة» ، وأثبت مافى ش مع أثر تغيير ، وانظر اللسان (مهه ٤٣٩) وما سيأتى فى تفسير البغدادى . وفى ملحقات نوادر أبى زيد ٣١٠ من نسخة عاطف أفندى : «قال أبو الحسن : يروى مهاة ومهاه» .

ولكِنّا الغَداةَ بنو سبيلٍ عَلَى شرف يُيسَّرُ لانحدارِ (١)

٤٤١ كركبٍ نازلينَ على طريقٍ حثيثٍ رائحٌ منهمْ وسارى

وغادٍ إثرَهمْ طرَباً إليهِم حثيث السَّير مُؤْتَنَفَ النَّهارِ

والبيت الأول من شواهد سيبويه ، أورده على أن هاتا اسمُ إشارة للمؤنث بمعنى هذه .

والمهاهُ ، بهاءين وفتح الميم : الصفاء والرقَّة . والصُّفْرية ، بضم الصاد وسكون الفاء : جنسٌ من الخوارج ، نسبوا إلى زياد بن الأصفر رئيسِهم . وزعمَ قومٌ أنَّ الذى نُسبوا إليه هو عبد الله بن الصفَّار ، وأنَّ الصِّفرية بكسر الصاد . كذا فى الصحاح . ويقال للخوارج الشُّرَاة بالضم ، والواحد شارٍ ، سُمُّوا بذلك لقولهم : إنّا شَرَينا أنفسنا فى طاعة الله ، أى بِعناها بالجنة ، حين فارقْنا الأئمة الجائرة . يقال منه . تشرَّى الرجُل .

وقد أَطنب المبرِّد (فى أواخر الكامل) فى الكلام على الخوارج وفِرَقهم ووقائعهم . ومن أراد الاطلاع عليه فليرجع إليه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والتسعون بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد س (٢) :

٣٩٨ * ياأَبَتَا عَلَّكَ أوْ عَسَاكا *

---

(١) ط : «ولكن» ، صوابه فى ش .

(٢) فى كتابه ١ : ٣٨٨ / ٢: ٩٩ . وانظر ٣ : ٧١ والخصائص ٢ : ٩٦ والمحتسب ٢ : ٢١٣ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ٧٦ ، ١٠٤ والإنصاف ٢٢٢ وابن يعيش ٢ : ١٢ / ٣ : ١٢٠ / ٧ : ١٣٢ وشرح شواهد المغنى ١٥١ والتصريح ١ : ٢١٣ / ٢ : ١٧٨ والهمع ١ : ١٣٢ والأشمونى ١ : ٢٦٧ / ٣ : ١٥٨ وملحقات ديوان رؤبة ١٨١ .

على أنَّ الكاف [خبرٌ] منصوب المحل ، واسم عسى ضمير مستتر على أحد قولى المبرّد . وقد تقدم نص سيبويه قبل هذا بثلاثة أبيات [(١)] .

وقد أنشد أبو على (فى إيضاح الشعر) هذا البيت والذى قبله عن سيبويه ، ونَقَل عنه أنَّ الكاف منصوبة ، ولو كانت مجرورة لقال عساى . قال أبو علىّ : وجْهُ ذلك أنَّ عسى لما كانت فى المعنى بمنزلة لعلَّ ،ولعلَّ [(٢)] وعسَى طمَع وإشفاق ، فتقاربا ، أجرىَ عسى مجرى لعلَّ إذْ كانت غير متصرِّفة كما أنَّ لعلَّ كذلك ، فوافقَتْها فى العمل حيث أشبَهتْها فى المعنى والامتناعِ من التصرُّف .

فإن قلت : إذا صارت بمنزلتها لهذا الشبه فما المرفوعُ بها ، وهى إذا صارت بمنزلة لعلَّ تقتضى مرفوعاً لا محالة ، لأنه لايكون المنصوب فى هذا النحو بلا مرفوع . قيل : إنَّ ذلك المرفوعَ الذى تقتضيه محذوف ، ولم يمتنع أن تحذفه ، وإن كان الفاعل لايحذف ، لأنَّها إذا أشبهت لعلَّ جاز أن تحذف خبر هذه الحروف ، من حيث كان الكلامُ فى الأصل الابتداء والخبر ، فحذفت كما تحذف أخبار المبتدآت . وكذلك المرفوع الذى يقتضيه عسى حُذِف على هذا الحدّ ، كما حُذف الخبر من لعلَّ فى قوله : « علك أو عساكا » ، وقوله :

* لَعلِّى أو عسانى *

وكما حُذف فى :

* إنّ محلاً وإنّ مرتحَلا [(٣)] *

وكما حذف الخبر فى قوله سبحانه :﴿إنَّ الذين كَفَروا ويصُدُّون عَنْ

---

(١) انظر ماسبق فى ص ٣٣٧ .

(٢) ش : « وقال لعل » بإقحام « وقال » .

(٣) للأعشى فى ديوانه ١٥٥ . وعجزه : * وإنَّ فى السفر مامضى مهلا *

سبيل الله (١) ﴾ ، لا كما يحذف الفاعل . ويقوِّى ذلك أنهم قالوا : « عسَى الغُوَير أبؤساً » ، فجعلوها بمنزلة مايدخل على الابتداء والخبر . ومما يقوِّى حذف ذلك لهذه المشابهة وأنّ حذفه لايمتنع من حيث امتنع حذف الفاعل ، أنَّ ليس لمَّا كانت غير متصرِّفةٍ صارت عينُها بمنزلة ليت فى السكون ، ولم يكن فى يائها الكسر والسكون ، ويكون ذلك المحذوف غائباً ، كأنه عساك الهالك ، أو عساك هو .

فإن قلت : فإن جاء شىءٌ بعد شىء من هذه الأبيات التى تشبه ماذكر من عساك تفعل ، ولعلى أو عسانى أخرج ، فما يكون الفاعل على قوله ؟

قيلَ : أمَّا على ماذهب إليه من أنّه بمنزلة لعل فلا نظر فيه ، ويكون بمنزلة لعلَّك تخرج ، والقول فيه كالقول فيه . وأمَّا على القول الآخر الذى رأيناه غير ممتنع فهو أشكل ، لأنَّ الفاعل لايكون جملة . فإنْ شئت قلت : إنْ الفعل فى موضع رفع بأنّه فاعل ، وكأنه أراد عسانى أن أخرج ، فحذف أن ، وصار [الفعل مع] أن المحذوفة (٢) فى موضع رفع بأنَّه فاعل ، كما كان فى موضع رفع بالابتداء ، فى قولهم : « تسمع بالمَعيدىِّ خيرٌ من أَنْ تراه » ، وكقول أبى دُوَاد : ٤٤٢

* لولا تجاذبه قد هربْ (٣) *

وقد جاء ذلك فى الفاعل نفسه . أنشد أحمد بن يحيى :

وماراعَنــا إلاّ يسيــرُ بشرطـةٍ وعهدى به قيناً يفُشُّ بِكِيرِ (٤)

---

(١) الآية ٢٥ من الحج .

(٢) ش : « وصار أن المحذوفة » فقط . وإكماله من ط .

(٣) وكذا أورد فى ديوانه ٢٩٣ بدون صدر ، لكن برواية : « لولا نجاذبه » بالنون .

(٤) لمعاوية الأسدى . وفى ط : «يغش بكير» ، صوابه فى ش والخصائص ٢ : ٤٣٤ وابن يعيش ٤ : ٢٧ والعينى ٤ : ٤٠٠ واللسان (فرج) .

فكما أنَّ هذا على حذف أنْ ، وتقديره ماراعنا إلاَّ سيره بشُرطة ، كذلك يكون فاعل عسى فى نحو عسى يفعل إنما هو على عسى أن يفعل ، كقوله تعالى : ﴿ عسى أن تكرَهُوا شيئاً [١] ﴾ ، فتحذف أن وهى فى حكم الثبات .

ولو قال قائل إنَّ عسى فى عسانى وعساك قد تضمَّن ضميراً مرفوعاً ، وذلك الضمير هو الفاعل ، والكاف والياء فى موضع نصبٍ على حدِّ النصب فى قوله : «عسى الغُوير أبؤسا» لاعلى حدِّ تشبيهه بلعلَّ ولكنَّ على أصل هذا الباب ، كأنه عدَّاه إلى المضمر على حدِّ ماعدَّاه إلى المظهر الذى هو أبؤس — كان وجهاً . فأمَّا فاعلها فإنّه لايخلو من أحد أمرين : إمَّا أن يكون قد جَرَى له ذكر ، أو لم يجر له ذكر . فإن كان ذكره قد جرى فلا إشكال فى إضماره . وإن لم يجر له ذكر فإنَّما تُضمره لدلالة الحال عليه ، كما ذُكِر من قولهم : إذا كان غداً فأتنا ، فكذلك يكون إضمار الفاعل فى عسى ، وتكون على بابها ولا تكون مشبَّهة بلعلَّ . والأوَّل الذى ذهب إليه كأنَّه إلى النفس أسبق . انتهى كلام أبى على .

وقد استشهد لما ذكره [٢] الشارحُ المحقق جماعةٌ ، منهم الزمخشرى (فى المفصل) ، وابن هشام (فى المغنى) . وفيه شاهدان آخران :

أحدهما ماذكره سيبويه من أنّ فيه تنوين الترنم . قال : وأمَّا ناسٌ كثير من بنى تميم فإنهم يُبدلون مكان المدَّة النونَ فيما ينوَّن ومالا ينوَّن لماَّ لم يريدوا الترنم ، ثم أبدلوا مكان المدة نونا ، ولفظوا بتمام البناء وماهو منه ، كما فعل أهل الحجاز ذلك بحروف المدّ ، سمعناهم يقولون ، للعجاج :

---

(١) البقرة ٢١٦ .

(٢) ش : « بماذكره » .

* ياأبتَا عَلَّكَ أوْ عساكَنْ *

ثانيهما : ماذكره شارح اللباب وغيره ، من أنَّ فى ياأبتا الجمعَ بين عِوَضين ، فإنَّ التاء عوضٌ من ياء المتكلم ، وإنَّما جاز الألف دون ياء المتكلم ، لأنَّ التاء عوض من ياء المتكلم ، فيمتنع الجمع بين العوض والمعوَّض بخلاف الألف ، فإنّ غايته أن يذكر عِوَضانِ ، وهو غير ممتنع ، وليس فيه الجمع بين العوض والمعوَّض، كما زعم العينى وتبعه السيوطى (فى شواهد المغنى).

وقد خَطَّأ أبو محمد الأعرابى الأسود رواية : « ياأبتا » ، وقال : إنَّما الرواية «تأنَّيا» . وهو من التأنِّى كما يجىء بيانه .

وقد ذكر جميع شرّاح الشاهد أنَّ ماقبله :

* تقول بنتى قد أنَى إناكا *

وأنَى : فعلٌ ماض بمعنى قَرُب . والإنَى بكسر الهمزة والقصر : الوقت . قال تعالى : ﴿ غَير ناظِرينَ إناه [1] ﴾ على أحد قوليه . وأنَى إناك : حان حِينك أى حينُ ارتحالك إلى سفر تطلب رزقاً ، فسافرْ لعلك تجدُ رزقاً . أو حان رحيلك إلى من تلتمسُ منه شيئاً تنفقه علينا .

و(علَّك) بمعنى لعلّك ، والخبر محذوف . وزعم العينى وتبعه السيوطى أنَّ أناك بفتح الهمزة . قال : أصله أناءك . والأناء على فَعال : اسمٌ من الفعل المذكور . ٤٤٣

وقد نازع أبو محمد الأعرابى فى كون هذا ماقبله ، وقال : هما من أرجوزتين . وردَّ ردًّا شنيعا على ابن السِّيرافى ، فإنه قال (فى شرح أبيات سيبويه) : قوله : ياأبتا علَّك أو عساكن ، قبله :

---

(١) الآية ٥٣ من الأحزاب .

* تقولُ بنتى قد أنَى إناكا *

وفى شعره :

* فاستعزم اللهَ ودَعْ عساكا *

وقوله : قد أنَى إناكا ، أى ممن تلتمس منه مالاً تنفقه . وقوله : ياأبتا علَّك أو عساكا ، أى لعلك إن سافرتَ أصبت مانحتاج إليه .وقوله : «فاستعزم الله» إلخ ، أى استخِرْهُ فى العزم على الرحيل والنصر ، ودعْ قولك عساىَ لاأفوز بشىءٍ إذا سافرتُ ويحصُل بيدى التَّعب .

قال أبو محمد الأعرابى (فى فُرحة الأديب) : خلط ابن السيرافى ههنا من حيث أنَّ النَّوى أشباه . وصحَّف فى كلمة من البيت أيضاً ، وهو قوله ياأبتا ، وإنما هو :

* تأنِّياً علَّك أو عساكا *

وسيأتيك بيانه . وذلك أنّ قوله :

* فاستعزم اللهَ وَدَعْ عساكا *

من أرجوزةٍ ، وقوله :

* تأنِّياً علَّك أو عساكا *

من أرجوزة أخرى . فالتى فيها فاستعزم الله ، هى قوله يمدح بها الحارث ابن سُلَيمٍ الهُجَيمى ، يقول فيها :

(تقول بنتى قد أنَى إناكا   فاستعـزم اللهَ ودَعْ عَساكا

ويُـدرِك الحاجـةَ مُختطـاكا   قد كاد يَطوى الأرضَ مُرتقاكا

تُخْشَى وتُرجَى ويُرى سَناكا فقلت : إنى عائكٌ مَعَاكا [١]
عَيشاً ولاانتجــــع الأراكا فابلغْ بنى أميةَ الأملاكا [٢]
بالشام والخليفــةَ المِــلاكا وبخراسان فأيــــــن ذاكا
منّـــى ولاقـــدرةَ لى بذاكا أو سِرْ لكَرمانَ تجد أخاكا
إنّ بها الحارثَ إن لاقاكا أجدى بسيْبٍ لم يكن رِكاكا)

والأرجوزة الأخرى يمدح فيها إبراهيم بن عربىّ ، وهى :

(لمّا وضعتُ الكُور والوِراكا عن صَلَبٍ مُلاحَكٍ لِحَاكا
أسرّ من إمسيِّها نِسْعاكا أصفر من هجم الهجير صاكا [٣]
تصفير أيدى العُرُس المَدَاكا تأنّياً عَلَّك أو عساكا [٤]
يسأل إبراهِيــــمَ ماألهاكا من سَنتيْــنِ أتَتَـا دِرَاكا
تلتحيــانِ الطَّلــحَ والأراكا لم تدعا نَعلاً ولا شِراكا [٥])

هذا ماأورده ، والله أعلم بالصواب . والأكثرون على أنّ هذا الرجز لرؤبة ابن العجّاج ، لا للعجّاج . وقد تقدّم ترجمتهما فى أوائل الكتاب [٦] .

* * *

(١) عاك معاشه يعوك عوكا ومعاكا : كسبه وأصلحه . وفى النسختين : « عانك » صوابه من فرحة الأديب مخطوطة الدار .

(٢) فى فرحة الأديب : « غيثا » .

(٣) فى النسختين : «أصغر من هجم الهجير» ، صوابه من فرحة الأديب .

(٤) ط : «تصغير» ، وأثبت مافى ش وفرحة الأديب .

(٥) فى النسختين : « يلتحيان » ، صوابه من فرحة الأديب . والضمير للسنتين فى الشطر السابق .

(٦) الخزانة ١ : ٨٩ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والتسعون بعد الثلثمائة [١] :

٣٩٩ (هَلْ تُبلِغَنِّى دارَها شَدَنيَّةٌ

لُعِنتْ بمحروم الشَّرابِ مُصَرَّمِ)

على أنّ النون الأولى فى تُبلغنِّى نون التوكيد الخفيفة ، والنون الثانية نون الوقاية .

وهذا البيت من معلَّقةِ عنترةَ بن شدّادٍ العَبْسى . وقبله : صاحب الشاهد

(تُمسِى وتصبحُ فوق ظهرِ حَشِيّةٍ وأَبيتُ فوقَ سراةِ أدهمَ مُلجَمِ

وحَشِيَّتى سَرجٌ على عَبْلِ الشَّوَى نَهدٍ مَراكِلُه نبيلِ المحزِمِ ٤٤٤

هل تُبلِغنِّى دارَها شَدَنيَّةٌ .. .. البيت

خَطَّارةٌ غِبَّ السُّرى زَيَّافةٌ تَقِصُ الإكامَ بذاتِ خُفٍّ مِيثَم)

قوله : «تمسى وتصبح» الضمير المؤنث لحبيبته ،وهى عبلة . والحَشِيَّة : الفِراش المحشوُّ . والسَّراة ، بفتح السين : أعلى كلِّ شىء ، وأراد به هنا ظهرَ فرسه . يقول : تمسى وتصبح فوق فراشٍ وطىءٍ ، وأبيت أنا فوق ظهر فرس أدهم مُلجم . يعنى أنها تَتنعَّم وأنا أُقاسى شدائد الأسفار والحروب .

وقوله : « وحشيتى سرجٌ » مبتدأ وخبر . يريد أنَّه مستوطىءٌ بسرج الفرس كما يستوطىءُ غيرُهُ الحشيَّة والاضطجاع عليها . ثم وصف الفرس بأوصاف محمودة ، وهى غلظ القوائم ، وانتفاخُ الجنبين ، وسِمَنُهما . والعَبْل ، بالفتح : الغليظ . والشَّوَى بالفتح : القوائم ، جمع شَواة . أى على فرس غليظ القوائم

---

(١) من معلقة عنترة بن شداد .

والعِظام ، كثير العَصَب . والنهد بفتح النون: الضَّخم المشْرِف . والمَرَاكل : جمع مَرْكل كجعفر ، وهو الموضع الذى يصيب رجلَ الفارس من الجنبين إذا استَوَى على السَّرج . والنبيل : العظيم . والمحزِم : موضع الحِزام .

وقوله : (هل تُبلغنِّى) إلخ استبعدَ الوصولَ إليها لشدة بعدها ، فاستفهمَ عنه . وأبلغه المنزلَ ، إذا أوصله إليه . و(دارَها) أى دار عبلة . و(شدنيَّة): ناقة منسوبة إلى شدَنٍ بفتحتين ، وهو حىٌّ باليمن ، وقيل أرض فيه .

وقوله : (لُعِنت) بالبناء للمفعول ، قال التبريزى فى شرح المعلقة : دعَا عليها [(١)] بانقطاع لبنها ، أى بأن يُحرم ضرعُها اللبنَ فيكون أقوى لها ، وأسمنَ وأصبَرَ على معاناة شدائد الأسفار ، لأنّ كثرة الحملِ والولادِة يُكسبها ضعفا وهُزَالاً . ويجوز أن يكون غير دعاء ويكون خبراً . وأصل اللَّعن البعد .

وقوله : (بمحروم الشَّراب) أى بضرعٍ ممنوع شرابه . وأصل حُرِم مُنِع : وقيل بمحرومِ الشراب ، أى فى محروم الشراب . وقال خالد بن كلثوم : لُعنت : نحّيت عن الإبل ، لماَّ عُلم أنها معقومة ، فجعلت للركوب الذى لايصلح له إلاَّ مثلها . و(المصرَّم) : الذى أصاب أخلافه شىء فَقَطعه ، من صِرارٍ أو غيره .

وقال أبو جعفر : المُصرَّم : الذى يُلوَى رأسُ خِلْفه حتى ينقطع لبنه . وهو هنا مثل ، يريد : أَنَّها معقومة ولا لبن لها . انتهى .

وقال الأعلم (فى شرح الأشعار الستة):قوله لعنت ،أى سُبَّت بضرعها كما يقال : لعَنَه الله مأدهاه ومأأشعره ! وإنما يريد أنَّ ضرعَها قد حُرِم اللبن

---

(١) ط : «دعاء عليها» ، وأثبت مافى ش . وفى شرح التبريزى : « يدعو عليها » .

فذلك أوفرُ لقوَّتها وأصلبُ لها ، فتُلْعَن ويدعى عليها على طريق التعجُّب من قوَّتها . والمصرَّم : المقطوع اللبن . وقيل معنى لعنت أنَّه دعا عليها بأنَّ ضرعها يكون مقطوعَ اللبن ، إذْ كان أقوى لها . والمعنى الأوَّل أحسنُ وأبلغ . انتهى .

وقوله : « خطَّارة غِبِّ » إلخ ، هو صفة لشدَنية . والخطَّارة : التى تَخْطِر بذنبها يَمنةً ويسرة ، لنشاطها . والسُّرَى : سَير الليل . وغِبُّ الشىء : بَعْدَه . يقول : هى خَطَّارة بعدَ السُّرى ، فكيف بها إذا لم تَسْرِ . والزيَّافة : التى تزيف فى سيرها ، كما تزِيف الحمامةُ ، تسرع . وقوله : « تقِصُ الإكام » أى تكسرها بأخفافها ، لشدة وطئها وسرعة سيرها . يقال وَقَص يَقِصُ بالقاف والصاد المهملة . ويروى : « تَطِسُ » بمعناه . يقالُ وطس يطِس ، إذا كَسر . والإكام ، بالكسر : جمع أَكَم بفتحتين ، كجبال جمع جبل ، وهو ماارتفع من الأرض . والمِيثم : الشديد الوطء . يقال وَثَم الأرض يَثِمُها بالمثلثة ، إذا وطئها وطْئاً . وقوله : «بذات خُفٍّ» . أى بقوائم ذات أخفاف .

٤٤٥

وقد تقدَّم فى الشاهد الثانى عشر من أوائل الكتاب شرحُ أبياتٍ من هذه القصيدة ، مع ترجمته عنترة [1] .

* * *

وأنشد بعده،وهو الشاهد الموفى الأربعمائة،وهو من شواهد سيبويه[2]:

٤٠٠ (تَراه كالثَّغامَ يُعَلُّ مِسكاً
يسوءُ الفالياتِ إذا فَلَيْنِى)

---

(١) الخزانة ١ : ١٢٢ .

(٢) فى كتابه ٢ : ١٥٤ . وانظر ابن يعيش ٣ : ١٩ والعينى ١ : ٣٧٩ والهمع ١ : ٩٥ واللسان (فلا) والحماسة بشرح المرزوقى ٢٩٤ .

عَلَى أنه قد جاء حذف نون الوقاية مع نون الضمير للضرورة ، كما هنا . والأصل : إذا فلينني ، بنونين .

قال سيبويه : وإذا كان فعلُ الجميع مرفوعاً ثم أدخلتَ فيه النون الخفيفة أو الثقيلة حذفت نون الرفع ، وذلك قولك : لتَفعلُنَّ ذلك ولتذهَبُنَّ ، لأنَّه اجتمعت فيه ثلاث نونات ، فحذفوها استثقالا . وتقول : هل تفعلُنَّ ذاك ، بحذف نون الرفع ، لأنك ضاعفت النون ، وهم يستثقلون التضعيف ، فحذفوها إذْ كانت تحذف ، وهم فى هذا الموضع أشدُّ استثقالا للنونات ، وقد حذفوها فيما هو أشدُّ من ذا [1] . بلَغنا أنَّ بعض القراء قال : ﴿تحاجُّونى [2] ﴾ ، وكان يقرأ : ﴿ فبِمَ تبشِّرونى [3] ﴾ خفيف ، وهى قراءة أهل المدينة ، وذلك لأنهم استثقلوا التضعيف . قال عمرو بن معديكرب :

تراه كالثَّغام يُعلُّ مِسكاً يسوء الفالياتِ إذا فَلَيْنى

يريد : إذا فلينني . انتهى .

قال الأعلم : الشاهد فى حذف النون فى قوله فلينى ، كراهةً لاجتماع النونين ؛ وحذفت الياء دون جماعة النِّسوة لأنها زائدة لغير معنىً . انتهى .

وهذا موافقٌ لما قاله الشارح .

وأخذ ابن مالك بظاهر كلام سيبويه (فى التسهيل) أنَّ المحذوف هنا نون النسوة ، وقال : هو مذهب سيبويه . ووجَّهَهُ فى شرحه بأنهم حافظوا على بقاء نون الوقاية مطلقاً لما كان للفعلِ بها صونٌ ووقاية .

---

(١) يعنى حذف نون من نونين لا من ثلاثة .
(١) الأنعام ٨٠ .
(٣) الحجر ٥٤.

والبيت من أبيات ثمانية لعمرو بن معديكرب ، قالها فى امرأةٍ لأبيه ، تزوجها بعده فى الجاهلية . وهى :

أبيات الشاهد

(تقول حليلتى لما قَلَتنى شرائحُ بين كُدرىّ وجُونِ
تراه كالثغام يُعَلُّ مسكاً يسوء الفالياتِ إذا فلينى[1]
فزيَّنْكِ فى شريطِكِ أُمَّ عمرو وسابغةٌ وذو النونين زَينى
فلو شَمَّرن ثمَّ عدَوْن رَهواً بكلِّ مُدجَّج لعرفتِ لونى
إذا ماقلتُ إنَّ على دَينا بطعنة فارسٍ قضَّيتُ دينى
لَقعقعةُ اللِّجام برأس طرِفٍ أحبُّ إلى من أن تنكحينى
أخاف إذا هَبطن بنا خَبَاراً وجدَّ الركضُ أن لاتحملينى
فلولا إخـوتى وبنـىَّ منها ملأتُ لها بذى شُطَب يمينى)

الحليلة : الزوجة . وقلتنى ، من القِلَى ، وهو البغض . وشرائح خبر مبتدأ محذوف ، أى شعركَ شرائح . والجملة مقول القول . وشرائح : جمع شريح بفتح[2] الشين المعجمة وآخره جيم : الضرب والنوع . قال ابن دريد فى (الجمهرة) : كل لونين مختلفين هما شريجان . وأنشد هذا البيت .

٤٤٦

وقوله : «بين كُدريٍّ وجُون » أى بعض الشرائج كدرىٌّ ، أى أغبر وبعضها جُون . والكدرىّ :منسوبٌ إلى الكدرة . وجُون بضم الجيم:جمع جَوْنة ، وهو مصدر الجون بالفتح ؛ وهو من الأضداد ، يقال للأبيض جَون وللأسود جون .

وقوله :(تراه كالثغام) إلخ الضمير المستتر للحليلة ،والضمير البارز المنصوب لشعر الرأس المفهوم مما قبله . ورواه الفراءُ وابن دريد : (رأته)

---

(١) فى هذه القافية والثلاثة بعدها مايسمَّى بسناد الحذْو .

(٢) فى النسختين : « بضم » ، وهو تحريف ظاهر .

بالماضى ، وهو من رؤية العين . وكالثغام حالٌ من الهاء ، وكذلك قوله يُعلُّ . والثَّغام ، بفتح المثلثة والغين المعجمة ، قال الأعلم : هو نبتٌ له نَوْر أبيض يشبَّه به الشيب . وقال صاحب الصحاح : هو نبتٌ يكون فى الجبل ، يبيَضُّ إذا يبس ، يقال له بالفارسية دِرَمْنه إسبِيذ ، يشبه به الشيب ، الواحدة ثَغامة. وعَلَلته ماءً عللاً ، من باب طلب : سقيته السَّقية الثانية . وعَلّ هو يَعِلُّ ،من باب ضرب ، إذا شرب . قال الأعلم : ومعنى يُعَلُّ يطيّب شيئاً بعد شىء.وأصل العلل الشّرب بعد الشُّرب. وهذا غير مناسب ، فإنّه هنا متعدٍّ إلى مفعولين : أحدهما نائب الفاعل وهو الضمير المستتر العائد إلى ماعاد إليه الهاء من تراه ، والثانى مسكا . وقوله : (يسوءُ الفاليات) فاعله ضمير الشَّعر ، والفاليات مفعوله ، وهو استئناف ، وهو دليل جواب إذا . والفالية هى التى تَفلى الشعر ، أى تخرج القمْلَ منه .

وقوله : «فَزينكِ فى شريطكِ» إلخ هذا خطابٌ لها . وأمَّ عمرو منادى . والزَّين : نقيض الشين ، مصدر زانَه بمعنى زيّنه ، إذا جعل له زينةً . والشريط ، قال جامع ديوانه : هو العيبة الصغيرة .والعَيْبة . بالفتح : ماتجعل فيه الثياب . وقوله : وسابغةٌ ، خبر مقدَّم ، وزَينى مبتدأ مؤخر . والسابغة : الدِّرع الواسعة الطويلة . وذو النونين : السيف ، والنون:شَفْرته .

وقوله : «فلو شمَّرن ثم عَدَوْنَ» إلخ يعنى النساء الفاليات . وشمَّر إزاره تشميراً :رفعه . والرهو:السير السهل ، مصدَرُ رَهَا يرهُو فى السَّير ، أى رَفَق. والمدجّج بجيمين،على صيغة اسم المفعول،هو [1]اللابس آلة الحرب والسلاح.

---

(١) ط : «وهو» بالواو .

وقوله : «إذا ماقلت» إلخ هو بضم التاء فى الموضعين . والطِّرف ، بالكسر : الفرس الجواد . والخبار بفتح الخاء المعجمة بعدها موحدة : الأرض الرِّخوة . وذو شُطَب ، هو السيف ، وشُطَب السيف : طرائقه التى فى مَتْنه ، الواحدة شُطْبة .

وترجمة عمرو بن معديكرب تقدَّمت فى الشاهد الرابع والخمسين بعد المائة [١] . وهو من الصَّحابة رضى الله عنهم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى بعد الأربعمائة ، وهو شواهد س [٢]:

٤٠١ (كُمْنيةِ جابرٍ إذْ قال ليتى
أصادِفُه وأفقِـدُ جُلَّ مالى)

على أنَّ حذف نون الوقاية من (ليتى) ضرورة عند سيبويه .

قال سيبويه : وقد قالت الشعراء ليتى إذا اضُطرُّوا ، كأنَّهم شبَّهوه بالاسم حيث قالوا الضاربى ، والمضمر منصوب . قال زيد الخيل :

كمنية جابر إذْ قال ليتى أُصادفُه وأُتلِفُ بعضَ مالى

انتهى

صاحب الشاهد

وهذا مِنْ أبياتٍ لزيد الخيل رضى الله عنه ، وأوّلها :

أبيات الشاهد

(تمنَّى مَزْيدٌ زيداً فلاقَى أخا ثقةٍ إذا اختلفَ العوالى

(١) الخزانة ٢: ٤٤٤ .
(٢) فى كتابه ١ : ٣٨٦ . وانظر نوادر أبى زيد ٦٨ ومجالس ثعلب ١٢٩ والمقتضب ١ : ٢٥٠ والمقرب ١٩ وابن يعيش ٣ : ٩٠ ، ١٢٣ والعينى ١ : ٣٤٦ والأشمونى ١ : ١٢٣ واللسان (ليت) .

٤٤٧ كمنية جابرٍ إذْ قال ليتى . . . البيت

وقد اقتصر عليهما أبو زيد (فى نوادره) وبعدهما :

(تلاقَينا فما كُنَّا سواءً ولكنْ خَرَّ عَنْ حالٍ لحالِ
ولولا قولُهُ يازَيدُ قَدْنى لقد قامت نُويرة بالمآلى
شَككتُ ثيابَه لمَّا التقينا بمطَّردِ المهَزّة كالخِلالِ)

وقوله : «تمنى مَزيد» إلخ ، مَزْيد بفتح الميم وسكون الزاء المعجمة بعدها مثناة تحتية ، قال ابن السيرافى وغيره : هو رجلٌ من بنى أسد ، كان يتمنَّى أن يَلقى زيدَ الخيل ، فلقيه زيدُ الخيل فطعنه فهرب منه . وقوله : «أخا ثقه» أى صاحب وثوق بشجاعته وصَبره فى الحرب . والعوالى : جمع عالية ، والعالية من الرمح : مايلى الموضعَ الذى يركَّب فيه السِّنان . يعنى وقت اختلاف الرماح ومجيئها وذهابها للطِّعان .

وقوله : (كُمْنيةِ جابر) إلخ ، هو فى موضع المفعول المطلق ، أى تمنَّى مزيد تمنِّياً كتمنِّى جابر . والمنية بالضم : اسم للتمنى ، وفى الأصل الشىء الذى يتُمنَّى . وإنما قال تمنَّى مزيدٌ زيداً ، ولم يقل تمنّانى مزيد ، للتهويل والتفخيم فإنّ زيداً قد اشتهر بالشجاعة ، فلو أتَى بالضمير لفات هذا . وجابر : رجلٌ من غطفان تمنَّى أن يلقى زيداً حتىَّ صبَّحه زيد ، فقالت له امرأته : كنت تتمنى زيداً فعِندك ! فالتقيا فاختلفا طعنتين وهما دارعان ، فاندقَّ رمح جابر ولم يُغْنِ شيئاً ، وطعنه زيدٌ برمح له كان على كعبٍ من كعابة ضَبَّةٌ من حديد ، فانقلبَ ظهراً لبطن ، وانكسر ظهرهُ ، فقالت امرأته وهى ترفعه منكسراً ظهره : كنت تتمنى زيداً فلاقيت أخا ثقة . ومعنى البيتين أنَّ مزيداً تمنى أن

يلقى زيداً كما تمنَّى جابر ، وكلاهما لقِىَ منه مايَكره .

وقال (١) أبو جعفر النحَّاس فى قول زيد الخيل :

ألا أبلغ الأقياسَ قيسَ بنَ نوفل
وقيس بنَ أُهبانٍ وقيسَ بنَ جابرِ

قال : قيس بن جابر هو الذى يقول فيه زيد :

* كمنيةِ جابرٍ إذْ قال ليتى *

فسمَّاه باسم أبيه ، كما قال الآخر :

* يحمِلنَ عبَّاس بنَ عبد المطلب *

وإنما يريد عبد الله بن عباس . انتهى .

وروى أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل : «كمنيَةِ حائن» بالنون ، أى هالك ، والمراد به جابر المذكور . وقوله (وأفقِدَ جلَّ مالى) فقد يَفقِد من باب ضرب ، بمعنى عَدِم . وروى بدله : «وأُتلِف» من الإتلاف . وجُلّ الشيءِ : معظمه . وهذه رواية الجوهرى ، وروى غيره : «بعض مالى» .قال العينى : والأوَّل أحسن . ومَن زعمَ أنَّ بعضا يَرِدُ بمعنى كلّ وخرَّجَ عليه قوله تعالى : ﴿ يُصِبْكُم بعضُ الذى يَعِدُكم (٣) ﴾ ، وقولَ الأعشى (٤) :

قد يُدرك المتمنِّى بعضَ حاجَتِه
وقد يكونُ مع المستعجل الزَّلَلُ

---

(١) ط : «قال» بدون واو .

(٢) هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادى ، المعروف بالنحاس أو ابن النحاس .

(٣) الآية ٢٨ من سورة غافر .

(٤) ط : «قال الأعشى» ، وأثبت مافى ش .

ـــ صحَّ عنده حملُ رواية الجماعة على ذلك ، **فيكون أبلغَ من رواية الجوهرىِّ** . إلاّ أنَّ هذا القول مردود . انتهى .

و(إذْ) ظرفٌ عاملهُ مُنْية ، وجملة (أصادفه) خبر ليت . و(أفقِدَ) منصوبٌ بإضمار أنْ ؛ فإنّها تضمر بعد واو المعية الواقعة بعد التمنى . قال بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصَّل) : قال صدرُ الأفاضل : وأفقِدَ بالنصب كما لو كان مكان الواو الفاء ، كأنّه قال : ليتنى أصادف زيداً وأن أفقدَ بعض مالى ، أى يجتمع [1] هذا مع فِقدان بعض المال . ٤٤٨

وقال العينى : أفقد بالرفع جملة فعلية ، عطفٌ على أصادفه . كذا قيل ، وفيه نظر ، لأنَّه يلزم أن يكون فقد بعض ماله متمَنَّى ، وليس كذاك ، والصحيح أنَّه مرفوع على أنّه خبر مبتدأ محذوف تقديره : وأنا أفقد بعض مالى وتكون الواو للحال . انتهى .

أقول : لامانع على الوجه الأوَّل من جعل الواو للمعية .

ثم قال : ويقال أفقد منصوب لأنَّه جوابُ التمنِّى . وهذا لايتمشَّى إلاّ إذا قرئ بالفاء : «فأفقد» . انتهى .

أقول : كأنَّه لم يطرقْ أذنه أنَّ المضارع ينصب بإضمار أن بعد واو المعية كما ينصب بعد فاء السببية فى جواب أحد الأشياء الثمانية .

وقُلْ لمَنْ يدَّعى فى العلم فلسفةً
حفِظتَ شيئاً وغابتْ عنك أشياءُ

---

(١) ط : « أو يجتمع » ، وأثبت مافى ش .

ثم قال : ولكن يجوز نصبه بإضمار أنْ .

أقول : كأنَّ هذا الإضمار عنده من القِسم السماعىّ الذى لم يطَّرد . وفيما قلنا غُنيةٌ عن هذا . فتأمَّلْ .

وقوله :«تلاقينا فما كنَّا سواء» إلخ ، خَرّ بالخاء المعجمة : سقط . والحال بالحاء المهملة : موضع اللِّبْد [1] من ظهر الفرس . والحال الثانية : الوقت الحاضر . أى سَقَط عن ظهر الفرس بطعنٍ فى الحال .

وقوله : «ولولا قوله» أى لولا قولُ جابر . وقدنى : اسمُ فعلٍ بمعنى حَسْبى . ونُويرة ، بضم النون : امرأة جابر . قال بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصل) : والمآلى : جمع مئلاةٍ [2] ، وهى الخرقة التى تكون مع النائحة تأخذ بها الدمع . أى لولا قولُ جابر حسبى يازيدُ من الطعن قامت امرأته ملْتبسةً بالخِرَق تنوحُ عليه وتبكى . أى قتلتُه .

وقوله : «بمطَّرد المهزَّة» أراد به الرمح ، فإنه إذا هزَّ باليد يطَّرد . والخِلال بكسر الخاء المعجمة : العُود الذى يتُخلَّل به ، وربما يُخَلُّ [3] به الثوب أيضاً . أرادَ أنَّ الرمح كانَ سنانهُ دقيقاً مثلَ الخِلال .

زيد الخيل

وزيد الخيل ، هو كما قال صاحب الاستيعاب : زيد بن مُهَلْهِل بن زيد ابن مُنْهِب [4] الطائى ،قدم على رسول الله ﷺ ، فى وفد طيِّئ

(١) فى النسختين : «الكبد» ، صوابه ماأثبت . وانظر اللسان (حول ٢٠٤) .

(٢) ط : «مئلاء» ، صوابه فى ش .

(٣) ش مع أثر تغيير : « يخلل » بلامين .

(٤) منهب كمحسن ، بضم الميم وكسر الهاء ، كما فى القاموس .. وانظر ترجمة زيد فى الشعراء ٢٤٤ وأسد الغابة ٢ : ٢٤١ والإصابة ٣ : ٣٤ والأغانى ١٦ : ٤٦ .

سنة تسع فأسلم ، وسماه رسول الله ﷺ زيد الخير ، وقال له : « ماوُصِفَ لى أحدٌ فى الجاهلية فرأيته فى الإسلام إلاَّ رأيته دون الصِّفة غيرك » . وأقطَع له أرَضِين فى ناحيته . ويكنى أبا مُكنِف ، وكان له ابنانِ :مُكنِف ، وحرَيث وقيل حارث . أسلما وصحبَا النبى ﷺ ، وشهدا قتال الرِّدَّة مع خالد بن الوليد . وكان زيدُ الخيل شاعراً محسنا خطيباً ، لَسِناً شُجاعا ، بُهْمَةً كريما . وكان بينه وبينَ كعب بن زهير هجاء ، لأنَّ كعباً اتَّهمه بأخْذِ فرس له . قيل مات زيدُ الخيل مُنصرَفَه من عند النبى ﷺ محموماً ، فلما وصل إلى بلده مات . وقيل بل مات فى آخر خلافة عمر . وكان قبل إسلامه قد أسرَ عامرَ بنَ الطُّفيل وجزَّ ناصيته .

هذا ماأورده صاحب الاستيعاب .

وقيل له زيدُ الخيل لخمسةِ أفراس كانت له (١) .

وكان طويلاً جسيماً ، موصوفا بطول الجسم وحُسْن القامة ، وكان يركب الفرس العظيم الطويل فتخطُّ رجلاه فى الأرض ، كأنَّه راكبٌ حمارا (٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى بعد الأربعمائة (٣) :

٤٠٢ (أيُّها السائلُ عَنهمْ وعَنِى
لستُ من قَيْسَ ولَا قيسُ مِنِى)

---

(١) فى الأغانى ١٦ : ٤٦ أنها ستة أفراس ، وهى : الهطال ، والكميت ، والورد ، وكامل، ودءول ، ولاحق . وقد ذكرها جميعا فى شعره .

(٢) ش : « راكب حمار » بالإضافة . وفى الأغانى :« كأنه على حمار » .

(٣) انظر العينى ١ : ٣٤٢ .

٤٤٩ على أنَّ حذف النون ضرورة عند سيبويه ، والقياس : عنِّى ومنِّى ، بتشديد النون فيهما .

قال ابن هشام (فى شرح شواهده) : إذا جُرَّتِ الياء بمن أو عن وجبت النون، حِفظاً للسكون ؛ لأنه الأصل فيما يبنون . وقد يترك فى الضرورة.قال:

أيُّها السائلُ عنهمْ وعَنى ... البيت

وفى النفس من هذا البيت شىء ، لأنالم نعرف له قائلا ولا نظيراً ؛ لاجتماع الحذف فى الحرفين . ولذلك نسبه ابن الناظم إلى بعض النحويين ولم ينسبه إلى العرب . وفى التحفة : لم يجىء الحذف إلاَّ فى بيتٍ لايُعرَفُ قائله . اهـ

ووقع فيه قيسٌ فى موضع الضمير مرتين . وارتفاع الثانى بالابتداء ، لأنَّ لَا لاتعمل إلاَّ فى النكرات . انتهى كلام ابن هشام .

وقيسُ فى الموضعين غير منصرفٍ للعلمية والتأنيث المعنوى ، لأنّه بمعنى القبيلة . وهو أبو قبيلة من مُضَر ، ويقال له قيس عيلان ، واسمه الناس بن مضر بن نزار ، بهمزة وصل ونون ، وهو أخو الياس بمثناة تحتية . قال ابن الكلبى (فى الجمهرة): إنما عيلان عبدٌ لمضر حَضَنَ الناس وربَّاه ، فغلب عليه ونُسِبَ إليه. وقال صاحب القاموس(١):وقيس عيلانَ تركيب إضافىٌّ لأنَّ عيلان اسمُ فرسٍ قيس ، لااسم أبيه كما ظَنَّه بعض الناس.اهـ . يقال تقيَّس فلانٌ،إذا تشبَّه بهم أو تمسَّك منهم بسبب،إمَّا بحِلْف أو جِوارٍ أو وَلاء.قال رؤبة:

* وقَيْسَ عيلانَ ومَن تقيَّسا (٢) *

---

(١) النص التالى لم يرد فى القاموس بهذا النص فى كل من مادتى (قيس، عيل) . وفى هامش أصل المطبوعة : «لم أر هذا النص فى القاموس ، فلعله نقل بالمعنى » .

(٢) قبله فى ديوان العجاج ١٣٨ :

وإن دعونا من تميم أرؤسا والرأسَ من خزيمة العَرَنْدسا

وقال الجواليقى (فى شرح أدب الكاتب):قيس عيلان بن مضر ، ويقال قيس بن عيلان ، واسمه النَّاس بالنون ، وأخوه الياس بالياء . وكان الناس،بالنون متلافاً ، وكان إذا نفِد ماعنده أتى أخاه الياس ، بالتحتِيَّة ، فيناصفه أحياناً،ويؤيسه أحياناً،فلما طال ذلك عليه وأتاه كما يأتيه قال له الياس:غلبَتْ عليك العَيلةُ فأنت عَيلان.فسمِّىَ لذلك عيلان،وجُهِل الناس.ومن قال قيس بن عيلان فإنَّ عيلان كان عبداً لمضر حضن ابنه الناس فغلب على نسبته .اهـ

وقد تقدم هذا الكلام فى الشاهد السادسَ عشر[1] من أوائل الكتاب . والقبيلة المنسوبة إلى قيس هى خَصَفَة بن قيس ، بفتح الخاء المعجمة والصاد المهملة والفاء . وخَصفة أيضاً : أبو قبيلة ، وهى محارب بن خَصَفَة بن قيس .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س [2] :

٤٠٣ (قَدْنِىَ من نَصرِ الخُبَيْبين قَدِى

ليس الإمامُ بالشَّحيح المُلْحِدِ)

على أنَّ هذا ضرورة ، والقياس قَدْنى بالنون .

قال سيبويه:وسألته رحمهُ الله،يعنى الخليل بن أحمد،عن قولهم قطنى ومِنِّى وعنِّى ولدُنِّى ، مابالهم جعلوا علامةَ المجرورههنا كعلامة المنصوب؟ فقال:

---

(١) الصواب أنه الخامس عشر . انظر الخزانة ١ : ١٣٨ .

(٢) فى كتابه ١ : ٣٨٧ . وانظر نوادر أبى زيد ٢٠٥ وسمط اللآلى ٦٤٩ والمحتسب ٢ : ٢٢٣ وأمالى ابن الشجرى ١ : ١٤ / ٢ : ١٤٢ والإنصاف ١٣١ وابن يعيش ٣ : ١٢٤ / ٧ : ١٤٣ وشرح شواهد المغنى ١٦٦ والعينى ١ : ٣٧٥ والتصريح ١ : ١١٢ والهمع ١ : ٦٤ والأشمونى ١ : ١٢٥ واللسان (لحد) . وسيأتى فى ٣ : ٣٤ بولاق .

إنَّه ليس من حرفٍ تلحقه ياء الإضافة إلا كان متحرّكا مكسورا ، ولم يريدوا أن يحركوا الطاء ولا النونات ، لأنها لاتذكر أبداً إلاَّ وقبلها حرفٌ متحرك مكسور ، وكانت النون أولى ، لأنَّ من كلامهم أنْ تكون النون والياء علامةَ المتكلم ، فجاءوا بالنُّون لأنها إذا كانت مع الياء لم تخرج هذه العلامة من علامات الإضمار ، وكرهوا إن يجيئوا بحرف غير النون فيخرجوا من علامات الإضمار . وإنما حملهم على أَنْ لم يحركوا (١) الطاء والنونات كراهيةُ أنْ يشبه الأسماء نحو : يدٍ وهَنٍ . وأمَّا مايحرك آخره فنحو مَعَ ولَدُ ، كتحريك أواخر هذه الأسماء ، لأنه إذا تحرك آخرهُ فقد صَارَ كأواخرِ الأسماء ، فمن ثَمَّ لم يجعلوها بمنزلتها . فمن ذلك : معِى ولدِى فى مَعَ ولدُ (٢) . وقد جاء فى الشعر قَدِى . قال الشاعر : ٤٥٠

* قَدْنىَ من نصر الخُبَيْبين قَدِى *

لما اضُطرّ شبّهه بحَسبْى وهَنِى ، لأنَّ مابعد حسب وهَن مجرور ، كما أنَّ مابعد قَطْ مجرور (٣) ، فجعلوا علامةَ الإضمار فيهما سواء ، كما قال : ليتى حيث اضُطرّ . انتهى كلام سيبويه .

وردَّه صاحب الكشاف والبَيْضاوى عند قوله تعالى : ﴿ قد بَلَغْتَ مِنْ لَدُني عُذْراً (٤) ﴾ على قراءة نافع ، بتحريك نون لدن والاكتفاء بها عن نون الوقاية ، كما فى :

* قدنىَ من نصر الخُبَيبينِ قَدِى *

---

(١) فى سيبويه : « على أن لايحركوا » .

(٢) فى سيبويه وش : « ولدِى فى لد » فقط .

(٣) سيبويه : « كما أن مابعد قد مجرور » .

(٤) من الآية ٧٦ فى سورة الكهف .

وعند ابن مالك نونُ الوقاية فى قَدْنى وقطنى غَيْر لازمة ، بل يجوز ذكرها وحذفها . واستشهد لِقَطْ بما روى فى الحديث من قوله : « قَطِى قَطِى بعزَّتكَ [1]» ، يروى بسكون الطاء وبكسرها مع الياء وبدونها . وقال فى الألفية :

وفى لدُنِّـى لَدُنى قَلَّ وَفى
قَدْنى وقَطْنى الحذفُ أيضاً قد يَفي

قال الشاطبى : قوله ؟ «قَلّ » دليلٌ على أنّ هذا جائزٌ عنده فى الكلام لامختصٌّ بالشعر . وهذا دأبه فى النظم . إنما يعبِّر بلفظ القلّة عما جاء فى النثر . وهو ثابتٌ بقراءة نافع وأبى بكر . ونبَّه بذلك على مخالفة ظاهر كلام سيبويه .

قال (فى شرح التسهيل) : وزعم سيبويه أن عدم لحاقها من الضَّرورات . وليس كذلك ، بل هو جائز فى الكلام الفصيح ، كقراءة نافع : ﴿ قد بلغتَ منْ لَدُني عُذْراً ﴾ بالتخفيف . ثم قال الشاطبى : وقوله : وفى قدنى وقطنى الحذف أيضاً قد يَفى ، يريد أنَّ حذف نون الوقاية فيهما قد يأتى . وإتيانُه بقَدْ يفى ، إشعارٌ بأنَّه مسموع فى الكلام ، بل قد يكثر كثرةً ما ، إذْ معنى يفى يكثر ، أى إنه يكثرُ فى السَّماع [2] ، فلا يكون معدوداً فى الشَّواذّ ولا فى الضرائر . وهذا تنكيت منه على سيبويه ومن قال بقوله : إنَّ عدم اللحاق يختصُّ بالشعر . اهـ

وقد تبعه ابن هشام (فى شرح شواهده) قال:إذَا جُرَّت الياءُ بِلَدُنْ أو قَطْ أو قد،فالغالب إثبات النون،حِفظاً للسكون،وقد يترك.ودليله فى لدن قوله

---

(١) هو من حديث النار حين تمتلئ فتقول ذلك لربها . انظر اللسان (قطط ٢٥٦ جبر ١٨٢) ونهاية ابن الأثير (قط) .

(٢) ش : «يكثر أنه يكثر فى السماع» بإسقاط «أى» .

تعالى : ﴿ قد بلَغْتَ من لدنِّى عُذْرا ﴾ قرئ مخففا ومشدَّدا . وأمّا قول سيبويه : إنّ تركَ النون مع لدن ضرورة فمردود بالقراءة ، ولايقال إنها جاءت على من يقول لَدُ ، وتكون النون للوقاية ، لأنه لا وجه حينئذ لدخول النون ؛ إذ لا سكونَ فيحفظ . ودليله فى قد قوله :

* قدنىَ من نصر الخُبيبينِ قدِى *

وفى هذا نظرٌ واضح .

وقد أَغرب الجوهرىُّ فى زعمه أنَّ لحاق النونِ لقَدنى على خلاف القياس .قال:فأَمّا قولهم قَدْك بمعنى حسبك فهو اسم ، تقول : قدى وقدنى أيضاً بالنون على غير قياس؛لأَنّ هذه النون إنما تزاد فى الأفعال. واضح البطلان[١].

وقال ابن هشام (فى المغنى) : قد الاسمية على وجهين :

اسم مرادفٌ لحسْب ، والغالب فيها البناء ، يقال قَدْ زيدٍ درهمٌ وقدنى بالنون ، حرصاً على السكون . وتُعرَب بقلَّة ، يقال قَدُ زيد درهم بالرفع كما يقال حَسْبُه درهمٌ بالرفع ، وقَدِى بغير نون كما يقال حَسْبِى .

والوجه الثانى : اسم فعل مرادفة ليكفى ، يقال : قدْ زيداً درهمٌ ، وقدنى درهمٌ كما يقال : يكفى زيداً درهم ، ويكفينى درهم .

وقوله :« قدنى من نصر الخبيبين قدى » يحتمل قد الأولى أن تكون مرادفةً لحسب على لغة البناء ، وأن تكون اسم فعل . وأمّا الثانية فتحتمل الأوّلَ وهو واضح ، والثانىَ على أنَّ النون حذفت ضرورة ، ويحتمل أنَّه اسم

٤٥١

---

(١) واضح البطلان ، من كلام البغدادى ، لا من كلام الجوهرى .

فعل لم يذكر مفعوله ، فالياءُ للإطلاق والكسر للساكنين. اهـ

وفيه أمور :

أحدها : قال الدماميني : لو كانت مرادفة ليكفى لكانت فعلا ، واللازم باطل . ولاأدرى لم جعلها بمعنى المضارع مع أن مجيء اسم الفعل بمعناه فيه كلام (١) ، وابن الحاجب يأباه . وقد صرح ابن قاسم أنها بمعنى كفى. ا هـ

والصواب ماقاله الشارح فى باب اسم الفعل أنَّ معنى قدك اكتفِ ، ومعنى قدنى لأكتَفِ . فيكون الأول أمراً لِلمخاطَب ، والثانى أمراً للمتكلم نفسه . وهذا كلامٌ فى غاية الوضوح .

وثانيها : إذا كانت قد فى الموضعين بمعنى يكفى فأين فاعلها ؟

ثالثها : يردُ على قوله إنّ الياء للإطلاق والكسرة للساكنين ، قولُ شارحه الدمامينى : إنَّ حرف الإطلاق حرف مَدّ يتولد من إشباع حركة الرويّ ، فلا وجود له إلا بعد تحريك الرويِّ ، فإذنْ لم يلتق ساكنان . اهـ

وقد أعاد ابن هشام هذا الكلام (فى شرح شواهده) فقال : الشاهد فى قوله قدنى بإلحاق النون . وأمَّا قَدِى فقال الشارح — يعنى ابنَ الناظم — وغيرُه : إنَّه شاهدٌ على ترك النون . وليس كا قالوا ، لجواز أن يكون أصله قَدْ ، ثم ألحق ياء للقافية ،وكسر الدال للساكنين . وإنما شاهد الحذف قوله :

* قدِى الآن من وجدٍ على هالك قدى (٢) *

---

(١) ش : « مع أن فى مجيء اسم الفعل بمعناه كلاما » .

(٢) من بيت فى الحماسيّة ٣٠١ بشرح المرزوقى ص ٨٩٦ . وصدره .

* فأقسمت لا آسىَ على إثر هالك *

والشاهد فى قد الأولى . فأمّا الثانية فمحتملة لما ذكرنا.اهـ

ولا يخفى فساد قوله : «ثم أُلحق ياء للقافية» ، فإنها دالية لا يائية .

وقوله : (من نصر الخبيبين) من متعلقة بقَدْنى ، لأنَّه بمعنى لأكتفِ كما حققه الشارح فى باب اسم الفعل . وذهب بعضهم إلى أنَّ قدنى مبتدأ بمعنى حسبى ، والجارّ والمجرور خبرهُ ، وأنَّ المعنى حسبى من نصرة هذين الرجلين ، أى لا أنصرهما بعد (١) . قال ابن هشام (فى شرح الشواهد) : ويجوز أن يكون النصر هنا بمعنى العطية ، كقول بعض السؤَّال : «من ينصُرنى ينصره الله » وخرج عليه قوله تعالى : ﴿ مَنْ كان يظنُّ أنْ لن يَنْصُرَهُ اللهُ (٢) ﴾ . وعلى هذا فالإضافة للفاعل : ويرجح الأوَّل أنه لم يفرد أبا خبيب بالذكر ، وإنما يكون العطاء غالباً من ولىِّ الأمر . اهـ

و (الخُبيبين) قيل مثنَّى خُبيب وقيل جمع خُبيب . فعلى الأول الباء الثانية مفتوحة ، وعلى الثانى مكسورة . وخبيب ، بضم الخاءِ المعجمة وفتح الموحدة : مصغَّر خِبّ . وخُبيب هو ابن عبد الله بن الزُّبير . وكان عبد الله يكنى بأبى خُبيب . قال بعض فضلاءِ العجم (فى شرح شواهد المفصل) : وكنيته المشهورة أبو بكر ، وكانوا إذا أَرادوا ذمَّه كَنَوه بأَبى خُبيب . وفى حاشيته : لعلّه للإشعار بكونه منقولا من مصغر الخِبّ بالكسر ، وهو الرَّجُل الخدَّاع . وقال ابن المستوفى (فى شرح أبيات المفصل) : أراد بالخبيبين مثنَّى:عبد الله ومُصعباً ابنَى الزبير . وخالف ماجاء للعرب من نحوه ، مثل العُمرَين ، يريدون أبا بكر

(١) ش : « أى لاأنصره بعد » .

(٢) الآية ١٥ من الحج .

وعمر ، للخفَّة ، والقمرين للشمس والقمر ، لتغليب المذكر ، لأن عبد الله بن الزبير يكنى أبا خبيب باسم ولده ، وأبا بكر ، فإذا ذمُّوه قالوا : أبو خبيب . قال فَضَالة بن شَرِيك :

أرى الحاجاتِ عند أبى خُبَيب
نَكِـدْنَ ولا أميَّـةَ بالبـلادِ [(١)]

فعلى ماذكره الشاعر ينبغى أن يريد به خبيباً واحِدَ إخوته من بنى عبد الله بن الزُّبير ، وهم [(٢)]:حمزة ، وثابت، وعَبّاد ، وقيس ، وعامر ، وموسى.اهـ

٤٥٢ ولايخفى أنَّ هذه الإرادة غيرُ مناسِبة لما سيجىء .

وأورد المبرد هذا البيت عند ذكر الخوارج وقال : يريد خبيبا ومن معه .

وقال الإمام أبو الوليد الوقَّشيُّ [(٣)] (فى حاشيته على الكامل) : هذا خطأ ، إنما يريد أبا خبيب وهو عبد الله بن الزبير .

وأنشده المبرد (فى أوائل الكامل أيضاً) وقال : أراد عبد الله ومُصعَباً ابنَي الزبير ، وإنما أبو خبيب عبد الله .

وكتب أبو الوليد (فى حاشيته) هنا أيضا : أنشده فى ذكر الخوارج : « الخبيبِينَ » جمعاً ، وقال : يريد خُبَيبا ومن معه ، كقراءة

---

(١) هو الشاهد ٢٦٢ . الخزانة ٤: ٦١ . وقد اختلف فى قائله .

(٢) ط : « وهو » ، صوابه فى ش .

(٣) ط : «أبو الوليد الوعلى» ش : « أبو الوليد أبو على » . والصواب ماأثبت . وأبو الوليد هذا هو هشام بن أحمد بن هشام الكنانى الحافظ ، المتوفى سنة ٤٨٨ . ونسبته إلى وقش بفتح الواو وتشديد القاف على وزن بقم ، وهى مدينة بالأندلس من أعمال طليطلة . ومن تأليفه : نكت الكامل للمبرد . انظر معجم البلدان ، وبغية الوعاة .

من قرأ : ﴿ سلامٌ على الياسِينَ ﴾ . قال : فإنّما يريد الياسَ ومن كان معه على دينه . كذا وقع هنا يريد خُبَيبا ، وإنما هو يريد أبا خبيب على كنيته الأخرى المشهوره ، ذهاباً إلى نسبة الخِبِّ إليه . اهـ

ونقل ابن المستوفى عند شرح قوله :

* بصير بما أعيا النطاسِيَّ حِذْيَما (١) *

والأصل ابن حِذْيم . عن الخوارزمى : أنَّ هذا ليس من باب الحذف ، إنما هو من باب تعدِّى اللقب من الأب إلى الابن ، كما فى قوله :

* كراجى النَّدى والعُرفِ عند المذلَّقِ (٢) *

أى ابن المذلَّق . ألا ترى أنه يقال : «أَفَلسُ من ابن المذلَّق» . ومنه :

* قدنىَ من نصر الخبيبين قدِى *

ونقل ابن هشام (فى شرح الشواهد) عن ابن السِّيد (فيما كتبه على الكامل) ردَّ رواية التثنية ، بأنَّ الشاعر قال هذا الشعر عند حصار طارقٍ ، ومصعبٌ ماتَ قبل ذلك بسِنين . اهـ

ولم أر لابن السِّيد شيئاً من شرحه على هذا البيت فى الموضعين من الكامل .

وذكر العينى للتثنية وجهين:أحدهما:أنَّ المراد عبد الله وأخوه مصعب.

---

(١) الصافات ١٣٠ .

(٢) لأوس بن حجر ، وهو الشاهد ٣١٤ فى الخزانة ٤ : ٣٧٠ .

(٣) سبق الكلام عليه فى حواشى ٤ : ٣٧٢ . وصدره :

★ فأنك إذ ترجو تميما ونفعها ★

وثانيهما : أَنَّ المراد عبد الله وابنه خُبيب المذكور . وعلى هذا الثانى لايرِدُ الردُّ المذكور عن ابن السيد .

ورواه جماعة بلفظ الجمع ، ومنهم أبو زيد (فى نوادره) قال : أراد الخبيبيِّينَ ، فحذف ياء النسبة . وأورد له نظائر .

ومنهم يعقوب بن السكيت (فى إصلاح المنطق) قال ابن السيرافى (فى شرح شواهده) : الخبيبين جمع ، يريد به عبد الله بن الزبير وأصحابه ، وجعلهم كأنَّ كل رجل منهم خُبَيب . ومثل هذا يُفْعَل كثيراً ، يقولون الأشعرون إذا نسبوا إلى الأشعر ، كأنَّهم جمعوا رجالاً كل اسم رجل منهم أَشعر ، وإنما أشعر الذى أضيفوا إليه ، فصار الخبيبين فى موضع الخبيبِيِّينَ ، والأشعرون فى موضع الأشعريِّين ، فحذفوا ياء النسبة وجعلوا الاسم كأنَّه لكلٍّ واحدٍ من المنسوبين . اهـ

ومنهم أبو عبيدة ، نقله عنه أبو الحسن الأخفش (فيما كتبه على نوادر أبى زيد) .

ومنهم أبو جعفر النحاس (فى تفسير القرآن) قال : إنما يريد أبا خبيب عبد الله بن الزبير ، فجمعه على أنه من كان معه على مذهبه داخلٌ فيه .

ومنهم ابن جنى (فى المحتسب،فى سورة الصافات) عند قراءة ابن محيصِن : ﴿ وإنَّ الياس [1] ﴾ بغير همز ،﴿ سلامٌ على الياسِين ﴾ بغير همز . قال : فأَّما الياس موصول الألف فإن الاسم منه ياسٌ بمنزلة باب ودار ، ثم لحقه لام التعريف . والياسين على هذا كأنه على إرادة ياء النسب ، كأنه الياسِّين ، كما

(١) الصافات ١٢٣ .

حكى عنهم صاحب الكتاب : الأشعرون والنميرون ، يريد الأشعريِّين والنميريِّين . وروينا عن قطرب عنهم [١]: هؤلاء زيدون منسوبون إلى زيدٍ بغير ياء النسبة . وقال أبو عمرو : هلك اليزيدون [٢] يريد : ثلاثة يزيديِّين . وقد يجوز أن يكون جعل كلَّ واحدٍ منهم من أهل الياس ياساً ، فقال الياسين ، كقوله :

* قَدنىَ من نصر الخبيبِينَ قدى *

يريد أبا خبيب وأصحابه ، كأنَّه جعل كل واحد منهم خبيباً . اهـ

٤٥٣ يفهمُ صنيعه أنه إذا جعل كلَّ واحدٍ منهم خبيباً لايكون على تقدير ياء النسبة ، وإذا كان على قديرها يراد أصحابُ أبي خُبيب فقط ، ولا يدخل أبو خُبيب فيهم . كما قال أبو محمدٍ التَّوَّزىّ : من أنشده بالجمع يريد أصحاب ابن الزُّبير ، كما يقال المهالبة . وحقه الخبيبِّين بالتشديد ؛ ولكنه حذف ياء النِّسبة ، نقله عنه صاحب كتاب (التفسُّح فى اللغة) . وإليه ذهب ابن هشام (فى شرح شواهده) قال : يروى الخبيبَيْنِ مثنًّى على إرادة عبد الله وأخيه مُصْعب ، ويروى على الجمع على إرادة عبد الله ومن على رأيه ، وكلاهما تغليب . ويحتمل على الجمع أن يريد مجرد أصحاب عبد الله ، على أنَّ الأصل الخُبَيْبِيِّينَ ، ثم حذفت الياء كقولهم : الأشعرين . اهـ

وهذا خلاف ماتقدَّم عن ابن السيرافى،وخلافُ قول أبى على (فى الإيضاح الشعرى) قال:من أنشده على الجمع أراد الخبيبيِّين [٣]ونَسَب إلى

---

(١) كلمة «عنهم» ساقطة من ش ثابتة فى المحتسب ٢ : ٢٢٣ .

(٢) ش : « الزيدون » ، صوابه فى ط والمحتسب .

(٣) ط : «الخبيبين» ، صوابه بياءين فى آخره كما فى ش .

أبى خبيب ، يريده ويريد شيعته (١) . وعلى هذا قراءة من قرأ : ﴿ سلامٌ على الياسين ﴾ أراد النَّسب إلى الياس . ومن أنشد على التثنية أراد عبد الله ومصعباً ، فثنَّاهما كما قالوا : العجَّاجان (٢) .اهـ

ويؤيد كلامَ ابن جنى ومن تبعهَ ، صنيعُ المبرد (فى الكامل) قال عند ذكر الخوارج : باب للنسب (٣) وهو أن يسمَّى كل واحد منهم باسم الأب إذا كانوا إليه ينسبَون . ونظيره المهالبة والمسامعة والمناذرة ، ويقولون : جاءَنى النُّمَيرون والأشعرون ، جعلَ كل واحد منهم نميراً وأشعر . فهذا يتصل فى القبائل . وقد تنسب (٤) الجماعة إلى الواحد على رأيٍ أو دين ، فيكون له مثلَ نسب الولادة ، كما قلت أزرقىٌّ لمن كان على رأى ابن الأزرق ، كما تقول تميمىٌّ وقيسىٌّ لمن ولده تميمٌ وقيس . ومن قرأ : « سلامٌ على الياسين (٥) » فإنما يريد الياس عليه السلام ومن كان على دينه ، كما قال :

* قدنى من نصر الخُبْيبينَ قدى *

يريد أبا خبيب ومن مَعَه (٦).اهـ

وقوله:(قدى) تأكيدٌ للأوَّل . و(ليس الإمام) إلخ ، أراد بالإمام الخليفة ، وعرَّض بعبد الله بن الزبير ، فإنه كان بخيلاً . والشُّحُّ : البُخل . وشَحَّ يَشُحّ من باب قتل ، وفى لغةٍ من بابى ضربَ وتعب ، فهو شحيحٌ من

---

(١) ش : « فيريد شيعته » .

(٢) يعنون العجاج وابنه رؤبة .

(٣) ش : «باب النسب» . والذى فى الكامل ٣٢٣ : «فأما قولهم الأزارقة فهذا باب من النسب آخر . وهو ... » الخ .

(٤) هذا مافى ط والكامل . وفى ش : « وقد نسب » .

(٥) الصافات ١٣٠ .

(٦) بدل هذا كله فى ش : « خبيبا ومن معه » ، نقص وتحريف .

قوْمٍ أُشحَّاء . و(الملحد) قال صاحب المصباح : مِنْ أَلْحدَ فى الحرم بالألف ، إذا استحلَّ حرمته وانتهكها . وألحدَ إلحاداً : جادل (١) ومارَى . ولحد بلا ألِف بمعنى جار وظلم .

صاحب الشاهد

والبيتان من أرجوزة لحُمَيدٍ الأرقط . قال ابن المستوفِى (٢) : ويروى :

* ليس أميرى بالظَّلُوم الملحدِ *

ولم أر البيت الأوَّل فى ديوانه : وأوَّلها :

(ليسَ الإمامُ بالشَّحيح الملحدِ
ولا بوَبْرٍ بالحجاز مُقْرِدِ
إن يُرَ بالأرض الفَضاء يُصطَدِ
وينجَحِرْ فالجُحر شرُّ محكِدِ (٣))

وهى أربعة أبيات . اهـ

وكذلك أورد الأبيات القالىُّ (فى أماليه) ولم يورد بيت قدنى . وأورد أبو عُبيدٍ البكرى (فى شرح أمالى القالى) أبياتاً ثلاثة قبلها ، قال : يمدح الحجّاج ، وهى :

(قلت لعنسِى وهى عَجْلَى تعتدى
لانومَ حتى تَحْسِرى وتُلهَدِى (٤)

---

(١) ط: « حاول » ، صوابه فى ش .

(٢) هو المبارك بن أحمد بن أبى البركات الإربلى ، ولد سنة ٥٦٤ ، وتوفى سنة ٦٣٧ . ومن كتبه « إثبات المحصل فى نسبة أبيات المفصل » . وهو الذى يعنيه البغدادى فى مواضع كثيرة .

(٣) ط : «وينححجر» ، صوابه بتقديم الجيم ، كما فى ش وكما سيأتى فى الشرح .

(٤) سمط اللآلىء ٦٤٩ ـــ ٦٥٠ .

أو تَرِدِى حوضَ أبى محمَّد
ليس الأميرُ بالشحيح الملحِدِ)

إلى آخر الأبيات وقال : هذا تعريضٌ بابن الزبير فى قوله : « بالشحيح الملحد » ، يريد أنَّه ألحد فى الحرم .

[وفى قوله : «ولا بوَبْر بالحجاز مُقرِدِ» . والوَبْر ، بفتح الواو وسكون الموحدة وآخره راء مُهملة : دُوَيْبَّةٌ مثل السِّنَّور طحلاء اللون ، حسنة العينين لاذنَبَ لها ، تُوجد فى البيوت . والمُقْرِد : اللاصق من جَزَع أَو ذُلّ . وقوله : « حتى تَحْسِرى وتُلهَدِى » يقال لُهِد البعيرُ يُلهَد ، إذا عضَّ الحِملُ غاربه وسنامَه حتى يؤلمه [1]] . انتهى .

وقوله : «قلت لعنسى» إلخ ، العنس بفتح العين وسكون النون : الناقة الصُّلبة . وعجلَى : مؤنث عجلان .وتعتدِى ، من العدْوِ .وتحْسرِى : مضارع حَسَر بالفتح يحسِر بالكسر حُسورا ،إذا أعيا . وتُلهَدى ، يقال لُهِد البعير يُلهَد ، إذا عضَّ الحِمْل غاربه وسَنامه حتى يؤلمه . ولهَدَهُ الحمل ، أى أثقله . قال الأصمعى : لهدَ القومُ دوابَّهم : أجهدوها وأتعبوها .

٤٥٤

وقوله :«أو تردِى» إلخ أو بمعنى إلى أو إلَّا .وتَرِدِى ، من الوِرْد ، منصوب بحذف النون بأنْ مضمرة بعد أوْ . وأبو محمدٍ : كنية الحجَّاج بن يوسف الثقفى .

وقوله : «ولا بوَبْر» إلخ : قال ابنُ الأثير (فى النهاية) : الوبْر بسكون الباء:دويّبَّةٌ على قدرِ السِّنَّور غبراء أو بيضاء،حسنة العينين،شديدة الحياء

(١) مابين المعقفين تكملة من ش ساقطة من ط .

حجازية ، والأنثى وَبْرة . ويشبَّه بها تحقيراً . اهـ .وضبطه العينى وتبعه السيوطى (فى شرح شواهد المغنى) بفتح الواو وسكون التاء المثناة من فوق وفى آخره نون ، بمعنى واتن . يعنى : ولابدائمٍ ثابت بأرض الحجاز . ويقال للماء المَعِين الدائم الذى لايذهب : واتن ، وكذلك بمعناه واثن بالمثلثة . هذا كلامه ، وهذا تحريفٌ منه قطعا . ومُقْرِد : اسم فاعل من أقرد بالقاف ، بمعنى ذلّ وخضع . وقال الجوهرىّ : أقرد ، أى سكن وتماوَتَ . وروى:«مفْرَد» بالفاء على أنه اسم مفعول من أفردته ، إذا عزلتَه .

وقوله : «إن يُرَ يوماً» إلخ الجملة الشرطية صفةٌ لوبر ، ونائب الفاعل فى «يُرَ» ضمير الوبر . والفضاء بالفاء . ويُصطَد بالبناء للمفعول.

وقوله «وينجَحِر» إلخ قال صاحب الصحاح : الجُحر بضم الجيم : واحدُ الجِحَرَة والأجحار . وأجْحَرته ، أى ألجأته إلى أن دخل جحره ، فانجحر . وفاعل ينجحِر ضمير الوبر أيضاً . والمحكِد ، بفتح الميم وسكون الحاء المهملة وكسر الكاف : الأصل ، ويقال له المَحتِد أيضاً بكسر المثناة الفوقية .

حميد الأرقط

وحُمَيدٌ الأرقط : شاعر إسلامى من شعراء الدولة الأموية ، وهو مُعاصر الحجَّاج . وهو حميد بن مالك بن ربِعىّ بن مُخَاشِن بن قيس بن نَضْلة بن أحَيم [1] بن بَهدَلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . وقيل هو أحد بنى ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، وهم ربيعة الجوع . وسمِّى الأرقط لآثارٍ كانت بوجهه . والرُّقَط : النقط . والرُّقطة : سوادٌ يشوبه نقَط . والأرقط من الغنم : مثل الأبغث . والأرقط : النمر .

(١) فى الاشتقاق ٢٥٤ بتحقيق كاتبه : « وأما بهدلة فمنهم أحيم وكان شريفا » .

ولم أر ترجمة حميد هذا (فى كتاب الشعراء لابن قتيبة) ، ولا (فى المؤتلف والمختلف للآمدى) ولا (فى الأغانى) ، فيما يحضرنى منه . وإنما نقلت ترجمته من الأنساب [١] .

وقيل قائل الشعر المذكور أبو بَجْلة [٢] ، قاله ابن يعيش (فى شرح المفصل) . ولا أعرف هذا . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده :

(إذ ذهبَ القَوْمُ الكرامُ ليسى)

وأوّله :

* عددتُ قومى كعديد الطَّيْسِ *

وتقدَّم الكلام عليه قريباً [٣] .

* * *

وأنشد بعده :

(وليس حامِلَنى إلاَّ ابنُ حَمَّالِ)

أوله :

* ألاَ فتًى من بنى ذبيان يحملنى *

وتقدم شرحه فى الشاهد الخامس والتسعين بعد المائتين من باب الإضافة[٤]

* * *

---

(١) انظر أيضا سمط اللآلى ٦٤٩ ومعجم الأدباء ١١ : ١٤ .

(٢) ش : « أبو نخيلة » ، وأثبت مافى ط . والذى فى شرح المفصل « أبو بحدلة » . وقال الميمنى : « وفى العينى ١ : ٣٥٨ والسيوطى ١٦٦ ونقلوا عن ابن يعيش أنه نسبها لأبى مجدلة » .

(٣) فى الشاهد ٣٩٢ من هذا الجزء ص ٣٢٤ .

(٤) الخزانة ٤ : ٢٦٥ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع بعد الأربعمائة [١]:

٤٠٤ (وكائنْ بالأَباطحِ مِن صديقٍ
يَرانى لو أُصِبْتُ هو المُصَابا)

٤٥٥ على أنَّه ربَّما وقع ضميرُ الفصل بلفظ الغيبة بعد حاضر ، لقيامه مقام مضاف غائب ، أى يَرَى مُصابى هو المصاب .

بيانه : أَنَّ هو فصلٌ وقع بعد ضمير الحاضر ، أى المتكلِّم ، فكان حقُّه فى الظاهر أن يقول : يرانى أنا المصاب ، لأنَّ ضمير الفصل يجب أن يكون وَفْق ماقبله فى الغيبة والخطاب والتكلم ، لأنَّ فيه نوعاً من التوكيد ، تقول : علمت زيداً هو المنطلقَ ، وعلمتك أنت المنطلقَ ، وعلمتنى أنا المنطلقَ . وحينئذ يتوجَّه عليه سؤالان : أحدهما كيف وقع ضمير الغيبة بعد ضمير المتكلِّم ، وحقُّ الفصل أن يكون وَفقا لما قبله ؟ وثانيهما : أنَّ المفعول الثانى فى باب علم يجب أن يكون موافقاً للمفعول الأول فى الماصدَق ، فكيف يصحُّ حمل المصاب الذى هو بمعنى المصيبة على الياء فى يرانى ؟

وأجاب الشارح المحقق عنهما بما ذكره ، وهو أَنّ الضمير الحاضر ، وهو الياء ، قائم مقام المضاف الغائب ، أى يرى مُصابى هو المُصَابَ . والمعنى يرى مُصابى هو المُصَابَ العظيم ، ويسقط بهذا الجواب السؤالان .

ووجه قيام الياء مقام المضاف أنَّ مفعول يرى فى الحقيقة هو المضاف المحذوف ، والياء مضاف إليه،فلمَّا حذف المضاف قام الياء المجرور محلاً مقامَ

---

(١) أمالى ابن الشجرى ١ : ١٦ وابن يعيش ٣ : ١١ / ٤ : ١٣٥ والمقرب ٢٢ وشرح شواهد المغنى ٢٩٦ والهمع ١ : ٦٨ ، ١٥٦ / ٢ : ٧٦ والأشمونى ٤ : ٨٧ وديوان جرير ١٧ .

ذلك المضافِ المنصوب على المفعولية ، فالفصل مطابق للمحذوف لا للقائم مَقامه . وإنما وصف المضاف بالغائب لأنه اسمٌ ظاهر ، وهو فى حكم الغائب ، ولهذا يعود ضمير الغيبة إليه . والمصاب على هذا مصدرٌ ميمى ، كقولهم : جبر الله مُصابك ، أى مصيبتك . وإنما وَصَف المصاب بالعظيم لتحصل الفائدة . ومثله فى حذف الصفة : ﴿ الآن جِئْتَ بالحقِّ (٢) ﴾ ، أى بالواضح . وإلا لكفَروا بمفهوم الظَّرف ، إذ يكون المعنى : وقبل الآنَ لم يجيءْ بالحق ، فيكون إنكاراً لما جاء به أوّلا . ويجوز أن لاتقدَّر الصفة ، ويكتفى بالفائدة الحاصلة من الحصر . والمعنى: لو أصبت يَرى مُصيبتى هى المصيبة ، ولايعدُّ غيرها مصيبة ، وذلك من تأكُّد صداقته ، لايكترث بمصيبة غيرى ولا يهتمّ لها .

ولصحَّة المعنى هنا لم يقدِّر الشارح المحقّق الصفة. فللهِ دَرُّه ، ماأدقَّ نظره!

وهذا الذى ذكره فى هذا البيت أحد تخريجين لأبى على الفارسى ، ذكرهما (فى إيضاح الشعر) قال : يجوز أن يكون التَّقدير فى يرانى : يرى مصابى أى مصيبتى ومانزل بى ، المصابَ ، كقولك : أنت أنت ومصيبتى المصيبة . أى ماعداهُ جلَلٌ هين ، فيكون هو فصلاً بين المضاف المقدر وبين الظاهر .

واقتصر على هذا التخريج ابن الشجرى (فى أماليه) ثم قال : ولو أنه قال يراه لو أصبت هو المصابا ، فأعاد الهاءَ من يراه إلى الصديق ، والمعنى يرى نفسه، كما جاء فى التنزيل : ﴿ إنَّ الإنسانَ لَيطْغَى * أنْ رآهُ استَغْنى (٣) ﴾ــــ لَسَقط الاعتراض،واستغنى عن تقدير المضاف،ولكان المصاب اسم مفعول من قولك:

---

(١) ط : «وصفنا» ، والوجه ماأثبت من ش .

(٢) الآية ٧١ من البقرة .

(٣) العلق ٦ ، ٧ .

أصيب زيد ، فهو مصاب . ولكن المرويّ : «يرانى» . انتهى .

أقول : لم يرو الأخفش (فى كتاب المعاياة) إلاَّ : « يراه لو أصِيبت هو المصابا » بالمثناة التحتية وضمير الغائب .

وقال ابن هشام (فى المغنى) : ويروى : «يراه» أى يرى نفسه ، و «تراه» بالخطاب ، ولاإشكال حينئذ ولا تقدير . والمصاب حينئذ اسم مفعول لامصدر . ولم يطلع على هاتين الروايتين بعضهم فقال : ولو أنه قال يراه ، لَكان حسناً ، أى يرى الصديق نفسه مُصاباً إذا أصبت . اهـ

والتخريج الآخر الذى ذكره أبو على : أن يكون تأكيداً لمستترٍ فى يرانى لافصلا . قال : موضع هو رفع لكونه تأكيداً للضَّمير الذى فى يرانى ، لأنَّ هو للغائب ، والمفعول الأوَّل فى يرانى للمتكلم ، والفصل إنما يكون الأوَّل فى المعنى ، كقوله سبحانه : ﴿ أنا أقلَّ مِنْكَ مالاً وَوَلَداً (١) ﴾ . ألا ترى أنَّ أنا هو المفعول الأول المعبَّر عنه بِنِى . والمعنى يرانى هو المصابا ، أى يرانى لاصّداقة المصابَ ، لغِلظ مُصيبتى عليه للصداقة ، وليس كالعدوِّ أو الأجنبى الذى لايُهمُّه ذاك . اهـ

٤٥٦

فالمصاب على هذا اسمُ مفعول لا مصدر .

وبقى تخريجٌ ثالث نقله ابن هشام عن بعصهم (فى المغنى) ، وهو أن يجعل هو فصلاً للياءِ . ووجَّهه بأنَّه لما كان عند صديقه بمنزلة نفسه حتى كانَ إذا أصيب كأنَّ صديقه قد أُصيب ؛ فجعل ضمير الصديق بمنزلة ضميره ، لأنه نفسُه فى المعنى . اهـ

وزعم ابن الحاجب (فى أماليه) أنَّ الرواية: «لو أُصِيبَ هو المصابا»

(١) الآية ٣٩ من الكهف .

وقال : شرط الفصل أن يأتى على طِبْق الخبر ، فكان ينبغى أن يكون أنا ، لأنَّ المصاب مفعول ثان ليرانى ، والمفعول الأوَّل الياء وهى للمتكلم ، والمفعول الثانى هو الأوَّل فى المعنى ، فكان يجب أن يكون الفاصل على القياس أنا . ووجْهُه أنه ليس على الفصل ، بل هو تأكيدٌ للضمير المستتر فى يرانى ، أو للضمير فى أصيب . وأمَّا إن قدِّر لو أُصبِتْ لم يستقم المعنى ، إذ تقديره يرانى مصاباً إذا أصابتنى مصيبة . ولا يخبر بمثل ذلك عاقل ، إذْ لايُتَوهَّم خلافه . اهـ

فالمصاب المذكور عنده اسم مفعول ، لامصدر .

وقد خفىَ هذا على ابنِ هشام فقال (فى المغنى) بعد نقل كلامه : وعلى ماقدَّمناهُ من تقدير الصفة لايتَّجه الاعتراض .

قال الدمامينى (فى الحاشية الهندية) : الصفة التى أشار إليها إنَّما قدَّرها على جعل المصاب مصدراً لا اسمَ مفعول ، وكلامُ ابن الحاجب فيما إذا كان المصاب اسمَ مفعول لامصدراً ، ولذلك جعله مفعولا ثانياً ليرى ، والمفعول الأول هو الياء ، ولولا ذلك لما صحَّ بحسب الظاهر . والاعتراض الذى أشار إليه ابن الحاجب غير متَّجه مع الإعراض عن تقدير الصفة ، وذلك لأنَّ مبناه على أن يكون مصاباً اسم مفعول نكرة ، والواقع فى البيت ليس نكرةً ، بل هو معرَّف بأل ، والحصر مستفاد من التركيب كقولك : زيد هو الفاضل لاغيره . وكذا المعنى فى البيت ، أى لو أُصبت رآنى المصابَ ، بمعنى أنه لايرى المصاب إلا إيایَ دون غيرى ، كأنه لعظم مكانه عنده وشدَّة صداقته له ، تتلاشى عنده مصائبُ غير صديقِه ، فلا يرى غيره مصابا ، ولايرى المصاب إلا إياه ؛ مبالغة . فالمعنى صحيح متجه كما رأيت ، بدون تقدير صفة . اهـ

وقوله (لو أصبتُ) جملة معترضة بين مفعولَىْ يرى ، وجواب لو محذوف يدلُّ عليه ماقبله . ويرانى بمعنى يعلمنى ، وفاعله ضمير صديق ، والجملة خبر كائن . و(بالأباطح) كان فى الأصل صفة لصديق ، فلما قدِّم عليه صار حالاً منه . و(من صديق) تمييز لكائن ، وتمييزها مجرورٌ بمن فى الغالب . و(كائنْ) هنا خبرية لإفادة التكثير ككم الخبرية . ورواه الأخفش (فى المعاياة) :

* وكم لى فى الأباطح من صديقٍ [١] *

وأورده الزجاج (فى تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿وكائن من نبىٍّ قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كثيرٌ [٢] ﴾. قال : وكائن على وزن فاعل ، وأكثر ماجاء الشعرُ على هذه اللغة . ثم أنشد هذا البيت مع أبيات أُخر .

و(الأباطح) : جمع أبطح ، وهو مسِيلٌ واسعٌ للماء فيه دُقاق الحصَى .

وهذا البيت من قصيدةٍ لجرير بن الخَطَفَى ، مدح بها الحجَّاج بن صاحب الد يوسف الثقفىّ . وبعده :

(ومَسْرورٍ بأوبتنا إليه وآخرَ لايحبُّ لنا إيابا)

ومنها :

(إذا سَعَر الخَليفة نارَ حربٍ
رأى الحجّاجَ أثقبَها شهابا)

---

(١) الكلام التالى لهذا الشطر إلى « بأوبتنا إليه » فى س ١٤ ساقط من ط . وإثباته من ش.

(٢) الآية ١٤٦ من آل عمران . وهى قراءة نافع ، وابن كثير ، وأبى عمرو .

ومطلع القصيدة :

٤٥٧ (سئمت من المواصَلة العتايا

وأمسَى الشَّيبُ قد ورِثَ الشَّبابا)

ومعنى وراثة الشيب الشبابَ حلوله محله ، فإنّ الوارث يحلُّ محَلَّ الموروث .

وترجمة جرير قد تقدَّمت فى الشاهد الرابع من أوائل الكتاب [١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس بعد الأربعمائة [٢] :

٤٠٥ (هو البينُ حتَّى ماتأنَّى الحزائقُ)

تمامه :

(وياقلبُ حتى أنت ممَّنْ أفارقُ)

على أنه قد يخبر عن ضمير الأمر المستبهِم تقدبراً بالمُفرد ، كما أُخبر بالبين هنا عن هو ، كأنه قيل : أىُّ شىء وقع من المصائب ؟ فقال :هو البين.

وقوله : (حتى ماتأُنَّى) مبنىٌّ على مايفهَم من استعظام أمر البين المستفاد من الضمير ، أى ارتقى أَمر البين فى الصُّعوبة حتى لاتتأنَّى جماعاتُ الإبل أيضاً .

وفى هذا ردٌّ على الواحدى فى زعمه أَنّ هذا الضمير من قبيل مافسِّر بجملة . وهذه عبارته : هو كنايةٌ عن البين ، يسمُّون ماكان من مثل هذا الإضمارَ على شريطة التفسير ، كقوله تعالى : ﴿ قل هُوَ الله أحد ﴾ .

---

(١) الخزانة ١ : ٧٥ .

(٢) ديوان المتنبى ١ : ٤٥١ بشرح العكبرى .

وقوله تعالى : ﴿ فإنَّها لاتَعْمَى الأبصار [١] ﴾ ، وقولِ الشاعر :

* هى النَّفسُ ماحملتها تتحمَّلُ *

ومثله كثير . اهـ

وقال المبارك بن المستوفى (فى النظام) : قال أَبو القاسم عبد الواحد بن علىّ : يقول : الحقُّ والشأن هو الفراق لا الاجتماع ، كأنه نظر فيه إلى قوله تعالى : ﴿ الذى خَلَق الموتَ والحياةَ [٢] ﴾ ، فقدّم الموتَ لأنَّ الانتهاء إليه ، والأمور بخواتمها . وهذا تفسيرٌ بعيدٌ من معنى البيت ، وتقدير ضمير الشأن بما قدَّره به يغاير ماقدَّره النحويون . اهـ .

و(تأنَّى) أَصله تتأنَّى بتاءين ، مضارع من التأنِّى ، وهو التلبُّث . و(الحزائق) : جمع حَزِيق بالحاء المهملة والزاى المعجمة ، قال صاحب القاموس :الحزيق والحزيقة والحَزَاقة:الجماعة ، والجمع الحزائق . والظاهر أنه بمعنى الجماعة مطلقاً لابمعنى جماعة الإبل ، كما صرح به الشارح . ويدلُّ لما قلنا كلامُ شُرَّاحه . قال ابن جنى : تأنَّى : تَمَكَّث . والحزائق : جمع حَزِيق ، وهو الجماعة . وقال أبو اليُمْن الكِندىّ : أى هذا الذى تشتكيه هو البين ، حتى لاتُمكثَ للجماعات فى التفرُّق ، بل لها إسراعٌ وعجلة . ثم التفتَ إلى خطاب قلبهِ ، أى أنت أيضاً مع عُلْقتك فىَّ الموجبةِ لقُربك أنت مفارِق .

و(حتى) فى الموضعين ابتدائية . وأشار إليه ابن جنى بقوله : معناه يفارقنى كلُّ أحدٍ حتى أنت مفارقى ، كما قال الفرزدق :

---

(١) سورة الحج ٤٦ .

(٢) الآية الثانية من سورة الملك .

* فياعجبا حتى كليبٌ تَسبُّنى [(١)] *

أى يسبُّنى كل أحدٍ حتى كليبٌ تسبُّنى .

قال ابن هشام (فى المغنى) : حتى الابتدائية حرفٌ يبتدأ بعده الجمل ، أى يُستأنف . فيدخل على الجملة الاسمية والفعلية ، قال الفرزدق :

* فياعجبا حتى كليبٌ تسبُّنى *

ولابدَّ من تقدير محذوف قبل حتى من هذا البيت يكون مابعد حَتَّى غايةً له ، أى فواعجَبَا يسبُنُّى الناس حتى كليب تَسبّنى . اهـ

قال الواحدى : ومعنى البيت : هو البين الذى فرَّق كلّ شىء ، حتى لايتمهَّل ولا يتأنَّى الجماعاتُ أن يتفرّقوا إذا جرى حكم البين فيهم . ثم خاطب قلبه : وأنت أيضاً على مالَكَ من علائق القُرْب ممن أفارقه . يعنى : الأحبَّة ، إذا فارقونى ذهب القلب معهم ، ففارقنى وفارقته . اهـ

صاحب الشاهد ٤٥٨

وهذا البيت مطلعُ قصيدةٍ لأبى الطيِّب المتنبِّى ، مدح بها الحسين بن إسحاق التَّنوخى .

وترجمة المتنبى تقدّمت فى الشاهد الواحد والأربعين بعد المائة [(٢)] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد المفصل [(٣)] :

---

(١) من شواهد سيبويه ١ : ٤١٣ والخزانة ٤ : ١٤١ بولاق . وصدره فى ديوانه ٥١٨ :
* فياعجبا حتى كليب تسبنى *

(٢) الخزانة ٢ : ٣٤٧ — ٣٦٣ .

(٣) ابن يعيش ٣ : ١١٧ . وانظر الخصائص ٢ : ١٧٠ وشرح شواهد المغنى ١٤٤ وديوان الهذليين ٢ : ١٥٨ .

٤٠٦ (على أنَّها تعفُو الكلومُ وإنَّما
نُوكَّلُ بالأدنى وإنْ جَلَّ مايمضى [(١)])

على أنّ الضمير فى (أنَّها) ضمير القصَّة .

فى التسهيل وشرحِه لابن عقيل : وإفرادُه لازم ، لأنّ مفسِّره مضمونُ الجملة . وهو مفرد . وكذا تذكيره . والمنقول عن البصريين جواز التأنيث لإرادة القصة ، وعن الكوفيين المنعُ مالم يَلِهِ مؤنث ، نحو : إنها جاريتاك ذاهبتان ، وإنها نساؤك ذاهبات ، أو مذكر شبِّه به مؤنث ، نحو : إنَّها قمرٌ جاريتك ، أو فعلٌ بعلامة تأنيث ، كقوله تعالى : ﴿ فإنَّها لاتَعمَى الأبصار ﴾ فيرجَّح تأنيثه باعتبار القصَّة على تذكيره باعتبار الشان . فيجوز فى هذه المسائل الثلاث : التذكير والتأنيث ، لكن الراجح التأنيث ؛ لأَنَّ فيه مشاكلةً تحسِّن اللفظ ولا يختلف المعنى بذلك ، إذ القصة والشأن بمعنًى واحد . اهـ

و(تعفو) هنا فعل لازم بمعنى تَدرُس وتبرأ . و(الكلوم) فاعله ، جمع كَلْم ، وهو الجُرح والحَزّة ، والجملة خبر ضمير الشأن . ولم يحتج إلى رابط لأنَّها نفس المبتدأ فى المعنى . اهـ

صاحب الشاهد

والبيت من أبيات لأبى خراش الهذلى ، أوردَها السكَّرى (فى أشعار الهذليين) ؛ وكذلك المبرد (فى الكامل) ، وأبو تمام فى أول باب المراثى (من الحماسة) . وكذلك الأصبهانى أوردها (فى الأغانى) ، والقالى (فى أماليه) ، وهى :

---

(١) ط : «توكل» ش : «يوكل» . والأخيرة رواية أجازها البغدادى فى تفسيره التالى . والرواية الغالبة بالنون كما أثبت من الديوان والأغانى ٢١ : ٤٣ والقالى ١ : ٢٧١ والكامل ٣٣٧ . وهو الذى لا يتعارض مع نص البغدادى .

أبيات الشاهد

(حَمِدتُ إلهى بَعدَ عُرْوةَ إذْ نجا
خِراشٌ ، وبعضُ الشَّرِّ أهوَنُ من بعضِ

فواللهِ ماأنسى قَتيــلاً رُزئتــهُ
بجانب قَوسَى مامشَيتُ على الأرضِ

على أنَّها تعفو الكلومُ وإنَّما
نُوَكَّل بالأَدنى وإنْ جلَّ مايمضى[1]

ولم أدرِ مَن ألقَى عليه رداءَه
على أنَّهُ قد سُلَّ عن ماجِدٍ مَحضِ

ولم يكُ مثلوجَ الفؤادِ مهبَّجا
أضاع الشبابَ فى الرَّبيلة والخَفْضِ [2]

ولكنَّــه قد نازعتــه مَجــاوعٌ
عَلَى أنَّه ذو مِرَّة صادقُ النَّهضِ)

عُروة : أخو أبى خراش ، وخراشٌ : ابنه . وأخطأ بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصل) ، وتبعه شارح أبيات الموشح ، فى زعمه أنَّ عروة ابنُ الشاعر .

وخِراش بالراء لابالدال .

أبو خراش الهذلى

وأبو خراش اسمه خُويلد بن مُرَّة ، وتقدَّمت ترجمته فى الشاهد الثانى والسبعين [3] . وكان لأبى خراش تسعة إخوة ، منهم عُروة بن مُرّة ، وزهير بن مُرَّة

---

(١) انظر الحاشية السابقة .

(٢) ط : « مهيجا » بالياء ، صوابه بالباء الموحدة كما فى ش وسائر المراجع .

(٣) الخزانة ١ : ٤٤٣ .

قال المبرد (فى الكامل) : جاور عروةُ بن مرة أخو أبى خراش الهذلى ثُمالَة من الأزد [(١)] فجلس يوماً بفناء بيته آمناً لايخاف شيئاً ، فاستدبره رجل منهم بسهمٍ فقصم صلُبه ، ففى ذلك يقول أبو خِراش :

لعنَ الإله وجوهَ قومٍ رُضَّع
غدروا بعروةَ من بنى بَلَّالِ

وأَسرت ثمالةُ خراشَ بنَ أبى خراش ، فكان فيهم مقيما ، فدعا آسِرُهُ رجلاً منهم للمنادمة ، فرأى ابن أبى خراش مُوثقا فى القِدّ [(٢)] فأمهَلَ حتى قام الآسر لحاجةٍ ، فقال المدعوّ لابن أبى خِراش : من أنت ؟ قال : أنا ابن أبى خراش . فقال : كيف دِلِّيلاك ؟ قال : قطاة . قال : فقمْ فاجلسْ ورائى . وألقى عليه رداءه ، ورجع صاحبهُ فلما رأى ذلك أصلتَ له السيفَ ، فقال : أسيرى ! فنثر المجير كنانته وقال : والله لأرمينَّك إنْ رُمْتَه ؛ فإنى قد أجرته ! فَخَلَّى عنه ، فجاء إلى أبيه فقال له : من أجارك ؟ فقال : والله ماأعرفُه . فقال أبو خراش :

٤٥٩

* حَمِدت إلهى بعد عروة إذ نَجا * الأبيات

وتزعم الرُّواةُ أنها لاتعرف رجلا مَدح من لايعرف غير أبى خراش . وقوله : «وجوه قوم رُضّع» هو جماعة راضع ، وقوم يقولون : هو توكيد للَّئيم

---

(١) ط : «بن الأزد» ، صوابه فى ش والكامل ٣٣٧ . وهو ثمالة بن أسلم بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد ، كما فى جمهرة ابن حزم ٣٧٧ .

(٢) القد ، بالكسر : سيور تقد من جلد فطير غير مدبوغ فتشد بها الأقتاب والمحامل ونحوها . ط : «القيد» صوابه فى ش والكامل .

كما يقولون : جائع نائع [١]. وقوم يقولون : الراضع : الذى يرتضع من الضَّرع لئلا يسمع الضيفُ والجار الحلَبَ منه [٢] . وقوله : كيف دِلِّيلاك ، فهو كثرة الدلالة . والفِعِّيلَى إنما تستعمل فى الكثرة . اهـ

وقال صاحب الأغانى : خرج زهير بن مُرّة ، أخو أبى خراش ، معتمراً حتَّى ورد ذات الأُقَيْر من نَعْمان [٣] ، فبينا هو يسقى إبلًا له إذ ورد عليه قومٌ من ثمالة . فقتلوه ، فغزاهم أبو خِراشٍ وقتل منهم أهل دارَين ، أى حِلَّتين ، من ثمالة.ثمَّ إنَّ عروةَ وخِراشاً خرجا مُغيرَين على بطنينِ من ثمالة ، يقال لهما : بنُو رِزام وبنو بَلَّال — بتشديد اللام الأولى — فظَفِرَ بهما الثماليون ، فأمّا بنو رزام فنَهَوْا عن قَتلهما ، وأبَت بنو بلَّال عن قتلهما ، حتى كاد يكون بينهم شرٌّ ، فألقى رجلٌ منهم ثوبه عَلَى خراش حين شُغِل القوم بقتل عُروة ثم قال : انجُ . وانحرف القومُ بعد قتلهم عروة إلى الرجل وكانوا سلَّموه إليه [٤] فقالوا : أيْنَ خراش ؟ فقال : أفلت منِّى فذهب . فسعى القومُ فى أثره فأعجزهم ، فقال أبو خراش فى ذلك يَرْثِى أخاه عُروة ويذكر خلاص ابنه خراش :

حمدتُ إلهى بعد عُروة إذ نجا .... الأبيات اهـ

وذكر التِّبريزى (فى شرح الحماسة) بعد نقل هذين القولين عن المبرد أيضاً ، أنَّ مُلقِىَ الرِّداءِ كان مجتازاً بعروة ، فرآه بادىَ العورة مصروعاً ،

---

(١) بعده فى الكامل : «وحسن بسن ، وعطشان نطشان ، وأجمع أكتع » .

(٢) الكامل : «لئلا يسمع الضيف أو الجار صوت الحلب فيطلب منه » .

(٣) فى النسختين : «ذات الأقبر» بالباء ، صوابه بالياء مع هيئة التصغير ، كما فى معجم البلدان « الأقير » .

(٤) فى الأغانى ٢١ : ٤٣ : « وكانوا أسلموه اليه » .

ففعل به ذلك . قال التبريزى : قد رُوى فيما حُكى عن الأصمعى وأبى عبيدة أنهما قالا : لانعرف من مَدح من لايعرفه غير أبى خراش .

وقد سلك من شعراء الإسلام مَسلكَه أبو نواس ، فى أبياتٍ أوّلُها :

ودارِ ندَامَى عطَّلوها وأدلجوا بها أَثرٌ منهم جديدٌ ودارسُ
مَساحبُ من جَرِّ الزِّقاق على الثرى وأضغاثُ رَيحانٍ جَنِىٌّ ويابسُ
ولم أدرِ من همْ غيرَ ماشهدتْ لهم بشرقىٌّ ساباط الديارُ البسابسُ

وقوله : « حمدتُ إلهى بعد عروة » إلخ قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة):إذْ بدلٌ من بعدَ عروة ، والمعنى : أشكر الله بعد مااتَّفق من قتل عروة على تخلُّص خِراش ، وبعض الشرّ أخفُّ من البعض ، كأنّه تصوَّر قتلهما جميعاً لو اتفق ، فرأى قتلَ أحدِهما أهون .

قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) وأخذه التبريزى (فى شرحها) : فإن قيل : ليس فى الشرّ هين ، وأفعل هذا يستعمل فى مشتركين فى صفة [1] زاد أحدُهما على الآخر ، فكيف يجوز هذا ولا هيِّنَ فى الشرّ ؟ وجوابه أنّ هذا كلامٌ محمول على معناه دون لفظه ، وذلك أنه إن كان هناك حالٌ تهوِّن الشرَّ مِن صبرٍ عليه أو احتساب ، أو طلب ذكر أو ثواب ، فإنه أيضاً مراتبُ ، وليس بجارٍ على سَننٍ واحد .

وقال التبريزى :قلت [2]: إنَّ للشرِّ مراتب ، فإذا جئت إلى آحادها

(١) ط : « وأفعل هذا فى مشتركين يستعمل فى صفة » ، صوابه فى ش كما هو فى شرح الحماسة للتبريزى ٢ : ٢٨٢ . وفى إعراب الحماسة الورقة ١١٠ : « إنما يقال هذا أفعل من هذا فى الصفة يشترك فيها الموصوفان ثم يزيد فيها أحدهما على صاحبه » . والنص هنا بعده مطابق لنص ابن جنى فى إعراب الحماسة .

(٢) فى النسختين : «قال» ، والوجه ماأثبت من شرح التبريزى .

وقد تصوَّرتَ جملها ورُتَبَ الآحادِ فيها ، **وجدتَ كلَّ نوع منها بمضامَّته** للغير له حالٌ فى الخفة والثقل . وإذا كان كذلك **فلا يمنع أن يوصَف منه شىء** بأنه أهونُ من غيره .

٤٦٠ وقوله : « فوالله ماأنسى » إلخ رواه القارى [1] : « **فوالله لاأنسى** ».

وقَوسَى بالقاف والقصر ، قال المبرد (فى الكامل) : هو بلدٌ تحلُّه ثمالة بالسَّراة : وقال القالى (فى المقصور والممدود) وتبعه أبو عبيدة (فى معجم ماستعجم) : هو موضعٌ ببلاد هُذيل ، وفيه قتل عروة . وأنشد هذا البيتَ .

وهذا خلاف الصواب .

وأخطأ أبو عبيدة فى قوله : عروة أخو أبى كبير . وقال أبو عبيد أيضا (فى شرح أَمالى القالى) : إن قَوْسى رواه أبو على القالى بفتح القاف ، وغيره يأبى إلاَّ ضمَّها . وقال (فى معجم ماستعجم): بفتح أوله وضمه معا .

وقال ياقوت (فى معجم البلدان) : إن قَوْسى بفتح القاف وسكون الواو وسين مهملة ثم ألف مقصورة ، تكتب ياء : بلد بالسَّراة ، وبه قتل عروة أخو أبى خراش الهذلى .

ورزئته بالبناء للمفعول ، أى أُصبت به . قال المرزوقىُّ وتبعه التبريزى : تعلق الباءُ من قوله بجانب بقتيلاً ، كأنه قال : ماأَنسى قتيلا على الأرض بجانب قوسى رزئته ، ورزئته وبجانب جميعاً صفة للقتيل ، وقد دخله بعض الاختصاص بذكرهما . اهـ . فأَراد بالتعلُّق التعلُّقَ المعنوىّ ، وهو كونه صفة كما صرَّح به فى آخر الكلام .

---

(١) انظر ماسبق فى حواشى الجزء الأول من الخزانة ص ٢٧٥ . وللقارى هذا شرح على ديوان الهذليين .

وقد غفل عنه الدماميني (فى الحاشية الهندية) فقال : قال المرزوقى فى الباء من قوله بجانب : يتعلّق بقتيلا . الظاهر أنه لايعنى قتيلا المذكور ؛ لأنَّ وصفَه مانعٌ من إعماله ، وإنَّما يعنى قتيلاً محذوفا . أى رُزئتُه حالة كونه قتيلاً بجانب قوسى . هذا كلامه .

وقوله : « مامشَيْتُ على الأرض » قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) ، وأخذه التبريزى : مامع الفعل فى تقدير مصدر ، وحُذف اسم الزمان معه ، كأنه قال : مدَّة مشْيِى على الأرض ، وإن أمش على الأرض . وفى الكلام نيَّةُ الشرط والجزاء ، كأنه : قال لاأَنسى قتيلا رزئته إن مشيت على الأرض . ومعناه إن بقيتُ حياًّ . فلذلك وقع الماضى فيه فى موضع المستقبل ، لأنَّ مامشيت على الأرض فى موضع ماأمشى على الأرض .

وقوله : (على أنها تَعفو الكلوم) إلخ قال التبريزى : هذا يجرى مجرى الاعتذار منه ، والاستدراك على نفسه فيما أُطلقه من قوله : لاأنسى قتيلا رزئته . والضمير للقصَّة ، وخبر إنَّ الجملة بعدها . ولو قال على أنه لجاز ، وكان الضمير للشأن . ويعنى بالكَلْم الحَزَّة عند ابتداء الفجيعة . اهـ

و(تعفو) : تنمحى وتذهب وتبرأ ، من عفا المنزلُ يعفو عَفْوا وعُفُوًّا وعَفَاءً بالفتح والمد ، بمعنى درس وانمحى . ويأتى متعدِّيا ، يقال عفَته الريح بمعنى مَحَتْه . وليس بمرادٍ هنا .

وقوله : (نوَكَّل [١]) بالبناء للمفعول ،يروى بالنون وبالمثناة التحتية ، من وكَّلته بأمر كذا توكيلا ، إذا فوَّضتَهُ إليه ، أى أَلزمتَهُ به إلزاما . والأدنى : الأقرب ، أى الرزىِّ الأقرب . قال القارى [٢] : يقول : إنما نحزن على الأقرب

(١) انظر ماسبق فى حواشى ٤٠٥ .

(٢) ش : «القالى» مع أثر تغيير . وانظر الحاشية السابقة فى ٤١٠ .

فالأقرب ، ومَن مضى نَسِيناه ولو عظم مامضى . ومثله :

حادثٌ مامُنِى يَعُولك والـ ـأقدمُ تنساهُ وإنْ هُوَ جَلّ [(١)]

انتهى .

قال أبو عُبيد البكرى [(٢)] (فى شرح أَمالى القالى) : قال الأصمعى : هذا بيت حكمة [(٣)] .

وقد أَلمَّ بهذا البيت أَبو بكر بن دريد من قصيدة أَوردها القالى فى ذيل أماليه :

بلى ، غير أنَّ القلبَ ينكؤه الأَسى الـ ـمُلِمُّ وإنْ جلَّ الجوى المتقدِّمُ [(٤)]

٤٦١ وضدُّ هذا قول هشام فى أخويه : أَوفى ، وغيلانَ ذى الرمة :

تَعزَّيتُ عن أوفَى بغَيلانَ بَعدَهُ عَزاءً وَجفنُ العينِ ملآنُ مُتْرَعُ

ولم يُنْسِنِى أوفى المصيباتُ بعده ولكنَّ نَكْءَ القَرْحِ بالقَرْحِ أوجَعُ [(٥)]

قال التبريزى : موضع [(٦)](على أنها) نصبٌ على الحال ، والعامل فيه مأنسى .وهذا كما تقول:ماأترك حَقَّ فلان على ظَلْعٍ لى ، كأنَّ التقدير :

---

(١) ش : « حادث مايثنى بعولك » . ومنى ، أى قُدِّر . يعولك : يغلبك ويثقل عليك ويهمك .

(٢) سمط اللآلىء ٦٠١ .

(٣) فى النسختين : «أبو بكر» فقط ، والتصحيح للشنقيطى فى المخطوطة .

(٤) فى النسختين : «ينكره الأسى» ، صوابه من ذيل أمالى القالى ٣ : ١٢ .

(٥) ط : « ولكن نكاء » ش : «ولكن نكا أ» ، كلاهما محرف .

(٦) ط : « قال التبريزى فى موضع » .

أؤديه ظالعا . فعلى هذا يجيء : ماأَنسى قتيلا رُزئته على عفاء الكلوم ، أى أذكره عافياً جُرحى كسائر الجراح [١].اهـ

قال ابن الحاجب (فى أماليه على أبيات المفصل) : إنَّ «على» هذه تقع فى شعر العرب وكلامِهم كثيراً ، والمعنى فيها استدراك وإضرابٌ عن الأول . ألاَ ترى أنك إذا قلت لايدخل فلانٌ الجنة لسوء صنيعِهِ ، على أَنه لاييأس من رحمة الله ، كان استدراكاً لما تقدَّم وإضراباً عن تحقيقه . وكذلك قوله فى البيت الذى قبله :

* فوالله ماأنسى قتيلا رُزِئته * البيت

ثم قال : على أنها تعفو الكلوم . لأَنَّ المعنَى : على أنّ العادة نسيان المصائب إذا تطاولت ، والحزنُ [٢] عَلَى ماكان من المصاب قريبَ العَهْد . وهذا إضرابٌ واستدراك لما تقدَّم من قوله:أنسى . وكذلك قوله ، وهو أيضاً فى الحماسة :

وقد زعموا أَنَّ المحبّ إذا دنا
يُمَلّ وأنَّ النأىَ يشفى من الوجدِ [٣]
بكلٍّ تداوينا فلم يُشْفَ مابنا
عَلَى أنَّ قربَ الدار خيرٌ من البعدِ
عَلَى أنَّ قربَ الدارِ ليس بنافع
إذا كان مَن تهواهُ ليس بذى ودِّ

(١) الذى فى التبريزى : « عافيا كلمى كسائر الكِلَام » . والكلم : الجرح .

(٢) ط : «والجزاء» ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٣) من الحماسيه ٥٠٣ بشرح المرزوق ص ١٢٩٩. وهى لابن الدُّمَينة .

فقوله : «بكلٍّ تداوينا فلم يشف مابنا» ثم قال « على أنَّ قرب الدار خير من البعد » كالإضراب عن الأوّل ، لأن المعنَى : فلم يحصل لنا شفاءٌ أصلا ، وإذا كان قربُ الدار خيراً فى المعنَى المراد ، ففيه شفاءٌ أو بعض شفاء أصلا . وكذلك قوله : « على أنَّ قرب الدار خير من البعد » ، فاستدركَ أنَّه لايكون خيراً إلا مع الودّ ، فأبطل العمومَ المتقدِّمَ فى قوله قرب الدار خير من البعد . هذا معناها ، وأما تعلُّقها على الوجه الإعرابىِّ فيحتمل أمرين : أحدهما أن تتعلق بالفعل المتقدم قبلها كما تعلقت حاشا الاستثنائية بما قبلها لكونها أوصلت معنى ماقبلها إلى مابعدها على وجه الإضراب والإخراج . وأظهرُ منه أن يقال إنها فى موضع خبر محذوف (١) ، كأنه قيل : والتحقيق على أنّ الأمر كذا . فتعلُّقُها بمحذوف كما يتعلق كل خبرٍ جارٍّ ومجرور ، لأنّ الجملة الأُولَى وقعت عن غير تحقيق ، ثم جيء بما هو التحقيق فيها . وحذف المبتدأ لوضوح المعنَى . اهـ

وقد لَخَّص ابن هشام (فى المغنى) هذا الكلام فى على . والعجب من ابن هشام فإنه ذكر (فى شرح شواهده) ماقاله التبريزى من كون على أنها تعفو حال وعامله لاأنسى ، وغفل عن كلام المُغْنِى هذا .

والذى رواه أبو بكر القارى (فى أشعار الهذليين) ، والمبرد (فى الكامل) ، وأبو علىّ القالى(فى أماليه)، وابن جنِّى (فى المحتسب): «بلى(٤)إنها تعفو الكلوم وإنما».

---

(١) كذا فى النسختين ، أى خبر مبتدأ محذوف .

(٢) ط : «لتعلقها» ، صوابه فى ش .

(٣) هو أحمد بن محمد بن عاصم الحلوانى القارئ ، تلميذ المبرد والسكرى . وتوفى سنة ٣٣٣ كما فى تاريخ بغداد ٥ : ٧٦ . وانظر فهرست ابن النديم ١١٩ وإنباه الرواة ١ : ٩٨ ومعجم الأدباء ٤ : ١٨٧ .

(٤) ط : « على » ، صوابه ماأثبت من ش ، وهو الثابت فيما ذكر من المراجع .

قال أبو عبيد البكرى (فيما كتبه على أمالى القالى) : هذا رجوعٌ من قوله الأوَّل إلى ماهو أصَحُّ .

وقال ابن جنى عند توجيه قراءة الأعرج وغيره : ﴿ ياحسرَهْ عَلَى العِبادِ [١] ﴾ من سورة يس ، ساكنة الهاء : قالوا فى تفسيرِ قوله تعالى : ﴿ لايؤاخذْكم الله باللَّغْوِ فى أيمانِكُم [٢] ﴾ : هو كقولك : لا واللّهْ ، وبَلَى واللّه ، فأين سرعة اللفظ بذكر اسم الله تعالى هنا من التثبُّت فيه والإشباع له ، والمماطلة عليه [٣] من قول الهذلى : . ٤٦٢

* فوالله لاأنسىَ قتيلاً رُزئته * البيت

أفلا ترى إلى تَطَعُّمِكَ [٤] هذه اللفظةَ فى النطق هنا بها ، وتمطِّيك لإشباع معنى القسم عليها . وكذلك أيضاً قد ترى إلى إطالة الصوت بقوله من بعده:

بلى إنَّها تعفو الكلوم .... البيت .

أفلا تراه لمَّا أكذبَ نفسه وتداركَ ماكان أفرط فيه لفظُه ، أطال الإقامة على قوله بلى ، رجوعاً إلى الحق عنده ، وانتكاثاً عما كان عقد عليه يمينَه . فأين قوله هنا فوالله ، وقوله بلى ، منهما فى قوله : لا والله وبَلَى واللّه . وعليه قوله تعالى : ﴿ ولكن يؤاخِذُكُمْ بما عَقَّدتم الأيمانَ [٥] ﴾ ، أى وكَّدْتموها وحقَّقتموها . انتهى كلامه .

---

(١) الآية ٣٠ من سور يس . وانظر المحتسب ٢ : ٢٠٨ .

(٢) البقرة ٢٢٥ والمائدة ٨٩ .

(٣) عليه ، ساقطة من ش .

(٤) تطعم الكلام : تذوُّقه . ش « تنطعك » ومأأثبت من ط يطابق ما فى المحتسب .

(٥) المائدة ٨٩ .

وقوله : «ولم أدرِ مَن ألقى عليه رداءَه» إلخ ، قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : مَنْ هنا استفهام ، وخبرها ألقى . ويجوز أن تكون موصولة فتكون منصوبة الموضع بأدرِى على حدِّ قولك : مادَرَيت به ، ثم تحذف حرف الجر [١] . ولايحسن أن تكون نكرة وألقى صفةً لها ؛ لأنه يصير المعنى لم أدر إنساناً أَلقى عليه رداءه [٢] ، وهذا ربّما أوهم أنه لم يلقِ أحدٌ منهم رداءه . والأمرُ بضدّ ذلك . اهـ

وقوله : «على أنّه قد سُلَّ» قال التبريزى : موضع على نصبٌ على الحال كأنّه قال : لا أدريه مسلولاً عن ماجد محض . وروى فى الحماسة : « سِوى أنّه » وهو استثناءٌ منقطع ، والمعنى لاأعرف اسمه ونسبه ، لكنّه ولدُ كريم بما ظهَرَ من فعله .

قال القارى : لما صُرِع خِرَاش ألقى عليه رجلٌ ثيابَه فواراه ، وشُغِلوا بقتل عروة فنجا خِراشٌ . والرجلُ الذى ألقى عليه ثوبه من أزد شَنوءة ، فقال : لاأدرى مَن ألقى عليه ثيابه ولكنه سلَّ عن ماجدٍ مَحْض ، يعنى الرداء . والماجد المحض ، أى خالص النسب ، هو الذى ألقى عليه ثوبه . اهـ

فالمسلول على هذا هو الرِّداء ، لا الولد كما قال التبريزى .

وقال أبو عبيد البكرى (فيما كتبه على أمالى القالى) : فى هذا البيت ثلاثة أقوال : قال قوم : إنَّ عروة لما قتِل ألقى عليه رداءهُ رجلٌ من القوم فكفّنه به . وقال آخرون : بل الذى أَلقَى عليه الرجلُ هو خِراش [٣] . وذلك

---

(١) بعده فى إعراب الحماسة ١١١ : « فيقضى الفعل إليه فينصبه » .

(٢) ط فقط : «رداء» ، بدون هاء .

(٣) فى اللآلى ٦٠١ : «بل الذى ألقى عليه الرجل رداءه هو خراش » .

أنَّ رجلا من ثُمالة ألقى عليه رداءه ليَخْفَى عليهم ، وقد شُغل القوم بقتل عروة فقال : اهرُبْ . وعطف القوم عليه فلم يروه . وقيل : بل ألقى رجلٌ عَلَى خراش رداءَه إجارةً له ؛ وكذلك كانوا يفعلون .

وهذا مثلُ قول بعضهم (١) يذكر رجلا منَّ عليه :

ولمَّا رأيت أنّـه مُتَعَبَّـط
دعوتُ بنى بدر وألحفْته بُردِى (٢)

انتهى .

وقد تقدَّم هذا الأخير عن المبرد .

وقوله: «ولم يكُ مثلوجَ الفؤاد» إلخ قال القارى : أى لم يكن مثلوجَ الفؤاد ضعيفَه ، أى بارد الفؤاد . والمثلوج :البارد . يقال للرجل إذا لم يكن ذا رأى وحزم : ماأبردَفؤاده وما أخلاهُ ! من ذاك . وقال التبريزى : كأنّه أصاب فؤاده ثلج فبردت حرارته . والمهبَّج ، بفتح الموحدة المشددة بعدها جيم ، قال القارى : هو المثقَّل الكثير اللحم المنتفخ الوجه . وقال التبريزى : هو المرهَّل اللحم المتغير اللون . والرَّبيلة ، بفتح الراء المهملة بعدها موحدةٌ ، قال القارى : يقال إنها النَّعمة والخِصب . وإنه لربِلُ اللَّحم ، إذا كان رطب اللحم . وليس عندى كما قالوا ، لِبيتٍ سمعتُه ، وهو :

---

(١) هو البريق الهذلى ، كما فى اللآلىء . وانظر شرح أشعار الهذليين للسكرى ٧٥٤ .

(٢) المتعبط : المقتول على غير علة . وفى النسختين : «متغيط» صوابه فى اللآلى وشرح أشعار الهذليين . ورواية عجزه فى أشعار الهذليين :

★ دعوت بنى زيد وألحقته جردى ★

وقال : بنو زيد من هذيل . وقال أيضا : والجَرْدُ : الثوب الخلق .

رَبَلنا عَلَى الأعدا لنبتغىَ البَوَا
ولا مَنْ وَتَرْنا يُستَقادُ وتيرُ [١]

فالرَّبيلة : الكَثْرة والشدَّة . يقال رَبل بنو فلان إذا كثُروا . والوتير : الموتور . والبَواء : أن يُقتَل الرجلُ بالرَّجل . اهـ

وقال التبريزى : الرَّبيلة : الرُّطوبة والسِّمَن . يقال رجل رَبِلٌ . ومعنى الشعر أنه رجع إلى صفة عروة فقال : كان ذكىَّ الفؤاد شَهماً ، لم يكن ممن ضيَّعَ شبابه فى صَلاح البدن . وهذا أولى ، لشيئين : أُحدهما قوله ولم يك ، لأنَّه يدلُّ ظاهرُه عَلَى أنَّه نعت فائتٍ . والآخر وصفه بأوصاف لايُوصف بها من لايعرف . ولايُعدَل عن هذا الوجه ، وإن كان قد ذكر أنَّه [٢] من صفات الذى أَنجى خِراشا . اهـ

والخَفْض : الدعة والراحة .

وقوله : « ولكِنَّه قد نازعَتْه » إلخ قال التبريزى : ويروى « ولكنَّه قد لوَّحته مَخامصٌ » . ولوَّحته : غيَّرته . والمخامص : جمع مَخْمَصَة ،وهى خلاء البطن من الطعام جُوعا . والمجاوِع مِثل المَخامص ، وإنما أثَّرت فيه المجاوِعُ ، لأنَّه إذا سافر آثَرَ صحبَه عَلَى نفسه بزادِه ويَجُوع [٣] . وقوله :«صادق النَّهْض » ، يعنى النهوض للمكارم والعُلا ، لايكذِب فيها إذا نَهَض لها .

---

(١) البوا : مقصور البواء كسحاب ، وهو التساوى والتكافؤ فى الأموال والأقدار والدماء . وفى ش : « على الأعداء نبتغى البوا » . ولا يستقيم به الوزن .

(٢) فى النسختين : «بأنه» ، صوابه من التبريزى . وفى التبريزى : «من صفة» بالإفراد .

(٣) فى التبريزى : « بزاده فيشبعهم ويجوع » .

هذا ماأورده صاحبُ الحماسة وغيره ، وزاد أبو بكر القارى ، والمبرِّد (فى الكامل) بعد هذا بيتين ، وهما :

(كأنهمُ يَشَّبَّثونَ بطائرٍ

خفيفِ المشُاشِ عظمُه غيرُ ذى نَحْضِ)

قال القارى : يقول : هؤلاء الذى يَعْدون خلْفَ خراش كأنهم يتعلَّقون بطائر خفيف المشاش ، أى ليس بكثير اللحم . يقال لكل مااستُخِفَّ وخفَّ : إنّه لخفيف المشاش ، بضم الميم . والطائر : العقاب . ثم قال : « عظمه غير ذى نحض » أى هو خفيف ليس بمثقل . والنحض : اللحم . اهـ . وهو بفتح النون وسكون الحاء المهملة . ويَشَّبَّثونَ أصله يَتَشَبَّثون . وروى المبرد : « كأنهم يَسعَون فى إثرِ طائرِ » . وهذا البيت يؤيد مااختاره التبريزى من أنّ الكلام فى وصف خراش

(يُبادر جُنحَ اللَّيلِ فهو مُهابذٌ

يحُثُّ الجناحَ بالتبسُّط والقَبضِ)

قال القارى : فهو مُهابذ ، يعنى الطائر . والمهابذ : السَّريع ، فهو جادٌّ ناج . وأصله من مَرَّ يُهْذِب إهذاباً ، ولكنه قَلَب . والقبض : أَنَّ يَقبض جناحَيه . وقال لى الأصمعى : سمعتُ ابن أبى طرفة ينشد:« مُهابذ » وإنما أراد مُهاذب ، فقلبَه فقال : مُهابذ . يقال : مرَّ يُهذِب إهذاباً ، إذا عدا عدْواً شديداً . وقد سمعت غيره يقول : مُهابذ أى جادّ . اهـ

قال المبرد : وقوله : فهو مهابذ ، يقول : مجتهد . وهذيلٌ فيها سعىٌ شديد وفى جماعةٍ من القبائل (١) التى تحلُّ بأكناف الحجاز .

* * *

(١) فى النسختين : « فيها سعى شديد فى جماعة القبائل » . وإكال النص من الكامل ٣٣٨ .

وأنشد بعده :

(إنَّ من يدخُلِ الكنيسةَ يوماً
يلقَ فيها جآذراً وظباءَ)

على أنَّ اسم إنّ ضمير شأن محذوف ، والجملة بعدها خبرها . وإنما لم يُجعل مَنْ اسمها لأنها شرطية ، بدليل جزمها الفعلين ، والشرط له الصدر فى جملته ، فلا يعمل فيه ماقبله .

وقد تقدَّم الكلامُ على هذا البيت فى الشاهد الثامن والسبعين [(١)] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد سيبويه [(٢)] :

٤٠٧ (إنّ من لَامَ فى بنى بنتِ حَسَّا
نَ أَلُمْهُ وأَعصِهِ فى الخطوبِ)

على أن اسم إنّ ضمير شأن محذوف .

٤٦٤ قال سيبويه فى باب مايكون فيه الأسماء التى يجازى بها بمنزلة الذى ، وذلك قولك : إنّ من يأتينى آتيه ، وكان من يأتينى آتيه ، وليس من يأتينى آتيه . وإنما أذهبْتَ الجزاء هنا لأنك أعملت كان وإنّ ، ولم يسُغْ لك أن تدَعَ كان وإشباهَه معلَّقة لاتُعملها فى شيءٍ ، فلما أعملتهنَّ ذهب الجزاءُ ولم يكن من مواضعه.ألا ترى أنك لو جئت بإنْ ومتى،تريد إنّ إنْ وإنّ متى

(١) الخزانة ١ : ٤٥٧ .

(٢) فى كتابه ١ : ٤٣٩ . وانظر أمالى ابن الشجرى ١ : ٢٩٥ والإنصاف ١٨٠ وابن يعيش ٣ : ١١٥ وشرح شواهد المغنى ٣١٢ وديوان الأعشى ٢١٩.

كان محالا . وإن شغلت هذه الحروف بشيء جازيت فمن ذلك قوله : إنّه من يأتنا نأته ، وقال جل وعز : ﴿إنه مَنْ يأتِ ربهّ مُجْرِماً فإنّ له جَهَنَّمَ [1]﴾ ، وكنتُ من يأْتِنِي آتِه . وتقول : كان مَن يأتنا نُعطه ، وليس من يأتنا نعطه، إذا أضمرت الاسمَ فى كان أو فى ليس ، لأنّه حينئذٍ بمنزلة لست وكنت . فإن لم تضمر فالكلامُ على ماوصفنا . وقد جاء فى الشِّعر : إن من يأتنى آتِه . قال الأعشى :

إنَّ مَن لام فى بنى بنت حَسَّا   نَ ... البيت

فزعم الخليل أنه إنما جازى حيث أضمر الهاء ، فأراد : إنه . ولو لم يرد الهاء كان محالاً . اهـ

فعلم أنّ حذف اسم إنَّ فى هذا مخصوصٌ بالضرورة .

وكذلك قال الأعلم : الشاهد فى جعل مَن للجزاء مع إضمار منصوب إنّ ضرورة .

وقال النّحاس : يقدره سيبويه على حذف الهاء ، وهو قبيح . وفيما كتبته عن أبى إسحاق : لم يجز إنَّ من يأتنى آتِه من جهتين ، لأنَّ مَن إذا كانت شرطا وَاستفهاماً لم يعمل فيها ماقبلها ، ولأنّ تقديرها تقدير إنْ فى المجازاة ، فكما لايجوز إنّ إنْ تأتنا نكرمك ، كذا لايجوز هذا . فإذا جاء فى الشعر فعلَى إضمار الهاء . وقال أبو العباس (فى الشرح[2]) : وأجاز الزيادى : إنّ مَن يأتنا نأته ، على غير ضمير فى إنّ . وهذا لايجوز ، لامتناع الجزاء مِن أن يعملَ فيه ماقبله . اهـ .

---

(١) الآية ٧٤ من طه .

(٢) شرح أبى العباس محمد بن يزيد المبرد ، وهو الرد على سيبويه .

و(لامَ) فاعله ضمير مَن الشرطية ، والجملة فى محل جزم لأنّه شرط ، و(ألمه) مجزوم ، والأصل ألومه فحذفت الواو للساكن ، وهو جزاء الشرط ، والهاءُ ضمير من . و(أعصه) معطوف على ألمه ، وأصله أعصيه ، فحذفت الياءُ لما ذكرنا فى ألمه . و(الخطوب) : جمع خَطب ، وهو الأمر والشأن .

صاحب الشاهد

والبيت فى ديوان الأعشى كذا :

من يلمنى على بنى بنت حَسّا ن ....إلخ

وعليه لاشاهد فيه .

وهو من قصيدة له مَدح بها قيساً أبا الأشعث بن قَيسٍ الكِندىّ .

أبيات الشاهد

وأوّلها :

(مِن ديارٍ هضبٌ كهضب القَليبِ [1]
فاض ماءُ الشؤونِ فيَضَ الغُروبِ
أخلفَتْنـــى بها قُتيلـــةُ مِيعـــا
دِى وكانت للوعد غيرَ كذوبِ [2])

إلى أن قال :

(مَن يَلُمنى على بنى بنتِ حساّ
نَ أَلُمْه وأَعْصه فى الخطوبِ
إنّ قيساً قَيسَ الفَعال أبا الأشـ
ـعث أمسَتْ أعداؤهُ لِشَعُوبِ

(١) كذا . وفى الديوان ٢١٨ : « من ديار بالهضب هضب القليب » .

(٢) فى النسختين : « وكان » ، صوابه من الديوان .

ذاكُم الماجدُ الجواد أبو الأشـ
ـعث أهلُ النَّدى وأهلُ السُّيوبِ

كلَّ عام يُمدُّنى بجَمُومٍ
عندَ تركِ العِنان أو بنجيبِ

تلك خيلى منه وتلك ركابى
هُنَّ صُفرٌ أولادُها كالزَّبيبِ)

قوله : «من ديار» إلخ من تعليلة . والهضْب الأُول : المطر ، يقال هَضبتهم السماءُ ، أى مطرتهم . وهضب القليب : ماء لبنى قنفد [١] من بنى سُليم . كذا قال البكرى (فى معجم مااستعجم) . وهو فى الأصل جمع هَضْبة ، وهو الجبل المنبسط على وجه الأرض . والقليب : البئر ، لأنه قُلب ترابها . والشؤون : جمع شأن ، وهو مجرى الدَّمع فى العين . والغروب : جمع غَرْبٌ بفتح المعجمة وسكون المهملة : الدلو العظيمة .

٤٦٥

وقُتيلة بالتصغير : اسم امرأة . وقوله: بنى بنت حسان ، وحَسّان أحد تبابعة اليمن .

وقوله : «إنَّ قيسا» إلخ هو قيْس بن مَعديكرب الكندىّ ، مات فى الجاهليَّة . وقد تقدمت ترجمته فى الشاهد الثانى بعد المائتين [٢] ، وكان يكنىَ بابنه الأشعث .

---

(١) قنفد ، بالدال المهملة كما فى معجم مااستعجم طبعة وستنفلد ٥٤٧ . وفى طبعة السقا : «قنفذ» بالذال المعجمة ، وكلاهما صحيح . وفى اللسان : «القنفد : لغة فى القنفذ حكاها كراع عن قطرب» .

(٢) الخزانة ٣ : ٢٣٩ .

قيس

والأشعث اسمه معديكرب ، كان أبداً أشعث الرَّأس ، فسُمِّىَ : الأشعث . وهو من الصَّحابة ، وفد على النبى ﷺ سنة عشر وأسلم ، وكان شريفا مُطاَعاً جواداً شجاعا . وهو أوَّل من مشَت الرجالُ فى خدمته وهو راكبٌ . وكان من أصحاب علىّ ، رضىَ الله عنه ، فى وقعة صفين ، وقد قاتل قتالاً شديداً حتى هجم على أصحاب معاوية ودفَعهم عن ماء الفرات وأخذه منهم ، بعد أن مُنع منه أصحابُ علىّ رضىَ الله عنه بليلة . وصلَّى عليه الحسن بن علىّ رضىَ الله عنهما وله من العمر ثلاث وستون سنة .

والفَعَال بفتح الفاء : الكرم والجود . وشَعُوب ، بالفتح : علم للمنيَّة .

والسُّيوب : جمع سيب ، بفتح السين المهملة وسكون المثناة التحتية ، وهو العطاء .

يُمدُّنى من الإمدادِ . والجموم ، بفتح الجيم : الفرس الكثير الجرى . وقوله : « عند ترك العِنان » أى عند تركك تحريكه فى الجرى يعطيك ماعنده من الجرى عفواً . والنجيب : الجمل الكريم .

وقوله : «تلك خيلى منه» ،أى من قيس . والركاب : الإبل ، لا واحد له من لفظه ، وإنما يعبَّر عن واحده بالراحلة . وصُفْر : جمع أصفر بمعنى أسود . وقد استشهد به البيضاوىُّ عند تفسير قوله تعالى : ﴿صفراءُ فاقعٌ لونها (١)﴾ من سورة البقرة . قال : عن الحسن البصرى : صفراء : سوداء شديدة السَّواد ، وبه فسِّر قوله تعالى : ﴿جِمالاتٌ صُفْر (٢)﴾ . وقال الأعشى :

تلك خيلى منه وتلك ركابى .... البيت

(١) الآية ٦٩ من البقرة .

(٢) الآية ٣٣ من المرسلات . وهى قراءة الجمهور . وقرأ حمزة والكسائى وحفص وأبو عمرو : « جِمالة » بالإفراد . تفسير أبى حيّان ٨ : ٤٠٧ .

ولعله عبَّر بالصُّفرة عن السَّواد ، لأنها من مقدّماته ، أو لأنَّ سواد الإبل يعلوه صفرة . وفيه نظر ، لأنَّ الصُّفْرة بهذا المعنى لاتؤكَّد بالفقوع . انتهى .

وهذا اعتراضٌ على تفسير الصُّفرة فى الآية بالسواد . وأما البيت فسكت عنه .

واعترضه صاحب الكشف (١) من وجهين : الأوَّل أنّ الزبيب الغالبَ عند العرب الطائفىُّ ، وهو إلى الصُّفرة أقربُ منه إلى الحمرة . والثانى جواز أن يراد : هُنَّ صُفر وأولادها سود . وأجيب عن الأول بأن تشبيه الشىء بالزبيب صار علماً فى الوصف بالسواد فى لسان الفصحاء ، وكون بعض أفراده أصفرَ وأحمر لايقدح فى ذلك . وعن الثانى بأنَّ الظاهر من العبارة كون أولادها فاعلا لصفر ، أو كون هُنّ صفر جملةً وأولادها كالزبيب أُخرى ، فبعيدٌ لايتبادر إلى الفهم السليم .

وترجمة الأعشى قد تقدمت فى الشاهد الثالث والعشرين من أوائل الكتاب (٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن بعد الأربعمائة ، وهو من أبيات المفصّل (٣) :

---

(١) فى النسختين : «صاحب الكشاف» ، والوجه ماأثبت ، وليس من المعقول أن يعترض الزمخشرى المتوفى سنة ٥٣٨ على البيضاوى المتوفى سنة ٦٩١ . كما أن هذا الكلام لم يرد فى تفسير الزمخشرى إنْ فرض أنه اعتراض على القول لاعلى القائل . أما صاحب الكشف هذا فهو عمر بن عبد الرحمن الفارسى القزوينى المتوفى سنة ٧٤٥ .

(٢) الخزانة ١ : ١٧٥ .

(٣) ابن يعيش ٨ : ٧١ ، ٧٣ . وانظر المنصف ٣ : ١٢٨ والإنصاف ٢٠٥ والمقرب ٢٠ وشرح شواهد المغنى ٣٩ والعينى ٢ : ٣١١ والهمع ١ : ١٤٣ والأشمونى ١ : ٢٩٠ .

٤٠٨ (فلَو أنْكِ فى يوم الرَّخاءِ سَألتِنى)

تمامه :

(طلاقَكِ لم أبخَلْ وأنتِ صديقُ)

٤٦٦ على أنّ إعمال أنْ المخففة فى الضمير البارز شاذٌّ.وفيه شذوذٌ آخر ، وهو كون الضمير غيرَ ضمير الشأن ، لأنهم قالوا : إنّ أنَّ إذا خفِّفت وجب أن يكون اسمها ضميراً غائبا وأن يكون ضمير شأن . قال سيبويه فى الباب السابق ، بعد قول الأعشى :

فى فتيةٍ كسُيوف الهِنْدِ قد علموا
أنْ هالكٌ كلُّ مَنْ يحفى وينتعلُ

يريد معنى الهاء [١] ، ولايخفَّف أنَّ إلاّ عليه ، كما قال : قد علمت أن لايقول ، أى أنَّه لايقول ، وقال تعالى : ﴿ أفلا يَرَوْنَ أَلاَّ يرجعُ إليهم قولا [٢] ﴾ وليس هذا بقويٍّ فى الكلام كقوة أن لايقولُ ، لأنّ لا عوض من ذهاب العلامة . ألا ترى أنهم لايكادون يتكلَّمون بغير الهاء فيقولون : قد علمت أنْ عبد الله منطلق . انتهى .

وقال الفراء (فى تفسيره [٣]) من سورة الحِجْر ، عند الكلام على حَذف نون الوقاية : وقد خفّفت العرب النون من أنَّ الناصبة ثم أنفذوا لها عملها ، وهى أشدُّ من ذا . قال الشاعر :

---

(١) فى سيبويه ١ : ٤٤٠ بولاق : « فهذا يريد معنى الهاء » .

(٢) الآية ٨٩ من سورة طه .

(٣) معانى الفراء ٢ : ٩٠ .

فلو أنْكِ فى يومِ الرَّخاءِ سألِتِنى
فِراقَكِ لم أبخَلْ وأنتِ صديقُ
فما رُدَّ تزويجٌ عليه شهادةٌ
ولا رُدّ من بعَدِ الحَرَارِ عتيقُ

وقال الآخر (١):

وقد علم الضَّيفُ والمرمِلون
إذا اغبرَّ أُفقٌ وهَبَّت شَمالا
بأنْكَ ربيعٌ وغيثٌ مَريعٌ
وقدماً هناك تكون الثِّمالا

انتهى .

وظاهره أنها تعمل مطلقاً كالمثقَّلة . ونقل ابن المستوفى عنه (فى شرح أبيات للفصل) : لم يسمع من العرب تخفيف أنَّ وإعمالها إلاّ مع المكنىّ ، لأنَّه لايتبيَّنُ فيه الإعراب ، فأمَّا مع الظاهر فلا . ولكن إذا خفَّفوها رفعوا . انتهى .

ومنه تعلم أنَّ نقل ابن هشام (فى المغنى) عن الكوفيِّين أنهم زعموا أنها إذا خففت لاتعمل شيئاً غير صحيح . وتحريره أنَّ اسمها إذا كان ظاهراً لاتعمل شيئاً .

والبيت خطابٌ لزوجته فى طلبها الطلاق ، ويريد بيوم الرخاء قبل إحكام عَقد النكاح ، بِدليل البيت الثانى .

---

(١) هو جنوب أخت عمرو ذى الكلب ، كما سيأتى فى الشاهد ٨٦٩ .

وبه يسقط قول الدماميني (في الحاشية الهندية على المغني) : إنّ الشاعر خاطبَ امرأته واصفاً نفسَه بالجود . وقوله : «في يوم الرخاء» من التَّتميم . وكذا قوله : «وأنت صديق» ؛ لوقوع كلٍّ منهما في كلام لايفيد خلاف المقصود مفيداً لنُكتةٍ ، وهي المبالغة في الاتِّصاف بالجود . ويحتمل أن يكون مراده وصف نفسه بمحبَّته هذه المرأة ، وأنّه قد يؤثر مايختاره هو ، حرصاً على رضاها وحصولِ مرادها . انتهى .

وتبعه العيني فقال : إنّه يصف نفسَه بالجود حتى لو سأله الحبيب الفراقَ مع حبِّه لأجابه إلى ذلك وإن كان في الدَّعة والرَّاحة،كراهةَ ردِّ السائل. وإنما خصَّ يوم الرخاء لأن الإنسان ربما يفارق الأحباب في يوم الشِّدَّة.هذا كلامه.

ونقل السيوطي (في شرح شواهد المغني) كلام العيني .

وزعم بعضُهم أنَّ الخطاب لمذكر ، وروَى:«فراقَكَ» بدل «طلاقَكِ» . وهذا كله ناشئٌ من عدم الاطلاع على البيت الثاني . ويوم الرخاء متعلق بسألتني ، وطلاقك مفعوله الثاني ، والجملة خبر أن المخففة ، ولم أبخل جواب لو ، وجملة أنت صديقٌ حال من ضمير أبخل .

٤٦٧ فإن قلت : كان الواجب أن يقول وأنت صديقة ؟ قلت : قال الشارح المحقق (في شرح الشافية) عند الكلام على جمع الصفة جمعَ تكسير : وقد جاء شيء من فعيل بمعنى فاعل مستوياً فيه المذكر والمؤنث ، حملا على فعيل بمعنى مفعول نحو : جَديد وسَديس ، وريح خَريق ، ورحمة الله قريب . ويلزم ذلك في سديس وخريق . انتهى .

وقال صاحب العباب : قد يقال للواحد والجمع والمؤنّث ، قال الله تعالى : ﴿ أو صديقِكُمْ [(١)] ﴾ أي أصدقائكم . وقال :

---

(١) الآية ٦١ من سورة النور .

نَصبنَ الهوى ثمَّ ارتمين قُلوبَنَا

بأعيُنِ أعداءٍ وهنَّ صديقُ [١]

وأنشد الليث [٢]:

إذِ الناسُ ناسٌ والزَّمان بعزَّة

وإذْ أُمُّ عمَّارٍ صديقٌ مساعِفُ [٣]

انتهى . والحَرَار بفتح الحاء المهملة : مصدر حَرّ يَحَرّ ، من باب تعب ، أى صار حُراًّ .

والبيتان أنشدهما الفرَّاءُ ولم يعزهما لأحَد .

(١) لجرير فى ديوانه ٣٩٨ واللسان(صدق ٦٣) ورواية الديوان : « دعون الهوى » .

(٢) ط : « وأنشد البيت » ، صوابه فى ش .

(٣) لأوس بن حجر فى ديوانه ٧٤ . وانظر اللسان والتاج (سعف) ونوادر المخطوطات ١ : ١٥٩ . وفى النسختين : « إذا الناس » . صوابه من المراجع السابقة . والمعروف فى الرواية : «بغرة» ، كما فى اللسان والنوادر .

اسم الاشارة

أنشد فيه ، وهو الشاهد التاسع بعد الأربعمائة ، وهو من أبيات المفصَّل [١]:

٤٠٩ (ذُمَّ المنازلَ بعد مَنزلةِ اللِّوى
والعيشَ بعد أولئكَ الأيَّامِ)

على أن (أولاءِ) يشار به إلى جمع ، عاقلا كان أو غيره كما فى البيت ؛ فإنّ أولاء أشير به إلى الأيام ، وهو جمعٌ لغير مَن يعقل . وكذا قوله تعالى : ﴿إنّ السَّمْعَ والبَصَرَ والفُؤادَ كُلُّ أولئكَ كانَ عنهُ مسئُولا [٢]﴾.

وأورده صاحبُ الكشاف عند هذه الآية أيضا .

قال ابن هشام (فى شرح الشواهد) : ويروى : (الأقوام) بدل (الأيام) فلا شاهد فيه . وزعم ابن عطية أنَّ هذه الرواية هى الصواب ، وأنّ الطبرىّ غَلِطَ إذ أنشده:«الأيام» ، وأنَّ الزجاج تبعه فى هذا الغلط . انتهى .

قلت : رواه محمد بن حبيب (فى النقائض [٣]) ، ومحمد بن المبارك (فى منتهى الطلب من أشعار العرب) : «الأقوامِ» كما قال ابن عطية .

---

(١) ابن يعيش ٣ : ١٢٦ ، ١٣٣ / ٤ : ٣٦ ، ٣٧ / ٩ : ١٢٧ ، ١٥٩ . وانظر المقتضب ١ : ١٨٥ وشرح شواهد الشافية ١٦٧ والعينى ١ : ٤٠٨ والتصريح ١ : ١٢٨ والأشمونى ١ : ١٣٩ ، وديوان جرير ٥٥١ .

(٢) الآية ٣٦ من الاسراء .

(٣) النقائض ٢٦٩ .

صاحب الشاهد

وهو من قصيدةٍ لجرير بن الخطَفى ، هجا بها الفرزدق ، وعِدّتها ستة وعشرون بيتاً . ومطلعها :

(سَرتِ الهمومُ فبِتنَ غيرَ نيامِ
وأخو الهموم يرومُ كلَّ مَرامِ
ذمَّ المنازل بعد منزلة اللوى ... البيت)

وقال بعد بيتين :

أبيات الشاهد

(فإذا وقفتُ على المنازل باللوَى
فاضت دموعى غيْرَ ذاتِ نظامِ
طَرقتكَ صائدةُ القلوب وليس ذا
حِينَ الزيارةِ فارجِعى بسلامِ
تُجرِى السِّواكَ على أغرَّ كأنّه
بَرَدٌ تحدَّرَ من متون غمامِ
لولا مراقبةُ العيون أرَيننا
مُقَل المَها وسوَالفَ الآرامِ)

ثم بعد أن تغزَّل بأبياتٍ شرعَ فى هجو الفرزدق فقال :

(إنَّ ابن آكلةِ النُّخالة قد جَنَى
حَرباً عليه ثقيلةَ الأجرام
خُلِق الفرزَدقُ سَوءةً فى مالك
ولِخَلْفِ ضَبَّة كان شرَّ غلامِ [١]

---

(١) فى النسختين : «حلق الفرزدق» ، صوابه من الديوان . وفى ط : « سورة فى مالك والخلف » ، صوابه من ش والديوان .

مهلاً فرزدقُ إنَّ قومَك فيهِمُ
خَوَرُ القلوبِ وخِفَّة الأحلامِ

٤٦٨ الظَّاعنون عَلَى العَمَى بجميعهمْ
والنَّازِلونَ بشرِّ دارِ مُقامِ

لو غيرُكمْ عَلِقَ الزُّبيرُ بحبْلِهِ
أدَّى الجوارَ إلى بنى العوَّامِ

كان العِنانُ على أَبيك محرَّما
والكِيرُ كان عليه غَيْرَ حرامِ)

وبعده بيتان هما آخر القصيدة (١)

وقوله : (ذُمَّ المنازلَ) إلخ قال ابن هشام : الأرجح فيه كسر الميم الذى هو واجبٌ إذا فك الإدغام على لغة الحجاز ، ودونه الفتح للتخفيف ، وهو لغة بنى أسد ، والضمُّ ضعيف ووجهه إرادة الاتباع . والمنازل : جمع مَنزل أو منزلة ؛ فهو كالمساجد والمحامد (٢) . وهذا أولى ، لقوله : (مَنزلة اللوى) . و(بَعدَ) إمّا حالٌ من المنازل ، أو ظرف . و(العيش) عطف على المنازل . و(الأيام) صفةٌ لاسم الإشارة أو عطف بيان .

وقوله : «طرقتْك صائدة» إلخ هذا التفاتٌ من التكلم إلى الخطاب . والطروق : الإتيانُ ليلا . قال ابن هشام : قد عِيب عليه طردُ خيال محبوبته . وأجيب بأنه طرَقَه فى حال السفر ، فأشفق عليه من الخطر .

وقوله : «تُجرى السِّواكَ على أغرَّ» ، أى على ثغر أغرّ .

---

(١) الحق أن بعد هذا البيت سبعة أبيات لابيتين . الديوان ٥٥٣ .

(٢) اذ أن المساجد جمع مسجد ، والمحامد جمع محمدة .

وقوله : «لولا مراقبة العيونُ» أى الرقباء ، جمع عين وهو الجاسوس .

وقوله : «إن ابنَ آكلةِ النُّخالةِ» يعنى البَعيث . وأراد بآكلة النُّخالة الخنزيرة [١] . والبَعيث شاعرٌ من بنى مجاشع . والجرم بكسر الجيم : الجسَد ، يقال رماه بأجرامه ، أى بجسده .

والخلف بسكون اللام : الردىءُ من الناس وغيرهم ، وبِفتحها : الجيِّد من الناس ومِن كلِّ شىء .

وقوله : «الظَّاعنون» إلخ معناه أنَّهم يركبون مالا ينالون غايته ، وينزلون شرَّ البقاع لنذالتهم ، لايمكَّنون من موضع جيِّد .

وقوله : «لو غيرُكم عَلِقَ الزبير» إلخ الحبل هنا : الذمة . والجوار : المجاروة والذمَّة . وعَلِقَ الشىء بكذا ، من باب تعب ، وتعلّق به ، إذا نشب به واستمسَك . يريد أنَّ قوم الفرزدق غَدَرُوا بالزبير بن العوام فقتلوه . يقول : لو كان فى ذمة غيركم لأدّى ذمته إلى بنى العوّام ولم يَغدر به .

وملخص سبب قتله أن الزبير لما جاء مع عائشة فى وقعة الجمل ، ذكّره علىٌّ رضى الله عنه بقول النبى عليه الصلاة والسلام : « إنك ستحاربه وأنت ظالمٌ له » فاسترجعَ وقال : أذكَرْتنى شيئاً أنسانيه الدّهر . ثم فارقَ المعركة آخذاً طريق مكة ؛ فنزل على قومٍ من بنى تميم ، فقام إليه عمرو بن جُرموز المجاشعى فأضافه ثم قال له : يأبَا عبد الله ، حدِّثنى عن خصالٍ أسألك عنها . قال : هاتِ . قال : خَذْلُك عثمان وبيعتك عليًّا ، وإخراجُك أمّ المؤمنين ، وصلاتك خلف ابنك ، ورجوعُك عن هذه الحرب ، فظنّ بى كلّ شىء إلاّ الجبن ! فانصرف وهو يقول : والهفى على ابن صفيَّة ، أضرمَها ناراً ثم أراد أن يَلحق بأهله ، قتَلنى الله إن لم أَقتُلْه .

---

(١) ط : « الخنزير » . صوابه فى ش .

ثم رجع إليه كالمستنصح . قال : يأبا عبد الله ، دون أهلك فيافى ، فخُذْ نجيبى هذا وخلِّ فرسَك ودرعك فإنهما شاهدانِ عليك بما تكره . ولم يزل به حتى ترك عنده فرسه ودرعَه ، وخرج معه إلى وادى السِّباع ، وأراه أنه يريد مُسايرته ومؤانَستَه ، فقتله غِيلة وهو يصلّى ، وأتَى بسيفه إلى أمير المؤمنين وأخبره بقتله ، فبشّره علىٌّ بالنار . ثم خرج ابن جُرموز على عليّ مع أهل النهروان فقتل مع من قُتِل هناك .

وهذا البيت أورده المبرد (فى الكامل) إلاّ أنّه رواه بنصب «غيرَكم» قال : نُصِب بفعلٍ مضمر يفسِّره مابعده ، لأنها للفعل [1] . وهو فى التمثيل : لو علق الزُّبير غيركم . انتهى .

٤٧٩

وأورده أيضاً أبو بكر بن السّراج (فى الأصول) فى باب أنَّ المفتوحة ، قال : إن الأسماء تقع بعد لو على تقدير الفعل الذى بعدها . فممَّا وَلِيهَا من الأسماء قول الله عز وجل : ﴿ لو أنتم تملِكُون [2] ﴾ ، وقال جرير :

* لو غيركم علق الزبير بحبله *

البيت . انتهى .

والظاهر أن الرواية عنده بالرّفع ، وهو الصحيح لأنّ علق لايتعدّى إلى مفعول صريح .

وكذلك رواه ابن هشام(فى مغنى اللبيب)عند الكلام عَلَى «لو غيرُكم[3]»

(١) فى الكامل ١٥٨ :« لأنه للفعل » يعنى أن كلمة « لو » أو لفظها إنما هو للفعل لاتدخل إلا عليه .

(٢) الآية ١٠٠ من سورة الاسراء .

(٣) ط : « لو » فقط ، وتكملته من ش .

بالرفع . ويردُ عليه أنّ هذا لايصحُّ ، لأنّ المتعلق بالحبل الزبير لاغيركم . وقد يوجَّه بأنّ التعلق من الطرفين : من الزبير بنزوله عندهم ، ومن الغير بحفظ الذمام . وفيه تعسُّف ، والظاهر أن هذا مما حذف فيه كان الشأنية ، كقوله :

* لو فى طُهَيَّة أحلامٌ لماَ عرضوا (١) *

وجملة «غيركم علق الزبير بحبله» من المبتدأ والخبر ، خبر كان الشَّأْنيَّة المحذوفة . أو يكون غيركم اسم كان المحذوفة الناقصة ، وجملة علق الزبير فى محل نصب على أنَّه خبرها .

وإنما أَطنبتُ فى شرح هذا البيت لأنى لم أر أحداً وفَّى حقَّه من الشُّرَّاح ، حتى إنَّ الدمامينى مع جلالته مافَهِم معناه ، قال(فى الحاشية الهندية على المغنى):والذى يظهر أنَّ غرض الشاعر ذمُّ مخاطَبيهِ بأنهم لاقوَّة لهم يحكمون بها من التجأ إلى جوارهم.يقول:لو تمسَّك الزبير بذمة غيركم لم يلتفت إلى جوار قومه واستمسك بهؤلاء الذين استجار بهم ، لكونهم من الحماية له بحيث يفوقون عُصبة قومه . يعنى:وأما أنتم فلستم بهذه المثابة ، فلا يعتدُّ الزبير باعتصامكم،بل هو مستمسك بجوار قومه لايردُّ عليهم (٢) لافتقاره إليه وضعفكم .

هذا كلامه على البيت بحذافيره ، ولايخفى أنّ هذا لامساس له بالبيت، ومنشؤُهُ عدم الاطلاع على القصيدةِ وغرضِ الشاعر .

وقوله : «كان العِنان على أبيك محرَّما» إلخ أراد عنان الفرس . والكِير : كُور الحدَّاد (٣) . يريد أنهم ليسوا بفُرسان ، وأن أباه قَينٌ،أى حدَّاد .

وقد عارضه الفرزدقُ بقصيدةٍ ، منها هذه الأبيات :

---

(١) تمامه كما فى المغنى ٢٦٨ : * دون الذى أنا أرميه ويرمينى * .

(٢) أى لا يرد عليهم جوارهم ، بل يظل مستمسكا به .

(٣) كذا فى النسختين . وهو سهو من البغدادى ، فإن الكير هو منفاخه . وأما الكور فهو المجمرة المبنية من الطين ونحوه .

قال ابن صانعة الزُّروب لقومِه
لاأستطيع رواسىَ الأعلامِ (١)
قالت تجاوبُه المَراغةُ أمُّه
قد رُمْتَ ويلَ أبيك غيرَ مَرامِ (٢)
ووجدتَ قومَك فقَّئُوا من لُؤمهم
عَينيك عند مكارمِ الأقوامِ
صَغُرتْ دِلاؤهُمُ فما مَلئُوا بها
حَوضاً ولا شهدوا غداةَ زِحامِ (٣)
أشبَهْتَ أُمَّكَ إذْ تعارضُ دارماً
بأدِقَّةٍ مُتقاعِسينَ لئامِ
وحسبتَ بحرَ بَنى كليب مُصدِراً
فغَرِقتَ حين وقعتَ فى القَمْقامِ (٤)
فى لُجَّة غمرَتْ أباك بحورُها
فى الجاهليَّة كان والإسلامِ
إلى هنا كلام أمّ جرير له . ومن هنا شرع يفتخر فقال :
إنَّ الأقارعَ والحُتَاتَ وغالباً
وأبا هُنيدةَ دافَعُوا لمقَامِى (٥)

---

(١) ط : «صابغة» صوابه فى ش مع أثر تصحيح والديوان ٨٤٩ والنقائض ٢٦٢ . والزروب واحدها زرب ، وهى حفيرة تحتفر مثل البئر يبنى حولها فتصير كالحظيرة ، تحبس فيها الجداء والعنوق عن أمهاتها .
(٢) فى الديوان والنقائض : «كل مرام» .
(٣) فى الديوان والنقائض : « عراك زحام » .
(٤) مصدرا ، أى يرتوى شاربه فيصدر عنه .
(٥) أبو هنيدة هو صعصعة،وهنيدة هى بنته هند امرأة الزبرقان بن بدر.انظر النقائض والأغانى ٢ : ٥٠/١١ : ٩٦ .

بمناكبٍ سَبقت أَباكَ صدورُها
ومآثـــــرٍ لمتوَّجِيـــــنَ كرامِ
إنِّى وجدتُ أبى بنَى لىَ بيتَه
فى دَوحة الرؤساءِ والحُكّـامِ
من كلِّ أبيضَ من ذؤابة دارمٍ
ملكٍ إلى نَضَدِ الملوكِ هُمامِ
مِنَّا الذى جمَعَ الملوك وبينهم ٤٧٠
حربٌ يُشَبُّ وَقودُها بضِرامِ
خالى الذى ترك النَّجيعَ برمحه
يومَ النقا شَرِقاً على بسطامِ
وأَبى ابنُ صَعصعةَ بنِ ليلى غالبٌ
غلبَ الملوكَ ورهْطُه أعمامى

ويأتى إن شاء الله شرحُ جميع هذا عند الكلام على قوله :

* فى لجة غمرت أباك بحورها *

فإنه من شواهد هذا الكتاب فى باب الأفعال الناقصة [١] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد العاشر بعد الأَربعمائة [٢]:

٤١٠ (تجلَّدْ لايَقُلْ هَؤْلاءِ هذا
بَكى لمَّا بكى أسفاً وغَيظا)

---

(١) هو الشاهد ٧٢٩ .

(٢) ابن يعيش ٣ : ١٣٦ .

علىٰ أنَّ (هَوْلاءِ) بفتح الهاء وسكون الواو مخفف هَؤلاء بحذف ألف ها وقلب همزة أولاءِ واوا .

وقال ابن جنى (فى الخاطريَّات) : الأَصل هؤلاء ، فحذفت الأَلف ، ثمَّ شبَّه هَؤُل بعَضُد فسكِّن ، ثم أبدل الهمزة واواً وإنْ كانت ساكنة بعد فتحة ، تنبيهاً على حركتها الأَصلية . ومثله فى المعتل قول بعضهم فى بئس : بَيْسَ بياء ساكنة بعد الباء . وأسهل من ذلك أنْ يقال : أبدل الهمزة من هؤلاءِ واوا على غير قياس ، ثم استثقلت الضمة على الواو فأسكنت فحذفت الألف لالتقاءِ الساكنين .

وقال الشَّلوبين (فى حاشيته على المفصل) : كثر هؤلاء فى كلامهم حتى خفَّفوه فقالوا:هَوْلاء . قال الشاعر :

تجلَّــدْ لايقــلْ هَوْلاء هذا
بكى لمَّا بكى أسفاً عليكا

فالقافية فى رواية الشلوبين كافيَّة . ولم أدرِ أيُّ الروايتين صحيحة ، لأَنِّى لم أقفْ على شيءٍ بأكثر من هذا . والله أعلم .

و(تجلَّدْ) : فعل أمرٍ من الجلادة ، وهو التحفظ من الجزع . ويَقُلْ مجزومٌ بلا الناهية .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى عشر بعد الأربعمائة (١):

٤١١ (فقلتُ له والرُّمحُ يأطِرُ مَتنَه
تأمَّلْ خُفافاً إنَّنى أنا ذلكا)

---

(١) الكامل ٥٦٩ ، ٥٤٣ والشعراء ٣٠٠ والإنصاف ٧٢٠ .

على أنَّ الإشارة فيه من باب عظمة المشار إليه ، أى أنا ذلك الفارس الذى سمعتَ به . نزَّل بُعْدَ درجتِه ورفعةَ محله منزلةَ بُعْدِ المسافة . وكذا القول فى قوله عز وجل: ﴿ آلم * ذلك الكتابُ ﴾ . وقال المبرد (فى الكامل) نقلا عن ابن عباس ، وتبعه ابن الأنبارى (فى مسائل الخلاف) قالا : قد يأتى اسمُ الإشارة البعيدُ بمعنى القريب ، كما يكون «ذلك» بمعنى هذا . قال تعالى : (إلم * ذلك الكتابُ) . وقال خُفاف بن ندبَة :

* تأمَّلْ خُفافاً إننى أنا ذلكا *

أى هذا . وأقرَّه أبو الوليد الوَقَّشى (فى شرح الكامل) وقال : وأقرب مُتَأَوَّلًا من ذا وذاك فى قول خفاف وأولى بالتأويل ، أن يريد أى أنا خفاف ، فكنى عنه بقوله أنا ذلك ، كما يقول لك القائل : أنت زيد ؟ فتقول له : أنا ذلك الذى تريد . انتهى .

صاحب الشاهد

والبيتُ من أبيات لخُفَاف بن نَدْبة الصحابى ، وهى :

أبيات الشاهد

(فإن تَك خيلى قد أُصِيبَ عميدُها
فإنى على عَمدٍ تيممَّتُ مالِكا

نَصبتُ له عَلْوَى وقد خامَ صُحْبتى
لأبنىَ مجداً أَو لأثأرَ هالِكا

لدُنْ ذرَّ قرنُ الشَّمسِ حتى رأيتهمْ
سِراعاً على خيل تؤُمُّ المسالكا

٤٧١

فلماَّ رأيتُ القومُ لا وُدَّ بينهم
شَرِيجين شتَىَّ منهمُ ومُواشِكا

تيمَّمْتُ كبشَ القوم لماَّ رأيتُه
وجانبت شُبّانَ الرِّجال الصَّعالكا

فجادت له يُمنىَ يدىًّ بطعنةٍ
كسَتْ متنتَيْهِ أسودَ اللونِ حالكا
وقلتُ له والرُّمحُ يأطِرُ متنَهُ
تأمَّلْ خُفافاً إنّنى أنا ذلكا
أنا الفارسُ الحامى حقيقة والدى
به تُدركُ الأوْتارُ قِدماً كذلكا)

قوله : « إن تكُ خيلى » إلخ أراد بالخيل هنا الفُرسان . والعميد : السيِّد الذى يعُمدَ أى يقصد ، أى إنْ قُتِل سيِّد الفرسان . وروى : «صميمُها» والصميم : الشريف والخالص . وأراد بهذا السيد الذى قُتِل ابنَ عمِّه ، وهو معاوية بن عمرو بن الشَّريد ، وهو أخو صخر والخنساءِ الصحابية الشاعرة . وتيمَّمت : قصدت . ومالك ، هو ابن حمار ، وهو سيِّد بنى شَمْخ بن فزارة . وكان من خبره أنَّ خفاف بن ندبة غزا مع معاوية بن عمرو ، مُرَّةَ وفَزارة ، فعمد ابنا حرملة : دريدٌ وهاشم المرِّيَّان ، عَمْدَ معاوية (١) ،فاستطرد له أحدهما فحمل عليه معاوية فطعنه فى عضده ، وحمل الآخر على معاوية فطعنه متمكنا ، فلمَّا تنادوْا : قُتلَ معاوية ! قال خفاف : قتلنى الله إنْ برِحتُ مكانى حتى أثأرَ به ! فحمل على مالك المذكور فطعنه فقتله . وإنما تيمَّمه لأنه عِدْلُ معاوية .

وقوله:«نصبت له عَلوَى» إلخ ،ويروى : «وقفْتُ له عَلوى» ،وهو بفتح المهملة وسكون اللام وبالقصر :اسم فرس خُفاف ، أورده القالى (فى

(١) ط « المريان لمعاوية » ، وأثبت مافى ش .

المقصور والممدود) . وخام ، بالخاء المعجمة ، بمعنى ارتدَّ . يقال أخام الرجل يَدهُ عن الطعام ، إذا رفع يدَه عنه . والصُّحبة : مصدر صحِبه يصحبه . وأراد به الأصحاب. والمجد: الشرف. وأثأرَ هالكاً ، أى آخذ بثأرِ هالك ،يعنى معاوية.

وقوله : «لدن ذرَّ قرنُ» إلخ ، يقال ذرَّ قرنُ الشمس ذرُوراً ، بالذال المعجمة ، من باب قعد [(١)] : طلعت . وقرنها : أوّل مايظهر منها . ولدن : ظرف لقوله نصبت له علوى .

وقوله : « شريجين » : مثنَّى شريج : بفتح الشين المعجمة وكسر الراء وآخره جيم ، حالٌ من القَوم ، أى صِنفين . وشَتَّى ومُواشكا : بدلٌ من شريجين . وشَتَّى : جمع شتيت ، كجرحى جمع جريح . ومُواشك : اسم فاعل بمعنى مُسرع . يعنى رأيت القوم قسمين : فريقٌ منهم رجَع وتشتَّت عن معاوية قبل قتله كما يأتى فى خبر مقتله ، وفريقٌ هارب مُسرعٌ بعد قتله .

وقوله : «تيمَّمتُ كبشَ» إلخ هو جواب لمّا . وكبشُ القوم : رئيسُهم وسيِّدهم . وإنما جانَب الشبابَ ولم يَقتُل منهم لأنهم ليسوا بكفءٍ لمعاوية . والصعالك : جمع صُعلوك ، والقياس الصعاليك ، وهم الفُقَراء .

وقوله : «فجادت له» أى لمالك . والمتنة : مثل المتن ، كما جاء به فى البيت بعده . قال ابن فارس : المتنان : مُكْتَنفا الصلب من العصَبِ واللحم . ومتنت الرجل متنا من بابَىْ ضرب وقتل [(٢)] ، إذا ضربتَ متنه . وأراد بأسود اللون الدمَ . والحالك : الشديد السَّواد .

---

(١) ط : «فقد» ، صوابه فى ش .

(٢) فى هامش ش بخط الناسخ «صوابه من بابَىْ ضرب ونصر» !

وقوله : (وقلت له) إلخ معطوف على جادت ، والعاطف هو الواو لا الفاء كما فى الشرح . والضمير لمالك ، وجملة (والرُّمحُ يأطِرُ مَتْنَه) حالٌ من الهاء ، وجملة (تأمَّلْ خُفافَا) مقول القول . ويأطِر : يحنو ويثْنى [1] . يقال أطره أطراً من باب ضرب ، إذا عَطفه ، ومنه إطار المنخل . ومتنه مفعول يأطر ، أى يعطف ظهر مالك . و(تأمَّلْ) فعل أمرٍ خطابٌ لمالك ، من تأمّلت الشىء ، إذا تدبَّرتَه،وهو إعادتك النظرَ فيه مرَّةً بعد أخرى حتى تعرفه . و(خُفَاف) بضم الخاء المعجمة وفاءين كغراب : اسمُ الشاعر . وإنما قال له ذلك ليعرِّفه أنَّه هو الذى قتله . روى الأخفش (فى شرح ديوان الخنساء) أنَّ خفافا لما قال له ذلك قال مالكٌ :أَنت ابن ندبة يريد أنتَ ابن جاريةٍ سوداء ،يعيِّره بذلك.

٤٧٢

وقوله : (إننى أنا ذلك) ،استئنافٌ بيانىٌّ ، كأنَّه قال له : هل أنت مما يتأمَّل إنما أنت ابن ندبة . فقال له : إنِّى أنا ذلك الشجاع الذى سمعتَ به . وأنا إمّا تأكيدٌ للياء كما تقدم وجههُ فى الشرح فى بابه ، وإمّا مبتدأ خبره لك والجملة خبر إننى ، والألف فى ذلك للإطلاق ، وكذلك فى جميع هذه القوافى .

وقوله : «أنا الفارس» إلخ استئنافٌ نحوى ، وهو ابتداءُ كلام لا علاقة له بما قبله معنى ، ابتدأ به للافتخار . وفى نهاية ابن الأثير : فلانٌ حامى الحقيقة إذا حَمَى مايجب عليه حمايتُه . انتهى .

وحقيقة والده هنا : أخْذُ ثأر ابن أخيه ؛ لأنه يحقُّ على والده أن يأخذ ثأر معاوية . قال عامر بن الطفيل قاتله الله :

لقد علمتْ عُليا هَوازِنَ أنَّنى أنا الفارسُ الحامى حقيقةَ جعفرِ

---

(١) يقال حنى الشىء يحنيه ويحنوه ، لغتان .

وجعفر هذا أبو جدِّهِ ، لأنّه عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب .

وقوله :« به تُدرَك الأوتار » إلخ أى إنما تُدرك الأوتار بالحَمْى الدالّ عليه الحامى ، لابغيره . أو الضمير راجعٌ للحامى ، يقال حميت المكان من الناس حَمْيا من باب رمى ، وحِمْية بالكسر ، إذا منعتَهُ عنهم . والحماية اسم منه . وتدرَك بالبناء للمفعول . والأوتار : جمع وتر بالكسر ، وهو الثأر والذَّحل ، أى الحقد . وقوله : «قِدْماً كذلك» ، أى كذلك تدرك الأوتار قِدماً ، بكسر القاف . قال صاحب الصحاح : يقال قِدْماً كان كذا وكذا ، وهو اسمٌ من القِدَم جعل اسماً من أسماء الزمان .

وروى صاحب الأغانى كذا :

أنا الفارسُ الحامى الحقيقةَ والذى
به أُدرَكَ الأبطالُ قدماً لذلكا (١)

وزاد بعده ، وهو :

وإنْ ينجُ منها هاشمٌ فبطعنةٍ
كسَتهْ نجيعاً من دم الجوف صائكا

قال : حَقَّق خفافٌ أنَّ الذى طعنه معاوية هو هاشم بن حرملة .

خفاف بن ندبة

وخُفَاف بن نَدْبَة هو خفاف بن عمير بن الحارث بن الشَّريد بن رياح ابن يَقَظة بن عُصَيَّة بن خُفاف بن امرئ القيس بن بُهْثة بن سُليم بن منصور بن عِكرمة بن خَصَفَة .

(١) الذى فى الأغانى ١٣ : ١٣٥ : «قدما كذلكا» .

وخفاف بضم الخاء المعجمة ، هو بمعنى الخفيف ، يقال رجلٌ خُفاف وخفيف بمعنىً ، كطُوال وطويل . والخِفّ بالكسر بمعنى الخفيف أيضاً .

وعمير : مصغر عَمْرٍو . والشَّريد اسمه عمرو . ورياح بكسر الراء بعدها مثناة تحتية . ويَقَظة ، هو ضد النوم . وعُصَيَّة : مصغر عصاً . وبُهْثَة بضم الموحدة وسكون الهاء بعدها ثاء مثلثة . وسُلَيم بالتصغير .

وأما نَدْبة فهو اسمُ أمِّه ، كان سباها الحارث بن الشَّريد حين أغار على بنى الحارث بن كعب ، فوهبها لابنه عمير فولدت له خفافاً ، وكانت امرأةً سوداء . كذا فى الأغانى .

وقال ابن الكلبيٌّ (فى الأنساب) : نَدْبة هى بنت الشَّيطان بن قَنان بن سلمة بن وَهب بن عبد الله بن ربيعة بن كعب . انتهى .

وقال صاحب العباب : ندبة هذه كانت سوداءَ حبشية ، وهى بفتح النون وسكون الدال بعدها باء موحدة ، مأخوذ من قولهم : رجلٌ نَدْبٌ ، أى خفيفٌ فى الحاجة ، وامرأة ندبة . وفرس نَدْب ، أى ماضٍ . ونَدُبَ ندابة مثل شَجُع شجاعة ، أى خفّ فى العمل . ٤٧٣

والشَّيطان منقول من الشَّيطان الرجيم ، عليه الخِزى .

وقَنَان ، بفتح القاف بعدها نونان خفيفتان .

وخفاف بن نَدْبة مخضرمٌ أدرك الجاهلية والإسلام،وشهد فتح مكة [١]،وكان معه لواءُ بنى سُليم،واللواء الآخر مع العباس بن مِرداس.وشهد حُنينا والطائف، وثبت على إسلامه فى الرِّدّة،وبقَى إلى زمن عمر بن الخطاب

(١) انظر الخزانة ٤ : ١٥ .

وكنيته أبو خُراشَة . وكان فى الجاهلية يُهاجى العبّاس بن مِرداس ، وله يقول العباس :

أبا خُراشة أمَّا كنتَ ذانفر   فإنَّ قومىَ لم تأكُلهمُ الضَّبعُ

وتقدَّم الكلام عليه (١).

وخفاف هو أحد فرسان قيس وشعرائها المذكورين .قال الأصمعى : خفاف ودريد بن الصمة أشعرُ الفرسان ، وهو أُحد أغربة العرب ، أى سُودانهم ؛ لأنَّه كان أسودَ حالكا ؛ وهو القائل :

كلانـا يسوِّده قومُـه   على ذلك النّسبِ المُظْلِمِ

يعنى السُّودان .

وأغربه العرب هم: عنترة بن شدَّاد ، وسُلَيك بن السُّلَكة ، وأبو عمرو ابن الحُبَاب ، وخفاف بن ندبة ، وهشام بن عقبة بن أبى مُعَيط .

وأمَّا معاوية المذكور فهو ابن عمِّ خُفاف ، وهو أخو الخنساء الصَّحابية وأخو صخر . وقد قتل معاوية وصخرٌ فى الجاهليَّة . روى هشامٌ عن أبيه قال : كان عُمَير بن الحارث (٢) بن الشّريد يأخذ بيد ابنيه صخر ومُعاوية ، فى الموسم فيقول : أنا أبو خيرَىْ مُضَر ، فمن أنكر ذلك فليغيِّرْ ! فما يغيِّرٍ ذلك عليه أحد .

خبر مقتل معاوية بن عُمَير

وهذا خبر مقتل معاوية :

روى صاحبُ الأغانى عن أبى عبيدة قال:إنَّ معاوية وافى عكاظَ فى

(١) فى الشاهد ٢٤٩ بالجزء الرابع ص ١٣ .

(٢) ط : «عمرو بن الحارث» ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح . وانظر ماسبق فى النسب .

موسم من مواسم العرب ، فبينما هو يمشى بسوق عكاظ إذْ لقى أسماء المرِّيَّة ، وكانت جميلة ، وزعم أنها كانت بغيًّا ، فدعاها إلى نفسه فامتنعت عليه وقالت :أما علمتَ أنى عند سيِّد العرب هاشم بن حرملة ! فأغضبته [١].
فقال:أما والله لأُقارِعَنَّه عنك . قالت : شأنَكَ وشأنه . فرجعت إلى هاشم فأخبرته بما جرى فقال هاشم : لانَرِيمُ أبياتنا حتى ننظر مايكون من جهده.قال:فلما خرج الشهرُ الحرام وتراجع الناسُ من عكاظ خرج معاوية غازياً يريد بنى مُرَّةَ وبنى فزارة ، فى فرسانٍ أصحابه من سُلَيم ، حتى إذا كان بمكان يدعى الحوزة أو الجوزة ـــ والشكُّ من أبى عبيدة ـــ سَنَحَ له ظبىٌ فتطيَّر منه[٢].ورجع فى أصحابه ، فبلغ ذلك هاشمَ بن حَرملة ، فقال : مامنعه من الإقدام إلاّ الجبن.فلما كان فى السنة المقبلة غزاهم حتى إذا كان فى ذلك المكان سنَحَ له ظبى وغراب ، فتطيَّر فرجع ، ومضى أصحابُه ،وتخلَّف فى تسعةَ عشرَ فارساً منهم لايريدون قتالا ، إنما تخلَّف من عُظم الجَيْش راجعاً إلى بلاده ، فوردُوا ماءً وإذا عليه بيتُ شَعَر ، فصاحُوا بأهله فخرجتْ إليهم [٣] امرأة فقالوا:ممن أنتِ ؟ قالت:امرأةٌ من جُهينة،أَحْلافٌ لبنى سهم بن مُرة بن غطفان . فوردُوا الماء ،فانسلّت فأتت هاشمَ بن حرملة فأخبرته أنهم غير بعيدٍ، وعرَّفَتْه بِعِدّتهم [٤].وقالت:لاأَرى إلاّ معاويةَ فى القوم! فقال : يالكاع،أمُعاوية فى تسعة عشر رجلا ؟! شبَّهتِ وأبطلْت ! قالت : بل قلتُ الحقّ ، وإن شئتَ لأصفنَّهُم لك رجلا رجلاً . قال : هاتى . ٤٧٤

قالت:رأيت فيهم شاباً عظيم الجُمَّة،جبهتهُ قد خَرجَتْ من تحت مِغفره

---

(١) فى الأغانى ١٣ : ١٣٤ : « فأحفظته » .
(٢) فى الأغانى : «دومت عليه طير وسنح له ظبى فتطير منهما» .
(٣) ط : «اليه» ، صوابه من الأغانى ومن ش مع أثر تصحيح .
(٤) فى النسختين : «أنهم غير بعيد وبعدتهم» . وتكملته من الأغانى .

صبيحَ الوجه عظيم البطن ، على فرس غرّاء . قال : نعم هذه صفة معاوية وفرسِه السَّمَاء [١] . قالت : ورأيت رجلا شديد الأُدْمَةِ شاعراً ينشدهم . قال :ذلكِ خفاف بن نَدبة.قالت : ورأيت رجلا ليس يبرح وسطهم [٢] إذا نادَوه رفعوا له أصواتهم . قال : ذلكِ عباسٌ الأصمُّ . قالت : ورأيت رجلاً طَويلاً يكنونه أبا حبيب ، ورأيتهم أَشدَّ شيءٍ له توقيراً . قال : ذاكِ نُبَيشَة بن حبيب [٣]. قالت : ورأيت شابّا جميلا له وَفْرةٌ حسنة . قال : ذلكِ العباس بن مرداس . قالت : ورأيت شيخاً له ضفيرتان ، فسمعته يقول لمعاوية : بأبى أنت ، أطَلْتَ الوقوف . قال : ذلكِ عبد العزّى زوج الخنساء أخت معاوية .

قال :فنادى هاشم فى قومه وخرج ، وزعم أنّ المرىّ لم يخرج إليهم إلاّ فى عِدّتهم من بنى مرة.قال: فلم يشعر السُّلميُّون حتى طلعوا عليهم فثاروا إليهم فلقُوهم ،فقال لهم خفاف:لا تُنازلوهم رجلا رجلا ، فإنّ خيلَهم تثبُت للطِّراد وتحمِل ثِقَل السلاح،وخَيلكم قد أنهكها الغَزْو ،وأصابها الحفاء.قال:فاقتتلوا ساعة ، فانفرد هاشمٌ ودريد ابنَا حرملة لمعاوية ،فاستطرد له أحدهُما،فشدَّ معاوية عليه وشغله ،واغترَّه الآخر فطعنه فقتله.واختلفوا أيُّهما استطرد له وأيُّهما قتله .وكان بالذى استطردَ له طعنةٌ طعنه إيَّاها معاوية،ويقال هو هاشم

---

(١) السماء ، من أسماء خيلهم ، كما فى القاموس ، وفى الأغانى والعقد ٥ : ١٦٣ : «الشماء» ، تحريف ، وقد قيدها البغدادى فى آخر الشرح ، بأنها بلفظ السماء خلاف الأرض .

(٢) ليس يبرح وسطهم ، ساقط من ش ثابت فى ط والأغانى .

(٣) الكلام من «رجلا طويل» إلى هنا ساقط من ش . وفى الأصل : «نبيثة» ، صوابه فى الأغانى وجمهرة ابن حزم ٢٦١ والاشتقاق ٣١١ . وقال ابن دريد : «نبيشة : تصغير نبشة ، وكل شيء كشفت عنه التراب فقد نبشته » .

(٤) الكلام بعده إلى «قال» ساقط من ش .

وقال الآخرون : بل دريد أخو هاشم . قال : وشدّ خفاف بن ندبة على مالك بن حِمار [١] سيد بنى شمخ بن فزارة ، فقتله . ولما دخل الشهرُ الحرام من السنة المقبلة خرج صخرٌ أخو معاوية حتى أتى بنى مرة فوقف على ابنَىْ حرملة ، فإذا أحدهما به طعنةٌ فى عضده زعم خفاف فى شعره أنه هاشم . فقال صخر :أيُّكُما قتل أخى معاوية ؟ فسكتا . ثم قال الصحيحُ للجريح : مالك لاتجيبه ؟ فقال:وقفت له فطعننى هذه الطعنة فى عضُدى وشدّ أخى فقتله ، فأيَّنا قتلت أدركتَ ثأرك ، إلا أنا لم نسلبْ أخاك . قال : فما فعلت فرسُه السَّمَاء ، قال : هاهى ، خذْها . فأخذها فرجع ، فلما كان فى العام المقبل غزاهم صخرٌ وهو على فرسه السَّماء ، فقال : أخاف أن يعرفونى ويعرفوا غُرَّة السَّماء فيتأهَّبوا . فحمَّم غرَّتها . فلما أشرف على الحىِّ رأوها فقالت فتاةٌ : هذه واللهِ السَّماء ! فنظر هاشم فقال : السماء غرَّاءُ وهذه بهيم . فلم يشعرُوا إلاّ والخيلُ عليهم ، فاقتتلوا ، فقتل صخر دريدا وأصاب بنى مُرّة فقال :

ولقـد قتلتكـُمُ ثُنـاءَ ومَوْحَـــداً
وتركتُ مُرّةَ مِثلَ أمسِ المدبرِ
ولقد دَفعتُ إلى دريدٍ طعنةً
نَجلاءَ تُزغِل مثل عَطِّ المنحَرِ [٢]

تُزغِل : تخرج الدم قِطعاً قطعاً . قال : والزُّغلة : الدُّفعة الواحدة من الدّم والبول .

---

(١) ط والأغانى : «حماد» ، صوابه بالراء كما فى ش والاشتقاق ٢٨٣ ، ٣٠٩ والحيوان ١ : ٣٨٠ .
(٢) فى ط والعقد ٥ : ١٦٥ : «غط المنخر» ، صوابه من ش واللسان (دبر ، زغل) .

وقال صَخرٌ أيضاً فيمن قُتل من بنى مُرّة :

قتلتُ الخالدَين به وبشراً
وعمراً يوم حَوْزة وابنَ بشرِ

ومِن شَمْخٍ قتلتُ رجالَ صدقٍ
ومن بدرٍ فقد أوفيتُ نذرى

ومُرّة قد صبَحناها المنايا
فروَّينا الأسنّةَ غير فخرِ

٤٧٥

ومن أفناءِ ثعلبةَ بنِ سعدٍ
قتلتُ ، وماأُبيئهمُ بوِترِ

ولكنّا نريد هلاكَ قومٍ
فنقتلُهُم ونَشريهم بكَسْرِ

وقال أبو عبيدة : ثم إنَّ هاشم بن حرملة خرج غازياً ، فلما كان ببلاد جُشم بن بكر بن هوازن نزل منزلاً ، وخلا لحاجته بينَ شجر ، ورأى غفلته قيسُ بن الأمرار الجُشَمىّ ،فتبعه وقال : هذا قاتل معاوية ، لانَجَتْ نفسى إن نجا (١) ! فلما قعد لحاجته تكمَّن له (٢) بين الشجر ، حتى إذا كان خلفه أرسلَ عليهِ مِعْبلةً (٣) فقتله . فقالت الخنساء فى ذلك :

فداءُ الفارسِ الجشمىِّ نفسى
وأُفديهِ بمن لى مِنْ حميمِ

(١) فى الأغانى ١٣ : ١٤٠ والعقد ٥ : ١٦٦ : «لا وألت نفسى إن وأل » .

(٢) فى الأغانى : « تقتر له » ، وفى العقد : «كمن له عمرو بن قيس» .

(٣) المعبلة ، بكسر الميم : نصل طويل عريض . والجمع معابل .

خصصت بها أخا الأمرار قيساً
فتىً فى بيتِ مكرُمَةٍ كريمِ (١)
أُفدِّيه بكلِّ بنى سُليمٍ
بظاعِنِهمْ وبالأَنَسِ المقيم (٢)
كما مِنْ هاشم أقررتْ عينى
وكانت لاتنام ولا تُنيم (٣)

انتهى كلام الأغانى .

وروى الأخفش (فى ديوان الخنساء) عن ابن الأعرابى ، أنَّ قيساً كان رجلا راعيا ، فأغار عليه هاشم بن حرملة فأخذهم وقال : أُتيتكم بهذا الراعى وغنمه . فاغتفله الراعى فرماه فقتله .

وللخنساء مراثٍ كثيرةٌ فى أخيها معاوية وصخر .

والسَّماء التى هى اسم فرس معاوية،هى بلفظ السَّماءِ خلاف الأرض.

وقد روى ابن عَبدِ ربِّه (فى العقد الفريد) عن أبى عبيدة أيضا خبر مقتل معاوية على غير هذا الوجه الذى نقلناه عن الأغانى ، تركناه لطوله ، ومن أراد الاطلاع عليه فلْينظره فى باب أيام العرب من العقد الفريد (٤) . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى عشر بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد سيبويه (٥) :

---

(١) ط : «حضضت» ، صوابه فى ش .

(٢) فى الأغانى : «بجل بنى سليم» .

(٣) فى هذا البيت إقواء .

(٤) العقد فى يوم حوزة الأول ويومها الثانى ٥:١٦٣ — ١٦٦ .

(٥) فى كتابه ٢ : ١٤٥ ، ١٥٠ وانظر المقتضب ٢ : ٣٢٣ والهمع ٢ : ٧٦ وديوان زهير ١٨٢ . وسيعاد الشاهد فى ٤ : ٢٠٤ ، ٤٧٨ بولاق .

٤١٢ (تَعلَّمَنْ هالعَمْرُ اللهِ ذا قسَماً)

هذا صدر ، وعجزه :

(فاقْدُرْ بذرعِكَ وانظرْ أينَ تنسَلكُ)

على أن الفصل بين ها وبين ذا بغير إنَّ وأخواته كالقسم قليل ، كما هنا.

قال سيبويه فى باب ما يكون [ما] (١) قبل المحذوف به عوضاً من اللفظ بالواو : قولك إى ها الله ذا ، يثبت ألفُها (٢) ، لأنَّ الذى بعدها مدغم . ومن العرب من يقول : إى هاالله ذا ، فيحذف الألف التى بعد الهاء ، ولا يكون فى المقسم ههنا إلا الجر ، لأنَّ قولهم ها صار عوضاً من اللفظ بالواو ، فحذفت تخفيفاً على اللسان . وأما قولهم ذا ، فزعم الخليل أنه المحلوف عليه كأنه قال : إى والله للأَمْر هذا ، فحذف الأمر لكثرة استعمالهم هذا فى كلامهم ، وقدّم ها كما قدَّم قومٌ : ها هو ذا ، وها أنا ذا . وهذا قول الخليل . وقال زهير :

تَعلَّمَنْ ها لعمرُ الله ذا قسما .... البيت . انتهى

قال النحاس : قال الخليل فى ذا : إنَّه المحلوف عليه ، فكأنه قال : إى والله الأمر هذا ، فحذف الأمر وقدَّم ها كما قدَّم قومٌ : ها هو ذا . وعند غيره أن المعنى : هذا ماأقسم به . وقسماً مصدرٌ فى القولين ، وماقبله يدلُّ على الفعل . انتهى .

وقال الأعلم :الشاهد فيه تقديم ها التى للتنبيه على ذا ،وقد حال بينهما بقوله لعمر الله.والمعنى: لعمر الله هذا ماأقسم به،ونصب قسماً على المصدر

---

(١) التكملة من ش وسيبويه ٢ : ١٤٥ .

(٢) فى الكتاب : « تثبت ألف ها » .

المؤكِّد لما قبله ، لأنَّ معناه أقسم ، فكأنه قال : أقسم لعمر الله قسماً . ومعنى تَعلَّمنْ اعلم ، ولايستعمل إلاّ فى الأمر.

٤٧٦ وقال أيضاً (فى شرح الأشعار السِّتَّة) قوله : تعلَّمنْ أى اعلم ، وها : تنبيه . وأراد : هذا ما أقسِم به . ففرَق بين ذا وها بقوله لعمرُ الله ، ونصب قسماً على المصدر المؤكَّد به معنى اليمين .

وقال شارح ديوان زهير صَعُودا [١] ، وكان ضعيفاً فى النحو : وقوله تعلَّمَنْها أى اعلمها ، والمعنى تعلَّمنْ هذا ، وصل ها بالنون من تعلمن ، وفرق بين ها وذا ، ونصب قسماً بتعلَّمْ ، يريد : ياهذا كما تقول : اعلمْ زيدُ [٢] ، أنى زائرك ، أى يازيد . قال الأصمعى : وقد رويت : «ذا قسَمٍ» فذا حينئذ نصب على الحال ، وهى ذو التى تتصرَّف ، وتصرُّفها فى الإعراب نحو : ذو مال وذا ثوب وذى قوم . وبعضهم يقول : تَعَلَّمَنْها لعمر الله ذا ، ثم ينصب قسماً على كلامين ، كأنه قال : تعلم قسماً ، فاقصد بذرعك ، أى اعرف قدرك . هذا كلامه ، وكله خلاف الصواب ، وإنما نقلناه للتعجُّب .

وقوله : (فاقدُرْ بذرْعك) إلخ قال الأعلم (فى شرح الأشعار الستة) : أى قدِّر لخطوك . والذَّرع : قَدْر الخطو . وهذا مَثَلٌ ، والمعنى لاتَكلَّفْ ما لا تطيقُ منِّى ؛ يتوعَّده بذلك . كذلك قوله : «وانظُرْ أين تنسلك» . والانسلاك : الدُّخول فى الأمر ، وأصله من سُلوك الطريق . والمعنى لاتُدخِل نفسك فيما لايَعْنِيكَ ولايجدى عليك . اهـ .

---

(١) صعودا : لقب له ، واسمه محمد بن هبيرة الأسدى ، كان من أعيان الكوفة وعلمائها بالنحو واللغة وفنون الأدب ، قدم بغداد واختص بعبد الله بن المعتز ، كما كان مؤدبا لأولاد محمد بن يزداد وزير المأمون .

(٢) ط : «زيدا» ، صوابه فى ش .

والأحسن أن يكون اقدرْ من قَدَرت قدْراً من بابى ضرب وقتل ، وقدَّرته تقديراً بمعنى . والاسم القَدَر بفتحتين ، ومفعوله محذوف تقديره : فاقدُرْ خطوك بذَرْعك . وذرع الإنسان : طاقته التى يبلغها . وروى : «فاقصِدْ بذرعك» من قَصد فى الأمر قصداً من باب ضرب ، إذا توسَّط وطلبَ الأسدَّ ، ولم يجاوز الحدّ . فالباء بمعنى فى . و(الذَّرْع) بمعنى الطاقة أيضا .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة لزهير بن أبى سلمى ، عِدّتها ثلاثة وثلاثون بيتاً . قال الأصمعى : ليس فى الأرض قصيدةٌ على الكاف أجودَ من قصيدة زهير التى مطلعها :

بانَ الخليطُ ولم يأوُوا لمن تَرَكُوا
وزوّدوك اشتياقاً أيَّةً سلكَوا [(١)]

ومن قصيدة أوس بن حجر التى أوّلها :

زعمتُمُ أنَّ غَولاً والرِّجامَ لنـا
ومَنْعِجاً فاذكروا ، والأمرُ مشترَكُ

وهذه القصيدة هدَّد بها زهيرٌ الحارثَ بن ورقاء ، أخابنى الصَّيداء بن عمرو ابن قُعَين الأسدى ، فإنه كان أغار على طائفةٍ من بنى سُليم بن منصور ، فأصاب سَبْيا ثم انصرفَ راجعاً ، فوجد غلاماً لزهير حبشياً يقال له يسار ، فى إبلٍ لزهير ، وهو آمنٌ فى ناحيةِ أرضهم ، فسأله : لمن أَنت ؟ قال : لزهير بن أبى سُلمى . فاستاقَه وهو لايحرِّم ذلك عليه لحلف أسد وغطفان ، فبلغ ذلك زهيراً فبعث إليه : أنْ ردّ ماأخذتَ . فأبى ، فقال زهيرٌ فى ذلك هذه القصيدة يهدِّده

---

(١) ط : «استباقا» ، صوابه فى ش والديوان ١٦٤ .

بأنه يهجوه إن لم يُرسل ما أخذه . وهذا أوّلُ الكلام معه بعد التغزُّل :

(هَلّا سألتَ بنى الصَّيداء كلَّهمُ
بأىِّ حبلِ جوارٍ كنتُ أمْتَسِكُ

فلن يقولوا: بحبلٍ واهنٍ خَلَقٍ
لو كان قومُكَ فى أسبابه هلكوا

ياحارِ لا أُرمَيَنْ منكم بداهيةٍ
لم يَلْقَها سُوقةٌ قبلى ولامَلِكُ (١)

أُرْدُدْ يساراً ولا تَعنُف عليه ولا
تمعَكْ بعرضكَ إنَّ الغادرَ المعِكُ

ولا تكونَنْ كأقوامٍ علمتُهمُ
يَلْوُون ماعندهمْ حتَّى إذا نُهكِوا

٤٧٧ طابت نفوسهمُ عن حق خَصمهمُ
مخافةَ الشرِّ فارتدُّوا لمَا تَركوا

تعلمنْ ها لعمرُ الله ذا قسماً ... البيت.

لئن حللتَ بجوٍّ فى بنى أسد
فى دين عمرو وحالَت بيننا فَدَكُ

ليأتينّك منِّى مَنِطقٌ قَذَعٌ
باقٍ كما دنَّسَ القُبطيَّةَ الودكُ)

هذا آخر القصيدة :

قوله :«هلاَّ سأَلتَ بنِي الصَّيداء»الخ بنو الصيداء:قومٌ من بنى أَسد،وهم

(١) ط : «لم يلفها» ، وأثبت ماف ش والديوان ١٨٠ .

رهط الحارث بن وَرْقاء . وأىَّ منصوب بأُمْتسك . والحبل: العَهْد والميثاق . قال صَعوداء:إنما يعنى الحِلف الذى بين مُزينة وغطفان ، وصهرَه فى بنى الغَدِير(١).

والواهن: الضَّعيف . والخَلَق بفتحتين : الذائب .وجملة لو كان قومك إلخ من المقول المنفى . يقول : سلْهم كيف كنت أفعلُ لو استجرتُ بهم فإنى كنت أستوثق ولا أتعلَّق إلا بحبل متين .

وقوله:«لو كان قومك» إلخ أى فى أسباب ذلك الحبل . يقول:هو حبلٌ شديد محكم ،فمن تمسّك به نجا ، وليس بحبل ضعيف مَن تعلق بأَسبابه هلك.

وقوله :«ياحار» إلخ هو مرخم الحارث بن ورقاء . ولا ناهيَة ، وأرمينْ بالبناءِ للمفعول مؤكد بالنون الخفيفة . والسُّوقة : الرَّعية . وهذا البيت من شواهد علم العروض .

وقوله : «اردُدْ يساراً» إلخ هو عبد زهير ، كان الحارث أَسرهُ . وتَعنف بضم النون ، من العنف ، وهو فعل الشيء على غير وجههِ والتجاوزُ فيه . والمَعْكُ : المطل ، وماضيه ومضارعه بفتح العين . والمعِك بكسر العين : الذى يماطل . يقول : ماتمُطْلنى فمطلك غدر ، وكلما مطلتنى لحق ذلك بِعزضك . وإنما يتوعَّده بالهجو .

وقوله : «ولاتكونَنْ كأقوام» إلخ يقال لواه يَلويه لَيًّا ولَيَّانا ، أى مَطَلهُ. يمطلون بما عليهم من الدَّين . ومعنى نُهِكوا شتموا وبُولغ فى هجائهم؛ وأصله من نهكته الحمى ، إذا بلغت من جسمه وهزلته .

---

(١) ط : «وضميره فى بنى الغدير» ،صوابه فى ش . وفى شرح ديوان زهير ٥٥ : «وكان أبو سلمى تزوج إلى رجل من سهم بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان يقال له الغدير ــ والغدير هو أبو بشامة الشاعر ــ فولدت له زهيرا وأوسا » .

وقوله : «فارتدوا لما تركوا» أى لمَّا أوذوا بالهجاء دفَعُوا الحقَّ إلى صاحبه وارتدُّوا إلى عطاء ماكانوا تركوه ومنعوه من الحقّ،مخافةً من الشر ، وإبقاءً على عرضهم .

وقوله : «لئن حللتَ بجوٌ» البيتين اللام الأولى موطئة ، والثانية جواب القسم . جوّ بالجيم : اسم وادٍ . ودين عمرو ، بالكسر : طاعته وسُلطانه . وعمرو هو عمرو بن هند ملك العرب . وفَدَك ، بفتح الفاء والدال [1].

والقَذَع ، بفتح القاف والذال المعجمة : اسمٌ بمعنى السبِّ البليغ . يقال أقذع فلانٌ لفلان ، أى استقبله بكلام قبيح . وباق ، أى يبقَى على الدهر بجريانِه على أفواه الناس . والقُبْطية ، بضم القاف وكسرها : ثياب بيضٌ تصنَع بالشام ، وقد يقع على كلِّ ثوب أبيض . والودَك : الدَّسَم . يقول : لئن نزلتَ بحيث لاأدركك ليرِدَنَّ عليك هجوى ، ولأُدنِّسنَّ به عِرضَك كما يدنِّس الدسمُ الثيابَ البيض .

وقال أبو حاتم: فلما أَتت القصيدة الحارثَ بنِ ورقاء لم يلتفتْ إليها ؛ فقال زهير :

تَعلّمْ أنَّ شرَّ الناسِ حيٌّ ... يُنادِى فى شِعارهِمُ يَسارُ
ولـــولا عَسْبُـــــه لرددتموه ... وشرُّ مَنيحةٍ عَسْبٌ مُعارُ [2]
إذا جَمحت نساؤكُم إليه ... أشظَّ ، كأنّه مَسَدٌ مُغَارُ
يُبربِرُ حين يَعدُو من بعيدٍ ... إليها ، وهو قَبقابٌ قُطارُ
كطفلٍ ظلَّ يهدِجُ من بعيد ... ضئيلِ الجسم يَعلوه انبهارُ

٤٧٨

(١) قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان أو ثلاثة .

(٢) فى ديوان زهير ٣٠١ : « أير معار » .

إذا أبْزَتْ به يوماً أهلّتْ كما تُبْزِى الصعائد والعِشارُ

فأَبلغ إن عرَضْتَ لهم رسولاً بنى الصَّيداء إنْ نفعَ الجِوارُ(١)

بأنَّ الشعر ليس له مَردٌّ إذا وردَ المياهَ به التِّجارُ

وقوله : «تعلم أنّ شرَّ الناس» إلخ الشعار: علامة القوم فى سفرهم وغَزْوهم وحربهم ، نحو : ياأفلَح ، وياسلامة ، فيصير كلٌّ قوم إلى داعيهم . وكان شعار رسول الله ﷺ يومَ حنين : يأهْلَ القرآن . فلما انهزم الناسُ صاح العباس : يأهل القرآن ، فرجع الناسُ وكان الفتحُ . ويَسَار : عبد زهير .

والعَسْب : الضِّراب والجماع . يقول : لولا حاجة نسائكم إليه لرددتموه علىَّ . والمنيحة : العاريَّة .

وجمحت : مالت . وأشظَّ : قام متاعه وصلُب واشتدَّ . والمسد : الحبل . والمُغَار : الشديد الفتل . يقال أُغرتُ الحبل ، أى فتلتُه محكما .

ويبربر: يصوِّت مثلَ بربرة الفحل إذا أراد الناقة ، والتيسِ إذا أَراد الشاة . والقَبقاب : المصوِّت ، من القبقبة ، وهى هدير الفحل . والقُطَار ، بضم القاف : القائم المنتصب الرأس يقطر إحليلهُ من الشهوة .

والهَدَجان: مقاربة الخطْو فى سرعة . والانبهار : علوُّ النَّفَس عند التعب . شبَّهه فى عَدْوه على أربع إليها عند إرادة الفاحشة وعلوِّ نفَسه من الحرص والشهوة ، بطفل صغير يحبو بينهم لضعفه .

---

(١) فى شرح ثعلب ٣٠٥ وشرح الشنتمرى ٤٩ : « إن نفع الجوار » ، بالجيم . ط : «يقع» ، صوابه فى ش والشرحين .

والإبزاء ، بالموحدة والزاء المعجمة ، من جميع الإناث : أن ترفع استَها إلى الفحل . وأهلّت : رفعت صوتَها . والصعائد : جَمْع صَعُودٍ ، وهى الناقة التى تُخدِجُ على سبعة أشهر أو ثمانية ، فتعطف على ولَدِها التى ولدته فى العام الماضى فتدرُّ عليه . وقيل هى التى مات ولدها فعُطِفت على ولدها الأول . والعِشار : جمع عُشَرَاء ، وهى التى أتى عليها مذ حملت عشرة أشهر ، وربما بقى الاسم عليها بعد ذلك . وعليه مخرج البيت ، لأنَّه شبَّه النساء فى حاجتهن إلى الجماع وإبرازهن أعجازَهن وإهلالهنَّ عند ذلك ، باحتياج الصَّعائد التى ألقت أولادها لغير التمام ، والعشارِ التى وَلدت ثم حنَّت إلى الفحل ، ولذلك وصفَه بالبربرة والقبقبة ،وهما صوتُ الفحل عند الضِّراب . والحوار بكسر المهملة : المحاورة والمجاوَبة .

وقال أبو حاتم:فلما بلغتهم الأبيات قالوا للحارث بن ورقاء:اقْتُلْ يساراً.فأبى عليهم وكساه وأحسنَ إليه،وردّه مع الإبل إلى زهير،فمدحه زهير بعد ذلك[(١)].

ولولا خوف الإطالة لأوردت جملةً مما قال فيه .

وترجمة زهيرٍ تقدَّمت فى الشاهد الثامن والثلاثين بعد المائة [(٢)] :

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث عشر بعد الأربعمائة ، وهو من أبيات المفصل [(٣)] :

---

(١) بقصيدته الرائية فى الديوان ٣٠٥ ، ومطلعها :

أبلغ بنى نوفل عنى فقد بلغت ... منى الحفيظة لما جاءنى الخبر

وقصيدته اللامية التى مطلعها فى الديوان ٣٠٨ :

أبلغ لديك بنى الصيداء كلهم ... أن يسارا أتانـا غير مغلـول

(٢) الخزانة ٢ : ٣٣٢ .

(٣) ابن يعيش ٨: ١١٣، ١١٤وشرح شواهد الشافية ٨٠ وديوان النابغة ٢٧ .وسيأتى أيضا فى ٤ : ٤٨٧ بولاق .

٤١٣ (ها إنّ تا عِذْرةٌ إنْ لم تكُنْ نفعَتْ)

هو صدر ، وعجزه :

(فإنّ صاحبَها قد تاهَ فى البلدِ)

على أنَّ الفصل بين (ها) وبين (تا) بغير إنّ وأخواتِها قليل ، سواء كان الفاصلُ قسماً كما تقدَّم ، أو غيرَه كما هنا ، فإنَّ الفاصل هنا إنّ .

وتا . اسم إشارةٍ لمؤنث بمعنى هذه . وروى : « ها إنّ ذى عِذْرةٌ » . وروى أبو عبيدة : «وإنّ ها عِذرَة » ، فلا شاهد فيه على روايته .

٤٧٩ وهذا البيت آخر قصيدةٍ للنابغة الذبيانىّ ، مدحَ بها النعمان بن المنذر ملك الحِيرة ، واعتذر إليه فيها مما افتُرِىَ عليه .

وقد بيّنّا سببَ اعتذارِه فى ترجمته فى الشاهد الرابع بعد المائة [١] ، وتقدَّم شرح أبياتٍ منها . وقبله :

(نُبِّئْتُ أنَّ أبا قابوسَ أوعَدَنى
ولا قَرارَ عَلَى زأرٍ من الأسد)

ها إنّ تا عذرة .... البيت

نبئت ، بالبناء للمفعول بمعنى أُخبرت . وروى : «أنبئت» .وأبو قابوس : كنية النعمان بن المنذر .وقابوس معرّب كاوس ،على وزن طاوس :اسم ملكٍ من ملوك العجم. وأوعدَ بالألف لا يكون إلا فى الشرِّ ،بمعنى هَدَّدنى

---

(١) الخزانة ٢ : ١٣٥ .

وزأر : مصدر زأر الأسد بالهمز يَزئِر ويزأر زأراً ، إذا صوّت بِحَنَقٍ . وهذا تمثيل لغضبه.

وقوله:(ها إن تا) إلخ ها للتنبيه ، وتا:اسم إشارة لما ذكره فى قصيدته من يمينه على أنه لم يأتِ بشيءٍ يكرهه ، وهى مبتدأ خبره عِذْرة . قال بعضهم :إنّ عِذْرتى هذه عِذرة . وقال الخطيب التبريزى فى شرحه لهذه القصيدة : الإشارة للقصيدة ، أى إنّ هذه القصيدة ذات عِذرة [(١)].والعذرة بكسر العين اسم للعُذر ،وبضمِّها قال صاحب الصحاح : يقال عذرته فيما صنع أعذره عَذراً، و عُذراً.والاسم المعذرة والعُذْرَى.وكذلك العِذرة، وهى مثل الرِّكبة والجِلْسة. وأنشد هذا البيت.وقال صاحب المصباح:عذرته فيما صنع عَذْرا من باب ضرب : رفعتُ عنه اللَّوم ، فهو معذور ، أى غير مَلُوم . والاسم العُذْر ، وتضمُّ الذال للإتباع وتسكن . وقوله : (إنْ لم تكن نفعَتْ)روى أيضاً : «إلا تكنْ نَفعت» .

وقوله : (إنَّ صاحبَها) أى صاحب العِذرة ،ويعنى به نفسه . و(تاه) الإنسان فى المفازة يتيه تَيها : ضلَّ عن الطريق ؛ وتاه يَتُوه تَوهاً لغة . وقد تيَّهْته وتوّهته ، ومنه يستعار لمن رام أمراً فلم يصادف الصواب ، فيقال إنّه تائه .كذا فى المصباح . و(البلد) : الأثر والأرض ، وقيل هنا بمعنى المفازة ، فإنَّ مَن تحيَّر فى المفازة يَهلِك . وقال شارح ديوانه : معناه لاأفارق بلدك مادمتَ ساخطاً علىّ . والمعنى عندى : إن لم تقبل عذرى وترضى علىَّ [(٢)] فإنى أختلُّ حتى إنِّى أضلُّ فى البلدة التى أنا فيها ، لما أنا فيه من عِظَم الدهشة الحاصلة لى من وعِيدِك . فتأمّلْ .

* * *

(١) ط : «عذر» ، وفى ش : «ذا عذرة» ، صوابهما ماأثبت .

(٢) ش : «وترضى عنى» .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابعَ عشرَ بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س [١]:

٤١٤ (ونحنُ اقتسَمْنا المالَ نِصفينِ بَيننا

فقلتُ لهم : هذا لها ، ها وذا اليا)

على أنّ الفصل بِالواو بين ها وذا قليل ، والأصل : وهذا ليا .

نقل بعضُ فضلاءِ العجم (فى شرح أبيات المفصل) عن صدر الأفاضل : إنمّا جاز تقديم ها على الواو لأنّ هاتنبيهٌ ، والتنبيه قد يدخل على الواو إذا عطفْتَ جملة على أخرى ، كقولك : ألا إنَّ زيدا خارج ألا وإنَّ عمراً مقيم.اهـ

قال سيبويه فى (باب استعمالهم علامة الإضمار الذى لايُوقَع مَوقعَ مايضمر فى الفعل) ، قال:وكذلك ها أنا ذا ،وها نحن أولاءِ ، وهاهو ذاك ، وها أنت ذا ، وها أنتم أولاء ، وها أنتنَّ أولاء ، وإنَّما استُعملتْ هذه الحروفُ هنا لأنّك لاتقدر على شيء من الحروف التى تكون علامة فى الفعل ، ولا على الإضمار الذى فى فَعَلَ .وزعم الخليل أنّ هاهنا هى التى مع ذا إذا قلت هذا ، وإنَّما أرادوا أن يقولوا هذا أنت ، ولكنَّهم جعلوا أنت بين هاوذا ، وأرادوا أن يقولوا أَنا هذا وهذا أنا ، فقدَّموا «ها» وصارت أَنا بينَهما . وزعم أَبو الخطَّاب أن العرب الموثوقَ بهم تقول : أَنا هذا ، وهذا أنا . ومثل ماقال الخليل فى هذا قول الشاعر: ٤٨٠

ونحن اقتسمنا المال نِصفين بيننا .... البيت

(١) وهو من شواهد س ، ساقط من ط . وانظر سيبويه ١ : ٣٧٩ والمقتضب ٢ : ٣٢٣ وابن يعيش ٨ : ١١٤ والهمع ١ : ٧٦ وملحقات ديوان لبيد ٣٦٠ . وسيعاد مرة أخرى فى ٤ : ٤٧٨ .

(٢) ط : «بعد» ، صوابه فى ش .

كأنه أراد أن يقول : وهذا لى ، فصيَّر الواو بين ها وذا . وزعم أنَّ مثل ذلك : إى هاالله ذا ، أى إنما هو هذا . وقد تكون هافى ها أنت ذا غير مقدَّمة ، ولكنها تكون بمنزلتِها فى هذا . ويدلك على هذا قوله عز وجل : ﴿ها أنتم هؤلاءِ﴾، فلو كانت هاهنا هى التى تكون أوّلاً إذا قلت هؤلاء لم تعد « ها » ههنا بعد أنتم . وحدثنا يونسُ أيضاً تصديقا لقول أبى الخطاب [١] أن العرب تقول : هذا أنت تقول كذا وكذا . ولم يرد بقوله هذا أنت أن يعرِّفه نفسه ، كأنه يريد أنْ يعلمه أنه ليس غيرَه . هذا محال ، ولكنه أراد أن ينبِّه ، كأنَّه قال : الحاضر عندنا أنت ، إذ الحاضرُ [٢] القائل كذا وكذا أنت . وإن شئت لم تقدِّمْ ها [٣] فى هذا الباب ، قال عز وجل : ﴿ ثمَّ أنتُمْ هؤلاء تَقْتُلونَ أنفُسَكم [٤] ﴾ .

هذا نصُّ سيبويه ، ونقلناه بطوله لكثرة فوائده .

قال الأعلم [٥]: الشاهد فى فصله بين ها وذا بالواو ، ونصب نصفين على الحال . وفى هذا حجة لما أجازه سيبويه من الحال فى قول ذى الرمة :

ترى خَلَقها نصفٌ قناةٌ قويمة
ونصفٌ نقاً يرتجُّ أو يتمرمرُ

وأطال على المبرد فى إبطال جوازه ، فإنه قال [٦]: سيبويه رفع نصف ومابعده على القطع والابتداء ،ولو نصب على البدل أو على الحال لجاز .

---

(١) ط : «تصديقا لأبى الخطاب» ، وأثبت مافى ش وسيبويه .

(٢) سيبويه : « والحاضر »

(٣) فى النسختين : «لم تقدمها» ، والوجه ماأثبت من سيبويه .

(٤) الآية ٨٥ من سورة البقرة .

(٥) انظر سيبويه ١ : ٢٢٣ بولاق .

(٦) الكلام التالى للأعلم فى موضع سابق للشاهد فى سيبويه ١ : ٢٢٣ بولاق يقابله ماسبق فى

وغلّطه المبرد وزعم أنّ نصفاً معرفة لأنه فى نية الإضافة ، فكأنه قال : ترى خلقَها نصفه كذا ونصفه كذا . والحجة لسيبويه أنه نكرة وإن كان متضمنا لمعنى الإضافة ، وليس من باب كلٍّ وبعض ، لأنَّ العرب قد أدخلت عليه الألف واللام وثنّته وجمعته ، وليس شيء من ذلك فى كلّ وبعض . وصَف امرأةً فجعل أعلاها فى اللطافة كالقناة ، وأسفلها فى امتلائه كالنقا المرتجِّ المتمرمِر ، أى يجرى بعضُه فى بعض . انتهى .

ومعنى البيت الشاهد واضح .

صاحب الشاهد

ونسبَه الأعلم إلى لبيد ؛ وكذلك نسبه الأندلسى (فى شرح المفصل) إليه . وأنا لم أَره فى ديوانه . وكذلك قال قبلى ابنُ المستوفى (فى شرح أبيات المفصل) : إنه لم يره فى ديوانه .والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده :

(حَنَّت نَوَارِ ولات هَنَّا حَنَّتِ)

هذا صدر ، وعجزه :

(وبَدَا الذى كانت نَوارِ أجنَّتِ)

على أنّ هَنَّا بمعنى الزمان ، أى لات حين حَنّت ؛ فهى ظرف زمان لإضافتها إلى الجملة .

قد تقدم الكلام عليه مفصَّلا فى الشاهد الثالث والثمانين بعد المائتين [١].

والحنين:نزاع النفس إلى شيء . ونَوارِ: اسم امرأةٍ مبنىٌّ على الكسر فى لغة الجمهور ، وعند تميم معرب لاينصرف . وأجنَّت ، بالجيم بمعنى أَخْفَت وسترت ، وتاؤه وتاء حنّتِ مكسورتان للوزن .

---

(١) الخزانة ٤ : ١٩٥ .

باب الموصول

أنشد فيه ، وهو الشاهد الخامسَ عشرَ بعد الأربعمائة [١] :

٤٨١ ٤١٥ (وإنّى لَرَاجٍ نَظْرَةً قِبَلَ التى
لَعَلّى وإنْ شطَّتْ نَواها أَزورُها [٢])

على أنّ جملة (لعلّى) إلخ صلة التى ، بتقدير القول ، أى التى أقول لعلى أزورها.وإنما قدَّر أقول [٣] لأنَّها إنشائية لايصحُّ وقوعُها صلة ، فقدَّرَ القول لتكون خبريَّة.وينبغى أن يقول التى أقول فيها لعلّى،ليحصل عائد الموصول.

وهذا تخريج أبى على الفارسىّ (فى التذكرة القصرية) ،قال فيها : قول الفرزدق :

* وإنّى لراجٍ نظرةً قِبَلَ التى *

هو على غير الظاهر ، وتأويلُه الحكاية ، كأنَّه قال : التى أقول فيها هذا القول . وإضمار القول شائع كثير ، والحكاية مستعملَة إذا كان عليها دليل . والدَّلالة هنا قائمة ، وهى أنَّ الصلة إيضاحٌ ، وماعدا الخبرَ لايوضِّح .

وقال أيضاً (فى إيضاح الشعر) : جاء فى هذا البيت للفرزدق الصلة غير الخبر ، والصلة لاتكون إلاَّ خبراً كما أنَّ الصِّفة كذلك .

---

(١) ديوان الفرزدق ٦٦١ برواية : «وإن شقت على أنالها» . وانظر شرح شواهد المغنى ٢٧٤ والهمع ١ : ٩٥ والأشمونى ١ : ٦٣ .

(٢) ويروى : « أنالها » ، كما سبق فى التخريج .

(٣) كلمة «قدر» ساقطة من ش .

فإن قلت : فقد جاء مِنَ الموصولة (١) ماوُصِل بغير الخبر ، نحو ماقالوه : كتبت إليه : أنْ قُمْ وبأنْ قم ؟ قلت : ذلك وإن جاء فى «أنْ» لايستقيمُ فى الذى ونحوِه من الأسماء ، لأنَّ الذى يقتضى الإيضاحَ بصلته ، وليست أنْ كذلك . ألَا ترى أنَّها حرف ، وأنَه لايرجع إليها ذكرٌ من الصلة . وهذا وإن جاء فى البيت فإنَّ النحويين يجعلون لعلَّ كليت ، فى أن الفاء لاتدخل على خبرها ، فلا يجيزون : لعلَّ الذى فى الدار فمنطلق كما لايجيزون ذلك فى ليت .

فإن قلت : أحمل لعلَّ على المعنى ، لأنّه طمع كأنه قال : أطمع فى زيارتها ؟ قيل لك : فصِلْهُ أيضا بالتمِّنى (٢) وقل : المعنى الذى أتمّنى ، وصِلْه بالاستفهام والنداء ، وجميع (٣) مالم يكن خبراً ، وقل : المعنى الذى أنادى ، والذى أستفهم . فهذا لا يستقيم .

ويجوز فيه أنْ تقدِّر قبل لعلِّى فعلا وتحذفه لطول الكلام ، فيكون الصلة الفعل الذى هو أقول فيها ، وهو خبرٌ لاإشكالَ فيه . وحسن الحذفُ لطول الكلام . اهـ

وأورده ابن هشام (فى الجملة المعترضة من الباب الثانى من المغنى) على أنَّ جملة «وإنْ شطَّت نواها» معترضة بين لعلِّى وبين أزورها .وصلة التى قولٌ محذوف كما ذكرنا .

وذكره الخفَّاف (فى شرح جمل الزجاجى) على أن أزورها صلة التى ، وفصل بينهما بلعلَّ وإن شطَّتْ (٤) على وجه الاعتراض ، ويكون خبر لعلَّ

---

(١) ش : « من الموصولاتِ » .
(٢) ش : «فصله أيضا بليت» .
(٣) ش : « أو جميع » .
(٤) ط : « وان سقطت ».

محذوفا تقديره : لعلى أبلغ ذلك . والفصلُ بين الصِّلة والموصول بجملٍ جائز . قال الشاعر :

* ذاك الذى وأبيك يعرف مالكاً [(١)] *

ففصل بالقسَم بين الصلة والموصول .

وتبعه ابن هشام (فى المغنى) فقال : ويحتمل أنَّ هذا البيت من قبيل الاعتراض بين الموصول وصلته على أنّ تقدير الصلة أزورها ، ويقدر خبر لعلِّى محذوفاً ، أى لعلِّى أفعل ذلك .

وهذا التخريج مأخوذٌ من كلام أبى على (فى إيضاح الشعر) ، وماارتضَى ظاهره ، بل وجَّهَه فقال : فإن قلت أراد بأزورها التقديم ، كأنّه قال : التى أزورها ؟ قلنا:إنَّ ذلك لايستقيم ، لأنّه واقعٌ موقع الخبر ، وتقدير الخبر على لعلّ لايستقيم . والوجه فيه أنّه لمَّا جرى أزورها خبراً للعلّ سدَّ أزورها مسدَّ الصلة التى يجب أن تكون خبراً ، فكأنه أراد التى أزورها ، فأغنى ذكر أزورها خبرا للعلّ عن ذكره لها قبْلَ لعلّ ، والمعنى على التقديم . وأشبه هذا قولَهم : لو أنّ زيداً جاءنى ، فى أن الفعل الجارىَ فى الصلة سدَّ مسدَّ الفعل الذى يقع قبل أنَّ بعد لو ، ولولا هذا الفعل لم يجز . ألا ترى أنّه لايجوز : لو مجيئك . فكذلك سدَّ ذكره بعد لعلِّى مسدَّ ذكره قبل لعلِّى .فهذا وجهُه. ولاينبغى أن يقاس على هذا ولا يؤخذ به ، وكأنّ الذى حسَّن هذا طولُ الكلام وذكر الخبر فى الصلة [(٢)].وقد رأيتَ طول الصلة يجوز فيه مالا يجوز إذا لم تطُلْ.اهـ ٤٨٢

ولم يكتب الدّمامينى ولا شارح شواهد المغنى على هذا البيت شيئاً .

---

(١) لجرير فى ديوانه ٤٣٠ . وانظر معجم الشواهد . وتمامه :

* والحق يدفعُ تُرَّهاتِ الباطلِ *

(٢) ط : « وذكر الجزاء فى الصلة » ، صوابه فى ش .

هذا . وآخر البيت مغيَّر عن أصله ، والرواية الصحيحة :

* لعلّى وإن شقَّت علىّ أُنالُها *

والبيت من قصيدةٍ لاميّة كما يأتى بعضُها . وحينئذٍ يأتى فى أُنالها ماقيل فى أزورها ، بل يتحتم إضمار القول .

صاحب الشاهد

والقصيدة مدحَ بها الفرزدقُ بلالَ بن أَبى بردة . وأوّلها :

أبيات الشاهد

(وقاتلةٍ لى لم يُصِبنى سهامُها رَمَتْنِى على سوداءِ قلبى نِبالُها [1]

وإنّى لرامٍ رميةً قِبلَ التى لعلّى وإن شقّتْ علىَّ أنالُها

أَلا ليت حَظِّى من عُلَيّة أنّنى إذا نمتُ لا يسرِى إلىّ خيالُها

فلا يُلْبثُ الليلَ الموكَّلُ دونها عليه بتكرار الليالى زوالُها)

وبعد هذا شرعَ فى مدحه .

وقوله : (وقاتلةٍ لى) إلخ هو من القتل ، يقول : ربَّ امرأة قتلتنى مع أنّها لم تصبنى بسهامِها الحقيقيّة ، لكنها رمت سُويداءَ قلبى بنبال عُيونها فقتلتنى . وقوله : رمتنى ، جواب ربّ .

وقوله : (وإنى لرامٍ) إلخ يقال رمى نظَره نحوَ كذا ، أَى توجّه نحوه ، ورمى نحوه رَميةً ، إذا قصده قصداً . ومنه الحديث :«ليس وراء الله مَرمًى» أى مقصِد تَرامَى إليه الآمال [2] ، ويوجَّهُ نحوَه الرجاء . و (شطّتْ) من بابى ضرب وقتل . يقال شطّت الدار أى بعُدت . و(نواها) : فاعل شطّت .

---

(١) فى الديوان : « وقائلة » ، وما هنا صوابه .

(٢) ط : « ترمى اليه الآمال » ، وأثبتُّ مافى ش .

والنَّوى مؤنثة لاغير ، وهى الوجه الذى ينوِيه المسافرُ من قُربٍ أو بُعدْ . ويجوز أن يكون فاعل شطَّت ضمير التى ، ونواها منصوب بتقدير فى . هذا على الرِّواية الأولى . وأمّا (شقَّت) على الرواية الثانية ففاعله ضمير رمية ، من شقَّ الأمرُ عليه ، إذا اشتدَّ وثقُل عليه . ومنه حديثُ : « لولا أن أشُقَّ على أُمَّتى لأمرتهُم بالسِّواكِ عندَ كلِّ صلاة » . و(أنالها) مضارع نال خيراً نَيلاً ، أى أصابه .

وقوله : «فلا يُلبثُ الليلَ» إلخ قال شارح ديوانه : يقول زالت فذهبت ، فزوالُها يُهدِى إلىَّ خيالَها كلَّ ليلة ، وزوالها لايحبس الليل عنِّى ، فلا يلبث زوالها أن يُعِيدَ خيالها . وقال الحِرْمازى . يقول : ليت حظِّى منها أن لايلبث الليل الموكَّل على زوالِها بالتكرار ، أى يكرِّرُ زوالها علىَّ الليل بجعل الليلة ليالى. وهو مثل قوله :

كأنَّ الليل يَحبسُه علينا ضِرارٌ أو يكرُّ إلى نذورِ

أى كأنه يعود كلما كاد يَفْنَى . اهـ

وترجمة الفرزدق تقدمت فى الشاهد الثلاثين [1].

* * *

وأنشد بعده :

(جاءوا بمَذْقٍ هل رأيتَ الذئبَ قَطّْ)

على أن الجملة الاستفهامية وقعت صفة لمذق ، بتقدير : تقول عند رؤيته : هل رأيت ، إلخ . وقبله :

---

(١) الخزانة ١ : ٢١٧ .

(مازِلْتُ أسعى مَعهُمْ وأختبطْ حتى إذا جَنَّ الظلامُ واختَلْط

جاؤا بمذق إلخ . يقال خبطت فلاناً واختبطته أى سألته بغير وسِيلةٍ ما. شكا قوما وقال : لم أزل طولَ النهارِ أسعَى معهم وأسألهُم شيئاً ، حتى إذا أظلم الليل واختلط الظلام جاءُونى بلبَنٍ مخلوط بماءٍ كثير يضرب لونُه لكثرة مائه إلى لون الذئب ، فكلُّ من رآه يستفهم عن رؤيته الذئبَ ؛ لأنه بلونه يحمل رائيَه على السؤال عن الذئب . وإنما قال هذا لأن الذئب موصوفٌ بالوُرْقة ، واللبَنُ إذا كثر ماؤه يصيرُ أوْرق .والوُرْقة بالضم : لونٌ أبيضُ يخالطه سواد .

٤٨٣

وقد تقدم الكلامُ عليه مفصّلا فى الشاهد السادس والتسعين (١).

* * *

وأنشد بعده :

(الحافظو عورة العشيرة)

هو بعض بيتٍ أصله :

(الحافظُو عورةَ العَشيرةِ لا يأتيهمُ من ورائِهمْ وَكَفُ)

على أنه حذف بعضَ الصلة (٢) تخفيفاً ، وهو النون ، والأصل الحافظون عورة العشيرة.فألْ موصولٌ اسميٌّ بمعنى الذين،والوصف المجموع صلته،وقد حذف بعضها وهو النون.وهذا على رواية نصب عورةَ،وأمَّا على رواية

---

(١) الخزانة ٢ : ١٠٩ .

(٢) كلمة « بعض » ساقطة من النسختين ، وإثباتها من نص الرضى ٢ : ٣٥ فى قوله : « وتارة بحذف الصلة ، إما الضمير أو نون المثنى والمجموع نحو الحافظو عورة العشيرة » .

جرِّها فحذف النون للإضافة . وقد تقدَّم الكلام عليه مفصَّلا فى الشاهد الثامن والتسعين بعد المائتين من باب الإضافة (١).

والعَورة : المكان الذى يُخاف منه العدوّ . وقال ثعلب : كلُّ مَخُوفٍ عورة. وقال كراع : عورة الرجل فى الحرب : ظهره . والعَشيرة : القبيلة . والوَكَف ، بفتح الواو والكاف ، ويروى بدله (نَطَف) بفتح النون والطاء المهملة ، وكلاهما بمعنى العيب . أى يحفظون العشيرة أَن يصيبهم مايُعابون به ولا يُضيِعون مااستُحفِظُوا فيلحقَ العشيرة عيبٌ بذلك .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد السادسَ عشرَ بعد الأربعمائة (٢):

٤١٦ (بِسُودٍ نواصِيها وحُمْرٍ أَكفُّها
وصُفْرٍ تَرَاقيها وبِيضٍ خُدودُها)

على أن رجوع الضمير من نواصيها على الموصوف بسودٍ المقدَّر ، خاصٌ بالضرورة ، والقياس بنساءٍ سودٍ نواصيها .

وهذا على رواية البيت كذا ، وأما على ماسيأتى فمرجع الضمير وصفٌ مذكور فى بيتٍ قبله .

صاحب الشاهد

والبيت من أبياتٍ للحُسَين بن مُطَير ، أوردها أَبو تمام فى باب النسيب (من الحماسة) وهى :

---

(١) الخزانة ٤ : ٢٧٢ .

(٢) أمالى القالى ١ : ١٦٥ والمرتضى ١ : ٤٣٥ والعمدة ٢ : ١٠ والحماسة بشرح المرزوقى ١٢٣٠ .

أبيات الشاهد

(لقد كنتُ جلداً قبل أن تُوقِد النّوى
عَلَى كبدِى ناراً بطيئاً خُمُودُها
وقد كنتُ أرجُو أنْ تموتَ صَبابتى
إذا قدُمَتْ أيَّامُها وعهودُها
فقد جَعلتْ فى حَبَّةِ القلب والحشا
عِهادُ الهوى تُولَى بشوقٍ يُعيدُها
بسود نواصيها ... . البيت
مُخَصَّرةُ الأوساط زانتْ عُقودَها بأحسَنَ مماّ زيَّنَتْها عقودُها
يُمنِّيننا حتى تَرِفّ قُلوبُنا رفيفَ الخُزامَى باتَ طَلٌّ يجودُها)

قال أمين الدين الطَّبْرِسى (فى شرح الحماسة) تبعا للخطيب التبريزى :
يقول : كنت حمولاً لحوادثِ الزمان صَبوراً عليها ، حتى مُنيتُ بفراق الأحبَّة ، وكنت أرجو أن تسكُنَ صبابتى وتنصرم إذا مال عليها الدهر وتقادَمتْ أيّامها ، أى أيام الصبابة . والعُهود : جمع عهد ، وهو اللقاء ههنا . والعهاد : جمع عَهْد ، وهو المطر فى أوّل السنة ، ورُوىَ بالنصب والرفع ، فالنصب على أنه مفعول أوّل لجَعلَت ، وتُولَى بشوق فى موضع المفعول الثانى ، ويُعيدها صفة شوق . ومعنى تُولَى :تُمطَرُ الولىَّ. والولىُّ : المطر بعد الوسمىّ . أى صيَّرت فى حبة القلب وأحشائه أمطارَ الهوى تتجددّ وتُتْبَع بولىٌّ من الشوق يردُّها كما كانت.والضمير فى يعيدها يرجع إلى عهاد .يريد أن الشّوق لاينقضى . والرفع على أن يكون جعلتْ بمعنى طفِقَتْ [1] وأقبلت، فيكون غيرَ متعدٍّ

٤٨٤

(١) ط : «بمعنى خففت» ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح ، وشرح الحماسة للمرزوقى ١٢٢٩ .

ويرتفع عهادُ الهوى به . ويروى : «يُولَى» بالياء [١] . و«بَعيدُها» بالباء فاعل (يُولَى [٢]) . أى فقد طفقت أوائل هواها يُمطَرُ أبعدُها بشوقٍ يجدِّدها .

والباء فى قوله : (بسود) يجوز أن يتعلق بقوله تموت صبابتى ، ويجوز أن يتعلق بجعلَتْ ، إذا ارتفعت عهادُ الهوى به . يريد جعلَت العهادُ تفعل ذلك بسبب نساءٍ بهذه الصفات « مخصّرة الأوساط » ، أى دقيقة الخصور ، وقلائدهن [٣] تكتسب من التزيُّن بهنَّ إذا عُلِّقت عليهن أكثر مما يكتسبن منها إذا تحلَّين بها . اهـ

والأقرب أن تتعلق الباء فى «بسود» بقوله يُعيدها ، وهو الأنسب من جهة المعنى .

وقال الخطيب التبريزى : وإنما جاز أن يجمع حُمر وسود وغيرهما ، وإن ارتفع مابعدها بها ، لأن هذه الجموع لها نظائرُ فى الأسماء المفردة ، ولو كانت مالا نظير له فى الواحد لما جاز جمعه ، تقول : مررت برجالٍ ظِرَافٍ آباؤهم ، ولو قلت : برجال ظريفين آباؤهم لم يجز .

وقوله : «يمنِّيننا» يصف حُسن مواعيدهنّ وتقريبهن أمرَ الوصال . «حتى ترِفَّ قلوبنا» أى تهتزّ نشاطاً وترتاح وتفرح . والخزامى ، بضم أوله والقصر : خِيريُّ البَرّ . ورفيفها : اهتزازُها . والطَّلّ : أثر الندى فى الأرض من المطر . وإنما جعل الطلَّ يجود جَوداً لأنه يفعل فى رِيِّ الخزامى ونَعْمتها مايفعل الجَودُ فى نبات الأرض . يقال رفّ يَرِفُّ ، إذا اهتزَّ نَعمةً ونضارة .

---

(١) ط : « بولى بالباء » ، صوابه ماأثبت من ش .

(٢) ط : « بولى » ش « تولى » ، صوابهما ماأثبت .

(٣) ش : «قلائدهن» بدون واو .

وقد أورد هذه الأبيات بأكثر من هذا مع بعض تغييرٍ السيِّدُ المرتضى (فى أماليه) قال : أخبرنا أبو عبد الله المرزبانى قال : أنشدنا على بن سليمان الأخفش قال : أنشدنا أحمد بن يحيى ثعلبٌ ، للحُسَين بن مُطَير :

أبيات الشاهد

(لقد كنتُ جَلداً قبل أن يُوقِد الهوى ... على كَبِدى ناراً بطيئاً خمودُها

ولو تُركتْ نارُ الهوى لتضرَّمتْ ... ولكنَّ شوقاً كلَّ يوم يزيدُها

وقد كنت أرجو أن تموتَ صبابتى ... إذا قدُمَتْ أيامُها وعهودُها

فقد جعلتْ فى حبَّة القلبِ والحشا ... عهاد الهوى تُلوِى بشوقٍ يُعيدُها [1]

بمرتجَّة الأردافِ هِيفٍ خصورُها ... عِذابٍ ثناياها عِجافٍ قيودُها

وصُفرٍ تراقيها وحُمْرٍ أكفُّها ... وسُودٍ نواصيها وبيضٍ خُدُودُها

يمنِّيننا حتى ترفَّ قلوبُنا ... رفيفَ الخُزامَى بات طلٌّ يجودها)اهـ

وكذا روى هذه الأبيات القالىُّ (فى أماليه) عن ابن دريد وعن ابن الأعرابى .

وكتب الشريف المرتضي على قوله « بمرتجَّة الأرداف » ... البيت : يعنى أنها عِجَاف اللِّثات . وأصُولُ الأسنان [2] هى قيودها . قال أبو العباس ثعلب : خفضُ عجاف لحن ، لأنه ليس من صفة النساء ، وسبيله أن يكون نصباً لأنه حال من الثنايا . اهـ

٤٨٥

أقول : إنّما قال ثعلب ذلك لأنَّ الضمير فى قيودُها للثّنايا . وهذا عجب منه ،فإنَّ بابَ جَرَيان الصفة على غير من هى له واسع .

---

(١) فى أمالى المرتضى : « تولّى بشوق » .

(٢) ط : « وأصل » ، صوابه فى ش وأمالى المرتصى .

والباء فى قوله: بمرتجة متعلقة بقوله : يعيدها ، ويجوز أن تتعلقَّ بجعلَتْ أو بتموت . ومرتجة الأرداف هو مرجع الضمائر الآتية بعده ، فلا يرد ماأوردهُ الشارح المحقق ، فى البيت الشاهد .

وقوله : «مخصَّرةِ الأوساط» بالجر ، ويجوز النصب والرفع على المدح . وكذلك قوله : « وصفر تراقيها » . والبيت ماخوذٌ من قول مالك بن أسماءَ بن خارجة :

وتَزيدينَ أطيبَ الطِّيب طِيباً أنْ تَمسِّيه أينَ مثلُكِ أينا[1]

وإذا الدُّرُّ زانَ حُسنَ وجوهٍ كان للدُّرِّ حسنُ وجهِكِ زَينا

وقولُه: « وصُفر تراقيها » بالتنوين فى المواضع الأربعة ، وتراقيها فاعل صُفر ، وكذلك أكفُّها ونواصيها . والتَّراقى : جمع تَرقُوة ،وهى أعالى الصَّدر . وصفَها بالصُّفرة من الطِّيب كالزعفران . وأراد بحُمرة أكفِّها الخضاب .

وهذا البيت أورده ابن رشيق (فى العمدة) فى باب المطابقة ، قال : أنشد غير واحدٍ من العلماء : بسُودٍ نواصيها ، البيت . ورواه ابن الأعرابىّ فى نسَق أبيات : «وصُفر تراقيها وحُمرٍ أكفُّها» ... إلخ . وهذه الرواية أشكل فى الصنعة .

وروى أبو تمام (فى الحماسة) للحسين بن مُطير أيضاً ، ويشبه أن يكون الجميعُ من قصيدة واحدة :

وكنتُ أذود العينَ أن تَرِدَ البكا

فقد وَردَتْ ماكنتُ عنه أذودُها

---

(١) البيان ١ : ١٩٥ .

خليليَّ ما بالعيش عَيبٌ لوَ آننا
وجَدْنا لأيَّام الصِّبا مَن يُعيدها

وروى أبو تمام أيضاً لغيره، وبعضُ الرُّواة يرويها لابن مُطيرٍ أيضاً :

ولى نظرةٌ بعد الصُّدود من الجَوَى
كنظرةِ ثكلَى قد أُصيبَ وليدُها (١)

هل الله عافٍ عن ذنوبٍ تَسلَّفَتْ
أَم اللهُ إنْ لم يعفُ عنها مُعيدها (٢)

حسين بن مطير

وحسين بن مطير هو (كما قال فى الأغانى) حُسَين بنُ مطير بنِ مكمَّل ، مولى لبنى أسد بن خزيمة ثم لبنى سعد بن مالك بن ثعلبة بن دُودَانَ بنِ أسد . وكان جدُّه مكمَّل عبداً ، فأعتقه مولاه ، وقيل بل كاتَبه فسَعَى فى مكاتبته حَتَّى أداها وأُعتِق .

وحسينٌ من مخضرمى الدَّولتين الأمويَّة والعباسيَّة . شاعرٌ متقدِّم فى القصيد والرجز ، فصيح ، قد مدح بنى أمية وبنى العبَّاسِ ، وكان زيُّه وكلامُه يشبه مذاهبَ الأعراب وأَهلِ البادية ، ووفد على معن بن زائدةَ لمَّا ولِىَ اليمن ، فلما دخل عليه أنشده :

---

(١) ورد هذان البيتان فى الحماسة ١٣٦٠ بشرح المرزوقى مفصولين عن بيتين آخرين للحسين بن مطير مسبوقين بقول المرزوقى : « وقال آخر » . لكنهما مع سابقيهما فى الحماسة بشرح التبريزى ٣ : ٣٠٣ مقطوعة واحدة للحسين بن مطير .

(٢) فى رواية التبريزى : « يعيدها » .

أَتيتُك إذْ لم يبق غيْرَك جابرٌ
ولا واهبٌ يعطى اللُّهَى والرغائبا (١)

فقال له معن : ياأخا بنى أسد ، ليس هذا بمدح ، إنما المدح قول نَهَار بن تَوسِعةَ فى مِسمَع بن مالك بن مِسمَع :

قلَّدَتْهُ عُرَى الأمورِ نزارٌ ... قبل أن يهلِكَ السَّراةُ البحورُ (٢)

قال : وأول هذا الشعر :

اظْعَنى من هَرَاة قد مَرَّ فيها ... حِجَجٌ مذ سكنتُهَا وشهورُ (٣)
اظعَنى نحو مِسمَع تجدِيهِ ... نِعْمَ ذا المنتَى ونعم المزورُ (٤) ٤٨٦
سَوف يكفيك إنْ نَبتْ بكِ أرضٌ ... بخراسانَ إذ جفاك أميرُ
من بنى الجِحصن عامر بن بَرِيجٍ ... لاقليلُ الندى ولا منزورُ (٥)
والذى يَفزع الكماةُ إليه ... حين تَدمَى من الطِّعان النُّحورُ
فاصطنعْ ياابنَ مالكٍ آلَ بكرٍ ... واجبرُ العَظمَ إنَّه مكسورُ

فغدَا إليه بأرجوزته التى مدحه بها ، منها :

---

(١) فى الآغانى ١٤ : ١١١ : «لما يبق» ، وما هنا صوابه .

(٢) فى الأغانى : « المجور » ، صوابه ماهنا .

(٣) ط : « قد سكنتها » ، صوابه فى ش والأغانى .

(٤) فى النسختين : « نعم ذى المنتأى » ، تحريف . أى نعم هذا الموضع الذى ينتنى إليه المادحون والراغبون .

(٥) الحصن هذا هو ثعلبة بن عكابة بن صعب . وفى الأغانى أن مسمع من بنى تيم الله بن ثعلبة . وهم بنو تيم الله بن ثعلبة بن عكابة بن صعب ، كما فى جمهرة ابن حزم ٣١٤ . وفى النسختين : « عامل بن بريح » ، وأثبت مافى الأغانى .

سلَّ سيوفا مُحدَثاً صِقالُها صابَ على أعدائه وبالُها

* وعند معنٍ ذى النّدى أمثالُها *

فاستحسنَها وأجزل صلته .

قال المفضَّل الضبِّيُّ : كنت يوماً محتاجا إلى درهم (١) ، وعلىَّ عشرة آلاف درهم ، إذْ جاءَنى رسول المهدىٌ فقال : أجِب أمير المؤمنين ! فتخوَّفته لأنى كنتُ خرجتُ عليه مع إبراهيم بن عبد الله بن الحسن ، فتطهَّرتُ ولِبستُ ثوبين نظيفين ، وصِرت إليه ، فلما مَثَلْتُ بين يديه سلَّمت ، فردَّ على وأمرنى بالجلوس ، فلما سكَنَ جأشى قال لى : يامفضَّل ، أىُّ بيتٍ قالته العرب أفخر ؟ فتشكَّكت ساعة ثم قلت : بيت الخنساء . وكان مستلقياً فاستوى جالسا ثم قال : وأىُّ بيتٍ هو ؟ قلت : قولُها :

وإنّ صخْراً لتأتَمُّ الهداةُ به كأنَّه عَلَمٌ فى رأسه نارُ

فأومأ إلى إسحاقَ بنِ بزيع ثم قال : قد قلتُ له ذلك فأبَى . فقلت : الصَّوابُ ماقاله أمير المؤمنين . ثم قال : يامفضَّلُ ، أسهرَنى البارحةَ قولُ ابنِ مُطيرٍ الأسدىّ :

وقد تَغْدِرُ الدُّنيا فيُضحِى فقيرُها غنيًّا ويغْنَى بعد بؤسٍ فقيرُها

فلا تقرَبِ الأمرَ الحرامَ فإنّه حلاوتُه تفنَى ويبقَى مَريرُها

ثم قال : ألهذين البيتين ثالث ؟ قلت : نعم ياأمير المؤمنين :

---

(١) فى الأغانى ١٤ : ١١٢ : «كنت جالسا على بابى وأنا محتاج إلى درهم» .

وكم قد رأينا مِن تغيُّر عيشةٍ
وأخرى صفَا بعد اكدرار غديرُها [١]

وكان المهدىُّ رقيقاً ، فاستعبَرَ ثم قال : يامفضَّل ، كيف حالك ؟ قلت : كيف تكون حال من هو مأخوذٌ بعشرةِ آلاف درهم ! فأمر لى بثلاثين ألف درهم .

ودخل ابن مُطيرٍ يوماً على المهدىّ فأنشده :

لو يعبدُ النَّاسُ يامهدىُّ أفضلَهم
ماكان فى الناس إلاّ أنت معبودُ
أضحت يمينُك من جودٍ مصوَّرةً
لا بل يمينك منها صُوِّرَ الجودُ
مِن حُسْنِ وجهِكَ تبدو الأرضُ مشرقةً
ومن بنَانِكَ يَجرى الماء فى العودِ [٢]
لو أنَّ مِنْ نورِهِ مثقالَ خردلةٍ
فى السُّود طُراًّ إذاً لابيضَّتِ السُّودُ

فأمر له لكلِّ بيتٍ بألف درهم .

والبيت الثالث رأيته مجرورا كما هو .

ومن قصيدة له فى مدح المهدى :

إذا شاهَدَ القُوّادَ سار أمامَهم
جرىءٌ على مايَتَّقون وَثوبُ

(١) ط : «صفاء» ، صوابه فى ش والأغانى .
(٢) هذا البيت لم يرد فى الأغانى . وفيه إقواء .

٤٨٧

وإن غاب عنهم شاهدَتْهُمْ مهابةٌ
بها يقهر الأعداءَ حين يغيبُ [١]

يَعفُّ ويستحيى إذا كان خالياً
كما عفَّ واستحيا بحيثُ رقيبُ

ومن شعره المشهور فى رثاء مَعْن بن زائدة :

ألمَّا بمعــــنٍ ثم قُولَا لقبرهِ
سُقِيتَ الغوادى مَربعاً ثُمّ مربعا

أيا قبر مَعن كنتَ أوّلَ حُفرةٍ
من الأرض خُطَّت للمكارم مضجعا

أيا قبر معن كيف واريتَ جوده
وقد كان منه البرُّ والبحرُ مُترَعا

بلى ،قد وَسِعتَ الجودُ والجودُ ميتٌ
ولو كان حياً ضقتَ حتَّى تصدَّعا

أبىَ ذكرُ معن أن تموتَ فِعاله
وإن كان قَد لاقى حِماماً ومَصرعا

هذا ماانتخبته من الأغانى .

وروى السيِّدُ المرتضى (فى أماليه) بسنده عن محمد بن حُميد قال : كنّا عندَ الأصمعىِّ ، فأنشده رجلٌ أبياتَ دِعْبِل :

أيـنَ الشبَّـابُ وأيَّـةً سَلَكَــا لا أين يُطلب ضَلَّ بل هَلَكَا [٢]

---

(١) ش : «بما يقهر» ، صوابه فى ط والاغانى .

(٢) هذا البيت ساقط من أمالى المرتضى ١ : ٤٣٨ .

لاتعجبى ياسَلْمَ من رجلٍ ضَحِكَ المشيبُ برأسه فبكى
ياسلمَ مابالشَّيب منقصةٌ لا سُوقةٌ يُبقى ولا مَلِكا
قَصَرَ الغَوايةَ عن هَوى قَمرٍ وجَدَ السبيلَ إليه مُشتركا
ياليتَ شعرى كيف نومُكما ياصاحبَىَّ إذا دمى سُفِكا
لاتأخُذا بظُلَامتى أَحداً قلبى وطرفى فى دمِى اشتركا

فاستحسنهاَ كلُّ من كان حاضراً فى المجلس ، وأكثروا التعجُّب من قوله :

* ضحك المشيبُ برأسه فبكى *

قال الأصمعىّ : إنما أخذ هذا من قول ابنِ مطير الأسدى :

أينَ أهلُ القِباب بالدَّهناءِ أين جيرانُنا عَلَى الأحساءِ
جاورُونا والأرض مُلبَسةٌ نَو رَ الأقاحِى تُجاد بالأنواءِ
كلَّ يوم بأُقحُوان جديد تضَحك الأرضُ من بُكاء السماءِ
ذَهبٌ حيث ماذَهبْنا ، ودُرٌّ حيث دُرْنا ، وفِضَّة فى الفضاءِ (١)

وقد أخده مسلمٌ فى قوله :

مُستعْبِرٌ يبكى عَلَى دِمنةٍ ورأسُهُ يضحك منه المشيبْ (٢)

قال السيِّد المرتضى قدس الله روحه : ولأبى الحجناء نُصيبٍ الأصغر مثلُ هذا المعنى :

فبكى الغمامُ به فأصبح روضُه
جَذلانَ يضحك بالجميم ويزهَرُ

---

(١) ديوان مسلم ٣٣٦ عن الوساطة للجرجانى ٤٢ وزهر الآداب ٩٨١ ومعاهد التنصيص ١ : ١٩٩ .

ولابن المعتَز مثُله :

أَلَحّتْ عليه كلُّ طخياءَ دِيمةٍ
إذا مابكت أجفانُها ضَحِكَ الزَّهرُ

ولابن درَيدٍ مثله :

تَبسَّمَ المزنُ وانهلَّتْ مدامعُـــه
فأضحك الرَّوضَ جَفنُ الضَّاحك الباكى

٤٨٨

وغازل الشمسَ نورٌ ظلَّ يَلحظها
بعين مستعبـرٍ بالدَّمـع ضحَّـاكِ

ورُوِى عن أبى العباس المبرِّدِ (١) أنَّه قال : أخذ ابنُ مُطَير قولَه :

* تضحك الأرضُ من بكاء السماءِ *

من قول دُكَينٍ الراجز :

جُنَّ النَّباتُ فى ذُراها وزكا   وضَحِك المُزْنُ به حتَّى بكى

انتهى ماأَورده السِّيد فى أَماليه .

وهذا الخبر المسند إلى الأصمعى رواه (صاحب الأغانى) بسنده إلى أبى المثنى أحمد بن يعقوب ابن أخت أبى بكر الأصمِّ . وإنما اخترنا رواية السِّيد لأنها اشتملت على فوائد . ولم يحك صاحبُ الأغانى فى روايته إلا قوله :

لاتعجبى ياسلمَ من رجلٍ   ...   البيت

(١) فى النسختين : «وروى أبو العباس» ، والوجه ماأثبت من أمالى المرتضى .

مع أبيات ابن مُطَير (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع عشر بعد الأربعمائة (٢) :

٤١٧ (وقد يُخْرِجُ اليربوعُ مِن نافقائه
ومن جُحرِهِ بالشِّيحة اليُتقصَّعُ
يَقول الخنَى ، وأبغضُ العُجْمِ ناطقاً
إلى ربِّنا صوتُ الحمارِ اليُجدَّعُ)

على أن أل الموصولة قد وصلت بالمضارع فى ضرورة الشعر ، كما فى اليُتقصَّع واليُجدَّع ، ببنائهما للمفعول .

صاحب الشاهد

وهما من مقطوعة هى سبعة أبيات لذى الخِرَق الطُّهَوىّ قد شرحناها فى أوّل شاهدٍ من شواهد الشرح . والبيت الثانى هو ثانى الأبيات ، والأول هو خامسها . وكأنه نقل البيتين من (سر الصِّناعة لابن جنى) ، فإنهما كذا وقعا فيه ، والصواب أيضاً: «فيستخرج اليربوع» بالفاء كما مر .

وقد ذكر الشارحُ المحقِّق هنا أن حقَّ الإعراب فى نحو الضارب والمضروب إنّما هو لأل الموصولة ، لكن لما كانت فى صورة الحرف نقل إعرابها إلى صلتها عاريَّةً كما فى إلَّا بمعنى غير . وحَقَّق أنَّ أصلهما الضَرَبَ والضُرِبَ ، فكرهوا إدخال اللام الاسمية المشابهة للحرفية لفظاً ومعنى على صُورة الفعل . فظاهر هذا الكلام أنَّ إعرابها ينقل أيضا إلى صلتها إذا كان فعلا،لأنَّ علّة

---

(١) انظر الأغانى ١٤ : ١١١ .

(٢) نوادر أبى زيد ٦٧ والإنصاف ١٥١ ، ٣١٦ ، ٥٢٢ وابن يعيش ٣ : ١٤٤ وشرح شواهد المغنى ٥٩ والعُينى ١ : ٤٦٧ والهمع ١ : ٨٥ .

النقل موجودةٌ ، بل ولو كانت الصلة جملة اسمية . وعليه فجملة يُجدِّع ويُتَقصَّع فى محل جرٍّ على الوصفية للحمار .

فإن قلت : أل مبْنية والبناء يقابل الإعراب ، فأىُّ إعرابٍ نقل منها إلى مابعدها ؟ قلت : أراد أنها فى محلٍّ لو كان بدلها معربٌ لظهر إعرابه ، فإعرابُها مَحَلِّىّ . وقد صرَّح ابن هشام (فى تذكرته) أنَّ الجملة الواقعة صلةً لامحلَّ لها من الإعراب تطَّرد فيما عدا نحوَ قوله :

* إنّى لك اليُنذِرُ من نيرانها فاصْطَلِ [1] *

وقوله :

* مِنَ القومِ الرسولُ اللهِ منهم *

لأنها فى هذه حالَّةٌ محلَّ المفرد المعرب [2] من قولك:الضارب والمضروب .

وبَحث مثله الدمامينى (فى شرح التسهيل) فقال : أطلقوا القول بأنَّ جملة الصلة لامحلَّ لها من الإعراب ، وينبغى أن يستثنى من ذلك الجملة التى تقع صلة لألْ ، لأنَّها واقعةٌ موقع المفرد .

وتعقَّبه الشُّمُنِّىُّ [3] بأنّا لانسلم أنَّ كلَّ جملة واقعةٍ موقعَ المفرد لها محلٌّ من الإعراب،وإنما ذلك للواقعة موقعَ المفرد بالأصالة ،والواقعُ بعد أل ليس مفرداً بطريق الأصالة ، لأنهم قالوا :إنَّ صلة أل فعلٌ فى صورة الاسم ، ولهذا يعمل

---

(١) البيت بتمامه كما فى الضرائر ٢٨٨ ، وانظر معجم الشواهد :

لاتَبْعَثَنَّ الحربَ إنىِّ لك الـــ ــيُنْــذِرُ من نيرانها فاصطــلِ

(٢) ط : « محل المعرفة من المعرب » صوابه فى ش .

(٣) أحمد بن محمد بن محمد حسن ، شيخ الإمام السيوطى . ترجم له فى البغية ترجمة مستفيضة . وكانت حياته مابين سنتى ٨٠١ ـــ ٨٧٢ . منسوب إلى مزرعة أو قرية ببعض بلاد المغرب ، كما فى الضوء اللامع .

٤٨٩ بمعنى الماضى ، ولو سُلِّم فإنما ذلك للواقعة موقع المفرد الذى له محلٌّ ، والمفرد الذى هو صلة أل لامحلَّ له ، والإعراب الذى فيه بطريق العاريَّة من أل ، فإنها لمَّا كانت فى صورة الحرف نقِل إعرابُها إلى صلتها بطريق العاريَّة . انتهى .

وعلى هذا الكلام أيضاً يردُ أنَّ علَّة النقْل موجودةٌ .

وقد خَطرَ لى بتوفيق الله تعالى ماأرجو أن يكون سديداً ، وهو أنَّ أل لمَّا كانت مبنية وكان الوصف بعدها من جنسها وهو الاسمية ، وكان صالحاً لظهور الإعراب فيه حيث كان غير مشغول بإعراب عامل من حيث كونُه صلةً ، وكان الغرض ظهور إعرابها المحلى ، نقل إعرابها إلى الوصف على سبيل العاريَّة ، وفى اليجدَّع [لمَّا(١)] كان الفعل مخالفا لها فى جنسها وكان مشغولاً بإعراب عامله وهو التجرد ، كان غير صالح لظهور إعرابٍ آخر فيه . ولو نُقل إعرابها إلى الجملة لمَاَ كان يظهر لفظاً ، لكونه غير صالح له . ولو نقلوه إلى محلها لنَافَى الغرضَ ، وكان نقلَ إعرابٍ مما لا يظهر فيه إلى مالا يظهر فيه ، وهذا لاوجه له . فظهر الفرقُ بين نقل إعرابها إلى الوصف دون المضارع والجملة . ولله الحمدُ والمنة ، والله أعلم بالصواب .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامنَ عشرَ بعد الأربعمائة (٢) :

٤١٨ (لَعمرِى لأنتَ البيتُ أُكرِمُ أهلَه
وأقعُدُ فى أفيَائه بالأصائِلِ (٣))

(١) تكملة ليست فى الأصل .

(٢) الإنصاف ٧٢٣ والهمع ١ : ٨٥ وشروح سقط الزند ٢٠٣ ، ١٦٢٠ وديوان الهذليين ١ : ١٤١ واللسان (فيأ) . وسيأتى بعد فى الشاهد ٤٥٠ ص ٥٦٤ بولاق فى الجزء السادس .

(٣) ط : «أفنائه» ، صوابه فى ش وسائر المراجع وما سيأتى فى الشرح .

على أن الكوفيِّين جوَّزوا أن يكون الاسمُ الجامد المعرف باللام موصولا كما قالوا فى هذا : إنَّ التقدير لأنت الذى أكرم أهلَه ، لكنه موصولٌ غير مبهم كسائر الأسماء الموصولة . وعند البصريين اللام غير مقصودٍ قصْدُه ، والمضارع صفة له . وفيه أمور :

الأول : كان ينبغى أن يقول : لأنت البيت الذى أكرم أهله ؛ فإنَّ صنيعَهُ يوهم أنَّ البيت عند الكوفيين بمعنى الذى ، وهو باطلٌ لم يقل به أحد ، وإنما الموصول مفهومٌ من اسم الجنس المعرَّف باللام إذا وقع بعدَه فعل أو ظرف أو مجرور .

الثانى : قوله لكنه موصول غير مبهم ، لم ينقله أحدٌ عنهم ، ولو كان قولَهم لماَ ردَّ به البصريون عليهم كما يأتى .

الثالث : كون الجواب عند البصريين بجعل اللام للجنس والجملةِ المضارعيَّة صفة للبيت ، غير منحصر فيه عندهم كما يأتى أيضاً .

قال ابن الأنبارى (فى مسائل الخلاف) : ذهب الكوفيون إلى أنَّ الاسم المعرَّف باللام يُوصل كالذى ، واستدلُّوا بقوله :

* لعمرى لأنت البيتُ أكرِمُ أَهلَه *

فأنت مبتدأ والبيت خبره ، وأُكرم صلة الخبر الذى هو البيت . وردَّ البصريون عليهم بأنه لايجوز ذلك ، لأنَّ الاسم الظاهر يدلُّ على معنى مخصوص فى نفسه ، وليس كالذى ،لأنه لايدلُّ على معنى مخصوص إلاّ بصلةٍ توضِّحه ، لأنَّه مُبْهَم ، وإذا لم يكن فى معناه فلا يجوز أن يقام مقامه .

وأما البيت المذكور فلا حجَّة لهم فيهِ من وجهين :

أحدهما:أن يكون البيت خبر المبتدأ الذى هو أنت،وأكرم خبراً آخر .

والثانى : أن يكون البيت مُبهماً لايدلُّ على معهود ، وأكرم وصفاً له فكأنَّه قال : لأنت بيتٌ أكرم أهله كما تقول : إنِّى لأمُرُّ بالرجل غيرك ومِثْلِكَ وخير منك . انتهى .

واقتصر الخفَّاف (فى شرح الجمل) على الخبرية فقال : لاحجَّة لهم فيه لاحتمال أن يكون خبراً ثانيا لأنت ، ويكون قوله أَنت البيت تعظيماً له ، أى البيتُ المعظَّمُ ، بمنزلة قولك : أَنْت الرجل ، أى الرجل العظيم . ٤٩٠

وقال ابن السِّيد (فى شرح سقط الزند) : أكرم أهله عند الكوفيين صلة للبيت ، وعند البصريين جملة فى موضع الحال ، أو فى موضع خبر مبتدأ مضمر ، كأنه قال : أنا أكرم أهلَه ، ولو ظهر النصبُ فى هذه الحال لقلت مكرِماً أهله أنا؛ لأنَّها تصير حالاً على غير من هى له ، فيلزم ظهور الفاعل المضمر ، والعامل فى هذه الحال مافى قوله : لأنت البيت ، من معنى التعظيم ، كما أنَّ العامل فى جارةً من بيت الأعشى :

* يا جارتا ماأنتِ جاره [1]*

مافى قوله : «ماأنتِ» من معنى التعظيم . انتهى .

وأجاز ابن الأنبارى أن يكون أكرم أهله صلة لموصول محذوف لاللبيت ، كأنه قال:لأنت البيت الذى أُكرم أهله، لكن الموصول حذف ضرورة.

---

(١) صدره كما سبق فى ٣ : ٣٠٨ :

* بانت لتحزننا عفاره *

وهذا الوجه جارٍ على مذهب الكوفيين ، إذْ يجيزون حذفَ الموصول دون صلته في غير ضرورة ، وهذا يأباه البصريون .

قال أبو على (فى إيضاح الشعر) : لايجوز أن تحذف الموصول وتدعَ الصلة ، لأنها تُذكر للتخصيص والإيضاح للموصول . ونظيره : أجمعون فى التوكيد ،لايجوز أن تذكره وتحذف المؤَكَّد . فإن قلت : لم لايكون كالصفة والموصوف فى جواز حذف الموصوف وذكر الصفة ؟قيل : لم تكن الصلة كالوصف إذا كان مفرداً ، ألا ترى أنَّ الوصف إذا كان مفرداً كان كالموصوف فى الإفراد ، وإذا كان مثلَه جاز وقوعُه مواقع الموصوف من حيثُ كان مفرداً مثله مع استقباحٍ لذلك . فأمَّا الصلة فلا تقع مَوَاقع المفرد من حيثُ كانت جملا ، كما لم يجز أن تُبدَل الجملة من المفرد من حيث كان البدل فى تقدير تكرير العامل ، والعامل فى المفرد لايعمل فى لفظ الجملة . فأمَّا مَن تأوَّل قوله : لعمرِى لأنت البيتُ أكرم أهله ، على تقدير لأنت البيت الذى أكرم أهله وحذف الموصول ، فليس فى البيت دلالةٌ على هذا الذى تأوَّله ، وذلك أنه يجوز أن يكون أكرم أهله جملةً مستأنفة معطوفة على الأولى ، ولم يُحتج إلى حرف العطف لما فى الثانية من ذكر مافى الأولى ، كقوله تعالى : ﴿ أولئكَ أصحابُ النارِ هُمْ فيها خَالِدُون [2] ﴾ .ويجوز أن يكون قوله : لأنت البيتُ ، على جهة التعظيم ، فأجرى عليه اسم الجنس لهذا، كما تقول: أنت الرجل ، تريد به الكمال والجلَد ، فكذلك يكون المراد بالبيت . ألا ترى أنهم قد يقولون : له بيتٌ وشرف ! وإذا كان كذلك جاز أن يكون أكرم أهلَه فى موضع حال مما فى البيت من معنى الفعل ، كما أنَّ عِلماً فى قولك : أنت الرجل علماً وفهماً ،

---

(١) انظر شروح سقط الزند ١٦٢٠ .

(٢) الآية ٣٩ ، ٢٧٥ من البقرة و ٣٦ من الأعراف و ٢٧ من يونس و ١٧ من المجادلة . كما وردت مسبوقة بالفاء والواو فى آيات أخر .

ينتصب عما فى الرجل من معنى الكمال . وكما أنَّ جارةً فى قوله :

* ياجارتَا ماأنتِ جارهْ *

ينتصب عمَّا فى ماأنت [١] من معنى التعظيم ، كأنَّه قال : كَمَلْتَ فى جال علمك وبَذِّك غيرَك . فإن قلت : فهل يجوز أن يكون البيتُ بدلاً من أنت ، ويكون أكرم فى موضع خبر المبتدأ ، كأنَّه قال ، إذا أبدل البيت من أنت : أنت أُكرِمُ أهله ، أو البيت أكرم أهله ؟ قلت : إنّ قياسَ قول سيبويه عندى إنَّه لايجوز هذا . ألا ترى أنَّه لم يجز فى قولهم : «بِىَ المسكينَ كان الأمر [٢]» بدلُ المسكين من الياء . وإنَّما لم يجز ذلك لأنَّ البدل إنَّما يذكر لضربٍ من التبيين ، فإذا لم يفد ذلك لم يُستجَزْ . والمتكلم فى غاية التخصيص والتبيين ، فلم يحتج لذلك فيه إلى بدل ، وإذا كان كذلك فالمخاطب فى هذا كالمتكلم . ٤٩١

انتهى كلام أبى على ، ولكثرة فوائده نقلناه بجملته.

وقوله : (لعمرى) اللام للابتداء وعمرى مبتدأ وخبره محذوف تقديره:قسمى . أقسَمَ بعُمْره . وجملة (لأَنت البيت) إلخ جوابُ القسم . و(أُكرم) فعل مضارع ، و(أهله) مفعول .

---

(١) ش مع أثر تغيير : « ينتصب مما فى ما أنت » .

(٢) فى النسختين : «فى المسكين كان الأمر» ، صوابه من سيبويه ٢ : ٧٦ س ١٥ — ١٦ من تحقيق كاتبه . ويعنى سيبويه أن إتباع «المسكين » على الإبدال من ياء المتكلم ، وكذلك من كاف المخاطب فى قولك : «بك المسكين مررت» لايجوز ، وعلله بقوله : « لأنك إذا عنيت المخاطب أو نفسك فلا يجوز أن يكون لايدرى من تعنى ، لأنك لست تحدث عن غائب » .

وكتب بعض من عاصرناه (١) (فى حاشيته على شرح القطر للفاكهى): كأنَّ الداعىَ للكوفيين على جعل البيت اسماً موصولا أنه لايصحُّ الإخبار به عن أنت على الظاهر ، بجعله اسماً معرَّفا بأل . ويمكن أن يجاب بأنَّه على حذف مضاف ، أى أنت صاحب البيت ، ونحوه .

وقوله : (أكرِمُ) فعل مضارع ، لأنَّ الصلة لاتكون إلا جملة . فما فى بعض النسخ من ضبطه على صيغة أفعل التفضيل وإضافته إلى أهله ، ليس كما ينبغى . هذا كلامه . وهو من ضيق العَطَن وعدم الاطِّلاع على المعنى ، فإنَّ البيت مستعمَلٌ فى حقيقته ،والخطاب له ، فإنّ الشاعر ـــ وهو أبو ذؤيب الهذلى ، وتقدَّمت ترجمته فى الشاهد السابع والستين (٢) ـــ بعد أن تغزَّل بأبياتٍ خاطب دارَ حبيبته . قال الإمام المرزوقى (فى شرح أشعار الهذليين) : قوله : لعمرى لأنت البيت إلخ ، هذا رجوعٌ من أبى ذؤيب إلى ذكر البيت لتعظيم شأن أهله . وأشار بقوله وأقعد فى أفيائه ، إلى ماكان يناله منهم فيدومُ لذلك ملازمته له وحبه وإكرامُه لسُكَّانه .قال: ويروى «وأجلِسُ فى أفيائه» . ولافضْلَ (٣) بين أقعُد وأجلسُ فى المعنى ، وإنْ كان لكلٍّ منهما من التصرُّف مايستبدُّ به دون صاحبه . ألا ترى أنَّه لايقال مع القيام إلا القعود ، وأنَّه يقال للزَّمِن : هو مُقْعَدٌ وبه قُعادٌ ، ولايبنَى له من الجلوس مثل

(١) كتب مصحح المطبوعة الأولى : «قوله بعض من عاصرناه ، لعله يعنى ياسين . اهـ من هامش الأصل» . وقال الميمنى فى الإقليد ٨٣ معقبا على ذلك : «هذا خطأ ، فإنه لم يذكر يس الحمصى إلا بلفظ شيخنا . انظر حاشيته على التصريح ، وشرح الألفية له ، فى الخزانة » .

(٢) الخزانة ١ : ٤٢٢ .

(٣) كذا وردت «فضل» بالضاد المعجمة فى النسختين ، وهى صحيحة .

ذلك ، وأنه حُكى عن أعرابىّ يصف رجلاً :«هو كريم النُّحَاس ، جميل الجُلَّاس». ويقال فلان الجليس بمعنى النديم ، وهم جُلساء الملك . ولم يكثر لهذا المعنى مثل هذا البناء من القعود ، وإن كان الخليل قد حَكى : قعيد الرجُل : جليسه . ونظائر هذا فى اللغة كثيرة .

أبيات الشاهد

والبيت من قصيدةٍ عِدَّتُها أربعةٌ وعشرون بيتا ، فلا بأس أن تُشْرَح فإنَّ فيها شواهدَ ، وهى هذه :

(أساءَلْتَ رسمَ الدار أم لم تُسائِلِ
عن السَّكْن أم عن عَهدِهِ بالأوائلِ

لمن طللٌ بالمنتضَى غير حائلِ
عفا بعد عهدٍ من قطارٍ ووابلِ [1]

عفا بعد عَهد الحىِّ منهم وقد يُرى
به دَعْس آثارٍ ومَبرَك جاملِ

عفا غيرَ نؤى الدارِ ماإنْ تُبينُهُ
وأقطاعِ طُفْىٍ قد عَفَت فى المعاقلِ [2]

وإنَّ حديثاً منكِ لو تبذلينه
جَنَى النحلِ فى ألبان عُوذٍ مَطافلِ

مطافيلَ أبكارٍ حديثٍ نتاجُها
يشاب بماءٍ مثلِ ماء المفاصلِ

(١) ط : «بالمنتصى» بالصاد المهملة ، وهما لغتان ، كما سيأتى فى الشرح ، وهى فى ديوان الهذليين ١ : ١٤٠ بالضاد المعجمة .

(٢) فى الديوان : « ما أن أبينه » .

رآها الفؤادُ فاستُضِلَّ ضَلالُهُ
نِيافاً من البيض الحسان العَطابِلِ

فإن وصلَتْ حبلَ الصفاء فدُمْ لها
وإن صرمَتْه فانصرف عن تَجامُلِ (١)

لعمرى لأنت البيتُ أُكرِمِ أهلَه .... البيت .

وماضَرَبٌ بيضاءُ يأوِى مليكُها
إلى طُنِف أعياَ بِراقٍ ونازِلِ

تُهالُ العُقابُ أن تمرَّ برَيْدِهِ
وتَرمِى دُروءٌ دونه بالأجادِلِ

٤٩٢ تَنَمَّى بها اليعسوبُ حتى أقرَّها
إلى مألِفٍ رَحبِ المباءة عاسِلِ

فلو كان حبلاً من ثمانينَ قامةً
وتسعينَ باعاً نالها بالأناملِ (٢)

تَدلَّى عليها بالحبال مُوَثَّقا
شديدُ الوَصاةِ نابلٌ وابنُ نابلِ

إذا لسعَتْه النحلُ لم يرجُ لسعَها
وحالفَها فى بيتِ نوبٍ عواملِ (٣)

---

(١) فى الديوان : « فانصرم » بالميم . وفى ش : « عن تحامل » ، صوابه فى ط والديوان .

(٢) فى الديوان : « فلو كان حبل » بالرفع .

(٣) فى الديوان : « وخالفها » بالخاء المعجمة ، وهما روايتان نص عليهما البغدادى .

فحطَّ عليها والضُّلوعُ كأنها
من الخوف أمثالُ السِّهام النواصلِ
فشرَّجهـــا من نُطفــةٍ رَجَبِّيـــةٍ
سُلاسلةٍ من ماءِ لِصْبٍ سُلاسلِ(١)
بماءِ شُنانٍ زعزعَتْ مَتْنَه الصَّبا
وجادت عليه دِيمةٌ بعدَ وابلِ
بأطيبَ من فيها إذا جئتُ طارقاً
وأشهى إذا نامت كلابُ الأسافلِ
ويأشِبُنى فيها الألاءِ يَلُونها
ولو عَلمُوا لم يأشِبونى بطائلِ
ولو أنَّ ماعند ابنُ بُجْرةَ عندَها
من الخمر لم تَبْلَلْ لهاَتى بناطلِ
فتلك التى لايبرحُ القلبَ حبُّها
ولا ذِكْرُها ماأرزمَتْ أمٌّ حائل
وحَتَّى يؤوب القارظانِ كلاهما
ويُنشَرَ فى الهلْكَى كليبٌ لوائلِ)

قوله : «أساءلت رسم الدار» إلخ المساءلة : مفاعلة تكون من اثنين ، وهذا اتِّساع على عادتهم.والسَّكْن:جمع ساكن،مثل تاجر وتجْر .وتقديره : أساءلت رسم الدار عن السَّكْن أم عن عهده بالأوائل أم لم تسائل،إذا جعلتَ عن السكن متعلِّقة بالفعل الأوَّل.خاطب نَفْسَه على طريق التحزُّن والتوجُّع

(١) ش : « رحبية » بالحاء المهملة ، تحريف .

فقال : أباحثْتَ رسم الدار لما وقفتَ عليها عن أخبار سكّانها كيف انتقَلوا ، وإلى أين صاروا ، أو عن مُدَّة عهدِه بهم ، ومُذْ كم ارتحلوا ، ومتى ساروا ، أوَّلاً ؟ والسؤالُ عن السَّكْن أنفسِهم غيرُ السُّؤالِ عن مُدّة العهد بهم ، فلهذا فرَّق . والأوائل هم السَّكْنُ ، ولكن فخَّم شأنهم بأن أعاد اسمَهم الظاهر ولم يقل عن عهده بهم . ودعَتْه القافية إليه أيضا . وحسَّن ذلك ، لما لم يهجِّنْه التكريرُ ، اختلافُهُما . ويجوز أن يريد بالسكن الوحش التى استبدلتها من قُطّانها قبل ، وتلك الحالة من الدار مما يزيد فى جزع الواقف عليها ، ويستمدُّ السؤالَ على جهِة التلهُّف لها ، كما قال :

يعزُّ علىَّ أن يُرَى عِوَضَ الدُّمى بحافاته هامٌ وبُومٌ وهِجْرِسُ

وقوله : «لمن طلل» إلخ هذا وجه آخر من التحَزُّن ، كأنَّه استنكر أن تكون دارُهم بالحالة التى رآها ، فجعل سؤاله سؤال من لايُثبتها ، تعظيماً للأمر . والمنتصى : مُلتقى الواديين حيث يُناصى أحدهما صاحبه . وقال الباهلى : المنتصى : موضع . وروى أبو عَمرٍو : «المنتضى» بالضاد معجمة ، وقال : هو موضع . وقوله : «غير حائل» قال الباهلى : أراد عفا بعد عهدٍ من قِطار ووابل ، ولم يمرَّ به حولٌ. والمشهور أن يقال أحال الشىءُ إذا أتى عليه حول ، إلا أنَّ بعضهم حكى أنَّ حال لغةٌ فيه . ويجوز أن يكون حائل بمعنى متغيِّر ، يقال حال الشىء واحتال إذا تغيَّر ، كأنَّه كان دارسَ البعضِ باقىَ البعضِ ، فلم يعدّ ذلك تغيُّرا كاملا ، ومتى كانت الرسوم بهذه الصفة ذكَّرت العهودَ أشدَّ ، وجدَّدت الغمومَ أجَدَّ . ولذلك تمنى بعض الشعراء شمولَ الدروس عليها ليستريح منها فقال :

ألَا ليتَ المنازلَ قد بَلينا فلا يرمين عن شُزُنٍ حَزينا [1]

---

(١) البيت لابن أحمر فى اللسان والمقاييس (شزن) وشرح السبع الطوال ٢٠ .

وقوله : «بعد عهد» يجوز أن يريد بعد إلمام ، ويجوز أن يكون مصدر عُهِدت الروضة ، إذا أتى عليها العَهد ، وهو كلُّ مطر بعد مطر ؛ وجمعه عِهاد . وإنّما قال من قطار ووابل ، لأنَّ الوابل المطر المُروِى ، والقطار : جمع قَطْر ، وهو لما دُونَه .

وقوله : «عفا بعد عهد الحىّ» إلخ ابتدأ يبيِّن كيف عفا ، والمعنى عفا الطلل والمكانُ بعد أن كان للحىِّ فيه عهدٌ . والعَهْد : المنزل الذى لايزالون إذا بعُدوا عنه يرجعون إليه ، كأنَّهُم تركوا النزولَ به وفارقوه فعفا ، يريد عفا منهم بعد عَهدِهم ، أى بعْد أن كانوا يعهدونه ، وقد بقىَ من آثارهم ومبارك إبلهم مايُستدَلُّ به على أنّه ربْعُهم . والدَّعس : شدَّة الوطء . وقال أبو نصر : هو تتابع الآثار . والجامل : اسمٌ للجمع يقع [(١)] على الذكور والإناث ، كالإبل ، وإن كان من لفظ الجمَل .

وقوله : «عفا غير نؤى» الخ يقول : عفت آثارُ الدار وانمحت إلاَّ نؤياً لايُستبان منها ، وأَقطاعاً من خُوص المُقْل تمزَّقت لقدَمها ، فتفرَّقت فى الساحات وكثُرت بترديد الرِّياح لها . والنؤى : حاجزٌ يُمنع به السَّيل عن البيت . والطُّفْى واحدتها طُفْية . ومعنى عفا درس . وعفَتْ فى المعاقل : كثُرت . وهذا من الأضداد ، يقال عفا المكان ، إذا درس ، عَفاءً وعُفُوًّا ، وعفته الرياح عَفاء وعُفُوًّا : كثُر ، وعفوته أنا . والمعاقل : جمع المَعقِل ، وهو ههنا المنزل الذى نَزلوه وحَفِظُوا مالَهم فيه . والعقل : الحفظ .

وقوله : «وإنّ حديثاً منكِ» إلخ ترك وصف الدار ودروسَها وعطف إلى خطابها يغازلها . يقول : إنَّ حلاوة حَديثكِ لو تفضَّلتِ به حلاوةُ العسل مشوباً

---

(١) ط : « يقال » ، صوابه فى ش .

باللَّبن . والجَنَى أُصله الثمر المجتنَى ، فاستعاره . والعُوذُ : الحديثات النِّتاج ، واحدها عائذ . ومَطافل : جمع مُطفِل ، وهى التى معها طِفْلُها . وإنَّما نكَّرَ قوله حديثاً منكِ ، ليبين أنَّ موقع كلامها منه على كل وجهٍ ذلك الموقع . ودلَّ بقوله «لو تبذلينه » على تمنُّعها وتعذُّر ذلكَ من جهتها .

وقوله: «مطافيلَ أبكار» إلخ مطافيل بدل من قوله عوذٍ مطافل ، وأشبع فى الفاء للزومها فحدثت الياءُ . والأبكار : التى وضعت بطناً واحداً ، لأنَّ ذلك أول نتاجها ، فهى أبكارٌ وأولادها أبكار ، ولبنها أطيب وأُشهى ، فلذلك خصَّه وجعله مِزاجاً . ويُشاب صفة لألبان ، أى مشوبة بماءٍ مُتَناهٍ فى الصَّفاء . وقيل فى المفاصل إنَّها المواضع التى ينفصل فيها السَّهل من الجبل حيث يكون الرَّضراض ، فينقطع الماء به ويَصفُو [١] إذا جرى فيه . وهذا قولُ الأصمعىِّ وأبى عمرو . واعتُرِض عليه فقيل : هلاَّ قال بماءٍ من مياه المفاصل ، ومالَهُ يشبِّهه به ولا يجعله منه ؟ فقيل : هذا كما يقال : مثلُ فلان لايفعل كذا ، والمراد أنَّه فى نفسه لايفعل ، لأنه أُثبِتَ له مثلٌ ينتفى ذلك عنه . ألا ترى أنَّه لو جعل ذلك لنظيره لكان المدح لايَعْلَق به ، وقد عُلم أنَّ القصد إلى مدحه . وعلى هذا قد حُمِل قوله تعالى : ﴿ليس كمثْلِهِ شيء [٢]﴾ . وقال أبو نصر :أراد بالمفاصل مفاصل الجبل حيث يقطرُ الوَشَل،وذلك أصفى من مياه المناقع والعيون.وقيل أراد يشاب بماءٍ كالدمع صفاء،فالمفاصل شؤون الرأس ،وهى تسمَّى مفاصل ومَواصل،والدمع منها يَخرج.وهذا كَما يقال:جئتك بخمرةٍ كماءِ العين وأصفى من الدمع،فالتشبيه حاصلٌ فى هذا الوجه،وهو عندى حسن. والمراد بماء

(١) ط : «وتصفو» ، وأثبت مافى ش .

(٢) الآية ١١ من سورة الشورى .

العينِ الدَّمعُ لاغير . وقال أبو سعيد : ماء المفاصل الدم ، وأراد بالماء الخمرَ وشبَّهها به . وقال ابن الأعرابى : ماء المفاصل ماء اللحم التى شَبَّه حُمرته بحمرته . وعهدة هذين القولين عليهما .

وقوله : «رآها الفؤاد» الخ أضاف الرؤية إلى الفؤاد تحقيقاً للأمر ، لأنَّ العين رائدُ القلب ، فكأنَّها أُدركت بالعين أوّلاً ، ثم تُؤُوِّلت بالفكر فى محاسنها ثانياً ، فتمكَّن الحب بإعادة النظر وبسْط الفكر . قوله : «فاستُضِلَّ ضلاله» ، قال الأصمعى : هو كما يقال جُنَّ جُنونه . وكشْفُ هذا : أنَّ للنفس شهوةً فى المستحسنات قد تضلُّ بها عندها ، فتسمَّى تلك الشهوة ضَلالاً لكونها سبباً فيه ، ثم إذا غَلب عليها شىءٍ يستتبع تلك الشهوة قيل استُضِلَّ ضلالُ فلان ، أى طُلب منه أن يضلَّ فضلَّ . وقال بعضهم: أراد استُزِيدَ ضلاله ، أى زيد ضلالُه ضلالاً ؛ كأنَّه لما تفكر فى محاسنها وتقصَّاها ازداد بها وَلوعا ، فجعل ذلك استضلالاً للضلال . وقال الأخفش : هذا كما يقال:خرجت خوارجُه ، والمعنى دواخله ، فسمَّاها بما آلت به ، فكذلك أراد استُضِلّ رشادُه ، فقال ضَلاله ، لرجوعه إليه . ومثله :

* يُدعَوْنَ حُمْساً ولم يَرتَع لهُم فزَع *

أى لم يرتَعْ أمْنُهم .وهذا كثير.وقوله : نيافاً،نصبٌ على الحال . والنِّياف : الطويلة المشرفة (١) ،ومنه أناف على كذا،أى أشرف . والعَطابل: جمع عُطبول بحذف الزيادة منه ، كأنَّه كان عُطبُلاً ، وهى الطويلة الأعناق .

وقوله : «فإن وَصَلت حبلَ» إلخ يُسأل عن موقع هذا الكلام ممَّا قبله ، وعن زهده المسرف فى هذا البيت بعد ضلاله المفرط فى البيت المتقدِّم ، وكيف

---

(١) ط : « المترفة » ، صوابه فى ش وشرح السكرى .

وجهُ التئامهما على تقاربهما ، وهل يجوز أن يتجلَّد فى هذا ثم يقول بَعقبِه :

* لعمرى لأنتَ البيتُ أكرمُ أهلَه *

والجواب أنَّ هذا وَفق ماتقدَّمه ، وغير مخالف له ، لكنّه أظهر الاستسلام لها ولرأيها ، فإن وصلت حبله دام على مصافاتها لايشرَكُ أحداً فى وُدّها ، وإن صرمتْ ودَّه وقف عند محدودِها فى الانصراف ومرسومِها ، لايستعمل منكراً ولا يتعاطى رَفَثا ولا هُجْرا . وهذا من الآداب المحمودة فيما يجرى عليه المتحابَّان . ويدلُّ على ماقلنا أن أبا ذؤيب أمرَ نفسَه بالدَّوام إن رأت الوصل ـــ والدَّوامُ على الوصل زيادةٌ عليه وثباتٌ فيه ـــ وبالانصراف عنها على أجْمَلِهِ إن رأت الصّرم إلى أن ترى غيره . وإذا كان الأمر كذلك فما أظهر زهداً فيها .

وقوله : «وماضَرَبٌ بيضاء» إلخ عاودَ وصفَ المرأة . والضَّرَب:الشُّهدة، ويقال استَضْرَب العسل ، إذا خَثُر فصَلُبَ . وهو ضَرَبٌ وضريب . والعَسَل فى لغتهم مؤنَّثة ، فلذلك قال بيضاء . وقوله:«يأوى مَليكُها» أراد به اليعسوب، وهو قائد النحل ، وأضاف المليك إلى العَسل توسُّعا ، وإنَّما هو مليك النحل المعسِّلة.والطّنف ، بفتح الطاء وضمها: حَيْدٌ نادرٌ من الجبل، والمعنى ماعسلٌ بيضاءُ يأوى نَحلُها إلى أنِف من الجبل يُعيى الراقىَ إليه والنازلَ منه.

وقوله : «تَهال العقابُ» الخ . قال الباهلى : الرَّيد : شمراخٌ فى الجبل . وقال أبو نصر:الرَّيد مانتأ من الجبَل فخرج منه حرف . والدُّروء:جمع الدَّرء وهو الحَيْدُ يدفعُ مايلاقيه.ومنه تَدارأ الرجلان،إذا تدافعا . وقال الأصمعى:هو الأنف المعوّج . والمعنى أنَّ ذلك الجبل تَهاب العقابُ من المرور بحرفه ، لإشرافِه وعُلوِّه واعوجاج أطرافه وأنوفه .

وقوله : «تنمَّى بها اليعسُوب» إلخ ضمير بها للنحل ولم يَجرِ لها ذِكر ، لأنَّه يُستدلُّ عليها بالقصَّة . يعنى أن اليعسوب يرتفع بالنحل حتىَّ يُسكِنها فى مجمع لها أَلِفَتْهُ واسعٍ ذى عَسَل . وإنَّما قال هذا لأنّ النحل تتبع قائدَها فتطير بطيرانِه وتَرجع برجوعه . والمباءة : مرجع الإبل ومَبيتها الذى تتبوَّأ فيه وتأوِى إليه ، فاستعاره ههنا. وقوله : «أقرَّها إلى مألِف» عدَّاه بإلى ، لأنه فى معنى آواها وألجأها ، وهم يحملون النَّظير فى التعدية على النظير ، والنقيضَ على النقيض كثيراً .

وقوله :«فلو كان حَبْلاً من ثمانين» البيتين الضمير المؤنَّث فى نالها وعليها للخلِيَّة المفهومة من المقام ، وفاعل نالها : شديد الوَصاة ، وجملة تدلَّى : حالٌ بتقدير قد ، والتقدير : نالها بالأنامل شديدُ الوَصاة نابلٌ وابنُ نابِلٍ متدلِّيا عليها بالحبال . ويكون مُوثقًا حالاً [(١)] من الضمير فى تدَلّى .ويجوز أن تَكون جملة تدلَّى اعتراضاً بين الفعل والفاعل،ويحسِّن الاعتراضَ أنّه تفسيرٌ لنيل المشتار للعسَل كيف كان،وعلى أىّ وجهٍ توصَّل.وروى تقديم بيتِ تَدَلَّى عليها،على بيت فلو كان حبلاً ، وبه يحسُن الانتظام ، ويصير قوله فلو كان [(٢)] حبلاً من ثمانين قامة واقعاً فى موقعه ، وبياناً لحذق المشتار وحُسنِ تأتِّيه [(٣)] فيما يعانيه ، حتى لا يمتنع عليه شاقٌّ منيع . وعليه يكون شديد الوصاة فاعلَ تدلَّى ، وموثقا حال . قال الأصمعى : أراد بشديد الوَصاة الشديد الحِفاظ بما أُوصِىَ به . قال أبو نصر : بيانه : شديد عند الوَصاة لا يسترخى فيها ولا يتجوّز . وقال أبو عبيدةَ : أى يوصى أصحابَه بالحبل ويشدِّد فى الأمر ، يقول : أمسِكوه واستوثِقوا منه . وقوله :نابلٌ وابن

---

(١) ط : « حال » ، صوابه فى ش .

(٢) ط : « ولو » ، صوابه فى ش .

(٣) ط : « تأنيه » ، صوابه فى ش .

نابل ، أى حاذق وابن حاذق ، يعنى أنَّه ورث صناعتَه عن أسلافه ، ثم نشأ عليها وبرعَ فيها .

وقوله : «فلو كان حبلاً» تقديره : لو كان الحبل الذى تدلَّى به حبلاً طوله ثمانون قامة وتسعون باعاً . والمعنى تدلَّى عليها ، ولو كانت أشقَّ منها مطلبا وأبعدَ منالاً لاحتال فيها حتى ينالها بيده [١].

وقوله : «إذا لسعَتْه النحل» إلخ يُروى «إذا لسعَتْه الدَّبْرُ» وهو كالنحل وزناً ومعنى . يقول : إذا لسعت النحل هذا المشتارَ لم يَخفْ لسعَها ، ولم يُبالِ بها ، ولازَمها فى بيتها حتَّى قضى وطره من مُعَسَّلها . ومعنى لم يرج : لم يخف ، من قول الله تعالى : ﴿إنَّهم كانوا لا يَرْجُونَ حِسَاباً [٢]﴾. وكما وضعوا الرَّجاء موضع الخوف وضعوا الخوفَ موضعَ الرجاء . وقوله : «وحالفها» قال الأصمعى : أى صار حليفَها فى بيتها وهى نُوبٌ . ولم يرد : حالفها فى بيت غيرها . وروى أبو عَمرٍو : «وخالفها» بالخاء معجمة قال : يريد جاء إلى عَسَلِها من ورائها لمَّا سرحَتْ فى المراعِى . والنُّوب : النَّحل ، ولا واحد له . وقال ابن الأعرابى : هو جمع نوبىٌّ ، سمَّوها بذلك لسوادها . وقال الأصمعى : هو جمع نائب ، كعائذ وعُوذ . يريد أنَّها تختلف وتجىء وتذهب ، أى تنتاب المراعىَ ثم تعود . وعَوَامل ، أى تعمل العَسلَ .

وقوله:«فحطَّ عليها»إلخ يقول:انحدر المشتارُ على الخليةِّ والقلب يَجِبُ، والأحشاء تضطرب،خوفاً مما يكابده فى التدلِّى،حتَّى كأنَّ ضلوعه سهامٌ لانصالَ لها، رُمِىَ بها فطاشت وقَلِقت.والسهم الناصل:الذى سقط نصلُه أو قَلِق [٣].

---

(١) ش : «حتى نالها بيده» .

(٢) الآية ٢٧ من سورة النبأ .

(٣) ط : «فلق» ، صوابه بقافين ، كما فى ش .

يقال : نَصَلْت السهم ، إذا ركَّبت عليه النصل ، وأنصلته فَنَصل ، إذا نزعتَ نَصْله .

٤٩٦

وقوله : «فشرَّجها من» إلخ أى جعل العسلَ شريجين ، أى خليطين ، بالمزاج الذى صبَّه عليها ، وكل واحد من الخليطين شريج . والنطفَة : الماء . وإنَّما نسبهَا إلى رجب لأنَّ رجبَ وجمادى كانا فى زمانهم من شهور الشتاء . والسُّلاسِلة ، بالضم : التى تتسلسل فى الحلق لصفائها وعذوبتها وسهولة صفاء مَدخلها . وجعلها من ماء لِصْب بكسر اللام ، وهو شَقٌّ فى الجبل ، ليدلَّ على أنها من ماء المطر ، وأنه تنقَّلَ فى مضايق الطرق وتقطع بمدراج الشقوق والنُّقَر ، فتزيل الكدورةَ عنه ، وتَسَلسلَ فى جريه ومروره حتَّى تناهى فى مَقَرِّه وربَد بالرِّيح (١) فى مستنقعه . فقوله : سُلاسل صفة لماء لِصب ، وأراد به رِقَّته وسرعة مَرِّه فى مجاريه من المسايل والمناقع .

وقوله : «بماء شُنان» إلخ رواية الأصمعى بتنوين ماء وإجراء شنان وصفا له.قال أبو نصر : وهو أحبُّ إلىّ . والشُّنان بضم المعجمة : البارد ينشنّ من الجبل انشنانا . ومنه شنَّ عليه الغارة . وروى أبو سعيد : «بماءِ شِنانٍ» على الإضافة ، قال : والشِّنان ، بكسر المعجمة : جمع الشنَّةِ ، وهى القِربة الخَلَق ؛ والماء فيها أبرد . وقوله : «زعزعَتْ متْنَه» أى أعلاه . وقوله : «وجادت عليه» إلخ القصد فيه إلى تكثير الماء حتى يكون أصفى .

وقوله:«بأطيبَ من فيها» إلخ هذا خبر «ما» من قوله:وماضربٌ بيضاء . وإذا جئتُ ظرفٌ لطارقاً ، وإذا نامت ظرفٌ لأشهى .والمراد:وأشهى من فيها إذا نامت .والمشار إليه بإذا نامت غير المشار إليه بإذا جئت ، يدلك

---

(١) ش : « وريد الريح » ، صوابه فى ط . وربد : أقام .

أنَّ الوقت الذى يجىءُ فيه طارق [١] يجوز أن يكون من أول الليل ، ومن أوسطه ، وآخره، فإنَّ الوقت الذى ينام فيه كلابُ الأسافل يكون معلوماً متميِّزاً عن ساعات الليل . وقد اختُلِفَ فيه ، فقال بعضهم : هو أوّل الصبح ، لأنَّ الكلابَ إذا تحرَّكَ الناس تنام وتسكن . ومثله قول أبى ذؤيب فى أخرى :

بأطيب من مُقبَّلها إذا ما دنَا العَيُّوقُ واكتتم النُّبوحُ

وقيل الأسافل مراد به أسافل الحىِّ ، لأنَّ مواشيَهم لاتبيت بل لها مباءَةٌ على حِدَة ، فرُعاتها لاينامون إلا آخرَ من ينام ، لأنَّ منهم من يربِّق ، ومنهم من يَحلبُ ، وكلابهم تحرس معهم ، فلا تنام إلا آخر الليل .

وقال الباهلى : الحِوَاء يكون فيه الوجوه ، والأسافل يكون فيه الرِّعاء . وهذا كالبيان للأوَّل .

وقال أبو سعيد : الأسافل:سَفِلة الناس ، ويعنى بهم هنا الرعاة ، وليس يراد به أسافل البيوت .

وقال الأخفش : الرواية « كلاب المَسافل » ، يعنى المواضِع التى تسفل الناسُ فيها . يقال أتيت المسفَل من مكة وأتيت المَعْلَى منها ، وهى مسافلها ومَعاليها . والمعنى على جميع هذه الوجوه أنَّ فمها أشهى مما وصفه إذا خَلَفت الأفواهُ وتغيَّرت .

وقوله : «ويأشِبُنى فيها» إلخ يأشبنى : يَلْطخُنى ويقذفنى . يقال : أشَبَهُ بشىءٍ،إذا قذفه به.والألاءِ [٢]:اسم موصول بمعنى الذين.وعلِم هنا بمعنى عَرَف

(١) ش : « طارقا » ، وكلاهما صحيح .

(٢) ش : « والأولى » ، صوابه فى ط ، وهو المطابق لنص الشعر .

يقول : لو عرفوا قصَّتى معها مع تمنُّعها لم يقولوا إنى أُصبْتُ منها طائلا . والطائل : ماله فضلٌ وقدر . وروى : « بباطل » ، والمعنى : لتحرَّجوا مِن قذفى بالباطل . ويَلُونها : يقْرُبونها . وروى : « الأُلى لا يَلُونها » أى الغرباء دون أهل بيتها .

وقوله : «ولو أن ماعند» إلخ ،ابن بُجْرة بضم الموحدة وسكون الجيم : خَمَّارٌ معروف كان بالطائف .والناطل ، هنا: جُرعةٌ من ماءٍ أو لبن أو نبيذ ، ويأتى بمعنى المكيال للخمر ، وليس مراداً هنا . وأبلَغُ مِنْ هذا : ٤٩٧

وكيف طِلابى وصلَ من لو سألتُه
قَذَى العين لم يُنْعِمْ وذاك زهيدُ (١)

وقوله : «فتلك التى لا يَبرح» الخ ، مامصدرية ظرفية ، وأرزمت بتقديم المهملة : حَنَّت . والحائل : الأنثى من أولاد الإبل . والسَّقْب : الذَّكر . والمعنى : تلك المرأةُ التى وصفْتُها هى التى لايفارقنى حبُّها وذكرها أبداً .

وقوله : «حتى يؤوب القارظانِ» إلخ ، المعنى : لايفارقنى حبُّها حتى يكون مالا يكون .

القارظان

القارظان أحدهما القارظ العَنَزى ، وهو يذكر بن عَنَزة بن أسد بن ربيعة، كان يعشق[ابنته(٢)]فاطمةَ،خزيمةُ بنُ نهد،فطلبَها من أبيها فلم يزوِّجها ،ثم خرج يذكر وخزيمة يطلبان القَرَظ ـــ وهو ورقٌ تدبغ به الجلود الطائفيَّة ـــ

---

(١) أنعم : أجاب بنعم . وذاك ، أى الإجابة بنعم .

(٢) ابنته ، ساقطة من ش .

ومرَّا بقليبٍ فاستقيا ، فسقطت [الدلو [1]] فنزل يَذكُر ليُخرجَها ، فلما صار في البئر منعَه الحبْلَ وقال : زوِّجني فاطمة . فقال : أمَّا على هذه الحالة اقتساراً فلا أفعل ، ولكنْ أخرِجني حتَّى أزوِّجَك . فامتنع ، وجعل يسأله ويأبى حتَّى هلك فيها .

والقارظ الثاني : رجلٌ من النَّمرِ بن قاسط ، خرج يَبْغِي قَرَظا فأبعَدَ ، فنهشتهْ حيّةٌ فقتلتْه،فضُرب المثلُ برجوعهِ فيما لا يكون.قال عُمارة بن عقيل:

لِأُجزِرَ لحمى كلبَ نَبْهان كالذى
دعا القاسطىَّ حتفُه وهو نازحُ

كذا ذكر المبرد أنَّ القاسطىَّ أحد القارظَين . هذا لخَّصته من شرح أشعار الهذليين للإمام المرزوقى .

وقال الزمخشرى (فى مستقصى الأمثال) : القارظ الثانى : اسمه هُمَيم ، وقيل عُقبة ، وكان يتصيدُّ الوعول ويَدبغ [2] جلودَها بالقرظ ، فعرض له فى بعض الجبال ثعبانٌ فنفخه نفخةً فوقع منها ميتا . انتهى .

وأمَّا الميدانىُّ (فى مجمع أمثاله) فقد قال : القارظ الثانى ليس له حديث غير أنه فُقد فى طلب القرظ ، واسمه هُمَيم . والله أعلم بالصواب .

* * *

وأنشد بعده :

(ولقد أمرُّ على اللئيم يَسبُّنى)

---

(١) كلمة « الدلو » ساقطة من ش .

(٢) يقال دبغ الجلد يدبغه ويدبغه ويدبغه ، مثلث الباء فى المضارع .

وتقدم الكلام عليه فى الشاهد الخامس والخمسين من باب المبتدأ والخبر [١].

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع عشَر بعد الأربعمائة [٢]:

٤١٩ (وليسَ المالُ فاعلمه بمالٍ وإنْ أغناكَ إلاَّ للذىِّ
يُريد بهِ العَلاءَ ويَصْطفيهِ لأقربِ أقربيِه وللقَصِىِّ)

على أن كسرة الياء المشددة من (الذى) كسرةُ بناء .

والبيتان كذا رواهما ابن الشجرى (فى المجلس الرابع والسبعين من أماليه) . وقوله : (بمال) خبر ليس ، والباء زائدة ، وجملة (فاعلمْه) معترضة ، وكذلك جملة (وإن أغناك) معترضة ، وإنْ وصليَّة ، ونقل شارح شواهد الموشح عن بعضهم أنّها نافية ، والمستثنى منه محذوف ، تقديره لأحدٍ . وجملة (يريد) بفاعله المستتِر صلةُ الذى . وروى بدله : (ينال به) . ويصطفيه معطوف على يريد . و(العَلَاء) بفتح العين والمد : مفعول يريد ، وهو بمعنى الرفعة والشرف . ويَصطفيهِ بمعنى يختاره . وقوله : (لأقرب) متعلق بيصطفيه . وإضافة أقرب إلى أقربيه كقولهم : أعْلَمُ الأعلمِينَ . والقصىّ : البعيد . يقول : ليس المال فى الحقيقة مالاً لأحدٍ إلا للذى يريد بسببه عُلوَّ الدّرجة فى المجد ، ويختاره للقريب والبعيد .

٤٩٨ وروى البيت الثانى الخفّاف (فى شرح الجمل) كذا :

---

(١) الخزانة ١ : ٣٥٧ .

(٢) أمالى ابن الشجرى ٢ : ٣٠٥ والإنصاف ٦٧٥ والهمع ١ : ٨٢ ويس ١ : ١٨١ واللسان (ضمن ١٢٨ لذا ١١١) .

تحوزُ به العَلاء وتَصطفيه لأقـربِ أقربيكَ وللصَّفـىِّ

بالخطاب فى المواضع الثلاثة .

وروى ابن الأنبارى (فى مسائل الخلاف) البيتين كذا :

وليس المالُ فاعلمْه بمالٍ من الأقوام إلا للذىٍّ

يُريد به العَلاء ويمتهنْه لأقربِ أقربيه وللقصىِّ

وعليها فجزم يمتهنه ضرورة ، وهو من امتهنت الشيءَ بمعنى أهنته وحقَّرته .

والبيتانِ لاعلم لى بقائلهما . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد العشرون بعد الأربعمائة (١):

٤٢٠ (والَّذِ لو شاءَ لكنت صخرا

أو جبلاً أشمَّ مشمخرًّا)

على أن حذف الياء من (الذى) والاكتفاء بكسر الذال لغة . و (الأشَمُّ) من الشَّمم ، و [هو] الارتفاع . و(المشْمَخِرّ) : العالى المتطاول ، وقيل الراسخ . وهذا مارواه الخفَّاف وغيره . ورواه ابنُ الشَّجرى (فى أماليه) وابن الأنبارى (فى مسائل الخلاف) :

والَّذِ لو شاء لكانت بَرًّا أو جبلاً أصمَّ مشمخِرًّا

---

(١) أمالى ابن الشجرى ٢ : ٣٠٥ والإنصاف ٦٧٦ والهمع ١ : ٨٢ .

قال شارح (شواهد الموشح) : **ضمير كانت للدُّنيا أو الأَرض** .
والبَرُّ : خلاف البحر . والمعنى : هو الذى لو شاء **أن يكون براً لكان برًّا** ،
ولو شاء أَن يكون جبلاً [1] . انتهى .

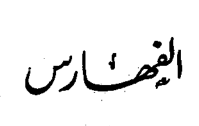
والأَصمّ من الصَّمَم ، أراد به المصمَتَ الذى لاجوفَ له .

ولاأعلم قائلَ هذا البيتِ أيضاً ، وعلمُه عند الله .

نهاية الجزء الخامس من تقسيم محققه

---

(١) كذا بإغفال جواب الشرط هنا لوجود مايدل عليه ، أى لكان جبلا .


الفهارس



(أ) فهرس التراجم

(ب) فهرس الشواهد

التوابع

باب النعت

باب العطف

باب التوكيد

٣٥٨	أقسمَ باللهِ أبو حفْصٍ عُمَرْ		١٥٤
٣٥٩	فأينَ إلى أينَ النَّجاءُ ببغلتى	أتاكَ أتاكَ اللاحقون احبسِ احبسِ	١٥٨
٣٦٠	لا لا أبوحُ بحُبِّ بَثنةَ إنَّها	أخذَتْ علىَّ مواثقا وعُهودا	١٥٩
٣٦١	تَرَاكِها من إبلٍ تَرَاكِهاَ		١٦٠
٣٦٢	أقبلْن من ثهلانَ أو وادى خِيمَ	على قِلاص مثلِ خِيطانِ السَّلَمْ	١٦٣
٣٦٣	ياليتنى كنتُ صبيًّا مرُضَعا	تحملنى الذَّلفاءُ حولاً أكتعا	١٦٨
٣٦٤	أُولاكَ بنو خيرٍ وشرٍّ كليهما	جميعاً ومعروفٍ ألَمَّ ومُنكرِ	١٧١
٣٦٥	يامَىَّ إن تَفقِدى قوماً ولدتِهِمُ	أو تُخلَسيهمْ فإنَّ الدهرَ خلّاسُ	
	عمرو وعبدُ منافٍ والذى عِهدتْ	ببطن عَرعَرَ : آبِى الظلم عباسُ	١٧٤
٣٦٦	فلا وأبيكِ خير منكِ إنِّى	ليُؤذينى التحمحـمُ والصهيـلُ	١٧٩
٣٦٧	إنّا وجَدْنا بنى جِلَّانَ كلَّهمُ	كساعد الضبِّ لاطُولٍ ولا قِصَرِ	١٨٣
٣٦٨	أوعدَنـِي بالسِّجنِ والأداهِـم	رِجلى ورجلى شثنةُ المناسِمِ	١٨٨
٣٦٩	ذرينى إنَّ حكمكِ لن يُطاعا	وما ألفيتُنى حلمى مُضاعـا	١٩١
٣٧٠	وكأنّـه لهقُ السَّراة كأنّـــه	ماحاجبيـــهِ مُعيَّـــنٌ بسَوَادِ	١٩٧
٣٧١	إنَّ السُّيوفَ غدوَّها ورواحَها	تركتْ هوازنَ مثلَ قرن الأعضبِ	١٩٩
٣٧٢	إنَّ علىَّ اللهَ أن تُبايعـــاَ	تؤخذَ كَرهاً أو تجىءَ طائعا	٢٠٣
٣٧٣	وكنتُ كذى رجلينِ رجْلٍ صحيحةٌ	ورجِلٍ رَمَى فيها الزمانُ فشَلَّتِ	٢١١

المبنيات

المضمر

٣٧٤ إذا زُجِر السَّفيهُ جَرَى إليه	وخالفَ والسَّفيهُ إلى خلافِ	٢٢٦
٣٧٥ ولو أنَّ الأطبَّا كان حولى	وكان مع الأطبَّاءِ الأُساةُ	٢٢٩
٣٧٦ ولكنْ ديافٌ أبوه وأُمُّه	بحَورانَ يعصِرْنَ السليطَ أقاربُه	٢٣٤
٣٧٧ إن كنتُ أدرِى فعلىَّ بدَنَهْ	مِن كثرة التخليطِ أنِّى من أنه	٢٤١
٣٧٨ أنا سيفُ العشيرة فاعرِفونى	حُميداً قد تذرَّيتُ السَّناما	٢٤٢
٣٧٩ فقمتُ للطَّيفِ مُرتاعاً فأرَّقنى	فقلتُ : أَهْىَ سَرَتْ أم عادنى حُلُمُ	٢٤٤
٣٨٠ فبيناهُ يَشرِى رحلَه قال قائلٌ :	لمَنْ جَملٌ رِخوُ المِلاطِ نجيبُ	٢٥٧
٣٨١ وإنَّ لسانى شُهدة يُشتَفى بها	وهُوَّ على من صبَّه الله عَلقمُ	٢٦٦
٣٨٢ رميتِيهِ فأقصدْتِ	وماأخطأتِ الرمْيَه	٢٦٨
٣٨٣ فبتُّ لدى البيتِ العتيقِ أُريغُه	ومِطواىَ مُشتاقانِ لَهْ أرقانِ	٢٦٩
٣٨٤ ومانُبالِى إذا ماكنتِ جارتَنا	أن لا يُجاورَنا إلاَّكِ دَيَّارُ	٢٧٨
٣٨٥ كأنَّا يومَ قُرَّى إنَّـ	ـما نقتلُ إيَّانا	٢٨٠
٣٨٦ بالباعث الوارثِ الأمواتَ قد ضمِنَتْ	إياهمُ الأرضُ فى دهر الدهارِيرِ	٢٨٨
٣٨٧ وإنَّ امرأً أسْرَى إليكَ ودونَه	من الأرض مَوماةٌ وبيداءُ سَمْلَقُ	
لمحقوقةٌ أن تستجيبى لصوته	وأن تعلمى أنَّ المعانَ مُوفَّقُ	٢٩١
٣٨٨ فلا تطمعْ أبيتَ اللَّعنَ فيها	ومَنعُكها بشىءٍ يُستطاعُ	٢٩٧
٣٨٩ وقد جعلَتْ نفسى تطيبُ لِضَغمةٍ	لِضغْمِهِماها يقرع العَظمَ نابُها	٣٠١
٣٩٠ لئن كان إيّاهُ لقد حالَ بعدَنا	عن العَهدِ ، والإنسانُ قد يتغيَّرُ	٣١٢
٣٩١ ليتَ هذا اللَّيلَ شهرٌ	لانرى فيه عَرِيبَا	٣٢٢

اسم الإشارة

الموصول

رقم الايداع بدار الكتب ١٦٨٤/١٩٧٧



ولب لباب لسان العرب

تأليف

عبد القادر بن عمر البغدادي

١٠٣٠ – ١٠٩٣

تحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الجزء السادس

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

صف هذا الكتاب بطريقة الجمع التصويرى

مكتبة الخانجى

ص . ب ١٣٧٥ القاهرة

○ الطبعة **الثالثة** ○

□ ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م □

رقم الإيداع ٨٦/٣٠٥١

الترقيم الدولى ٤ - ١٥ . - ٥٠٥ - ٩٧٧

بسم الله الرحمن الرحيم

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والعشرون بعد الأربعمائة [1] :

٤٢١ (كالَّذْ تَزَبَّى زُبْيَةً فاصطِيدا)

على أنّ حذفَ الياء من (الذى) وتسكين الذال لغةٌ .

قال ابن الأنبارى (فى المقصور والممدود) : زُبيةٌ وجمعها زُبًى ، وهى أماكن تحفر للأسد . أنشد الفرّاء :

فكنتُ والأمرَ الذى قد كِيدا كالَّذْ تَزبَّى زُبيةً فاصطيدا

والزُّبى : أماكن مرتفعة ، يقال فى المثل : « قد بلغَ الماء الزُّبى » ، قال العَجّاج :

* قد بلغ الماءُ الزُّبَى فلا غِيَرْ * انتهى .

وقد أخذه القالى (فى المقصور والممدود) وزادَه . قال : ومن أمثالهم : « قد بلغَ السَّيْلُ الزُّبَى » ، يقال ذلك عند شدة الأمر . ومنه حديث عثمان : « أمّا بعد فقد بلغ السَّيل الزُّبَى » . ويقال إن النمل إذا أحسَّت بندَى الأرض ترفَّعت إلى زُباها ، خوفاً من السَّيل ، فيستَدَلُّ بذلك من فعلها على كثرة المطر وخِصب السَّنة . قال الكميت :

---

(١) أمالى ابن الشجرى ٢ : ٣٠٥ والإنصاف ٦٧٢ ويس ١ : ٤٢ وشرح السكرى للهذليين ٦٥١ واللسان (زبى) .

وأصبحتَ منهم فوقَ علياءَ صعبةٍ إذا بلغت تلك السُّيولُ زُبَى النَّملِ [١]

انتهى .

وقال أبو فَيد مؤرِّج بن عَمرو السَّدوسى (فى أمثاله) : وتقول العرب : « قد بلغ السَّيلُ الزُّبى » ، وهو أن يبلغ الأمر منتهاه . والزُّبية غير القُترة . الزُّبية تحفر للأسد فيصاد فيها ، وهى ركيَّة بعيدة القعر ، إذا وقع فيها لم يستطع الخروجَ منها ، لبعد قعرها ، يحفرونها ثم يوضع عليها لحمٌ وقَدْ غمُّوها بما لايحمله ، فإذا أتى اللحمَ انهدم غِطاء الزُّبية . وأمَّا القُترة والنَّاموس والبُرْأة فإنها حَفِيرة يحتفرها القانصُ على مواردِ الوحش ويَطرحُ عليها الشَّجر ، فإذا وردَت رمى من قريب . والزُّبية لايستطيع أحدٌ نزولهَا لبُعدها ، والرَّمىُ فيها أبعد من أن يُرَى إذا دخلَها شئ . حدثنى سعيد بن السِّماك [٢] بن حرب عن أبيه ، عن حنش بن المعتمر قال : أُتِىَ مُعاذُ بن جبلٍ بثلاثة نفر قتلهم أسدٌ فى زُبيْة . فلم يدر كيف يُفتيهم ، فسأل علىَّ بن أبى طالب فقال : قُصُّوا علىَّ خبركم . قالوا : صِدنا أسداً فى زُبْية فاجتمعنا عليه ، فتدافع الناس عليها فرمَوْا برجلٍ فيها ، فتعلَّق الرجُل بآخر وتعلَّق الآخر برجل آخر ، فهوى فيها ثلاثتُهُم . فقضَى فيها : أنَّ للأوَّل رُبْعَ الدِّيَة ، وللثانى النصفَ ، وللثالث الدِّيَة كلها . ٤٩٩

وروى البيت الأول ابنُ ولَّاد (فى المقصور والممدود) :

* فظَلتُ فى الأمر الذى قد كِيدَا [٣] *

---

(١) البيت لم يرد فى ديوان الكميت .

(٢) سعيد بن سماك بن حرب ، يروى عن أبيه سماك بن حرب ، واختلف فى توثيقه . لسان الميزان ٣ : ٣٣ . وسماك بكسر السين ، كما فى المشتبه للذهبى ٣٦٩ . ط : « السمأل » صوابه فى ش . وكان أبوه سماك بن حرب من كبار التابعين ، ترجم له فى تهذيب التهذيب .

(٣) المقصور والممدود لابن ولاد ٥١ .

يقول : ظَلِلْتُ فى شرٍّ من الذى كِدْت فى حقّه ، كالذى عمل حُفرة ليصطاد فيها فاصطيد وأُخِذ . وفى هذا المعنى قولُ النبى ﷺ : « من حَفر بئراً لأخيه يُوشِك أن يقعَ فيها » .

وروى غيره :

* ولا تكوننّ من الّذْ كيدا *

وهو ماضٍ مجهول من الكَيْد . و (تزبّى) معناه حَفر زُبية ، بضم الزاى المعجمة وسكون الموحدة ، وجمعها زُبىً . وأما الرُّبا بضم الراء المهملة ، فجمع رَبوة مثلثة الراء ، وهى ما ارتفع من الأرض .

وهذا من رجزٍ أورده السكرىُّ (فى أشعار الهذليين) لرجلٍ من هذيل ، وهو : صاحب الشاهد

أَرَيْتَ إنْ جاءت به أُملودا مُرجَّلا ويَلبسُ البُرودا

– أى إن جاءت به مَلِكاً أُملوداً أملس –

* ولا ترى مالاً له معدودا *

– أى لا يعدُّ ماله من جُوده –

أقائلون أعجلِى الشُّهودا فَظلت فى شرٍّ من الّذْ كيدا

* كالّذْ تزبي صائداً فصِيدا *

ويروى : « فاصطيدا [1] » . و (تزبّى زُبية) : حفر زُبية . يقول : أرأيت إنْ ولدت هذه المرأةُ رجلاً هذه صفته ، أيقال لها : أقيمى البيّنة أنكِ لم تأتِي به من غيره [2] .

---

(١) ط : « فاصطيد » ، صوابه فى ش .

(٢) ط : « يقال لها أقيمى البينة أنك لم تأت به من غيره » صوابه فى ش .

هذا ما أورده السكرى . ويأتى الكلام عليه إن شاء الله تعالى فى نون التوكيد من آخر الكتاب .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والعشرون بعد الأربعمائة[١] :

٤٢٢ (فقُلْ للَّتْ تلومُك إنَّ نفسى أُرَاهَا لا تُعوَّذُ بالتَّميمِ)

على أنّ الياء حذفت من التى ، وسكن تاؤها .

هذا البيتُ أنشده ابنُ الشجرى (فى أماليه) عن الفراء وقال : التميم : جمع تميمةٍ ، وهى التَّعويذُ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والعشرون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س [٢] :

٤٢٣ (أبَنِي كُليبٍ إنَّ عمَّيَّ اللذا قَتلا الملوكَ وفكَّكا الأغلالا)

على أنّ حذفَ النُّون من قوله اللَّذا ، وأصله اللذان ، تخفيفاً ، لاستطالة الموصول بالصّلة . هذا قول البصريين ، وأما الكوفيون فحذفُ النُّون عندهم لغة فى إثباتها ، أطالت الصلة أم لم تَطُلْ . حكاه عنهم ابن الشجرى (فى أماليه) . ٥٠٠

قال سيبويه : « قال رجلٌ من الأنصار :

الحافظو عَورةَ العشيرةِ لا يأتيهمُ من ورائنا وَكَفُ

لم يحذف النون للإضافة ، ولا ليعاقب الاسم النون ، ولكنْ كما حذفوها

---

(١) أمالى ابن الشجرى ٢ : ٣٠٨ والهمع ١ : ٨٢ .

(٢) فى كتابه ١ : ٩٥ . وانظر المقتضب ٤ : ١٤٦ والمنصف ١ : ٦٧ والمحتسب ١ : ١٨٥ وابن الشجرى ٢ : ٣٠٦ وابن يعيش ٣ : ١٥٤ ، ١٥٥ والعينى ١ : ٣٢٤ والتصريح ١ : ١٣٢ والهمع ١ : ٤٩ وديوان الأخطل ٤٤ . وسيأتى مرة أخرى فى ٨ : ٢١٠ .

من اللّذَينِ والذينَ حين طال الكلام ، وكان الاسم الأول منتهاه الاسم الآخر .
وقال الأخطل :

* أبنى كليب إنَّ عمَّىَّ اللذا *... البيت

لأنّ معناه الذين فعلوا ، يعنى الحافظو عورة العشيرة ، وهو مع المفعول بمنزلة اسم مفرد لم يَعمل فى شئ ، كما أنَّ الذين فعلوا مع صلته بمنزلة اسم .
قال أشهب بنُ رُميلة :

إنّ الذى حانت بفَلجٍ دماؤُهم
هُمُ القومُ كلُّ القومِ يا أمَّ خالِدِ » انتهى .

والبيت من قصيدة للأخطل يفتخر بقومه ويهجو جريراً . صاحب الشاهد

والألف للنداء ، وبنو كليب بن يربوع : رهط جرير . فخر الأخطلُ على جرير بمن اشتهر من قومه من بنى تغلب وساد ، كعمرو بن كلثوم التَّغْلَبىّ قاتل عمرو ابنِ هندٍ ملك العرب ، وعُصْم أبى حَنَش [1] قاتل شُرَحْبيل بن عمرو بن حُجر ، وغيرهم من سادات تغلب . و (الأغلال) : جمع غُلّ ، وهو طوقٌ من حديد يُجعَل فى عنق الأسير ، وقد يكون من قِدٍّ وعليه شَعَر فيقْمَل على الأسير ، ومنه قيل للمرأة السِّيئة الخلق : « غُلٌّ قَمِلٌ » ، بفتح القاف وكسر الميم ، أى ذو قَمْل . أى إنَّ عمَّيه يَفُكان الغُلّ من عُنق الأَسرَاء ويُنجونهم من أسْرِ أعدائهم قسراً عليهم . قال السكرى (فى شرح ديوان الأخطل) : أحد عمّيه أبو حَنَش عُصْمُ بن النعمان ، قاتل

---

(١) أبو حنش : كنية لعصم ، وهو عصم بن النعمان ، كما سيأتى وكما فى الاشتقاق ٣٣٨ وجمهرة ابن حزم ٣٠٤ .

شُرَحبيل بن الحارث بن عمرو آكل المرار ، يوم الكُلاب الأول . والآخر دَوْكس بن الفَدَوْكس بن مالك بن جُشَمَ بن بكر بن حُبيب ، بالتصغير . وبعده :

(وأخوهما السَّفَّاحُ ظمَّأ خيلَه حتى وردن جِباَ الكُلاب نِهالا)

الكُلاب بضم الكاف : اسمُ ماءٍ فيما بين البصرة والكوفة على بِضْعَ عشرةَ ليلةً ، ومن اليمامة على سبع ليالٍ أو نحوها . والجبا بكسر الجيم بعدها موحَّدة ، قال السكَّرىّ : السفَّاح اسمه سَلمة بن خالد بن كعب بن زهير ، من بنى تَيْم بن أُسامة بن بكر بن حُبَيْب ، وإنما سمِّى السفاح لأنّه لما دنا من الكُلاب عَمَد إلى مَزادِ أصحابه فشقَّقها وسفح ماءها وقال : لاماءَ لكم إلا ماءُ القوم ، فقاتِلُوا عنه وإلّا فموتوا عِطاشا . انتهى .

وللعرب وَقْعتان على الكُلاب يقال لهما يوم الكُلاب الأوّل ويوم الكُلاب الثانى . وقد تقدم شرح الكلاب الثانى فى الشاهد الخامس والستين [١] ، وهذا شرحُ اليوم الأوَّل باختصار :

يوم الكلاب الأول

قال الإمام العسكرى (فى كتاب التصحيف) : أما اليوم الأول فكان فى الجاهلية لبنى تغلب ، وعليهم [٢] سلمة بن الحارث الكندى ، ومعهم ناسٌ من بنى تميم قليلٌ ، وفيهم سُفيان بن مجاشع . وكانت تميمٌ يومئذ فرقتين : فرقةٌ مع تغلب ، وفرقة مع بكر بن وائل . فلقىَ سلمة بن الحارث بن عمرو أخاه شُرحبيل بن الحارث ، ومع شُرحبيل بكر بن وائل وبعضُ بنى تميم ، فَهُزم أَصحابُ شُرَحبيل وقُتِل شرحبيل . قال ابن الكلبى : شرحبيل بن الحارث الكندى من ولد حُجر آكل المرار : ملك بنى تميم ، وسلمة بن الحارث ملك بنى تغلب . انتهى . ٥٠١

(١) الخزانة ١ : ٤١٠ .

(٢) ش : « عليهم » بدون واو ، وهى بالواو فى تصحيف العسكرى ٤٣٩ .

وقد تجَّوز الأخطل فى جعل أبى حَنشٍ ودَوْكسٍ عمَّيه ، مع أنَّهما من أعمام آبائه ، كما تجوَّز فى جعل السفاح أخاً لهما . والصواب ما قاله ابن قتيبة فى ترجمة ابن كلثوم (من كتاب الشعراء) : يعنى بعمَّيه عَمراً ومُرَّة ابنَىْ كلثوم ؛ فإنَّ عَمراً قتل عمرو بن هند ، ومُرَّة قتل المنذر بن النعمان بن المنذر . ولذلك قال الفرزدقُ لجرير :

ماضَرّ تغلبَ وائلٍ أُهجوتَها أم بُلْتَ حيث تناطَحَ البحرانِ
قومٌ همُ قتلوا ابنَ هندٍ عَنْوَةً عَمراً ، وهم قَسَطُوا على النُّعمانِ

انتهى .

ونقل ابن المستوفِى عن الخوارزمى أنه قال : فى حاشية نسختى من المفصَّل : يعنى بعمَّيه ابنَ هبيرة التَّغلبى ، والهذَيل بن عِمرانَ الأصغر . قال : سُئلتُ كيف يكونان عمَّيه وأحدهما ابن عمران والآخر ابن هبيرة ؟ أُجبت بأنَّه يحتمل أن يكون أُحدهما عمَّه والآخر عمَّ أبيه أو جدِّه . وكلاهما يسمَّى عَمًّا . انتهى .

وقال ابن خلف : عمَّاه أبو حنش وأخوه ، أو رجلٌ آخر من قومه غير أخى أبى حنش . وقيل عمه الآخر عمرو بن كلثوم . انتهى :

وأول القصيدة نسيبٌ ، وهذا مطلعُها :

أبيات الشاهد

(كذَبتْكَ عينُكَ أم رأيتَ بواسِطٍ
غَلَسَ الظَّلامِ من الرَّبابِ خَيالا
وتعرَّضَتْ لك بالأباطح بعدَما
قطعَتْ بأبرقَ خُلَّةً ووِصالا
وتَغوَّلت لتَروعَنا جنِّيَّةٌ
والغانياتُ يُرِينَك الأهوالا

يَمدُدنَ من هَفَواتهنَّ إلى الصِّبا
سبباً يصِدْنَ به الرِّجالَ طُوَالا
ما إنْ رأيتُ كمكرهِنَّ إذا جرى
فينا ، ولا كحبالهنَّ حِبالا
المهْدِياتُ لمن هَوِينَ مَسَبَّةً
والمحسناتُ لمن قَلَيْنَ مَقالا
يَرعَينَ عهدَك ما رأَيْنَك شاهداً
وإذا مَذِلتَ يَصِرن عنك مِذَالا
وإذا وعَدْنَك نائلاً أخلفْنَه
ووجدتَ عند عِداتهنَّ مِطالا
وإذا وزنتَ حُلومهنَّ إلى الصبا
رَجَح الصِّبا بحلومهنَّ فمالا)

ثم بعدَ أربعةِ أبيات من هذا النمط قال :

* أَبَنِي كليب أنَّ عَمَّىَّ اللذا * البيت

وذكر ثلاثة أيامٍ أُخَر مما أوقع بنو تغلبَ ببنى تميم ، وهى يوم الكُحَيل بالتصغير ، ويوم الشَّرْعَبيَّة ، ويوم إرَاب .

يوم الكلاب

وكان السبب فى يوم الكلاب أنَّ الحارث بن عمرو الكندىَّ جدَّ امرىء القيس الشاعر ، مَلَكَ المدرَ والوبر أربعين سنة ، وقيل ستِّين سنة ، وقد كان فَرَّق بنيه فى قبائلِ معدٍّ قبل موته ، فجعل حُجراً وهو أبو امرىء القيس فى بنى أسد وكنانة ، وكان أسنَّ ولده . وجعل شرحبيل فى بكر بن وائل ، وبنى حنظلة ابن مالك ، وبنى أُسَيِّد بن عمرو بن تميم ، وطوائف من بنى عمرو بن تميم والرِّباب . وجعل سَلمة ، وهو أصغرهم ، فى بنى تغلب ، والنَّمر بن قاسط ، وبنى سعد بن زيد مناة . فلما هلك الحارثُ تشتَّتَ أمرُهم ، وتفرَّقت كلمتهم ، ٥٠٢

ومشت الرِّجالُ بينهم وتفاقم أمرُهم ، حتَّى جمع كلُّ واحدٍ منهم لصاحبه الجموعَ ، وزحف إليه بالجيوش ، فسار شُرحبيل فيمن معه فنزل الكُلاب ، وأقبل سَلمة فيمن معه من بنى تغلب وسعدٍ وغيرهما ، وكان على بنى تغلب السفَّاحُ المذكور ، فالتقى القومُ فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى كان فى آخر النهار ، خُذِلت بنو حنظلة وعمرو بن تميم والرِّباب ، وانصرف بنو سعد ، وصَبَر ابنا وائل : بكر وتغلب ، وليس معهم أحدٌ غيرهم ، حتّى غَشِيَهُم الليل ، فنادَى مُنَادِى شرحبيل : من أتانى برأس سلمة فله مائةٌ من الإبل . ونادى منادى سلمة كذلك . وَلمَّا انهزم بنو حنظلة مع من ذكرنا خرجَ معهم شرحبيل ، ولحقه ذو السُّنينة - كانت له سنٌّ زائدة فسمِّىَ بذلك - فضربه شُرحبيل على رُكبته فأطنَّ رِجله ، وكان ذو السُّنينة أخا أبى حَنَش لأمِّه ، فقال ذو السنينة : يا أبا حنش ، قتلنى الرَّجُل ! وهلك . فقال أبو حنش : قتلنى الله إنْ لم أقتله ! فحمل أبو حنش على شُرحبيل فأدركه ، والتفت إليه فقال : يا أبا حنش ، اللبَنَ اللَّبنَ ! قال : قد هرقتَ لبناً كثيراً . فقال : يا أبا حنش ، أملِكاً بسوقة ؟ فقال : إنّه كان مَلِكى . فطعنه فألقاه فاحتزَّ رأسه ، فبعث به مع ابن عمّ له إلى سلمة فطرحَه بين يديه فقال سلمة : لو كنت ألقيته إلقاءً رفيقاً ؟ فقال : ما صنع به وهو حىٌّ شرٌّ من هذا ! وعرفَ القوم الندامة فى وجهه ، والجزعَ على أخيه ، فهرب أبو حنش فقال سلمة :

أَلَا أبلغْ أبا حنش رسولاً فمالكَ لا تجىء إلى الثَّوابِ
تَعَلَّمْ أنَّ شرَّ النَّاس طُرًّا قتيلٌ بين أحجار الكُلابِ

فأجابه أبو حنش :

أُحاذرُ أنْ أجيئك ثُمَّ تحبو حِباءَ أبيك يومَ صُنَيبعاتِ

وكانت غَدرةً شنعاءَ تهفو   تقلَّدَها أبوكَ إلى المماتِ

وقوله : « كذبتك عينك » إلخ خطابٌ لنفسه ، وفيه حذْفُ ألف الاستفهام ، أى أكذبتك . وبه استشهد بعضهم . وأورده ابن هشام (فى المغنى) على أن أبا عبيدة قال : إنَّ أمْ تأتى للاستفهام المجرد عن الإضراب ، وقال : إن المعنى فى البيت هل رأيت ؟ وفى (تفسير ابن جرير) عند قوله تعالى : ﴿ أم تُرِيدون أن تَسألُوا رَسُولَكم [(١)] ﴾ قال : أم هنا على الشَّكِّ ، ولكنَّه قاله ليقبِّح به صنيعَهم ، كقول الأخطل : كذبَتْكَ عينك ، البيت .

والرَّباب : اسم امرأة . وواسط هذه : قريةٌ غربىَّ الفُرات مقابل الرَّقَّة من أعمال الجزيرة . والخابور : قربَ قِرقِيسيَاء [(٢)] ، وهى من منازل بنى تغلب وليست واسط هنا واسط التى بناها الحجَّاج بين البصرة والكوفة ، خلافاً لشارح شواهد المغنى . نقل ياقوت (فى معجم البلدان) عن الأسود أبى محمد الغَنْدجانى قال : أخبرنى أبو النَّدى [(٣)] قال : للعرب سبعة أواسط : واسط نجد ، وواسط الحجاز ، وواسط الجزيرة . قال الأخطل :

* كذبتك عينك أم رأيتَ بواسطٍ *   البيت

وواسط اليمامة ، وواسط العراق وهى التى بناها الحجاج فى سنة أربع وثمانين وفرغ منها فى ست وثمانين . قال أبو النَّدى : وقد أُنسِيتُ اثنتين . ثم قال ياقوت : وواسط أيضاً : قرية مشهورةٌ ببلخ ، وواسط : قرية بحلب

---

(١) الآية ١٠٨ من البقرة .

(٢) قرقيسياء بياءين كما فى ط ومعجم البلدان . قال ياقوت « ويقال بياء واحدة » . وفى ش : « قرقيسياء » .

(٣) ط : « أبو النداء » فى هذا الموضع وتاليه ، صوابه فى ش .

قربَ بُزاعة [١] مشهورة ، وبالقرب منها قريةٌ يقال لها الكوفة . وواسط : قرية ٥٠٣
بدُجَيل على ثلاثة فراسخ من بغداد . وواسط : قرية بالأندلس . وواسط : قريةٌ
قرب مرزاباد [٢] ، حلة بنى مَزْيد من أعمال بغداد يقال لها واسط مرزاباد .
وواسط : قرية فى شرقىِّ دجلةِ الموصل بينهما ميلان ، ذات بساتين كثيرة .
وواسط : قرية باليمن بسواحل زَبيد . وواسط : موضع فى بلاد تميم . وواسط من
منازل بنى قُشَير . وواسط : موضعٌ بين العُذيب والصفراء . وغير ذلك .

وقوله : « وتعرَّضت لك بالأبالخ » هو جمع بَليخ ، بفتح الموحدة وكسر
اللام وآخره خاء معجمة ، قال أبو عبيد (فى معجم ما استعجم) : البَليخ :
نهر الرقَّة والفُرات ، وبينه وبين شطِّ الفرات ليلةٌ . وجَمَعه باعتبار أجزائه .
وتغوَّلت : تهوّلت . والغانية : المرأة التى غَنِيَتْ بجمالها عن الزِّينة . وهَفواتهنَّ :
جهلُهنّ . والسَّبَب : الحبل . والطُّوال ، بضمِّ الطاء ، بمعنى الطويل صفة
لسبب .

ومَذِلتَ بكسر الذال المعجمة بمعنى قَلِقْتَ وضجرت ، ومِذَال ،
بكسر الميم : جمع مَذْلة بفتح فسكون ، كعبْلة وعِبال ، وجَعْدة
[وجِعاد [٣] ،] بمعنى قلقة ومتَضجِّرة .

والأخطل : شاعرٌ نصرانى من شعراء الدولة الأموية ، وتقدَّمت ترجمته فى
الشاهد السابع والثمانين [٤] .

وقد نسب الزمخشرى (فى المفصل) البيتَ الشاهد للفرزدق ، ونقله
العينى عنه . وهذا سهوٌ من قلم الناسخ . والله أعلم .

* * *

---

(١) بزاعة بضم الباء وكسرها ، كما فى معجم البلدان .
(٢) الكلام بعده الى « مرزاباد » التالية ، ساقط فى ط .
(٣) تكملة يقتضيها السياق .
(٤) صوابه « الثامن والسبعون » . الخزانة ١ : ٤٥٩ .

وأُنشِد بعده ، وهو الشاهد الرابع والعشرون بعد الأربعمائة [(١)] :

٤٢٤ (هما اللّتا لو ولَدَتْ تميمُ   لقيل فخرٌ لهمُ صميمُ)

على أنَّ نون اللتان حُذفت لاستطالة الموصول بالصلة تخفيفاً ، كالبيت المتقدم .

قال شُرَّاح التسهيل : حذفُ النون من الذِينَ واللّذُون واللّتان : لغةُ بنى الحارث بن كعب وبعض بنى ربيعة . وأنشدوا هذين البيتين .

والعجب من ابن مالك بعد أن قال (فى التسهيل) : إنّه يجوز حذف النون ، قال (فى شرحه) : إنَّ حذف النون من هما اللّتا ضرورة . وهما مبتدأ ، واللتا خبره بتقدير موصوف ، أى هما المرأتان اللتان ، والجملة الشرطية مع جوابها صلة الموصول ، والعائد محذوف لكونه مفعولاً ، أى ولدَتْهما ، وتميم فاعل وَلَدَتْ ، وهو أبو قبيلة . والصميم : الخالص النَّقىّ ، وهو صفةٌ للمبتدأ الذى هو فخرٌ ، ولهم هو الخبر ، والجملة مقول القول .

قال ابن الشجرىّ : وهذا البيت أنشده الفراء [(٢)] .

صاحب الشاهد

وقال العينىُّ : « هو للأخطل » . وقد فتشت أنا ديوانَه فلَمْ أُجدْه فيه . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والعشرون بعد الأربعمائة [(٣)] :

٤٢٥ (قومى اللّذُو بِعكاظِ طيَّروا شرراً

من رُوس قومِكَ ضرباً بالمصاقيلِ)

على أنه قد تحذف النون من اللذون .

---

(١) أمالى ابن الشجرى ٢ : ٣٠٨ والعينى ١ : ٤٥٥ والتصريح ١ : ١٣٢ والهمع ١ : ٤٩ .

(٢) لم يرد فى معانى القرآن .

(٣) لم أجد له مرجعا آخر .

و (عُكاظ) بضم العين المهملة وبالتنوين ، باعتبار أنه اسمُ مكان .
قال أبو عبيد (فى معجم ما استعجم) : عكاظ : صحراءُ مستوية لا علَم فيها ولا جبل إلا ما كان من الأنصاب التى كانت بها فى الجاهلية ، وبها من دماء الإبل كالأرحاء العظام [١] . وكانت عكاظ ومَجَنَّة وذو المجاز أسواقاً لمكة فى الجاهلية . قال محمد بن حبيب : عكاظ بأعلى نجد قريبٌ من عرفات .
وقال غيره : عكاظ وراء قَرْن المنازل بمرحلةٍ من طريق صنعاء ، وهى من عمل الطائف وعلى بريدٍ منها ، وأرضُها لبنى نصر ، واتُّخذت سوقاً بعد الفيل بخمسَ عشرةَ سنة ، وتُركت عامَ خرجت الحَرُورية بمكة مع المختار بن عَوف ، ٥٠٤ سنة تسع وعشرين ومائة ، إلى هلم جَرًّا . قال أبو عبيدة : عكاظ فيما بين نخلة والطائف ، وكان سوقُ عكاظ يقوم صبحَ هلال ذى القَعدة عشرين يوماً ، وسوق مَجَنَّة تقوم [٢] عشرةَ أيام بعده ، وسوق ذى المجاز تقوم هلالَ ذى الحجة . ثم قال : وعكاظٌ مشتقّ من قولك : عكَظْت الرجل عكظاً ، إذا قهرته بحجته ، لأنهم كانوا يتعاكظون هناك بالفخر . وكانت بعكاظٍ وقائعُ مَرَّةً بعد مَرّة . وذكر أبو عبيدة أنّه كان بعكاظ أربعةُ أيام : يوم شَمْطة [٣] ، ويوم العَبْلاء ، ويوم شَرِب [٤] ، ويوم الحُرَيرة ، وهى كلها من عكاظ ، قال : فشَمْطة من عكاظ هو الموضع الذى نزلت فيه قريش وحلفاؤها من بنى كنانة

---

(١) فى بعض نسخ معجم ما استعجم ٩٥٩ : « كالأرحال العظام » ، تحريف .

(٢) فى معجم ما استعجم : « يقوم » فى هذا الموضع وتاليه . والسوق يذكر ويؤنث . وأنشدوا فى التذكير :

ألم يعظ الفتيان ما صار لمتى بسوق كثير ريحه وأعاصره

(٣) ط : « شمظة » فى جميع المواضع هنا ، وأثبت ما فى ش . وقد أورد ياقوت « شمطة » بالطاء المهملة ، ثم قال : « ورواه الأزهرى بالظاء المعجمة » .

(٤) شرب ، بفتح أوله وكسر ثانيه ، قال ياقوت : « وبشرب كانت وقعة الفجار العظمى » .

بعد يوم نخلة ، وهو أوّل يوم اقتتلوا فيه من أيام الفِجَار بحَولٍ ، على ما تواعدَتْ عليه مع هَوازن وحلفائها من ثقيفٍ وغيرهم ، فكان يوم شمطة لهوازن على كنانة وقريش ، ولم يُقتَل من قريش أحدٌ يذكر ، واعتزلت بكر بن عبد مناة بن كنانة إلى جبلٍ يقال له دَخْم ، فلم يُقتَل منهم أحد . وقال خِداشُ بن زهير :

فأبلغْ إنْ بلغتَ به هشاماً وعبدَ الله أبلغْ والوليدا
بأنَّا يوم شمطةَ قد أقمنا عمُودَ الدِّين ، إنّ له عَمودا

ثم التقى الأحياء المذكورون على رأس الحول من يوم شمطة بالعَبْلاء إلى جنب عُكاظ ، فكان لهوازنَ أيضاً على قريشٍ وكنانة . قال خِداش بن زُهير :

ألم يَبلغكمُ أنّا جدَعنْا لدَى العبلاء خِندِفَ بالقيادِ
ضَربناهمْ ببطنِ عُكاظ حتَّى تولَّوا طالعين من النجادِ [١]

ثم التقَوْا على رأس الحول ، وهو اليوم الرابع من يوم نَخْلة بشَرِب ، وشَربٌ من عكاظ . ولم يكن بينهم يومٌ أعظمَ منه ، فحافظت قريش وكنانة وقد كان تقدَّم لهوزان عليهم يومان ، وقيَّدَ أبو سَفيانَ وحربٌ ابنا أمية [٢] وأبو سفيان بنُ حرب أنفسَهم وقالوا : لا يبرحْ منَّا رجلٌ مكانه حتى يموتَ أو يظفر [٣] ! فانهزمت هَوَازنُ وقيس كلها إلا بنى نصر ، فإنّها صَبَرت مع ثقيف ، وذلك أنَّ عكاظ بلدهم لهم فيه نخل وأموال ، فلم يُغنُوا شيئاً ، ثم انهزموا ، وقُتلت هوازنِ يومئذٍ قتلاً ذريعا . قال أميَّة بن الأسكر الكنانيّ :

---

(١) فى معجم البكرى : « ظالعين » بالظاء المعجمة .

(٢) فى المعجم : « سفيان وحرب ابنا أمية » . ومما يجدر ذكره أن أمية الأكبر بن عبد شمس من أولاده سفيان وأبو سفيان ، وحرب وأبو حرب ، كما فى الجمهرة ٧٨ . وفى النسختين : « أبناء أمية » والوجه ما أثبت من المعجم .

(٣) فى المعجم : « أو يظهر » .

أَلَا سائِلْ هَوَازنَ يومَ لاقَوْا
فوارسَ من كنانةَ مُعلمينا

لدى شَرِبٍ وقد جاشوا وجِشْنا
فأوعَبَ فى النَّفير بنو أبينا (١)

وقال :

قومى اللَّذُو بعكاظٍ طيَّروا شَرراً
من رُوس قومِكَ ضرباً بالمصاقيلِ (٢)

ثم التَقوْا على رأس الحول بالحُرَيرة ، وهى حَرَّةٌ إلى جنب عُكاظ مما يلى مهبَّ جنوبها ، فكان لهوازنَ على قريش وكنانة .

و (الشَّرَر) بفتحتين ، هو إمَّا جمع شَرَرة ، وهو ما يتطاير من النَّار ، وكذلك الشَّرار والشَّرارة ؛ وإما مصدر شررتَ يا رجلُ بفتح الراء وكسرها ، شَرًّا وشَرَراً ، من الشَّرّ نقيض الخير . وقوله : (من رُوس قومِك) هو بحذف الهمزةمن رءُوس . وقوله : (ضرباً) إما منصوب بنزع الخافض أى بضربٍ ، ٥٠٥ وإما منصوب بعامل محذوفٍ حال من الواو فى طيَّروا ، أى يضربون ضرباً ، أو ضاربين ضرباً . و (المصاقيل) : جمع مصقول ، من الصَّقل ، وهو جِلاء الحديد وتحديده ، أى جعْلُه قاطعاً . أراد كل آلة حديدٍ من السِّلاح ، مثل السيف والسِّنان .

والبيت لأمية بن الأسكر الكنانى . ولم أقف على ما قبله ولا ما بعده . صاحب الشاهد

(١) ط : « فأدعب » ، صوابه فى ش والمعجم .
(٢) هذا البيت لم يرد فى معجم ما استعجم .

أمية بن الأسكر

وأمية ، كما قال صاحب الأغانى : أمية بن حُرْثان بن الأسكر بن عبد الله بن سَرابيلِ الموت [١] بن زهرة بن زَبينة [٢] بن جُندَع بن ليث بن بكر ابن عَبد مناة بن كنانة بن مدركة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر . شاعرٌ فارس مخضرم ، أدركَ الجاهليَّة والإسلام . وكان من سادات قومه وفرسانهم ، وله أيامٌ مأثورة مذكورة .

كلاب بن أمية

وابنه كِلاب بن أمية أدرك النبى ﷺ فأسلم مع أبيه ، ثم هاجر إلى النبى ﷺ .

وروى صاحبُ الأغانى بسنده إلى الزُّهرى عن عروة بن الزبير قال : هاجر كلاب بن أمية بن الأسكر إلى المدينة فى خلافة عمر بن الخطاب ، فأقام بها مدة ، ثم لقى ذاتَ يومٍ طلحة بنَ عُبيد الله ، والزُّبيرَ بن العوَّام ، فسألهما : أىُّ الأعمال أفضل فى الإسلام ؟ فقالا : الجهاد .. فسأل عمرَ فأغزاه فى جيش ، وكان أبوه قد كبر وضَعُف ، فلما طالت غيبة كِلابٍ عنه قال :

لمَنْ شيخانِ قد نشدا كلابا
كتابَ الله لو قَبِلَ الكتابا [٣]

أناديه فيُعرض فى إباءٍ
فلا وأبى كلابٍ ما أصابا

---

(١) وفى الأغانى : « بن سراسل الموت » ، تحريف . والذى فى جمهرة ابن حزم ١٨٣ : « بن عبد الله سربال الموت » .

(٢) فى النسختين : « زبيبة » ، وفى الأغانى : « زينبة » ، صوابه من الجمهرة ١٨٣ والإصابة ٢٥١ .

(٣) فى الأغانى ١٨ : ١٥٧ : « إن قبل » ، وفى الجمهرة : « لو حفظ » . وفى المعمرين ٦٨ : « لو ذكر » .

إذا سجعَتْ حمامةُ بطنِ وَجّ
إلى بَيضاتِها دعَوَا كلابا (١)
أتاه مهاجرانِ تكنَّفَاه
ففارق شيخَه خطأً وخابا
تَركتَ أباك مرْعَشةً يداهُ
وأمَّك ما تُسيغ لها شَرابا
تمسِّح مَهدَه شَفقاً عليه
وتَجْنُبُه أباعِرَها الصِّعابا (٢)
فإنَّك وابتغاءَ الأجرِ بعدى
كباغى الماءِ يتَّبع السَّرابا (٣)

قال : تَجْنبه وتُجَنِّبه واحد ، من قول الله تعالى : ﴿ واجْنُبْني وبَنِيَّ أنْ نَعْبُدَ الأصنام (٤) ﴾ . فبلغت عمر رضى الله عنه فلم يردُد كلابا ، فأُهْتِرَ أميةُ وخَلَّط جزعاً عليه ، ثم أتاه يوماً وهو فى مسجد رسول الله ﷺ وحوله المهاجرون والأنصارُ ، فوقَفَ عليه وأنشأ يقول :

أعاذلُ قد عذلتِ بغير علمٍ
وما تدرينَ عاذلَ ما أُلاقِى (٥)

---

(١) فى الأغانى : « بطن واد » . وفى الإصابة :

إذا نعب الحمام ببطن وج على بيضاته ذكرا كلابا

وفى المعمرين : « إذا هتفت حمامة بطن وج » .

(٢) ط : « مهره » ، صوابه فى ش والمعمرين .

(٣) الإصابة : « وإنك والتماس الأجر » .

(٤) الآية ٣٥ من سورة إبراهيم .

(٥) فى المعمرين ٦٨ والإصابة : « وما يدرك ويحك ما ألاق » . وفى معجم البلدان (بساق) : « ولا تدرين عاذل » .

فإمّا كنتِ عاذلتى فرُدِّى
كلاباً إذْ توجَّه للعراقِ
ولم أقضِ اللُّبانةَ من كلابٍ
غَداة غدَا وآذنَ بالفراقِ [١]
فَتى الفتيان فى عُسرٍ ويُسْر
شديدُ الرُّكن فى يوم التلاقى
فلا وأبِيكَ ما باليتَ وَجْدى
ولا شَغَفى عليكَ ولا اشتياقى
وإبقائى عليكَ إذا شتَوْنا
وضمَّكَ تحت نحرى واعتناقى [٢]
فلو فَلَقَ الفؤادَ شديدُ وجدٍ
لهمَّ سوادُ قلبى بانفلاقِ [٣]
سأستعدِى على الفاروق ربًّا
له دفعَ الحجيجُ إلى سياق [٤]
وأدعُو الله مجتهداً عليه ٥٠٦
ببطن الأخشبَينِ إلى دُفاقِ

(١) ط والأغانى : « غداة غد » بالإضافة ، والوجه ما أثبت من ش .

(٢) فى معجم البلدان : « وإيقادى عليك » .

(٣) فى الأغانى : « حطام وجد » ، وفى المعمرين : « حماط وجد » .

(٤) ط والمعمرين والإصابة : « وله رفع » ، وأثبت ما فى ش والأغانى . وفى البلدان : « له عمد » . وسياق ، كذا فى النسختين ، وفى هامش نسخة ش : « كذا بخط المؤلف رحمه الله ، وصوابه بساق بتقديم الباء ، كغراب » . وهو جبل بعرفات ، وقيل واد بين المدينة والجار .

إنِ الفاروقُ لم يردُدْ كلاباً

إلى شيخين هامُهما زواق

قال : فبكى عمرُ بكاءً شديداً ، وكتب إلى سعد بن أبى وقّاص بالكوفة يأمره بإقفال كلاب بن أميَّة إلى المدينة ، فلمَّا دخل عليه قال له : ما بلغَ من برِّك بأبيك ؟ قال : كنت أكفيه أمرَه ، وكنت أعتمِد إذا أردت أنْ أحلُب لبناً أغزرَ ناقةٍ فى إبله وأسمَنَها ، فأريحُها فأتركها حتَّى تستقرّ ، ثمَّ أغسل أخلافها حتى تبرد ، ثم أحلِب له فأسقيه . فبعث عمر إلى أميَّة فجاء يتهادَى وقد ضَعُف بصره وانحنى ، فقال له : كيف أنت يا أبا كلاب ؟ فقال : كما ترى يا أمير المؤمنين . قال : فهل لك من حاجة ؟ قال : نعم أشتهى أن أرى كِلاباً فأشمّهُ شَمّةً ، وأضمَّهُ ضمّةً قبل أن أموت ! فبكى عمر وقال : ستبلُغ فى هذا ما تحبُّ إن شاء الله ! ثم أمر كلاباً أنْ يحتلب لأبيه ناقةً كما كان يفعل ويبعثَ إليه بلبنها . ففعل ، فناوله عمرُ الإناءَ قال : دونك هذا يا أبا كلاب . فلمَّا أخذه وأدناه إلى فمه قال : لعمرُ الله يا أميرَ المؤمنين إنّى لأشُمُّ رائحة يدَىْ كلاب من هذا الإناء . فبكى عمر وقال له : هذا كِلابٌ عندَك حاضر ، قد جئناك به . فوثب إلى ابنه فضمَّه إليه وقبَّله ، وجعل عمرُ يبكى ومَنْ حَضَره ، وقال لكلاب : الزم أبويَك ما بَقِيا ، ثمَّ شأنَكَ بنفسك بعدهما . وأمر له بعطائه وصَرفَه إلى أبيه ، فلم يزل معه مقيماً حتى مات أبواه [١] .

وأخبرنا الحسن بن علىّ قال : حدثنا الحارث عن المدائنى قال : لمّا مات أميَّةُ بن الأسكر عاد ابنهُ كلابٌ إلى البصرة ، فكان يغزو ، وشَهِد فتوحاً كثيرة [٢] ، وبقى إلى أيَّام زياد ، فولّاه الأُبلَّة ، فسمع كلابٌ يوماً عثمان بن

---

(١) فى الأغانى : « أبوه » .

(٢) فى الأغانى : « فتوحات كثيرة »

أبي العاص يحدِّث أن داود نبى الله عليه السلام كان يجمع أهله فى السَّحَر فيقول : ادعوا ربكم فإنَّ فى السحر ساعةً لا يدعو فيها عبدٌ مؤمن إلا غُفِرَ له ، إلا أن يكون عَشَّارا أو عَرِيفا . فلما سمع ذلك كلابٌ كتب إلى زيادٍ فاستعفاه من عمله فأعفاه .

قال المدائنى : ولم يزل كلابٌ بالبصرة حتَّى مات . والمربَّعة المعروفة بمربَّعة كلابٍ منسوبة إليه . قال : وعُمِّر أمية بن الأسكر عمراً طويلا حتى خَرِف .

وكذلك قال أبو حاتم (فى كتاب المعمَّرين) . ولم يذكرا ما مقدارُ عمره وفى أىّ سنةٍ أسلم ، وفى أىِّ سنةٍ مات . والله أعلم .

ونقل صاحب الأغانى عن أبى عمرو الشيبانى أنَّ كلاب بن أميَّة هاجر إلى النبىِّ ﷺ ، فقال فيه أبوه شعراً ، فأمره النبىُّ ﷺ بصلة أبيه وملازمةِ طاعته .

ثم قال : هذا خطأ من أبى عمرو ، وإنما أمره بذلك عُمَر .

وذكره ابن حجر (فى قسم الصحابة) ثم قال : إنما لم أؤخِّرْه إلى المخضرمين لقول أبى عَمرٍو الشيبانىّ ، فإنَّه ليس فى بقيَّة الأخبار ما ينفيه ، فهو على الاحتمال ، ولاسيما من رجل كنانىّ من جيران قريش . ا هـ .

وذكر الذهبى أمية هذا (فى التجريد) وقال : فى صحبته نظر .

قال ابن حجر : الأسكر بالسين المهملة ، فيما صوَّبه الجَيَّانى . وضبطه ابن عبد البر بالمعجمة .

تتمة

الشاهد المشهور فيما بين النحويين لقولهم : « اللَّذون » هو قوله :

نحن اللَّذون صَبَّحوا الصَّباحا

يومَ النُّخيلِ غارةً مِلحاحا

قطعة من أرجوزة أوردها أبو زيد (فى نوادره) [١] وقال : هى لأبى حرب الأعلم [٢] ، من بنى عُقيل بالتصغير ، وهو شاعرٌ جاهلى . وبعدهما : ٥٠٧

نحنُ قتلنا الملكَ الجَحْجاحاَ ولم نَدَعْ لسارحٍ مُراحا

ولا دِياراً أو دماً مُفاحا [٣] نحن بنو خُويلدٍ صِراحا

* لا كذبَ اليومَ ولا مِرَاحا *

قوله : « أو دماً مُفاحا » أو فى معنى واو العطف . والمُفَاح : المُهْراق . يقال فاح دمُه وأفاحَ جميعاً ، يَفِيح فَيْحَاً ويُفيح إفاحةً . لم يعرف الرِّياشىُّ ولا أبو حاتم : أفاح . « لا كذب اليوم ولا مِراحا » قال أبو حاتم : مِراحا بكسر الميم وبالراءِ المهملة ، وهو النشاط [٤] . قال أبو زيد : أفحت دَمه ففاح يَفيح فَيَحاناً . والجَحْجاح : السيِّد . هذا ما فى النوادر .

والنُّخيل ، بالتصغير : عين ماءٍ قُربَ المدينة على مشرِّفها الصلاةُ والسلام ، وموضعٌ من نواحى الشام . ولم يذكر أبو عبيد (فى معجم ما استعجم) هذا اللفظ ولا ذَا النُّخيل [٥] وهو موضع قرب مكة ، وموضع قرب حَضْرموت . قاله الصغانى (فى العباب) .

(١) نوادر أبى زيد ٤٧ . وانظر شرح شواهد المغنى ٢٨١ والعينى ١ : ٤٢٦ والتصريح ١ : ٢٣ والهمع ١ : ٦١ ، ٨٣ والأشمونى ١ : ١٤٩ .

(٢) وكذا عند العينى . وفى النوادر : « أبو حرب بن الأعلم » .

(٣) وروى أبو حاتم : « ولا مراحا » . قال : قال : « وأراه ودما مفاحا » .

(٤) وروى فى النوادر أيضا : « ولا مزاحا » بالزاى المعجمة .

(٥) لم يذكر لهما رسما ، وإنما ورد الأول عرضا فى شعر ١٣٠٣ ، والثانى فى شعر أيضا فى ٦٣٥ .

وخلَط العينيُّ بينهما فقال : نُخيل : أربعة مواضع . ثم ذكر معنَييْهما .

والغارة : اسمٌ من الإغارة على العدوّ . وملحاحاً صفة غارة ، ولم يؤنِّثه لعدم اعتبار تأنيث المصدر ، لأنه فى تأويل أنْ والفعل ، وهذا لا يتَّصف بتأنيث أو لأنَّه بمعنى النسبة ، أى ذات إلحاح ، كقوله تعالى : ﴿ السماءُ منفَطِرٌ به [1] ﴾ أى ذات انفطار . وهو من ألحَّ المطرُ ، إذا دام . والسَّارح : المال السائم . والمُرَاح بالضم . اسمُ مكانٍ من أراح إبلهُ ، إذا ردَّها إلى المُراح ، وهو حيثُ تأوى إليه الإبلُ والغنمُ بالليل ؛ ولا يكون ذلك إلّا بعد الزوال . وصِرَاح بالكسر : جمع صريح ، وهو الخالص فى النسب ، ككِرامٍ جمع كريم .

وروى العينى عن الصاغانى (فى العباب) أنَّ الرجز لليلى الأخيلِيَّة ، فى قتل دَهْر الجعفى [2] ، وأنَّ الرواية كذا :

نحنُ قتلنا الملك الجَحْجاحا دَهراً فهيَّجنا به أنواحاَ

لا كذبَ اليومَ ولا مِراحا [3] قومى الذين صَبَّحوا الصَّباحا

يوم النُّخَيْل غارةً مِلحاحا مَذْحِجَ فاجتحْناهُم اجتياحا

* فلم ندَعْ لسارحٍ مُرَاحا *

إلى آخر الأبيات . وعليها لا شاهدَ فيه .

وأنواح : جمع نَوْح . ومَذْحِج ، بكسر الحاء المهملة بعد الذال المعجمة

---

(١) الآية ١٨ من المزمل .

(٢) ذكره ابن حبيب فى المحبر ٢٥٢ فى الجرارين من اليمن ، وهو دهر بن الحداء بن ذهل بن جعفى . وقال فى ٢٤٦ : « ولم يكن الرجل يسمى جَرّاراً حتى يرأس ألفاً » .

(٣) فى العينى : « ولا مزاحا » بالزاى .

الساكنة : قبيلةٌ كبيرة . فاجتحناهم ، من الاجتياح بتقديم الجيم على الحاء المهملة ، وهو الإهلاك والاستئصال . وصبَّحه ، بمعنى أتاه صَباحا . وغارة مفعول لأجله . وقال العينى : ويجوز أن يكون حالاً من الواو فى صبَّحوا .

وقد فتَّشت هذا الرجزَ بجميع موادّ ألفاظه (فى العباب) فلم أرَ له فيه أثراً ، ولم أُدر من أىِّ مادة نقله . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والعشرون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س [١] :

٤٢٦ (وإنّ الذى حانَتْ بفلجٍ دِماؤُهم
هُمُ القومُ كلُّ القومِ يا أُمَّ خالِدِ)

على أنّ أصله : (وإنَّ الذين) ، فحذفت النون منه تخفيفاً .

وقد تقدَّم نصُّ سيبويه فى هذا البيت عند شرح قوله :

* أبنى كليبٍ إنَّ عَمَّىَّ اللذا * البيت

قبل هذا بِبَيتيْن . قال الأعلم : الشاهد فيه حذف النون من الذين ٥٠٨ استخفافاً . والدليل على أنه أراد به الجمعَ قوله : « دماؤهم [٢] » . ويجوز أن يكون الذى واحداً يؤدِّى عن الجمع لإبهامه ، ويكون الضمير محمولا على المعنى ، فيجمع ، كما قال جل وعز : ﴿ والذى جاءَ بالصِّدق وصَدَّق به أولئك هم المتَّقُون [٣] ﴾ . رثى قوماً قُتلوا بفلْج ، وهو موضعٌ بعينه كانت فيه وقعة . اهـ .

---

(١) فى كتابه ١ : ٩٦ . وانظر البيان ٤ : ٥٥ والمقتضب ٤ : ١٤٦ والمحتسب ١ : ١٨٥ والمنصف ١ : ٦٧ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ٣٠٧ وابن يعيش ٣ : ١٥٤ ، ١٥٥ وشرح شواهد المغنى ١٧٥ والعينى ١ : ٤٨٢ والتصريح ١ : ١٣١ والهمع ١ : ٤٩/٢ : ٧٣ .

(٢) ما بعده الى كلمة « الذى » ساقط من ش .

(٣) الآية ٣٣ من سورة الزمَر .

وأورده ابن جنى (فى المحتسب) عند قراءة من قرأ : ﴿ والمقيمى الصَّلاةَ (١) ﴾ بالنصب ، قال : أراد المقيمين ، فحذف النون تخفيفاً . أو شبَّه ذلك بالذين فى قوله :

* فإن الذى حانت بفَلجٍ دماؤُهمْ * البيت

وأورده صاحب الكشَّاف أيضاً عند قوله تعالى : ﴿ الٓمٓ * ذلك الكتابُ ﴾ على أنَّ السورة المسماة بألٓم هو الكتابُ لكماله ، حتى كأنَّ ما عداه من الكتب بالنسبة إليه لا يستحقُّ أن يسمَّى كتاباً ، من باب حَصْر الجنس فى بعض أفراده ، على حدِّ قولك : زيد هو الرجل ، أى الكامل فى الرُّجوليّة . ولما كان ذلك مستبعداً فى الأوهام أتى بما صرَّح به بحصر كلِّ الجنس فى الفرد الكامل ، فى قوله :

* همُ القومُ كلُّ القومِ يا أمَّ خالدِ *

إزالةً لذلك الوهم . والمعنى : إنَّ الذين هلكوا بهذا الموضع هم القومُ والرجال الكاملون ، فاعلمى ذلك وابكى عليهم يا أمَّ خالد .

قال الواحدىّ : قولهم يا أمَّ خالد ويا ابنة القوم ، هو من عادة العرب بهذا الخطاب للنِّساء لحثِّهنَّ على البكاء . وكلُّ القوم صفة للقوم ، دلالةً على كمالهم .

وبه أورده ابن هشام (فى كلّ ، من المغنى) . والحَيْن ، بالفتح : الهلاك . وحان الرجلُ : هلك . وأحانه الله : أهلكه . ودماؤهم : فاعل حانت . ومعنى حانت دماؤهم : لم يُؤخذْ لهم بدية ولا قِصاص . (وفَلْج) بفتح الفاء وسكون اللام وآخره جيم . قال أبو عبيدٍ (فى معجم ما استعجم) : هو موضعٌ فى بلاد بنى مازن ، وهو فى طريق البصرة إلى مكة ، وفيه منازلُ للحجَّاج . وقال الزجاج : هو ماء لبنى العَنْبر ما بين الرُّحَيْل إلى

(١) الآية ٣٥ من سورة الحج .

المَجَازَة . وقال ياقوت (فى معجم البلدان) : قال أبو منصور : فلجٌ اسم بلد ، ومنه قيل لطريق يأخذ من طريق البصرة إلى اليمامة : طريق فلج . وأنشد [١] :

* وإن الذى حانت بفلج دماؤهم [٢] *

وقال غيره : فلج وادٍ بين البصرة وحمى ضَرِيَّة من منازل عدِىّ بن جُندَب ابن العَنبر بن عمرو بن تميم ، من طريق مكة . وبطنُ وادٍ يفرق بين الحزن والصَّمّان ، يُسلك منه طريقُ البصرة إلى مكّة ، ومنه إلى مكّة أربعٌ وعشرون مرحلة .

صاحب الشاهد

وهذا البيت أنشدَه الجاحظُ (فى البيان والتبيين) بدون واو مع بيتين بعده ، للأشهب بن رُمَيلة ، وهما :

أبيات الشاهد

(همُ ساعِدُ الدَّهر الذى يُتّقى به
وما خيرُ كفٍّ لا ينوء بِساعِدِ [٣]

أسودُ شَرًى لاقت أسودَ خفِيّةٍ
تساقَوا على حرِدٍ دماءَ الأساوِدِ)

قال : وقولهم : ساعد الدهر : إنَّما هو مثَل ، وهذا يسمِّيه الرواة البديع .

وقد قال الراعى :

---

(١) ط : « أنشدوا » ، صوابه فى ش . وفى معجم البلدان : « وأنشد للأشهب » .

(٢) ط : « إن الذى » بالخرم ، وأثبت ما فى ش والمعجم .

(٣) الكف مؤنثة ، وقد تذكر . وفى اللسان عند قول الأعشى :

أرى رجلا منهم أسيفاً كأنما ... يضم الى كشحيه كفا مخضبا

« فإنه أراد الساعد فذكر ، وقيل إنما أراد العضو » . وفى البيان واللسان (سعد ٢٠١) : « لا تنوء » .

هُمُ كاهل الدَّهر الذى يتَّقى به
ومَنكبُه إنْ كان للدَّهر مَنْكِبُ

وأنشده الآمدى (فى المؤتلف والمختلف) للأَشهب بن رُمَيلة أيضاً مع البيت الثانى فقط ، وهو : هُم ساعدُ الدَّهر ، إلَّا أنَّه أنشده : « فإنَّ الذى » بالفاء .

وقد أنشد الأبياتَ الثلاثة أحمدُ بن أبى سَهل بن عاصم الحُلْوانى (فى كتاب أسماء الشعراء المنسوبين إلى أمّهاتهم) ، إلا أنَّه أنشد البيت الأوّل كذا : ٥٠٩

* إنَّ التى مارَتْ بفلجٍ دماؤُهم *

وعليه لا شاهد فيه ، ومن خطه نقلت . فيكون بتقدير : إنَّ الجماعة التى مارت ، أى ساحت وجَرَت . يقال مار الدمُ على وجه الأرض . وينوء بمعنى ينهض . و (فى معجم ما استعجم) : قال الأصمعى : الشَّرَى : أرض فى جهة اليمن ، وهى مَأسدة . وأنشد هذا البيت . قال أبو الفتح : لام الشَّرَى ياءٌ لأنها مجهولة ، والياء أغلب على اللام من الواو . قال : وكذلك رأيته فى الخطِّ العتيق مكتوباً بالياء . ا هـ .

وقال صاحب الصحاح : والشَّرَى : طريقٌ فى سَلْمَى كثيرةُ الأُسْد . وخَفِيَّة بفتح الخاء المعجمة وكسر الفاء قال [1] صاحب الصحاح : قولهم أسود خفيَّة كقولهم : أسود غابة ، وهما مأسَدتان . وقال صاحب المعجم : خَفِيَّة : اسمُ غَيضة ملتفَّة ، تتَّخذها الأسد عِرِّيسَة . كذا قال الخليل ، وأنشد هذا البيت . وحَرْد بفتح الحاء وسكون الراء المهملتين : مصدر حَرَد من باب

(١) ط : « قاله » صوابه فى ش .

ضرب ، بمعنى قَصَد ؛ وبمعنى غضِب ، من باب فرِح أيضاً . ودماءَ : مفعولُ تساقَوْا ، أى سُقِىَ كلٌّ منهما دمَ الأساود . وهو إمَّا جمع أسْوَد على أفعل ، وهو العظيم من الحيات وفيه سواد . وهو اسمٌ له ، ولو كان وصفاً لجمع على فُعْل بالضم . وإمَّا جمع أُسُود بالضم ، وهو جمع أسَد فيكون جمع الجمع . والمراد بالأساود الشُّجعان ، وهو عبارةٌ عنهم وعن أخصامهم .

وقال العينى ، وتبعه السيوطى : الأساود : جمع أسوِدة ، وأسوِدةٌ : جمع سَوَاد ، والسواد : الشخص ، وأراد بالأساود شُخوصَ الموتى .

ورَوَى : « سِمام » بدل « دماء » وقال : هو جمعُ سمٍّ . فالمناسب على هذه الرواية تفسير الأساود بالحيّات .

وروى أبو تمام البيت الشاهد (فى كتاب مختار أشعار القبائل) آخِرَ أبياتٍ خمسةٍ لحريث بن محفِّض ، وهى :

قول آخر فى صاحب الشاهد

(ألم تر أنّى بعد عمرو ومالك

وعُروةَ وابنِ الهَوْل ، لستُ بخالدِ

وكانوا بنى ساداتنا فكأنما

تساقَوا على لَوْح دماء الأساودِ

وما نحن إلّا مثلُهم غير أننا

كمنتظرٍ ظِمْئاً وآخر واردِ

هُم ساعدُ الدهر الذى يُتّقى بهم

وما خَيْرُ كفٍّ لا تنوءُ بساعدِ

فإنَّ الألى حانت بفلجٍ دماؤهم .... البيت)

والأُلى بمعنى الذين ، وعلى هذه الرواية أيضاً لا شاهد فيه .

واللَّوْح ، بفتح اللام وسكون الواو آخره حاء مهملة : العطش . والظِّمْء ، بكسر الظاء المشالة وسكون الميم بعدها همزة : اسم الزمان الذى يكون بين الشَّربتين للإبل ، من الظمأ بفتح الميم ، وهو العطش . وآخِر : ضد أوّل ، معطوف على منتظر .

الأشهب بن رميلة

أمَّا الأشهب بن رُميلة فهو شاعرٌ إسلامى مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام ، أسلم ولم تُعرف له صحبةٌ واجتماعٌ بالنبى ﷺ ، ولهذا أورده ابن حجر فى قسم المخضرمين (من الإصابة) .

ورُمَيلة : اسم أمّه ، وهى بضمِّ الراء المهملة وفتح الميم .

وذكره المرزبانى (فى معجم الشعراء) فى حرف الزاء المعجمة .

قال صاحب الأغانى : هو الأشهب بن ثور بن أبى حارثة بن عبد المَدَانِ بن جَندل بن نَهْشَل بن دارِم بن عمرو بن تميم .

و (فى المؤتلف والمختلف) و (فى كتاب الشعراء المنسوبين إلى أمهاتهم) : المنذر ، بدل عبد المدان . و (فى مختصر الجمهرة لياقوت) : ابن عبد المنذر . والله أعلم .

٥١٠

ورمَيلة أُمُّه ، وهى أَمَةٌ لخالد بن مالك بن رِبعىّ بن سلمى بن جندل المذكور . قال أبو عمرو : ولُدُها يزعمون أنها كانت سبيّة من سَبايا العرب فولدت لثور بن أبى حارثة أربعة نفر ، وهم زَباب [1] ، وحَجْناء ، والأشهب ، وسُويط ، وكانوا من أشدِّ إخوةٍ فى العرب لسانا ويداً ، ومنْعةً للجانب ، فكثرت أموالهم فى الإسلام ، وكان أبوهم ثورٌ ابتاعَ رُمَيلة فى الجاهلية ، وولدتهم فى

(١) ط : « رباب » فى هذا الموضع وما يليه من المواضع ، صوابه بالزاى المعجمة كما فى ش . وضبطه صاحب القاموس فى (زبب) كسحاب ، وقال : « وابن رميلة الشاعر أخو الأشهب » .

الجاهليّة فعَزُّوا عزًّا كَثيرا ، حتى كانوا إذا وردُوا ماءً من ماء الصَّمَّان حَظَروا على الناس ما يريدونه منه .

وكانت لرُمَيلة قطيفةٌ حمراء ، فكانوا يأخذون الهُدْب من تلك القطيفة فيُلقونه على الماء ، أى قد سَبقنا إلى هذا ، فلا يرِدُه أحدٌ لعزِّهم ، فيأخذون من الماء ما يحتاجون إليه . فوردُوا فى بعض السِّنينَ ماءً من ماءِ الصَّمَّان ، وورد معهم ناسٌ من بنى قَطَن بن نهشل ، فأورد بعضهم بعيره فأشرعَه حوضاً قد حَظَروا عليه ، وبلغهم ذلك فغضبوا فاقتتلوا ، فضرب زَبَاب بن رُمَيلة رأس بَشِير بن صبيح ، فمات بشيرٌ فى ليلته فقُتِل زَبَابٌ قَوَدا ؛ ولما أرادُوا ضربَ عنقه قالوا له : أوصِنا . قال لهم : دعونى أصلِّى ركعتين . فصلَّى ثم قال : أمَا والله إنى إلى ربى لذو حاجة وما منعَنى أن أزيد فى صلاتى إلّا أنْ تقولوا : خاف من الموت ! فليضربنى منكم رجل شديدُ الساعد ، حديدُ السيف . فدفعوه إلى ابن خزيمة بن بَشِير فضرب عنقَه ، وذلك فى الفتنة بعد مقتل عثمان بن عفّان .

ورثاه أخوه الأشهبُ بقصائد .

وفى (كتاب الشعراء المنسوبين إلى أمهاتهم ، ونقلته من خط مؤلفه) : كان الأشهبُ يهاجى الفرزدقَ ، ولقيَه يوماً عند باب عثمان بن عفان [١] وهو يريد أن يجوز نهر أمِّ عَبْد الله [٢] على قنطرة ، فاحتبَسه الفرزدقُ عليها ، وكان الفرزدقُ على فرسٍ ، فقال الأشهب :

---

(١) ذكره الطبرى فى ٩ : ٤٨٥ بما يفهم أنه فى سكة المربد بالبصرة . قال : « فغابوا فى سكة المربد الى أن بلغوا باب عثمان » .

(٢) نهر أم عبد الله بالبصرة ، منسوب الى أم عبد الله بن عامر بن كريز ، أمير البصرة فى أيام عثمان .

يا عجباً هل يركب القينُ الفرسْ (١)
وعَرَقُ القَين على الخيل نَجَسْ
والقينُ لا يَصلُح إلّا ما جلس
بالكلبتين والعَلاة والقَبَسْ (٢)

ثم إنَّ غالباً لمَّا بلغه ما قال الأشهبُ أتاه ليلاً فتعوَّذَ منه ، وقال : أتشتُمنا من غير إحْنةٍ ؟ فأَمْسِكْ عنا . فقال الأشهب : هلاَّ كان هذا نهاراً .
ويقال : كان الأشهب بن رميلة يهجو غالباً أبا الفرزدق ، فقال الفرزدق : ربَّما بكيت من الجزع أنَّ الأشهب كان يهجونا ، فأريد أن أجيبَه فلا يتأتّى لىَ الشعر ، ثم فتح اللهُ علىَّ فهجوته فغلبتُه وسقط بعد ذلك .

حريث بن محفض

وأمَّا حريث بن محفِّض فهو شاعرٌ إسلامىٌّ من شعراء الدولة الأموية .
وحُرَيث بضم الحاء وفتح الراء المهملتين ، وآخره ثاء مثلثة . ومحفِّض ، بضم الميم وفتح الحاء المهملة وكسر الفاء المشددة وآخره ضاد معجمة ، وهو فى الأصل اسم فاعل من حَفَّضة تحفيضاً ، إذا طرَحَه خَلْفه وخَلَّفه وراءه .
وَحَفضه بالتخفيف بمعنى ألقاه وطرحه من يده ، كحفَّضه تحفيضا . وحَفَض العود بالتخفيف أيضاً بمعنى حَنَاه وعطفه .

قال الإمام أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكرى (فى كتاب التصحيف) فى باب ما يشكل ويُصحَّف من أسماء الشعراء : هذا باب صعبٌ لا يكاد يَضبِطه إلّا كثيرُ الرواية غَزيرُ الدِّراية (٣) . وقال أبو الحسن على بن

(١) ط : « هل تركب » ، صوابه فى ش والأغانى ١٩ : ٤٣ .
(٢) ط : « بالكليتين » ، صوابه فى ش . والكَلْبَتانِ : آلة تكون مع الحدادين يأخذون بها الحديد المحمى . والعلاة : السندان . وفى الأغانى :

وإنما سلاحه إذا جلس الكلبتان والعلاة والقبس

(٣) ط : « عزيز » ، صوابه فى ش وكتاب العسكرى ٣٧ .

عبدوس الأرَّجانى ، وكان فاضلا متقدِّما ، وقد نظرَ فى كتابى هذا فلما بلغ هذا الباب قال لى : كم عدَّةُ أسماء الشعراء الذين ذكرتَهم ؟ فقلت : مائةٌ ونيِّف . ١١،
فقال لى : إنى لأعجبُ كيف استتبَّ لك هذا ، فقد كنا ببغداد والعلماء بها متوافرون – وذكر أبا إسحاقَ الزّجاج ، وأبا موسى الحامض ، وأبا محمد الأنبارىّ واليزيدىَّ وغيرهم – فاختلفنا فى اسم شاعرٍ واحد ، وهو حريث بن محفِّض ، وكتبنْا أربع رقاعٍ إلى أربعةٍ من العلماء ، فأجاب كلُّ واحدٍ منهم بما يخالفُ الآخر ، فقال بعضهم مخفض بالخاء والضاد المعجمتين ، وقال آخر [١] : ابن مَخفض [٢] ، وقال آخر : ابن مِخْفض [٣] . فقلنا : ليس لِهذا إلّا أبو بكر ابن دريد . فقصدناه فى منزله ، فعرَّفناه ما جرى ، فقال ابن دريد : أين يُذهَب بكم ؟ هذا مشهور ، هو حُرَيث بن محفِّض ، الحاء غير معجمة ومفتوحة ، والفاء مشددة ومكسورة ، والضاد منقوطة . وهو من بنى تميم ، ثم من بنى مازن بن عمرو بن تميم ، وهو القائل :

ألم تَر قومى إنْ دُعُوا لملمَّةٍ
أجابوا ، وإنْ أغضبْ عَلَى القوم يغضبوا
همُ حَفِظوا غَيبى كما كنت حافظاً
لقومىَ أخرى مثلَها إنْ تغيَّبوا [٤]

(١) ش : « آخرون » ، وأثبت ما فى ط وكتاب العسكرى .
(٢) فى حواشى ط : « ضبط فى الأصل بالقلم ، الأول بفتح الميم ، والثانى بكسرها » .
(٣) ط : « ابن مخفض » ، وأثبت ما فى ش والعسكرى . ومما يجدر ذكره أن فى كتاب العسكرى بعد كلمة « المعجمتين » : « وقال آخر : ابن مخفض » ، بسقوط ما بين القولين .
(٤) ط : « عينى » ، صوابه فى ش وتصحيف العسكرى .

بنو الحرب لم تَقعُد بهم أُمَّهاتهمْ
وآباؤهمْ آباءُ صدقٍ فأنجبوا

وتمثَّل الحجّاجُ بهذه الأبيات على المنبر ، فقال : أنتم يا أهل الشام كما قال حريث بن محفِّض . قال : أنا والله حريث بن محفِّض . فقال : ما حملك على أن سابقتَنى ؟ قال : لم أتمالك إذْ تمثَّل الأميرُ بشعرى فأعلمتُه مكانى . ثم قال أبو الحسن بن عَبدوس : فلم يفرج عنَّا غيرهُ . انتهَى ما أورده العسكرى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والعشرون بعد الأربعمائة [(١)] :

٤٢٧ (وبئرى ذُو حَفَرتُ وذو طَوَيتُ)

هذا عجز ، وصدره :

(فـإنَّ البئر بئرُ أبى وجَدِّى)

على أنَّ ذو اسمُ موصول ، وهو هنا بمعنى التى ، لأنَّ البئر مؤنثة .

قال ابن هشام (فى شرح الشواهد) : وزعم ابنُ عصفور أنَّ ذو خاصَّةٌ بالمذكر ، وأنّ المؤنَّث يختصُّ بذات ، وأنَّ البئر فى البيت ذُكرِّت على معنى القليب ، كما قال الفارسىُّ فى قوله :

يابئرنا بئرَ بنى عدىٍّ لأنزِحَنْ قَعركِ بالدُّلىِّ
* حتَّى تعودِى أقطَعَ الوَلىِّ *

إنَّ التقدير : حتى تعودى قليباً أقطعَ ، فحذف الموصوف .

وفرق ابن الضائع بينهما بأنَّ أقطعَ صفةٌ ، فيحمل على الفعل ، بخلاف ذو .

---

(١) أمالى ابن الشجرى ٢ : ٣٠٦ والإنصاف ٧٧٣ وابن يعيش ٣ : ١٤٧/٨ : ٤٥ والتصريح ١ : ١٣٧ والهمع ١ : ٨٤ والأشمونى ١ : ١٥٨ والحماسة بشرح المرزوق ٥٩١ واللسان (ذا ٣٤٨) .

قال : ألا ترى أنَّ من قال نَفَع الموعظةُ لا يقول مشيراً إليها : هذا الموعظة . ولهذا قال الخليل فى : ﴿ قال هَذا رحمةٌ مِنْ رَبِّى [١] ﴾ : إنه إشارة إلى القِطر لا إلى الرحمة . ا هـ .

صاحب الشاهد

والبيت مشهورٌ . وهو من أبيات خمسة أوردها أبو تمام (فى الحماسة) لسِنان بن الفَحْل الطائىّ ، وهى :

(وقالوا : قد جُنِنتَ ، فقلتُ : كَلاَّ
وربِّى ما جُنِنتُ ولا انتشَيتُ
ولكنِّى ظلِمتُ فكدتُ أبكى
من الظُّلم المبيِّنِ أو بكَيْتُ
فإنَّ الماءَ ماءُ أبى وجَدِّى
وبئرى ذو حفرتُ وذو طَويتُ
وقبلكَ ربَّ خَصمٍ قد تمالَوْا
علىَّ فما هَلِعتُ ولا دَعَوتُ
ولكنِّى نصبتُ لهم جبينى
وألَّةَ فارسٍ حَتَّى قَرَيتُ)

٥١٢

قال أمين الدين الطَّبرسى (فى شرح الحماسة) : قد عِيب على أبى تمّام إيرادُه مثلَ هذه الأبيات فى باب الحماسة ، والبكاءُ على الظلم ضعفٌ وعجز ، والوجه فيه أنَّ بكاءه كان لمطالبتهم ما ليس لهم ، ولا سبيل له على الاعتساف [٢] . والمغالبةُ فعل أهل الجاهليَّة ، إذْ لا يراقَب دين ، ولا يُرهب سلطان . ويدلُّ على ذلك ما ذكره ابنُ دريدٍ فى سببه : أنّه اختصم حيَّانِ من

---

(١) الآية ٩٨ من مريم .

(٢) ط : « الاعتناف » ، وأثبت ما فى ش . والاعتناف : الأخذ بالعنف . والاعتساف : الظلم .

العرب إلى عبد الرحمن بن الضحَّاك وهو والى المدينة ، فى ماءٍ من مياههم ، وعبدُ الرحمن مصاهرٌ لأحد الحيَّين ، فبرك شيخٌ بين يديه من الحىِّ الآخر وقال : أصلحَ الله الأمير ، أنا الذى أقول :

إلى الرحمن ثم إلى أميرى تعسَّفتُ المفاوزَ واشتكيتُ
رجالاً طالبونى ثم لجُّوا ولو أنِّى ظلمتهمُ انتهيتُ
رجَوْا فى صِهرهمْ أن يغلبونى وبالرحمن صدِّقْ ما ادَّعيتُ
وقالوا قد جُننتَ فقلت كلا .... الأبيات الخمسة .

وبعدها :

فأنْصِفْنى هداك الله منهمْ
ولو كان الغُلُبَّةَ لاكتفيتُ

وقال الخطيب التبريزى (فى شرحه) : وهذا ماءٌ لبنى أمِّ الكهف ، من جَرم طيِّىء ، ولبنى هَرم بن العُشَراء من فزارة ، اختصم فيه الحيَّانِ وهم مختلطون مجاورون [١] . وقوله : « ولو أنى ظلمتهم انتهَيْتُ » أى قلت أنا الظالم ، ثم امتنعوا ، لكففت ولم ألجَّ . وقوله : « و [قالو [٢]] : قد جننت » معطوف على لجُّوا ، وجُننتَ بالبناء للمفعول وبالخطاب فى الأوَّل وبالتكلُّم فى الثانى . وكلاّ للزجر والردع .

قال الإمام المرزوقى : كان الواجب أن يقول : قالوا جننتَ أو سَكِرت . فاكتفى بذكر أحدهما لأنَّ النفى الذى يتعقَّب فى الجواب يَنظِمهما . ومثله قول الآخر [٣] :

---

(١) وكذا فى شرح التبريزى ٢ : ١٥٣ . وفى ش : « متجاورون » .

(٢) تكملة ضرورية يلتئم بها الكلام .

(٣) هو المثقب العبدى فى المفضليات ٢٩٢ .

فما أدرى إذا يَمّمتُ وجهاً
أريدُ الخير أيُّهما يَلينى

لأنّ المراد أريد الخير وأتجنَّب الشر ، فاكتفى بذكر أحدِهما ، لأنَّ ما بعده يبيِّنهما ، وهو :

أألخيرُ الذى أنا أبتغيه   أم الشرُّ الذى هو يَبتغينى

أراد : إنّى لما أظهرتُ إنكارى وتشدَّدت فى إبائى قالوا : إنّه جُنَّ أو سَكر . فزجرتهم وحلفتُ بالله نافيا ما نُسِبتُ إليه . والانتشاء والنَّشوة : السُّكر . ثم أخذ يبيِّن كيف استنكر ما دُفِع إليه حتى قِيل فيه ما قيل ، كقوله :

* ولكنى ظلمت فكدتُ * ... إلخ

وذكر البُكاء ليُرىَ أنفتَه وامتعاضه (١) وإنكارَه لما أُريد ظلمه فيه واغتياظه (٢) . فأما العرب فإنما تنسب نفسها إلى القسَاوة وتعيِّر من يبكى . قال مهلهل :

يُبكَى علينا ولا نَبكى على أحدٍ
لَنَحْنُ أغلظُ أكباداً من الإبلِ

يقول : لكن عَرض علينا ضيمٌ لم آلفْه ، واستُنزلتُ عن حقٍّ لى طال ملازمتى له ، فشارفت البكاء أو بكيت ، كلّ ذلك لاستنكافى مما أرادونى عليه .

وقوله : « فإنَّ الماء ماء » إلخ صرَّح بما أُريد غَصْبُه عليه (٣) فقال : هو

---

(١) ط : « وامتناعه » صوابه فى ش وشرح المرزوقى للحماسة ٥٩١ .
(٢) ط : « واغتباطه » ، صوابه فى ش وشرح الحماسة .
(٣) ط : « غضبه عليه » ، صوابه فى ش .

٥١٣ ماءٌ موروث عن الأسلاف ، وحِمىً معروف لى ، سلَّمه الناس لى على مرِّ الأيام ، وبئر تولّيت استحداثَها وحفْرَها وطيَّها . وطيُّ البئر : بناؤها بالحجارة . وطويت البئر فهو طويٌّ .

وقوله : « وقبلَك ربَّ خَصم » إلخ الخصم لكونه فى الأصل مصدراً يطلق على المفرد وغيره ، والذكرِ والأنثى بلفظ واحد . وفى لغة يطابق فى التثنية والجمع ، فيجمع على خُصوم وخِصام . وخَصِم الرجُل يَخْصَم من باب تعب ، إذا أحكم الخصومة فهو خصم وخصيم . وخاصمته فخصمته أخصُمه ، من باب قتل ، إذا غلَبته فى الخصومة . وتمالَوْا ، أصله تمالَؤُوا بهمزة مضمومة بعد اللام المفتوحة ، يقال مالأه ممالأةً ، كفاعله مفاعلة ، بمعنى عاونه معاونة . وتمالؤوا على الأمر : تعاونوا . وقال ابن السكّيت : اجتمعوا عليه . وهلع هلعا من باب تعب ، بمعنى جزع ، فهو هَلِعٌ وهَلوع مبالغة ، وقيل الهَلَع : أفحش الجزَع . ودعَوْت بمعنى قلت : يالَفلان !

قال الإمام المرزوقى : نبَّه على حُسن ثباته فى وجه الخصوم ، وتمرُّنه بمجادلتهم [١] قديماً وحديثا ، وتحككه لهم على احتفالٍ منهم فى مناوأته سالفاً وآنفا ، فيقول : وقد بُليت قبلَكَ بقوم لُدٍّ تألّبوا علىَّ وتعاونوا ، فلم أجزعْ لما مُنيت بهم جزعاً فاحشاً ، ولا استنصرت عليهم غيرى . فإن قيل : كيف قال هَلِعت وقد قال كدت أبكى من الظُّلم إلخ ، وهل الهلَع إلّا البكاء والجزع ؟ قلت : إنَّ الهلَع هو الجزَع الفاحش الذى يظهر فيه الخضوعُ والانقياد ، فهذا هو الذى زعم أنّه لا يظهر عليه [٢] . والبكاء الذى ذكر أنّه شارفه إنّما كان

(١) المرزوقى : « وتمرنه بمجاذبتهم » .

(٢) نص المرزوقى : « فهذا هو الذى انتضح منه » ، أى أظهر البراءة منه .

على طريق الاستنكاف ، وإذا كان كذلك فإنه لم يكن عن تخشُّع وتذلُّل ولا انقيادٍ ولا استسلام . وسَلِمَ الكلامُ من التناقض .

وقال ابن هشام (فى شرح الشواهد [1]) : وهذا ليس تناقضاً لأنه على اختلافِ وقتين ؛ أى إنّه ذلَّ جانبهُ بعد أن كان عزيزاً . وهذا كلام الخطيب التبريزى . ونظيره أبياتُ فاطمة بنت الأجحم [2] حين ضَعُفَ جانبها ، لِموتِ مَن كان ينصرها ، وهى أبياتٌ حسنة تمثَّلتْ بها سيِّدتُنا فاطمة رضى الله عنها ، حين قُبض رسول الله ﷺ ، وهى :

قد كنتَ لى جبلاً أَلُوذُ بِظِلِّه
فتركتَنى أُمشِى بأجرَدَ ضاحى [3]

قد كنتُ ذاتَ حميّةٍ ما عشت لى
أمشى البَرَازَ ، وكنتَ أنتَ جناحى

فاليومَ أخضعُ للذَّليل وأَتَّقى
منه ، وأدفعُ ظالِمِى بالرّاحِ

وإذا دعت قُمْرِيَّةٌ شجناً لها
ليلاً على فَنَنٍ دعوتُ صَبَاحى [4]

وقوله : « ولكنى نصبت لهم » إلخ الأَلَّة بفتح الهمزة وتشديد اللام :

---

(١) ط : « وهذا » .

(٢) هو الأجحم بن دندنة ، ويقال « الأحجم » أيضا ، كما فى ش ، وكان أحد سادات العرب . انظر أمالى القالى ٢ : ٢ والتنبيه ٨٧ . والأبيات التالية وردت فيهما وفى الحماسة ٩١٠ بشرح المرزوقى .

(٣) وروى : « فتركتنى أضحى » فى الحماسة والأمالى .

(٤) الحماسة : « يوما على فنن » . ط : « صباح » ، وكذا فى الأمالى . والوجه « صباحى » ، كما فى ش والحماسة وتنبيه البكرى ٨٧ . وقال المرزوقى فى تفسيره : « أى قائلا : واصباحاه ! » .

الحَرْبة ، والجمع إلَالٌ [١] كحربة وحِراب . يقول : ولكنّنى صبرت لهم وانتصبتُ فى وجوههم وهيَّأت سلاحى لدفعهم ، وطردتهم عن ورِدهم ، كفعل الفارس الذابِّ المانع ، حتَّى خلَّصت عن غَصْبهم [٢] حقِّى ، وقريت الماءَ مِن دونهم فى حوضى . يقال قريت الماء فى الحوض بالقاف ، أى جمعته ، واسم ذلك الماء قِرًى بكسر القاف مقصور .

سنان بن الفحل

وسنان بن الفحل : شاعر إسلامىٌّ فى الدولة المروانية . وهو بكسر السين بعدها نونان . والفحل بفتح الفاء وسكون الحاء المهملة .

عبد الرحمن بن الضحاك

وأما عبد الرحمن بن الضحَّاك فقد ذكره الفاسى (فى تاريخ مكة المشرفة) وقال [٣] : عبد الرحمن بن الضَّحاك بن قيس بن خالد بن وهب بن ثعلبه بن وائلة بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر بن مالك الفهرى . قال الزُّبير : ولَّاه يزيدُ بن عبد الملك المدينة والموسم . وذكر الطبرىُّ أنّ فى سنة ثلاث ومائة ضُمَّت إليه مكة مع المدينة ، وأنه عُزل عن مكة والمدينة فى النصف من ربيع الأوّل سنة أربع ومائة ، بعبد الواحد بن ربيع البصرى . وسبب عزله أنّه كان خَطب فاطمةَ بنت الحسين رضى الله عنهما فامتنعت من قبوله ، فألحَّ عليها وتوعَّدها ، فشكته إلى يزيد بن عبد الملك ، فبعث إلى عبد الواحد فولَّاه المدينة وأمره بالقبض على عبد الرحمن ، وأخَذَ ماله حتَّى تركه فى جُبّه صوفٍ بالمدينة ، وكان قد باشر نيابة المدينة ثلاث سنين وأشهراً . وكان الزُّهرى قد أشار عليه برأى ، وهو أنّه يسأل العلماء إذا أشكل عليه أمرٌ ، فلم يفعلْ ، فأبغضه الناسُ وذمَّه الشعراء . وهذا كان آخرَ أمره . انتهى .

٥١٤

(١) ط : « الألات » ، والوجه ما أثبت من ش مع أثر تصحيح .

(٢) ط : « عصبهم » ، صوابه فى ش .

(٣) ش « قال » بدون واو .

وإنَّما ذكرت عبد الرحمن هذا لِيُعلم منه عصر سِنان بن الفحل الطائى ، فإنى لم أظفر له بترجمة ، ولم أر ذكره فى كتب الأنساب . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده :

(قُولَا لهذا المرءِ ذُو جاءَ ساعياً

هُلمَّ فإنّ المشرفىَّ الفَرائضُ)

على أنَّ (ذو) بمعنى الذى .

والساعى : الوالى على صَدقة الزكاة . وهلمَّ : أقبلْ وتعالَ . والمشرَفىُّ : السيف المنسوب إلى المشارِف ، وهى قُرًى للعرب كانت السيوف تطبع بها . والفرائض : الأسنان التى تصلُح لأنْ تؤخَذ فى الزكاة . يقول : أبلغا هذا الرجلَ الذى جاء ساعياً ، أىْ والياً للصَّدقات : هلُمَّ فإنك تُعطَى السَّيفَ بدلاً من فرائض الإبل . وهذا مثلٌ ضربه لهذا الساعى مستهزئاً به ومتوعِّداً إياه . يقول : إنك مَلِلْتَ العافية والسَّلامة ، فهلمَّ إلى البلاء والشرّ من هذه الولاية .

والبيت أول أبياتٍ لقوَّالٍ الطائى ؛ أوردها أبو تمام (فى الحماسة) . وقد شرحناها مع ذكره سببها فى الشاهد السابع والثلاثين بعد الثلثمائة من باب النعت [1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والعشرون بعد الأربعمائة [2] :

٤٢٨ (عَدَسْ ما لِعبَّادٍ عليكِ إمارةٌ

أمِنْتِ وهذَا تَحملينَ طَليقُ)

---

(١) الخزانة ٥ : ٢٨ - ٣٠ .

(٢) المحتسب ٢ : ٩٤ وابن الشجرى ٢ : ١٧٠ والإنصاف ٧١٧ وابن يعيش ٢ : ١٦/٤ : ٢٣ ، ٢٤ ، ٧٩ وشرح شواهد المغنى ٢٩١ والشذور ١٤٧ والعينى ١ : ٤٤٢/٣ : ٢١٦/٤ : ٣١٤ والتصريح ١ : ١٣٩ ، ١٤٠ ، ٢٨١/٢ : ٢٠٢ والهمع ١ : ٨٤ والأشمونى ١ : ١٦٠/٣ : ٢٠٨ وديوان ابن مفرغ ١١٥ والشعراء ٣٢٤ واللسان (عدس) .

على أنَّ (هذا) عند الكوفيين اسم موصول بمعنى الذى ، أى الذى تحملينه طليق .

قال الفراء (فى تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ ويَسْأَلونكَ ماذا يُنْفِقُونَ [1] ﴾ : العرب قد تذهب بهذا وذا إلى معنى الذى ، فيقولون : ومن ذا يقول ذاك ؟ فى معنى من الذى يقول ؟ وأنشدوا :

* عَدَسْ ما لعبَّادٍ عليك إمارة * البيت

كأنه قال : والذى تحملين طليق . انتهى .

قال أبو علىّ الفارسىُّ (فى إيضاح الشعر) : هذا البيت ينشده البَغداديُّون ويستدلون به على أنَّ ذا بمنزلة الذى ، وأنَّه يوصل كما يوصل الذى ، فيجعلون تحملين صلةً لذا ، كما يجعلونه صلَة للذى . وعندنا يحتمل قوله « تحملين » وجهين : أحدهما أن يكون [2] صفة لموصوف محذوف تقديره : وهذا رجل تحملين ، فتحذف الهاء من الصفة كما حُذفت فى قولك : الناس رجلان : رجلٌ أكرمتُ ورجل أهنت . وكقوله :

* وما شئٌ حميتَ بمستباح *

٥١٥ أى حميتَه . والآخر أن يكون صفةً لطليق فَقُدِّمت فصار فى موضع نصب على الحال : فإذا احتمل غير ما تأوَّلوه من الصلة لم يكن على الحكم بأنَّ ذلك والأسماءَ المبهمة توصل كما يوصل الذى ، دليلٌ . وكذلك ما استشهدوا به من قوله تعالى : ﴿ وما تِلكَ بيمينِكَ يا مُوسَى [3] ﴾ وقالوهُ وتأوَّلوه على أنَّ المعنى : وما التى بيمينك ؟ ولا دلالة فيه ، لأنَّه يمكن أن يكون

(١) الآية ٢١٩ من البقرة . وانظر معانى الفراء ١ : ١٣٨ .

(٢) ش : « يحتمل قوله تحملين احتمالين : الأول أن يكون » .

(٣) الآية ١٧ من سورة طه .

بيمينك فى موضع الحال ، والعامل فى الحال فى الموضعين جميعاً ما فى الاسم المبهم من معنى الفعل . انتهى .

والاحتمال الأوّل ضعيف ، لأنّه تخريجٌ عَلَى ضرورة ، لأنّ حذف الموصوف إذا كانت صفته جملة بدون أن يكون بعضاً من مجرور بمن أوفى ، خاصٌّ بالضَّرورة أو الشذوذ . وأضعف من هذا تخريج ابن الأنبارى (فى مسائل الخلاف) أنَّ جملة تحملين صلةٌ لموصول محذوف تقديره : وهذا الذى تحملين . وهذا لا يقول به بَصرىٌّ ؛ لأنَّه لا يرى أحدٌ منهم حذفَ الموصول الاسمىِّ وبقاءَ صلته . والتخريجُ على الحاليّة هو الجيِّد ، ولا حاجة إلى اعتبار كونه فى الأصل صفة فلما قدِّم صار حالاً ، لأنَّ ذاك إنما يُعتبر فى الأحوال المفردة لا فى الجمل ، نحو :

* لميَّةَ مُوحِشاً طللُ *

وادِّعاءُ أنَّ العامل فى هذه الحال ما فى اسم الإشارة من معنى الفعل غيرُ جيِّد ، فإنَّ جملة تحملين حال من ضمير طليق ، فطليق هو العامل فى الحالِ وصاحبها .

فإن قلت : نزِّلْ كلامه على أنَّ الجملة حالٌ من اسم الإشارة فيكون العامل معنى التنبيه . قلت : يأباه قوله إنّ تحملين مقدَّم من تأخير . فتأمَّلْ .

صاحب الشاهد والبيت أوَّل أبياتٍ ليزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميرىّ ، خاطب بها بغلةً . وبعده :

(طليقُ الذى نجى من الحَبْس بعدما
تلاحَمَ فى دربٍ عليكِ مَضيقُ

ذَرِى وتناسَىْ ما لقيتِ فإنَّه
لكلِّ أناسٍ خبطةٌ وحَريقُ (١)
قَضى لكِ خَمخامٌ بأرضكِ فالحقى
بأهلِكِ لا يُؤْخَذْ عَليكِ طَريقُ
فيابغلَة شمَّاءَ لو كنتُ مادحا
مَدحتُكِ إنِّى للكرام صديقُ
لعمرى لقد أنجاكِ من هُوَّة الرَّدى
إمامٌ وحَبلٌ للإمام وثيقُ (٣)
سأشكرُ ما أُوليتَ من حُسن نعمةٍ
ومثلى بشُكرِ المنعِمينَ حقيقُ
فإنْ تطرُقى بابَ الإمام فإنَّنى
لكلِّ كريمٍ ماجدٍ لَطروقُ)

وقد تقدَّم سبب هذه الأبيات مع ترجمة يزيد هذا ، فى الشاهد الثالث بعد الثلثمائة ، ولكن ينبغى إيرادهُ هنا مختصراً لطول العهد .

قال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : يزيد هذا حليفٌ لقريش ، ويقال إنَّه كان عَبْداً للضحّاك بن يغوثَ الهلالى ، فأنعمَ عليه ، ولمّا ولى سعيدُ بن عثمان بن عفّان خُراسانَ استصحبه فلم يصحبه يزيد ، وصحِب زيادَ بن أبى

---

(١) ط : « وخريق » ، وأثبت ما فى ش والشعراء .

(٢) فى الشعراء : « حمحام » ، وما فى الأصل يطابق ما فى الأغانى ١٧ : ٦٠ وفيه أن معاوية « وجه رجلا من بنى أسد يقال له خمخام ، ويقال جهنام ، بريدا إلى عباد » . وانظر ما سبق فى الخزانة ٤ : ٣٣٣ وكذا رسائل الجاحظ ٢: ٢٧٢ .

(٣) ط وكذا فى الأغانى : « للأنام » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

سفيان ، فلم يَحمَدْهُ ، وأتى عبّاد بن زياد فكان معه . وكان عبّادٌ طويلَ اللحية عريضَها ، فركب ذاتَ يومٍ وابن مفرِّغ معه فى مَوكِبه ، فهبَّتْ ريحٌ فنفشت لحيتَه ، فقال ابن مفرِّغ :

ألا ليتَ اللِّحى كانت حشيشاً
فترعاها خيولُ المسلمينا

فبلغ ذلك عبّادًا فحقد عليه وجَفاه ، فقال ابن مفرِّغ :

إنّ تركى ندى سعيدِ بن عثما
ن فتىَ الجودِ ناصرى وعديدى
واتِّباعى أخا الرضاعة واللؤ
م لَنَقصٌ وفوتُ شأوٍ بعيدِ ٥١٦
قلتُ واللَّيلُ مُطبِقٌ بِعُراهُ
ليتنى مِتُّ قبل تركِ سعيدِ

فأخذه عبيد الله بن زياد وحبسه وعذَّبه وسقاه التُّربُد [٢] فى النبيذ ، وحمله على بعير وقرن به خنزيرةً ، وأمشاه بطنُه مشياً شديدا ، فكان يسيل منه ما يَخرُج على الخنزيرة فتصيح ، وكلما صاحت قال ابن مفرغ :

ضَجَّتْ سُمَيَّةُ لما مسَّها القَرَنُ لا تجزعى إنَّ شرَّ الشِّيمة الجزعُ [٣]

(١) فى ديوانه ١٠٩ : « الضراعة واللؤم » . والضراعة : الذل .

(٢) ش : « البرند » مهملة النقط . وفى الشعراء ٣٢٠ : « التربذ » بالذال فى آخره . وما أثبت من ط يطابق ما فى معجم استينجاس ٢٩٢ وتذكرة داود الأنطاكى ١ : ٩٤ وذكر أنه نبت فارسى يكون بجبال خراسان وما يليها ، وأنه يغثى ويكرب ، حتى أن الردئ منه ربما قتل . وفى الأغانى ١٧ : ٥٦ : « فسقى نبيذا حلوا قد خلط معه الشبرم » .

(٣) فى الأغانى : « لما لزها قرنى » . والقرن ، بالتحريك : الحبل يقرن به البعيران ، ويقال أيضا للبعير يقرن بآخر .

وسميَّة : أمّ زياد ، وجعلها خِنزيرة .

فطِيف به فى أزقّة البصرة وجعل الناس يقولون : اين جيست ؟ أى ما هذا !

وهو يقول :

آب است نبيذ است عصارات زبيب است

سمية رُوَسَبِيد است [(١)]

وهذه كلمات بالفارسية ، أى هذا الذى ترونه إنما هو نبيذٌ وعصارة زبيب ، وسمية البغىّ . يعنى بها الخنزيرة . فلما ألحَّ عليه ما يخرج منه قيل لعبيد الله : إنّه يموت ، فأمر به فأنزل واغتسلَ ، فلما خرج من الماء قال :

يَغْسِلِ الماءُ ما فَعلتَ وقولى

راسخٌ منك فى العظامِ البوالي

ثم دسَّ عليه غرماءَه يَسْتَعْدُونَ عليه ، فأمر ببيع ما وُجد له فى إعطاء غرمائه ، فكان فيما بيع له غلام يقالُ له برد ، وكان يَعدِلُ عنده ولده ، وجاريةٌ يقال لها الأراكة ، ففيهما يقول :

يا بُردُ ما مسَّنا دهرٌ أضرَّ بنا

مِن قبْلِ هذا ولا بِعْنا له وَلَدَا

أمَّا الأراكُ فكانت من مَحارمنا

عيشاً لذيذا وكانت جَنَّةً رغَدا [(٣)]

---

(١) ط : « أين نبيذ است » ش : « اينست نبيذ است » . وأثبت ما فى الأغانى والبيان والتبيين ١ : ١٤٣ .

(٢) ط : « روسبيست » ش : « روسفيست » ، صوابه من الأغانى والبيان . وانظر حواشى البيان .

(٣) انظر ما سبق فى ٤ : ٣٣٠ .

لولا الدَّعيُّ ولولا ما تَعرَّض لى
من الحـوادث ما فارقتها أبدا

وقال أيضاً من قصيدة :

وشَرَيتُ بُرداً ليتنى من بعدِ بردٍ كنتُ هامه
أو بُومةً تدعو صَدًى بين المشقَّرِ واليمَامَـه
الرِّيح تبكى شَجْوَهُ والبرقُ يلمعُ فى الغَمَامه [١]

ثم إنَّ عبيد الله أمر به فحمِل إلى سجستان إلى أخيه عبّاد بن زياد ، وكان ابن مفرِّغ كتب فى حيطان الطرق والمنازل والخانات هجاءهم ، فأُلزِم مَحْوَهُ بأظفاره حتى فسدت أناملُه ، ومُنِع أن يصلّىَ إلى الكعبة ، وألزمه أن يصلّىَ إلى قبلة النَّصارى ، فلما وصل إلى عبّادٍ حُبِس ، فكان يهجوهم فى الحَبْس . ومما قاله فيه :

إنَّ زياداً ونافعاً وأبابكـ ـرَةَ عندى مِن أعجب العجبِ
إنَّ رجالاً ثلاثة خُلِقوا من رِحْمِ أنثى مخالفى النَّسَبِ
ذا قرشىٌّ كما يقولُ ، وذا مَولًى ، وهذا بزعمِه عَرَبى

والثلاثة أولاد سمية . أما نافع فهو من الحارث بن كلَدَة . وأمَّا أبو بكر وزيادٌ فهما من عُبيدٍ الرُّومى ، فإنّ الحارث بعد أن أولدها نافعا زوَّجها لعُبيد ، فزيادٌ ادّعى أنّه قرشى ، وأبو بكرة مولًى لكونه ابن عُبيد . وأمَّا نافع [٢] فهو عربىٌّ لكونه ابنَ الحارث الثقفى . فلما طال حَبسُه دخل أهلُ اليمن إلى معاوية ٥١٧ فشفَعوا فيه ، ووجَّه رجلا من بنى أسد يقال له خمخام — وقال ابن السيد : هو

(١) كذا . والرواية المعروفة « شجوها » ، ولكن البغدادى قيده فى التفسير التالى بأنها « شجوه » ، وقال : « أى شجو برد » .

(٢) ش : « ونافع » .

من بنى راسب [١] – بريداً إلى عبَّاد ، وأمره أن يبدأ بالحبس فيُخرجَ ابنَ مفرّغ منه قبلَ أن يعلم عَبَّادٌ فيغتاله . ففعل ذلك ، فلما خرج من الحبس قرّبت بغلةٌ من بغال البريد فركبها وقال :

* عدسْ ما لعبَّادٍ عليك إمارةٌ * الأبيات

وتمام القصَّة هناك . فقوله (عدس) هو زجرٌ للبغل ، أى إنّه زَجْرٌ له ليسرع . قاله الجوهرى ، وأنشد هذا البيت . وربما سمَّوا البغل عَدسْ بزجره .

قال الشاعر :

إذا حملتُ بِزّتى على عَدَسْ
فما أبالى من غَزَا ومن جَلَسْ

وقال الجاحظ [٢] : زعمَ أناسٌ أنَّ عَدَسْ اسمٌ لكلِّ بغلة ، وذهبوا إلى قول الشاعر :

إذا حملتُ بِزّتى على عَدسْ على التى بين الحمارِ والفرس
* فما أبالى من غَزا ومَنْ جَلس *

ورُوى عن الخليل أنَّ عَدَسْ كان رجُلاً عنيفا بالبغال أيامَ سليمان عليه السلام ، فإذا قيل لها ذلك انزجرتْ وأسرعَتْ . وهذا لا يعرف فى اللغة .

وزعم ابن قتيبة أن الذى ركبه ابن مفرغ فرس [٣] . قال : فبعث على البريد مَنْ أطلقه ، فبدأ بالحبس فأخرجه ، فلمَّا قرِّب إليه فرسُه قال : عَدسْ ما لعباد البيت . وهذا وهمٌ ، ويدلُّ لما قلنا قوله : « فيابغلةً شمَّاء » ... البيت

(١) ما بعده إلى « من الحبس » ساقط من ش .
(٢) فى كتاب البغال . انظر رسائل الجاحظ ٢ : ٢٧٣ .
(٣) ش : « أن التى ركبها ابن مفرغ فرس » .

وأنْ عدَسْ خاصٌّ بزجر البغال . وقال بعضهم : إنّ عدس اسمُ بغلته . وهذا غير صحيح أيضاً ؛ لأنها لم تكن له ، وإنَّما هى من بغال البريد .

وقوله : (ما لعبّادٍ) إلخ ما نافية ، واللام متعلق بمحذوف ، وعليك متعلق بالظرف ، (وإمارة) إمَّا فاعل لقوله لعبَّاد ، وإما مبتدأ وخبره لعبّاد . وجملة (أمنتِ) مستأنفة بياناً للجملة المنفية . وجملة (وهذا تحملين طليقُ) حالٌ من فاعل أمنتِ ، أى أمنت فى حال كون محمولِكِ طليقا . و (الطليق) : الذى أُطلق من الإسار ، أى أُمنتِ من حُكْم عبَّاد . وإذا لم يكن له حكم على البغلة فلأَنْ لا يكون عليه حكمٌ أولى . وقوله : « وهذا تحملين » يعنى بالإشارة نفسَه . ومن العجب قول العينى هنا : إنّ عَدَسْ منادى بحرف نداء محذوف ، وبُنىَ على السكون لأنه فى الأصل حكايةُ صوت . إلى أنْ قال : وإمارة مبتدأ .

عباد بن زياد

وعبَّاد هو أخو عُبيد الله بن زياد ، الذى قاتل الحسينَ بن على رضى الله عنهما فى كربلاء . وزيادٌ يقال له زياد بن سُميَّة ، وهى أمه ، بضم السين المهملة وفتح الميم وتشديد الياء ، ويقال له زياد بن عُبيد بالتصغير ، وهو أبوه . ويقال له أيضاً زياد بن أبيه ، أى ابن أبى معاوية ، لأنَّ معاوية بن أبى سفيان جعله أخاً لنفسه ، واستلحَقَه بأبيه .

وبيان ذلك كما ذكره الملك إسماعيل الأيوبىُّ صاحبُ حماة (فى كتابه أخبار البشر) : أنّه لما دخلت سنةُ أربع وأربعين من الهجرة ، استلحَقَ معاوية زيادَ بن سميَّة ، وكانت سميَّة جاريةً للحارث بن كلَدَة الثقفى ، فزوَّجها بعَبْدٍ له رومىّ يقال له عُبيد ، فولدت سُميةُ زِياداً على فراشه ، فهو ولد عُبيدٍ شرعا . وكان أبو سفيان قد سار فى الجاهلية إلى الطائف ، فنزل على إنسانٍ يبيع الخمر يقال له أبو مريم ، أسلم بعد ذلك وكانت له صحبة ، فقال له أبو سفيان : قد

٥١٨ اشتهيت النِّساء . فقال له أبو مريم : هل لك فى سُميَّة ؟ فقال أبو سفيان : هاتها على طول ثَدييْها ودَفَر إبطيها ! فأتاه بها فوقع عليها ، فيقال إنها عَلِقت منه بزياد ، فوضعته فى سنة الهجرة . ونشأ زيادٌ فصيحاً ، ثم لما كان قضيةُ شهادة الشهود على المغيرة بالزنى وجَلْدِهم (١) ، ومنهم أبو بكرة أخو زياد لأُمِّه وامتناعُ زياد عن التصريح كما ذكرنا ، اتخذ المغيرة بذلك لزياد يداً . ثمَّ لمَّا ولى على بن أبى طالب رضى الله عنه الخلافة استعمل زياداً على فارس ، فقام بولايتها أحسنَ قيام . ولمَّا سلَّم الحسنُ الأمرَ إلى معاوية امتنع زيادٌ بفارس ولم يدخُلْ فى طاعة معاوية ، وأهمَّ معاويَةَ أمرُه وخاف أن يدعوَ إلى أحدٍ من بنى هاشم ويعيدَ الحرب ، وكان معاوية قد ولَّى المغيرةَ بن شعبةَ الكُوفة ، فقدِم المغيرةُ على معاوية فى سنة اثنتين وأربعين ، فشكا إليه معاويةُ امتناعَ زياد بفارس فقال المغيرة : أتأْذن لى فى المسير إليه ؟ فأذن له وكتب معاوية لزيادٍ أماناً ، فتوجَّه المغيرة إليه لمَا بينهما من المودَّة ، وما زال عليه حتى أحضره إلى معاوية وبايعه ، وكان المغيرة يكرم زياداً ويعظمه ، من حينَ كانَ منه فى شهادة الزِّنى ما كان .

فلمَّا كانت هذه السنة ، سنة أربع وأربعين ، استَلْحقَ معاوية زياداً وأحضر الناس ، وحضَر من يشهد لزيادٍ بالنّسبِ ، وكان ممن حضَر ذلك اليومَ أبو مريمَ الخمَّارُ الذى أحضر سُميَّة إلى أبى سفيان بالطائف ، فشهد بنسب زيادٍ من أبى سفيان وقال : إنِّى رأيت إسكتَىْ سُميَّة يقطُرانِ من مَنىّ أبى سفيان . فقال زياد : رُويدك ، طُلبتَ شاهدا ولم تُطلَب شتَّاماً . فاستلحقَه معاوية . وهذه أوّل واقعةٍ خُولفت فيها الشريعةُ علانيةً ، لصريح قول النبى ﷺ « الولدُ للفِراشِ وللعاهر الحجر » . وأعظمَ الناسُ ذلك وأنكروه ،

(١) ط : « بالزنا جلدهم » . وما أثبت من ش .

خصوصاً بنى أمية ، لكون زياد بن عُبيد الرومىِّ صار من بنى أمية بن عبد شمس .

وقال عبد الرحمن بن الحكم أخو مرْوانَ فى ذلك :

ألا أبلغْ معاويةَ بنَ صخرٍ
لقد ضاقت بما تأتى اليدانِ
أتغضبُ أنْ يقالَ أبوك عفٌّ
وترضَى أن يقال أبوك زانى
وأشهدُ أنَّ رِحْمكَ من زيادٍ
كرِحْم الفِيل من ولد الأتانِ

ثم ولَّى معاويةُ زياداً البصرة ، وأضاف إليه خراسان وسجستان ، ثم جمع له الهندَ والبحرين وعُمان .

ثم دخلتْ سنة خمس وأربعين ، فيها قدم زيادٌ إلى البصرة وسَدَّد أمر السَّلطنة وأكَّد الملك لمعاوية ، وجرَّد السيف ، وأخَذ بالظِّنَّة وعاقب على الشُّبهة ، فخافه الناسُ خوفاً شديدا . وكان معاوية وعُمَّاله يدعون لعثمان فى الخطبة يوم الجمعة ويسبُّون عليا . ولمَّا كان المغيرة متولِّىَ الكوفة كان يفعل ذلك ، وكان حُجرٌ يقوم ومعه جماعة يردُّون عليه ، وكان المغيرة يتجاوز عنهم ، فلما ولِىَ زيادٌ ودعا لعثمانَ وسبّ عليًّا قام حُجر وقال كما كان يقول ، من الثَّناء على علىّ ، فغضب زيادٌ وأمسكه وأوثقَه بالحديد وثلاثَة عشر نفراً معه وأرسلهم إلى معاوية ، فشفَع فى ستةٍ منهم عشائرُهم ، وبقى ثمانيةٌ منهم حُجر ، فقتلهم معاوية . وكانَ حُجرٌ صحابيّا من أعظم الناس دِيناً وصلاة . وروى ابنُ الجوزىِّ بإسناده عن الحسن البصرى أنه قال : أربع خصال كنَّ فى معاوية ، لو لم تكن فيه إلا واحدةٌ لكانت مُوبقة ، وهى : أخذه الخلافَة بالسيف من غير ٥١٩

مشاوَرةٍ وفى الناس بقايا الصحابة وذوو الفضيلة . واستخلافه ابنه يزيد ، وكان سِكّيرا خِمّيرا يلبس الحرير ويَضرب بالطّنابير . وادّعاؤه زياداً أخا ، وقد قال رسول الله ﷺ : « الولد للفراش وللعاهر الحجر » . وقتْله حُجر بن عدىّ وأصحابه ، فيا ويلاً له من حُجر وأصحاب حُجر . وروى عن الشافعى أنه أسَرَّ إلى الربيع أن لا يقبل شهادةَ أربعة ، وهم : معاوية ، وعمرو بن العاصى (١) ، والمغيرة ، وزياد .

وأما قضيَّة المغيرة بن شعبة فقد كانت فى سنة سبعَ عشرة ، وهى أنَّ المغيرة كان عمرُ بن الخطاب قد ولَّاه البصرة ، وكان فى قُبالة العُلّيّة (٢) التى فيها المغيرةُ بن شعبة عُلّيّةٌ فيها أربعة ، وهم أبو بَكْرة مولى النبى ﷺ ، وأخوه لأمّه زياد بن أبيه ، ونافع بن كلَدَة ، وشِبل بن مَعبد ، فرفعت الريحُ الكوَّة عن العُليّة ، فنظروا إلى المغيرة وهو على أمّ جميل بنت الأرقم بن عامر بن صعصعة ، وكانت تَغْشَى المغيرة ، فكتبوا بذلك فعَزل المغيرةَ واستقدمه مع الشهود ، فلما قدِم إلى عمر شهد أبو بَكْرة ونافعٌ وشبل على المغيرة بالزنى ، وأمّا زياد بن أبيه فلم يُفصح بشهادة الزنى ، فقال : رأيته جالساً بين رِجلَى امرأة ورأيت رِجلينِ مرتفعتين ونفساً يعلو ، واستاً تربُو عَنْ ذكَر ، ولا أعلم ما وراء ذلك . فقال عمر : هل رأيت الميل فى المُكْحُلة ؟ فقال : لا . فقال : هل تعرف المرأةَ ؟ قال : ولكن أُشبِّهها . فأمر عمر بالثلاثة الذين شهدوا بالزنى أنْ يُحَدُّوا حدَّ القذف فَجلِدوا . وكان زيادٌ أخا أبى بكرة لأمّه ، فلم يكلمه أبو بكرة بعدها . انتهى ما نقلته عن أخبار البشر .

---

(١) ش : « العاص » .

(٢) العلية : الغرفة ، ووزنها فُعُولة أو فُعْلِيّة . وتقال أيضا بكسر العين .

وقال أبو عبيد البكرى (فى شرح أمالى القالى [(١)]) : كتاب مثالب العرب أصله لزياد بن أبيه ؛ فإنّه لما ادّعى أبا سفيان أبا ، علم أنَّ العرب لا تُقرُّ له بذلك مع علمهم بنسَبه ، فعمل كتاب المثالب وألصقَ بالعرب كلَّ عيبٍ وعار وباطل ، وإفك وبُهْت . ثم ثَنَّى على ذلك الهيثم بن عديّ وكان دعيًّا ، فأراد أن يعرَّ أهلَ الشرف تشفّياً منهم . ثم جدَّد ذلك أبو عبيدة مَعْمَر ابن المثنَّى وزاد فيه ، لأنَّ أصله كان يهودياً ، أسلم جدُّه على يدَىْ بعض آل أبى بكر ، فانتمى إلى وَلاءِ تَيمْ . ثم نشأ غَيلانُ الشعوبى الورَّاق ، وكان زنديقاً ثَنَوِيًّا لا يُشَكُّ فيه ، فعمل لطاهر بن الحسين كتاباً خارجا عن الإسلام ، بدأ فيه بمثالب بنى هاشم وذِكر مناكحهم وأمَّهاتهم ، ثم بطون قريش ثم سائرِ العرب ونسَب إليهم كلَّ كذب وزور ، ووضعَ عليهم كلَّ إفك وبهتان . ووصله عليه طاهرٌ بثلاثين ألفا . وأما كتابُ المثالب والمناقب الذى بأيدى الناس اليومَ فإنَّما هو للنَّضْر بن شُميل الحميرى وخالدِ بن سلمة المخزومى ، وكانا أنسبَ أهل زَمانهما ، أمَرَهُما هشامُ بن عبد الملك أن يبيِّنا مثالبَ العرب ومناقبها ، وقال لهما ولمن ضمَّ إليهما : دعُوا قريشاً بما لها وما عليها . فليس لقرشيّ فى ذلك الكتاب ذِكر . انتهى .

وقوله : « طليق الذى نُجّى » إلخ ، الذى نجَّاه من الحبس هو معاوية . والدَّرب ، بالفتح : باب السكة الواسع ، والباب الأكبر . ومَضِيق : فاعل تلاحم .

وقوله : « لكل أناسٍ خَبطة » إلخ الخبطة ، بفتح المعجمة وسكون الباء ، قال صاحب القاموس : الخبطة : الرُّكمة تصيب فى قُبُل الشتاء [(٢)] ، والمطرُ الواسع . وقال : الرُّكْمة بالضم : الطين المجموع .

---

(١) اللآلئ ٨٠٧ - ٨٠٨ . وانظر حواشى البيان ٣ : ٥ .

(٢) كذا ، وهو سهو من البغدادى فى النقل من القاموس ، والذى فى القاموس والتاج : « الزكمة » بالزاى المفتوحة ، وهى الزكام . وقد انساق البغدادى فى السهو ، فالتمس للركمة بالراء =

٥٢٠ وقوله : « قضى لك خمخام » بفتح الخاءين المعجمتين . وروى ابن قتيبة بحاءين مهملتين . ويؤخذ مجزوم بلا الناهية ، وأراد به الدعاء لها بأن لا تؤخذ فى طريق وهو عليها .

والشمَّاء : العالية المرتفعة ، مؤنث الأشمّ . والهُوَّة بالضم : الموضع الهاوى . والرَّدَى : الهلاك . وإمامٌ فاعل أنجاك .

والطَّرق والطُّروق : الإتيان بالليل ، وأراد به مطلق الإتيان .

وقوله :

وشَرَيتُ برداً ليتنى   من بعد بُردٍ كنتُ هَامه

فى القاموس : الهامة : طائرٌ من طير الليل ، وهو الصَّدَى . وقال (فى صدى) : والصَّدى : طائرٌ يطير بالليل يَقْفِز قفزا . والمُشَقَّر كمعظَّمٍ : حِصن قديم . واليمامة : بلاد الجوّ ، وأصل اليمامة اسم امرأةٍ ، وهى جاريةٌ زرقاء وكانت [(١)] تُبصر من مسيرة ثلاثة أيام ، وهى مشهورةٌ ، سمِّى الجوُّ باسمها . وبها تنبأ مسيلمة الكذاب ، وهى عن مكة ستَّ عشرة مرحلةً من البصرة ، وعن الكوفة نحوها .

وقوله : « شجوه » مفعول لأجله ، أى شجْوَ بُرد . والشَّجو : الحزن ،

= المضمومة معنى فى مادة (ركم) من القاموس فوجد لها معنى الطين المجموع . وقد تركت نص البغدادى كما هو محافظة عليه . على أن « الخبطة » التى وردت فى البيت معناها من خَبْط ورق الشجر ، وهو ضربه ليسقط ويستعمل فى الحريق . ويؤيد هذا المعنى قوله فى البيت « وحريق » . ومعنى البيت فيما أرى ، أن بعد العسر يسرا ، ولابد لكل قوم من أن تتاح لهم فرصة النار بعد تعسرها عليهم .

(١) ط : « وكانت » .

أى لشَجْوها عليه . والبرق معطوفٌ على الريح ، أى والبرق يبكى أيضا . وجملة يلمع إلخ حالٌ . قال السيِّد المرتضى قدِّس سِرُّه (فى أماليه الغرر والدرر) : عطف البرق على الريح ثمَّ أُتبعه بقوله : يلمع فى الغمامة ، كأنه قال : والبرق أيضاً يبكيه لامعاً فى غمامِه [1] ، أى فى حال لمعانه . ولو لم يكن البرق معطوفاً على الريح فى البكاء لم يكن للكلام معنى ولا فائدة .

والبيت الأوَّل استشهد به صاحب الكشّاف عند قوله تعالى : ﴿ الذينَ يَشْرُونَ الحيوةَ الدنيا بالآخرة [2] ﴾ على أنَّ الشراء يأتى بمعنى البيع كما فى البيت ، يقال شريت الشئ أشريه شِرًى وشِراء ، إذا بعته ، وإذا أخذته أيضاً . فهو من الأضداد .

وقد عنَّ لى أن أسوقَ القصيدة هنا فإنها جيِّدةٌ فى بابها . قال [3] : قصيدة يزيد بن مفرغ

أصَرَمْتَ حبلك من أمامه	مِن بَعد أيَّامٍ برامَه
ورَمِقتَــهــا فوجــدتُها	كالضِّلع ليس لها استقامه
لهفى على الرأى الذى	كانت عواقبُه نَدامـه
تركى سعيداً ذا النَّدى	والبيتِ ترفعُه الدِّعامه [4]
ليثا إذا شهد الوغى	تَركَ الهوَى ومَضى أمامَه
فُتِـحتْ سمرقنـدٌ له	فبنَى بعرصتها خِيامَه
كانوا صديقاً قبل ذا	فألَمَّ دهرٌ ذو عَرامه

(١) وكذا بالإضافة فى أمالى المرتضى ١ : ٤٤٠ .

(٢) الآية ٧٤ من النساء .

(٣) الأغانى ١٤ : ٥٤ - ٥٥ والشعراء ٣٢١ وأمالى الزجاجى ٤٢ .

(٤) سعيد هذا هو سعيد بن عثمان بن عفان . وكان واليا على خراسان

وتَبِعْتُ عبدَ بَني عِلا ج تلك أشراطُ القيامه
جاءت به حبشيَّــةٌ سَكَّاءُ تَحْسِبُها نَعامه
مِن نِسوةٍ سُودِ الوجو ه ترى عليهن الدَّمامَه
وشريتُ برداً ليتنـى .... البيتين

وبعدهما :

والعبدُ يقرع بالعصا والحرُّ تكفيه الملامـه
والهولُ يَركبُـه الفتـى حَذرَ المخازى والملامه

وقوله : « سَكَّاء تحسَبها نعامه ، » قال فى العباب : السَّكك بفتحتين : صِغَر الأذن . وأذنٌ سكَّاء ، أى صغيرة . يقال : كلُّ سكاءَ تبيض ، وكلُّ ٥٢١ شَرفاء تلد . فالسَّكَّاء : التى لا أُذنَ لها ظاهرة . والشَّرْفاء : التى لها أذنٌ ظاهرة . انتهى . والنعام صَغير الأذن خِلقة .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والعشرون بعد الأربعمائة (١) :

٤٢٩ (فقلت له : لا والذى حَجَّ حاتمٌ
أخونُك عهداً ، إنَّنى غيرُ خَوَّانِ)

على أنه بتقدير : حَجَّ حاتِمٌ إليه ، فحذف إليه .

قال أبو على (فى الإيضاح الشعرىّ) : قوله : لا والذى حجّ حاتم ، يحتمل الذى ضربين : إنْ عَنى بالذى الكعبة ، فذكَّر على إرادة البيت كما يقولون : والكعبةِ ، والبيتِ ، والمسجدِ ! فالضمير فى حجّ محذوف ، لأنَّ هذا

---

(١) نوادر أبى زيد ٦٥ ويس ١ : ١٤٧ والحماسة ١٦٢٨ بشرح المرزوق .

الفعل متعدٍّ ، يدلُّ على ذلك قوله : ﴿ فمن حَجَّ البيت أو اعْتمرَ [١] ﴾ . فالمعنى : الذى حجَّه حاتم . وإن عنى بالذى اللّهَ سبحانه فالتقدير : لا والذى حجَّ له حاتم ، فحذف له من الصلة . وهذا النحو من الحذف من الصِّلات قد جاء فى الشعر ، من ذلك قوله :

نادَيتُ باسمِ ربيعةَ بنِ مكدَّمٍ
إنَّ المنوَّهَ باسمه الموثوقُ

فقال : الموثوق ، وحذف به . انتهى .

وقال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : سألنى أبو على مرّةً عن قوله :

* فقلت له لا والذى حج حاتم * البيت

فقلت له : يجوز أن يكون أقسم بالله عز وجل ، أى والله الذى حجّ حاتمٌ بيتَه ثم حذف المضاف فصار حَجَّهُ ، ثم حذف الضمير على العادة من الصلة . ويجوز أن يكون الذى مصدراً كقوله تعالى : ﴿ الذى يبشِّر الله عِباده [٢] ﴾ [، وهو [٣]] شبيهٌ ببيتنا هذا . ا هـ .

أراد بالبيت المشبَّه به البيتَ الذى شرحه ، وهو :

رُوَيْقَ إنى وما حجَّ الحجيج له وما أهلَّ بجنبىْ نَخْلةَ الحُرُمُ [٤]

قال : يحتمل ما هنا أوجُهاً : أحدها أن تكون عبارة عن القديم سبحانه على ما حكاه أبو زيد عن العرب ، من قوله [٥] : سبحان ما سَخَّرَكُنَّ لنا ،

---

(١) الآية ١٥٨ من سورة البقرة .

(٢) الآية ٢٣ من سورة الشورى .

(٣) التكملة من إعراب الحماسة لابن جنى الورقة ١٩٤ .

(٤) بضمتين ، جمع حرام ، بمعنى المحرم بالحج أو العمرة .

(٥) فى إعراب الحماسة : « قولهم » .

وسبحان ما سبَّح الرعد بحمده ، وأراد : فى ما [١] الثانية له ، غير أنّه حذفها لِطولِ الكلام وتقدُّم ذكرها مع ما فى الأولى . ويجوز أيضاً أن يكون ما هنا مصدراً فتكون الهاء فى له لله تعالى ؛ وإنْ لم يجرِ له ذكر ، لأنّه قد جرى ذكر الحجِّ ، فدلَّت الطاعة على المطاع سبحانه ، فكأنه قال : إنى وحجِّ الحجيج لله . ويؤكد ذاك أنّه لم يُعِدْ مع ما الثانية لَه ، لأنه غير محتاج إليها من حيث كانت مصدراً [٢] ، وغير محتاجة إلى عائد وقد تقدَّم « له » الأولى . ويجوز أيضاً أن تكون ما عبارة عن البيت ، فيقسم بالبيت ، كقول زهير :

فأقسمت بالبيت الذى طافَ حوله
رِجالٌ بَنَوْهُ من قُريشٍ وجُرهُمِ

فإذا كان الأمر كذلك احتملت الهاء فى له أمرين : أحدهما أن تكون للبيت على أنْ يكون له بمعنى إليه ، كقوله تعالى : ﴿ بأنَّ ربَّكَ أوحَى لها [٣] ﴾ أى إليها . والآخر [٤] أنْ يكون للهِ تعالى ، أى والبيتِ الذى حجَّ الحجيج لطاعة الله . وسألنى أبو علىٍّ مرّةً عن قوله . إلى آخر ما أوردناه أوّلا .

فَعُلم أنّ كلام الشارح المحقّق هو أحد تخريجَيْ أبى علىٍّ الفارسى على تقدير حمل الذى على الله . ولم يرتَضِه ابنُ جنى على هذا التقدير ، بل جعله على تأويل : والله الذى حجَّ بيتَه حاتم ، فحذف بيت أوّلا ثم الضمير العائد تدريجاً . وهذا أقْيس من كلام أبى على .

---

(١) فى النسختين : « فيما » ، والوجه ما أثبت من إعراب الحماسة .

(٢) كذا فى إعراب الحماسة . وفى الأصل : « لأنه غير محتاج إليه من حيث كان مصدرا » .

(٣) الآية ٥ من الزلزلة .

(٤) فى نسخة من إعراب الحماسة : « والأحسن » .

والبيت أحد أبياتٍ ثلاثةٍ أوردها أبو زيد (فى نوادره) . لكنْ روايته ليست كرواية الجماعة ، وهى فيها كذا :

أبيات الشاهد

(مررتُ عَلَى دار امرئ السَّوء ، عِندَه
لُيُوثٌ كعَيْدانٍ بحائطِ بُستانِ
ومررتُ على دار امرئ الصِّدق حولَه
مَرابط أفراسٍ ومَلعبُ فِتيانِ
فقال مجيباً : والذى حجَّ حاتم
أخونُكَ عهداً ، إننى غيرُ خوّانِ

والسَّوء بفتح السين وضمها : مصدرٌ ، أراد به السَّيِّئ ، فأطلق عليه مبالغة . وكذلك الصِّدق ، مصدر أطلق على الصادق . ويكون السَّوء والصِّدق فى القول والفعل .

واللُّيوث : جمع ليث وهو الأسد ، أُراد به الشجعان . وقال الجَرْمى : هو جمع لَيْثة ، يقال ناقة ليثة . انتهى . وفى القاموس : اللَّيثة من الإبل : الشَّديدة .

والعَيْدان ، بفتح العين المهملة : النخل الطوال ، قال الجوهرى : والعَيْدان ، بالفتح : الطِّوال من النَّخل ، الواحدة عَيدانة . هذا إن كان فَعلان فهو من هذا الباب ، فإن كان فيعالا فهو مِن باب النون .

وقوله : « بحائط بستان » الباءُ بمعنى فى . والحائط : البُستان ، والبستان ، فُعلانٌ : الجنَّة . قال الفرّاء : عَربىٌّ [١] . وقال بعضهم : رومى معرب . فإضافة حائط إلى بستان بيانية .

---

(١) ط : « عرب » ، صوابه فى ش .

وقوله : « ومررت على دار » إلخ قال الجرمى : الواو زائدة [١] فى البيت ، كأنَّه عطف بيتاً على بيت . وفِتيان : جمع فتى .

وقوله : « أخونك عهداً » ، الخَوْن والخيانة : أن يؤتمن الإنسان فلا يَنصح ، يتعدَّى بنفسه إلى مفعول واحدٍ تارة ، يقال خان الرجل الأمانة ، وتارة إلى المفعول الثانى بنفسه وبحرف الجر ، يقال خانه العهدَ وفى العهدِ . والعهد : الوصيَّة ، والأمَان ، والمَوثق ، والذِّمَّة .

وقوله : « فقال مجيبا » فاعل قال ضمير امرىء الصدق ، ومُجيباً حال منه . وقوله والذى ، الواوُ للقسم ، والذى مُقْسم به . وحج حاتم صلة الذى ، والعائد محذوف كما تقدَّم بيانُه ، وجملة أخونك جوابُ القسم بتقدير لا النافية ، كقوله تعالى : ﴿ تالله تَفْتَؤُ تَذكُرُ يُوسفَ [٢] ﴾ والكاف مفعولٌ أول ، وهى مفتوحةٌ لا مكسورة . وعهداً مفعول ثان ، وجملة « إننى غير خوّان » ، استئناف بيانىّ .

صاحب الشاهد العريان بن سهلة

والأبيات لِعُرْيان بن سَهْلة الجَرْمى ، وهو شاعرٌ من شعراء الجاهلية . كذا قال أبو زيد (فى نوادره) . والعُريان ، بضم العين وسكون الراء المهملتين بعدهما مثناة تحتية وآخره نون . وسَهْلة ، بفتح السين المهملة وسكون الهاء بعدها لام وهاء تأنيث . والجَرْمىّ : نسبة إلى جَرْم بفتح الجيم وسكون الراء المهملة . وجرم : بطنٌ من قبيلة طيِّىء ، وبطن من قبيلة قضاعة أيضاً . ولا أعلم نسبته إلى أىِّ هذين البطنين . والله أعلم .

* * *

(١) وتسمى فى اصطلاح العروض بالخزم ، بالزاى المعجمة .

(٢) الآية ٨٥ من سورة يوسف .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثلاثون بعد الأربعمائة [١] :

٤٣٠ (فسَلِّمْ عَلَى أَيُّهِمْ أَفضَلُ)

هذا عجزٌ ، وصدره :

(إذا ما لَقِيتَ بنى مالكٍ)

على أَنَّ العائد الواقع مبتدأً محذوف ، والتقدير : أيهم هو أفضل . وفيه روايتان : « عَلَى أَيُّهم » بالبناء على الضم ، وبه أورده ابن هشام فى بحث أىّ (من المغنى) . و « على أيِّهم » بإعرابه بالجرّ ، وبه أورده أيضاً فى بحث جملة الصلة من الباب الثانى ، قال : قرئ : ﴿ أَيَّهُمْ أشد [٢] ﴾ بالنصب ، وَرُوِىَ فسلِّمْ على أيِّهم أفضل ، بالخفض . وكذلك رواه بالوجهين (فى شرح الشواهد) .

وإذا شرطية ، وما زائدة . وجملة فسلم جواب الشرط .

ومسألةُ أىّ خلافية ، وقد فصَّلها ابنُ الأنبارى (فى مسائل الخلاف) ، ٥٢٣ وكذلك الشارح المحقق بعد الإخبار بالذى .

والبيت لم يبلغْنى قائله . وقال ابنُ الأنبارى : حكاه أبو عمرو الشيبانى صاحب الشاهد بضم أيُّهم عن غَسَّان ، وهو أحدُ مَن تؤخَذ عنه اللغة من العرب . انتهى .

فغسَّان قائلُ البيت [٣] . وزعم ابن هشام أنَّه لرجلٍ من غَسَّان . والله أعلم .

* * *

(١) الإنصاف ٧١٥ وابن يعيش ٣ : ٤/١٤٧ : ٧/١٢ : ٨٨ وشرح شواهد المغنى ٨٣ ، ٢٨١ والتصريح ١ : ١٣٥ والهمع ١ : ٨٤ ، ٩١ والأشمونى ١ : ١٦٦ ويس ١ : ١٣٦ .

(٢) الآية ٦٩ من سورة مريم .

(٣) المفهوم أن غسان هو راوى البيت ، أو صاحب هذه الرواية .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والثلاثون بعد الأربعمائة (١) :

٤٣١ (أنا الذى سَمَّتْنِ أُمِّى حَيدَرَهْ)

على أنَّه يجوز أن يقال : سمَّتنى ، والأكثر سمَّته . وظاهر كلامه أنَّه غير قبيح .

وكذلك كلام صاحب الكشاف ، وبه استشهد عند قوله تعالى : ﴿ ولكنِّى رسولٌ مِنْ رَبِّ العالمين * أُبَلِّغكُمْ رسالاتِ ربى (٢) ﴾ على جواز كون أبلغُكم صفةَ رسول الله ، لأنَّ الرسول وقع خبراً عن ضمير المتكلم فى لكنِّى ، فجاز عَودُ ضمير المتكلم عليه كما وقع الموصول فى البيت خبراً عن ضمير المتكلم ، مع أنَّ حقَّ الضمير العائد إلى الموصول الغيبة ، فكان مقتضى الظاهر فى الآية : يُبَلِّغكم ، وفى البيت : سمّتْه .

وكذلك ظاهر كلام ابن الشجرى (فى أماليه) ؛ فإنَّه تكلَّم على قول المتنبى :

كفى بجسمى نُحولاً أنَّنى رجلٌ لولا مخاطبتى إيَّاك لم ترنى (٣)

قال : رجلٌ خبر موطِّىء (٤) ، والجملة بعده صفته ، والفائدة بها ، والخبر الموطِّىء (٥) كالزِّيادة فى الكلام . فلذلك عاد الضميران ، وهما الياء فى

(١) أمالى ابن الشجرى ٢ : ١٥٢ وطبقات الشافعية ١ : ٢٥٥ والهمع ١ : ٨٦ .

(٢) الآية ٦١ ، ٦٢ ، ٦٧ ، ٦٨ من الأعراف .

(٣) ديوان المتنبى ٢ : ٤٠٢ . وهذا البيت لم يرد فى النسخة المطبوعة من الأمالى ، وليس فيها من هذا النقل إلا : « ونظير ذلك عود ضمير المتكلم إلى الموصول إذا وقع الموصول خبرا عن ضمير متكلم كقول أمير المؤمنين عليه السلام :

* أنا الذى سمتن أمى حيدره * » .

(٤) فى النسختين : « موطأ » . صوابه ما أثبت ، وهو نظير الحال الموطئة . وانظر الأشمونى ٢ : ١٧١ والتصريح ١ : ٣٧١ .

(٥) فى النسختين : « الموطأ » . وانظر التنبيه السابق .

مُخاطبتى ولم ترنى ، إلى الياء فى أنّنى ، ولم يعودا على رجل لأن الجملة فى الحقيقة خبرٌ عن أننى . ونظيره عود الياء إلى الذى فى قول على رضى الله عنه :

* أنا الذى سَمَّتنِ أمِّى حَيدره *

لمَّا كان المعنى الذى هو أنا فى المعنى ، وليس هذا مِمَّا يحمل على الضرورة لأنَّه وقع فى القرآن نحو : ﴿ بل أنتم قَوْمٌ تَجْهَلُونَ [١] ﴾ . وممَّا جاء فى الشعر لغير ضرورة قوله :

أأكرَمُ مِنْ ليلَى علىَّ فتبتغِى به الجاهَ أم كنتُ امرأ لا أُطِيعهُا [٢]

ولم يقل يُطيعها وفاقاً لامرئ . فهذا دليلٌ على دليل التنزيل ، فاعرفْ هذا وقِسْ عليه نظائره . انتهى .

ولا يخفى أنَّ مبنَى كلامه على أنَّ الضرورة ما ليس للشاعر عنه مندوحة . والصحيح أنها ما وقع فى الشِّعر ، سواء كان عنه مندوحةٌ ، أم لا . وصريح كلام الإمام المرزوقى [٣] أنَّه قبيح مردود . قال : كان القياس أنْ يقول سَمَّته حتى يكون فى الصلة ما يعود إلى الموصول ، لكنَّه لما كان القصد فى الإخبار عن نفسه ، وكان الآخر هو الأوَّل ، لم يُبالِ بردِّ الضمير على الأوَّل ، وحمل الكلام على المعنى لأمْنِه من الإلباس [٤] ، وهو مع ذلك قبيح عند النحويِّين ، حتى إنَّ المازنى قال : لولا اشتهار مَورِده وكثرتُه لردَدْته . انتهى .

---

(١) الآية ٥٥ من سورة النمل .

(٢) نسب إلى المجنون ، أو الصمة القشيرى ، أو ابن الدمينة . وانظر شرح شواهد المغنى ٧٩ ، ٣٠٩ وحواشى الحماسة بشرح المرزوق ١٢٢٠ .

(٣) فى شرح الحماسة ٢٩٧ .

(٤) فى شرح الحماسة : « من الالتباس » .

و (الحيدرة) : الأسد ، نقل الحسين المَيْبُذِىّ [١] (فى شرح ديوان الإمام على رضى الله عنه) عن الحافظ إسماعيل قال : يُروَى أنَّ أمَّ مرحب كانت كاهنة قالت لابنها : يا بنىَّ إنى خائفةٌ عليك رجلاً يسمِّى نفسه فى الحرب حَيدرة ، فإن سمعت ذلك فلا تبارِزْهُ . فلما سمع الرجزَ أراد الرجوع ، فمنعته الحميَّة الجاهلية ، فقتله علىٌّ رضى الله عنه . والسِّياقُ مشعرٌ بأنَّ عليّا كان سمِع هذا ، فلهذا قال حَيدرة . انتهى .

٥٢٤ وحمله الجمهور على غير هذا ، قال ابن قتيبة (فى غريب الحديث) : سألت بعضَ آل أبى طالب عن قوله : سمَّتن أمِّى حَيدره ، فذكر أنَّ أمَّ على فاطمةَ بنت أسد ولدت علياً وأبو طالبٍ غائب ، فسمَّته أسداً باسم أبيها ، فلمَّا قدم أبو طالب كرِهَ هذا الاسمَ وسمَّاه علياً ، فلما كان يومَ خيبر ورَجَز علىٌّ ذكر الاسم الذى سمتَّه به أُمه ، فكأنه قال : أنا الأسد . اهـ .

ومثله فى صحاح الجوهرى .

وقال السهيلى (فى الروض الأنف [٢]) . فى قول علىّ : « سمتن أُمى حيدره » ثلاثة أقوال ، ذكرها قاسم بن ثابت .

أحدها : أنَّ اسمَه فى الكتب المتقدِّمة أسد ، والأسد هو الحيدرة .

الثانى : أنَّ أمة فاطمة بنت أسد حينَ ولدته ، كان أبوه غائباً ، فسمَّته باسم أبيها أسداً ، فقدِم أبوه فسمَّاه علياًّ .

---

(١) ش : « المبيدى » ، صوابه بالذال المعجمة ، نسبة إلى ميبذ ، قال ياقوت : « بالفتح ثم السكون وضم الباء الموحدة وذال معجمة : بلدة من نواحى أصبهان » . وهو الحسين بن معين الميبذى المتوفى فى سنة ٨٧٠ . لكن ذكر فى كشف الظنون أن هذا الشرح بالفارسية . فلعله شرحه مرة بالفارسية ، وأخرى بالعربية ، كما يتضح من نقل البغدادى عنه .

(٢) الروض الأنف ٢ : ٢٤٢ .

الثالث : أنَّه كان لُقِّب فى صغره بحيدرة ، لأنَّ الحيدرة الممتلئ لحماً مَعَ عِظَم بطن ، وكذلك كان رضى الله عنه ، ولذلك قال بعض اللُّصوص حين فرَّ من سِجنه الذى كان يسمَّى نافعا ، وقيل فيه بالياء أيضاً :

ولو أنِّى مكثْتُ لهم قليلاً

لجرُّونى إلى شيخٍ بَطيـنِ

انتهى .

فعلى القولين الأوَّلين يكون من التعبير بالمترادف .

قال ابن السيد البطليوسى (فى شرح أدب الكاتب) : أراد أنا الذى سمَّتنى أمِّى أسداً ، فلم يمكنه ذكر الأسد من أجل القافية ، فذكر حيدرة ، لأنه اسمٌ من أسمائه . وإنما قلنا ذلك لأنَّ أمَّه لم تسمِّه حيدرة ، وإنما سمَّته أسداً . انتهى .

والبيت من رجزٍ لعلى رضى الله عنه ، قاله يوم خَيبر . رُوى أنَّ مرحباً اليهودىَّ خرج يومَ خيبر وهو يَخْطِر وعليه مِغفرٌ يمانىٌّ ، وحَجَرٌ قد ثقَبه مثلُ البيضة على رأسه ، وهو يرتجز ويقول : صاحب الشاهد

قد علمتْ خَيبرُ أنِّى مَرحبُ ... شاكى السلاح بطلٌ مجرَّبُ

* إذا الليوثُ أقبلت تَلهَّبُ [1] *

فبرز له علىٌّ عليه السلام وعليه جُبَّةٌ حمراء قد أخرج خَمْلها ، وهو يقول :

أنا الذى سَمَّتنِ أمِّ حَيدره

ضِرغامُ آجامٍ وليث قَسْوَره

(١) ط : « تلتهب » ، صوابه فى ش .

عَبْلُ الذِّراعين شديدُ القَصَره
كليثِ غاباتٍ كريهِ المَنْظَره
أضرِبُ بالسيفِ رِقَابَ الكَفَرَه
أُكِيلُهمْ بالسَّيف كَيلَ السَّندره

وروى أيضاً :

* أُوفِيهمُ بالصَّاع كيلَ السَّندره *

وزاد الحسين المَيْبُذِىّ [١] فى روايته :

أضربُكمْ ضرباً يُبين الفِقَره
وأتركُ القِرْنَ بقاعٍ جَزَره
أشفي صدرى من رؤوس الكفره [٢]
أقتلُ منهم سبعةً أو عشره

* فكلُّهم أهلُ فُسُوقٍ كَفره *

وقد رُوى أبياتُ مرحب على غير ما ذكرنا وهى :

إنَّـا أُنـاسٌ ولدتْنـا عَبهره
لِبَاسُنَا الوَشْىُ ورَيْطُ حِبَره [٣]

* أبناءُ حربٍ ليس فينا غَدَره *

(١) ش : « الميبدى » وانظر ما سبق من تحقيق ص ٦٤ .

(٢) كذا ورد صدر هذا البيت ، ولا يستقيم به الوزن . ولعله « صُدَيرِى » بالتصغير ، أو « صدورى » تعبيراً بالجمع عن المفرد .

(٣) ط : « لنا سنا الوشى » ، صوابه فى ش .

وقال : العَبهرة : المرأة الحسناء . والوَشى من الثياب معروف . والرَّيطة : الملاءة . والحِبَرةُ : البرد اليمنىّ . وغَدَرة : جمع غادر . والجَزَرة بفتحتين : ٥٢٥ اللحم الذى تأكله السِّباع (١) ، والجمع جَزَر ، يقال تركوهم جَزَراً ، أى قتلوهم . اهـ .

والسَّندرة : بفتح السين المهملة وسكون النون ، قال السُّهيلى : شجرةٌ يُصنَع منها مكاييلُ عِظام . وقال ابن السِّيد البطليوسى : قال ابنُ قتيبة : (فى شرح الحديث) : السَّندرة شجرةٌ تُعمل منها القِسىّ والنَّبل ، فيحتمل أن يكون مِكيالاً يتخذ من هذه الشجرة يسمى باسمها ، كما تسمَّى القَوس نَبعةً باسم الشجرة التى أُخِذَتْ منها . قال : ويحتمل أن يكون امرأةً كانت تكيل وافياً أو رجلا . وذكر أبو عُمَرَ المَطرِّز (فى كتاب الياقوت) : أنَّ السندرة امرأة . انتهى .

وفى (العباب للصاغانى) : السّندرة : اسم امرأةٍ كانت تبيع القمح وتُوفى الكيلَ . والسندرِىُّ : مكيالٌ ضخم كالقَنْقَل والجُراف . وقال ثعلب فى قول على رضى الله عنه :

أنا الذى سمتنِ أمِّى حَيدره
كليثِ غاباتٍ كريِه المَنْظَره
أكيلُكم بالسَّيف كيلَ السَّندره
أطعنُ بالرمح نُحُورَ الكَفَرَه

لم تختلف الرُّوَاة أنَّ هذا الرجز له ، واختلفوا فى السندرة ، فقال ابن الأعرابىّ : هى مكيال . أى أقتلُكم قتلا واسعاً كثيراً . وقال غيره : هى امرأةٌ كانت تُوفِى الكيلَ . أى أقتلكم قتلا وافياً . انتهى .

(١) ط : « يأكله السباع » .

والضِّرغام واللَّيث بمعنى الأسد . والآجام والغابات [١] : جمع الأجمة والغابة ، وهما الشجر الكثير الملتفّ أو القصب مثله ، يكونان مأوى الأُسد ؛ إشارة إلى فرط قوَّته ومنعة جانبه ، حيث لم يكتفِ بأجمةٍ بل حَمَى آجاماً وغابات . وليث الأول مضاف إلى قسورة ، والقسورة هنا أوَّل الليل ، ذكر هذا المعنى صاحب العباب . ويأتى بمعنى الأسد أيضاً ، وهو من القَسْر ؛ لأنه يأخذ فريسته قَهراً وغلبة ، ويجوز على هذا أن يقرأ بتنوين ليث ، فيكون قسورة وصفاً له . والقَصْوَرة لغة فى القَسْوَرَةِ ، وفسَّره شارح الديوان برامى السَّهم ، وفى التنزيل : ﴿ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ [٢] ﴾ . قيل : من أسَد . وقال ابن عبَّاس : القسورةُ : رِكز الناس وحِسُّهم . وقال غيره : هم الرُّماة الذين يتصيَّدونها . وقال : المعنى كأنهم حُمر نَفَّرَها [٣] من يَقْسِرها برمى أو صيد أو غير ذلك . والعَبْل بفتح العين المهملة وسكون الموحدة : الضَّخْم . والقَصَرة ، بفتح القاف والصاد المهملة . أصل العُنق . ورواه أبو عمرو الشيبانى :

* كليثِ غاباتٍ غليظِ القصَرَه *

وأخطأ شارح الديوان بتفسيره إيَّاه بأصل الأذن . و الفِقَرةُ بكسر الفاء وفتح القاف : جمع فِقْرة بسكون القاف ، وهى خَرزة الظهر . والفَقارة بالفتح أيضاً هى خَرَزة الظهر . والقِرْن بكسر القاف وسكون الراء ، هو المقاوِم فى قتال أو عِلم أو غيرهما . وقول مرحب : شاكى السِّلاح ، قال صاحب المصباح : الشوكة : شدة البأس والقوة فى السلاح . وشاك الرجل يَشَاك شوكا ، من باب خاف : ظهرت شوكته وحِدّته . وهو شائك السِّلاح ، وشاكى السلاح على القلب .

---

(١) والغابات ، ساقط من ش .

(٢) الآية ٥١ من المدثر .

(٣) ش : « أنفرها » .

و (فى سيرة ابن سيِّد الناس) أنَّ مرحباً لمَّا رجز :

* قد عَلمتْ خَيبرُ أنى مرحبُ *

أجابه كعبُ بن مالكٍ شاعر رسول الله ﷺ :

قد علمتْ خَيبرُ أنِّى كعبُ

مفرِّج الغَمَّا جرىء صُلُبُ [1]

فى أبيات . وهذا هو الصحيح ، فإنَّ أجوبة الأرجاز فى الحرب إنما هى ٥٢٦ على القافية ، فيكون رجز علىّ رضى الله عنه جواباً عن قول مرحب :

* إنا أناسٌ ولدتنا عَبهرهْ *

كما رواه حسين المَيْبُذِىُّ [2] . ولم يذكر الشامىُّ هذا فى سِيرتِه ، وذكر فى قتل مرحبٍ رواياتٍ مختلفة .

وخَيبْر : اسم ولايةٍ مُشتملةٍ عَلَى حُصون ومزارعَ ونخل كثير ، على ثلاثة أيامٍ من المدينة ، عَلَى يسار الحاجّ الشامى ، سمّيت باسم أول من نَزَلَها ، وهو خيبر أخو يثرب ، ابنا أخى عاد . وكانت غزوة خيبر فى آخر السنة السادسة من الهجرة قبل فتح مكة شرفها الله تعالى ، فإنَّ فتحها كان فى سنة ثمان من الهجرة .

واعلمْ أنَّ العلماء قد اختلفوا فى الشِّعر المنسوب إلى على رضى الله عنه ، قال المازنى : إنه لم يصحّ أنّه عليه السلام تكلَّم بشىء من الشعر غير هذين البيتين . وصوّبه الزمخشرى ، وهما :

---

(١) وكذا فى السيرة ٧٦٠ . والغما : مقصور الغماء بالمد وفتح الغين وتشديد الميم ، ومثلها « الغمى » بضم الغين .

(٢) ش : « الميبدى » ، وانظر ما سبق فى حواشى ص ٦٤ .

تِلكُمْ قُريشٌ تمنّانى لِتقتلَنى
فلا وربِّكَ ما برُّوا ولا ظَفِروا
فإنْ هلكتُ فرهنٌ ذِمَّتى لهمُ
بذات وَدْقينِ لا يَعفُو لها أثرُ

كذا قال صاحب القاموس . وفسَّر ذات ودقين بالدَّاهية ، قال : كأنّها ذات وجهين . ووَدقين بفتح الواو وسكون الدال وفتح القاف . ويَرِدُ على المازنىّ والزمخشرى ما نقلناه آنفاً عن ثعلب من كون الرُّواة لم يختلفوا فى الرجز الذى منه البيتُ الشاهد أنّه له عليه السلام ، ويؤيده أنه مذكورٌ فى جميع كتب السير والمغازى .

على بن أبى طالب

وعلى بن أبى طالب ، رضى الله عنه وكرَّم وجهه ، قال ابن حجر (فى الإصابة) : هو ابنُ عمِّ النبى ﷺ ، وأبو الحسن ، وأوَّل الناسِ إسلاماً فى قول الكثير من أهل العلم ، وُلِدَ قبل البَعْثة بعشْرِ سنينَ على الصحيح فَربِىَ فى حجر النبى ﷺ ولم يفُارقْه ، وشهد معه المشاهدَ إلّا غزوةَ تبوك ، فقال له بسبب تأخيره له بالمدينة : « ألَا ترضى أن تكونَ منِّى بمنزلة هارون من موسى » الحديث . وزوَّجه بنتَه فاطمة ، وكان اللواء بيده فى أكثر المشاهد .

ولما آخى النبى ﷺ بين أصحابه قال له : « أنت أخى » .

ومناقبه كثيرة ، حتى قال الإمام أحمد : لم يُنقل لأحدٍ من الصَّحابة ما نقل لعلىٍّ . وقال غيره : وكان سبب ذلك تنقيصَ بنى أميّة له ، فكان كلُّ مَن كان عنده عِلمٌ من مناقبه من الصَّحابة يبثُّه ، وكلما أرادوا إخماده وهَدّدوا

مَنْ حدَّث بمناقبه لا يزداد إلّا انتشاراً . و ـ خصائص علىّ رضى الله عنه [قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم [(١)]] يوم خَيبر : « لأدفَعَنَّ الرايةَ غداً إلى رجل يحبُّ اللهَ ورسوله ، يفتح الله على يديه » . فلما أصبحَ رسولُ الله ﷺ غَدَوْا كلُّهم [(٢)] يرجو أن يُعطَاها ، فقال ﷺ : « أين علىُّ بن أبى طالب » ؟ فقالوا : يشتكى عينَيه . فأتى به فبصق فى عينيه ودعا له ، وأعطاه الراية . أخرجاه فى الصحيحين . وبعثَه لقراءة براءة على قريش ، وقال : « لا يذهبْ إلّا رجلٌ منِّى وأنا منه » . وقال لبنى عمه : « أيُّكم يوالينى فى الدنيا والآخرة » ؟ فقال على : أنا . فقال [(٣)] : « إنَّه وليِّى فى الدنيا والآخرة » ، وأخذ رداءه فوضعه على علىّ وفاطمة وحَسن وحسين ، وقال : ﴿ إنما يريدُ اللهُ ليُذهِبَ عنكم الرِّجْسَ أهْلَ البَيْت [(٤)] ﴾ . ولبس ثوبه ونام مكانه ، وكان المشركون قَصدُوا قَتْلَ النبِّى ﷺ ، فلما أصبحوا رأوه ، قالوا : أين صاحبك ؟ وقال له ٥٢٧ فى غزوة تبوك : « أنتَ منِّى بمنزلة هرونَ من موسى ، إلا أنَّكَ لستَ بنبىّ » ، أى لا ينبغى أن أذهب إلّا وأنت خليفتى . وقال له : « أنت ولىُّ كلِّ مؤمنٍ بعدى » . وسدَّ الأبوابَ إلّا بابَ علىٍ ، فيدخل المسجد جُنباً وهو طريقهُ ليس له طريقٌ غيره . وقال : « من كنتُ مولاه فعلىٌّ مولاه » .

وأخرج الترمذىُّ بإسنادٍ قوىٍّ عن عمران بن حصين فى قصةٍ قال فيها : قال رسول الله ﷺ : « ما يريدون من علىّ ، إنَّ عليًّا منى وأنا من علىّ ، وهو ولىّ كلِّ مؤمن بعدى » .

---

(١) التكملة من الإصابة .
(٢) وكذا فى الإصابة ، وفى ش « وكلهم » .
(٣) فى الإصابة : « فأبوا فقال على أنا » .
(٤) الآية ٣٣ من الأحزاب .

واستُشهد فى ليلة التاسعَ عشرَ من شهر رمضان سنة أربعينَ من الهجرة . ومدة خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر ونصف شهر . انتهى كلام الإصابة مختصراً .

ومناقبه العديدةُ ، وسِيَرهُ الحميدة ، لا يحتملها هذا المختصَر . وقد ألَّف العلماء فيها تآليف عديدة لا تُعَدُّ ولا تحصى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والثلاثون بعد الأربعمائة [١] :

٤٣٢ (القاتِلِى أنتَ أنا)

وهذا بعضُ بيتٍ وضعه بعضُ النحاة للتعليم ، كما فى (سفر السعادة) ، وهو :

(كيف يخفى عَنْك ما حَلَّ بنا
أنا أنتَ القاتِلِى أنت أنا)

وروى أيضاً :

* أنا أنت الضاربى أنت أنا *

واقتصر الشارح المحقِّق عَلَى هذا القدر لتعلُّق غرضه به ، ولم يُورِده بتمامه لشهرته وخطأ قائله ، فإنّه كان يجب أن يقول القاتِلُه بالهاء لا بالياء ، ليكون التقدير : الذى قتلتَه أنا . لأنَّ أل فى القاتل اسم موصول بمعنى الذى ، وحق العائد أن يكون بضمير الغائب لا بضمير المتكلم ؛ لئلاً يصير الإخبار لغواً ،إذ التقدير : الذى قتلتنى ، فيصير من قبيل الذى ضربتَ أنا .

وقد ذكر أنه لا يجوز الحمل على المعنى . قال ابن السرَّاج (فى

(١) لم أجد له مرجعا آخر غير ما نص عليه البغدادى . وقد خرجه فى سفر السعادة وتذكرة أبى حيان .

الأصول) : لا يجوز الذى ضربتك أنت ، ولا الذى ضربتنى أنا . فإن قدمّت نفسك قبل الذى ، قلت : أنا الذى ضربتُك ، وأَنا الذى ضربتنى . قال أَبو عثمان المازنىّ : ولولا أنَّ هذا حُكى عن العرب الموثوق بعربيتهم ردَدْناه لِفَساده .
ومما جاء فى الشِّعر فى صلة الذى محمولا على معناه لا لفظه ، قوله :

وأَنا الذى قَتَّلتُ بكراً بالقنا
وتركتُ تغلبَ غيرَ ذاتِ سَنامِ

ولو حُمل على لفظه لقال قَتَّل . وليس كل كلام يحتمل أن يُحمَل على المعنى . انتهى .

وقد جوّزه أبو ذَرٍّ مُصعَب بن أبى بكر الخشَنى ، حكاه عنه أبو حيان : (فى الارتشاف) قال : يُجيز عودَ الضمير مطابقاً للمخبر فى الخطاب والتكلم ، بحمله على المعنى . قال : ورُدَّ عليه بأنه يلزم منه أَنْ تكون فائدة الخبر حاصلةً فى المبتدأ . وذلك خطأ .

وقال ناظر الجيش (فى شرح التسهيل) : المبتدأ يُخبر عنه مظهراً كان أو مضمراً ، بمتكلِّم أو مخاطَب أو غائب ، فيقال فى الإخبار عن هو ، من قولك : هو قائم هو ، وفى الإخبار عنه إذا كان لمتكلِّم أو مخاطب خلافٌ ، والأصحُّ الجواز . والضّمير الذى يؤتى به خَلَفاً يكون ضميرَ غيبة . وأجاز الكسائى : الذى أَنا قائم أَنا ، والذى أَنت قائم أَنت . والكسائى نظر إلى المعنى . ولا شك أَنَّ هذه المسألة نُقلت إلى مسألة أَنت الذى قام وأَنا الذى قام ، حيث يجوز فيها . أَنت الذى قمت ، وأَنا الذى قمتُ ، ولكن شرط مُراعاة المعنى فى هذه المسألة تقدُّم الضمير على الاسم الموصول ، فلو تقدَّم الموصول على الضمير لم يجز مُراعاةُ المعنى إلّا عند الكسائى ، ومن ثم أجاز : الذى أَنا قائم أَنا ، والذى أَنت قائم أنت . انتهى . ٥٢٨

وإذا وقفتَ على هذا علمتَ أنَّ ما ردَّه الشارح المحقّق وأبو حيّانَ ليس بوجهٍ ، لأنه قولٌ لإمام الكوفيين وغيره ، فناظم البيت تابعٌ لهما . غايته أنه مخالفٌ لقول الجمهور .

وقد أعرب هذا المصراعَ بوجهين أبو محمد عبد الله ، الشّهير بابن بَرِّىّ ، كما نقله عنه صاحب (سِفْر السعادة) قال : أحد الوجهين أن تجعل الألف واللام لأنا ، والفعلَ لأنت . فأنا على هذا [١] مبتدأ وأنت مبتدأ ثان ، والقاتلى [٢] مبتدأ ثالث لأنّه غير أنت ؛ إذ الألف واللام لأنا . والعائد على الألف واللام الياء فى القاتلى ، لأنها أنا فى المعنى ، وأنت فاعل بالقاتلى ، أبرِز لمَّا جرى الوصفُ على غير مَنْ هُوَ له ، إذ الألف واللام لأنا ، والفعل لأنت ، فأنا على هذا مبتدأ وأنتَ مبتدأ ثان ، والقاتلى [٣] خبر أنت ، ولا يُبرز الضمير فيه ، لأنّه جرى على مَنْ هو له ، ويكون الكلام قد تَمّ عند قوله القاتلى ، ويكون أنت أنا على طريق المطابقة للأوَّل ، ليكون آخر الكلام دالاً وجارياً على أوّله . ألا تراه قال فى أول الكلام : أنا أنت ، ولهذا قال فى آخره : أنت أنا ، أى كيف أشكو ما حلَّ بى منك وأنا أنت وأنت أنا ، فإذا شكوتك فكأنما أشكو نفسى . قال : ولو جعلت الألف واللام والفعل فى هذه المسألة لأنا ، لقلت : أنا أنت القاتلك أنا ؛ فأنا مبتدأ وأنت مبتدأ ثان ، والقاتلك مبتدأ ثالث ، لأنه غير أنت وفيه ضميرٌ يعود على الألف واللام التى هى أنا فى المعنى . ولم يبرز الضمير الذى فى القاتلك . والقاتلك وخبره خبر أنت ، وأنت وخبره خبر أنا . ا هـ .

وقد أورد أبو حيان هذا البيت (فى تذكرته) ، واقتصر فى إعرابه على

---

(١) على هذا ، ليست فى ط .

(٢) ما بعده إلى « والقاتلى » التالية ساقط من ش .

(٣) إلى هنا ينتهى سقط ش الذى نبهت عليه فى الحاشية السابقة .

الوجه الأوّل من وجهَىْ قولِ ابن بَرىّ ، قال : أنا الأوّل مبتدأ ، وأنت الأول مبتدأٌ ثان ، والألف واللام لأنا ، وقاتلى لأنت . فقد جرى اسم الفاعل صلةً على الألف واللام التى هى أنا ، فأبرز ضميره وهو أنت . فأنت يرتفع بقاتلى ، وأنا خبر عن الألف واللام ، وهى وما بعدها خبر عن أنت الأوّل ، وهو وما بعده خبر عن أنا الأوّل ، والعائد إلى أنا الأوّل أنا الثانى ، والياء فى القاتلى عائدةٌ على الألف واللام . انتهى .

وقد أجاب بالوجه الأوّل نظماً أبو بكر بن عمر بن إبراهيم بن دَعَّاس [١] الفارسىُّ ، فإنّه سأله بعضهُم عنه بِقوله :

أيُّها الفاضل فينـا أفْتِنـا
وأزِلْ عنـا بفتـواك العَنـا
كيف إعرابُ نُحَاةِ النّحو فى :
أنا أنت الضاربى أنت أنا

فأجابه بقوله :

أنا أنت الضاربى مبتدأ فاعتبرها يا إماماً لَسِنا [٢]
أنتَ بعد الضاربى فاعله وأنا يُخبَر عنه عَلَنا
ثم إنَّ الضاربى أنت أنا خبرٌ عن أنت ما فيه انثِنا
وأنا الجملةُ عنه خبرٌ وهى مِن أنت إلى أنت أنا

(١) فى النسختين : « دعابس » ، صوابه من البغية ٢٠٥ وتاج العروس (دعس) ، قال الزبيدى « والفقيه أبو بكر بن دعاس كشداد : أحد الأمراء بزبيد . وإليه نسبت المدرسة بها » .

(٢) فى البغيه : « سننا » .

٥٢٩ وأبو بكر هذا كان فقيهاً حنفيًّا أديباً شاعراً ، نال من إمام اليمن المظفَّر حُظوة حتَّى اختصَّ به ، ثم طردَه ، لإدلالٍ تكرَّرَ منه ، من تَعِزَ إلى زَبِيد ، فمات بها فى جمادى الآخرة سنة سبعٍ وستين وستمائة . وكان أهلُ زَبِيد ينسبونَه إلى سَرِقة الشعر ويقولون : إذا حُوسب الشعراء يومَ القيامة يؤتى بابن دعَّاس [1] فيقول : هذا البيتُ لفلانٍ ، وهذا المصراع لفلان ، وهذا المعنى لفلان . فيخرج بريئاً . كذا فى معجم النحويِّين للسيوطى .

أبو بكر بن دعاس

ابن برّى

وأما أبو محمد ابن بَرِّيٍّ فهو عبد الله بن برىّ بن عبد الجبار المقدسىّ المصرىّ الشافعىّ النحوىّ اللغوىّ ، كان قيِّماً بهما وبالشَّواهد ، ثقة . قرأ عليه الجُزُولى [2] . وصنَّف الردّ على ابن الخشاب فى ردِّه على الحريرى فى مقاماته ، وكتابَ الردِّ على دُرَّة الغواص للحريرى [3] ، وحَواشىَ على صحاح الجوهرى . قال الصَّفَدِىُّ : لم يُكْمِلها ، بل وصل إلى (وقش) ، وهو ربُع الكتاب ، فأكملها الشيخ عبد الله بن محمد البَسْطى . مات فى ليلة السبت السابعةِ والعشرين من شَوَّال سنة ثنتين وثمانين وخَمسمائة . وأقرأ كتابَ سيبويه ، وتصدَّر بجامع عمرو . وكان مع غزارة علمه ودِقَّة فهمه ذَا غفلةٍ وبلاهة ، تحكى عنه حكاياتٌ عجيبة . كذا فى معجم النحويين للسيوطى .

---

(١) فى النسختين : « دعابس » ، وانظر ما سبق من تحقيق .

(٢) هذا هو الصواب . وفى بغية الوعاة : « قرأ على الجزولى » ، ولا يستقيم ، فإنّ الجزولى توفى سنة ٦٠٧ ووفاة ابن برى سنة ٥٨٢ .

(٣) هذا هو الصواب . وفى البغية : « وصنف اللباب ، فى الرد على ابن الخشاب ، فى رده على الحريرى فى درة الغواص . الرد على الحريرى فى درة الغواص » .

وبَرِّىّ بفتح الموحدة وتشديد الراء والياء ، وهكذا ضبطه ابن حجر (فى مشتبه النسبة) .

وأمَّا مُصعبٌ الخشَنى ، فهو محمد بن مسعود الخُشَنىُّ الأندلسى الجَيَّانى ، كان أحد الأئمة المُتْقنين ، وأحد المعْتَمَدين فى الفقه والأدب ، إماماً فى العربية ؛ جالَ الأندلسَ فى طلب العلم . مصعب خشنى

ورَوَى عن ابن قُرقُول [١] وابنِ بَشْكُوال [٢] ، وعبد الحقِّ الإشبيلىّ ، وأجاز له السِّلَفى ، وولى قضاءَ بلده . ولم يكن فى وقته أتمُّ وقاراً ولا أحسنُ سَمْتاً منه . واتفقوا على أنَّه لم يكن فى وقته أضبطُ منه ولا أتقَنُ فى جميع علومه حفظاً وقلماً [٣] . وكان نَقَّاداً للشِّعر ، مطلقَ العنان فى معرفة أخبار العرب [٤] وأيَّامها ، وأشعارها ولغاتها ، متقدِّماً فى كل ذلك .

والخُشَنى ، بضم الخاء وفتح الشين المعجمتين وبالنون : نِسبْةٌ إلى خُشَين كقريش : قرية بالأندلس ، وقبيلة من قضاعة ، وهو خُشَينُ بن النمر بن وَبْرة بن تغلِب بن عِمران بن حلوان بن الحافِ بن قُضاعة . كذا فى معجم النحويين للسيوطىّ [٥] .

---

(١) فى تاج العروس : « بن قرقول كعصفور ، مصنف مطالع الأنوار ، تلميذ القاضى عياض ، وقد ذكره المصنف فى جؤنة . وهو أبو اسحاق إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن باديس بن القائد الحمزى . ولد بالمرية من الأندلس سنة ٥٠٥ وتوفى بفاس سنة ٥٦٩ . وفى البغية ٣٩٢ : « ابن قوقل » ، صوابه ما هنا .

(٢) ابن بشكوال ، هو خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال الخزرجى القرطبى . ولد سنة ٤٩٤ وتوفى سنة ٥٧٨ بقرطبة . وفيات الأعيان .

(٣) أى كتابة وتأليفا .

(٤) فى الأصل : « وكان نقادا للشعر ومعرفة أخبار العرب » . وتصحيحه وإكماله من بغية الوعاة .

(٥) الكلام على نسب الخشنى ، لم يرد فى ترجمة مصعب الخشنى من بغية الوعاة فى طبعتها .

علم الدين السخاوى

وأما صاحب سِفر السعادة فهو أبو الحسن علىّ بن محمد بن عبد الصمد الهَمْدانى ، الملقب عَلَم الدِّين السَّخاوىّ ، من سَخَا إحدى بلاد مصر من إقليم المحَلّة . كان فقيهاً شافعيّاً ، إماماً فى القراءات والتفسير والنحو . وصنَّف تصانيف كثيرة منها : شرحُ الشاطبية . وتفسير القرآن فى أربع مجلدات . وشَرَح المفصَّل شرحين . وسِفر السعادة وسفير الإفادة . وشَرْح أحاجى الزَّمخشرى النحوية ، وغير ذلك . وكان مولده سنةَ ثمانٍ أو تسعٍ وخمسين وخمسمائة ، ومات بدِمَشق ليلة الأحد ثانى عشر جمادى الآخرة سنة ثلاثٍ وأربعين وستمائة ، بمنزله بالتُّربة الصالحية ، ودفن بقاَسِيُون . كذا فى طبقات الأسنوىّ [١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثلاثون بعد الأربعمائة [٢] :

٤٣٣ (من النَّفر اللائى الذين إذا اعْتَرَوْا

وهابَ الرِّجالُ حَلْقَةَ البابِ قَعْقَعُوا)

٥٣٠ على أنَّه من باب التكرير اللفظى ، كأنّه قال : من النفر اللائى اللائى .

على أنه قد رواه الرُّواة : « من النفر الشُّمّ الذين » .

قال ابن السَّرَّاج (فى الأصول) : العرب لا تجمع بين الذى والذى ، ولا ما كان فى معنى الذى . وأما ذلك فشئ قاسَه النحويون ليتدرَّب به المتعلّمون . وكذا يقول البغداديّون الذين على مذهب الكوفيِّن ، يقولون : إنه ليس من كلام العرب ، ويذكرون أنه إذا اختلفَ [٣] جاز . وينشدون :

---

(١) علق عليه الميمنى فى الإقليد ٧٤ بأنه « عند بعض بخلاء لكنو » .

(٢) المقتضب ٣ : ١٣٠ ، ١٣١ والبيان للجاحظ ٣ : ٣٠٦ .

(٣) ط : « إن اختلف » ، وأثبت ما فى ش .

مِنَ النفر اللائى الذين إذا همُ
يَهابُ اللِّئَامُ حَلْقَةَ البابِ قعقعوا

قالوا : فهذا جاء على إلغاء أحدهما . وهذا البيت قد رواه الرُّواة ولم يجمعوا بين اللائى والذين . ويقولون عَلَى هذا : مررت بالذى ذو قال ذاك ، على الإلغاء . وهذا عندى أقبح ، لأنَّ الذى يَجعل ذو فى معنى الذى : طَيِّىء ، فكيف يُجمع بين اللغتين . ولا يجيزون الذى مَن قام زيد على اللَّغو ، ويحتجُّون بأنّ مَن تكون معرفة ونكرة ، ويجيزون بالذى القائم أبوه على أن يجعل الألف واللام للذى ، وما عاد من الأب على الألف واللام ، ويخفض القائم [١] يتبع الذى . وهذا عندنا غير جائز ، لأن الذى لابدَّ لها من صلة توضّحها ، فمتى حُذفت الصلة فى كلامهم فإنما ذاك لأنّه قد علم . وإذا حذفت الصّلة وهى التى توضحه ولا معنى له إلا بها ، كان حذف الصفة أولى ، فكيف تحذفُ الصِّلة وتترك الصفة . ا هـ .

وجميع ما أورده الشارحُ المحقِّق هنا من مسائل الإخبار عن الذى فهو (من الأصول) ، وهو بالنسبة إلى ما فيه قليل من كثير .

وقد أورد البيتَ الفَرّاءُ فى سورة الذاريات (من تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ إنّه لحقٌّ مِثْلَ ما أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ [٢] ﴾ . قال : قد يقول القائل : كيف اجتمعت ما وأنَّ ، وقد يكتفى بإحداهما عن الأخرى ؟ فوجهه أنّ

(١) ش : « ويخفض القائم » .

(٢) الآية ٢٣ من الذاريات .

العرب تجمع بين الشيئين من الأسماء والأدوات إذا اختلف لفظُهما . فمن الأسماء قولُ الشاعر :

* من النَّفر اللائى الذين إذا هُم * البيت

فجمع بين اللائى والذين ، وأحدهما يجزئ مِنَ الآخر . انتهى كلامه .

وأورده أبو على أيضاً (فى إيضاح الشعر) فى موضعين ، قال فى الموضع الأوّل : اعلم أنّه لا يجوز أن يكون الذين [1] صلة اللائى ، كقولك : الذى الذى فى داره زَيدٌ عمرو ، لأنّه ليس فى ظاهر صلة الذينَ ما يرجع إلى اللائى . وقد جاء فى التنزيلِ وَصْلُ الموصول بالموصول على ما يحمل النحويُّون عليه مسائلَ هذا الباب . زعموا أنَّ بعض القراء قرأ : ﴿ فاستغاثَه الذى مَنْ شيعَتهُ [2] ﴾ .

وقال فى الموضع الثانى : فأمَّا قوله من النفر اللائى الذين ، فإنَّ اللائى وإن لم يعُدْ عليه ذكرٌ من اللفظ فإنه يجوز أن يكون حذَفَ الراجع من الصِّلة كأنه قال : اللائى هم الذين . ويجوز أن يكون حذف الصلة لأنَّ صلة الموصول بعدَه تدلُّ عليها ، كقول الآخر :

مِن اللَّواتى والتى واللاتِى زعَمْنَ أَنى كَبِرتْ لِدَاتى [3]

فلم يأت للموصولين الأوّلين بصلة . ويجوز فيه وجهٌ آخر ، وهو أنَّ البغداديين قد أجازوا فى هذه الموصولة من نحو الذين أن يُوصَف ولا يوصَل ،

---

(١) فى الأصل : « الذى » فى هذا الموضع وتاليه ، والوجه ما أثبت .

(٢) الآية ١٥ من القصص .

(٣) هو الشاهد ٤٤٧ فيما سيأتى .

كإجازة الجمِيع ذلك فى مَنْ وما (١) . وقد أنشد أبو عثمانَ عن الأصمعىّ :

٥٣١

حتى إذا كانا هما اللذَين
مثلَ الجديلَين المحَمْلجَينِ (٢)

واللاتى واللائى من الأسماءِ الموصولة ، وهما يقعان على المؤنَّث ، ولم نعلم اللاتى استُعمِلَتْ فى المذكر . فأمَّا اللائى فقد استعمل فى المذكَّر ، قال :

ألمَّا تعجبى وتَرَىْ بطيطاً
من اللائينَ فى الحِقَبِ الخَوالى (٣)

ولو كان يختصُّ بالمؤنّث لم يُجَمع بالواو والنون . ويدلُّ على تذكير اللائى أيضاً قوله : من النفر اللائى الذين ، ألا تَرى أنّه جعله وصفاً للنفَر والنَّفرُ مذكر . وأمَّا هُم فى البيت فإنّه يرتفع بمضمر يفسِّره قعقعوا ، والشرط قعقعوا المتأخر ، والتقدير إذا أُظهرت المضمر الذى ارتفع عليه الضمير : إذا قعقعوا قعقعوا ؛ لأنَّ الضمير يتصل بالفعل المضمر إذا أظهرتَه ، ولا يجوز أن يكون الشَّرط يهاب ، لأنه لا يجوز أن يُفَسِّرَ ما ارتفع عليه هم ، وإنما يفسِّره قوله قعقعوا (٤) . والتقدير : إذا قعقعوا حلقة الباب هابَ اللئامَ دقَّها ؛ لأنَّهم ليسوا على ثقة من الإذن لهم كما يثق هؤلاء النّفر الرؤساء بأنهم يُؤْذَن لهم . فقعقعوا وإن كان مؤخراً فى اللفظ فهو مقدَّم فى التقدير ، بدلالة أنَّه لا يخلو من أن تجعل الشرط إذا يهاب أو إذا قعقعوا . فلا يجوز الأوّل (٥) لأنّه لا يفسر

(١) ش : « فأجاز الجميع » ، صوابه فى ط : « فيمن وما » ، صوابه فى ش .
(٢) لم يعرف قائله . وانظر ابن يعيش ٣ : ١٥٣ والهمع ١ : ٨٦ .
(٣) أنشده فى اللسان (بطط) على أن البطيط بمعنى العجيب .
(٤) هذا كله على رواية « إذا هم يهاب اللئام » .
(٥) ش : « للأول » .

ما ارتفع عليه كما يفسّره قعقعوا . ألا تَرى أنّه مشتغِل بظاهر ، وإذا كان كذلك لم يجز من جهة اللفظ ، إن لم يمتنع من جهة المعنى ، أن تقول : إذا هاب اللئام دقّ الحلقة دَقَّها الكرام . فأمَّا صلة الموصول بإذا مع أنّ الذين يُعنَى بهم أعيان ، ولا يجوز الذى يوم الجمعة زيد ، كما يجوز الذى يوم الجمعة القتال — فإنّ الكلام محمول على المعنى ، كأنّه قال : الذين إن قعقعوا يهابُ اللئام ، فلذلك جاز . وهذا يدلُّ على جواز ما أجازه سيبويه من قوله : زيد إذا أتانى أضرب ، وأنه لا يكون بمنزلة زيد يوم الجمعة ، ولا زيد غداً . وعلى هذا قول أوس :

فقومى وأعدائى يظنُّون أننى
متى أحدثوا أمثالَها أتكلَّمِ (١)

مع أنَّه لا يجوز علمت أنَّ زيداً يوم الجمعة . فأمّا قوله إذا يَهابُ فجاء بالمضارع بعد إذا ، وأكثر ما يجىء فى الاستعمال الماضى ، فإنّ الأصل المضارع . ألا ترى أنّه يراد به الآتى ، فإذا جاء به على الأصل كان حسنا ، كقوله :

* إذا يراح اقشَعرّ الكشْحُ والعَضُدُ *

انتهى كلام أبى على .

وقوله : « إذا اعتَزَوْا » فى رواية الشارح المحقِّق ، بمعنى إذا انتسبوا . وروى أيضاً : « إذَا انتموا » من الانتماء ، بمعنى الانتساب . والشُّمُّ بالضم : جمع أشمَّ ، وهو الذى به شممٌ ، أى كِبْر ونخوةٌ ، وأصله ارتفاع الأنف ، وهو من صفة العُظماء .

---

(١) فى الأصل : « إذا أحدثوا » ، والصواب « متى » ، لأن النص يقتضى ظرفا جازما . والبيت من قصيدة مكسورة الروى فى ديوان أوس ١١٧ أولها :

تنكرتِ منا بعد معرفة لَمِى   وبعد التصابى والشباب المكرم

ورواية الديوان ١٢٢ والشعراء ١٥٦ : « متى يحدثوا أمثالها » .

وأورد هذا البيت بمفرده أبو على القالى (فى ذيل أماليه [١]) كذا :

من النفر البيض الذين إذا انتَمْوا وهابَ اللئام إلخ

وقال : البيض : السَّادة الذين لا عيبَ فيهم ، يُقْدِمون على أبواب الملوك بأحْسابهم ومواضعهم وكِبَر أَنْفُسهم ، ويَهابُها اللئام لخمولهم وقُصور هِممهم . انتهى .

وجميع من روى هذا البيت رواه : « مِنَ النفر البيض الذين » أو « مِن النفر الشُّمِّ الذين » . ولم أر من رواه : « من النَّفر اللائى الذين » إلَّا النحويين .

والنَّفَرُ : اسم جمع يقع على جماعةٍ من الرجال خاصّة ، ما بين الثَّلاثة إلى العشرة . ولا واحد له من لفظه . كذا فى النهاية . وإنما أُطلقه الشَّاعر هنا على الكرام إشارةً إلى أَنَّهم ذوو عددٍ قليل . واللئام : جمع لئيم ، وهو الشحيح ٥٣٢ والدنئ النَّفس ، والمَهِين . واللؤم : ضدّ الكرم . وروى بدله : « الرجال » . وحَلْقة الباب ، وحلقة القوم ، وهم الذين يجتمعون مستديرينَ ، كلتاهما بسكون اللام . وأما الحَلَقة بفتح اللام فهو جمع حالق . وقَعقعوا بمعنى ضَربوا الحلْقة على الباب لتصوِّت . والقعقعة : حكاية صوتِ الحَلْقة على الباب ونحوها .

صاحب الشاهد

وهذا البيتُ وقع فى شعرَين : أحدهُما ما رواه أبو سعيد السكّريُّ (فى كتاب اللصوص) قال : أخبرنى رُفَيع بن سَلَمة عن أبى عُبيدة [٢] ، قال :

---

(١) الأمالى ٣ : ١٦٤ .

(٢) فى الأصل : « أبى عبيد » وإنما يروى رفيع عن أبى عبيدة ، أستاذ أبى عبيد القاسم بن سلام قال المترجمون : « وكان أوثق الناس عن أبى عبيدة » . انظر طبقات الزبيدى ١٩٨ وإنباه الرواة ٢ : ٦ .

زعم النقْرى [١] أنَّ أبا الرُّبيس التَّعلبى ، من بنى ثعلبة بن سعد بن ذُبيان ، سَرق ناقةً كان عبدُ الله بن جعفر بن أبى طالب صَنَعها وعَلَفَها ، فسرقَها أبو الرُّبيس وقال :

(هَلْ تُبْلِغَنِّيهَا إذا ما طلبتها
غداً وانجلى عنّى الغطاءُ المقَنَّعُ
قصيرةُ فَضلِ النِّسعتين إذا رمى
بها الرَّعلَةَ الأولى الزَّميلُ المزعزَعُ
مطيَّةُ بطَّالٍ ، لدنْ شبَّ ، همُّه
قِمارُ الكِعاب والطِّلاءُ المشعشَعُ
من النَّفرِ البيض الذين إذا انتمَوْا
وهابَ الرجالُ حَلْقَةَ البابِ قَعْقعُوا
إذا النَّفرْ السُّودُ اليَمانون نمنموا
لهُ حَوْكَ بُرديَه أجادُوا وأوسعُوا)

قوله : « قصيرة فَضْل النِّسعتين » بكسر النون . يريد أنها تستوفى نسوعَها أى سيورَها ، لِعظَمها وسَعة جوفها . والرَّعلة ، بالفتح : القطعة المتقدِّمة . والزَّميل : الرِّدف . والمزعزَع : الذى يُزَعزِعُه السَّير . قال : فلما قال أبو الرُّبيس هذا الشعر ومدح به صاحبَ الناقة ادَّعتْ فتِيان قريش كلُّهم النّاقة ، وإنما كانت لعبد الله . قال : فعمَد رجلٌ من الموالى إلى نجيبةٍ فصنعَها

---

(١) كذا فى النسختين . فإن صح كان نسبة إلى نقر بن عمرو بن لؤى بن ذهن بن معاوية بن أسلم بن أحمس . جمهرة ابن حزم ٣٨٨ وأنساب السمعانى ٥٦٧ .

وعَلَفها وجعلَها فى موضع تلك الناقة ، رجاء أن يسرقها أبو الرُّبيس فيمدحَه ، فمرَّ بها أبو الرُّبيس فطردها ، وقال . قال أبو عبيدة : بل قال هذه الجَونُ المحْرِزىّ :

نجيبةُ عبدٍ دَانها القَتُّ والنَّوى
بيثربَ حَتّى نَيُّها متظاهرُ
فقلت لها سِيرى فما بك عِلَّةٌ
سَنامك مدمومٌ ونابكِ فاطرُ
فمثلِكِ أو خيراً تركتُ رَذِيَّةً
تقلِّب عينيها إذا طار طائرُ

دانَهاَ ، أى عوَّدها ، من الدِّين بالكسر ، وهو العادة . والنَّىُّ ، بفتح النون وتشديد الياء : الشّحم . والقَتُّ بفتح القاف وتشديد المثناة الفوقية : الفِصفِصة إذا يبسَتْ . وقال الأزهرى : حبٌّ برِّىٌّ لا ينبته الآدمى ، فإذا كان عامَ قحط وفَقدَ أهلُ البادية ما يقتاتون به من لبن وتمرٍ ونحوِه دقُّوه وطبَخوه واجتزَءوا به على ما فيه من الخشونة .

وقوله : سَنامُكِ مدمومٌ ، رواه أبو عبيد : « سَنامك مَلمومٌ » أى مجتمع . وفَطَر نابه ، إذا طَلَع . يقول : تقلِّب عينيها خوفاً من الطائر يَقع على دَبَرها فيأكلها لأنها دَبرت . رذيَّة : قد أرذاها وأدبرها [1] . وفى الصحاح : الرذية : الناقة المهزولة من السَّير . وقال أبو زيد : هى المتروكة التى حَسَرها السَّفَر ، لا تقدر أن تلحق بالركاب . والذكر رذىٌّ ، وقد أرذيت ناقتى ، إذا هَزلْتها وخَلَّفْتها .

وقوله : « مطيَّة بطَّال » ، إلخ يمدح عبدَ الله بن جعفر . يقول : هى

(١) ط : « وقد أرذاها وأدبرها » بزيادة الواو قبل « قد » .

مطيَّةُ شجاع همُّه اقتناء المعالى من يوم كَبِرَ وترعرع . والقِمارَ : المقُامرة .

٥٣٣ والكِعَابُ بالكسر : جمع كعب . والطِّلاء ، بالكسر : الخَمرُ . والمشعشَع : الممزوج بالماء . وهذان مدحٌ عند العرب .

وقوله : « من النَّفر البيض » مِن ابتدائية أو تبعيضية . يقول : ذلك البطّال من النفر البيض .

وأما الشعر الثانى فقد رواه جماعة منهم الجاحظ ، رواه (فى كتاب البيان والتبيين) ، قال : كان أُسَيْلِمُ بن الأحنفِ الأسَدى ذا بيان وأدب ، وعَقل وجاهٍ . وهو الذى يقول فيه الشاعر :

(أُسَيلِمُ ذاكُمْ لا خَفَا بمكانِه
لعينٍ تُرجِّى أو لأذنٍ تَسَمَّع

من النَّفر البيض الذين إذا انتمَوْا
وهابَ اللئامُ حَلْقةَ الباب قعقعوا

جلا الأذفر الأحوَى من المِسْك فرقَه
وطيبُ الدِّهان رأسَه فهو أنزَعُ

إذا النَّفر السُّود اليمانون حاوَلُوا
له حَوكَ برديهِ أدقُّوا وأوسَعوا

وهذا الشعر من أشعار الحفظ والمذاكرة . ا هـ .

وقال المبرد (فى الكامل) ، وتبعه صاحب كتاب (فضائل الشعراء [١]) : قال عبد الملك بن مروان لأُسَيْلِمَ بنِ الأحنف الأسدىّ : ما أحسنُ ما مُدِحْتَ به ؟ فاستعفاه ، فأبى أن يعفِيَه ، وهو معه على سريرٍ ، فلما أبى إلّا أن يخبره قال : هو القائل [٢] :

ألا أيُّها الرَّكبُ المخِبُّونَ هل لكمْ
بسيِّد أهلِ الشامِ تُحبَوْا وترجِعوا

من النَّفر البِيض الذين إذا اعتزَوْا
وهابَ الرجالُ حَلْقَةَ الباب قَعْقعوا

إذا النَّفرُ السُّود اليمانون نمنموا
له حَوْكَ بُردَيه أجادُوا وأوسَعوا

جلا المسكُ والحَمَّامُ والبِيضُ كالدُّمى
وفَرْقُ المَدارِى رأسهَ فَهْوَ أنزعُ

فقال له عبد الملك : ما قال أخو الأوس أحسنُ ممَّا قيل لك . اهـ .

أراد بقول أخى الأوس ، وهو أبو قيس بن الأسلت ، قولَه :

قد حصَّت البيضةُ رأسى فما
أطعَمُ نوماً غيرَ تَهجاعِ

أسعَى على جُلِّ بنى مالكٍ
كلُّ امرئ فى شأنه ساعى

(١) لم يذكر إلا فى هذا الموضع من الخزانة .

(٢) فى الكامل ١٠٣ : « قال قول القائل » .

واختُلف فى إسلام ابن الأسلت ، فقال العسكرىُّ : أدرك النبىَّ ﷺ ولم يُسْلم . وقال المرزُبانى : كان قد غَضِبَ من عبد الله بن أُبىّ ، فحَلف لا يُسلم شهراً ، فمات قبل ذلك ، فزعموا أنَّ النبى ﷺ بَعَثَ إليه وهو يموت : « قل لا إله إلا الله ، أشفعْ لك يوم القيامة » ، فسُمِعَ يقولها .

وهو من سادات الأنصار وشعرائهم ، وفرسانهم . وقد تقدَّمت ترجمته فى الشاهد السابع والثلاثين بعد المائتين [1] .

والمخِبُّون : المسرعون ، ونمنموا : زخرَفوا ، يقال نمنم الشيءَ نمنمةً ، إذا رقّشَه وزخرفه ، وثوبٌ منمنم أى موشًّى . والبيض : النِّساء الحسان . والدُّمى : جمع دُمية ، وهى الصورة الحسنة . وفرقُ المدارى بالرفع عطفاً على المسك . والمدارى : الأمشاط . والأنزع : الذى انحسر الشعر عن جانبى جَبْهته . والأصلع : الذى انحسر الشعر عن مقدَّم رأسه .

وقوله : « قد حَصَّت البيضةُ رأسى » إلخ . البيضة ، بالفتح : ما يُلبَس على الرأس من الحديد فى الحرب . وحَصَّت البيضةُ رأسَه ، بمهملتين ، أى قلَّلت شعره . يقال رجلٌ أحصُّ بيِّن الحَصَص ، أى قليل شعر الرأس .

٥٣٤ وقال ابن عبد ربه (فى العقد الفريد) : قال عبدُ الملك بن مَرْوَان لأُسَيْلِمَ بن الأحنف الأسدىّ : ما أَحسنُ شيءٍ مُدحتَ به ؟ قال : قول الشاعر . وروى ما رواه الجاحظ من الأبيات . ثم قال : وقال عبد الملك : أحسن من هذا قول أبى قيس بن الأسلت [2] . وأنشد البيتين .

---

(١) الخزانة ٣ : ٤٠٩ .

(٢) ط : « قول قيس بن أسلت » ، صوابه فى ش والعقد ٥ : ٣٤٣ .

وقال الزُّبير بن بكّار (فى أنساب قريش) ، وتبعه الدَّارَقطنى (فى كتاب المختلف والمؤتلف) : إنَّ أبا الرُّبيس عَبَّاد بن طِهفْة الثّعلبى ، قال لعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان :

جميلُ المحيَّا واضحُ اللون لم يَطأ
بحَزْنٍ ولم تألم له النَّكْبَ إصبعُ

من النّفرِ الشُّم الذين إذا انتدَوْا
وهابَ اللئامُ حَلْقَةَ الباب قَعقعوا

إذا النفر الأُدْم اليمانون نمنموا
له حَوكَ برديه أدقُّوا وأوسعوا [١]

جلا الغِسْل والحمَّامُ والبِيضُ كالدُّمى
وطيبُ الدِّهان رأسَه فهو أصلعُ

والحزْن ، بفتح المهملة وسكون المعجمة : ما غَلُظ من الأرض . والنَّكْب منصوب بنزع الخافض ، أى بِنَكْبِ ، وهو مصدر نكب كنانتَه نكباً ، إذا كبَّها . يريد أنه رئيسٌ لا يمشى ولا يَحمِل سلاحه ، بل يحمله خدمُه . وانتدَوْا ، بمعنى حضروا النَّدىَّ ، وهو المجلس . والأُدم : جمع آدم بمعنى الأسمر ، من الأدمة وهى السُّمرة . والغِسْل ، بالكسر : ما يُغسل به الرأس من خِطمىٍّ وغيره .

وأبو الرُّبيس : شاعرٌ إسلامىّ . قال الأمير أبو نصر بن ماكولا : هو بضم الراء وفتح الباء الموحدة بعدها مثناةتحتية بعدها سين مهملة . وهو [أبو [٢]] الرُّبيس الثعلبى ، واسمه عَبَّاد بن طِهفة ، بكسر الطاء . اهـ .

أبو الربيس

(١) ش : « أرقوا » بالراء .

(٢) تكملة ليست فى النسختين .

ولم يذكر صاحبُ الجمهرة طِهْفة فى نسبه ، وإنّما قال : أبو الرُّبيس الشاعر هو عَبَّاد بن [(١)] عباس بن عَوف بن عبد الله بن أسد [(٢)] بن ناشب ابن سُبَد ، بضم ففتح ، بن رِزَام بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان .

* * *

وأنشد بعده :

(لا أرى الموتَ يسبق الموتَ شئٌ)

هذا صدر ، وعجزه :

(نَغَّصَ الموتُ ذا الغِنى والفقيرا)

على أنَّ الظاهر الواقع موقع الضمير يفيد التفخيم ، والأصل : لا أرى الموت يسبقه شئ ، فلم يضمر للتفخيم .

وقد تقدّم أنّ الشارح المحقِّق أورده فى الشاهد الستِّين من باب المبتدأ ، أنّ إعادة الموت هنا ظاهراً غير مفيد للتفخيم . وقد ذكرناه هناكَ مفصّلا فَلْيُرْجع إليه .

* * *

وأنشد بعده :

(أنا الذى سمّتنِ أُمِّى حيدرَه)

تقدَّم الكلام عليه قبله ببيتين .

* * *

وأنشد بعده :

(القاتلى أنت أنا)

---

(١) الكلام من أول « طهفة بكسر الطاء » إلى هنا ، ساقط من ش .

(٢) ش : « أسعد » .

هو من بيتٍ ، وهو :

كيف يخفى عنكَ ما حلَّ بنا أنا أنتَ الضاربى أنت أنا

وتقدم الكلام عليه قبله ببيت .

* * *

وأنشد بعده :

إلى الملكِ القَرْمِ وابنِ الهُمَامِ

وليثِ الكتيبة والمَزدحَمْ

تقدَّم شرحه فى الشاهد الخامس والسبعين . ٥٣٥

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثلاثون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س [(١)] :

٤٣٤ (ما أنتَ ويْبَ أبيكَ والفَخْرُ)

على أنَّ ما الاستفهاميّة يدخلها معنى التحقير كما هنا ، وكذلك قوله ويب أبيك ، وفيه معنى التحقير والتصغير .

وهذا عجزٌ وصدره :

(يازبرقانُ أخا بنى خَلِفٍ)

واستشهد بالبيت سيبويه على أنَّه عطف الفخر على أنت ، مع ما فيه من معنى مع ، وامتناع النصب ، إذْ ليس قبله فعلٌ ينفذ إليه فينصبُه .

وأورده صاحب الكشاف فى آخر المائدة (من تفسيره) عند قوله

---

(١) فى كتابه ١ : ١٥١ . وانظر المؤتلف ١٧٩ حيث نسب فيه إلى المتنخل السعدى خطأً ، وابن يعيش ١ : ٢/١٢١ : ٥١ والهمع ٢ : ٤٢ .

تعالى : ﴿ يا عيسى بنَ مَرْيم [١] ﴾ قال : إذا قلت يا زيدُ أخا تميم ، أو قلت : يا زيدُ ابنَ الرجل الصالح ، رفعت الأول ونصبت الثانى كما فى البيت . إلا أنه روى المصراع الثانى : « ما أَنت وَيلَ أبيك » باللام . ونقل بعضهم عنه أنَّه قال أصل ويل : وَىْ ، زِيد عليها لام الجر ، فإن كان بعدها مكنىٌّ فتحت لامه كويلك وويله . وإن كان ظاهراً جاز فتح اللام وكسرها . وذكر أنهم أنشدوا قوله :

* ما أنت ويلَ أبيكَ والفخرُ * البيت

بكسر اللام وفتحها ، فالكسر على الأصل ، والفتح لجعلها مخلوطة بوى ، كما قالوا : يا لتَيْم ، ثم كثُرت فى الكلام فأدخلوا لاماً فقالوا : ويلٌ لك .

قال السِّيرافى : ولو كان كما قال ما قالوا ويلٌ لك بالتنوين والضم . فإنْ قال : توهَّموا أنها أصليَّة فنوَّنوها وزادوا بعدها لاماً ، فبعيدٌ جدًّا .

وقال الصاغانى (فى العباب) : ويب كلمةٌ مثل ويلٌ ، تقول وَيْبَكَ وويب زيد ، وويبَ أبيك . وزاد أبو عمرو : ويباً له ، وويبٌ له ، وويبَه وويبَ غيره . وزاد الفراء : ويْبِكَ وويبِ بك بالكسر فيهما . ومعنى هذه الكلمات ألزمَه الله ويلاً . نُصِب نصبَ المصادر . فإن جئت باللام قلت : ويبٌ لزيد . فالرفع على الابتداء أجودُ من النصب ، والنصب مع الإضافة أجود من الرفع . وقيل إنهم قالوا ذلك لقُبح استعمال الويل عندهم . اهـ .

وقوله : (ويبَ أبيكَ) معناه ألزمك الله هلاكَ أبيك ، أى فقدتَهُ . وهو اعتراضٌ بين المعطوف والمعطوفِ عليه .

وقوله : (يا زبرقان) إلخ الزِّبرقان ، هو صحابىٌّ . وهو الزبرقان بن بدر ،

---

(١) الآية ١١٦ من المائدة .

واسمه حُصَين بالتصغير . وقد تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الرابع والتسعين بعد المائة [١] . يقال يا أخا العرب ، يراد : يا واحداً منهم ، جعله واحداً من قومه وقصدُه تحقيره ، وقيل للاحتراز عن الزِّبرقان الفزارى . وبنو خَلَف : رهطُ الزِّبرقان بن بدر ، وخَلفٌ جده الأعلى ، لأنه الزبرقان بن بدر بن امرىء القيس ابن خَلَف بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم .

صاحب الشاهد والبيت للمخبَّل السَّعدىّ ، وهو ابن عمِّ الزِّبرقان ، هجا به ابن عمه . وبعده :

(هل أنت إلَّا فى بنى خلفٍ كالإسْكَتَيْنِ علاهما البَظْرُ)

والإسكتان بكسر الهمزة [٢] : ناحيتا فرج المرأة . والبَظْر بفتح الهمزة : هَنةٌ بين شَفْرَى فرجها . وامرأة بظراء : لم تُخْتن . شَبَّه قومَه وهم حولَه بالإسكتين حول البَظْر ، وشبَّه إذا اجتمعوا حوله بالبَظْرِ بين الإسكتين .

المخبل السعدى والمخبَّل بفتح الباء المشدَّدة ، فى الأصل اسم مفعول من خبَّله تخبيلا ، أى أُفسد عقله . ورجل مخبَّل ، كأنه قُطعت أطرافه .

٥٣٦ واسمه ربيع بن ربيعة بن عَوْف بنِ قِتَال بن أنف الناقة : [وقِتال [٣]] ، بكسر القاف بعدها مثناة فوقيَّة بعدها لام . كذا فى مختصر أنساب الكلبى .

وقال أبو عبيد البكرى (فى شرح أمالى القالى) : المخبَّل لقبٌ ، وهو ربيعة بن مالك بن رَبيعة بن عوف ، أحد بنى أنف الناقة ، واسمه جَعفر بن

---

(١) الخزانة ٣ : ٢٠٧ .

(٢) وبفتحها أيضا ، كما فى اللسان والقاموس .

(٣) التكملة من ش .

قُرِيع بن عوف بن سَعد بن زيد مناة بن تميم . هذا قول ابن حبيب ، ويكنى أبا يزيد . وهو شاعرٌ مخضرم فحلٌ ، وهو المرادُ بقول الفرزدق :

وهبَ القصائدَ لى النَّوابغُ إذْ مضَوْا
وأبو يزيدَ وذُو القُروح وجَرولُ (١)

انتهى .

فالنوابغ ثمانية شعراء . وأبو يزيد : المخبَّل السعدى . وذو القروح : امرؤ القيس . وجَرولٌ هو الحُطيئة .

قال صاحب الأغانى : عُمِّرَ المخَبَّلُ فى الجاهلية والإسلام عمراً طويلا ، وأحسَبه مات فى خلافة عمر أو عثمان وهو شيخٌ كبير .

قال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : هاجر المخبَّل وابنُه إلى البصرة : وولدُه كثيرٌ بالأحساء ، وهم شعراء . وكان المخبّل هجا الزِّبرقان بن بدرٍ وذكر أخته خُلَيدة ، ثم مرَّ بها بعد حينٍ وقد أصابَه كسر وهو لا يَعرفها ، فآوته وجَبرتْ كسره ، فلمَّا عرفها قال :

لقد ضلَّ حِلمى فى خُليدةَ ضَلَّةً
سأُعتِبُ نَفْسى بَعدَها وأتوبُ
وأشهدُ ، والمستَغْفَرُ اللهُ ، أَنَّنى
كذَبتُ عليها والهجاءُ كَذُوبُ

انتهى .

وفى (الإصابة) لابن حجر : قال ابن حبيب : خَطب المخبَّل إلى الزِّبرِقان

(١) فى اللآلئ ٨٥٧ : « النوابغ كلهم » .

أختَه خُليدة فردَّه وزوَّجَها رجلاً من بنى جُشم بن عوف ، فهجاه المخبَّلُ السَّعدى ، وعَبْدة بن الطبيب ، وعمرو بن الأهتم ، وعلقمة بن عَبَدة ، قبلَ أن يُسلموا ، وقبل مبعثِ النبى ﷺ .

وفى الشعراء من يقال له المخبَّل غير هذا ثلاثة ، وهم المخبَّل الزُّهرى ، والمخبَّل الثمالى ، وكعبٌ المخبّل . من يقال له المخبل

وقد أخطأ الآمدىُّ هنا (فى المؤتلف والمختلف) فزعم أنَّ البيت الشاهد للمُتَنخِّل السَّعدىّ ، بضم الميم وفتح المثناة الفوقية بعدها نون وكسرِ الخاء المعجمة المشددة ، وقال : لم يقع إلىَّ من شعرهِ شئ .

واستشهد الكسائى والفرَّاء بقوله :

يا زبرقانُ أخا بنى خَلفٍ ما أنتَ ويبَ أبيكِ والفخرُ

وهذا تصحيفٌ منه فى اسم الشاعر . وهو تارةً ينسَب إلى قُرَيع وتارة إلى سعد . وهذا سببُ التصحيف ، وما ذكرناه هو الذى قاله شراح [شواهد [١]] سيبويه والمفصَّل وغيرهما .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثلاثون بعد الأربعمائة [٢] :

٤٣٥ (يا سَيِّداً ما أنتَ مِنْ سيِّدٍ)

على أنَّ ما الاستفهامية قد يدخلها معنى التعظيم كما فى البيت ، فإنَّها استفهامية تعجُّبية ، والمقصود التعظيم .

---

(١) التكملة من ش .

(٢) المقرب ٣٠٤ والشذور ٢٥٨ والتصريح ١ : ٣٩٩ والهمع ١ : ١٧٣ ، ٢/٣٥١ : ٩٠ والمفضليات ٣٢٢ .

وأورده الفرَّاء فى سورة يٓس (من تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ يا حسرةً على العباد [١] ﴾ قال : المعنى يالها حسرةً على العباد . وقرأ بعضهم : ﴿ يا حسرةَ العبادِ [٢] ﴾ والمعنى فى العربية واحد . والله أعلم .

والعرب إذا دعت نكرة موصولة بشئ ، آثرت النصب ، يقولون : يا رجلا كريماً أقبل ، ويا راكباً على البعير أقبل ، فإذا أفردوا رفعوا أكثَرَ ممَّا ينصبون . أنشدنى بعضهم : ٥٣٧

يا سيِّداً ما أنتَ من سيِّدٍ
مُوطَّأَ البيتِ رحيبِ الذِّراعْ

ولو رفعت النكرة الموصولة بالصِّفة كان صواباً ، قد قالت العرب :

* يا دارُ غَيَّرها البِلَى تغييرا [٣] * اهـ

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ للسفَّاح بن بُكَير بن مَعْدَانَ اليربوعىّ ، رثى بها يحيى ابن شَدَّاد بن ثعلبة بن بِشر ، أحد بنى ثعلبة بن يربوع .

وقال أبو عبيدةَ : هى لرجلٍ من بنى قُريع رثى بها يحيى بنَ ميسرةَ صاحبَ مصعبِ بن الزُّبير ، وكانَ وَفِى له حتى قُتل معه .

أبيات الشاهد

وهذه أبياتٌ من أولها :

(صَلَّى على يحيى وأشياعِه
ربٌّ غفورٌ وشفيعٌ مُطَاعْ

---

(١) الآية ٣٠ من سورة يس . وانظر معانى الفراء ٢ : ٣٧٥ .

(٢) هى قراءة الحسن ، كما فى إتحاف فضلاء البشر ٣٦٤ . وفى تفسير أبى حيان ٧ : ٣٣٢ أنها قراءة أُبَىّ ، وابن عباس ، وعلى بن الحسين ، والضحاك ، ومجاهد ، والحسن .

(٣) ط : « البلا » ، صوابه فى ش ومعانى الفراء ٢ : ٣٧٢ .

لمّا عصى أصحابُه مصعباً
أدَّى إليهِ الكيلَ صاعاً بصاعْ
يا سيِّداً ما أنت مِن سيِّدٍ
مُوطّأ البيت رحيب الذراعْ
قوَّالِ مَعروفٍ وفعَّالِه
وهّابِ مَثْنَى أُمَّهاتِ الرِّباعْ
يَجمع حِلماً وأناةً معاً
ثُمَّتَ ينباعُ انبياعَ الشُّجَاعْ)

وهذه قصيدةٌ اختلفت الرواةُ فى عدَّة أبياتها ، فقد رواها الضبىُّ ثلاثةَ عشر بيتاً ، ورواها أحمد بن عبيد اثنىْ عشر بيتاً مع تغايُرٍ فى الأبيات . والروايتان مسطورتان (فى المفضّليات وشَرْحِها لابن الأنبارىّ) .

وقوله : « لمَّا عصىَ أصحابُه مُصعباً » ، إلخ تقدَّم شرحه فى الشاهد الحادى والأربعين [١] من أوائل الكتاب . ورواه أحمد بن عبيد :

لمَّا جلا الخُلاَّنُ عن مُصعَبٍ
أدَّى إليه القَرضَ صاعاً بصاعْ

(١) ش : « الواحد والأربعين » . ومن المعروف أن الواحد والواحدة إذا استعملا مع العشرة ومع ما فوقها كالعشرين ، فإنك تقلب فاءها إلى موضع لامها ، فتقول : حاد وحادية ، بعد الإعلال . ولكن حكى الكسائى عن بعض العرب واحد عشر على غير القلب ، فلم يلتزم القلب كل العرب . كما فى التصريح والهمع ٢ : ١٥١ والأشمونى ٤ : ٧٧ . ومهما يكن فهو استعمال شاذ .

قوله : (يا سيداً ما أنت) . إلخ روى صدره الضّبّىّ :

* يا فارساً ما أنت من فارسٍ *

ومن سيدٍ ومن فارسٍ : تمييز مجرور بمن . و (موطأ البيت) ، يعنى أنّ بيته مذَلّل للأضياف . و (الرَّحيب) : الواسع . والمعنى أنه واسعُ البسيطة كثيرُ العطاء سهلٌ لا حاجزَ دونه . ولمّا كان الذراع موضعَ شِدَّة الإنسان ، قيل فى الأمر الذى لا طاقة للإنسان به : ضاق بهذا الأمر ذِرَاعُ فلان وذَرْع فلان [1] أى حيلته بذراعه . وتوسَّعوا فى هذا حتى قلبوه فقالوا : فلانٌ رَحْبُ الذراع ، إذا وصَفوه باتساع المقدرة .

وقوله : « قَوَّال معروف وفعّاله » إلخ الأوصاف الثلاثة بالجرِّ على الوصفية لسيِّدٍ أو لفارس [2] . والمعنى أنّه لا يقول إلا فَعَلَ ، ولا يَعِدُ إلاَّ وفَى ، ولا يُخلف . والرِّباع ، بالكسر : جمع رُبَع ، بضم ففتح ، وهو ما يُنتج فى أول نِتَاج الإبلِ . وخصَّ أُمَّهات الرِّباع لأنها عزيزة . ومَثْنَى أى واحدةً بعد أخرى . قال ابن بَرِّىّ (فى شرح أبياتِ إيضاح أبى على) : وَرَوَى أبو حنيفة :

* عَقَّار أُمَّات الرِّباع الرِّتاع *

أى هى مُتْرعة [3] لسَعة الرِّعى عليها . اهـ .

وقوله : « يجمعُ حِلماً » إلخ ، الأناة ، بالفتح : التأنّى . وثُمَّتَ مخصوصةٌ بعطف الجمل . وينباع بمعنى يَثب ويَسطو . والشُّجاع : الحيَّة .

---

(١) ش : « ذرع فلان وذراع فلان » .

(٢) أى على روايتى : « من سيد » ، و « من فارس » .

(٣) المترعة : الممتلئة .

والسَّفَّاح بن بُكير ، تقدم فى الشاهد الحادى والأربعين [١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثلاثون بعد الأربعمائة [٢] :

٤٣٦ (على ما قام يَشْتِمُنى لئيم كخنزيرٍ تمرّغَ فى رَمادِ)

على أنَّ ثبوتَ الألف فى ما الاستفهامية المجرورة فى غير الأغلب ، ٥٣٨ مفهومُه أنَّ إثباتها فيها غالب .

ويوافقُه قول صاحب الكشاف فى سورة يس ، عند قوله تعالى : ﴿ بِمَا غَفَر لى ربِّى [٣] ﴾ : طرحُ الألف أجود ، وإن كان إثباتها جائزاً .

وهذا معارضٌ لقوله فى سورة الأعراف ، عند قوله تعالى : ﴿ قال فَبِمَا أغويْتنى [٤] ﴾ : قيل ما للاستفهام ، وإثباتُ الألف قليلٌ شاذٌّ .

قال الشارح المحقق (فى شرح الشافية) : وبعضُ العرب لا يحذف الألف من ما الاستفهامية المجرورة ، كقوله :

على ما قامَ يشتمنى لئيمٌ البيت

فهذا لا يقول « على مَهْ » وَقفاً ، بل يقف بالألف التى كانت فى الوصل ، والأَوْلَى حذف ألف ما الاستفهامية مجرورةً ، لما ذكرنا فى الموصولات . اهـ .

---

(١) الخزانة ١ : ٢٩٠ .

(٢) أمالى ابن الشجرى ٢ : ٢٣٣ وشرح شواهد الشافية ٢٤٤ برواية « فى دمان » فيهما . وانظر ابن يعيش ٤ : ٥٥٤ والعينى ٤ : ٥٥٤ والتصريح ٢ : ٣٥٤ والهمع ٢ : ٢٧ والأشمونى ٤ : ٢١٦ . وديوان حسان ١٤٣ .

(٣) الآية ٢٧ من سورة يس .

(٤) الآية ١٦ من سورة الأعراف .

أراد أنه ذكره فى شرح الموصولات (من شرح الكافية) .

وإذا ثبت أنَّ هذا لغة لبعض العرب لم يكن إثبات الألف نادراً ولا ضرورة ، كما قيل فى قوله تعالى : ﴿ عَمَّ يَتَسَاءلُونَ ﴾ فيمن قرأ ﴿ عمَّا ﴾ بالألف . قال الفالىّ [١] (فى شرح اللباب) : الكثير الشائع حذف الألف ، وجاء إثباتها فى عَمّا يتساءلون ، وفى قوله : على ما قام يشتمنى البيت . وقال السَّمين : يجوز إثبات الألف فى ضرورةٍ ، أو فى قليل من الكلام .

وقال ابن جنى (فى المحتسب) : إثبات الألف أضعف اللغتين .

قال ابن السمين [٢] فى سورة يٓس : المشهور من مذهب البصريين وجوب حذف ألفها إلا فى ضرورة .

وكذلك قال ابن هشام (فى المغْنِى) : يجب حذف ألف ما الاستفهامية إذا جرَّت ، وإبقاءُ الفتحةِ دليلا عليها . وربما تبعت الفتحةُ الألفَ فى الحذف ، وهو مخصوص بالشعر كقوله :

يا أبا الأسودِ لِمْ خَلَّفْتَنى   لهمومٍ طارقاتٍ وذِكَرْ

ثم قال : وأمَّا قراءة عِكرمة وعيسى : ﴿ عمَّا يتساءلون ﴾ فنادر . وأمَّا قول حسان :

---

(١) فى الأصل : « القالى » ، صوابه بالفاء كما سبق فى كثير من المواضع . وانظر حواشى ١ : ٣٣٨ .

(٢) كذا فى النسختين . يقال « السمين » و « ابن السمين » . قال الميمنى فى الاقليد ١٠ : « هو الشيخ شهاب الدين أحمد بن يوسف المعروف بالسمين المتوفى سنة ٧٥٦ . وهو تلميذ أبى حيان » . وله إعراب القرآن الذى سماه « الدر المصون فى علم الكتاب المكنون » . قالوا : وهو أجل ما صنف فى إعراب القرآن . كما أن له « تفسير القرآن » . قال الميمنى : « ومنه نسخة برامبور ، وأخرى عند الشيخ حبيب الرحمن الشروانى » .

* على ما قام يشْتِمُنى لئيمٌ *

فضَرورة . ومثله قول الآخر :

إنَّا قتَلنا بقتلانا سَراتَكمُ
أهلَ اللِّواءِ ففيما يكثُر القِيلُ [١]

قال الدَّمَامينى (فى الحاشية الهندية) : ادَّعى المصنف أنَّ إثبات الألف فى البيتين ضرورة ، ولقائل أن يمنع ذلك ، بناءً على تفسيرهَا بما لا مندوحة للشاعر عنه ، إذ الوزنُ مع حذف الألف فى كلٍّ منهما مستقيم . غاية الأمر يكون فى بيت حسَّان العَقْل ، وفى الآخر الخبن ، وكل منهما زِحافٌ مغتفَر . اهـ .

وقد عمَّم الشارح المحَقِّق فى الجارِّ لما ، سواء كان حرفَ جر أو مضافاً . وهذا هو المشهور .

وقال اللّبْلى (فى شرح أدب الكاتب) : إن كان الجارُّ اسماً متُمَكِّناً لم يفعلوا ذلك ، أى لم يحذفوا الألف . وقولُ العرب : مجيءُ مَ جئت ، ومثل مَ أنت ، شاذّ . وإنما جاء مع بعد وعند لأنهما غير متمكِّنين ، فألحقا بحروف الجرّ . اهـ .

وهذا قولٌ غريب لم يقله غيره ، كقول ابن قتيبة (فى أدب الكاتب) : إنَّ ألف ما الموصولة لا تحذف إلّا مع شئت . قال : تقول : ادعُ بم شئت ، وسل عَمّ شئت ، وخذه بم شئت ، وكن فيم شئت . إذا أُردت معنى سل ، أى عن أى شئ شئت ، نقَصْتَ الألف . وإن أُردت سل عن الذى أُحببت

(١) كذا ورد إنشاده فى أمالى ابن الشجرى ٢ : ٢٣٤ بدون نسبة . وانظر شرح شواهد المغنى ٢٤٢ .

أتممتَ الألف إلّا مع شئت خاصّة ، فإن العرب تنقص الألف منها خاصة ، فتقول : ادع بمَ شئت ، فى المعنيين جميعاً . ا هـ .

٥٣٩ والمشهور أنَّ ألفها يثبت مُطلقاً ، سواء استعملت مع شئت أم غيرها [(١)] . وعلى نقله يلغز فيُقَال : فى أيِّ موضع يجب حذف ألف ما الموصولة المجرورة بحرف جر ؟

صاحب الشاهد وهذا البيتُ من أبيات دالية لحسَّان بن ثابت الصحابى . وقد حرَّف الرواة قافيته ، فبعضُهم رواه :

* كخِنزير تمرَّغَ فى دَمَانِ *

وهو ابن جنِّى (فى المحتسب) ، وتبعه جماعة منهم ابن هشام (فى المغنى) قال : الدَّمان كالرَّماد وزنا ومعنى . ورواه صاحبُ اللباب وشارحه الفالى : « فى الدِّهانِ » بالهاء بعد الدال . ورواه المرادىُّ (فى شرح الألفية) : « فى تراب » ، ورواه بعضهم : « فى دُمالِ » باللام . وهذا كلُّه خلافُ الصواب .

ورواية السكرى (فى ديوان حسَّان) :

* ففيم تقولُ يشتمنى لئيمٌ [(٢)] * [إلخ]

وعليه لا شاهدَ فيه .

وقوله : (على ما قام) إلخ على تعليلية ، أى لأجل أىِّ شئ . ونقل العينى عن ابن جنِّى أنَّ لفظة قام ههنا زائدة ، والتقدير ما يشتمنى . وقال ابن يَسعون : وليس كذلك عندى ؛ لأنها مقتضى النهوض بالشَّتم والتشمير له

---

(١) ش : « أو مع غيرها » .

(٢) هذه التكملة من ش .

والجِدّ فيه . وقوله (كخنزير) إلخ ، تعريضٌ بقبحه ، فلذلك خصَّ الخنزير لأنّه مِسْخٌ [١] قبيح المنظر ، سَمج الخَلْق ، أكَّالُ العَذِرة . وقوله : (تمرَّغَ فى رَمَاد) تتميمٌ لذمِّه ، لأنه يدلُك خَلْفَه [٢] بالشجر ، ثم يأتى للطين والحمْأة فيتلطَّخ بهما ، وكلما تساقط منه شئ عاد فيهما .

قال الجاحظ : والعَين تكره الخنزير جُملةً دون سائر المسوخ ، لأنّ القرد وإن كان مسيخا فهو مُستملَح . والفيل عجيبٌ ظريفٌ نبيل بهىّ ؛ وإن كان سَمجاً قبيحا [٣] .

والأبيات قالها حسّان فى هجو بنى عابدٍ ، بموحدة بعدها دال غير معجمة [٤] ، ابن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم [٥] . قال البَلادرى [٦] : لم يكن لهم هجرة ولا سابقة . قال : وقال الأثرم عن أبى عُبيدة [٧] : قال حسَّان هذا الشعرَ فى رُفَيع بن صَيفىّ بن عابد ، وقُتل رُفيع يوم بدرٍ كافراً . ورُفَيع بضم الراء وفتح الفاء : مصغَّر رَفع بالعين المهملة . وصيفىّ بفتح الصاد المهملة وسكون المثناة التحتية وكسر الفاء وتشديد التحتية . والأبيات هذه : أبيات الشاهد

(إنْ تصلُحْ فإنّكَ عابدىٌّ وصُلْحُ العابدىِّ إلى فسادِ

---

(١) ش : « مسيخ » .

(٢) ط : « خلقه » بالقاف ، وأثبت ما فى ش .

(٣) الحيوان ٧ : ٣٩ .

(٤) فى جمهرة ابن حزم ١٤٢ ونسب قريش ٢٩٩ : « عائذ » وما هنا صوابه . وجاء فى مختلف القبائل ومؤتلفها ٤٤ : « فى قريش فى بنى مخزوم عابد بباء موحدة ودال مهملة ، بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . وفيها : عايذ بياء آخر الحروف وذال معجمة ، بن عمران بن مخزوم » .

(٥) ط : « عمير بن مخزوم » ش : « عمرو بن مخزوم » مع أثر تغيير ، وصوابه ما أثبت من المراجع السابقة .

(٦) كذا فى النسختين بدال مهملة .

(٧) ط : « أبى حبيرة » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح . والأثرم هو أبو الحسن على بن المغيرة سمع أبا عبيدة والأصمعى . وتوفى سنة ٢٣٢ .

وإنْ تفسُدْ فما أُلفِيتَ إلاَّ
بعيداً ما علمتُ من السَّدادِ
وتَلقاه على ما كان فيه
من الهَفَوات أو نُوكِ الفؤادِ
مُبينَ الغىِّ لا يَعيا عليه
ويعيا بعدُ عن سُبُلِ الرّشادِ
ففيمَ تقول يشتمنى لئيمٌ
كخنزير تمرَّغَ فى رَمادِ
فأشهدُ أنَّ أمَّك مِ البغايا
وأنَّ أباك من شَرِّ العِبادِ
فلن أنفَكَّ أُهجو عابديًّا
طَوالَ الدَّهرِ ما نادَى المنادى
وقد سارت قوافٍ باقياتٌ
تَناشَدَها الرُّواةُ بكلِّ وادِ
فَقُبِّحَ عابدٌ وَبَنِى أبيه
فإنَّ مَعادَهُمْ شرُّ المعادِ)

وهذا آخر الأبيات . وقوله : « إن تصلح » إلخ فيه خرم ، وبعضهم يرويه : « وإن تصلح » فلا خَرم . والسَّداد ، بالفتح : الرُّشد والاستقامة . والهفَوات : السقطات . والنُّوك بالضم [(١)] : الحمق ، وهو نقصٌ فى العقل ، وأراد به البلادةَ وعدمَ الاهتداء للمقصود ، ولهذا أضافه إلى الفؤاد ، وهو معطوف على الهفوات . ٥٤٠

وقوله : « مبينَ الغىِّ » بالنصب حالٌ من مفعول تلقاه .

(١) ويقال بفتح النون أيضا .

وقوله : « ففيم تقول » رواية السكرى بالخطاب [لمن يصلُح الخطابُ [(١)]] معه . وقوله : « م البغايا » أصله من البغايا ، وهو لغةٌ فى مِن . والبَغِىُّ : الامرأة الفاجرة . وقوله : « طَوَال الدهر » بفتح الطاء ، بمعنَى طُولَ الدهر .

وقوله : « فقبِّح عابدٌ » ، هو بالبناء للمفعول على الدعاء . والواو فى قوله : وبنيِ أبيه واو المعية ، وبنى أبيه مفعول معه .

وترجمة حسَّان [تقدَّمت [(٢)]] فى الشاهد الحادى والثلاثين .

تتمـــة

البيت الذى أورده صاحبُ المغنى ، وهو [(٣)] :

إنَّا قتلنا بقتلانا سَراتَكُم
أَهْلَ اللِّواء ففيما يكثُر القِيلُ

لم يعرفه أحدٌ ممَّن كتب على المغنى ، وما قبل حرف الروىِّ فيه مثنّاة تحتية والقاف مكسورة . وقد صَحَّفه البدر الدمامينى فضبطه بمثناة فوقية ، ثم استشكله ، قال : فى البيت كلامٌ من جهة العَروض ، وذلك أنَّ هذا من بحر البسيط من عروضه الأولى وضربها الثانى ، وهو المقطوع ، كان أصله فاعلن حذفت نونه وسكنت لامه فصار فَعْلن بإسكان العين ، فقد ذهب منه زنة متحرك ، وإذا ذهب منه ذلك وجب أن يكون مُرْدَفا ، أى يؤتى قبل حرف الروى بحرف لين ، كما فى شاهد العروضيين :

قد أشْهَد الغارَةَ الشَّعْواءَ تحملنى
جرداءُ معروقةُ اللَّحيين سُرحوبُ

---

(١) التكملة من ش .
(٢) التكملة من ش .
(٣) انظر ما سبق فى ص ١٠١ .

ولا يخفى أنَّ ضرب البيت الذى نحن فيه ، وهو اللامىّ الروىّ ، غير مردَف ؛ ففيه مخالفة لما قرَّره العروضيون فى أمثاله .

هذا كلامه ، وهذا موضع المثل المشهور : « زنَّاه فحدّه » .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ لكعب بن مالكٍ شاعر رسول الله ﷺ ، رواها الكَلَاعى (فى سيرته) قال : أجاب بها ابن الزِّبَعْرَى وعمَرو بن العاصى [1] ، عن كلمتين افتخرا بهما بيوم أُحد ، وهى هذه :

أبلغْ قُريشاً وخيرُ القولِ أصدقُه
والصِّدق عند ذَوِى الألبابِ مقبولُ

أنْ قد قتلنا بِقتلانا سَرَاتكمُ
أهلَ اللِّواء ففيما يَكثُر القِيلُ

ويومَ بدرٍ لَقِيناكم لنا مدَدٌ
فيه مع النَّصر مِيكالٌ وجِبريلُ

إن تَقتلونا فِدينُ الله فِطرتُنا
والقتلُ فى الحقِّ عند الله تفضيلُ

وإن تَرَوا أمرَنا فى رأيكُمْ سفَهاً
فرأىُ مَنْ خالفَ الإسلامَ تضليلُ

إنّا بنو الحرب نَمرِيها ونُنتجها
وعندنا لذوِى الأضغان تنكيلُ

(١) فى ديوان كعب بن مالك ٢٥٥ أنه يجيب بها عمرو بن العاص ، وضرار بن الخطاب . وكذلك فى سيرة ابن هشام ٦٢٢ - ٦٢٤ .

إنْ ينجُ منّا ابنُ حرب بعد ما بلغت
منه التراقِى وأمرُ الله مفعولُ
فقد أفادتْ له حُكْماً وموعظةً
لمن يكون له لبٌّ ومعقولُ (١)
ولو هَبطتمْ ببطن السَّيل كافَحَكم
ضَربٌ بشاكلة البطحاء تَرعيلُ
تَلقَاكُمُ عُصَبٌ حول النبىِّ ، همْ
مما يُعِدُّون فى الهيجا سَرابيلُ (٢)
مِن جِذم غسَّانَ مسترخٍ حمائلُهم
لا جُبَناءُ ولا مِيلٌ مَعازيلُ

وهى قصيدةٌ طويلة جيدة ، سَردَها بتمامها ، وبيَّن مُشْكِلُ لغاتها ، قال : سَراة القوم : خيارهم . والقِيل والقَول واحد . والتنكيل : الزجر المؤلم . وبطن السَّيل : الوادى . وكافَحكم : واجَهكم . وشاكلة البطحاء : طرَفُها . والترعيل : الضَّرب السريع . والسرابيل : جمع سِربال ، وهو الدِّرع . وجِذْم بكسر الجيم : الأصل . وغسَّان : قبيلة الأنصار (٣) . والحمائل : حمائل السَّيف . والجبَناء : جمع جبان . والمِيل : جمع أمْيَل ، وهو الذى لا تُرْسَ معه . والمعازيل:الذين لا رِماحَ معهم . ٥٤١

* * *

(١) الحكم : الحكمة والعلم . ط والديوان والسيرة : « حلما » باللام ، وأثبت ما فى ش .
(٢) فى الديوان والسيرة : « للهيجا » .
(٣) كذا . والوجه « قبيلة من الأنصار » .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثلاثون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س [١] :

٤٣٧ (رُبَّما تَكْرَهُ النفُوسُ من الأمْـ
ـرِ له فَرْجَةٌ كحلِّ العِقَالِ)

على أنّ « ما » نكرةٌ موصوفة بجملة تكره النفوس . فحكِم على كونها نكرة بدخولِ رُبَّ عليها ، وحكم بالجملة صفةً على قياسِ نكرةِ رُبَّ ، من أنَّها موضوعة لتقليل نوعٍ من جنس ، فلابد أنْ يكون الجنس موصوفاً حتى تحصلَ النَّوعية .

وقد أورده سيبويه فى كتابه مرَّتين ، قال : « ربَّ لا يكون بعدها إلاَّ نكرة » . وأنشده . قال الأعلم : استشهد به على أنّ ما نكرةٌ بتأويل شئ ، ولذلك دخلَتْ عليها ربَّ ، لأنها لا تعمَل إلَّا فى نكرة . ولا تكون « ما » هنا كافة ؛ لأنّ فى « تكره » ضميراً عائداً عليها ، ولا يضمر إلا الاسم . وكذلك الضمير فى له عائدٌ عليها . والمعنى : ربَّ شئ تكرهُه النفوس من الأمور الحادثة الشديدة وله فَرجة تعقب الضيقَ والشِّدَّة ، كحلِّ عِقال المقيَّد . والفَرْجة بالفتح فى الأمر ، وبالضم فى الحائط ونحوه . ا هـ .

ومثله (فى إيضاح الشعر) لأبى علىّ قال : ما اسمٌ منكور ، يدلُّ على ذلك دخولُ ربَّ عليه . ولا يجوز أن تكون كافة كالتى فى قوله تعالى : ﴿ رُبَمَا

---

(١) فى كتابه ١ : ٢٧٠ : ٣٦٢ . وانظر المقتضب ١ : ٤٢ ومجالس العلماء للزجاجى ١٦٦ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ٢٣٨ وابن يعيش ٤ : ٢/٨ : ٣٠ وشرح شواهد المغنى ٢٤٠ والشذور ١٣٢ والعينى ١ : ٤٨٤ والهمع ١ : ٨ ، ٩٢ والأشمونى ١ : ١٥٤ واللسان (فرج) وديوان أمية بن أبى الصلت ٥٠ .

يودُّ الذين كفُروا [١] ﴾ لأنّ الذكْر قد عاد إليها من قوله له فرجة ، فلا يجوز مع رجوع الذكر أن تكون حرفاً ، فالهاء فى قوله تكره مرادة ، والتقدير : تكرهه النفوس . وفرجةٌ مرتفعة بالظرف ، وموضع الجملة جرّ . ا هـ .

وقوله : « وموضع الجملة جرٌّ » أى على الوصفية للأمر ، ولا اعتبار بلام التعريف لأنها كما قال الشارح المحقق للجنس . وفى كون الجملة صفةً نظر ، إذ الوصف على كلامه إنما هو الجار والمجرور لا غير ، لأنه جعل فرجة فاعلهما [٢] . وإنما كان يتّجه لو جعل فرجة مبتدأ والظرف قبلَه خبره ، كما هو ظاهر صنيع الشارح المحقق فى قوله : له فرجة صفة الأمر . وبما سقناه من قول الأعلم وأبى علىٍّ ، عُلم [٣] ضعف قول من ذهب إلى أنَّ « ما » فى البيت : كافّةٌ مُهيِّئة لدخول ربّ على الجمل كما فى الآية .

قال ابن الحاجب (فى شرح المفصَّل) : وكونها اسماً أولى ، لأنَّ الضمير العائد على الموصوف حذفُه سائغ ، ومن الأمر تبيين له . وإذا جعلت ما مهيِّئة كان قوله من الأمر واقعاً موقع المفعول ، تقديره تكره النفوس شيئاً من الأمر . وحذفُ الموصوفِ وإبقاءُ الصفة جارّاً ومجروراً فى موضعه قليل . انتهى .

وقد ناقشه الشارحُ المحقق بعد نقل كلامه بالمعنى بأنه لا يلزم من كون

---

(١) الآية الثانية من الحِجْر . وقرأ نافع وعاصم بتخفيف الباء ، والباقون بتشديدها . إتحاف فضلاء البشر ٢٧٤ .

(٢) ش : « فاعلها » ، صوابه فى ط . والمراد فاعل الجار والمجرور قبله .

(٣) كلمة « علم » ساقطة من ش .

« ما » مهيِّئة أن يكون من الأمر واقعاً موقع المفعول حتى يَرِدَ ما ذكر ، لجواز أحد أمرين :

أحدهما : يجوز بقوله أن تكون « مِن » متعلقة بنكرة وهي للتبعيض ، كما في أخذت من الدراهم ، أي أخذت من الدراهم شيئاً . فكذا معناه تكره من الأمر شيئاً .

٥٤٢ ثانيهما : تضمين تكره معنى تشمئزّ وتنقبض ، بدليل رواية سيبويه وغيره : « ربما تجزع النفوس من الأمر » ؛ فإنَّ تجزع ، لازمٌ لا يقتضي مفعولا به .

وبقي وجهٌ ثالث ، وهو جواز كون مِن زائدة عند الأخفش والكوفيين .

وتبع ابنَ الحاجب شارحُ اللُّباب الفاليُّ [١] قال : لا يتعيَّن كون ما موصوفة ؛ إذ قيل إنَّها كافَّةٌ مُهيِّئة لدخول ربَّ على الجمل ، ولكن الأَوْلَى جعلُها موصوفةً ، لوجهين :

أحدهما أنَّه حملٌ لربَّ على بابه الكثير ، وهو كونها غير مكفوفة .

والثاني : أنَّ تكره لا بدَّ له من مفعولٍ [حينئذٍ [٢]] ، وتقديرهُ : شيئاً من الأمر ، ولكنَّ حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامَه ضَعيف . ا هـ .

وقول الخوارزميّ (في التخمير [٣]) : لا يجوز كون ما كافة ، لئلا تبقى مِن التبيينيَّة لا معنى لها ، يمنع كونها حينئذ تبيينيَّة . ويجاب بأحد الأوجه الثلاثة .

---

(١) في الأصل : « القالي » ، صوابه بالفاء كما سبق في التنبيه الأول ص ١٠٠ .

(٢) التكملة من ش .

(٣) انظر ما سبق من التحقيق في الجزء الخامس ص ٣٠٨ .

وقال ابن هشام (فى المغنى) : يجوز أن تكون ما كافَّةً والمفعول المحذوف اسماً ظاهراً ، أى قد تكره النفوس من الأمر شيئاً ، أى وصفاً فيه . أو الأصل من الأمور أمراً [١] ، وفى هذا إنابة المفرد عن الجمع . وفيه وفى الأوّل إنابة الصفة غير المفردة عن الموصوف ، إذ الجملة بعده صفة له . اهـ .

وقد أورد البيت (فى التفسيرين) عند قوله تعالى : ﴿ ربما يودُّ الذين كفروا [٢] ﴾ على أنّ بعضهم قال : موصوفة بجملة يودّ كما وصف « ما » فى البيت ، وكأنه جَعل العائد ضميراً منصوبا ، أى يودُّه الذين كفروا . وفيه أنّ مفعوله [٣] مضمونُ قوله تعالى : ﴿ لو كانُوا مُسلمينَ ﴾ أى الإسلام ، أو هو المفعول بجعل لو مصدرية .

وقَوله : (له فَرْجة) قال صاحب المصباح : الفَرْجة بالفتح : مصدرٌ يكون فى المعانى ، وهى الخلوص من شدّة ، والضم فيها لغة . قال ابن السكيت : هو لك فَرجة وفُرجة ، أى فَرَج . وزاد الأزهرىّ فِرجة بالكسر . وحكى الثلاثةَ صاحبُ القاموس أيضاً . وقوله : (كحلِّ العِقال) صفة فَرْجة ، أى فرجة سهلة سريعة كحلِّ عقال الدَّابَّة . والعقال ، بالكسر ، هو الحبل الذى يشدُّ به يدُ الدابة عند البروك أو الوقوف ، ليمنَعَها من الذَّهاب ، ويكون رَبْطه كأُنشوطة ، وهى عَقْد التِّكَّة ، حلُّها سهل [٤] .

وقال أبو على (فى إيضاح الشعر) : موضع الكاف من قوله كحلّ

---

(١) ش : « أمر » ، صوابه فى ط .

(٢) انظر حواشى ١٠٩ .

(٣) ط : « مفعول » ، صوابه فى ش .

(٤) فى القاموس : « والأنشوطة كأنبوبة : عقدة يسهل انحلالها كعقد التكة » .

العقال يجوز فيه ضربان : أحدهما أن يكون نصباً ، والآخر أن يكون جراً كقولك : مررت برجلٍ معه صقرٌ صائدٍ به . ا هـ .

وأراد النصب على الحالية من المجرور بمن ، بعد وصفه بقوله : له فرجة. وأراد الخفض على الوصفيَّة للأمر بجعل اللام للجنس ، بدليل التنظير . وهذا بعيد ، والقريب أن تكون صفة لفرجة ، وهو أحد وجهَيْ ما جوَّزه (فى الحجة) ، قال : موضع الكاف يحتمل وجهين : أحدهما أن تكون فى موضع نصب على الحال من له ، والآخر : أن تكون فى موضع رفع صفة لفرجة . اهـ .

وأراد بقوله له ضمير الأمر المجرور باللام .

صاحب الشاهد والبيت الشاهد قد وجد فى أشعارِ جماعةٍ ، والمشهور أنّه لأميَّة بن أبى الصَّلت ، من قصيدةٍ طويلة عدّتها تسعةٌ وسبعون بيتاً ذكر فيها شيئاً من قصص الأنبياء : داود ، وسليمان ، ونوح ، وموسى . وذكر قصة إبراهيم وإسحاق عليهما السلام ، وزعم أنه هو الذبيح ، وهو قولٌ مشهورٌ للعلماء .

أبيات الشاهد وهذه أبياتٌ من القصيدة [1] إلى البيت الشاهد ، قال :

٥٤٣ يا بُنَيِّى إنِّى نذَرتُكَ للّـ ـه شَحِيطاً فاصْبر فِدًى لك خالى [2]

فأجابَ الغلامُ أن قال [فيه [3]] :

أبَتِي إنَّنـى جزيتُك باللّـ ـهِ تَقِيًّا به على كلِّ حالِ

كلُّ شئٍ لله ، غيرَ انتحالِ

(١) ط : « القصة » .

(٢) ش : « يا ابنى » . وفى الديوان ٥٠ : « أبنى » . والشحيط : الذبيح . شحطه يشحطه شحطا : ذبحه .

(٣) التكملة من ش والديوان .

فاقِضِ ما قد نَذرتَ لله واكْفُفْ
عن دَمِى أن يَمَسَّه سِربالى
واشدُد الصَّفْدَ أن أحيدَ من السِّـ
ـكِّينِ حَيْدَ الأسيرِ ذى الأغلالِ (١)
إنَّنى آلَمُ المحزَّ وإنِّى
لا أمسُّ الأذقانَ ذاتَ السِّبالِ
وله مديةٌ تَخَيَّلُ فى اللَّحـ
ـم هُذامٌ جَليَّةٌ كالهلالِ (٢)
بينما يخلع السَّرابيلَ عنه
فَكَّهُ ربُّه بكبْشٍ جُلالِ
قال : خُذْهُ وأرسِلِ ابنَك إنِّى
لِلذى قد فَعلتما غير قالي
والدٌ يتّقى وآخرُ مولو
دٌ ، فطارَا منه بِسِمْعٍ مُعالِ
ربمَّا تكره النّفوسُ من الشَّـ
ـرِّ له فَرجةٌ كَحَلِّ العِقالِ)

هكذا رواه جامع ديوانه محمد بن حبيب : « من الشر » بدلٌ من « الأمر » وقال : قوله جزيتُكَ بالله معناه أطعتك بالله . وقوله « غير انتحال » أى غير كذبٍ وادِّعاءٍ ، بل هو حقٌّ . والسِّربال : القميص . والصَّفْد : الحبل

(١) فى الديوان : « لا أحيد عن السكين » .

(٢) فى الديوان : « حنية » .

الذى يُربط به . وقوله : « أن أحيد » أى خشيةَ أن أحيد ، مضارع حادَ عنه ، أى مال عنه وعَدَل .

وقوله : « لا أمسُّ الأذقان » إلخ قال محمد بن حبيب : يقول : لم أمسَسْ ذقنى ، إنِّى لا أجزع ولا أُمنَعُك . وذقْن الإنسان : مجمع لَحييه ، وأصله فى الجمَل يَحمِل الثقيل فلا يَقْدِرُ على النهوض ، فيعتمد بِذَقَنِه على الأرض . والسِّبال : جمع سَبَلة ، وهى عند العرب مقدَّم اللحية .

وقوله : « وله مُديةٌ » هى بضم الميم : السكين . قال محمد بن حبيب : تَخَيَّل فى اللحم : تمضى فيه ، من الخُيَلاءِ . وهُذَام بضم الهاء بعدها ذال معجمة : القاطعة السريعة ، من الهذْم ، وهو القطع والأكلُ فى سُرعة . قال أبو عبيد : سيفٌ هُذَام ، أى قاطع . وجَلَيّة : مجلوَّة .

وكبشٌ جُلاَل ، بضم الجيم ، بمعنى جليل وعظيم .

وسِمْع بالكسر : الذِّكْر الجميل . يقال ذهبَ سِمعُه فى الناس . والمُعَال ، بضم الميم : المرتفع ، أى صار لهما شرفاً يذكرانِ به .

وأميَّةَ هذا شاعرٌ جاهلىّ ، تقدَّمت ترجمتُه فى الشاهد السادس والثلاثين من أوائل الكتاب [١] .

ووجد أيضاً فى قصيدةٍ رواها الأصمعىُّ لأبى قيس اليهودىِّ ، وقيل : هى لابن صِرْمة الأنصارىّ ، مطلعُها :

سَبِّحوا للمليك كلَّ صباحٍ طلعَتْ شمْسُه وكلَّ هلالِ

---

(١) الخزانة ١ : ٢٤٧ .

وقال ابن المستوفى (فى شرح الشواهد للمفصّل) : وجدت قوله ربَّما تكره النفوس من الأمر البيت ، فى أبياتٍ لأبى قيس صِرْمة بن أبى أنَس ، من بنى عدىٍّ بن النجّار ، ووجد أيضاً فى أبيات لحُنيف بنِ عُمير اليشكرىّ ، قالها لمَّا قُتل مُحْكَمُ بن الطفيل [1] يومَ اليمامة ، وهى :

يا سُعادَ الفؤادِ بنتَ أُثالِ　　طالَ ليلى بفتنة الرَّجَّال [2]

إنها يا سعادُ من حَدَث الدّهْـ　　ـر عليكم كفتنة الدجّالِ

إنّ دينَ الرسول دينى وفى القو　　م رجالٌ على الهُدَى أمثالى

٥٤٤

أَهلَكَ القومَ مُحْكم بنُ طُفَيلٍ　　ورجالٌ ليسوا لنا برجالِ

رُبَّما تجزعُ النفوس من الأمْـ　　ـرِ له فَرجةٌ كحلِّ العقالِ)

وحُنَيف أَدرك الجاهلية والإسلام ، ولا تعرف له صحبة . وقال ابن حجر (فى الإصابة) : هو مخضرم ، ذكره المرزبانى . وروى له هذه الأبياتَ عُمر بن شبّة ، ووجد أيضاً فى أبياتٍ لأعرابّى . وهى :

(يا قليلَ العزاءِ فى الأهوالِ　　وكثيرَ الهمومِ والأوجالِ

(١) ذكره ابن حزم فى الجمهرة ٣٤٩ وقال : « وكان أشرف فى قومه من مسيلمة » . كما ذكره فى الاشتقاق ٢٤٩ باسم « مُحَكَّم اليمامة » . وانظر اللسان (حكم) . وقد ضبط اسمه بهذا الضبط فى كل هذه المراجع . لكنّ الشعر التالى يقتضى أن يكون « محكم » كمصعب . وكان مقتله على يد عبد الرحمن ابن أبى بكر فى حروب الردة سنة ١١ .

(٢) هو الرجال بن عنفوة ، أحد الخارجين مع مسيلمة باليمامة . وفى حديث أبى هريرة : جلست مع النبى ﷺ فى رهط ، معنا الرجال بن عنفوة ، فقال : « أن فيكم لرجلا ضرسه فى النار أعظم من أحد » . فهلك القوم وبقيت أنا والرجال ، فكنت متخوفا لها حتى خرج الرجال مع مسيلمة فشهد له بالنبوة ، فكانت فتنة الرجال أعظم من فتنة مسيلمة . الطبرى فى حوادث سنة ١١ ج ٣ : ٢٨٧ . وفى القاموس (رجل) : « وكشداد : ابن عنفوة ، قدم فى وفد بنى حنيفة ثم ارتد ، فتبع مسيلمة ، فقتله زيد بن الخطاب يوم اليمامة . ووهم من ضبطه بالحاء » . ط : « الرحال » ، صوابه فى ش .

اصْبِرِ النفسَ عندَ كلِّ مُلِمٍّ
إنَّ فى الصَّبر حيلةَ المحتالِ
لا تَضِيقنَّ بالأمور فقد يُكـ
شَفُ غمَّاؤها بغير احتيالِ
ربَّما تَكره النفوسُ من الأمـ
ـرِ له فَرجةٌ كحلِّ العِقالِ
قد يُصاب الجبانُ فى آخر الصَّـ
ـفِّ وينجو مُقارعُ الأبطالِ)

ورواها صاحب (الحماسة البصرية [١]) لحُنَيْف بن عُميرٍ المذكور ، وقيل إنها لِنهار ابن أخت مُسيلمةَ الكذَّاب ، لعنَهُ الله . ونسَبها العينىُّ لأمية بن أبى الصَّلت . وهذا لا أصل له .

وقوله : « يا قليلَ العزاءِ » هو بالفتح ، بمعنى الصبر والتجلُّد .

وقوله : « اصبر النفسَ » أى احبِسْها . والملمُّ : الحادثُ من حوادث الدهر ، وهو اسم فاعل من ألَمَّ ، إذا نزل . وغَمَّاؤها : مبهَمُها ومُشكلها ؛ وهو بالغيَن المعجمة ، يقال أمر غُمّةٌ أى مُبهم ملتبس . ويقال صُمْنا للغُمَّى ، بفتح الغين وضمها ، وصمنا للغَمّاء على فعلاءَ ، بالفتح والمدِّ ، إذا غُمَّ الهلال على الناس وستره عنهم [غيمٌ [٢]] ونحوه . وصحَّفه العينى فقال : عماؤها بالعين المهملة وتشديد الميم للضرورة . والعَمَاءُ [٣] فى اللغة : السَّحاب الرّقيق سمِّى بذلك لكونه يُعمى الأبصارَ عن رؤية ما وراءَه . وأراد بها ما يَحُول بين النفس ومرادها . هذا كلامه .

---

(١) الحماسة البصرية ٢ : ٧٧ – ٧٨ .
(٢) التكملة من ش .
(٣) ط : « والعما » ، صوابه فى ش .

قال السيوطىُّ (فى شرح شواهد المغنى) : أخرج ابن عساكر من طريق الأصمعى قال : قال أبو عمرو بن العلاء : هَربت من الحَجَّاج فسمعتُ أُعرابيًّا يُنشد :

يا قليلَ العزاءِ فى الأهوالِ وكثيرَ الهمومِ والأوجالِ

إلى آخر الأبيات . فقلت : ما وراءكَ يا أعرابى ؟ فقال : مات الحجَّاج ! فلم أدرِ بأيِّهما أفرحُ : أَبموتِ الحجاج أم بقوله فَرجة ؟ لأنِّى كنت أطلبُ شاهداً لاختيارى القراءةَ فى سورة البقرة : ﴿ إلا من اغْترفَ غَرْفة [1] ﴾ بالفتح . انتهى .

وقد رُويت قصة أبى عمرو بن العلاء هذه على وجوهٍ مختلفة منها رواية الصاغانى (فى العباب) قال : قال الأصمعىّ : سمعتُ أبا عمرو بن العلاء وكان قد هرب من الحجاج إلى اليمن يقول : كنتُ مختفياً لا أُخرجُ بالنهار فطال علىَّ ذلك ، فبينَا أنا قاعدٌ وقتَ السَّحر مفكراً سمعتُ رجلاً ينشدُ وهو مارٌّ :

ربمَّا تَكره النفوسُ من الأمـ

ـرِ له فَرجةٌ كحلِّ العِقالِ

ومرَّ خَلْفَه رجلٌ يقول : مات الحَجَّاج ! قال أبو عمرو : فما أدرى بأيِّهما كُنت أفرحَ ، أَبموت الحجَّاج ، أم بقوله : فَرْجة بفتح الفاء ، وكنا نقوله بضمِّهَا . ا هـ .

---

(١) الآية ٢٤٩ من سورة البقرة . وقراءة الفتح هى قراءة نافع وابن كثير وأبى عمرو . ووافقهم ابن محيصن واليزيدى والشنبوذى . الإتحاف ١٦١ وتفسير أبى حيان ٢ : ٢٦٥ . والخبر كذلك فى معجم المرزبانى ٢٤٣ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٢٤١ .

٥٤٥ ومنها ما رواه الدماميني (في الحاشية الهندية) قال : يُحكى عن أبي عمرو بن العلاء أنَّه كان له غلامٌ ماهر في الشِّعر ، فَوُشِيَ به إلى الحجاج فطلبَهُ ليشتريَه منه . قال : فلما دخلتُ عليه وكلَّمني فيه قلت : إنَّه مُدَبَّر . فلمَّا خرجتُ قال الواشي : كَذَب . فهربتُ إلى اليمن خوفاً من شرِّه ، فمكثتُ هناك وأنا إمامٌ يُرجَع إليَّ في المسائل ، عَشْرَ سنين ، فخرجتُ ذاتَ يوم إلى ظاهر الصَّحراء فرأيتُ أعرابيًّا يقول لِآخر : ألا أبَشِّرك ؟ قال : بلى . قال : مات الحجَّاج ! فأنشده :

ربمَّا تَكره النفوسُ من الأمـ
ـر له فَرْجَةٌ كحلِّ العِقالِ

وأنشده بفتح الفاء من « فَرجة » . قال أبو عمرٍو : لا أدري بأيِّ الشيئين أفرحُ ، أبموت الحجَّاج أم بقوله فَرْجة بفتح الفاء ، ونحن نقول فُرجة بضمِّها ، وهو خطأ . وتطلبت ذلك زماناً في استعمالاتهم . قال أبو عمرو : وكنت بقوله : فَرجة أشدَّ مني فرحاً بقوله : مات الحجَّاج . ا هـ .

كذا ساق الحكاية . وفي قوله في آخرها : « وهو خطأ » نظرٌ لا يخفى .

والمشهور أنَّ سببَ هروب أبي عمرو إلى اليمن طلبُ الحجَّاج منه شاهداً من كلام العرب لقراءته : ﴿ غَرفة ﴾ بالفتح ، فلما تعذَّر عليه هرب إلى اليمن . ولم تحضرُني الآن هذه الرواية .

تتمـــة

روى السيد المرتضى رحمه الله : (في أماليه الغرر والدرر [1]) عن

(١) أمالي المرتضى ١ : ٤٨٦ .

الصُّولى أنَّ منشدًا أنشد إبراهيم بنَ العَبَّاس ، وهو فى مجلسه فى ديوان الضِّياع :

* ربما تكرهُ النُّفوسُ مِن الأمر * البيت

قال : فنكَتَ بقلمه ساعةً ثم قال :

ولرُبَّ نازلةٍ يضيقُ بها الفَتى
ذَرعاً وعند الله منها المخرجُ
كَمُلتْ فلمَّا استحكمَتْ حَلَقاتُها
فُرِجَتْ وكان يظنُّها لا تفرجُ

فعجب من جَودة بديهته . اهـ .

* * *

وأُنشد بعده :

(لأمرٍ مايسَوَّدُ من يَسُودُ)

على أنَّ ما هنا لإفادة التعظيم . ويسوَّدُ بالبناء للمفعول ، أى يُجعَل سيداً .

وهذا عجزٌ وصدره :

(عزمتُ على إقامة ذى صَبَاحٍ [١])

وقد تقدَّم الكلامُ عليه فى الشاهد السبعين بعد المائة من باب المفعول فيه [٢] .

* * *

(١) ط : « ذى صداء » ، صوابه فى ش والخزانة ٣ : ٨٧ .
(٢) الخزانة ٣ : ٨٧ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثلاثون بعد الأربعمائة [١] :

٤٣٨ (فكَفَى بنا فضلاً على مَنْ غَيْرُنا
حبُّ النبِّى محمدٍ إيَّانا)

على أنّ (مَنْ) نكرة موصوفة بمفرد ، وهو قوله (غيرنا) .

قال سيبويه : قال الخليل رحمه الله : إنْ شئت جعلتَ مَن بمنزلة إنسان وجعلت نا بمنزلة شئ نكرتين . وزعم أنَّ هذا البيت مثلُ ذلك :

وكفى بنا فضلاً على مَن غيرنا حبُّ النبيِّ محمدٍ إيانا

وكذا أورده الفرَّاء (فى أوّل تفسيره) من سورة البقرة [٢] .

قال الأعلم : الشاهد فيه حمل غير [٣] على مَنْ نعتاً ، لأنها نكرةٌ مبهمة ، فوصفت بما بعدها وصفاً لازماً يكون لها كالصِّلة ، والتقدير : على قومٍ غيرنا . ورفع غيرٍ جائزٌ على أن تكون مَنْ موصولة ، ويحذف الراجعُ عليها من الصلة ، والتقدير : من هو غيرنا . والحبُّ مرتفع بكفى ، والباء فى بنا زائدة مؤكِّدة ، والمعنى كفانا . اهـ .

٥٤٦

وأورده ابن الشجرى فى ثلاثة مواضع (من أماليه) قال فى الموضع الثانى : رفع غَير رواية .

---

(١) لم ينص هنا على أنه من شواهد سيبويه . وهو فى سيبويه ١ : ٢٦٩ ومجالس ثعلب ٣٣٠ وتفسير الطبرى ١ : ٤٠٤ والجمل ٣١١ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ١٦٩ ، ٣١١ وابن يعيش ٤ : ١٢ والمقرب ٤٣ وشرح شواهد المغنى ١١٦ ، ٢٥٢ والعينى ١ : ٤٦٨ والهمع ١ : ٩٢ ، ١٦٧ وديوان كعب بن مالك ٢٨٩ . ولم أجده فى ديوان حسان .

(٢) معانى القرآن ١ : ٢١ ، ٢٢ ، ٢٤٥ .

(٣) ش : « غيره » ، صوابه فى ط والشنتمرى .

وقال فى الثالث [١] : وإنْ رفعتَ غيرُ فإنَّه خبر مبتدأ محذوف ، تريد من هو غيرُنا ، فجعلتَ مَنْ موصولة ، كقراءة من قرأ : ﴿ تَمَاماً على الذى أحْسَنُ [٢] ﴾ يريد : هو أحسن .

وقال ابن هشام (فى المغنى) فى بحث مَنْ : ويروى برفع غير ، فيحتمل أنَّ مَن على حالها ، ويحتمل الموصوليَّة . وعليهما فالتقدير : من هو غيُرنا ، والجملة صفةٌ أو صلة . وقال الكسائى : من هنا زائدة وغيرِنا مجرور بعلى . نقله العينى عنه .

وأورده ابن هشام (فى المغنى) على أنَّ الباء قد زيدت فى مفعول كفى المتعدِّية لواحد ، ومنه الحديث : « كفى بالمرءِ إثْماً أن يُحدِّثَ بكلِّ ما سمع » . وقيل : إنَّما هى فى البيت زائدةٌ فى الفاعل ، وحبُّ بدل اشتمال على المحلّ . اهـ .

قال المرادىّ : صاحب هذا القِيل ابنُ أبى العافية . وعلى هذا حمل بعضهم قولَ المتنبِّى :

كفى بجسمى نُحولاً أنَّنى رجلٌ

لولا مخاطبتى إياكَ لم تَرنى

ونقل ثعلب (فى أماليه) عن المازنى أنَّ زيادة الباء فى قوله : « فكفى بنا » شاذّ ، وإنَّما تدخل الباء على الفاعل .

وحُبُّ النبىّ فاعل كفى ، و (مُحَمَّدٍ) عطف بيان للنبى ، وحبُّ

---

(١) هذا الموضع الثالث لم أعثر عليه فى أمالى ابن الشجرى ، فهو مما سقط من النسخة المطبوعة .

(٢) الآية ١٥٤ من الأنعام .

مصدر مضاف إلى فاعله ، وإيانا مفعوله ، و (فضلاً) : تمييز محوَّل عن الفاعل ، والأصل كفانا فضلُ حبِّ النبى ﷺ .

وقال الدمامينى : فضلاً حال وتنوينه للتفخيم ، أى كفانا حبُّ النبى حالة كونه فضلا عظيما . ولا يصحُّ كونه مفعولاً ثانياً لكفى ، لفساد المعنى . انتهى .

وروى بدله : (شرفاً) ، وهُمَا بمعنى المزيّة والفضيلة .

صاحب الشاهد

وهذا البيت لكعب بن مالك شاعرِ رسول الله ﷺ ، وقد تقدَّمت ترجمته فى الشاهد السادس والستين [1] . ونُسب إلى حسان بن ثابت رضى الله عنه أيضاً ؛ ولم يوجد فى شعره . قال ابن هشام اللخمى (فى شرح شواهد الجمل) : وقيل : هو لعبد الله بن رَوَاحة الأنصارى . وقيل : لبشير بن عَبْد الرحمن بن كعب بن مالك .

وهو مع كثرة وجوده فى كتب النحو لم يذكر أحدٌ ماقبله ، إلاَّ السُّيوطى (فى شرح شواهد المغنى) ، وهو :

(نصَرُوا نبيَّهـمُ بنصرِ وليِّهِ
فالله عزَّ بنصرِه سَمَّانا)

يعنى أنّ الله عز وجل سمَّاهم الأنصارَ لأنهم نصروا النبىَّ ﷺ ومن والاه . والباء فى « بنصر وليِّه » بمعنى مع .

---

(١) الخزانة ١ : ٤١٧ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثلاثون بعد الأربعمائة [١] :

٤٣٩ (ربَّ مَنْ أنضجْتُ غيظاً صدرَه

قد تمنَّى لىَ موتاً لم يُطَعْ)

على أنَّ جملة (أنضجْتُ) فى موضع جرّ على أنهَا صفة لمن ، لأنَّها نكرة بمعنى إنسان ، بدليل دخول ربَّ عليها .

وأورده صاحب الكشاف عند قوله تعالى : ﴿ إنْ كلُّ مَنْ فى السّمٰواتِ والأرضِ إلَّا آتِى الرَّحمنِ عَبْداً [٢] ﴾ على أنَّ من فيها نكرةٌ موصوفة بالظرف ، لأنَّها وقعت بعد كلّ كوقوعها بعد ربَّ فى البيت .

قال ابن هشام (فى المغنى) : زعم الكسائى أنَّ مَنْ لا تكون نكرةً إلا فى مَوضعٍ يخصُّ النكرات . ورُدَّ بقوله :

* فكفى بنا فضلاً عَلَى مَنْ غيرِنا *

وبقول الفرزدق :

إنّى وإيَّاكَ إذْ حلّت بأَرحُلنا ٥٤٧

كَمنْ بِوادِيه بعدَ المَحْلِ ممطورِ [٣]

أى كشخص ممطورٍ بواديه ، لأنَّ مجرور عَلَى والكاف لا يجب أنْ يكون نكرة . وقد خُرِّجَ مَنْ فيهما على الزيادة ، وذلك شئٌ لم يثبت .

وروى أيضاً :

ربمَّا أُنضجتُ غَيظاً قلب مَنْ قد تمنَّى ..... إلخ

---

(١) ابن الشجرى ٢ : ١٦٩ وابن يعيش ٤ : ١١ وشرح شواهد المغنى ٢٥٢ والشذور ١٣١ والهمع ١ : ٢/٩٢ : ٢٦ والأشمونى ١ : ٥٤ والمفضليات ١٩٨ .

(٢) الآية ٩٣ من مريم .

(٣) ديوان الفرزدق ٢٦٣ . وهو من شواهد سيبويه ١ : ٢٦٩ .

فلا شاهدَ فيه ، وما حينئذ كافة مهيِّئة لدخول ربَّ عَلَى الجملة .
ومجرور ربَّ هنا فى محل رفع على الابتداء ، والخبر إمَّا قد تمنَّى ، ولم يُطَعْ خبر بعد خبر ، وإمَّا لم يطع وجملة قد تمنَّى صفه ثانية . وإنضاج اللحم : جعله بالطَّبخ [أو الشىّ [1]] مستوياً يمكن أكله ويحسُن ، وهو هنا كناية عن نهاية الكمَد الحاصِلِ للقلب ، أو استعارة . شبَّه تحسيرَ القلب وإكماده بإنضاج اللحم الذى يؤكل . وغيظاً إمَّا مفعول لأجله أى أنضجت قلبه لأجل غيظى إيّاه ، وإمَّا تمييز عن النسبة ، أى أنضج غيظى إيّاه قلبه ، وهو مصدر غاظَه ، إذا أغضبَه . قال ابن السِّكِّيت : ولا يقال أغاظه . وأثبته صاحبُ القاموس قال : يقال غاظُه وغَيَّظه وأغاظه . ورُوىَ : « قلبَه » موضع « صدرَه » المرادِ بِهِ قلبه ، وروى أيضا : « كِبْدَه » .

صاحب الشاهد

وهذا البيتُ من قصيدةٍ طويلة ، عدَّتها مائة بيت وثمانية أبياتٍ ، لسويد ابن أبى كاهل اليشكُرىّ ، مسطورةٍ فى المفضليَّات ، مطلُعها :

(بسطَتْ رابعةُ الحَبْلَ لنَا
فوصَلْنَا الحبلَ منها ما اتَّسعْ)

وهذه أبياتٌ منها بعد الشاهد المذكور . قال ابن قُتيبة فى ترجمة سويد (من كتاب الشعراء) : كان الحجاج تمثَّل يوم رُسْتَقَاباد [2] على المنبر بأبياتٍ من شعره ، وهو قوله :

(ربَّ مَن أنضجتُ غيظاً قلبَه   قد تمنَّى لِىَ موتاً لم يُطَعْ
ويرانى كالشَّجا فى حَلقه   عسِراً مخرجُه ما يُنتزَعْ

---

(١) أو الشى ، من ش فقط .

(٢) الذى فى الشعراء ٣٨٤ ومعجم البلدان : « رستقباذ » ، والدال والذال متعاقبتان . وقال ياقوت : « من أرض دستوا : بلدة بفارس » .

مُزبد يَخطِرُ ما لم يرنى فإذا أسمعتُه صوتى انقَمَعْ
قد كفانى اللهُ ما فى نفسه ومتى ما يكفِ شيئاً لم يُضَعْ
لم يَضِرنْى غير أن يَحْسُدَنى فهو يزقُو مثل ما يزقو الضُّوَعْ
ويحيِّينى إذا لاقيتُه وإذا يخلو له لحمى رَتَعْ
كيف يَرجُون سِقاطى بعدما جَلّلَ الرأسَ مَشيبٌ وصَلَعْ)

قال ابن الأنبارى (فى شرح القصيدة) : روى أيضا :

* ربَّما أنضجت غيظاً قَلْبَ مَنْ * ... إلخ

والشجا : الغَصَص ونحوهُ . ومُزْبد من أزبد . وأصل الخَطْر فى الناس : تحريك اليدين فى المشْى والاختيال بهما . وانقمع : دخَل بعضُه فى بعض . والمعنى أنَّه يتعظم إذا لم يرنى ، فإذا رآنى تضاءل . والضُّوَع بضم الضاد : ذكَر البُوم . ويَزقُو : يصيح . ورَتَعَ : أكل . والسِّقاط : الفَترة . يقول على طريق التعجُّب : كيف يؤمِّلون فترتى وسَقَطى وقد بلغتُ هذه السِّنّ .

وسويد هو ابن أبى كاهل ، واسمه غُطَيف بن حارثة بن حِسْل بن مالك ابن عبد سعد بن عدىّ بن جُشَمَ بن ذُبيان بن كنانة بن يشكر بن بكر بن وائل . ويكنى أبا سعد ، وفى ذلك يقول :

أَنا أبو سعدٍ ، إذا الليلُ دَجا
دخلتُ فى سِرباله ثُمَّ النَّجا

ويقال اسم والده شَبيب . وهو شاعرٌ مقدَّم مخضرم ، أدرك الجاهليَّةَ والإسلام . عدَّه ابن سَلاَّمٍ الجُمَحىُّ فى الطبقة السادسة ، وقرنه بعنترةَ العبسى . قال أبو نصر أحمد بن حاتم : قرأت شعر سُويدٍ على الأصمعىّ ، فلما بلغت قصيدتَه التى أوَّلُها :

سويد بن أبى كاهل — ٥٤٨

بَسطتْ رابعةُ الحبلَ لنا فوصَلْنا الحبلَ منها ما اتَّسعْ

فضَّلها الأصمعىُّ وقال : كانت العرب تفضِّلها وتقدِّمها ، وتعدُّها من حكمها ، وكانت فى الجاهلية تسمَّى « اليتيمة » ، لمَا اشتملتْ عليه من الأمثال . وعاش سويدٌ فى الجاهلّية دهراً ، وعُمِّر فى الإسلام ستِّين سنة بعد الهجرة إلى زمن الحجّاج . كذا فى الإصابة .

وهو من المعمَّرين ، ولم يذكره أبو حاتم (فى كتاب المعمرين) .

وكان زيادٌ الأعجم قد هجا بنى يشكُر بقوله :

إذا يشكرىٌّ مَسَّ ثَوبَكَ ثوبُه فلا تذكرنَّ اللهَ حتَّى تَطَهَّرا
فلو أنَّ مِن لُؤمٍ تموتُ قبيلةٌ إذا لَأَماتَ اللُّؤْمُ لا شكَّ يشكُرا

فأتت بنو يَشكُرَ [تشكو [١] ء] سويداً ليهجُوَ زياداً ، فأبى سويدٌ ، فقال زياد :

وأُنبئتهمْ يَستصرخون ابنَ كاهلٍ وللُّؤمِ فيهم كاهلٌ وسَنامُ
فإن يأتنا يرجعْ سُويدٌ ووجهُه عليه الخزايا غُبْرةٌ وقَتامُ
دعىٌّ إلى ذُبيان طوراً وتارةً إلى يشكرٍ ، ما فى الجميع كِرامُ

فقال لهم سُويد : هذا ما طلبتم لى ؟ وكان سويدٌ مغلَّبا .

وأمّا قول زياد الأعجم « دعىٌّ » فإنَّ أمَّ سويد كانت قَبل أبى كاهل عند رجلٍ من بنى ذُبيان بن قيس ، فمات عنها فتزوَّجها أبو كاهل ، وكانت فيما

(١) التكملة من ش . والمعنى : أتت سويدا شاكية .

يقال حاملاً ، فلما وَلدتْه استلحقَه أبو كاهل وسمَّاه سُويدا ، وكان سُويدٌ إذا غضب على بنى يشكر انتمى إلى ذبيان ، وإذا رضىَ عنهم أقام على نَسَبه فيهم .

وهاجى سويدٌ حاضرَ بن سَلمة العنزى ، فطلبهما عبدُ الله بن عامر فهربا من البصرة . ثم هاجَى الأعرجَ أخا بنى حماد بن يشكر [١] ، فأخذهما صاحبُ الصّدقة فى أيام وِلاية عامر بن مسعود الجمحيِّ الكوفة ، فحبسهما وأمر أن لا يخرجا من السِّجن حتَّى يؤدّيا مائةً من الإبل ، ففكَّ بنو حمَّاد صاحبَهم وبقى سُويد ، فخذله بنو عبدِ سَعد [٢] وهم قومُه ، فلم يزل محبوساً حتَّى استوهَبتْه عبسٌ وذبيان لمديحه لهم ، وانتمائه إليهم ، وأطلقُوه بغير فداء . وحَلَفَ أن لا يعود .

وهذه أبياتٌ من قصيدةٍ انتهى فيها إلى ذبيانَ ومدحهم :

أنا الغطفانىّ ابنُ ذبيانَ فابعُدوا ... وَلِلزِّنجُ أُدنى منكُمُ ويُحابِرُ

أبتْ لىَ عبسٌ أن أُسامَ دَنيَّةً ... وسعدٌ وذبيانُ الهجانُ وعامرُ [٣]

وحىٌّ كرامٌ سادةٌ من هَوازنٍ ... لهم فى الملمَّاتِ الأنوفُ الفواخرُ [٤]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الموفى الأربعين بعد الأربعمائة [٥] :

---

(١) لم أعثر عليهم فى كتب الإنساب . والذى فى الأغانى ١١ : ١٦٧ : « أخا بنى جمال بن يشكر » .

(٢) فى الأصل : « بنو سعد » ، وما أثبت من الأغانى هو ما يتفق مع نسبه السابق ص ١٢٥ .

(٣) سعد هؤلاء ، هم سعد بن ذبيان . وكان سويد إذا غضب على بنى يشكر قومه ادَّعى إلى بنى ذبيان ، كما سبق .

(٤) ط : « الملامات » ش : « بالملامات » صوابهما فى الأغانى ١١ : ١٦٦ . وفى الأصل : « الأنوف النواخر » ، والوجه ما أثبت من الأغانى .

(٥) أمالى ابن الشجرى ٢ : ٣١٢ وشرح شواهد المغنى ٢٥٣ والهمع ١ : ١٢ .

٤٤٠ (آلُ الزُّبيرِ سَنامُ المجدِ قد عَلِمَتْ
ذاكَ العشيرةُ والأثْرَوْنَ مَنْ عَدَدَا)

على أن (مَنْ) عند الكوفيين حرف زائد ، أىْ : والأثرون عددا . وهى عند البصريين موصوفة ، أى والأثرون إنساناً معدودا .

٥٤٩ وهذا الجواب أورده الفالى [(١)] (فى شرح اللباب) ، قال : يجعل عدداً مصدراً بمعنى المفعول ، أى معدوداً ، فتكون صفةً مفردة . فمن اسمٌ موصوفٌ بمفرد ، كقوله :

* فكفى بنا فضلاً على مَنْ غَيرِنا *

ويجوز أن تكون موصوفة بجملة محذوفة ، وذلك أنَّ عددا مفعول مطلق وعامله محذوف ، تقديره يُعدّ عدداً بالبناء للمفعول . والجملة صفة مَنْ ، أى إنسانا يعدّ عدداً . وعلى هذا الجواب اقتصر صاحب اللباب ، وابن الشجرى (فى أماليه) قال : زاد الكسائىُّ فى معانى مَنْ قسماً آخر ، وهو أنها قد جاءت صلة – يعنى زائدة – وأنشد :

* والأثْرَوْنَ مَنْ عَدَدا *

وقال غيره : معناه والأثرون من يُعَدُّ عددا ، فحذف الفعل واكتفى بالمصدر منه ، كما تقول : ما أنت إلاّ سيراً . فمَنْ فى هذا القول نكرةٌ موصوفة بالجملة المحذوفة ، فالتقدير : والأثرون إنسانا يُعَدّ . اهـ .

---

(١) فى الأصل : « القالى » صوابه بالفاء كما سبق فى حواشى ١ : ٣٣٨ . وانظر هذا الجزء ص ١٠٠ .

وأجاب بهما ابن هشام (فى المغنى) فقال : عدداً إمَّا صفةٌ لمن على أنّه اسمٌ وضع موضع المصدر ، وهو العدّ ، أى والأثرون قوماً ذوى عدَدٍ [(١)] أى قوماً معدودين . وإما معمول ليعدّ محذوفا صلة أو صفة لمن ، ومن بدل من الأثرَوْن . اهـ .

وإنَّما نصبوا تفسير مَنْ ، وهو قولهم : إنساناً أوْ قوما ، لأنَّ مَن تمييز . وعلى قول الكوفيين من زائدةٌ وعَدداً هو التمييز . وفى تخريجهم نظرٌ لا تخفى سماجتُه ، مع أنَّه ليس فيه كبير مدح ؛ فإنَّ مراد الشاعر أنَّ آل الزُّبَيْر سَنَام المجد والأكثرون عدداً ، فإنَّ أتْباعهم أكثُر من أتْباع غيرهم عدداً ، إلا أنَّهم يُعدُّون عدداً ؛ فإنّ من يُعَدُّ قليل ، والقِلَّة لا فخر فيها ولا مدح .

وجَعْلُ ابنِ هِشامٍ مَنْ بدلاً من الأثرَوْن على تقدير الفعل ، لا وجه له ، إذْ لا فرق فى المعنى بين قولنا قوما معدودين وبين قوما يُعَدُّون . فتأمَّل . ونقلُه كونَها اسماً فى حال الزيادة ، يخالفه صريحُ نقل الشارح المحقِّق ، وصريحُ كلام ابن الشجرى . وتخريج الكوفيين خالٍ عن التعسُّف مع صحة معناه ، ومتانة مغزاه .

وقال الأندلسى (فى شرح المفصل) : الرواية عند البصريِّين : « والأثرَوْنَ ما عددا » ، وزيادة « ما » جائزة لا اختلاف فيها [(٢)] .

وقوله : (آل الزبير) مبتدأ و(سنام المجد) خبره ، و (الأثرَوْن) معطوف على الخبر ، وجملة (قد علمت ذاك العشيرة) اعتراضية لتقوية المعنى

---

(١) ط : « ذوى عد » ، صوابه فى ش .

(٢) ط : « لا خلاف فيها » ، وأثبت ما فى ش .

وتسديده ؛ و (ذاك [١]) مفعول علمت ، وهو إشارة إلى كونهم سَنام المجد والأكثرين عددا . و (العشيرة) فاعل علمت ، وروى بدله (القبائل) أى قبائل العرب . وعلم هنا متعدٍّ لمفعول واحد ، لأنه بمعنى عرف . و (سنام المجد) : أعلى المجد ، استعير من سَنام الإبل . و (الأثرَوْن) : جمع أثرى ، وهو أفعل تفضيل من ثَرِيتُ بك بكسر الراء ، أى كَثُرْتُ بك . قاله فى الصحاح .

وهذا البيت مع كثرة دَوَرانه فى كتب النحو لا يُعرف له قائل ، ولا تتمة . والله أعلم به .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والأربعون بعد الأربعمائة [٢] :

٤٤١ (ياشاةَ مَنْ قَنَصٍ لَمنْ حَلَّتْ له
حَرُمَتْ علىَّ وليتَها لم تَحْرُمِ)

على أنَّ (مَنْ) عند الكوفيين زائدة .

قال ابن هشام (فى المغنى) : مَنْ هنا أيضا نكرة موصوفة بمفرد ، أى ياشاةَ إنسانٍ قَنَص ، على أنه من الوصف بالمصدر للمبالغة .

يريد أنَّ قنصا مصدر بمعنى الصَّيد أريد به اسم الفاعل ، أى ياشاة إنسان قانص . وأراد بالإنسان نفسه . وهذا تخريجٌ جيد لا مطعنَ فيه ، والمشهور فيه كما قال الشارح المحقق : « ياشاة ما قنصٍ » بزيادة ما ، وهى رواية شُرَّاح المعلّقات ، ولم يروِ أحد منهم الرِّواية الأولى ، فإنَّ البيت من معلقة عنترة ابن شدَّاد العبسى . ٥٥٠

(١) ط : « وذلك » ، صوابه فى ش .

(٢) شرح شواهد المغنى ٢٥٢ . والبيت من معلقة عنترة المعروفة .

و (الشاة) هنا : كناية عن المرأة ، والعرب تكنى عنها بالنَّعجة أيضا .

وقد أورده صاحب الكشاف برواية (ما) عند قوله تعالى : ﴿ إنَّ هذا أخى له تِسْعٌ وتِسعُونَ نَعْجَةً [١] ﴾ ، على أنّ النعجة استُعيرت للمرأة ، كما استعار عنترة للشَّاة ، فقنصٍ على هذه الرواية مصدرٌ بمعنى المفعول ، وهو مجرور بإضافة شاة إليه . وفى زيادةِ ما وتنكير قنصٍ ما يدلُّ على أنَّها صيدٌ عظيم يَغتبِط مَن يَحُوزها أىَّ اغتباط ، فيكون [٢] فى قوله (حَرُمَتْ علىَّ) الدلالة على التحزُّن التامِّ على فواتِ تلك الغنيمة .

قال الخطيب التِّبريزىُّ فى شرح هذه المعلقة : قوله (لمن حَلَّتْ) أى لمن قدر عليها . وقوله : (حَرُمَت علىّ) معناه هى من قوم أعداء . ويدلُّ على هذا قوله فى القصيدة :

* عُلِّقتُها عَرَضاً وأقتلُ قَومَها *

والمعنى : أنَّها لمَّا كانت فى أعدائى لم أصلْ إليها وامتنعَتْ منِّى . وأصل الحرام الممنوع . والمعنى : أنَّها حرمت علىّ باشتباك الحرب بينى وبين قبيلتها . وقوله : (وليتَها لم تحْرُمِ) هو تمنٍّ فى بقاء الصلح . وقال الأخفش : معنى حرمت علىَّ : أى هى جارتى ، وليتها لم تحْرُمْ : أى ليتها لم تكن جارةً حتَّى لا يكون لها حرمة .

وقال الزوزنى فى شرحه : هى امرأة أبيه ، يقول : حرُم علىَّ تزوُّجها لتزوُّج أبى إيَّاها ، وليتها لم يتزوَّجها حتى كانت تحلّ لى . اهـ .

---

(١) الآية ٢٣ من سورة ص .

(٢) ش : « فيكون » بالياء .

أقول : لا ينبغى أن يَذكر هذا ، فإنَّ التزوُّجَ بامرأة الأب كان جائزاً فى الجاهلية ، ويشهد له القرآن [١] . و (شاة) بالنصب ، لأنَّه منادًى مضاف عند أبى جعفر النحوىّ ، ومفعولٌ لفعل محذوفٍ مع المنادى عند الزوزنى ، قال : التقدير : يا هؤلاء اشهدُوا شاةَ قنص لمن حَلَّت له ، فتعجَّبُوا من حسنها وجمالها ، فإنَّها قد حازت الجمال . والمعنى : هى حسناءُ جميلة .

وترجمة عنترة قد تقدَّمت فى الشاهد الثانى عشر من أوائل الكتاب .

وقد أورد البدر الدمامينى هنا أبياتاً قد ضُمِّن فيها البيتُ الشاهد ، قال : أنشدنى شيخُنا شمس الدين الغُمارىّ إجازةً قال : أنشدنى أبو حَيَّانَ قال : أنشدنا جعفر بن الزُّبير قال : أنشدنى القاضى أبو حفص عُمر بن عُمر الفاسىُّ لنفسه ، وقد أُهدِيتْ إليه جارية فوجدها ابنةَ سُرِّيَّةٍ كان تسرَّاها ، فردَّها وكتب إلى مهديها :

يا مُهدِىَ الرشأ الذى ألحاظُه ... تَركتْ فؤادى نَصْبَ تلك الأسهم
ريحانةٌ كلُّ المنى فى شَمِّها ... لولا المهيمنُ واجتنابُ المَحْرمِ
ما عَنْ قِلىً صُرِفتْ إليك ، وإنّما ... صيدُ الغزالة لم يُبَحْ للمحرمِ
إنَّ الغزالة قد علمنا سرَّها ... قبلَ المهاةِ ، وليتنا لم نَعلمِ
يا ويحَ عنترةٍ يقولُ وشفَّهُ ... ما شَفَّنى فشَدا ولم يتكلَّمِ
« ياشاةَ ماقنصٍ لَمنْ حَلَّتْ له ... حَرُمَتْ علىَّ وليتها لم تحرمِ »

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والأربعون بعد الأربعمائة [٢] :

٤٤٢ (أو تُصْبِحى فى الظَّاعِنِ المُوَلِّى)

---

(١) يعنى الإشارة التى فى قوله تعالى : « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلاَّ ما قد سلف » . سورة النساء ٢٢ .

(٢) نوادر أبى زيد ٥٣ .

على أنّ (أل الموصولة) المستعملة فى الجمع إذا لم تصحب موصوفها يجوز مراعاةُ لفظها كما هنا ، إذ المراد : فى الظاعنين المولِّين . ويجوز أن يكون ٥٥١ الإفراد باعتبار أنَّ موصوفَها المقدَّر مفردُ اللفظ ، أى فى الجمع الظاعن ؛ وإنّما حُمِلَ أل فى الوصفين على الجمع لأنَّ المعنى دلّ على أنَّ المراد : إن تصبحى راحلةً مع الظاعنين . وليس لإفرادهما معنىً بدون ما ذكره الشارح المحقِّق .

وذهب أبو على الفارسىّ (فى المسائل البصرية) إلى أنَّ الجمعية مستفادةٌ من كون أل للجنس ، لا أنَّها تدلُّ عليها وضعاً ، قال : أنشد المازنى :

* أو تصبحى فى الظَّاعن المولِّى *

وفَسَّرَه بالظاعنين . وسألنى أبو يعقوبَ الماوردىُّ : إذا حسُن أن تكون [١] اللام للجمع فى الظاعنين دالَّةً على الجمع فيه على قول المازنىِّ وابن السَّرَّاج ، فلم لا يحسنُ ذلك فى الظاعن مع إفراد ظاعِن ، كما جاز ﴿ مثَلِ الذى استوقَد نارًا فلمّا أضاءَتْ ما حَوْله [٢] ﴾ ؟ فقلت له : الفرق بينهما أنَّ ذلك فى الذى اتساع ، وأنَّه لم يخلُ ذلك من دليل يدلُّ عليه ملفوظٍ به . ألا ترى أنَّه قال : فلمَّا أضاءت ما حوله ! وقال :

* إنَّ الذى حانت بفَلْج دماؤهمْ *

واللام محمولةً على الذى اتساعاً ، فلا تحتمل من الاتساع ما يحتمله الأصل . ألا ترى أنَّ حملها على الذى اتساعٌ فيها ، حتَّى قال أبو عثمان : ليست بمعنى الذى ، ولكنها دالَّة على الذى . وتوالى الاتِّساع مرفوض ، وإذا لم

---

(١) ش « يكون » .

(٢) الآية ١٧ من سورة البقرة . ونصها : « مثلهم كمثل الذى استوقد نارا » . والاكتفاء ببعض النص القرآنى جائز .

يحسن أنْ يجعل بمنزلة الذى فى هذا ، فأَنْ لا تحسن أن تجعل بمنزلة الذى فيه مع تعرِّيها من دليل يدلُّ عليه أولى ، وإنَّ الذى ، لا يسوغ ذلك فيها متعرِّيةً من دليل . ا هـ .

وفيه نظر من وجهين :

الأوّل : أنَّ قوله اللام محمولة على الذى اتساعاً ممنوعٌ ، فإنَّها موضوعة لمعنى الذى وفرعيه بالاشتراك ، وليست محمولةً على الذى .

والثانى : قوله وتوالى الاتِّساع مرفوضٌ ، ممنوع أيضاً ، فإنَّ المجاز وهو من الاتِّساع فى اللغة ، قد يُتجوَّز به إلى مجازَين أو أكثر .

وكذلك ذهب ابن الشجَرىّ (فى أماليه) إلى أنَّ الجمعية مستفادةٌ من لام الجنس ، قال : والشَّكور من قوله تعالى : ﴿ وقليلٌ من عبادىَ الشَّكُورُ (١) ﴾ اسمُ جنس ، والمعنى : وقليلون من عبادى الشكورون . وكون اسم الجنس مشتقًّا قليل ، وإنَّما يغلب على أسماءِ الأجناس الجمود ، كالدينار والدِّرهم ، والقفيز والإردبِّ . إلى أنْ قال : وممَّا جاء من المشتقِّ يراد به الجنس : المفْسِد والمُصلح ، فى قوله تعالى : ﴿ والله يَعْلَم الْمُفْسِدَ من المُصْلِح (٢) ﴾ أى المفسدين من المصلحين . ومنه قول الراجز :

* أو تُصبحى فى الظاعِن المولِّى *

أراد : فى الظاعنين المولِّين . وقولُ الأخيليَّة :

---

(١) الآية ١٣ من سورة سبأ .

(٢) الآية ٢٢٠ من سورة البقرة .

كأن فتى الفتيانِ توبةَ لم يُنِخْ
بِنجدٍ ولم يَهْبط مع المتغوِّرِ (١)

أرادت : مع المتغوِّرين . ا هـ .

والبيت من أرجوزةٍ أورد بعضَها أبو زيد (فى نوادره) ، وهذا مقدارُ ما أوردَه :

(إنْ تَبخَلى ياجُمْلُ أو تعتلِّى   أشطار الزجر
أو تُصْبحِى فى الظاعن المولِّى
نُسَلِّ وجدَ الهائم المغتلِّ
ببازِلٍ وَجنـاءَ أو عَيْهَـلِّ
كأنَّ مَهواها على الكلكلِّ
ومَوقعاً من ثَفِناتٍ زُلِّ
موقعُ كَفَّىْ راهبٍ يُصلِّى)

وأورد ابنُ الاعرابى (فى نوادره أيضاً) هذا المقدار ، وزاد عليه بعدَه ، وهو :

(فى غَبشِ الصُّبح وفى التجلِّى)   ٥٥٢

وقال أبو زيد بعد إيراده الأبيات : المغتلّ : الذى اغتلَّ جوفُه من الشَّوق والحب والحُزْن ، كغُلَّة العطش . والوجْناء : الوثيرة القصيرة . والعَيْهَلّ : الطَّويلة . والزُّلّ : المُلْس . اهـ .

(١) ط : « لم يتح » صوابه فى ش وديوان ليلى ٧٢ .

وقوله : « إنْ تبخلى » هو من البُخل ، أى إن تبخلى علينا بوصلك . وجُمْل ، بضم الجيم ، من أسماء نساء العرب . وتَعتلِّى ، من الاعتلال ، وهو التمارُض والتمسُّك بحجّة . والظاعن ، مِن ظعنَ من باب نفع ، إذا ارتحل . والمولِّى ، من ولَّيت عَنه ، إذا أعرضتَ عنه وتركتَه . وتعتلِّى وتصبحى معطوفان على تبخلى ، ولهذا جُزِما بحذف النون .

وقوله : « نُسَلِّ » جواب الشرط ، مجزوم بحذف الياء وأوّله نون المتكلم ، من التسلية ، وهو إذهاب الهمّ ونحوِه بالسلوّ . قال أبو زيد : السُّلُوّ : طيب نفس الإلف عن إلفه . والوجد : الغمُّ والحزن . والهائم ، أراد به الشاعر نفسَه ، وهو من هام ، إذا خرجَ عَلَى وجهه لا يدرى أين يتوجَّه إن سلكَ طريقاً مسلوكاً ، فإنْ سلك طريقاً غير مسلوك فهو راكبُ التعاسيف . كذا فى المصباح . والمغتَلّ بالغين المعجمة ، من الغُلّة بالضم ، وهى حرارة العطش . وفسر المغتلّ صاحبُ الصحاح بشديد العطش .

وقوله : « ببازل » متعلق بنسلِّ ، والبازل : الداخل فى السنة التاسعة من الإبل ذكراً كان أو أنثى ، والمراد هنا الثانى لقوله وَجْناء . وفسَّرها أبو زيد بالوثيرة ، بالثاء المثلَّثة ، وهى الكثيرة اللحم ، والتى لا تُتِعب راكبَها . والمشهور تفسيرها بالنَّاقة الشديدة . والعيهلّ ، فَسَّره أبو زيد بالطويلة ، وقال غيره : هى السريعة . قال صاحب العباب : العيهلُّ والعيهلَّة : الناقة السريعة . قال أبو حاتم : ولا يقال جمل عيهلّ ، وتشديد اللام لضرورة الشعر . ا هـ .

وبه يظهر فساد قول السخاوىّ (فى سفر السعادة) : إن العيهلَّ : النجيبُ من الإبل ، والأنثى عيهلَّة . ويردُّ عليه أيضاً قوله وجناء .

وقوله : « مَهْواها » مصدر بمعنى الهُوِىّ والسقوط . والكَلكل ، كجعفر : الصدر ، وتشديد اللام ضرورة أيضاً . وثَفِنات : جمع ثَفِنة بفتح المثلثة وكسر الفاء بعدها نون ، وهو ما يقع على الأرض من أعضاءِ الإبل إذا استناخ وغَلُظ كالركبتين وغيرِهما . وزُلّ بالضم : جمع أزلّ ، وهو الخفيف . وفسَّره أبو زيد بِمُلْسٍ . وهو غير مناسب ، إذ المراد تشبيه الأعضاء الخشنة الغليظةِ من النَّاقة بكثرة الاستناخةِ بكفَّى راهب قد شَثُنت وخشنت ، من كثرة اعتماده عليهما فى السُّجود . وروى : « رِجْلَىْ راهب » بدلَ « كفَّىْ راهب » . والغَبش ، بفتحتين : بقيَّة الليل . وأراد بالتجلِّى النهار .

وهذه أرجوزةٌ طويلة أورد منها شُرَّاح شواهد سيبويه جملةً ، وكذلك أبو على (فى المسائل العسكرية) .

وقوله :

* ببازل وجناءَ أو عيهَلِّ *

أورده سيبويه فى باب الوقف [(١)] ، لرجلٍ من بنى أسد ، على أنّ تضعيف الآخِرِ فى القافية ضرورة . قال الأعلم : الشاهد فيه تشديد عيهلّ فى الوصل ضرورة ، وإنما يشدَّد فى الوقف ليعلم أنّه متحرِّك فى الوصل .

قال أبو على (فى المسائل العسكرية) أما العيهلُّ والكلكلُّ فاستعمالهمَا بتخفيف ، فقدّر الوقفَ عليه فضاعف ، إرادةً للبيان . وهذا ينبغى أن يكون فى الوقف دون الوصل ، لأنَّ ما يتَّصل به فى الوصل يبيِّن الحرف وحركته . فمن ذلك من قال فى الوقف:هذا خالدّ.فإذا وصل قال : هذا خالدٌ كما ترى .

---

(١) سيبويه ٢ : ٢٨٢ .

٥٥٣ ويضطر الشاعر فيجرى الوصلَ بهذه الإطلاقات فى القوافى مجرى الوقف . وقد جاء ذلك فى النصب أيضاً . قال :

* مثل الحريق وافَقَ القَصَبَّا *

وهذا لا ينبغى أن يكون فى السَّعَة . ا هـ .

صاحب الرجز

وهذه الأرجوزة نسبها السخاوى (فى سفر السعادة) لمنظور بن مَرْثد الأسدى . قال : وقيل لغيره . ونسبه الصاغانى (فى العباب) لمنظور بن حَبّة الأسدى ، وهما واحد ، فإنَّ مرثداً أبوه وحَبّة أمُّه ، فبعضهم يَنسبه إلى أبيه وبعضهم إلى أمّه .

منظور بن حبة

قال الصاغانى (فى العباب) : منظور بن حَبَّة راجزٌ من بنى أسد . وحَبَّة أمه ، واسم أبيه مرثد بن فروة بن نَوفل بن نضلة بن الأشتر بن جَحْوان ابن طريف بن عمرو بن قُعَين . ا هـ .

وقعين : ابن الحارث بن ثعلبة بن دُودان بن أسَد بن خُزَيمة .

* * *

وأنشد بعده :

(جَاءُوا بمَذْقٍ هَلْ رأيتَ الذِّئبَ قَطّ)

على أنَّ جملة (هل رأيت) إلى آخرها صفةٌ لمذق ، بتقدير القول . وتقدم شرحُه مستوفًى فى الشاهد السادس والتسعين [1] .

* * *

(١) الخزانة ٢ : ١٠٩ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والأربعون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س [(١)] :

٤٤٣ (ولَقد أَبيتُ من الفَتاةِ بمنزلٍ
فأبيتُ لا حَرِجٌ ولا محرومُ)

على أنَّ (لا حَرِجٌ) عند الخليل مرفوعٌ على أنَّه خبر مبتدأ محذوف ، والجملة محكيَّةٌ بقول محذوف ، أى أبيت مقولاً فىَّ : هو لا حَرِجٌ ولا محروم . وهذا من حكاية الجمل بتقدير المبتدأ ، ولا يصحُّ أن يكون من حكاية المفرد ، لأنَّ حكايةَ إعرابه إنَّما تكون إذا أُريد لفظُه ، نحو : قال فلان : زيدٌ ، إذا تكلَّم بزيد مرفوعا ، وفى غير هذا يجب نصبُه ، إلَّا أن يكون بتقدير شئ ، فتجب حكايةُ إعرابه كما هنا .

وهذا نصُّ سيبويه فى المسألة : وزعم الخليلُ أنَّ أيُّهم إنّما وقع فى قولهم : اضربْ أيُّهم أفضل على أنّه حكاية ، كأنه قال : اضربِ الذى يقال له : أيُّهم أفضل . وشبَّهه بقول الأخطل :

ولقد أبيتُ من الفتاة بمنزل ....البيت

قال الأعلم : الشاهد فى رفع حرجٌ ومحروم ، وكان وجه الكلام نصبَهما على الحال . ووجهُ رفعهما عند الخليل الحملُ علَى الحكاية ، والمعنى : فأبِيت كالذى يقال له لا حرجٌ ولا محروم . ولا يجوز : رفعُه حملاً عَلَى مبتدأ مضمر ، كما لا يجوز: كان زيد لاقائم ولا قاعد ، على تقدير: لا هو قائم ولا هو

(١) فى كتابه ١ : ٢٥٩ ، ٢٩٨ . وانظر أمالى ابن الشجرى ٢ : ٢٩٧ والإنصاف ٧١٠ وابن يعيش ٣ : ٧/١٤٦ : ٨٧ .

قاعد (١) لأنّه ليس موضع تبعيض ولا قطع ، فلذلك حَملهُ على الحكاية . اهـ .

وقال النحاس : قال سيبويه : زعم الخليل أنَّ هذا ليس على إضمار أنا ، ولو كان كذلك لجاز : كان عبد الله لا مسلم ولا صالح ، ولكنَّه فيما زعم الخليل : فأبيتُ كالذى يقال له لا حرجٌ ولا محروم . وإنَّما فرَّ الخليل من إضمار أنا وإن كانت قد تضمَر فى غير هذا الموضع ، لانَّه يلزم عليه أن يقول : كنت لا خارج لا ذاهب . وهذا قبيحٌ جداً ، فجعله عَلَى الحكاية : فأبيت بمنزلة الذى يقال له : لا حرجٌ ولا محروم ، أى إنَّها لم تحرمنى فيقال لى محروم ، ولم أتحرَّج من حضورى معها فيقال لى حَرِج . وقال أبو إسحاق الزجاج : هو بمعنى لا حرجٌ ولا محروم فى مكانى . فإذا لم يكن فى مكانه حرجاً ولا محروما فهو لا حرج ولا محروم . وزعَم الجرميُّ أنه على معنى فأبيت وأنا لا حرجٌ ولا محروم . قال سيبويه : وقد زعم بعضُهم أنَّه على النفى ، كأنه قال : فأبيت لا حرج ولا محروم بالمكان الذى أنا فيه . وكلام أبى إسحاق شرحٌ لهذا . قال أبو الحسن : فيكون فى المكان الذى أنا فيه خبراً عن حرج ، والجمله خبر أبِيتُ . انتهى كلام النحاس . ٥٥٤

قال السيرافى : وهذا التفسير أسهلُ ، لأنَّ المحذوف خبر حرج ، وهو ظرف ، وحذف الخبر فى النفى كثير كقولنا : لا حول ولا قوة إلاَّ بالله ، أى لنا .

وقوله : (ولقدْ أبيتُ) قال صاحبِ المصباح : بات له معنيان : أحدهما كما نقل الأزهرى عن الفَرَّاء : باتَ الرجل ، إذا سهر الليلَ كلَّه فى

---

(١) من « على تقدير » فى ص ١٣٩ إلى هنا ، ساقط من ش .

طاعةٍ أو معصية . وثانيهما بمعنى صار ، يقال بات بموضع كذا ، أى صار به ، سواء كان فى ليل أو نهار . وعليه قوله عليه الصلاة والسلام : « فإنَّه لا يَدرِى أين باتَتْ يدُه » ، أى صارت ووصَلَت . ا هـ .

والمناسب هنا المعنى الثانى .

والرواية فى ديوان الأخطل : « ولقد أكون » . والمستقبل هنا فى موضع الماضى ، لأنَّه يريد أن يخبر عن حاله فيما مضى ، وأكثر ما يجئ هذا فيما عُلم منه ذلك الفعلُ خُلقا وطبعا وقد تكرَّر ذلك الفعل منه ، ولا يكون كفعلٍ فعلَه فى الدَّهر مرَّة واحدة . و (الفَتاة) : الجارية الشابّة ، يريد أنَّه كان فى شبابه تحبُّه الفَتيات ، ويَبيت عندهنَّ (بمنزلٍ) يعنى بمنزلة جميلة . و (الحرج) بفتح الحاء وكسر الراء : المضيَّق عليه . يقول : إنَّ موضعه لم يكن مضيَّقا به ، ولا هو محرومٌ من جهتها ما يريده .

وقبل هذا البيت :

(ولقد يكُنَّ إلىَّ صُوراً مَرَّةً أيَّامَ لونُ غدائرِى يَحمومُ)

والنون فى يكنَّ ضمير النِّساء الغوانى فى بيتٍ قبله . والصُّور : جمع صائرة بمعنى مائلة . والغدائر : الذوائب ، جمع غديرة . واليحموم : الأسود .

والبيتان من قصيدةٍ ذكر فيها ما كان يفعله أيَّامَ الشباب ، ثم توعّد جُمَيعاً ، وهو رجلٌ من كلب ، بأنّه إن لم يُمسكْ لسانه عنه هَجاه وهجا قبيلته .

والأخطل شاعرٌ نصرانىٌّ من شعراء الدَّولة الأموية . وقد تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الثامن والسبعين [١] .

* * *

(١) الخزانة ١ : ٤٥٩ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والأربعون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س [(١)] :

٤٤٤ (دَعِى ماذا عَلِمتُ سأَتَّقِيهِ ولكنْ بالمغيَّبِ نبِّئينى)

على أنَّ (ذا) هنا زائدة بعد ما الموصولة .

وهذا مخالفٌ لكلام سيبويه فيهما ؛ فإنَّ ما عنده فى البيت استفهامية ، وذا اسمٌ مركب معها ، جُعلا بمنزلة شئ واحِدٍ . وهذا نصُّ كلامه : وأمَّا إجراؤهم ذا مع ما بمنزلة اسم واحد ، فهو قولك : ماذا رأيت ؟ فتقول : خيراً ، كأنك قلت : ما رأيت ؟ فلو كانت ذا لغواً لمَا قالت العرب : عمَّا ذا تسأل ، ولقالوا : عمَّ ذا تسأل ، ولكنَّهم جعلوا ما وذا اسماً واحدا كما جعلوا ما وإنّ حرفاً واحداً حين قالوا إنَّما . ومثل ذلك : كأنَّما وحيثما فى الجزاء . ولو كان ذا بمنزلة الذى لكان الوجه فى ماذا رأيت إذا أراد الجواب أن يقول : خير . وقال الشاعر ، وسمعنا بعضَ العرب يَقوله :

دَعِى ماذا علمتِ سأَتَّقيه ولكنْ بالمغيَّبِ نَبِّئينى

فالذى لا يجوز فى هذا الموضع ، و « ما » لا يحسن أن تلغيَها . انتهى كلامه .

٥٥٥ وقال أبو حيان (فى تذكرته) : قال بعضهم : ذا مع ما شئٌ واحد ، وموضع ماذا نصب بعلمتُ ، وهى الاستفهامية على ما حكى سيبويه . وحكى السيرافى أنَّ ماذا فى البيت بمعنى الذى ، وعلمتُ صلة ، وحذفت الهاء العائدة ، وماذا فى موضع نصب بدَعِى ، والتقدير : دَعى الذى علمتِ فإنِّى

---

(١) فى كتابه ١ : ٤٠٥ . وانظر شرح شواهد المغنى ٦٩ ، ٢٤٣ والعينى ١ : ٤٨٨ والهمع ١ : ٨٤ واللسان (ذا ٣٤٩) .

سأتقيه . وهو أصحُّ معنىً مما حكى سيبويه ، لأنَّه جعلها استفهامية منصوبة [١] بعلمت الواقع بعدها ، وهو فاسدٌ من طريق المعنى . ويمكن أن يكون منصوباً بإضمار فعل يدلُّ عليه سأتقيه ، كأنَّه قال : دعى كلَّ شئ سأتقى ماذا علمت سأتقيه . اهـ .

وقد خَفِيَ على الأعلم ظهور كون ما فى البيت استفهاميَّة ، فزعم أنها موصولة ، قال : الشاهد فيه جعل ماذا اسماً واحداً بمنزلة الذى ، والمعنى دعِى الذى علمتهِ فإنى سأتَّقيه لعلمى مثلَ الذى علمت ، ولكن نبِّئينى بما غاب عَنِّى وعنك ، مما يأتى به الدَّهْر ، أى لا تعْذُلينى فيما أبادر به الزَّمانَ [٢] من إتلاف مالى فى وجوه الفتوَّة ، ولا تخوِّفينى الفقر . ا هـ .

والمفهوم من تقريره أنَّ التاء من علمتِ مكسورة . قال النحاس : وهى رواية أبى الحسن ، وأمّا رواية أبى إسحاق فهى بضم التاء . قال النحاس : فذا هنا لا تكون بمعنى الذى ، لأنَّه لا يجوز دعى ما الذى علمت . قال أبو إسحاق : لا يكون ذاهُنا إلَّا بمنزلة اسمٍ مع ما ، وذلك أنها لا تخلو من إحدى ثلاث جهات : إمّا أنْ تكون ما صلة وذا بمعنى الذى ؛ وهذا لا يجوز لأنّ ذا لا يكون بمعنى الذى إلا مع ما ومن الاستفهاميَّتين ، كذا استعملت .

وإمَّا أن يكون « ما » بمعنى الذى ، وذا بمعنى الذى ، فتكون ما مفعولة وذا مبتدأ وعلمت صلة ، ويبقى المبتدأ بلا خبَر . فإن قلت : أُضْمِرُ هو ، فكأنك قلت : دعى الذى هو الذى علمت . فهذا قبيح . وهذا الذى قال سيبويه ، والذى لا يجوز فى هذا الموضع ، لئلا يلزم أن تحذف هو منفصلة .

الثالث : أن تكون ما مع ذا بمنزلة اسم واحد . ا هـ .

---

(١) ش : « منصوبا » .

(٢) فى النسختين : « فيما أبادر بالزمان » ، صوابه ما أثبت من شرح الأعلم .

ولا يخفى أنه لم يعيِّن معنى ماذا بعد هذا التَّرديد ، هل هى استفهام أو موصول .

وذهب ابن عصفور إلى أنَّ ما استفهامية وذا موصولة ، وقال : لا يكون ماذا مفعولاً لدعِى ، لأنّ الاستفهام له الصدر . ولا لعلمت ، لأنه لم يرد أن يستفهم عن معلومها ما هو . ولا لمحذوف يفسِّره سأتقيه ، لأنَّ علمت حينئذ لا محلَّ له . بل ما استفهام مبتدأ ، وذا موصول خبر ، وعلمت صلة ، وعُلِّق دعى عن العمل بالاستفهام . ا هـ .

ولا يخفى أنَّ هذا مبنىٌّ على رواية كسر التاء من علمتِ ، وأمَّا على رواية ضمها فلا استفهام ، إذ المعنى : دعى ما علمتُه أنا وخبِّرينى ما جهلتُه .

وأورد عليه ابن هشام (فى المغنى) بعد نقل كلامه أنّ قوله لم يرد أن يستفهمها عن معلومها ، لازمٌ له إذا جعل ماذا مبتدأ وخبراً . ودعواه تعليق دَعِى مردودةٌ ، لأنَّها ليست من أفعال القلوب . فإن قال : إنَّما أردت أنَّه قدَّر الوقف على دعى ، فاستأنف ما بعده ، ردَّه قول الشاعر : ولكن ، فإنَّها لابدَّ أن يخالف ما بعدها ما قبلها ، والمخالف هنا دعِى ، فالمعنى دعِى كذا ولكن افعلى كذا . وعلى هذا فلا يصحُّ استئناف ما بعد دعِى ، لأنَّه لا يقال من فى الدار فإننى أكرمه ولكنْ أخبرنى عن كذا . ا هـ .

وذهب أبو على (فى المسائل المنثورة) إلى أنَّ ماذا بمعنى شئ نكرة . قال : ولا يجوز أن أجعل ذا فى تأويل الذى ، لأنَّها لم تجئْ فى تأويل الذى إلا فى الاستفهام . وههنا ليس معنى استفهام ، ولكن معنى ما وذا بمعنى شئ ، ٥٥٦ فيكون بمعنى اسم واحد ، فيكون تقديره : دعى شيئاً علمت ، ويكون علمت

صفةً لماذا . والشاهد على هذا القول أنَّ ما وذا إنَّما جاءت بمعنى شئ واحد فى الاستفهام ، والاستفهام نكرة ، وهى ههنا أيضاً مبهمة ، فحملتها على النكرة التى جاءت فى الاستفهام . ا هـ .

وعلمت هنا بمعنى عَرَفت ، ولهذا تعدَّى إلى مفعول واحد . والنبأ : الخبر .

والبيت من أُبيات سيبويه الخمسين التى ما عُرف قائلها ، والله أُعلم به .

صاحب الشاهد

وزعم العينى وتبعه السُّيوطى (فى شرح شواهد المغنى) أنَّه من قصيدة للمثقِّب العبدى ، مطلعها :

(أُفاطمُ قبلَ بينِكِ متِّعينى ومنعكِ ما سألتِ كأنْ تَبينى)

وهذا لا أُصل له ، وإنْ كان الرويُّ والوزن شيئاً واحدا ؛ فإنَّ قصيدة المثقِّب العبدى قد رواها جماعةٌ ، منهم المفضّل الضبى (فى المفضليات) ، ومنهم أبو علىّ القالى (فى أماليه) و (فى ذيل أماليه) ، ولم يوجد البيتُ فيها ، ولم يعزُه إليه أحدٌ من خَدَمة كتاب سيبويه ، وهم أدرى بهذه الأمور . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والأربعون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س [1] :

٤٤٥ (ألا تسألانِ المرءَ ماذا يُحاوِلُ أنحبٌ فيُقْضَى أم ضلالٌ وباطلُ)

---

(١) فى كتابه ١ : ٤٠٥ . وانظر معانى الفراء ١ : ١٣٩ والمعانى الكبير ١٢٠١ والجمل ٣٣١ والمخصص ١٤ : ١٠٣ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ١٧١ ، ٣٠٥ وابن يعيش ٣ : ١٤٩/٤ : ٢٣ وشرح شواهد المغنى ٥٥ والعينى ١ : ٧ ، ٤٤٠ واللسان (ذو ، ذوات ، حول) .

على أنّ ما مبتدأ وذا زائدة ، وجملة يحاول خبر المبتدأ ، والرابط محذوف ، أى يحاوله .

وهذا مخالفٌ لسيبويه ومَن تبعه ، فإنّه جعل ذا هنا موصولة ، وهذا نصُّه : أمَّا إجراؤهم ذا بمنزلة الذى فهو قولهم : ماذا رأيت ؟ فيقول : متاعٌ حسن . وقال لبيد :

أَلا تسألانِ المرءَ ماذا يحاولُ .... البيت

قال الأعلم وابنُ السيرافى : التقدير : ما الذى يحاول ، فما مبتدأ وذا خبره ، ويحاول صلة ذا ، كأنّه قال : أى شئ الذى يحاوله ، بدليلِ قوله : أنحبٌ . ولو كان ذا مع ما كشيءٍ واحد لكان ماذا منصوباً بيحاول ، وكان مفسِّره الذى هو نحبٌ منصوباً ، لأنّه استفهام مفسِّر للاستفهام الأول ، فهو على إعرابه ، ولوجَبَ أن يقال : أنحبا فُيقضَى أم ضلالاً وباطلا . ا هـ .

وكذلك قال أبو على (فى إيضاح الشعر) كأنه قال : ما الذى يحاوله ، أالذى يحاوله نحبٌ أم ضلال . ولو كان ذا مع ما فى البيت اسماً واحداً كما كان فى قوله تعالى : ﴿ ماذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قالُوا خَيراً [(١)] ﴾ لكان النّحب نصباً . اهـ .

ونقل النحَّاس عن ابن كيسان أنّه قال هنا : إن شئت جعلت ما وذا شيئاً واحداً ؛ لأنّ ما تكون لكلِّ الأشياء وذا كذلك ، فوافقتْها فى الإبهام فقُرنتا . والذى أختارُ إذا جعلا شيئاً واحداً أن يكون ذا صفة لما . انتهى .

---

(١) الآية ٣٠ من سورة النحل .

وكذلك قال الدماميني (فى الحاشية الهندية) : كون ذا موصولاً لا يتعيَّن ؛ لاحتمال أن يكون ماذا كلُّه اسماً واحدا مرفوعا على أنَّه مبتدأ ، ويحاول خبره ، والرابط محذوف أى يحاوله . ومثله فى الشعر جائز . ونحبٌ بدل من المبتدأ ، ويحتمل أن يكون ماذا كلُّه فى محل نصب على أنَّه مفعول يحاول ، ولا ضمير محذوفا . فإنْ قلت : يبطله رفع البدل . قلت : لا يكون نحب حينئذ بدلاً ، بل يكون خبر مبتدأ مضمر . ا هـ .

أقول : أما النصب فقد جوَّزه الفراء (فى تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ ماذا يُنْفِقونَ قُلِ العَفْوَ [1] ﴾ قال : تجعل ما فى موضع نصب ٥٥٧ وتوقع عليها يُنفقون ، ولا تنصبُها بيسألونك . وإن شئت رفعتَها من وجهين : أحدهما أن تجعل ذا اسما يرفع ما ، كأنّك قلت : ما الذى ينفقون . والعرب قد تذهب بهذا وذا إلى معنى الذى . والرفع الآخر : أن تجعل كلَّ استفهام أوقَعتَ عليه فعلا بعده رفعا ، لأنَّ الفعل لا يجوز تقديمه قبل الاستفهام ، فجعلوه بمنزلة الذى إذْ لم يعمل فيها الفعل الذى بعدها . فإذا [2] نويت ذلك رفَعتَ العفو كذلك ، كما قال الشاعر :

ألا تسألانِ المرءَ ماذا يحاولُ .... البيت

رفع النحب لأنَّه نوى أن يجعل « ما » فى موضع رفع ، ولو قال أنحباً فيقضى أم ضلالا وباطلا كان أبينَ فى كلام العرب وأكثر . ا هـ .

وأمَّا جعل نحبٌ خبر مبتدأ فقد نقله ابن هشام اللخمى (فى شواهد

---

(١) الآية ٢١٩ من سورة البقرة .

(٢) ط : « وإذا » ، وأثبت ما فى ش ومعانى الفراء .

الجمل) وقوّاه . قال : نحب بدل من ما ، وقيل إنّ نحبا خبر مبتدأ مضمر ، والتقدير : أهو نحب ، والمبتدأ والخبر بدل من موضع ماذا . وهذا أقوى ، لأنّه أبدل جملة من جملة لمَّا كانت فى معناها . ا هـ .

ومثله لابن السِّيد (فى شرح شواهد الجمل) قال : من اعتقد فى نَحب البدلَ فموضع « ما » رفع على كلّ حال ، ومن اعتقد أنَّ قوله أنحب مرتفع على خبر مبتدأ مضمر كأنه قال : أهو نحب ، جاز أن تكون ما مرفوعة المحلّ ، وجاز أن تكون منصوبة الموضع . اهـ .

وقال ابن المستوفى (فى شرح أبيات المفصَّل) : إذا كان ذا بمعنى الذى ففيه وجوه : أحدها أن يكون خبر ما ، وأن يكون بدلاً منها [١] ، وأن يكون خبراً لمبتدأ محذوف تقديره : ما هو الذى يحاول . اهـ .

أقول : أما الثانى فباطل ، لأنَّه لو كان كذلك لوجب أن يقترن مع البدل استفهام ، كما اقترن بقوله نحب ، على تقدير كونه بدلاً من ما . وأما الثالث فلا يجوز ، لعدم القرينة على الحذف . وبقى عليه أنْ يقول : ما خبر مقدم وذا مبتدأ مؤخر ، كما اختلفوا فى قولهم : كم مالك ؟

وقوله : (ألَا تسألانِ) إلخ ألا : كلمة يستفتح بها الكلام ، ومعناه التنبيه . وتسألان خطابٌ لصاحبين له . وقيل : إنّما هو خطابٌ لواحد . وزعم بعضُهم أنَّ العرب تخاطب الواحد بخطاب الاثنين . وحُكى عن بعض الفصحاء [٢] : ياحَرَسِىُّ اضرباَ عنقَه ! وزعموا أنَّ قوله تعالى : ﴿ أَلْقِيا فى جَهَنَّم كلَّ كفَّارٍ عَنيد [٣] ﴾ أنّه خطاب للمَلَك . وهذا شئٌ ينكره حُذَّاق

(١) ش : « أن يكون خبرا أو بدلا منه » .
(٢) هو الحجاج ، كما سيأتى فى الشاهد رقم ٥٠٧ .
(٣) الآية ٢٤ من سورة ق .

البصريِّين ، لأنَّه إذا خاطب الواحد بخطاب الاثنين وقع اللَّبس . وذهب المبرد إلى أنَّ التنبيهَ على التوكيد يؤدّى عن معنى ألق ألق . وخالفه أبو إسحاق بأنّه فى كلّه خطابٌ لاثنين ، وهو الظاهر هنا . والسؤال هنا بمعنى الاستفهام ، يقال سألته عن كذا ، فهو يتعدَّى إلى المسئول منه بنفسه ، وإلى المسئول عنه بحرف عن ، فجملة ماذا يحاول فى موضع المفعول الثانى المقيَّد بعن المعلَّق عن العمل بالاستفهام . والمحاولة : استعمال الحِيلة ، وهى الحذق فى تدبير الأمور ، وهو تقليب الفكر حتَّى يهتدىَ إلى المقصود . والحِيلة أصلها حِوْلة ، انقلبت الواو ياءً لانكسار ما قبلها . ولامُ (المرء) للعهد الذِّهنىّ ، نحو : ﴿ إذ هُمَا فى الغار [(١)] ﴾ . أى سلا الإنسانَ الساعىَ فى تحصيل الدُّنيا . وقيل اللام للجنس ، لا يَعنى به امرأ معيَّناً . وقال ابن المستوفى : يعنى بالمرء نفسه ، والناس فيه سواء . و (النَّحبُ) بفتح النون وسكون المهملة له معان ، المراد هنا النّذر ، وهو ما يَنذِرُهُ الإنسان على نفسه ويُوجب عليها فعله على كلِّ ٥٥٨ حال . يقول : اسألوا هذا الحريصَ على الدنيا عن هذا الذى هو فيه ، أهو نذر نذَره على نفسه فرأى أنَّه لابد من فعله ، أم هو ضلال وباطل من أمره . وقوله : (فيُقْضَى) روى بالبناء للفاعل وبالبناء للمفعول ، وعليهما [(٢)] الجملة خبر لمبتدأ محذوف ، أى هو يقضى . وهذا المبتدأ ضمير المرء على الرواية الأولى ، وضمير النحب على الرواية الثانية . والفاء هنا للاستئناف ، كقوله :

* يريد أَنْ يُعْرِبَه فيُعجمُه [(٣)] *

وقصره بعضُهم على الرواية الثانية فقال : هو فى موضع نصب على أنَّه جواب الاستفهام ، وليس بمعطوف على يحاول .

---

(١) الآية ٤٠ من سورة التوبة .

(٢) ش : « وعليه » .

(٣) من شواهد سيبويه فى كتابه ١ : ٤٣٠ ونسبه إلى رؤبة .

وقد سَهَا العينى هنا سهواً فاحشا ، فزعم أنَّ جملة يقضى فى محل رفع صفة لنحب . ويجوز أن تكون فى محل نصب على تقدير انتصاب النحب . اهـ . فإن الفاء مانعةٌ من الوصفية ، وكأنَّه قاسها على واو اللصوق [١] .

صاحب الشاهد

والبيت أوّل قصيدة للبيد بن عامر الصحابى [٢] ، وتقدَّمت ترجمته مع شرح أبياتٍ منها فى الشاهد الثالث والعشرين بعد المائة [٣] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والأربعون بعد الأربعمائة [٤] :

٤٤٦ (وماذا عَسَى الواشُونَ أنْ يتحدَّثوا
سِوَى أن يقولوا : إنَّنى لكِ عاشقُ)

على أنَّ « ذا » قيل إنها زائدة لا موصولة .

وذهب ابن جنى (فى إعراب الحماسة) عند قول المعلوط السعدىِّ :

غَيَّضْنَ من عَبراتهنَّ وقُلنَ لى ماذا لقيتَ من الهَوَى ولقِينا [٥]

---

(١) أثبتها الزمخشرى ومن قلده . وانظر مغنى اللبيب فى حرف الواو ص ٣٦٤ .

(٢) كتب ناسخ ش : « قوله لبيد بن عامر » ، كذا بخط المؤلف رحمه الله ، والصواب لبيد بن ربيعة بن مالك » . وأقول : نسبه البغدادى الى جده الأعلى « عامر بن صعصعة » ، وكذلك كانوا يفعلون . وإنما هو لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

وفى ذلك يقول لبيد فى رجزه :

* ونحن خير عامر بن صعصعه *

(٣) الحق أن ترجمته إنما هى فى الشاهد ١٢٢ فى الخزانة ٢ : ٢٤٦ . أما شرح أبيات الشاهد فهى فى الشاهد ١٢٣ فى الخزانة ٢ : ٢٥٢ .

(٤) انظر ديوان المجنون ٢٠٣ والمقتضب ٣ : ١٩٥ والأشمونى ١ : ١٦٣ والحماسة بشرح المرزوقى ١٣٨٣ .

(٥) ذكر ابن جنى فى إعراب الحماسة الورقة ١٨٨ أن البيت يروى لجرير . وهو كذلك فى ديوان جرير ٥٧٨ . وانظر مجالس ثعلب ٦٦٥ والعمدة ٢ : ٢١٨ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٢٦٨ .

إلى أنّ « ماذا » فيه مركبة بمعنى المصدر مبتدأ ، أى تحديث ، وجملة عسى خبره . ولم يلتفت إلى إنشائيته لوروده فى الخبر ، إمّا لأنّه بتقدير قول محذوف كما هو مذهب الجمهور ، وإمَّا بدونه كما هو مذهب البعض . وهذه عبارته :

لا سبيلَ إلى أن تنصب ماذا على أنَّهما اسم واحد بيتحدثوا [١] لأنَّه فى صلة أنْ ، فيجرى هذا ، فى امتناع ما بعد أنْ من الموصول إليه ، مجرى « ذكَرٌ [٢] » ، من قولك : أذَكَرٌ أن تلد نَاقتُك أحبُّ إليك أم أنثى ؟ وماذا هنا بمعنى المصدر [٣] فترفعه بالابتداء وتضمر له عائداً ، كقولك : أىُّ قيام عسى زيد أن يقوم ، وأنت تريد يَقومه ، فتحذف الهاء وترفع الأوَّل مضطرًّا إلى رفعه ، إذ لا سبيل إلى نصبه . ويَضعُفُ أن تكون ذا بمنزلة الذى ، وذلك لما تصير إليه من وَصْل [٤] الذى بعسى . وفيه ذهابٌ عن البيان والإيضاح بالصِّلة . فإنْ قلت : فقد قال الفرزدق :

وإنِّى لَرامٍ نظرةً قِبَلَ التى ... لَعَلِّى وإنْ شطَّت نواها أزورُها

فإنَّ أبا علّي يتأوَّل هذا ويتناوله [٥] على الحكاية ، حتى كأنَّه قال : قِبَلَ التى يقال فيها لعلِّى . وبابُ الحكاية طريقٌ مَهْيَع يتقبَّل فيه كلُّ تأوُّل ؛ وما أشَبِّههُ إلَّا بالمنام ، أو حديث البحر الذى انطوت النُّفوس على تقبُّل ما يَعرض فيه ، وترك التناكر لشئ يردُ عنه . اهـ مختصرا .

---

(١) ط : « يتحدثوا » ، صوابه فى ش وإعراب الحماسة .

(٢) ط : « ذكره » ، صوابه فى ش وإعراب الحماسة .

(٣) ط : « الصدر » ، صوابه فى ش وإعراب الحماسة .

(٤) ش : « وصله » ، وصوابه فى ط وإعراب الحماسة .

(٥) فى النسختين : « ويتأوَّله » ، والوجه ما أثبت من إعراب الحماسة .

صاحب الشاهد

والبيت أورده أبو تمام (فى الحماسة) ، وبعده بيتٌ ثان ، ونسبَهما لجميل العُذْرىّ ، وهو :

(نَعَمْ صدَقَ الواشون أنتِ كريمةٌ
علينا وإنْ لم تصفُ منكِ الخلائقُ)

يقول : الواشون لا يقدرون فى وشايتهم على أكثر ممَّا أن يقولوا : إنَّنى لك عاشق . ثم أوجبَ بقوله نعم . فكأنه قال : قد صدقوا فيما ادَّعوه ، أنت تكرُمينَ [(١)] علينا وإن لم نصادف من أخلاقك صفاء . والواشى : النَّمّام الذى يُحسِّن الكلام ويزوِّقه للإفساد بين اثنين ، من الوَشْى ، وهو التزْيين . وروى : (وامق) بدل عاشق ، وهو بمعناه . وروى : (حبيبة إلىّ) بدل كريمة علينا . وهو مناسب .

٥٥٩

وترجمة جميل العذرى تقدَّمت فى الشاهد الثانى والستين [(٢)] .

وقد روى صاحبُ الأغانى هذين البيتين من جملة أبياتٍ لمجنون بنى عامر ؛ وهو قيس بن الملوَّح ، المشهور بمجنون ليلى . رَوَى بسنده عن الهيثم ابن عدىّ أنَّ رهط المجنون اجتازوا فى نُجعةٍ لهم بحىٍّ ليلى ، فرأى أبياتَ أهلها ولم يقدِرْ على الإلمام ، وعدَل أهله إلى وِجهةٍ أخرى ، فقال المجنون :

(لعمركَ إنَّ البيت بالقَبَل الذى ... مررتُ ولم أُلْمِمْ عليهم لشائقُ [(٣)]
كأنِّى إذا لم ألقَ ليلى مُعَلَّقٌ ... بسِبَّيْنِ أهفُو بين سهلٍ وحالقِ [(٤)]

---

(١) فى النسختين : « تكرمى » ، والوجه ما أثبت من شرح المرزوقى ١٣٨٤ .

(٢) الخزانة ١ : ٣٩٧ .

(٣) القبل ، بالتحريك : النشز من الأرض يستقبلك . فى النسختين : « لسائق » صوابه فى الأغانى ٢ : ٢ وديوان المجنون ٢٠٢ . وفى الديوان والأغانى : « ولم ألمم عليه » .

(٤) السب ، بالكسر : الحبل . وفى النسختين « بشيئين » ، صوابه فى الديوان والأغانى . وفى البيت إقواء .

على أنَّنى لو شئتُ هاجت صَبابتى
علىَّ رسومٌ عَىَّ منها المناطقُ (١)
لعمركِ إنَّ الحبَّ يا أمَّ مالك
بقلبِى ، يَرَانى الله ، منكِ لَلاصقُ (٢)
وماذا عسى الواشُون ..
إلى آخر البيْتين .

وكذلك نسبهما ابن نُباتةَ المِصرىّ (فى شرح رسالة ابن زيدون) إلى المجنون ، إلَّا أنه أورد بعدهما بيتين آخرين ، وهما :
(كأنَّ على أنيابها الخمرَ شجَّها
بماء سحابٍ آخرَ الليل غابقُ
وما ذقتُه إلَّا بعينى تفرُّسا
كما شِيمَ فى أعلى السَّحابة بارقُ)
وترجمة المجنون قد تقدَّمت أيضاً فى الشاهد التسعين بعد المائتين (٣) .

* * *

وأنشد بعده :
(وإنِّى لرامٍ نظرةً قِبَلَ التى لعَلِّى وإن شطَّتْ نواها أزورُها)
على أن جملة لعلى إلخ مقولة بقول محذوف هو الصلة ، أى قِبَل التى أقول لعلّى إلخ .
وقد تقدَّم الكلام عليه مفصَّلا فى أول الباب فى الشاهد الخامس عشر بعد الأربعمائة (٤) .

* * *

(١) فى الديوان والأغانى : « عى فيها التناطق » .
(٢) يرانى الله ، يعنى يعلم الله ، وهو شاهد على ما أقول . وفى الديوان والأغانى : « برانى » . والمعروف من البرء بمعنى الشفاء ، أن يقال أبرأه ، من المزيد .
(٣) الخزانة ٤ : ٢٢٩ .
(٤) الخزانة ٥ : ١٩ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والأربعون بعد الأربعمائة [١] :

٤٤٧ (مِنَ اللَّواتى والتى واللاتى زَعَمْنَ أَنِّى كَبِرتْ لِداتى)

على أن جملة (زعمن) إلخ صلة الموصول الأخير ، وصلة كلٍّ من الموصولين الأوَّلين محذوفة للدلالة عليها بصلة الثالث ، والتقدير : من اللَّواتى زعمن ، ومن النساء التى زعمن [٢] . ويجوز أن تكون صلةً للموصولات الثلاثة ، لاتحاد مدلولها ، ولا يجوز أن تكون صلةً للثانى فقط .

هذا تقرير كلام الشارح المحقِّق ، وأمَّا غيره فقد جعلَ الصِّلة للموصول الأخير فقط ، وصلة كُلٍّ ممَّا قبله محذوفة ، منهم ابن الشجرى (فى أماليه) ، قال : أنشد المبرد (فى المقتضب) :

بَعْدَ اللَّتيَّا واللَّتيَّا والتى إذا عَلتْها أنفسٌ تَرَّدتِ [٣]

٥٦ لم يأت للموصولين الأوَّلين بصلة ، لأنَّ صلة الموصول الثالث دلَّت على ما أراد . ومثله :

من اللواتى والتى واللاتى .... البيت

وصل اللاتى ، وحذف صلة اللواتى والتى ، للدَّلالة عليها .

(١) الشعراء ٣٥ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٤٤ . وقد سبق عرضا فى الشاهد ٤٣٣ .

(٢) ش : « ومن النساء اللواتى زعمن » ، والوجه ما أثبت من ط .

(٣) المقتضب ٢ : ٢٨٩ . والرجز للعجاج ، وهو من شواهد سيبويه ١ : ٢/٣٧٦ : ١٤٠ .

ومما حُذِف منه صلة موصولين فلم يؤت فيه بصلة قول سُلمىّ بن ربيعة السِّيدِىّ (١) :

ولقد رأَبْتُ ثَأَى العشيرةِ بينَها وكفيتُ جانبها اللَّتيَّا والتى

أراد اللَّتيَّا والتى تأتى على النفوس ؛ لأنَّ تأنيث اللتيا والتى ههنا إنّما هو لتأنيث الداهية .ألا ترى إلى قوله :

* بعدَ اللَّتيَّا واللّتيَّا والتى *

وتردَّت : تفعَّلت من الرَّدى ، مصدر رَدِىَ يردَى ، إذا هلك ؛ أَو من التردِّى الذى هو السقوط من علو . وحذف الصِّلة (٢) من هذا الضَّرب من الموصولات إنّما هو لتعظيم الأمر وتفخيمِه . وقد جاء التَّصغيرُ فى كلامهم للتعظيم كقوله :

* دُوَيْهِيَةٌ تصفرُّ منها الأناملُ (٣) *

أراد بالدُّويهيَة الموت ، ولا داهيةَ أعظم منها ، فتحقير اللتيا ههنا للتعظيم . والرَّأب : الإصلاح . والثَّأى بفتح المثلثة والهمزة ، وبعدها أَلف تكتب ياء : الفَساد . والظرف متعلّق بالثَّأى ، أَى أَصلحت ما فسد بينها . اهـ .

وإنَّما نقلته هنا بتمامه لأنَّه كالشرح لما سيأتى قريبا .

---

(١) السيدى : نسبة الى بنى السِّيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة ، كما سيأتى فى ترجمته فى الشاهد ٥٨٢ . والسيد بكسر السين . وفى النسختين : « السدى » ، والصواب ما أثبت . وسُلْمىّ بضم السين وسكون اللام وآخره ياء مشددة ، ويقال أيضا « سَلْمَى » بفتح السين والقصر .

(٢) ط : « والحذف » ، وأثبت ما فى ش .

(٣) للبيد بن ربيعة فى ديوانه ٢٥٦ . وهو الشاهد ٤٤٩ الآتى .

ومنهم : أبو علي ، قال (فى إيضاح الشعر) عند قول الشاعر ، وتقدَّم شرحه :

من النفر اللاء الذين إذا همُ .... (البيت المتقدم)

يجوز أن يكون حذف صلة الأوَّل لأنّ صلة الموصول الذى بعده تدلُّ عليها ، كقول الآخر :

من اللواتى والتى واللاتى .... (البيت)

فلم يأت للموصولين الأوَّلين بصلة . ا هـ .

وقوله : (من اللَّواتى) حرف الجر متعلّق بما قبل البيت . واللواتى واللاتى كِلاهما جمعُ التى . و (كَبِرَتْ) من الكِبَر فى السن ، وقد كَبِر الرجل بكسر الباء ، يكبَر بفتحها ، كِبَراً بكسر الكاف وفتح الباء . وروى صاحب الصحاح :

* زعمنَ أنْ قد كبِرتْ لِداتى *

و (لِدَاتى) : جمع لِدة ؛ ولِدة الرجل : تِرْبُه الذى وُلد معه قريبا ، والهاءُ عوض من الواو الذاهبة من أوله ، لأنه من الولادة ، ويجمع على لِدُون أيضاً . و (الزَّعم) يطلق على القول والظنّ ، قال الأزهرىّ : وأكثر ما يكون الزعم فيما يشكُّ فيه ولا يتحقَّق . وقال بعضهم : هو كنايةٌ عن الكذب . وقال المرزوقى : أكثر ما يستعمل فيما كان باطلاً أو فيه ارتياب .

والبيت لا أعرف ما قبلَه ولا قائله ، مع كثرة وجودِه فى كتب النحو . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والأربعون بعد الأربعمائة [١] :

٤٤٨ (فإنْ أَدَعِ اللواتى مِنْ أُناسٍ
أضاعوهنَّ لا أَدَعِ الَّذينا)

على أنّه حَذَفَ صلة الموصول فيه قليلا [٢] .

قال أبو على الفارسى (فى إيضاح الشعر) : أنشده أحمد بن يحيى ثعلب وقال : يقول : فإن أَدَعِ النساء اللاتى أولادُهنَّ من رجال قد أضاعوا هؤلاء النساء . أى لا أهجو النِّساء ، ولكن أهجو الرجال الذين لم يمنعُوهنّ . فعلى تفسيره ينبغى أن يكون المبتدأ مضمراً فى الصلة ، كأنّه قال : فإن أَدَعِ اللواتى أولادُهن من أناس أضاعوهنَّ فلم يَحموهنَّ كما تحمى [٣] البُعولة أزواجَها فلا أَدَعِ الذين . والتقدير . : إن أَدَعْ هجوَ هؤلاء النساءِ الضعاف لا أدعْ هجوَ الرجال المضيِّعين ، وذمَّهم على فعلهم . فالمضاف محذوف فى الموضعين . ٥٦١ وتقديرُ حذفِ المبتدأ غير ممتنع هنا ، وقد حُذف المبتدأ من الصِّلة ، نحو قول عدىّ :

لم أَرَ مِثْلَ الفِتيان فى غَبَنِ الـ أَيَّامِ يَنْسَوْنَ ما عَواقِبُها

أى ما هو عواقبها ، فحذف . وكذلك يمكن أن يكون قوله :

* ألا ليتَما هذا الحمامُ لنا *

وقد يستقيم أن تكون الصلة من أناس ، فتكون مستقلّة . وإن لم تقدِّر حذفَ المبتدأ فيكون التقدير على أحد أمرين : إمَّا أن يكون اللواتى من نساءِ أُناس ، فحذف المضاف ، أو يكون اللواتى من أناسٍ عَلَى ظاهرِه ، لا تقدِّر فيه

---

(١) ديوان الكميت ٢ : ١٣٠ وفصل المقال ٢٩٥ .

(٢) الذى فى الرضى ٢ : ٥٧ : « ويجوز قليلا حذف صلة الموصول الاسمى غير الألف واللام إذا علمت » . ثم أنشد هذا الشاهد .

(٣) ط : « يحمى » ، وأثبت ما فى ش .

حذفا ، فيكون معنى قوله فى النساء ، هنّ من أناس ، علَى معنى أنَّهم يقومون بهِنّ ، وبالإنْفاق عليهم . وأمَّا صلة الذين فمحذوفٌ من اللفظ للدلالة عليها فيما جرى من ذكرها ، تقديره : الذين أضاعوهنَّ . ا هـ .

وأورده أبو عبيد القاسم بن سلام (فى أمثاله) وقال : الذين ههنا لا صلة لها . والمعنى : إنْ أدعْ ذكر النساء فلا أدع الذين ، يريد الرِّجال ، أى إنّى إن تركت شتم النساء فلا أُتركُ شتم الرجال . ا هـ .

وأورده أَبو بكر بن السّراج أيضاً (فى أُصوله) قال : إنَّ الكوفيين يقولون : إنَّ العرب إذا جعلَت الذى والتى لمجهولٍ مذكَّر أَو مؤنث ، تركوه بلا صلة ، نحو قول الشاعر :

فإنْ أَدعِ اللواتى مِنْ أُناسٍ .... البيت

و (لا أَدع) جوابُ الشرط ، ولهذا جزم ، وكسرة العين لدفع التقاء الساكنين .

شرح الشاهد

وهذا البيت من قصيدةٍ طويلة للكميت بن زيد ، هجَا بِها قحطان ، أَعنى قبائل اليمن ، تعصُّباً لمضر .

وتقدَّم سببُ هجوه لأهل اليمن بهذه القصيدة فى الشاهد الرابع والعشرين [١] . وتقدم أَيضاً بعضٌ من هذه القصيدة مع ترجمة الكميت فى الشاهد السادسَ عشَرَ من أَوائل الكتاب [٢] .

* * *

(١) الخزانة ١ : ١٧٩ — ١٨١ .

(٢) الخزانة ١ : ١٤٤ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والأربعون بعد الأربعمائة [(١)] :

٤٤٩ (دُوَيْهِيَةٌ تَصْفَرُّ منها الأنامِلُ)

على أنَّ تصغير دويهية للتعظيم ، فإنَّه أُراد بها الموت ، ولا داهية أعظمَ منها ، والتصغير غير مناسب لذكر الموت . والدليل على أنَّه أُراد بها الموت قوله : « تصفرُّ منها الأنامل » .

والمراد من الأنامل الأظفار ، فإنَّ صفرتها لا تكون إلا بالموت . وقال الطوسيُّ (فى شرح ديوان لبيد) : إذا مات الرجل أو قُتل اصفرَّت أناملُه واسودَّت أظافره .

ولم يرتضه الشارح المحقق (فى شرح الشافية) فإنَّه قال : قيل مجيء التَّصغير للتعظيم ، فيكون من باب الكناية ، يكنى بالصغر عن بلوغ الغاية ؛ لأنَّ الشيء إذا جاوز حدّه جانَسَ ضِدَّهُ . وقريبٌ منه قولُ الشاعر :

وكلُّ أناسٍ سوفَ تدخُل بينهم ... دُويهيةٌ تصفرُّ منها الأناملُ

ورُدَّ بأنَّ تصغيرها على حسب احتقار الناس لها ، وتهاونهم بها ؛ إذ المرادُ بها الموت ، أى يجيئهم [(٢)] ما يحتقرونه مَعَ أنَّه عظيم فى نفسه تصفرّ منه الأنامل . واستدلّ بقوله :

فُويقَ جُبيلٍ سامِقِ الرأسِ لم تَكُنْ ... لتبلغَه حتَّى تكِلَّ وتَعمَلا [(٣)]

---

(١) ديوان لبيد ٢٥٦ . وانظر أمالى ابن الشجرى ١ : ٢/٢٥ : ٤٩ ، ١٣١ والإنصاف ١٣٩ وابن يعيش ٥ : ١١٤ وشرح شواهد الشافية ٨٥ وشرح شواهد المغنى ٥٥ ، ١٣٧ ، ١٨٣ والعينى ٤ : ٥٣٥ والهمع ٢ : ١٨٥ والأشمونى ٤ : ١٥٧ .

(٢) ش : « يحسنهم » ، صوابه فى ط وشرح شواهد الشافية .

(٣) لأوس بن حجر فى ديوانه ٨٧ . وهو من شواهد ابن يعيش ٥ : ١١٤ .

٥٦٢ ورُدّ بتجويز كون المراد دقَّةَ الجبل وإن كان طويلا ، وإذا كان كذا فهو أشَدُّ لصعوده . اهـ .

وكذلك الجارَبْرْدىُّ لم يرتضِه ، وأوَّله بوجهين : أُحدهما أنَّ التصغير فيه لتقليل المدَّة . وثانيهما بأنَّ المراد أنَّ أصغر الأشياء قد يُفسد الأمورَ العظائم ، فحتف النُّفوس قد يكون بالأمر الصغير الذى لا يُؤبَه به .

وقال الفالى [(١)] (فى شرح اللباب) : هذا على العكس ، كتسمية اللَّديغ سليماً ونظائره ، إطلاقاً لاسم الضِّدّ على الضِّدّ .

وقد أورده المرادى (فى شرح الألفية) بأنَّ الكوفيين استدلوا به على مجىء التصغير للتعظيم .

وأنشده ابن هشام فى أربعة مواضع (من المغنى) فى أمْ ، وفى ربَّ ، وفى كلّ ، وفى حذف الصلة من الباب الخامس .

و (الداهية) : مصيبة الدّهر ، مشتقة من الدَّهْى ، بفتح الدال وسكون الهاء ، وهو النُّكْر ، فإن كلَّ أحد يُنكرها ولا يقبلها . ودهاهُ الأمر يَدْهاهُ ، إذا أصابه بَمكروه . ورواه ابن دريد (فى الجمهرة) :

* خُويخيَة تصفرُّ منها الأناملُ *

وقال : الخُوَيخِيَةُ : الدّاهية ، وهى بخاءين معجمتين : مصغَّر الخَوْخة بالفتح ، وهى الباب الصغير .

(١) فى النسختين : « القالى » بالقاف ، صوابه ما أثبت . وانظر حواشى ١ : ٣٣٨ .

ورواها الطوسى أيضا عن أبى عمرٍو ، وقال : يقول : يَنْفتحُ عليهم بابٌ يدخل منه الشر .

و (سوف) هنا للتحقيق والتأكيد .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدةٍ للبيد بن ربيعة الصحابى ، وتقدمت ترجمتُه مع شرح أبيات منها فى الشاهد الثالث والعشرين بعد المائة [١] .

* * *

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد الموفى الخمسينَ بعد الأَربعمائة [٢] :

قول المتنبى :

٤٥٠ (بئسَ الليالِي سَهِدتُ مِنْ طَربِى)

هذا صدر ، وعجزه :

(شوقاً إلى من يبيتُ يَرقُدهـا)

عَلَى أنه يُخَرَّج بحذف الموصول ، والتقدير : بئس الليالى التى سهدت ، قياساً على تخريج الكوفيِّين قولَه تعالى : ﴿ وما مِنّا إلا له مَقَامٌ معلوم [٣] ﴾ ، أى إلَّا من له مقام ، فإنَّ الموصول يجوز حذفه عندهم .

وقد ارتضاه المحقق [٤] . وأَشار إليه الواحدىُّ فى شرحه بقوله : يريد الليالى التى لم يَنَمْ فيها لما أَخذه من القلق وخِفَّة الشوق إلى الحبيب الذى كان يرقُد تلك الليالى .

---

(١) الخزانة ٢ : ٢٥٢ .

(٢) ديوان المتنبى ١ : ١٨٥ ودلائل الاعجاز ٣٠٤ .

(٣) الآية ١٦٤ من سورة الصافات .

(٤) المحقق ، ساقطة من ش .

وخرَّجه ابن الشجرى [١] (فى أماليه) على حذف الموصوف ، أى ليالٍ سهدت . وهذا خاصٌّ بالشعر ؛ لأنَّ الموصوف بالجملة أو الظرف إنما يجوزُ [٢] حذفُه إذا كان بعضاً من مجرور بِمنْ أوفى . قال ابن الشجرى : ومما أهَمَل [٣] ، مفسِّرو شعرِ أبى الطيِّب المتنبِّى ، تعريبَه قوله :

بئس الليالي سَهِدْتُ من طربى .... البيت

يتوجَّه فيه السؤال عن المقصود فيه بالذّم ، وما موضع من طربى من الإعراب ، وما الذى نصب شوقاً ، وكم وجهاً فى نصبه ، وبم يتعلق إلى ، وكم حَذفاً فى البيت ؟

فأمَّا المقصود بالذم فمحذوف ، وهو نكرةٌ موصوفة بسَهِدت ، والعائد إليه من صفته محذوفٌ أيضاً ، فالتقدير : ليال سهدت فيها . ونظير هذا الحذف فى قوله تعالى : ﴿ ومِنْ آياتِه يريكُمُ البَرْقَ [٤] ﴾ . التقدير : آيةٌ يريكم البرقَ فيها . وجاء فى الشعر حذفُ النكرة المجرورة الموصوفة بالجملة ، فى قوله :

* جادت بِكَفَّىْ كانَ مِنْ أرْمَى البَشَرْ *

أراد : بكفَّىْ رجل ، فحذف رجلاً وهو يَنويه . وقوله « من طربى » مفعول له ، ومن بمعنى اللام ، وشوقا يحتمل أن يكون مفعولا من أجله عمل فيه طربى [٥] فيكون الشَّوقُ عِلَّةً للطرب . والطرب عِلَّةً للسُّهاد . ولا يعمل سهدتُ فى شوقاً ، لأنّه قد تعدَّى إلى علَّةٍ ، فلا يتعدى إلى أخرى إلاّ بعاطف ٥٦٣

(١) هذا النص التالى لابن الشجرى ساقط من النسخة المطبوعة من الأمالى ، ولم أعثر عليه فيها .

(٢) ط : « جوز » ، وأثبت ما فى ش .

(٣) فى النسختين : « ومما أهملوه » .

(٤) الآية ٢٤ من سورة الروم .

(٥) الكلام بعده إلى كلمة « بعاطف » ساقط من ش .

كقولك : سهدتُ طرباً وشوقا . ويحتمل أنْ ينتصب شوقاً انتصابَ المصدر ، كأنّه قال : شُقت شَوقا أو شاقنى التذكُّر شوقا . وشُقْت بالبناء للمفعول ، كقول المَمْلوكِ : قد بُعْت ، أى باعنى مالكى . فأمَّا « إلى » فالوجه أن تعلِّقها بالشوق ، لأنّه أقربُ المذكورَين إليها ، وإن شئت علَّقتها بالطَّرب ، وذلك إذا نصبتَ شوقا بطربى . فإن نصبتَه على المصدر امتنع تعليق إلى بطربى ؛ لأنَّك حينئذ تَفصل شَوقاً وهو أجنبىٌّ بين الطَّرب وصلته . وكان الوجه فى يرقدها يرقد فيها ، كما تقول : يوم السبت خرجت فيه ، ولا تقول خرجته ، إلَّا على سبيل التوسُّع فى الظرف ، تجعله مفعولا به . ففى البيت أربعة حذوف :

الأوّل : حذف المقصود بالذمّ ، وهو ليال .

والثانى : حذف فى من سهدت فيها ، فصار سهدتها .

والثالث : حذفُ الضّمير من سهدتها .

والرابع : حذف فى مِنْ يرقدها .

وقد روى : « سَهِدتُها طرباً » .

وقد فرَّق بعضُ اللغويين بين السُّهاد والسَّهَر ، فزعم أنّ السُّهاد للعاشق واللديغ ، والسَّهر فى كلِّ شئ . وأنشد قول النابغة :

* يسهَّدُ فى لَيل التِّمامِ سَليمُها (١) *

وقول الأعشى :

* وبتَّ كما باتَ السَّليمُ مُسهَّدَا (٢) *

---

(١) عجزه فى ديوان النابغة ٥١ :

* لحلى النساء فى يديه قعاقع *

(٢) صدره فى ديوان الأعشى ١٠١ :

* ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا *

والطرب : خِفَّةٌ تُصيب الإنسان لشدة سرور أو حُزن . اهـ .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ للمتنبِّى قالها فى صباه مدحاً فى محمد بن عبد الله العَلوىّ .

أبيات الشاهد

وهذه أربعةُ أبياتٍ من مطلعها :

(أهلاً بدارٍ سباكَ أغيَدُها
أَبْعَدُ ما بان عنك خُرَّدُها

ظَلْتَ بها تَنطوِى على كبدٍ
نضِيجَةٍ فوقَ خِلْبِها يدُها

يا حادِيَىْ عِيسِها وأحسَبِنى
أُوجَدُ ميتاً قُبيلَ أفقِدُها

قِفا قليلاً بها علىّ فلا
أقَلَّ مِنْ نظرةٍ أُزوَّدُها)

نصب أهلاً بمضمر ، تقديره : جعل الله تعالى بتلك الديار أهلاً . وإنما تكون مأهولةً إذا سُقِيت الغيث ، فينبت الكلأ ، فيعود إليها أهلها . وهو فى الحقيقة دعاءٌ لها بالسَّقى . والأغيَد : الناعم البدَن ، وأراد جارية ، وذكَّر اللفظ لأنه عنى الشخص . والخُرَّد : جمع خريدة ، وهى البكر التى لم تُمسَسْ وأبعدُ مبتدأ وخُرَّدها الخبر ، أى أبعد شئ فارقَكَ جَوَارِى هذه الدار .

وقوله : « ظَلْتُ بها تنطوى » إلخ ، يريد ظَلِلت فحذف إحدى اللامين تخفيفا . يقول : ظَلِلتَ بتلك الديار تنثنى على كبدك ، واضعاً يدَك فوق خِلْبها . والمحزون يفعل ذلك كثيراً ، لما يجد فى كبدِهِ من حرارة الوجد ، يخاف على كبدِهِ تنشقّ ، كما قال الصِّمَّة القُشَيرىّ (١) :

---

(١) ط : « القشرى » ، صوابه فى ش . والبيت فى الحماسة بشرح المرزوق ١٢١٨ .

وأذكرُ أيّامَ الحِمى ثم أنثنى　　على كبدى من خشيةٍ أنْ تَقطَّعا

والانطواء كالانثناء . والنُّضج لليد ، ولكن جرى نعتا للكبد لإضافة اليد إليها . وجعل اليد نضيجة ، لأنه أدام وضعَها على الكبد ، فأنضجَتْها بما فيها من الحرارة ، ولهذا جاز إضافتها إلى الكبد . والعرب تسمِّى الشئَ باسم غيره إذا طالت صُحبتُه إيّاه ، كقولهم لفناء الدار : العَذِرة . وإذا جازت هذه التَّسمية كانت الإضافة أهونَ ، فلطُولِ وضع يدهِ على كبده أضافها إليها ، كأنَّها لها ، لأنَّها لم تزلْ عليها . والخِلْب : غشاءٌ للكبد رقيق لازبٌ بها . وارتفع يدها بنضيجة ، وهو اسم فاعل يعمل عمل الفعل . ويجوز أن تكون نضيجة من صفة الكبد وتَمَّ الكلامُ ، ثم وضع اليد على الكبد ، والأوّل أجود . كذا فى شرح الواحدى . ٥٦٤

وأورد ابن هشام هذا البيت (فى الباب الثالث من المغنى) وقال : يحتمل قول المتنبى يذكُر دارَ المحبوب : ظَلْتَ بها تنطوى البيت ، أن تكون اليد فيه فاعلة بنضيجة ، أو بالظرف ، أو بالابتداء . والأوّل أبلغ ، لأنَّه أشدُّ للحرارة . والخِلْب : زيادةُ الكبد ، أو حجاب القلب ، أو ما بين الكبد والقلب . وأضاف اليد إلى الكبد للملابسة بينهما ؛ لأنَّهما فى الشخص . اهـ .

وقوله : « يا حادِيَىْ عِيسِها » البيتين ، قال الواحدىّ : دعا الحادِيين ، ثُمَّ ترك ما دعاهما إليه حتى ذكَره فى البيت الذى بعده وأَخَذَ فى كلام آخر . وتسمِّى الرواةُ هذا الالتفاتَ ، كأنّه التفتَ إلى كلامٍ آخر .

أقول : هذا اعتراضٌ ، وليس من الالتفات فى شئ .

وأراد قُبَيل أنْ أفقدَها ، فلما حَذف أنْ عاد الفعلُ إلى الرفع . وقال

للحاديين اللذَين يحدُوان عِيَرها : احتبساها علىَّ زماناً قليلا لأنظرَ إليها وأتزوَّدَ منها نظرة ، فلا أقلَّ منها . ومن رفع أقلّ جعله بمنزلة ليس . وضمير بها يجوز أن يعود إلى العيس وإلى المرأة .

وقريبٌ من هذا فى المعنى قولُ ذى الرُّمَّة :

وإن لم يكنْ إلَّا تعلُّلَ ساعةٍ قليلٌ فإنِّى نافعٌ لى قليلُها

وأورد ابن هشام هذا البيت (فى المغنى) على أنَّ لا فيه نافيةٌ للجنس عاملةٌ عمل إنَّ . ويجوز رفع أقلُّ على أن تكون عاملة عملَ ليس .

وترجمة المتنبى قد تقدّمت فى الشاهد الحادى والأربعين بعد المائة [١] .

* * *

وأنشد بعده :

(لَعَمْرِى لأنْتَ البيتُ أُكرِمُ أهلَه

وأَقْعُدُ فى أفيائه والأصائِلِ)

على أَنَّ فيه حذفَ موصول عند الكوفيّين ، والتقدير : لأنت البيتُ الذى أكرم أهله .

وتقدِّم الكلام عليه فى الشاهد الثامنَ عشَرَ بعد الأربعمائة [٢] .

* * *

(١) الخزانة ٢ : ٣٤٧ .

(٢) انظر الخزانة ٥ : ٤٨٤ – ٥٠٣ . وفى ش : « الواحد والأربعين بعد المائة » ، تحريف . وإلى هنا ينتهى الجزء الثانى من الخزانة من تقسيم الطبعة الأولى طبعة بولاق .

أول الجزء الثالث
من طبعة بولاق
٣ : ٢ بولاق

باب الحكاية بمَن وما وأىّ

أنشد فيه ، وهو الشاهد الحادى والخمسون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س [١] :

٤٥١ (أتَوْا نارِى فَقُلتُ : مَنونَ أنتمْ

فقالوا : الجِنُّ ، قلتُ : عِمُوا ظلاما)

على أنَّ يونس يجوِّز الحكايه بِمَنْ وصلا ، كما فى البيت .

قال سيبويه : وأمَّا يونس فإنه يقيس مَنْهْ على أيَّةٍ فيقول : مَنَةٌ ومَنَةً ومنةٍ إذا قال ، يا فتى . وهذا بعيد ، وإنما يجوز عَلَى قول شاعر قاله مَرَّة فى شعر ثم لم يُسَمع بعد :

أتوا نارى فقلت : منون أُنتم .... البيت

وزعم يونس أنه سمع عربياً [٢] يقول : ضرب مَنٌ مَناً . وهذا بعيد لا تتكلَّم به العرب ، ولا تستعمله ناس كثير [٣] ، وكان يونس يقول : لا يقبل هذا كلَّ أحد ، فإنّما يجوز مَنُون يا فتى على هذا . انتهى .

---

(١) فى كتابه ١ : ٤٠٢ . وانظر نوادر أبى زيد ١٢٣ والمقتضب ٢ : ٣٠٧ والجمل ٣٢٠ والخصائص ١ : ١٢٩ وابن يعيش ٤ : ١٦ والمقرب ٦٥ والعينى ٤ : ٤٩٨ ، ٥٥٧ والتصريح ٢ : ٢٨٣ والهمع ٢ : ١٥٧ ، ٢١١ والأشمونى ٤ : ٩٠ ، ٢٢٠ .

(٢) فى سيبويه : « أعرابيا » .

(٣) سيبويه : « ولا يستعمله منهم ناس كثير » .

قال النحاس : وهذا عند سيبويه ردیء ، لأنَّ هذه العلامة إنَّما تقع فى الوقف ولا تقع فى الوصل ، فلما اضطُرَّ أجْراه فى الوصل عَلَى حالِهِ فى الوقف . وأنشد أبو الحسن بن كَيسان :

أتَوا نارى فقلت : مَنُونَ ، قالوا :
سَراةُ الجنِّ ، قلت : عِمُوا ظَلاما

وقال : إنما حكى كيف كان كلامُه وجوابه . انتهى .

وهذه الرواية هى رواية أبى زيد (فى نوادره) كما يأتى . ففى الرواية الأولى شذوذانِ كما فى المفصل : إلحاق العلامة فى الدَّرْج ، وتحريك النون . وفيه أيضاً كما قال ابن الناظم (فى شرح الألفية) أنه حكى مقدَّراً غير مذكور . وفى الثانية شذوذٌ واحد ، وهو تحريك النون . قال ابن جنى (فى الخصائص) : من رواه : « منُونَ قالوا » فإنّه أُجرى الوصل مجرى الوقف . فإن قلت : فإنَّه فى الوقف إنما يكون « مَنُونْ » ساكن النون [1] وأنت فى البيت قد حرَّكته . فهذا إذن ليس عَلَى نِيَّة الوقف ولا على نِيَّة الوصل . فالجواب : أنَّه إنّما أجراهُ فى الوصل عَلَى حدِّه فى الوقف ، فلمَّا أثبت الواوَ والنون التقيا ساكنين ، فاضُطرَّ حينئذٍ إلى أنْ حَرَّك النون لإقامة الوزن . فهذه الحركة إذن إنما هى حركةٌ مستحدثة لم تكن فى الوقف ، وإنّما اضطُرّ إليها فى الوصل . وأمَّا من رواه : « منون أنتم » فأمره مشكل . وذلك أنَّه شبّه مَنْ بأىّ فقال : منون أنتم ، عَلَى قوله : أيُّونَ أنتم . فكما حُمل ههنا أحدهما عَلَى الآخر كذلك جمع بينهما ، فى أنْ جُرِّدَ من الاستفهام كل منهما . ألا ترى إلى حكاية يونس عنهم : ضرب مَنٌ مناً ، كقولك : ضرب رجلٌ رجلا . انتهى .

(١) ش : « إنما يكون ساكن النون » ، صوابه فى ط والخصائص .

وقوله : (أتوا نارى فقلت) إلى آخره ، الفاء عطفت جملة قلتُ عَلَى أتوا . وهى للترتيب الذِّكرى ، وهو عطفُ مفصَّل عَلَى مجمل ، نحو : ﴿ فأزَلَّهُما الشيطانُ عنها فأَخرجَهُما مِمَّا كانا فيه [1] ﴾ . وجملة منون أنتم من المبتدأ والخبر محكيَّة بالقول . و (مَنُون) إمَّا مبتدأ وأنتم خبره أو بالعكس . والفاء من (فقالوا) عطفت مدخولها عَلَى قلت . و (الجنّ) خبر مبتدأ محذوف ، أى نحن الجن . والجملة محكيَّة بقالوا . وكذلك عَلَى الرواية الثانية : « فقلت منون قالوا سَرَاةُ الجن » أى نحن أشْرافُها . وهو بفتح السين جمع سَرِىّ عَلَى ما قيل ، بمعنى الشريف . وكذلك مَنون عَلَى تقدير منون أنتم . قال الجوهرى : « عِمُوا صَبَاَحاً : كلمة تحية » . قال ابن السيرافى : وإنما قال لهم : عموا ظلاماً لأنهم جنٌّ ، وانتشارهم بالليل ، فناسب أن يذكر الظلام ، كما يقال لبنى آدم إذا أُصبحوا : عِمُوا صباحا .

قال ابن السيد (فى شرح أبيات الجمل) : ومعنى عمُوا انعَموا ، يقال عِمْ صباحاً بكسر العين وفتحها . ويقال وعم يعم من باب وعَد ووَمِق . وذهب قومٌ إلى أنّ يعم محذوفةُ ينعِم . وقالوا : إذا قيل عَمْ بفتح العين فهو محذوف من انعَمْ المفتوح ، وإذا قيل عِم بكسر العين فهو محذوف من يَنْعِم المكسور العين . وحكى يونس أنّ أبا عمرو بن العلاءِ سئل عن قول عنترة :

* وعمى صباحا دارَ عبلةَ واسلمى *

فقال : هو من نَعِم المطر إذا كثر ، ونعم البحر إذا كثر زَبَده ، كأنه يدعو لها بالسُّقيا وكثرة الخير .

---

(١) الآية ٣٦ من سورة البقرة .

وقال الأصمعىُّ والفراء فى قولهم : عِمْ صباحا : إنّما هو دعاءٌ بالنعيم والأهل ، وهذا هو المعروف ، وما حكاه يونس نادر غريب . و (ظلاما) : ظرف ، أى انعموا فى ظلامكم ، أو تمييز ، والأصل لينعم ظلامُكم ، فحوِّل إلى التمييز . انتهى .

وقال ابن الحاجب (فى أماليه) : ظلاماً تمييز ، أى نَعِمَ ظلامُكم ، كما تقول : أحسن الله صباحك . ولا يحسن أن يكون ظرفا ، إذ ليس المراد أنّهم نعموا فى ظلام ولا فى صباح ، وأنّما المراد أنه نَعِمَ صباحُهم ، وإذا حسُن صباحهم كان فى المعنى حُسنهم .

صاحب الشاهد

والبيت من أبيات أربعةٍ رواها أبو زيد (فى نوادره) ونسبها لشُمَير بن الحارث الضبى ، مصغَّر شِمْر بكسر المعجمة . قال أبو الحسن فيما كتبه عَلَى نوادر أبى زيد : سُمير المذكور ، بالسين المهملة . وهى هذه :

(ونارٍ قد حضأتُ لها بليلٍ بدارٍ لا أُريد بها مُقاما

سوى تحليلِ راحلةٍ وعَينٍ أكالئُها مخافَةَ أن تناما

أتَوْا نارى فقلتُ : منونَ قالوا سَراةُ الجنِّ قلت : عِمُوا ظلاما

٤ فقلت : إلى الطَّعام ، فقال منهمْ زعيمٌ : نحسُد الإنسَ الطعاما)

وزاد بعده غيرُهُ بيتاً آخر ، وهو :

(لقد فُضِّلتم بالأكل فينا ولكنْ ذاكَ يُعقِبكم سَقاما)

وزادَ بعضهم بعده :

(أمِطْ عنَّا الطعام فإنَّ فيه
لآكِلِه النَّقاصةَ والسَّقاما)

قال السكريُّ فيما كتبه هنا : حضأتُ أى أشعلت وأوقدت ، يقال فى تصريفها حضأت النارَ أحضؤها حَضْئاً ، وهو بالحاء المهملة والضاد المعجمةِ والهمزةِ . واللام فى لها زائدةٌ ؛ لأنّ حضأت متعدّ . وروى ابنُ السِّيد وغيره :

* ونارٍ قد حضأتُ بُعيدَ وَهْنٍ *

وقال : الوهن والموهن : نحوٌ من نصف الليل . والذى ذكره الأصمعيُّ أنّ الوهن هو حين يُدبر الليل . وهذا يدلّ له الاشتقاق . فالمجرور بواو ربَّ فى محل نصب عَلَى المفعول بحضأت .

وقوله : « سوى تحليل راحلة » قال السكرى : أراد : سوى راحلةٍ أقمت فيها بقدر تَحِلَّة اليمين . وروى غيره : « سوى ترحيل راحلة » . قال ابن السِّيد : ترحيل الراحلة : إزالة الرحل عن ظهرها . والرَّحْل للإبل كالسَّرج للخيل . والراحلة : الناقة التى تُتَّخذ للركوب والسَّفر ، سُمِّيت بذلك لأنها ترحل براكبها . وأكالئها : أُحرسها وأُحفظها لئلا تنام . قال ابن السِّيد : وكان المفضَّل يروى : « وعير أكالئها » بالراء بدل النون ، وقال : العَيْر : إنسان العين . قال ابن هشام اللخمى بعد هذا : وهذه هى الرواية الصحيحة . وعير تُؤنَّث عَلَى المعنى ، لأنها عين ، وتذكَّر . ومخافةَ مفعول لأجله .

وقوله : « فقلت إلى الطعام » إلى متعلقة بفعل محذوف ، أى هلمُّوا إليه . وأورده الزمخشرى فى : (أول الكشّاف) على أنّه حَذَفَ متعلّق الجار من

بسم الله الرحمن الرحيم ، كما حذف متعلق إلى الطعام ، وهذا المحذوف فى حكم الموجود ، والمجموعُ محكيٌّ بالقول .

وقول ابن السِّيد : هذا الفعل المحذوف فى حكم الظاهر ، فلذلك لم يكن له موضع من الإعراب ، لا يظهر لتعليله وجهٌ .

وقال ابن خروف : يجوز أن تكون إلى اسم فعل . وجَزم اللخميُّ بأنَّ إلى هنا إغراء .

وفسَّروا الزَّعيم بالرئيس والسَّيِّد . وقال بعضهم : الزعيم بمعنى القائل ، كما تقول زعم زاعمٌ أى قال قائل ، ولا معنى للسَّيِّد هنا . وزعيمٌ فاعل . قال : وروى بدل زعيم : « فريق » . و « منهم » كان فى الأصل وصفَه فلما قدِّم عليه صار حالاً منه . وقوله : « نحسد » إلخ يروى بالنون ، فالجملة مقول القول . ويروى بالمثناة التَّحتية فالجملة صفةٌ لزعيم ، فيكون البيت الذى بعده مقول القول . والأنَس يروى بفتحتين ، وبكسرة فسكون ، ومعناهما البشَر .

قال ابن الحاجب (فى أماليه) : الطعام : مفعول ثان ، إما على تقدير حرف خفض ، أى نحسد الإنس على الطعام . وإمّا على أنّه متعدٍّ بنفسه من أصله . كقوله : استغفرت الله الذنب [1] ، ومن الذنب . وقال اللخمى : الطَّعام مفعول ثان على إسقاط حرف الجر ، أى نحسد الإنسَ فى الطعام .

وقال الأندلسى : الأولى تقديره بعلى : لأنَّه يقال حسَدته على كذا . وقد ورد قوله ﷺ : « لا حَسَدَ إلَّا فى اثنتين » ، يجوز أن يكون أقام بعضَ حروفِ الصفات مقامَ الآخر . ويؤيِّده قول الجوهرى : « حسدتُك على الشئ ٥ وحسدتك الشئَ بمعنًى » .

---

(١) شاهده قول القائل ، وأنشده سيبويه فى كتابه ١ : ١٧ :

أستغفِرُ الله ذنبا لست محصيَه
رب العباد إليه الوجه والعمل

وقوله : « لقد فُضِّلتم » بالبناء للمفعول ، وفينا بمعنى علينا .

وقوله : « أمِطْ عَنا » إلخ أى أزِله عنا . و « النَّقاصة » بالفتح ، هو مصدر كالنَّقْص بالنون والقاف والصاد المهملة [١] .

ذكر فى أبياته أنَّ الجن طرقته وقد أوقَدَ ناراً لطعامه ، فدعاهم إلى الأكل مِنه فلم يجيبوه ، وزعموا أَنَّهم يحسدون الإنسَ فى الأكل ، وأنَّهم فضِّلوا عليهم بأكل الطعام ، ولكنَّ ذلك يُعقبهم السَّقام .

وقوله :

* لقد فُضِّلتمُ بالأكل فينا *

ظاهره أنَّ الجن لا يأكلون ولا يشربون . وقال ابن السيرافى : قال زعيمهم : نحسد الإنس على أكل الطعام والالتذاذ ، وليس من شأننا أن نأكل ما يأكله الإنس .

وقال ابن المستوفى : لم يُرد أنَّ الجنَّ لا تأكل ولا تشرب ، وإنَّما أراد أنَّ طعامَ الإنس أفضلُ من طعام الجنّ .

وهذان القولان خلافُ الظاهر . ويؤيِّد ما قلنا قولُ ابن خروف (فى شرح أبيات سيبويه) : قوله لقد فُضِّلتم بالأكل فينا ، مخالفٌ للشَّرع ، لأنَّ النبى ﷺ قال : إن الجنَّ تأكل وتشرب . وفى (آكام المرجان فى أحكام الجان) ، لبدر الدين محمد بن عبد الله الشبلى الحنفى الشامى ، وقد صنَّفه كما

---

(١) لم يرد هذا المصدر فى المعاجم المتداولة . والمعروف النقص ، والنقصان ، والنقيصة .

قال الصفدى فى سنة سبع وخمسين وسبعمائة : وقد [١] اختلف العلماءُ فى هذه المسألة على ثلاثة أقوال :

أحدها : أنَّ جميع الجن لا يأكلون ولا يشربون [٢] .

وهذا قول ساقط .

ثانيها : أنَّ صنفاً منهم يأكلون ويشربون ، وصنفاً لا يأكلون ولا يشربون .

ثالثها : أنَّ جميع الجن يأكلون ويشربون .

فقال بَعضُهم : أكلهم وشربهم تشمُّمٌ واسترواح ، لا مضغ وبلع . وهذا لا دليل له . وقال آخرون : أكلهم وشربهم مَضغ وبلع . ويدلُّ لهذا حديث أميَّة ابن مخشىّ [٣] ، من رواية أبى داود : « مازال الشيطانُ يأكل معَه فلما ذكرَ الله تعالى استقاءَ ما فى بطنه » . وفى الصحيحين أنَّ الجن سألوا رسولَ الله ﷺ الزادَ ، فقال : « كلُّ عظْمٍ ذُكر اسم الله عليه يَقع فى يد أحدهم أوْفَرَ ما يكون لحماً ، وكل بعر عَلفٌ لدوابِّهم » . وفى حديث يزيد بن جابر قال : « ما مِنْ أهل بيت من المسلمينَ إلّا وفى سقفِ بيتهم من الجنّ من المسلمين ، إذا وُضع غَداؤهم نزلوا فتغَدَّوْا معهم ، وإذا وُضِع عَشاؤهم نزلوا فتعشَّوا معهم ، يدفع الله بهم عنهم » .

---

(١) ش : « قد » بدون واو .

(٢) الكلام بعده الى « أن جميع الجن يأكلون ويشربون » ساقط من ش .

(٣) الإصابة ٢٥٨ . وحديثه فى سنن أبى داود ٣ : ٣٤٧ برقم ٣٧٦٨ .

والجنّ على مراتب ، قال ابن عبد البر : إذا ذكَروا الجنَّ خالصاً قالوا : جنّىّ . فإن أرادوا أنه ممن يسكُن مع الناس قالوا : عامر ، والجمع عُمَّار . فإنْ كان ممَّا يَعرِض للصِّبيان قالوا : أرواح . فإنْ خَبُث ولؤم قالوا : شيطان . فإن زادَ على ذلك فهو مارد . فإنْ زاد على ذلك وقوىَ أمرُه قالوا : عِفريت .

وقال ابن عقيل : الشياطين : العُصاة من الجنّ ، وهم ولد إبليس ، والمَرَدةُ أعتاهم وأَغواهم ، وهم أعوان إبليس .

وقال الجوهرى : « كلُّ عاتٍ متمرِّد من الجنّ والإنس والدوابّ شيطان » .

وقال ابن دريد : الجنُّ : خلاف الإنْس . ويقال : جَنَّه الليل وأجَنَّه ، وأجَنَّ عليه وغطَّاه فى معنىً واحد ، إذا ستره . وكلَّ شىء استتر عنك فقد جُنَّ عنك . وبه سمِّيت الجنّ . وكان أهل الجاهلية يسمُّون الملائكة جنًّا لاستتارهم عن العيون . قالوا : والحِنّ بالحاء المهملة زعموا أنه ضربٌ من الجن . وقال أبو عُمَر الزاهد : الحِنّ : كلاب الجن وسَفِلتهم . والجانُّ : أبو الجنّ .

قال السهيلى (فى كتاب النتائج [١]) : وممَّا قدِّم للفَضْل والشرف تَقدِيمُ الجنّ على الإنس ، فى أكثر المواضع ، لأنَّ الجن تشتمل على الملائكةِ وغيرهِم مما اجتنَّ عن الأبصار . قال تعالى : ﴿ وجعلوا بينه وبين الجِنَّة نَسبا [٢] ﴾ ، وقال الأعشى [٣] : ٦

---

(١) لم يذكر فى كشف الظنون . كما لم يذكر فى الخزانة إلا فى هذا الموضع .

(٢) الآية ١٥٨ من سورة الصافات .

(٣) لم يرد البيت التالى فى ديوان الأعشى .

وسَخّرَ من جنِّ الملائك سبعةً
قياماً لديه يَعملون بلا أجْرِ

فأما قوله تعالى : ﴿ لم يَطْمِثْهُنَّ إنْسٌ قَبْلَهُمْ ولا جَانٌّ (١) ﴾ وقوله تعالى : ﴿ لا يُسئَل عن ذنبِهِ إنسٌ ولا جَانٌّ (٢) ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وأنّا ظَنَنّا أنْ لن تقولَ الإنسُ والجِنُّ على اللهِ كذبا (٣) ﴾ فإنَّ لفظ الجنّ ههنا لا يتناول الملائكة ، لنزاهتهم عن العيوب ، فلمّا لم يتناولهم عمومُ اللفظ لهذه القرينة بدأ بلفظ الإنس لفضلهم وكمالهم .

وشُمَير بن الحارث الضّبّى ، ناظُم هذه الأبيات ، تقدم ذكره فى الشاهد الخامس والستين بعد الثلثمائة (٤) .

تتمّــــة

قد رُوى البيتُ الشاهد من قصيدة قافيتها حائيَّة . قال ابن السِّيد (فى شرح أبيات الجمل للزجاجى) : ذكر أبو القاسم مؤلِّف الجمل أنّ الناس يَغْلِطون فى هذا الشعر فيروونه عِمُوا صباحا ، وجعل دليله الأبياتَ الميمية المنقولةَ عن أبى زيد . ولقد صَدَق فيما حكاهُ ولكنَّه أخطأ فى تخطئة رواية من روى : « عموا صباحا » ، لأنَّ هذا الشعْر الذى أنكره وقعَ فى (كتاب خبر سَدّ مأرِب) ونسبَه إلى جِذْع بن سنان الغَسَّانىّ فى حكاية طويلةٍ زعم أنَّها جرت له مع الجن . وكلا الشعرين أكذوبة من أكاذيب العرب لم تقع قَطُّ .

---

(١) الآية ٧٤ من سورة الرحمن .

(٢) الآية ٣٩ من سورة الرحمن .

(٣) الآية ٥ من سورة الجن .

(٤) صوابه السادس والستين بعد الثلاثمائة . وانظر الخزانة ٥ : ١٨٢ .

والشعر الذى على قافية [الميم ينسب إلى شُمَير بن الحارث ، وينسب إلى تأبّط شرًّا . وأما الشعر الذى على قافية [1]] الحاء فلا أُعلم خلافاً فى أنه لجِذع بن سِنان ، وهو :

أتَوْا نارى فقلتُ : مَنونَ أنتم
فقالوا :الجنُّ قلت :عِموا صَباحا

نزلتُ بِشِعبِ وادى الجنِّ لمَّا
رأيتُ الليلَ قد نَشر الجناحا

أتيتهمُ ولِلأقدارِ حَتمٌ
تُلاقى المرءَ صبحاً أو رَواحا

أتيتهمُ غريباً مستضيفا
رأوا قتلى إذا فعلوا جُناحا

أتَونى سافرينَ فقلت : أهلاً
رأيتُ وجوههم وُسُماً صِباحا

نَحرتُ لهم وقلت : ألَا هَلُمُّوا
كُلوا مما طَهَيْتُ لكم سَماحا

أتانى قاشرٌ وبنو أبيه
وقد جَنَّ الدُّجَى والليلُ لاحا

فنازَعَنى الزُّجاجةَ بعدَ وهْنٍ
مزجتُ لهم بها عَسلًا وراحا

وحذَّرنى أموراً سوف تأتى
أهُزُّ لها الصَّوارمَ والرِّماحا

(١) هذه التكملة من ش .

سأمضى للذى قالوا بعزمٍ
ولا أبغى لذلكمُ قِداحا
أسأتُ الظن فيه ، ومَن أُساهُ
بكلِّ الناس قد لاقى نجاحا
وقد تأتى إلى المرءِ المنايا
بأبواب الأمانِ سُدًى صُراحا
سيُبقى حكمُ هذا الدهرِ قوماً
ويَهْلِك آخرون به ذُباحا
أثعلبةَ بن عمروٍ ليس هذا
أوانَ السَّير فاعتَدَّ السِّلاحا
ألم تعلمْ بأن الذلَّ موتٌ
يُتيح لمن ألمَّ به اجتياحا
ولا يَبقَى نعيمُ الدهر إلّا
لقَرْمٍ ماجدٍ صَدَق الكِفاحا

٧ قال ابن السِّيد : إن قيل كيف جاز أنْ يقول لهم : عموا صباحا ، وهمْ فى الليل . وإنّما يليق هذا الدُّعاءُ بمن يُلقَى فى الصباح . فالجواب من وجهين :

أحدهما : أنَّ الرجل إذا قيل له عم صباحا فليس المراد أن ينعم فى الصباح دونَ المساء ، كما أنَّه إذا قيل أرغم الله أُنفه ، وحَياً الله وجهه ، فليس المراد الأنفَ والوجهَ دون سائر الجسم . وكذلك إذا قيل له : أعلى الله كعبك . وإنَّما هى ألفاظٌ ظاهرها الخصوص ومعناها العموم . ومثله قولُ الأعشى :

* الواطئين على صدور نعالهم (١) *

والوطء لا يكون على صدور النعال دون سائرها .

والوجه الثانى : أن يكون معنى أنعم الله صباحَك : أطلع الله عليك كلَّ صباح بالنعيم ، لأنَّ الصباحَ والظلام نوعان ، والنَّوع يسمى به كلُّ جزءٍ منه بما يسمّى به جملته .

والشعب ، بالكسر : الطريق فى الجبل .

ووُسُماً بالضم : جمع وسيم ، وهو الذى عليهِ سمة الجمال . وكذلك الصِّباح بالكسر : جمع صبيحٍ . شبِّه بالصبح فى إشراقه .

وطهَيت : طبخْت ، يقال طهيت اللحم وطهوتُه فأنا طاهٍ .

وقوله : « لا أبغى لذلكم قِداحا » أى لا أطلب ضَرب القداح ، لأنَّهم كانوا إذا أرادوا فعلَ أمرٍ ضربوا بالقداح ، فإن خرج القِدح المكتوب عليه : افعلْ ، فعَلَ الأمر . وإن خرج القِدح المكتوب عليه : لا تفعل ، لم يفعل الأمر .

وقوله : أسأتُ الظن فيه ، يقول : أسأت الظنَّ بضرب القداح والتعويلِ على ما تأمر به وتنهى عنه ، وعلمت أنَّ ما أَمَرَتْنِى به الجنُّ أحرَى أن يُعَوَّل عليه .

وقوله : « سُدًى صُراحاً » ، السُّدى : الإبل المهملة التى لا يردُّها أحد . والصُّراح : الظاهرة .

والذُّبَاح ، بضم الذال المعجمة بعدها موحَّدَة : نباتٌ يقتل مَن أكله . ومَنْ رواه بِكسر الذال جعله جمع ذبيح .

(١) عجزه فى الديوان ٩٩ واللسان (دفن) :

* يمشون فى الدفنى والأبراد *

وقولهُ : « يتُيح » أى يقدِّر ويَجلب ، يقال أتاح الله كذا أى قدّره . وأُلَمَّ : نزل . والاجتياح ، بجيم بعدها مثناة فوقية : الاستئصال .

والقَرْم ، بفتح القاف وسكون الراء : السيِّد ، وأصله الفحل من الإبل . والكفاح ، بالكسر : ملاقاة الأعداءِ . انتهى .

جذع بن سنان

وجذع بن سِنانٍ الغَسَّانىّ بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة ، شاعرٌ جاهلى قديم . وغسَّان : قبيلة من الأزد من قحطان . وجذعٌ خرجَ مع مَن خرجَ من الأزْد قبلَ سيل العرِم وجاءوا إلى الشام ، وكان ملكَها إذ ذاك سَليح ، وهم من غَسّان أيضا ، وقيل من قضاعة . وكانوا يؤدُّون لسليح عن كلِّ رجل دينارين ، فجاء عاملُ الملك إلى جذعِ بن سنانٍ يطلُب الخراج الذى وجَب عليه ، فدفع إليه سيفَه رَهناً ، فقال : أدخله فى حِرِ أُمِّك ! فغضب جِذعٌ وقَنَّعَهُ به ، فقيل : « خُذْ من جذعٍ ما أعطاك » ، وسارت مثلا . تُضْرَب فى اغتنام ما يجود به البخيل . وقيل فى سبب المثل غير هذا .

وامتنعت غَسّانُ من هذا الخراج بعد ذلك ووَلُوا الشّام ، كما تقدم شرحُه فى ملوك بنى جفنة [١] .

و (فى العباب) للصّغانى أنّ جذعاً هو جِذع بن عمرو . وهو غلط .

* * *

---

(١) الخزانة ٤ : ٣٨٤ - ٣٩٩ .

باب أسماء الأفعال

أنشد فيه ، وهو الشاهد الثانى والخمسون بعد الأربعمائة [١] :

٤٥٢ (فداءٍ لك الأقوامُ)

هو قطعة من بيت ، وهو :

(مهلاً فداءٍ لك الأقوامُ كلُّهمُ
وما أُثمِّرُ من مالٍ ومن ولِدِ) ٨

على أنّ (فداء) اسم فعل منقول من المصدر . قال صاحب الصحاح : الفِدَا إذا كسر أوله يمدّ ويقصَر ، وإذا فتح فهو مقصور ، يقال : قُمْ فَدًى لك أبى . ومن العرب من يكسر فداءٍ بالتنوين إذا جاور الجرّ خاصّة ، فيقول : فداءٍ لك ، لأنّه نكرة ، يريدون به معنى الدعاء . وأنشد هذا البيت للنابغة عن الأصمعى .

وهذا التعليل فيه خفاء [٢] . والواضحُ قول أبى علىّ (فى المسائل المنثورة) وقد أنشده فيها قال : بُنِىَ على الكسر لأنّه قد تضمَّن معنى الحرف ، وهو لام الأمر ، لأنَّ التقدير : ليفدك الأقوام كلُّهم . فلمَّا كان بمعناه بُنِى . وبُنِى على الكسر لأنَّه وقع للأمر . والأمرُ إذا حرِّك تحرك إلى الكسر . ونوَّنوه لأنَّه نكرة . انتهى .

---

(١) ابن يعيش ٤ : ٧٠ ، ٧٣ وديوان النابغة ٢٦ .

(٢) أرى أن الخفاء يزول إذا فهمنا قوله فيما سبق : « إذا جاور الجر » على أنه الجار والمجرور وهو « لك » ، ونحوه .

قال الزمخشرى (فى المفصل) : ومنه فداءٍ لك ، بالكسر والتنوين ، أى ليفدك . وأنشد البيت .

قال ابن المستوفى : قوله « ومنه » : يريد ما التُزِمَ فيه التنكير ، كإيهاً فى الكفّ ، ووَيْها فى الإغراء ، وواهاً فى التعجب . وعقّبه بقوله : ومنه فداءٍ ، يستعمل مكسورا منوّنا وغير منون ، حملا على إيهٍ وإيهِ . ثم نقل عن الزمخشرى فى حواشيه أنه قال : فداءٌ بالرفع ، عَلَى أنه خبر الأقوام . وفداءٍ بالكسر ، لما ذكرنا [١] . وفداءً بالنصب على أنّه مصدر لفعله ، وهو ليفدك الأقوام . ويرفع الأقوام مع كسر فداءٍ بالفاعل أيضاً لأنه أمرٌ لهم بالفداءِ . يعنى أنَّ الأقوام فاعل فداء أيضا فى حالة النصب ، لأنَّه فاعل المصدر ، كما أنه فاعله فى حالة الكسر والتنوين .

وذكر القوّاس (فى شرح ألفية ابن معطى) أنّ فيه لغات : فدًى بفتح الفاء وضمها مع القصر ، وكسرها مع القصر والمد .

وروى أبو زيد (فى نوادره [٢]) قولَ الراجز :

* ويهاً فداءٍ لك يا فَضاله *

بالكسر والتنوين . وهذا لا فاعل له فى اللفظ ، وإنما الفاعل مفهومٌ من المقام ، أى ليفْدِك الناسُ ، ونحوه .

وويها : كلمةُ إغراء . وقوله : (مهلا) ، بمعنى أُمهل وتأنَّ . وقوله : (وما أثمِّر) معطوفة على الأقوام ، وهى موصولة والعائد محذوف ، أى أثمره . وأثمِّر : أجمع وأصلح . يقال ثمَّرَ فلانٌ مَاله ، إذا أصلحه وجَمَعه . ومِنْ للبيان .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدةٍ للنابغة الذبيانى مدحَ بها النعمانَ بنَ المنذر ، وتنَصَّل عن ما قذفوه به ، حتَّى خافه وهربَ منه إلى بنى جفنة ملوكِ الشام .

---

(١) ط : « كما ذكرنا » صوابه فى ش .

(٢) نوادر أبى زيد ص ١٣ .

وقد تقدَّم شرحُ أبياتٍ كثيرة منها فى باب الحال ، وفى باب خبر كان ، وفى النعت ، وفى البدل وغير ذلك .

وبعد هذا البيت بيتٌ يورده علماءُ التصريف فى كتبهم ، وهو :

قرين الشاهد

(لا تقْذِفنِّى بركنٍ لا كِفاءَ له
ولو تأثَّفك الأعداءُ بالرِّفَدِ)

وقوله لا تقذِفَنىِّ ، أى لا تركبنى بما لا أطيق ولا يقوم له أحد . والكِفاء بالكسر : المِثْل . وتأثَّفك الأعداء : اجتمعوا حولك واحتَوَشُوك ، فصاروا منك موضعَ الأثافىِّ من القِدر .

وقوله : بالرِّفد ، بكسر ففتح : جمع رِفْدة بكسر فسكون ، أى يَرفِد بعضهُم بعضاً ، يتعاونون بالنَّمائم عَلَىَّ ويسعَون بى عندك . يقال رَفَدَ فلانٌ فلاناً يرفِدُه رَفدا ، إذا أعانه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والخمسون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س [1] :

٤٥٣ (كَذَبَ العتيقَ وماءَ شنٍّ بارداً
إن كنتِ سائلتى غَبوقاً فاذهبى)

على أَن « كذب » فى الأصل فعل ، وقد صارَ اسمَ فعلِ أمرٍ بمعنى الزم . ٩
لم أرَ مَنْ قال مِن النحويِّين وغيرهم أنَّ كَذبَ اسمُ فعلٍ . وهذا شئٌ

(١) فى كتابه ٢ : ٣٠٢ . وانظر أمالى ابن الشجرى ١ : ٢٦٠ واللسان (كذب ٢٠٤ عتق ١٠٨) .

انفردَ به الشارح المحقق . وإنّما ذكروه فى جملة الأفعال التى مُنِعت التصرُّف ، منهم ابن مالك (فى التسهيل) .

وقول الشارح المحقق : « إذا رُوِى بنصب العتيق » ، تحقيقٌ لكونه اسمَ الفعل ، فإنّ أكثر اسم الفعل يكون بمعنى الأمر كما قاله الشارح ، ففاعله مستترٌ فيه وجوبا تقديره أنت ، والعتيقَ مفعوله وماءَ معطوف على العتيق ، وبارداً صفة ماء . ومفهومه أنَّ العتيق إذا رُوِى بالرفع لم يكن كذب اسمَ فعل . ولم يبيِّن حكمه ، وكأنه ترك شرَحه لشهرته بمعنى الإغراء .

وفيه أن كذبَ سواءٌ نصبَ ما بعده أو رفع ، بمعنى الإغراء كما فى الأمثلة المذكورة فى الشرح ، فجعْله مع المنصوب دون المرفوع اسمَ فعل تحكُّمٌ لا يظهر له وجه . على أنَّ النصب قد أنكره جماعة وعيَّنوا الرفع ، منهم أبو بكر بن الأنبارى (فى رسالة شرح فيها معانى الكذب) على خمسة أوجه ، قال [١] :

كذبَ معناه الإغراء ومطالبة المخاطَب بلزوم الشئ المذكور ، كقول العرب : كذبَ عليك العسلُ ، ويريدون كُل العسل . وتلخيصه [٢] : أخطأ تاركُ العسلِ ، فغلب المضافُ إليه على المضاف . قال عمر بن الخطاب : « كذبَ عليكم الحجُّ ، كَذَبَ عليكم العُمرةُ ، كذب عليكم الجِهادُ : ثلاثة أسفار كَذبنَ عليكم » معناه الزموا الحجَّ والعمرةَ والجهاد . والمغرى به مرفوع بكذبَ ، لا يجوز نصبه على الصحَّة ، لأنَّ كذب فعلٌ لا بدَّ له من فاعل ، وخبرٌ لا بدَّ له من محدَّث عنه ، والفعلُ والفاعل كلاهما تأويلهما الإغراء . ومَنْ زعم أنّ الحجَّ والعمرة والجِهادَ فى حديث عمر حكمهنّ النصبُ لم يصبْ ، إذ قضى بالخلوّ عن الفاعل . وقد حكى أبو عبيدٍ عن أبى عبيدة عن أعرابىّ ، أنَّه نظر إلى ناقةٍ نضوٍ لرجل فقال : كذب البَزْرَ والنَّوى . قال أبو عبيد :

---

(١) سيذكر هنا الخامس فقط . وانظر ما سيأتى فى ١٩٤ - ١٩٩ .

(٢) التلخيص : التبيين والشرح . وهو أيضا الاختصار .

لم يسمع النصبُ مع كذب فى الإغراء إلا فى هذا الحرف . قال أبو بكر : وهذا شاذٌّ من القول ، خارجٌ فى النحو عن منهاج القياس ، ملحقٌ بالشواذّ التى لا يعوَّل عليها ولا يُؤخذ بها . قال الشاعر :

* كذبَ العتيقُ وماءُ شنٍّ باردٌ *

معناه الزمى العتيق وهذا الماء ، ولا تطالبينى بغيرهما . والعتيقُ مرفوع لا غير . انتهى .

ومن الغريب قولُ ابن الأثير (فى النهاية) فى حديث عمر ، برفع الحج والعمرة والجهاد ، معناه الإغراء ، أى عليكم بهذه الأشياء الثلاثة . وكان وجهه النصب ، ولكنّه جاء شاذًّا مرفوعا . انتهى .

وقد نقل أبو حيان كلام ابن الأنبارى (فى تذكرته ، وفى شرح التسهيل) ، وزاد فيه بأنّ الذى يدلُّ على رفع الأسماء بعدَ كذب أنّه يتَّصل بها الضمير كما جاء فى كلام عمر : « ثلاثة أسفار كذبن عليكم » . وقال الشاعر :

* كذبتُ عليك لا تزال تقُوفُنى [(١)] *

معناه عليكَ بى [(٢)] : فرفع التاء وهى مغرًى بها ، واتصلت بالفعل لأنّه لو تأخر الفاعل لكان منفصلاً ، وليس هذا من مواضع انفصال الضمير [(٣)] . انتهى .

---

(١) للقطامى فى اللسان (كذب ، قوف) وليس فى ديوانه . ويروى أيضا للأسود بن يعفر . ط : « تتوقنى » ش : « تبوقنى » والصواب ما أثبت . وقافه يقُوفُه مثل قفاه يقفوه ، أى تبعه .

(٢) فى الأصل ، أى النسختين : « عليكن » ، صوابه من اللسان . (كذب ، قوف) . وفى اللسان : « فأغراهُ بنفسه ، أى عليك بى » .

(٣) كلمة « الضمير » ساقطة من ش .

والصحيح جواز النصب ، لنقل العلماء أنّه لغة مضَر ، والرفع لغة اليمن . ووجهه مع الرفع أنه من قبيل ما جاء لفظ الخبر [فيه [(١)]] بمعنى الإغراء كما قال ابن الشجرى (فى أماليه) كتؤمنون بالله ، بمعنى آمِنُوا بالله . ورحمهُ الله ، بمعنى اللهم ارحمْه ، وحسبك زيد ، بمعنى اكتف به . ووجهه مع النصب من باب سِراية المعنى إلى اللفظ [(٢)] فإنّ المغرى به لمَّا كان مفعولاً فى المعنى اتَّصلت به علامةُ النصب ليطابق اللفظ المعنى .

وقال عبد الدائم بن مرزوق القيروانى (فى كتاب حُلَى العُلَى ، فى الأدب) : إنه يروى العتيق بالرفع والنصب ، ومعناه عليك العتيق وماء شنّ وأصله : كذب ذاك ، عليك العتيق ، ثم حذف عليك وناب كذب منابه ، فصارت العرب تُغرِى به .

وقال الأعلم (فى شرح مختار الشعراءِ الستة) عند كلامه على هذا البيت : قوله كذب العتيقُ ، أى عليك بالتمر . والعتيق : التمر البالى . والعرب تقول : كذَبَكَ التّمرُ واللبن ، أى عليك بهما . وبعض العرب ينصب ، وهم مضر ، والرفع لليمن . وأصل الكذب الإمكان . وقول الرجل للرجل : كذبت ، أى أمكنت من نفسك وضَعُفت . فلهذا اتُّسِعَ فيه وأُغرِىَ به ، لأنه متى أغرى بشئ فقد جعل المغرَى به ممكنا مستطاعاً إن رامَه المغْرَى . انتهى .

قال أبو حيان (فى شرح التسهيل) بعد نقله لهذا الكلام : وإذا نصبنا بقىَ كذبَ بلا فاعل على ظاهر اللفظ ، والذى تقتضيه القواعد أنّ هذا يكون من باب الإعمال ، فكذب يطلب الاسم على أنّه فاعل ، وعليك

---

(١) تكملة يقتضيها الكلام .

(٢) أصل السراية بالكسر سرى الليل : وفى اللسان : « ويقل فى المصادر أن تجئ على هذا البناء لأنه من أبنية الجمع . يدل على صحة ذلك أن بعض العرب يؤنث السرى والهدى ، وهم بنو أسد ، توهما أنهما جمع سُرية وهُدية » .

يطلبه على أنه مفعول ، فإذا رفعنا الاسم بكذب كان مفعول عليك محذوفاً لفهم المعنى ، التقدير كذب عليكهُ الحجُّ . وإنما التزم حذف المفعول لأنه مكان اختصار ، ومحَرَّف عن أصل وضعه ، فجرى لذلك مجرى الأمثال فى كونها يلتزم فيها حالةٌ واحدة يتصرَّف فيها ، وإذا نصبنا الاسمَ كان الفاعل مضمراً فى كذب يفسِّره ما بعده على رأى سيبويه ، ومحذوفا عَلَى رأى الكسائى . وقال ابن طريف (فى الأمثال [1]) : وكذب عليك كذا ، أى عليك به ، معناه الإغراء ، إلا أنَّ الشئ الذى بعْد عليك يأتى مرفوعا . انتهى .

وقد بسط الكلامَ علَى هذه الكلمة الزمخشرىُّ (فى الفائق) فلا بأس بإيراده هنا ، وإن كان فيه طول . قال فى حديث الحجامة : « فمن احتجم فى يوم الخميس والأحد كذَباك » أى عليك بهما . ومنه حديث عمر رضى الله عنه : « كذب عليكم الحج » الحديث السابق . وعنه : أنَّ رجلا أتاه يشكو إليه النِّقرِس ، فقال :كذبتك الظهائر ، أى عليك المشىَ فى حرِّ الهواجر وابتذالَ النفس . وعنه : أنّ عمرو بن مَعْدِيكربَ شَكا إليه المَعَص [2] . فقال : كذب عليك العسل ، يريد العَسلان [3] . فهذه كلمة مشكلة قد اضطربت فيها الأقاويل ، حتّى قال بعض أهل اللغة : أظنُّها من الكلام الذى درجَ ودرج أهله ومَنْ كان يعلمه . وأنا لا أذكر من ذلك إلّا قولَ من هِجِّيراه التحقيق [4] . قال أبو على : الكذب ضربٌ من القول ، وهو نطق كما أنَّ

(١) صوابه « الأفعال » كما فى إنباه الرواة ٢ : ٢٠٨ .

(٢) المعص ، بالتحريك : التواء فى عصب الرجل ، ويقال أيضا معصت قدمه : التوت من كثرة المشى . ط : « المغص » صوابه بالعين المهملة كما فى الفائق ٢ : ٤٠٠ وكما فى ش مع أثر تصحيح .

(٣) العسل والعسلان : ضرب من المشى فيه سرعة . وانظر جمهرة العسكرى ٢ : ١٦٦ .

(٤) الهجيرى : الدأب والشأن والعادة .

القول نطق . فإذا جاز فى القول الذى الكذبُ ضربٌ منه أن يُتَّسَعَ فيه فيُجعل غيرَ نطق ، فى نحو قوله :

* قد قالت الأنساع للبَطْن الحَقى [١] *

جاز فى الكذب [٢] أن يُجعَل غير نطق ، فى نحو قوله :

* كذبَ القراطفُ والقُروفُ *

فيكون ذلك انتفاءً لها ، كما أنه إذا أخبر عن الشئ عَلَى خلاف ما هو به كان انتفاءً للصدق فيه . وكذلك قوله :

* كذبت عليكم أوعدونى *

معناه لست لكم ، وإذا لم أكن لكم ولم أعِنكم كنت مُنابذاً لكم ، ومنتفيةً نُصرتى عنكم . وفى ذلك إغراءٌ منه لهُمْ به .

١١ وقوله : « كذب العتيق » ، أى لا وجود للعتيق وهو التمر فاطلبيه ، وإذا لم تَجِدى التمر فكيف تجدين الغَبوق [٣] .

وقال بعضهم فى قول الأعرابّى وقد نظر إلى جملٍ نِضوٍ : « كذبَ عليك القَتُّ والنوى » ، وروى : « البزر والنوى » ، ومعناه أنَّ القتَّ والنوى ذكرا أنَّك لا تسمن بهما ، فقد كذبا عليك ، فعليك بهما ؛ فإنّك تسمن بهما وقال أبو على : فأمَّا من نصب البزرَ فإنَّ عليك فيه لا يتعلق بكذب ولكنّه

---

(١) ش والخصائص ١ : ٢٣ : « الحق » بدون ياء . وأثبت ما فى ط وفائق الزمخشرى . وفى اللسان أن « البطن » من الإنسان مذكر ، وحكى أبو عبيدة أن تأنيثه لغة .

(٢) ط : « معاندا » ، وأثبت ما فى ش والفائق .

(٣) ما بعد « فاطلبيه » إلى هنا ليس فى فائق الزمخشرى ، ولعله سقط من أصوله .

يكون اسمَ فعل وفيه ضمير المخاطب ، وأما كذب ففيه ضمير الفاعل ، كأنَّه قال : كذب السِّمَن ، أى انتفى من بعيرك ، فأوجِدْه بالبزر والنوى . فهما مفعولا عليك ، وأضمر السِّمن لدلالة الحال عليه فى مشاهدةِ عدَمه .

و (فى المسائل القصريات) : قال أبو بكر فى قول من نصب الحجّ ، فقال كذب عليك الحجَّ : إنه كلامان ، كأنَّه قال : كذب ، يعنى رجلا ذمَّ إليه الحجّ ، ثمَّ هَيَّجَ المخاطَبَ عَلَى الحج فقال : عليك الحجَّ . هذا ، وعندى قولٌ هو القولُ ، وهو أنَّها كلمة حرت مجرى المثَلِ فى كلامهم ، ولذلك لم تَصرَّف ولزمت طريقةً واحدة فى كونها فعلاً ماضياً معلَّقاً بالمخاطب ليس إلّا ، وهى فى معنى الأمر [١] ، كقولهم فى الدعاء : رحمك الله ! والمراد بالكذب الترغيب والبَعث ، من قول العرب : كذَبتْه نفسه ، إذا منَّته الأمانىَّ وخيَّلت إليه من الآمال ما لا يكاد يكون ، وذلك ما يرغِّب الرجلَ فى الأمور ويبعثه على التعرُّض لها . ويقولون فى عكس ذلك : صدقَتْه ، إذا ثبَّطتْه وخَيَّلت إليه العجز [٢] والنَّكَد فى الطلب . ومن ثَمَّ قالوا للنفس « الكذُوب » . قال أبو عمرو بن العلاء : يقال للرّجل يتهدَّد الرجل ويتوَّعده ثم يكذب ويَكِعُّ [٣] : صدقَتْه الكَذوبُ ! وأنشد :

فأقبل نحوى عَلَى قُدرة فلمّا دنا صَدَقَتهْ الكذوبُ [٤]

(١) ش : « الكلام » ، صوابه فى ط والفائق .

(٢) فى الفائق : « المعجزة » .

(٣) يقال كع يَكُعُّ ويكِعُّ ، والكسر أجود ، أى جبن وضعف .

(٤) فى الأصل : « على قدره » ، وأثبت ما فى الفائق .

وأنشد الفراء :

* حتَّى إذا ما صدَقته كُذُبُهْ (١) *

أى نفوسه ، جعل له نفوساً لتفرُّق الرأى وانتشاره . فمعنى قوله : كذبك الحج : ليكذّبك ، أى ينشّطك ويبعثْكَ عَلَى فعله .

وأما كذب عليك الحجُّ فله وجهان : أحدهما أن يضمَّن معنى فعلٍ يتعدَّى بحرف الاستعلاء ، أو يكون عَلَى كلامين كأنَّه قال : كذب الحجُّ ، عليك الحجّ ، أى ليرغّبك الحج وهو واجبٌ عليك . فأضمر فى الأوَّل لدلالة الثانى عليه . ومن نصب الحجَّ فقد جعل عليك اسم فعل كما سبق ، وفى كذب ضمير الحج . انتهى .

صاحب الشاهد

والبيت الشاهد هو من أبياتٍ سبعة لعنترَةَ صاحب المعلقة . ورُوِى أيضاً أنه لخُزَز بنِ لَوْذان السَّدوسى . وكلاهما جاهليَّان .

قال الصاغانى : وهو موجود فى ديوان أشعارهما (٢) .

أبيات الشاهد

وهذه أبياتُ عنترة خاطبَ بها امرأته وكانت لا تزال تذكر خيلَه وتلومُه فى فرسٍ كان يُؤثِره عَلَى سائر خيله ويَسقيه اللبن :

(لا تذكرى فرسى وما أطعمتهُ
فيكونَ جلدُك مثلَ جلدِ الأجربِ

---

(١) الكذب ، بضمتين : جمع كذوب . وفى ط : « كذوبه » صوابه فى ش والفائق وتاج العروس (كذب ٤٤٩) ، وهو ما يقتضيه التفسير بعده .

(٢) ديوان عنترة ٢٤ — ٢٥ .

إنّ الغبوق له ، وأنت مَسُوءة
فتأوَّهِى ما شئتِ ثم تحوَّبى
كذب العتيقُ وماء شَنّ باردٍ
إنْ كنت سائلتى غَبوقاً فاذهبى
إنَّ الرجال لهم إليكِ وسيلةٌ
إن يأخذوكِ تكحَّلى وتخضَّبى
ويكون مركبُك القعودَ وحِدجَه
وابنُ النعامة عند ذلكِ مَرْكَبى
وأنا أمرؤ إنْ يأخذونىَ عَنوةً ١٢
أُقْرَنْ إلى شرِّ الرِّكاب وأُجْنَبِ
إنِّى أُحاذرُ أن تقول ظعينتى :
هذا غبارٌ ساطعٌ فتلبَّبِ)

وقوله [١] : « مثل جلد الأجرب » أى لا تلومينى فى إيثار فرسى فأبغضَك وأهجُرَ مضجعَك وأتحاماك ، كما يُتحامَى الأجربُ من الإبل ويُبْعَدُ عنها لئلاَّ يُعديَها . وقيل معناه أضربك فيبقى أثرُ الضَّرب عليك كالجرب . فيكون تهَّدَدها بالضرب الأليم .

وقوله : « إنّ الغبوق له » إلخ الغَبوق : شُربُ اللبن بالعشىِّ . والعشىُّ : ما بين الزوال إلى الغروب ، وقيل من الزوال إلى الصَّباح . ومَسُوءة ، أى آتٍ إليكِ ما يسوءكِ بإيثار فرسى عليك . والتأوُّه : التحزُّن ، وأن تقول : آهِ ! توجُّعا . والتَّحوُّب : التوجُّع ، ويقال هو الدعاء على الشئ .

---

(١) ش : « قوله » بدون واو .

وقوله : (كذب العتيق) إلخ العتيق هو التَّمر القديم . قال الدِّينوَرىّ (فى كتاب النبات) : يقال عَتَق وعتُق بالفتح والضمّ ، إذا تقادم . والعتيق : اسمٌ للتمر عَلَم . وأنشد هذا البيت . و (الشَّنُّ) : القِربة الخلق ، والماء يكون فيها أبردَ منه فى القِربة الجديدة . يقول : عليكِ بالتمر فكليه ، والماءِ البارد فاشربيه ، ودعينى أوثر فرسى باللبن . وإن تعرَّضتِ لشُرب اللبن فاذهبى . وإنما يتوعَّدها بالطلاق .

وقد أورد سيبويه هذا البيت فى باب وجوه القوافى فى الإنشاد ، على أنَّه سمع من العرب من ينشده :

* إنْ كنتِ سائلتى غبوقاً فاذهبْ *

بسكون الباء ، لأنَّهم لم يريدوا الترنم .

وقوله : « إن الرجال » إلخ ، ويروى « إنَّ العدوّ » . والوسيلة : القُربة ، وقيل المنزلة القريبة . قال الأعلم (فى شرح مختار شعر عنترة) : هذا منه وعيدٌ وتخويفٌ أن تُسبَى فيَسْتَمتِعَ بها الرجال ، [ولذلك [1]] قال : تكحَّلى وتخضَّبى . والمعنى : إن أخذوك تكحَّلتِ وتَخَضَّبتِ لهم ليستمتعوا بك .

وقال ابن الشجرى : أن يأخذوك موضعه نصب بتقدير حذف الخافض ، أى فى أن يأخذوك ، أى لهم قُربةٌ إليك فى أخذهم إياك . قَذَفها بإرادتها أن تؤخذ مسبيَّة .

هذا كلامه ، وهذا تحريفٌ منه ، فإنَّ إنْ شرطية لا مفتوحة مصدرية ، وقد جَزمت الشَّرطَ والجزاء . وقد غفل عنهما .

---

(١) التكملة من ش .

وقوله : « ويكون » إلخ القَعود بفتح القاف : ما اتخذ من الإبل للركوب خاصَّة . والحِدْج ، بكسر المهمل وآخره جيم : مركبٌ من مراكب النساء . وروى بدله « رحله » . وابن النعامة : اسم فرسه . وقيل هو الطريق ، وقيل هو صدر القدم . يقول : إن أخذوكِ حُمِلت سبيّةً عَلَى قَعود ونجوتُ أنا على فرسى . والمعنى على الثانى والثالث أنّه إن أسر يمشى راجِلاً مُهانا .

وقوله : « وأنا امرؤ » إلخ العَنوة بالفتح : القسر والقهر . والرِّكاب : الإبل التى يُحْمَلُ عليها الأثقال . وأقرنْ أى ألصَق بها وأجعلْ مقروناً إليها . وأجنَب : أُقاد . يقول : إن أُخذتُ عَنوةً قُرنتُ إلى شرِّ الإبل وجُنبتُ كما تُجنب الدابة .

وقوله : « إنِّى أحاذر » إلخ الظَّعينة : الزَّوجة مادامت فى الهَودج . والتلبُّب:التحزُّم ، أى تحَزَّمْ للمحاربة . وقيل هو الدخول فى السلاح . وقوله : « هذا غبارٌ » ، يعنى غبار الخيل عند الغارة . والسَّاطع : المستطير فى السَّماء .

وترجمة عنترة تقدمت فى الشاهد الثانى والعشرين أول الكتاب [١] . وترجمة ابن لوذان تقدمت أيضاً فى الشاهد العشرين بعد المائة [٢] .

تتمـــة

١٣ أصل الكذب الإخبار على خلاف الواقع . قال ابن قتيبة : الكذب يكون فى الماضى ، والخُلْف فى المستقبل . قال ابن السِّيد : هذا الأكثر

(١) صوابه « الثانى عشر » . انظر الخزانة ١ : ١٢٨ .

(٢) انظر الخزانة ٢ : ٢٣٢ — ٢٣٣ .

والأشهر . وقد جاء الكذب مستعملاً فى المستقبل . قال تعالى : ﴿ ذلك وعدٌ غيرُ مكذوب [(١)] ﴾ . ومن المجاز حديثُ : « صدق الله وكذبَ بطنُ أخيك » . قال صاحب النّهاية : استعمل الكذب ههنا مجازاً ، حيث هو ضدُّ الصدق . والكذب يختصُّ بالأقوال ، فجعل بطن أخيه حيث لم ينجع فيه العسل كاذباً ؛ لأنَّ الله تعالى قال : ﴿ فيه شفاءٌ للناس [(٢)] ﴾ .

وقد ألَّف أبو بكر بن الأنبارى (رسالة فى معانى الكذب) قال : الكذب ينقسم على خمسة أقسام :

إحداهنّ : تغيير الحاكى ما يسمع ، وقوله ما لا يعلم نقلاً ورواية [(٣)] . وهذا القسم هو الذى يؤثِم ويَهضم المروءة .

الثانى : أنْ يقول قولا يشبه الكذب ولا يقصِد به إلّا الحقَّ ، ومنه حديث « كذب إبراهيم ثلاث كِذْبات ، فى قوله : إنى سقيم . وفى قوله : بل فعلَه كبيرهم هذا ، وفى قوله : سارَة أختى [(٤)] » ، أى قال قولا يشبه الكذب . وهو صادقٌ فى الثلاث ، لأنَّ معنى إنِّى سقيم : الموت فى عنقى ، ومَن الموتُ فى عنقه سقيمٌ أبدا . وقوله : بل فعله كبيرهم هذا ، تأويله فعَلَه الكبير إن كانوا ينطقون ، فهو فى الحقيقة لا يفعل كما لا ينطقون أبدا . وتأويل قوله : سارَة أختى ، هى أختى فى دينى لا فى نسبى .

الثالث : بمعنى الخطأ ، نحو : أُقدِّر أنَّ فلاناً فى منزله الساعةَ ، فيقال

(١) الآية ٦٥ من هود .
(٢) الآية ٣٩ من النحل .
(٣) ط : « رواية » ، صوابه فى ش .
(٤) هو من حديث عبادة بن الصامت ، انظره بتفصيل فى سنن أبى داود ٢ : ٣٦ فى (باب فى من لم يوتر) .

لقائله : صدقت وكذبت . فتأويل صدقت أصبت ، ومعنى كذبت أخطأت . قال ابن الأثير (فى النهاية) : ومنه حديث صلاةِ الوتر : « كذَب أبو محمد » أى أخطأ ، سمَّاه كذبا لأنَّه شبيهُ فى كونه ضدَّ الصواب ، كما أنَّ الكذب ضدُّ الصدق وإن افترقا من حيث النِّيَّةُ والقصد ، لأنَّ الكاذبَ يعلم أنّ ما يقوله كذب ، والمخطئ لا يعلم . وهذا الرجل ليس بمخبر ، وإنما قاله باجتهاد أدَّاهُ إلى أنَّ الوتر واجب . والاجتهاد لا يدخُله الكذب ، وإنما يدخله الخطأ . وأبو محمد : صحابيٌّ اسمه مسعود بن زيد [١] .

وقد استعملت العربُ الكذبَ فى موضع الخطأ . قال الأخطل :

كذبتكَ عينُكَ أم رأيتَ بواسطٍ
غَلَسَ الظَّلامِ من الرَّباب خيالَا [٢]

انتهى .

الرابع : البُطول ، كَذَب الرَّجُلُ بمعنى بَطَل عليه أمَلُه وما رَجَاه . قال أبو دُوَادٍ الإيادىّ :

قُلتُ لمَّا ظهرَا فى قُنَّةٍ
كَذَبَ العَيرُ وإنْ كان بَرَحْ [٣]

معناه كذب العيرَ أملُه وبطَلَ عليه ما قدَّر ، لأنَّه كان أمَّل السلامة منِّى لمَّا بَرَح . وتفسير برحَ أخذَ من جهة شِمالِى ماضياً على يمينى ، فلمَّا قلبتُ

---

(١) إلى هنا ينتهى نص ابن الأثير . وترجمة أبى محمد فى الإصابة ٧٩٣٩ .

(٢) ديوان الأخطل ٤١ .

(٣) فى ديوانه ٣٠١ والمقاييس واللسان (كذب) والمعانى الكبير ١١٨١ وجمهرة العسكرى ٢ : ١٦٦ . وروايته فيها : « قلت لما نصلا من قنة » .

عليه الرمحَ وطعنتُه بطلَ عليه ما كان أمَّل من التخلُّصِ والسلامة .

وقد قيل فى هذا البيت :

كذبتم وبيتِ الله لا تأخذونها

مغالَبةً مادام للسَّيف قائمُ

إنّ معناه : كذبكم أملُكم . ومثله أيضاً قوله :

كذبتم وبيت الله لا تَنكحونها

بنى شابَ قَرْناها تَصُرُّ وتَحْلُبُ (١)

تقديره : كذبَكم أملكم .

وفسِّر قولُ أبى طالب :

كذبتم وبيت الله نُبْزِى محمّداً

ولما نطاعنْ دونه ونناضلِ (٢)

معناه : بطلَ عليكم ما أمَّلتم .

١٤ وقال بعض أهل اللغة فى قول الله تعالى : ﴿ انظُرْ كَيفَ كَذَبُوا على أنفسهم (٣) ﴾ : انظر كيف بطلَ عليهم أملُهم ، لأنَّهم لما قالوا : ﴿ واللهِ ربِّنا ما كنا مُشركِين ﴾ ، رجَوْا أن يزولَ عنهم بهذا القولِ البلاءُ ، ولم يحلفوا على الذى أقسموا عليه إلَّا وهو فى معتقدهم حقّ ؛ إذْ كانوا فى حالة ما أقسموا ، على ما قدَّروه فى دار الدنيا ، من أنّ الشرك غير شرك ، وأنّ الكفر هدًى وإيمان .

---

(١) من شواهد سيبويه فى كتابه ١ : ٢/٢٥٩ : ٧ ، ٦٤ .

(٢) ديوان أبى طالب الورقة الثانية مخطوطة الشنقيطى .

(٣) الآية ٤٣ من سورة الأنعام .

ومن كانت هذه سبيلَه فليس كذبُه إلا من جهه بُطول أمله . وقد خولف هذا اللغوى . انتهى .

ومنه قول سيبويه : « وهو محالٌ كذب » أى باطل وفاسد [١] ، قاله فى الكلام المختلّ ، وهو الذى لا تحصُل فائدته ، نحو : سوف أشربُ ماءَ البحر أمس ، وقد شربت ماء البحر غداً .

قال أبو حيان (فى تذكرته) : وخالفه فيه أصحابه : الأخفشُ ، والمازنى ، والمبرد ، فقالوا : هذا القِسْم محالٌ وليس بكذب ، لأنه لا يحصُل له معنى . والكذب سبيله أن يقع لما يخاطَب بمعناه . قال أبو بكر : وقول سيبويه عندى صحيح ، لأنَّ الكذب يقع على الفاسد من القول ، كما يقع الصِّدقُ على الصحيح منه . وجائزٌ عندى أن يقال محالٌ لكلِّ ما لا يحصُل معناه من الخطأ والكذب ، من حيث أنّ تأويل المحال فى اللغة المغيَّر عن الصواب ، المزالُ عن طريق الصحة . فمن كذَب وأخطأ فى قول يُفهَم عنه فقد أحال . انتهى .

قال ابن الأنبارى : وممَّا يدلُّ على أنّ كذب بمعنى أخطأ ، وهو مصحِّح لقول سيبويه ، ومبطلٌ لمذهب مخالفيه – أنّ عروة بنَ الزبير ذَكر عند عمر بن عبد العزيز ما كانت عائشة رضى الله عنها تخصُّ به عبدَ الله بن الزُّبير من البر والأثرة والمحبَّة ، فقال له عمر : كذبتَ ! وبالحضرة عُبيد الله بن عبد الله فقال : إنِّى ما كذبت ، وإنَّ أكذب الكاذبين لمن كذَّب الصادقين .

قال أبو بكر : فلا يُحمل هذا من قول عمر بن عبد العزيز إلا على أنه أراد أخطأت ، إذ المعنى الآخرُ يُلزم عمرَ كذباً فيأثم . وجواب عُروة وقَعَ عَلَى غير المعنى الذى قصد له عمر ، لأنَّه حين غضبَ حَمَل كذب على معنى قلتَ غير الحقّ .

---

(١) انظر سيبويه ١ : ٨ بولاق ، ١ : ٢٦ من نشرتنا .

ومثله قول معاوية للناس : كيف ابنُ زياد فيكم ؟ قالوا : ظريفٌ عَلَى أنه يلحن . قال : فذاك أظرفُ له . أراد القومُ بقولهم يلحن : يخطئ ، وذهب معاوية إلى أنّهم أرادوا يلحن بمعنى يَفطَن ويُصيب ، من قول العرب : فلانٌ ألحن بحجَّته من فلان .

وقد حُكى عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ أنه حُكِى له عن صحابيّ روايةٌ رواها عن رسول الله ﷺ فقال : كذب [١] ، يعنى أخطأ . لا مُحتَمَلَ لهذا غير التأويل ، إذْ هم مَعادنُ التقوى والورع ، وأربابُ الصِّدق والفضل ، وصفهم الله بالصِّدق بقوله : ﴿ وينصُرُون الله ورسُولَه أولئك هُمُ الصَّادِقون [٢] ﴾ .

ويقال : كذَّبت الرجل ، إذا كذَّبتَه فيما هو فيه كاذب . وكَذَّبته إذا نسبتَه إلى الكذب فيما هو فيه صادق . قال الله تعالى : ﴿ فإنَّهم لا يُكذِّبونك [٣] ﴾ أراد لا يصحِّحون عليك الكذب وإنْ نسبوك إليه .

قال أبو بكر : وقد أجبتُ عنها بجوابٍ آخر ، فإنَّهم لا يكذِّبونك بقلوبهم عندما ينسبونك إلى الكذب بألسنتهم ، لأنه عليه الصلاة والسلام كان عندهم عَلَماً فى الصدق قبل النبوَّةِ وبعدَها ، ولذلك كانوا يدْعونه : « الأمين » . وأنشدنا أحمد بن يحيى لابن الدُّمينة :

حَلفتُ لها أنْ قد وجَدتُ من الهوى
أخا الموتِ ، لا بدعاً ولا متأشِّبا [٤]

---

(١) إشارة إلى حديث أبى محمد مسعود بن زيد ، الذى سبق قريبا فى ص ١٩٥ .
(٢) الآية ٨ من سورة الحشر .
(٣) الآية ٣٣ من سورة الأنعام .
(٤) أثبت البيتين محقق ديوان ابن الدمينة ٢١٣ نقلا عن هذا الموضع من الخزانة .

وقد زعمت لى ما فعلتُ فكيف بى ١٥
إذا كنت مردودَ المقال مكذَّبا

أراد منسوبا إلى الكذب فيما أنا فيه محقٌّ صادق .

والمعنى الخامس من المعانى كَذَب : الإغراء . وقد تقدم الكلام فيه فى أول الشاهد [١] .

* * *

وأنشد بعده :

(وذُبيانيَّةٍ أوصَتْ بنيها
بأنْ كَذَبَ القراطفُ والقُروفُ)

على أنَّ كذب فيه مستعمَلٌ فى الإغراء والقراطف فاعله ، والمعنى على المفعولية ، أى عليكم بالقراطف وبالقروف فاغنَموهما .

وتقدَّم ما يتعلق بكذب فى البيت الذى قبله . وبعده :

(تجهِّزهمْ بما اسطاعَتْ وقالت
بَنِيَّ فكلُّكم بطلٌ مُسِيفُ
فأخلفْنا مَودَّتهاَ ففاظت
ومأقِى عينِها حَذِرٌ نَطوفُ)

والأبيات من قصيدةٍ لمعقِّر البارق ، وكان حليفا لبنى نمير ، ومدَحهم فيها صاحب الشاهد وذكر ما فعلوا ببنى ذبيان . وقد تقدَّمت ترجمته مع شرحها فى الشاهد الثالث والثلاثين بعد الثلثمائة [٢] .

---

(١) انظر ص ١٨٤ .

(٢) الخزانة ٥ : ١٦ – ١٨ .

وهذا شرحها باختصار . يقول : ربَّ امرأة ذبيانية أَمَرت بنيها أن يُكثِروا من نهب هذين الشيئين إن ظفروا ببنى نمير [١] ، وذلك لحاجتهم وقلة مالهم . والقراطف : جمع قَرْطَف كجعفر ، وهو كساء مُخْمَل . والقروف : جمع قَرْف بفتح القاف وسكون الراء : وعاء من جلد يدبغ بالقِرفة بالكسر ، وهى قشور الرُّمّان ، يُجعَل فيه الخَلْع بفتح الخاء المعجمة وسكون اللام ، وهو لحم يطبخ بالتوابل يوضع فى القَرْف ويُزَوّدَ به فى الأسفار . وبَنىَّ منادى . والمُسيف : الذى قد هلك إبلُه ومَواشيه . يقال أساف الرجل ، أى هلكت مَواشيه بالسَّواف بفتح السين [٢] المهملة وضمها ، وهو مرض الدوابّ وطاعونها . يعنى [٣] أنَّ أولادها فقراء قد هلكت مواشيهم . تحرِّضهم على الغنيمة .

وقوله : « فأخلفنا مودتها » إلخ ، أى أخلفنا مأمولَها . وفاظت : ماتت . والمأقى : لغة فى الموق ، وهو طرف العين من ناحية الأنف . وحَدِر وصفٌ بمعنى منحدر . ونطوف : سائل ، يقال نطف الماء ، إذا سال . يعنى ماتت وهى فى هذه الحالة .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والخمسون بعد الأربعمائة [٤] :

٤٥٤ (يا أيُّها المائحُ دَلوى دُونَكا
إنِّى رأيت الناسَ يَحمدونَكا [٥])

---

(١) ط : « ببنى نمر » ، صوابه فى ش .

(٢) ش : « بالهمزة وفتح السين » ، صوابه فى ط .

(٣) ط : « تعنى » ، والوجه ما أثبت من ش .

(٤) أمالى القالى ٢ : ٢٤٤ والعقد ٥ : ١١١ وأمالى الزجاجى ٢٣٧ عن الخزانة ، والانصاف ٢٢٨ وابن يعيش ١ : ١١٧ والمقرب ٢٧ والشذور ٤٠٧ والعينى ٤ : ٢٢١ والتصريح ٢ : ٢٠٠ والهمع ٢ : ١٠٥ والأشمونى ٣ : ٢٠٦ واللسان والتاج والمقاييس (ميح) .

(٥) ط : « الماتح » بالتاء فى هذا الموضع وسائر المواضع ، والوجه ما أثبت من ش فى جميع المواضع .

على أنّ معمول اسمِ الفعل يجوز تقدُّمه عليه كما هنا ؛ فإنّ قوله : دلوى مفعول دونكا ، والمعنى : خذْ دلوى . ومنعه البصريُّون فجعلوا دلوى مبتدأ ودونك [1] ظرفا لا اسمَ فعل ، أى دلوى قدَّامك فخُذْها ، فدونك ظرف خبر المبتدأ .

وقد بَيَّن الفراءُ مذهب الكوفيين (فى تفسيرهِ) ، عند قوله تعالى : ﴿ كتابَ اللهِ عليكم [2] ﴾ من سورة النِّساء ، قال : قوله : كتاب الله عليكم كقولك : كتاباً من الله عليكم . وقد قال بعضُ أهل النَّحو : معناه عليكم كتابَ الله . والأوّل أشبه بالصواب . وقلَّما تقول العرب : زيداً عليك أو زيداً دونك ، وهو جائز ، كأنَّه منصوب بشئ مضمر قبله . وقال الشاعر :

* يا أيها المائحُ دلوى دونكا *

الدلو رفعٌ كقولك : زيد فاضربوه : هذا زيدٌ فاضربوه [3] . والعرب تقول : الليلُ فبادرُوا ، واللَّيلَ فبادروا . وتنصب الدلو بمضمر فى الخِلْفة [4] كأنك قلت : دونك دلوى دونك . انتهى . ١٦

وتعقبه الزجاج (فى تفسيره) قال فى ﴿ كتابَ الله ﴾ : منصوب على التوكيد محمول على المعنى ؛ لأن المعنى حُرِّمت عليكم أمهاتكم ، كتب الله عليكم هذا كتابا . وقد يجوز أن يكون منصوباً على جهة الأمر ، ويكون عليكم مفسِّرا له ، فيكون المعنى الزموا كتابَ الله عليكم . ولا يجوز أن يكون منصوبا بعليكم لأن قولك عليك زيداً ليس له ناصب فى اللفظ متصرِّف فيجوز تقديم منصوبه .

وقول الشاعر :

---

(١) ش : « ودونكا » .

(٢) الآية ٢٤ من النساء . وانظر معانى الفراء ١ : ٢٦٠ .

(٣) هذا زيد فاضربوه ، ليست فى معانى الفراء .

(٤) الخلفة ، بالكسر : الذى يخلف صاحبه ، يذهب هذا ويجئ هذا .

* يا أيها المائح دلوى دونَكَا *

يجوز أن يكون دلوى فى موضع نصب بإضمار خُذْ دلوى ، ولا يجوز أن يكون على : دونك دلوى ، لما شرحنا . ويجوز أن يكون دلوى فى موضع رفع ، المعنى : هذه دلوى دونك . انتهى .

وقد أورد هذه المسألة ابن الأنبارى (فى مسائل الخلاف) فقال : ذهب الكوفيون إلى أنَّ عليك وعندك ودونك يجوز تقديم معمولاتها كما فى الآية والبيت ، ولأنها قامت مقامَ الفعل فتعمل كعمله . ومنعه البَصريون والفرّاء وقالوا : إن كتاب الله منصوب بكتب مقدّراً ، وإنّ دلوى خبر مبتدأ مقدر ، أو منصوب بفعل محذوف كخذ ، يفسِّره دونك ، لا بدونك . وأجابوا عن الثانى بأنَّ الفعل متصرِّف فى نفسه فتصرَّف فى عمله ، وهذه الألفاظ لا تستحقُّ عملا وإنّما أعملت لقيامها مقام الفعل ، وهى غير متصرِّفة فى نفسها فلا تتصرَّف فى عملها ، فلا يقدَّم معمولها . انتهى .

وقوله : إنّ الفراء تبع البصريِّين ، مخالف لنصِّ كلامه ، فإنَّه صرَّح بجواز عمله مؤخَّرا ومحذوفاً .

وردَّهما الزجاج وجعل دلوى منصوباً بفعل محذوف يفسِّره دونك . فدونك على هذا اسم فعل قد حذف مفعوله ، أى دونكه . ويكون فى جعله دلوى خبر مبتدأ محذوف ، دونَك ظرفاً فى موضع الحال لا اسمَ فعل .

وهذان الوجهان غير ما وجَّه به الشارح المحقق ، وإنما حكاه عن البصرِّيين ، لأنَّه تخريجٌ موافق لقواعدهم . وقد وجَّه به أيضاً ابن هشام : (فى شرح القَطْر ، وفى المغنى) .

وقول الشيخ خالد (فى التصريح) : « وفيه نظرٌ لأن المعنى ليس على الخبر المحض حتى يخبر عن الدلو بكونه دونه » ، لا وجهَ له ، كما قال عبد الله الدَّنوشرى . وما المانع من أن يكون خبراً محضا قصد به التنبيه على أنَّ الدلو أمامه ويكون الدالُّ على الأمر بأخْذ الدلو مقدّراً . والتقدير : فتناوله .

وجوَّز ابن مالك أن يكون دلوى منصوباً بدونك مضمرة ، مدلولاً عليها بدونك المذكورة ، مستنداً لقول سيبويه فى زيداً عليك : كأنك قلت : عليك زيداً . وقد ردَّه الزجاج وغيره .

قال ابن هشام : (فى المغنى) : شرط الحذف أن لا يؤدىَ إلى اختصار المختصر ، فلا يحذف اسم الفعل دون معموله ، لأنه اختصار للفعل . وأمَّا قول سيبويه فى : زيداً فاقتله ، وفى : شأنك والحج ، وقولِهِ :

* يا أيها المائح دلوى دونكا *

إنّ التقدير : عليك زيدا ، وعليك الحج ، ودونك دلوى ، فقالوا : إنما أراد تفسير المعنى لا الإعراب ، وإنما التقدير : خذ دلوى ، والزم زيدا ، والزم الحج . ويجوز فى دلوى أن يكون مبتدأ ودونك خبره . انتهى .

وظاهره أنَّ البيت ذكره سيبويه فى كتابه . وليس كذلك ، فإنَّه لم يورده فيه البتة . ولم يورد الدماميني هنا شيئاً سوى ما نقله عن الشارح المحقق من أنه لا يجوز تقدُّم معمول اسم الفعل عليه . ١٧

و (المائح) : فاعل من الميح بالمثناة التحتية والحاء المهملة ، قال صاحب الصحاح : المائح الذى ينزل البئر فيملأ الدلو ، وذلك إذا قلَّ ماؤها ، والجمع ماحَةٌ ، وقد ماح يميح . وأنشد هذا البيت . وأمَّا الماتح بالمثناة الفوقية

فهو الذى يسقى الماء [١] ، يقال متح الماء يمتحه متحا ، من باب فتح ، إذا نزعه بالدّلوِ . وبئر مَتوح للتى يُمَدُّ منها باليدين على البكرة .

صاحب الشاهد

والبيتان لراجز جاهلىّ من بنى أسيِّد بن عمرو بن تميم ، ولهما قصة أوردها أبو رياش ، وأبو عبد الله النمرى ، وأبو محمد الأسود الأعرابى ، (فى شروحهم لحماسة أبى تمام) .

قال أبو محمد الأسود : أملى علينا أبو الندى قال : كان وائل بن صُريم الغُبَرىُّ ذا منزلة من الملوكِ ومكانٍ عندهم ، وكان مفتوق اللسان حُلْوَهُ ، وكان جميلا ، فبعثه عمرو بن هند اللخمى ساعياً على بنى تميم فأخذ الإتاوةَ منهم حتَّى استوفى ما عندهم ، غير بنى أسيّد بن عمرو بن تميم ، وكانوا على طُويلع [٢] ، فأتاهم فنزل بهم ، وجمعَ النعمَ والشاء ، فأمر بإحصائه ، فبينما هو قاعدٌ على بئرٍ أتاه شيخ منهم فحدَّثه ، فغفل وائل فدفعه الشيخ فوقع فى البئر فاجتمعوا فرمَوه بالحجارة حتى قتلوه ، وهم يرتجزون ويقولون :

يا أيها المائح دلوى دونكا
إنّى رأيتُ الناسَ يحمدونكا

وإنما هذا هُزءٌ به . فبلغ الخبرُ أخاه باعثَ بن صُريم ، فعقد لواءً ونادى فى غُبَرَ فساروا ، وآلى أنْ يقتلهم على دم وائل حتَّى يُلقىَ الدلوَ فتمتلىء دماً ! فقتل باعثٌ منهم ثمانين رجلاً ، وأسر عدَّة ، وقدَّم رجلا منهم يقال له قمامة فذبحه حتَّى ألقى دلوه ، فخرجت مَلأى دماً . ولم يزل يغير عليهم زماناً ، وقَتَل

(١) كذا فى النسختين . والمعروف « يستقى الماء » كما فى المعاجم .

(٢) طويلع : ماء لبنى تميم .

منهم فأكثر ، حتَّى إنَّ المرأة من بنى أسيِّدٍ كانت تعثُر فتقول : تَعِسْتِ غُبَر ، ولا لقيتِ الظَّفر ، ولا سُقيت المطَر ، وعَدِمْتِ النفر ! وقال باعث فى ذلك :

سائل أُسَيِّدَ هل ثأرتُ بوائل
أم هل أتيتُهم بأمرٍ مُبْرَمِ
إذْ أرسلونىَ مائحاً لِدِلائهم
فملأْتُها حتَّى العَراقِىَ بالدمِ

انتهى .

والغُبرىّ : نسبة إلى غُبَر بضم الغين المعجمة وفتح الموحدة ، قبيلة . وأسيِّد بضم الهمزة وفتح السين وتشديد الياء المكسورة .

وقد أنشدَتهما جاريةٌ من بنى مازن وضمَّت إليهما بيتين آخرين . قال الصغانى (فى العباب) فى مادة الميح ، ونقله العينى : ومنه حديث البراء بن عازب رضى الله عنه : أتى رسولُ الله ﷺ على بئرٍ ذَمَّةٍ فنزلناها ستةً ماحَةً ، ونزل فيها ناجية بن جندب الأسلمى رضى الله عنه بأمر رسول الله ﷺ ، فأدلت جاريةٌ من بنى مازن دلوَها وقالت :

يا أيُّها المائح دلوى دونكا
إنِّى رأيتُ الناسَ يَحمدونكا
يُثنون خيراً ويمجِّدونكا
خُذْها إليك اشْغَل بها يمينَكا

فأجابها ناجية :

قد علمتْ جاريةٌ يمانيَهْ
أنِّى أنا المائح واسمى ناجيَهْ

وطعْنَةٍ ذاتِ رشاش واهيَهْ
طعنتُها تحت صدور العاديَهْ

١٨ انتهى .

وبئر ذَمَّة بالوصف ، أى قليلة الماءِ ، أى إنّها تُذَمُّ لقلة مائها . والذميم : الماء المكروه . ومازن : اسم ثلاث قبائل فى عدنان . وهذا يخالفه قول ناجية :

* قد علمت جارية يمانيه *

فإنَّ أهل اليمن كلَّهم من قحطان . وأثنى عليه خيرا ، من الثناء وهو الوصف الجميل ، فعليك فى الرجز مقدَّرة . ويمجِّدونك : يذكرونك بالمجد وهو العزُّ والشرف والكرم . وشَغَلَ من باب نفع . وطعنة أى ربّ طعنة . ورَشَاش الطَّعنة بالفتح : الدم المتطاير منها . وأرشَّت الطعنةُ بالألف : نفذَت فأنهرتِ الدم . كذا فى المصباح . وزعم الشامى (فى السيرة) أنَّه بالفتح جمع رَشّ ، والمراد به المطر القليل . هذا كلامه . وواهية : صفة طعنة ، أى منشقَّة مسترخية . والعادية ، قال الشامىّ : هم الذين يَعْدُون : يُسرعون الجرىَ .

وأخذ العينىُّ من ظاهر نقل الصاغانى أنَّ البيتين الأوَّلين لتلك الجارية ، وليس كذلك . وروى السُّيوطى (فى شواهد المغنى) عن البَيْهَقِىّ (فى الدلائل) ، عن ابن إسحاق قال : زعمت أسلم أنَّ جارية من الأنصار أقبلَتْ بدلوها عامَ الحديبِيَة ، وناجية بن جُندب الأسلمى صاحب بُدْنِ رسول الله ﷺ فى القليب يَميح على الناس ، فقالت . وأنشد الشعرين :

* خذها إليك اشغلْ بها يمينكا *

وقوله : « جارية من الأنصار » يوافقه قوله جارية يمانية ، فإنَّ أصل الأنصار من اليمن . وكذا روى الشامى (فى السيرة) .

وزعم ابن الشجرى (فى أماليه) أنَّ البيتين لرؤبة ، وأنه لم يستسق ماءً فى الحقيقة وإنما طلب عطاء .

وكلاهما لا أصلَ له كما عرفت . والبيت الذى لرؤبة إنما هو هذا :

كأنَّها دلو بئر جَدَّ ماتِحُها

حتَّى إذا ما رآها خانه الكربُ

أى كأنَّ الناقة فى السرعة دلوٌ ملأى وصلَتْ إلى فم البئر ، ثم انقطع حبلُها فهوَت فيها . والماتح هنا بالمثناة الفوقية ، هو الذى يستقى على رأْس البئر . والكرب بفتحتين : الحبل الذى يُشدُّ على عَرقُوَة الدلو .

وروى الزجاجى (فى أماليه) قال : حدَّثنا ابن دريد قال : أخبرنا أبو حاتم قال : أخبرنا أبو عبيدة قال : كتبت امرأةٌ من العرب إلى طَلْحةِ الطَّلَحات :

يا أيُّها الماتح دَلوى دونكا إنِّى رأيت الناس يحمدونكا

* يُثنون خيراً ويمجِّدونكا *

فلما قرأ طلحةُ الكتابَ أحبَّ أن لا يفطن الرسول ، فقال : ما أيسَرَ ما سألتْ ، إنما سألت جَنْبَة (١) . ثم أَمَرَ بجَنْبةٍ (٢) عظيمة فقُوِّرت ومُلئت دنانير ، وكتب إليها :

(١) فى النسختين : « جبنة » تحريف . والجنبة ، بتقديم النون : جلدة من جنب البعير يعمل منها علبة . وفى التهذيب : أعطنى جنبة ، فيعطيه جلدا فيتخذه علبة .

(٢) كذا على الصواب فى ط . وفى ش : « بجبنة » تصحيف .

إنَّا ملأناها تفيض فيضا   فلن تخافى ما حييتِ غَيْضا

* خُذى لك الجَنْبَ وعودى أيضاً *

وغيضاً ، من غاض الماء فى الأرض ، إذا غار فيها وانمحق .

* * *

وأنشد بعده :

(ألا أيها الطَّيرُ المرِبَّةُ بالضُّحى

عَلَى خالدٍ لقد وَقعْتِ عَلَى لحمِ)

على أنّ تنوين لحمٍ للإبهام والتفخيم ، أى لحم وأىّ لحم .

تقدم شرحُه مفصَّلا فى الشاهد الثامن والأربعين بعد الثلثمائة من باب النعت [٢] .

* * *

١٩ وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والخمسون بعد الأربعمائة [٣] :

٤٥٥ (وقَفْنا فقُلنا إيهِ عن أمِّ سالِمٍ   وما بالُ تكليم الدِّيارِ البَلاقعِ)

على أن ابن السِّكيِّت والجوهرى قالا : إنَّما جاء ذو الرمة هنا بإيه غير مُنوّن مع أنه موصولٌ بما بعده ، لأنه نوى الوقف .

---

(١) فى النسختين : « الجبن » ، تصحيف كذلك .

(٢) الخزانة ٥ : ٧٥ - ٨٦ .

(٣) مجالس ثعلب ٢٧٥ والمقتضب ٣ : ١٧٩ وابن يعيش ٤ : ٣١ ، ٩/٧١ : ٣٠ ، ١٥٦ والشذور ١١٩ وديوان ذى الرمة ٣٥٦ .

هذا الكلام نقله الجوهريُّ عن ابن السكيت ، ثم نقل عن ابن السَّرِيِّ الزجَّاج [١] أنه قال : إذا قلت إيهِ يا رجلُ فإنَّما تأمره بأن يزيدك من الحديث المعهود بينكما ، كأنك قلت : هاتِ الحديث . فإن قلت ايهٍ بالتنوين فكأنك [٢] قلت : هات حديثا مّا ؛ لأنَّ التنوين تنكير . وذو الرمة أراد التنوين فتركه للضرورة . انتهى .

وإنَّما كان ترك التنوين ضرورةً لأنه أراد من الطَّلل أن يُخْبِره عنها أيَّ حديث كان ، وليس فيه ما يقتضى أنْ يحدِّثه حديثاً معهوداً . كذا قيل ، وفيه أنَّه إنَّما طلب حديثا مخصوصاً وهو الحديثُ عن أمِّ سالم . وبه يسقط قولُ ثعلب (فى أماليه) : تقول العرب إيه بالتنوين بمعنى حَدِّثنا [٣] . وأما قول ذى الرمة فإنّه ترك التنوين وبَنى على الوقف ، ومعناه إيه أى حدِّثْنا [٤] .

قال ابن جنى (فى سر الصناعة) : تنوين التنكير لا يُوجَد فى معرفة ، ولا يكون إلا تابعاً لحركات البناء ، وذلك نحو إيه ، فإذا نَوَّنت وقلت إيهٍ فكأنك قلت : استزادةً . وإذا قلت إيهِ فكأنك قلت : الاستزادة . فصار التنوين علمَ التنكير ، وتركُه علمَ التعريف . قال ذو الرمة :

* وقفنا فقلنا إيهِ عن أمِّ سالمٍ *

فكأنه قال : الاستزادة . وأما من أنكر هذا البيَت على ذى الرمة فإنَّما خفىَ عليه هذا الموضع .

---

(١) ش : « الزجاجى » ، تحريف . والزجاج هو إبراهيم بن سهل ، أبو إسحاق ، كان يخرط الزجاج ، ثم مال الى النحو فلزم المبرد ، وصار إماما فى النحو ، توفى فى سنة ٣١١ . وأما الزجاجى تلميذه فهو عبد الرحمن بن إسحاق ، صاحب كتاب الجمل . توفى سنة ٣٣٩ .

(٢) ش : « كأنك » .

(٣) ط : « حديثا » فى هذا الموضع وتاليه ، صوابه فى ش ومجالس ثعلب .

(٤) فى المجالس : « إيه حدثنا عن أم سالم » .

هذا كلامه . وفى (شرح الصفَّار لسيبويه) : وأما إيهِ فمعناه حدِّث أو زِدْ ؛ لكنْ هو لازم ، لا يقال : إيهِ كذا .

قال أبو حيان : قد استعمله بعضُ الشعراء المولَّدين متعدِّيا فقال :

* إيهِ أحاديثَ نعمانٍ وساكِنهِ (١) *

وقال آخر :

* إيهِ حديثَك عن أخبارهم إيه *

أبيات الشاهد

والبيت من قصيدةٍ طويلة لذى الرمة ، وهذا مطلعها :

خليليَّ عُوجَا عوجةً ناقتيكُما ... على طَلَلٍ بين القِلاتِ وسارِعِ (٢)

به ملعبٌ من مُعْصِفاتٍ نسجنَهُ ... كنسج اليمانى بردَه بالوشائع (٣)

وقفنا فقلنا إيه .... البيت

وقوله : « عُوجا عوجة » يقال عجت البعير أعُوجه عَوْجا ومَعَاجا ، إذا عطفتَ رأسه . والتاء فى عوجةً للمرّة . وناقتيكما مفعول عوجا . والطَّلل :

---

(١) ش: « وسأكتبه » ، صوابه فى ط . وهو لابن الأثير كما فى حواشى شذور الذهب . وقد استشهد فى الشذور ١١٨ بهذا الصدر أيضا ، وظنه الشيخ محيى الدين عجزا فوضعه فى الفهرس فى قافية النون . والحق أنه صدر ، وعجزه كما فى أزهار الرياض فى أخبار عياض ١ : ٦ .

* إن الحديث عن الأحباب أسمار *

(٢) ش : « الفلاة » صوابه فى ط والديوان ٣٥٥ وذكر ياقوت أنها جمع قلت وهو كالنقرة تكون فى الجبل . وذكر أنها قلات الصمان . وقد وردت « شارع » فى النسختين بالسين المهملة ، ولم ترد بهذا الرسم فى مواضعهم ، وإنما هى « شارع » بالشين المعجمة كما فى الديوان ومعجم البلدان ٥ : ٢١١ وذكرت كذلك فى رسم (القلات) ٧ : ١٤٢ . وشارع : جبل من جبال الدهناء . وذكرت كذلك فى اللسان فى نهاية مادة (شرع) قال : « وفى جبال الدهناء جبل يقال له شارع ذكره ذو الرمة فى شعره » . لكن البغدادى قيدها بالمهملة فيما سيأتى .

(٣) كلمة (اليمانى) مبيض لها فى ش . وإثباتها من ط والديوان .

ما بقىَ فى الدار من أثر الراحلين ، كالأُثفيَّة ونحوها . والقلات ، بكسر القاف وآخره مثناة ، وسارع بالمهملات : موضعان .

وقوله : « به مَلعب » إلخ المعصِفة : الريح الشديدة ، يقال عصفت الريح وأعصفت . ونسجنَه ، أى ذهبت عليه الريح وجاءت كالنسج . والوشائع : جمع وشيعة ، من وشَعت المرأة الغزلَ على يدها : خالفته . وتوشَّعت الغنمُ فى الجبل ، أى اختلفت .

وقوله : (وقفنا فقلنا) إلخ أى وقفنا عليه ، أى الطَّلل . والعطف بالفاء لا بالواو كما فى الشرح . قال الأصمعى : أساءَ فى قوله إيه بلا تنوين . و(البال) : الشأن والحال . وما : استفهامٌ إنكاريٌّ ، أى ليس من شأْنها الكلام .

و (الديار البلاقع) : التى ارتحل سُكَّانها ، فهى خالية . طلبَ الحديثَ من الطلل أوّلاً ليخبره عن محبوبته أُمّ سالم ، وهذا من فرط تحيُّره وتدلُّهه فى استخباره ممَّا لا يعقل ، ثم أفاق وأَنكَر من نفسه بأنَّه ليس من شأن الأماكن الإخبار عن السوَّاكن . ٢٠

وترجمة ذى الرمة تقدَّمت فى الشاهد الثامن فى أول الكتاب [١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والخمسون بعد الأربعمائة [٢] :

٤٥٦ (تَذرُ الجماجِمَ ضاحياً هاماتُها
بَلْه الأكُفِّ كأنَّها لم تُخلَقِ)

على أنَّه قد رُوى (الأكفّ) بالحركات الثلاث .

---

(١) الخزانة ١ : ١٠٦ .

(٢) السيرة ٧٠٥ وابن يعيش ٤ : ٤٧ ، ٤٨ وشرح شواهد المغنى ١٢٢ والشذور ٤٠٠ والتصريح ٢ : ١٩٩ والهمع ١ : ٢٣٦ والأشمونى ٢ : ٣/١٢١ : ١٠٣ وديوان كعب ٢٤٥ .

أوَّل البيت : (فترى الجماجمَ) ، وقبله :

(نَصِلُ السُّيوفَ إذا قَصُرْنَ بخطونا
قُدُماً ، ونُلْحِقُها إذا لم تَلحَقِ)

وإنَّما ينشدونه : « تذر الجماجم » ليعرى من التعلُّق بما قبله .

والقُدُمُ بضمتين : القُبُل بضمتين أيضاً ، كذا فى المصباح . وقال صاحب الصحاح : « ومَضَى [١] قُدُماً بضم الدال : لم يعرِّج ولم ينثن » . ويجوز أن يكون بكسر القاف وسكون الدال ، اسمٌ مِن القِدَم أى خلاف الحدوث ، وهو ظرف لقوله نصل .

قال الجاحظ (فى كتاب البيان [٢]) : إنَّ الفارس ربَّما زاد فى طول رمحه ليخبر عن فَضْل قوَّته ؛ ويُخبرُ عن قصر سيفه ليُخبر عن فضل نجدته . وأنشد هذا البيتَ ونظائره .

وقوله : (فترى الجماجم) ، إلخ الرؤية بصريَّة . والجماجم مفعول الرؤية . وضاحيا حال سببية من الجماجم ، وهاماتها فاعل (ضاحياً) وهو من ضحا يضحو ، إذا ظهر وبرزَ عن محلِّه . و (الجماجم) : جمع جمجمة ، قال صاحب المصباح : هى عَظْم الرأس المشتملُ على الدماغ ، وربَّما عُبِّر بها عن الإنسان فيقال : خُذْ من كلِّ جمجمةٍ درهما ، كما يقال خُذْ من كل رأس ، بهذا المعنى . وقال أيضاً : الهامة من الشخص : رأسه . فالمناسبُ هنا أنَّ الجمجمة بمعنى الإنسان . وقد فرق الزجاج (فى كتاب خَلق الإنسان) بين الجمجمة والهامة ، بجعل الهامة بعضاً من الجمجمة ، فقال : عَظْم الرأس الذى فيه الدماغ يقال له الجمجمة . والهامة : وسط الرأس ومعظمه . وزعم الدمامينى (فى الشرح المزج على المغنى) أنَّه يصحُّ أن تكون الجماجم هنا القبائل التى تجمع البطون فينسَب إليها دونهم .

---

(١) فى النسختين : « ومعنى » ، وصواب النص من الصحاح (قدم) .

(٢) البيان ٣ : ٢٦ .

الفرس عند الكوفيِّين رفع لا غير ، لأنَّ معناه يعجبك أن يُركَبَ الفرس . وجوَّز البصريون أن يكون منصوباً بتأويل أن يركب الفرسَ ، أى يركب راكبٌ الفرس . ورد الكوفيون هذا واحتجُّوا بأنَّ المصدر لا يحتمل ضميراً من الفاعل فإذا أُضيف إلى الفرس والفرس منصوب بقىَ الركوب بلا فاعل له مظهر ولا مضمر ، وفى هذا فساد التركيب . وقال البصريُّون : عملت [1] على الاختصار ومعرفة المخاطب بأنَّ للركوب فاعلا وإن لم يكن مظهرا ولا مضمرا . وقال الكوفيون : ما وجدنا فاعلا خلا الفعلُ من إظهاره معه أو إضمارِه فيه ، وما يصل إلى إظهار الفاعل ولا إضماره مع المصدر إذا انفرد واحد . والمصدر على الفعل مبنىٌّ ، فما لم يعرف صحته مع الفعل فهو سقيم مع المصدر . انتهى .

٢٢

صاحب الشاهد

والبيتان من قصيدة لكعب بن مالك ، شاعر رسول الله ﷺ ، قالها فى وقعة الأحزاب ، وأوردها أصحابُ السيرَ والمغازى فى كتبهم ، وهى :

أبيات الشاهد

(مَن سرَّه ضربٌ يُرعبلُ بعضَهُ
بعضاً كمعمعة الأباء المُحرَقِ [2]

فليأتِ مأسدةً تَسُنُّ سيوفَها
بين المَذاد وبين جِزع الخَندقِ

دَرِبُوا بضرب المُعْلَمين فأسلموا
مُهُجاتِ أنفُسِهم لربِّ المشرقِ

(١) ط : « عملنا » صوابه فى ش .

(٢) فى الديوان ٢٤٤ والسيرة ٧٠٥ : « يعمع بعضه بعضا » .

وهذا خلاف ما قاله الشارح المحقّق ؛ فإنه جعل بله فيما حكاه أبو زيد بمعنى كيف . ولم يتعَّرضْ أبو على فى هذا الكتاب لمجىء بله بمعنى كيف . ونقلُ الشارح عنه لعلَّه من غير هذا الكتاب .

ونقل عنه ابن هشام : (فى المغنى) نقيضَ ما نقله الشارح عنه فقال : وإنكار أبى علىٍّ أن يرتفع ما بعدها ، مردودٌ بحكاية أبى الحسن وقطرب له . انتهى .

والقطوف من الدوابِّ وغيره : البطىء . والجلة بكسر الجيم : جمع جليل ، كصبية جمع صبىّ ، وهو المسنُّ من الإبل . والنُّجبُ ، بضمتين : جمع نجيب ، وهو الأصيلُ الكريم . والمعنى أنَّ البطىء يمشى كمشى الجواد من الخيل مع الحداء ، فدعِ الإبلَ الكرام ، فإنها مع الحُداء تسرع أكثَر مِن غيرها . ورواه صاحب الصحاح :

* مشى النجيبة بله الجِلَّة النُّجُبا *

ونسبه إلى ابن هَرْمة .

وقال أبو حيان (فى تذكرته) : هذا الذى تأوَّله سيبويه فى الخفض من نيابة بله عن المصدر المضاف إلى المخفوض عند الكوفِّيين عَلَى معنيين : إن كان المخفوض بتأويل مرفوع ، وتقدير ضَرْبَ : ليضربْ زَيْدٌ ، فالكلام صحيح . وإن كان تقدير المخفوض النصب والتأويل اضرب زيداً فالكلام عندهم خطأ ، لأنَّ المصدر الذى يتعدى فعله إلى المفعول إذا أفرد بواحدٍ أضيف إليه ولم يذكر معه غيره ، فلابدَّ من أن يكون ذلك الواحد مرفوعاً ، لأنَّ الفعل لا يخلو من الفاعل وما يجرى مجراه ، فيعجبنى ركوبُ الفرس ، موضعُ

بمنزلة المصدر ، كما تقول ضربَ زيد . فمن قال بله زيدٍ جعله مصدراً . ولا يجوز أن تضيف ويكون مع الإضافة اسم الفعل ، لأنَّ هذه الأسماء التى يسمَّى بها الأفعال لا تضاف . ألا ترى أنَّه قال : جعلوها بمنزلة النَّجاءك ، أى لم يضيفوها إلى المفعول به كما أضافوا أسماء الفاعلين والمصادر إليه . فهى فى قوله على ضربين : مرَّة تُجرَى مجرى الأسماء التى تسمَّى بها الأفعال ، ومرَّة تكون مصدراً . وقال أبو زيد : إنَّ فلانا لا يطيق أن يحمل الفِهرَ فمن بلهٍ أن يأتىَ بالصَّخرة ؛ يقول : لا يطيق أن يحمل الفهرَ فكيف يُطيق أن يحملَ الصخرة . قال : وبعض العرب يقول : مِنْ بَهْلَ أن يحمل الصخرة ! فقلب . وأنشد :

نذر الجماجم .... البيت

فما حكاه أبو زيد من دخول مِن عليه والإضافة والقلب ، يدلُّ عَلَى أنَّه مصدر وليس باسم فعل ، لأنَّ أسماءَ الفعل لا تضاف ، ولا يدخل عليها عوامل الأسماء . ألا ترى أنَّ أبا الحسن يقول : إنَّ دونك ليس ينتصب عَلَى حدِّ انتصابه قبل . ويقوِّى كونه مصدراً أن أبا عمرٍو الشيبانىَّ حكى : ما بَلْهُكَ لا تفعلُ كذا ، أى مالك . ومن الناس من ينشده : « بله الأكفَّ » بالنصب . فهذا عَلَى هذا الإنشاد اسم فعل ، كأنه قال دع الأكفَّ ، فجعلها اسماً لدع . والدلالة عَلَى جواز كونها اسماً للفعل كما أجاز سيبويه ، قولُ الشاعر :

يمشى القَطوفُ إذا غنَّى الحداةُ به
مَشْىَ الجوادِ فَبلهَ الجِلّة النُّجُبا

فأمَّا ما يتعلق به « مِنْ » فيما حكاه أبو زيد من قوله « فمن بله » فهو ما ينتصب عليه بله فى مَنْ جعله مصدراً وأضاف .

فمعنى بله الأكفَّ على رواية نصب الأكفّ : إنَّك ترى رءوس الرجال أى بعض الرءوس بارزة عن محالِّها بضرب السيوف ، كأنها لم تخلق عَلَى الأبدان ، فدع ذكرَ الأكفِّ فإنَّ قطعها من الأيدى أهونُ بالنسبة إلى الرءوس . فبَلْهَ على هذا : اسم فعل .

وعلى الجر : إنّك ترى تطاير الرءوس عن الأبدان ، فتركاً لذكر الأكفّ ، أى فاترك ذكرها تركاً ؛ فإنها بالنسبة إلى الرءوس سهلة . فَبَلْهَ على هذا مصدرٌ مضاف .

وعلى الرفع : إنك ترى الهاماتِ ضاحية عن الأبدان ، فكيف الأكفُّ لا تكون ضاحية عن الأيدى . يعنى إذا جَعلَتِ السيوفُ الأبدانَ بلا رُءوس فلا عجبَ أن تترك الأيدىَ بلا أكفٍّ . فبَلْهَ بمعنى كيف للاستفهام التعجُّبى .

فبله الأكفَّ على الأوَّل والثالث جملة اسمية ، وفتحة بله [1] بنائيَّة . وعلى الثانى جملة فعلية حذف صدرها ، والفتحة إعرابية .

وهى بالمعنى [2] الأوَّل والثانى مأخوذة من لفظ البَلَه والتباله ، وهو من الغَفْلة ؛ لأن من غفل عن شئ تركه ولم يسأل عنه . وكذلك هنا ، أى لا تسأل عن الأكف إذا كانت [3] الجماجم ضاحيةً مقطّعة . كذا (فى الروض الأنف) للسُّهيلى .

قال أبو على (فى إيضاح الشعر) : قال سيبويه : أما بله زيدٍ فبله هنا ٢١

(١) ش : « بيانية » ، صوابه فى ط .

(٢) ش : « وهى بمعنى » .

(٣) ط : « إذ كانت » ، وأثبت ما فى ش والروض الأنف ٢ : ٢٠٦ .

فى عُصبةٍ نصر الإله نبيَّه
بهمُ ، وكان بعبده ذا مرفقِ
فى كلِّ سابغةٍ تخطُّ فُضُولُها
كالنِّهْيِ هبَّت ريحُه المتَرَقرِق
بيضاءَ مُحكَمَةٍ كأنَّ قتيرها
حَدَقُ الجنادب ذاتِ شَكٍّ مُوثَقِ
جَدلاءَ يَحِفزُها نِجادُ مهنَّدٍ
صافى الحديدة صارمٍ ذى رَوْنَقِ
تلكمْ مع التقوى تكون لباسَنا
يومَ الهِياج وكلَّ ساعة مَصدَقِ
نصلُ السُّيوف إذا قصُرْنَ بخَطْونا
قُدُماً ونُلحقها إذا لم تَلْحَقِ
فترى الجماجمَ ضاحياً هاماتُها
بَلْهَ الأكفَّ كأنَّها لم تخلقِ
نَلقى العدوَّ بفخمةٍ ملمومة
تَنفى الجُموعَ كقَصْدِ رأسِ المشرقِ
ونُعِدُّ للأعداءِ كلَّ مقلِّص
وَردٍ ومحجول القوائم أبلقِ
تَردِى بفُرسانٍ كأنَّ كُماتَهم
عندَ الهِياج أُسودُ طَلٍّ مُلْثِقِ

صُدْقٍ يُعاطون الكماةَ حُتوفَهم
تحتَ العماءة بالوشيج المزهِقِ (١)

أمَرَ الإلـه بربْطهـا لعـدوِّه
فى الحرب إنَّ الله خير مُوفِّقِ

لتكون غيظاً للعدوِّ وحُيَّطا
للدارِ إن دَلفت خيولُ النُّزَّقِ (٢)

ويُعيننـا الله العزيـزُ بقـوّةٍ
منه ، وصِدْقِ الصَّبر ساعةَ نلتقى

ونطيع أمـر نبيِّنـا ونُجيبُـه
وإذا دعا لكريهةٍ لم نُسْبَقِ

ومتى ينادَى للشدائد نأتِها
ومتى نرَى الحَوماتِ فيها نُعْنِقِ (٣)

مَن يتَّبع قولَ النبِّى فإنه
فينا مطاعُ الأمرِ حَقَّ مُصدَّقِ

فبذاك ينصُرنا ويُظهر عزَّنا
ويُصيبنا من نيلِ ذاكَ بمرفقِ

إنَّ الذين يكذِّبون محمـدا
كفَروا وضلُّوا عن سبيل المتَّقى)

---

(١) ط : « بالوشيح » صوابه فى ش والديوان والسيرة . وفى الديوان والسيرة : « تحت العماية » بالياء ، وكلاهما صحيح .

(٢) ش : « وحبطا » ، صوابه فى ط والديوان والسيرة . وفى ط : « لا تلفت » ، صوابه فى ش والديوان والسيرة .

(٣) فى الديوان فقط : « ومتى يناد إلى الشدائد » .

قوله : « من سره ضرب » إلخ رعبلَه : قطَّعهُ . والمعمعة ، قال صاحب ٢٣ الصحاح : هو صوت الحريق فى القصَبِ ونحوه ، وصوتُ الأبطال فى الحرب . وأنشد هذا البيت . والأباءُ : القصَب ، واحدتها أباءة ، كسحابٍ وسحابة ، وقيل أجمة الحَلْفاء والقصَب خاصة . كذا فى الصحاح . وقال السهيلى : (فى الروض الأنف) : والهمزة الأخيرة بدل من ياء ، قاله ابن جنى ، لأنَّه عنده من الإبَاية ، كأَنَّ القصب يأبى على من أراده بمضغٍ أو نحوه . ويشهد لما قاله قولُ الشاعر [1] :

يراه الناس أخضرَ من بعيدٍ
وتمنعه المرارة والإباءُ

والمُحرَق : اسم مفعول .

وقوله : « فليأت مأسدة » إلى آخره هذا جواب الشرط . قال السُّهيلى : المأْسدة : الأرض الكثيرة الأُسد ، وكذلك المسَبعة : الأرض الكثيرة السِّباع . ويجوز أن يكون جمع أسَد ، كما قالوا مشيخة ومَعْلجة . حكى سيبويه : مشيخة ومشيوخاء ، ومعلجة ومعلوجاء .

قوله : « تسنّ سيوفَها » قال السهيلى : نصب الفاء هو الصحيح عند القاضى أبى الوليد ، ووقع فى الأصل عند أبى بحر برفعها . ومعنى الرواية الأولى تسُنُّ أى تصقُل . ومعنى الثانية أى تَسُنُّ للأبطال ولمن بعدها من الرِّجال سُنَّةَ الجرأة والإقدام . والمذاد قال أبو عبيد البكرى (فى معجم ما استعجم) : هو بفتح الميم بعدها ذال معجمة والآخر دال مهملة ، الموضع الذى حَفَر فيه

(١) هو بشر بن أبى خازم . والبيت فى ديوانه ٤ واللسان (أبى) وأمالى ابن الشجرى ٦٧ .

رسول الله ﷺ الخندق . وقال السيوطى (فى شواهد المغنى) : هو أُطُم بالمدينة . وقال الشامى : هو لبنى حرام غربىَّ مساجِد الفتح ، سمِّيت به الناحية . والجزع بكسر الجيم : منعطف الوادى . قال الشامى : وهو هنا جانب الخندق . والخندق هنا خندق المدينة المنورة .

وقوله : « دَرِبوا بضرب » إلخ قال صاحب الصحاح : الدربة بالضمّ : عادة وجُرأة على الحربِ وكلِّ أمر ، وقد دَرِب بالشئ بكسر الراء ، إذا اعتاده وضَرِىَ به . والمعْلَمون بضم الميم وفتح اللام [1] : الذين يُعلمون أنفسهم بعلاماتٍ فى الحرب يعرفون بها [2] ، وهم الشجعان هنا . وأسلموا : مِن أسلم أمَره لله ، أى سلَّمه له . والمهجة هنا : الرُّوح . وأراد برب المشرق ربَّ المشرق والمَغْرب .

وقوله : « بعَبْده ذا مرفق » : مصدر كالرفق ضدِّ العنف . قال أبو زيد : رفق الله بك ورفق عليك رِفقاً ومَرفِقا ومِرفَقا ، بفتح الميم وكسر الفاء فى الأول ، وبالعكس فى الثانى . وزاد غيره مَرفَقا بفتح الميم والفاء ، حكاه الصاغانى (فى العباب) .

وقوله : « فى كل سابغة » إلخ السابغة ، الدرع الواسعة . وتخطُّ بالبناء للفاعل . وفُضولها : جمع فضل ، وهو الزائد . أى ينسحب ذيلُ الدرع على الأرض لطولها . والنَّهى بفتح النون : الغدير ، وأهل نجد يكسرون النون . والمترقرِق بالجرّ صفة للنهى ، من ترقرق إذا تحرك وجاء وذهب . والريح إذا هبَّت على الماء حصلَتْ هذه الصفة . وزعم السيوطى أنَّه بمعنى اللامع .

وقوله : « بيضاء محكمة » ، إلخ البيضاء : المجلوَّة . والقَتِير ، بفتح

---

(١) كذا فى النسختين . والوجه كسر اللام كما فى اللسان .

(٢) ط : « ويعرفون بها » .

القاف وكسر المثناة الفوقية قال صاحب الصحاح : رءوس المسامير فى الدروع ، شبَّهها بعيون الجُندب ، وهو نوعٌ من الجراد ، فى البريق واللَّمعان . والشك : مصدر شككت الشئ ، إذا ضممته إلى غيره ، ومنه شك القومُ بيوتَهم ، إذا جعلوها مصطفَّة متقاربة . وهو معَنى قول الشامى : الشكّ هنا : إحكام السَّرد ، وهو متابعة نسجْ حلق الدرع ، وموالاته شيئاً فشيئاً حتى يتناسق . والموثَق : المثبت .

٢٤ وقوله : « جدلاءَ يحفِزُها » إلخ الجدلاءُ ، بفتح الجيم : الدِّرع المحكمة النَّسجْ . ويقال درع مجدولة أيضاً ، من جدلت الحبل أجدُله بالضم جدلا ، أى فتلته محكما . ويحفزها ، أى يشمِّرها ويرفعها ، بالحاءِ المهملة والفاء والزاء المعجمة . والنِّجاد : سيور السيف . والمهنَّد : السيف المطبوع من حديد الهِنْد . قال السُّهيلى : هذا كقول ابن الأسلت [(١)] فى وصف الدرع :

أَحْفِزُها عَنِّى بذى رونقٍ
أبيضَ مثلِ المِلح قَطَّاعِ [(٢)]

وذلك أنَّ الدرع إذا طالت فضولها حَفزوها ، أى شَمَّرُوها فربطوها بنجاد السَّيف . وقال غيره : كانت العرب تعمل فى أغماد السيوف أشباه الكَلاليب ، فإذا ثَقلت الدرع على لابسها رفع ذيلَها فعلَّقه بالكُلاَّب الذى فى غمد السيف ليخفَّ عليه . وصارم : قاطع . والرَّونق : جوهر السيف .

وقوله : « تلكم مع التقوى » إلخ ، الإشارة للدرع الموصوفة . قال السهيلى : هذا من أجود الكلام ، انتزعه من قول الله تعالى : ﴿ ولباسُ التقوى

---

(١) هو أبو قيس بن الأسلت الأنصارى . أنظر المفضليات ٢٨٤ .

(٢) فى المفضليات : « مهند كالملح » .

ذلك خَيرٌ [١] ﴾ . وموضع الإجادة جعله لباسَ الدروع تَبَعاً للباس التقوى ، لأنَّ حرف مَعَ يفيد أن ما بعده هو المتبوع وليس بتابع . ويوم الهِياج : يوم القتال . والمَصْدَق ، كجعفر : الحملة الصادقة على العدوّ ، يقال للرجل الشجاع والفرس الجواد : إنَّه لذو مَصْدق ، أى صادق الحملة وصادق الجرى ، كأنه ذو صدق فى وَعد ذلك .

وقوله : « نصل السيوف » إلخ قد نُظم هذا المعنى كثيرا . قال الأخنس ابن شهاب :

إذا قصُرت أسيافُنا كان وصلُها
خطانا إلى أعدائنا فنضارب

وقال السموءل بن عادياء :

إذا قصُرت أسيافنا كان وصلُها
خطانا إلى أعدائنا فتطولُ

وقال رجل من بنى نمير :

وَصَلنا الرقاق المرهَفاتِ بِخَطوِنا
عَلَى الهَوْل حتَّى أمكنتنا المضاربُ

وقال آخر [٢] :

إذا الكماة تنحَّوْا أن يصيبَهمُ
حدُّ الظُّباتِ وصلناها بأيدينا

---

(١) الآية ٢٦ من سورة الأعراف .

(٢) هو بشامة بن حزن النهشلى . الحماسة ١٠٨ بشرح المرزوقى .

وقال آخر :

الطاعنون فى النحور والكُلُى
شَزْراً ووَصَّالُو السيوفِ بالخُطى

وقال آخر :

إنَّ لقيس عادةً تعتادُها
سَلَّ السيوفِ وخُطًى تزدادُها

وهذا كلُّه شعر جاهلى . وقال حُميد بن ثَور الهلالىُّ الصَّحابى :

ووصلُ الخطَى بالسَّيفِ والسَّيْفِ بالخُطَى
إذا ظَنَّ أنَّ السيف ذُو السَّيف قاصرُ

وله نظائرُ أخَرُ ستأتى إن شاء الله تعالى فى باب الظروف .

وقوله : (فترى الجماجم) قد غَيَّره النحويون إلى قولهم : « تذر الجماجم » وتقدم شرحه [1] .

قال السهيلى : خفضُ الأكفِّ هو الوجه ، وقد روى بالنصب لأنَّه مفعول ، أى دع الأكفَّ . وبله كلمة معناها [2] دع ، وهى من المصادر المضافة إلى ما بعدها ، وهى من لفظ البَلَه أى الغفلة ، لأنَّ من غفل ترك ولم يسأل عنه [3] ، وكذلك هذا . أى لا تسأل عن الأكف إذا كانت الجماجم ضاحيةً مقطَّعة .
٢٥

(١) انظر ص ٢١٢ .

(٢) كلمة « دع » ساقطة من ش .

(٣) فى الروض ٢ ٢٠٦ : « لأن من غفل عن الشئ تركه ولم يسأل عنه » .

وقال الدماميني (في الشرح المزج على المغنى) : الجمجمة : عظم الرأس المشتمل على الدماغ ، والقبيلة تجمع البطون فينسب إليها دونهم . والبيت محتملٌ لكلٍّ من المعنيين . والمعنى على رواية رفع الأكف أنَّ تلك السيوف تترك قبائلَ العرب الكثيرة بارزة الرءوس للأبصار ، كأنها لم تخلق في محالِّها من تلك الأجسام . أو تَترك تلكَ العظام المستورةَ مكشوفة ظاهرة ، فكيف الأكفّ . أي إذا كانت حالةُ الرءوس هذه مع عزَّة الوصول إليها ، فكيف حال الأيدى التى يتوصَّل إليها بسهولة . وعلى رواية النصب : أنها تترك الجماجم [1] على تلك الحالة ، دع الأكف فأمرُها أيسر وأسهل . وعلى رواية الجر : أنها تترك الجماجم ترك الأكفّ منفصلةً عن محالِّها ، كأنها لم تخلق متَّصلة بها .

وقال ابن الملا (في شرحه على المغنى) : الجمجمة : القِحف ، أو العظم فيه الدماغ ، والسيِّد ، والقبيلة التى تنسب إليها البطون . ومتى أريد بالجماجم القبائل جاز أن يُراد بالهامات رؤساؤها ، وبالأكفِّ من دونهم من الكُفاة . ففى القاموس : الهامة : رأس كلِّ شئ ، ورئيس القوم .

والمعنى على رواية الرفع أنَّ تلك السيوف تترك تلك العظام المستورة ظاهرةً فكيف الأكفُّ البادية ، أى إذا كانت حالة الرءُوس هذه مع عزّة الوصول إليها فكيف الأكفّ التى يُتوصَّل إليها بسهولة ، فإنها تدعها كأنها لم تخلق فى محالِّها . ولا حاجة إلى دعوى المجاز فى الأكفّ عن الأيدى كما يفهم من صنيع الشارح . أو تتركُ السادات من كلِّ قبيلة أو القبائلَ من العرب بارزةَ الرءُوس للأبصار بإبانتها عن محالِّها كأنها لم تخلق فيها . أو تترك القبائل بارزاً

(١) من هنا إلى « الجماجم » التالية ، سقط فى ش .

رءوسها للقتل ، أى مقتولة . وأراد بالأكفِّ من يُتقوَّى به من فُرسان القبائل .

وعلى النصب : أنَّها تترك الجماجمَ على تلك الحالة ، دع الأكفَّ فإنَّ أمرها أيسر وأسهل .

وعلى الجرِّ : أنها تتركها ترك الأكفِّ ، منفصلةِ عن محالِّها ، كأنها لم تخلق متصلة بها . انتهى .

وهذا كلُّه تكلُّف وتوسيعٌ للدائرة .

وقوله : « نلقى العدُوَّ » إلخ الفخمة : الجيش العظيم ، من الفخامة وهى العِظَم . وملمومة : مجموعة .

وقوله : « كقصد رأس المشرق » قال السُّهيلى : الصحيح ما رواه ابن هشام عن أبى زيد : « كرأس قدس المشرق » ، لأنَّ قدس جبلٌ معروف من ناحية المشرق . انتهى :

وظاهره أنَّه بفتح الميم . وقول الشامى المشرق نعت لقدس بمعنى جبل ، إشارة إلى ضمة الميم ، وهو اسم فاعل من الإشراق . والظاهر أنَّ هذا هو الجيد . قال البكرى (فى معجم ما استعجم) : القُدْس بضم القاف وسكون الدال من جبال تِهامة ، وهو جبل العَرْج . قال ابن الأنبارى : قدس مؤنثة لا تنصرف ؛ لأنها اسمٌ للجبل وما حوله .

وقال ياقوت (فى معجم البلدان) : قدس : جبلٌ عظيم بأرض نجد . قال ابن دريد : قدس أوارة : جبلٌ معروف . وأنشد الآمدىُّ لبُغَيت [١] :

---

(١) بغيت ، بباء بعدها غين معجمة وآخره تاء مثناة ، كما فى المؤتلف ٥٨ حيث أنشد البيت . وفى الأصل : « لبعيث » ، وفى معجم البلدان : « للبعيث » تصحيف .

وقال الآمدى : « وبغيت : تصغير باغت ، مثل شريح تصغير شارح ، وحريث تصغير حارث ، وهو من تصغير الترخيم » .

ونحن جلبنا يوم قُدسٍ أُوارة
قنابل خيل تترك الجَوَّ أقتما [١]

وقال الأزهرى : قدس أوارة [٢] : جبلان لمزينة ، وهما معروفان بحذاء سقيا مُزَينة . وقال عَرَّام [٣] : بالحجاز جبَلان يقال لهما القدسان : قدس الأبيض وقدس الأسود ، وهما عند وَرِقَان . أما الأبيض فهو جبلٌ شامخ بين العرج والسُّقيا . والقدسان جميعاً لمزينة . انتهى .

٢٦

فظهر بهذا أنَّه ليس جبلٌ فى المشرق اسمه قُدس ، فالصواب ما قاله الشامى . وقوله : « ونعدُّ للأعداءِ » نُعِدّ : نُهَيِّئ ، من الإعداد ، وهو التهيئة . والمقلِّص ، قال صاحب الصحاح : فرس مقلِّص ، بكسر اللام ، أى مشْرِف طويل القوائم . والوَرد : الفرس الذى تضرب حمرته إلى الصُّفرة . والمحجول : الفرس المحجَّل ، والتحجيل : بياضٌ فى قوائم الفرس أو فى ثلاثٍ منها ، أو فى رجليه ، قلَّ أو كثُر ، بعد أن يجاوز الأرساغ ، ولا يجاوز الركبتين والعرقوبين ، لأنها مواضعُ الأحجال ، وهى الخلاخيل والقيود . ولا يكون التحجيل واقعاً بيد أو يدين ما لم يكن معها رجلٌ أو رجلان . كذا فى العباب للصاغانى . والأبلق : الفرس الذى فيه البلق بفتحتين ، وهو سواد وبياض .

وقوله : « تردى بفرسان » إلخ قال صاحب الصحاح : ردى الفرسُ بالفتح يردِى رَدْيا ورديانا : إذا رجَم الأرض رجماً بين العَدْو والمشى الشديد .

---

(١) ط : « قبائل » ش : « قنائل » ، صوابه ما أثبت من المؤتلف . والقنابل : ما بين الثلاثين والأربعين من الخيل .

(٢) فى معجم البلدان : « قدس وآرة » .

(٣) فى النسختين : « أبو عرام » . والصواب ما أثبت من معجم البلدان الذى ينقل من كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها لعرام بن الأصبغ السلمى . وقد قمت بنشره وتحقيقه مرتين ، الأولى فى كتاب مستقل سنة ١٣٧٢ هـ والأخرى فى المجلد الثانى من نوادر المخطوطات .

والكماة : جمع كمىّ ، وهو الشجاع المتكمِّى فى سلاحه ، لأنّه كَمَى نفسه ، أى سترها بالدِّرع [١] والبيضة . والطَّلّ : المطر الضعيف . والملْثِق : اسم فاعل صفة لطل ، من اللَّثِق بفتحتين ، قال السهَيْلىّ : واللَّثَق : ما يكون عن الطلّ من زَلَق . والأسد أجوعُ ما يكون وأجرأ فى ذلك الحين . وقال صاحب العباب : اللثق : النَّدَى . قال كعب بن زهير :

باتَتْ له ليلةٌ جمٌّ أهاضبُها

وباتَ ينفض عنه الطَّلَّ واللَّثَقا

وألثقه غيرُه . قال سلمه بن الخُرشُب :

خداريَّة فتخاء ألثَقَ ريشَها

سحابُة يومٍ ذى أهاضيبَ ماطرِ [٢]

وقوله : « صُدْقٌ يعاطون » إلخ بالرفع صفة أُسود ، وهو بضم الصاد جمع صَدق بفتحها ، والدال ساكنة معهما ، يقال رجلٌ صَدْق اللقاء وصَدْق النظر ، إذا مضى فيهما ولم يَثْنِهِ شيء . والصَّدْق أيضاً : الكامل المحمود من كلِّ شيء . والصَّدْق أيضاً : الصُّلب من الرماح ، ويقال المستوى .

ويُعاطون : يناولون . والكماة : الشجعان مفعول أول ، وحتوفهم مفعول ثان ، وهو جمع حتف ، وهو الهلاك . والعَمَاءة بالمد ، كالسحابة وزناً ومعنى . قال أبو زيد : العَماء : السحاب ، وهو الدُّخَان يركب رءُوس الجبال ، وأراد به هنا الغبارَ الثائر فى المعركة .

---

(١) : « بالدروع » ، وأثبت ما فى ش .

(٢) المفضليات ٣٧ .

ورواه الشامى : « العَمَاية » بالياء . وفسَّره بالسَّحاب ، وليس فى الصحاح إلا ما ذكرنا [(١)] . وإنما فيه : عماية : جبلٌ من جبال هذيل . والوشيج : الرماح ، وأصله شجَر الرماح . والمزهِق : اسم فاعل ، المذهبُ للأرواح .

وقوله : « لتكون غيظاً للعدو وحُيَّطا » قال الشامى : هو جمع حائط ، اسم فاعل من حاط يَحُوط أى كلأه ورعاه . وأراد بالدار المدينة المنوَّرة . ودلفت : قربت . والنُّزَّق : الأعداء ، وهو جمع نَزِق بفتحٍ فكسر ، من نزِق نزقا كفرح فرحا . والنَّزَق : الخفة والطيش وسوء الخلق . وهذا أصله .

وقوله : « وإذا دعا لكريهةٍ » إلخ ، الكريهة من أسماء الحرب . ونُسَبق بالبناء للمفعول .

والحَوْمات : جمع حَومة ، وهى موضع القتال . ونُعنِق : نسرع . قال فى المصباح : العَنَق بفتحتين : ضربٌ من السير فسيح سريع ، وهو اسمٌ من أعنقَ إعناقا .

٢٧ وقوله : « حَقَّ مصدَّق » بفتح الدال المشددة مصدر ، أى تصديقا حقَّ تصديق .

وترجمة كعب بن مالك الصحابى تقدمت فى الشاهد السادس والستين [(٢)] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والخمسون بعد الأربعمائة [(٣)] :

٤٥٧ (أُعطِيهِمُ الجهدَ مِنِّى بَلْهَ ما أَسَعُ)

---

(١) لكن أثبت فى اللسان اللغتين فى معنى السحاب ، كما سبق فى الحواشى .

(٢) الخزانة ١ : ٤١٧ .

(٣) ابن يعيش ٤ : ٤٩ واللسان (كون ، بله) وديوان أبى زبيد ١٠٩ .

على أنَّ الأخفش أورده فى باب الاستثناء وقال : بله فيه حرفُ جرّ كعدا وخلا بمعنى سوى .

أورده أبو على (فى إيضاح الشعر) ، وعقد لبَلْهَ باباً ، قال : هذا باب ما يكون مرَّةً اسما ، ومرَّة مصدراً ، ومرةً حرف جر . قال الشاعر :

حمَّال أثقالِ أهلِ الودِّ آونةً
أُعطيهم الجَهْدَ منىِّ بَلْهَ ما أَسَعُ

قال أبو الحسن الأخفش فى بابٍ من الاستثناءِ : إنَّ بله حرف جر . قال أبو على : ووجه كونه حرفاً أنَّه يمكن أن يقال إنك إن حملته عَلَى أنَّه اسم فعل لم يجز ، لأنَّ الجمل التى تقع فى الاستنثاءِ مثل لا يكون زيدا وليس عمرا وعدا خالدا ، فيمن جعله فعلا ، ليس شىءٌ منه أمراً ، وهذا يراد به الأمر ، وهو اسمٌ للفعل ، فإذا كان كذلك لم يجز ، لأنه لا نظير له . فإن قلت : فلم لا تجعله المصدر ، لأنَّ المصدر قد وقع فى الاستثناء فى قولك : أُتانى القوم ما عدا زيدا ، والتقدير : مجاوزتَهم زيداً ، فهو مصدر . قلت : يمكن أن يقال إن ما زائدة وليست التى للمصدر ، وعدا إذا قدِّرت زيادةُ « ما » كان جملةً ، فليس فى ذلك دلالة ، لاحتماله غيرَ ذلك . والحروف قد وقعت فى الاستثناء نحو خلا وحاشا ، ولا وجه لهذه الكلم إلا أن تكون حروفَ جر ، فإذا كان بله زيد هنا ليس يخلو من أن يكون اسم فعل أو مصدراً أو حرفا ، وليس يجوز وقوعُ اسم الفعل هنا لمَا قدمنا ، ولا المصدر لأنَّه لم يقع عليه دلالة من حيث جاز أن تكون ما زائدة فى ماعدا – كان حرفَ جَرٍّ ؛ لأن حروف الجر قد وقعت فى موضع الاستثناء . انتهى كلامه .

وحاصله أنه استدلَّ لبَلْه بكونه حرف استثناء بأنَّ اسم الفعل لم يقع فى

الاستثناء ، فكذلك لم يكن مصدراً ، لأنه لا يكون مصدرٌ إلاَّ حيث يكون اسم فعل . ثم اعترض نفسه بما عدا زيداً وبابِه ، فقال : يمكن أن تكون ما زائدة .

قال أبو حيان (فى تذكرته) : قلت كونها مصدريةً أُولى ، وبه قال سيبويه والجماعة . وقد حكى أبو عبيدة وأبو الحسن النصب بعدها فى الاستثناء . انتهى .

ويريد أبو على أنها ليست فى النصب حرفا ، لأنها قد جَرَّت ، وليس فى الاستثناءِ ما ينصب ويخفض إلا وهو متردِّد بين الحرفية والفعلية ، ولا يكون نصبُها كنصب إلاّ لهذا ، ولأنها لا يقع بعدها المرفوع . كذلك قال أبو حيان . يريد أنَّها لم تخرج عن بابها وإن دخلها معنى الاستثناء . فالخفض عَلَى أنها مصدر ، والنصب عَلَى أنها اسم فعل . وقال الدماميني (فى شرحه المزج [1] عَلَى المغنى) : ذهب الكوفيون والبغدادِيُّونَ إلى أنَّ بله تَرِدُ للاستثناءِ كغير . وجمهور البصريين على أنهَا لا يستثنى بها . واستدلَّ ابن عصفور بأمرين :

أحدهما : أنَّ ما بعد بله لا يكون من جنس ما قبلها . ألا ترى أنَّ الأكف فى البيت ليست من الجماجم .

٢٨ والثانى : أنَّ الاستثناء عبارةٌ عن إخراج الثانى ممَّا دخل فى الأول ، والمعنى فى بله ليس كذلك . ألا ترى أنَّ الأكف مقطوعة بالسيوف كالجماجم .

وفيه نظر . أما الأول فلأنَّا لا نسلم أنَّ كلَّ استثناء يكون ما بعد الأداة فيه من جنس ما قبلها ؛ بدليل المنقطع . وأما الثانى فلتحقُّق الإخراج باعتبار الأولويَّة . انتهى .

---

(١) ش : « فى الشرح المزج » .

وقد بسط القول أبو حيان (فى شرح التسهيل) على هذه المسألة فلا بأس بايراده . قال :

مذهب جمهور البصريِّن : لا يجوز فيما بعدها إلا الخفض . وأجاز الكوفيون والبغداديون فيه النصب على الاستثناء ، نحو أكرمت العبيد بله الأحرارَ . وإنَّما جعلوها استثناء لأنهم رأوا ما بعدها خارجاً عما قبلها فى الوصف ، من حيث كان مرتَّبا عليه ، لأنَّ المعنى فيه : إنَّ إكرامك الأحرار يَزيد على إكرامك العبيد . والصَّحيح أنها ليست من أدوات الاستثناء ، بدليل انتفاء وقوع إلاَّ مكانَها ، وأنَّ ما بعدها لا يكون إلا من جنس ما قبلها .

ويجوز دخول حرف العطف عليها ، ولم يتقدَّمها استثناء . قال شيخنا ابن الضائع [١] : وممَّا يُضعف إدخالَ بله ولاسيما فى أدوات الاستثناء ، أنَّهم لم يأتوا بحتَّى فى الاستثناء . ألا ترى أنَّ قولهم : قام القوم حتى زيد ، قد أُخرِجَ زيدٌ عن القوم لصفةٍ اختصَّ بها فى القيام لم تثبت لهم ، فلو كان هذا المعنى حقيقة فى الاستثناء للزم . ولا تذكر حتَّى فى أدوات الاستثناء . انتهى .

وما ذهب إليه جمهور البصريين من أنَّه لا يجوز فيما بعدها النصبُ ليس بصحيح ، بل النصب بعدها محفوظٌ من العرب . قال الشاعر :

* مَشْىَ الجوادِ فَبَلْهَ الجِلَّةَ النُّجبا [٢] *

وقال جرير :

وهل كنتَ يا ابنَ القين فى الدهر مالكاً لغير بعير بَلْهَ مَهريَّةً نُجْبا

(١) هو على بن محمد بن على الإشبيلى ، وهو بالضاد المعجمة ، من شيوخ أبى حيان . توفى سنة ٦٨٠ .

(٢) لابن هرمة فى ديوانه ٥٧ واللسان والتاج (بله) . وصدره :

* تمشى القطوف إذا غنى الحداة بها *

وقال آخر :

* بَلْهَ الأكفَّ كأنها لم تُخلقِ *

وقد روى الرفع أيضاً بعد بله على معنى كيفَ . ذكره قطرب وأنكره أبو على . وفى (مختصر العين) : بَلْهَ بمعنى كيف ، وبمعنى دع . فأمَّا الجر بعدها وهو المجْمَعُ على سماعه فذهب بعضُ الكوفيين إلى أنَّها بمعنى غير ، فمعنى بله الأكف غير الأكّف ، فيكون هذا استثناءً منقطعاً . وذهب الفارسيُّ إلى أنها مصدر لم يُنطَق له بفعل ، وهو مضاف وهى إضافةٌ مِن نَصب . وذهب الأخفش إلى أنَّها حرف جر . وأما النصب فيكون على أنَّه مفعول وبله مصدر موضوع موضع الفعل ، أو اسم الفعل ليس من لفظ الفعل . فإذا قلت : قام القوم بله زيدا ، فكأنك قلت : تركاً زيدا ، أو دَعْ زيدا .

وأمَّا الرفع فعلى الابتداء وبله بمعنى كيف فى موضع الخبر . وقال ابن عصفور : إذا قلتَ قام القوم بله زيدا إنَّما معناه عندنا دع زيداً ، وليس المعنى إلاَّ زيدا . ألا ترى أنَّ معنى بله الأكف دع الأكفَّ . فهذه صفتُها ، ولم يرد استثناءَ الأكفِّ من الجماجم .

قال شيخنا : هذا مناقضٌ لقوله : كأنها لم تخلق ، فإنما يريد إذا كان فعلُها فى الجماجم كذا فالأكفُّ أحْرَى بذلك ، فكأنَّها لم تكن قطّ ، فيقال إنها قطعتها . فلا فرق بين معنى لاسيما وبله . انتهى .

هذا ما أورده أبو حيان . وقول الشارح المحقق : « ومنه بله ما أُطْلِعْتُم » أى من الاستثناء بجعله بله بمعنى سوى . وهو قطعة من حديث أخرجه البخارى (فى صحيحه) عن أبى هريرة فى تفسير سورة السجدة وهو : « يقول

الله تعالى : أعددتُ لعبادِيَ الصالحينَ ما لا عينٌ رأت ، ولا أذُنٌ سمعتْ ، ولا خَطَر عَلَى قلب بشر ذُخراً بَلْهَ ما أطْلِعتْم عليه » . ثم قرأ : ﴿ فلا تعلم نفسٌ ما أُخفِيَ لهم من قُرَّةِ أعيُنٍ جزاءً بما كانوا يعملون [1] ﴾ . وأُطلِعْتُم ضبطه القسطَلَّانى بضم الهمزة وكسر اللام . قال : ولأبى الوقت : « أَطْلَعْتُهُم » بفتح الهمزة واللام وزيادة هاءٍ بعد التاء . وأخرجه مسلم أيضاً عن أبى هريرة فى كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (من صحيحه) ولفظهُ : « قال رسول الله ﷺ : يقول الله عزّ وجَلّ : أعددتُ لعبادى الصالحين ما لا عينٌ رأت ، ولا أذنٌ سَمِعتْ ، ولا خطر على قلب بشر ذُخراً ، بله ما أُطْلِعتُم عليه » ، ثم قرأ : ﴿ فلا تعلم نفسٌ ما أُخفِيَ لهم منْ قُرَّةِ أعين ﴾ انتهى . وفى رواية منه : « بله ما أُطلِعْتُم الله عليه » .

فقول القسطلاَّنى فى شرح البخارى : إنَّ هذا الحديث من أفراد البخاريّ سهو ، مع أنَّ ابن حجر قال (فى فتح البارى) : أخرج مسلمٌ الحديثَ كلَّه عن أبى بكر بن أبى شيبة ، قال النووى فى شرح مسلم : بله معناها : دع عنك ما أطَلعتُكم عليه ، فالذى لم أُطْلعكم عليه أعظم . فكأنَّه أضربَ عنه استقلالاً له فى جنب ما لم يطلع عليه . وقيل معناها غير ، وقيل معناها كيف . وقال ابن الأثير (فى النهاية) : بله اسم فعل بمعنى دَعْ ، وقد يوضع موضعَ المصدر ويضاف . وقوله : ما اطَّلعتم عليه ، يحتمل أن يكون منصوب المحلّ ومجروره . انتهى .

ورواه أبو حيان (فى تذكرته) : « بله ما قد أطلعتُكم عليه » ، وقال : يريد فدع ما أطلعتكم عليه ، وكيف ما أطلعتكم . وتقول العرب : إنِّى لا أَركب الخيلَ فكيف الحميرَ ، يريد : فدع ذكر الحمير لا تذكُرْهُ . ففى هذا القول دلالةٌ على موافقة كيف معنى دَعْ فى هذه الجهة . انتهى .

٢٩

(١) الآية ١٧ من السجدة .

ووقع فى أكثر نسخ البخارى « مِنْ بلْهِ ما اطَّلعتم عليه » ، بزيادة « من » . قال القسطَلاَّنى : هى رواية أبى ذر وأبى الوقت والأصيلىّ وابن عساكر . قال ابن حجر : قال الصَّغانى : اتَّفقَت نُسَخُ الصحيح على مِن بله ، والصواب إسقاط كلمة مِنْ . وتُعقِّب بأنّه لا يتعيِّن إسقاطها إلا إذا فسِّرت بمعنى دع ، وأما إذا فسِّرت بمعنى من أجل أو من غير أو سوى فلا . وقد بيِّنت فى عدّة مصنفاتٍ خارجَ الصحيح بإثبات مِنْ . وأخرجه سعيد بن منصور من طريق ابن مردويه من رواية أبى معاوية عن الأعمش كذلك . وقد فسَّر الخطابىّ الجارَّ والمجرور بقوله : كأَنَّهُ يقول : دع ما اطَّلعتم عليه فإنَّه سهل فى جَنْب ما ادُّخر لهم . وهذا إنَّما هو لائقٌ بشرح بله بغير تقدُّم من عليها . وأما إذا تقدَّمت من عليها فقد قيل : هى بمعنى كيف ويقال أجل ، ويقال بمعنى غير أو سوى ، وقيل بمعنى فضل . انتهى .

قال ابن هشام (فى المغنى) : ومن الغريب أَنّ فى رواية البخارى « منْ بلهٍ » ، قد استعملت معربةً مجرورة بمن ، وخارجةً عن المعانى الثلاثة . وفسَّرها بعضهم بغير ، وهو ظاهرٌ . وبهذا يتقَّوى من يعدّها فى ألفاظ الاستثناء . انتهى

وكذلك قال القسطلانى : قد ثبت جرُّ بله بِمنْ فى الفرع المعتمَد المقابل على أصل اليُونينى ، المحرَّر بحضرة إمام العربية أَبى عبد الله بن مالك .

قال الدمامينى (فى شرح البخارى) : و (فى شروح المغنى) : نصَّ ابن التِّين [1] على أنَّ بله ضبط بالفتح والجر ، وكلاهما مع وجود من . فأما الجر فقد وجَّهه ابن هشام ، وأما توجيه الفتح مع وجود من فقد قال الرضىّ : إذا كان بله بمعنى كيف جاز أن تدخله من ، وعليه تتخرَّج هذه الرواية ، ٣٠ فتكون بمعنى كيف التى يقصَد بها الاستبعاد . وما مصدرية ، وهى مع صلتها

(١) ذكره فى تاج العروس (تين) قال : « وعبد الرحمن السفاقسى المالكى المعروف بابن التين ، شارح البخارى » . وفى كشف الظنون : « عبد الواحد بن التين السفاقسى » .

فى محلٍّ رفع على الابتداء والخبر من بله ، والضمير من عليه عائد على الذخر ، أى كيف ومن أين اطِّلاعكم على الذخر الذى أعددته ، فإنه أمرٌ قلما تتَّسع العقولُ لإدراكه والإحاطة به . انتهى .

ومثله لابن حجر قال : ووقع فى المغنى لابن هشام أنّ بله استعملت معربةً مجرورة بمن ، وأنها بمعنى غير ، ولم يذكر سواه . وفيه نظر لأنَ ابن التِّين حكى روايةَ مِنْ بلْهَ بفتح الهاء مع وجود مِنْ ، فعلى هذا فهى مبنيَّة وما مصدرية ، وهى وصلتها فى موضع رفع على الابتداء ، والخبر هو الجار والمجرور المتقدم ، ويكون المراد ببله كيفَ التى يقصد بها الاستبعاد . والمعنى : من أين اطِّلاعُكم على هذا القدر الذى تقصُر عقولُ البشر عن الإحاطة به . ودخول مِنْ على بله إذا كانت بهذا المعنى جائز كما أشار إليه الشريف (فى شرح الحاجبية) . وأوضحُ التوجيهات لخصوص سياق حديث الباب أنَّها بمعنى غير . وذلك بيِّن لمن تأمَّله . انتهى .

وهذا الاتفاق من الدمامينى وابن حجر غريبٌ ، يقلُّ وقوع مثله ، فإنهما وإن كانا متصاحبين لم يَرَ كُلٌّ منهما شرحَ الآخر على البخارى .

أقول : كَسْرة بله يحتمل أن تكون كسرة بناء . ويؤيده ما قاله أبو حيان (فى الارتشاف) بأنه سمع فى بله فتح الهاء وكسرها .

صاحب الشاهد

والبيت الشاهد من قصيدةٍ لأبى زُبيدٍ الطائى النصرانى . وقبله ، وهو مطلع القصيدة :

أبيات الشاهد

(مَن مبلغٌ قومَنا النائينَ إذ شحَطوا
أنَّ الفؤادَ إليْهِمْ شيِّقٌ وَلِعُ

حَمّالُ أثقالِ أهلِ الودِّ آونةً
أُعطيهِمُ الجْهدَ منّى بلهَ ما أسعُ)

مَن استفهامية ومبلغٌ متعدٍّ إلىَ مفعولين ، يقال أبلغته السلامَ ، فقومَنا مفعوله الأوّل ، والنائين وصفه ، وأنَّ الفؤاد إلخ بفتح أنّ فى تأويل مصدر منصوب هو المفعول الثانى . والنائين : جمع ناء اسم فاعل من النأْى ، وهو البعد . وإذْ ظرفٌ معناه التعليل متعلّق بمبلغ . وشَحَطوا بفتح الحاء ، يقال شحط يشحط شَحْطا من باب منع وشحوطا ، وهو البعد . وشَيِّق : مشتاق ، وأصله شيوق بوزن فيعل . ووِلع بكسر اللام : وصْفٌ من ولع بفتح اللام وكسرها يَلَع بفتحها مع سقوط الواو ، وَلعاً بسكون اللام وفتحها ، بمعنى عَلِق به ، من علاقة الحب . كذا فى المصباح .

وحمال : مبالغة حامل خبر لمحذوف [١] أى هو حَمَّال . وأَثقال : جمع ثقل بفتحتين ، وهو متاع المسافر . وآونة : جمع أَوان بمعنى الحِين ، كأزمنة وزمان وهو ظرف لحَمَّال ، أى حَمْلته فى أزمانٍ كثيرة . وضمير أعطيهم لأهل الودِّ ، وجمعَهُ باعتبار معناه . والجهد بالفتح : النهاية والغاية ، وهو مصدر جهد فى الأمر جهدا من باب نفع ، إذا طلب حتَّى بلغ غايتَه فى الطلب . ومنه اجتهد فى الأمر ، أى بذل وُسعَه وطاقته فى طلبه ليبلغ مجهوده ويصل إلى نهايته . والجَهدْ أيضاً : الوسع والطاقة ، يفتح فى لغة الحجاز ويضم فى غيره . وأسع : مضارع وسع ، يتعدَّى ولا يتعدى . يقال وسِعَ المكانُ القومَ ، ووسع المكانُ ، أى اتسع . قال النابغة :

---

(١) ش : « خبر المحذوف » .

تسَعُ البلادُ إذا أتيتُكِ زائراً وإذا هجرتكِ ضاق عنّى مقعدى (١)

والسَّعة والوسع : الطاقة ، والجِدَة أيضاً . والفعل وسِع بكسر السين يَسَع بفتحها ، وأصل الفتحة الكسرة ، ولهذا أسقطت الواو لوقوعها بين ياء مفتوحة وكسرة ثم فتحت بعد الحذف لِمكانِ حرف الحلق . فأسع إن كان متعدِّيا فما موصولة أو موصوفة والعائد محذوف ، أى أسعه . وإن كان لازما بمعنى اتَّسع فما مصدرية . فالجهد إن كان بالمعنى الأول فالوسع بالمعنى الثانى ، وبالعكس لئلا يتكرَّر . وظهر من هذا التقدير أنَّ الاستثناء لا مِساس له هنا ، وإنما المعنى على أحد الأوجه الثلاثة فى البيت السابق . فالأول أنِّى أعطيهم فوق الوُسع ، فتركاً للوسع ، أو فدع الوُسع أى ذكره ، أو فكيف الوسْعُ لا أعطيه ، فتأمَّلْ .

٣١

* * *

وأنشد بعده :

(وقفنا فقلنا إيه عَنْ أمِّ سالِمِ)

تقدَّم شرحه قبل بيتين منه (٢)

* * *

وأنشد بعده :

(مَهلا فداءٍ لك الأقوامُ كلُّهمُ
وما أثمِّرُ من مالٍ ومن ولَدِ)

وهذا أيضاً تقدَّم شرحه فى أول الباب (٣)

* * *

(١) ديوان النابغة ٣٤ تحقيق شكرى فيصل .

(٢) انظر هذا الجزء ص ٢٠٨ .

(٣) فى الشاهد ٤٥٢ ص ١٨١ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والخمسون بعد الأربعمائة [١] :

٤٥٨ (ألَا حيِّيا ليلَى وقولا لها هَلاَ
فقد ركبَتْ أمراً أغرَّ محجَّلا)

على أن (هَلاَ) فيه اسم فعل بمعنى أُسرعِي [٢] .

المعروف [٣] أنها زجرٌ للدابَّة لتذهب ، فتكون من أسماء الصوت كما فَسَّره هو بهذا فى باب الصوت .

قال صاحب الصحاح : هلاَ : زجرٌ للخيل ، أى توسَّعى وتنحَّىْ . قال :

* وأىّ جوادٍ لا يقال له هلا *

وللناقة أيضاً ، وقال :

* حتَّى حَدَوناها بِهيد وهلا *

وهما زجران للناقة ، وقد تسكَّن بها الإناث عند دُنُوِّ الفحل منها . قال :

ألا حيِّيا ليلى وقولا لها هلا انتهى

فقد عكس الشارحُ كما ترى ، ففسَّرها بأسرعى دون اسكنى .

وقال ابن الأثير (فى النهاية) فى شرح حيَّهلا من حديث ابن مسعود : « إذا ذُكِر الصالحون فحيَّهَلاَ بعُمر » ، قال : أى أقبل به وأسرع ، وهى

---

(١) الأغانى ٤ : ١٣٢ وابن يعيش ٤ : ٧٤ وديوان النابغة الجعدى ص ١٢٤ .

(٢) الذى فى الرضى ٢ : ٦٧ : « ومنها هلا ، وله معنيان : اسكن ، وأسرع » ، فقط .

(٣) ش : « أو معروف » بزيادة « أو » من الناسخ مقرونة بكلمة « صح » . والحق أن الكلام هنا للبغدادى لا للرضى .

كلمتان جعلتا كلمة واحدة ، فحىَّ بمعنى أقبل وهَلاَ بمعنى اسكنْ عند ذكره حتى تنقضىَ فضائله . انتهى .

فهلاَ من حَيَّهلا إمّا بمعنى أسرع وإمّا بمعنى اسكن ؛ لأنها تأتى للمعنيين كما قال الشارح .

وكأنَّه رحمه الله أخذ كلامه من هنا لكنَّه لم يُنعم النظر .

وأورده الزمخشرى (فى مفصَّله) قال : ويستعملَ حىَّ وحدَه بمعنى أقبل ، وهَلاَ وحدَه . وأنشد البيت .

صاحب الشاهد

والبيت أول أبياتٍ للنابغة الجعدى الصحابىِّ هجا بها ليلَى الأخيليَّة . وبعده :

أبيات الشاهد

(ذرى عنكِ تَهجاءَ الرجال وأقبلى
إلى أذْلَقِىٍّ يملأ استَكِ فَيْشلا [(١)]
بُرَيذينةٌ بلَّ البراذينُ ثَفْرَها
وقد شربت فى أوّلِ الصَّيف أُيَّلا
وقد أكلت بقلاً وخِيماً نباته
وقد نكحت شرَّ الأخايل أخيلا
وكيف أهاجى شاعراً رُمْحُهُ استُه
خضيبَ البنان لا يزال مكحَّلا)

وقوله : (ألا حيِّيا) ، أى ابلغاها تحيَّتى ، على طريق الهزء والسخرية . وروى : ألا أبلغا ، أمَرَ مخاطبين بالتبليغ أو واحداً ، إما بتقدير الألف مبدلة من

---

(١) فى الديوان : « وأقبلى على أذلغى » .

نون التوكيد الخفيفة . وإمَّا من قَبيل خطاب الرجل صاحبه بخطاب الاثنين على عادتهم . وهلا هو المحكىُّ بالقول . ٣٢

وقوله : (فقد ركبَتْ) إلخ أراد أنها ركبتْ بسبب التعرُّض لى [١] أمراً واضحاً ظاهراً لا يخفى . وهذا يقال فى كل شَئ ظاهرٍ عُرف كما يُعرف الفرس الأغر المحجَّل . ومنه قول الشاعر [٢] :

وأيامُنا معروفةٌ فى عدوِّنا
لها غررٌ معروفة وحُجولُ

وروى : « لقد ركبت أيرا » بالمثناة التحتية بدل الميم ، وهو تحريف من الكتاب .

وقوله : « ذرى عنك » إلخ ذرِى : اتركى . وتَهجاء بالفتح : مصدر لمبالغة الهجاء . وأذلقىّ ، أى أير أُذْلَقىّ . والأذلقُ : السنان المسنون المحدَّد . قال صاحب العباب : ذلِق السنانُ بالكسر يذلق ذَلَقاً ، أى صار حديداً ، فهو ذَلِق ؛ وأسِنَّةٌ ذُلْق .

وقال العينى : أذلقىّ أى رجلٌ فصيح متقن .

وهذا لا مناسبة له هنا . ومِثله لبعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصل) ، وتبعه الكرمانى (فى شرح أبيات الموشح) قالا : أذلقىٌّ أى فصيح ، يقال فلانٌ ذلْق اللسان أى طليقُه . والأذلقىّ مبالغة . انتهى .

---

(١) ط : « التعرض بى » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٢) هو السموءل ، كما فى ديوانه ص ١٥ والحماسة ٢١ بشرح المرزوقى .

(٣) فى الديوان : « وأيامنا مشهودة فى قديمنا » .

وروى : « أذلغى » بدل « أُذلقىّ » بذال وغين معجمتين بينَهُما لام . قال صاحب العباب : ويقال للذكر أذلَغ وأذلغىٌّ ، ومِذْلغ بكسر الميم . والأذلغى : منسوب إلى بنى أذلغ : قومٌ من بنى عامر ، يُوصَفون بالنكاح . قال ابن الكلبى : الأذلغ هو عوف بن ربيعة بن عُبادة ، وأمه من ثُمالة .

وقال الأزهرى : الذكر يسمى أذلغ إذا اتْمَهَلَّ [1] فصارت تُومته مثل الشَّفَة المنقلبة . ويقال رجل أذلغ ، إذا كان غليظ الشفتين . وذلغ جاريته ، إذا جامعها . انتهى .

والفيشل ، بفتح الفاء : رأس الذكر ، ومثله الفيشلة . كذا فى العباب . وقال العينى : الفيشل : الذكر العظيم الكمرة . ولم أُره بهذا المعنى .

وقوله : « بريذينة حَكَّ البراذين » إلخ هو مصغَّر البروذنة . قال المطَرِّزى : البرذون : التركىّ من الخيل ، وهو خلاف العِراب . وقال ابن الأنبارى : البرذون يقع على الذكر والأنثى ، وربما قالوا فى الأنثى بروذنة . كذا فى المصباح . والثَّفر بفتح المثلثة وسكون الفاء . قال صاحب المصباح : الثفر ، مثل فَلْسٍ ، للسِّباع وكل ذى مخلب بمنزلة الفَرْج والحَيا للناقة . وربما استعير لغيرها .

وقوله : « وقد شربت من آخر » إلخ الأُيَّل ، بضم الهمزة وتشديد الياء المفتوحة : جمع آيل ، كقارح وقُرَّح . والآيل : اللبن الخاثر . وقيل اسم جمع له ، يقال آل اللبنُ يؤول أَوْلاً ، إذا خَثُرَ . وأراد ألبانا أُيَّلاً ، فحذف الموصوف . وقيل هو أَيِّل بفتح الهمزة وكسرها وتشديد الياء المكسورة ، وهو

---

(١) فى النسختين : « اذا تمهل » ، والصواب ما أثبت كما فى اللسان (ذلغ ٣٠٨) . وفى اللسان (تمهل) : « اتمهل الشئ اتمهلالا : أى طال ، ويقال اعتدل . وكذلك اتمأل واتمأر ، أى طال واشتد » .

الذَّكَر من الأوعال . والأنثى أيِّلة وأُروَّية . والأُيِّل هو ذو القرن الأشعب مثل الثَّور الأهلى ؛ وإنَّما سمى أيِّلا لأنه يؤول إلى الجبال يتحصَّن فيها . قال ابن السيِّد (فى شرح أبيات أدب الكاتب) : أراد لبن أيِّل ، فحذف المضاف وخصَّه دون غيره لأنه يهيِّج الغُلمة .

وقال صاحب العباب : قال شمر : هو لبن الأيايل . قال أبو الهيثم : هذا محالٌ ، ومن أين يوجد ألبانُ الأيايل .

وقال أبو نصر : هو البول الخاثر من أبوال الأروى ، إذا شربته المرأةُ اغتلمت . وهو يُغْلم ، أى يقوِّى على النِّكاح .

وقوله : « قد أكلتْ بقلاً وخيماً » إلخ الوخيم : الثقيل . ونَكَحت : تزوَّجت ، من باب ضرب . والأخايل : جمع أخيل ، قال صاحب العباب : بنو الأخْيَل : حيٌّ من بنى عُقَيل رهط ليلى الأخيلية . وقولها :

٣٣ نحنُ الأُخايل ما يزال غلامُنا

حتَّى يدبَّ على العَصَا مذكورا

وإنَّما جمعت القبيلة باسم الأخيل بن معاوية العُقَيلى . انتهى .

أراد أنها تزوجت بأشرِّ بنى أخيل . وأخيلَ صفة لشر ، لتأويله بمشئوم فإنَّ الأخيل هو الشقِرَّاق ، والعرب تتشاءمُ به .

وقوله : « وكيف أهاجى شاعراً » إلخ أى كيف أهاجى امرأةً بهذه الصفات . والاستفهامُ إنكارىٌّ . أى لا أهجو ؛ استنكافاً ممن بهذه الصفة .

وسبب هجو النابغة لليلى أنَّه كان يهاجى زوجها سَوَّار بن أوفى القُشَيرى ، فاعترضَتْ ليلى بينهما فهجت النابغة بشعر ، فهجاها بهذا الشعر ، فهجَتْه بقصيدةٍ منها هذه الأبيات :

أنابغ لم تنبغْ ولم تكُ أوَّلاَ
وكنتَ صُنَيًّا بين صُدَّينِ مَجهلاَ [1]

أنابغ إنْ تنبغْ بلؤمك لا تجدْ
للؤمك إلَّا وَسْطَ جعدةَ مجعَلا

أعيَّرتنى داءً بأمِّك مثلُه
وأىُّ حَصَانٍ لا يقال لها : هَلا

تُساورِ سَوَّاراً إلى المجد والعلا
وفى ذمَّتى لئن فعلتَ ليَفْعَلا

فَغَلبته ، ولهذا صار النابغة معدوداً من المغلَّبين . هذا هو الصحيح فى الرواية كما فى الأغانى وفى شرح شواهد إصلاح المنطق ، لا العكس [2] ، كما قاله ابن هشام (فى شرح الشواهد) ، وتبعه العينى وغيره .

ثم إنها وفدت إلى الحجاج بن يوسف فأعطاها ما سألت ، ثم قال لها : ألكِ حاجة بعد هذا ؟ قالت : نعم ، تدفعُ إلىَّ النابغة الجعدىَّ . قال : قد فعلتُ . فلما بلغ النابغةَ فعلُ الحجَّاج به خرج هارباً إلى عبد الملك بن مروانَ عائذاً به ، فاتَّبعته إلى الشام فهرب إلى قتيبة بن مسلم بخراسان ، فاتبعته [3] بكتاب الحجاج إليه ، فماتت بقومس . وقال ابن قتيبة : بساوَة ، وقبرت هناك .

---

(١) ديوان ليلى ١٠٠ . وانظر ما فيه من تخريج .

(٢) فى هامش طبعة بولاق : « قوله لا العكس إلخ أقول : راجعت شرح الشواهد لابن هشام فلم أر فيه عكس ما هنا ، بل مثله . كذا بهامش الأصل » .

(٣) فى النسختين : « فاتبعه » .

وقولها « أنابغ » أخ الهمزة للنداء . ونابغ : مرخَّم نابغة ، وهو لقبٌ والهاء للمبالغة . يقال نبغَ الرجل ، إذا لم يكن فى إرثِ الشّعر ثم قالَ وأجاد ، ومنه سمِّى النوابغ من الشعراءِ ، وهم ثمانية . واسم الجعدىّ قيس بن عبد الله ، وقد تقدَّمت ترجمته فى الشاهد السادس والثمانين بعد المائة [1] .

ونَبَغَ ينبغ بفتح الباء فى الماضى ، وبتثليثها فى المضارع ، إذا ظهر وعلا . وقولها : « ولم تك أوّلاً » أى لم تكن أوّلَ من قال شعراً ، وليس لك قدمٌ فيه . والصُّنَىّ : مصغر صِنو بكسر الصاد المهملة وسكون النون ، وهو حِسْىٌ صغير لا يَرِدُه أحد ولا يُؤْبَه له ، ويقال هو شقٌّ فى الجبل . كذا فى الصحاح ، وقال ابن السيد (فى شرح أبيات أدب الكاتب) : الصَّنَىُّ : شِعب ضيِّق بين الجبال ، وقيل هو الرماد ، وقيل هو الشئ الحقير الذى لا يُلتَفت إليه . والحِسْى بكسر الحاء وسكون السين المهملتين ، وهو الماءُ المتوارى فى الرَّمل . قال ابن السيرافى (فى شرح أبيات إصلاح المنطق) : لم تنبُغ : لم تَعْلُ ولم تُذكَر . والصُّنَىُّ : الحِسْى الصغير ، تريد أنه بمنزلة الحِسْى ، كهذا الماء الذى بين جبلين لا يرِدُه أحد . ومَجهَلا نعت لصُنَىّ . والصّد ، بضم الصاد وفتحها ، ويقال سد بالسين كذلك ، هو الجبل .

والمجعل : مصدرٌ ميمى بمعنى الجَعْل ، أى لم تجد من يجعلك شريفاً إلّا قومَك .

وقولها : « أعيرتنى داءً » ، أى : أنسبتنى إلى العار ، وهو كلُّ شئ يلزم منه عيبٌ أو سُبَّة ، يتعدى إلى المفعول الثانى بنفسه كما هنا . وبالباء أيضاً . ٣٤
قال المرزوقى (فى شرح الحماسة) : المختار أن يتعدَّى بنفسه . والحَصَان ،

---

(١) الخزانة ٢ : ١٦٧ .

بالفتح : المرأة العفيفة . وروى بدله « وأيُّ جواد ، وهو الفرس الجيِّدة . وقولها : « تُساوِرُ سوّارا » إلخ ، تساور : تواثب وتغالب .

وسوّار قال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : هو سوَّار بن أوفى القشيرى . وكان زوجَها . وصحَّفه بعضهم ورواه « تسوَّر سوَّار » ، والصواب ما رويناه .

وهذا البيت أورده سيبويه فى كتابه [١] على أنّ الألف فى ليفعلا أصلها نون التوكيد الخفيفة قلبت ألفا . واللام فى لئن موطئة للقسم ، واللام الثانية فى جواب القسم المقدرّ ، وجملة : يفعلا جواب القسم ،وجواب الشرط محذوف وجوباً ، وفى ذمتى خبر مبتدأ محذوف ، أى فى ذمتى القيام بما أدَّعيه لسوّار من أن يغلبك ، والله لئن فَعَلتَ ليفعلنَّ ، أى لئن واثبتَه ليواثبنَّك ويغلبنَّك .

وقال أبو على (فى إيضاح الشعر) قوله : « وفى ذمتى » قسم ، وجوابه ليفعلن . فإن قلت : إن قوله [٢] : وفى ذمتى ، ليس بكلام مستقل ، والقسم إنما هو جملة .

قلت : إنّه أضمر فى الظرف اليمين أو القسم ، لدلالة الحال عليه ، كما أُضمر فى قوله سبحانه : ﴿ ثمَّ بدا لهم [٣] ﴾ الفاعلُ ، وصار ليسجنُنَّه كالجواب ، لأنَّ بدا بمنزلة علم ، وذاك أنه عِلْمٌ . ومن لم يرفع بالظرف فينبغى أن يكون المبتدأ عنده محذوفا . ويبِّين ذلك قولهم : علىَّ عهد الله لأفعلنَّ . انتهى [٤] .

المبتدأ وجوباً إذا كان خبرُه صريحاً فى القسم ، كقولهم : فى ذِمَّتى لأفعلّن ، أى فى ذمتى يمين .

---

(١) سيبويه : ٢ : ١٥١ .

(٢) ش : « إن قولها » .

(٣) الآية ٣٥ من سورة يوسف .

(٤) يبدو أن بين هذا الكلام وتاليه سقطا تقديره : « ويحذف » وقد بيض له فى النسختين بمقدار نصف سطر .

وأنشد هذا البيت .

وإنَّما عدَّه صريحاً لأنه اشتهر استعماله فى القسم . وبه يسقط قول من قال كما نقله العينى : يحتمل أن يكون : فى ذمتى دَينٌ أو عهد ، فلا يفهم القسم إلا بذكر المقسم به .

* * *

وأنشد بعده :

(قدنىَ من نصر الخُبَيبينِ قدِى)

وقد تقدَّم شرحه مفصلا فى الشاهد الثالث بعد الأربعمائة [١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والخمسون بعد الأربعمائة [٢] :

٤٥٩ (ومَتَى أهلِكْ فلا أُحْفِلُه

بَجَلِى الآنَ مِنَ العَيْشِ بَجَلْ)

على أنَّ (بَجَلْ) كان فى الأصل مصدراً بمعنى الاكتفاء ، ثم صار اسمَ فعل بمعنى الأمر ، فإن اتَّصل به الكافُ كان معناه اكتف ، أمر مخاطب حاضر . وإن اتصلَ به الياء كان معناه لأكتفِ ، أمر متكلِّم نفسَه ، كما أنَّ قد وقَطْ كذلك . ففيه ضمير مستتر وجوبا تقديره فى الأول : أنت ، وفى الثانى : أنا .

ومثله (فى المفصل للزمخشرى) : أنَّ قدك وقطك بمعنى اكتفِ وانته . ولم يَذْكر معهما بجل .

---

(١) الخزانة ٥ : ٣٨٢ – ٣٩٦ .

(٢) ديوان لبيد ١٩٧ والحماسة بشرح المرزوقى ٢٩١ ، ٦٠٨ .

وكونها موضوعةً لهذا المعنى هو المتبادِر الظاهر من موارد استعمالها ، والمطَّرد فى كل موضع أتت فيه .

وذهب ابن مالك (فى التسهيل) إلى أنّ الثلاثة موضوعةٌ لأكتفى فعلاً مضارعا للمتكلم . وهو قريبٌ مما قالاه .

وقال أبو حيان (فى الارتشاف) : وأمَّا بجل فقد ذكروا أنَّها اسمُ فعل والياء فى موضع نصب بمعنى كفانى أو يكفينى . وإذا لم تلحق فهى بمعنى حسب .

٣٥ واقتصر المرادى (فى الجنَى الدانى) وابن هشام (فى المغنى) وغيرهما على أنَّها موضوعة ليكفى فعلا مضارعا غائباً . وهذا يحتاج إلى فاعل ظاهر ولا يتيسَّر فى بجلى الآن ، ولا فى قول طرفة بن العبد .

وقد أورده ابن هشام (فى المغنى) :

* أَلا بَجَلى من الشَّرابِ ألا بجلْ *

لعدم وجوده . ولمَّا رأوا أن لا فاعل اضطُّروا إلى جعل بجل فى البيتين بمعنى حسب ، وأثبتوا معنىً ثانياً لها . ولا ضرورةَ تدعو إليه ، ولهذا لم يذكر الشارح المحقِّق معنى حسب أصلاً ، حسما للانتشار من غير فائدة .

فإن قلت : إنَّ علماءَ اللغة المتقدِّمين كالأزهرى ، وابن دُريد ، والجوهرى وغيرهم ، إنما قالوا بَجَلْ بمعنى حَسْب ، ولم يتعرَّضوا لمجيئها اسم فعل فما وجهه ؟ قلت : هو راجعٌ إليه ، وإنما عبَّروا بحَسْب لقُرب المعنى تيسيراً للفهم . وهم يتساهلون فى تفسير بعض الألفاظ .

ولمّا كان غرض النحويّين متعلقا بأحكام الألفاظ دقّقوا النظر فبيّنوا حقيقتها ، وفَسَّروها بالفعل وسموها اسم فعل . ولا يصح أن تكون موضوعةً بمعنى حسب ، لأنَّ كلاًّ منهما لا يستعمَل استعمالَ الآخر . أمّا حَسْب فإنها اسمٌ معرب متصرِّف ، يقع مبتدأ وخبراً وحالا ومجروراً ، ويدخل عليها العوامل اللفظية . وبَجَلْ على خلاف هذا ، وإثبات هذه الأمور لها دُونَه خَرْطُ القتاد . وأمّا بجل فإنّ نون الوقاية تلحقها ، وحسب لا تلحقها ولا فى الندرة .

وقد أخذ ابن مالك بظاهر كلام أهل اللغة فأثبت مجئ بجلْ بمعنى حسب . وحَسْب ليست اسمَ فعل لدخول العوامل عليها ، ولم يُصِبْ من عدَّها من أسماءِ الأفعال ، كالقواس (فى شرح ألفية ابن معطى) ، ولا يجب لحاق نون الوقاية لبجل مع الياء ، بل يجوز بمرجوحيَّة .

قال الشارح المحقق هنا : وتجب نون الوقاية فى قد وقط دون بجل فى الأعرف ، لكونهما على حرفين دونه .

وقال فى باب المضمر : وكذا الحذف فى بجل أولى من الإثبات وإن كان ساكنَ الآخر مثل قد وقَطْ ، لكراهة لام ساكنة قبل النون ، وتعسُّر النطق بها .

ومثله لابن هشام (فى المغنى) : أنَّ لحاق النون لبَجل إذا كان اسمَ فعل نادر . وكذا حال جميع أسماء الأفعال ، يجوز إلحاق نون الوقاية وتركها . قال الشارح المحقق فى باب المضمر [١] : يجوز إلحاق نون الوقاية فى أسماء

---

(١) شرح الرضى ٢ : ٢٢ .

الأفعال ، لأدائها معنى الفعل ، ويجوز تركها أيضاً لأنها ليست أفعالاً فى الأصل . حكى يونس : عَلَيْكَنى ، وحكى الفرَّاء : مكانكِنِى [١] . انتهى .

وكذا قال الشاطبى (فى شرح الألفية) : حكى سيبويه فى أسماء الأفعال عليكنى وعليكى . بل ينبغى أن يكون إلحاق النون لاسم الفعل كالفعل من كل وجه ، فكما تقول تراكها : تقول تراكنى ، وفى رويد : رويدَنى ، وفى هلم الحجازية : هَلُمَّنِى . وكذلك سائر أسماء الأفعال المتعدِّية . وقد نص ابن مالك (فى شرح التسهيل) على جواز إلحاق النون فى اسم الفعل مطلقاً . انتهى .

وزعم ابن هشام (فى شرح الألفية) و (فى الجامع الصغير) وغيرهما أنَّ لحاقها لاسم الفعل واجب . وحينئذ يَرِدُ عليه ما استشكله الدمامينى (فى شرح المغنى) قال : هذا مشكل ، لأنها حيث تكون اسمَ فعل بمعنى يكفى فالنون واجبة لا نادرة . نعم إذا كانت بمعنى حسب جاز الأمران ، إلا أنَّ ترك النون أعرف من إثباتها ؛ فندور بَجَلنى بالنون إنما هو إذا كانت بمعنى حسب لا بمعنى يكفى .

٣٦ هذا كلامه وتابعه عليه الشُّمُنِّىُّ وناقشه بشىء لا طائل تحتَه . وقد لفَّق بين كلاميهما ابن المُلاَّ على عادته ، ولم يأت بشىء .

وقول الشارح المحقق : إلا أنَّ الضمير قد يحذف من بجل بخلاف قد وقط ، يعنى قد تستعمل مجردة من إلحاق ضمير المتكلم أو المخاطب كما فى البيت ، فإنَّ بجل الثانية تأكيد للأولى ، وليس معها ضميرٌ كالأولى . والمعنى عليه . ومثله قول طرفة :

---

(١) ش : « مكاننى » . صوابه فى ط وشرح الرضى .

* أَلاَ بَجَلى من الشَّرابِ أَلَا بَجلْ *

وكذلك قول بعض أهل البصرة فى يوم الجمل (١) :

* ردُّوا علينا شيخنا ثم بَجلْ *

يريد : ثم بَجَلْكم ، أى كفوا وانتهوا .

وزعم العينى أنَّ بجل الثانية حرفٌ بمعنى نعم ، ومع هذا هى تأكيد لبجل الأولى . وفيه أنَّ الحرف لا يؤكِّد الاسم ، لتغايرهما بالنوعية .

وقول الشاعر : (ومتى أهلك) إلخ متى جازمة . وأهلك شرط ، ولهذا جزم . وجملة (لا أحفله) فى محل جزم جواب الشرط . وهلك الشئ من باب ضرب ، وكذلك حَفَل من باب ضرب . قال صاحب العباب : وحَفَلتُ كذا أى باليْتُ به . ويتعدى بالباء أيضاً ، وهو الكثير . يقال حَفَلتُ بفلان ، إذا قمتَ بأمره . ولا تحفل بأمره ، أى لا تبال به ولا تهتمَّ به . واحتفلت به : اهتممت به . وضمير أحفله راجعٌ إلى الهلاك المفهوم من أهلك .

وهذا البيت من قصيدةٍ للبيد بن ربيعة الصحابى ، ذكر فيها أيامَه ومشاهدَه وما جرى له عند النعُّمان بن المنذر ملكِ الحيرة ، والتأسُّفَ على موته . إلى أن قال :

* فمتى أهلك فلا أُحْفِلُهُ * البيت

وبعده :

(مِن حياةٍ قد سئمنا طُولَها
وجديرٌ طولُ عيش أن يُمَلّْ)

(١) انظر وقعة صفين ٢٢٨ .

ثم رثَى أخاه لأُمه أربَد ، لموتِه بصاعقةٍ نزلت به بدعاء النبى ﷺ [١] ؛ لأنه كان جاء مع عامر بن الطفيل ، قاتلهما الله ، للغدر بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم .

وهذه القصيدة قالها قبل إسلامه . وتقدَّم شرحُ أبياتٍ منها فى الشاهد الخامس والعشرين بعد المائتين [٢] .

وترجمته تقدَّمت أيضاً فى الشاهد الثانى والعشرين بعد المائة [٣] .

وقوله : « من حياة » بدل من قوله : « من العيش » فى البيت السابق .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الستون بعد الأربعمائة [٤] :

٤٦٠ (أنشأتُ أسألهُ ما بالُ رُفقتِهِ
حَيَّ الحُمولَ فإنَّ الركبَ قد ذهبا)

على أنَّ (حيَّ) جاء متعدياً بمعنى ائت الحمول ، جمع حِمل بالكسر .

وهذه رواية الجوهرى (فى الصحاح) ، وكذا رواه خَطّاب بن يوسف (فى كتاب الترشيح) وقال : أخذ يسأل غلامه : ما بال الرفقة ؟ وأين أخذَتْ ؟ ثم قال له : حيَّ الحمول يا غلام ، أى ائتها وحُثَّها . انتهى .

نقله عنه أبو حيان (فى التذكرة) .

---

(١) من « وسلم » هنا إلى « وسلم » التالية ساقط من ش .

(٢) صوابه : « الثامن والعشرون بعد المائتين » . الخزانة ٣ : ٣٦٨ .

(٣) الخزانة ٢ : ٢٤٦ .

(٤) ابن يعيش ٤ : ٣٧ . وانظر اللسان (حيا ٢٤٣) .

وقد روى البيت أبو على : (فى كتاب إيضاح الشعر) والسُّهيلى (فى الروض الأُنف) هكذا :

أنشأتُ أسألهُ عن حال رُفقته

فقال : حَيَّ فإنّ الركبَ قد ذهبا

وعليه فليس بمتعدٍّ . ورواه الأخفش أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشِعى (فى كتاب المعاياة) :

وقلتُ أسألهُ عن حال رُفْقته

فقال:حيَّ فإنَّ الركبَ قد ذَهَبا

٣٧ وقال : أراد بقوله : حَيَّهلَ ، فنقصه . والرفقة بضم أولها وتكسر . وجعل الركب بمنزلة الواحد . ا هـ .

أى بالنظر إلى قوله ذهب بالإفراد ، ولو كان راعى معناه لقال : ذهبوا .

وقال ابن أبى الربيع [١] . حيَّ تستعمل مركبة وغير مركبة . فإنْ كانت غير مركبة كانت بمنزلة أقبلْ ، فتتعدى بعلى ، وإذا كانت مركبة كانت متعدِّية بمنزلة ائت . انتهى .

وقوله : (أنشأت) أى شرعت أسأل غلامى كيف أخذ الركبُ . و(البال) : الحال والشأن . و (الرفقة) ، قال صاحب المصباح : هى الجماعة ترافقهم فى سفرك ، فإذا تفرَّقتم زال اسم الرفقة . وهى بضم الراء فى

---

(١) فى النسختين : « ابن الربيع » ، والصواب ما أثبت . وهو عبيد الله بن أحمد ، شيخ أبى حيان ، وله شرح الايضاح . وسيأتى على الصواب فى ٢٦٢ .

لغة تميم ، والجمع رفاق ، مثل بُرمَة وبرام ، وبكسرها فى لغة قيس ، والجمع رِفَق مثل سِدْرة وسِدَر . وقوله : (حيَّ الحُمول) مقول لقول محذوف ، أى فقال : حيَّ الحمول ، وهو مصرَّح به فى رواية غير الجوهرى . قال صاحب المصباح : وراكب الدابة جمعه رَكْب ، مثل صاحب وصحب ، ورُكبان . انتهى . وقال ابن قتيبة (فى أدب الكاتب) : الرَّكب : أصحاب الإبل ، وهم العَشَرة ونحو ذلك . قال ابن السيد (فى الاقتضاب) : هذا الذى قاله ابن قتيبة قاله غير واحد . وحكى يعقوب عن عُمارة بن عَقيل [1] قال : لا أقول راكب إلَّا لراكب البعير خاصَّة ، وأقول لغيره فارسٌ وبَغَّال وحَمَّار . ويقوِّى هذا الذى قاله قول قُريط العنبرىّ :

فليتَ لى بهمُ قوماً إذا ركبُوا
شنوُّا الإغارةَ فُرساناً ورُكبانا

والقياس يوجب أنَّ هذا غلط ، والسماع يعضُد ذلك . ولو قالوا إن هذا هو الأكثر فى الاستعمال لكان لقولهم وجه . وأما القطع على أنّه لا يقال راكب ولا ركب إلَّا لأصحاب الإبل خاصَّة فغير صحيح ، لأنَّه لا خلافَ بين اللغويِّين فى أنّه يقال ركبت الفرس وركبت البغل ، وركبت الحمار . واسم الفاعل من ذلك راكب ، وإذا كثُرت الفعل قلتَ ركَّاب ورَكُوب . وقد قال الله تعالى : ﴿ والخَيْلَ والبِغالَ والحَمِيرَ لتَركَبُوها [2] ﴾ فأوقع الرُّكوب على الجَميع . وقال امرؤ القيس :

---

(١) يعقوب ، هو ابن السكيت . وفى النسختين : « بن عمارة بن عقيل » . والصواب ما أثبت . وانظر إصلاح المنطق ٣٣٨ الطبعة الثالثة .

(٢) الآية ٨ من النحل .

إذا ركبوا الخيلَ واستلأموا
تَحَرَّقتِ الأرضُ واليوم قَرّ [١]

وقال زيد الخيل الطائىُّ :

وتَركبُ يوم الرَّوع فيها فوارسٌ
بَصيرون فى طَعْن الأباهر والكُلَى [٢]

وهذا كثير فى الشعر وغيره . وقد قال الله تعالى : ﴿ فرجالاً أو رُكْبانا [٣] ﴾ . وهذا اللفظ لا يدلُّ [٤] على تخصيص شئ بشئ ، بل اقترَانُه بقوله فرجالاً يدلُّ على أنّه يقع على كلِّ ما يُقَلّ على الأرض .

ونحوه قول الراجز :

بَنَيْتُهُ بِعُصبةٍ من ماليا أخشى رُكَيباً أورُجَيلا عاديا [٥]

فجعل الرَّكب ضدَّ الرجْل ، وضدُّ الرجْل يدخل فيه راكبُ الفرس وراكب الحمار وغيرهما . وقول ابن قتيبة أيضاً إنّ الرَّكْب العشرة ونحوُ ذلك ، غلطٌ آخر ، لأنَّ الله تعالى قال : ﴿ والرَّكْبُ أسفَلَ منكم [٦] ﴾ يعنى مشركى قريش يومَ بدر ، وكانوا تسعَمائة وبضعةً وخمسين . والذى قاله يعقوب فى

---

(١) ط : « تحرقت » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح ، والديوان ١٥٤ .
(٢) ط : « منا فوارس » ، وأثبت ما فى ش ، وهو يطابق ما سيأتى فى الشاهد ٧٨٥ .
(٣) الآية ٢٣٩ من البقرة .
(٤) فى النسختين : « يدل » ، والوجه ما أثبت .
(٥) لأحيحة بن الجلاح فى الخزانة ٢ : ٢٣ .
(٦) الآية ٤٢ من الأنفال .

الركب هم العشرة فما فوقها . وهذا صحيحٌ ، وأظنُّ أن ابن قتيبة أراد ذلك ٣٨
فغَلِط فى النقل . انتهى .

وقبل البيت الشاهد :

(تَعدو بنا شَطْرَ جَمْعٍ وهى عاقدةٌ
قد قارب العَقْدُ من إيفادها الحَقَبا)

وتعدو ، أى الناقة ، من العَدْوْ ، وهو ما قارب الهَروَلة ، وهو دُون الجرى . وبنا أى بى وبغلامى ؛ فإنَّه كان زميلى على الناقة . والشَّطر هنا بمعنى الجهة . وجَمْع : اسم المزدلفة . وسمّيت به إمّا لأنَّ الناس يجتمعون بها ، وإمّا لأنَّ آدم اجتمع هناك بحوَّاء . والعاقدة : الناقة التى قد أقرَّت باللقاح ، لأنَّها تعقِد بذنبها فيُعلم أنَّها حملت . وقيل : العاقدة : التى تضع عنقها على عَجُزها . والإيفاد : الإسراع ، مصدر أوفدَ بالفاء ، أى أسرع . والحَقَب ، بفتح المهملة والقاف : حبل يشدُّ به الرحلُ إلى بطن البعير مما يلى ثِيلَه ، أى ذكره ، كى لا يجتذبه التّصدير . تقول منه : أحقبت البعير . وروى أيضا :

تعدو بنا شَطَر جَمع وهى مُوفِدةٌ
قد قارب الغَرْض من إيفادها الحَقَبا

ومُوفِدة : اسم فاعل بمعنى مسرعة ، من الإيفاد المذكور . والغَرْض ، بفتح الغين المعجمة وسكون الراء المهملة بعدها ضاد معجمة ، ويقال له غُرضة بالضم ، وهو التَّصدير ، وهو للرَّحل بمنزلة الحِزام للسَّرج ، والبِطان للقَتب . يقول : قد لوت عنقَها وعَسَرت بذنَبها [1] ،

---

(١) عسرت بذنبها : رفعته فى العدو ، أو بعد اللقاح . ط : « عشرت » صوابه فى ش .

وتخامصت ببطنها ، فقرب كلُّ واحدٍ من الغَرْض والحقب ، من صاحبه ، وذلك من شدَّة السير .

صاحب الشاهد

والبيتان من قصيدة لابن أحمر . كذا أورد البيتين السهيلى (فى الروض الأنف) : قال الحافظ مُغُلْطاى (فى حاشيته عليه) : وفيه نظر ، من حيث أنَّ الذى فى ديوان ابن أحمر أَنّ ذلك البيتَ بعد قوله :

أبيات الشاهد

(قالوا : عَيِينا فما نَدرِى وقد زعموا
أنْ قد مضى منهُم ركبٌ فقد نَصِبا [١]

إمَّا الجَبَالُ وإمَّا ذو المجاز وإ
مَّا فى مِنىً سوف تلقى منهم سَبَبا

وافيتُ لمَّا أَتانى أَنَّها نزلَتْ
إنّ المنازلَ مما يجمعُ العجبا

ثُمَّ ارتمينا بقولٍ بَيننا دَوَلٍ
بين الهباءين لا جدًّا ولا لعبا [٢]

فى طَمْيَةِ النَّاس لم يشعُر بنا أحدٌ
لما اغتنمنا جبال اللَّيل والصَّخَبا

حتَّى أتيت غلامى وهو ممسكُها
يدعو يساراً وقد جرَّعتُه غضبا

أَنشأت أسأله ما بال رفقته .... البيت) . انتهى .

---

(١) ط : « عيينا فابذرى » ، صوابه فى ش .

(٢) ش : « لا حذا ولا لغبا » .

عمرو بن أحمر

وهو شاعر إسلامىٌّ فى الدولة الأموية.وهجا يزيد بن معاوية فأراد يزيد أن يأخذه ففَرَّ منه ولم يقدِر عليه .

قال الجواليقى (فى شرح أدب الكاتب) : هو عمرو بن أحمر ، من باهلة ، وهو أحدُ عُورانِ قيس ، وهم خمسة شعراء : تميم بن أبىّ بن مقبل ، والرَّاعى ، والشَّمَّاخ ، وابن أحمر ، وحميد بن ثَور .

وقال ابن الشجرى (فى أماليه) : هو عمرو بن أحمر بن العمرَّد بن عامر بن عبد شمس بن معن بن مالك بن أعصُر بن سعد بن قيس بن عيلان ابن مُضَر . وكان من شعراء الجاهليَّة وأدرك الإسلام .

وأورد الآمدى (فى المؤتلف والمختلف) من يقال له ابن أحمر أربعة ، وقال : منهم عمرو بن أحمر الباهلى . قال ابن حبيب : هو عمرو بن أحمر بن العمرَّد بن عامر بن عبد شمس بن عبد بن قدام بن فَرَّاص [1] بن معن ، الشاعر الفصيح ، كان يتقدّم شعراء أهلِ زمانه . وقد ذكرتُ حاله وأشعاره مع الشعراء المشهورين . انتهى .

٣٩

وأورده ابن حجر (فى قسم المخضرمين من الإصابة) وقال : قال المرزبانى : هو مخضرم أدرك الجاهليَّة والإسلام فأسلم ، وغزا مغازىَ فى الروم ، وأُصيب بإحدى عينيه هناك ، ونزل الشام ، وتوفِّى على عهد عثمان بعد أن بلغ سنًّا عالية . وقال أبو الفرج : كان من شعراء الجاهلية المعدودين ، ثم أسلم وقال فى الإسلام شعراً كثيراً ، ومدح الخلفاءَ الذين أدركهم ، ولم يلقَ أبا بكر ، ومدح عمر فمن دونه إلى عبد الملك بن مروان .

(١) وردت « فراص » فى النسختين والمؤتلف ٣٧ بالقاف ، صوابه فى جمهرة ابن حزم ٢٤٥ والمعارف ٣٦ والاشتقاق ٢٧٤ والقاموس (فرص) .

وهذا يخالف قول المرزبانى : إنّه فى عهد عثمان .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والستون بعد الأربعمائة :

٤٦١ (يتَمارَى فى الذى قُلْتُ له
ولقد يَسمعُ قولى حَيَّهَلْ)

على أن لبيداً سكَّن اللام لِلقافية ، ولا يجوز تسكين اللام فى غير الوقف .

تبع الشارح المحقق فى هذا صاحبَ الصحاح ، فإنّه قال : وأما حَيَّ هلا ، بلا تنوين فإنما يجوز فى الوقف ، وأمّا فى الإدراج فإنها لغة رديئة . وأما قول لبيد يذكر صاحباً له فى السَّفر كان أمَره بالرحيل :

يتمارَى فى الذى قلت له .... البيت

فإنّما سكنه للقافية .

وأصله من (كتاب الأصول لابن السراج) قال : وأمّا حيَّهل فإذا وقفت فإن شئتَ قلت حيَّهلْ بالسكون ، وإنْ شئت قلت حَيَّهَلَا ، تقف على الألف كما وقفت فى أنا . انتهى .

وتبعه أبو على (فى إيضاح الشعر) ، وسيأتى كلامه .

والصحيح أنَّ تسكين اللام لغةٌ سواء كان فى الوقف أم فى الدَّرْج . قال أبو حنيفة الدينورى (فى كتاب النبات) : حيَّهل وحيَّهلا وحيَّ على ، يقال فى الاستسراع والاستحثاث . وقال زكريا الأحمر [٢] : فى حيَّهل ثلاث لغات :

---

(١) الخصائص ٣ : ٤٦ وابن يعيش ٤ : ٤٢ ، ٤٥ ويس ٢ : ٩٩ وديوان لبيد ١٨٣ .

(٢) فى إنباه الرواة ٤ : ١١٤ « أبو زكريا الأحمر ، من الأعراب » .

يقال حيَّهلْ بفلان بجزم اللام ، وحيَّهلَ بفلان بحركة اللام ، وحيَّهلًا بفلان بالتنوين . وقد يقولون من غير هل ، من ذلك : حيَّ على الصلاة . انتهى .

فهل تكون لغةً فى هلَا ، كما قال ابن جنى (فى الخصائص) عند الكلام على هَلُمَّ . وهو : قال الفراء : أصل هَلُمَّ هلْ زجر وحثٌّ دخلت على أُمَّ كأنها كانت : هَلْ أُمّ ، أى اعجل واقصِد . وأنكر أبو علىٍّ عليه ذلك وقال : لا مدخلَ هنا للاستفهام . وهذا عندى لا يلزم الفرَّاء ، لأنه لم يدَّعِ أن هل هنا حرفُ استفهام ، وإنَّما هى عنده زجر ، وهى التى فى قوله :

* ولقد يسمع قولى حيَّهلْ *

قال الفراءُ : فأُلزمت الهمزة فى أُمَّ التخفيفَ فقِيلَ : هلمَّ . انتهى .

وقال ابن عصفور : إنَّ حيهلا مركبة من حىّ وهلا ، إلَّا أنَّ ألف هلا تحذف فى بعض اللغات تخفيفاً .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدةٍ طويلة للبيد بن ربيعة الصحابى ، قد شرحناه مع أبيات قبله فى الشاهد الخامس والعشرين بعد المائتين [(١)]

و (التمارى) : المجادلة ، ومثله الامتراءُ ، وهما من المرية بالكسر ، وهى الشكُّ . وحَيَّهَلْ : بمعنى أسرِعْ .

وقول الشارح المحقِّق : « وفى الكتاب الشعرى لأبى علىّ : حيهَّلٍ بكسر اللام وتنوينه » ، أراد به كتاب (إيضاح الشعر) فإنّه يعبِّر عنه تارة بالأوّل ، وتارة بالثانى ، وتارة بكتاب الشعر . وهذا نصُّه فيه :

---

(١) صوابه « الثامن والعشرين بعد المائتين » . الخزانة ٣ : ٣٦٨ .

وقد وصلوها بهَلْ فقالوا حيَّهَلْ . وزعم أبو الخطاب أنَّ بعضهم يقول حيَّ هلِ الصَّلاة . وقال أبو زيد : حَيّ هَلْ ، وحَيَّ هَلَ ، وحيَّ هَلاً . والقول فى حيّ هلٍ أنّ التنوين دخله للتنكير ، كما دخل فى صَهٍ ونحوها . وكأنّه قدّر فيه الإسكان ، كأنّه قال حيَّ هل على الوقف ، كما قال لبيد : ٤٠

* ولقد يسمع قولى حَيَّهل *

فكسر اللام كما كسر الذال فى يومئذ . ولا يجوز أن تكون حركة اللام للإضافة ، لأنَّ هذه الأسماء التى سميت بها الأفعال لا تضاف ، ألا ترى أنّه قال : جعلوها بمنزلة النَّجاك ، أى لم يضيفوها إلى المفعول كما أضافوا المصادرَ وأسماء الفاعلين إليه .

ويجوز أنْ يكون لمّا نكرِّ حرِّك بالكسر ليكون على لفظ غيره من أمثاله من النكرات ، نحو صهٍ وإيهٍ ، ولمّا جرى فى كلامهم غيرَ مضاف لإجرائهم إياه مجرى الفعل لنصبهم الأسماء المخصوصة بعده لم يستجيزوا إضافتها إلى المفعول به ، فيكون ما لم يُجعَل بمنزلة الفعل على حدٍّ ما جُعل من هذه الأسماء بمنزلته . ألا ترى أنَّ الأسماء لم تُجعَل بمنزلة الفعل مفردة حتى ينضم إليها جزء آخر وإن كان فيها ضمير ، لأن الضمير الذى فى اسم الفاعل لما لم يظهر فى أكثر أحواله صار لا حكم له ، فإذا لم يضيفوا هذا البابَ لأن إضافته يخرج بها عن الحدِّ الذى استُعملت عليه ، علمتَ أن الكاف فى حيَّهلك للخطاب ، لا لضمير الاسم . وإذا كان كذلك علمتَ أن الكاف فيه مثلُ الهاءِ فى : هَهُنَاهُ وهؤلاء ، فى أنّها لحقت الألف لتبيِّنها لما لم يلتبس بالإضافة . فكذلك الكاف فى حيهلك لحقت للخطاب حيث لم يجزْ لحاق التى تكون اسماً فى هذا الموضع ، كما لم تلحق الهاء التى لحقت فى هَهُناه أفعاه ونحوها . والضمير الذى فى حيهل

ينبغى أن يكون فى مجموع الاسمين ، ولا يكون فى كلٍّ واحد منهما ضميرٌ كما كان فى حيَّ على الصلاة ضمير ، لأن الاسمين جعلا بمنزلة اسم واحد ، كما أنَّ خمسة عشر بمنزلة مائة . فكما أن خمسة عشر حكمه حكم المفرد ، كذلك حيّ هلْ حكمه حكم المفرد . وإذا كان كذلك كان متضمنا ضميراً واحداً . ويدلُّك على ضم الكلمة الثانية إلى الأولى قولُ ابن أحمر :

أنشأت أسألُه عن حال رُفقتِه ... فقال : حيَّ فإنَّ الركَب قد ذَهَبا

انتهى . وعُلِم من قوله : والضمير الذى فى حيهل ينبغى أن يكون فى مجموع الاسمين ، أن ما نقله الشارح المحقق عنه وعنْ أبى على ، حالُهُمَا مع التركيب فى احتمال الضمير ، كحال حلو حامض إلى آخر ما نقله – مخالفٌ لما هنا ، ولعله نقله عنه من كتابٍ آخر له . والله أعلم .

ونقل أبو حيان (فى الارتشاف) عن (النهاية لابن الخباز) ، قيل : فى حيّ وهلا ضميران ؛ لأنهما فى الأصل اسما فعلِ أمر ، فكلُّ واحدٍ منهما يستحق الضمير ، وقيل فيهما ضميرٌ واحد ، لأنهما بالتركيب صارا كالكلمة الواحدة . ويدلُّ على ذلك أنَّ حيَّ وهل لا يتعدَّيان ، فلما ركِّبا تعدَّيا ، فدلَّ على أن حكم الإفراد قد زال . وقوله :

* يوم كثيرٌ تَناديهِ وحيَّهَلُه (١) *

أضافَهُ إلى الضمير وأَعرَبَهُ . انتهى .

(١) لرجل من بنى أبى بكر بن كلاب ، انظر سيبويه ٢ : ٥٢ وهو الشاهد التالى .

وحاصل ما ذكر الشارح من لغاتِ حَيّهل ثمانية :

أولها : حَيَّهَلَ بحذف الألف وإبقاء فتح اللام . قال ابن عصفور (فى شرح إيضاح أبى على) : إذا وقفت عليها فى هذا الوجه جاز أن تقف بالسكون ، وأن تقف بالألف لتبيِّن حركة المبنى فى الوقف .

ثانيها : حَيَّهْلَ بسكون الهاء وفتح اللام بلا تنوين .

ثالثها : حيَّهَلاً بفتح الهاء والتنوين

رابعها : حَيَّهْلاً بسكون الهاء والتنوين . ولا ينبغى أن يعدَّ المنوّن من اللغات ، إذ التنوين فى اسم الفعل للتنكير . وإذا كان غير منون فهو معرفة [1] فإن المجرد من التنوين غير المنون . ٤١

قال أبو حيان (فى الارتشاف) : ولا يكون المنوَّن إلّا بمعنى ائت . ويرِد عليه : « فحيَّهَلاً بعمر » ، فإنه بمعنى أَسْرِعْ بذكره .

خامسها : حيَّهَلاَ فى الوقف ، بفتح الهاء وسكون الألف وحذف التنوين [2] فيهما .

وقال ابن عصفور : هذه اللغة تكون فى الوقف والوصل . ولم يقيِّد كونها رديئة فى الوصل كما قيَّد الشارحُ المحقق تبعاً لصاحب الصحاح .

وقال ابن أبى الربيع : منهم من يقول : حَيَّهلاَ فى الوصل والوقف ؛ لأنَّ

---

(١) بعدها بياض فى النسختين ، كما سقطت كلمة « فإن » التالية من ش .

(٢) الكلام بعد « بعمر » السابقة فى س ١١ إلى هنا ساقط من ش .

هلا صوت ، أو لأنه من إجراء الوصل مجرى الوقف ، أو لأن منهم من يقول حَيَّهَلْ بالسكون فى الوصل ، فإذا وقف وقَف بالألف ، فتكون الألف عوضا من هاء السكت كألف أنا .

وكذلك قال أبو حيان (فى الارتشاف) : إن حَيَّهلا بإثبات الألف تكون وصلاً ووقفاً ، كما قال الشاعر :

* بحَيَّهَلاَ يُزْجون كلَّ مطيَّةٍ *

سادسها : حيّهَلْ بسكون اللام فى الوقف . وأطلق أبو حيان تبعاً لابن عصفور ، سواء كان فى الوقف أم الوصل . وقال الراعى (فى شرح الألفيَّة) ذكر سيبويه فى حَيَّهَل ثلاث لغات : فتح اللام بلا تنوين ، وفتحها مع التنوين ، وفتحها مع الإشباع . وزاد ابن سيده تسكين اللام . قيل : وما سمع منه لا حجّة فيه ؛ لاحتمال أن يكون للوقف . انتهى . وفيه ما تقَدمّ عن (كتاب النبات) . وهذا نص سيبويه : من العرب من يقول حَيَّهلَ إذا وصل ، وإذا وقف أثبت الألف . ومنهم من لا يثبت الألف فى الوقف والوصل . انتهى .

سابعها : حيَّهلٍ بكسر اللام والتنوين . وظاهره أنَّ الهاء فى هذه اللغة يجوز سكونها أيضا .

ثامنها : حَيَّهلَك بفتح اللام وإلحاق الكاف التى هى حرف خطاب . ولم أعرف هل يجرى مع الكاف سكون الهاء أيضاً أم لا .

قال ابن عصفور : وتستعمل فى جميع ذلك متعدِّية بنفسها ، وبإلى ، وبعلى ، وبالباء . فإذا تعدَّت بنفسها كانت بمعنى ائت ، وإذا تعدَّت بإلى

أو بعلى كانت بمعنى أقبِلْ ، وإذا تعدَّت بالباء كانت بمعنى جِئْ . انتهى .

وقول الشارح المحقق [١] : إن الباء للتعدية كذهبت به ، فيه أنَّهم ذكروا أنَّ باء التعدية فى ذهبت به غير التعدية المشهورة ، وذلك أن مدخولها يكون فاعلاً فى المعنى كقوله تعالى : ﴿ ذهَبَ الله بنورِهِمْ [٢] ﴾ ، أى جعله ذاهباً ، فهى تساوى همزة التعدية . وهذا المعنى لا يجرى هنا .

وقول الشارح المحقق : وقد تركَّب [٣] حَىّ مع هلا إلخ ، قال ابن عصفور : إذا ركِّبت حىّ مع هلا فالأكثر أن تستعمل [٤] لاستحثاث العاقل تغليباً لحىَّ . ومنهم من يغلِّب هَلاَ فيستعملها لاستحثاث غير العاقل ؛ وذلك قليل . وقد يستعمل كلُّ واحدة منهما على انفرادها ؛ فإذا استعملت حىَّ وحدها كانت بمعنى أقبل ، وإذا استعملت هَلاً على انفرادها كانت بمعنى تقدَّمْ . وحَىَّ خاصَّةٌ باستحثاث العاقل ، وهلا باستحثاث غير العاقل . وقد تستعمل هلا فى العاقل إلا أنَّ ذلك قليل . ومن ذلك قوله :

* ألا حيِّيا ليلى وقولا لها هَلا * انتهى

وقال أبو حيان (فى الارتشاف) : وحيِّهل مركبة من حىَّ ومعناها أقبل ، ومن هَلْ وهلا . قال ابن هشام : بمعنى عجِّل ، وقيل بمعنى قرَّ وتَقَدَّمْ ، وقيل إنَّها [٥] صوت الإبل . انتهى .

---

(١) الكلام بعده إلى « الشارح المحقق » التالية ساقط من ش .

(٢) الآية ١٧ من سورة البقرة .

(٣) ش : « قد تركب » ، وأثبت ما فى ط وشرح الرضى ٢ : ٦٨ .

(٤) ط : « يستعمل » ، وأثبت ما فى ش .

(٥) ط : « انهما » ، وأثبت ما فى ش .

وزعم الراعى (فى شرح الألفية) أنَّ حيّهل كلمة واحدة عند الجمهور وقيل مركبة . انتهى .

وهذا خلاف المنقول .

تتمـــة

قال أبو حنيفة الدينَوَرىُّ (فى كتاب النبات) : الحَيَّهَل : نبت من دِقِّ الحَمض ، الواحدة حَيَّهَلة ، سمِّيت بذلك لسُرعةِ نباتها . قال حُميد بن ثور :

٤٢

* دميث به الرمْث والحَيَّهَلْ [١] *

والرِّمث أيضا من الحمض . فأما أبو زياد فقال : الحَيْهل ، فخفف الياء وسكَّنها فيما بلغنى عنه ، وقال : الحَيْهَلُ ينبت فى السِّباخ ، وإذا أُخصب الناسُ ومُطِرُوا هلك ، فلا يكاد يرى منه نبت ، فإذا أسنَتُوا وذهبت الأمطار نبت فى مواضعه [٢] ، وهو دُقاق قَصِفٌ ليس لها خشب ولا حطب ، وإنما يأكله من الإبل الإبلُ التى عوَّدوها إياه . يحبِسونها فيه حين لا تجد شيئاً تأكله ، وربما قتل الإبلَ فى أوّل أمرها ، وذلك إذا أُكلته ثم كظَم عليها لا تسلح ، فإذا سلحت نجت وطابت بطونُها . انتهى باختصار .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والستون بعد الأربعمائة وهو من شواهد س [٣] :

---

(١) ملحقات ديوان حميد ١٢٨ عن اللسان (هلل ، بثا) ، وصدره :

* بمَيْثٍ بَثَاءٍ نصيفية *

والرواية فى الموضع الأول : « دميث بها » ، وفى الثانى عن التهذيب : « دميث به » .

(٢) ش : « موضعه » .

(٣) فى كتابه ٢ : ٥٢ . وانظر المقتضب ٣ : ٢٠٦ وابن يعيش ٤ : ٤٦ .

٤٦٢ (فهيَّج الحىَّ من كَلْبٍ فَظَلَّ لهم
يومٌ كثيرٌ تنادِيه وحيَّهَلُهْ)

على أن ضمة اللام حركة إعراب ، وهو مفرد بلا ضمير .

قال سيبويه : وأمَّا حيهل التى للأمر فمن شيئين ، يدلُّك على ذلك : حَىَّ على الصلاة . وزعم أبو الخطاب أنَّه سمع من يقول حَىْ هلَ الصَّلاةَ . والدليل على أنَّهما جعلا اسماً واحداً قولُ الشاعر :

وهَيَّج الحىَّ من دارٍ فظلَّ لهم
يومٌ كثير تناديه وحيَّهلُهْ

والقوافى مرفوعة . وأنشدناه هكذا أعرابىٌّ من أفصَح الناس ، وزعم أنَّه شعرُ أبيه . انتهى .

قال الأعلم : الشاهد فى قوله حَيَّهَلُه وإعرابُه بالرفع ، لأنه جعله وإن كان مركبا من شيئين ، اسماً للصوت ، بمنزلة معديكرب فى وقوعه اسماً للشخص ، وكأنَّه قال : كثيرٌ تناديه وحَثُّه ومبادرتُه ، لأن معنى قولهم حيَّهَلْ عجِّل وبادِرْ . وصَف جيشاً سُمِع به وخِيف منه ، فانتُقِل عن المحلِّ من أجله وبُودِر بالانتقال قبل لحَاقه . انتهى .

و (فى شرح أبيات المفصّل) لابن المستوفى : وقال السيرافى : زعم سيبويه أن الشعر لرجلٍ من بنى أبى بكر بن كلاب [1] ، واحتجَّ به ليُرِىَ أنّه من شيئين ، إذ ليس فى الأفعال والأسماء المفردة مثلُ هذا البناء . قال ابن السرَّاج فى حيهله : جعله اسماً واحدًا كحضرموت ، ولم يأمر أحداً بشئ . قال

(١) فى النسختين : « بكر بن كلاب » ، والصواب من الجمهرة ٢٨٢ ، وذكر أن أبا بكر هذا اسمه « عبيد » .

سيبويه : والقوافى مرفوعة ، أى إنه جعله بمنزلة اسم واحد ، ولو لم يكن كذلك لقال وحيَّهلَه بالفتح . وجميع ما يجرى هذا المجرى إذا جُعِل علماً أُعرِب . وقالوا : إذا قال حيَّهلا تركه على البناء مع التسمية ، وإذا قال حيهلُه أعرَبه كما يعرب وبارِ إذا سمِّى به . ووجدتُه يُروَى لرجلٍ من بَجيلة . انتهى .

و (هيَّج) بمعنى فرَّق ، وفاعله ضمير الجيش على ما قال الأعلم . و(الحى) : القبيلة مفعولُه . وقوله : (من كلب) هى قبيلة . ولم أره كذا إلَّا هنا ، وأمَّا فى كتاب سيبويه ، وفى المفصل وشروحهما ، فقد رأيت بدله (من دار) . قال أبو عبيد (فى معجم ما استعجم) : دار معرفة لا تدخله الألف واللام ، قال ابن دريد : هو وادٍ قريبٌ من هَجَر ، معروف . انتهى .

و (ظلَّ) بمعنى استمر . ويومٌ فاعل ظلّ ، وتناديه فاعل كَثير . و(التنادى) : تفاعل ، مصدرٌ من نادى القومُ بعضُهم بعضاً . و (حيهلُه) معطوف عليه .

وقال بعض فُضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصل) : قيل فاعل هيّج غراب البين وقد ذُكِر قبل . ويجوز أنْ يكون هيّج وظلّ متوجِّهين إلى يومٌ على التنازع . وظل لهم يوم ، من باب قولهم : نهارُه صائم ؛ لأن الظُّلول فى الحقيقة للقوم لا لليوم . وروى : (فظلَّلهُم) موصولا . ومعناه دنا منهم يومٌ ، وحقيقتُه : ألقى عليهم ظِلَّه . انتهى . ٤٣

والبيت من أبيات سيبويه الخمسين التى ما عُرِف قائلها . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والستون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س [١] :

٤٦٣ (بحَيَّهلاَ يُزْجُونَ كلَّ مَطيَّةٍ
أمامَ المطايا سَيْرُها المتقاذِفُ)

على أنَّ (حيَّهلا) بلا تنوين محَكيٌّ أريد به لفظه .

قال النحاس : جعله بمنزلة خمسةَ عشر ، فلذلك لم ينوِّنه .

وقال الأعلم : الشاهد فى قوله بحيَّهلا ، فتركه على لفظه محكيًّا . يقول : لعجلتهم يسوقون المطايا بقولهم : حيَّهلا . ومعناه الأمرُ بالعجلة على أنَّها متقدِّمة فى السير متقاذِقة عليه ، أى مترامية . وجعل التَّقاذف للسَّير اتساعاً ومجازا . انتهى .

قال ابن السيرافى : المتقاذف : الذى يتبَعُ بعضُه بعضاَ ، كأنَّ كلَّ سيرٍ تسيرهُ هذه المطية يقذِف بها إلى سيرٍ آخر . ومثله قول عمر بن أبى ربيعة :

أخو سفرٍ جوّابُ أرضٍ تقاذفت به فَلَواتٌ فهو أشعثُ أغبر [٢]

أى رمته فلاةٌ إلى أخرى . وقال غيره : إن القِذَافَ سُرعة السَّير . وفرس متقاذف : سريع العَدْو . ويجوز أن يكون المتقاذف الذى يرمى بعضُه بعضاَ لسرعته . والإزجاء بالزاى المعجمة والجيم : السَّوق . والمطيَّة : الدابَّة ، يقال لها

(١) فى كتابه ٢ : ٥٢ . وانظر المقتضب ٣ : ٢٠٦ وابن يعيش ٤ : ٣٦ وشرح شواهد الشافية ٤٧٨ وملحقات ديوان الجعدى ص ٢٤٧ .

(٢) رواية ديوان عمر ٧٦ : « أخا سفر » . وقبله :

رأت رجلا أما إذا الشمس عارضت فيضحى وأما بالعشى فيخصرُ

مَطيَّة لأنها تمطو فى السير ، أى تمتدُّ . و (أمامَ) بالفتح ، قال ابن الحاجب (فى أماليه) : يريد أنهم مُسرِعون فى السير ، فهم يسوقون بهذا الصوت لتسرعَ فى سيرها . وقال « أمام المطايا » ، لأنه إذا سبقت الأولى تبِعها ما بعدها ، بخلاف سوق الأواخر . وقال : سيرها المتقاذف ، يعنى أنَّهم يسوقونها مع كون سيرها متقاذفاً ، والتقاذف : الترامِي فى السير ، وإذا سَبق المتقاذِفُ كان سيره أبلغَ مما كان عليه . وأمام المطايا فى موضع وصف المطية ، وسيرها المتقاذف جملة ابتدائية صفةٌ لمطيَّة ، والجارُّ والمجرور متعلق بيزجون . انتهى .

وأجود من هذا أن يكون سيرها فاعل الظرف ، لاعتماده على الموصوف ، والمتقاذف صفة لسيرها . ويجوز أن يكون سيرها المتقاذف مبتدأ موصوفاً والظرف قبله خبره ، والجملة صفة مطية .

صاحب الشاهد

والبيت أنشده سيبويه للنابغة الجعدى الصّحابى ، وتبعه عليه خَدَمَة كتابه . وقد تقدمت ترجمته فى الشاهد السادس والثمانين بعد المائة [1] . ونقل ابن المستوفى (فى شرح أبيات المفصل) عن السيرافى أنه من قصيدةٍ لمزاحم ابن الحارث العُقَيلى . وأورد هذه الأبيات منها :

أبيات الشاهد

(ووجِدى بها وجدُ المضلِّ بعيرَه بمكّة لم تَعطِف عليه العواطفُ
رأى من رفيقيهِ الجَفاءَ وفاتَه بِنشدانِها المستعِجَلاتُ الخوانفُ [2]
وقالوا : تعرَّفْها المنازلَ من مِنىً وما كلُّ من وافى منىً أنا عارف)

الوجد : ما يجده الإنسان من العِشق . والمضِلّ : اسم فاعل من أضلَّه ،

---

(١) الخزانة ٣ : ١٦٧ .

(٢) ط : « بنشدتها » ، صوابه فى ش .

وجملة « لم تعطف » إلخ حال من المضلّ . وهذا غايةٌ فى الحيرة . ولم تعطف عليه العواطف : جمع عاطفة ، أى لم ترقَّ له ... [١] ولم يَحْمله على بعيرٍ من إبله ، وهو جمع عاطفة . ويراد بها فى الصداقة [٢] والرحم والمودة والصحبة وما أشبه ذلك . وروى « نخلة » بدل مكةْ ، وهى موضعٌ بقرب مكة ، وعليها يأخذ الحاجُّ بعد انقضاء حَجِّهم ، ولذلك قال : لم تعطف إلخ ، لأنَّهم آخذون فى الانصراف . أى إنَّه وجَد بمفارقته لها كما وجَد الذى ضلَّ بعيُره فى هذا الموضع .

والبيت من أبيات سيبويه ، ومحلُّ الشاهد فيه أنه جعل وجدى مبتدأ ووجدُ المضلِّ خبره لا يستغنى عنه ، فلم يجز نصبهُ على المصدرية . وأصله وجدى بها وجدٌ مثلُ وجد المضِلِّ بعيره .

والخوانف : جمع خانفة ، وهى الناقة التى تخنف برأسها ، أى تُميلها إذا عدَتْ . وهى بالخاء المعجمة والنون والفاء .

وقوله : « وقالوا تعرَّفها المنازل » إلخ قال أبو عبيد البكرى (فى معجم ما استعجم) : كانوا يسمُّون مِنىً المنازلَ ، وأنشد هذا البيت . ثم قال : ويقال للرجل إذا أتاها : نازل . قال عامرُ بن الطُّفيل :

أنازلةٌ أسماءُ أم غير نازله ... أبينى لنا يا أَسمَ ما أنتِ فاعِلَهْ

وقال غيره : المنازل من منىً : حيث ينزلون أيام رمى الجمار .

---

(١) كتب مصحح طبعة بولاق : « هكذا بياض بالأصل . متى وقع بياض فى النسخة فسببه أن الأصل المنقول منه هذه النسخة منقول من مسودة المصنف ، وكثيرا ما يكتب رحمه الله فى الهامش ، فيغتال بعض ذلك أيدى المجلدين والبلا . فليتنبه . اهـ من هامش الأصل » .

(٢) ش : « فى الطلاقة » .

والبيت أورده سيبويه فى موضعين من كتابه ، برفع كل على لغة الحجاز . قال سيبويه : وإن شئت حملته على ليس ، يعنى إن شئت جعلت كل مرفوعاً بما ، وجعلت أنا عارف فى موضع الخبر ، وأضمرت فى عارفٍ هاء تعود إلى كلّ ، كأنك قلت عارفُه . ثم قال : وإن شئت حملتَه على كلُّه لم أصنَع . وهذا أبعدُ الوجهين ، يعنى وإن شئت رفعت كلٌّ بالابتداء وجعلت الجملة فى موضع الخبر كذلك ، على لغة تميم كما قلت : كلُّه لم أصنع [1] ، فرفعت كل بالابتداء [2] [وأضمرت هاءً فى أصنع . ومعنى قوله « وهذا أبعد الوجْهَين » يعنى رفع كلّ بالابتداء] ، وذلك لأنّ من يرفعه بالابتداء لا يُعمل ما ، فإذا لم يعملها أمكنه أن يعمل عارف فى كل ، فإذا لم يعمل فقد قبح ، إذ قد وجد السبيل إلى المختار ، ولا ضرورة تدعو إلى غيره . ومن رفع كلٌّ بما فهو لا يجد السبيل إلى إعمال عارف فى كلّ إلّا بحذف ما ، وحذفها يُغيِّر المعنى .

وقال النحّاس : ويجوز أن ينصب كلاً بعارف على أنها تميمية .

وقال ابن خلف : هذا البيت روى برفع كل ونصبه على جعل ما تميمية وإبطال عملها . ونصب كلّ بعارف .

وأنشده الفراء أيضا (فى تفسيره) مرتين : الأولى عند قوله تعالى : ﴿ يَسئلونك ماذا يُنفِقُونَ [3] ﴾ . قال : أنشدنى أبو ثَرْوان :

* وقالوا تعرَّفْها المنازل من مِنىً [4] * البيت

---

(١) انظر الخزانة ١ : ٣٥٩ حيث الكلام على هذا الشاهد .

(٢) ما بعده إلى « بالابتداء » التالية ساقط من ش .

(٣) الآية ٢١٥ من البقرة . ومعانى الفراء ١ : ١٣٩ . وفى النسختين : « ويسألونك » ، وأثبت نص الآية كما ورد فى معانى الفراء . وفى الكتاب آية أخرى أولها : « ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو » ، وهى الآية ٢١٩ من البقرة . وليست مرادة هنا .

(٤) عجزه فى معانى الفراء فى هذا الموضع وتاليه :

* وما كل من يغشى منى أنا عارف *

رفعاً . قال : ولم أسمع نصب كلّ .

والثانية عند قوله تعالى : ﴿ وكلَّ إنسانٍ ألزمناهُ طائره [١] ﴾ قال : العرب فى كل تختار الرفع ، وَقع الفعل على راجع الذكر أو لم يقع . وأُنْشَدونى فيما لم يقع الفعل على راجعٍ ذكرُه :

فقالوا تعرفْها المنـازل .... البيت

فلم يقع عارفٌ على كلّ ، وذلك أنَّ فى كل تأويل : وما من أحدٍ وافَى منىً [٢] أنا عارف . ولو نَصبتَ لكان صواباً ، وما سمعتُه إلاَّ رَفعاً . وقال الآخر [٣] :

قد عَلِقتْ أمُّ الخِيارِ تدَّعى
علىّ ذنباً كلُّه لم أصنعِ

رفعا . وأنشدَنيهِ بعضُ بنى أسد نصباً . انتهى .

وأنشده ابن الناظم (فى شرح الألفية) ، وابن هشام (فى شرحها وفى المغنى أيضاً) بِنصب كل على إبطال ما ، لإيلائها معمولَ الخبر ، وليس ظرفا لأن كلا معمول لعارف . ٤٥

وقال ابن هشام (فى شرح شواهده) : ويروى كلّ بالرفع على أنه اسم ما ، والجملة من قوله أنا عارف خبرها ، والعائد محذوف أى عارفه . وذلك

---

(١) الآية ١٣ من سورة الاسراء . وانظر معانى الفراء ١ : ٢٤٢ . لانشاده . انظر حواشى الصفحة السابقة .

(٢) لأبى النجم العجلى ، كما سبق فى ١ : ٣٥٩ وكما سيأتى .

متسَهِّلٌ إذا كان المخبر عنه كُلاًّ ، كقراءَة ابن عامر : ﴿ وكلٌّ وعدَ اللهُ الحسنى [١] ﴾ ، وكقوله [٢] :

* ثلاث كلُّهن قتلتُ عمداً *

وقول أبي النجم :

* كلُّهُ لم أصنع [٣] *

وانتصاب المنازل على إسقاط (فى) توسُّعاً ، لا على الظرف ، لأنه مختص . انتهى .

وهذا ردٌّ على ابن خلف فى زعمه أنه منصوب على الظرف . وتَعَرَّفها ، أى اعرفْ منزلها بالسؤال عنها . قال النحاس : سألَنا أبو إسحاق الزجاجُ عن معنى هذا البيت فقال : الإنسان يسأل عن الشئ من يعرفه ومن لا يعرفه ، فما معنى هذا البيت ؟ وأجاب فقال : هذا يذكر امرأة يتعشَّقها ، فليس يسأل عن خبرها إلا من يعرفه ويعرفها .

مزاحم العقيلى

ومزاحم بن الحارث شاعرٌ إسلاميٌّ من بنى عُقَيل بن كعب بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة . قالَ صاحب الأغانى : وقيل هو مزاحم بن عمرو بن مُرة بن الحارث [٤] . وهذا القول أقربُ عندى إلى الصواب . انتهى .

فيكون الحارث عَلَى هذا جدّ أبيه .

ثم قال : وهو شاعر بدوىٌّ فصيح إسلامى ، كان فى زمن جرير والفرزدق ، وكان جريرٌ يصفه ويقرِّظه ويقدِّمه ، ويقول : ما مِن بيتين كنت أحبُّ

(١) الآية ٩٥ من سورة النساء .

(٢) هو الشاهد ٥٧ من الخزانة . وتمامه كما فى الخزانة ١ : ٣٦٦ .

* فأخزى الله رابعة تعود *

(٣) هو الشاهد ٥٦ من الخزانة فى الجزء الأول ص ٣٥٩ .

(٤) الذى فى الأغانى ١٧ : ١٥٠ : « وقيل مزاحم بن عمرو بن الحارث بن مصرف » .

أن أكون سَبقتُ إليهما غير بيتين من قول مُزاحِمٍ العُقَيلى ، وهما :

وددت على ما كان من سَرَفِ الهوى
وغَىِّ الأمانى أنَّ ما شئتُ يُفعَلُ
فترجعَ أيَّامٌ تقضَّتْ ، ولذّةٌ
تولّتْ ، وهل يُثنَى من الدَّهر أوّلُ [١]

وسَرَفُ الهوى : خطؤه . ومثله قول جرير :

* ما فى عطائهمُ مَنٌّ ولا سَرَفُ [٢] *

أراد : أنهم يحفظون مواضع الصنائع ، لا أنه وصفهم بالاقتصادِ والتوسُّط فى الجود [٣] .

وروى أنّ الفرزدقَ دخل على عبد الملك بن مروانَ أو بعضٍ بنيه فقال له : أتعرف أحداً أشعرَ منك ؟ قال : لا ، إلا أنَّ غلاماً من بنى عُقَيل يركب أعجاز الإبلِ وينعت الفلواتِ فيجيد ! ثم جاءه جريرٌ فسأله عن مثل ما سأل الفرزدق ، فأجابه بجوابه ، فلم يلبث أن جاءه ذو الرمة ، فقال له : أنت أشعر الناس ؟ قال : لا ولكنْ غلامٌ من بنى عُقَيل يقال له مزاحم يسكن الروضاتِ يقول وحشيًّا من الشِّعر لا يُقدَر على قولِ مثله [٤] . فقال : أنشِدنى بعضَ ما تحفظ من ذلك . فأنشده :

---

(١) فى الأغانى : « أيام مضين » ، و « وهل يثنى من العيش » .

(٢) صدره فى الأغانى وديوان جرير ٣٨٩ :
* أعطوا هنيدةَ يحدوها ثمانية *

(٣) فى الأغانى : « أراد أنهم لا يخطئون مواضع الصنائع ، إلا أنه وصفهم بالاقتصاد والتوسط فى الجود » .

(٤) فى الأغانى ١٧ : ١٥٣ : « لا يقدر على مثله » .

خليليَّ عوجا بى عَلَى الدَّارِ نسألِ
متى عهدُها بالظَّاعن المتحمِّلِ
فعجتُ وعاجُوا بين بَيداءَ مَوَّرتْ
بها الرِّيحُ جَوْلانَ التراب المنخَّلِ (١)

حتى أتى على آخرها . ثم قال : ما أعرف أحداً يقول قولاً يواصل هذا . انتهى .

* * *

وأنشد بعده :

(إنَّ لوًّا وَإنَّ ليتاً عناءُ)

هذا عجز ، وصدره :

(ليت شِعرِى وأين مِنِّىَ ليتٌ)

ويأتى إن شاء الله شرحُه فى باب العلم (٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والستون بعد الأربعمائة (٣) :

٤٦٤ (لشتَّان مَا بين اليزيدَينِ فى الندى
يزيدُ سُليمٍ والأغرُّ بنُ حاتمِ)

على أنه قد يقال فى غير الأكثر الأفصح : شتان ما بين زيدٍ وعمرو ، كما فى البيت . ٤٦

(١) فى الأغانى : « فعجت وعاجوا فوق بيداء صفقت » .
(٢) فى الشاهد ٥٣٧ .
(٣) الأغانى ٤ : ٣٨ والعمدة ٢ : ١٤٠ والعقد ١ : ٢٨٨ ، ٣٠٦/٥ : ٣٠٥ وابن يعيش ٤ : ٣٧ ، ٦٨ والشذور ٤٠٤ .

قال أبو على (فى المسائل العسكرية) : وأمَّا شتان فموضوع موضعَ قولك : افترقَ وتباين ، وهو من قوله عز وجل : ﴿ إنَّ سَعْيَكُم لشتَّى (١) ﴾ ، و﴿ أشتاتا (٢) ﴾ . وهذا الباب إذا كان كذلك اقتضى فاعلين فصاعداً ، فمن ثَمَّ يقال : شتان زيدٌ وعمرو . وعلى هذا قول الأعشى :

شَتَّانَ ما يومي عَلَى كُورها
ويومُ حَيَّانَ أخى جابرِ

فأسنده إلى فاعلين معطوفٍ أحدهما على الآخر . فأمَّا قولك : شتان ما بينهما ، فالقياس لا يمنعه إذا جعلت ما بمنزلة الذى ، وجعلت بين صلة ، لأنّ « ما » لإبهامها قد تقع على الكثرة ، ألَا [ترى (٣)] قوله : ﴿ يَعبدُونَ من دون الله ما لا يضرُّهم ولا ينَفعهم (٤) ﴾ ثم قال : « ويقولون » ، فعلمت أنّ المراد به جمع . وكذلك : ﴿ ما لا يملِكُ لهم رِزْقا (٥) ﴾ ، ثم قال : ﴿ ولا يستطيعون ﴾ فإذا كان كذلك لم يمتنع فى القياس . وقد جاء فى الشعر « لشتان ما بين اليزيدين (٦) » إلّا أن الأصْمعىَّ طعن فى فصاحة هذا الشاعر ، وذهب إلى أنّه غير محتجٍّ بقوله . ورأيت أبا عمرو قد أنشد هذا البيت عَلَى وجه القَبول له والاستشهادِ به . وقد طعن الأصمعىُّ على غير شاعر قد احتَجَّ بهم غيره ، كذى الرمة والكُميت ، فيكون هذا أيضاً مثلَهم . انتهى .

ومثله للإمام المرزوقى (فى شرح فصيح ثعلب) قال : شتان موضوعٌ

---

(١) الآية ٤ من سورة الليل .

(٢) من الآية ٦١ من النور و ٦ من الزلزلة .

(٣) تكملة ضرورية ليستقيم الكلام .

(٤) الآية ١٨ من يونس .

(٥) الآية ٧٣ من النحل .

(٦) ش : « شتان ما بين اليزيدين » .

موضعَ تشتَّتَ ، وإذا قلت شتان ما هما ، فما صلة أُكِّدَ بها الكلام ، وهما فى موضع الفاعل ، ولا يُستغنى بواحد ، لأنَّه وُضع لاثنينِ فصاعداً ، كما أنَّ تشتت كذلك . والعامة تقول : شتانَ ما بين فلان وفلان ، وكثيرٌ من الناس يدفعونه ، حتىَّ خطَّأ جماعةٌ من النحويين ربيعةَ الرَّقىَّ . وله وجه صحيح ، وهو أن يكون « ما » لأحوال اليزيدين وأوصافهما ، وجعلت ما بعده صلة له فعرَّفته ، أو صفة له فنكّرتَه ، لأنه حينئذ يصح دخول شتان وتشتَّت عليه . ولا يكون لواحدٍ . انتهى .

وهذا مخالفٌ لصنيع الشارح المحقِّق ، فإنه منع أن تكون ما موصولة مع تفسير شتان بما يطلب فاعلين ، لأنّ مشاركة اليزيدينِ فى كلٍّ من خَصلْتى الجود والبخل ضدُّ مقصود الشاعر ، وإنما مراده انفراد أحدِهما بالجود والآخر بالبخل . ويدلُّ عليه قولُه بعد :

فهمُّ الفتى الأزدىِّ إتلافُ مالِه وهمُّ الفتى القَيْسىِّ جمعُ الدراهم

وهذا مَبنىٌّ على أنَّ فى البيت حذفَ معطوف ، والتقدير لشتان ما بين اليزيدَين فى النّدَى والبُخْل ، فيكون من قبيل قوله تعالى : ﴿ سَرَابيلَ تَقِيكم الحرّ [1] ﴾ ، أى والبرد . فإن قلت : يجوز أن يشتركا فى الندى ، ويكون أحدهما فى الطرف الأعلى منه والآخر فى الطرف الأسفل ، فلا يكون فيه حذف معطوف . قلت : هذا أيضاً خلاف مقصوده . فإنه يريد أن يثبت صفة الجود لأحدهما ويثبت خلافهَا للآخَر ، فلا اشتراك لهما فى أصل الجود . ويدلُّ عليه قوله أيضاً :

يَزيدُ سُليمٍ سالَمَ المالَ ، والفتى أخو الأزد للأموال غيرُ مسالِمِ

(١) الآية ٨١ من سورة النحل .

٤٧ فلما رأى الشارحُ المحقق ما ذُكر من منع تفسير شتّان بافترقَ ، حمل شتّانَ على معنى « بَعُدَ » الطالبِ لفاعلٍ واحد ، وهو :

إمّا « ما » وتكون عبارةً إما عن البَوْن والمسافة . والبَوْن : الفَضْل والمزية ، وهو مصدرُ بانه يَبُونُه بوناً إذا فضَلَه . وبينهما بَون ، أى بين درجتيهما وبين اعتبارهما فى الشرف . وأمّا إذا كانا متباعدين بالجسم . فيقال : بينهما بَيْن بالياء . والمسافة : قَطع الطريق ، مفعلة من السَّوف وهو الشَّمُّ ، لأنَّ الدليل يَسُوف ترابَ الموضع الذى يسير فيه ، فإن استافَ رائحة أبوال الإبل وأبعارِها علم أنه عَلَى جادَّةٍ ، وإلّا فلا . يقال : بينهم مسافة بعيدة . و« ما » فى الحقيقة على هذين الوجهين موصولة ، أى البون الذى بينهما ، أو المسافة التى بينهما .

وإمّا « بينَ » هو الفاعل ، وتكون ما زائدة كما قَرَّره الشارح المحقق . ويؤيِّده ورودُ « بين » بالنصب فاعلاً لشتان بدون ما . قال حسَّان بن ثابت :

وشتَّانَ بينَكما فى الندى
وفى البأْسِ والخيرِ والمنظرِ (١)

وقال آخر :

أخاطِب جهراً إذْ لهنَّ تخافتٌ
وشتَّانَ بينَ الجهرِ والمنطق الخَفْتِ (٢)

وقال جميل :

أريد صلاحَها وتريد قتلى
وشَتَّا بينَ قتلي والصَّلاحِ (٣)

---

(١) من أبيات فى ديوانه ١٨٢ يفضل فيها الحارث بن أبى شمر الغسانى على النعمان بن المنذر اللخمى .

(٢) اللسان (خفت ، شتت) .

(٣) ديوان جميل ٥٢ وأمالى القالى ١ : ٢١٦ .

أصله شتَّانَ وحذفت النون ضرورة . وعَلَى هذا لا يعتبر حذف معطوف ، كما اعتبر على غير توجيه الشارح المحقق .

ويجوز رفع بين إذا لم يسبقها ما ، وقدَّمه صاحب القاموس على النصب فقال : وشتان بينُهما ، وينصَب . وروى أبو زيد (فى نوادره) قولَ الشاعر :

شتان بينُهما فى كلِّ منزلة
هذا يُخافُ وهذا يُرتَجَى أبدا (١)

برفع بينُ . ثم قال : ومن العرب من ينصب بينَهما ، كقوله تعالى : ﴿ لقد تقَطَّعَ بْينَكم (٢) ﴾ .

وبين : لفظ مشترك بين المصدر والظرف ، وهى من الأضداد تكون للوصل وللفرقة . قال فى القاموس : البين يكون فُرقةً ووصلا ، واسماً وظرفاً متمكّناً .

وقول الشارح المحقق ، كما هو مذهب الأخفش ، فى قوله تعالى : ﴿ يُفصلُ بينُكم (٣) ﴾ بالبناء للمفعول إمّا بتشديد الصاد ، وهى قراءة ابن عامر ، وإما بتخفيفها وهى قراءة غيره وغير الأخوين وعاصم . وأمَّا قراءة الأخوين (٤) فهى بالبناء للمعلوم مع تشديد الصاد . وأما قراءة عاصم فهى كذلك مع تخفيفها (٥) .

قال السمين (فى الدر المصون) : من بَناه للمفعول فالنائب إما ضمير المصدر أو الظرف ، وبنى على الفتح لإضافته إلى غير متمكن . أو الظرفُ وهو باقٍ عَلَى نصبه . انتهى .

---

(١) لم أجده فى نوادر أبى زيد المطبوعة .
(٢) الآية ٩٤ من سورة الإنعام .
(٣) الآية ٣ من الممتحنة .
(٤) الأخوان هما فى مصطلح القراء : حمزة والكسائى . انظر جنى الجنتين للمحبى ص ١٨ .
(٥) انظر تفسير أبى حيان ٨ : ٢٥٤ وإتحاف فضلاء البشر ٤١٤ .

وهذا الأخير هو قول الأخفش .

واعلم أنَّ الشارح المحقق مسبوقٌ بتوجيهه .

أما الأول فقد قال ابن عصفور (فى شرح الإيضاح لأبى على) : والذى يجيز شتان ما بينهما يجعل [١] شتان بمنزلة بَعُدَ ، فكما يجوز بعُد ما بين زيد وعمرو ، كذلك يجوز : شتان ما بين زيد وعمرو .

ومثله لابن السيد (فى شرح أدب الكاتب) . قال : كان ربيعة عند الأصمعى ممّن لا يُحتجُّ بشعره . وهذا غلط [٢] لأنّ شتان اسمٌ للفعل يجرى مجراه فى العمل ، فلا فرق بين ارتفاع « ما » به فى بيت ربيعة ، وارتفاع « اليوم » فى بيت الأعشى ، كما أنك لو قلت : بعد ما بين زيد وعمرٍو ، لجاز بالاتفاق . ٤٨

وكذلك قال اللَّبْلى (فى شرح فصيح ثعلب) : شتان بمعنى بَعُدَ وتفرَّق ، وما بمعنى الذى ، فاعل شتان ، وبين صلة لما .

وأما الثانى فقد قال أبو البقاء : إن جعلت ما زائدة وبين فاعلا وهى ظرفٌ ، لا تكاد العرب تستعملها كذلك . وإنْ جعلتها بمعنى الذى ضعف أيضاً ، لأنَّ المعنى يصير افترق الذى بين زيد وعَمرو . وليس المراد ذلك ، بل المراد افترق زيد وعمرو . ومن أجازه قال : إن مفارقة زيدٍ لعمرو ليس من جهة الأشخاص ، بل المراد افتراقهما فى الأخلاق والأحوال ، وهو المعْنىُّ بالذى . انتهى .

وقوله : « لا تكاد العرب تستعملها كذلك » غير مسلَّم ؛ فإنّه قد قرئ

---

(١) ط : « بجعل » ، صوابه فى ش .

(٢) وكذا فى الاقتضاب ٣٨٩ . وفى ش : « وهو غلط » .

به فى القرآن فى عدَّة مواضع . وكلامُه وإن كان على اعتبار شتان بمعنى ما يقتضى فاعلين إلَّا أنَّ المنزِعَين فيه .

وأما إنكار الأصمعىِّ شتان ما بينهما فقد قال ابن برى : (فى حاشية الصحاح) : ليس بشئ ، لأنّ ذلك قد جاء فى أشعار العرب [١] ، قال أبو الأسود الدئلىّ :

وشتَّان ما بَيْنى وبينَك ، أنَّنى
عَلَى كلِّ حالٍ أستقيم وتظلعُ [٢]

ومثله قول البَعيث :

وشتّان ما بينى وبين ابنِ خالد
أميَّةَ فى الرِّزق الذى يُتقسَّمُ [٣]

وقال آخر :

وشتانَ ما بينى وبين رُعاتها
إذا صرصر العُصفور فى الرُّطَب الثَّعْدِ [٤]

والثَّعد ، بفتح المثلثة : ما لان من البُسر . ويقال شتان بينهما أيضاً بدونِ ما .

وتقدمت أبياته .

---

(١) ط : « فى أشعار من العرب » ، وأثبت ما فى ش .

(٢) ديوان حسان ٥٦ واللسان (شتت) .

(٣) اللسان (شتت) .

(٤) فى النسختين : « دعاتها » بالدال ، صوابه بالراء كما فى اللسان (شتت ، ثعد) .

وقد تبع الأصمعيَّ فى إنكاره جماعةٌ ، منهم ابن قتيبة (فى أدب الكاتب) قال : يقال شتان ما هما ، ولا يقال شتان ما بينهما ، وليس قوله :

* شتان ما بين اليزيدين فى النَّدى *

بحجَّة .

ومنهم الأزهرى (فى التهذيب) قال : قول ربيعة ليس بحجَّة ، إنَّما هو مولَّد . وأبَى الأصمعيُّ شتان ما بينهما . قال أبو حاتم : فأنشدته قولَ ربيعة فقال : ليس بفصيحٍ يلتفَت إليه .

وقول الشارح المحقق : « ومُوهمه شيئانِ : أحدهما لغةٌ فى شَتّانَ وهى كسر النون [1] » ، قال الإمام المرزوقى (فى شرح فصيح ثعلب) : أصحابنا البصريون لا يُجيزون فيه إلا الفتح ، ولو كان مثنى لجاز تأخيره فَقيل : زيد وعمرٌو شتانِ ، بل كان هو الوجه والترتيب ، ولجاز أن يقلب ألفُه فى النَّصب والجرِّ ياء ، وذلك لا يُعرف . ألا ترى أنَّ قولهم سيّانِ زيدٌ وعمرو ، لما كان مثنى سيٍّ وهو المِثْل جاز جميع ذلك فيه . انتهى .

وزعم ثعلبٌ (فى فصيحه) أن كسر النون هو قول الفراء . ونقل شارحُه اللبلىّ عن ابن درستويه أن الفراء إنما ذهب إلى الكسر لأنَّ المعنى لمَّا كان للاثنين ظنَّ أن شتان مُثَنّى فكسره ، والعرب كلها تفتحه ، والكسر لا يجيزهُ عربىّ . انتهى .

أقول : الفراء لم يذهب إلى أن النون مكسورة لا غير ، وشتان مثنًّى

(١) الرضى ٢ : ٦٩ . والمراد قول الأصمعى . وقبله فى الرضى : « وأنكره الأصمعى وقال : الشعر لمولد . وذلك بناء على مذهبه وهو أن شتان مثنى شت ، وهو المتفرق » .

شَتٍّ ، وإنما حكى أن كسر النون لغةٌ فى فتحِها [١] . قال : (فى تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ ما هذا بَشَراً [٢] ﴾ : أنشدنى بعضهُم :

لشتّانَ ما أنوى ويَنْوِى بَنو أبى
جميعاً ، فما هذانِ مستويانِ

تمنَّوْا لِىَ الموتَ الذى يَشعَبُ الفتى
وكلُّ فتىً والموتُ يلتقيانِ [٣]

قال الفراء : يقال شتَّان ما أنوى بنصب النون وخفضها ، هذا كلامه [٤] .

٤٩

وكذا نقل الصاغانى . (فى العباب) عنه أنَّ كسر النون لغة فى فتحها وليس فيه ما زعمه ابن درستويه . وبه يسقط ترديد أبى سهْل الهَرَوى [٥] (فى شرح الفصيح) حيث قال : وأمَّا على قول الفرّاء فإنَّه يجوز أن يكون كسر النون على أصل التقاء الساكنين ، ويجوز أن يكون أراد تثْنيةَ شتّ ، وهو المتفرِّق . انتهى .

وزعم ابنُ الأنبارى (فى الزاهر) أنَّه لا يجوز كسر النون فى شتان ما بين أخيك وأبيك ، قال : لأنها رفعت اسما واحداً . ويجوز كسرها فى غيرِهِ ، وهو شتّانِ أخوك وأبوك ، وشتَّانِ ما أخوك وأبُوك . قال : يجوز فى هذا كسر النون على أنَّه تثنية شتٍّ . هذا كلامه ، وفيه ما لا يخفى .

---

(١) هذا الصواب من ش . وفى ط : « فتحتها » .

(٢) الآية ٣١ من سورة يوسف . معانى الفراء ٢ : ٤٢ .

(٣) نسب فى العينى ١ : ٥٤٣ إلى الفرزدق . وليس فى ديوانه .

(٤) تعليق الفراء هذا لم يرد فى معانى القرآن ، وأن كان الفراء قد أنشد البيتين شاهدا على رفع أهل نجد للخبر بعد « ما » فقط .

(٥) ط : « أبى سهيل » تحريف . وهو أبو سهل محمد بن على بن محمد ، نزيل مصر . كان نحويا ، وكانت له رياسة المؤذنين بجامع مصر ، وله سنة ٣٧٢ وتوفى سنة ٤٣٣ . بغية الوعاة .

وقول الشارح المحقق : « الثانى : أنَّ المرفوع بعده لا يكون إلّا مثنى أو ماهو بمعنى المثنى » إلخ ، أقول : قد ورد المرفوع بعد شتَّان أربعةً ، قال لقيط ابن زُرارة :

شتّانَ هذا ، والعناقُ ، والنّوْمْ ، والمشربُ البارِدُ فى ظلِّ الدَّوْمْ

وهذا مما يردُّ على الأصمعى ويؤيِّد قولَ غيره أنَّ شتان لا يكتفى بواحد ، لأنَّه وضع لاثنين فصاعداً .

وقد أجاز ثعلبٌ ما منعه الأصمعى ، قال (فى فصيحه) : وتقول شتَّانَ زيدٌ وعمرو ، وشتان ما هما ، نون شتَّانَ مفتوحة . وإن شئت قلت شتَّانَ ما بينهما . والفراء يخفض نون شتَّانَ . انتهى .

ومحصَّل الكلام فيها أنَّ شتَّانَ يكون مرفوعها شيئين [1] اتِّفاقاً ، وأكثرَ عند غير الأصمعى ، ويكون معهما ما الزائدة وبدونها . والصحيح جواز شتَّان ما بينهما ، خلافاً للأصمعى .

ولم يتعرَّض ابن السراج (فى الأصول) لهذا . قال : قولك شتَّان زيد وعمرٌو ، معناه بَعُد ما بين زيدٍ وعمرٍو جدًّا . وهو مأخوذ من شَتَّ . والتشتيت : التبعيد ما بين الشيئين أو الأشياء ، فتقديرهُ تباعد زيد وعمرو . انتهى .

وهى عند الشارح قسمان : أحدهما ما ذكر من أنه لا بُدَّ لها من مرفوعين فصاعداً . والثانى : جواز الاكتفاء بمرفوع واحد . وهو فى شتّان ما بينهما لكونها بمعنى بعُد .

وبقى استعمالها مع « ما » الموصولةِ بفعلٍ ، ولم يذكروه . وهو ما أورده

---

(١) ش : « شيئان » ، صوابه فى ط .

الفرّاء فى الشعر المذكور ، وهو « لشتَان ما أنوى [١] » . وينبغى أن تقدر ما الموصولة فى الفعل الثانى ، ليكون مرفوعها شيئين . وهى اسم فعلٍ على الصحيح .

قال ابن عصفور (فى شرح الإيضاح) : وهو ساكن فى الأصل ، إلَّا أنّه حُرِّك لالتقاء الساكنين ، وكانت الحركة فتحةً إتباعاً لما قبلها وطلباً للخفَّة ، ولأنَّه واقعٌ موقعَ الماضى مبنىٌّ على الفتح ، فجعلت حركته كحركته .

وزعم المرزوقى والهروى (فى شرح الفصيح) أنَّها مصدر . قال الأوّل : شتان مصدر لم يُستعمَل فعلُه . وهو مبنىٌّ على الفتح ، لأنه موضوعٌ موضعَ فعل ماض ، وزيدٌ فاعل له .

وقال الثانى : معنى شتّان البُعدُ المفرِط بين الشيئين ، وهو اسمٌ وضع موضع الفعل الماضى ، تقديره : شَتّ زيد وعمرٌو [٢] ، أى تشتّتاَ وتفرّقا جدًّا .

وسبقهما الزجّاج كما نقل الشارح المحقق عنه .

قال ابن عصفور : وزعم الزجّاج أنّه مصدرٌ واقعٌ موقعَ الفعل جاءَ على فَعْلان فخالف أخواتِه ، فبنى لذلك .

فإن قيل : لنا فَعْلانٌ فى المصادر ، قالوا : لوى يلوى لَيَّانا ، وشنئته شَنْآناً [٣] . وأنتَ لو وضعت ليّاناً وشَنْآناً موضعَ الفعل لبقيا على إعرابهما ولم يُبْنَيا .

٥٠ فالجواب : أنّهما مصدران قد استعملا بعدَ فعلهما وتمكنّا ، فإذا وقَعَا موقع فعلهما بقيا على إعرابهما ، وليس كذلك شَتّانَ ؛ لأنَّك لا تقول شتَّ

(١) ط : « شتان ما أنوى » ، وأثبت ما فى ش .

(٢) وعمرو : ساقطة من ط ، وقد ألحقت فى هامش ش بخط ناسخها .

(٣) يقال بسكون النون وبفتحها أيضا . وقرئ بهما قوله تعالى : « ولا يجرمنكم شنآن قوم » .

يشِتُّ شَتَاتاً ، وإنّما استعمل فى أوّل أحواله موضوعاً موضع الفعل المبنىّ ، فبنى لذلك . انتهى .

قال ناظر الجيش (فى شرح التسهيل) : مقتضى هذا الجواب أن تبنى المصادرُ الملتزمُ إضمار ناصبها ، كسبحانَ الله ومَعاذ الله . انتهى .

وجوّز المازنىُّ تنوين شتان ، قال أبو على (فى التذكرة القصرية) : قال أبو عثمان : سبحان وشتَّان يجوز تنوينُهما اسمين كانا ، أو فى موضعهما . قال أبو على : شتَّان إذا كان فى موضعه فهو اسمٌ للفعل وهو شَتَّ بمنزلة صه ، فإنْ نَوَّنته فهو نكرة ، وإنْ لم تنوِّنه فهو معرفة .

فإن قيل : كيف يجوز أن يكون معرفةً وهو بمنزلة شَتَّ ، وكذلك صه بمنزلة اسكت ، واسكت وصه لا يجوز أن يكونا معرفة . قيل : لأنَّهما اسمانِ للفعل وليساَ بفعل . فإنْ نقلت شتَّان عن أن يكون اسماً للفعل فجعلته اسماً للتشتيت معرفة ، وصار بمنزلة :

* سُبحانَ من علقمةَ الفاخرِ *

فى أنَّه اسمٌ للتنزيه معرفة جاز . فإنْ نوّنته ونونتَ سبحان هذا تنكَّر لأجل التنوين ، وصار بمنزلة زيدٍ من الزيدِين إذا نكرت زيداً المعرفة . ويَضعف جعلُ هذه المعرفة نكرة ، لأنَّ المعنى الملقَّب بسبحان وشتَّان ، شئٌ واحد لا يصحُّ أن يكون له أمثالٌ من جنسه ، هى تنزيه وتشتيت ، وليس كذلك الملقَّب بزيد ، لأنَّه يصحُّ أن يكون له أمثالٌ من جنسه فيقدَّر زيداً من الزيدين يصحّ فى المعنى ، وتقدير سبحان من أمثاله لا يصحُّ فى المعنى . فالجواب أنَّ هذا وإنَّ لم يصحَّ فى المعنى فإن تقديرهم له تقديرَ ما يصحُّ له فى هذا المعنى

(١) الكلام بعده إلى « لا يجوز أن يكونا معرفة » ساقط من ش

جائزٌ ، يدلُّ على ذلك أنَّ من قال : هذا ابن عِرسْ مقبلا ، نزَّل الجِنسَ منزلة شئ واحدٍ ، وإن كان فى الحقيقة أشياءَ ، ثم قال : هذا ابن عِرس مقبلٌ ، نَزَّل ما قد نَزَّلهُ منزلة شئ واحد منزلةَ أشياءَ كثيرة . فهذا ابنُ عِرسٍ مقبلٌ ، بمنزلة زيد من الزيدين منكَّرا من هذا ابن عرس مقبلا . ونظيرُ تلقيب المعنى بسبحان وشتَّان ، فيمن جعله لقباً للمعنى ، جَعْلُ النحويِّين أفعل معرفة فى قولهم : أفعل إذا كان وصفاً لا ينصرف ، فيجعلون أفعل معرفةً لقباً للمعنى ، وهو هذا الوزن . فلم يَخرُج النحويُّون بتلقيبهم المعانى عن كلام العرب ، لأنَّها قد لقَّبَت المعانىَ كما لقَّبت الأشخاص . ونظير ذلك قولهم :

* فحملتُ برّةَ واحتملتَ فجارِ *

وبرَّةَ تلقيبُ المعنى ، فلهذا لم يصرفها . انتهى كلام أبى على ، ولنفاسَته سُقناه بُرمّته .

صاحب الشاهد

والبيت الشاهد من قصيدةٍ لربيعة الرَّقىِّ ، مدح بها يزيدَ بن حاتم المهلّبى . وهذه أبياتٌ من أوّلها :

أبيات الشاهد

(حَلفتُ يميناً غير ذى مَثْنوِيَّةٍ
يمينَ امرئ آلَى بها غيرَ آثمِ [(١)]
لَشتَّانَ ما بين اليزيدين فى الندى
يزيدُ سُليم والأغرُّ ابنُ حاتِم
يزيدُ سُليم سالمَ المالَ ، والفتى
أخو الأزدِ للأموال غيرُ مسالِم

(١) الأبيات وخبرها فى الأغانى ١٥ : ٣٧ والعقد ١ : ٣٣١ ، ٥/٣٥٤ : ٣٠٥ ووفيات الأعيان (ترجمة يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب) .

فهَمُّ الفتى الأزدىِّ إتلافُ ماله
وهمُّ الفتى القيسىِّ جمعُ الدراهِمِ
فلا يحسَبِ التَّمتامُ أنِّى هجوتُه
ولكنّنى فضَّلْتُ أهلَ المكارِمِ
فيا أيُّها الساعى الذى ليس مُدرِكًا
بِمَسعاته سَعْىَ البحورِ الخَضارِمِ
٥١ سَعيتَ ولم تُدرِكْ نوالَ ابنِ حاتِمٍ
لِفَكِّ أسيرٍ واحتمالِ العظائمِ (١)
كفاكَ بناءَ المكرماتِ ابنُ حاتم
ونمتَ ، وما الأزدىُّ عنها بنائمِ
فيا ابنَ أُسَيْدٍ ، لا تسامِ ابنَ حاتم
فتقرعَ إنْ ساميتَه سنَّ نادمِ
هو البحرُ إنْ كلّفتَ نفسَك خوضَه
تهالكتَ فى أمواجه المتلاطمِ
تمنَّيتَ مجداً فى سُلَيمٍ سَفاهة
أمانىَّ خالٍ أو أمانىَّ حالمِ (٢)
ألا إنَّما آلُ المهلَّب غُرَّة
وفى الحرب قاداتٌ لكم بالحَزائِم (٣)

(١) ش : « بفك أسير » . وأثبت ما فى ط ووفيات الأعيان .

(٢) الخالى هنا : الذى يخلو بنفسه ويتأمل . ط : « حال » بالحاء المهملة ، صوابه فى ش ووفيات الأعيان . وقد يكون الخال هنا مقلوب خائل ، أى متخيل . اللسان (خيل ٢٤٢) .

(٣) كذا وردت بإهمال هنا وفى الشرح . والوجه « بالخزائم » بالخاء المعجمة كما فى الوفيات ، وانظر حواشى ص ٣٠١ .

هم الأنفُ والخرطُوم ، والناسُ بعدَهم
مَناسِمُ ، والخُرطوم فوقَ المناسِمِ
قضيتُ لكم آلَ المهلَّب بالعُلا
وتفضيلِكم حَقًّا على كلِّ حاكِمِ
لكمْ شِيَمٌ ليست لِخَلقٍ سواكُمُ
سَماحٌ وصِدقُ البأس عند المَلاحِمَ
مُهينون للأموال فيما يَنُوبُكم
مَنَاعِيشُ دَفَّاعونَ عن كلِّ جارِمِ

وقوله : « حلفتُ يميناً » إلخ ، مثنوية [١] : مصدر بمعنى الاستثناء فى اليمين ، أى حلفت غير مستثن فى يمينى . وقوله : غير ذى مثنوية ، أى غير يمين ذى مثنوية .

وهذا المصراع من شعرٍ للنابغة الذبيانى ، وتمامه :

* ولا علم إلاَّ حُسْنُ ظنٍّ بصاحبِ *

وهو من شواهد سيبويه ، وقد شرحناه مع قصيدته فى الشاهد الثالث والعشرين بعد المائتين [٢] .

وقوله : يمين امرئ ، إلخ مفعول مطلق تشبيهىّ ، أى كيمين . واليمين : القَسَم ، سُمِّى بها لأنَّهم كانوا إذا تحالفوا ضربَ كلُّ امرئٍ منهم على يمين

(١) ما بعده إلى « مثنوية » التالية ، ساقط من ش .

(٢) الخزانة ٣ : ٣٢٧ .

صاحبه . قال صاحب المصباح : ويمين الحلف أُنثى . قال ابن الأنبارى : ولهذا أعاد الضمير عليها من « بها » مؤنَّثا . وآلى ، بمعنى أقسم .

وقوله : (لشتَّانَ ما بين اليزيدين) إلخ ، اللام فى جواب القسم ، وما بعدها جوابه . قيل : شتّان مابين اليزيدين صار مثلاً فى ظهور الفَرْق . والنَّدى : السَّخاء والجود ، والألف أصلها واو ، لأنه يقال ندوت [1] . ويقال سَنَّ للناس النَّدى فندَوْا بفتح الدال . و (الأغَرُّ) من الغُرّة ، وهو بياضٌ فوق الدِّرهم فى جَبهة الفرس . يقال فرسٌ أغرُّ ومُهرة غرّاء ، وقد استعيرت للوضوح والشُّهرة . وقال فى المصباح : ورجل أَغَرُّ : صبيحٌ أو سيِّدُ قومِه .

يزيد سليم

أمَّا يزيد سُليم فهو يزيد بن أُسَيْد بضم الهمزة وفتح السين المهملة ، وينتهى نسبه إلى بُهْثة بضم الموحدة وسكون الهاء بعدها ثاء مثلثة ، ابن سُلَيم ، بضم السين ، ابن منصور بن عِكرمة بن خَصَفة ، بفتح الخاء المعجمة والصاد المهملة ، ابن قيس بن عَيلان بن مُضَر بن نزار بن معدّ بن عدنان .

يزيد بن حاتم

وأمّا يزيد بن حاتم ، فهو يزيد بن حاتم بن قَبيصة بن المهلَّب بن أبى صُفرة ، وينتهى نسبه إلى الأزد ، وهى قبيلةٌ عظيمة باليَمَن . وهو جدُّ الوزير المهلبى . فإنه أبو محمد الحسن بن محمد بن هارون بن إبراهيم بن عبد الله بن يزيد بن حاتم . ومات فى سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة .

وكان السبب فى هذه القصيدة أن ربيعة قصد يزيدَ بن أُسَيد ، وهو

---

(١) والنّدى مع ذلك تكتب بالياء غالبا مراعاة للإمالة . انظر اللسان (ندى ١٨٥) . وقد وردت فى الأصل مكتوبة بالألف فى جميع المواضع ، لكنى أجريتها على الكتابة المألوفة .

يومئذٍ والٍ على أرمِينيَّة ، وكان قد وليها زماناً طويلا لأبى جعفر المنصور ، ثم من بعده لولده المهدىّ . وكان يزيد هذا من أشراف قيس وشُجعانهم ، ومن ذوى الآراء الصائبة . ومدحه ربيعة بشعرٍ أجادَ فيه فقصَّر يزيدُ فى حقه . ومدح يزيد ابن حاتم فبالغ فى الإحسان إليه ، فقال ربيعة هذه القصيدة يفضِّل يزيد بن حاتم على يزيد بن أُسَيد . وكان فى لسان يزيد بن أُسَيد تمتمة ، فعرَّض بذكرها : « فلا يحسب التمتام أنى هجوته » . كذا فى تاريخ ابن خلكان . ٥٢

قال صاحب المصباح : وتمتم الرجل تمتمةً ، إذا تردَّد فى التاء ، فهو تمتام بالفتح . وقال أبو زيد : هو الذى يَعْجَل فى الكلام ولا يُفهمك .

وقال ابن عبد ربه (فى ثلاثة مواضع من العقد الفريد [1]) : مدح ربيعة الرِّقِّىُّ يزيد بن أُسَيد السُّلَمى ، فلم يُعطِه شيئاً ، ثم عطف على يزيد بن حاتم وهو والى مِصر ومدحَه ، فتشاغل عنه فى بعض الأمور ، واستبطأه ربيعةُ فشخَصَ من مصر وقال :

أُرانى ولا كُفرانَ لله راجعاً

بِخُفَّىْ حُنينٍ من نوالِ ابن حاتِمِ

فبلغ قولُه يزيدَ بنَ حاتم فأرسل فى طلبه ، فلمَّا دخل عليه قال له : أنت القائل :

أُرانى ولا كفران لله راجعا .... البيت

قال : نعم . قال : هل قلتَ غير هذا ؟ قال : لا . قال : والله لترجعنَّ

(١) سبقت الإشارة إليها فى ص ٢٨٧

بِخُفَّىْ حنين مملوءةً ذهبا (١) . فأمر بِخَلع خُفَّيه وأن تُملَئا (٢) دنانير . ثم قال له : أَصْلِحْ ما أفسدتَ من قولك . فقال فيه لمَّا عُزل من مصر ووليَ مكانه يَزيدُ بن أسَيد السلمى :

بكى أهلُ مصرٍ بالدُّموعِ السّواجم غداةَ غدَا منها الأغرُّ ابنُ حاتم

وفيها يقول :

لشتّان ما بين اليزيدين فى الندى يزيدُ سليم والأغرُّ بنُ حاتم

مع أبياتٍ ثلاثة بعده . وكان يزيد بن حاتم جواداً سريًّا مقصودا ممدُوحاً (٣) . قصده جماعة من الشعراء فأحسن جوائزهم .

قال ابن عبدِ ربِّه : كتب إليه رجلٌ من العلماء يستوصله ، فبعث إليه ثلاثين ألفَ درهم وكتب إليه : أمَّا بعدُ فقد بعثتُ (٤) إليك ثلاثين ألفاً لا أكثِّرها امتناناً ، ولا أقلِّلها تحقيرا ، ولا أستثيبك عليها ثناء ، ولا أقطع لك بها رجاءً . والسلام .

وقال ابن خَلِّكان : ذكر ابن جرير الطبرى فى تاريخه أنَّ الخليفة أبا جعفر المنصور عزل حُمَيد بن قَحطبة عن ولاية مِصر ؛ فولاَّها نوفل بنَ

---

(١) وكذا فى العقد ١ : ٣٢٢ وفيه « مملوءة مالا » . لكن فى ٥ : ٣٠٥ : « مملوءتين مالا » . والخف مذكر ، ومنه : « فأتى عبد المطلب وعليه خفان أحمران » . ويبدو أنها تؤنث حملا على « النعل » والنعل مؤنثة .

(٢) كذا فى ط والعقد ، وفيه : « وإن تملئا له مالا » لكن فى ش : « يملئا » بالياء .

(٣) ش : « ممدحا » . لكن ما أثبت من ط يطابق ما فى وفيات الأعيان .

(٤) فى الأصل : « أما بعد بعثت » ، والتكملة من العقد ١ : ٣٠٦ .

الفُرات ، ثم عزله وولَّى يزيد بن حاتم ، وذلك فى سنة ثلاث وأربعين ومائة . ثم إنَّ المنصور عزله عن مصر فى سنة اثنتين وخمسين ومائة ، وجعل مكانه محمد ابن سعيد . انتهى .

وهذا لا يوافق ما قاله ابن عبد ربه .

وقيل : تَولَّى بعدَه [١] عبد الله بن عبد الرحمن من قِبَل المنصور . ولم أر ما قاله ابنُ عبد ربه [٢] .

ثم قال ابن خلكان : وقال ابن يونس (فى تاريخه) : ولى يزيدُ بن حاتم مصر فى سنة أربع وأربعين ومائة . وزاد غيره : فى منتصف ذى القَعدة . ثم إنَّ المنصور خرج إلى الشام وإلى زيارة بيت المقدس فى سنة أربع وخمسين ومائة ، ومن هناك سيَّر يزيدَ بن حاتم إلى إفريقيّةَ لحرب الخوارج الذين قَتلوا عاملَه عُمَر ابن حفص ، وجهَّز معه خمسين ألفَ مقاتل ، واستقرَّ والياً ، وكان وصوله إليها واستظهاره على الخوارج فى سنة خمس وخمسين .

ولمَّا عقد المنصور ليزيد المهلبىِّ على بلاد إفريقيَّة ، وليزيد السُّلمىِّ المذكورِ على ديار مِصر خرجا معاً [٣] ، وكان يزيد المهلَّبى يقوم بكفاية الجيشين ، فقال ربيعة الرَّقّىّ :

---

(١) ش : « بعد » صوابه فى ط . والبغدادى يناقش ما ورد فى العقد من أن الذى جاء بعد يزيد ابن حاتم فى الولاية هو يزيد بن أسيد السلمى . فإنَّ هذا معارض بما ذكر الطبرى أن الذى جاء بعده هو محمد بن سعيد ، وفى قول آخر أنه عبد الله عبد الرحمن .

(٢) أى لم يجد أحدا ذكر ما أورده ، غيره .

(٣) فى النسختين : « معه » ، والصواب من وفيات الأعيان .

٥٣ يزيدَ الخير إنَّ يزيدَ قومى سَميُّك لا يجود كما تجودُ
تقود كتيبةً ويقود أخرى فترزقُ من تقود ومن يقودُ

وقدِم أشعبُ المشهور فى الطمع على يزيدَ وهو بمصر ، فجلس بمجلسِه ، ودعا بغلامِه فسارَّه ، فقام أشعب فقبَّل يده ، فقال له يزيد : لم فعلت هذا ؟ فقال : إنِّى رأيتك تسارِرُ غلامَك فظننتُ أنك قد أمرتَ لى بشىء ! فضحك منه وقال : ما فعلتُ ولكنِّى أفعل . ووصَله وأحسنَ إليه .

وقدم عليه بمصر أبو عُبيد الله محمد بن مسلم ، الشهير بابن المولَى ، وأنشده :

يا واحدَ العُربِ الذى أضحى وليس له نظِيرْ
لو كان مثلَك آخَرٌ ما كانَ فى الدُّنيا فقيرْ

فدعا يزيد بخازنِه . وقال : كم فى بيت مالى ؟ قال : فيه من العَين والورِق ما مبلغُه عشرون ألفَ دينار . فقال : ادفَعها إليه . ثم قال : يا أخى ، المعذرةُ إلى الله تعالى وإليك ، والله لو أن فى ملكى غيرَها ما ادَّخرته عنك .

وقال الطرطوشى [١] (فى كتاب سِراج الملوك) : قال سُحنون [٢] :

---

(١) نسبة إلى طرطوشة ، بضم أوله وقد يفتح : مدينة بالأندلس ، كما فى القاموس . واقتصر فى معجم البلدان على أنها بالفتح . وهو أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف الفهرى ، رحل إلى المشرق ودخل بغداد والبصرة والشام ، ثم نزل الإسكندرية واستوطنها . وتوفى سنة ٥٢٠ .

(٢) سحنون ، بضم السين ، وأصله اسم طائر . وفى تاج العروس أنّ سينه قد تفتح . وهو سحنون بن سعد الإفريقى ، من أئمة المالكية ، جالس مالكا مدة ، ثم قدم بمذهبه إلى إفريقية فأظهره فيها . وتوفى سنة ٢٤١ .

كان يزيد بن حاتم يقول : والله ما هِبتُ شيئاً قطُّ هيبتى لرجلٍ ظلمته وأنا لا أعلم ، وليس له ناصر إلا الله تعالى ، فيقول : حسبك الله ، اللهُ بينى وبينك !

وذكر أبو سعيد السمعانى (فى كتاب الأنساب) أن المسْهِرَ التميمىَّ الشاعر وفد على يزيد بن حاتم بإفريقيَّة ، فأنشدهُ :

إليك قصَرنا النِّصفُ من صَلواتنا
مسيرةَ شهرٍ ثم شهرٍ نُواصِلُهْ
فلا نحن نخشى أن يخيب رجاؤنا
لديكَ ولكن أهنأُ البرِّ عاجله

فأمر يزيدُ بوضع العطاء فى جُنده وكان معه خمسون ألفَ مرتزق ، فقال : من أحبَّ أن يسرَّنى فليضع لزائرى هذا من عطائه درهمين . فاجتمع له مائة ألف درهم ، وضمَّ يزيدُ إلى ذلك مائة ألف درهم أخرى ودفعها إليه .

ولما كان يزيد والياً بإفريقيَّة كان أخوه روح بن حاتم والياً فى السِّند ، وولى لخمسةٍ من الخلفاء : أبى العباس السفاح ، والمنصور ، والمهدىّ ، والهادِى ، والرشيد ، فقال أهل إفريقية : ما أبعدَ ما بين هذين الأخوين ، فإنَّ يزيد هنا وأخاه رَوحاً فى السند . فلما توفى يزيد بإفريقية يوم الثلاثاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة سبعين ومائة ، وكان والياً فيها خمس عشرة سنة وثلاثة أشهر ، فاتفّق أن الرشيد عزل رَوحاً عن السِّند وسيَّره إلى موضع أخيه يزيد ، فدخل إلى إفريقية فى أول رجب سنة إحدى وسبعين ومائة ، ولم يزلْ والياً عليها إلى أن توفِّى بها لإحدى عشرة ليلةً بقيت من شهر

رمضان سنة أربع وسبعين ومائة ، ودفن فى قبر أخيه يزيد . فعجب الناس من هذا الاتفاق بعد ذلك التباعد .

تتمـــة

قال الصولى (فى كتاب الأنواع) : حدثنا أبو العباس محمد الجُبَّانى قال : أنشدنا بكر المازنى [١] لربيعة بن ثابت الرقى ، يمدح يزيد بن حاتم المهلَّبىَّ ويهجو يزيدَ بن أُسيد السُّلمى :

لشَتانَ ما بين اليزيدين فى النَّدى .... البيت

وبعده الأبيات الثلاثة . قال : بلغ هذا الشعرُ أبا الشمقمق ، واسمه مروان ، فقال يفضِّل يزيد بن مزيد الشيبانى على يزيدَ المهلبى :

لشتّان ما بين اليزيدَينِ فى الندى
إذا عُدَّ فى الناس المكارمُ والحمدُ
يزيد بنى شيبانَ أكرم منهما
وإن غضبتْ قيس بنُ عَيلان والأزدُ

انتهى .

يزيد بن مزيد

ويزيد هذا هو ابن مَزْيد بن زائدة ، وهو ابن أخى معن بن زائدة الشيبانى . وكان يزيد هذا من الأمراء المَشْهورين ، والشُّجعان المعروفين ، وكان واليا بأرمينية ، فعزله عنها الرشيد سنة اثنتين وسبعين ومائة ، ثم ولَّاه إياهَا وضم إليها أذربيجان فى سنة ثلاث وثمانين . وهو من الأجواد ، وقد قصده الشعراءُ من سائر النواحى ، وأجاد صِلاتِهم .

(١) هو بكر بن محمد بن بقية ، أبو عثمان المازنى ، المتوفى سنة ٢٤٩ .

وقد أطال ترجمته ابن خلكان .

وتوفى سنة خمس وثمانين ومائة ، ورثاه أبو الشمقمق ، ومسلم بن الوليد ، وأبو محمد عبد الله بن أيوب التَّيمىُّ المشهور ، وغيرهم .

ورأيت فى (رسائل الصاحب بن عباد) رسالةَ مُداعبة ، جمع فيها نظائرَ هذا الشعر ، وهى رسالة جيِّدة أحببْت أن أوردها هنا وهى :

أبو الفرج عَبَّاد بن المطهَّر أعزه الله ، يزعم أن الشيخ الأمين [1] رضى الله عنه سمَّاه عبَّادا . والناس يروون :

لشتان بين اليزيدين فى الندى
يزيد سليم والأغَرُّ بنُ حاتم

وفيهم من لا يعلم أنه لربيعة الرَّقِّىّ ، ولا أنَّ اليزيدين : يزيدُ بن حاتم المهلبى وهو الممدوح ، ويزيد بن أُسَيد وهو المذموم . وكما لا يدرِى أن الشعر بلغ أبا الشمقمق فقال ، وفضَّل عليهما يزيدَ بنَ مَزيد الشيبانى :

لشتَّانَ ما بين اليزيدين فى الندى
إذا عُدَّ فى الناس المكارمُ والحمدُ

يزيدُ بنى شيبان أكرمُ منهما
وإن غضبتْ قيسُ بن عَيلان والأزدُ

وقد قال الآخر :

يزيدَ الخير إنَّ يزيدَ قومى
سَمِيُّك لا يزيدُ كما تَزِيدُ

(١) الذى فى رسائل الصاحب ١٥٩ : « أن الشيخ الأمير » .

ويَذْكرني مولاى أنه أُنشِدُ كثيراً لأبى الهول الحميرى ، فى الفضل بن العباس ، والبرمكى :

فضلان ضَمَّهُما اسمٌ وشتَّتِ الأخبار [(١)]

كما سمعنى أُنشدُ لبشَّار :

رأيت السُّهيلينِ استوى الجودُ فيها
على بعد ذا من ذاك فى حكم حاكمِ
سُهيل بن عثمانٍ يجودُ بماله
كما جاد بالفَعْلى سُهيلُ بن سالمِ [(٢)]

ومن المبتذل فى هذا :

شتّان بين محمَّد ومحمدٍ
حَىٌّ أماتَ وميِّتٌ أحيَانى

والمحمَّدان : محمد بن منصور بن زِياد ، ومحمد بن يحيى بن خالد . ولا أحسب عبادا هذا يعدُّ ما قلته تفضيلاً لعبَّاد بن العباس عليه ، وإضافة له إليه ، ولا أن يقول كما قال يونس بن حبيب : أشدُّ الهجاءِ الهجاءُ بالتفضيل . وذلك كما قال صديق مولاى القريب ، وابن عمته النسيب ، الفرزدق بن غالب ، وقد قيل له : انزل على أبى قَطَن قبيصة ، فحسبه ابنَ مخارق الهلالى ، فإذا هو آخر لا يحضرنى نَسبه [(٣)] وذمَّ قِراه وجواره ، فقال :

---

(١) ورد فى النسختين على أنه نثر . وهو بيت من مجزو المجتث .

(٢) الفعلى ، بالفتح : كناية عن الوجعاء ، وهى الدبر ، قصر وزنها للشعر ، وفى الأغانى ٣ : ٢٦ : « بالوجعاء » . وفى الرسائل :

* كما جاء بالفعلاء سهل بن سالم *

وما هنا صوابه .

(٣) وكذا فى ديوان الفرزدق ٥٨٧ ، ففى حواشيه : « أراد قبيصة بن المخارق الهلالى ، فغلط فنزل على قبيصة آخر غير هذا الهلالى » . وانظر لقبيصة جمهرة ابن حزم ٢٧٣ .

سَرَت ماسرت من ليلها ثمَّ وافقت
أبَا قطن ليس الذى لمخارقِ [(١)]

وقد تلتقى الأَسماءُ فى الناس والكُنى
كثيراً ، ولكن لا تلاقَى الخلائقُ

فأمَّا التفضيل الذى أومأتُ إليه فقد أعجبنى منه أنَّ الحطَيئةَ قال : ٢٥

فلمَّا أن مَدَحتُ القوم قلتم
هجوتَ ، وهل يحلُّ لىَ الهجاءُ

فلم أشتُمْ لكم حَسَباً ولكن
حَدوتُ بحيث يُستمع الحُداءُ

حتَّى زعم بعضُهم عن الزِّبرقان أنَّ هذا أوجعُ له من قوله :

دعِ المكارم لا ترحل لبُغيتها
واقعدْ فإنَّك أنتَ الطاعمُ الكاسى

وعلى ذكر هذا البيت فلا أدرى لم تُرك ما قيل قبله . فقد سَبَق الأعشى بقوله :

فدَعْنا وقوماً إنْ همُ عَمَدوا لنا
أبا ثابت ، واجلِسْ فإنَّك طاعمُ [(٢)]

---

(١) فى الديوان : « ثم وافقت أبا قطن غير الذى لمخارق » . وفى البيت الثانى من هذين البيتين إقواء . وبينهما فى الديوان :

فباتت وبات الطل يضرب رحلها   موافقة ياليتْهَا لم توافق

(٢) فى النسختين : « إنهم عمدوا لنا » صوابه فى رسائل الصاحب ١٦١ وديوان الأعشى ٥٨ . وفى الديوان : « وذرنا وقوما » . وأبو ثابت كنيته يزيد بن مسهر الشيبانى ، الذى هجاه الأعشى بقصيدة هذا البيت .

لست أدْرى ، أيدَّ الله مولاىَ ، ما هذا الوَسواس الخنَّاس ، الذى يوسوس فى صدور الناس . وإنّما حضر هذا الفتى وله حقُّ الغُرْبة وأعظِمْ به حقًّا ، ثم حقُّ الأدب وأكرِمْ به فخرا ، وقد خدَمني طِفلا ، والآنَ كهلا ، وهاجر إلىّ ، فتظاهرت حُرُماته لدىّ . وهذه التسمية أيضاً لها ذِمامٌ يُرْعَى ، وذِمار لا يُنسَى ، وسألنى أن أخاطبَ مولاى فى بابِه ، وأُسِيمه [1] فى مرعى جنابه ، وتصوَّر لى الأنسُ بمطاولة مولاى ؛ وحسبْتُنى أناجيه عن قرب كما أنا مكاتبه عن بعد ، فلجَّ الطبعُ والقلم ، وحضرت هذه الأبيات والعبر ، ومولاى ولىُّ ما يوليه ، ويختصُّه بالجميل فيه ، فقد كان أبو عيسى النُّوشَجانى عبد المسيح [2] أنشدَ والِدى :

وانَّ ائتلاف النفس أدنى قرابةً
لمن يدَّعى القربى إذا كان ظالما

انتهى . وقوله : وقد قال الآخر :

يزيدَ الخيرِ إنَّ يزيدَ قومى .... البيت

هذا سهوٌ منه فى زعمه أنَّه لغير ربيعة ، والصواب أنه له كما نقلناه .

وقوله : « بمسعاته سَعْىَ البحور الخضارم » ، المَسْعاة : مصدر ميمىّ ، وهو السعى . والخضَارم بالفتح : جمع خِضْرِم ، بكسر الخاء وسكون الضاد المعجمتين وكسر الراء : الواسع الكثير .

---

(١) ط : « وأسميه » ، صوابه فى ش ورسائل الصاحب .

(٢) فى رسائل الصاحب : « أبو عيسى النوشجان بن عبد المسيح » .

وقوله : « بالحَزائم » جمع حِزام ، مستعار من حزام الدابة . أراد أنّهم متشمِّرون للحرب [١] .

وقوله : « هم الأنف والخرطوم » ، هو بالضم : الأنف . وخُرطوم القوم : سيِّدهم . والمناسم : جمع مَنسِم بفتح الميم وكسر السين ، وهو خفُّ البعير .

والملاحم : جمع مَلحَمة ، بفتح الميم والحاء ، وهى الوقْعة العظيمة فى الفتنة .

والمناعيش : جمع مِنعاش مبالغة ناعش ، كمنحار مبالغة ناحر ، مِنْ نعشَه ينعَشُه بفتح العين فيهما نَعْشاً بسكونها ، إذا رفعه من سقطته . والجارم : الكاسب الفقير ، من جرم يجرم كضرب يضرِب .

ربيعة الرقى

وربيعة الرقى هو أبو أسامة ربيعة بن ثابت ، من موالى سُليم . ويدلُّ عليه قوله :

* يزيدَ الخير إن يزيد قومى *

وقال محمد بن معاوية الأسدى : هو من بنِي جذيمة بن مالك بن نصر ابن قُعَين . وهو شاعر مطبوع . قال دِعْبِل بن علىٍّ الخُزاعى : قلت لمروانَ بن أبى حَفصة : يا أبا السِّمط من أشعرُكم جماعةَ المحدَثين ؟ قال : أشعرنا أسْيَرُنا بيتاً [٢] . قلت : من هو ؟ قال : الذى يقول :

---

(١) كذا قيد التفسير هنا رواية (الحزائم) فى البيت ١٢ من قصيدة ربيعة الرقى السابقة ، لكن فى الوفيات : « قاداتٌ لكم بالخزائم » وأرى أنها صواب الرواية ، فالخزائم جمع خزامة ، وهى حلقة من شعر تجعل فى وترة أنف البعير يشد بها الزمام . وفى الحديث : « ومرهم أن يعطوا القرآن بخزائمهم » ، يراد به الانقياد لحكم القرآن وإلقاء الأزمة اليه ، كما يؤخذ البعير بخزامته . وانظر اللسان (خزم) . والبيت لم يرد فى العقد ولا فى الأغانى .

(٢) ط : « أشعرنا بيتا » ، وفى ش مع أثر تصحيح : « أسيرنا بيتا » ، وإكمال الكلام وتصحيحه من ضوء الأغانى ١٥ : ٣٧ ففيها « أشعرنا أيسرنا بيت » ، وفيه تحريف كما ترى .

لشتان ما بين اليزيدين فى الندى
يزيد سُلَيم والأغَرُّ ابنُ حاتِمِ

والرِّقِّىُّ : منسوب إلى رَقَّة ، بفتح الراء وتشديد القاف ، وهى مدينة ، ومعناها فى اللغة كلُّ أرض إلى جنب وَادٍ ، ينبسط عليها الماء أيامَ المدّ ثم ينحسر عنها فتكون جيِّدةَ النبات ، والجمع رِقاق . ٥٦

قال ياقوت (فى معجم البلدان) : الرَّقَّة : مدينة مشهورة على الفرات ، بينها وبين حَرَّان ثلاثة أيام ؛ معدودةٌ فى بلاد الجزيرة ، لأنَّها من جانب الفرات الشرقى . ويقال الرقة البيضاء [1] ، وهى من الإقليم الرابع . ووصفها ربيعةُ الرِّقِّىُّ بقوله :

حَبَّذا الرقة داراً وبلَد   بلدٌ ساكنه ممن تَوَدّْ [2]
ما رأينا بلدةً تعدِلُها   لا ، ولا أخبرَنا عنها أحَد
إنَّهــا برِّيَّــةٌ بَحْرِيَّــةٌ   سُورها بحرٌ وسُورٌ فى الجَدَدْ
يسمَعُ الصُّلصُلَ فى أشجارها   هدهدُ البر ، ومُكَّاءٌ غرِدْ [3]
لم تُضمنْ بلدةٌ ما ضُمِّنتْ   من جمالٍ ، فى قريش وأسدْ

وكان بالجانب الغربى مدينة أخرى تعرف برقَّة واسط ، كان بها قصران لِهشام بن عبد الملك ، كانا على طريق رُصافة هشام . وأسفلَ من الرقة بفرسخ الرَّقّةُ السوداء ، وهى قرية كبيرة ذات بساتين كثيرة . والرَّقَّة أيضاً :

(١) فى معجم البلدان : « ويقال لها الرقة البيضاء » .

(٢) ش : « دار وبلد » . وفى معجم البلدان : « دار أو بلد » .

(٣) الصلصل بضم الصادين : طائر تسميه العجم الفاختة . عَنَى تجاوب الطير فى أرجائها .

البستان المقابل للتاج من دار الخلافة ببغداد (١) ، وهى بالجانب الغربى ، وهو عظيمٌ جدًّا جليل القدر .

وأطنب ياقوت فى وصفها .

تتمــــة

قد تقدَّم بيتانِ هما من شواهد النحويِّين ، وأوردهما الزمخشرى (فى مفَصَّله) ، أما الأوّل فهو :

شَتَّان ما يومى على كُورها ويومُ حَيَّانَ أخى جابِرِ

وهو من قصيدةٍ للأعشى ميمون ، قد شرحنا بعضَ أبياتها فى الشاهد الخامس والثلاثين بعد المائتين (٢) .

قال ابن السيد (فى شرح أبيات أدب الكاتب) : حيَّان وجابر ابنا عُميرة من بنى حنيفة (٣) ، وكان حيَّانُ نديماً للأعشى . يقول : يومى على كُور هذه الناقة ، بالضم ، وهو الرحل ، ويومى مع حيَّان أخى جابر ، مختلفان لا يستويان ؛ لأنَّ أحدهما يومُ سفر وتعب ؛ والثانى يوم لهو وطرب . روِىَ أنَّ حيانَ كان سيّداً أفضلَ من أخيه جابر ، فلما أضافه إلى جابر غضب وقال : عرَّفتَنى بأخى وجعلته أشهرَ منِّى ، والله لا نادمتُك أبدا ! فقال له الأعشى : اضطرتنى القافية ! فلم يعذِره . انتهى .

وقد غلط الأندلسى (فى شرح المفصل) فقال : الأخ يقال له جابر ،

(١) فى النسختين : « بغداد » ، والوجه ما أثبت من معجم البلدان .

(٢) الخزانة ٣ : ٣٩٧ .

(٣) فى الاقتضاب ٣٨٨ : « حيان وجابر : رجلان من بنى حنيفة » .

يقول : كناَّ نشرب مع جابر . وهذا غلطٌ ظاهر ، يلزم منه أنْ يكون حيّان وجابر مبيِّنين للأخ . وهذا محال .

وقال الخوارزمى : يقول : كنا نشرب ونتنعّم مع جابر ، وكان فيما يقال ملكا يختص بأبى حيّان [١] ، لأنّه نديمه .

هذا كلامه ؛ ونقله بعض فضلاء العجم (فى أبيات المفصل) . وهذا غير صحيح أيضاً ؛ لأنَّه يصف حَيَّانَ ويذكر عيشه معه [٢] ؛ ولم يكن يشرب مع جابر ، وإنّما [٣] كان نديمه حيان .

وقد وقع فى شعر حَسّان نظيرُ ما وقع للأعشى من تعريف المشهور بالخامل ؛ قال فى رثاءِ جعفر أخى على بن أبى طالب رضى الله عنهما :

ومازالَ فى الإسلام من آل هاشم   دعائمُ عزٍّ لا تُرام ومَفخرُ [٤]
بهاليلُ منهم جعفرٌ وابنُ أمِّه   علىٌّ ، ومنهم أحمدُ المتخيَّرُ

٥٧ البهاليل : جمعُ بهلول بالضم ، وهو السَّيِّد الوضيء الوجه ، الطويل القامة . والمتخيَّر : المنْتخب . وقوله : « منهم أحمد المتخيَّر » قدْ عابَهُ بعضُ الناس لما أضاف أحمد المتخيَّر إليهم ، وليس هذا بعَيْب ، لأنَّها ليست بإضافة تعريف ، وإنما هذا تعريفٌ لهم حيث كان منهم . وإنما ظهر العيبُ فى قول أبى نوَاس من قصيدة مدح بها العباسَ بن عبيد الله [٥] بن أبى جعفر المنصور :

---

(١) ش : « يحسن بأبى حيان » ، تحريف . على أن كلمة « بأبى » مقحمة ، فإن الرجل حيان لا أبو حيان .

(٢) ط : « عيلته معه » ، وأثبت ما فى ش .

(٣) ش : « إنما » بدون واو .

(٤) ديوان حسان ١٨٠ .

(٥) فى النسختين : « بن عبيد » ، وأثبت ما فى ديوان أبى نواس ٦٦ . وفى أمالى ابن الشجرى ٢ : ٣٥٣ : « العباس بن عبد الله بن جعفر بن جعفر بن المنصور » .

كيف لا يُدنيك مِن أملٍ   مَن رسولُ الله مِن نفرِه

لأنَّه ذكر واحداً وأضاف إليه ، فصار بمنزلة ما عيب على الأعشى .

قال السهيلى (فى الروض الأنف) : وجدت فى رسالةٍ لمهلهل بن يموت ابن المزرِّع قال : قال علىُّ بن الأصغر ، وكان من رُواة أبى نواس ، قال : لمَّا عمل أبو نواس :

أيُّها المنتابُ عن عُفُره   لستَ من ليلى ولا سَمَره

أنشَدَنيها ، فلما بلغ قوله « مَنْ رسولُ الله من نفره » وقع لى أنّه كلامٌ مستهجَن ، فى غير موضعه ، إذ كان حقُّ رسولِ الله ﷺ أن يضاف إليه ولا يضافَ إلى أحد . فقلت له : أعرفت عيب هذ البيت ؟ فقال : ما يعيبه إلَّا جاهلٌ بكلام العرب ، إنما أردت أنَّ رسول الله ﷺ من القبيل الذى هذا الممدوح منه ، أمَا سمعتَ قول حسان بن ثابت شاعر الإسلام : « ومنهم أحمد المتخير » ؟! وأنشد البيتين .

ورأيت هذه الحكاية فى آخر ديوان أبى نواس ، فى الباب الخامسَ عشر ، أوردها حمزة بن الحسَن الأصفهانى فيما دوَّنه من شعر أبى نواس .

وأما الثانى فهو :

شتّانَ هذا والعناقُ والنَّومْ   والمشربُ الباردُ فى ظل الدَّوْمْ

وهو للقيط بن زُرارة بن عُدُس بن تميم ، ويكنى أبا دَخْتَنُوس ، وهى بنته ، وأبا نهشلٍ أيضاً . وأخوه حاجب بن زرارة صاحبُ القوس التى يقال لها

قَوس حاجب . أنشده المبرد فى المقتضب [١] ، وأنشده :

* والمشرب الدائم فى الظِّلّ الدَّوْمْ *

جعل المبرد المصدر فى هذا الموضع موضع الوصف ، أى الدائم . وأنشد غيرُه : « فى ظلِّ الدَّوم » على الإضافة . والدَّوم : شجر المُقْل . وهذه رواية أبى عبيدة . قال الأصمعى : قد أحال ابن الحائك ، لأنه ليس بنجدٍ [٢] دومٌ ، وإنما الرواية : « فى الظل الدوم » ، أى الدائم .

قال الخوارزمى : مَن أنكر على من روى « ظلِّ الدوم » قال : أىُّ ظلٍّ يكون للدوم ، وهو شجر المقْل . ولا يخفى أنَّ المنكر هو الأصمعىّ ، وإنما أنكره لأن الدوم ليس مما ينبت فى بلاد الشاعر ، لا لما ذكره ، وأما شجر المُقْل فله ظِلٌّ قطعا .

وقوله : شتانَ هذا ، إسم الإشارة راجعٌ إلى الأمر الذى استصعبه الشاعر من الحال . والعناق : المعانقة . والمعنى افترق هذا ، أى ما أنا فيه من التعب ، والمعانقةُ والنومُ والراحةُ والماءُ العذب فى ظلِّ هذا الشجر ، أو فى الظل الدائم . وقبله :

يا قوم قد حَرَّقتمونى باللَّوْمْ ولم أقاتلْ عامراً قبلَ اليوْمْ

وقد أرخَيْنَا هنا عنان القلم فجرى فى مَيدان الطُّروس ، فأتى بما يُبهِج النفوس . وقد بقيت أشياء تركناها خشية السآمة ، واتِّقاء الملامة ، كالكلام على تثنية العلَم فى اليزيدين ، فإنّ ابنَ جنى قد حقَّق ما يتعلق به (فى سِرِّ الصناعة) . وإن ظهر لنا موضعٌ يناسبه أوردناه فيه إن شاء الله تعالى . ٥٨

* * *

(١) المقتضب ٤ : ٣٠٥ .

(٢) لأنه ليس ، ساقطتان من ش .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والستون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد سيبويه [(١)] :

٤٦٥ (قالت له رِيحُ الصَّبا : قَرْقارِ)

على أن الأكثرين قالوا : لم يأت اسمُ فعل من الرباعى إلَّا كلمتان ، إحداهما قرقار .

قال سيبويه : وأما ما جاء معدولاً عن حده من بنات الأربعة فقوله :

* قالت له ريح الصبا : قَرقارِ *

فإنما يريد بذلك قالت له : قَرقِرْ بالرَّعد يا سحاب . وكذلك عَرعارِ وهى بمنزلة قرقار ، وهى لُعبة ، وإنما هى من عَرعرتُ . ونظيرها من الثلاثة : خَراج ، أى اخرجوا ؛ وهى لُعبة أيضا . انتهى .

قال الأعلم : قرقار : اسمٌ لقولك قرقر ، كما أن نزال اسم لقولك انزلْ . وحقُّ هذا المعدول أن يكون فى باب الثلاثى خاصَّة ، فهو على طريق الشذوذ والخروج عن النظائر . وصَف سَحاباً هبت له ريح الصبا فألقحَتْه ، وهيَّجت رعدهُ ، فكأنه قالت له : قرقِرْ بالرعد ، أى صوِّت . والقرقرة : صوت الفحل من الإبل . وقد خولف سيبويه فى حمل قرقار وعرعار على العدل ، لخروجهما عن الثلاثى الذى هو الباب المطَّرد ، وجُعلا حكايةً للصوت المردَّد ، دون أن يكونا معدولين عن شئ . انتهى .

---

(١) فى كتابه ٢ : ٤٠ . وانظر ابن يعيش ٤ : ٥١ والأشمونى واللسان (قرر ٣٩٩) .

أقول : المخالف هو المبرد ، قال : غلط سيبويه ، ولم يأت فى الأربعة معدول ، إنَّما أتى فى الثلاثى وحده . وقرقار وعرعار حكاية صوت نحو غاق غاق . قال السيرافى : والقول ما ذهب إليه سيبويه ، لأن حكاية الصَّوت لا يخالف فيها أوّلٌ ثانيا ، نحو : غاقْ غاقْ . وقد يصرِّفون الفعل من صوت المكرر ، نحو قرقرت من قارْ قار ، وعرعرت من عار عار ، يصيرون به إلى وزن الفعل . فلمَّا خالف اللفظ الأوُل الثانىَ علمنا أنه محمول على قرقر وعرعر ، لا على حكاية قار قار وعار عار . انتهى .

وقال أبو حيان (فى شرح التسهيل) بعد ما ذكر أنَّ المبرد غلَّطه : ومما يقوِّى ما ذهب إليه سيبويه وجودُ مثل قرقار اسم فعل فى غير الأمر ، وحكى ابن كيسان أنَّه يقال هَمْهَامِ ، وحَمحامِ ، وهَجهاجِ ، وبحباجِ ، أى لم يبق شئ . وأنشد :

ما كان إلَّا كاصطفاف الأقدامْ

حتَّى أتيناهم فقالوا هَمْهَامْ

انتهى .

ولم يذكر صاحب الصحاح إلا همهام عن اللِّحيانى ، قال : سمعت أعرابيًّا من بنى عامر يقول : إذا قيل لنا : أبقىَ عندكم شئ ؟ نَقول : همهام ، أى لم يبقَ شئ . وأنشد هذا الشعر .

وزاد الصاغانىّ (فى العباب) على هذه الألفاظ : دعداع ، وقال : قرقار بنى على الكسر وهو معدول ، والعدل فى الرباعى عزيز ، كعرعار وهمهام وهجهاج وبحباح ودعداع . قال أبو النجم يصف سحابا :

(حتى إذا كان على مُطَارِ يُمناه ، واليسرى على الثرثارِ
قالت له ريح الصَّبا : قَرقارِ تمرِى خلايا هزِمٍ نَثَّارِ
بينَ مشاييعَ له دُرَّارِ فشَقَّ أنهاراً إلى أنهار)

٥٩

ومُطار بنجد ، والثرثار ببلاد الجزيرة . وقوله : قرقار ، أى قرقِرْ بالرعد وصُبَّ ماءك وهات ما عندك . ومعناهُ ضربتْه ريح الصبا فدَرَّ لها ، فكأنها قالت له : صبَّ ماءك . انتهى .

ولم يورد هو من هذه الألفاظ فى كتابه إلّا بحباح بموحدتين ومهملتين ، قال : قيل لبعض بنى عامر ، أبقِىَ عندكم شئ ؟ فقال : بَحباحِ ! مبنيا على الكسر ، أى لم يبق شئ . هذا كلامه ، فكان ينبغى له أن لا يذكُرَ هذه الألفاظ مع قرقارِ ، لئلاّ يتوهم أنّها اسم فعلِ أمرٍ معدول .

ولم يورد الجوهرىُّ ما أوردَهُ مع أنّه أصله ، وإنما قال : وقولهم قرقار بنى على الكسر ، وهو معدول ، ولم يُسمع العدل من الرباعىّ إلا فى عرعار وقرقار . فللّه درُّه ما أحسن صنيعه !

وقال الأصمعىّ (فى كتاب الإبل) : قالوا قَرقار وقِرقار بفتح القاف وكسرها ، وقرقر . وأنشد البيت .

وأورده صاحب (الكشاف) عند قوله تعالى : ﴿ أَلستُ بربِّكُمْ قالوا بَلَىَ ، [1] ﴾ على أنه من باب التمثيل والتخييل كما فى البيت .

---

(١) الآية ١٧٢ من الأعراف .

وقوله : « حتى إذا كان على مُطار » قال أبو عبيد البكرى (فى معجم ما استعجم) : مُطار بضم الميم : وادٍ قربَ الطائف . وأنشد هذه الأبيات . وقال : والثرثار بالجزيرة : ماءٌ معروف ، وقيل هو قريب من تِكريت . ولم تختلف الرواة فى هذا الوادى أنّه مُطار بضم الميم . فأمّا مَطار بفتحها فموضع فى ديار بنى تميم ، مؤنّثٌ لا ينصرف .

وقال فى الثاء المثلثة : الثرثار : ماء معروف قِبَل تِكريت . وقال الهَمدانى : هو نهرٌ يصبُّ من الهِرماس إلى دجلة . وقال أبو حنيفة : هو بالجزيرة .

واسم كان [١] يمناه ، والضمير للسحاب . و « على مطار » ، يريد أنّه سحاب عَظيم طرفُه الأيمنُ على مُطار ، وطرفه الأيسر على الثرثار . وجملة قالت له إلخ جواب إذا .

وتمرى : مضارع مريت الناقة مَرْيا ، إذا مسحتَ ضرعَها لتدرَّ . وفاعله ضمير الريح . والخلايا : جمع خلية بالخاء المعجمة : الناقة تُعطَف مع أخرى على ولدٍ واحدٍ فتدرّان عليه ، ويتخلّى أهل البيت بواحدةٍ يحلُبونها . وهَزِم بفتح الهاء وكسر الزاى المعجمة ، يقال غيثٌ هزِم أى متبعِّق لا يستمسك . ونثّار : مبالغة ناثر . وبينَ ظَرفٌ للنثّار .

والمشاييع : جمع مشياع ، وهو الذى يُشيع السر [٢] ، استعير للسحاب الساكب . ودُرَّار صفة لمشاييع ، وهو بضم الدال جمع دارّ . يقال ناقة دارٌّ بدون هاء ، ونوق دُرَّار مثل : كافر وكفّار ، أى كثيرة الدَّرِّ ، وهو اللبن .

---

(١) ط : « واسم واد كان » وكلمة « واد » مقحمة

(٢) ط : « يذيع السر » ، وأثبت ما فى ش .

وقوله : « فشقّ أنهاراً » إلخ أى فشق ماءُ ذلك السحاب الأرضَ فصيَّر فيها أنهاراً جارية إلى أنهار .

وأنشد الجوهرى البيت الشاهد من هذا الرجز مع بيتٍ آخر منه ، وهو :

* واختلط المعروفُ بالإنكارِ *

وهذا هو المشهور فى كتب النحو . يريد : قالت الريح للسحاب قَرقِر بالرَّعد . ولما كان إنشاء السحاب بسبب الرِّيح صار كأن الرِّيح قالت له قرقر بالرعد . والقرقرة : صوت فحل الإبل . والقرقرة : الهدير . وبعيرٌ قرقارُ الهدير ، إذا كان صافىَ الصوت فى هديره .

وقوله : « واختلط المعروف » أى مِن صوت الرعد بالمنكَر منه . وقيل أراد أنَّ السحاب أصاب كلّ مكان مما يُعرَف ويُنكر ، أى عمَّ الأراضىَ كلها ، أو ممَّا كان معروفا بأن يمطِر وما كان منكراً إمطاره . قال ابن الأعرابى (فى نوادره) : مُطرت مطراً شديدا فأنكرتَ ما تَعرِفُ مِنْ [١] آثار الديار ومعالمها . وقيل المعروف : المطر ؛ والإنكار : البرق ، والسَّيْل [٢] والصاعقة . شبَّه الريح بالآمِر ، والسحابَ بالمأمور ، وقرقار بالمأمور بِهِ ، لأن الريح هى التى تنشئُ السحابَ وتسوقه ، ولهذا جُعلت كأنها قائلة له . كلُّ ذلك على سبيل التمثيل .

٦٠

وترجمة أبى النجم العجلى ، وهو راجز إسلامىّ ، قد تقدمت فى الشاهد السابع [٣] من أوائل الكتاب .

* * *

(١) فى النسختين : « من تعرف » .

(٢) ش : « والسبل » بالباء الموحدة ، وهو المطر .

(٣) الخزانة ١ : ١٠٣ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والستون بعد الأربعمائة [١] :

٤٦٦ (يَدعو وليدُهُم بها عَرعارِ)

لما تقدم قبله . وهذا عجزٌ وصدره :

(متكنِّفِى جَنْبى عُكاظَ كِليهما)

يعنى يقيمون فى كنَفَىْ جنبى عكاظ . والكنف : الناحية . وهو جمع مذكر سالم حذفت نونه للإضافة ، والإضافة لفظية . و (عكاظ) : سوقٌ قريبة من مكة ، كانت فى الجاهلية تقام ، وقد شرحناها فيما مضى [٢] ، وهى غير مصروفة للعلمية والتأنيث . و (كليهما) تأكيد لقوله جَنبىْ . و(الوليد) : الصبىّ . وضمير بها لعكاظ . (عرعار) : لعبة للصِّبيان ، إذا خرج الصبىُّ من بيته ولم يجد أحدا يلاعبه رفع صوته فقال : عرعار ، أى هلمُّوا إلى العرعرة ، فإذا سمِعوا صوته خرجوا ولعبوا معه تلك اللُّعبة . قال ابن دريد (فى الجمهرة) : سمعتُ عرعار الصبِّيان ، إذا سمعتَ اختلاط أصواتهم . وقال (فى الصحاح) : العرعرة : لُعبة للصبيان . وعرعار بنى علَى الكسر ، وهو معدول عَن عرعرة [٣] . والصحيح كما قال الأعلم عَرعار معدولة عن قولهم عَرعِر ، أى اجتمِعوا للعب ، كما أنَّ خَراج اسمُ لعبةٍ لهم : معدول عن قولهم : اخرجْ .

ومعنى البيت أنهم آمنونَ فى إقامتهم هناك لِعزِّهم [٤] وكثرتهم ،

---

(١) ابن يعيش ٤ : ٥٢ والأشمونى ٣ : ١٦٠ وديوان النابغة ٣٥ بشرح البطليوسى .

(٢) انظر ٤ : ٤٧٢ - ٤٧٤ .

(٣) ط : « من عرعرة » ، وأثبت ما فى ش والصحاح . وبعده فى الصحاح : « مثل قرقار من قرقرة » .

(٤) ش : « بعزتهم » .

وصبيانُهم يلعبون بهذه اللعبة لبطَرهم ورفاهيتهم . ونحوه قول حسان :

* أولاد جفنة حول قبر أبيهم [١] *

أى لا يرحلون عنه لعزِّهم وغناهم ، بخلاف غيرهم ، لا بدَّ له من الرِّحلة للانتجاع .

صاحب الشاهد

والبيت آخر أبياتٍ تسعة للنابغة الذبيانى ، حذَّر بها عَمرَو بنَ المنذر ابن ماءِ السماء ملكَ الحيرة من أعدائه ، وهم قوم النابغة . أخبره بأنهم نزلوا بعكاظ وهم كثيرون ، ينتظرون وقوع الربيع فيرعَوْنه ويحاربونه . وأوّلها [٢] :

أبيات الشاهد

(من مبلغٌ عمرو بنَ هندٍ آيةً
ومِن النصيحة كثرة الإنذارِ
لا أعرفنَّك عارضاً لرماحنا
فى جُفٍّ تَغلبَ واردَ الأمرارِ [٣])

الجُفُّ بضم الجيم : العدد الكثير ، والجماعة من الناس ، ومنه قيل لبكر وتميم : الجُفّانِ ؛ لكثرتهما . وتغلب : أبو قبيلة عظيمة ، وهو تغلب بن وائل . والأمرار بفتح الهمزة قال صاحب الصحاح : هى مياهٌ فى البادية مُرّة . وأنشد هذا البيت .

(ومعلّقون على الجياد حَليَّها حَتَّى تَصُوبَ سَماؤهم بِقِطارِ)

---

(١) عجزه كما فى الديوان ٣٠٩ .

* قبر ابن مارية الكريم المفضل *

(٢) الأبيات فى ديوانه صنعة ابن السكيت ١٢٨ - ١٢٩ وليس فيها البيت الشاهد .

الحَلىّ ، بفتح المهملة وكسر اللام : ما تعَتِلفه الخيل إذا يبس ؛ وإذا كان رطَبا أخضر فهو نَصىّ . وقِطار ، بالكسر : جمع قَطْر . إلى أن قال :

(فيهم بناتُ العسجدىِّ ولاحقٍ
وُرْقٌ مراكلُها من المِضمارِ)

عسجد ولاحق : فحلان من خيل غنِىِّ بن أعصُر . والمَرْكَل كجعفر : موضعُ عَقِب الفارس . يقول : تضمرُ خيلُهم بالركوب ، فتقرع أعقابهم مواضعَ المراكل فيتحاتُّ شعرها ثم ينبت بعد ذلك شعر أسود . ولهذا قال : وُرق ، لأنه إذا نبت خرج يضرب إلى الغبرة ، وهى الوُرقة . ٦١

(تُشلَى توابعها إلى ألّافها
خَبَبَ السِّباع الُولَّهِ الأبكار
مُتكَنِّفِى جنبىْ عكَاظَ كليهما
.... البيت)

الإشلاء : الدعاء ؛ أشليته : دعوته . يعنى يدعَى توابُع من أولادها ومن خيلِ أخرى إلى ما ألفته . والوُلَّهُ : التى قد ولهت إلى أولادها . والأبكار : التى وضَعت بطنا ، وتكون التى لم تلد قَطُّ . وقوله : متكنِّفِى حال من أصحاب هذه الخيل . والإضافة لفظية ، ولهذا صحَّت الحال .

ولما بلغت هذه الأبياتُ عمرو بن هند قال :

أبلغ زياداً أنّ قومك حاربوا
فانهضْ ألينا أن قدَرتَ بجارِ [1]

---

(١) ش : « بجار » ، صوابه فى ط وديوان النابغة صنعة ابن السكيت .

نَجزيكَ إنذاراً بما أنذرتنا
وذكرت عطفَ الوُدِّ والأصهارِ

وزيادٌ : اسم النابغة . وله قصيدةٌ على هذا الوزن والرويّ مطلعها [١] :
نُبِّئْتُ زُرعةَ والسَّفاهةُ كاسمها
يُهدِى إلىَّ غرائبَ الأشعارِ

وزُرعة هو ابن عمرو بن خويلد أخى يزيد بن عمرو بن الصَّعِق الكلابى ، كان هجَّاء للنابغة ، فلمَّا بلغ هجاؤه النابغة قال هذه القصيدة يتوعَّده بالهجاء ومحاربته إياه مع قومه ، ثم وصف قومه وأحلافهم إلى أن قال :
جمعٌ يظلُّ به الفَضاء معضِّلاً
يَذَرُ الإكامَ كأنَّهنَّ صحارِى

معضِّل اسم فاعل ، يعنى غاصًّا ضيِّقا . يقال قد عضَّلت المرأة بولدها تعضيلاً ، إذا تعسَّر عليها فنشِبَ ولم يخرُج .

وليس فى هذه القصيدة البيتُ الشاهد [٢] .

وزعم ابن المستوفى (فى شرح أبيات المفصل) وتبعه جماعة ، أنه منها . وأورد معه قولَه :

* جَمعٌ يظلُّ به الفضاء معضِّلا *

البيت مع أبيات أخر ، وقال : مدح بهذه القصيدة بنى غاضرة من بنى أسد .

(١) القصيدة فى ديوانه ٣٤ بشرح البطليوسى .

(٢) الحق أن البيت الشاهد فيها فى ص ٣٥ كما سبقت الإشارة .

وليس الأمر كذلك كما بيّنّا .

وسيأتى شرحُ بعض هذه القصيدة بعد شاهدٍ واحد إن شاء الله تعالى . وترجمة النابغة الذبيانى قد تقدمت فى الشاهد الرابع بعد المائة [1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والستون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س [2] :

٤٦٧ (ولأنتَ أشجعُ من أُسامةَ إذْ
دُعِيَتْ نَزَالِ ولُجَّ فى الذُّعْرِ)

على أنَّ عبد القاهر استدلّ على تأنيث فَعَالِ الأمرىِّ بما هنا ، فإنّ نزال نائب فاعل دُعِيتْ ، ولولا أنها مؤنثة ما ألحق علامة التأنيث للفعل المسند إليها .

وفيه ما أورده الشارح المحقق . وعبد القاهر مسبوق بما قاله .

قال سيبويه ، فى باب ما جاءَ معدولاً عن حدِّه من المؤنث : ويقال نزال أى انزلْ . وأنشد البيت ثم قال : فالحدُّ فى جميع هذا : افعلْ ، ولكنه معدول عن حدّه ، وحرِّك آخره لأنه لا يكون بعد الألف حرف ساكن ، وحرِّك بالكسر لأنَّ الكسر مما يؤنَّث به . وإنما الكسرة من الياء . انتهى .

وقال ابن السراج (فى الأصول) : اعلم أنه لا يبنى على مثال فَعال من

---

(١) الخزانة ٢ : ١٣٥ .

(٢) فى كتابه ٢ : ٣٧ . وانظر المقتضب ٣ : ٣٧٠ والجمل ٢٣٣ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ١١١ والإنصاف ٥٣٥ وابن يعيش ٤/٢٦ ، ٥٠ ، ٥٢ وشرح شواهد الشافية ٣٣٠ وديوان زهير ٨٩ .

هذا الباب على الكسر إلا وهو مؤنث معرفة معدول عن جهته ، وإنَّما بنى على الكسر لأن الكسر مما يؤنث به ، تقول للمرأة : أنتِ فعلتِ وإنكِ فاعلة . ٦٢
وكان أصل هذا إذا أردت به الأمْرَ السكونَ ، فحرَّكته لالتقاء الساكنين ، فجعلت الحركة الكسرة للتأنيث ، وذلك قولك : نزالِ وتراكِ ، ومعناه انزلْ واترك ، فهما معدولان عن المتاركة والمنازلة . قال الشاعر تصديقاً لذلك :

.... إذا دعيت نزال ولُجّ فى الذعر

فقال : دعِيَتْ ، لما ذكرت لك من التأنيث . انتهى .

وهكذا قال خَدَمة كتاب سيبويه [١] . وشراح شواهد الجَمَل وغيرهم .

قال الأعلم : الشاهد فى قولِه : نزال ، وهو اسم لقوله انزل ، ودلَّ على أنه اسمٌ مؤنث دخولُ التاء فى فعله ، وهو دعيَتْ . وإنما أخبر عنها على طريق الحكاية ، وإلّا فالفعلُ ، وما كان اسماً له ، لا ينبغى أن يُخبر عنه . انتهى .

ومثله فى كون نزال أريد به لفظه فجعل نائبَ فاعل ، قولُ زيد الخيل الصحابىّ :

وقد عَلمتْ سَلامةُ أنَّ سيفى
كريهٌ كُلَّما دُعِيَتْ نزالِ

وقد وقع مفعولاً به فى قول ربيعة بن مقروم :

فدعَوا نزالِ فكنتُ أوّلَ نازِلٍ
وعَلامَ أركبُه إذا لم أُنزِلِ

(١) ط : « كلام سيبويه » ، صوابه فى ش .

ومعنى دعاء الأبطال بعضهم بعضاً بهذه الكلمة : أن الحرب إذا اشتدَّتْ بهم وتزاحموا فلم يمكنهم التطاعُن بالرماح ، تداعَوْا بالنزول عن الخيل ، والتَّضاربِ بالسيوف .

ومعنى (لُجّ فى الذعر) : تَتَابَعَ [١] الناسُ فى الفَزع ، وهو من اللَّجاج فى الشئ ، وهو التمادى فيه .

وقد تقدم شرح النزال مفصلا فى الشاهد الأربعين بعد الثلثمائة [٢] .

والشارح المحقِّق قد تبع صاحبَ الصحاح فى روايته البيت كذا فى مادة (أسم) ، وهو مركب من بيتين ، فإن البيت الذى فيه دُعيت نزالِ ، وهو لزهير بن أبى سلمى ، صدره كذا : صاحب الشاهد

ولنعم حَشْوُ الدِّرع أنتَ إذا
دُعيتْ نزالِ ولُجَّ فى الذُّعرِ

وقوله :

* ولأَنت أشجع من أسامة إذ *

إنما هو صدرٌ من بيت للمسيَّب بن علس ، وعجزه :

(نَقَعَ الصُّراخُ ولُجَّ فى الذعرِ [٣])

وهذا ليس فيه دعيت نزال .

والبيت الشاهد كما ذكرناه هو رواية سيبويه وسائر النحويين . وبيت

---

(١) كذا فى النسختين ، ولعلها « تتايع » بالياء .

(٢) صوابه الحادى والأربعين بعد الثلثمائة . انظر الخزانة ٥ : ٤٩ .

(٣) فى النسختين « يقع » ، صوابه بالنون كما فى الديوان ٨٩ والبيان ١ : ١٨٩ . ونقع الصراخ : ارتفع . قال لبيد (ديوانه ١٩١) :

فمتى ينقع صراخ صادق يحلبوها ذات جرس وزجل

المسيَّب بن علس على ما رتبناه هو رواية الجاحظ (فى كتاب البيانِ والتبيين) .
وقد رأيت البيتين فى ديوانيهما كذلك . أما بيت زهير فهو من قصيدةٍ مدح بها
هَرِمَ بنَ سنانٍ المُرِّىَّ . وهذه أبياتٌ بعد ثلاثة أبيات من أولها :

أبيات الشاهد

دَعْ ذا وعَدِّ القولَ فى هَرِمٍ
خيرِ البُداة وسيِّد الحَضْرِ

تالله قد علمتْ سَراةُ بنى
ذُبيانَ عامَ الحبس والأصرِ (١)

أنْ نِعْمَ مُعترَكُ الجياع إذا
خَبَّ السفيرُ وسابِئُ الخمرِ

ولنعم حَشْوُ الدِّرع أنت إذا
دُعِيتْ نَزَالِ ولُجَّ فى الذُّعرِ

ولنعم مأوَى القومِ قد علموا
إن عضَّهم جُلٌّ من الأمْرِ

ولنعم كافى مَن كفيتَ ، ومن
تَحمِلْ له تحمِلْ عَلَى ظَهرِ (٢)

٦٣ حامى الذِّمار على مُحافَظة الـ
ـجُلَّى أمينُ مغيَّبِ الصَّدرِ

حَدِبٌ على المولى الضَّريكِ إذا
نابت عليه نوائبُ الدّهرِ

(١) فى الديوان ٨٨ : « تالله ذا قسما لقد علمت » .

(٢) فى الديوان : « يُحمل على ظهر » .

عظُمت دسيعتهْ وفضَّله
جزُّ النواصى من بنى بدرِ
أيّامَ ذُبيانٌ مراغمةٌ
فى حَربِها ودماؤها تجرى (١)
ومُرهَّقُ النِّيرانِ يُطعِم فى الـ
ـلّأْواءِ غير مُلعَّن القِدرِ (٢)
ويَقِيك ما وُقِىَ الأكارمُ من
حُوبٍ تُسَبُّ به ومن غَدرِ
وإذا برزتَ به برزْتَ إلى
ضافى الخليقة طيِّبِ الخُبْرِ (٣)
متصرِّف للمجد معترِفٍ
للنائباتِ يَراحُ للذِّكرِ (٤)
جَلْدٍ يحثُّ على الجميع إذا
كرِهَ الظَّنونُ جوامعَ الأمرِ
ولأنت تَفرِى ما خلقْت وبعـ
ـضُ القوم يَخلقُ ثم لا يفرى
ولَأنت أشجع حين تَتَّجه الـ
أَبطالُ من ليثٍ أبى أجرِ

(١) ط : « ودمائها » ، ش : « ودماءها » ، والوجه ما أثبت كما فى حواشى ديوان زهير .
(٢) فى الديوان : « يحمد فى اللأواء » .
(٣) رواية ثعلب « صافى الخليقة » بالصاد المهملة .
(٤) رواية الأعلم : « متصرف للحمد » .

يَصطاد أُحدانَ الرِّجال فما
تنفكُّ أجرِيهِ على ذُخرِ
والسِّتْرُ دون الفاحشات وما
يَلقاك دون الخير من سِتر
أُثنِى عليكَ بما علمتُ وما
أسْلَفتَ فى النَّجدات والذِّكرِ (١)

قوله : « وعدِّ القولَ فى هَرِم » هو بفتح الهاءِ وكسر الراءِ ، أحد الأجواد فى الجاهلية من بنى مُرّة . أى دَعْ ما أنت فيه من وصف الديار ، وعَدِّ القولَ ، أى اصرِفْه ، إلى مدح هرِم . والبُدَاة : جمع باد . والحَضْر : جمع حاضر ، كصحب جمع صاحب .

وقوله : « تالله قد علمت » إلخ السَّراة : جمع سرِيٍّ (٢) ، وهو الكريم . والحَبْس والأصر ، بفتح الهمزة واحد ، وهو أن يُحدِقَ العدوُّ بالقوم فيحبسوا أموالَهم ولا يُخرجوها إلى الرعى ، خشيةَ أن يُغَار عليها . والأَصْر : الضيق أيضاً وسوء الحال .

وقوله : « أن نِعم مُعتَرك » إلخ ، أَنْ بفتح الهمزة مخففة من الثقيلة مؤوَّلة مع مدخولها بمصدر ، سادة مسد مفعولى علمتْ . ومعترك فاعل نعم ، والمخصوص محذوف ، وهو اسم مكان ، أى نعم موضع ازدحام الفقراء أنت . وأصله فى الحرب ، فاستعاره هنا . وخَبَّ السَّفير ، أى أسرعَ وطار مع الريح . والسَّفير : ما جفَّ من الورق وسقَط ، وذلك فى شدة البرد وقحط الزمان .

---

(١) ط : « سلفت » ، صوابه فى ش والديوان .

(٢) الحق أنه اسم جمع لا جمع ، وإلا فقياسه سراة بالضم ، وأسرياء وسُرَواء .

وسابئُ : معطوفٌ على معترك ، وهو مهموز الآخِر ، اسم فاعل من سبأ الخمر ، إذا اشتراها ، وإنما وصفَه بسباء الخمر فى شدَّة الزمان ، ليدلَّ على تناهى جُودِهِ ، فلا تمنعه شدَّة الزمان من إنفاق ماله .

وقوله : « ولنعم حشو الدرع » إلخ جعل لابسَ الدرع حشواً لها لاشتمالها عليه ، كما يشتمل الإناء على ما فيه . وهو العامل فى إذا ، لأنه بمعنى لابس ، وقيل متعلِّق بنعمَ لما فيه من معنى الثناء كما فيما قبله . والجُلُّ ، بالضم : الحادث العظيم كالجُلَّى . وقوله : « على ظهرٍ » أى ظهر حَمُولٍ قوىّ .

والذِّمار : ما يجب عليه أن يحميَه . والجُلّى : النائبة الجليلة ، وقيل هنا بمعنى جماعة العشيرة . وقوله : « أمين مغيَّب الصدر » ، أى لا يضمر إلا الجميل ، ولا ينطوى إلا على الوفاء والخير وحفظ السِّرّ ، فهو مأمونٌ على ما غاب فى صدره .

٦٤ والحِدب : المشفق . والمولى : ابن العم . والضَّريك : الفقير والمحتاج . والدسيعة : العطية الجزيلة . وجزُّ الناصية تكون فى الأسير ، إذا أُنعِمَ عليه وأُطلق جُزَّت ناصيته وأُخذت للافتخار . وراَغَمهُم : نابذَهم وهجرَهم وعاداهم .

وقوله : « ومرهَّق النيران » أى تُغشَى نارُه ؛ يقال رهِقت الرجلَ ، إذا غَشِيته وأحطت به ؛ والمشدد للتكثير . يصف أنه يُوقد النارَ بالليل للطبخ وإطعام الناس ، وليَعْشُوَ إليها الضيف والغريب . وكثرة النيران ، للإخبار عن سعَة معروفِه . واللأواء : شدة الزمان والقحط . وقوله : « غير ملَعَّن القدر » أى لا يؤكل ما فيها دون الضيف والجار واليتيم والمسكين ، فهو محمود القِدر لا مذمومها . وأوقع اللعن على القدر مجازا ، وهو يريد صاحبها .

وقوله : « ويقيك ما وُقِىَ الأكارمُ » إلخ وُقِىَ بالبناء للمفعول . والحَوْب : الإثم ، أى إنّ الأكارمَ وُقُوا أن يُسَبُّوا فيقيك ذلك أنت أيضا ، أى إنّه لا يغدر ولا يُسبّ فيأتى بإثم (١) . وروى « ما وَقّى الأكارمَ » بالبناء للفاعل ونصب الأكارم .

وقوله : « وإذا برزتَ به » أى إليه ، يعنى إذا صرت إليه صرت إلى رجل واسع الخُلُق طيِّب الخبْر .

وقوله : « متصرِّف للمجد » إلخ أى يتصرَّف فى كلّ باب من الخير لاكتساب المجد . والمعترف : الصابر ، أى يصبر لما نابَهُ . وقوله : يَرَاح ، أى يَهَشّ ويخِفّ ويَطرَب لأن يفعل فعلاً كريما يُذكَر به ويُمدح من أجله .

وقوله : « جلد يَحثُّ » إلخ أى قويُّ العزم مجتهد فيما ينفع العشيرةَ من التآلف والاجتماع ، فهو يحث على ذلك ويدعو إليه ، إذا كره الظَّنون الاجتماعَ والتآلُفَ ، لما يلزمه عند ذلك من المشاركة والمواساة بماله ونفسه . والظَّنون : الذى لا يُوثق بما عنده ، لما عُلم من قلَّة خَيره . وجوامع الأمر : ما يجمع الناسَ فى شأنهم .

وقوله : « ولَأَنت تفْرِى » إلخ هذا مثلٌ ضربه . والخالق : الذى يَقْدِر الأديم ويهيِّئهُ لأن يقطعه ويخرزه . والفَرْى : القطع . والمعنى : إنك إذا تهيأت لأمرٍ مضيتَ له وأنفذته ولم تعجز عنه ، وبعض القوم يَقدِرُ الأمر ويتهيأ له ثم لا يعزم عليه ، عجزاً وضعفَ همّة . قال ابن قتيبة (فى أدب الكاتب) : فرى الأديمَ : قَطَعه على جهة الإصلاح ، وأفراه : قَطعه على جهة الإفساد . وقال

(١) ط : « باسم » ، صوابه ش .

ابن السِّيد : هذا قول جمهور اللغويين ، وقد وجَدنا فرى مستعملاً فى القطع على جهة الإفساد ، قال الشاعر :

فَرَى نائباتُ الدهر بينى وبينها
وصَرفُ اللَّيالى مثل ما فُرِىَ البُردُ

وحكى أبو عبيد (فى الغريب المصنف) عن الأصمعى : أفريت : شققت وفريت بمعنىً ؛ وفريتُ إذا كنت تقطع للإصلاح . انتهى .

وقوله : « ولأنت أشْجَع » إلخ تتَّجه : يواجه بعضُهم بعضا فى الحرب . والأجرِ : جمع جرو مثلث الجيم ، وهو ولد الأسد وغيره . وإنما جَعل الليث ذا أولاد لأنَّ ذلك أجرأ له وأعدَى على ما يُريده ، لاحتياج أولاده إلى ما تتغذى به .

وقوله : « يصطاد أُحدان » إلخ جمع واحد ، والهمزة بدل من واو ، أى يصطاد الرجالَ واحداً بعد واحد ، فلا يزال عنده ما يدَّخره لما بعْد اليوم . ومثله فى وصف جِروَىْ أسدٍ :

ما مَرّ يوم إلّا وعندهما   لحمُ رجال أو يُولَغان دَما (١)

وقوله : « والسِّتْر دون الفاحشات » إلخ ، أى بينه وبين الفاحشات سِتْر من الحياءِ وتُقَى الله ، ولا سِتر بينه وبين الخير يحجُبه عنه . وحُكى أنَّ عمر بن الخطاب لمَّا سمعه قال : « ذلك رسول الله ﷺ » .   ٦٥

(١) نسب فى الحيوان ٧ : ١٥٤ إلى عبد الله بن قيس الرقيات . وانظر الكلام على نسبته فى ملحقات ديوان أبى زبيد ١٤٩ . والحق أنه لابن قيس الرقيات من قصيدة فى ديوانه ٢٥٣ – ٢٦٠ .

وقوله « أثنى عليك » إلخ أى بما علمتُ من أمرك وشاهدت من جُودك . وما أسْلَفتَ (١) أى ما قدمت فى الشَّدائد . والنَّجدة : الشدة والبأس . والذكر : ما يُذْكر به من الفضل (٢) .

وترجمة زهير بن أبى سلمى تقدَّمت فى الشاهد الثامن والثلاثين بعد المائة (٣) .

وأمَّا بيت المسيَّب بن علس فهو من قصيدةٍ أيضاً مدح بها قيسَ بن معديكربَ الكندى ، تقدم شرحُ بعضها فى الشاهد الثانى بعد المائتين ، ورويت لابن أخته الأعشَى ميمون ، وهى ثابتة فى ديوانه أيضاً ، فيكون المسيَّب ابن علس خالَ الأعشى . وهذه أبياتٌ منها :

أبيات الشاهد فى رواية أخرى

(وإليكَ أعْمَلْتُ المطيَّةَ مِن
سَهلِ العراق وأنتَ بالقفرِ
أنتَ الرئيسُ إذا همُ نزلوا
وتواجَهُوا كالأسدِ والنُّمْرِ
أو فارسُ اليَحموم يَتبعهمْ
كالطَّلْقِ يتبع ليلةَ البُهْرِ
ولأنت أشجعُ من أسامةَ إذ
نَقَعَ الصُّراخ ولُجَّ فى الذعرِ (٤)

(١) فى النسختين : « ما سلفت » ، والوجه ما أثبت .
(٢) ش : « والذكر به من الفضل » ، صوابه فى ط .
(٣) الخزانة ٢ : ٣٣٢ .
(٤) فى النسختين : « يقع الصراخ » ، وانظر ما أسلفت من تحقيق فى ص ٣١٨ .

ولأنت أَجْوَدُ بالعطاء من الـ
ـرَّيَّان لما ضُنّ بالقَطْرِ
ولأنت أحيا من مُخبَّأة
عَذراءَ تقطُنُ جانِبَ الكِسْرِ
ولأنتَ أبينُ حينَ تنطِقُ مِنْ
لُقمانَ لما عيَّ بالأمرِ
لو كنتَ من شيءٍ سوى بشرٍ
كنت المنوِّر ليلةَ القَدْرِ [1])

وفارس اليحموم ، هو النعمان بن المنذر ملك الحِيرة . واليحموم : اسم فرسه . والطَّلق : الليلة التى لا حرَّ فيها ولا برد . وليلة البُهْر : ليلة البدر حينَ بَهَر النُّجومَ . وفى القاموس : أسامة بالضم معرفة : علم الأسد . والأسامة لغة فيه . والصُّراخ بالضم : الصوت الشديد ، يكون للاستغاثة وغيرها .

والريَّان قال ياقوت (فى معجم البلدان) : جبل ببلاد طيىء ، لا يزال بسيل منه الماء . وضُنَّ ، بالبناء للمفعول ، أى بُخِل .

وتقطن بالقاف ، أى تسكن . والكِسْر بكسر الكاف : الشُّقَّة السفلى من الخباء .

ولقمان ، هو كما قال الجاحظ (فى كتاب البيان والتبيين) : هو لقمان ابن عاد الأكبر ، وكانت العرب تعظم شأنه فى النباهة والقدر ، وفى العلم وفى الحُكم ، وفى اللسان وفى الحلم . وهو غير لقمان المذكورِ فى القرآن [2] .

---

(١) كذا فى النسختين . ورواية الأعلم ٦٤ : « ليلة البدر » ، وثعلب : « كنت المنير لليلة البدر » . وانظر ديوان زهير ٩٥ .

(٢) انظر عبارة الجاحظ فى البيان ١ : ١٨٤ فقد تصرف فيها البغدادى كثيرا .

وترجمة المسيب بن علس تقدمت فى الشاهد الثامن والثلاثين بعد المائة [١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والستون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س [٢] :

٤٦٨ (أنَّا اقْتسَمنا خُطَّتينا بيننا

فحملتُ بَرَّة واحتملتَ فجارِ)

على أن (فجار) مصدر معرفة مؤنث .

قال سيبويه : وأما ما جاء اسماً للمصدر فكقول النابغة :

* فحملتُ برَّةَ واحتملتَ فجارِ *

فَجَارِ معدولة عن الفَجْرة . وقال الشاعر :

فقال : امكثى حتَّى يَسارِ لعلَّنا

نحُجَّ معاً ، قالت : أعاماً وقابِلَه

فهى معدولة عن المَيْسَرة ، فأجرى هذا الباب مجرى الذى قبله ، لأنه عُدِل كما عُدِلَ ، ولأنَّه مؤنث بمنزلته . ا هـ .

قال الأعلم : الشاهد فى فجار ، وهو اسم للفجْرة معدول عن مؤنث ،

(١) صوابه « الثانى بعد المائتين » . الخزانة ٣ : ٢٤٠ .

(٢) فى كتابه ٢ : ٣٨ . وانظر مجالس ثعلب ٢٦٤ والجمل ٢٣٤ والخصائص ٢ : ١٩٨/٣ : ٢٦١ ، ٢٦٥ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٣٨/ ٤ : ٥٣ والعينى ١ : ٤٠٥ والهمع ١ : ٢٩ والأشمونى ١ : ١٣٧ وديوان النابغة ٣٤ .

كأنه عُدل عن الفَجْرة بعد أن سمِّى بها الفجور ، كما سمِّى البِرُّ : بَرَّة ، ولو عدلها لقال بَرارِ كما قال فجارِ . ا هـ .

٦٦ قال الشارح المحقق : « لم يقم لى إلى الآنِ دليلٌ قاطع على تعريفه ولا تأنيثه » إلى آخر ما حقَّقه ، وأجاد فيه البحث ودقَّقه .

ومثلُه لناظر الجيش (فى شرح التسهيل) قال : وما ذكره المصنِّف من أن ما كان من أسماء الأفعالِ على فَعَالِ محكومٌ بتأنيثه ، كأنه أمر مجمع عليه من النحاة . وهو أمر يؤخذ تقليداً . وقال فى باب منع الصرف أيضاً : وأما قوله وكلها معدول عن مؤنث فهو أمر كالمجمع عليه عند النحاة ، ولكن يتعين التعرُّض لبيان المعدول عنه فى كلٍّ من الأربعة المذكورة .

أما الصفة المختصة بالنداء فالظاهر أنَّ فساقِ معدولٌ عن فاسقة ؛ لقصد المبالغة فى الذم .

وأما الصِّفة الجارية مجرى الأعلام فذكروا أنها معدولة عن صفات غَلَبت فاستُعملت أسماء ، كنابغة فى قوله :

* ونابغةُ الجعدىُّ فى الرمل بيته [(١)] *

فنابغة نعتٌ فى الأصل إلّا أنه غلب حتى صار اسماً . قالوا : وكذلك لا يجوز أن تتبع موصوفا . ولا يخفى أنَّ الغلبة لا تكون عدلاً لأنَّ العدل عبارة عن تبديل لفظ بلفظ للدلالة على المبالغة فى ذلك المعنى الذى أفاده اللفظ المعدول عنه . ولم يتحقَّق لى وجهُ العدل فى هذه المسألة .

وأما المصدر فقالوا : هو معدول عن مصدر مؤنث معرفة ، وإن كانوا لم

---

(١) لمسكين الدارمى فى ديوانه ٤٩ واللسان (وضع ، نبغ) . وعجزه كما فى كتاب سيبويه ٢ : ٢٤ ، ٣ : ٢٤٤ من نسختى :

* عليه تراب من صفيح موضع *

يستعملوا فى كلامهم ذلك المصدر للمعرفة المؤنثة الذى عدل عنه . ويفهم من هذا أنه عدلٌ تقديرىٌّ لا تحقيقى .

وأمَّا الحال فقالوا : إنه عدلٌ عن مصدر مؤنث معرفة . وقد فسَّر سيبويه بدادِ ، بقوله بددا . وليس هذا بعدلٍ لأنَّه نكرة ، وإنما هى معدولة عن البِدَّة أو المبادَّة ، وهذا أيضاً عدل تقديرىّ .

وأمَّا اسمُ الفعل فلم يذكروا ماذا عُدل عنه ، ولم يتحقَّق لى وجهُ العدل فيه . والعجب أنهم يجعلون اسم الفعل أصلا فى العدل والتأنيث . وما برحتُ أتطلَّب بيان ما عُدل عنه نزالِ وبيانَ كونه مؤنثا ، ولم أقفْ من كلامهم على ما يوضِّح لى ذلك . والذى يظهر أنَّ القول بالعدل والتأنيث فى نزال ليس على وجه التحقيق ، بل على وجه التقدير . وقال صاحب الإفصاح : نزال عند سيبويه علمٌ على المعنى كسبحان ، ومثله حَلاَقِ وجمادِ ، فى اسم المنَّية والسَّنة المجدبة .

وقد يكون هذا العدل علماً على الشخص كحَذَام . ويرى سيبويه أنَّ هذه الأشياء بنيت حملاً على نزالِ ، ونَزَالِ بنى حملا على الفعل . اهـ .

ويظهر من كلامه أنَّ العدل فى هذه الأمور تحقيقىٌّ ؛ وإنما هو تقديرىٌّ . وأما قوله إن نزال عند سيبويه علم فلم يتضح لى كونه علماً . انتهى ما أورده ناظر الجيش باختصار .

واستدلَّ ابن السِّيد (فى شرح أبيات الجمل) للتأنيث بشيئين ضعيفين ، قال : أراد بفجار الغَدْرة . وتسمَّى الغَدْرة فجار كما تسمى المرأة حَذَام . فإنْ قلت : لمَ جعلته للغدرة المؤنثة دون أن تجعله اسماً للغَدْر ، وما دليلك على هذه الدعوى ؟ قلنا : على ذلك دليلان : أحدهما أن فعالِ

المعدول لا يُعدَل إلا عن مؤنَّث ، ألا تراه قد قال دُعيت نزال ، وليس هذا فى بيت زهير وحدَه ، بل هو مطَّرد فى فعالِ حيثما وقعَتْ . والثانى : أنَّ النابغة سمَّى الوفاءَ بَرَّةَ ، وهو يريد البِرّ ، وكذلك سمَّى الغدر فجارِ ، وهو يريد الفجور . انتهى .

وقال اللخمى : فجارِ اسمٌ للفجور ، وهو معدول عن مؤنث كأنه عدل عن الفجرة ، وهو مصدر ، بعد أن سمى بها الفجور كما سمى البِرُّ : بَرَّة . ٦٧ هذا مذهب سيبويه ، وحكى غيره أنه معدول عن صفة غالبة ، ودليل ذلك أنه قال :

* فَحملتُ بَرَّةَ واحتملتَ فجارِ *

فجعلها نقيض بَرّة ، وبرة صفة كأنه قال : حملتُ الخصلةَ البَرَّةَ وحملتَ الخصلة الفاجرة ، كما تقول : الخصلة القبيحة والحسنة ، فهما صفتان . اهـ .

وهذا الذى حكاه هو مذهب السيرافى كما نقله الشارح عنه .

وزاد ابن جنى فى الطُّنبور نغْمة ، فزعم أن فجار معدولةٌ عن فجرة علماً بدون أل ، قال فى باب التفسير على المعنى دون اللفظ (من كتاب الخصائص) : اعلم أن هذا موضعٌ قد أتعب كثيراً من الناس واستهواهم ، ودعاهم من سوء الرأى وفساد الاعتقاد إلى ما مَذِلُوا به وتتايَعوا فيه [١] حتى إن أكثرَ ما ترى من هذه الآراء المختلفة والأقوال المستشنعة ، إنما دعا إليها القائلين بها تعلُّقهم بظواهر هذه الأماكن دون أن يبحثوا عن سرِّ معانيها ومَعاقِدِ أغراضها . فمن ذلك قول سيبويه فى بيت النابغة : إن فجارِ معدولةٌ عن الفجرة ، وإنما غرضه أنها معدولة عن فجرة علماً معرفة ، على ذا يدُلُّ هذا الموضع [٢] . ويقوِّيه وُرُودُ برَّة معه فى البيت ، وهى كما ترى عَلَم ، لكنَّه

(١) مذلوا به : أى ضجروا وقلقوا . وفى النسختين : « ما بذلوا به » ، صوابه من الخصائص ٣ : ٢٦١ . وتتايَعوا ، بالياء ، أى تساقطوا وتهافتوا ، وفى النسختين : « وتتابعوا فيه » ، وأثبت ما فى الخصائص .

(٢) فى الخصائص : « هذا الموضع من الكتاب » .

فُسِّر [١] على المعنى دون اللفظ . وسوَّغه أنه لما أراد تعريف الكلمة المعدولة عنها مَثَّلَ ذلك بما يُعرَّف [٢] باللام ، لأنه لفظ معتاد ، وترك لفظ فجرة لأنه لا يُعتاد ذلك علما ، وإنما يعتاد نكرة من جنسها ، نحو فجرت فجرةً ، كقولك : تجرت تجرةً . ولو عُدلت بَرَّة على هذا الحد لوجب أنْ يقال بَرَارِ كفجار . اهـ .

وقد أخذ الشاطبى هذا الكلام فزاده تنويراً (فى شرح الألفية) عند قول ناظمها :

ومثلُه بَرَّةُ للمبرَّهْ كذا فَجارِ علم للفَجْرهْ

قال : ومن عَلَم الجنس للمعنى : فجار ، وهو علم الفجور ومعدول عن فجرة علماً ، لا عن الفجرة ، فإنه من باب حَذام المعدول عن علم مثله . فقول سيبويه إن فجار معدولٌ عن الفجرة تجوُّز . كذا قال ابن جنى والمحقِّقون .

وأل فى الفجرة فى كلام الناظم لا إشكال فيها ، إذ لم يُرد العلم كما أراد سيبويه ، وإنما مراده الجنس الذى هو مطلق الفجور . ومثل هذين المثالين فَينة فى قولهم : ما ألقاه إلَّا فَيْنَةً ، أى فى النُّدرة . قال ابن جنى : هو علم لهذا المعنى . ومنه حَمادِ للمحمدة ، ويسارِ للميسَرة . وأشار الناظم بمثالى بَرَّة وفجار إلى بيت النابغة . وفى عبارته شئٌ ، وهو أن الفجرة هى المرة الواحدة من الفجور ، ومعلوم أن فجار ليس علماً لجنس المرة الواحدة ، فإن أهل اللغة

---

(١) فى الخصائص : « لكنه فسره » .

(٢) فى النسختين : « فإنما يعرف » . وفى الخصائص : « بما تَعرَّف » .

لم ينقلوا إلاَّ أنه علم للفجور المطلق ، ولا يصحُّ أن يُريدَ أنَّ فجار اسم جنس للفجرة المعدول هو عنه ، إذ لم يقولوا ذلك ، ولا يصحُّ فى نفسه . فثبت أنَّ قوله فجار علم للفجرة ، مشكل .

والجواب أن إتيانه بالفجرة مقصودٌ له ، وذلك أن القاعدة فى فعال أنه مؤنث ومعدُولٌ عن مؤنث . وقد بين ذلك سيبويه فى أبواب ما لا ينصرف غايةَ البيان ، حتى إنه قدَّر ما لم يستعمل مؤنثا كأنه استُعمل كذلك ، ثم جُعِل فعالِ معدولاً عنه . وإذا كان كذلك فالاسم المعدول عنه وهو العلم المقدر اسم لجِنْسٍ مؤنث ، إذْ لابد من مطابقته له فى التأنيث ، ولذلك قال : ومثله برة للمبَرَّة ، ولم يقل للبِرِّ ونحوه .

٦٨ والحاصل أن الناظم نبَّهَ بمثال الفجرة على أن فعال علم لاسم الجنس المؤنث ، فإن كان مستعملاً فذاك وإلا قدِّر له اسم مؤنث . وهذه قاعدةٌ محلُّ بيانها باب ما لا ينصرف . انتهى كلامه باختصار يسير .

وهذا كلُّه لا يدفع ما أورده الشارح المحقق .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ للنابغة الذبيانى هدَّد بها زُرعة بن عمرو الكلابى ، وكان زُرارةُ لَقِيَ النابغة بعُكاظ ، وأشار عليه أن يُشير على قومه أن يَغْدِرُوا بنى أسد [1] وينقضوا حِلفهم ، فأبى عليه النابغة وجعل خُطَّته التى التزمها من الوفاءِ بَرّة ، وخُطَّة زرعة لما دعاه إليه من الغدر ونقض الحلف فاجِرة .

وبلغ النابغةَ أن زرعة هجاه وتوعَّده فقال النابغة – وهذا أول القصيدة عند أبى عمرو الشيبانى والأصمعى :

---

(١) هذا ما فى ش ، وهو صحيح ، يقال غدره وغدر به ، كما فى اللسان . وفى ط : « يغدروا بنى أسد » .

(نُبِّئتُ زُرعةَ والسَّفاهَةُ كاسمها
يُهدى إلىَّ غرائبَ الأشعارِ
فحلفْتُ يا زُرعَ بنَ عمرو إنّنى
مما يشُقُّ على العدوِّ ضِرارى
أعَلمتَ يومَ عكاظَ حين لقيتنى
تحت الغُبار فما خطَطتَ غُبارى
أنَّا اقتسمنا خُطَّتينا بيننا
فحملتُ برَّةَ واحتملتَ فجارِ
فلتأتينْكَ قصائدٌ وليَدفعَنْ
ألفٌ إليك قوادمَ الأكوارِ
رَهطُ ابن كُوزٍ مُحْقِبو أدراعِهم
فيهمْ ورهطُ ربيعةَ بن حُذارِ
ولِرهطِ حَرّابٍ وقَدٍّ سُورةٌ
فى المجد ليس غرابُها بِمُطارِ
وبنو قُعينٍ لا مَحالة أنَّهمْ
آتوكَ غيرَ مقلَّمى الأظفارِ
سَهِكينَ من صدأ الحديد كأنهم
تحت السَّنَوّر جِنَّةُ البقَّارِ
وبنو سُواءةَ زائروك بوفَدِهمْ
جيشٌ يقودُهُمُ أبو المِظفارِ

وبنو جَذيمة حَىٌّ صِدقٍ سادةٌ
غَلبوا على خَبتٍ إلى تِعشارِ
والقومُ غاضرةُ الذين تحمَّلوا
بلوائهم سيراً لدارِ قَرَارِ
جَمعٌ يظلُّ به الفضاءُ معضَّلا
يذر الإكامَ كأنّهنَّ صَحارِ)

وقال فى آخرها :

(حولى بنو دُودانَ لا يَعصُوننى
وبنو بغيضٍ كلُّهمْ أنصارِى)

وقوله : « نُبئت زُرعةَ » إلخ بالبناء للمفعول والتاء نائب فاعل ، وزرعة مفعول ثان ، وجملة يُهدى إلخ فى موضع المفعول الثالث . وقوله : « والسّفاهة كاسمها » اعتراض ، أى فعل السفاهة قبيح ، وإنما قال هذا لأنَّ السَّفاهة كما تنكرها القلوب والعقول ، تمجُّ الآذانُ اسْمَها . فإنْ قلت : ما اسم السفاهة حتى قال : كاسمها ؟ قلت : أراد ما سمِّىَ سفاهة . أى المسمى بهذا الاسم قبيحٌ ، كما أنَّ الاسم الذى هو السَّفَه قبيح ، إلا أنّه لمَّا لم يجد إلى العبارة عن الذات طريقاً إلا باسمه قال : « والسفاهة كاسمها » . كذا قال الإمام المرزوقى . وقوله : « يُهدى إلىَّ غرائبَ الأشعار » إلخ يعنى أنه غير مشهور ، فالشعر من قِبَله غريب ، إذ ليس من أربابه .

وقوله : « فحَلفتُ يا زُرع » إلخ جملة إنّنى إلخ جوابُ القسم . والضِّرار

بالكسر : الدنوّ من الشيء [١] واللُّصوق به . يقول : أنا قويٌّ عزيز فالعدوُّ يكره مجاورتى له .

٦٩ وقوله : « أعلمتَ » إلخ الاستفهام تقريريٌّ . وروى « أنسيتَ يومَ » وخَطَطت بالخاء المعجمة : شققت ، يقال ما خَطّ غبارهُ ، أى لم يدنُ منه ولم يتعلّق به .

وقوله : (أنا اقتسمنا) إلخ بفتح همزة أنا [٢] لأنها مع معموليها فى تأويل مصدر سادٍّ مسدَّ مفعولى علمت ، هذه رواية أبى عمرو . وروى الأصمعى : (يوم اختلفنا خُطَّتينا) ، وابن الأعرابى : (يوم احتملنا) . يقول : بررتُ أنا وفجرتَ أنت . قال شارح الديوان : قوله فجار يعنى خُطَّة فاجرة ، خرج مَخْرج حذام ورقاشِ . والخطة بالضم : الحالة والخَصْلة . قال ابن السيد (فى شرح أبيات الجمل) : وقال فى البر حملتُ وفى الفجور احتملتَ لأنَّ العرب إذا استعملت فعل وافتعلَ بزيادة التاء كان الذى لا زيادة فيه يصلح للقليل والكثير ، والذى فيه الزيادة للكثير خاصة ، نحو : قَدَر واقتدر ، وكسب واكتسبَ . فأراد أن يهجوه بكثرة غدره وإيثاره للفجور ، فذكر اللفظة التى يراد بها الكثير ليكون أبلغ فى الهجو . ولو قال : حملتَ فجار لأمكن أن لا يكون غدَرَ إلا مرّة واحدة .

وأمّا الأفعال التى لا تستعمل إلا بالتاء فخارجة عن هذا الحكم ، لأنها تَصلُح لما قل ولما كثر ، كقولك : استويت على الشيء ، واجتويت البلد ، إذا كرهته ، واكتريتُ الدار . فهذا لا يقال فيه إنه للتكثير خاصة ، لأنه لم يستعمل غير مزيد .

---

(١) فى النسختين : « الدنو فى المشى » ، صوابه من شرح ديوان النابغة ٣٤ . وفيه : « يقال أضر الشيء بالشيء إذا دنا منه وأثر فيه . ومنه ضرير الوادى ، وهو حرفه الذى يدنو منه ويؤثر فيه » .

(٢) ط : « إذا » ، صوابه فى ش .

وقوله : « فلتأتِينْكَ قصائد » إلخ ، هذا شروعٌ فى تهديد زُرعة . يقول : والله لأُغِيرنَّ عليك بقصائد الهجو ورجال الحرب . وروى بنصب ألف ورفع قوادم . يقول : لتركبنَّ إليك نجائبُ تدفع إليك جيشاً . والكُور بالضم : الرحل ؛ وقادمته : العودان اللذان يجلس بينهما الراكب .

وقوله : « رهط ابن كوز » إلخ أى هم رهط إلخ . وابن كُوز وربيعة بن حُذار بضمِّ الحاء المهملة وكسرها ، هما من بنى أسد . وقوله : « محقبو أدراعهم » أى يجعلونها خلفَهم فى موضع الحقائب . والحقيبة : خُرج صغيرٌ يربطه الراكب خلفه .

وقوله : « ولرهط حَرّابٍ وقَدّ » إلخ الأوّل بفتح الحاءِ وتشديد الراء المهملتين ، والثانى بفتح القاف وتشديد الدال . قال ابن الكلبىّ وابنُ الأعرابىّ : هما من بنى والبة بن الحارث بن ثعلبة بن دُودان بن أسد . والسُّورة بالضم : الفضيلة .

وهذا البيت استشهد به الزمخشرى والبيضاوى ، عند قوله تعالى : ﴿ فأتوا بسورةٍ من مثله [١] ﴾ ، على أنّ السُّورة : الرُّتبة .

وقوله : « ليس غرابُها بمطار » كناية عن كثرة الرهط ودوام العزِّ لهما . وإذا وُصف المكان بالخصب وكثرة الشجر قيل : لا يُطار غرابُه . يريد أنه يقع فى المكان فيجد ما يُشبع ، ولا يحتاج أن يتحوَّل . فجعله مثَلاً للمجد ، أى مجدهم ليس بمنقلع .

وقال أبو عبيدة : هو فى مكان مرتفع ، لا يؤذَى من العزِّ . أراد أنهم

(١) الآية ٢٣ من البقرة .

أعِزَّاءُ لا يُوصل إليهم . وتخصيص الغراب لأنه المثَلُ فى الحذر ، فإنه يطير بأدنى رِيبةٍ .

وقوله : « وبنو قُعين » إلخ هم من بنى أسد . وقوله (غير مقَلَّمى) إلخ ، يريد إنهم آتوك غير مسالمين لك ، وعداوتهم ظاهرة ، وإنما يأتونكَ للمحاربة . وآتوك : جمع آتٍ .

وقوله : « سهكين من صدأ » إلخ ، متلبِّسين برائحة الحديد المُصْدِئ [١]. يعنى أن السلاح يصدأ عليهم لطول لُبسهم إياه . والسَّهْكة : رائحة الحديد المُصْدِئ . والسَّنَوَّر : الدروع ، وقيل السِّلاح كله . والبَقَّار ، بالموحَّدة والقاف المشددة : موضعٌ برمل عالج ، قريبٌ من جبلَىْ طيِّئ تسكنه الجن . يقول : كأنهم جنٌّ فى شجاعتهم . ٧٠

وقوله : « وبنو سُواءة » بضم السين والمدِّ ، هم من بنى أسد أيضاً . وأبو المِظفار هو مالك بن عوف من بنى أسد .

وقوله : « وبنو جذيمة » إلخ بفتح الجيم وكسر الذال المعجمة ، هو من بنى أسد أيضا . وجذيمة هو ابن مالك بن نصر بن قُعَين . وخَبْت بفتح المعجمة وسكون الموحَّدة : اسم ماء فى ديار كندة . وتِعشار ، بكسر المثناة الفوقية وبعد المهملة شين معجمة : موضعٌ فى بلاد بنى تميم ، وقيل جبلٌ فى بنى ضبَّة ، وقال الخليل : ماءٌ لبنى ضبة بنجد . كذا (فى معجم ما استعجم) .

وقوله : « والقوم غاضرة » إلخ غاضرة بإعجام الأوَّلين : قومٌ من بنى أسد

(١) كذا فى ش فى هذا الموضع وتاليه . يقال صدئ الحديد يصدأ ، وأصدأ يصدئ . وفى ط : « الصدئ » ، وكلاهما صواب .

أيضاً . يقول : لم يتحملوا ليهربوا [١] ، إنما أرادوا الإقامة والثبات فى منازلهم .

وقوله : « جمع يظلُّ به » إلخ ، معضَّلا بفتح الضاد المشددة : غاصًّا ضيِّقا [٢] .

وقوله : « حولى بنو دُودان » ، هم من بنى أسد . وبنو بغيض هم رهط النابغة .

وترجمة النابغة تقدَّمت فى الشاهد الرابع بعد المائة [٣] .

وأما البيت الذى أورده سيبويه بعد البيت الشاهد فقد أورده غُفلا غير منسوب ، ولم يعزهُ شراح أبياته ، وقال ابن السِّيد : لا أعرف قائله . وعيَّنه ابن هشام اللخمى فقال : هو لحُميدٍ الأرقطِ ، يقول لزوجِهِ وكانت قد سألته الحجَّ ، وكان مقِلاًّ فقال لها : امكُثِى حتى يرزقنا الله مالاً نحجُّ به . فقالت منكرة لقوله : أأمكث عاماً وقابله ، أى قابلَ ذلك العام . والقابل بمعنى المقبل ، وهو جارٍ على قبَلَ . يقال : أقبلَ وقبَلَ ، وأدبر ودَبَر . وهو ظرفٌ ومثله : معاً ، وعاملهما محذوف دلَّ عليه المعنى كما قدَّرنا . والهمزة للإنكار . وهو من أبياتٍ ثلاثة هى :

تحرِّضنى الذَّلفا على الحجِّ ويحَها
وكيف نحجُّ البيتَ والحالُ حائلَه

فقلت امكثِى حتى يسار .... البيت

لعلَّ ملمَّاتِ الزمانِ ستنجلى
وعَلَّ إلهَ الناس يُوليكِ نائلَه

---

(١) ط : « ليهزلوا » ، صوابه فى ش .

(٢) ش : « عاضا ضيقا » .

(٣) الخزانة ٢ : ١٣٥ .

ويسار : اسمٌ لليُسْر ، معدول عن المَيسْرَة وهى الغنى .

وترجمة حميد الأرقط تقدَّمت فى الشاهد الثالث بعد الأربعمائة [(١)] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والستون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س [(٢)] :

٤٦٩ (جَمادِ لها جَمادِ ولا تقولى
طَوالَ الدَّهرِ ما ذُكِرَتْ : حَمادِ)

على أنهم قالوا : معناه قولى لها جمُودا ولا تقولى حمداً ، بالتنكير والتذكير .

وهذا واردٌ على قولهم إنَّ فعال معدولٌ عن معرَّف مؤنث .

وممن قال كذا ابنُ السرّاج (فى الأصول) فإنه قال بعد ما أنشد البيت : قال سيبويه : يريد قولى لها جموداً ولا تقولى لها حمدا .

ومنهم ابن الشجرى ، [قال [(٣)]] (فى أماليه) : جماد اسمٌ للجمود ، وحماد اسمٌ للحمد فى هذا البيت . أراد قولوا لها : جموداً ولا تقولوا لها : حمداً .

وهذا لا يردُ عليهم ؛ فإنهم قالوا : لابدَّ من التعريف والتأنيث فى فعال بالمعانى الأربعة [(٤)] . وقولهم معناه جموداً وحمدا وما أشبهه ، فإنما هو تساهلٌ فى التعبير عنه .

---

(١) الخزانة ٥ : ٣٩٥ .

(٢) فى كتابه ٢ : ٣٩ . وانظر أمالى ابن الشجرى ٢ : ١١٣ وابن يعيش ٤ : ٥٥ واللسان (حمد) وديوان المتلمس ٧ شنقيطى و ١٦٥ صيرفى .

(٣) التكملة من ش .

(٤) انظر ص ٣٢٨ .

وكذلك فعل سيبويه ، إلّا أنه اعتبر التأنيث فى المعدول عنه ، إما تحقيقاً أو تقديراً ، قال : وأما ما جاء اسماً للمصدر فنحو فجار معدولة عن الفَجْرة ويسار معدولة عن الميسرة ، وكذلك قوله :

* والخيلُ تعدو بالصعيد بدادِ *

٧١ فهذا بمنزلة قوله : تعدو بَدَداً [(١)] ، إلا أن هذا معدول عن حدِّه مؤنثا . وكذلك لا مَساسِ ، والعرب تقول : أنت لا مساسِ ، ومعناه لا تمسُّنى ولا أمسُّك . ودعنى كَفافِ ، فهذا معدولٌ عن مؤنَّث وإن كانوا لم يستعملوا فى كلامهم ذلك للمؤَّنث الذى عدل عنه بدادِ وأخواتها . ونحو ذا فى كلامهم . ألا ترى أنهم قالوا مَلامحُ ومَشَابه ولَيالٍ ، فجاء جمعه على حدٍّ ما لم يستعمل فى الكلام ، لا يقولون ملمَحَة ولا ليلاة . ونحو ذلك كثير ، قال الشاعر :

جَمادِ لها جَمادِ ولا تقولى .... البيت

فهذا بمنزله جموداً . ولا نقول عدل عن قوله جمداً لها ، ولكنَّهما عُدِلا عن مؤنَّث كبداد . انتهى نص سيبويه [(٢)] .

فعنده يجب فيما لو كان من أسماء الأجناس غير مؤنث فجعل له اسمُ فعال أن يقدَّر له التأنيث . وقد قدَّر سيبويه فى حَضار وسَفار أنه اسمُ الكوكبة والماءة ، وهما من علم الشخص .

وقال السِّيرافى فى بداد : إنه معدول عن البَدَّة أو المبادَّة أو غير ذلك ، يعنى مما يقدَّر مؤنثا يُعطَى معنى ذلك المذكَّر .

(١) هذا الصواب من سيبويه . فى ط : « بداد » وفى ش : « بدادا » .

(٢) فى هذا النص نقص عما فى نسختى من كتاب سيبويه ٣ : ٢٧٦ . فانظره .

والبيت من قصيدةٍ للمتلمس ، أورد بعضها الشريفُ ضياء الدين هبة صحـ نشمد
الله على بن محمد بن حمزة الحسينى (فى حماسته) ، وهى [١] :

(صَبَاَ من بعد سَلوته فؤادى
وسَمَّحَ للقرينـة بانقيـادِ
كأنِّى شاربٌ يومَ استبدُّوا
وحثَّ بهم وَراءَ البيدِ حادى [٢]
عُقاراً عُتِّقت فى الدَّنِّ حتى
كأنَّ حَبابَها حَدقُ الجَرادِ
جَمادِ لها جَمادِ وَلا تقولَنْ
لها يوماً إذا ذُكِرَتْ حَمادِ)

هذا ما أورده الشريف . وقوله : « صبا من بعد سلوته » إلخ ماضى يصبو صَبوةً ، أى مال إلى الجهل والفتوة . وسَمَّحَ بمهملتين بمعنى ذَلَّ وفاعله ضمير الفؤاد . ويقال أَسمَحَ بالألف أيضا . والقرينة : النفس ، ومثله القَرونة بالواو أيضا . يقال أسمحت قرينتُه وقرونته ، وكذلك قَرِينُهُ وقَرونهُ [٣] بدون هاء ، أى ذلّت نفسه وتابعَتْه على الأمر . وقوله :

* كأنى شاربٌ يوم استبدُّوا * إلخ

أى مضَوْا برأيهم ، كذا قال الشريف صاحب الحماسة . وهو من استبدَّ فلانٌ بكذا ، أى انفرد به . والواو ضمير تعود على قوم حبيبته . وقوله :

---

(١) الديوان وحماسة ابن الشجرى ٢٤٩ .

(٢) فى الديوان : « يوم استقلوا » ، « لدى الموماة حاد » .

(٣) ط : « قرينة وقرونة » ، صوابه فى ش .

« وحثَّ بهم » إلخ أى أسرعَ بهم . وحادى فاعلُ حثَّ ، وهو سائق الإبل بالحداء ، يقال حدا بالإبل يحدو حَدْواً ، أى حثها على السير بالحُداء كغراب ، وهو الغِناء لها . وقوله : « وراءَ البيد » قال الشريف : أى حالَ دونهم البيد ، وهو جمع بيداء ، وهى القَفْر والمفازة .

وقوله : « عُقاراً عتّقت » إلخ بضم العين مفعول شارب بمعنى الخمر . وهذا البيت يشهد للأصمعىّ ، فإنه قال : إن الخمر إنما سمِّيت عُقاراً لطول مُكثها فى الدَّنِّ . واحتج بقولهم : عاقَرَ فلان الشراب ، إذا لزمَه وأدمنَه . والحَبَاب بالفتح : ما ينتفخ من الماء ونحوه ويعلوه . قال الدينورى (فى كتاب النبات) : يقال لما ينزو من الخمر إذا مُزجت : الحَبابُ والفَواقع . والجنادع : جنادبُ تكون فى العُشَر . فشبَّه ما ينزُو منها بالجَنادب إذا قَمَصت [1] . وأنشد هذا البيت مع البيت الأخير . وقد شبَّه حَباب الخمر بعيون الجَراد .

وقوله : (جماد لها جماد) إلخ بالجيم : الجمود ، والكلمة الأخيرة (حَمادَ) بالمهملة : الحمد . قال الأعلم : هما اسمان للجمود والحمد ، معدولين عن اسمين مؤنثين سمِّيا بهما ، كالمجمدة والمحمدة . وقال صاحب الصحاح : يقال للبخيل جَمَادِ له ، مثل قطام ، أى لا يزال جامدَ الحال . وإنما بنى على الكسر لأنه معدول عن المصدر ، أى الجمود ، كقولهم : فجار أى الفَجْرة . وهو نقيضُ قولهم : حماد بالمهملة فى المدح . وأنشد الأبيات الثلاثة الأخيرة للمتلمس ، ثم قال : أى قولى لها جموداً ولا تقولى لها حمدا وشكرا . اهـ .

وكونه معدولاً عن المصدر لا يكون سبباً لبنائه . قال الشريف صاحب

---

(١) قمصت : وثبت .

الحماسة : الضمير فى لها يعود على القرينة . وقال جامع شعره أبو الحسن الأثرم : أى أجْمَد اللهُ خَيرها ، يقول قلَّله . يعنى الخمر . ا هـ .

ومنه تعلم أن الأعلم لم يُصب فى قوله : وصف امرأةً بالجمود والبخل ، وجعلها مستحقَّة للذمِّ غير مستوجبة للحمد . هذا كلامه ، وسببه أنه لم يطَّلع على البيت الأول .

وكذلك لم يصب ابن السِّيد فى قوله (فيما كتبه على كامل المبرد) : دعا على عاذلته بأن يقلَّ خيرها . وهو مأخوذٌ من الأرض الجماد ، وهى التى لا تنبت شيئا . وقيل إنه دعا على بلاد هذه المرأة بالجمود وأن لا تنبت شيئاً . انتهى .

وقوله : (ولا تقولى) بياء المخاطبة . وهذا هو المشهور ، وهو محرَّف من نون التوكيد الخفيفة كما رويناها عن الشريف ، وهى الصواب ، فإنَّه خطابٌ لمذكر ولم يتقَّدم ذِكرُ أنثى . ويؤيِّده ما رواه ابن الشجرى (فى أماليه) : « ولا تقولوا » بالواو . وقوله (طَوَال الدهر) بفتح الطاء ظرف للقول ، يقال لا أكلّمه طَوَالَ الدَّهر ، وطُولَ الدَّهرِ ، بمعنىً . وما مصدرية ظرفية ، ونائب فاعل ذُكرت ضمير القرينة ، وحماد فى موضع نصب لأنه مقول القول .

أبيات الشاهد

وهذه الأبيات الأربعة أوّلُ قصيدةٍ ، وما أحسنَ هذه الأبياتَ منها :

(وَأَعلمُ عِلْمَ حَقٍّ غيرَ ظنٍّ
وتقوى الله من خير العَتادِ

لَحِفظُ المالِ خيرٌ من ضَياعٍ
وضَربٍ فى البلاد بغير زادِ

وإصلاحُ القليل يزيد فيه
ولا يبقى الكثيرُ مع الفَسادِ)

وقد ضمَّن البيتَ الأخيرَ بعضُهم فى الهجاء فقال :

يحصِّن زادَه عن كلِّ ضِرسٍ
ويُعمل ضِرسَه فى كل زادِ
ولا يَرْوِى من الأشعار شيئاً
سوى بيتٍ لأبرهةَ الإيادى
« قليلُ المالِ تصلحُه فيبقى
ولا يَبقَى الكثيرُ مع الفسادِ »

وقد أخطأ هذا القائل فى نسبة البيت إلى أبرهة من وجهين .

ومثله لابن وكيع التِّنِّيسىّ :

مالٌ يُخلِّفُه الفتى للشامتين من العِدا
خيْرٌ له من قَصدهِ إخوانَه مسترفدا

ورُوى أن حاتماً الطائى لمَّا سمع قولَ المتلمس قال : ماله قطع الله لسانَه يَحملُ الناسَ على البخل ! هلاّ قال :

وما الجُودُ يُفْنى المالَ قبل فَنائه
ولا البخلُ فى مال البخيل يزيدُ
فلا تلتمسْ فقراً بعيشٍ فإنّه
لكلِّ غدٍ رِزقٌ يعودُ جديدُ

٧٣ ألم ترَ أنَّ المالَ غادٍ ورائحٌ
وأنَّ الذى يُعطيك ليس يَبيدُ

المتلمس الضبعى

والمتلمس شاعرٌ جاهلى مُفْلقٌ مُقِلّ ، ذكره الجمحيُّ فى الطبقة السابعة من شعراء الجاهلية . قال أبو عبيدة : اتَّفقوا على أن أشعرَ المقلِّين فى الجاهلية ثلاثة : المسيَّب بن عَلَس ، والحُصين بن حُمام ، والمتلمس . واتفقُوا على أنَّ المتلمس أشعرُهم .

والمتلمس اسمه جرير ، وكنيته أبو عبد الله بن عبد المسيح بن عبد الله ابن زيد بن دَوفن بن حرب بن وهب بن جُلَّى بن أحمس بن ضُبيعة بن ربيعة ابن نزار بن معدٍّ بن عدنان . وقيلَ : إنّه جرير بن عبد العزّى ؛ وقيل : غير هذا . ودَوْفن بفتح الدال وسكون الواو وفتح الفاء بعدها نون . وجُلَّى ، بضم الجيم وتشديد اللام بعدها ألف مقصورة [١] . وأحْمَس : أفعَل من الحماسة . وضُبيعة بالتصغير .

وسيأتى إن شاء الله وجهُ تسميته بالمتَلمِّس فى باب العلم .

وكان المتلمِّس مع ابن أخته طَرفة بن العبد ينادم عمرو بن هند ملكَ الحيرة ، ثم إنَّهما هجواه ، فلما أشعِر [٢] بهَجوهما كرِهَ قتلَهما عنده ؛ فكتب لهما كتابين إلى عامل البحرين يأمره بقتلهما ، وقال لهما : إنِّى كتبت لكما بصِلة ، فاذهبا لتقبضاها !

فخرجا حتّى إذا كانا ببعض الطريق إذا هما بشيخٍ على يسار الطريق ، وهو يُحْدِث ويأكل ويقتل القمل ، فقال المتلمس : ما رأيت كاليوم شيخاً أحمق !

---

(١) كذا . والصواب أنه بصيغة التصغير ، كما فى الاشتقاق ٣١٣ والجمهرة ٢٩٢ ، ٢٩٣ .

(٢) ش : « شعر » .

فقال له الشيخ : ما رأيتَ من حُمقى ؟ أخرِجُ الداء وآكل الدواء ، وأقتل الأعداء ! أحمقُ منِّى والله مَن يحمل حتفه بيده ! فاستراب المتلمس بقوله ، وطلَع عليهما غلامٌ من الحِيرة ، فقال له المتلمس : تقرأ يا غلام ؟ قال : نعم . ففكَّ الصحيفةَ ودفعها إليه ، فإذا فيها : « أمَّا بعد فإذا أتاك المتلمس فاقطعْ يديه ورجليه وادفنْه حيًّا ! » فقال لطرفة : ادفعْ إليه صحيفتَك ، فإنَّ فيها مثلَ الذى فى صحيفتى ، فقال طرفة : كلاَّ ، لم يكن ليجترِئَ [١] علىَّ ، فإنَّ بنى ثعلبة ليسوا كبنى ضُبيعة ! فقذف المتلمِّسُ صحيفتَه فى نهر الحِيرة وهرب إلى بنى جَفنةَ ملوك الشام ، وذهب طرفةُ إلى عامل البحرين ، فقُتل هناك كما شرحناه مفصَّلا فى ترجمته فى الشاهد الثانى والخمسين بعد المائة [٢] .

وقال المتلمس فى ذلك يُخاطب طرفة :

مَن مبلغُ الشُّعراءِ عن أخويهما
خَبَراً فَتصْدُقَهم بذاك الأنفسُ

أودَى الذى عَلِقَ الصحيفةَ منهُما
ونجا حِذارَ حِبائه المتلمِّسُ

ألقِ الصحيفة لا أبَالك إنّه
يُخشَى عليك من الحِباء النِّقرِسُ

والنِّقرِسُ : داء فى الرِّجْل معروف . وصارت صحيفة المتلمس مثلاً يُضرب لمن يحصل له الضرر من جهة النفع . قال الفرزدق :

---

(١) ش : « ليجترأ » .

(٢) الخزانة ٢ : ٤١٩ .

يا مَرْوَ إنَّ مطيَّتى محبوسةٌ
تَرجو الحباءَ وربُّها لم ييأسِ
وحَبوتَنى بصحيفةٍ مختومة
يُخشى علىَّ بها حِباءُ النِّقرِسِ
ألقِ الصحيفةَ يا فرزدقُ لا تكنْ
نكداءَ مثلَ صحيفة المتلمِّسِ

والبيت الأوَّل من شواهد سيبويه [1] ، واستشهد به على ترخيم مروان بحذف الألف والنون ، لزيادتهما وكون الاسم ثُلاثيًّا بعد حذفهما . وأراد مَروانَ ابن الحكم .

وسبب هذا الشعر أنَّ الفرزدق قدِم المدينة مستجيراً بسعيد بن العاصى من زياد بن سُمَيَّة ، فامتدح سَعيدا ومَرْوانُ عنده قاعد ، فقال : ٧٤

ترى الغُرَّ الجحاجِحَ من قُريشٍ
إذا ما الأمرُ بالمكروه عالا [2]
قياماً ينظُرون إلى سَعيد
كأنَّهمُ يَرونَ به هِلالا

فقال له مروان : قعوداً يا غلام . فقال : لا وَاللّٰه يا أَبا عبد الملك ، إلَّا قياماً . فأغضب مروان : وكان معاوية يُعادل بين مروان وبين سعيد ؛ فلما ولىَ

(١) فى كتابه ١ : ٣٣٧ . وانظر ديوان الفرزدق ٤٨٢ .

(٢) ديوان الفرزدق ٦١٨ .

مروانُ كتب للفرزدق كتاباً إلى واليهِ بضَرِيَّة [١] ؛ أن يعاقبه إذا جاء ، وقال للفرزدق : إنِّى قد كتبت لك بمائة دينار ! فلما أخذ الكتاب وانصرف على أنَّه جائزتُه ندم مَروانُ ، فكتب إلى الفرزدق :

قُل للفرزدق والسَّفاهةُ كاسمها
إنْ كنت تاركَ ما أمرتُكَ فاجلِسِ
ودَعِ المدينةَ إنَّها مرهوبة
واعمِدْ لمَكَّةَ أو لبيتِ المقدسِ

ففطن الفرزدقُ وأجابه بهذه الأبيات ، فكان الفرزدق لا يقرُب مروان فى خلافته ، ولا عبدَ الملك ، ولا الوليد .

ورِوىَ من طريقٍ أُخرى : أنَّ مروان تَقدَّم إلى الفرزدق أن لا يهجوَ أحداً ، وكتب إليه البيتين ، فأجابه الفرزدق بالأبيات .

وقوله : « فاجلس » أى اذهب إلى الجَلْس [٢] ؛ بفتح الجيم وسكون اللام ، وهو نَجْد . يقال جَلَس الرَّجل ، إذا أتى نجداً . والحِبَاء : العطاء . وجعل الرجاء للناقة وهو يريد نفسه .

ورَوَى ابن السِّيد (فى شرح أبيات الجمل) هذا الخبر على غير هذا الوجه فقال : إنَّ الفرزدق كان مقيماً بالمدينة ، وكان أزنَى الناس ، فقال شعراً يقول فيه :

---

(١) ضرية : قال ياقوت : قرية عامرة قديمة على وجه الدهر فى طريق مكة من البصرة من نجد . ط : « بضربة » تحريف .

(٢) ط : « الجلسة » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

هما دَلَّتانى من ثمانينَ قامةً
كما انقضَّ بازٍ أقتمُ الرِّيش كاسرُه [١]
فلمَّا استوت رجلاىَ فى الأرض قالتا
أحىٌّ يُرَجَّى أم قتيلٌ نحاذره
فقلتُ : ارفع الأسبابَ لا يَشعُروا بنَا
وأَقبلتُ فى أَعْجاز ليل أبادره
أحاذر بوَّابَينِ قد وُكِّلا بناَ
وأَسمرَ من ساجٍ تَصِلُّ مَسامره

فعيَّره جرير بذلك فى شعر طويل ، منه :

لقد ولدتْ أمُّ الفرزدق فاجراً
فجاءت بوَزْوازٍ قصيرِ القوائمِ [٢]
يُوصِّل حَبْليه إذا جَنَّ ليلُه
ليرقَى إلى جارَاتِه بالسَّلالِمِ [٣]
تَدلَّيتَ تزنى من ثمانينَ قامةً
وقصَّرتَ عن باعِ العُلا والمكارمِ
هو الرِّجسُ يا أهلَ المدينة فاحذروا
مُداخِلَ رجسٍ بالخبائث عالِمِ

---

(١) ديوان الفرزدق ٣٦١ .

(٢) ديوان جرير ٥٥٨ . وبقية الأبيات من قصيدة أخرى فى ٥٦٠ مع اختلاف فى ترتيب الأبيات .

(٣) ط : « جنبيه » ، صوابه من الديوان ومن ش مع أثر تصحيح .

لقد كان إخراجُ الفرزدق عنهم
طَهوراً لما بينَ المصلَّى ووَاقم [١]

فاجتمع أشرافُ المدينة إلى مروانَ بنِ الحكم وكان والياً بها ، فقالوا : ما يصلح أن يقال مثل هذا الشعر بين أزواج النبيِّ ﷺ وقد أوجبَ عليه الحدّ ! فقال مروان : لست أحدُّه ، ولكن أكتبُ إلى من يَحُدُّه . فأمَرَهُ مروان بالخروج من المدينة وأجَّلَه ثلاثة أيام ، ففى ذلك قال :

تَوعَّدَنى وأجَّلنى ثلاثاً كما وُعِدت لمَهْلِكِها ثمودُ [٢]

٧٥ ثم كتب له كتابا إلى عامله يأمره فيه بأن يحدَّه ويسجنه ، وأوهمَه أنَّه كتب له بجائزة . ثم ندم على ما فعل فوجَّه عنه رجلاً وقال له : أنشده هذين البيتين :

* قُلْ للفرزدق والسَّفاهةُ كاسمها *

ففطن الفرزدق لِمَا أراد ، فرمى الصحيفةَ وقال الأبياتَ الثلاثة ، وخرج هارباً حتى أتَى سعيد بن العاصى ، وعنده الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر رضى الله عنهم ، فأخبرهم الخبر ، فأمر له كلُّ واحدٍ منهم بمائة دينارٍ وراحلة ، وتوجَّه إلى البصرة .

وقيل لمروان : أخطأتَ فيما فعلت ، كأنَّك عرَّضتَ عرضك لشاعرِ مُضَر ! فوجَّه وراءه رسولَه ومعه مائة دينارٍ وراحلةٌ ، خوفاً من هجائه .

---

(١) واقم ، بالواو : أطم من آطام المدينة . ط : « راقم » ، صوابه من الديوان ومن ش مع أثر تصحيح .

(٢) ديوان الفرزدق ١٨٥ .

ولمَّا هرب المتلمس إلى ملوك الشام هجا عمرو بن هند بقصيدةٍ ، وحرَّض قوم طرفة على الطلب بدمه ، أوّلُها :

إنَّ العراقَ وأهله كانوا الهوى
فإذا نأى بى ودُّهمْ فليبعُدِ [١]

إلى أن قال :

إنَّ الخَيانة والمَغالة والخنى
والغَدرَ تتركه ببلدة مُفْسِدِ [٢]

ملكٌ يلاعب أمَّه وقطينَها
رِخوُ المفاصل ، أيره كالمِرْودِ

بالباب يرصُد كلَّ طالب حاجة
فإذا خلا فالمرء غير مسدّدِ

فبلغ هذا الشعرُ عَمراً فحلف إنْ وجده بالعراق ليقتلنَّه ، وَأن لا يطعمه حبَّ العراق ! فقال المتلمس من قصيدة [٣] :

آليتَ حبَّ العِراق الدهرَ أطعمُه
والحبُّ يأكله فى القرية السُّوسُ

لم تَدر بُصرَى بما آلَيْتَ من قسم
ولا دمشقُ إذا دِيسَ الكراديسُ

---

(١) ديوانه ١٣٥ صيرفى .

(٢) ديوانه ١٤٦ صيرفى .

(٣) ديوانه ٩٥ .

والبيت من شواهد سيبويه [١] على أنَّ نصب حَبَّ على نزع الخافض ، أى على حَبِّ العراق . وآليتَ بالخطاب لعمرو بن هند ، يقول له : حلفتَ لا تتركُنِى بالعراق ولا تطعمنى من حَبِّه ، والحال أن الحبَّ لا يبقى إن أبقيتَه ، بل يُسرع إليه الفساد ويأكله السوس ، فالبخل به قبيح . وهذا على طريق الاستهزاء به والسخرية .

وبُصرى : مدينة بالشام . يقول : لا تَدْرِى كثرةَ الطعام الذى بُبصرى وبدمشق . والكراديس : أكداس الطعام .

ومن شعر المتلمس ، وهو من شواهد البديع :

ولا يقيمُ عَلَى ضَيْمٍ يُرادُ به
إلَّا الأذلَّانِ : عَير الحىِّ والوَتِدُ [٢]

هذا على الخسفِ مربوطٌ برُمَّته
وذا يُشَجُّ فلا يَرثِى له أحدُ

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السبعون بعد الأربعمائة ، وهو من أبيات المفصل [٣] :

٤٧٠ (أطَلْتُ فِراطهمْ حَتَّى إذا ما
قتَلتُ سَراتَهم كانت قَطَاطِ)

على أن (قَطاطِ) فيه وصف مؤنث بمعنى قاطَّةٍ ، أى كافية .

(١) فى كتابه ١ : ١٧ .

(٢) ديوانه ٢٠٨ .

(٣) ابن يعيش ٤ : ٥٨ ، ٦١ واللسان (قطط) .

قال الزمخشرى (فى المفصل) : أى كانت تلك الفعلة كافيةً لى وقاطَّة لثأرى ، أى قاطعة له . أشار إلى أنّ اسم كان ضمير الفعلة المفهومة من قتلت سراتهم . وقَطَاط مبنيَّة على الكسر فى محل نصبٍ خبر كان . قال ابن يعيش (فى شرحه) : وقطاط معدولٌ عن قاطّة أى كافية ؛ يقال قَطاطِ بمعنى حسبى ، من قولهم : قَطْك درهم ، أى حسبك ، مأخوذٌ من القطّ وهو القطع ، كأنَّ الكفاية قَطعت عن الاستمرار . انتهى . ٧٦

وفراطهم ، بكسر الفاء ، أى إمهالى إيّاهم ، فهو مصدر مضاف إلى المفعول والفاعل محذوف . قال صدر الأفاضل : أى أطلت إمهالهم والتأنِّىَ بهم . والصواب « فِراطكم » و « سَراتكم » بالخطاب كما سيأتى . قال ابن السيرافى (فى شرح أبيات الغريب المصنف) : الفِراط هو التقدُّم . يقول : سبقتُ إليكم بالتهدُّد والوَعيدِ لتخرجوا من حَقِّى . والسَّراة ، بالفتح ، قال أهل اللغة قاطبة : هو جمع سَرِىّ بمعنى الشريف . ويَردُ عليهم أنَّ فَعِيلا لا يجمع على فعلة بالتحريك ، لهذا قال الشارح المحقق (فى شرح الشافية) : الظاهر أنَّه اسمُ جمع لا جمع .

وذهب السهيلى (فى الروض الأنف) إلى أنَّه مفرد لا جمعٌ ولا اسمُ جمع ، قال : لا ينبغى أن يقال فى سراة القوم إنّه جمع سَرِىّ ، لا على القياس ولا على غير القياس ، إنّما هو مثل كاهل القوم وسَنامهم .

والعجب كيف خفىَ هذا على النحويِّين حتى قلَّد الخَالف منهم السالفَ ، فقالوا : سَرَاة جمع سرىٍّ . ويا سبحان الله كيف يكون جمعاً له وهم يقولون جمع سَراة سرواتٌ ، مثل قطاة وقطوات . يقال : هؤلاء من سَرَوات الناس كما تقول من رءوسهم .

ولو كان السراة جمعاً ما جُمع ، لأنَّه على وزن الفَعَلة ، ومثل هذا البناء

فى الجموع لا يجمع ، وإنَّما سرىّ فعيل من السَّرْو وهو الشَّرف ، فإنْ جمع على لفظه قيل سَرِىٌّ وأَسرياء كغَنِىٍّ وأَغنياء ، ولكنه قليلٌ وجودهُ ، وقلّةُ وجوده لا تَدفع القياس فيه . وقد حكاه سيبويه . انتهى .

صاحب الشاهد والبيت من أبياتٍ لعمرو بن معديكربَ الصَّحابى ، قالها قبل إسلامه ، لبنى مازن من الأزد ؛ فإنَّهم كانوا قتلوا أخاه عبدَ الله فأخذ الدِّية منهم ، فعَيَّرته أخته كبشة بذاك ، فغزاهم وأثْخَنَ فيهم ، وقال هذه الأبيات :

أبيات الشاهد (تمنَّتْ مازنٌ جهلاً خِلاطى
فَذاقت مازنٌ طَعْمَ الخِلاطِ [١]
أطَلْتُ فِراطَكمْ عاماً فعاماً
ودَين المَذحِجىِّ إلى فِراطِ
أطلتُ فِراطكم حَتَّى إذا ما
قتَلتُ سَراتَكم كانت قَطاطِ
غَدرتمْ غدرةً وغدرتُ أخرى
فما إن بينَنا أبداً يَعاطِ
بطعنٍ كالحريق إذا التقينا
وضربِ المشرفيَّةِ فى الغُطاطِ)

الخلاط : مصدر خالطه مخالطةً وخلاطاً . ومازن هو مازن بن زُبَيد ، وأراد به القبيلة . ودَين بالفتح . ومَذحِج ، بفتح الميم وسكون الذال المعجمة وكسر الحاء المهملة بعدها جيم : قبيلة كبيرة من قبائل اليمن تفرَّعت منها قبائلُ

(١) فى أمالى القالى ٣ : ١٩١ : « فذوق مازن » .

كثيرة . قال ابن الكلبى (فى جمهرة الأنساب) : بنو الحارث بن كعب من مَذحج . والنَّخَع من مَذحج ، وجنبٌ من مذحج ، وصُداء من مذحج ، ورُهاء من مذحج ، وسَعد العشيرة من مذحج ، والبطون المذكورة منها إلى زُبيد . ومُراد من مذحج ، وعَنْس من مذحج ؛ وطيِّئ من مذحج . ومَذحج : اسم امرأةٍ ، وهى بنت ذى مَنْجِشان [١] ، كانت أُمُّها وَلَدتْها عَلَى أكمةٍ يقال لها مَذحج ، فَلُقِّبَت بها .

٧٧ ويَعَاط بفتح المثناة التحتية بَعدها عين مهملة : كلمة إغراء عَلَى الحرب ، أى احملوا .

والغُطاط بضم الغين المعجمة : أول الصبح .

كذا روى أبو على القالى هذه الأبياتَ الخمسة (فى نوادره) . وقد اختُلف فى رواية هذا الخبر . قال أبو على القالى (فى ذيل الأمالى) : قال : أبو محلِّم : حدثنى [٢] السُّكَّرىُّ قال : حدثنا ابن حبيب قال : قال هشامُ بن الكلبى : مرَّ عبد الله بن معديكربَ براعٍ للمحرَّم [٣] بن سلمة ، من بنى مالك بن مازن بن زُبيد ، فاستسقاهُ لبناً فأبى واعتلَّ عليه ، فشتمه فقتله عبد الله ، فثارت بنو مازن بعبد الله فقتلوه ، فتوانى عمرو فى الطلب بدمه ، فأنشأت أختُه تقول أبياتاً ، فاحتمى عمرو عند ذلك فثار فى قومه بنى عُصْم [٤] ، فأباد بنى مازن ، وقال فى ذلك :

---

(١) هذا ضبطه فى اللسان (ذحج) والقاموس (نجش) .

(٢) ط : « وحدثنى » .

(٣) فى الأمالى ٣ : ١٩٠ والأغانى ١٤ : ٣٢ : « للمخزم » بالخاء المعجمة ، لكن قيدها البغدادى فيما سيأتى بالحاء المهملة .

(٤) ط : « بنو عصم » . صوابه فى ش .

* تمنت مازنٌ جهلاً خِلاطى *

إلى آخر الأبيات الثلاثة الأول . ولم ينشد البيتين الأخيرين (١)

وروى أيضاً (فى نوادره) أن الأصمعىَّ قال : كان بين عمرو بن معديكرب وبين رجل من مراد يقال له أُبىٌّ كلامٌ ، فتنازعا فى القَسْمِ ، فعجِلَ عمرو وكانت فيه عَجَلة ، وكان عبد الله أخو عمرو رئيس قومه ، فجلس مع بنى مازن رهطٍ من سعد العشيرة ، وكانوا فيهم ، فقعد عبد الله يشرب ، ويسقيهم رجلٌ يقال له المحزَّم (٢) من بنى زُبيد ، له مال وشرف . وكانَ عَبدٌ من عبيد المحزَّم قائماً يسقى القوم ، فسبه عبد الله فضربه ، فقام رجلٌ نشوانُ من بنى مازن فقتل عبد الله . فرأسَ عمرو بعد أخيه ، وكان غزا غزوةً فأصاب فيها ومعه أُبىٌّ المرادى ، فادعى أنه كان مساندَ عمرو ، فأبى عمرو أنْ يعطيه ، فلما رجع عمرٌو مِن غَزاته جاءت بنو مازن فقالوا : قتله رجلٌ مِنَّا سفيه ، ونحن يدك عليهِ وعضدُك ، وإنما قتَله وهو سكران ، فنسألك بالرحِم أن تأخذ الدِّيَة وتأخذَ بعد ذلك ما أحببت ! فأخذ عمرٌو الدية وزادوه بعد ذلك أشياءَ كثيرة ، فغضبت أختٌ له تسمى كبشة ، وكانت ناكحاً فى بنى الحارث بن كعب ، فقالت :

أرسَلَ عبدُ الله إذْ حانَ يومُه
إلى قومِه أن لا تُخَلُّوا لهم دَمِى (٣)

---

(١) لم يرد الخبر على هذا الوجه فى الأمالى ، كما أن الأبيات الطائية مروية فيها كلها .

(٢) انظر ما سبق فى حواشى ٣٥١ فيما يخص هذا العلم .

(٣) وكذا فى الحماسة بشرح المرزوقى ٢١٧ ، بالحزم ، وفى الأمالى ومعجم البلدان (صعدة) : « وأرسل عبد الله » .

ولا تأخذوا منهمْ إفالاً وأبكُرا
وأُترَكَ فى بيتٍ بصَعْدَةَ مُظْلِمِ
ودَعْ عنك عَمراً إنَّ عمراً مسالمٌ
وهل بَطنُ عمرو غيرُ شبر لَمطْعمِ
فإن أنتمُ لم تقتلوا واتَّديْتُمُو
فَمشُّوا بآذَان النَّعام المصلَّمِ
ولا تَشربوا إلَّا فُضولَ نسائكمْ
إذا أُنهِلَتْ أعقابُهنَّ من الدمِ (١)
جَدَعتم بعبد الله سيِّدَ قَومه
بنى مازن أن سُبَّ ساق المحزَّم (٢)

فلما حَضَّت كبشة أخاها عمراً أَكبَّ بالغارة عليهم وهم غارُّون ، فأوجعَ فيهم . ثم إن بنى مازن احتملوا فنزلوا فى مازن بن مالك بن عَمرو بن تميم فقال عمرو فى ذلك :

* تمنَّت مازنٌ جهلاً خِلاطِى (٣) *

الأبياتَ الستة .

والمحزَّم ، بتشديد الزاءِ المفتوحة والحاء قبلها مهملة . والمسَاندة : المعاضدة . وخرج القومُ متساندين ، أى على راياتٍ شَتَّى ، أى ولم يكونوا تحتَ راية أمير واحد (٤) .

وقولها : « أرسل عبد الله » أورد أبو تمام هذه الأبيات إلا البيت الأخير

(١) فى الحماسة ومعجم البلدان : « ولا تردوا » و « إذا ارتملت » .
(٢) فى الأمالى : « المخزم » .
(٣) ط : « فراطى » صوابه فى ش .
(٤) كلمة « تحت » ساقطة من ش .

(فى الحماسة) : قال التبريزى : إنما تكلَّمَتْ به على أنه إخبار عمَّا فعلهُ عبد الله وغرضها تحضيضهم على إدراك الثأر . وقولها : أنْ لا تخلُّوا من التخلية .

٧٨ وهذه رواية القالى . ورواية الحماسة : « لا تعقِلوا لهُم دمى » . يقال عقلتُ فلاناً ، إذا أعطيتَ ديته . والمراد : لا تأخذوا بدل دمى عقلا . ورواه ابنُ الأعرابى : « أن لا يُغِلُّوا لهم دمى » بالمثنَّاة التحتيَّة والغين المعجمة ، وقال : الإغلال عند العرب : ترك القَصَّاب بعضَ اللحم فى الإهاب . والغلول : الخِيانة فى المغنم . والإفال : جمع أفيل ، وهو الصَّغير من الإبل ، وكذا الأبكُر ، وهو جمع بكر . قال التبريزى : فإن قيل : لم ذكَر الإفال والأبكر ، وما يؤدَّى فى الديات لا يكون منهما ؟ قلت : أراد تحقيَر الديات ، كما يقال فى تحقير نحو خِلعة : أُعطِىَ فلانٌ خِرَقاً ، وإن كانت فاخرة .

وقولها : « وأترك فى بيت » إلخ ، صَعدة : مِخلافٌ من مخاليف اليمن ، أى ناحيةٌ منها . وإنما جَعلت قبره مُظلماً لأنهم كانوا يزعمون أن المقتول إذا ثأَروا به أضاء قبُره ، فإنْ أُهدِرَ دمُه أو قبلت ديته يبقى قبرُهُ مظلماً .

وقولها : « وهل بطن عمرو » إلخ تزهيد فى الديَة ، كما روى فى الخبر : « هل بطنُ ابن آدمَ إلاَّ شبر فى شِبْر » ، لما أُريدَ تزهيدُه فى الدنيا .

وقولها : « اتَّديتمو » أى قبلتمو الدية ، وهو افتعلتم ، يقال وديته فاتَّدَى .

وقولها : « فمشُّوا » إلخ أى امشوا . وضعَّف الفعل للتكثير . ومن رَوى بضم الميم فمعناه امسَحوا بالمَشُوش بفتح الميم ، وهو منديل يُمسح به الدَّسم . والمعنى إن لم تقتلوا قاتلى وقبلتمْ ديتى فامْشُوا أذِلاَّءَ بآذان مجدَّعة كآذان النعام . ووصفَ النعام بالمصلَّم تصغيراً لها ، وإن كانت خِلقة . يقول :

كأنكم مما تعيَّرون ليست لكم آذان تسمعون بها ، فامشوا بغير آذان . واختلف فى النعام فقيل إنها كلها صُلْم ، وقيل غير ذلك .

وقولها : « ولا تشربوا إلا فضول » إلخ رواه أبو تمام : « ولا تردُوا » ، و « إذا ارتملت » . قال التبريزى : يقال ترمَّل وارتمل ، إذا تلطَّخَ بالدم ، فكان من عادتهم إذا وردوا المياه أَنْ يَتقدَّمَ الرجال ثم الرعاة ثم النِّساءُ ، فكنَّ يغسلن أنفسهُنَّ وثيابهنَّ ويتطهَّرن ، آمنات مما يُزعجهنَّ ، فمن تأخَّر عن الماء حتى يصدُر النساءِ فهو الغايةُ فى الذل . وجعلت النساءَ مرتملات بدم الحيض تفظيعاً للشَّأن .

وقال النَّمَرىُّ : قال أَبو رياش : تقول : إذا قبلتم الديَة فلا تأنفوا بعدها من شيءٍ كما تأنف العرب ، واغشَوْا نساءكم وهى حُيَّض . والفضول : بقايا الحَيض . وسمَّى الغِشيانَ وِرداً مجازا . وقال أَبو محمد الأعرابىّ : معناه لا تردوا المواسمَ بعد أخذ الدِّيَةِ إلا وأعراضكم دنسة من العار ، كأَنكم نساءٌ حيَّض . وهذا كما قال جرير :

لا تَذكروا حُللَ الملوك فإنكم
بعد الزُّبير كحائضٍ لم تَغسِلِ (١)

وقال ابنُ الأَعرابىِّ بعد إيراده هذه الأبياتَ : إن المحزَّم (٢) بن سلمة أُحد بنى مازن بن زبيد قتل عبد الله بنَ معديكرب أخا عمرو ، وكانَ عبد الله لطم عبداً للمحزَّم على شرابٍ ، فجاءت بنو مازن إلى عبد الله فقتلوه ورأَسُوا

(١) البيت لم يرد فى ديوانه .

(٢) جعلها الشنقيطى هى وتالياتها : « المخزم » بالخاء المعجمة . ولكن قيدها البغدادى بالحاء المهملة فيما سبق .

عليهم عمرو بن معديكرب ، فلما حضَّت عمراً أكبَّ على بنى مازن بقتلهم [١] وهم غارُّون [٢] فيقال إنهم احتملوا فنزلوا فى بنى مازن بن عمرو ، فهُمْ فيهم . وأنفذ عمرٌو ابنَ أخ له وأعطاه الصمصامةَ ، وقال : اقتل بها المحزَّم . فمضى فقتل المحزَّمَ وابن أخ له ، ثم انصرف إلى عمرو فقال له : ما صنعت ؟ قال : قتلت المحزَّم وابن أخيه ! فقال عمرو : كيف أصنع ببَنى مازن وقد قتلتَ سيِّدها ؟! فقال الغلام : أُعطيتنى الصمصامة ، وسمَّيتنى المقدام ثم أُقتل واحداً فما خَبَرى إذن ؟ قال : فرحل عمرو فى أربعينَ من بنى زُبيد فصار فى جَرْمٍ ، حتّى جاء الإسلام وهاجر . اهـ .

٧٩

وروى هذا الخبر مفصَّلا الأصفهانىُّ (فى الأغانى) قال : كان عبد الله ابن معديكرب رئيسَ زُبيد ، فجلس مع بنى مازن فشرِب ، فتغنَّى عنده حبشىٌّ وهو عبد للمحَزَّم [٣] أحد بنى مازن ، فشبَّب بامرأةٍ من بنى زبيد ، فلطمه عبد الله وقال : أمَا كفاك أن تشرَب معنا حتَّى تشبِّب بالنساء ! فنادى الحبشىُّ : يالَمازن ! فقاموا إلى عبد الله فقتلوه ، فرؤُسَ [٤] عمرٌو مَكانَ أخيه . وكان عمرٌو غزا هو وأُبىٌّ المرادى ، فأصابوا غنائم ، فادَّعى أنّه كان مُسانداً ، فأبى عَمرٌو أن يعطيَه شيئاً ، فكرِة أُبّى أنْ يكون بينهم شرٌّ ، لحداثة قتلِ أخيه ، فأمسك عنه . وبلغ عمراً أنّه توعَّده ، فقال فى ذلك قصيدة منها :

تَمَنَّانى ليقتلَنى أُبَىٌّ   وَدِدتُ وأينما منِّى وِدادى

---

(١) وفيما سيأتى : « بالقتل » .

(٢) غارون : غافلون . ط : « عارون » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح وضبط الراء بالشدة . وقد سبقت على هذا الوجه فى ص ٣٥٧ .

(٣) فى ش والأغانى ١٤ : ٣٢ : « للمخزم » بالخاء المعجمة .

(٤) كذا فى ش والأغانى . وفى ط : « فرأس » .

فلو لاقيتَنى للقِيتَ قِرناً   وصرَّح شحمُ قلبكَ عن سوادِ
إذَنْ للقيتَ عمَّكَ غيرَ نِكسٍ   ولا متعلِّم قتلَ الوِحادِ (١)
أريد حِباءَه ويُريد قتلى   عَذيرَك من خليلكَ من مُرادِ (٢)

وكان علىّ بن أبى طالب إذا نظر إلى ابن مُلجِمٍ أنشد :

أريد حِباءَهُ ويريد قتلى .... البيت

وجاءت بنُو مازن إلى عمرو فقالوا : إنَّ أخاك قَتَله رجل منَّا سفيهٌ وهو سَكران ، ونحن يدُك وعَضُدك ، فنسألك بالرَّحم إلّا أخذتَ منا الدّيَةَ مَا أحببت ! فهَمَّ عمرو بذلك وقال :

* إحدى يدىَّ أصابَتْنى ولم تردِ (٣) *

فبلغ ذلك أختاً لعمرو يقال لها كبشة ، وكانت ناكحا فى بنى الحارث ابن كعب ، فغضبتْ ، فلما وافىَ الناسُ من الموسم قالت شعراً . وأنشد الأبياتَ الستّة . فقال عمرو قصيدةً منها :

أَرِقت وأمسيتُ لا أرقدُ   وساورنى المُوجِعُ الأسودُ
وبِتُّ لذكرى بنى مازنٍ   كأنِّىَ مرتفقٌ أربدُ (٤)

---

(١) فى الأغانى : « ولا متعلما » . فى الأصل : « قتلى » ، وفى الأغانى « قبل » .

(٢) انظر تحقيق البيت فى حواشى نسختى من سيبويه ١ : ٢٧٦ . ويروى : « أريد حياته » .

(٣) وكذا ورد فى الأغانى ١٤ : ٣٣ على أنه نثر . وإنما هو عجز بيت هو أول حماسية رواها أبو تمام ٢٠٧ لأعرابى قتل أخوه ابنا له فقدم إليه ليقتاد منه ، فألقى السيف وهو يقول :

أقول للنفس تأساء وتعزية   إحدى يدى أصابتنى ولم ترد
كلاهما خلف من فقد صاحبه   هذا أخى حين أدعوه وذا ولدى

(٤) فى الأغانى : « أرمد » .

ثم أكبَّ عمروٌ على بنى مازن فقتلَهم ، وقال فى ذلك :

خُذوا حِقَقاً مخطَّمةً صفايا وكَيدى يا مُحرَّم ما أكيدُ [١]

قتلتمْ سادتى وتركتمونى على أكتافكم عبءٌ جديدُ [٢]

فأرادت بنو مازن ، أن يردُّوا عليهم الديةَ لمَّا آذَنَهم بحرب ، فأبى عمرو . وكانت بنو مازن من أعداء مذحج ، وكان عبد الله أخا كبشة لأبيها وأمِّها دونَ عمرو ، وكان عمرٌو يهمُّ بالكفِّ عنهم حتَّى قتل من قتل منهم ، فركبتْ كبشةُ فى نساءٍ من قَومها وتركت عمراً أخاها وعيرَّته فأفحمته ، فأكبَّ عليهم أيضاً بالقتل ، فلما أكثر فيهم القتل تفرقوا ، فلحقت بنو مازن بصاحبهم مازن بن تميم ، ولحقَتْ ناشرة ببنى أسد ، ولحقت فالج بسُليم بن منصور . وفالج وناشرة:ابنا أنمار بن مازن بن ربيعة بن مُنبِّه بن صَعب بن سعد العشيرة . فقال كابية [٣] بن حُرقوص بن مازن [٤] :

يا ليتنى ياليتنى بالبلدةِ
رُدّت علىَّ نجومها فارتدَّتِ
مَن كان أسرعَ فى تفرُّق فالج
فلبونُه جَرِبَتْ معاً وأغَدَّتِ [٥]
هَلاَّ كناشرةَ الذى ضيَّعتُم ٨٠
كالغُصن فى غُلَوائِه المتنبِّتِ

(١) فى الأغانى : (يا مخزم) . والحقق : جمع حقة بالكسر ، وهى من الإبل : ما دخل فى الرابعة ، تؤخذ فى الصدقات والديات . وفى الأصل والأغانى : « حقان » ، ولا يستقيم بها الوزن ولا المعنى » .

(٢) ما بعد هذا من سائر الخبر لم يرد فى الأغانى .

(٣) ط : « كائبة » صوابه فى ش مع أثر تصحيح . وانظر حواشى الحيوان ٦ : ٤٥٥ .

(٤) فى سيبويه ١ : ٣٦٨ نسبة الشعر إلى عنز بن دجاجة .

(٥) ط : « جذبت معا » ش : « جذبت معا » ، صوابها ما أثبت من سيبويه .

وقال عمرو فى ذلك :

* تمنَّتْ مازنٌ جهلاً خلاطى *

الأبياتَ السابقة إلَّا البيت الأخير .

وتقدَّمت ترجمة عمرو بن معديكرب فى الشاهد الرابع والخمسين بعد المائة [١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والسبعون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س [٢] :

٤٧١ (والخيلُ تَعدو فى الصَّعِيدِ بَدَادِ)

على أنَّ (بداد) وصفٌ مونَّث معدول عن متبدِّدة أى متفرِّقة ، فهو حال .

وهذا مخالفٌ لقول سيبويه ، فإنَّه أنشده على أنَّ بداد فيه معدولٌ عن مصدر مؤنث لا عن وصف . قال : هذا بمنزلة قوله تعدو بدَدًا [٣] . فيكون المصدر مؤولا بالحال .

قال الأعلم : الشاهد فيه قوله بَدادِ ، وهو اسمٌ للتبدُّد ، معدول عن مؤنّثٍ ، كأنّه سمَّى التبدُّد بَدَّةً ثم عدلها إلى بداد ، كما سمى البِرُّ : بَرَّة . انتهى .

وصنيع الشارح أحسن ، فإن الحال نادرٌ وقوعها معرفة .

ويأتى بدادِ اسمَ فعلِ أمرٍ أيضا . وأورده الزمخشرى فى فَعال الأمرىّ ، قال :

---

(١) الخزانة ٢ : ٤٤٤ .

(٢) فى كتابه ٢ : ٣٩ . وانظر مجالس ثعلب ٥٢٧ والمقتضب ٣ : ٣٧١ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ١١٣ وابن يعيش ٤ : ٥٤ والهمع ١ : ٢٩ والأشمونى ٣ : ٢٧١ واللسان (بدد ، حلق) وديوان حسان ١٠٨ والنابغة الجعدى ٢٤١ .

(٣) فى الأصل : « بدادا » ، صوابه من سيبويه .

وبدادِ ، أى ليأخْذ كلٌّ منكم قِرنَه . ويقال أيضا : جاءت الخيلَ بدادِ ؛ أى متبدِّدة . فهى مشتركة بين الأمر والمصدر .

قال فى الصحاح : قولهم فى الحرب : يا قوم بدادِ بدادِ ، أى ليأخذ كلُّ رجلٍ قِرنه . يقال منه تبادَّ القومُ يتبادُّونَ ، إذا أخذوا أقرانهم . وبنىَ لأنَّه واقعٌ موقع الأمر . ويقال أيضاً لقُوا بَدادَهم [١] ، أى أعدادهم ، لكل رجلٍ رجلٌ . والبَدَاد ، بالفتح : البِرَاز . يقال : لو كان البَداد ما أُطاقونا ، أى لو بارزناهم رجلٌ ورجل . وقولهم : جاءت الخيل بَدادِ ، أى متبدِّدة . وبنى أيضا على الكسر لأنَّه معدول عن المصدر ، وهو البَدَد . قال :

* والخيل تعدو فى الصعيد بَدادِ *

وتفرّق القومُ بدادِ ، أى متبدِّدة . قال حسان :

كُنَّا ثمانيةً وكانوا جَحفلاً
لجِباً فَشُلُّوا بالرِّماح بَدادِ [٢]

وإنَّما بنى للعدل والتأنيث والصفة . انتهى .

فبداد على هذا ثلاثة أقسام . وهو تابعٌ فى صنيعه . وكذلك تبعه ابن الشجرى (فى أماليه) فإنه أوردَ البيت فى قسم المصدر وقال : أراد بددا .

والبيت من أبياتٍ لعَوف بن الخرِع [٣] التَّيمى ، يَردُّ على لقيط بن

---

(١) وكذا فى القاموس . وفى اللسان : « أبدادهم » .

(٢) ديوان حسان ١٠٨ .

(٣) ط : « الجزع » ، صوابه فى ش ، وسيأتى فى نهاية الشاهد ضبطه .

زُرارة ، فإنّه كان هجا عديًّا وتَيماً ، وعيَّره عَوفٌ بِفِراره عن أخيه معبدٍ لمَّا أُسِر . وقبله :

(هلَّا كررتَ على ابن أمِّك معبدٍ والعامرىُّ يقوده بِصِفَادِ
وذكرتَ من لبن المحلَّقِ شَربة والخيلُ تعدو بالصعيد بدادِ)

فى الأغانى [١] بسنده أنَّ الحارث بن ظالم المرى لمَّا قتل خالد بن جعفر ابن كلاب غدراً ، عند النُّعمان بن المنذر بالحيرة ، فأتى زرارةَ بن عُدس فكان عندهَ ، فلم يزل فى بنى تميم عند زرارة حتَّى لحق بقريش . فخرجت بنو عامر إلى الحارث بن ظالم حيث لجأ إلى زرارة ، فسارت بنو عامر نحوَهم ، والتقَوا برَحرحانَ ، فاقتتلوا قتالاً شديدا ، وأُسر يومئذ معبدُ بن زرارة ، أسره عامر بن مالك ، واشترك فى أسره طُفيلٌ ورجل من غنىٍّ يقال له أبو عُمَيلة ، وهو عِصمة بن وهب ، وكان أخا ابنِ مالك من الرَّضاع ، وكان معبد بن زرارة كثيرَ المال ، فوَفَد لقيط بن زرارة على عامر بن مالك فى الشَّهر الحرام رجب ، فسأل عامراً أن يطلق أخاه ، فقال عامر : أمَّا حِصَّتى فقد وهبتُها لك ، ولكن أُرضِ أخى وحليفى اللذينِ اشتركا فيه . فجعل لقيطٌ لكلِّ واحدٍ مائةً من الإبل ، فرضيَا وأَتَيا عامراً فأخبراه ، فقال عامرٌ للقيط : دونَك أخاك ، فأطلق عنه . فلمَّا أطلقه فكَّر فى نفسه لقيط وقال : أعطيهم مائتين من الإبل [٢] وتكون

٨١

(١) الخبر هنا باختصار من الأغانى ١٠ : ٣٠ – ٣٢ .

(٢) فى ش والأغانى : « مائة » ، وإنما هما مائتان كما فى ط .

النِّعمة لهم [١] ؟ لا والله لأفعل ذلك ! ورجع إلى عامر فقال : إنَّ أبى زرارة نهانا أن نَزيد على دية مضَر وهى مائة ، إنْ أنتم رضيتم أعطيتكم مائة من الإبل . فقالوا : لا حاجةَ لنا فى ذلك . فانصرف لقيط ، فقال له معبد : مالى يُخرجنى من أيديهم . فأبَى ذلك عليه لقيط ، وقال معبد لعامر : يا عامر أنشُدك الله لَمَّا خلَّيتَ سبيلى ، فإنما يريدُ ابنُ الحمراء أن يأكل مالى [٢] ! ولم تكن أمُّه أمَّ لقيط . فقال عامر : أبْعدَكَ الله ، إن لم يشفقْ عليك أخوك فأنا أحقُّ أن لا أشفق عليك . فعمَدوا إلى معبد فذبحوا شاة فألبسوه جلدَها حارًّا وشدُّوا عليه القِدّ ، وبَعثوا به إلى الطائف ، فلم يزل بها حتَّى مات . فقال فى ذلك عوفُ بن عطيّة بن الخَرِع :

* هَلاَّ كررت على ابن أمِّك * البيتين

والكَرُّ هنا : الرجوع فى حَومة الحرب لاستخلاص أخيه من الحرب .

واتفقت جميع الروايات على قوله (ابن أمِّك) مع أنَّهما من أُمَّين . قال ابن حبيب (فى شرح النقائض) : ليست أمُّهما واحدةً ، ولكن أمّهما أمَّهات [٣] فجمعهما .

ورواه ابن السيد (فيما كتبه على كامل المبرِّد) : (على أُخَيِّك معبدٍ) .

وقال أبو محمد الأعرابى الأسود (فى ضالَّةِ الأَديب) : قد غلِط ابنُ الأعرابى من وجهين : أحدهما أنَّ الشعر لعوف بن الخرع ، وهو قد نسبه إلى ابن كراع .

---

(١) فى الأغانى : « ثم تكون لهم النعمة على بعد ذلك » .

(٢) فى الأغانى : « كل مالى » . والحمراء : الرومية أو الفارسية .

(٣) ش : « لهما أمهات » .

والثانى : أنَّه قال : (على ابن أمِّك) وإنما الرواية : (على أخَيِّك) بالتصغير ، لأنَّ معبدا لم يكن لأمّ لقيط .

وقوله : (والعامرى يقوده) إلخ جملةٌ حال من التاء فى كررتَ . والصِّفاد بالكسر : جمع صَفَد بفتحتين ، وهو القَيد .

وقوله : (وذكرت من لبن) إلخ الجملة معطوفة على هَلاَّ كررت . والمحلَّق بتشديد اللام المفتوحة ، قال صاحب النقائض : المحلَّق سمةُ إبل بنى زُرارة .

وقال ابن السيد (فيما كتبه على الكامل) : المحلَّق : إبلٌ موسومة بالحَلَق على وجهها . وقال ابن الشجرى (فى أماليه) : أى من لَبن النَّعم الذى عليه وسومٌ كأمثال الحَلَق .

وقوله : (والخيل تعدو) الجملة حال من تاء المخاطب فى ذكرتَ . والصَّعيد : وجه الأرض . وروى بدله : (بالصفاح) بالكسر . قال ابن السيد : وهو موضع .

قال الأعلم : يقول هذا للقيطِ بن زرارة التميمى ، وكان قد انهزم فى حربٍ أُسر فيها أخوه مَعبد بن زرارة ، فعيَّره ونسب إليه الحرصَ على الطعام والشراب ، وأنَّ ذلك حمَله على الانهزام ، وأراد بالمحلَّق قطيعَ إبلٍ وُسم بمِثْل الحَلَق من وَسْمْ النار . انتهى .

قال ابن قتيبة (فى أبيات المعانى) : قال مقَّاس العائذى :

تذكَّرتِ الخَيلُ الشعيرَ عشيّة
وكنّا أناساً يعلفون الأياصرا

أى ذَكرتم [١] الحَبَّ والقُرى فانهزمتم ورجعتم إليها ، ونحن نعلف الحشيش ، فنحن نسير لا ننهزم ولا نبالى أين كنّا .

ونحوٌ منه قولُ عوف بن عطية بن الخَرِع للقيط بن زرارة :

هَلاَّ كررت على ابن أمِّك .... البيتين

والمحلّق : إبلٌ سماتها الحَلَق . وبداد : متفرِّقة . انتهى

٨٢ والأياصر : جمع أيصَر ، وهو الحشيش .

وهذه الوقْعة يقال لها يوم رحرحان ، براءين وحاءين مهملات ، وهو جبل قرب عكاظ .

وقد شرح خبرَ هذا اليوم شارحُ المناقضات شرحاً مفصلاً قال :

قال أبو عبيدة : حدَّثنى أبو الوثِيق ، أحد بنى سُلمَى بن مالك بن جعفر بن كلاب قال : لمَّا التحف بنو دارم على الحارث بن ظالم لَّما قتل خالد بن جعفر بن كِلاب ، وأبى بنو دارم أن يسْلِموه أوْ يخرجوه من عندهم ، غزاهم ربيعة بن الأحوص بن جعفر بن كلاب ، بأفناء عامر ، طالباً بدم أخيه خالد بن جعفر عند الحارث بن ظالم ، فقاتل فى القوم فهزمت بنو دارم وهرب مَعبد بن زُرارة ، فقال رجل من غنىّ لعامر والطفيل ابنَىْ مالك بن جعفر بن كلاب : هذا رجل مُعْلِم بعمامة حمراء ، فى رأسه جرح ، رأيته يَسْنِدُ [٢] فى الهضبة – أى يصعد – وكان معبد قد طُعن فصُرع ، فلما أجلَتْ عنه الخَيْل سنَد فى هضْبةٍ من رحرحان ، وهو جبل ، فقال عامر وأخوه الطفيل للغنوى : اسِندْ واحِدُرْهُ . فسنَد الغنوىُّ فحدَره عليهما ، فإذا هو معبد بن زرارة . فأعطيا الغنوىَّ عشرين بكرة وصار أسيرَهما .

---

(١) ط : « تذكرتم » ، صوابه فى ش والمعانى الكبير ١٠٤ .

(٢) ش : « يستدمى » ، صوابه فى ط والنقائض ٢٢٨ .

وأما دِرواس ، أحد بنى زرارة ، فزعم أن معبدا كان بِرَحْرَحان متنحيا عن قومه فى عُشراوات له ، فأُخبر الأحوص بمكانه فاغترَّهُ ، فوفد لقيط بن زرارة عليهم فى فداء أخيه ، فقال : لكم عندى مائتا بعير . فقالوا : إنَّك يا أبا نهشل سيدُ الناس ، وأخوك معبد سيد مضر ، فلا نقبل فداءَهُ منك إلا دية مالك . فأبى أن يزيدهم ، وقال : إن أبانا أوصانا [1] أن لا نزيدَ بأسيرٍ منَّا على مائتى بعير فيحبَّ الناسُ أَخْذَنا . فقال معبد : والله لقد كنتَ أبغض أخوتى إلىَّ وفادةً علىَّ ، لا تدعْنِى ويلك يا لَقِيط ، فوالله إنَّ عدَّة نَعَمى لأكثُر من ألف بعير [2] ، فافْدِنى بألف بعير من مالى ! فأبى لقيط وقال : تصير سُنَّةً علينا . فقال معبد : ويلك يا لقيط ، لا تدَعْنى فلا ترانى بعد اليوم أبداً ! فأبى ومَنَّاه أن يغزوَهم ويستنقذه ، ورحل عن القوم ، فما سَقَوا معبداً الماءَ حتى هلك هُزْلا .

وقال أبو الوثيق : لمَّا أَبى لقيط أن يتفادَى معبداً بأَلِف بعير ظنُّوا أنه سيغزوهم ، فقالوا : ضَعوا معبداً فى حصن هَوازن . فحملوه حتى وضعوه بالطائف ، فجعلوا إذا سقَوه قِراه لم يشربْ وضمَّ بين فُقْميه وقال : لا أقبل قراكم وأنا فى القِدِّ أسيرُكم ! فلما رأَوْا ذلك عمدوا إلى عُودٍ فأوجوه فى فيه وفتحوا فاه ، ثم أَوجَروه اللبنَ رَغبةً فى فدائه ؛ وكراهيةَ أَن يهلِك . فلم يزل كذلك حتى هلك فى القِدّ .

فلما هجا لقيطٌ عديًّا وتَيْماً قال عطيةُ بن عَوف التيمى يُعيِّره أسرَ بنى عامر معبداً ، وفِرارَه عنه :

---

(١) فى النقائض : « ان أبانا كان أوصانا »

(٢) فى النقائض : « ان عُيَّبَ نَعَمى من المنح والفُقَر لأكثر من ألف بعير » . الغيب : جمع غائب . والفقر : جمع فقرى . وهى الناقة أو البعير يعار ظهره للركوب .

هلاَّ كررت على ابن أمِّك معبد .... البيتين

فلما انقضَت وقعةُ يوم رَحرحان جمع لقيطُ بن زرارة لبنى عامر ، وألَّب عليهم . وبين يوم رحرحان ويوم جَبَلة سنة ، وكان يومُ جبلَة قبل الإسلام بخمس وأربعينَ سنة فى قول المكثِّر ، وذلك عامَ ولد النبى ﷺ . وفى قول المقلِّل : أربعينَ سنة . انتهى باختصار .

عوف بن خرع

وعوف بن الخرع التيمى شاعر جاهلى ، وهو عَوف بن عطية بن الخرع ، واسم الخرع عمرو ، بن عيش بن وُرَيقة [1] بن عبد الله بن لؤىّ بن عمرو بن الحارث بن تَيْم بن عبد مناة بن أدّ بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان . كذا فى جمهرة الأنساب .

٨٣ فالخرِع لقب جدّه ، وهو بفتح الخاء المعجمة وكسر الراء ، بعدها عَين . وله ديوانٌ صغير ، وهو عندى .

* * *

وأنشده بعده ، وهو الشاهد الثانى والسبعون بعد الأربعمائة [2] :

٤٧٢ (قد كنتُ أحْسَبُكم أسودَ خفيّةٍ
فإذا لَصَافِ ، تَبيضُ فيه الحُمّرُ)

على أنَّ (فَعالِ) فى الأعلام الشخصية جميع ألفاظها مؤنَّثة . وأمّا لصافِ هنا فإنما ذكَّره بإرجاع الضمير عليه من فيه ، لتأويله بالموضع ، وهو منزلٌ من منازل بنى تميم . وروى أيضا « فيها » بتأنيث الضمير ، فلا إشكال حينئذ .

---

(١) فى معجم المرزبانى ٢٧٦ : « عمرو بن عبس بن وديعة » .

(٢) إصلاح المنطق ١٧٨ وأمالى القالى ٢ : ٢٣٦ والسمط ٨٥٩ وابن يعيش ٤ : ٦٣ .

أقول : الذى رواه : « فيه » بضمير المذكر هو صاحب الصحاح والعباب . والذى رواه : « فيها » بضمير المؤنث جماعة كثيرة ، منهم ابن السكيت (فى إصلاح المنطق) ، والقالى (فى أماليه) ، وأبو محمد الأعرابى (فى ضالة الأديب) ، وأبو العلاء المعرى (فى شرح ديوان البحترى) ، وأبو عبيدٍ البكرى (فى معجم ما استعجم) .

قال ابن دريد (فى الجمهرة) بعد إنشاده البيت : يخرج لَصافُ مخرج المؤنَّث فتقول : هذه لَصافُ ، ورأيت لصافَ ، ومررت بلصافَ ، فهو لا ينصرف . وكان أبو عبيدة يقول : هذا لصافِ ، مبنىٌّ على الكسر ، أخرجه مخرج حَذامِ وقطام . وإنْ رفعتَ فجيِّد ، وإن نصبت فجائز . انتهى .

قال الصاغانى (فى كتاب فَعَال [1]) : وبعضهم يُجريه مجرى ما ينصرف . وقد صرفه الشاعر فى قوله :

* إنَّ لَصافاً لا لصافِ فاصبرى [2] * .... البيت

ولصاف باللام والصاد المهملة : اسم ماءٍ فى موضعٍ بين مكة والبصرة لبنى يربوع ، من قبيلة تميم .

قال أبو عبيدٍ (فى المعجم) : قال الأثرم : لصاف ماء لبنى يربوع ؛

---

(١) نشره وحققه عزة حسن بدمشق ١٣٨٣ باسم « ما بنته العرب على فعال » .

(٢) بعده كما فى كتاب فعال ومعجم البلدان :

* إذ حقق الركبان موت المنذر *

وسيأتى قريبا نسبته إلى عبد ناجر ، أو باجر .

وكانت لصاف هى وما يليها من المياه والمواضع أوّلاً لإياد ، وفيها يقول عبد ناجر الإيادى [(١)] :

إنّ لَصافا لا لصافَ فاصبرى

إذْ حقَّق الركبانُ مَوْتَ المنذرِ

ثم نزلتها بنو تميم فصارت لهم .

و (لصاف) موضع رفع على الابتداء ، وجملة (تبيض) إلخ خبره .

و (الحُمّر) بضم الحاء المهملة وتشديد الميم المفتوحة : ضربٌ من الطير كالعصفور ، الواحدة حُمَّرة ، وقد تخفف الميم فيقال حُمَر وحُمَرة . أنشد ابن السكيت لابن أحمر :

إن لا تَدارَكهمُ تصبحْ منازلهم

قفراً تبيض على أرجائها الحُمَرُ

كذا فى الصحاح ، وأنشد البيت .

وقال أبو حاتم (فى كتاب الطير) : الحُمّر بِعِظَمِ العصفور ، وتكون كدْراء ورقشاء . قال أبو العلاء المعرى (فى شرح ديوان البحترى) : يجوز أن

---

(١) فى معجم ما استعجم فى رسم (توضح) ١ : ٣٢٧ : « عبد باجر » . وهو الصواب ، ففى القاموس (بجر) : « وكهاجر : صنم عبدته الأزد » . وفى ذيل الأصنام لابن الكلبى ٦٣ « باجر ، قال ابن دريد : وهو صنم الأزد فى الجاهلية ومن جاورهم من طيىء وقضاعة ، كانوا يعبدونه . بفتح الجيم وربما قالوا : باجر بالكسر » . وروى ابن الأثير فى النهاية أنه يسمى « باحر » بالحاء المهملة . وذكره فى مادة (بجر) بالجيم ، وقال : إنه كان فى الأزد .

يكون كلٌّ من المشدَّد والمخفف لغة ، ويجوز أن يكون المخفف ضرورة ، لأنَّ إحدى الميمين زائدة . وقد ذكر ابن السكيت المخفف فى باب فُعَلة ، فأوجب عليه ذلك أن يكون يَرى التخفيف أفصح . ومذهب سيبويه والخليل أن الميم الأولى هى الزائدة ، ومذهب غيرهما أنَّ الثانية هى المزيدة . وكلا القولين له مَساغ .

ابن لسان الحمرة

قال صاحب العباب : وابن لسان الحُمَّرة كوفىٌّ نسّابة ، واسمه عبد الله ابن حُصين بن ربيعة بن صُعَير بن كلاب . وحُصين هو لسان الحمَّرة . وقرأت (فى كتاب الفهرست) لمحمد بن إسحاق بن النديم بخطه : أنَّ اسم ابن لسان الحمرة وَرقْاء بن الأسعر . انتهى .

٨٤

وخَفِيّة بفتح الخاء المعجمة وكسر الفاء بعدها مثناة تحتية مشددة ، قال الخليل : هى اسم غَيضة ملتفَّة تتَّخذها الأسد عَرينا [1] . كذا فى المعجم لأبى عبيد . يقول : كنت أحسبكم شُجعاناً كأسود خَفِيَّة ، فإذا أنتم جُبناء ضعفاء ، فكأنَّ أرضكم لصافِ ، يتولَّد فيها هذا الطير لا الرجالُ .

صاحب الشاهد

والبيت أوّل أبياتٍ لأبى المهوِّش الأسدى ، هجا بها نهشَلَ بنَ حَرِّىّ ، أوردها أبو محمد الأعرابى (فى ضالة الأديب) ، وهى :

أبيات الشاهد

(قد كنتُ أحسِبُكُمْ أُسُودَ خَفِيّةٍ
فإذا لَصافِ تبيض فيها الحُمَّرُ
فترفَّعُوا هَدَجَ الرئالِ فإنّما
تَجنى الهُجَيمُ عليكمُ والعَنبرُ

(١) فى معجم ما استعجم ١ : ٥٠٦ : « عريسة » .

عَضّت تميمٌ جلدَ أيرِ أبيهمُ
يومَ الوَقيطِ وعاوَنتها حَضْجَرُ
وكفاهمُ من أمِّهم ذُو بَنَّةٍ
عبلُ المشافر ذو قَليل أسعرُ
ذهبت فَشيشَةُ بالأباعر حولنا
سَرَقاً ، فصبَّ على فشيشة أبجرُ (١)
منعت حنيفةُ واللهازمُ منكمُ
قَشِرَ العراق وما يَلَذُّ الحَنجرُ
وإذَا تسرُّك من تميمٍ خَلَّةٌ
فلَمَا يَسوءك من تميمٍ أكثر
يا نهشلَ بن أبي ضُميرٍ إنَّما
مِنْ مِثل سَلح أبيكَ ما تستقطِرُ
إذْ كان حَرِّىٌّ سَقِيطَ وليدةٍ
بَظْراءَ يركُض كاذَتيها العُهَّرُ)

قوله « فترفَّعوا هدجَ » إلخ استهزاءٌ بهم . وهدجَ الرئال منصوب بنزع الخافض ، أى عن هدجه ، وهو مصدرٌ وفعله من باب فرح ، يقال هدَج الظليم ، إذا مشَى فى ارتعاش . والرِّئال : جمع رأل بفتح الراء وسكون الهمزة ، وهو فَرخ النعام . والهُجَيم بالتصغير والعنبر أخَوانِ ، وهما ابنا عمرو بن تميم . وأراد أولادهما ، فإنَّ كُلاً مِنهُما أبو قبيلة .

(١) فى أمالى القالى ٢ : ٢٣٦ : « ويروى هربا » ، أى بدل « سرقا » .

وقوله : « عَضّت تميم » إلخ روى بدل تميم « أُسَيِّد » مصغر أسود لا ينصرف ، وهو أخو الهجيم والعنبر . وروى أيضاً بدل جلد « جذل » بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة ، وهو أصل الحطب العظيم . شَبَّه أير أبيهم به . وهذا الكلام سبٌّ وتذليل عند العرب . وأراد بتميم ماتفرَّع منه من القبائل والبطون .

ويوم الوقيط كان فى فتنة عثمان بن عفّان ، وهو لِلَّهازم ، رئيسُهم أبجر ابن بُجير ، على بنى مالك بن حنظلة . فأَمَّا بنو عمرو بن تميم فأُنذرهم ناشب ابن بَشامة العنبرى فدخلوا الدَّهناء فَنجَوْا . وفى هذا اليوم أُسر ضِرارُ بن معبد ابن زرارة .

وحَضْجَر بفتح المهملة وسكون المعجمة بعدها جيم ، وهو لقب العنبر . قاله أبو محمد الأعرابى .

والمعاونة كانت بالإنذار كما ذكرنا .

وقوله : « وكفاهُم من أمِّهم » ضمير « هم » راجعٌ لأسيِّد والهُجيم والعنبر ، وأُمُّهم هى أُمُّ خارجة المشهورةُ بالنكاح ؛ يقال فيها : « أسرَعُ من نِكاح أُمِّ خارجة » . كانت ذوَّاقة ، إذا ذاقَت الرجلَ طلقته وتزوَّجت غيره . فتزوَّجت نَيِّفاً وأربعين زوجاً ، وولدت فى عامة قبائل العرب . وكان الخاطب يأتيها فيقول : خِطب ! فتقول : نِكح ! وكان أمرها إليها إذا تزوَّجت ؛ إن شاءت أقامت وإن شاءت ذهبت ، فيكون علامةُ ارتضائها للزوج أن تصنع له طعاما كُلَّما تصبح . وكان آخر أزواجها عمرو بن تميم ، وهو المراد بقوله « ذو بَنَّة » بفتح الموحدة وتشديد النون ، وهى رائحة بَعَر الظباء ، والرَّائحةُ أيضا . والعَبْل : الضخم . والمِشفَر بالكسر ، فى الأصل : شفَة البعير . والقَليل بالقاف : دقّة الجثة . والأسعر ، بالسين والعين المهملتين : القليل اللحم الظاهر العصب . وصَفَه بحقارة الجُثّة .

٨٥

وقوله : « ذهبت فشيشة » بالفاء والشين المعجمة : لقبٌ لبعض بنى تميم [١] . وأبجر : رئيس اللهازم [٢] .

وقوله : « منعت حنيفة واللهازم [٣] » حنيفة : أبو قبيلة ، وهو حنيفة ابن لُجيم بن صعب بن علىّ بن بكر بن وائل . واللهازم هم تَيم الله بن ثعلبة ابن عُكابة بن صعب بن علىّ المذكور . واللهازم حلفاء بنى عجل ، وعجْل أخو حنيفة المذكور . والقَشِر بفتح القاف وكسر الشين ، وهو التمر الكثير القشور . والحَنْجَر : الحلقوم .

وقوله : « وإذا تسرُّكَ » إلخ الخَلّة بفتح الخاء المعجمة هى الخَصْلة .

وقوله : « يا نهشل » إلخ هو نهشل بن حَرِّىٍّ بن ضَمرة ، وهو شِقَّة ، ابن ضَمرة بن جابر بن قَطَن بن نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك ابن زيد مناة بن تميم . وضُمير هو مصغر ضَمرة . والسَّلح : التغُّوط ، وهو مصدر سلحَ . والسُّلاح بالضم : اسم النجْو والعَذِرة . وتَستقطر : تتبّخر بالقُطر بالضم ، وهو العود الذى يبخَّر به .

وقوله : « إذْ كان حَرِّىّ » بفتح المهملة وتشديد الراء والياء ، وهو أبو نهشل المهجوّ . وسَقِيط بمعنى السَّقَط . والوليدَةُ : الخادمة . والبظراء : التى لم تختن . ويركض : يحرِّك . والكاذتان : مانتأ من اللحم فى أعالى الفخذ . والعُهّر : جمع عاهر ، وهو الزانى . رمىَ أُمَّه بالفجور .

---

(١) فى اللسان أنه لقب لبنى تميم . وفى السمط ٨٦١ : « نَبَز لبنى تميم ، مأخوذ من خروج الريح ، يقال فش الوطب ، إذا أخرج منه الريح » .

(٢) هو أبجر بن جابر العجلى ، كما قال فى السمط ٦٨١ . ثم قال « وقيل أن أبجر اسم من أسماء الدواهى » .

(٣) كلمة « منعت » ساقطة من ش .

ذكر المدائنى وغيره قال : مرَّ الفرزدق بمضرِّس بن رِبعىّ الأسدى ، وهو يُنشد بالمِرْبد وقد اجتمع الناس حوله ، فقال : يا أخا بنى فقعس ؛ كيف تركت القَنان ؟ قال : تبيض فيه الحمَّر . قال : أراد الفرزدق قول نهشَل بن حرّىّ :

ضمِن القَنَانُ لفقعَسٍ سَوْءَاتِها
إنَّ القنان بفقعسٍ لَمعَمَّرُ (١)

وأراد مضرِّس قول أبى المهوِّش الأسدى :

وإذَا تسرُّك من تميم خَصلةٌ
فَلَمَا يسوءك من تميم أكثرُ
قد كنتُ أحْسِبُكم أسودَ خفيَّةٍ
فإذا لَصَافِ تبيض فيها الحمَّرُ
عَضّت أُسيِّدُ جِذْلَ أير أبيهمُ
يومَ النِّسار ، وخُصيْتيهِ العَنبرُ

نسبهَم إلى الجبن بقوله : « فإذا لصاف تبيض » إلخ ، ثم أعضَّهم أير أبيهم لِفرارهم يوم النِّسار .

وقال القالى (فى أماليه) : حدَّثنا أبو بكر قال : حدَّثنا أبو حاتم عن الأصمعى عن أبى عمرو بن العلاء قال : قيل للفرزدق : إنَّ ههنا أعرابيًّا قريباً

(١) فى ش : « ضمن القنان بفقعس لمعمر » فقط . وفيه سقط .

منك يُنشد شعراً رَقيقاً . فقال : إنَّ هذا لَقائف أو لحائن [(١)] ! فأتاه فقال : ممَّن الرجل ؟ قال : من بنى فقعس . قال كيف تركت القنان ؟ قال : تركتُهُ يُساير لصافِ . فقلت : ما أرادَا ؟ قال : أراد الفرزدق قولَ الشاعر :

ضَمِنَ القَنانُ لفقعسٍ سَوءاتِها .... البيت

وأراد الفقعسىُّ قولَ الآخر :

وإذا تسرُّك من تميم خصلة .... البيت

قد كنت أحسبهم أسودَ خفية .... البيت

أكلت أسيِّد والهُجَيم ودارم
أير الحمار ، وخصيتيه العنبَرُ

انتهى .

قال أبو عبيد البكرى (فيما كتبه على أمالى القالى) : البيت الأخير محوَّل عن وجهه ، والمحفوظ فيه : ٨٦

عضّت أسيِّد جِذْل أير أبيهمُ
يوَم النِّسار وخُصيتيه العنبرُ

انتهى .

وبنو تميم لا تعيَّر بأكل أُير الحمار ، وإنّما تعيَّر به بنو فزارة . وقولهُ : « يساير لصَافِ » ، من المحال الذى لا يجوز إلاَّ إذا سُيِّرت الجبالُ فكانت سَرَابا

(١) قائف ، من القيافة ، وهى تتبع الأثر . وفى الأصل : « لفائق » وفى السمط ٨٥٨ : « لقائف أو الحائن » . وفى الأمالى ٢ : ٢٣٦ : « لقائف أو لَخَائن » .

والتعريض الحسن هو ما نقلنا . انتهى .

قُلت : وقد روى البيت المذكور أبو محمد الأعرابى كما رواه القالى ، وهو خطأ كما بيَّنّا . وقنان بفتح القاف ونونين : جَبل فى ديار بنى فقعس .

وأبو مهوش الأسدى قال ابن الكلبى (فى جمهرة الأنساب) : هو ربيعة بن رِئاب [١] بن الأشتر بن حَجْوان بن فقعس بن طريف بن عمرو بن قعين [٢] بن الحارث بن ثعلبة بن دُودان بن أسد بن خزيمة بن مُدركة بن الياس ابن مضر .

ومهوِّش ، بكسر الواو المشددة بعدها شين معجمة . وحَوْط بواو ساكنة بين مهملتين . ورئاب براء مهملة مكسورة بعدها همزة ممدودة . وحَجْوان بفتح المهملة وسكون الجيم . وقُعَين بضم القاف وفتح العين . ودُودان بضم الدال المهملة الأولى .

وقال أبو محمد الأعرابى (فى ضالة الأديب) : اسمُه حَوْط بن رئاب . وبه ترجمه ابن حجر (فى الإصابة) فى قسم المخضرمين الذين أدركوا النبى ﷺ ولم يَرَوْهُ . قال : حوط بن رئاب الأسدى الشاعر ، ذكر أبو عبيد البكرى (فى شرح الأمالى) أنّه مخضرم . وهو القائل :

(١) ط : « وثاب » صوابه فى ش ، وهو ما يقتضيه الضبط بعده .

(٢) فى النسختين : « عمرو قعين » وحاول الشنقيطى إصلاحها فتعذر عليه . وهو عمرو بن قعين ، كما فى جمهرة ابن حزم ١٩٥ – ١٩٦ .

دَنَوت للمجد ، والسّاعون قد بلَغوا
جَهْدَ النُّفوس وأُلقَوْا دَونَه الأُزرا

فظهر من هذا أنَّه إسلامى .

ولم أر له فى كتب تراجم الشعراء ذكراً . والله أعلم .

* * *

الأصوات

أنشد فيه :

(باسمِ الماءِ)

وهو قطعةٌ من بيت ، وهو :

(لا ينعَشُ الطَّرفَ إلَّا ما تَخَوَّنهُ
داعٍ يناديه باسمِ الماءِ مبغومُ)

* * *

وتقدَّم شرحُه مفصّلا فى الشاهد السابع بعد الثلثمائة [١] :

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والسبعون بعد الأربعمائة [٢] :

٤٧٣ (كما رُعْتَ بالجَوْتِ)

وهو قطعةٌ من بيت :

(دعاهُنَّ رِدْفى فارعَوَيْنَ لَصوتِهِ
كما رُعْتَ بالجَوْتِ الظِّمَاءَ الصَّوادِيا)

على أنَّ بعض الأصوات قد يَدخُله أداة التعريف .

---

(١) الخزانة ٤ : ٣٤٤ .

(٢) ابن يعيش ٤ : ٧٥ ، ٨٢ والعينى ٤ : ٣٠٩ .

قال الزمخشرى (فى المفصل) بعد ما أنشدهُ : هو بالفتح محكيًّا مع الألف واللام .

وقال ثعلب (فى أماليه) : يقال للبعير جَوت جَوْت ، إذا دعوته إلى الماء ؛ وإذا أدخلوا الألف واللام تركوها على حالها . وكان أبو عمرٍو يَكسر التاء ويقول : إذا أدخلت عليه الألفَ واللام ذهبت منه الحكاية .

وجوَّز ابن الناظم (فى شرح الألفية) الوجهين : الجرَّ على الإعراب ، والفتح على الحكاية .

قال الصَّغانى (فى العباب) : يقال للإبل : جَوْت بفتح الجيم والتاء المثناة ، إذا دُعِيَتْ إلى الماء . وحكى الفراءُ : جَوت بفتح الأول وكسر الآخِر وضمه أيضا . فالجيم مفتوحة لا غير . والتاء وردَ فيها الحركات الثلاث . ٨٧

قال صاحب القاموس : جوت جوت ، مثلثة الآخر مبنية : دُعاءٌ للإبل إلى الماءِ . وقد جأوتُها وجأيتها . أو زجرٌ لها . والاسم الجُوَات .

وأمَّا حَوب بفتح الحاء المهملة وآخره باء موحدة ، فهو زجرٌ للإبل وليس بمرادٍ هنا ، وباؤه مثلثة الحركات ، وقد أخِذ منه فِعلٌ فقيل : حَوَّبَ فلان بالإبل ، إذا قال فى زجرها : حَوب .

صاحب الشاهد

والبيت وقعَ فى شعرَىْ شاعرينِ : أحدهما : فى شعر عُويف القوافى ، وهو المشهور . واختلف فى معناه ، فقيل أراد بالرِّدف تابِعَهُ من الجن ، فإنَّ القوافىَ إذا تزاحمت فى خاطره ووَسْوَسَتْه يقولون : إن له شيطانا يوسوسه . فضمير دعاهنَّ للقوافى ، أى دعا شيطانى القوافىَ فأَجبنَه وانثَلْن عليه . يعنى

أن الشعر أطاعَه . والردف بالكسر فى الأصل : المرتدَف ، وهو الذى يركب خلف الراكب .

والارعواء : النزوع عن الجَهل وحُسن الرُّجوع عنه . وَرُعْتَ بالخطاب ، هو من قولهم : هذه شربةٌ راع بها فؤادى ، أى برد بها غُلّةُ رُوعِى بالضم ، وهو القلب أو موضع الفزع منه ، أو سواده . وقيل هو من راعَه بمعنى أعجبه .

والظِّماء : جمع ظمآنٍ وظمآنةٍ ، من ظمِئ كفرح ، أى عطش ، أو اشتدَّ عطشه . والصَّوادى : جمع صادية ، من الصَّدَى وهو العطش ، وفعله من باب رضى . وقيل معناه وهذا هو المشهور : أنَّ رديفهُ لما دعا النساءَ اجتمعن ورَجعن عما كنَّ عليه من الشُّغل ، كما لو دعوت إلى الشرب الإبل فالتففْنَ وتضامَمْن للشرب . فضمير دعاهُنَّ راجع للنساء .

ولم أقف على ما قبل البيت حتى أتحقَّقه .

والثانى : وقع فى شعر سُحيم عبدِ بنى الحسحاس هكذا :

* وأَوْدَهَ رِدْفى فارعوَينَ لصَوته [1] * ... إلخ

وأَوْدَهَ فعل ماض ، قال صاحب القاموس : أَوْدَهَ بالإبل ، أى صاح بها . ويوجَد فى (بعض نسخ مجمع الأمثال للميدانى [2]) عند قوله : « إلّا دهٍ فلا دَهٍ » قال أبو السَّمْح : أظنُّه من الإيداء ، وهو الإهابة بالإبل . وأنشَدَ هذا البيت .

وقد وقَعَ المصراع الأوّل صدَر بيت من قصيدة لمضرِّس بن ربعى ، وهى قصيدة مختلفة المعانى ، وصفَ فيها الابل ثم قال :

---

(١) لم يرد هذا البيت فى ديوان سحيم .

(٢) النص التالى لم يرد فى مطبوعة مجمع الأمثال عند هذا المثل .

دعاهُنَّ رِدْفى فارعوَيْنَ لصوته
وقلنَ لحاديهنَّ هل أنتَ ناظرُه

قال الأصمعى : دعاؤه : أنْ يغنِّىَ ليعرِفْنَ صوتَه وإنشادَه ، فيُحبَسْنَ عليه .

ومثـله :

نادُوا الذين تحمَّلوا كى يَربَعُوا كيما يودِّع عاشقٌ ويودِّعوا

وأضيف عُوَيف [١] إلى القوافى لقوله :

سأُكذِب مَن قد كان يزعُم أنَّنى
إذا قلت قولاً لا أُجيد القوافيا [٢]

ويشبه أن يكون هذا البيت من قصيدة البيت الشاهد .

عويف القوافى

وعويف هو عويف بن معاوية بنُ عقبة بن ثعلبة بن حصن – وقيل : ابن عقبة بن عيينة بن حصن – بن حذيفة بن بدر بن عمرو بن جُؤيَّة بن لَوذان بن ثعلبة بن عدى فزارة بن ذُبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار .

وعويف القوافى شاعر مقلٌّ من شعراء الدولة الأموية ، من ساكنى الكوفة ، وبيته أحدُ البيوتات المتقدِّمة الفاخرة فى العرب . قال أبو عبيدة حدثنى أبو عمرو بن العلاء أن العرب كانت تعدُّ البيوتاتِ المشهورة بالكِبَر والشرَف من القبائل ، بعد بيت هاشم بن عبد مناف فى قريش ، ثلاثة بيوتات . ومنهم من يقول أربعة . أولها بيت آل حُذيفة بن بدر الفَزارى : بيت قيس . وبيت آل زُرارة بن عُدُس الدَّارميِّين : بيت تميم . وبيت آل ذى الجدَّين ابن عبد الله بن همَّام : بيت شيبان . وبيت بنى الديَّان من بنى الحارث بن كعب . بيت اليمن .

٨٨

---

(١) ط : « عوف » ، وأثبت ما فى ش .

(٢) البيان ١ : ٣٧٤ ونوادر المخطوطات ٢ : ٣٠٩ والأغانى ١٧ : ١٠٧ .

وأما كندة فلا يُعدُّون من أهل البيوتات ، إنما كانوا ملوكا .

وروى صاحب الأغانى بسنده (١) أن عويف القوافى وقف على جرير بن عبد الله البَجَلى وهو فى مسجده فقال :

أصُبُّ على بَجِيلة مِنْ شَقَاها
هجائى حين أدركَنى المشيبُ

فقال له جرير : ألا أشترى منك أعراض بَجِيلة ؟ قال : بلى . قال : قل . قال : بألف درهم وبِرذون . فأمر له بما طلب فقال :

لولا جَرِيرٌ هلكت بَجِيله
نعمَ الفتى وبئست القبيلهْ

فقال جرير : ما أُراهم نَجَوا منكَ بعد !

وروى بسنده أيضاً إلى أبى بردة الأشعرى قال : حضرت مع عُمر بن عبد العزيز جنازة ، فلما انصرف انصرفتُ معه وعليه عمامةٌ قد سَدَلَها من خَلْفِهِ ، فما علمت به حتى اعترضَه رجل على بعير فصاح به :

أجِبنى أبا حفص لقيتَ محمدا
على حوضه مستبشراً ورآكا (٢)

فقال عمر بن عبد العزيز : لبيك ! ووقف ووقفَ الناس معه ، ثم قال : فمه ؟ فقال :

(١) الأغانى ١٧ : ١٠٧ .

(٢) ط : « وأراكا » ، صوابه من ش والأغانى .

فأنت امرؤٌ كلتا يديك مُفيدة
شمِالُكَ خير من يمين سِواكا

[قال : ثمَّ مَه ؟ فقال [١]] :

بَلغتَ مَدَى المُجْرِينَ قبلك إذْ جَروْا
ولم يَبلغ المُجْرون بعْدُ مَداكا
فجدَّاك لا جدَّين أكرمُ منهما
هناك تناهَى المجدُ ثَمَّ هُناكا

فقال له عمر : أراك شاعراً ، ما لك عندى من حقٍّ . قال : ولكنِّى سائلٌ وابن سبيل . فالتفت عمر إلى قَهرمانه فقال : أعطِه فضلَ نفقتى . فقال : وإذا هو عويف القَوافى الفزارى . وكانت أخت عُويف القوافى تحت عُيينة بن أسماءَ بن خارجة الفزارى ، فطلَّقها عيينة فكان عويفٌ مراغماً لعيينة ، وقال : الحُرَّة لا تطلَّق لغير ما بأس . فلما حبس الحجاج عُيينة وقيَّده قال عويف :

مَنعَ الرُّقادَ فما يُحسُّ رقادُ
خبَرٌ أتاك ونامت العُوَّادُ
خبر أتانى مِن عيينةَ موجِعٌ
ولِمثله تتصدَّع الأكبادُ
بَلغَ النفوسَ بلاؤُها فكأننا
مَوتى وفينا الروحُ والأجسادُ
ساء الأقاربَ يوم ذاك ، وأصبحوا
بَهِجينَ قد سُرَّتْ بِه الحسَّادُ [٢]

---

(١) التكملة من الأغانى ١٧ : ١١٠ .

(٢) أى أصبح الحساد بهجين مسرورين . وفى الأغانى : « قد سروا » . وقد أضمر فى « أصبحوا » قبل ذكر الحساد .

يرجُون عَثرَةَ جدِّنا ولوَ انَّهم
لا يدفعون بنا المكاره بادوا
لمَّا أتانى عن عيينة أنه
عانٍ تَظَاهرُ فوقَه الأقيادُ
نَخلتْ له نفسى النصيحةَ إنه
عند الحفائظِ تذهب الأحقادُ
وذكرتُ أىُّ فتى يسدُّ مكانَه
بالرِّفْدِ حين تَقاصَرُ الأرفادُ
أو من يُهِين لنا كرائمَ ماله ٨٩
ولنا إذا عُدْنا إليه مَعادُ

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والسبعون بعد الأربعمائة :

٤٧٤ (تُردُّ بَحيَّهْلٍ وعاجٍ وإنما
من العاج والحَيَّهْلِ جُنّ جنونُها)

على أنَّ اسم الصوت إذا قصد به لفظه أعرب كما فى البيت ، فإنّ عاج ، وهو زجرٌ للإبل لتسرع ، لمَّا قُصِدَ لفظه أعرب بالجر والتنوين أوّلا ، وبالجرِّ والتعريف ثانياً . أى إنها تُردُّ بمجرد ذكر هذه الكلمة ، وهى اسم فعل كما تقدَّم .

وأنشد ثعلب (فى أماليه) بيتاً فيه حَيَّهَلْ معرفا باللام ، ونقله ابن برى (فى حاشية الصحاح) قال : قد عرفت العرب حيَّهَلْ كقوله :

وقد غدوت قبل رفع الحيَّهَلْ   أسوق نابينِ ونابا مِ الإبلْ (١)

قال : والنابان : العجوزان . وم الإبل ، أصله : من الإبل ، فحذفت منه النون .

صاحب الشاهد

والبيت الشاهد نسبه الشارح المحقق لجهم بن العباس ، ولم أره إلا فى شرحه ولا أعرف جهماً من هو . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده :

(تداعين باسم الشِّيب فى مُتثَلِّمِ)

تقدم شرحه مستوفىً فى الشاهد الثامن من أول الكتاب .

* * *

وأنشد بعده :

(كما رُعْتَ بالجَوتِ الظماءَ الصواديا)

تقدم شرحه قريباً قبل هذا بشاهد واحد .

* * *

وأنشد بعده :

(إنّ لوّاً وإنَّ ليتاً عناءُ)

على أنّ الكلمة المبنية إذا قصد لفظها أعربت كما أُعرِبت لو وليت . وسيأتى الكلام عليه إن شاء الله تعالى فى باب العلم (٢) .

* * *

وأنشد بعده :

(عَدَسْ ما لعبّادٍ عليك إمارةٌ
نجوتِ وهذا تحملين طليقُ)

---

(١) لم يرد فى أمالى ثعلب المنشورة .

(٢) هو الشاهد ٥٣٧ فى الجزء السابع .

على أن عدس فيه زجرٌ للبغل .

وتقدَّم شرحُه مفصلا فى الشاهد الثامن والعشرين بعد الأربعمائة [١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والسبعون بعد الأربعمائة :

٤٧٥(حتى استقامتْ له الآفاقُ طائعةً

فما يقال له هَيِدٌ ولا هادُ)

على أن الشاعر لمَّا قصد لفظ هيد وهاد أُعرَبَهما بالرفع على جعل الأول نائب فاعلِ يقال ، والثانى معطوفاً عليه .

وهذا مأخوذ من صحاح الجوهرى ، قال فيه : وهَيد بفتح الهاء وكسرها ، وهاد : زجر للإبل . وأنشد أبو عمرو :

وقد حَدوناهَا بهيدٍ وهَلاَ

حتَّى يُرَى أسفلُها صارَ علاَ

وقولهم : ماله هيد ولا هاد ، أى ما يقال له هيدٌ ولا هاد . وأنشد الأحمر : ٩٠

* حتى استقامت له الآفاق طائعة * ..... البيت

أَى لا يحرَّك ولايمنع من شئ ولا يزجر عنه . اهـ .

وخطأه ابن بَرّ،ّ فى رواية الرفع ، قال (فى أماليه على الصحاح) : البيت لابن هَرمة ، وصواب إنشاده بالكسر فى هيدِ وهادِ لأنهما مبنيان .

وأوّل القصيدة :

(١) انظر هذا فى الجزء السادس ص ٤١ – ٥٦ ، وقد سقط هذا الشاهد من نسخة ش .

(٣) ابن يعيش ٤ : ٨٠ وديوان ابن هرمة ١٠٥ .

(اربَعْ علينا قليلاً أيها الحادى
قَلَّ الثَّواءُ إذا نزَّعتُ أوتادى)

والبيت فى شعره بخلاف ما أنشده الجوهرى وهو :

(إنِّى إذا الجار لم تُحفَظ محارمُه
ولم يُقَلْ دونه هيدٍ ولا هادِ [١]
لا أخذلُ الجار بل أحمى مَباءَتَه
وليس جارى كعُشٍّ بين أعوادِ [٢]

انتهى .

وتبعه الصلاح الصفَدى (فى كتابه نفوذ السهم ، فيما وقع للجوهرى من الوهم) ، ونقل كلامَه برمَّته وقال : فالبيت الذى أورده الجوهرى تغيّرَ أكثرُ ألفاظه مع تغيير القافية ؛ لأن هيد وهادِ مبنيان على الكسر ، وهما بمعنى الزجر عن الشى وفعله . ا هـ .

وأنا استَبعِد أن يكون بيت الجوهرى من قصيدة ابن هرمة ؛ لاحتمال أن يكون من شعر آخر . والله أعلم .

وقوله : « اربَع » بكسر الهمزة وفتح الموحدة ، أى قفْ وتحبَّس . والثَّواء : الإقامة .

وقوله : « إنِّى إذا الجار » خبر إنِّى أول البيت الثانى ، وهو لا أخذُل . والمباءة بالفتح والمد : منزل القوم فى كلِّ موضع .

---

(١) ديوان ابن هرمة ١٠٥ .

(٢) فى اللسان (هيد) : « كعُسٍّ » .

وأما البيت الأول وهو :

* وقد حدوناها بهيد وهلا *

فلم يكتب ابن برى عليه شيئاً [١] ، وقد نسب إلى القتال الكلابى ، ولم يوجد فى ديوانه . ونسبهُ أبو محمد الأعرابى لغيلان بن حُرَيثٍ الرَّبَعيِّ كذا :

* ليس بثانيها بهيد أو حلا [٢] *

وقال الصَّفدى : هلا فى هذا الرجز غلط ، لأن هيد : زجر للإبل ، وهلا : زَجرٌ للخيل ، والذى يقرن به هيد إنما هو حلا ، وكذا هو فى الرجز . وهو لغيلان . على أنَّ البيت مغيَّر . والصواب .

* ليس بثانيها بهيد وحلا *

وترجمة ابن هرمة تقدمت فى الشاهد الثامن والستين [٣] .

* * *

وأنشَدَ بعده ، وهو الشاهد السادس والسبعون بعد الأربعمائة [٤] :

٤٧٦ (إلا دهِ فلا دَهِ)

(١) فى ملحقات ديوان القتال ١٠٠ : « وأنشد أبو عمرو للقتال الكلابى ، وقال ابن برى : الراجز هو غيلان بن حريث الربعى » ثم ساق أربعة أشطار من الأرجوزة . وقد نقل ابن منظور هذه النسبة من ابن برى فى اللسان (عطل) .

(٢) ش : « بهيد وحلا » ، وأثبت ما فى ط . وانظر التعليق التالى .

(٣) الخزانة ١ : ٤٢٤ .

(٤) ابن يعيش ٤ : ٨١ ومجمع الأمثال ٤٠ فى باب الهمزة ، واللسان (دهده ٣٨٣) .

هو مَثَلٌ ، وقَع فى قطعة من رجز لرؤبة بن العجَّاج ، يورد النحويون منه أربعة أبيات ، وهى :

(فاليومَ قد نهنهنى تنهنهى

وأَوْلُ حلم ليس بالمسفَّهِ

وقُوَّلٌ إلا دهٍ فلا دهِ

وحَقَّةٌ ليست بقول التُّرَّهِ)

وصف قبل هذه الأبيات شبابه وما كان فيه من مغازلة الغوانى ومواصلة الأمانى ، إلى أن قال : فاليوم قد زجرنى عما كنت فيه أربعة أشياء :

الأول التنهنه ، وهو مطاوع نهنهته عن كذا فتنهنهَ ، أى كففته وزجرته عنه فكفَّ ، أى زجرنى زواجر العقل .

الثانى : أوْلُ حلم ، أى رُجوع عقل لا يُنسَب إلى السَّفَه .

الثالث : عذل القائلين : إن لم تتب الآنَ مع الدواعى إلى التوبة فلا تتوب أبداً . فقوله : « وقُوَّلٌ » هو على حذف مضاف .

والرابع : حَقَّةٌ أى خُطة حَقَّة . فالموصوف محذوف ، وأراد بها الموت وقُرْبَه . يقال حَقٌّ وحقَّة ، كما يقال أهل وأهلة . ٩١

والتُّرَّهُ : اسم مفرد بمعنى الباطل ، يقال تُرَّةٌ وتُرَّهة ، وجمع الأول تَراريهُ ، وجمع الثانى ترَّهات .

وقول الشارح المحقق : « ده بفتح الدال وسكون الهاء » إلى آخر

ما ذكره ، هذا كلام شارح اللباب إسماعيل الفالى من غير زيادة ولا نقص . ولا يخفى أنه إذا كان ده بمعنى اضربْ فهو اسم فعل لا صوت ، والحق أنها فى لغة الفُرس زجرٌ لذى الحافر ليسرع أو ليذهب ، وليست بمعنى اضرب . وهذا أمر ظاهر من استعمالهم إلى الآن ، ولكنهم أجمعوا على أنَّهَا بمعنى الضرب . وحينئذ فيرد عليهم أنها تكون اسمَ فعل لا صوتا .

قال صاحب اللباب فيما علَّقه على مَتنْه : ذكَر جارُ الله أن ده زجر للإبل ، مثل هيد وهاد . وذكر فى أمثاله أن ده بفتح الدال وكسرها فارسية معناها الضرب ، قد استعملها العرب فى كلامهم ، وأصله أن الموتور يلقى واتره فلا يتعرَّض له ، فيقال له « إلّا دهِ فلا ده » ، أى إنك إن لم تضربه الآن فإنك لا تضربه أبداً . وتقديره : إن لم يكن ده فلا يكون ده ، أى إن لم يوجد ضربٌ الساعةَ فلا يوجد ضرب أبداً . ثم اتسعوا فيه فضربوه مثلاً فى كل شئ لا يُقْدِم عليه الرجل وقد حان حِينُه ، من قضاء دين قد حلَّ ، أو حاجةٍ طُلِبت ، أو ما أشبه ذلك من الأحوال التى لا يسوغ تأخيرها . وأنشد أبو عبيدة لرؤبة :

* وقُوَّلٌ إلَّا دهِ فلا دهِ *

وذكر هشام بن محمد الكلبى فى حكاية طويلة أن هذا من قول الكاهن الذى سافر إليه عبد المطلب وحرب بن أمية ، وقد خبئوا له رأسَ جرادة فى خَرْزِ مزادة ، وجعلوه فى قلادة كلبٍ يقال له سَوَّار ، فقال : « خبأتم لى شيئاً طار فسطع ، فتصوَّبَ فوقع ، فى الأرض منه بُقع » : جمع باقعة [١] وهى الداهية . فقالوا : لَا دَهِ [٢] ، أى بيِّنه . قال : « هو شئٌ طار فاستطار – أى

(١) كذا فى النسختين ، والباقعة لا تجمع على بقع ، وإنما مفرد البقع بقعة .

(٢) ما بعده إلى : « ده » التالية فى ص ٣٩٤ ساقط من ش .

تفرِّق وفشا – ذو ذنب جَرّار [١] ، وساق كالمنشار ، ورأس كالمسمار » ، فقالوا : لا ، دَهِ . فقال : « إلا دهِ فلا دَهِ [٢] . هو [٣] رأس جرادة ، فى خَرْز مزادة ، فى عنق سوَّارٍ ذى القلادة » . قالوا : صدقت .

وفى أمثال الميدانى : إلا دهْ فلا دهْ ، رواه ابن الأعرابى ساكنَ الهاء . قال أبو عبيد : يضربه الرجل يقول : أُريدُ كذا وكذا . فإنْ قيل له : ليس يُمكن ذا . قال : فكذا وكذا . وقال الأصمعى : معناه إن لم يَكُنْ هذا الآنَ فلا يكون بعد الآن . وقال : لا أدرى ما أصلُه . ويروى أيضا : « إلا دُو فلا دَه » ، أى إن لم تعطِ الاثنين فلا تعط العشرة . انتهى .

وهذه رواية غريبة شاذة ، وبها يخرج ده مما نحن فيه ، فإن لفظ دو بالفارسية الاثنان من العدد بدال مضمومة بعدها واو ساكنة ، ولفظ دَه بمعنى العشره فى لغتهم بدال مفتوحة وهاء ساكنة .

ثم قال الميدانى : وقال المنذرى : قالوا معناه : إلا هذه فلا هذه ، يعنى أن الأصل إلا ذِهِ فلا ذه ، بالذال المعجمة ، فعربت بالدال غير المعجمة ، كما فى يهودا مبدلة من يهوذا . انتهى .

أقول : هذا يقتضى أن تكون الكلمة عربية أبدلت ذالها المعجمة دالا مهملة ، لا أنها كانت أعجمية فعرِّبت بما ذكر [٤] . فتأمَّل .

والحاصل أن قولهم إلا ده فلا ده قد اختُلِفَ فى ضبط لفظه وشرح معناه ، وجميع الأقوال على أنها كلمة فارسية معربة . وقد أبى أبو محمد

---

(١) فى الأصل وهو هنا ط فقط : « وذنب جرار » ، صوابه فى مجمع الأمثال .
(٢) فلا ده ساقط من ش .
(٣) فى النسختين : « وهو » . وأثبت ما فى الأمثال .
(٤) يشير إلى ما ورد فى كلام شارح اللباب المتقدم .

عبد الله الشهير بابن برى المقدِسى أن تكون هذه الكلمة فى هذا المثَل غير عربيَّة ، وذهب إلى أنها صفة مشبَّهة ، من الدَّهاء ، وهو الفطنة ، وردَّ على ملك النحاة [١] فى زعمه أنها أعجمية فى الأصل بمعنى اسم الفعل . ولقد أجاد فيما أفاد ، وحقَّق مُدَّعاه فوق المراد ، فلا بأس بنقل كلاميهما . ٩٢

قال أبو نزار الملقَّب بملك النحاة [٢] فى مسائله التى سماها (المسائل العشر ، المنبوزة بإتعاب الفكر إلى الحشر) وتحدَّى بها فى قصّة يطول ذكرها :

المسألة السابعة ، وهى مسألة سُئلت عنها بغَزْنَة [٣] لما دخلتُها ، فبيَّنْتُ مشكلها للجماعة وأوضحتها . وذلك أنِّى سئلت عن قول الراجز :

* وقوِّلْ إلَّا دهٍ فلا دَهِ *

فذكرت أن هذه من باب كلماتٍ نابت عن الفعل فعملت عمله . وده فى كلام العرب بمعنى صحَّ أو يصحُّ . ألا ترى أن قوما جاءوا إلى سَطِيح الكاهن وخبئُوا له خبيئة وسألوه فلم يصرِّح فقالوا : لا ده . أى لا يصح ما قلتَ . فقال لهم : « إلا ده فلا ده ، حبة بُرٍّ ، فى إحليلِ مُهر » . فأصاب . فكأنه قال : إلا يصحَّ فلا يصحُّ أبداً ، لكنى أقول فى المستقبل ما تشهد له الصحَّة . فكان كما قال . إلا أن التنوين فى هذه الكلمة ليس كتنوين رجل وفرس ولكنه تنوين تنكير .

(١) ش : « بمالك النحاة » تحريف . ومَلِك النحاة هو الحسن بن صافى بن عبد الله . ولد سنة ٤٨٩ وتوفى سنة ٥٦٨ . قال السيوطى : « وكان يغضب على من لم يسمه بملك النحاة » . وكان يقول : « هل سيبويه إلا من رعيتى وحاشيتى ، ولو عاش ابن جنى لم يسعه إلاّ حمل غاشيتى » .

(٢) ش : « بمالك النحاة » ، وانظر الحاشية السابقة .

(٣) غزنة : مدينة عظيمة وولاية واسعة فى طرف خراسان ، ش : « بعرفة » تحريف . وفى البغية : « ثم سار إلى خراسان وكرمان وغزنة » .

هذا كلامُه ، وحذفتُ منه ما لا حاجه لنا إليه .

وأجاب ابن برى : إن قولك ده اسمٌ من أسماءِ الفعل ليس بصحيح على مذهب الجماعة ، ومن له حذق فى هذه الصناعة . والصحيح أنها اسم الفاعل من دَهِيَ فهو داه ودهٍ ، والمصدر منه الدَّهْى والدهاء . فيكون المراد بدهٍ فَطِن ، لأن الدهاء الفِطْنة ، وجودةُ الذهن ، فكأنَة قال : إلا أكن دَهِياً أى فطنا فلا أدهى أبداً ، أى فلا أفطن . فهذا أصله ، ثم أُجريت هذه اللفظة مثلا إلى أن صارت يعبَّر بها عن كل فعل تُغتَنم الفرصة فى فعله . مَثَلُ ذلك أنْ يقولَ الإنسانُ لصاحبه وقد أمكنتْه الفرصةُ (١) فى طلب ثأر : إلاَّ ده فلا ده ، أى إلا تطلب الآن ثأراً فلا تطلبه أبداً .

صاحب الشاهد — وهذا الرجز لرؤبة . وقبله :

(فاليوم قد نَهْنَهَنِى تَنَهْنُهِى وأَوْلُ حلم ليس بالمُسَفَّهِ

وقُوَّلٌ : إلا ده فلا ده)

ومعناه إن لا تفلح اليومَ فلا تفلحْ أبداً ، أى : إن لا تنته اليوم فلا تنته أبداً فهذا معنى ده فى هذا المثل . وأما إعرابه فإنه فى موضع نصب على خبر كان المحذوفة ، تقديره إلا أكن دَهِياً فلا أُدهى . وإنما أسكن الياء وكان حقها أن تكون منصوبة ، مِن قِبَل أن الأمثال تنزَّل منزلة المنظوم . وهذه الياء قد حَسُن إسكانها فى الشعر ، وهو عندهم من الضرورات المستحسنة ، كقول الشاعر :

---

(١) ط : « وقد أمكنه الفرصة » ، وأثبت ما فى ش .

* يا دارَ هندٍ عفت إلاَّ أثافيها (١) *

وكقول الآخر :

* كفى بالنَّأْىِ من أُسماءَ كافى (٢) *

فقد ثبت بهذا أن ده اسم فاعل لا اسمٌ للفعل . وهى معربة لا مبنية ، وتنوينُها تنوين الصرف لا تنوين التنكير . ويدلُّ على أنها ليست من أسماء الأفعال أنها لا تقع بعد حرف الشرط . ألا ترى أنه لا يحسن : إلَّا صهٍ فلا صهٍ ، ولا : إلاَّ مَهٍ فلا مه ، ولا هيهات .ا هـ .

وقد نقل السخاوى (فى سفر السعادة) هذا السؤال عن ملك النحاة وهذا الجوابَ أيضاً ، لكنه لم يعزُه إلى ابن بَرّىّ .

وترجمة رؤبة تقدمت فى الشاهد الخامس .

وفى هذه الأرجوزة بيتان من أولها ، وهما :

(لله درُّ الغانياتِ المُدَّهِ
سبَّحنَ واسترجعن من تألُّهِى)

أورد هذا بعض المفسرين فى بيان اشتقاق لفظ الجلالة فقال : هو من أَله يأْله إلاهةً ، كعَبد يعبد عبادة ، وزنا ومعنى . والتألُّه : التعبُّد كما هنا . قال : فمعنى الإله المعبود .

---

(١) للحطيئة فى ديوانه ١١١ . وهو من شواهد سيبويه ٢ : ٥٥ . وعجزه :

* بين الطوىِّ فصارات فواديها *

(٢) لبشر بن أبى خازم فى ديوانه ١٤ . وهو الشاهد ٣٢٣ فى الخزانة ٤ : ٤٣٩ . وعجزه :

* وليس لنأْيها ما طال شافى *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والسَّبْعون بعد الأربعمائة [١] :

٤٧٧ (رَمَى اللهُ فى عينَىْ بثينةَ بالقَذَى
وفى الغُرِّ من أنيابها بالقَوادِج)

عَلَى أن الشىء إذا بلغ غايته يدعى عليه ، صوناً عن عين الكمال [٢] كما هنا .

قال ابن الأنبارى (فى الزاهر) : معنى قوله : رمى الله فى عينى بثينة إلخ سبحان الله ، ما أحسن عَيْنَيْها . من ذلك قولهم : قاتل الله فلاناً ما أشجعه ! وأَنياب القَوم : ساداتهم ، أى رمى الله الفَساد والهلاك فى سادات قومها ، لأنهم حالوا بينها وبين زيارتى . انتهى .

وقال المرزوقى (فى شرح الفصيح) : قيل إنه لم يدع عليها بذلك ، وإنما هو كما يقال : قاتله الله ما أفرسَه ! على وجه التعجب . وحكى بعض أَهل اللغة أن مما يشهد لطريق التعجب فى مثل هذا أن بعضهم عدل عن لفظ قاتل إلى قاتَعَ فقال : قاتعه الله ما أَشجعه ! ليزول المكروه من اللفظ كما لم يكن فى المعنى . وأحسن ممّا ذكرناه أن يقال : أراد بالعينين رقيبيها ، وبالغُرِّ من أَنيابها كرامَ ذوِيها وعشيرتها . والمعنى أفناهم الله وأراهم المنكرات . فهو فى الظاهر يشتُمها ، وفى النية يشتم من يَتأذَّى به فيها . ويقال : هم أنياب الخلافة ، للمدافعين عنها . وقيل أرادِ : بلَّغها الله أقصى غايات العمر حتى تبطل عواملُهَا وحواسُّها . فالدعاء على هذا لها لا عليها . انتهى .

وقال أَبو عبيد البكرى (فى شرح أمالى القالى) : قد تأَوّله قوم على أنه

---

(١) الخصائص ٢ : ١٢٢ والسمط ٧٣٩ وديوان جميل ٥٣ .

(٢) أى حسد الشئ الكامل .

أراد بالعينين الرقيبين ، وبالأنياب سادةَ قومها الذين يحجبونها عنه ويمنعونه منها . انتهى .

و (بثينة) بالتصغير : محبوبة جميل العذرى . والباء فى (بالقذى) زائدة . قاله أبو حيان (فى تذكرته) . والقذى : كلُّ ما وقع فى العينين من شئ يؤذيها كالترابِ والعُود ونحوهما . قال ثعلب (فى الفصيح) : تقول : قَذَت عينه تقْذِى قَذْياً ، إذا ألقت القذَى ؛ وقذِيت تقذَى قذًى ، إذا صار فيها القذى . وأقذيتها إقذاء ، إذا ألقيت فيها القذى . وقَذَّيتها تقذيةً ، إذا أُخرجت منها القذى . انتهى .

وقوله : (وفى الغُرّ) إلخ معطوف على قوله : « فى عينى » ، وهو جمع أغرّ وغرَّاء . أراد : ورمى الله فى أنيابها الحسان النقيَّة البياضِ القوادحَ . فالباء زائدة أيضاً . و (أنياب) : جمع ناب ، وهو السنُّ . وللإنسان أربعٌ وثلاثون سنًّا [1] : أربع ثنايا ، وهى مقدّم الأسنان اثنتان من فوق واثنتان من تحت . وأربع رَباعيَات . وأربعة نواجذ تكون بينها الأنياب . وأربع ضواحك تكون بينها النواجذ . واثنتا عشرة رَحىً تكون بينها الضواحك .

و (القوادح) : جمع قادح ، قال صاحب الصحاح : القادح : السواد الذى يظهر فى الأسنان .

وقال أبو حنيفةَ الدينورى (فى كتاب النبات) : يقال قُدِح فى سنّه أى بالبناءِ لمفعول ، إذا وقع فيها الأكَلُ ووقع فى أسنانه القادح ، وإذا عرض

---

(١) فى حواشى المطبوعة الأولى : « قوله أربع وثلاثون سنا ، صوابه اثنتان وثلاثون ، ليطابق التقسيم ويوافق ما هو مذكور فى كتب اللغة . اهـ من هامش الأصل » .

شئ من جميع ما ذكرنا من آفات العود قيل : قُدِح العودُ يُقدَح قدحاً فهو مقدوح وهى القوادح . وبعضهم يقول قُدح فى العود ، إذا عرض له القادح فأْتَكَل يأتكل ائتكالا . وقال الباهلى : يقال عود قد قُدح فيه ولا يقال مقدوح .

٩٤ وكذلك قُدِح فى سنه ، إذا وقع الأَكَل ، ووقع فى أسنانه القادح . وأنشد البيت .

وهذه التأويلات يدفع فى صدرها ما رواه الأصبهانى (فى الأغانى [١]) : قال : حدثنى على بن صالح قال : حدثنى عمر بن شَبَّةَ عن إسحاق قال :

لقى جميلٌ بثينةَ بعدَ تهاجُرٍ بينهما طالت مدّته ، فتعاتبا طويلاً ، فقالت له : ويحك يا جَميل ، أتزعم أنك تهوانى وأنت الذى تقول :

* رمى الله فى عينى بثينة بالقذى * البيت

فأطرق جميلٌ طويلاً يبكى ثم قال :

ألا ليتنى أعمى أصمُّ تقودنى

بثينةُ لا يَخفَى علىَّ كلامها

فقالت له : وما حملك على هذه المنَى ، أوَ ليس فى سَعة العافية ما كفانا جميعاً .

وروى بسنده أيضاً أنَّ جميلا لما ودَّع بثينة وذهب إلى الشام لكثرة اللَّغَط فيهما واصلتْ بعده حَجْبَةَ [٢] الهلالى . ولما رجع من الشام بعد حين

(١) الأغانى ٧ : ٧٩ - ٨٠ .

(٢) فى ش : « حجية » فى جميع المواضع ، تحريف . وانظر ما سيأتى فى الشعر .

قال حَجْبة لبثينة ، وكان ابن سُرِّيَّة : لا أرضى إلا أن تُعلِمى [١] جميلاً أنك استبدلتِ به ! فقالت لجميل :

ألم تر أنّ الماء غيِّر بعدكم
وأنَّ شِعابَ القلب بعدكَ حُلَّتِ

فقال جميل :

فإن تك حُلّت فالشِّعابِ كثيرةٌ
وقد نَهِلَتْ منها قَلوصى وعَلَّتِ

فقالت لحجْبة : عرَّضتَنِى لجميل يَجعلُنى حديثاً . وقالت لجميل : إنَّه استزَلَّنى ، وقد ناشدتك الله أن تسترنى فإنَّها كانت هفوة . فقال جميلٌ من أبيات :

فيابَثْنَ إنْ واصلتِ حَجْبة فاصرِمِي
حِبالى وإن صارمتِه فصلينى [٢]
ولا تجعلينى أسوةَ العبد واجعلى
مع العبد عبداً مثلَهُ وذرينى

وانصرفَ عنها . وهجرها وقال :

* رمى الله فى عينىْ بثينة بالقذى * البيت

(١) فى النسختين : « أن تعلمين » ، والوجه ما أثبت . وهذا الخبر لم يرد فى الأغانى .

(٢) البيتان فى ديوان جميل ٢٠٩ نقلا عن الخزانة .

وقال فى ذلك أيضاً :

وإنى لأستحْيِى من النَّاس أن أُرى
رَديفاً لوصلٍ أو علىَّ رديفُ [١]

وإنِّىَ للماء المخالطِ للقَذَى
إذا كثُرتْ وُرَّاده لعَيوفُ

وقال أيضاً :

بَيْنَا حِبالى ذاتُ عَقْدٍ لِبَثْنةٍ
أُتيح لها بعضُ الغُواةِ فحَلَّها [٢]

فعُدْنا [٣] كأنَّا لم يكن بيننا هوًى
وصار الذى حَلّ الحبالَ هوًى لها

وروى أيضاً بسنده عن كثير ، ونقله القالى (فى أماليه) ، والمَرزُبانى (فى الموشح) أيضاً : أن كثيراً حَدَّث وقال : وقفتُ على جماعةٍ يفيضون فىَّ وفى جميل : أيُّنا أصدَقُ عشقاً ، ولم يكونوا يعرفوننى ، ففضَّلوا جميلاً فقُلتُ لهم : ظلمتم كثيِّراً ، كيف يكون جميلٌ أصدقَ منه ، وحين أُتاه من بثينة ما يكره قال :

* رمى الله فى عينىْ بثينة بالقَذى * البيت

---

(١) ديوان جميل ١٣٩ نقلا عن الخزانة ووفيات الأعيان ١ : ١١٦ . وبين هذا البيت وتاليه فى الوفيات :

وأشرب رنقا منك بعد مودة وأرضى بوصل منك وهو ضعيف

(٢) ديوان جميل ١٩٠ عن الخزانة والأغانى ٨ : ١١٩ والزهرة ١٧٦ .

(٣) ط : « فعدنان » ، وأثبت ما فى ش .

وكثيِّر حين أتاه من عَزَّة ما يكره قال :

هنيئاً مرِيئاً غير داءٍ مخامر

لعزَّة من أعراضنا ما استحلَّتِ

فما انصرفوا إلاَّ على تفضيلى . اهـ .

وهذا كله يدلُّ على أنَّ جميلا دعا عليها حقيقة ، ويدلُّ أيضاً على أن البيت لجميل لا لغيره .

ومن الغرائب أنّ الصاغانى قال (فى مادة ترب من العباب) : إنّ هذا البيت لأخى شَمَجَى ، يُخاطب أُذينة بنت عمٍّ صعب بن كلثوم ، والرواية كذا :

* رمى الله فى عينى أُذَينة بالقذى * البيت ٩٥

وليس البيت لجميل ولا الرواية « فى عينى بثينة » كما وقع فى بعض كتب اللغة منسوباً إليه . ا هـ .

أقول : جميع من تكلَّم على هذا البيت وروى فيه خَبراً ، أثبته لجميل فى بثينة . ومع كثرة ورُود هذه الأخبار فى أكثر كتب الأدب كيف يقال إنَّه وقع فى بعض كتب اللغة . والله أعلم .

وجميلٌ شاعر إسلامى تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الثانى والستين (١) .

وشَمَجَى بالشين والميم والجيم وألف مقصورة ، قال فى القاموس : وبنو شَمَجَى بن جَرْم من قضاعة ، وهو بفتحات ثلاثة .

* * *

(١) الخزانة ١ : ٣٩٧ .

وأُنشدَ بعده ، وهو الشاهد الثامن والسبعون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س [١] :

٤٧٨ (وَىْ كأنْ من يَكُنْ لَه نَشَبٌ يُحْـ
ـبَبْ ومَنَ يَفتقِر يَعِشْ عَيْشَ ضُرِّ)

على أن (وىْ كأنْ) ، عند الخليل وسيبويه مركبة من وَى التعجُّبية وكأنْ المخففة من المثقلة ، إلى آخر ما ذكره .

وهذا نص سيبويه ، ونقله ابن السراج (فى الأصول) بحروفه : سألت الخليل عن قوله تعالى : ﴿ ويكأنَّه لا يُفلِحُ الكافرون [٢] ﴾ ، وعن قوله تعالى : ﴿ ويكأنَّ الله [٣] ﴾ فزعم أنها « وىْ » مفصولة من كأنَّ ، والمعنى وقعَ على أنَّ القوم انتبهوا فتكلَّموا على قدر علمهم ، أو نُبِّهوا فقيل لهم : أمَا يُشبه أن يكون هذا عندكم هكذا . والله أعلم . وأما المفسِّرون فقالوا : ألم تر أنَّ الله . وقال زيد ابن عمرو بن نفيل :

* وى كأن من يكن له نشَب * البيت

انتهى .

وقال النحاس : يريد أنّ معنى وى تنبيهٌ ، يقولها الإنسان حين يستنكر

---

(١) فى كتابه ١ : ٢٩٠ . وانظر مجالس ثعلب ٣٨٩ والمحتسب ٢ : ١٥٥ والخصائص ٣ : ٤١ ، ١٦٩ وابن يعيش ٤ : ٧٦ وشرح شواهد المغنى ٢٦٦ والهمع ٢ : ١٠٦ والأشمونى ٣ : ١٩٩ .

(٢) الآية ٨٢ من القصص .

(٣) الآية ٨٣ من القصص .

أمراً أو يستعظمه ، فيقول : وى ! فتكون ويكأن مركبة مِنْ وَىْ للتنبيه ، ومن كأنْ للتشبيه .

وكذلك قال الأعلم . فقولُ الشارح المحقق إنّ وى عند سيبويه بمعنى التعجب خلافُ المنقول .

وهذا نص الفراء (فى تفسيره [1]) قال فى آخر سورة القصص : ويكأنَّ فى كلام العرب تقريرٌ ، كقول الرجل : أما ترى إلى صُنْع الله ! وقال الشاعر :

وى كأن من يكن له نَشبٌ يُحْـ ـبَبْ ..... البيت

وأخبرنى شيخٌ من أهل البصرة قال : سمعتُ أعرابيةً تقولُ لزوجها : أين ابنُكَ وَيْلَك ؟ فقال : ويكأنَّه وراءَ البيت . معناه أما تَرَيْنَه وراء البيت .

وقد يذهب بعض النحويين إلى أنهما كلمتان يريد : ويك أنه ، أراد : ويلك ، فحذف اللام وجعل أنّ مفتوحة بفعل مضمر ، كأنه قال : ويلك اعلم أنه وراء البيت ، فأضمر اعلمْ . ولم نجد العرب تُعمل الظن والعلم بإضمار مضمر فى أنَّ ؛ وذلك أنه يبطل إذا كان بين الكلمتين أو فى آخر الكلمة ، فلما أضمره جرى مجرى الترك . ألا ترى أنَّه لا يجوز فى الابتداء أن تقول : يا هذا أنك قائم ولا يا هذا أنْ قمت ، تريد علمتُ أو أعلم ، أو ظننت أو أظنُّ .

وأما حذف اللام من ويلك حتى تصير « ويك » فقد تقوله العرب ، لكثرتها فى الكلام . قال عنترة :

---

(١) معانى الفراء ٢ : ٣١٢ .

ولقد شفَى نفسى وأبرأ سُقمَها
قَولُ الفوارس ويكَ عنترُ أقدِمِ

وقد قال آخرون : إن معنى وى كأنَّ ، أنَّ وى منفصلة من كأنَّ ، كقولك لرجل : وى ، أما ترى ما بين يديك ؟ فقال : وى ثم استأنف كأنَّ ، يعنى كأنَّ الله يبسط الرزق لمن يشاء . وهى تعجب ، وكأنَّ فى مذهب الظنّ والعلم . فهذا وجه مستقيم . ولم تكتبها العرب منفصلة ، ولو كانت على هذا لكتبوها منفصلة . وقد يجوز أن تكون كثُر بها الكلام فوصلت بما ليست منه ، كما اجتمعت العرب على كتابِ يا ابن أم : يبنؤمَّ . قال : وكذا رأيتها فى مصحف عبد الله ، وهى فى مصاحفنا أيضاً . ا هـ . ٩٦

فعُلم من كلامه أنَّ ويكأن عنده كلمة بسيطة بمعنى ألم تر ، والاستفهام للتقرير ، لا أنها مركبة من كلمتين إمَّا من ويك ومن أن ، كما نقله عن بعض النحويين ؛ وإما من وى ومن كأنَّ كما نقله عن بعضٍ آخر .

فما نقله الشارح المحقق عن الفراء نقلٌ مركَّب من قوله الذى صدَّره ومن القول الأول لبعض النحاة .

قال النحاس بعد نقل ما نقلَه الفراء : وما أكثر خطأ هذا القول ، وذلك لأنَّ المعنى لا يصحُّ عليه ، لأنَّ القوم لم يخاطبوا أحداً فيقولوا له ويلك ، وكان يجب على قوله أنْ يكون إنه بالكسر . وأجمَعَ المسلمون على الفتح . وأيضاً فليس فى القرآن لام ، فكيف تُحذف اللام لغير علة .

وزعم ابن جنى (فى المحتسب) أن وى عند سيبويه والخليل بمعنى

أعجبُ ، كما قال الشارح المحقق ، وأنّ كأنَّ ليست للتشبيه عندهما ، خلافاً للشارح . قال : ومن ذلك قراءة يعقوب : ﴿ وَيْكَ ﴾ يقف عليها ثم يبتدئُ فيقول ﴿ إنَّه ﴾ . وكذلك الحرف الآخر مثله .

قال أبو الفتح : في ويكأنه ثلاثة أقوال : منهم من جعلها كلمةً واحدة فلم يقف على وى ، ومنهم من يقف على وَىْ ، ويعقوب يقف على وَيْكَ ، وهو مذهب أبى الحسن .

والوجه فيه عندنا قولُ الخليل وسيبويه ، وهو أنَّ وَىْ على قياسِ مذهبهما اسمٌ سمِّى به الفعل فكأنه اسمُ أعجبُ ، ثم ابتدأ فقال : كأنَّه لا يفلح الكافرون ، ووَىْ كأنَّ الله يبسط الرزق ، ووَى منفصلة من كأنّ . وعليه بيت الكتاب :

وى كأن من يكن له نَشبٌ يحـ ـبَبْ ....البيت

وممَّا جاءت فيه كأنَّ عاريةً من معنى التشبيه قوله [(١)] :

كأنّنى حين أُمسى لا تكلّمنى
متيَّمٌ أشتَهِى ما ليس موجودا [(٢)]

أى أنا حين أُمِسى متيَّمٌ ، من حالى كذا وكذا . ا هـ .

أقول : أمّا قوله إنّ وى عندهما اسم أعجب ، فقد تقدَّم عن النحاس والأعلمَ ما يردُّه .

---

(١) فى المحتسب : « ما أنشدناه أبو على » .

(٢) نسب فى الخصائص ٣ : ٩٦ إلى عمر بن أبى ربيعة كما فى ديوانه ٣١٢ . وفى اللسان (عود ٣١٣) إلى يزيد بن الحكم الثقفى ولم ينسبه ابن جنى فى المحتسب

وأما قوله : إن كأنَّ عارية عن التشبيه ، فقولُ سيبويه : « أمَا يُشبِهُ أن يكون هذا عندكم هكذا » ، يكذِّبه .

وأما تنظيره لخلو التشبيه بقوله : « كأننى حين أمسى » البيت ، فهو مذهب الزجاج فيما إذا كان خبر كأنَّ مشتقاً لا تكون للتشبيه ، لئلا يتحد المشبه والمشبه به .

وأُجِيب بأنَّ الخبر فى مثله محذوف ، أى كأننى رجل متيَّمٌ ، فهى على الأصل للتشبيه .

ثم قال ابن جنى : ومن قال إنها ويك فكأنَّه قال : أعجب لأنه لا يفلح الكافرون ، وهو قول أبى الحسن [1] . وينبغى أن تكون الكاف هنا حرف خطاب كما فى « ذلك » ، لأنَّ وى ليست مما يُضاف [2] . ومن وقف على ويك ثمَّ استأنف فينبغى أن يكون أراد أن يُعلم أنَّ الكاف من جملة وى ، وليست بالتى فى صدر كأنَّ ، فوقفَ شيئاً لبيان هذا المعنى .

ويشهد لهذا المذهب قول عنترة :

* قيلُ الفوارسِ ويكَ عنتر أقدمِ *

٩٧ وقال الكسائى : فيما أظن أراد ويلك ثم حذف اللام . وهذا يحتاج إلى خبر نبِّي ليقبل منه .

وقول من قال إنَّ ويكأنَّه كلمة واحدة إنما يريد به أنه لا يُفصَل بعضه من بعض . ا هـ .

---

(١) فى النسختين : « وهو قول الحسن » ، وصوابه من المحتسب ٢ : ١٥٥ .

(٢) فى النسختين : « مما تضاف » ، صوابه فى المحتسب .

تتمتان

(إحداهما) : جعل ابن هشام (فى المغنى) وَىْ وواهاً لغتين فى (وا) بمعنى أُعجب . وهذا باطل فإن كلَّ واحدة من هذه الثلاثة كلمة مستقلة فى نفسها أصلاً ومادة ، وليست ياء وَى مبدلة من ألف (وا) كما يزعمه ابن قاسم [١] (فى حواشيه عليه) . هب أنه كذلك فما يقول فى واها . ولم يتنبه أحدٌ من شراحه لما ذكرناه .

واعترض الدمامينى (فى شرح التسهيل) على قول ابن مالك إن وى اسم فعل بمعنى أعجب . فى كلام ابن الحاجب ما يشعر بأن القائل إنها اسم فعل يقول : إنها اسمٌ لِإعجَبْ ، أمراً لا مضارعاً ؛ لأنه قال : وى تعجُّب . ويجوز أن يقال إنها اسم صوت لا اسم فعل ، لأنَّ المتعجب يقوله عند التعجُّب لا لقصد الإخبار بالتعجب ، بل كما يقول المتألِّم : آه .

وكذلك يقوله المتعجِّب منفرداً ، ولو كان اسمَ فعل لم يقله إلا مخاطبا لغيرِهِ . انتهى .

أقول : لا إشعارَ فيه بما زعمه ، فإن آه اسم صوت ، وهم قالوا إنه بمعنى أتوجَّع ، وليس فيه قصد الإخبار به . فتأمل .

(الثانية) : نقل المرادى (فى الجنَى الدانى) عن صاحب (رصف المبانى) أنه قال : وى حرف تنبيه معناها التنبيه على الزجر ، كما أن ها معناها

---

(١) كذا فى النسختين ، وشهرته « ابن أم قاسم » وهى جدته أم أبيه . وابن أم قاسم هو الحسن ابن عبد الله المرادى .

التنبيه على الحض ، وهى تقال للرجوع عن المكروه والمحذور ، وذلك إذا وُجد رجل يسبُّ أحدا أو يُوقعه فى مكروه ، أو يتلفه ، أو يأخذ ماله ، أو يَعرِض بشئ من ذلك ، فيقال لذلك الرجل : وَى ، معناه تنبَّه وازدجر عن فعلك . ويجوز أن يوصل به كاف الخطاب . انتهى .

صاحب الشاهد

والبيت الشاهد من أبياتٍ لزيد بن عمرو بن نفيل [1] ، وهى :

(تِلك عِرسايَ تنطقان على عَمْـ ـدٍ إلى اليوم قولَ زُور وهَتْرِ

سأَلتانى الطَّلاقَ أن رأتا ما لى قليلاً ، قد جئتمانى بِنُكرِ

فلعلِّى أن يكثُرَ المالُ عندى ويُعرَّى من المغارم ظهرى

وتُـرى أعبُـدٌ لنـا وأواقٍ ومناصيفُ من خوادمَ عَشْرِ

ونجرُّ الأذيالَ فى نَعمةٍ زَو لٍ تقولان : ضَعْ عصاكَ لدهْرِ

وىْ كأن مَن يكنْ له نشَبٌ يُحـ ـبَبْ ومن يفتقرْ يعِشْ عيشَ ضُرِّ

ويُجَنَّبْ سرَّ النجىِّ ولكـ ـنَّ أخا المال مُحضَرٌ كلَّ سِرِّ)

---

(١) فى البيان ١ : ٢٣٥/ ٣ : ١٢٤ أنها لأبى الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل . وانظر ما أثبت فى حواشيه .

قوله : « تلك عرساى » مثنى عِرس مضاف إلى الياء . والعِرس بالكسر : الزوجة ، أى هما عرساى . ويجوز أن يخالف اسمُ الإشارة المشارَ إليه كقوله تعالى : ﴿ عَوَانٌ بين ذلك [١] ﴾ . والعمد : القصد . والهتر بفتح الهاء وسكون المثناة الفوقية : مصدر هتَره يَهتُره من باب نصر ، إذا مزّق عرضَه . والهِتر ، بالكسر : الكذب والداهية ، والأمرُ العَجَب ، والسَّقَط من الكلام والخطأ فيه . وبالضم : ذَهاب العقل من كِبر أو مرض أو حُزن . وروى أيضاً :

تلك عرساىَ تنطقان بُهجْرِ
وتقولان قول أَثْرٍ وعَتْرِ [٢]

والهجر بالضم : اسم من الإهجار وهو الإفحاشُ فى المنطق والخنَى . والأثر بالفتح : مصدر أثرت الحديث ، إذا ذكرته عن غيرك . ومنه الحديث المأثور ، أى ينقله خلف عن سلف . والأثر بالضم : أثَر الجراح يبقى بعد البرء . والعَتْر بمثناة فوقية بعد المهملة : مصدر عتر الرمحُ ، إذا اضطرب واهتزَّ ، من باب ضرب . والعثر ، بالمثلثة : الاطلاع على الشيء ، مصدر عثر عليه .

وقوله : « سالتانى الطلاق » إلخ استشهد به سيبويه [٣] على أنّ الشاعر يبدل الهمزة ألفاً فى الضرورة . قال : وليس هذا من لغةٍ من يقول سِلْتُ يسال كخفت يخاف . وبلغنا أنه لغة . قال الأعلم : هى لغةٌ معروفة ، وعليها قراءة من قرأ : ﴿ سَالَ سائلٌ بعذابٍ واقِع [٤] ﴾ . وروى : (تسألان الطلاق) وحينئذ لا شاهد فيه .

---

(١) الآية ٢٨ من سورة البقرة .
(٢) فى النسختين « الهجر » ، صوابه مما سيأتى ص ٤٢٠ .
(٣) فى كتابه ٢ : ١٧٠ .
(٤) الآية الأولى من سورة المعارج .

وقوله : « قد جئتمانى بنُكر » التفاتٌ من الغيبة إلى الخِطاب . والنُّكر ، بالضم : الأمر القبيح المنكر .

وروى الزجاجى فى أماليه بدل نكر (مرّ) ، من المرارة : ضدّ الحلاوة . وروى أيضاً :

سالتانى الطلاقَ أن رأتانى قلَّ مالى قد ... إلخ

فجملة قلَّ مالى فى محل نصب مفعول ثان للرؤية كالرواية السابقة . ويجوز أن تكون الرؤية بصرية . وجملة قلَّ مالى حال من الياء . وقليلاً حال من مالى .

وقوله : « ويعرَّى من المغارم » جمع مغرم بالفتح ، وهو ما ينوب الإنسانَ فى ماله من ضررٍ لغير جناية ، كتحمل الدِّيات ، والإطعام فى النائبات .

وقوله : « وتُرى أعبدٌ » إلخ بالبناء للمفعول والخطاب [(١)] . وأعبُد : جمع عبد . وأواق ، أى من الذهب والفضة ، وهو جمع أوقيَّة ، وهى سبعة مثاقيل ، وأربعون درهما . وروى بدله : « وجياد » جمع جَواد ، وهو الكريم من الخيل . ومَناصيف : جمع مَنْصَف ، وهو الخادم . قاله الجاحظ [(٢)] . فالياء زائدة لضرورة الشعر . ومَنصَفٌ بفتح الميم وكسرها ؛ والأنثى بالهاء . وفعله نصفه ينصُفه من باب نصر وضرب نَصْفا ، ونصافاً ، ونصافة ، بكسرهما وفتحهما ،

---

(١) كذا فى النسختين ، ولا خطاب هنا .

(٢) فى البيان ١ : ٢٣٥ - ٢٣٦ .

أى خدمه ، ويقال أيضاً أنصفه بالألف . وخوادم : جمع خادم ، وهى الجارية ، ويقال أيضاً خادمة . والخادم يطلق على المذكر . وروى بدله : « من ولائد عشر » جمع وَليدة بمعنى الخادمة .

وقوله : « فى نَعْمةٍ زَول » بفتح الزاى المعجمة وسكون الواو صفة نَعمة ، أى حسنة وجيِّدة . قاله الجاحظ .

وقوله : « ضع عصاك » إلخ وضع العصا كناية عن الإقامة ، لأنّ المقيم يضعُها عن يده ، والمسافر يحملها . قال الشاعر [1] :

فألقَتْ عصاها واستقرَّ بها النوى
كما قَرَّ عينا بالإياب المسافرُ

وما أحسن قول الباخَرزىّ :

حمَلَ العصا للمبتلَى بالشَّيب أنواعَ البَلاَ
وَصَفَ المسافِرُ أنَّه ألقى العصا كى ينزلا
فعلى القياس سبيلُ من أخذ العصاَ أنْ يرحلا

واللام فى لدهر بمعنى إلى ، أى إلى انقضاء دهر ، وهو الزمان الطويل .

وقوله : « وى كأن من يكن » إلخ من شرطية ونشب اسم كانَ ، وله خبرها ، ويحبب بالبناء للمفعول من المحبَّة جزاء الشرط . وكذلك « من يفتقر يعش » . وعيش مفعول مطلق . والضّرّ بالضم والفتح : سوء الحال من قِلَّةِ

(١) هو مضرس الأسدى ، كما فى البيان ٣ : ٤٠ . وفى اللسان (عصا) نسبته إلى معقر بن حمار ، أو عبد ربه السلمى ، أو سليم بن ثمامة الحنفى . ونسب فى كتاب العصا إلى راشد بن عبد الله . نوادر المخطوطات ١ : ١٩٣ .

مال وجاه . والنَّشَب بفتح النون والشين : المال الأصيل من الناطق والصامت .

وأورد صاحب الكشاف هذا البيت ، عند قوله تعالى : ﴿ ويكأنَّه لا يفلح الكافِرُون [1] ﴾ على أنَّ وى مفصولة من كأنَّ . ٩٩

وقوله : « ويجنَّب سرَّ النجىّ » معطوف على يَعِش ، وهو بالبناء للمفعول من جَنَّبه إياه تجنيبا ، أى باعده عنه . فهو متعدّ لمفعولين أولهما نائب الفاعل وهو ضَمير من يفتقر ، وثانيهما سرَّ النجى . والسر هو الحديث المكتَّم فى النفس .

والنجىُّ : فعيل ، هو من يُفشَى له السِّرّ . يعنى أنَّ الفقير يستحقره صاحبه فلا يفشى له سرَّه .

وقوله : مُحضَر : اسم مفعول من أحضره إيَّاه ، أى جعله حاضراً غير غائب ، فهو متعدٍّ إلى مفعولين أولهما نائب الفاعل وهو ضمير أخى المال ، والثانى كلَّ سر . وروى أيضاً :

ويُجنَّب يُسرَ الأمور ولكـ
ـنّ ذَوِى المال حُضَّرٌ كل يُسْرِ

واليسر : نقيض العسر . وحُضَّر : جمع حاضر ، من حضره ، إذا شاهدهُ [2] .

---

(١) الآية ٨٢ من القصص .

(٢) ط : « اذا شاهد » .

والرواية الأولى هى رواية الجاحظ (فى البيان والتبيين) ، والرواية الثانية هى رواية الزبير بن بكار (فى أنساب قريش) ، وتبعه صاحب الأغانى . وأبو الحسن المدائنى (فى كتاب المقسات [1]) . وهى لزيد بن عمرو بن نفيل كما فى كتاب سيبويه وخَدمته . وكذا (فى أمالى الزجاجى الوسطى) ، وأثبتها الجاحظ لابنه سعيد بن زيد ، ونسبها الزبير بن بكَّار لنُبيه بن الحجاج .

قال أبو الحسن المدائنى : قالوا : تزوَّج عمرو بن نفيل امرأَةَ أبيه نفيلِ ابن عبد العزى ، فولدت زيد بن عمرو بن نفيل ، وكانت ولدت الخطاب أبا عمر بن الخطاب ، فكان الخطَّابُ عمَّ زيد وأخاه لأُمِّه . وكان زيد يطلب الدِّين ويخرج من مكة إلى الشام وغيرها يلتمس الدِّين ، فكان الخطَّاب يَعيب عليه خروجه عن مكة وطلبَه الدين ، وخلافَ قومه ، وكان يؤذيه ، وأمر امرأته أن تعاتبه وتأخذَه بلسانها ، ففعلت ، فاعتزم على الخروج ، فقال زيد لامرأته صفيَّة بنت الحَضْرَمىّ :

لا تحبسينى فى الهوا نِ صَفِىَّ ، ما دابى ودابُه
إنِّى إذا خِفت الهوا نَ مشيَّع ذُلُلٌ رِكابه
دُعموصُ أبوابِ الملو ك وجانبٌ للخُرْق بابه
قَطّاع أسبابٍ تذ لّ بغير أقران صِعابه
وإنما ألــف الهوا نَ العيرُ إذْ يهوى إهابُه [2]

(١) كذا فى ط ، وفى ش : « القسات » بإهمال نقط مابعد القاف . ولعله « كتاب المغنيات » الذى ذكره ابن النديم فى الفهرست ١٤٩ .

(٢) لعلها : « ولربما ألف » . وإلا ففى التفعيلة الأولى عيب الوقْص .

وأخى ابنُ أمِّى ثم عمِّـ
ـى ، لا يُواتينى خطابُه
وإذا يعاتبنـــى أُخَــــ
ـىَّ أقول : أعيانى جوابُه
وإذا أشاء لقلتُ : ما
عنـدى مَفاتحُـه وبابـه

وقال لامرأتيه :

تلك عرسایَ تنطقان .... الأبيات

زيد بن عمرو بن نفيل

أما الأول فهو زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العُزّى بن رِياح بن عبد الله بن قُرط بن رَزَاح بن عدىّ بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر ، القرشى العدوى .

قال صاحب الاستيعاب : كان زيد بن عمرو بن نُفَيل يطلب دين الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام ، قبلَ أن يُبعث النبى ﷺ ، وكان لا يذبح للأنصاب ، ولا يأكل المَيتة والدم .

قال ابن حجر (فى الإصابة) : ذكر البغوى وابن منده وغيرهما زيداً هذا فى الصحابة . وفيه نظر ، لأنه مات قبل البَعثة بخمس سنين ، ولكنه يجئ على أحد الاحتمالين فى تعريف الصحابى ، وهو أنه من رأى النبى ﷺ مؤمِنا به ، هل يشترط فى كونه مؤمنا به أن تقع رؤيته له بعد البعثة فيؤمن به حين يراه أو بعد ذلك ، أو يكفى كونه مؤمنا به أنه سيبعث ، كما فى قصة هذا وغيره . ١٠٠

وقد ذكر ابن إسحاق أن أسماء بنت أبى بكر قالت : لقد رأيت زيد بن

عمرو بن نفيل مسنداً ظهره إلى الكعبة يقول : يا معشر قريش ، والذى نفسى بيده ما أصبحَ منكم أحدٌ على دين إبراهيم غيرى .

وأخرج الفاكهى بسند له إلى عامر بن ربيعة قال : « لقيت زيد بن عمرو وهو خارج من مكة يريد حراء ، فقال : يا عامر ، إنى قد فارقتُ قومى واتبعت ملة إبراهيم وما كان يعبُدُ إسماعيلُ من بعده ، كان يصلّى إلى هذه البَنِيَّة . وأنا أنتظر نَبيًّا من ولد إسماعيلَ ثم من ولد عبد المطلب ، وما أرانى أدرِكه . وأنا أومن به وأصدِّقه وأشهد أنه نبى » الحديث . زاد الواقدى فى حديثٍ نحوه : « فإن طالت بك مدة فأقرئه منى السلام [1] » . وفيه : لما أسلمت أقرأت النبى ﷺ منه السلام ، فردَّ عليه وترحَّم عليه وقال : « رأيته فى الجنة يسحب ذيولا » .

وروى الواقدى عن ابنه سعيد بن زيد قال : توفِّىَ أبى وقريشٌ تبنى الكعبة . وكان ذلك قبل المبعث بخمس سنين .

أما سعيد بن زيد المذكور فقد كان من السَّابقين إلى الإسلام ، وهاجر وشهد أُحداً والمَشاهدَ بعدها ، ولم يكن بالمدينة زمانَ بدر ، فلذلك لم يشهدها . وهو أحد العشرة المبشَّرة ، وكان إسلامه قديما قبل عمر ، وكان إسلام عمر عنده فى بيته ، لأنه كان زوجَ أخته فاطمة .

قال الواقدى : توفِّىَ بالعقيق فحمل إلى المدينة ، وذلك سنة خمسين من الهجرة ، وقيل إحدى وخمسين ، وقيل سنة اثنتين ، وعاشَ بضعاً وسبعينَ سنة .

(١) ش : « فاقرأه منى السلام » . والمعروف أقرئه السلام .

وزعم الهيثم بن عدى أنه مات بالكوفة وصلّى عليه المغيرة بن شعبة . قال : وعاش ثلاثا وسبعين سنة .

وزعم العلاّمة الدوّانى (فى شرح ديباجة العقائد العضدية) وتبعه السيد عيسى الصفوى (فى شرح الفوائد الغياثية) أن زيد بن عمرو المذكور نبيٌّ أوحى إليه لتكميل نفسه .

وهذه عبارته : النبيُّ : إنسانٌ بعثه الله إلى الخلق لتبليغ ما أوحاه إليه . وعلى هذا لا يشمل من أوحَى الله ما يحتاج إليه لكماله فى نفسه ، من غير أن يكون مبعوثاً إلى غيره ، كما قيل فى زيد بن عمرو بن نفيل ، اللهمّ إلا أن يتُكلَّف .

أقول : هذا غير صحيح ، فإنه لم يقل أحدٌ من المؤرخين والمحدِّثين : إنه نبى أو ادَّعى النبوة . وأمره مشهور ، وكان حيًّا فى زمن النبى ﷺ ، وليس فى عصره نبى غيره .

قال الذّهبى : زيد بن عمرو بن نفيل هو الذى قال فيه رسول الله ﷺ : « إنه يُبعث أمةً وحدَه [1] » ، وكان على دين إبراهيم ، ورأى النبىَّ ﷺ ، وتوفى قبل مبعثه ﷺ .

وكان دخل الشَّامَ والبلقاء . وكان نفرٌ من قريش : زيد ، وورقة ، وعثمان ابن الحارث ، وعبيد بن جحش [2] ، خالَفوا قريشا وقالوا لهم : إنكم تعبدون

---

(١) ط : « واحدة » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح ، ومن العثمانية للجاحظ ١٤٢ .

(٢) ذكره فى الإصابة ٦٣٩٠ فيمن أدرك النبى ﷺ ولم يره . وقال : شهد القادسية ونزل الكوفة .

ما لا يضرُّ ولا ينفع من الأصنام ! ولا يأكلون ذبائحهم . واجتمع بالنبىّ ﷺ قبل البعثة وقال له : إنى شاممت النصرانية واليهودية فلم أر فيها ما أريد ، فقصصت ذلك على راهبٍ فقال لى : إنك تريد ملة إبراهيم الحنيفية ، وهى لا توجد اليومَ ، فالحقْ ببلدك فإنّ الله باعثٌ من قومك من يأتى بها ، وهو [(١)] أكرم الخلق على الله . اهـ . ١٠١

ومنه تعلم أنّ ما قاله الدوّانى لا يليق بمثله أن يذكره . وكذا ما فى حواشى الكازرونى من أنه يجوز أن يكون زيد مبعوثاً إلى الخَلْق ، بدليل أنه كان يُسند ظهره إلى الكعبة ويقول : أيها الناس لم يبق على دين إبراهيم غيرى . ويُعلم من هذا أنه يجوز أن يكون نبيا ، فلا ينتقض به التعريف . انتهى .

وهذا مما يقضى منه التعجُّب ، وكذا جميع ما ذكره هنا أرباب حواشيه .

وذكره البيضاوى عند تفسير قوله تعالى : ﴿ فلا تجعلوا للهِ أنداداً [(٢)] ﴾ : وقال : هو موحِّد الجاهلية .

وأما الثانى فهو نُبَيْه ، بضم النون وفتح الموحدة بعدها ياء ساكنة فهاء ، وكنيته أبو الرزّام بتشديد الزاى المعجمة ، ابن الحجّاج ، بتشديد الجيم الأولى ، ابن عامر بن حذيفة بن سهم بن عَمرو بن هُصَيص ، بالتصغير ، ابن كعب ابن لؤىّ بن غالب .

---

(١) ش : « وهم » تحريف .

(٢) الآية ٢٢ من سورة البقرة .

قال الزبير بن بكار (فى أنساب قريش) : كان نبيهٌ وأخوهُ منُبِّه ، على صيغة اسم الفاعل من التنبيهِ ، من وجوه قريش وذوى النباهة فيهم ، وقُتِلا ببدر كافرَين . وكانا من المطعِمِين يومَ بدر ، ورثاهما الأعشى بن نبَّاش بن زُرارة التميمى [1] حليف بنى عبد الدار ، وكان مداحاً لنبيه بن الحَجَّاج ، وله فيه من قصيدة يصف ناقته :

تبلِّغَنْ رجلاً محضاً ضرائبُه
مؤمَّلاً وأبوه قبلُ مأمولُ
إنّ نُبَيهاً أبا الرزَّامِ أحلمهُمْ
حِلماً ، وأجودهم ، والجودُ تفضيلُ

وكان نُبَيْهٌ شاعراً ، وهو الذى يقول فى زوجتَيْه وقد سألتاه الطلاق :

تلك عِرساىَ تنطقان بِهُجْرٍ
وتقولان قولَ أثْر وعَثْرِ [2]

إلى آخر الأبيات المقدَّمة . ومن شعره :

قصَّر الشيءُ بى ولو كنتُ ذا ما
لٍ كثير لأحْلَبَ الناسُ حَولى [3]

---

(١) ط : « التيمى » ، صوابه فى ش والمؤتلف ٢٠ والاشتقاق ١٤٢ . قال ابن دريد : « أخبرنا بعض أهل العلم عن الأعشى بن نباش بن زرارة بن وقدان ، أحد بنى تميم .. وسترى تفسيره فى نسب تميم إن شاء الله » .

(٢) سبقت هذه الرواية فى ص ٤١١ . وفى ط هنا : « تنطقان لهجر » .

(٣) أحلبوا ، بالحاء المهملة : جاءوا من كل وجه . وفى ط : « أجلب الناس » بالجيم ، وهو بالجيم للتجميع فى الشر .

ولقالوا أنت الكريمُ علينا
وحطُّوا إلى هوايَ ومَيْلى
ولكِلْتُ المعروف كيلا هنيئا
يُعجز الناسَ أن يكيلوا ككيلى (١)

وله أيضاً :

قالت سُليمى يومَ جئتُ أزورُها
لا أبتغى إلّا امرأً ذا مال
لا أبتغى إلا امرأً ذا أنضَرٍ
كى ما أسدَّ مَفارقى وخِلالِى
فَلَأَحِرصنَّ على اكتساب مُحَبَّبٍ
ولأَكسِبَنْ فى عِفَّةٍ وجمالِ

وله شعر كثير . اهـ .

والأنضر كأحمد (٢) : لغةٌ فى النَّضر ، وهو الذهب .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والسبعون بعد الأربعمائة (٣) :

٤٧٩ (قولُ الفوارس ويكَ عَنْتَر أقدِمِ)

على أنّ الفراء قال : وى فى ويكأنَّه ، كلمة تعجُّبٍ ألحق بها كاف الخطاب ، كقوله : ويك عنتر ، أى ويلك وعجباً منك .

---

(١) ش : « هينا » بالتسهيل .

(٢) كذا فى النسختين بالدال .

(٣) المحتسب ١ : ٢/١٦ : ١٥٦ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ٥ ، ٦ وابن يعيش ٤ : ٧٧ وشرح شواهد المغنى ٢٦٧ والعينى ٤ : ٣١٨ والتصريح ١ : ١٩٧ والأشمونى ٣ : ١٩٨ .

١٠٢ أقول : ليس هذا مذهب الفراء ، وإنما هو قولٌ لبعض النحويين نقله الفراء عنه كما مضى . زعم أنّ ويكأنَّ مركب من وَيْكَ ومن أنَّ ، وأنّ ويك أصله ويلك ، فحذفت منه اللام ، كما فى بيت عنترة .

ولا تخفى ركاكة قول الشارح : « وَى كلمة تعجب ألحق بها كاف الخطاب » مع قوله : « أى ويلك وعجباً منك » .

قال ابن الشجرى (فى أماليه) : قال المفسِّرون فى قول الله تعالى : ﴿ ويكأنَّ الله يَبْسُط الرزق [1] ﴾ ، معناه ألَم تر أنَّ الله .

ومثل ذلك : ﴿ ويكأنَّه لا يُفلح الكافرون [2] ﴾ . واختلف فيها اللغويون فقال الخليل . إنها وى مفصولة من كأنّ ، والمراد بها التنبيه . وإلى هذا ذهب يونس وسيبويه والكسائى . وقال السيرافى : وى كلمة يقولها المتندِّم عند إظهار ندامته ، ويقولها المُندِّم لغيره والمنبِّه .

ومعنى كأنّ الله يبسط الرزق التحقيق ، وإن كان لفظه لفظَ التنبيه ، فالتقدير : تَنبَّهْ أنّ الله يبسط الرِّزق ، أى تنبَّهْ لبسط الله الرِّزق . وقال الفراء : معناها فى كلام العرب التقرير ، كقولك لمن تقرره : ألا ترى إلى صُنع الله ، فكأنَّه قيل : أما ترى أنَّ الله يبسط الرزق [3] .

وأقول [4] : إنَّ كل واحد من مذهبِي الخليل والفراء ، وكذلك ما قاله

---

(١) الآية ٨٢ من القصص .

(٢) الآية ٨٢ من القصص .

(٣) هذا ما فى ش وأمالى ابن الشجرى ، وفى ط : « أما ترى الله يبسط الرزق » .

(٤) ش فقط : « فأقول » .

السيرافى من أنَّ التقدير : [تنبَّهْ [١]] أن الله يبسط الرزق ، معناه ألم تر أَنَّ الله يبسط الرزق . وشاهد ذلك قوله تعالى : ﴿ ألم تر أَنَّ الله أنزلَ من السماء ماءً فتُصبحُ الأرضُ مخضَرَّة [٢] ﴾ .

فهذا تنبيهٌ على قدرته وتقريرٌ بها .

وقال غير هؤلاء من اللُّغويين : هى ويك بمعنى ويلك ، وحذفت اللام لكثرة هذه اللفظة فى الكلام . وأَنَّ من قوله أَنَّ الله يبسط الرزق ، مفتوحة بإضمار اعلْم .

واحتجوا بقول عنترة : « ويك عنتر أَقدم » فالكاف على هذا القول ضمير ، فلها موضع من الإعراب .

وقال آخرون : هى وى اسمٌ للفعل ومعناها أتعجَّب [٣] كما تقول : وى لم فعلت هذا ؟ فالكاف فى هذا الوجه حرفٌ للخطاب ، كالكاف فى رويدك ، فهى دالّة على أَنَّ [٤] التعجب موجَّه إلى مخاطب لا إلى غائب . وانفتحت أنّ بتقدير اللام ، أى أتعجَّب لأن الله يبسط الرزق [٥] . انتهى كلام ابن الشجرى .

صاحب الشاهد

والبيت من معلقة عنترة العبسى . قال شراح المعلقة : قال بعض النحويين : معنى ويك ويحك ، وقال بعضهم : معناه ويلك . وكلا القولين خطأ ، لأنه كان يجب على هذا أن يقرأ ويك إنّه ، كما يقال ويلك إنه ، وويحك

---

(١) هذه من أمالى ابن الشجرى .

(٢) الآية ٦٣ من سورة الحج .

(٣) فى الأصل : « العجب » ، صوابه من الأمالى .

(٤) هذه الكلمة من ش والأمالى .

(٥) ش فقط : « العجب لأن الله يبسط الرزق » .

إنّه . على أنه قد [١] احْتُجَّ لصاحب هذا القول بأنّ المعنى : ويلك اعلَمْ أنّه لا يفلح الكافرون .

وهذا أيضا خطأ من جهات : إحداهَا حذف اللام من ويلك ، وحذف اعلم ، لأنَّ مثل هذا لا يحذف لأنَّه لا يعرف معناه . وأيضا فإنّ المعنى لا يصح ، لأنه لا يُدرَى من خاطبوا بهذا . وروى عن بعض أهل التفسير أنَّ معنى وَيك ألم تر ، وأما ترى . والأحسن فى هذا ما روى سيبويه عن الخليل ، وهو أنَّ وى منفصلة ، وهى كلمة يقولها المتندّم إذا ما تنبَّه على ما كان منه ، كأنَّهم قالوا على الندم : وى ، كأنه لا يفلح الكافرون . انتهى .

ورُوىَ : (قيلُ الفوارس) . والقول والقيل بمعنىً . وجمع فارسٍ الوصفّى على فوارس نادر .

(وعنتر) : منادًى مرخَّم ، أى يا عنترة . و (أقدم) بفتح الهمزة وكسر الدال بمعنى تقدَّم ، أو هو من الإقدام الذى بمعنى الاجتهاد والتصميم . وروى بدله : (قدِّم) ، أى قدِّم الفرس ، أو بمعنى تقدَّمْ . جعل أمرَهم له بالتقدُّم شفاءً لنفسه ، لما ينال فى تقدُّمه من الظفر بأعدائه ، ولما يكتسب بذلك من الرفعة وعلو المنزلة .

١٠٣ وقد تقدمت [٢] ترجمة عنترة وشرح المعلقة مع أبيات منها فى الشاهد الثانى عشر وغيره .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثمانون بعد الأربعمائة [٣] :

٤٨٠ (روافدُه أكرمُ الرَّافداتِ بَخٍ لكَ بَخٍّ لبحرٍ خِضَمّْ)

---

(١) ط : « على أنه وقد » ، صوابه فى ش .

(٢) ط : « تقدم » ، وأثبت ما فى ش مع أثر تصحيح .

(٣) ابن يعيش ٤ : ٧٩ والصحاح والمقاييس واللسان (بخخ ، رفد) .

على أنَّ الشاعر جَمَع فيه لُغَتَىْ بَخٍ الموصولة فى الدَّرْج ، وهُما : تخفيف الخاء مع الكسر والتنوين ، وتشديدها كذلك . وهذا من (الصحاح) فإنّه قال : بَخْ كلمة تقال عند المدح والرضا بالشئ ، وتكرر للمبالغة فيقال بخ بخ . فإنْ وصَلْتَ خفضْتَ ونوّنتَ فقلت بَخٍ بخٍ ، وربَّما شدِّدت كالاسم . وقد جمعهما الشَّاعر فقال يصف بيتا :

روافده أكرم الرافدات .... البيت

وأورده أبو عبيد القاسم بن سلام (فى الغريب المصنف) قال : الرَّوافد خَشَب السقف ، قال الشاعر وذكر بيتاً : روافده أكرمُ .... البيت .

قال شارح أبياته يوسف بن الحسن السيرافى : بَخْ كلمة تقال عند وصف الشئ بالرفعة والتناهى فى الأمور الجليلة ، وهى مبنيَّة على السكون ، لأنَّه من أسماء الأفعال ، والفعل الذى هى فى موضعه فعل تعجُّبٍ فى قولك : أفعِلْ به ، فى موضع أعظم به وأكرم به ، كما كان صَهْ فى موضع اسكت . وهو فى نية تعريف . وهذه الأفعال التى للتعريف إذا نوى بها التعريف لم تُنوَّنْ ؛ وإن نوىَ بها التنكير نوِّنت . فمن قال : بخٍ ونوَّنَ أراد به النكرة فأدخل التنوين ، وهو حرف ساكن ، على الخاء وهى ساكنة ، فاجتمع ساكنان فكسرت الأولى منهما ، وهى الخاء . فإن قال قائل : الساكنان إذا التقيا فى كلمة واحدة كسر الثانى منهما ، نحو : دراك ونزال ، وإذا التقيا من كلمتين كسر الأوّل نحو : اضربِ ابنك وأكرم القومِ ، فلم كسرت الخاء لدخول التنوين وهما فى كلمة واحدة ولم يكسر التنوين ؟ قيل له : التنوين ليس من الكلمة ، وهو مضمومٌ إليها داخلٌ للعلامة ، وليس من حروفها ، فجرى

---

(١) ط : « ويكرر » ، وأثبت ما فى ش والصحاح .

مجرى كلمة غير الكلمة الأولى . وبخّ بالتشديد هو الأصل ، والمخفف ما حذف منه حرفٌ من الأصل . والخِضَمُّ : الكثير العظيم الكَثرة . وَصف البيت بالكرمِ وأراد كرم مَن هو بيتُه . انتهى .

فعلى كلامه هى اسم فعلٍ لا اسمُ صوت .

والبيت لم أقف على قائله وتتمته . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والثمانون بعد الأربعمائة [(١)] :

٤٨١ (وصارَ وَصْلُ الغانياتِ أَخَّا)

على أنَّ الشاعر جعل (أخَّا) كالمصدر فأعربَه ، وهو مصدر بمعنى المفعول أى مكروها .

وكذلك أورده الزمخشرى فى الأصوات وقال : وأخّ عند التّكرُّه . قال العجّاج :

* وصار وصلُ الغانيات أخّا *

وروى : « كَخّا » . قال ابن دريد (فى الجمهرة) : أخ ، وذكرها بالفتح ، كلمة تقال عند التأوّه ، وأحسبها محْدثة . وكخْ : زجر للصبى وردعٌ له ، وتقال عند التقذُّر للشئ ، وتكسر الكاف وتفتح وتسكن الخاء وتكسر ، بتنوين وغير تنوين ، قيل هى أعجمية عرِّبت . كذا فى النهاية .

ولم أر نسبة البيت للعجاج إلّا فى المفصَّل .

و (فى العباب للصاغانى) يقال للصبى إذا نُهى عن فعل شئٍ قذرٍ : ١٠٤

(١) مجالس ثعلب ٤٥١ وأمالى الزجاجى ١٢١ وابن يعيش ٤ : ٧٥ ، ٧٩ وملحقات ديوان العجاج ٧٦ .

إخْ بالكسر ، بمنزلة قول العجم : كِخْ ، كأنَّه زجر ، وقد تفتح همزته ، قال أعرابى :

* وكان وصلُ الغانيات أخّا *

ويروى كَخَّا . وإخْ بالكسر : صوت يناخ به الجمل ليبرك ؛ ولا يشتق منه الفعل فلا يقال أَخَخْتُ الجملَ . إنَّما يقولون أنَخْته .

وهو من أبيات رواها جماعةٌ غُفْلا ، منهم ثعلب (فى أماليه) ، أنشد :

لا خيرَ فى الشيخ إذا ما اجلخَّا
وسالَ غَربُ عينِه ولَخَّا
وكان أكلاً قاعدا وشَخَّا
تحتَ رِواق البيتِ، يغشَى الدُّخَّا
وانثنت الرجلُ فكانت فَخَّا
وكان وصلُ الغانيات أَخَّا

اجْلَخَّ : سقط ولم يتحرَّك . ولخَّ : سالَ . وأخّ كقولك : أُف وتُفّ . انتهى .

وكذا رواها الزجاجى (فى أماليه الوسطى) عن ابن الأعرابى وقال : اجَلخَّ : اعوجَّ . ولخَّ : التصقت عينه . وشَخَّا ، يقول : كثر غائطه . والدُّخُّ ، بضم الدال وفتحها : الدُّخَان . ويغشى الدخَّ : يغشَى [1] التنُّورَ فيقول : أطعمونى . انتهى .

وقال على بن حمزة البصرى (فى التنبيهات) : الغرب : بثرة تكون فى

---

(١) يغشى ، من ش فقط .

العين تُقذى ولا ترقأ . وأنشد الأبيات . وكذلك أنشد الأبياتَ ابن دريد (فى الجمهرة) وقال : لخَّت عينه تلِخُّ لخًّا ولخخا ، إذا كَثُرتْ دموعها وغَلُظَتْ جفونها . وربما قالوا : لَحَّتْ ، أى بالمهملة .

وقال أبو عبد الله محمد بن الحسين اليمنى (فى طبقات النحويين) : حدثنا ابن مُطَرِّف قال : أخبرنا ابن دريد قال : أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال : قالت أعرابيّةٌ فى زوجها وكان شيخا :

* لا خير فى الشيخ إذا ما اجلخَّا *

الأبيات . فقال زوجها :

أمّ جَوارٍ ضِنْؤُها غَيْرُ أمِر
صَهصَلَقُ الصَّوت بعينيها الصَّبِرْ
تُبادر الذئب بعدْوٍ مشفترّ
سائلةٌ أصداغها ما تختمِرْ
تَغدو عليهم بعمودٍ منكسر
حتَّى يَفِرَّ أهلُها كلَّ مفرّْ
لو نحرَتْ فى بيتها عشرَ جزُر
لأصبحتْ من لحمهن تعتِذرْ

فقالت لزوجها : اسكت فإنَّا حِمارا العِبادىّ . قال : أجَلْ ، وأنتِ بدأت . انتهى .

وجَوارٍ : جمع جارية . والضَّنءُ ، بفتح الضاد المعجمة وكسرها وسكون النون بعدها همزة : النسل والولد ، لا واحد له من لفظه . وأمِرٌ : كثيرٌ ، من أمِرَ كفرح ، إذا كثر . والصَّهصلق قال فى القاموس : هى العجوز الصخَّابة ،

ومن الأصوات : الشديد . والصَّبر : عُصارة شجر مُرٍّ . يريد أنَّ عينيها تدمع دائماً كأنَّ فى عينيها هذه العصارة .

والمشفترّ كمقشعِرّ : المَشمِّر ، والمنتصب .

وسائلة أصداغها ، أى طويلة شعر الأصداغ . وما تختمر ، أى لم تستعمل الخِمار .

والجُزُر بضمتين : جمع جَزور ، وهو البعير أو الناقة المجزورة ، وما يذبح من الشاءِ ؛ واحدتها جَزَرَةَ .

* * *

المركب

أنشد فيه ، وهو الشاهد الثانى والثمانون بعد الأربعمائة [١] :

١٠٥ **٤٨٢** (كُلِّفَ مِن عَنائِه وشِقوتِهْ

بنتَ ثمانى عشرةٍ من حِجَّتِهْ)

على أنَّ بعض الكوفيين أجاز إضافة النِّيف إلى العشرة .

قال أبو على (فى التذكرة القَصْرية) : البغداديُّون يجيزون خمسةَ عشر ، فيضيفون وأنت تريد به العدد ، ويستشهدون بقول الشاعر :

كُلِّفَ مِن شقائه وشِقوته [٢]

بنتَ ثمانى عشرةٍ من حِجَّتِهْ

وأصحابُنا يمنعون من ذلك إذا أردت به العدد . فإنْ سمَّيته بخمسة عشر جازت الإضافة على قول من قال معديكربٍ ، وجاز أن لاتضيف على حدِّ من قال معديكربَ ؛ لأنه قد خرج عن العدد بالتسمية . وأجاز ذلك أبو عمر [٣] (فى الفَرْخ) انتهى .

وقال ابن الأنبارى (فى مسائل الخلاف) : ذهب الكوفيُّون إلى أنَّه

---

(١) الحيوان ٦ : ٤٦٣ والمخصص ١٤ : ١٧/٩٢ : ١٠٢ والإنصاف ٣٠٩ والعينى ٤ : ٤٨٨ والتصريح ٢ : ٢٧٥ والهمع : ١٤٩ والأشمونى ٤ : ٧٢ .

(٢) حاول الشنقيطى فى نسخته أن يجعلها « من عنائه وشقوته » .

(٣) فى النسختين : « أبو عمرو » ، تحريف . وصاحب كتاب الفرخ هو أبو عمر صالح بن =

يجوز إضافة النيف إلى العشرة ، واستدلُّوا بالبيت ، ولأن النيف اسم مظهَرٌ كغيره من الأسماء المظهرة التى تجوز إضافتها ، ومَنَعه البصريُّون لأنّ الاسمين قد جُعلا اسماً واحداً ، فكما لا يجوز أنْ يضاف الاسم الواحد بعضهُ إلى بعض فكذلك ههنا .

وبيان ذلك : أنّ الاسمين لمَّا ركبا دلَّا على معْنًى واحد ، والإضافة تبطل ذلك المعنى . ألا ترى أنّك لو قلت : قبضت خمسة عشرَ من غير إضافة دل على أنك قد قبضت خمسةً وعشرة . وإذا أضفت دلَّ على أنَّك قبضت الخمسة دون العشرة ، فلما كانت الإضافة تبطل المعنى المقصود وجب أن لا تجوز .

وأما البيت فلا يعرف قائله ، ولا يؤخذ به . على أنا نقول : إنما صرفه لضرورة ، ورده إلى الجر لأنَّ ثمانى عشرة لما كانا بمنزلة اسم واحد وقد أضيف إليهما بنت ردَّ الإعراب إلى الأصل بإضافة بنت إليهما ، لا بإضافة ثمانى إلى عشرة . وهم إذا صرفوا المبنىَّ للضرورة ردُّوه إلى الأصل .

وأما قولهم إنَّ النيف اسمٌ مظهر كغيره من الأسماء فى جواز الإضافة ، قلنا : إلاَّ أنه مركب [1] ، والتركيب ينافى الإضافة ، لأنَّ التركيب جَعلُ الاسمين اسماً واحداً بخلاف الإضافة ، فإنّ المضاف يدلُّ على مسمى ، والمضاف إليه يدلُّ على مسمًّى آخر . وحينئذ لا يجوز الإضافة لاستحالة المعنى . ا هـ .

= إسحاق الجرمى المتوفى سنة ٢٢٥ ، كما فى البغية . وقد ذكر ابن النديم من كتبه فى الفهرست ٨٤ « كتاب الفرخ » كما ذكر فى إنباه الرواة ٢ : ٨٢ . وذكر الميمنى فى الإقليد ٨٠ أن كتابه يسمى « فرخ سيبويه » وفيه يقول المعرى فى لزومياته :

وللجرمى ما اجترمت يداه   وحسبك من فلاح أو بوار
وأما فرخه فبلا جناح   يطير بحمل أقلام جوار

(١) ش : « قلنا إنه مركب » .

وأنشد الفراء البيت فى موضعين (من تفسيره) عن أبى ثروان :
أحدهما : عند قوله تعالى : ﴿ إنى رأيتُ أحَدَ عَشَرَ كوكبا [١] ﴾ ، لمَا ذكر من مذهب الكوفيين ، وفصَّل المسألة عندهم .

وثانيهما عند قوله تعالى : ﴿ ربَّنا غلبَتْ علينا شِقْوتُنا [٢] ﴾ ، بكسر الشين ، وهى قراءة أهل المدينة وعاصم ، وأنشد البيت أيضاً .

و (العناء) بالفتح : التعب والنَّصَب . و (الحِجَّة) بالكسر : السَّنَة . ونائب فاعل كُلِّفَ : ضمير الرجل ، وبنت مفعول ثان لِكُلِّف .

قال الجاحظ (فى كتاب الحيوان) : أُنشدنى أبو الرُّدينى الدَّلهم بن شِهاب ، أحد بنى عَوف بن كنانة ، مِنْ عُكل [٣] قال : أنشدنى نُفَيْع بن طارق :

عُلِّق من عَنائه وشِقوته
بنتَ ثمانى عشرةٍ من حِجَّته
وقد رأَيتَ هَدَجاً فى مِشيته
وقد جَلاَ الشَّيب عذارَ لحيته [٣]
يظنُّها ظنّا بغير رؤيته
تمشى بِجَهْمٍ ضِيقُهُ فى هِمَّته [٤]

(١) الآية ٤ من سورة يوسف . معانى الفراء ٢ : ٣٤ .

(٢) الآية ١٠٦ من سورة المؤمنين . معانى الفراء ٢ : ٢٤٢ .

(٣) جلاه : جعله واضحا أبيض . فى النسختين : « حكى » ، صوابه فى الحيوان .

(٤) ش : « ضيقة » صوابه فى ط والحيوان . وفى الحيوان أيضا : « من همته » .

١٠٦ لم يُخْزه الله بُرحب سَعته

خَجَّم بعدَ حلقه ونُورتِه [١]

كقنفذ القُفّ اختفَى فى فَروته

لا يقنع الأير بنَزع زهرته [٢]

* كأنّ فيه وهَجاً من مَلَّته *

والهدج : مِشية الشيخ . والجهم : الباسر الكالح ، من جهُمَ بالضم ، إذا صار باسر الوجه . أراد حِراً جَهْما ذا عُكَنٍ ، كالوجه الجَهْم .

وقوله : « ضيِقه فى هِمَّتِه » ، أراد أنَّ حِرَها ضيِّقٌ كضيقِ هِمّته .

وخَجَّم ، بفتح الجيم والخاء المهملة ، أى برز الحِرُ الجهْمُ ، من خَجَّم الرجل إذا فتح عينيه كالشاخص .

والقُفّ : حِجارة غاصٌّ بعضها ببعض ، مترادف بعضها إلى بعض .

والملة ، بالفتح : الرَّماد الحار .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثمانون بعد الأربعمائة [٣] :

٤٨٣ (ولا تَبلَى بسالَتُهمْ وإنْ هُمْ

صَلُوا بالحرب حيناً بعدَ حينِ)

(١) فى الحيوان : « جمم » ، أى ظهر فيه الشعر ولم يغزر ، وأصله من الجميم ، وهو النبت الذى طال بعض الطول ولم يتم .

(٢) زهرته ، كذا وردت فى النسختين . وفى الحيوان : « رهوته » . والرهوة : مستنقع الماء . والنزع مأخوذ من نزع الماتح بالدلو من البئر .

(٣) أمالى القالى ١ : ٢٦٠ وابن يعيش ٤ : ١٥٣ والحماسة ٤١ بشرح المرزوقى .

على أن أصل حِينَ حِينَ بالتركيب ، حيناً بعد حين ، كما فى البيت .

وأورده صاحب الصحاح فى صَلِىَ بالأمر كفرح ، إذا قاسى حَرّه وشدَّته .

صاحب الشاهد

والبيت من أبياتٍ لأبى الغُول الطُّهَوىّ ، أوردها القالىُّ (فى أماليه) ، وأبو تمامٍ (فى أوّلِ حماسته) ، وهى :

أبيات الشاهد

(فَدت نفسى وما ملكت يمينى
فوارسَ صدَّقُوا فيهم ظنونى
فوارسُ لا يَمَلُّون المنايا
إذا دارتْ رَحا الحربِ الزَّبونِ
ولا يَجزُون من حَسنٍ بسُوءَى
ولا يَجزُونَ من غِلَظٍ بِلينِ
ولا تبلَى بسالتُهْم وإن هُمْ
صَلُوا بالحرب حيناً بعدَ حينِ
همُ مَنَعوا حِمى الوَقَبى بضربٍ
يؤلِّفُ بين أشتاتِ المنونِ
فنكَّبَ عنهم دَرْءَ الأعادى
وداوَوْا بالجُنون من الجنونِ [1]
ولا يَرْعَوْن أكناف الهُوَينى
إذا حلُّوا ولا أرضَ الهدُونِ [2])

---

(١) ط : « وداوى » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح . وانظر الشرح فى ص ٤٣٧ .

(٢) ش : « أكتاف الهوينى » ، صوابه فى ط والمراجع السابقة .

قوله : « فدت نفسى » إلخ جملة دعائية ، وما موصولة . وتخصيص اليمين لفضْلها وقوّة التصرف بها ، وهم يقيمون البعضَ مقام الجملة وينسُبون إليه الأحداث والأخبار كثيرا ، كقوله تعالى : ﴿ فظلَّتْ أعناقُهُمْ لها خَاضِعِين [١] ﴾ .

قال أبو عبيد البكرى (فى شرح أمالى القالى) : قوله : صدَّقوا فيهم ظنونى ، فظنونى مفعوله . وروى غير القالى : « صَدَّقت فيهم ظنونى » فالظنون على هذه الرواية فاعلةٌ [٢] . ويروى « صُدِّقت » بضم الصاد فتكون الظنون مفعولةً . يريد أنّها نائب فاعل .

وأنشدَهُ صاحب الكشاف فى سورة سبأ برواية : « صَدّقت فيهم ظنونى » ، وقال : لو قُرِئَ : ﴿ ولقد صَدّقَ عليهم إبليسُ ظَنَّه [٣] ﴾ ، بتشديد الدال ورفع إبليس والظنّ كما فى البيت لكان مبالغةً فى الصِّدْق عليهم .

وفوارس شاذ فى الجموع ، لأنّ فواعل جمعُ فاعلة لما يعقل دون فاعل . والمعنى : تفدىٰ نفسى ومالى أجمع فوارسَ يكونون عند ظنونى بهم فى الحرب .

وقوله : « فوارس لا يملون » إلخ بالنصب بدل من فوارسَ وبالرفع خبر مبتدأ محذوف ، أى هم فوارس . والمنايا : جمع منيّة ، وهى الموت ؛ أراد أسبابها . والزَّبون : الناقة التى تَزبِن حالِبَها ، أى تدفعه برجلها ، ومنه الزَّبانِيَة ، لأنّهم يَدفَعون إلى النار . وإنّما لم يؤنث لاستواءِ فعول فى المؤنث والمذكر . ١٠٧ شبَّه الحرب التى لا تَقبل الصُّلحَ بالناقة الزَّبون . ويقال ثَبتَ فلانٌ فى رحا الحرب ، أى حيث دارت كالرحا .

---

(١) الآية ٤ من الشعراء .

(٢) فى النسختين : « فاعله » و « مفعوله » فيما سيأتى . والوجه ما أثبت من اللآلئ ٥٨٠ .

(٣) الآية ٢٠ من سورة سبأ . وقراءة رفع « إبليس » و « ظنه » هى قراءة عبد الوارث عن أبى عمرو ، كما فى تفسير أبى حيان ٧ : ٢٧٣ . وقرأ الكوفيون : « صدق » بالتشديد ، مع رفع إبليس ونصب ظنه . وباقى السبعة « صدق » بالتخفيف مع رفع ابليس ونصب ظنه .

قوله : « ولا يجزون من حسن » إلخ ، يُشرح إن شاء الله فى أفعل التفضيل [١] .

قوله : « ولا تبلى بسالتهم » إلخ قال الطبرسى : تَبلى من بَلىَ الثوبُ . ويروى : « تُبلَى » بالضم ، من بلوت إذا اختبرت . والبسالة يُوصَف بها الأسد والرجل . وصَلُوا من صَلِيتُ بكذا ، أى مُنِيتُ به . وجواب إن هم صلوا يدلُّ عليه ما قبله ، تقديره : إن مُنوا بالحرب لم تُخلِق شجاعتهم ، أو لم تختبر شجاعتهم ليعرف غورها ومنتهاها على مرِّ الزمان ، واختلاف الأحوال . انتهى .

وقال أبو عبيد البكرى : هكذا الرواية « تَبْلى » بالفتح من البِلى . وروى غير القالى : « ولا تُبْلى » بضم التاء من الابتلاء ، وهو الاختبار ، أى لا يختبر ما عندهم من النَّجدة والبأس وإن طال أمدُ الحرب ، لكثرة ما عندهم من ذلك . ويجوز على هذه الرواية « صَلوا بالحرب إلَّا بعد حين » .

وقوله : « هُم مَنعُوا حِمَى » إلخ الحمى : موضع الماء والكلأ . والوَقَبى بفتح الواو والقاف : موضع بقرب البصرة . وكان من حديثه أنَّ عبد الله بن عامر كان عاملاً لعثمان بالبصرة وأعمالها ، واستعمل بشرَ بن حارث بن كَهف المازنيَّ على الأحماءِ التى منها الوَقَبى ، فحفرَ بها رَكيَّتَيْن : ذاتَ القصر ، والجوفاء [٢] ، فانتزعهما منه عبد الله بن عامر ، ووقعت الحرب بينهم بسبب ذلك ، وعادَ الماءُ فى آخر حروب ومُغاوَرات إلى بنى مازن . كذا قال شراح الحماسة .

وقال أبو عبيدة : كانت الوقبى لبكرٍ على إيَادٍ الدَّهْرَ ، فغلبهم عليها بنو

---

(١) فى الشاهد ٦٢٦ .

(٢) فى النسختين : « الحوفاء » صوابه بالجيم ، كما فى شرح الحماسة للتبريزى ١ : ٣٤ ومعجم البلدان فى حرف الجيم .

مازن بعَون عبد الله بن عامر صاحب البصرة لهم ، فهى بأيدى بنى مازن اليوم . وكان بين بنى شيبان وبين مازن حرب فيها ، وتعرف بيوم الوقبى ، قُتِلَ فيها جماعة من بنى شيبان . انتهى .

يقول : إنَّ هؤلاء القوم هُم الذين يمنعون حِمَى هذا المكان ، بضربٍ يجمع بين المنايا المتفَرِّقة . وهذا يحتمل وجوهاً : يجوز أن يكون أنَّ هؤلاء لو بقُوا فى أماكنهم ولم يجتمعوا فى هذه المعركة لوقعت مناياهم متفرِّقةً فى أمكنةٍ متغايرة ، وأزمنة متفاوتة ، فلما اجتمعوا تحتَ الضرب الذى وصفه صار الضربُ جامعاً لهم .

ويجوز أن يكون المعنى أنَّ أسباب الموت مختلفة ، وهذا الضرب جمع بين الأسباب كلها . وحُكِيَ عن أبى سعيد الضَّرير أنَّ المعنى أنَّ الضرب إذا وقع ألَّف بين أقدراهم التى قُدِّرت عليهم . ويجوز أن يكون المراد : بضربٍ لا ينفِّس المضروبَ ولا يُمهله ، لأنَّه جمعَ فِرَقَ الموتِ له .

وقوله : « فنكَّب عنهم » إلخ الدرء أصله الدفع ، ثم استعمل فى الخلاف ؛ لأنَّ المختلفَين يتدافعان . يقول : هذا الضرب نكَّب عن هؤلاء القومِ اعوجاجَ الأعادى وخِلافَهم ، وداوَوُا الشَّرَّ بالشَّرّ . وهذا كقولهم : « الحديدُ بالحديد يُفلَح » . وأصل النَّكَب المَيل . وقال أبو عبيدٍ البكرى : هذا مثل قول عمرو بن كلثوم :

ألا لا يجهلَنْ أحدٌ علينا
فنجهلَ فوقَ جهلِ الجاهلينا

وقال الفرزدق :

أحلامُنا تَزِنُ الجبالَ رزانةً
ويزيد جاهِلُنا على الجُهَّالِ

١٠٨ قوله : « ولا يرعَوْن أكنافَ » إلخ الهوينى : الدَّعة والخفْض ، وهو مصغر الهُونَى تأنيث الأهون . ويجوز أن يكون الهُونى اسماً مبنياً من الهِينة وهى السُّكون ، ولا تجعلَه تأنيث الأهون .

والهُدون : السُّكون والصلح . يصفهم بالحرص على القتال ، وإيثارِ جانب الخصومة على الصُّلح . فيقول : لا يرعى هؤلاء القوم ، من عزِّهم ومنعتهم ، الأماكنَ التى أباحتها المسالمة ، ووطَّأتها [١] المهادنة ، ولكن يرعَون النواحىَ المحميَّة ، والأراضىَ المنيعة [٢] .

أبو الغول الطهوى

وأبو الغُول الطهوى هو كما قال الآمدى (فى المؤتلف والمختلف) من قوم من بنى طُهَيَّةَ يقال لهم بنو عبد شمس بن أبى سُود [٣] . وكان يكنى أبا البلاد ، وقيل له أبو الغُول لأنَّه فيما زعم رأى غولا فقتلَها وقال :

رأيتُ الغُولَ تهوِى جُنْحَ ليلٍ
بسهبٍ كالعَباية صحصحانٍ
فقلت لها : كلانا نِضوُ أرضٍ
أخو سفرٍ فصُدِّى عن مكانى [٤]

---

(١) وطأ الشئ : سهله وهيَّأه . فى النسختين : « ووطئتها » ، صوابه من اللآلئ ٥٨١ .

(٢) فى اللآلئ : « والأرضين الممتنعة » .

(٣) ط : « بن سود » ، صوابه من ش مع أثر تصحيح والمؤتلف ١٦٣ . وانظر الاشتقاق ٢٣٣ وما سيأتى فى ضبط البغدادى .

(٤) ط : والمؤتلف : « فقلت له » ، صوابه فى ش . والغول مؤنثة .

إذا عَينانِ فى وجهٍ قبيح
كوجه الهرِّ مشقوقِ اللِّسانِ
بِعَيْنَىْ بُومة وشَواةِ كلب
وجلدٍ فى قَراً أو فى شِنانِ (١)

وله فى هذا حديث وخبر (فى كتاب بنى طهية) . انتهى .

ونسب ابن قُتيبَة تلك الأبيات (٢) لأبى الغول النهشلى . قال : هو عِلْباءُ بن جَوْشن ، من بنى قَطَن بن نهشل ، وكان شاعرا مجيدا ، وهو القائل :

أبو الغول النهشلى

وسَوءة يُكثِرُ الشَّيطانُ إن ذُكِرتْ
منها التعجُّبَ ، جاءت مِن سليمانا
لا تعجبَنَّ لخير جاء من يدهِ
فالكوْكَبُ النحس يَسقى الأرض أحيانا (٣)

انتهى .

وأبو الغول النهشلى غير أبى الغول الطهوى ، نقلهما الآمدى عن أبى اليقظان ؛ وقال فى النهشلى : هو علباء بن جَوشن ، وإنَّه شاعر ذكره أبو اليقظان ولم ينشد له شعراً ، ولم أرَ له ذكرا فى كتاب بنى نهشل . انتهى .

وأبو سود بضم السين هو ابن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ابن تميم . وأم أبى سود طهيّة بنت عبد شمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم .

---

(١) فى المؤتلف : « بعينى بوهة » . والبوهة : طائر يشبه البومة إلا أنه أصغر منها . وقال أبو عمرو : هى البومة الصغيرة .

(٢) يعنى أبيات الشاهد النونية ، انظر الشعراء ٣٩٤ .

(٣) فى الشعراء : « زل عن يده » .

ونهشل هو ابن دارم بن مالك بن حنظلة المذكور . فأبو سود يكون عمّ نهشل . وعِلباء بكسر العين المهملة وسكون اللام بعدها باء موحدة وألف ممدودة .

وسليمان هو سليمان بن عبد الملك بن مروان .

فالنهشلى شاعر إسلامىٌّ فى الدوله المروانية . وأمَّا الطهوىّ فلم أقف على كونه إسلاميًّا أو جاهلياً .

* * *

وأنشَدَ بعده ، وهو الشاهد الرابع والثمانون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س [1] :

٤٨٤ (فلوْلا يَومُ يَومٍ ما أردنا
جَزاءكَ والقُروضُ لها جَزاءُ)

على أنَّه إذا خرج الظروف والأحوال عن الظرفية والحالية وجبَت الإضافة ولم يجز التركيب .

قال سيبويه : وأمَّا يومَ يومٍ ؛ وصباحَ مساءٍ ، وبيتَ بيتٍ ، وبينَ بينٍ ، فإن العرب تختلف فى ذلك ، يجعله بعضهم بمنزلة اسمٍ واحد ، وبعضهم يضيف الأول إلى الآخر ولا يجعله اسما [واحداً [2]] ، ولا يجعلون شيئا من هذه الأسماء بمنزلة اسمٍ واحد إلّا فى حال الحال والظرف ، كما لم يجعلوا يا ابن عمَّ ويا ابن أمَّ بمنزلة شئ واحد إلّا فى حال النداء . والآخِرُ من هذه الأسماء فى موضع جرٍّ ، وجُعل لفظه كلفظ الواحِدِ وهما اسمان أحدهما مضافٌ إلى ١٠٩

(١) فى كتابه ٢ : ٥٣ . وانظر الشذور ٧٦ والهمع ١ : ١٩٧ وديوان الفرزدق ٩ .

(٢) التكملة من سيبويه .

الآخر . وزعم يونس ، وهو رأيه ، أنَّ أبا عمرٍو كان يجعل لفظه كلفظه [١] ، إذا كان شيءٌ منه ظرفا أو حالا . وقال الفرزدق :

ولولا يومُ يومٍ ما أردنا .... البيت

فالأصل فى هذا والقياسُ الإضافة . انتهى .

قال الأعلم : الشاهد فيه إضافة يوم الأول إلى الثانى ، على حدِّ قولهم : معديكربٍ ، فيمن أضاف الأوّل إلى الثانى . يقول : لولا نصر مالكٍ فى اليوم الذى تعلم ما طلبنا جزاءك . وجَعل نصرَهُم له قرضاً يطالبونه بالجزاء عليه .

هذا كلامه ، ولم يشرح وجه الإضافة . وظاهرها إضافة المترادفين . وقد شرحها أبو على (فى التذكرة) قال : أما قوله حين لا حين ، فالثانى غير الأوّل ، لأنَّ الحين يقع على الجزء اليسير من الزمان ، فأضاف الحين الأوّل إلى الثانى ، ولا زائدةٌ ، فيكون من إضافة البعض إلى الكلِّ ، نحو حلقة فضةٍ ، وعيد السَّنة ، وسبْت الأُسبوع ، فلا يكون إضافةَ الشىءِ إلى نفسه . ومثله قولُ الفرزدق :

ولولا يوم يوم ما أردنا ... ... البيت

فيوم الأوَّل : وضح النهار ، والثانى البُرهة ، كالتى فى قوله : ﴿ ومَن يَولِّهم يَومئذٍ دُبُرَه [٢] ﴾ . وأنشدَ أبو عمرو :

حَبَّذا العَرْصاتُ يَوماً   فى ليالٍ مُقْمراتِ [٣]

فقال : « يوما فى ليالى » إرادةَ المدّةِ ، دون المعاقِب اللَّيل . انتهى .

---

(١) فى سيبويه : « كلفظ الواحد » .

(٢) الآية ١٦ من سورة الأنفال .

(٣) ط : « ليالى المقمرات » ، وأثبت ما فى ش .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثمانون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س [١] :

٤٨٥ (وجُنَّ الخازِبازِ بِه جُنونا)

على أنَّ لام التعريف إذا دخلت على اللغات المذكورة لخازباز لم تغيِّر ما كان مبنيا عن بنائه .

قال ابن برى (فى شرح أبيات إيضاح الفارسى) : بنى على الكسر كما تبنى الأصوات ، وفيه لغات . ولمَّا أرادُوا تعريفه أدخلوا أل عليه ؛ لأن المركب حكمه حكم المفرد فى ذلك ، نحو الخمسةَ عشرَ درهما . قال أبو على : وإنَّما جاز دخولُ أل عليه وإن كان الغالب عليه وقوعه صوتاً لأنَّهم أوقعوه على غير الأصوات فى نحو قوله :

يا خازبازِ أَرسل اللهازِما إنّى أخافُ أن تكون لازما

فقيل إنّه ورَم . وقد يجوز أن يشبَّه بباب العبَّاس ، لأن ما دخلته أل من ذلك كثير ، نحو :

* تداعين باسم الشِّيب [٢] *

وشِيب : حكاية صوت جَذب الماء ورَشْفِه عند الشُّرب . انتهى :

وصدره :

(تفقَّأُ فوقَه القَلَعُ السَّوارى)

---

(١) فى كتابه ٢ : ٥٢ . وانظر الحيوان ٣ : ٦/١٠٩ : ١٨٥ والإنصاف ٣١٣ وابن يعيش ٤ : ١٢١ وحماسة البحترى ١٩٠ والكامل ٣٠٠ واللآلئ ٥٩٣ .

(٢) هو الشاهد الثامن فى الخزانة ١ : ١٠٤ ، وهو بتمامه :

تداعين باسم الشيب فى متثلم جوانبه من بصرة وسلام

والبيت من قصيدةٍ لابن أحمر . وقبله :

(يظلُّ يَحُفُّهنَّ بِقفقفيه ويُلحفهنَّ هَفّافاً ثخينا [١]

بهجلٍ من قَساً ذفرِ الخُزامَى تهادَى الجِربياءُ به الحنينا

تفقَّأُ فوقه .... البيت)

يصف فى هذه الأبيات نعاماً . ويحُفُّهُنَّ أى يحفُّ بيضات . والقَفْقَفَانِ : الجناحان . والقفقف كجعفر ، بقافين بينهما فاءانِ . وجَناح هفَّاف ، أى خفيف الطيران . وجعله ثخيناً لتراكُبِ الريش عليه . أى يُلبِس بيضَه جناحيه ، ويَجعلهما للبيض كاللِّحاف ، وجناحه خفيف مع ثِخَنِهِ ١١٠ وكثرةِ ريشه ، لأنَّه لو كان ثقيلاً لكسر البيض .

وقوله : « بهجل من قَساً » إلخ الباء متعلقة بيُلحفهنَّ . والهَجْل ، بفتح الهاء وسكون الجيم : المطمئن من الأرض . والروض أحسن ما يكون فى مطمئن ، لأنَّ السُّيول تجتمع فيها . وقَساً ، بفتح القاف والسين المهملة : موضع . يريد أنَّ هذا الموضع أُدحيُّها ومحلُّ بيضها . وذَفِر صفة لَهجْل بفتح الذال المعجمة وكسر الفاء ، وصفٌ من الذَّفَر بفتحتين ، وهو كل ريح ذكيّة من طيب أو نتن . وأما الدَّفْر بالمهملة وسكون الفاء فهو النتن خاصة . والخُزامى بضم المعجمة : نبات طيِّب الريح . والجِربياء بكسر الجيم : ريح الشَّمال . وتَهادَى أى تتهادى ، أى تُهدى إليه الحَنين ، وهو الشَّوق وتَوَقَان النفس . وضمير به للهَجْل .

---

(١) هفاف وهفهاف : يطير مع الريح . والمراد الجناح . وفى اللسان : « هفهافا » .

وقوله : (تفقّأ فوقه) أى فوق الهَجْل . وتفقَّأُ أى تتفقأ ، فهو مضارع ، أى تنشقُّ السَّحائب فوق هذه الروضة التى فى هذا الهَجْل . وقال المرزوقى (فى شرح الفصيح) : يقال تفقّأ السحاب ، أى سال بالمطر . وأنشد البيت . وجملة تفقأ صفة أخرى من هَجْل أو حال منه . و (القَلَع) بفتح القاف واللام : جمع قَلَعة ، وهى القطعة العظيمة من السحاب . وقال ابن السكيت (فى إصلاح المنطق) : السحاب العظام . و (السوارى) : جمع سارية ، وهى السحابة التى تأتى ليلا . و (الخازباز) هنا : نبت . قال ابن السيرافى (فى شرح أبيات الإصلاح) : جنونه : طوله وسرعه نباته . وبه ، أى بهذا الهجل .

وكذلك قال قبله أبو حنيفة الدينَوَرى (فى كتاب النبات) : المجنون من الشجر كلِّه والعشبِ : ما طال طولا شديدا . وإذا كان كذلك قيل جُنَّ جنونا .

وأنشد هذا البيت . وقال فى ثلاثة مواضع أخر من كتابه : الخارباز من ذِبَّانِ العُشب . وأنشدُوا قولَ ابن أحمر فى صفة عشب :

* وجُنَّ الخازباز به جنونا *

يعنى فى هزجه وطَيرانه . وقال آخرون ، هو نبتٌ . وجنونه : طوله وسُموقه [1] . انتهى .

وفسره حمزة (فى أمثاله) بالذباب عند قوله : « الخازباز أَخْصَبُ [2] » ، قال : هو ذباب يطير فى الربيع ، يدلّ على خِصب السنة . وأنشد البيت .

---

(١) السموق : الارتفاع . ط : « وسمرته » ، صوابه فى ش .

(٢) أمثال حمزة ٢ : ٤٥٨ . وأورده الميدانى أيضا فى ١ : ٢٢٧ فى حرف الخاء .

وفَسَّره الزمخشرى أيضا (فى المفصل) بذباب العشب . ومَثَّل للعشب بقوله :

* والخازبازِ السَّنِمَ المَجُودا *

وهو من أرجوزةٍ أورد بعضَها ابنُ الأعرابى (فى نَوادره) ، وهو :

أرعيتها أطيَبَ عُودٍ عوداَ

الصِّلَّ والصِّفصِلَّ واليعضيدا

والخازباز الناعم الرَّغيدا (١)

والصِّلِّيانَ السَّنِمَ المَجودا

* بحيث يدعو عامر مسعودا (٢) *

فهذا صوابه .

وقد سبق الزمخشرىَّ ابنُ السكيت (فى إصلاح المنطق) . وهو مركب من بيتين كما ترى . وهذه أسماء نباتات . والسَّنِم بفتح السين وكسر النون : العالى . والمَجُودُ : الذى أصابه الجَوْد ، بالفتح ، وهو المطر القوىُّ . وعامر ومسعود : راعيان .

قال ابن السكيت : قوله : بحيث يدعو إلخ ، هذا بيتٌ يلقَى فيُسأل : لمَ يدعو أحدُهما الآخر ؟ فالجواب : إنّما قال هذا لكثرة النبت وطوله ، بحيث يوارى مسعوداً عن عامر ، فلا يعرف عامرٌ مكان مسعود ؛ فيدعوه ليعرفَ مكانه .

(١) ش : « الرعيدا » .

(٢) ط : « مسعود » ، صوابه فى ش .

وأطيب مفعول ثان . وروى بدله « أكرمَ » . وها : ضمير الإبل مفعول أول . ومن روَى « رعيتها » ، فأطيب حال وها ضمير البقعة وما بعده بدل من أطيبَ على الوجهين . وتسمية هذه النباتات عُوداً على اعتبار تسمية الغيث شجرة .

١١١

وابن أحمر شاعر إسلامى تقدمت ترجمته فى الشاهد الستين بعد الأربعمائة [١] .

* * *

(١) انظر هذا الجزء من الخزانة ص ٢٥٧ – ٢٥٨ . وهنا ينتهى الجزء الأول من مخطوطة الشنقيطى ذات الرمز (ش) . وكتب ناسخها :

تم الجزء الأول من خزانة الأدب بعون الله تعالى وتوفيقه على يد كاتبه أفقر الورى وأحوجهم إلى مولاه على بن محمد بن مصطفى الملقب بابن رجب وبابن الترجمان الجزائرى نشة (لعله يريد نشأة) المدنى دارا . غُفِر له ولوالديه وأشياخه وأحبائه والمسلمين أجمعين . وكان الفراغ من كتابته فى ضحوة يوم الاثنين المبارك خامس ربيع الأول الأنور من شهور سنة ١٢٨٩ كتبه لأخيه وحبيبه العالم الفاضل الورع العامل الأديب اللبيب الشيخ محمد محمود بن التلاميد التركزى حفظه الله تعالى وزاده رفعة وكمالا . آمين .

يتلوه فى أول الجزء الثانى الكنايات .

الكنايات

أنشد فيها ، وهو الشاهد السادس والثمانون بعد الأربعمائة [١] :

٤٨٦ (كأنَّ فَعْلَةَ لم تملأْ مَواكبُها

ديارَ بكر ولم تَخْلَعْ ولم تَهَبِ)

على أنّ (فَعْلة) كناية عن مَوزونِهِ مع اعتبار معناه ، وهو خَوْلة .

والبيت للمتنبِّى من قصيدةٍ رثى بها خَولة أختَ سيف الدولة الحمدانى ، صاحب الشاهد ولم يصرِّح بلفظها استعظاماً ، لكونها ملكة ، بل كنى عن اسمها بفعلة ، فلفظ فَعلة حكمها حُكم موزونها ، ممتنع من الصرف للعلمية والتأنيث ، فكذا فعلة ممتنع .

وقد أورده الشارح المحقق فى باب العلم أيضاً .

ومنه قول المتنبى أيضا :

يا وجهَ داهيةَ الذى لولاكَ ما

أكل الضَّنَى جسمى ورضَّ الأعظُما [٢]

قال ابن فورَّجة : داهية ليست باسم علم لمحبوبته ، ولكن كنى بها عن اسمها ، على سبيل التضجُّر ، لعظم ما حلّ به من بلائها ، أى إنَّها لم تكن إلا

(١) انظر ديوان المتنبى بشرح العكبرى ١ : ٥٩ .

(٢) فى الديوان ٢ : ٢٩٦ : « يا وجه داهية التى لولاك ما » .

داهية عليه . وزعم ابن جنى أنّ داهيةِ اسمُ التى شبَّبَ بها . ولم يُصِب الواحدى فى قوله : الوجه قول ابن جنى : فترك صرفها فى البيت ، ولو لم يكن علماً لكان الوجه صرفَها . ا هـ .

وقد نقل الشارح المحقق عن سيبويه أنّ حالَ كناية العلم فى الصَّرف ومنعِهِ ، كحال العلم . وبه يضمحلُّ قولُه : « ولو لم تكن علماً لكان الوجه صرفَها » .

أبيات الشاهد

وهذه أبياتٌ من أوَّل القصيدة :

(يا أختَ خير أخٍ يا بنت خير أبِ

كنايةً بهما عن أشرفِ النَّسبِ)

قال الواحدىّ : أراد يا أخت سيف الدولة ويا بنت أبى الهيجاء ، فكنى عن ذلك ، ونصب « كنايةً » على المصدر ، كأنَّه قال : كنَيتُ كناية .

(أُجِلُّ قَدركِ أن تُسمَىْ مؤبَّنةً

ومن يَصِفْكِ فقد سمّاكِ للعربِ)

مؤبنة : مرثيَّة ، من التأبين وهو مدح الميت . وتُسْمَىْ بمعنى تُعرَّفى . أى أنت أجلُّ من أن تعرَّفى باسمك ، بل وصفُك يعرِّفك بما فيك من المحاسن والمحامد التى ليست فى غيرك ، كما قال أبو نواس :

فهى إذا سمِّيت فقد وُصِفتْ

فيجمع الِاسمُ معنيين معا

إلى أن قال :

(طوَى الجزيرةَ حتى جاءنى خبرٌ

فزِعتُ فيه بآمالى إلى الكذِبِ)

يريد خبر نعيها ، وأنّه رجا أن يَكون كذبا ، وتعلَّل بهذا الرجاء .

والجزيرة : مدينة على شطّ دِجلة بين الموصل ومَيّافارِقين . يقول : جاءَنى خبر موتها من الشام ، وقطعَ الجزيرةَ حتى وصل إلىَّ ، فلما سمعت التجأت إلى التعلُّل بالآمالى ، فقلت : لعلَّه يكون كذبا . فلم ينفَعْنى ذلك .   ١١٢

(حتَّى إذا لم يدعْ لى صِدقُه أملاً

شَرِقتُ بالدَّمع حتى كاد يَشرَقُ بى)

يقول : حتى إذا صحَّ الخبر ولم يبق لى أملٌ فى كونه كذبا ، شرقت بالدمع لغلبة البكاء إياى ، حتى كاد الدمع يَشرَق بى ، أى كثرت الدموع حتى صرت بالإضافة إليها لقلّتى كالشئ الذى يُشرق به .

والشَّرَق بالدمع : أن يقطع الانتحاب نَفَسَه فيجعله فى مثل حال الشرِق بالشَّئ . والمعنى : كاد الدمع لإحاطته بى أن يكون كأنّه شرِقٌ بى .

(تعثّرتْ بهِ فى الأفواهِ ألسُنها

والبُرْدُ فى الطُّرْق والأقلامُ فى الكتبِ)

أورده الشارح المحقق فى باب الوقف من شرح الشافية قال : إنْ كان قبل الهاء متحركٌ نحو : به وغلامه ، فلابدَّ من الصلة ، إلا أن يُضْطَرَّ شاعر فيحذفها ، كقول المتنبى : ..... وأنشد البيت .

قال الواحدى : أى لهول ذلك الخبر لم تقدر الألسنُ فى الأفواه أن تنطق به ، ولا البريدُ فى الطريق أن يحمِله ، ولا الأقلامُ أن تكتبه .

ولم يلحق الياء فى الهاء من به واكتفى بالكسرة ضرورة .

وقد جاء عن العرب ما هو أشدُّ من هذا ، كقول الشاعر :

وأشرب الماءَ ما بى نحوه عطشٌ
إلّا لأنَّ عيونَهْ سيلُ واديِها[(١)]

وهذا كقراءة من قرأ : ﴿ لا يؤَدِّهْ إليك [(٢)] ﴾ ، بسكون الهاء .

ويروى : « تعثَّرت بكَ » يخاطب الخبر ، وترك لفظ الغيبة . كذا فى شرح الواحدى . وقال المعرّىّ : يريد أنَّ هذا الخبر نبأٌ عظيم لا تجترئُ الأفواه على النطق به . وهذا قد يجوز أن يكون صحيحاً ، لأنَّ الإنسان ربما هاب الإخبار بالشئ لعظمِهِ فى نفسه ، وكذلك الكاتب الذى يكتب بالخبر الشنيع ، ربما يعثر قلمُه هيبةً للأمر الذى دخل فيه ، وإنما التعثر للكاتب .

وأما إذا ادَّعى التعثُّر من البُرد فكذب لا محالة ، لأنَّ البريد لا يشعُر بالخبر .

وقد ذكر فى موضع آخر ما يدلُّ على أنَّ حامل الكتاب الذى لا يُشعَر ما فيه غير شاقٍّ عليه حمله فكيف بالدابة التى لا يُحكم عليها بالعقل . وذلك قوله لعضد الدولة :

حاشاكَ أن تضعُفَ عن حمل ما   تحمَّل السائرُ فى كُتْبه [(٣)]

---

(١) من شواهد المحتسب ١ : ٢٤٤ والخصائص ١ : ٣٧١/ ٢ : ١٨

(٢) الآية ٧٥ من آل عمران . وهذه قراءة أبى عمرو وهشام وطائفة . إتحاف فضلاء البشر ١٧٦ .

(٣) ديوان المتنبى ١ : ١٣٦ .

وقال المبارك بن أحمد المستوفى (فى كتاب النظام) : لا فرق بين تعثُّر القلمِ وتعثُّرِ البريد ، لأنّ نسبة ذلك إليهما محال . وإذا اعتُذِرَ فى القلم بتعثر الكاتب فهلاَّ اعتذِر فى البريد بتعثر أصحابه ، لأنّ كلاًّ من الأقلام والبُرد لا يشعرُ بالخبر .

(كأنَّ فَعْلَةَ لم تَملأْ مواكبُها
ديارَ بكر ولم تَخلَعْ ولم تَهَبِ)

قال ابن جنى : كنى بفَعلة عن اسمها ، واسمُها خَوْلة . قال أبو العلاء : وهذا تقويةٌ لقوله :

* أُجِلُّ قدركِ أن تُسْمَىْ مؤبَّنة *

قال الواحدى : يذكر مساعيَها أيام حياتها ، يقول : كأنّها لم تفعل شيئاً مما ذكر ، لأن ذلك انطوى بموتها . وقال ابن المستوفى (فى النظام) : زعم أبو البقاء أنَّ المعنى : أنها كانت تجهز الجيوش إلى ديار بكر للجهاد . وليس كذلك ، لأن الموكب الجماعةُ يركبون للزِّينة والفرجة . قال الجوهرى : الموكِب بابةٌ من السَّير [1] . والموكب : القوم الركوب على الإبل للزينة ، وكذلك جماعة الفرسان . وفى قول أبى الطيب « ديار بكر » دليلٌ على ما ذكرته ؛ لأنه لو أراد ما ذكره أبو البقاء كان قد قصَرَ جهادها على موضع مخصوص ، وهذا فيه ١١٣

(١) فى النسختين : « بابه السير » ، صوابه من الصحاح واللسان (وكب) ، أى نوع من السير .

نقصٌ من المدح . وعلى أنّ ديار بكر كان لسيف الدولة معظمُها ، فكيف تجهّز جيشاً إلى بلاد أخيها .

وترجمة المتنبى قد تقدمت فى الشاهد الواحد والأربعين بعد المائة [1] :

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثمانون بعد الأربعمائة [2] :

٤٨٧ (اكفُفِ اكفُفْ)

هو قطعة من بيت ثان من أحجيَّة للحريرى (فى مقاماته) ، وهما :

يامن تُقصِّر عن مَدا
هُ خُطَا مُجارِيهِ وتَضعُفْ [3]
ما مثلُ قولك للذى
أضحَى يحاجيك : اكفِفِ اكففْ

على أنَّ المراد بهذين اللفظين المكرَّرين بطريق الإلغاز والتعمية : مهمه ، وهو القفر . فإنَّ اكفف يرادفه « مَهْ » ، ومكرره « مَهْمه » ، فمجموع اكفف اكفف كنايةٌ عن : مهمه . وهذا تعمية وإلغاز .

والمعمَّى واللُّغز فى اللغة كلاهما بمعنى واحد ، وهو الشئ المستور . وبينَهما فرقٌ عند علماء الأدب . فالمعمَّى كما قال القطب (فى رسالة المعمَّى) المُسماة (بكَنز الأسما ، فى كشف المعمَّى) : هو قولٌ يستخرج منه كلمة

---

(١) الخزانة ١ : ٣٤٧ – ٣٦٣ .

(٢) مقامات الحريرى ٣٩٦ . انظر المقامة الملطية .

(٣) فى النسختين : « يقصر » بالياء ، والوجه ما أثبت ليتساوق الفعلان .

فأَكَثَرُ بطريق الرمز والإيماء ، بحيث يقبله الذوق السليم . واللغز : ذكر أوصاف مخصوصة بموصوف ليُنتقَل إليه ، وذلك بعبارة يدلُّ ظاهرها على غيره وباطنُها عليه .

قال القطب فى (رسالته) : قد فرقوا بينهما بأنَّ الكلام إذا دلّ على اسم شئ من الأشياء بذكر صفاتٍ له تميِّزه عمّا عداه كان لغزاً . وإذا دلَّ على اسم خاص بملاحظةِ كونه لفظاً بدلالة مرموزةٍ سمِّى ذلك معَمًّى . فالكلام الدالُّ على بعض الأسماء يكون معمى من حيث إنَّ مدلوله اسم من الأسماء بملاحظة الرمز [١] على حروفه ، ولغزا من حيث إنّ مدلوله ذاتٌ من الذوات بملاحظة أوصافها . فعلى هذا يكون قول القائل فى كَمُّون :

يا أيُّها العطَّارُ أعرِبْ لنا
عن اسم شئٍ قلَّ فى سومِكا [٢]
تنظره بالعَين فى يقظةٍ
كما ترى بالقلبَ فى نومِكا

يصلح أن يكون لغزاً بملاحظِة دلالته على صفات الكمُّون ، ويصلح أن يكون فى اصطلاحهم معمًّى باعتبار دلالته على اسم بطريق الرَّمْز . انتهى .

ويقال للمعمَّى فى اللغة أحجيَّة أيضاً ، وهى فى اصطلاح أهل الأدب نوعٌ منه . وقد نظم الحريرى (فى المقامة السادسة والثلاثين [٣]) عشرين أُحجيَّة ، وهو أوَّل من اخترعها وسماها أحجيَّة . وقال : « وضع الأحجيَّة ،

(١) ش : « بملاحظة من الرمز » .

(٢) رسمت فى ش : « سومك » ، وفى البيت التالى : « نومك » .

(٣) هى المقامة الملطية التى أشرت إليها فيما سبق .

لامتحان الألمعيَّة (١) ، واستخراجِ الخبيئة الخفيَّة . وشرطها أن تكون ذات مماثلةٍ
١١٤ حقيقية ، وألفاظ معنوية ، ولطيفةٍ أدبية . فمتى نافت هذا النمط (٢) ، ضاهت السَّقَط ، ولم تدخُل السَّفَط » .

ومن أحاجيه قوله فى (ها ، دِيَةٌ) :

أيا مُستَنْبِط الغامـ ـض من لُغز وإضمارِ
ألا اكشِفْ لىَ مامثلُ تناوَلْ ألفَ دينارِ

وقد تلاه من جاء بعده فنظم فى هذا الأسلوب ما راق وسحَر الألباب ، وشاق الأفهام لدرْكها من كلِّ باب .

والأحجيَّة فى الحقيقة من قسم الترادف والتحليل ، وهما من أعمال فن المعمى . فالأحجية نوعٌ من المعمَّى ، وهو فن استنبطه أدباء العجم ، أسَّسُوا له قواعد ، وعقدُوا لهُ معاقد ، حتى صار فنًّا متميزاً من سائر الفنون .

وأوَّل من دوَّنه المولى شرف الدين على اليزيدى (٣) مؤرخ (الفتوحات التيموريَّة) باللغة الفارسية . وكان شاعراً فصيحاً ، وناثرا بليغاً فى اللسانين ، وتوفى سنة ثلاثين وثمانمائة .

قال القطب : وما زال فضلاءُ العجم يقتفون أثره ، ويوسِّعون دائرة الفن ويتعمَّقون فيه ، إلى أنْ ألف فيه المولى نور الدين عبد الرحمن الجامى صاحب

---

(١) نص الحريرى : « اعلموا يا ذوى الشَّمائل الأدبية ، والشمول الذهبية ، أن وضع الأحجية ، لامتحان الألمعية » ... إلخ .

(٢) نافته ، من المنافاة والمخالفة .

(٣) فى حواشى ط : « قوله اليزيدى ، صوابه اليزدى. اهـ من هامش الأصل » .

شرح الكافية ، عشر مسائل قد دوِّنت وشُرحت . وكثر فيها التصنيف إلى أن نبغ فى عصره المولى مير حسين النيسابورى ، فأتى فيه بالسحر الحلال ، وفاق فيه لتعمقه ودقة نظره سائر الأقران فى الأمثال . كتب فيه رسالة تكاد تبلغ حد الإعجاز ، أتى فيها بغرائبِ التعمية والإلغاز ، حتى إن المولى عبد الرحمن الجامى مع جلالة قدره قال : لو اطلعتُ عليها قبل الآن ما ألَّفت شيئاً فى علم المعمى .

وارتفع شأن مولانا مير حسين بسبب علم المعمّى مع تعمقه فى سائر العقليات ، فصار ملوك خراسان وأعيانها يرسلون أولادهم إليه ، ليقرءُوا رسالته عليه ؛ إلى أن توفى فى عام اثنى عشر وتسعمائة بعد وفاة الجامى بأربعة عشر عاماً .

وظهر بعدهما فائقون فى المعمَّى فى كل قطر ، بحيث لو جُمعت تراجمهم لزادت على مجلد كبير .

ثم قال القطب : وأنت إذا تصفَّحت كتبَ الأدب ، وتتبَّعت دواوين شعراء العرب ظَفِرتَ من كلامهم بكثيرٍ مما يصدُق عليه تعريف المعمَّى ، لكنَّهم نظموه فى قالَب اللّغز يُستخرج منه الاسم الذى ألغزوه بطريق الإيماء ، ووجدت كثيراً من أعمال المعمَّى فى غضون ألغازهم . فليس العجمُ أبا عذرة هذا الفنّ ، ولكنهم دوَّنُوهُ ورتَّبوه .

ورأيت كثيراً من ألغاز شرف الدين بن الفارض يصدُق عليه تعريف المعمّى فى اصطلاح العجم . ويقرب من ذلك قول القائل فى « بَخْتيار » :

وأهيفَ معشوق الدلال ممنَّعٍ

يمزِّقنى فى الحبِّ كلَّ ممزَّقِ

فلو أن لى نصفَ اسمه رَقّ وارعوى
أو العكسُ من باقيه لم أتَعشّقِ

إلى أن قال : وأعمال المعمى ثلاثة :

الأول العمل التحصيلى ، وهو ما يتحصَّل به حروف الكلمة المطلوبة .

والثانى العمل التكميلى ، وهو ما بسببه تتكمَّل الحروف الحاصلة وتترتب . وهذا بمنزلة الصورة ، والأول بمنزلة المادة .

والثالث العمل التسهيلى ، وهو الذى يسهِّل أحد العملين السابقين . وتحت كلِّ نوع من هذه الأعمال أنواعٌ متعددة . انتهى .

قلت : وأوّلُ من دوَّن فى المعمى فى اللغة العربية وترجَمه بالطريقة العجمية ، العالم الفاضل قطب الدين المكى الحنفى ، فى رسالة سمَّاها (كنز الأسما ، فى كشف المعمَّى) . ١١٥

وتلاه تلميذه عبد المعين بن أحمد ، الشهير بابن البكَّاء البلخى الحنفى ، وألف رسالة سماها (الطراز الأسمى ، على كنز الأسما) .

وأما التأليف فى الألغاز والأحاجى فقد صنَّف فيه جماعة عديدة ، لهم فيها كتب مفيدة ، وتصانيف سديدة ، أجلُّها علما وأعظمها حجما ، كتاب (الإعجاز ، فى الأحاجى والألغاز) تأليف أبى المعالى سَعد الورَّاق الحَظِيرى (١) وهو كتاب تكِلُّ عن وصفه الألسن ، جمع فيه ما تشتهيه

---

(١) فى كشف الظنون : « إعجاز فى الأحاجى والألغاز للشيخ أبى المعالى سعد بن على الوراق الخطيرى المتوفى سنة ٥٦٨ . ولصائن الدين الحنبلى » .

قلت : صوابه « الحظيرى » بالحاء المهملة بعدها ظاء معجمة ، كما فى النجوم الزاهرة ٦ : ٦٨ واسمه فيها : سعد الدين بن على . قال ابن تغرى بردى : كان شاعرا فاضلا . والحظيرة : قرية فوق بغداد ، وهى بفتح الحاء المهملة وكسر الظاء المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء » . وسيأتى هذا الضبط فى نهاية الكلام على الشاهد .

الأنفس ، وتلذُّ فيه الأعين [١] ذكر فى أوله اشتقاق المعمى واللغْز والأحجيَّة ، والفرق بينها وبين ما شاكلها ، فلا بأس بإيراده هنا ، فإنّه قلما يوجَدُ فى كتاب على أسلوبه .

قال فى الجمهرة : الحِجَا : العَقْل . والحُجَيَّا من قولهم : حُجيَّاك ما كذا وكذا ؟ وهى لُعبةٌ وأغلوطة يتعاطاها الناس بينهم ، نحو قولهم : أحاجيك ما ذُو ثلاثِ آذان ، يسبق الخيل بالرّدَيان ؟ يعنُون السهم وما أشبه ذلك .

وقال أيضا : اللُغز : مَيْلُكَ بالشئ عن جهته ، وبه سمِّى اللغز من الشِّعر ، كأنَّه عُمِّى عن جهته . واللُّغيزَاءُ بالمد : أن يحفِر اليربوع ثم يميلَ فى بعض حُفَر ليعمّىَ على طالبه . والألغاز : طرقٌ تلتوى وتُشكِل على سالكها ، والواحد لغز . وقال الأزهرى : قال الليث : اللغز : ما ألغزت من كلام فشبَّهت معناه ، مثل قول الشاعر ، أنشده الفراء :

ولمَّا رأيتُ النَّسرَ عزَّ ابن دأيةٍ
وعشَّش فى وكريه جاشَتْ له نفسى [٢]

أراد به الشَّيْب ، شبَّهه به لبياضه ، وشبَّه الشباب بابن دأْية ، وهو الغراب الأسود ، لأنَّ شعر الشباب أسْود .

قال : وأخبرنى المنذرى عن أبى الهيثم أنه قال : اللُّغُز بضمتين واللُّغْز بالسكون ، واللُّغَيزاء . والألغاز : حفرٌ يحفرها اليربوع فى جُحرهِ تحتَ الأرض . يقال ألغز اليربوع إلغازاً . فيحفر فى جانبٍ منه طريقا ويحفر فى الجانب الآخر

(١) فيه الأعين ، كذا فى النسختين .
(٢) اللسان (دأى ٢٧٢) .

طريقاً ، وكذلك فى الجانب الثالث والرابع ، فإذا طلبه البدوىُّ بعصاه من جانبٍ نفَق من الجانب الآخر .

والأحاجىُّ : جمع أحجيّة ، أفعولة من الحِجا وهو العقل ، أى مسألة تستخرَج بالعقل . وقال الأزهرى : قال الليث : تقول حاجيته فحجوته ، إذا أتت عليه كلمةٌ مخالفة المعنى للَّفظ . والجوارى يتحاجين الحُجيًّا ، تصغير الحَجْوَى . وتقول الجارية للأخرى : حُجَيّاكِ ماكان كذا وكذا ؟ والأُحجيَّة : اسم المحاجاة ، وفى لغةٍ : أُحجوّة ، والياء أحسن . والحَجوى : اسمٌ أيضا للمحاجاة .

والمعمَّى : المغطَّى . قال الأزهرى : التعمية : أن يعمى الإنسانَ (١) فيلبّسه عليه تلبيسا . والأَعماءُ : جمع عمًى ، وأنشدونا :

* وبلدة عاميةٍ أعماؤه (٢) *

أى دارِسة . وأعماؤه : مجاهله ، يقال بلد عَمًى لايُهتدى فيه ، لأنّه لا أعلام له يُهتَدى بها (٣) : والمعامى هى الأراضى المجهولة . وقال الليث : العمى : ذهاب البصر من العينين كلتيهما ، والفعل منه عمِىَ يعمَى عَمًى . وقال مجاهد فى قوله تعالى : ﴿ قال ربِّ لِمَ حَشَرتَنى أَعْمَى وقد كنتُ بَصيراً (٤) ﴾ قال : أعمى عن الحجة وقد كنت بصيراً بها . وقال ابن عرفة (٥) : يقال عمىَ عن رُشده وعمىَ عليه طريقُه ؛ إذا لم يهتد إليه . وروى

---

(١) الذى فى التهذيب ٣ : ٢٤٧ : « والتعمية أن تعمى على إنسان شيئا فتلبسه عليه تلبيسا » .

(٢) الشطر لرؤبة فى ديوانه ٣ وبعده :

* كأن لون أرضه سماؤه *

(٣) فى ش : « لا أعلام له تهدى » . والذى فى التهذيب : « بلد مجهل وعمى لا يهتدى فيه » .

(٤) الآية ١٢٥ من سورة طه .

(٥) فى التهذيب ٣ : ٢٤٤ : « وقال نفطويه » ، ونفطويه هو إبراهيم بن عرفة .

أبو عبيد فى حديث النبى ﷺ أنّ أَبا رزِين العُقيلى قال له : أين كان ربُّنا قبل أن خَلَق [١] السموات والأرض ؟ قال : « كان فى عَمَاءٍ تحتَه هواء » . وقال ١١٦
أبو عبيدٍ : العماء فى كلام العرب السحاب ، وهو ممدود . قال أبو عُبيد : وإنّما تأوّلنا هذا الحديث على كلام العرب المنقول عنهم ، ولا يدرى كيف كان ذلك العماء . قال : وأمَّا العَمَى فى البصر فمقصور ، وليس هو من هذا الحديث فى شئ .

قال الأَزهرى : وبلغنى عن أبى الهيثم [٣] فى تفسير هذا الحديث أنه « فى عَمًّى » مقصور ، قال : وكل أمر لا تدركه القلوب بالعقول فهو عمىً . والمعنى أنَّه تبارك وتعالى كان حيث لا تدركه عقولُ بنى آدم ، ولا يبلغ كنهَه الوصفُ ، ولا تُدركُه الفطن .

ثم قال [٤] بعد كلامٍ طويل :

(فصل) فى ذكر أسماء هذا الفن وعَودها إلى معني واحد . هذا الفنّ وأشباهه يسمَّى المعاياة ، والعويص ، واللغز ، والرمز ، والمحاجاة ، وأبيات المعانى ، والملاحن ، والمرموس ، والتأويل ، والكناية ، والتعريض ، والإشارة ، والتوجيه ؛ والمعمَّى ، والممثَّل .

والمعنى فى الجميع واحد ، وإنَّما اختلفت أَسماؤه بحسب اختلاف وجوه اعتباراته ، فإنَّك إذا اعتبرته من حيث هو مغَطًّى عنك سمَّيته معمًّى ؛ مأخوذ

---

(١) فى التهذيب ٣ : ٢٤٦ : « قبل أن يخلق » .

(٢) بعده فى التهذيب : « وفوقه هواء » .

(٣) فى النسختين : « الهيثم » ، صوابه فى التهذيب .

(٤) يعنى الحظيرى صاحب كتاب الإعجاز .

من لفظ العَمى ، وهو تغطية البصر عن إدراك المعقول . وكلّ شئ تَغطّى عنك فهو عَمىً عليك .

وإذا اعتبرته من حيث أنَّه سِتُر عنك ورُمس سَمَّيته مرموساً ، مأخوذ من الرمس وهو القبر ، كأنّه قُبر ودفن ليخفى مكانه على مُلتمسِه . وقد صنَّف بعض الناس فى هذا كتابا وسماه (كتاب المرموس) ، وأكثره ركيك عامّىّ .

وإذا اعتبرته من حيث أنَّ معناه ، يؤُول إليك أى يرجع ، أو يؤول إلى أصل سمَّيته مؤوّلا ، وسمَّيت فعلك تأويلا . وأكثر ما يختص هذا بالآيات والأخبار . والتفسير يختص باللفظ ، والتأويل بالمعنى .

وإذا اعتبرته من حيث صعوبة فهمه واعتياصُ استخراجه سميته عويصاً . وهذا يختص بمشكل كلِّ علم ، يقال منه مسألة عويصة ، وعلم عويص .

وإذا اعتبرته من حيث أنَّ غيرك حاجاكَ به ، أى استخرج مقدار حِجاك وهو عقلك ، أو مقدار رَيْثك فى استخراجه ، مشتقًّا من الحجو وهو الوقوف واللَّبْث ، سمَّيته محاجاة ، ومسائله أحاجٍ [1] واحدُها أُحجيّة وحُجيّا . وهذا أيضاً لا يختصُّ بفن واحد من العلوم ، وإن كان الحريرى صاحب المقاماتِ قد أفرد له باباً .

واذا اعتبرته من حيث أنَّه قد عُمِل له وجوهٌ وأبواب مشتبهة سمَّيته لُغزاً وسميت فعلك له إلغازاً ، مأخوذ من لُغز اليربوع .

وإذا اعتبرته من حيث أنّ واضعه كان يعاييك ، أى يظهر إعياءك ،

---

(١) ش : « أحاجى » .

وهو التعب فيه ، سمَّيته معاياة . وقد صنف الفقهاء فى هذا الفن كتباً وسموها كتب المعاياة . ولغيرهم من أرباب العلوم مصنفات .

وإذا اعتبرته من حيث أنَّ واضعه لم يفصح به قلت : رمْز ، والشئ مرموز ، والفعل رَمز .

وقريب منه الإشارة .

وإذا اعتبرته من حيث استخراجُ كثرة معانِيه فى الشعر سمَّيته أبيات المعانى ، وكتب المعانى . وهذا يخصُّ الأدبَ والشّعر .

وإذا اعتبرته من حيث هو ذو وجوه سمَّيته الموجَّه ، وسمَّيت فعله التوجيه . وذلك مثل قول محمد بن حكينا [1] ، وقد كان أمين الدولة أبو الحسن بن صاعد الطبيب قاطعَه ثم استماله ، وكان ابن حكينا قد أضرَّ بصرُه وافتقر ، فكتب إليه :

وإذا شئت أن تُصالحَ بَشَّا ١١٧

رَ بنَ بُردٍ فاطرحْ عليه أبَاه

فنفَّذ إليه بُرداً واسترضاه ، فاصطلحا . وهذا أحسن ما سمعتُ فى التوجيه .

قوله : بشار بن برد ، أى أعمى . فاطرحْ عليه أباه ، هذه لفظةٌ بغداديَّة ، يقال لمن يريد أن يصالح : اطرح عليه فلانا ، أى احِمْله إليه ليشفع لك .

ولم يَتّفق لأحدٍ فى التوجيه أحسن من هذا .

---

(١) وكذا فى كتاب الفلاكة والمفلوكون ١٨١ قال : « ابن حكينا المعروف بالبرغوث الشاعر » . لكن فى ترجمة الحريرى فى معجم الأدباء ١٦ : ٢٦٦ وابن خلكان ١ : ٤٢٠ : « ابن جكينا » بالجيم . وسماه ابن خلكان « أبو محمد بن أحمد الحريمى البغدادى » .

وإذا اعتبرته من حيث أنَّ قائله لم يصرِّح بغرضه سمَّيته تعريضا وكناية . وأكثر أرباب الحياء من الناس مضطرٌّ إلى مثله .

وإذا اعتبرتَه من حيث أنَّ قائله يوهمك شيئاً ويريد غيره ، سمَّيته لحنا ، وسمَّيت مسائله الملاحن . وقد صنف الناس فى هذا الفن كتبا ، كالملاحن لابن دريد ، والمنقِذ للمفَجَّع [1] ، والحيَل فى الفقه وغيره . فاعرف ذلك .

الحريرى صاحب المقامات

والحريرى هو أبو محمد القاسم بن على بن محمد بن عثمان الحريريُّ البصريّ صاحب المقامات . كان أحدَ أئمَّة عصرِه ، ورُزق السعادةَ والحُظوةَ التامَّة فى عمل المقامات ، واشتملت على شَيءٍ كثير من كلام العرب من لغاتها وأمثالها ، ورموز أسرار كلامها . ومَنْ عرفَها حقَّ معرفتها استدلَّ بها على فضله وكثرةِ اطِّلاعه ، وغزارة مادته .

رُوى أنَّ الزمخشريَّ لما وقَف عليها استحسنها ، وكتب على ظهرِ نسخةٍ منها :

أُقسِمُ باللهِ وآياتــه ومَشعَر الحجِّ وميقاتِهِ
أنَّ الحريريَّ حريٌّ بأنْ نَكْتُبَ بالتبر مقاماتِه

ثم صنع الزمخشريُّ المقامات المنسوبةَ إليه ، وهى قليلة بالنسبة إليها ، وشرحَها أيضا ، وصَنع فى إثرها (نوابغَ الكلم) .

---

(١) المفجع هذا هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله الكاتب البصرى . لقى ثعلبا وأخذ عنه ، وكان بينه وبين أبى بكر بن دريد مهاجاة . وسرد له ابن النديم فى الفهرست ١٢٣ كتبا كثيرة . وقال ياقوت فى معجم الأدباء ١٧ : ١٩٤ : « وله أيضا كتاب المنقذ فى الأيمان ، يشبه الملاحن لابن دريد ، إلا أنه أكبر منه وأجود وأتقن » . ط : « للمنتجع » ش : « للمجتمع » ، والصواب ما أثبت . وليس هذا المنتجع من المؤلفين بل هو أحد الأعراب الذين أخذت عنهم اللغة .

وقد اعتنى بشرح المقامات أفاضلُ العلماء شروحاً متنوِّعة تفوت الحصر والعدّ .

وله أيضاً (دُرَّةُ الغواص) ، وله أيضا شروحٌ كثيرة قد اجتمع منها عندى خمسة شروح .

وله أيضا (مُلحة الإعراب) فى النحو ؛ وشرحها أيضا .

وهو عند العلماءِ يعدُّ ضعيفاً فى النحو . وله ديوانُ رسائلَ وشعر كثير . وله قصائد استعمل فيها التجنيسَ كثيراً .

ويحكى أنّه كان دَميماً قبيحَ المنظر ، فجاءه شخصٌ غريب ليأخذَ عنه ، فلما رآه استزرى شكله ، ففهم الحريريُّ ذلك منه ، فلما التمس منه أن يملىَ عليه قال له : اكتب :

ما أنتَ أوّلُ سارٍ غرَّهُ قمَرٌ
ورائِدٍ أعجبته خُضرةُ الدِّمَنِ

فاختَرْ لنفسك غيرى ؛ إنَّنِي رجلٌ
مثلُ المُعَيدىِّ فاسمعْ بى ولا ترنى

فخجل الرجلُ وانصرف عنه .

وكانت ولادته سنةَ ستٍّ وأربعين وأربعمائة ، وتوفِّى فى سنة ست عشرة وخمسمائة بالبصرة .

والحريرى نسبتُه إلى الحرير وعملِه ، أو بيعِه . وكان يزعم أنّه من ربيعِة الفَرَس ، وكان مولعا بنتف لحيته عند الفِكرة ، وكان يسكن فى مَشَان البصرة ، بفتح الميم والشين المعجمة ، وهى بُليدة فوق البصرة كثيرة النخل ، موصوفة

بشدَّة الوخَم ، وكان أصله منها ، يقال إنّه كان له بها ثمانية عشر [١] ألف نخلة وإنه كان من ذوى اليسار .

ولمَّا اشتهرت المقامات استدعاهُ من البصرة إلى بغداد وزيرُ المسترشِد جلالُ الدين عميد الدولة ، أبو الحسن بن صدقة [٢] ، وسأله عن صناعته فقال : أنا رجلٌ منشئ . فاقترح عليه إنشاء رسالة فى واقعةٍ عيَّنها ، فانفرد فى ناحية من الديوان ، ومكث زمانا طويلا فلم يفتح الله عليه بشئ ، فقام وهو خجلان . فعمل هذين البيتين فيه أبو محمد المعروف بابن حكينا [٣] الشاعر البغدادى : ١١٨

شيخٌ لنا من ربيعِة الفرسِ
ينتِفُ عُثنونه من الهوَسِ
أنطقه الله بالمَشانَ كما
رماه وسْطَ الدّيوان بالخرَسِ [٤]

سعد الوراق الحظيرى

وأما سعد الوراق ، فهو أبو المعالى سعد بن على بن القاسم الأنصارى الخزرجى الورّاق الحظيرىُّ البغدادى ، المعروف بدلّال الكتب . كان له نَظْمٌ جيد ، وألَّفَ مجاميع ، منها كتاب (زينة الدهر ، وعُصْرَة أهل العصر) ، وهو ذيلٌ على (دمية القصر للباخرزى) . وله كِتَابٌ سمَّاه (ملح الملح [٥])

---

(١) هذا الصواب من ش . وفى ط : « ثمان عشرة » . والألف مذكر .

(٢) فى الوفيات ١ : ٤٢٠ : « جمال الدين عميد الدولة أبى على الحسَن بن أبى العز على بن صدقة ، وزير المسترشد » . والمسترشد هو الفضل بن أحمد المستظهر بالله بن المقتدر بالله العباسى ، كانت حياته بين سنتى ٤٨٥ — ٥٢٩ .

(٣) انظر ما سبق فى حواشى ص ٤٦١ .

(٤) فى معجم الأدباء ١٦ : ٢٦٦ وكتاب الفلاكة ١١٨ : « بالمشان وقد ألجمه فى العراق بالخرَس » .

(٥) فى الوفيات ١ : ٢٠٣ : « لمح الملح » .

يدلُّ على كثرة اطِّلاعه . وله (كتاب الألغاز) المذكور . وله شعرٌ جيدّ منه :

ومعـــذَّرٍ في خدِّه ... وردٌ وفي فيه مُدامْ

ما لانَ لى حَتَّى تغَـ ... شَّى صُبْحَ سالِفِه ظلامْ

كالمُهر يجمَحُ تحت را ... كبه ويَعطفه اللِّجـام

وله أيضا :

أحدقَتْ ظُلمةُ العذار بخدَّيـ ... ـهِ فزادت فى حُبِّهِ حسَراتِى

قُلت : ماء الحياة فى فمه العذ ... بِ ، دَعُونى أخوضُ فى الظُّلماتِ

وله كلُّ معنى مليح ، مع جودة السبك .

وتوفى فى يوم الاثنين الخامس والعشرين من صفر سنة ثمان وستين وخمسمائة ببغداد .

والحظيرىّ ، بفتح الحاء المهملة وكسر الظاء المعجمة : نسبة إلى موضع فوق بغداد ، يقال له الحظيرة ، ينسب إليه كثير من العلماء . والثيابُ الحظيريَّة منسوبةٌ إليه أيضا .

ولخَّصت هاتين الترجمتين من الوفيات لابن خَلّكان .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثمانون بعد الأربعمائة [١] :

٤٨٨ (وإنِّى لأكنُو عن قَذورَ بغيرها

وأُعرِبُ أحياناً بها فأصارحُ)

على أنّه يقال كنوت ، كما يقال كنيت .

---

(١) إصلاح المنطق ١٥٧ واللسان (قذر ، كنى) .

وأورده يعقوب بن السكيت (فى باب ما يقال بالياء والواو من إصلاح المنطق) قال : ويقال كنيته وكنوتُه . وأنشد أبو زِيَاد :

* وإنِّى لَأُكْنُو عن قذور * البيت

قال شارح أبياته ابن السيرافى : قذور : امرأة . يقول : أذكرها فى بعض الأوقات باسم غيرها ، وأصرِّح باسمها فى وقت آخر وأعْرِبُ وأبَيِّن . يقال أعرب عن الشئ يعرب إعرابا ، إذا بَيَّنَه . و (أصارح) : أُظهر ولا أستر . انتهى .

وقال ابن دريد : ناقة قذور : عزيزة النَّفس لا ترعى مع الإبل ولا تبرك معها . انتهى .

فيكون اسم المرأة منقولاً من هذا .

أبو زياد الأعرابى

وأبو زياد هو صاحب النوادر المشهورة ، أنشد ذلك البيت فى نوادره ولم يعزُه لأَحد .

وهو يزيد بن عبد الله بن الحُرّ بن هَمّام بن دهر بن ربيعة بن عمرو بن نُفاثة بن عبد الله بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

وقدم أبو زياد بغدادَ من البادية ، أيام المهدى ، لأمرٍ أصاب قومه ، فأقام ببغداد أربعين سنة ، وصنَّف (كتاب النَّوادر) ، وهو كتاب كبير فيه فوائد كثيرة . وله (كتاب الفروق) . ١١٩

ومن شعره :

له نارٌ تُشبُّ على يَفاع
إذا النِّيرانُ أُلبست القِناعا [١]
ولم يكُ أكثَر الفتيان مالاً
ولكن كان أُرحبَهم ذراعا

* * *

وأنشد بعده :

(ربُّ مَنْ أنضجتُ غيظاً صدْرَه)

هذا صدر وعجزه :

(قـد تمنَّـى لـىَ مَـوْتاً لم يُـطـعْ)

وتقدَّم شرحه فى الشاهد التاسع والثلاثين بعد الأربعمائة [٢] .

* * *

وأنشد بعده :

(على أنَّنى بَعْد ما قد مضَى
ثلاثون للهجر حَولاً كميلا)

وتقدم الكلام عليه فى الشاهد السادس عشر بعد المائتين [٣] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثمانون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س [٤] :

---

(١) الحيوان ٥ : ١٣٥ ومعاهد التنصيص ٢ : ١٣٢ والحماسة بشرح المرزوقى ١٥٩٢ .
(٢) انظر هذا الجزء من الخزانة ص ١٢٣ – ١٢٧ .
(٣) الخزانة ٣ : ٢٩٩ .
(٤) فى كتابه ١ : ٢٩٦ . وانظر المقتضب ٣ : ٦١ والجمل ١٤٧ والإنصاف ٣٠٣ وابن يعيش ٤ : ١٣٢ والمقرب ٦٨ والهمع ١ : ٢/٢٥٥ : ١٥٦ والأشمونى ٤ : ٨٢ .

٤٨٩ (كَمْ بجودٍ مُقْرِفٍ نالَ العُلا
وكريمٍ بخلُه قد وَضَعَهْ)

على أنَّ يونس يجيز فى الاختيار الفصل بين كم الخبرية وبين مميِّزها المتضايفَين بالظرف ، كما فى البيت .

قال سيبويه : وقد يجوز أن تجُرّ ، يعنى كم ، وبينها وبين الاسم حاجز ، فتقول : كم فيها رجُلٍ . فإن قال قائل : أضمر مِنْ بعد فيها ؛ قيل له : ليس فى كلِّ موضع يضمر الجارُّ . وقد يجوز على قول الشاعر :

كم بجودٍ مقرفٍ نال العلا
وكريمٍ بخله قد وضعه

الجرُّ والرفع والنصب على ما فسَّرنا . انتهى .

قال الأعلم : فالرفع على أن تجعل كم ظرفا ويكون لتكثير المِرار [1] ، وترفع مقرف بالابتداء وما بعده خبر ، والتقدير : كم مرةٍ مقرفٌ نال العلا . والنصب على التمييز ، لقبح الفصل بينه وبين كم فى الجرّ . وأما الجرُّ فعلى أنه أجاز الفصل بين كم وما عملت فيه بالظرف ضرورةً . وموضع كم فى الموضعين موضع رفع بالابتداء ، والتقدير : كثيرٌ من المقرفين نال العُلا بجودٍ . والمقْرِف : النَّذْل اللَّئيم الأب . يقول : قد يرتفع اللئيم بجوده ، ويتضع الرفيع الكريم الأب ببخله . انتهى .

وقال ابن الأنبارى (فى مسائل الخلاف) : ذهب الكوفيون إلى أنه إذا

---

(١) جمع مَرّة . وفى النسختين : « المراد » بالدال ، صوابه فى الشنتمرى .

فصل بين كم الخبرية وبين الاسم بظرف كان مخفوضاً ، بالنقل والقياس . أما بالنقل فقوله :

* كم بِجود مقرفٍ نال العلا *

وقال الآخر :

* كم فى بنى بكر بن سعدٍ سيّدٍ *

وأما القياس فلأنَّ خفض الاسم بتقدير من ، نحو : كم رجل أكرمت ، بدليل أنّ المعنى يقتضيه ، فتقدر من فى الفصل كما تقدَّر فى الاتصال . ولا يجوز أن تكون بمنزلة عددٍ ينصب كثلاثين ، ولو كانت بمنزلته لكان ينبغى أن لا يجوز الفصل بينهما .

وذهب البصريُّون إلى أنّه لا يجوز فيه الجر ويجب نصبه ، لأنَّ كم هى العاملة للجر ، لأنها بمنزلة عدد مضاف ، فإذا فصل بظرفٍ بطلت الإضافة ، لأنَّ الفصل بين المتضايقين بالظرف لا يجوز فى الاختيار ، فعُدل إلى النصب كما قال : ١٢٠

* كم نالنى منهم فضلا على عدمٍ *

والتقدير : كم فضل ، فلمَّا فصل نصب . وإنما عدل إلى النصب لأنَّ كم بمنزلة عدد ينصب ما بعده . ولم يمتنع النصب بالفصل لأَنَّ له نظيراً . وأما قوله كم بجود مقرف ، فالرِّواية الصحيحة مقرفٌ بالرفع ، أو أنَّ الجرَّ شاذٌّ ، وهذا هو الجواب عن البيت الثانى . وقولهم : « إنّ مِنْ مقدَّرة » قلنا : إنَّ كم عند المحققين من أصحابكم بمنزلة ربَّ ، يخفض الاسم بها كربَّ [١] ولأَنَّ حذفَ حرف الجر له مواضع مخصوصة ، وليس هذا منها .

(١) ط : « فخفض الاسم بها كرب » ، وأثبت ما فى ش . والذى فى الإنصاف : « فيخفضون بها الاسم الذى بعدها كرُبَّ » .

وقولهم : إنَّها لو كانت بمنزلة عدد ينصب ما بعده كثلاثين لكان ينبغي أن لا يجوز الفصل . قلنا : إنما جاز فيها جوازاً حسنا دون نحو ثلاثين [١] لأنَّ كم مُنعت من بعض ما لثلاثين من التصرُّف ، فجعل هذا عوضاً مما منعته . ألا ترى أنَّ ثلاثين تكون فاعلة لفظا ومعنى ومفعولة ، فلما مُنعت كم من هذا جُعل لها ضربٌ من التصرُّف ، ليقع التعادل . على أنه جاء الفصل بين ثلاثين ومميِّزها فى الشعر كقوله :

على أنَّنى بعدَ ما قد مضى
ثلاثون للهجر حولاً كميلا [٢]

انتهى .

وقوله : (بجود) متعلق بِنال ، والباء سببية ، وكم على هذا الوجه مبتدأ وهى خبرية ونال العلا الخبر . ومن روى بنصب مقرف فهى أيضاً خبرية . قال أبو على : وقد تجعل كم فى الخبر بمنزلة عشرين فينصب ما بعدها ، ويُختار ذلك إذا وقع الفصل بين المضاف والمضاف إليه . فتكون كم أيضاً مبتدأ ، ونال العلا الخبر ، ونصب مقرف على التمييز .

ومن روى برفع مقرف فهى أيضاً خبرية وموضعها نصب بأنها ظرف ، والعامل فيها نال ، ومقرف مبتدأ ونال العلا خبره . وإنما لم تكن كم فى الخبر لأنها هنا ظرف زمان .

(١) فى الإنصاف : « دون ثلاثين ونحوه » .

(٢) هو الشاهد ٢١٦ فى الخزانة ٣ : ٢٢٩ . ونسب إلى العباس بن مرداس .

وقوله : (وكريم) بالجر عطف على مقرف على رواية الجر ، وجملة (بخله قد وضعه) من المبتدأ والخبر خبر لكم المقدَّرة .

صاحب الشاهد

والبيت من أبيات نسبها صاحب الأغانى لأنس [١] بن زنيم ، قالها لعبيد الله بن زياد بن سُمّية . كذا قال صاحب الأغانى وشُرّاح أبيات سيبويه وشراح الجُمل ، وهى :

أبيات الشاهد

سَل أميرى ما الذى غيَّره
عن وصالى اليوم حتى وَدَعه
لا تُهنِّى بعد إكرامك لى
فشديدٌ عادة منتزعه
لا يكنْ وعدكَ برقاً خُلَّباً
إنَّ خير البرقِ ما الغيثُ معه
كم بجودٍ مقرفٍ نال العلا
وشريفٍ بُخْلُه قد وضعه)

وقوله : « سل أميرى » إلخ أنشده الشارح المحقق (فى شرح الشافية) على أنَّ يدع سمع ماضيه وَدَعَ كما فى البيت . قال سيبويه : استغنوا عن وذر وودع بقولهم : ترك . وقد جاء ودع على جهة الشذوذ ، قرئ فى الشواذ : ﴿ ما وَدَعَك [٢] ﴾ ، وكقوله : حتى ودعه . وقال سُويد بن أبى كاهل :

---

(١) الأغانى ٢١ : ١٦ – ١٧ واللسان (ودع ٢٦٣) .

(٢) هى قراءة عروة بن الزبير ، وابنه هشام ، وأبى حيوة ، وأبى بحرية ، وابن أبى عبلة . تفسير أبى حيان ٨ : ٤٨٥ .

فسعَى مسعاتَه فى قومِه ثم لم يدُرِك ولا عجزاً ودَع [(١)]

وقال آخر :

فكان ما قدَّموا لأنفسِهِمْ أكثر نفعاً من الذى وَدَعوا [(٢)]

١٢١ وقد جاء وادع أيضاً فى الشعر ، أنشدهُ أبو على (فى البصريات) ، وهو :

فأيَّهما ما أتْبَعَنَّ فإنَّنى حزينٌ على ترك الذى أنا وادِعُ [(٣)]

وقد جاء المصدر أيضاً فى الحديث ، وهو قوله ﷺ : « لينتهِينَّ أقوامٌ عن وَدْعهم الجمعاتِ أو ليختمَنَّ الله على قلوبهم » .

وقد جاءَ اسمُ المفعول أيضا . قال خفاف بن ندبَة :

إذَا ما استحمَّت أرضُه من سمائه

جرى وهو مودوعٌ وواعدُ مَصدقِ [(٤)]

قال الصغانى : أى متروك لا يُضرب ولا يزجر .

وقول ابن برى إنَّ مودوعا هنا من الدعة التى هى السُّكون لا من الترك ، يردُ عليه أنَّ ودع بمعنى سكن غير متعدٍّ ، يقال ودَع فى بيته .

وقوله : « لا تهِنِّى » هو من الإهانة . والخلَّب من البرق : الذى لا مطر معه ولا يُنتفَع بسحَابه . وتضرب به العرب المثَل لمن أخلَفَ وعدَه . قال أعشى همْدان :

---

(١) المفضليات ١٩٩ . وصواب الرواية : « فسعى مسعاتهم » ، لأن قبله :

ورث البغضة عن آبائه حافظ العقل لما كان استمع

(٢) اللسان (ودع) .

(٣) اللسان (ودع ٢٦٣) عن البصريات أيضا .

(٤) فى النسختين : « ووادع مصدق » ، صوابه فى الأصمعيات ٢٤ واللسان (ودع ٢٦١ صدق ٦٣) .

لا يكنْ وعدُكِ برقاً خُلَّباً كاذباً يلمعُ فى عُرض الغَمام [١]

الأبيات :

ونسب صاحب الحماسة البصرية هذه الأبيات فى باب الوصف لعبد الله بن كُرَيز . وزاد بعد البيت الثانى :

(واذكر البلوى التى أَبليتَنى
ومقالاً قُلتَه فى المجمعه [٢])

ورويت أيضا لأبى الأسود الدؤلى . والله أعلمُ بحقيقة الحال .

أنس بن زنيم

وأنس بن زنيم شاعر صحابى ، مضاف إلى جدّه . قال الآمدى : هو أنس بن أبى أُناس [٣] الكنانى بن زُنَيم بن مَحْمِية بن عَبد بن عدىّ بن الدِّيل ابن بكر بن كنانة بن خُزيمة بن مدركة . وهو شاعرٌ مشهور حاذق ، وهو القائل :

وعَوراء من قِيلِ امرئٍ قد رَددتها
بسالمة العينين طالبةٍ عُذرا
ولو أنّه إذ قالها قلتُ مثْلَها
أَوَ آكثر منها أوْرَثَتْ بيننا غِمْرا
فأعرضتُ عنه وانتظرتُ بهِ غداً
لعلَّ غدا يُبدى لمؤْتَمِرٍ أمرا

---

(١) قبله فى الأغانى ٥ : ١٣٨ :

حييا خولة منى بالسلام درة البحر ومصباح الظلام

(٢) ط والحماسة البصرية ٢ : ١٠ : « البلوى الذى » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٣) فى الأصل : « إياس » ، صوابه من المؤتلف ٥٥ وجمهرة ابن حزم ١٨٤ ، ١٨٥ والقاموس (أنس) .

لأنزعَ ضيماً ثاوياً فى فؤاده
وأَقلِم أظفاراً أطالَ بها الحفْرا

وقال ابن حجر (فى الإصابة) : ذكر ابن إسحاق (فى المغازى) أنَّ عمرو بن سالم الخزاعى خرج فى أربعين راكبا يستنصرون رسولَ الله ﷺ على قريش ، فأنشده :

لاهمّ إنّى ناشدٌ محمَّدا   عَهْدَ أبينَا وأبيهِ الأتلَدا (١)

الأبيات . ثم قال : يا رسول الله ، إنَّ أنسَ بن زُنيم هجاك ! فهدَرَ رسول الله ﷺ دمَه ، فبلغه ذلك فقدِم عليه ﷺ معتذراً ، وأنشده أبياتاً مدحه بها ، وكلَّمه فيه نوفلُ بن مُعاوية الدؤلى فعفا عنه .

ومن تلك الأبيات :

فما حَملَتْ من ناقةٍ فوقَ رحلها
أبرَّ وأوفى ذمَّةً من محمَّدِ

قال دِعبل بن على (فى طبقات الشعراء) : هذا أصدق بيتٍ قالته العرب .

١٢٢ ولأنس مع عبيد الله بن زياد أمير العراق أخبارٌ أوردها الأصفهانىّ صاحب الأغانى (فى ترجمة حارثة بن بدر الغدانى) فإنه كان بينهما أهاجٍ بعد تصافٍ (٢) .

---

(١) السيرة ٨٠٦ جوتنجن .

(٢) ش : « أهاجى بعد تصافى » وفيه تحريف .

ورَوى أنّ أنساً لمَّا رأى من عبيد الله بن زياد جَفوة ، وأثرة لحارثة بن بدر ، قال :

أُهانُ وأُقصَى ثم تَنْتَصحوننى
ومن ذا الذى يُعطى نصيحتَه قسرا (١)
رأيتُ أكفَّ المُصلِتِينَ عليكمُ
مِلاءً وكفِّى من عطائكمُ صِفْرا
مَتى تسألونى ما علىَّ وتمنعوا
لَّذِى لِىَ لا أُسْطِعْ على ذلكمْ صبرا
وإنِّى صرفت الناس عمَّا يَريبكم
ولو شئت قد أُغليْتُ فى حربكم قِدْرَا
وإنى مع السّاعى عليكم بسيفه
إذا عَظْمُكم يوماً رأيت به كسرا (٢)

فقال عبيد الله لحارثة : أجبه . فاستعفاهُ ؛ لمَودةٍ كانت بينهما ، فأقسم عليه فقال :

تَبدَّلتُ من أُنسٍ ، إنه كذوب المَوَدّةِ خوَّانُها
أراه بصيراً بعيب الخليل وشرُّ الأخلّاء عُورانُها (٣)

فأجاب أنس :

(١) فى الأغانى ٢١ : ١٥ : « وأى امرئ يعطى نصيحته » .
(٢) ط : « إذا عظكم » ، صوابه من ش والأغانى .
(٣) فى الأغانى : « بضر الخليل » .

إنَّ الخيانة شَرَّ الخليـ ـلِ والكفرَ عندك ديوانُها [١]
بصُرت به فى قديم الزمان كما بَصَّرَ العينَ إنسانُها

ودام الشرُّ بينهما زمانا طويلا . وذكَرَ ما جرى بينهما وشِعرَ كلٍّ واحدٍ فى الآخر بإغراء عبيد الله بن زياد .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التسعون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س [٢] :

٤٩٠ (كم فى بنى سعد بن بكرٍ سيِّدٍ
ضَخْمِ الدَّسيعةِ ماجدٍ نَفَّاعِ)

على أنَّ فيه دليلاً على جواز الفصل بالظرف المستقر عند يونس ، كما جاز الفصل بالظرف اللغو فى البيت السابق .

وسيبويه لا يُجيز الفصل بالظّرف إلاّ لضرورة . وأنشد هذا البيت .

قال الأعلم : الشاهد فيه خفض سيِّد بكَمْ ضرورة ، ولو رُفع سيّد أو نُصب لجاز كما تقدم . وبيان كونه ظرفا مستقرا أنَّ كم فى محل رفع مبتدأ ، والظرف الفاصل فى محل رفع خبر المبتدأ .

وأخطأ ابن المستوفى (فى شرح أبيات المفصل) فى زعمه أنَّ الظرف حالٌ من سيِّد ، وكان فى الأصل صفةً فلما قدِّم عليه صار حالاً منه .

ووجه الخطأ أنَّ المبتدأ يبقى بلا خبر .

وضخم وماجد ونفاع ، بجرِّ الثلاثة صفات لسيِّد . و (الدسيعة)

---

(١) فى الأصل : « إن خيانة شر الخليل » ، وأثبت ما فى الأغانى .

(٢) فى كتابه ١ : ٢٩٦ . وانظر المقتضب ٣ : ٦٢ والإنصاف ٣٠٤ وابن يعيش ٤ : ١٣٠ ، ١٣٢ والعينى ٤ : ٣٩٢ والأشمونى ٤ : ٨٢ .

بفتح الدال وكسر السين وبعد المثناة التحتية عين ، والثلاثة بالإهمال ، ومعناها العطية . قال الأعلم : هى من دسع البعير بِجِرّته ، إذا دفع بها . ويقال هى الجَفْنة . والمعنى أنَّه واسعُ المعروف . و (الماجد) : الشريف . يصف كثرة السَّادات فى هذه القبيلة .

والبيت وقع غُفلا فى كتاب سيبويه والمفصَّل ، ولم يعزه أحدٌ من شرّاحهما إلى قائله .

وزعم العينى أنَّه للفرزدق . والله أعلم به .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والتسعون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س (٢) :

٤٩١ (كَمْ نالنِى منهمُ فَضْلاً على عُدُمٍ
إذْ لا أكاد من الإقتارِ أحتملُ)

على أنَّ جر التمييز مع الفصل بالجملة لا يجيزه إلاَّ الفراء ، فيجوز عنده خفض فضلا . وأمَّا غيره فيوجب نصبه كما فى البيت . ١٢٣

قال سيبويه : وقال الخليل : إذا فصلت بين كم وبين الاسم بشئ استغنى عليه السكوت أو لم يستغن (٣) ، فاحمله على لغة الذين يجعلونه بمنزلة اسم منوَّن ، لأنه قبيح أن يفصَل بين الجار والمجرور ؛ لأنَّ المجرورَ داخلٌ فى

---

(١) لم أجده فى ديوان الفرزدق .

(٢) فى كتابه ١ : ٢٩٥ . وانظر المقتضب ٣ : ٦٠ والإنصاف ٣٠٥ وابن يعيش ٤ : ١٢٩ ، ١٣١ والعينى ٤ : ٤٩٤ والهمع ١ : ٢٥٥ والأشمونى ٤ : ٨٢ وجمهرة القرشى ١٥٣ وديوان القطامى ٦

(٣) ط : « أم لم يستغن » ، وأثبت ما فى ش وسيبويه .

الجارِّ فصارا كأنهما كلمة واحدة . والاسم المنوَّن قد يفصَل بينه وبين الذى يعمل فيه ، تقول : هذا ضاربٌ بك زيدا ، ولا تقول هذا ضاربُ بك زيدٍ . قال القطامى :

* كم نالنى منهم فضلا * البيت

وإن شاء رفع فجعل كم المرارَ التى ناله فيها الفضل ، فارتفع الفضل بِنالنى ، كقولك : كم قد أتانى زيد ، فزيد فاعل وكم مفعول فيها ، وهى المرار التى أتاه فيها ، وليس زيد من المِرار . ا هـ .

قيل : روى فضلا بالجر أيضاً . فكم على النصب والجر مبتدأ ، وجملة نالنى خبره وفاعله ضمير كم . وعلى الرفع ظرف لنالنى كما قال سيبويه .

وزعم العينى أنَّ كم مع النصب ظرف زمان تقديره : كم مرة أو كم يوماً ، وجملة نالنى منهم جملة معترضة بين كم ومميزها ، وهو فضلاً .

هذا كلامه ، ولا يخفى فساده ؛ إذ جعل المميز محذوفاً مع أنَّه مذكور . ولا يصح جعل [جملة [1]] نالنى اعتراضيَّة ، إذ لا فاعل للفعل حينئذ .

وقوله (على عُدمُ) أى مع عُدم ، متعلق بمحذوف على أنَّه حال من الياء . كذا قال ابن الحاجب (فى أماليه) عن ابن بَرْهان .

وزعم العينى أنَّه متعلق بنالنى . وهو فاسِدٌ يُدْرَك بالتأمل .

وأفسد منه قول ابن المستوفى (فى شرح أبيات المفصَّل) : قوله : على عدم ، حال من الياء ، وعامله نالنى ، ويجوز أن يعمل فيه فضل المصدر على أنه مفعول به .

---

(١) التكملة من ش .

والعَدَمَ ، بفتحتين ، والعُدْم ، بضم فسكون ، كلاهما بمعنى الفقر والاحتياج .

و (منهم) متعلق بنالنى . وقال ابن المستوفى ، يجوز أن يكون موضع منهم النصب على الحال صفة لفضل مقَّدما عليه ، ويجوز أن يكون من فيه مبيِّنا للجنس ويعمل فيه نالنى .

وهذا خطأ ، فإنَّ من البيانية مع مجرورها تتعلق بمحذوف على أنه حال .

و (الفضل) : الخير والإنعام ، وجملة أحتمل فى محلّ نصب خبر كاد وهو بالحاء المهملة . قال شارح ديوان القطامى : أى لم يكن [1] لى حَمولةٌ أحتمل عليها . والحمولة ، بالفتح ، قال صاحب المصباح : هو البعير يُحمَل عليه ، وقد يستعمل فى الفرس والبغل والحمار . ا هـ

فمعنى أحتمل : أتَّخِذ حمولة .

وقال الأعلم : قوله « إذ لا أكاد » إلخ ، أى حين بلغ منِّى الجهد وسوء الحال [إلى أن [2]] لا أقدر على الارتحال لطلب الرِّزق ، ضعفاً وفقرا .

ويروى : « أجتمل » بالجيم ، أى أجمع العظام لأخرج ودكها وأتعلّل به ، والجميل : الودك . ا هـ

ولم يذكر أحدٌ رواية الجيم من اجتملت الشحم ، إذا أذبته ، وكذا جَمَلته أجمُله جَمْلا ، وربَّما قالوا : أجملته ، حكاه أبو عُبَيد . ورأيتُ فى بعض الحواشى أنَّه رُوى : (أحتمل) بالحاء المهملة من الاحتمال ، وما أظنُّه صحيحاً .

---

(١) ش : « أى لم تكن » .

(٢) التكملة من الشنتمرى .

وزعم بعض فضلاء العجم (فى أبيات المفصل) أن الرواية (**احتوِل**) ولم يذكر غيرها . وقال : أحتول من الحيلة ، وأصلها حِولة قلبت الواو ياء كما فى ميزان . وكان الوجه أحتال ، إلّا أنه جاء على الأصل المرفوض . هذا كلامه ولم أرها لغيره .

وقوله : (إذ لا أكاد) إذ ظرف لنالنى .

١٢٤ والإقتار : مصدر أقتر . قال فى الصحاح : « وأقتر الرجل : افتقر » . ومن متعلقة بالنفى ، وقال العينى : ومن متعلقة بأجتمل . وسيجئ ردُّه . وزعم ابن بَرْهان أنَّ قوله من الإقتار مفعول له يعمل فيه أحتمل .

قال ابن الحاجب (فى أماليه) : لا يصحُّ هذا ، لِفسادِ المعنى ؛ إذ الاحتمال لم يكن من أجل إقتار فيخصِّصه بالنفى ، وإنما يصحُّ أن يكون معلّلا بمثل ذلك ثم ينفيه مخَصصاً له ، كقولك : ما جئتك طمعاً فى برّك ؛ فإنَّ المجىءَ قد يكون طمعاً فى البرّ ، فُينفَى المجىء المقيَّد بعلّة الطمع ، ولذلك لا يلزم منه نفى المجىءِ لغير ذلك ، لأنّه لا يتعرَّض له ، بل قد يُفهم منه إثبات مجىءٍ لغير ذلك عند من يقول بالمفهوم . أمَّا لو قال : ما كلَّفتك بشئ للتخفيف عليك ، فلا يستقيم أن يكون تعليلا لكلفتك ، فإنه لا يصح أن يكون التخفيف [١] علة للتكليف ، وإنما علَّل به نفى التكليف من أجل غرض التخفيف . وسرُّ ذلك هو أنه إذا تعلق الفعل بشئ فلا بُدَّ أن يُعقَل مثبتاً فى نفسه ثم يتعلّق النفى به . وإذا تعلَّق النَّفى بهِ انتفى المقيَّد بما تعلق ، ولا ينتفى مطلقاً ، إذ لم ينفِه إلّا مقيَّدا . ومن أجل ذلك امتنع تعلُّق « من الإقتار »

(١) ط : « للتخفيف » ، صوابه فى ش .

بأحتمل . ويُمنع أيضاً تعلقه بأكاد ، إذ لا يتصوَّر تعليل مقاربة الاحتمال بالإقتار ؛ لأنَّه عكس المعنى على ما تقدم فى أحتمل ، فوجب أن يكون متعلقا بالنفى ، إذْ هو المسبِّب فى المعنى ، لأنَّ المعنى انتفت مقاربة الاحتمال ، من أجل الإقتار . ألا تَرى أنَّك لو قلتَ لمن قال : انتفت مقاربةُ الاحتمال : ما سبب ذلك ؟ لصحَّ أن يقول : سببه الإقتار . ولو قلت لمن قال : ما سبب مقاربة الاحتمال أو ما سبب الاحتمال ؟:سببه الإقتار (١) ، لكان فاسداً . فهو مما يوضح أنَّه تعليل للنفى ، وغير مستقيم (٢) أن يكون تعليلاً لأحتمل أو أكادُ . انتهى كلامه .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة للقطامى عدَّتها واحدٌ وأربعون بيتاً ، مدح بها أبا عثمان عبد الواحد .

قال ابن الكلبى ، وابنُ حبيب : هو عبد الواحد بن الحارث بن الحكم ابن أبى العاص بن عبد شمس بن عبد مناف .

وقال مصعب الزبيرىّ : هو عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك . وكان واليا فى المدينة لمرْوان بن محمد .

أبيات الشاهد

وهذا مطلع القصيدة :

(إنَّا مُحَيُّوكَ فاسلم أيُّها الطَّلَلُ
وإن بَلِيتَ وإنْ طالت بك الطِّيَلُ)

إلى أن قال بعد ستة أبيات :

(والناسُ مَنْ يَلْقَ خيراً قائلون له
ما يشتهى ، ولأمِّ المخطىء الهبَلُ

---

(١) فى النسختين : « وقال سببه الأقتار » والوجه حذف : وقال .

(٢) ش : « غير مستقيم » ، بدون واو .

قد يُدرك المتأنِّى بعضَ حاجتِه
وقد يكونُ مع المستعجِل الزَّلَلُ)

ثم وصف الإبل التى توصِّله إلى حبيبته عُلَيَّة [١] بأبياتٍ منها :
(يَمشِين رهواً فلا الأعجاز خاذلةٌ
ولا الصدورُ على الأعجاز تتَّكِلُ [٢])

إلى أن قال :
(فقلتُ للرَّكْب لمَّا أنْ علت بهمُ
من عَن يمين الحُبَيَّا نظرةٌ قَبَلُ
ألمحة من سنا برقٍ رأى بصَرِى
أم وجه عاليةَ اختالت به الكِلَلُ)

ثم بعد أبيات خاطب ناقته فقال :
١٢٥ (إن ترجعى من أبى عثمان مُنجِحةً
فقد يَهُون على المستنجح العملُ [٣]
أهلُ المدينة لا يحزنْكَ شأنهمُ
إذا تخاطأَ عبدَ الواحد الأجلُ

---

(١) ورد اسمها فى البيت الذى يلى السابق فى ص ٢ من الديوان :
أمست علية يرتاح الفؤاد لها ولِلرواسم فيما دونها عمل
لكن سيأتى فى البيت الثالث بعد هذا برسم « عالية » فلعل « علية » تصغير ترخيم .
(٢) ط : « فلا أعجاز خاذلة إلا الصدور » ، صوابه ما أثبت من ش والديوان ٤ .
(٣) ش : « المستجنح » ، صوابه فى ط والديوان ٦ وما سيأتى من التفسير .

أما قريشٌ فلن تلقاهمُ أبدا
إلّا وهم خير من يَحفَى وينتعلُ (١)
إلّا وهم جَبَلُ اللهِ الذى قصُرت
عنه الجبالُ فما ساوى به جَبَلُ
قومٌ همُ ثَبَّتوا الإسلامَ وامتنعوا
رهط الرسول الذى ما بعَده رُسُلُ (٢)
مَن صالَحُوه رأى فى عيشه سَعةً
ولا يُرَى من أرادُوا ضرَّه يئلُ
كم نالنى منهم فضلا على عدم
.... البيت
وكم من الدَّهر ما قدْ ثَبَّتوا قدِمى
إذْ لا يزال مع الأعداء ينتضلُ (٣)
فماهمُ صالَحُوا من يبتغِى عنَتى
ولا همُ كدَّروا الخيرَ الذى فعلوا (٤)
همُ الملوكُ ، وأبناءُ الملوك لهمْ
والآخذون به والسَّاسة الأوَلُ)

قوله : « إنا محيُّوك » أى داعون لك بالتحية ، وهى البقاء . والطلل : ما شخص من آثار الديار . والطيل ، بالكسر : جمع طِيلة ، وهى الدهر .

وقوله : « والناس من يلق » إلخ يقول : من أخطأ قِيلَ : لأمِّه الثُّكل !

(١) ش : « أما قريشا » .
(٢) فى الديوان ٦ : « قوم الرسول الذى ما بعده » .
(٣) فى الديوان ٧ : « اذ لا أزال مع الأعداء أنتضل » .
(٤) ط فى : « من ينتفى » ، صوابه من ش والديوان .

وهو الهَبَل . ومن يَلق خيراً ، أى من أصاب عوضاً من الدنيا قالوا : ما أرجَلَه ، لله أبوه ما أعقَله ! ومن أخطأه الرِّزق قالوا : أماته الله ما أعجزه !

وقوله : « قد يدرك المتأنى » إلخ المتأنِّى : صاحبُ الأناة والوقارِ والحِلم . وزَلّ عن الأرض يزل زليلا ، إذا عثَر .

وقوله : « يمشين رَهواً » إلخ أى على هينتها . يقال فعل ذلك راهياً ، أى ساكنا سهلا .

وأورده صاحب الكشاف عند قوله تعالى : ﴿ واتركِ البَحْرَ رهواً [1] ﴾ على أنَّ الرهو : السَّير السهل الساكن . ونَسَبَ البيتَ للأعشى ظانًّا أنه من قصيدته التى أولها :

ودِّع هُريرةَ إنَّ الركبَ مرتحلُ
وهل تُطيقُ وَدَاعاً أيُّها الرجلُ

وليس كذلك . قال أبو عمرو : يقول هى موثَّقة الصدور والأعجاز لا تخذل أعجازُها صدورها ، ولا صدورُها أعجازَها .

وقوله : « فقلت للركب » إلخ نظرة فاعل علَتْ . والنَّظرةُ القَبَل بفتحتين : التى لم تتقدمها نظرة ، ومنه يقال رأينا الهلال قبَلاً ، إذا لم يكن رُئى قبل ذلك . ومعنى علت بهم : جعلتهم يعلُون وينظرون . والحُبَيَّا ، بضم الحاء المهملة وفتح الموحدة وتشديد المثناة التحتية : موضع بالشام . وعن بمعنى جانب ، فهى اسم . وبه استدلَّ ابن قتيبة (فى أدب الكاتب) ، وابن الناظم والمرادى أيضاً (فى شرح الألفية) .

وقوله : « أَلمحَةٌ من سَنا » إلخ هذا البيت مقول قلت . واللَّمحة :

---

(١) الآية ٢٤ من سورة الدخان .

اللَّمعة . وسَنا البرق : ضوءُه . واختالت : تزيَّنت به الكِلَلُ من حُسنه ، وضمير به للوجه . والكِلل : السُّتور . يريد أنَّ وجه عالية ظهر إليهم من الستر ، فأشرفوا ينظرون إليه إعجاباً به .

ومُنجِحة مِن أنجحَ الرجل ، واستنجح ، إذا ظفر بحاجته . والعَمَل : التَّعب .

ويحفى : يمشى بغير حذاء ، ومصدرهُ الحفاءُ بالمد .

وَيئل : ينجو ، يقال وأل يئل مَوْئلاً . ونالنى : أصابنى . وينتَضِلُ : يرتمى ، بالضاد المعجمة . وعنتى : هلاكى . يقال عَنِت الرجل يَعنَت عَنتا ، إذا وقعَ فى هلكة .

وقوله :

* هم الملوك وأبناء الملوك لهم *

أى منهم . و « الآخذون به » أى بالملك ، فأضمره لمَّا جرى ذكر الملوك . ١٢٦

والقطامى : شاعرٌ إسلامى فى الدولة الأموية ، تقدمت ترجمته فى الشاهد الثالث والأربعين بعد المائة [١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والتسعون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س [٢] :

٤٩٢ (كَم عمَّةٍ لك يا جريرُ وخالةٍ
فَدْعاء قد حَلَبَتْ علىَّ عِشارِى)

---

(١) الخزانة ٢ : ٣٧٠ .

(٢) فى كتابه ١ : ٢٥٣ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥ ، وانظر المقتضب ٣ : ٥٨ والجمل ١٤٨ وابن يعيش ٤ : ١٣٣ والمقرب ٦٨ وشرح شواهد المغنى ١٧٤ والعينى ١ : ٤/٥٥٠ : ٤٨٩ والتصريح ٢ : ٢٨٠ والهمع ١ : ٢٥٤ والأشمونى ١ : ٢٠٧ ، ٤/٢١٢ : ٨٠ ، ٨١ وديوان الفرزدق ٤٥١ .

على أنه قد روىَ عمة وخالة بالحركات الثلاث . وشرحَها شرحا جيداً ، وجوَّز فى النصب أن تكون كم استفهامية ، وخبرية . وهو مذهب أبى الحسن الرَّبَعىّ .

فإنَّ السيرافى قال : كم حينئذ استفهامية . وتبعه الزجاجى . وقال أبو على : لا معنى هنا للاستفهام ، ولكن شبِّه بالاستفهامية فنصب بها كما تشبه الاستفهامية بالخبرية فيجرُّ بها ، فى نحو قولك : على كم جذعٍ بيتُك مبنىٌّ ؟

وتوسط الرَّبعىُّ بينهما فقال : الوجه ما قاله أبو على . والذى قاله السيرافى يجوز على أنَّه استفهمه هازئاً به . كذا نقل ابن السيِّد ، وتبعه ابن خلف .

والرَّبَعى مسبوقٌ ، فإنَّ ابن السَّراج قال (فى الأصول) : النصب عندى على وجهين : على ما قال سيبويه فى لغة من ينصب فى الخبر ، وعلى الاستفهام . انتهى .

وبهذا يضمحلُّ قول اللخمى (فى شرح أبيات الجمل) : إنّ سيبويه أدخل البيتَ فى وجه النصب على الخبَر والتحقيق ، لا على وجه الاستفهام والشك . قال سيبويه : ومن ينصب كثير ، منهم الفرزدق . ولم يذكر الاستفهام لكن ذكر أنها شُبِّهت فى الخبَر بالاستفهام فنصب بها كما ينصب ما بعد العدد . انتهى .

وكذا جوَّز الشارحُ المحقق الوجهين فى الرفع .

قال ابن السَّراج : اعلم أنك إذا قلت كم عمةٍ بالجر فلست تقصد إلاَّ واحدة ، وكذلك إذا نصبت ، فإن رفعتَ لم يكن إلا واحدة ؛ لأنَّ التمييز يقع

واحدُهُ فى موضع الجمع ، فإذا رفعت فلست تريد التمييز ، فإذا قلت : كم درهمٌ عندك فإنما المعنى : كم دانقاً هذا الدرهم الذى أسألك عنه ؟ فالدرهم واحد لأنَّه خبر وليس بتمييز . ا هـ .

فكلٌّ من الجرّ والنصب أبلغ من الرفع ، لأنهما يدلّان على أنّ لجرير عمّاتٍ وخالات أجيرات ممتهَنات . والرفع يدلُّ على أنّ له عمةً واحدة ، حلبت له عشاره . ولهذا قال السيرافى : الأجود فى البيت الخفض ، وبعدهُ النصب ، وبعده الرفع .

وبيَّن الشارح المحقق إعراب كم مع الرفع ولم يبيِّنْه مع غيره . فهى معَ خفض عمة ونصبها موضعها رفعٌ على الابتداء ، والخبر جملة قد حلبت .

قال ابن هشام (فى المغنى) : وأفرد الضمير فى حلبَتْ حملاً على لفظ كم .

وليس هذا من قبيل ما هو عائدٌ على مجموع ما تقدَّم ، نحو : النساء فعلَتْ كما زعمه الدمامينى ، فإنّ العمة والخالة مفردان ، بخلاف النساء فإنه اسمُ جمع . وأمَّا فى رواية رفع عمة على الابتداء فلابدَّ من تقدير قد حلبت أخرى ؛ لأنَّ المخبر عنه فى هذا الوجه متعدِّد لفظا ومعنى . ونظيره : زينب وهند قامت . قاله ابن هشام فى المغنى .

وجاز الابتداء بها وإن كانت نكرة لأنَّها قد وصفت بلك وبفدعاء محذوفةٍ مدلولٍ عليها بالمذكورة ، إذْ ليس المراد تخصيصَ الخالة بالفدَع ، كما حذفت لك من صفة خالة استدلالاً عليها بلك الأولى . قاله ابن هشام أيضا .
وعليه فيكون من قبيل الاحتباك ؛ وهو أن يثبت لأحدهما نظير ما حُذف من الآخر .

١٢٧

ونقل ابن المستوفى (فى شرح أبيات المفصَّل) عن الزمخشرى (فى حواشيه على المفصل) أنَّ التقدير : كم لك غيرهما ؟ فتعلق لك بكَمْ .

ولأبى على (فى المسائل المنثورة) كلامٌ جيد فى كم ، أحببت إيراده هنا . قال : إذا كانت كم خبراً جاز فيما بعدها الجر والرفع والنصب ، وإنّما جرتّه بكم لأنَّ كم نقيضة ربَّ ، ومن أصولهم حملُ الشيء على نقيضه . ألا ترى أنَّ ربَّ للقلة وكم للكثرة ! فلما كانت بهذه المنزلة أجريت مجرى ربَّ . وإنْ نصب ما بعدها فجائزٌ لأنَّها عددٌ فى الحقيقة ، والأعداد تبيَّن مرة بالنصب ومرة بالجر . وإذا كان هذا جائزاً فى الأعداد فعلى أىّ وجهٍ أردت جاز . والرفع إذا قلت كم رجلٌ أتانى ، صارت كم فى معنى مرار ، فتكون فى موضع نصب بأتانى ، ويكون رجلٌ مبتدأ وأتانى خبره . قال أبو عمرو : لا يكون ما تبيَّنُ به كم إلاَّ نكرة ، وذلك لأنّها عدد ، والأعداد لا تبيَّن إلّا بالنكرات .

والنصب فى الخبر جائز ، لأنّها عَددٌ فى الحقيقة ، وإن كان الوجه الجر . والحسن أن تنصب إذا فصلت بينها وبينَ ما أضيف إليها ، لأنَّ الفصل بين المتضايفين قبيح . فلما قبح نصبوه لأنّها فى الحقيقة عدد ، ورجل يفسِّر ويوضِّح .

وأما قول الشاعر : « كم بجود مقْرفا » البيت ، فنصب مُقرفا فسَّر به كم [(١)] لأنَّه حالَ بينه وبين كم بقوله بجود ، وتكون كم فى موضع رفع بالابتداء ، وهى فى المعنى فاعلة كما تقول : زيد قام ، فزيد مبتدأ وإن كان فاعلا فى المعنى . ويجوز الجر لأنَّك حُلت بين كم وبين ما عملت فيه بظرف . فأمَّا قول الفرزدق :

---

(١) فى الأصل ، أى النسختين : « فسره بكم » ، والوجه ما أثبت كما اقترح مصحح طبعة بولاق .

* كَمْ عَمّة لك يا جرير وخالة *

فأما النصب فى العَمّة فتجعل كَم رفعاً بالابتداء وحلبت خبرها ، وعمة تفسير العدد ، كأنَّه قال : عشرون عمة حلبت . والجرُّ على ما تقدَّم من الكلام . وأمَّا الرفع فى العمة فتكون كَم فى موضع نصب ، وتكون كَم فى معنى مرار فتصير ظرفاً للحلب . قال أبو عمرو : تقول : كَم رجال قد رأينا ، فجاز فى كَم أن تفسَّر بالجمع ، لأنَّ العدد يفسَّر بالجمع وبالواحد . وإذا كانت كَم عدداً جاز تفسيرها بالواحد والجمع مع أنَّه مع كَم أشدُّ استمراراً ، وذلك إذا قلت عشرون درهما ، ففى الكلام دلالة على الجمع . وإذا قلت كَم فليس فى كَم دلالةٌ على الجمع ، فلذلك أجازوا ذلك فى كَمْ . انتهى كلام أبى على .

وفدعاء : صفة لخالة لقُربها ، وحذَفَه من عمة قبلها . وقد فسَّر الشارح الفدعاء بكلام الصحاح . وقال ابن الأعرابى : الأفدع : الذى يمشى على ظهور قدميه . وقال أبو جعفر : الفَدَع فى القدم ، والكَوَع فى اليد . والرُّسغ بالضم هو من الإنسان : مَفصِل ما بين الكف والساعد ، والقدم إلى الساق . ومن الدوابِّ : الموضع المستدِقّ بين الحافر وموضع الوظيف من اليد والرجل . والإنسى بكسر الهمزة قال صاحب الصحاح : الإنسىُّ : الأيسر من كل شئ .

وقال الأصمعى : هو الأيمن . وقال : كل اثنين من الإنسان مثل الساعدين والقدمين فما أَقبلَ منهما على الإنسان فهو إنسىٌّ ، وما أدبر عنه فهو وحشى . انتهى .

وقال صاحب المصباح : الوحشىُّ من كل دابّة : الجانب الأيمن . قال الشاعر :

فمالت على شِقٍّ وحشيِّها وقد رِيعَ جانبها الأيسر [١]

١٢٨ قال الأزهرى : قال أئمة العربية : الوحشىُّ من جميع الحيوان غيرِ الإنسان : الجانبُ الأيمن ، وهو الذى لا يُركب منه الراكب ولا يحلُب منه الحالب . والإنسىُّ : الجانب الآخر ، وهو الأيسر [٢] . وروى أبو عبيدٍ عن الأصمعىّ أن الوحشىَّ هو الذى يأتى منه الراكب ويحلب منه الحالب ، لأنَّ الدابة تستوحِش عنده فتفرُّ منه إلى الجانب الأيمن . قال الأزهرى : وهو غير صحيح عندى .

قال ابن الأنبارى : ويقال ما من شئ يفزع إلَّا مال إلى جانبه الأيمن ، لأنَّ الدابة إنّما تؤتى للرُّكوب والحلَب من الجانب الأيسر ، فتخاف عندَه فتفرُّ من موضع المخافة وهو الجانب الأيسر إلى موضع الأمن ، وهو الجانب الأيمن . فلهذا قيل الوحشىُّ الجانب الأيمن . ووحشى اليد والقدم : ما لم يُقْبِل على صاحبه [٣] والإنسىُّ خلافه . ووحشىُّ القَوْس [٤] : ظهرها . وإنسيُّها : ما أقبل عليك منها . انتهى ، وسُقناه برمَّته لجودته .

والشَّوْه [٥] بسكون الواو : مصدر شاهت الوجوه تشُوه ، أى قبحت . وقول الشارح المحقق : « وإنَّما عدَّى حلبت [بعَلَى [٦]] لتضمنُّه معنى ثقلَتْ » إلخ مأخوذ من كلام صدر الأفاضل ، فإنه قال : إنْ قيل : ما معنى

(١) نسب فى شرح القصائد السبع الطوال ٣٢٥ – ٣٢٦ واللسان (وحش ٢٦٣) إلى الراعى . وفى القصائد السبع : « فجالت على » .

(٢) انظر الحيوان ٥ : ٥١٢ – ٥١٣ وشرح القصائد السبع ٣٢٥ – ٣٢٦ .

(٣) ش : « ما أقبل على صاحبه » ، صوابه فى ط .

(٤) ش : « الفرس » ، صوابه فى ط .

(٥) هذا تفسير لعبارة وردت فى كلام المحقق الرضى فى ٢ : ٩٢ فى قوله شارحا للشاهد : « يعنى أنها لكثرة الخدمة صارت كذلك ، أو هذا خِلقة لها . نسبها إلى شوه الخلقة » .

(٦) تكملة ضرورية من شرح الرضى ٢ : ٦٤ . يريد أن حلبت علىّ بمنزلة ثقلت علىّ .

حلبت علىّ ؟ أجيب بأنَّ معناه : على كرهٍ منى ، وهذا كما يقال باع القاضى عليه داره . يقول : استنكفتُ أن تحلب عشارى . ويشهد لهذا المعنى الفدعاء . انتهى .

قال شارح شواهد الإيضاح والمفتاح : وجه الشهادة أنّ الفدعاء من صفات الإماء ، فيؤذِن بلؤمِ من يوصَف به ، فلذلك استنكف . يريد : خدمْنَنى على كَره ؛ لأنَّنى لم أكن راضيا بذلك ؛ لخستهنَّ ولؤمهنَّ .

ونقل ابن المستوفى (عن حواشي المفصل) أنَّ الفدَع من صفات الإماء . وقوله : « علىَّ » أى لى ، أى كانت راعية لى . ثم نقل كلام صدر الأفاضل . وقال : الأجود ما فى الحواشى ، لأنَّه لا تحْلب عِشاره إلا بإذنه ، وهو أبلغ . هذا كلامه .

و (العشار) بالكسر : جمع عشراءَ بضَمّ ففتح وبالمد ، قال اللخمى : هى الناقة التى مضت لها عشرة أشهر من حملها . ثم يبقى عليها الاسم إلى أن تنتج لحولٍ وبعد ذلك بأيّام . على هذا إجماع أكثر اللغويين . وقيل يقع هذا الاسم على التى أتى عليها من وَضعها عشرة أشهر ، وهى فى هذا البيت كذلك ، بدليل قوله حلبت ، وهو الوجه ، ويحتمل أن يحمَل البيت الأول على القولِ الأوّل . ومعنى البيت يذمُّه بذلك ويصفُه أنَّه من أهل القلَّة ، وليس من أهل الشرف والسَّعَة ، إذ لو كان كذلك لَصانهنّ من الابتذال . وإنّما خصّ النساء بالحلْب [1] لأنّ العرب يتعايرون بحلب النساء ، فهو فى القلّة كما قال السُّليك :

أشابَ الرأسَ أنّى كلَّ يومٍ
أرى لى خالةً وسطَ الرِّحالِ

(١) ط : « بالحرب » صوابه فى ش .

يعزُّ على أن يَلقَينَ ضيما
ويَعجِزَ عَن تخلُّصهن مالى

وقد صحَّف اللِّحيانى ثلاث كلمات من البيت :

الأولى : حلبت فإنَّه صحَّفه بِجُليَت ، بضم الجيم وكسر اللام بعدها مثناة تحتية .

والثانية : علىَّ ، صحَّفه بعلَى الجارَّة .

والثالثة : عِشارَى ، فإنَّه صحَّفه بَعشَّار ، بفتح العين وتشديد الشين .

قال ابن جنى (فى سر الصناعة) : أصحابنا البصريون فى كثير مما يحكيه اللِّحيانى كالمتوقِّفين . حكى أبو العباس عن إسحاق بن إبراهيم قال : سمعت اللحيانى ينشد : ١٢٩

كم عمة لك يا جرير وخالةٍ
فدعاء قَد جُلِيتْ عَلَى عَشَّارِ

فقلت له : ويحك ، إنَّما هو : « قد حَلبت علىَّ عشارى » . فقال لى : وهذه أيضا رواية . ومما صحَّفه أيضا قولهم فى المثل : « يا حامل اذكر حَلّا » حامل بالميم . وإنّما هو : « يا حابل اذكر حَلّا » بالباء ، أى يا من يشدُّ الحبل اذكُر وقتَ حلِّه . وذاكرتُ بنوادره شيخَنا أبا على فرأيته غير راضٍ بها ، وكان يكاد يصلِّى بنوادر أبى زيد إعظاما لها . وقال لى وقت قراءتى إياها عليه : ليس فيها حرفٌ إلّا وتحته لأبى زيد غرضٌ مَّا . وهو كذلك ، لأنَّها محشوَّة بالنُّكت والأسرار . انتهى .

ورأيت فى (تذكرة أبى على) حدثنى أبو خالد عن إسحاق بن الموصلى [(١)] قال : أنشد أبو المنذر العروضى يوماً : « قد جُلِيت على عَشَّار » فقيل له : الرواية « قد حَلبت علىَّ عَشارِى » فقال : وهذا أيضا وُجَيه . انتهى .

ووقع مثلَ بيت الفرزدق بيتٌ لجرير من قصيدةٍ هجا بها خُلَيدَ عَينَين العبدىَّ ، وهو :

كم عمة لك يا خليدُ وخالة

خضر نواجذُها من الكُرّاثِ [(٢)]

قال المبرِّد (فى الكامل) : وإنّما هجاه بالكرّاث لأنَّ قبيلة عبد القيس يسكُنون البحرين ، والكرَّاثُ من أطعمتهم ، [و] العامَّة [يسمُّونه : الرَّكْل والرَّكَّال [(٣)]] .

وبيت الفرزدق من قصيدة [عدَّتُها [(٤)]] ثمان وثلاثون بيتا هجا بها جريرا ، مطلعها :

(يا بنَ المراغة إنَّما جاريتنى

بمسبَّقين لَدَى الفَعال قصارِ [(٥)]

(١) يعنى إسحاق بن إبراهيم الموصلى . كانت حياته ما بين سنتى ١٥٥ و ٢٣٥ .

(٢) البيت لم يرد فى ديوان جرير . وبعده فى الكامل ٤٩٨ :

نبَتَتْ بمنبتِهِ فطاب لريحها

ونأت عن القيصوم والجثجاث

(٣) هذه التكملة وسابقتها من الكامل للمبرد ، وبدونها لا يستقيم الكلام . وانظر اللسان (ركل) .

(٤) التكملة من ش .

(٥) ط : « لذى الفعال » ، صوابه فى ش والديوان ٤٤٨ .

والحابسين إلى العشىِّ ليشربوا
نُزُحَ الركىِّ ودِمنةَ الأسآرِ (١)
يا ابنَ المراغة كيف تطلبُ دارماً
وأبوك بين حمارةٍ وحمارِ
لن تدركوا كرمى بلؤم أبيكم
وأوابِدِى بتنحُّل الأشعارِ)

إلى أن قال :

(قَبَحَ الإلهُ بنى كليبٍ إنَّهم
لا يَغدِرُون ولا يَفُون لجارِ
يَستيقظون إلى نُهاقِ حميرهم
وتنام أعينُهم عن الأوتارِ
مُتبرقِعِى لؤماً كأنَّ وجوهَهم
طُليت حواجبُها عَنيَّةَ قارِ (٢)
كم من أبٍ لى يا جريرُ كأنَّه
قمرُ المجرَّة أو سراجُ نهارِ
ورِثَ المكارمَ كابراً عن كابر
ضَخْمِ الدَّسيعة كلَّ يومِ فَخَارِ)

---

(١) فى ديوان الفرزدق ٤٤٨ : « ليأخذوا نزح الركى » .

(٢) فى الديوان : « متبرقعى لؤم » . وقد سمع حذف النون فى مثل هذا ، ومنه قراءة الحسن : « والمقيمى الصلاة » ، بنصب « الصلاة » . وانظر حاشية الصبان على الأشمونى ١ : ٨٩ .

إلى أن قال :

(كم عَمَّةٍ لك يا جريرُ وخالة
فدعاء قد حلبَتْ علىَّ عشارِى
كنا نحاذر أن تُضيعَ لقاحَنا
وَلْهَى إذا سمعت دُعاء يَسارِ [١]
شغَّارةً تقذُ الفصيلَ برِجْلها
فَطّارةً لقوادم الأبكـار)

وهذا آخر القصيدة .

وقوله : « لا يغدرون » إلخ [٢] . يقول : هم ضعفاء لا يقدرون على غدرٍ ولا على وفاء .

وعنية ، بفتح العين وكسر النون بعدها مثناة تحتية مشدَّدة ، قال فى الصحاح : هو بول البعير يُعقَد فى الشمس يُطْلَى به الأجرب . والقار بالقاف ، قال فى الصحاح : هو الإبل [٣] .

١٣٠ وقوله : « كنا نحاذِرُ » إلخ تُضيع : مضارع أضاع ، ولقاحنا مفعولُه وهو جمع لَقُوح وهى الناقة الحلوب . قال فى الصحاح : إذا نُتِجت الناقة فهى لَقُوح شهرين أو ثلاثة ، ثم لبون بعد ذلك . وقوله : وَلْهَى [٤] : فاعل

(١) ولهى ، رسمت ضبقا لما سيأتى فى الشرح ، وفى الأصل والديوان : « ولها » .
(٢) وقوله لا يغدرون إلخ ، ساقط من ش .
(٣) فى ش : « هو بول الابل » ، وأثبت ما فى ط والصحاح ، وفيه : والقار : الإبل . قال الراجز :

إنّا رأينا ملكا أغارا أكثر منه قرة وقارا

(٤) رسمت فى الأصل : « ولها » ، والوجه ما أثبت .

تضيع ، وهو فَعْلى من الولَهِ . ويسار : اسم عبد كان يتعرّض لبنات مولاه .

وقوله : « شغّارة تَقِذُ الفصيل » إلخ هو من شواهد سيبويه ، أُورده بعد قوله : كم عمة لك يا جرير البيت ، بنصب شغّارةً على الذم . قال : زَعم يُونس أنّه سمع الفرزدق ينشده بالنصب ، جعلَه شتما ، وكأنّه [1] حين ذكر الحلب صار من يُخاطَب عنده عالماً بذلك . ولو ابتدأه وأجراه على الأوّل كان جائزاً عربيّا . انتهى .

قال الأعلم : [الشاهد [2]] فى نصب شغّارة وفَطّارة على الشتم . والشغّارة : التى ترفع رجلها ضاربةً للفصيل تمنعَه من الرَّضَاع عند الحلب ، يقال شغر الكلب إذا رفع رجله ليبول . والوقذُ : أشد الضرب . والموقوذة : التى نُهِكَت ضرباً حتّى أشرفت على الهَلاك . والفطّارة : التى تحلب الفَطْر ، وهو القبض على الخِلف بأطراف الأصابع لصغره . والضَّفّ : أن يقبض عليه بالكفّ لِعظَمه . والأبكار : جمع بِكر ، وهى التى نتجت أوّل بطن . وقوادمها : أخلافها ، وهى أربعة : قادمان وآخِران ، فسمَّاها كُلَّها قوادم اتساعاً ومجازاً . وإنّما وصفها بهذا الضرب من الحلب لأنّه أصعبه . انتهى .

وقال ابن خلف : الضفّ بالفاء ، ويقال الضبُّ بالباء ، وهو الحلْب بالكفّ كلّها ، وإنّما يكون للكبار من النوق ، وأما الصِّغار من النوق فإنّما تُحلَب بأطراف الأصابع لصغر ضرعها ، وإنّما وصف حِذقَها ومعرفتها بالحلب لأنّها نشأت عليه .

وقال ابن المستوفى : أراد أنّها عالمة بالحلب ، فهى أوَّل من فتح قوادمها .

---

(١) ش : « وكان » ، صوابه فى ش وسيبويه ١ : ٢٥٤ .

(٢) التكملة من ش .

قالوا : لأن الأخلاف والضروع أيامَ الحمل تكون مسدودةً بشئ كالصمغ ، فإذا ولدت الدابة عالجه الحالب حتى ينزعَه من مكانه ، فيسهل خروج اللبن .

ووجدت هذا البيت فى شعر الراعى من أبياتٍ أوّلُها :

(عُوجوا المطىَّ علىَّ ذا الأكوار
كيما أخبِّركم من الأخبارِ
أنَّ الخَلال وخَنْزَراً ولدتْهُما
أمٌّ مقارفةٌ على الأطهارِ [1]

شَغَّارة تقذ الفصيل برجلها .... البيت . انتهى

وقد تكلم السيد المرتضى قُدِّس سرُّه (فى أماليه) على هذا البيت ، فلا بأس بإيراده : قال : أما قول الفرزدق شغّارة تقذ الفصيل ... البيت ، فإنَّه من غريب شِعرِه [2] . وفسّره قال : معنى شغَّارة أنّها ترفع رجلَها للبول . وقوله : « تَقِذُ الفصيل » ، أى تدفعه عن الدنّو إلى الرضاع ليتوفَّر اللبن عَلَى الحلب . وأراد بتقِذهُ أى تبالغ فى إيلامه وضربه ، ومنه الموقوذة . فأمّا قوله : « فطّارة لقوادم الأبكار » ، فالفَطْر هو الحلب بثلاث أصابع . والقوادم : الأخلاف . وإنّما خصَّ الأبكار بذلك لأنّ صغر أخلافها يمنع من حلبها ضَبًّا . والضبُّ

---

(١) ورد باسم « الحلال » بالحاء المهملة فى شرح التبريزى للحماسة ٤ : ٧٧ ، إذ قال عند الكلام على خنزر بن أرقم : « واسمه الحلال ، وهو أحد بنى بدر بن ربيعة بن عبد الله بن الحارث بن نمير » . والحق أنه غيره . وأما « خنزر » فهو خنزر بن أرقم ، كما فى شرح الراعى . وفى الأصل : « وخيزرا » تحريف . إذ أن خنزرا كان صاحب مناقضات مع الراعى ، كما فى الحماسة . وانظر ديوان الراعى ٦٧ ، ٨٩ .

(٢) فى الأصل : « فأما من غرب شعره » ، صوابه من أمالى المرتضى ١ : ٨٠ .

هو الحلب بالأصابع الأربع ، فكأنه لا يُمكن فيها ، لِقصر أخلافها ، إلا الفَطرُ . ومعنى البيتِ تعييرُه لنساءِ جرير بأنّهن راعيات ، وذلك مما تعيِّر به العربُ النِّساء . ألا ترى إلى قوله قبل هذا البيت :

كم عمة لك يا جرير وخالة .... البيت

كنا نحاذر أن تضيع لقاحنا .... البيت

ثم تلا ذلك بقوله : « شغَّارة » .

١٣١ قال السيد المرتضى رضى الله عنه : وعندى أنَّ قوله شغَّارة كناية عن رفع رجلها للزنى ، وهو أشبه بأن تكون مرادَة فى هذا الموضع . ألا ترى أنَّه قد وصفَها بالوله وترك حِفظ اللِّقاح عند سماعها دعاءَ يسار . ويسار : اسمٌ لراع ، فكأنَّه وصفها بالوله إلى الزنى والإسراع إليه ، وتركِ حفظِ ما استُحفِظَته من اللقاح . انتهى كلامه .

وترجمة الفرزدق قد تقدمت فى الشاهد الثلاثين [1] .

* * *

وأنشد بعده :

(الواهب المائةِ الهجانِ وعَبْدِها)

هذا صدر ، وعجزه :

(عُوذاً تزجِّى خلفَها أطفالَها)

على أنّه يجوز فى التابع ما لا يجوز فى المتبوع كما هنا ، وهو جعل ضمير المعرف باللام فى التابع مثل المعرف باللام ، فإنَّ قوله « عبدها » بالجرّ معطوف

(١) الخزانة ١ : ٢١٧ .

على المائة ، وهو مضاف إلى ما ليس فيه أل ، واغتُفِر هذا لكونه تابعا .

والهِجان : كرام الإبل . والعُوذ : جمع عائذ ، وهى الحديثة النتاج قبل أن توفِّىَ خمس عشرة ليلة ، ثم هى مُطفل بعده . وتزجِّى : تسوق ، وفاعله ضمير العُوذ ، وأطفالها مفعولة . والمعنى أنَّ هذا الممدوح يهب المائة من الإبل الكريمةِ مع أطفالها ، ويهب راعيَها أيضاً .

وقد تقدم شرح هذا مفصَّلا فى الشاهد الرابع والتسعين بعد المائتين (١) .

* * *

(١) الخزانة ٤ : ٢٥٦

الظروف

أنشد فيه :

(إلّا عُلالةَ أو بُدا هَةَ سابحٍ نَهْدِ الجُزارَه)

على أنه حذف المضاف إليه من الأوّل بدلالة المضاف إليه من الثانى التابع ؛ فإنَّ الأصل : إلّا علالة سابح أو بُدَاهة سابح ، فحذف سابح من الأول لدلالة الثانى عليه .

وتقدَّم الكلام عليه مشروحا فى الشاهد الثالث والعشرين من أوائل الكتاب ، ومرَّ فى باب الإضافة أيضاً [١] .

قال الفراءُ (فى تفسيره) : ولا تنكرنَّ أن تضيف قبل وبعد وأشباههما وإن لم يظهرْ ، فقد قال الشاعر :

إلّا بُداهة أو عُلا لة سابح نهدِ الجزاره

وسمعت أبا ثروان العُكلىَّ يقول : قطع الله الغداةَ يدَ ورجلَ من قاله . وإنما يجوز هذا فى الشيئين يصطحبان ، مثل اليد والرجل . ومثله : عندى نصفُ أو ربعُ درهم ، وجئتك قبلَ أو بعدَ العصر . ولا يجوز فى الشيئين يتباعدان ، مثل الدار والغلام ، فلا يجيزونَ : اشتريت دارَ أو غلامَ زيد ، ولكن عبدَ أو أمة زيد ، وعين أو أذن زيد [٢] ، وما أشبهه . ا هـ .

---

(١) الخزانة ٤ : ٤٠٤ — ٤٠٦ .

(٢) بعده فى معانى الفراء ٢ : ٣٢٢ : « ويد أو رجل » .

والعلالة بالضم : بقيَّة جرى الفرس ، وهو منصوبٌ لأنه استثناء منقطع . والبداهة بالضم أيضاً : أوّل جرى الفرس . والسابح : الفرس الذى يدحُو الأرض بيديه فى العدْو . والنهد : المرتفع والعالى . والجزارة بضم الجيم : الرأس واليدان والرجلان . يريد أنَّ فى عنقة وقوائمه طُولاً وارتفاعا .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والتسعون بعد الأربعمائة [(١)] :

٤٩٣ (ونحنُ قَتلنا الأزدَ أزدَ شَنُوءةٍ
فما شَرِبوا بَعْداً عَلَى لذّةٍ خَمْرا)

١٣٢ على أنه يجوز بقلة فى هذه الظروف أن يعوَّض التنوين من المضاف إليه فيعرب ، كما أعرب بعداً فى البيت على الظَّرفية ، والكثير البناء على الضم ؛ إذ المختار عند الشارح المحقق أنّ المبنى على الضمّ والمنوَّن لا فرقَ بينهما فى المعنى ، وأنهما مقطوعان عن الإضافة . فإن لم يبدل التنوين من المضاف إليه بنى على الضم لما ذكره ، وإن أبدل عنه كان معربا بالنصب عَلَى الظرفية .

وقد ينوَّن المبنىُّ على الضم فى الضرورة .

وقد روى : « فما شَرِبوا بعدُ » أيضاً بضمتين . فالأول معرب وهذا مبنى وكلاهما معرفة ، إذ المضموم بنية الإضافة إلى معرفة .

قال أبو حيان (فى الارتشاف) : وإذا قطعا ، يَعْنى قبل وبعد ، عن الإضافة لفظا ونوى ما أضيف إليه وكان معرفة بُنِيَا على الضم .

ثم قال أبو حيان : وقد يتوقَّف فى تعريفهما بالإضافة إلى معرفة لأنهما متوغِّلانِ [(٢)] فى الإبهام .

---

(١) شذور الذهب ١٠٥ والعينى ٣ : ٤٣٦ والتصريح ٢ : ٥٠ والهمع ١ : ٢٠٩ ، ٢١٠ والأشمونى ٢ : ١٦٩ .

(٢) ط : « متغولان » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

هذا محصَّل كلام الشارح المحقق . وكون تنوين المنصوب للتعويض من المضاف إليه كتنوين بعض وكل ، هو مذهب الجماعة .

قال ابن مالك (فى شرح الكافية) : وذهب بعضُ العلماء إلى أنَّ قبلا فى قوله وكنت قبلا [١] ، معرفةٌ بنية الإضافة ، إلا أنه أُعرب لأنه جعل ما لحقه من التنوين عوضـاً من اللفظ بالمضاف إليه ، فعومل « قبل » مع التنوين لكونه عوضا من المضاف إليه بما يعامل به مع المضاف إليه ، كما فعل بكلّ ، حين قطع عن الإضافة لحقه التنوين عوضـاً .

وهذا القول عندى حسن . اهـ .

وهذا خلافُ الطريقة المشهورة ، وهو ما عليه الجمهور ، قالوا : إنَّ المنون نكرة كسائر النكرات ، وإنّ التنوين فيها للتمكين . قال ابن مالك (فى الألفية [٢]) :

وأعربوا نصبا إذا ما نُكِّرا
قبلاً وما مِنْ بَعدِه قد ذُكرا

قال الشاطبى فى شرحه : تخصيصُه النصبَ فى هذه الأشياء إذا قصد تنكيرها دون الجر والرفع ، ظاهرُ التحكُّم من غير دليل ، وأمرٌ لا يساعدُه عليه سماع ، فإنَّ أكثر ما ذكر يدخل فيه الجر وغيره . تقول : أتيته من فوقٍ ومن

---

(١) جزء من الشاهد المعروف (انظر الخزانة ١ : ٤٢٦) :
فساغ لِىَ الشراب وكنت قبلا أغص بنقطة الماء الحميم

(٢) فى باب الإضافة .

تحتٍ . وفى بعض القراءات : ﴿ لله الأمر من قبلٍ ومن بعدٍ [١] ﴾ ، ومن دونٍ [٢] ، و ﴿ من دُبرٍ [٣] ﴾ وما أشبَه ذلك .

قال سيبويه [٤] : وسألته يعنى الخليل عن قوله ومن دونٍ ، ومن فوق ، ومن تحت ، ومن قبلٍ ومن بعد ، ومن دبرٍ ومن خلف ، فقال : أجروا هذا مَجرى الأسماءِ المتمكنة ؛ لأنها تضاف وتستعمل غير ظرف . ثم قال : وكذلك من أمام ومن قدامٍ ومن وراءٍ ومن قُبُلٍ ومن دُبرٍ . قال : وزعم الخليل أنّهن نكرات ، كقول أبى النجم .

* يأتى لها من أيمُنٍ وأشمُلِ *

وزعم أنهنَّ نكرات إذا لم يُضَفن إلى معرفة ، كما يكون أيمُنٌ وأشمُلٌ نكرة . وسألنا العرب فوجدناهم يوافقونه . ا هـ .

وقد رفعوا قبل ونحوَه كما فى قوله :

هتكت به بيوت بنى طَرِيفٍ
عَلَى ما كان قبلٌ من عتابِ

انتهى ما أورده الشاطبى .
وقسَّموا هذه الظروف على أربعة أقسام :

---

(١) الآية ٤ من سورة الروم . وقراءة الجر مع التنوين هى قراءة أبى السماك والجحدرى وعون العقيلى . تفسير أبى حيان ٧ : ١٦٢ .

(٢) ليس قراءة ، وإنما هو مجرد مثال لاستعمال العرب .

(٣) فى الآيات ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٨ من سورة يوسف . وقراءة الجر مع التنوين هى قراءة الجمهور . وقرأ ابن أبى إسحاق ، والعطاردى ، وأبو الزناد ، ونوح ، والجارود : « من دبر » بالبناء على الضم . تفسير أبى حيان .

(٤) فى كتابه ٢ : ٤٦ .

ما ذكر فيه المضاف إليه نحو : قبل زيد وبعده . فهذا ينصب على الظرفية ، ويجر بمن خاصة .

الثانى : ما حذف منه المضاف إليه ونوى ثبوت لفظه ، فهذا أيضا يعرب كالأوَّل ، إلا أنه لا ينون لنية الإضافة .

الثالث : ما حذف منه المضاف إليه ونُوِىَ معناه لا لفظه ، فهذا يبنى على الضم .

١٣٣ الرابع : ما حذف منه المضاف إليه ولم يُنوَ لا لفظه ولا معناه . فهذا ينوّن ، وتنوينه للتمكين ، وهو نكرة .

وقد تكلم الفراءُ على قبلٍ وبعدٍ (فى تفسيره) فلا بأس بنقل كلامه تبركا . قال : قوله تعالى : ﴿ لله الأمرُ من قبلُ ومن بعدُ ﴾ القراءة بالرفع من غير تنوين ، لأنهما فى المعنى يراد بهما الإضافة إلى شئ لا محالة ، فلما أدَّيا عن معنى ما أضيفتا إليه وسَمُوهما بالرفع وهما مخفوضتان ، ليكون الرفْع دليلا على ما سقط مما أضفتهما إليه . وكذلك ما أشبههما ، كقول الشاعر :

* إن تأت من تحتُ أجئْها من علُ [١] *

ومثله قول الشاعر [٢] :

إذا أنا لم أومَنْ عليك ولم يكن
لقاؤك إلّا من وراءُ وراءُ

---

(١) معانى الفراء ٢ : ٣١٩ . وفى اللسان (بعد ٦٠) :
* إن يأت من تحت أجيه من عل *

(٢) هو عتى بن مالك العقيلى . اللسان (ورى ٢٦٩) وابن يعيش ٤ : ٨٧ . وهو من أبيات أربعة فى اللسان أولها :

أبا مدرك أن الهوى يوم عاقل دعانى ومالى أن أجيب عزاء

ترفع إذا جعلته غاية ولم تذكر بعده الذى أضفته إليه ، فإن نويت أن تظهره أو أظهرته قلت : لله الأمر من قبلِ ومن بعد ، كأنَّك [١] أظهرت المخفوض الذى أسندت إليه قبل وبعد . وسمع الكسائىُّ بعضَ بنى أسدٍ يقرؤها : « لله الأمرُ من قبلِ ومن بعدُ » بخفض قبل وبرفع بعد على ما نوى . وأنشدنى هو :

أكابدها حتَّى أعرِّس بعدما
يكون سُحيراً أو بُعَيدَ فأهجعا

أراد : بُعيدَ السَّحر ، فأضمره ، ولو لم يرد ضمير الإضافة لرفع فقال بُعَيدُ . ومثله قول الشاعر [٢] :

فو الله ما أدرى وإنِّى لأوْجَلُ
عَلَى أيِّنا تعدو المنيةُ أوَّلُ

رفعت أولُ لأنه غاية . ألا ترى أنها مسندة إلى شئ هى أوّله ، كما تعرِف أنَّ (قَبْلَ) لا يكون إلا قبل شئ ، وأنَّ (بَعْدَ) كذلك . ولو أطلقتهما بالعربية فنوَّنت وفيهما معنى الإضافة فخَفضت فى الخفض ونوَّنت فى النصب والرفع لكان صواباً . قد سُمِع ذلك من العرب ، وجاء فى أشعارها ، فقال بعضهم :

فساغ لىَ الشَّرابُ وكنت قبلاً
أكادُ أُغَصُّ بالماء الحميمِ [٣]

فنوَّن . وكذلك تقول : جئتك من قبلٍ فرأيتك . وكذلك قوله :

---

(١) الكلام بعد البيت السابق الى هنا ساقط من ش .

(٢) هو معن بن أوس . ديوانه ٥٧ والخزانة ٣ : ٥٠٥ بولاق .

(٣) ليزيد بن الصعق كما سبق فى ١ : ٤٢٦ .

* كجلمود صَخرٍ حطَّه السَّيل من عَلِ [(١)] *

فهذا مخفوضٌ ، وإن شئت نوَّنت . وأما قول الآخر :

هتكتُ به بيوتَ بنى طريف
عَلَى ما كان قبلٌ من عِتابِ

فنوَّن ورفع ، فإن ذلك لضرورة الشعر ، كما يضطر إليه الشاعر فينوِّن فى النداء المفرد ، كقوله :

قدِّموا إذ قيل قيسٌ قدِّمُوا
وارفَعُوا المجدَ بأطرافِ الأسَلْ [(٢)]

وأنشدنى بعض بنى عُقيل :

ونحن قتلنا الأَسْدَ أُسْدَ شنوءةٍ
فما شربوا بعدٌ عَلَى لذّة خمرا [(٣)]

ولو ردَّه إلى النصب كان وجها ، كما قال :

* فساغ لى الشرابُ وكنتُ قبلاً *

وكذا النداء لوْ رُدَّ إلى النصب إذا [(٤)] نوِّن كان وجها ، كما قال :

فطِرْ خالداً إن كنتَ تَسْطِيعُ طَيْرةً
ولا تقعَنْ إلّا وقلبُك حاذِرُ

---

(١) لامرئ القيس فى معلقته . وصدره :

* مكر مفر مدبر معا *

(٢) للبيد فى ديوانه ١٩٢ واللسان (قدم ٣٦٧) .

(٣) هو الشاهد الذى نحن فيه .

(٤) ط : إذ ، صوابه فى ش ومعانى الفراء ٢ : ٣٢١ .

ولا تُنكِرنَّ أن تضيف قبل وبعد وأشباههما وإن لم يظهر . إلى آخر ما نقلناه قبل هذا البيت . انتهى كلام الفراء . ١٣٤

وقد لخَّص هذا الكلامَ أبو إسحاق الزجاجى [١] (فى شرح خطبة أدب الكاتب) وهو عندى بخطه ، وتاريخُ كتابته سنة سبع وسبعين وثلثمائة [٢] ، وقال : هذا الذى اختاره الفرّاء من نصب المنادى المفرد فى ضرورة الشعر هو مذهب أبى عمرو بن العلاء وأصحابه .

والمذهب الأوّل ، وهو رفعه منونا ، هو مذهب الخليل وسيبويه وأصحابه . وذلك أنَّ أبا عمرٍو قال : المنادى المفرد إذا اضطر الشاعرُ إلى تنوينه فسبيله أن ينصبه ، لأنه فى موضع نصب . وإنما بنى على الضم لمضارعته المضمر ، فإذا نوِّن فقد زال عن البناء ، وسَبيلُه أن يرجع إلى أصله .

وقال الخليل : سبيله أن يترك مضموماً وينوّن . وشَبَّهَه بالاسم الذى لا ينصرف إذا نوِّن فى ضرورة الشعر . ومذهب أبى عمرو أقيس ، ولولا كراهة الإطالة لذكرت ما يعتلُّ به الفريقان .

وأنشد البصريون قولَ الأحوص :

سلامُ اللهِ يا مطرٌ عليها
وليس عليكَ يا مطرُ السلامُ

فالخليل وأصحابه يروونه : « يا مطرٌ » بالرفع والتنوين ، وأبو عمرو وأصحابه يروونه « يا مطراً » ، بالنصب . قال سيبويه : وكل العرب ينشدون :

(١) صوابه « أبو القاسم » . وأما أبو إسحاق فهو كنية شيخه إبراهيم بن السرىّ الزجّاج .

(٢) لا يتفق هذا مع ما ذكر المترجمون أن الزجاجى توفى سنة ٣٤٠ . فلعلها ٣٣٧ .

* يا عَدِيًّا لقلبكَ المهتاج [(١)] *

بالنصب . انتهى .

قرين الشاهد

والبيت الشاهد لم أرَ من عزاه إلى قائله . وأورده الزجاجيُّ (فى شرح تلك الخطبة) مع بيتٍ قبله ، وهو :

(ما من أُناسٍ بينَ مِصرَ وعالجٍ
وأبْيَنَ إلَّا قد تركنا لهم وِتْرا)

وعالج بكسر اللام : موضع بالبادية به رمل . وأبْيَن بفتح الهمزة وكسرها وسكون الموحدة بعدها مثناة مفتوحة : موضع فى اليمن ، قال أبو عبيد البكرى : هو بكسر الهمزة اسم رجل كان فى الزمن القديم ، وهو الذى تنسب إليه عدن إبْيَن من بلاد اليمن ، هكذا ذكره سيبويه فى الأبنية بكسر الهمزة .

وقال أبو حاتم : سألت أبا عبيدة : كيف تقول ابين بفتح الهمزة أو بكسرها ؟ قال : أقولهما جميعا . قال الهمدانى : وهو ذو أبين بن ذى يقدم ابن الصَّوأر بن عبد شمس بن وائل بن الغوث . قال الرائش [(٢)] :

واذكر به سيِّدَ الأقوام ذا بِيَنٍ
من القُدَام وعمراً والفتى الثانى

أراد : ذا إبين . وحمير تطرح مثل هذه الألف فتقول فى اذهَبْ : ذِهَب . اهـ .

---

(١) ط « بقلبك » ، صوابه فى ش .
(٢) فى الأصل : « الرائس » ، وأثبت ما فى معجم ما استعجم ١ : ١٥٣ .

وقال ياقوت (فى معجم البلدان) : أبين بفتح أوله ويكسَر ، ويقال يبين . وذكره سيبويه فى الأمثلة بكسر الهمزة [١] ، ولا يعرف أهل اليمن غير الفتح ، وهو مخلاف باليمن ، منه عدن ، يقال إنّه سمِّى بأُبين بن زهير بن أيمن ابن الهميسع بن حمير بن سبأ . وقال الطبرى : عدن وأبين : ابنا عدنان .

وأنشد الفراء :

* مامِن أناسٍ بين مصرَ وعالج * البيتين .

وقال عمارة بن الحسن اليمنى : أبين : موضع فى جبل عدن . ا هـ .

والوتر ، بفتح الواو وكسرها : الجناية التى يَجنيها الرجلُ على غيره مِن قتلٍ أو نهب أو سبى . والأزد ، ويقال الأسد بإبدال الزاى سينا : أبو حىٍّ من اليمن ، وهو أزد بن الغوث بن نَبْت بن مالك بن كهلان بن سبأ . وهم فرق : فرقة يقال لها أزد شنوءة ، وأخرى أزد عمان ، وأخرى أزد السَّراة . فلما كان الأزد يجمع قبائل شتى بَيَّنَ المراد منه بقوله أزْد شنوءة .

١٣٥ والشنوءة بالهمزة على وزن فَعولة ، ومعناه التقزُّز وهو التباعد من الأدناس . تقول : رجل فيه شَنوءة أى تقزُّز . قال فى الصحاح : ومنه أزد شنوءَةَ ، وهم حىٌّ باليمن ينسب إليهم شنائى . قال ابن السكيت : ربَّما قالوا أزد شَنُوَّة بالتشديد غير مهموز ، وينسب إليها شَنَوىّ . قال :

نحن قريش وهم شَنُوَّه بنا قريشا خُتم النبوّه

ورواه ابن سيده (فى المحكم) ، وتبعه العينى :

* ونحن قتلنا الأسد أُسدَ خَفِيَّة *

---

(١) انظر سيبويه ٢ : ٣١٦ بولاق و ٤ : ٢٤٥ من نسختى .

وهذا تحريف قطعاً ، ولا يلائمه ما بعده . وخفية بفتح الخاء المعجمة وكسر الفاء : اسم موضع كثير الأسُود . قال العينى : وأسد خفية بدل من الأُسد ، ولم يبيِّن هل هو بدل كل أو بدل بعض بتقدير العائد ، أى منهم ، والظاهر أنَّه بيان له . وبعداً ظرف لشربوا . والأصل عند الشارح المحقق بعد قتلنا إياهم ، فحذف المضاف إليه وعوِّض عنه التنوين .

* * *

وأنشد بعده :

(فساغ لىَ الشَّرابُ وكُنتُ قبلا أكاد أغَصُّ بالماءِ الحميمِ)

على أنَّ الأصل : قبل هذا ، فحُذف المضاف إليه وعُوِّض عنه التنوين . وعند الجمهور : التنوين للتمكين وهو نكرة ، فمعنى كنتُ قبلا : كنت متقدِّما . ومعنى فما شربوا بعداً : ما شربوا متأخِّرا ، ولا ينوى تقدُّمٌ ولا تأخُّر على شئ معين ، وإنَّما المراد فى هذه الحالة مطلقُ التَّقدُّم والتأخر من حيث هو . وأما فى حال الإضافة فالنية بهما التقدُّم والتأخُّر على شئ بعينه . قاله الدمامينى .

والبيت قد تقدَّم شرحُه مستوفًى فى الشاهد التاسع والستين [١] .

* * *

وأنشد بعده :

(خالط من سَلْمَى خياشِيمَ وفا)

على أنّ الأصل : وفاها ، فحذف المضاف إليه .

وتقدَّم الكلام عليه فى الشاهد الثالث والأربعين بعد المائتين [٢] من باب

(١) الخزانة ١ : ٤٢٦ .

(٢) الخزانة ٣ : ٤٤٢ .

الاستثناء ، وبعد الشاهد الثانى والعشرين بعد الثلثمائة من باب الإضافة .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والتسعون بعد الأربعمائة (١) :

٤٩٤ (إنِّى أتَتْنِى لسانٌ لا أسَرُّ بها
من عَلو لا عجبٌ منها ولا سَخَرُ)

على أنَّه روى (علو) مثلث الواو .

قال صاحب الصحاح : وعلو بتثليث الواو : أى أتانى خبرٌ من أعلى نجد . وقال أبو عبيدةَ : أراد العالية . وقال ثعلب : أى من أعالى البلاد . وأنَّث اللسان لأنَّه بمعنى الرسالة هنا ، لأنَّ الشاعر كان أتاه خبرُ قتلِ أخيه المنتشر . والسَّخَر بفتحتين وبضمتين : الاستهزاء . يقول : لا عجَبَ من هذه الرسالة وإن كانت عظيمة ، لأنَّ مصائب الدنيا كثيرة ، ولا سَخَر بالموت . وقيل : معناه لا أقول ذلك سخرية .

والبيت مطلع قصيدةٍ لأعشى باهلة ، رثَى بها أخاه المنتشرَ بنَ وهب الباهلى . وقد شرحنا القصيدة برمَّتها وما يتعلَّق بها على سبيل الاستقصاء فى الشاهد السابع والعشرين من أوائل الكتاب (٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والتسعون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س (٣) :

---

(١) نوادر أبى زيد ٣٧ وابن يعيش ٤ : ٩٠ وجمهرة القرشى ١٣٦ والأصمعيات ٨٨ .

(٢) الخزانة ١ : ١٨٥ .

(٣) فى كتابه ١ : ٤٦٠ . وانظر ابن يعيش ٣ : ١٨ والهمع ٢ : ٥١ .

٤٩٥ (بآيةِ يُقْدِمون الخيلَ شُعثاً
كأنّ على سنَابكها مُدَاما)

١٣٦ على أنَّ آية تضاف فى الأغلب إلى الفعلية مصدرة بحرف المصدر ، ومن غير الأغلب أن تضاف إليها بدونه كهذا البيت .

وهذا خلاف مذهب سيبويه ، فإنّ آية عنده لا تضاف إلى الفعلية إلّا بدون حرف المصدر . وهذا نصُّه : ومما يضاف إلى الفعل أيضا آية ؛ قال الأعشى :

* بآية يقدمون الخيل شعثا * .. .. البيت

وقال يزيد بن عمرو بن الصَّعِق :

ألا مَنْ مبلغٌ عنِّى تميما بآيةِ ما يحبُّون الطَّعاما

فما لغوٌ . انتهى .

وذهب ابن جنى إلى أنَّ آية إنَّما تضاف إلى مفرد نحو : ﴿ إنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أن يأتِيَكُمُ التَّابوتُ [١] ﴾ ، وقال : الأصل بآية ما تقدمون ، أى بآية إقدامكم ، كما قال :

* بآية ما يحبُّون الطعاما *

ويؤخذ من تقريره أنَّ تُقْدِمون بالخطاب ، والمشهور أنَّه بالغيبة ، وعليه المعنى .

---

(١) الآية ٢٤٨ من البقرة .

قال ابن هشام (فى المغنى) : فيه حذفُ موصول حرفيٍّ غير أنْ وبقاءُ صلته . ثم هو غير متأتٍ فى قَوله :

* بآية ما كانوا ضعافا ولا عزلا (١) *

وتكلَّف الدَّمامينى فقال : بل هو متأتٍ بأن تكون ما مصدرية ، ولا النافية محذوفة لدَلالة ما بعدها عليها ، والمعنى بآية كونهم لا ضعافا ولا عزلا .

ثم قال ابن هشام : ومذهب سيبويه أنَّ آية مما يضاف جوازاً إلى الجملة الفعلية المتصرِّفِ فعلُها ، سواء كان مثبتا كالبيت الشاهد ، أو منفيا بما كقوله :

* بآية ما كانوا ضعافا ولا عزلا * انتهى .

وكذا قال صاحب المفصل إنَّ آية مما يضاف إلى الفعل . قال النحاس : قال أبو إسحاق : لأنَّ معنى آية علامة من الزَّمان ، وأضيف الفعل إلى الزمان ، لأنَّ الفعل من أجل الزمان ذكر . وكان أبو إسحاق يرى أنّه حكاية . وقال غيره : المراد المصدر . وقال المبرد فى إضافة آية إلى الفعل : إنّه بَعيد ، وجاز على بُعده للزوم الإضافة ، لأنَّ آية لا تكاد تفرَد إذا أردت بها العلامة . انتهى .

وفيه أنَّ أكثر ما وُجدت فى القرآن بهذا المعنى مفردةً عن الإضافة ، قال تعالى : ﴿ وآيةٌ لهمُ الليلُ نَسْلَخُ منه النَّهارَ (٢) ﴾ ، ﴿ وآيةٌ لهم أنّا حملنا ذرِّيَّتَهُمْ (٣) ﴾ .

---

(١) لعمرو بن شأس . وهو من شواهد سيبويه ١ : ١٠١ وصدره :

* أَلِكْنِى إلى قومى السلامَ رسالة *

(٢) الآية ٣٧ من سورة يس .

(٣) الآية ٤١ من سورة يس .

وقال الأعلم : الشاهد فيه إضافة آية إلى يقدمون على تأويل المصدر ، أى بآية إقدامهم الخيل . يريد أنّ المعنى عليه ، لأنَّ الفعل مؤوّل بحرف مصدر مقدّر ، إذ الفرض أنّه مضافٌ إلى الجملة من دون سابك .

ثم قال الأعلم : وجاز هذا فيها لأنّها اسمٌ من أسماء الفعل ، لأنّها بمعنى علامة ، والعلامة من العَلَم ، وأسماء الأفعال تضارع الزمان ، فمن حيث جاز أن يضاف الزمان إلى الفعل جاز هذا فى آية ، وكأنَّ إضافتها على تأويل إقامتها مقام الوقت ، كأنه قال : بعلامة وقتِ يقدمون . يقول : أبلغهم عنِّى كذا بعلامة إقدامهم الخيل للِّقاءِ شعثاً متغيِّرة من السَّفر والجَهْد . وشبَّه ما ينصبُّ من عرقها ممتزجاً بالدم على سنابكها بالخمر . والسنابك : جمع سنبك ، وهو مقدم الحافر . انتهى .

أراد أنَّ ذلك لمَّا صار عادةً وأمراً لازماً صار علامة . وكأنَّ الشاعر لمّا حَمَّلَ إنساناً أن يبلِّغ قوماً رسالته قال له ذلك الانسان : بأى علامة يُعرف هؤلاء القوم ؟ فقال : بعلامة تقديمهم الخيل إلى الحرب . أى إذا رأيت قوماً بهذه الصفه فأبلغ رسالتى . والشُّعث : جمع أشعث ، وهو المغبرُّ الرأس . قال الدمامينى (فى الحاشية الهندية) : ضمير يقدمون ضمير غيبة يعود على تميم المذكورينَ قبله ، وهو :

١٣٧ ألا من مبلغٌ عنِّى تميما بآيَةِ ما يحبُّون الطَّعاما

وهذا لا يصحُّ ؛ فإنّ كل بيت منهما من شعرٍ آخر ، وليسَا من قصيدةٍ لقائل واحد .

والبيت الشاهد لم أرَهُ منسوباً إلى الأعشى إلا فى كتاب سيبويه ، وفى غيره غير منسوب إلى أحد . والله أعلم به .

وقد تكلم على معنى الآية أبو القاسم على بن حمزة البصرى اللغوى ، فيما كتبه على إصلاح المنطق لأبى يوسف بن السكيت (من كتاب التنبيهات على أغلاط الرواة) قال أبو يوسف : وقد تأيَّيته : تعمَّدت آيته أى شخصه . وحكى لنا أبو عمرو : يقال خرج القوم بآيتهم ، أى بجماعتهم (١) ، أى لم يَدَعوا وراءهم شيئاً . وأنشدنا لبُرج بن مُسهِر :

خرجنا من النعتين لا حيَّ مثلُنا بآيتنا نزْجى اللقاحَ المطافلا (٢)

قال : ومعنى آية من كتاب الله أى جماعة حروفه . قال أبو القاسم : قد أفسد أبو يوسف صحيح قوله الأول بقول أبى عمرو فى معنى الآية من كتاب الله ، وإنما الآية العلامة لا جماعة حروف . وكذلك قال ابن دريد : والآية من القرآن الكريم كأنَّها علامةٌ لشئ ، ثم يخرج منها إلى غيرها . وكذلك قال فى بيت البُرج ، أى خرجوا بجماعتهم وبما يستدلّ به عليهم من متاعِهم . ويقال هذه آية كذا ، أى علامة كذا ، ومنه قوله تعالى : ﴿ أتبْنُونَ بكل رِيعٍ آيةً تَعبثُون (٣) ﴾ ، أى أَمَرَةً وعلامة ، ومنه قول الشاعر :

بآيةِ يُقدِمون الخيل زُوراً تُسَنُّ على سنابكها القُرونُ

وقال آخر :

بآية يقْدِمون الخيلَ زُوراً كأنَّ على سَنابكها مُداما

وقال آخر :

أَلا أبلغْ لديكَ بنى تميم بآية ما يحبُّون الطعاما

(١) الكلام من هنا إلى « بجماعتهم » التالية ساقط ش .

(٢) فى التنبيهات ٣٠٨ : « من النقبين » ، وهو الأشبه .

(٣) الآية ١٢٨ من الشعراء .

وقال المفسِّرون فى قوله تعالى : ﴿ ربِّ اجعلْ لى آية [١] ﴾ ، قالوا : علامةً أعلم بها وقوعَ ما بُشِّرتُ به .

وكذلك قالوا فى قوله سبحانه : ﴿ قال آيتُكَ أن لا تُكلِّمَ النَّاسَ [٢] ﴾ أى تُمنَع الكلامَ وأنت سَوِىّ ، فتعلم بذلك أن الله قد وهب لك الولد . فكان ذلك من فعل الله به علامة دالة على صحة ما بشَّره به من أمر يحيىَ عليه السلام .

وكذلك قوله سبحانه وتعالى : ﴿ واضمُمْ يَدك إلى جَنَاحِكَ تَخرجْ بيضاءَ من غَيرِ سُوءٍ آيةً أخرى [٣] ﴾ قال المفسرون : كانت فى قلب العصا آيةٌ دالة على وحدانية الله تعالى . ثم أمره بضم يده وأعلمه أنَّها [٤] تخرج [بيضاء [٥]] من غير بَرَص ، وأن تلك آية أخرى دالة على ما دَلَّتْ عليه الآية الأخرى [٦] .

فأصلُ الآية العلامة ، فكأنَّ الآية من كتاب الله علامةٌ يفضَى منها إلى غيرها ، كأعلام الطريق المنصوبة للهداية . قال الشاعر :

* إذا مضى عَلَمٌ منها بدا عَلَمُ [٧] *

ولما كانت الآية هى العلامة الدالة عَلَى الشَّئ سمَّوْا شخصَ الشئ آيته ، وقالوا : تآيَيته عَلَى وزن تفاعلته ، إذا تعمّدتَ آيته . وكذلك آيات الله

---

(١) الآية ٤١ من آل عمران .

(٢) من الآية السابقة .

(٣) الآية ٢٢ من طه .

(٤) ط : « أنه » صوابه فى ش والتنبيهات ٣١٠ .

(٥) التكملة من التنبيهات .

(٦) فى التنبيهات : « الأولى » .

(٧) وكذا فى التنبيهات ٣١٠ . والمعروف أن من شواهدهم قول جرير :

* إذا قطعن علما بدا علم *

التى ضربَها لعباده أمثالا ، فقال عز من قائل : ﴿ ومن آياتِهِ أن تقومَ السَّماء والأرضُ بأمره [١] ﴾ وقال سبحانه : ﴿ وانظُرْ إلى حمارِكَ ولِنجعلَكَ آيةً للناس [٢] ﴾ . وقال عز وجل : ﴿ لقد رأى مِنْ آياتِ ربِّه الكبرى [٣] ﴾ . وقال تقدّست أسماؤه : ﴿ لنرِيَك مِن آياتِنا الكُبرى [٤] ﴾ فى أمثال هذه الآيات . وكلها بمعنى الدلائل والعلامات الدالة على صُنع اللطيف الخبير . ولا وجه لما قاله من جماعةِ الحروف . وإن قاله غيره ، فهو قولٌ غير مقبول [٥] . انتهى ما ساقه أبو القاسم .

١٣٨

وقد اختلف فى أصلها على ستة أقوال :

أحدها : أن أصلها أَيَيَة كقَصَبة ، فالقياس فى إعلالها أياة ، فتصحُّ العين وتُعلّ اللام ، ولكن عكسوا شذوذا فأعلُّوا الياء الأولى لتحرُّكها وانفتاح ما قبلها دون الثانية . وهذا قول الخليل .

الثانى : أن أصلها أيْيَة بسكون العين كحيّة فأعِلّت بقلب الياء الأولى اكتفاء بشطر العلة وهو فتح ما قبلها فقط دون تحركها . قاله الفراء ، وعُزِىَ لسيبويه ، واختاره ابن مالك . وقال : إنه أسهل الوجوه ، لكونه ليس فيه إلّا الاجتزاء بشطر العلة . وإذا كانوا قد عوّلوا عليه فيما لم يجتمع فيه ياءان نحو طائى [٦] ، وسمع : اللهم تقبل تابتى وصامتى [٧] ، ففيما اجتمع فيه ياءان أولَى لأنّه أثقل .

---

(١) الآية ٢٥ من الروم .

(٢) الآية ٢٥٩ من البقرة .

(٣) الآية ١٨ من النجم .

(٤) الآية ٢٣ من طه .

(٥) فى التنبيهات : « ولا أعلم أن أحدا قاله سواه ، فإن كان قاله غيره فهو قول غير مقبول » .

(٦) هذا هو المسموع فى النسبة إلى طيِّئ ، وقياسه : طَيْئِىٌّ . وانظر اللسان .

(٧) أى توبتى وصومتى . وأنشد فى اللسان .

تبت إليك فتقبل تابتى وصمت ربى فتقبل صامتى

الثالث : أنّ أصلها آيِيَة كضاربة ، حذفت العين استثقالا لتوالى ياءين أولاهما مكسورة ، ولذلك كانت أولى بالحذف من الثانية . قال الكسائى : وردَّ بأنه كان يلزم قلب الياء همزة لوقوعها بعد ألف زائدة فى قولهم : آى .

الرابع : أنّ أصلها أَيُيَة بضم الياء الأولى كسمُرَة ، فقلبت العين ألفاً . وردَّ بأنه كان يجب قلب الضمة كسرة .

الخامس : أنّ أصلها أيِية بكسر الياء الأُولى كنَبِقة ، فقلبت الياء الأولى ألفا . وردَّ بأن ما كان كذلك يجوز فيه الفكُّ والإدغام ، كحَيِىَ وحىّ .

السادس : أن أصلها أَيَيَة كقصَبة كالأول ، إلا أنَّه أعلت الثانية على القياس ، فصار أياة كحياة ونواة ، ثم قدمت اللام إلى موضع العين ، فوزنها فَلَعة .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والتسعون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س [(١)] :

٤٩٦ (ألا مَنْ مبلغٌ عنّى تميماً بآيةِ ما يحبُّون الطَّعاما)

على أن (آية) تضاف فى الأغلب إلى الفعلية مصدَّرة بحرف المصدر ، كما فى البيت ، فإنّ ما مصدريَّةٌ تؤوَّل مع الفعل بعدها بمصدر مجرور بإضافة آية إليه .

وهذا خلاف مذهب سيبويه : فإنَّ « ما » عنده زائدة ، وآية مضافة إلى الفعل ، ولا تأويل بمصدر صناعة . قال النحاس : ما عند سيبويه لغو . وقال المبرد : ما والفعل مصدر . وأنكر ما قاله سيبويه .

---

(١) فى كتابه ١ : ٤٦٠ . وانظر الكامل ٩٨ وشرح شواهد المغنى ٢٨٣ والهمع ٢ : ٥١ .

وقال ابن هشام (فى المغنى) فى حذف ما المصدرية من الباب الخامس : « الصواب أنّ ما مصدرية » . وهذا يُشعر أنّ مذهب سيبويه خطأ . وليس هذا بِصواب ، فكان اللائق أن يقول « والصحيح » ، أو يقول : « وعندى » ، أو « وعند غيره » .

قال الأعلم : الشاهد فيه إضافة آية إلى يحبون ، وما زائدة للتوكيد . ويجوز أن تكون ما مع الفعل بتأويل المصدر ، كإضافتها إلى سائر الأسماء . انتهى .

ومفعول مُبْلغ محذوف ، أى رسالة ، كأنّه لما قال : من مبلغٌ تميما عنى رسالة قيل له : بأىّ علامةٍ يعرفون ؟ فقال : بعلامة حبِّهم الطعامَ وحرصِهم عليه . يريد : إذا رأيت قوماً يحبُّون الطعام فاعلم أنّهم تميم ، فبلِّغهم رسالتى .

١٣٩ وقولُ الزمخشرى (فى شرح أبيات سيبويه) : ما زائدة ، أى بعلامة مَحَبَّتكم الطعام ، يُشعِر أنَّ تحبُّون بالخطاب . وليس كذلك ، وإنّما هو بالغيبة .

وروى صدَره المبرد (فى الكامل) :

ألا أبْلغ لدَيكَ بنى تميم   بآية ما يحبُّون الطَّعاما [1]

قال ابن السيد (فيما كتبه على الكامل) هذا من الغلط ، إنّما الرواية :

* بآيةِ ما بِهمْ حبُّ الطعامِ *

وبعده :

(أجارَتْها أُسيِّد ثم أودت   بذات الضَّرع منها والسَّنامِ)

---

(١) الكامل ٩٨ ليبسك

وليس أبو العباس المبرد بأوّلِ مَن غلط فيه من النحويين . انتهى .

وعليه لا شاهد فيه . وهذا يؤيد قول سيبويه ، فإنّ ما موصولة وحبُّ الطعام مبتدأ والظرف قبله خبره ، والجملة صلة الموصول .

و (فى شرح شواهد المغنى للسيوطى) : قال أبو محمد السيرافى : وفى شعره ، يعنى يزيد بن عمرو بن الصعق :

ألا أبلغ لديك بنى تميم   بآية ذِكرِهِمْ حُبَّ الطعامِ

أجارَتْها أُسَيِّدُ ثم غارت   بذات الضَّرع منه والسَّنامِ

وسببه أن بنى عوف بن عمرو بن كلاب جاوروا بنى أُسيِّد بن عمرو ابن تميم ، فأجلَوْهم عن مواضعهم ، فقال يزيد هذا الشعر .

و (فى أيَّام العرب لأبى عبيدة) : نزل يزيد بن الصعق قريباً من بنى أسيِّد بن عمرو بن تميم ، واستجارهم لإبله ، فأجاروه ، ثم أغار عليه ناسٌ منهم فذهبوا بها ، فقال يزيد هذين البيتين . انتهى .

وعلى هذه الرواية أيضاً لا شاهد فيه ، وحبَّ منصوب بنزع الخافض ، أى بآية ما يُذْكرون بحبِّ الطعام .

وقول السيرافى : « وفى شعره » ، يوهم أنَّ هذا الشعر غير البيت الشاهد ، وليس كذلك ؛ فإنَّ الشعر واحد والقافية مجرورة .

وقد ردَّ عليه أوس بن غلفاء الهُجَيمى من قصيدة :

فإنَّك من هجاءِ بنى تميم   كمزداد الغرام إلى الغرامِ [1]

---

(١) المفضليات ٣٨٨ والكامل ٢٧٥ .

هُمُ تَرَكوك أسلحَ من حُبارى رأت صقراً وأشردَ من نعامِ
وهمْ ضربوكَ أمَّ الرأس حتى بدت أمُّ الشؤون من العِظامِ
إذَا يأسونها جَشَأتْ إليهمْ شَرَنبثة القوائم أمَّ هامِ

قال ابن السيد (فيما كتبه على الكامل) : الذى ضرب يزيد على رأسه الحارث بن حَصبة ، أو طارق بن حَصبة – الشك من أبى عبيدة – ضربهُ يوم ذى نَجَب [١] وأسره ، فقال تميم لابن أبى جُويرية التميمى ، وكان نِطاسيًّا ، أى طبيبا : انظُرْ إليه فإن كنت ترجوه لن نطلقه [٢] حتى يعطينا الرضا فى فدائه . فإن خفت عليه قَنِعنا منه بأدنى شىء . فأعطاه يزيد شيئاً على أن يخبره بأنه يَخاف عليه ، فأخذوا منه شيئاً يسيراً وأُطلقوه . إنتهى .

وقوله : « أجارتْها أسيِّد ثم أودت » إلخ أجاره : التزمَ له ذِمَّة المجاورة . والضمير للإبل . و « أودت بذات الضَّرع » : أى أهلكتها . وروى بدله : « غارت » : أى أتت الغَور بها . وإنّما جعل حبَّ الطعام آية لبنى تميم يعرفون به لما كان من أمرهم فى تحريق عمرو بن هند إياهم ، ووفود البرجُمىّ عليه لما شمَّ رائحة المحرَّقين ، فظنهم طعاماً يُصنع ، فقُذِف به إلى النار . ١٤٠

قال المبرد (فى الكامل) . وكان سبب ذلك أنَّ أسعد بن المنذر ، أخا عمرو بن هند ، كان مسترضعا فى بنى دارم فى حِجْر حاجب بن زرارة بن عُدُس بن زيد بن عبد الله بن دارم ، وانصرف ذاتَ يوم من صيدٍ وبه نبيذ ،

---

(١) فى النسختين : « نجب » ، صوابه بالنون ، كما فى معجم البلدان (نجب) . وانظر الميدانى ٢ : ٣٥٥ والعمدة ٢ : ١٦٦ . وفى الميدانى : « بتحريك النون والجيم مفتوحهما : يوم لبنى تميم على عامر بن صعصعة » .

(٢) كذا فى النسختين . والوجه : « فلن نطلقه » .

فعبِثَ كما تعبَثُ الملوك ، فرماه رجلٌ من بنى دارم بسهم فقتله ، ففى ذلك يقول عمرو بن مِلقط الطائى لعمرو بن هند :

فاقْتُلْ زرارةَ لا أرى ... فى القوم أوفَى مِن زُراره

فغزاهم عمرو بن هندٍ فقتلَهم يوم القُصَيبة ، ويوم أُوارة . وفى ذلك يقول الأعشى :

وتكونِ فى الشَّرف الموا ... زِى مِنقراً وبنى زُراره

أبنــاءُ قوم قُتِّلــوا ... يومَ القصَيبــة والأواره

ثم أقسمَ عمرو بن هندٍ ليحرِّقنَّ منهم مائة ، فبذلك سمى محرِّقا ، فأخذ تسعة وتسعين رجلا فقذفَهم فى النار ، ثم أراد أن يبرَّ قسمه بعجوزٍ منهم لتكمُل العِدّة [1] ، فلَّما أمر بها قالت العجوز : ألا فتىً يفدِى هذه العجوزَ بنفسه ! ثم قالت : « هيهاتَ ، صارت الفِتيانُ حُمَماً ! » . ومَرَّ وافدٌ للبراجم [2] فاشتمَّ رائحة اللَّحم ، فظنَّ أنَّ الملك يتَّخذ طعاماً فعرَّج عليه ، فأتِىَ به فقال له : من أنت ؟ فقال : أبيتَ اللعن ، أنا وافدُ البراجم . فقال عمرو : « إنَّ الشقىَّ وافدُ البراجم » ! ، ثم أمر به فقُذِفَ فى النَّار . ففى ذلك يقول جريرٌ يُعيِّر الفرزدق :

أينَ الذين بنار عمرٍو حُرِّقوا ... أم أينَ أسعدُ فيكمُ المسترضَعُ

وقال الطِّرِمَّاح :

ودارِمٌ قد قذفنا منهمُ مائةً

فى جاحِم النار إذْ ينزُون بالجَدَدِ

يَنْزُون بالمشتوَى منها ويُوقدها

عمروٌ ، ولولا شحومُ القوم لم تَقِدِ

(١) فى الكامل : « لطمع » .

(٢) فى الكامل : « وافد البراجم » .

ولذلك عُيِّرت بنو تميم بحبِّ الطعام ، يُعنى كطمع [١] البرُجُمىِّ فى الأكل . قال يزيد بن عمرو بن الصَّعِق ، أحد بنى عمرو بن كلاب :

أَلَا أَبلغْ لديكَ بنى تميم ... بآيةِ ما يحبُّون الطَّعاما

وقال آخر [٢] :

إذا ما مات مَيْتٌ من تميم ... فسرَّكَ أَن يعيشَ فجِىءْ بزادِ
بخبزٍ أَو بلحم أَو بتمرٍ ... أَو الشَّىء الملفَّف فى البِجادِ
تراه ينقِّب البطحاءَ حولاً ... ليأكلَ رأسَ لقمانَ بنِ عادِ

انتهى ما أورده المبرد .

قال ابن رشيق (فى العمدة) : زعم أبو عبيدة أنَّ من زعم أنَّه أحرقهم فقد أخطأ ، فذُكِرَ له شعرُ الطِّرِمّاح فقال : لا علم له بهذا . واستشهد بقول جرير :

أَين الذين بسَيف عمرٍو قُتِّلوا ... أَم أين أَسعدُ فيكم المسترضَعُ . انتهى

وهذه الرواية للبيت غير رواية المبرد .

وروى صاحب الأغانى خبر هذا اليوم بسنده إلى هشام بن الكلبى عن أبيه وغيرِه من أَشياخ طيِّئ ، بأبسط من رواية المبرد ، مع مخالفة [٣] قال : ١٤١

(١) فى الكامل ٩٨ : « لطمع » .
(٢) فى حواشى الكامل : « ذكر ابن حبيب أن هذا الشعر لأبى مهوش الفقعسى . وذكر دعبل أنه لأبى الَهَوَس الأسدى » .
(٣) الأغانى ١٩ : ١٢٧ .

يوم أوارة

كان من حديث يوم أوارة أنَّ عمرو بن المنذر بن ماء السماء ، وهو عمرو بن هند ، كان يُعرف بأمِّه هندٍ بنت الحارث الملك المقصور بن حجر آكل المرار الكندى ، وهو الذى يقال له مضرِّط الحجارة – أنه كان عاقَد هذا الحَيَّ من طيِّئ على أن لا يُنازِعوا ولا يفاخروا ولا يُغِيروا .

وأنَّ عمرو بن هندٍ غزا اليمامة فرجع مُنْفِضا فمرّ بطيِّئ ، فقال له زُرارة ابن عُدس بن زيد بن عبد الله بن دارم الحنظلى : أبيتَ اللّعن ، أصبْ من هذا الحيِّ شيئاً . قال له : ويلك إنّ لهم عَقداً . قال : وإن كان . فلم يزَل به حتى أصاب مالا ونسوة وأذواداً ، فذمَّه قيس بن جِروة الطائى بقصيدة على نقض عهده ، فبلغت عمرو بن هند فغزا طيِّئا . فأسر أسرى من طيِّئ ، وهم رهط حاتم بن عبد الله ، وفيهم قيس بن جحدر ، وهو جدُّ الطرماح بن حكيم ، وهو ابن خالة حاتم ، فوفدَ حاتمٌ إلى عمرو بن هند فوهَبهم له .

ثم إنِّ المنذر بن ماء السماء وضع ابناً له صغيرا ، ويقال بل كان أخاهُ صغيرا [١] يقال له مالك عند زرارة ، وإنَّه خرج ذات يوم يتصيَّد فأخفق ولم يصبْ شيئا ، فمرّ بإبلٍ لرجل من بنى عبد الله بن دارم يقال له سُويدٌ . وكانت عند سويد ابنةُ زرارة بن عدس ، فولدت له سبعةَ غِلمة ، فأمر مالك بن المنذر بناقة سمينة منها فنحرها ثم اشتوى ، وسويدٌ نائم ، فلمَّا انتبه شدَّ على مالكٍ بعصاً فضربه فأمَّه [٢] . ومات الغلام ، وخرج سويدٌ هاربا حتَّى لحق بمكة وعلِم أنه لا يأمن ، فحالف بنى نوفل بن عبد مناف ، فاختطَّ بمكة ، وكانت طِيِّئ تطلب عثراتِ زُرارة وبنى أبيه حتَّى بلغهم ما صنعوا بأخى الملك ، فأنشأ عمرو بن ثعلبة بن مِلقط الطائى يقول :

---

(١) فى الأغانى : « ويقال بل كان أخا له صغيرا » .

(٢) أمه يؤمه : أصاب أم رأسه ، وهى الدماغ .

مَن مبلغٌ عَمراً بأ ... نَّ المرءَ لم يُخلَق صُبارِه

وحوادثُ الأيَّام لا ... يبقَى لها إلَّا الحجاره

أنَّ ابنَ عِجزةِ أمِّه ... بالسَّفح أسفلَ من أُوَاره

تَسفِى الرِّيَاحُ خلال كشـ ... ـحَيهِ وقد سَلبُوا إزارَه

فاقْتُلْ زُرارَة ، لا أرى ... فى القوم أوفَى من زُراره

والصُّبارة بالضم : الحجارة ، وقيل بالفتح جمع صَبَار ، والهاء لجمع الجمع ، لأنَّ الصَّبَار جمع صَبرة بالفتح ، وهى حجارة شديدة . كذا فى الصحاح . وأوارة بالضم : اسم ماء وإليه نسب ذلك اليوم . والعِجزة بالكسر : آخر ولد الرجل ، عنى به أخاهُ . ويقال لأوّل ولد الرجل : زُكمةٌ بالضم .

فلمَّا بلغ الشعرُ عمرَو بن هند بكى حتَّى فاضت عيناه ، وبلغ الخبر زرارة فهرب ، وركب عمرو بن هندٍ فى طلبه فلم يَقْدِرْ عليه ، فأخذ امرأته وهى حُبلى وقال : ما فعل زرارةُ الغادر الفاجر ؟ قالت : إن كان ما علمتُ الطيِّبَ العَرَق [١] ، السمينَ المرق ، يأكل ما وجد ، ولا يَسأل عما فقد ؛ لا ينام ليلة يَخاف ، ولا يشبَع ليلة يُضاف ! فبقَر بطنها ، فقال قومُ زرارة لزرارة : والله ما قتلتَ أخاه ، فأتِ الملك فاصدُقْه الخبَر . فأتاه زرارة فأخبَره الخبر فقال : جئنى بسويد . فقال : قد لحق بمكة . فقال : علىّ بَبنيه . فأتاه ببنيهِ السبعة وهم غِلمَةٌ ، فتناولوا أحدَهم فضُرِبَتْ عنقه ، وتعلَّق بزرارة الآخرون ، فتناولوهم وقُتلوا ، وآلى عمرو بن هند ليحرِّقنّ من بنى حنظلةَ مائة رجلٍ ، فخرج يريدُهم ، وبعثَ على مقدِّمته عمرو بن مِلقطٍ الطائى ، فأخذ منهم ثمانية وتسعين رجلا بأسفل أوارة من ناحية البحرين فحبَسهم ، ولحقه عمرو بن ١٤٢

(١) فى النسختين : « قالت ما علمت مكانا لطيب العرق » ، صوابه من الأغانى ١٩ : ١٢٩ .

هند حتى انتهى إلى أوارة ، فأمر لهم بأخدودٍ ثم أضرمَه ناراً ، وقذف بهم فيها فاحترقوا ، وأقبل راكبٌ من البراجم – وهم بطن من بنى حنظلة – عند المساء لا يدرى بشئ مما كان فقال له عمرو بن هند : ما جاء بك ؟ فقال : حبُّ الطعام ، قد أقويتُ ثلاثًا لم أذُقْ طعاماً ، فلمّا سطع الدُّخان ظننته دُخانَ طعام . فقال له عمرو : ممّن أنت ؟ قال : من البراجم . فقال عمرو : « إنَّ الشقى وافدُ البراجم » ، فذهبَتْ مثلاً . ورمى به فى النار . فهجت العربُ تميما بذلك ، فقال ابن الصَّعِق العامرى :

ألا أبلغْ لديكَ بنى تميم ... بآيةِ ما يحبُّون الطَّعاما

وأقامَ عمرو بن هند لا يرى أحداً ، فقيل له : أبيتَ اللعن ، لو تحلَّلتَ بامرأة منهم ! فدعا بامرأة منهم فقال لها : من أنت ؟ قالت : أنا الحمراء ابنة ضَمرَة بن قطَن بن نهشل . فقال : إنِّى لأظنُّكِ أعجميَّة . فقالت : ما أنا بأعجمية ، ولا ولدتنى العَجَم :

إنِّى لَبنتُ ضَمرة بنِ جابر

سادَا معدًّا كابراً عن كابرِ

إنِّى لَأختُ ضَمرة بن ضَمرَهْ

إذا البلادُ لُفِّعَتْ بغمرهْ [٢]

فقال عمروٌ : والله لولا مخافة أن تلدى مِثلَكِ لصرفتك عن النّار ! قالت : أمَا والذى أسأله أن يَضع وسادك ، ويخفضَ عِمادك ، ويسلبَك مُلكك [٣] ، ويقرِّب هُلكَكَ ، ما أُبالى ما صنعتَ ! فقال : اقذِفوها فى النار :

---

(١) ط : « راكب البراجم » ، وأثبت ما فى ش والأغانى . وهو الموافق لما فى كتب الأمثال .

(٢) فى الأغانى : « بجمره » .

(٣) بعده فى الأغانى : « ما قتلت إلاّ نساء أعاليهن ثُدى ، وأسافلهن دُمِىّ . قال : اقذفوها فى النار » . الثدى : جمع ثدى . والدمى : جمع دم .

فأحرقت . انتهى ما أورده صاحب الأغانى مختصرا .

تتمـــة

قال ابن قتيبة (فى خطبة أدب الكاتب) : مازح معاويةُ بن أبى سفيان الأحنف بن قيس ، فما رُئِي مازحان أوقرُ منهُما ، فقال له : يا أحنف ما الشيءُ الملفَّف فى البجاد ؟ فقال : السخينة يا أمير المؤمنين .

أراد مُعاوية قولَ الشاعر :

إذا ما مات ميتٌ من تميم
فسرَّك أن يعيشَ فجىءْ بزادِ
بخبزٍ أو بتمر أو بسمْنٍ
أو الشيء الملفَّف فى البِجادِ
تراه يُطوِّفُ الآفاقَ حرصاً
ليأكل رأسَ لقمانَ بنِ عادِ

والملفَّف فى البجاد : وطب اللبن . وأراد الأحنف أنَّ قريشا كانت تعيَّر بأكل السخينة ، وهى حَسَاء من دقيق يُتَّخَذ عند غلاء السعر وعَجَف المال ، وكلَب الزمان . انتهى .

قال ابن السِّيد فى شرحه : هذا الشعر ليزيد بن عمرو بن الصَّعِق ، وذكر الجاحظ أنّه لأبى المهوِّش الأسدِىّ . والذى اقتضى ذكرَ الشيء الملفّف فى البجاد وذكرَ السخينة فى هذه الممازحة ، أنَّ معاوية كان قرشيًّا ، وكانت قريشٌ تُعَيَّر بأكل السخينة . وكان السَّبب فى ذلك أنَّ النبى ﷺ لمَّا بُعِث

فيهم فكفروا به دعا الله عليهم ، وقال : « اللهم اشْدُدْ وطأتك على مضرَ ، واجعلها عليهم سنينَ كسِنِي يُوسُفَ ! » . فأُجدبوا سبعَ سنين ، فكانوا يأكلون الوبرَ بالدم ويسمُّونه العِلهِز . وكان أكثر قريش إذْ ذاك يأكلون السخينة ، فكانَت قريش تلقَّب سخينة ؛ ولذلك يقول حسان :

١٤٣ زَعمتْ سخينةُ أن ستغلِبُ ربَّها
وليُغلبَنَّ مُغالبُ الغَلاَّبِ

وذكر أبو عبيدة أنَّ قريشا كانت تُلَقَّب سخينة لأكلهم السُّخن [١] ، وأنَّه لقب لزمهم قبل مَبعث النّبى ﷺ .

ويدل على صحة ما ذكر قول خِداش بن زهير ، ولم يدرك الإسلام :
يا شَدَّةً ماشدَدْنا غيرَ كاذبةٍ
على سَخِينةَ لولا الليلُ والحرمُ

وأمَّا الأحنف بن قيس فإنه كان تميميا ، وكانت تميم تعيِّر حُبَّ الطعام وشدّةَ الشَّرَه ، وكانَ السبب الذى جرّ ذلك أن أسعد بن المنذر ، أخا عمرو ابن هند ، كان مسترضَعاً فى بنى دارم . إلى آخر ما رواه المبرد (فى الكامل) .

وقال السُّهيلى (فى الرَّوض الأُنف) : قول كعب :

* جاءت سخينة كى تغالبَ ربَّها * .... البيت

كان هذا الاسم ممَّا سُميت به قريش قديماً . ذكروا أنَّ قُصَيًّا كان إذا ذُبحت ذبيحة أو نُحِرت نَحيرة [٢] بمكة أُتِىَ بعجُزها فيصنع منه خزيرة ، وهو

---

(١) وكذا فى الاقتضاب ص ٤٦ .

(٢) ط : « أو بحرت بحيرة » ، صوابه فى ش والروض الأنف ٢ : ١٠٥ .

لحم يُطبَخ بِبُرّ ، فيُطعمه الناس ، فسُمِّيتْ قريش سخينة .

وقيل : إنَّ العرب كانوا إذا أسْنَتوا [١] أكلوا العِلْهِز ، وهو الوبر والدم ، وتأكُل قريش الخزيرة واللَّفيتة [٢] ، فنفِست عليهم العرب ذلك فلقبوهم سخينة .

ولم تكن قريشٌ تكره هذا اللَّقب ، ولو كرهته ما استجاز كعب أن يذكره ورسول الله ﷺ منهم ، ولَتركه أدباً مع النبيِّ ﷺ إذ كان قرشيا .

ولقد استنشَد عبدُ الملك بن مروان ما قاله الهَوَازنيُّ فى قريش :

* ياشَدّةً ماشددنا غير كاذبة * ... البيت

فقال : ما زاد هذا على أن استثنى . ولم يكره سماع التلقيب بسخينة . فدّل على أنَّ هذا اللقب لم يكن مكروهاً عندهم ، ولا كان فيه تعيير لهم . انتهى .

والعِلهِز ، بكسر العين المهملة وسكون اللام وكسر الهاء بعدها زاى معجمة . والخزيرة ، بفتح الخاء وكسر الزاى المعجمتين ثم راء مهملة . قال فى الصحاح : الخزيرة : أن تُنْصَبَ القدر بلحم يقطّع صغارا على ماء كثير ، فإذا نضج ذُرّ عليه الدقيق . فإن لم يكن فيها لحمٌ فهى عصيدة .

وقال ابن السِّيد : قوله : « إذا ما مات ميْت » إلخ ، فيه ردٌّ على أبى حاتم السِّجستانى ، فإنه كان يقول : قول العامة مات الميِّت خطأ ، والصواب

(١) أسنتوا : أجدبوا ، وفى الأصل : « شتوا » تحريف ، صوابه فى الروض الأنف .
(٢) اللَّفيتة : العصيدة الغليظة . وفى الروض : « والفيته » ، صوابه فى الخزانة .

مات الحيّ . وهذا الذى أنكره غير منكَر ، لأنّ الحيَّ قد يجوز أن يسمَّى ميتا لأن أمره يؤُول إلى الموت . قال تعالى : ﴿ إنّكَ ميّتٌ وإنَّهم ميِّتون [١] ﴾ . ومثله كثير . وقد فرق قومٌ بينهما فقالوا : الميت بالتشديد : ما سيموت ، والميْت بالتخفيف : ما قد مات . وهذا خطأ فإنّ المشدَّد أصل المخفف ، والتخفيف لم يُحدث فيه شيئاً يغيِّر معناه . وقد استعملتهما العرب من غير فرق .

قال الشاعر [٢] :

ليس من ماتَ فاستراحَ بميْتٍ
إنّما الميْتُ ميّتُ الأحياءِ

وقال ابن قِعاسٍ الأسدى :

ألا يا ليتنى والمرءُ ميْتُ وما يُغنى عن الحَدَثان ليتُ

ففى البيت الأوّل سوَّى بينهما ، وفى الثانى جعل المخفَّف الحيّ الذى لم يمت . ألا ترى أنّ معناه والمرء سيموت ، فجرى مَجرى قوله تعالى : ﴿ إنك ميّت وإنّهم ميتون ﴾ .

١٤٤ وقوله : « بخبز أو بتمر أو بسمن » : بدل من قوله بزاد . والملفَّف فى البجاد : وطب اللبن يلفّ فيه ويترك حتَّى يروب . والوَطْب : زِقّ اللبن خاصّة . والبجاد : الكِساء فيه خطوط .

وقوله : حرصا : مصدر وقع موقع الحال ، أو مفعول لأجله . وإنَّما ذكر لقمان بن عادٍ لجلالته وعِظمه ، يريد أنّه لشدة نهمه وشرهه إذا ظفر

---

(١) الآية ٣٠ من سورة الزمر .

(٢) هو عدى بن الرعلاء . أمالى ابن الشجرى ١ : ١٥٢ وابن يعيش ١٠ : ٦٩ والعقد ٥ : ٩١ .

بأكلِةٍ فكأنه قد ظفر برأس لقمان ، لسروره بما نال ، وإعجابه بما وصل إليه . وهذا كما يقال لمن يُزهَى بما فعل ، ويفخر بما أدرك : كأنَّه قد جاء برأس خاقان !

وهذا الكلام الذى جرى بين معاوية والأحنف يسمَّى التعريض ، لأنَّ كل واحد منهما عرَّض بصاحبه بما تُسَّب به قبيلته من غير تصريح .

ويشبه ذلك ما يروى ، من أن شَرِيك بن عبد الله النميرى ، ساير عُمر ابن هُبيرة الفزارى يوماً ، فبدرت بغلة شريك ، فقال له ابن هبيرة : غُضَّ من لجام بغلتك . فقال له شريك : إنها مكتوبة . فضحك ابن هبيرة وقال : لم أرد ما ذهبت إليه .

عرَّض ابن هبيرة بقول الشاعر [1] :

فغُضَّ الطَّرفَ إنَّك من نميرٍ
فلا كعباً بلغتَ ولا كلابا

وعرَّض شريك بقول سالم بن دارة :

لا تأمنَنَّ فزاريًّا خلوتَ به
على قَلُوصِكَ واكتُبْها بأسيارِ

وكان بنو فزارة يُنسَبون إلى غشيان الإبل .

وقوله : تعيَّر بأكل السخينة ، بالباء . وقد منعه ابن قتيبة قال : تقول عيَّرته كذا ولا تقول عيرته بكذا . والصحيح أنَّهما لغتان ، وإسقاط الباء أفصح .

والحَسَاء والحَسُوُ لغتان . والعُجف : الضعف والهزال .

---

(١) هو جرير ، يقوله للراعى النميرى . ديوان جرير ٧٥ ومعجم الشواهد ٣٠ .

وأراد بالمال هنا الحيوان ، وكذلك تستعمله العرب فى الأكثر ، وقد يجعل اسماً لكل ما يملكه الإنسان من ناطق وصامت ، قال تعالى : ﴿ ولا تُؤتوا السُّفهاءَ أموَالَكُم [١] ﴾ وقال تعالى : ﴿ والذين فى أَمْوالِهِمْ حقٌّ معلومٌ * للسائِلِ والمحروم [٢] ﴾ . فالمال فيهما عامٌّ لكل ما يملك .

وكَلَبُ الزمان : شِدَّته ، وأصل الكلَب سُعار يصيب الكلاب ، فضرب بذلك مثلاً للزمان الذى يذهب بالأموال ويتعرَّق الأجسام ، كما سمَّوا السنة الشديدة ضبُعاً ، تشبيها لها بالضبع . وقالوا : أكلَه الدهر ، وتعرَّقه الزمان ، كما قال :

أَبا خراشة أَمَّا أَنتَ ذا نفرٍ
فإنَّ قومىَ لم تأكلهمُ الضَّبُعُ [٣]

وترجمة يزيد بن الصعق تقدَّمت فى الشاهد التاسع والستين [٤] .

* * *

وأنشد بعده :

(لم يَمنع الشُّربَ منها غَيرَ أَنْ نطقَتْ
حمامةٌ فى غصونٍ ذاتِ أوقالِ)

وتقدَّم الكلام عليه فى الشاهد السابع والثلاثين بعد المائتين [٥] :

وضمير « منها » راجع للوَجْناء وهى الناقة الشَّديدة . والشرب مفعول يمنع ، وغير فاعله ، لكنَّه بنى على الفتح جوازا لإضافته إلى مبنى . وروى الرفع أيضا فلا شاهد فيه . وأراد بنطقت صوَّتت ، مجازا . وفى بمعنى على .

---

(١) الآية ٥ من سورة النساء .

(٢) الآية ٢٤ ، ٢٥ من سورة المعارج .

(٣) للعباس بن مرداس . وهو الشاهد ٢٤٩ من الخزانة .

(٤) الخزانة ١ : ٤٣٠ .

(٥) الخزانة ٣ : ٤٠٦ .

و « ذات » بالجر صفة لغصون . والأوقال : جمع وَقْل بفتح فسكون ، وهو ثمر الدَّوم اليابس ، فإن كان ثمرُهُ طريًّا فاسمه البَهْش . يريد : لم يمنعها أن تشرب الماءَ غيرُ ما سمعت من صوت حمامة فنفرت . يريد أنّها حديدة النفْس ، ١٤٥ يُخامرها فزع وذعر ؛ لحدة نفسها ، وهو محمود فيها .

* * *

وأنشد بعده :

(غير أنّى قَدَ استعين عَلَى الهـ
ـمِّ إذا خَفَّ بالثَّوِيِّ النَّجاءُ)

وتقدم هذا أيضاً مشروحاً فى الشاهد الثامن والثلاثين بعد المائتين [1] .

وغير للاستثناء المنقطع مما قبله ، فيحتمل أن تكون الفتحة فيه للبناء وفيه الشاهد ، ويحتمل أن تكون نصباً فلا شاهد فيه .

وقوله : « قدَ استعين » بنقل فتحة الهمزة إلى دال [2] قد . وخفَّ بمعنى ذهب وأسرع . والثوِيُّ : مبالغة ثاوٍ بمعنى مقيم . والنجاءُ ، بفتح النون بعدها جيم : المضىُّ والسرعة ، والباء للتعدية . أى إذا اضطرَّ المقيمَ السفرُ وأقلقه السَّير والمضىّ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والتسعون بعد الأربعمائة [3] :

٤٩٧ (بأذلَّ حيثُ يكون مَنْ يَتذلَّلُ)

---

(١) الخزانة ٣ : ٤١٤ .

(٢) كتب مصحح الطبعة الأولى : « انظر ما الداعى للنقل مع استقامة الوزن » . وانظر شرح القصائد السبع الطوال ٤٤٠ .

(٣) ديوان الفرزدق ٧٢٠ .

على أنَّ أبا على قال فى (كتاب الشعر) : إنَّ جملة يكون صفة لحيث لا أنها مضاف إليه . لأنَّ حيث هنا اسمٌ بمعنى موضع ، لا أنها باقية على الظرفية .

وكتاب الشعر يقال له (إيضاح الشعر) ، و (إعراب الشعر) أيضاً .

وقد تكلم على هذا المصراع وأجاد الكلام فيه ، فينبغى أن نثبته هنا إيضاحاً له .

صاحب الشاهد

والمصراع من قصيدة طويلة عدّتُها تسعة وتسعون [1] بيتاً للفرزدق ، هجا بها جريراً . ولا بد من نقل بيتين منها ليتَّضح معناه ، وهما :

قرينا الشاهد

(إنَّا لنضربُ رأسَ كلِّ قبيلةٍ
وأبوك خَلفَ أتانِه يتقمَّلُ
يَهِزُ الهَرانِعَ عَقْدُه عِند الخُصَى
بأذلِّ حيثُ يكون من يَتذلَّلُ)

قال أبو على : أنشده بعض البغداديين وزعم أنَّ حيث يكون اسما ، والقول فى ذلك أنّ أفعل لا يضاف إلا إلى ما هو بعضه ، فإذا كان كذا فإنَّه يراد به الموضع ، لأنّه مضاف إلى مواضع ، وجاز أن يراد بحيث الكثرةَ لإبهامها كما تقول أفضل رجل . وكذلك لما أضاف أذل صار كأنَّه قال : بأَذلّ موضع ، فحيثُ موضع ، ولا يجوز مع الإضافة إليها أن تكون ظرفا كقولك :

* ياسارق الليلَةِ أهلَ الدارْ [2] *

وقد حكى قطربٌ فيها الإعراب . ومما جاء حيث مفعولاً به قوله تعالى :

---

(١) هى ١٠٥ بيت فى ديوانه ٧١٤ – ٧٢٥ .

(٢) انظر الخزانة ٣ : ١٠٨ .

﴿ الله أعلمُ حَيث يجعلُ رسالاته [١] ﴾ . ألا ترى أنَّ حيث لا يخلو من أن يكون جرًّا أو نصبًا . فلا يجوز أن يكون جرًّا لأنه يلزم أن يضاف إليه أفعَل ، وأفعل إنَّما يضاف إلى ما هو بعض له ، وهذا لا يجوز فى هذا الموضع ، فلا يجوز أن يكون جرّا ، وإذا لم يكنه كان نصبا بشئ دل عليه ، يُعلم أنه مفعول به . والمعنى : الله يَعلم مكانَ رسالاته ، وأهل رسالته . فهذا إذن اسمٌ أيضا .

فإن قال قائل : إذا صار اسماً فلم لا يعرب لزواله عن أن يكون ظرفا ؟ قيل : كونه اسماً لا يخرجه عن البناء ، ألا ترى أنَّ منذ حرف ، فإذا استُعمِلتْ اسماً فى نحو منذ يومان لم تخرج عن البناء . وكذلك عن وعلى إذا قلت : من عن يمين الخطّ ، وكذلك قول الشاعر :

* غدت من عليه [٢] *

وكذلك « كم » بنيت فى الاستفهام ، فإذا صارت خبراً بقيت على بنائها ؛ فكذلك حيث إذا صارت اسماً . فأما موضع (يكون) فى قوله :

* بأذَلّ حيث يكون مَن يتذلَّل * ١٤٦

فجرّ بأنَّه صفة حيث ، كأنه قال : بأذَلّ موضع يكونه ، أى يكون فيه . فحذف الحرف وأوصل الفعل ، فليس بجرٍّ لإضافة حيث إليه ، لأنَّ حيث إنما يضاف [٣] إلى الفعل إذا كان ظرفا . فإذا لم يكن ظرفا لم يَنْبغِ أن

---

(١) الآية ١٢٤ من الأنعام . وهذه هى قراءة جمهور القراء . وقرأ ابن كثير وحفص : « رسالته » بالتوحيد . تفسير أبى حيان ٤ : ٢١٧ .

(٢) لمزاحم بن الحارث العقيلى . وهو من شواهد سيبويه ٢ : ٢١٧ والخزانة ٤ : ٢٥٣ بولاق . وتمامه :

غدت من عليه بعدما تمَّ ظمؤها   تصل وعن قيض ببيداء مَجهَلِ

(٣) ش : « تضاف » ، وأثبت ما فى ط .

يضاف إلى الفعل . وليس حيث فى البيت بظرف . وإنما لم يعرِب مَن لم يعربه لأنه جعله بمنزلة ما ومن ، فى أنهما لم يُعربا إذا وصفا وكانا نكرتين . وذاك أنَّ الإضافة فى حيث كانت للتخصيص ، كما أنَّ الصفة كذلك ، فلمَّا جعل اسماً ولم يضف صار لزوم الصفة له للتخصيص بمنزلة لزوم الصِّلة للتخصيص ، فضارع حالُ الوصف حالَ الإضافة .

ولو جعلت فى قوله : « بأذّل حيث يكون » زمانا لم يحسن ، لأن أفعل هذا بعض ما يضاف إليه .

وإذا قلت : هذا أذلُّ رجل ، فالمعنى هذا رجل ذليل ، ولا يكاد يقال زمان ذليل كما يقال موضعٌ ذليل . ألا ترى أنَّ الأماكن قد وصفت بالعزِّ ، فإذا جاز وصفها بالعز جاز وصفها بخلافه ، ولا تكاد تسمع وصف الزمان بالذّل .

فلا يجوز إذن أن يكون موضع « يكون » جرًّا بأنّه صفةُ حيث ، ويجعل حيث اسم زمان . انتهى كلام أبى على .

وحاصله : أنَّ أذلّ أفعل تفضيل مجرور بالكسر ، وهو مضاف إلى حيث بمعنى موضع يراد به الكثرة لإبهامه ، ولهذا صحّ إضافة أفعل إليه ، إذ لا يضاف أفعل التفضيل إلّا إلى ما هو بعضه . وجملة يكون صفة لحيث فتكون فى محل جر ، والعائد إلى الموصوف ضمير نصب محذوف ، والأصل : يكون فيه ، ففيه خبر يكون ومن يتذلَّل اسمه ، فحذف حرف الجر واتصل الضمير بيكون ، فصار يكونُه ، ثمّ حذف الضَّمير فصار يكون ، فجملة يكون إلخ فى محل جرّ ، لكونها صفة لحيث لا لكونها مضافاً إليه .

وحيث موصوف بالجملة لا مضاف إليها . ولمَّا كان حكم الجملة بعد

حيث فى الآية حكمها فى البيت ، نسبهما إلى أبى على ، وإن لم يذكر حكمَ الجملة بعد حيث فى الآية أبو على .

وقال الشارح المحقق : الأولى أن يكون مضافاً ، ولا مانِعَ من إضافته ، وهو اسمٌ لا ظرف ، إلى الجملة كما فى ظروف الزمانِ ، وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ يوم ينفعُ الصَّادقينَ صِدقُهم [١] ﴾ . وعلى هذا أيضاً يكون الخبر محذوفا يقدَّر بعد يتذلل ، أى فيه .

وقوله :

* إنَّا لنضرب رأسَ كلِّ قبيلةٍ *

يقول : نحن فى الطَّرَف الأعلى من العزّ ، وأنتم فى نهاية الذل والعجز . والأتان : أنثى الحمار . ويتقمَّل : يقتل قملَه .

وقوله : « يَهِزُ الهَرانعَ » إلخ تفسيرٌ لقوله يَتَقَمَّلُ . ويَهِزُ : مضارع وَهَز يهز هِزَةً ووَهْزاً ، إذا نزع القملة وقصعَها ؛ أوّله واو وثالثُه زاء معجمة . والهرانع مفعول يهز مقدّم ، جمع هِرْنِع بكسر الهاء وسكون الراء المهملة وكسر النون بعدها عين مهملة ، وهو القمل ، الواحدة هِرنعة . قال الشاعر :

* فى رأسِهِ هَرانع كالجِعلانْ *

كذا قال ابن دريد . وقال الليث : الهُرنوع ، كعصفور : القملة الضخمة ، ويقال هى الصغيرة . وأُنشد البيت . فيكون الجمع على حذف الزائد .

وقال ابن الأعرابى : الهُرنع كقنفذ ، والهُرنوع : القملة الصغيرة .

---

(١) الآية ١١٩ من سورة المائدة .

(٢) فى النسختين : « ووهز » ولا وجه له ، والصواب ما أثبت .

وعَقْدُه فاعل يَهزُ ، وهو بفتح العين المهملة وسكون القاف ، والضمير راجع لقوله : وأبوك . وفسره ابنُ حبيب (فى شرح المناقضات) ، وابن قتيبة (فى أبيات المعانى) وقالا : يعنى عقد الثلاثين ، وهو هيئة تناوُل القملة بإصبعين : الإبهام والسبَّابة . ورواه الصاغانى (فى العباب) فى مادة (وهز) عن شمر كذا :

١٤٧

يَهز الهرانعَ لا يزال ويفتلى بأذَلِّ حيثُ يكون من يتذَلَّلُ

ففاعل يهز على هذا ضمير أبوك .

واعلمْ أنَّ العقود والعقد نوعٌ من الحساب يكون بأصابع اليدين ، يقال له حساب اليد . وقد ورد منه فى الحديث : « وعقَدَ عقْدَ تسعين [1] » . وقد ألَّفُوا فيه كتباً وأراجيز ، منها أرجوزة أبى الحسن على ، الشهير بابن المغربى . وقد شرحها عبد القادر بن على بن شعبان العَوفى . ومنها فى عَقْد الثلاثين :

واضمُمْهُما عند الثلاثين تُرَى
كقابض الإبرةِ من فوق الثَّرى

قال شارحها : أشار إلى أنَّ الثلاثين تحصُل بوضع إبهامك إلى طرف السبابة ، أى جمع طرفيهما كقابض الإبرة .

و (عند الخصى) ظرف لقوله يهزُ . وقوله (بأذَلّ) الباء بمعنى فى متعلقة بمحذوف على أنّه حال من ضمير عقدُه . يقول : نحن لعزِّنا وكثرتنا نحارب كلَّ قبيلة ، ونقطع رءُوسها ، وأبوكَ لِذُلِّه وعجْزه يقتل قملَهُ خلف أتانه ، فهو يتناول قملة بإصبعه من بين أفخاده ، حالة كونه جالساً فى أحقرِ

---

(١) انظر لحساب العقد أيضا اللسان (ردم ١٢٧) والموشح ١٩٤ والقسطلانى ١٠ : ١٧١ ، ٢١٥ وفتح البارى ١٣ : ٩٥ - ٩٦ والألف المختارة الحديث ٨٩٦ ، ٩٢٥ .

موضع يجلس فيه الذليل ، وهو خلف الأتان . فنحن نقتل الأبطال ، وأبوك يقتل القمل والصئبان ، فشتَّانَ ما بينى وبينك .

وهذه القصيدة مطلعها :

(أنَّ الذى سَمَكَ السماءَ بنى لنا
بيتاً دعائمُه أعزُّ وأطولُ)

ويأتى شرحه إن شاء الله فى الصفة المشبهة .

وترجمة الفرزدق قد تقدَّمت فى الشاهد الثلاثين من أوائل الكتاب [١] :

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والتسعون بعد الأربعمائة [٢] :

٤٩٨ (نَهيتُكَ عن طِلابكَ أُمَّ عمرٍو
بعاقبةٍ وأنتَ إذٍ صحِيحُ)

على أنَّ التنوين اللاحق لإذْ عِوَضٌ عن الجملة ، والأصل : وأنت إذ الأمر ذاك ، وفى ذلك الوقت .

وكذا أورده صاحب الكشاف فى سورة صٓ . استشهد به على أنَّ أوَانٍ فى قوله :

* طلبوا صُلحَنا ولاتَ أوانٍ *

بنى على الكسر تشبيهاً بإذ ، فى أنّه زمان قطع منه المضاف إليه وعوِّض

(١) الخزانة ١ : ٢١٧ .

(٢) الخصائص : ٢ : ٣٧٦ وابن يعيش ٣ : ٩/٢٩ : ٣١ وشرح شواهد المغنى ٩٢ والأشمونى ١ : ٥٦ ويس على التصريح ٢ : ٣٩ والهذليين ١ : ٦٨ .

عنه التنوين ، وكسر لالتقاء الساكنين .

وروى أيضا : « وأنت إذاً صحيح » ، فيكون التنوين فيه أيضا عوضا عن المضاف إليه الجُمْلىّ عند الشارح المحقّق ، ويكون الأصل وأنت إذْ نهيتُك ، كما قال فى قوله تعالى : ﴿ فعلتُها إذاً وأنا مِنَ الضَّالِّين [١] ﴾ . والمشهور أنّها فى مثله للجواب والجزاء . وعليه مشى المرزوقى (فى شرح الهذليين) قال : رواه الباهلى : وأنت إذاً صحيح وتكون إذاً للحال ، كأنه يحكى ما كان . والمراد : وأنت فى تلك الحال صحيح .

قال ابن جنى عند قول الحماسىّ :

فإنَّك إنْ تَرَى عَرَصاتِ جُملٍ
بعاقبة فأنت إذاً سعيدُ [٢]

قال سيبويه : إنَّ إذاً جوابٌ وجزاء . وإذا كان كذلك ففى الفاء مع ما بعدها الجزاء ، فما معنى إذاً ؟ فإن ذلك عندى لتوكيد الجزاء ، كما أنَّ الياء فى قوله :

* والدهر بالإنسان دَوّارىٌّ *

لتوكيد الصفة [٣] . انتهى .

وقوله قبل البيت : « وقولِه [٤] » هو بالجر معطوف على مدخول الكاف فى قوله تعالى : ﴿ وكلاًّ آتينا [٥] ﴾ . ١٤٨

---

(١) الآية ٢٠ من الشعراء .

(٢) الحماسة بشرح المرزوقى ١٥١ . وقال المرزوقى : « أتى بترى تاما وأن كان فى موضع الجزم ، فهو كقول الآخر :

* ولا ترضاها ولا تملق * »

(٣) ورد النص هنا موجزا . وانظر إعراب الحماسة الورقة ٢٤٨ .

(٤) انظر شرح الرضى على الكافية ٩٩ س ١٠ .

(٥) الآية ١٧٩ من الأنبياء .

واعلم أنَّ الشارح المحقق قد دقَّق النظرَ في نحو يومئذ فجعل إذ بدلا من الظرف قبله ، فيكون يوم ونحوه غير مضاف إلى إذ . وحينئذ يردُ عليه : ما وجه حذف التنوين من الظرف الأول ؟

ومن قال بالإضافة كالجمهور فحذف التنوين ظاهر . ويجوز فيه البناء على الفتح والإعراب على حسب العامل .

قال ابن السرَّاج (في الأصول) : وأسماء الزمان إذا أضيفت إلى اسم مبنيّ جاز أن تعربها وجاز أن تبنيَها ، وذلك نحو يومُئذ بالرفع ويومَئذ بالفتح ، فيقرأ على هذا إن شئت : ﴿ من عذاب يومِئذٍ [1] ﴾ بالجر ، و ﴿ من عذاب يومَئذٍ ﴾ بالفتح . اهـ

وقد قرَّر الشارح المحقق هذا فيما سيأتي ، وتنبَّه لهذا الاعتراض ، فأجاب عنه بأنَّ الإعراب لعُروض علة البناء ، أعني الإضافة إلى الجمل ؛ والبناء لوقوع إذِ المبنيِّ موقعَ المضاف إليه لفظا .

وقوله : « والذي يبدو لي أنَّ هذه الظروف التي كأنها في الظاهر مضافة إلى إذ ليست مضافة إليه بل إلى الجمل المحذوفة » ، هذا ممكنٌ في يوم وحين فإنهما يجوز إضافتهما إلى الجمل ، وقد سمع .

وأمَّا ساعَةَ وليلةَ وغداةَ وعشيةَ وعاقبةَ ، فإنها ليست من الظروف التي يجوز إضافتها إلى الجمل ؛ لأنَّه لم يسمع ، فكيف يقال إنها تضاف إلى الجمل وإذ بدلٌ منها ، فلمَّا حذفت الجملة المضافة إليها إذ عوِّض التنوين عنها ؟

---

(١) الآية ١١ من المعارج .

وقد وجد بخطّ صاحب القاموس ، تركيب هذه الظروف مع إذ ، قال : لا يضاف إلى إذ من الظروف فى كلام العرب غير سبعة ألفاظ ، وهى : يومئذ وحينئذ ، وساعتئذ ، وليلتئذ ، وغداتئذ ، وعشيَّتَئِذٍ ، وعاقبتَئِذٍ . ا هـ .

قيل : ومقتضاه أنَّه لا يقال وقتئذ ، ولا شهرئذ ، ولا سنَتَئذ .

وقد ورد أوانئِذٍ فى شعر الداخل بن حَرام الهذلى [١] ، قال :

دَلفتُ لها أوَانئِذٍ بسهمٍ
حَليفٍ لم تَخوَّنه الشُّروجُ

والدَّليف : سَيْر فيهِ إبطاء . وحليف : حديد . وتخوَّنه : تنقَّصه . والشُّروج : الشقوق والصدوع .

وزعم الأخفش أن [٢] إذ معرَب مجرور بإضافة ما قبله إليه .

قال ابن هشام (فى المغنى) : وزعم الأخفش أنَّ إذ فى ذلك معربة ، لزوال افتقارها إلى الجملة ، وأن الكسرة إعراب ، لأنَّ اليوم مضاف إليها .

وردَّ بأنَّ بناءها لوضعها على حرفين ، وبأنَّ الافتقار باقٍ فى المعنى ، كالموصول تحذف صلته لدليل . قال :

نحنُ الألَى فاجمعْ جُمو عَكَ ثُمَّ جهِّزْهم إلينا [٣]

---

(١) قصيدة البيت التالى تروى لعمرو بن الداخل فى ديوان الهذليين ٣ : ٩٨ وشرح السكرى لأشعار الهذليين ٢ : ٦١١ . وفى شرح السكرى : « وقال الأصمعى هذه القصيدة لرجل من هذيل يقال له الداخل ، واسمه زهير بن حرام ، أحد بنى سهم بن معاوية » .

(٢) الكلام بعده الى « أن » التالية ، ساقط من ش .

(٣) لعبيد بن الأبرص فى ديوانه ٢٨ . وانظر أمالى ابن الشجرى ١ : ٢/٢٩ : ١٧٩ ، ٣٠٨ وشرح شواهد المغنى ٩١ والعينى ١ : ٤٩٠ . ويروى : « ثم وجههم » .

أى نحن الأُلَى عُرفوا . وبأَنَّ العوض ينزل [١] منزلة المعوِّض منه ، فكأَنَّ المضاف إليه مذكور ؛ وبقوله وأنت إذ صحيح .

وأجاب عن هذا بأَنّ الأصل حينئذ ثم حذف المضاف وبقى الجر ، كقراءة بعضهم : ﴿ واللّٰه يُريدُ الآخرةِ [٢] ﴾ أى ثواب الآخرة . اهـ .

وهذا مع أنَّه لا قرينة عليه لا يفيد شيئاً لوجود مقتضى البناء فيه .

وقدْ سها سهواً بَيِّناً شارحُ شواهد المغنى [٣] فقال : البيت استشهد به الأخفش على أن إذٍ معربة لعدم إضافة زمان إليها وقد كسرت . وأجيب بأنَّ الأصل وأنت حينئذ ، ثم حذف المضاف وبقى الجر .

هذا كلامه ، ولا يخفى أنَّ الأخفش لم يستشهد بالبيت ، وإنما استشهد به عليه ، فأَجاب بأَنَّ الحين منه محذوف . وهو غير قائل بأَنَّ إذ [٤] معربة لعدم الإضافة . ١٤٩

وقد تكلم ابن جنى (فى سر الصناعة) على يومئذ ببيان واف وإن كان على خلاف طريقة الشارح المحقق ، فلا بأس بإيراده مختصرا ، قال :

من وجوه التنوين أن يلحق عوضاً مِن الإضافة نحو يومئذ ، وليلتئذ ، وساعتئذ ، وحينئذ ، وكذلك قول الشاعر :

* وأنت إذٍ صحيحُ *

وإنّما أصل هذا أن تكون إذْ مضافة إلى جملة نحو : جئتك إذ زيد أمير ، وقمت إذ قام زيد ، فلما اقتُطع المضاف إليه عوِّض منه التنوين ، فدخل وهو ساكن على الذال وهى ساكنة ، فكسرت الذال لالتقاء الساكنين .

---

(١) ط : « تنزل » ، وأثبت ما فى ش والمغنى ٨٦ .

(٢) الآية ٦٧ من الأنفال . وقراءة الجر هى قراءة سليمان بن جماز المدنى . تفسير أبى حيان ٤ : ٥١٨ .

(٣) لم أجد الكلام التالى فى شرح شواهد المغنى للسيوطى .

(٤) ط : « بأن ذا » ، صوابه فى ش .

وليست الكسرة كسرة إعراب وإن كانت إذ فى موضع جر بإضافة ما قبلها إليها . ويَدلُّ على أنَّ الكسرة فى إذ إنَّما هى لالتقاء الساكنين ،قولُ الشاعر :

* وأنت إذٍ صحيحُ *

ألا ترى أنَّ إذ ليس قبلها شئ . فأمَّا قول أبى الحسن إنّه جرَّ إذ لأنه أراد قبلها حين ، ثمَّ حذفها ، وبقى الجر – فساقط . ألا ترى أنَّ الجماعة قد أجمعت على أنَّ إذْ ، وكم ، ومَنْ ، من الأسماء المبنية على الوقف . وقد قال أبو الحَسن نفسُه (فى بعض التعاليق عنه فى حاشية الكتاب) : بَعَّدَ كَمْ وإذْ من التمكن أنَّ الإعراب لم يدخُلْها قط . فهذا تصريحٌ منه ببناء إذ ، وهو اللائق به ، والأشبه باعتقاده . وذلك القول الذى حكيناه عنه شئٌ قاله فى (كتابه الموسوم بمعانى القرآن) ، وإنَّما هو شبيه بالسهو منه .

على أنَّ أبا على قد اعتذر له منه بما يكاد يكون عذراً .

قلت : أورد هذا العذر (فى آخر إعراب الحماسة) : قال : سألت أبا علىٍّ عن قوله : وأنت إذٍ صحيح ، فقلت : قد قال أبو الحسن : « إنه أراد حينئذ » ، فهذا تفسيرُ المعنى أم تقدير الإعراب [1] على أن تكون إذْ مجرورة بحين المرادة المحذوفة ؟ فقال : لا ، بل إنَّما فسَّر المعنى ، ولا يريد أن إذْ مجرورة بحين المرادة . والذى قاله أبو على أجرَى على مقاييس مذاهب أصحابنا ، غير أنَّ كلام أبى الحسن ظاهرُه هناك أنَّه يريد ما عدل أبو على عنه . انتهى .

(١) فى إعراب الحماسة الورقة ٢٤٨ : « فهذا تفسير المعنى أم تقدير للإعراب » .

ثم قال ابن جنى [١] : ويؤيِّد ما ذكرته من بناء إذْ أنَّها إذَا أضيفت مبنيّة نحو قوله : ﴿ إذِ الأغلالُ فى أعناقهم [٢] ﴾ ، ﴿ وإذْ يرفَعُ إبراهيمُ القَواعِدَ من البيت [٣] ﴾ فإذا فى هذا ونحوه مضافة إلى الجمل ، وموضعها نصب ، وهى كما ترى مبنيّة . فإذا كانت فى حال إضافتها إلى الجمل مبنية من حيث كانت الإضافة إلى الجمل كلا إضافة ، لأن من حق الإضافة أن تقع على الأفراد فهى ، إذَا [٤] لم تضف فى اللَّفظ أصلاً ، أجدرُ باستحقاق البناء . ويزيدك وضوحاً قراءة الكسائى : ﴿ من عذابِ يَومَئِذٍ [٥] ﴾ فبنى يوم على الفتح لمَّا أضافه إلى مبنى غير متمكن .

فإن قيل : بنيت إذْ من حيث كانت غايةً منقطعا منها ما أضيفت إليه ، أو من حيث إضافتها إلى جملة تجرى الإضافة إليها مجرى لا إضافة ، فهلاَّ أعربت لما أضيفت إلى المفرد فى نحو قولهم : فعلت إذ ذاك ؟ قلت : هذه مغالطة فإن ذاك ليس مجروراً باضافة إذْ إليه ، وإنما ذاك مبتدأ حذف خبره تخفيفاً ، والتقدير إذ ذاك كذاك . فالجملة هى التى فى موضع جرّ .

ونظير هذا ماذهب إليه أبو العباس المبرد فى قول الآخر :

طلبوا صُلْحَنا ولاتَ أوانٍ فأجبنا أنْ ليس حِينَ بقاءِ [٦]

---

(١) النص التالى لم يرد فى إعراب الحماسة ، وهو امتداد لما نقله البغدادى عن « سر الصناعة » فيما سبق من الكلام . وهو بذلك يكرر ما أورده فيما مضى من الخزانة ٤ : ١٨٥ .

(٢) الآية ٧١ من سورة غافر .

(٣) الآية ١٢٧ من البقرة .

(٤) ط : « اذن » ، والوجه ما أثبت من ش .

(٥) الآية ١١ من سورة المعراج .

(٦) لأبى زبيد الطائى فى ديوانه ٣٠ وهو الشاهد ٢٨٢ فى الخزانة ٤ : ١٨٣ .

وذلك أنّه ذهب إلى أن كسرة أوان ليست إعرابا ، ولا أن التنوين الذى بعدها هو التابع لحركات الإعراب ، وإنّما تقديره عنده أنَّ أوانٍ بمنزلة إذْ ، في أنَّ حكمه أن يضاف إلى الجملة نحو : جئتك أوانَ قام زيد ، وأوانَ الحجاجُ أمير ، أى إذ ذاك كذاك ، فلما حذف المضاف إليه أوانَ عوِّض من المضاف إليه تنوينا . والنون عنده كانت فى التقدير ساكنة ، فلما لقيَها التنوين ساكناً كسرت النون لالتقاءِ الساكنين . ١٥٠

وهذا غير مرضىّ ، لأنّ أوانا قد يضاف إلى الآحاد ، نحو قوله :

* هذا أوانُ الشدِّ فاشتدِّى زِيَمْ (١) *

وقـــوله :

* فهذا أوانُ العِرضِ (٢) *

وغير ذلك .

فإن قيل : فإذا كان الأمر كذلك فهلا حرَّكوا التنوين فى يومئذ وأوان ، ولِم حرَّكوا آخره دون التنوين ؟ فالجواب : أنَّهم لو فعلوا ذلك لوجب أن يقولوا إذن ، فيشبه النونُ الزائد النونَ الأصلى ؛ ولَماَ أمكنهم أن يفعلوه فى أوان ، لأنَّهم لو آثروا إسكانَ النون لمَا قدروا على ذلك ، لأن الألف ساكنة قبلها ؛ وكان يلزمهم من ذلك أن يكسروا النون لسكونها وسكون الألف ، ثم يأتى

(١) سبق الكلام عليه فى حواشى ٤ : ١٨٦ وأنه لرشيد بن رميض .

(٢) للمتلمس ، كما سبق فى حواشى ٤ : ١٨٥ . وتمامه :

فهذا أوان العرض حى ذبابه زنابيرهُ والأزرق المتلمس

التنوين بعدهما ، فكان لا بدَّ أيضا من أن يقولوا أوانٍ [١] .

فإن قيل : فلعلّ على هذا كسرهم النونَ من أوان إنَّما هو لسكونها وسكون الألف قبلها ، دون أن يكون كسرُهم إياها لسكونها وسكون التنوين بعدها ؟

فالجواب ما تقدم ، من كسرهم ذال إذ لسكونها وسكون التنوين بعدها .

فعلى هذا ينبغى أن يحمَل كسر النون من أوان ، لئلا يختلف الباب . ولأنّ أوان أيضا لم ينطق به قبل لحاق التنوين لنونه ، فيقدَّر مكسور النون لسكونها وسكون الألف قبلها ، إنّما حذف منه المضاف إليه وعوِّض التنوين عُقَيب ذلك ، فلم يوجَد له زمنٌ تلفظ به بلا تنوين ، فيلزم القضاء بأن نونه إنَّما كسرت لسكون الألف قبلها . فاعرف ذلك من مذهب المبرد .

وأما الجماعة إلّا أبا الحسن والمبرد ، فعندها أنّ أوان مجرورةٌ بلات ، وأنَّ ذلك لغة شاذة . انتهى كلام ابن جنى .

صاحب الشاهد

والبيت من مقطوعةٍ تسعة أبيات لأبى ذؤيب الهذلى ، أوّلها [٢] :

آبيات الشاهد

(جَمالَكَ أيُّها القلبُ القريحُ ... سَتلقى من تحبُّ فتستريحُ
نهيتُك عن طِلابك أمَّ عمرو ... . البيت
وقلت : تجنَّبنْ سُخطَ ابنِ عمٍّ ... ومطلبَ شُلَّةٍ وهى الطَّروحُ [٣])

قوله : « جمالك » إلخ قال الإمام المرزوقى (فى شرحه) : يجوز أن يكون

---

(١) رسمت فى ش « أوان » كما سبق فى ٤ : ١٨٦ .

(٢) ديوان الهذليين ١ : ٦٨ وشرح السكرى ١٧١ .

(٣) فى الهذليين وشرح السكرى :

فقلت تجنبن سخط ابن عم ... ومطلب شلة ونوى طروح

المراد : الزمْ جَمالك الذى عُرف منك وعُهد فيما تُدفَع إليه وتمتحَن به ، أى صبرك المألوف المشهور .

ويجوز أن يكون المعنى : تصَّبْر وافعلْ ما يكون حسناً بك . والمصادر يؤمر بها توسُّعا ، مضافة ومفردة .

وهذا الكلام بَعثٌ على ملازمة الحسنى وتحضيضٌ ، ووعدٌ بالنجاح فى العُقبى وتقريب .

وقوله : (نَهَيتك عن طِلابكَ) إلخ قال الإمام المرزوقى : يذكِّر قلبه بما كان من وعظه له فى ابتداء الأمر ، وزجره من قبل استحكام الحبّ ، فيقول : دفعتك عن طلب هذه المرأة بعاقبةٍ ، أى بآخِر ما وصَّيتك به .

وهذا كما تقول لمن تعتِب عليه فيما لم يقبله : كان آخر كلامى معك تحذيرَك ما تقاسيه السَّاعة . ولستَ تريد أنَّ تلك الوصاة كانت مؤخَّرة عن غيرها ومُردَفة سواها ممّا هو أهمُّ منها ، ولكنّك تنبِّه على أنَّ الكلام كان مقصوراً عليها أوّلا وآخرا .

ويجوز أن يكون المعنى : نهيتك عن طلبها بذكرِ ما يُفضى أمرك إليه وتدورُ عاقبتُك عليه ، وأنت بعدُ سليمٌ تقدر على التملُّس منها ، وتملُّكِ أمرك وشأنك فى حبها . وكأنَّه كان رأى لتلك الحالة عواقبَ مذمومة تَحصُل كلُّ واحدةٍ على طريق البدل من صاحبتها (١) ، وكانَ ذكرها كلَّها ، فلذلك نكّر العاقبة . ١٥١

ويجوز أن يريد : نهيتك بعقب ما طلبْتَها ، أى كما طلبتها (٢) زجرتك عن

---

(١) ط : « صاحبها » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٢) جعلها الشنقيطى : « أى كلما طلبتها » .

قريب [١] ، لأن مبادئ الأمور تكون ضعيفة فيسهل فيها كثيرٌ مما يصعُب من بَعْد . وهذا أقربُ الوجوه فى نفسى . والعرب تقول : تغيَّر فلانٌ بعاقبة ، أى عن قريبٍ بعقب ما عُهد عليه قبل . انتهى .

فظهر من هذا أن عاقبة بالقاف والموحدة . وكذا هى فى رواية أبى بكر القارى شارح أشعار الهذليِّين قبل الإمام المرزوقى ، وهى عندى بخطِّه وعليها خطوط علماء العربية . منهم أحمد بن فارس صاحب المجمل فى اللغة ، وفسرها القارى [٢] بقوله : « آخر الشأن » .

والباء على المعانى الثلاثة متعلقة بنهيتك [٣] . وجملة وأنت صحيح حال من الكاف فى نهيتك .

وصحَّفها الدمامينى (فى الحاشية الهندية على المغنى) بالفاء والمثناة التحتية ، فجعل الباء متعلّقة بمحذوف على أنه حال من إحدى الكافين كالجملة الاسمية ، وجوَّز أيضاً أن تكون الباء متعلقة بنهيتك ، وقال : أى نهيتك عن حال عاقبة [٤] . والاسمية حال من التاء .

أقول : لا يصحُّ كونها حالاً من التاء ؛ لأنها صفةٌ للمخاطب لا للمتكلم . فتأمَّل .

وقوله : « وقلت تجنَّبَنْ » إلخ قال : الإمام المرزوقى : رُوى لنا عن

(١) عن قريب ، ساقطة من ش .
(٢) ط : « القالى » ، صوابه فى ش . وانظر ما سبق فى حواشى ١ : ٣٣٨ .
(٣) الكلام بعده إلى « متعلقة بنهيتك » ساقط من ش .
(٤) ط : « عاطبته » ، صوابه فى ش .

الدُّريدى عن أبى يزيد [١] وعن الزيادى : « شُلّة » بضم الشين ، قال : وكذا قرأته بخطّ ذى الرمة . وكذا رواه الباهلى أيضا .

وروى : « شَلّة » بفتح الشين ، وهما جميعاً من الشلّ : الطرد كأنّه يعدِّد ما كان يحذِّره منه ، ويعرِّفه أن نتائجه كان عالماً بها ، فَلَهَا ما كان ينفِّره .

والمعنى أنَّ طلبك لها يَجلب عليك مُراغمةَ أبناء عمك ، ويسوقك إلى التعب فيما يبعُد عنك ولا يجدى عليك .

والطَّروح : البعيدة . وروى بعضهم : « ونَوًى طروح » أى تطرح أهلها فى أقاصى الأرض . وكأنَّه أراد : ونوى طروح ذاك ، لأنَّ القوافى مرفوعة . اهـ .

وترجمة أبى ذؤيب الهذلى تقدَّمت فى الشاهد السابع والستين من أوائل الكتاب [٢] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والتسعون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س [٣] :

٤٩٩ (علىَ حِينَ عاتبتُ المَشِيبَ على الصِّبَا
فَقُلت : أَلَمَّا تَصْحُ والشَّيبُ وَازِعُ)

على أنَّه يجوز إعراب حين بالجر لعدم لزومها للإضافة إلى الجملة ،

---

(١) كذا فى النسختين . وقد تكون « عن أبى زيد » .

(٢) الخزانة ١ : ٤٢٢ .

(٣) فى كتابه ١ : ٣٦٩ . وانظر المنصف ١ : ٥٨ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٤٦/٢ : ١٣٢ ، ١٦٤ وابن يعيش ٣ : ١٦ ، ٨١/ ٤ : ٩١/٨ : ١٤٦ والإنصاف ٣٩٢ والمقرب ٦٣ والشذور ٧٨ وشرح شواهد المغنى ٢٩٨ والعينى ٢ : ٤٠٦/٤ : ٣٥٧ والتصريح ٢ : ٤٢ والهمع ١ : ٢١٨ والأشمونى ٢ : ٢٥٦/٣ : ٢٢٦/٤ : ٨ وديوان النابغة ٥٣ .

ويجوز بناؤها على الفتح لاكتسابها البناء مِن إضافتها إلى المبنى ، وهو جملة عاتبت .

وأورده صاحب الكشاف عند قراءة نافع والكسائى : ﴿ ومَن خِزْيِ يَومَئِذٍ [1] ﴾ بفتح الميم ، شاهدا على اكتساب المضاف البناء من المضاف إليه .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدةٍ للنابغة الذبيانىّ ، وقد تقدَّمتْ مشروحة بتمامها فى الشاهد الخامس والخمسين بعد المائة [2] . وقبل هذا البيت :

(فأسبلَ منِّى عَبرةً فردَدتُها
على النَّحر منها مستَهِلٌّ ودامعُ)

وفاعل أسبل ضمير « ذو حُسًى » فى مطلع القصيدة بضم الحاء والسين المهملتين ، وهو بلد فى بلاد بنى مُرَّة . وعَبرة مفعول أسبل ، يقال أسبل الرجل الماء ، أىْ صبَّه .

والعَبرة بالفتح : الدمعة . وإنّما ردَّها خوفَ الفضيحة ، فإنّه يبكى على دار الحبيب الدارسة وهو شيخٌ . وعلى النحر متعلّق بأسبَلَ ؛ ويجوز أن يتعلق بردتها على وجهٍ . والنَّحر ، موضع القلادة من الصَّدر . والدَّمعة تجرى على الخدود ثم تسيل منها على النَّحر . ومستهل : سائل منصبّ له وقع . ومنه استهلَّت السماء بالمطر ، إذا دامَ مطرُها . ودامع : قاطر . وجملة « منها مستهل » لعَبرة ، أى بعضها مستهلّ وبعضها دامع . ١٥٢

(١) الآية ٦٦ من سورة هود .
(٢) الخزانة ٢ : ٤٥١ – ٤٦٨ .

وقوله : (على حين عاتبت) إلخ على بمعنى فى ، متعلِّقةٌ بأسبل . وعاتَبه على كذا ، أى لامه مع تسخُّطٍ بسببه . فعلى الصبا متعلق بعاتبت . و(الصِّبا) بالكسر والقصر : اسم الصَّبوة ، وهى الميل إلى هوى النفس . و(المشيب) : الشيب ، وهو ابيضاض الشعر المُسْوَدّ ، ويأتى بمعنى الدخول فى حدّ الشيب .

وقوله : (فقلت) أى للمشيب ، معطوف على عاتبت . وجملة (ألمَّا تصحُ) إلخ مقول القول . والهمزة للإنكار ، ولمّا جازمة بمعنى لم ، وفيها توقّع ، لأنَّ صحوه متوقّع . وتَصْحُ مجزوم بحذف الواو ، من صحا يصحو ، إذا زال سُكره .

وجملة (والشيب وازع) : حال من فاعل تَصْحُ . ووازع ، بالزاى المعجمة : الزاجر والكافّ . تقول : وزعَ [1] يزع ، إذا كفّ فهو وازع ، كما يقال وضع يضع فهو واضع . قال الشاعر :

إذا لم يَزَعْ ذا الجهل حلمٌ ولا تُقىً
ففى السيف والتَّقوى لذى الجهل وازعُ

وروى أبو عبيدة : « ألمَّا أصحُ » بالهمزة بدل التاء .

وقد تقدمت ترجمة النابغة الذبيانى فى الشاهد الرابع بعد المائة [2] .

* * *

وأنشد بعده :

(لمْ يمنعِ الشُّربَ منها غَيْرَ أنْ نطقَتْ
حمامةٌ فى غُصون ذاتِ أوقالِ)

على أنَّ غيراً بنيت على الفتح لإضافتها إلى مبنى ، وبيَّنه الشارح المحقق ، مع أنَّها فاعلُ لم يمنع .

---

(١) ط : « وازع » ، صوابه فى ش .
(٢) الخزانة ٢ : ١٣٥ .

وقد روى الرفعُ أيضاً على الأصل . قال سيبويه (فى باب ما تكون أنْ وأنَّ مع صلتهما بمنزلة غيرهما من الأسماء) : حدَّثنا أبو الخطاب أنه سمع من العرب الموثوق بهم مَن ينشد هذا البيت رفعاً :

* لم يمنع الشُّربَ منها غيرُ أنْ نطقت * البيت .

وزعموا أنَّ أناسا ينصبون هذا كنصب بعضهم يومئذ فى كلّ موضع ، فكذلك غيرَ أن نطقت . وكما قال النابغة :

* على حِينَ عاتبتُ المشيبَ على الصِّبا * . انتهى

وتقدَّم شرحُه قريبا

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الموفى الخمسَمائة (١) :

٥٠٠ (ونَطْعَنُهُمْ حيثُ الكلَى بَعد ضَربِهمْ

ببيضِ المَوَاضى حَيثُ لىِّ العَمائمِ)

على أنَّ إضافة حيث إلى مفرد نادر ، فتكون حيث بمعنى مكان ، ولىّ مجرور بإضافة حيث إليه ؛ وهو مصدر لوى العِمامة على رأسه ، أى لفَّها . ومكانُ لفِّ العمائم هو الرأس .

قال ابن هشام (فى المغنى) : وندرت إضافة حيثُ إلى المفرد كهذا البيت . والكسائى يقَيسُه . وأندر من ذلك إضافتها إلى جملة محذوفة كقوله :

---

(١) ابن يعيش ٤ : ٩٠ ، ٩٢ وشرح شواهد المغنى ١٣٣ والعينى ٣ : ٣٨٧ والتصريح ٢ : ٣٩ والهمع ١ : ٢١٢ والأشمونى ٤ : ٦٥ .

إذا رَيدةٌ من حيثُ ما نفحت له

أتاه بريَّاها خليلٌ يواصلُه [(١)]

أى إذا رَيدةٌ نفحت له من حيث هبَّت ، وذلك لأنّ رَيدة فاعل بمحذوفٍ يفسّره نفحت ، فلو كان نفحت مضافا إليه حَيْثُ لزم بطلان التفسير ، إذِ المضاف إليه لا يعمل فيما قبل المضاف ، فلا يفسِّر عاملا فيه . ١٥٣

قال أبو الفتح (فى كتاب التمام [(٢)]) : ومن أضاف حيثُ إلى المفرد أعربَها . انتهى .

وقال العينى : إنّ حيث لم يضف فى البيت إلى جملة ، فيكون معربا ومحلُّه النصب على الحالية . انتهى .

يريد ما ذكره أبو الفتح من أنَّها إذا أُضيفت إلى مفرد أعربت ، فتكون منصوبة لفظاً على الظرفية ، وعاملها مقدَّر منصوب على الحالية ، كما قالوا مثله فى : رأيت الهلالَ بين السحاب . هذا مرادهُ .

وقال شارح شواهد المغنى : الصواب أنَّها ظرف لضرب لا حال ، فإنَّها ظرف مكان ، كما أنَّ تحت ظرف مكان لنطعَنُهم .

ولم يفهم ابن الملا الحلبى (فى شرح المغنى) عبارةَ العينى وزيَّفها ، وهذا كلامه ، ومن خطه نقلت : وقول العينى هنا أنَّ (حيث) حيث لم

(١) اللسان (ريد) . وستأتى فى ص ٥٥٩ نسبته إلى أبى حية النميرى كما وردت النسبة فى العينى ٣ : ٣٨٦ .

(٢) كتاب التمام فى تفسير أشعار هذيل مما أغفله أبو سعيد السكرى . وقد طبع فى بغداد سنة ١٩٦٢ بتحقيق الأساتذة : القيسى ، وخديجة ، ومطلوب .

تضف إلى جملة معربة محلُّها النصب على الحال ، مردود ، إذْ لا معنى لجعل إعرابها محليا مع الحكم عليها بأنَّها معربة . انتهى .

وقول شارح أبيات المغنى « كما أنَّ تحت ظرف مكان لنطعنهمْ » . هذه رواية العينى ، أخذها منه ، فإنّ صاحب المغنى لم يورد إلَّا المصراع الثانى .

والمشهور فى شرح المفصل وغيره أنَّ الرواية « حيثُ الحبا » ، قال ابن المستوفِى (فى شرح أبيات المفصل) : يجوز أن يكون حيثُ مضافاً إلى الحُبا على حدّ حيث لىّ العمائم ، إلّا أنّه لا يظهر فيه الإعراب . والحُبا : جمع حُبوة ، وهو أن يجمع الرجلُ ظهره وساقيه بعمامته ، وقد يحتبى بيديه . وفيها ضم الحاء وفتحها . وقال الجوهرى : والجمع حِبىً مكسور الأول [1] ؛ عن يعقوب . والذى أنشده شيخنا البحرانى وكتبه بخطه : الحبا بضم الحاء وبالألف . انتهى .

ورواية الشارح المحقق فى جميع نسخه : « الكُلى » بدل الحبا . وبهذه الرواية تمم المصراعَ الدَّمامينى ، وتبعه ابن الملا . وهو جمع كُلية ، والكُلوة لغة فيه . وقال ابن السكيت : ولا تقل كِلوة أى بكسر الكاف . والمراد بالروايات الثلاث الأوساط . ولكِلٍ كُليتان ، وهما لحمتان لازقتان بعظم الصُّلب عند الخاصرتين .

وقوله : (ونطعنهم) قال صاحب المصباح : طَعنه بالرُّمح طعنا من باب قتل . ثم قال : وطعنت فيه بالقول ، وطعنت عليه من باب قتل أيضا ؛ ومن باب نفع لغة . وأجاز الفراء يَطعَن فى جميع معانيه بالفتح ، لمكان حرف الحلق . وفى القاموس : طعنه بالرمح كمنعه ونصره طعناً : ضربه ، وفيه بالقول

---

(١) ش : « بكسر الأول » ، وما أثبت من ش يوافق ما فى الصحاح .

طعنا . وقال شارح أبيات المغنى : يقال طعَنَه بالرمح يَطْعُنه بالضم فى المضارع ، وكذا كل ما هو حِسِّىٌّ . وأما المعنوىّ (١) كيطعَن فى النّسب فبفتح العين .

وقوله : (بعد ضربهم) مصدر مضاف إلى المفعول ؛ والفاعل محذوف ، أى ضربِنا إيَّاهم . وقوله (ببيض المواضى) بالكسر : جمع أبيض ، وهو السيف .

والمواضى : جمع ماضٍ ، وهو القاطع الحادّ ، والإضافة من باب إضافة الموصوف إلى الصفة . وقال العينى : البَيْض بفتح الباء : الحديد . والمواضى : السُّيوف . أراد ضربهم بحديد السيوف فى رُءُوسهم . ويجوز كسر الباء إلى آخر ما ذكرنا . ولا ينبغى لمثله أن يسوِّد وجه الورق الأبيض بهذه التُّرَّهات .

وهذا البيت لم يُعرف له قائل . قال ابن المستوفى : هذا البيت لا يحُسن أن يكون من باب ما يُفْتخر به ، لأنّهم إذا ضربوهم مكان لىِّ العمائم ولم يموتوا ، واحتاجوا إلى أن يطعنوهم مكانَ الحُبا – وعادة الشجاع أن يأتىَ بالضَّرب بعد الطعن – فهذا منهم فعلُ جَبانٍ خائِف غير متمكّن من قتل قِرنه . وإنّما الجيِّد قول بَلعاءَ بن قيس ، من بنى ليث بن كنانة : ١٥٤

وفارسٍ فى غمرات الموت منغمسٍ
إذا تألَّى على مكروهةٍ صدقا (٢)
غشَّيته وهو فى جأواءَ باسلةٍ
عَضباً أصاب سواءَ الرأس فانفلقا

---

(١) فى النسختين : « المعنى » ، وأثبت ما فى شرح شواهد المغنى للسيوطى .

(٢) الحماسة ٥٩ بشرح المرزوقى .

بضربةٍ لم تكن منّى مخالسة

ولا تَعجَّلتُها جُبنا ولا فرَقا

فانظر كيف وصف قِرنه بما وصف به ، ووصف موضعَه وبالغ فى وصفهما [١] ، ووصف ضربته بما يدلُّ على جرأته وشجاعته . انتهى .

هذا ولم يورد الزمخشرى (فى المفصل) هذا البيت بتمامه ، وإنّما قال : وقد روى ابنُ الأعرابىِّ بيتاً عجزه :

* حيث لىِّ العمائم *

قال التبريزى (فى شرح الكافية) . إنّما لم ينشد البيت بتمامه للاختلاف فى صدره ، فبعضهم رواه كما ذكر ، وبعضهم قال : صدره :

ونحن سَقينا الموتَ بالسَّيف مَعْقِلاً

وقد كان منهم حيثُ لىِّ العمائِم

انتهى .

وقال ابن المستوفى : وما أَنشده ابنُ الأعرابى فقد قال الأندلسىُّ : وجدت أنا تمامه فى بعض حواشى المفصَّل ، وهو :

ونحن قَتلنا بالشآم مغفَّلا

وقد كان منا حيث لىِّ العمائم

قال : ولا أعلم صحته . وأوّله على ماأ نشدَنيه شيخنا محمد بن يوسف البحرانى :

(١) ط : « فى موضعهما » ، صوابه فى ش .

ونطعنهم حيث الحُبَا بعد ضربِهم .. البيت

ولم يتمَّه بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصل) إلّا بقوله :

(ونحن سقينا الموتَ بالشَّام مَعقِلا

وقد كان منكم حيثُ لىِّ العمائِم)

وقال : المعنى ونحن سقينا هذا الرجل ، وهو مَعقِلٌ ، كأس الموت بهذه البلدة ، وقتلناه ، وقد كان هذا الرجلُ منكم فوق الرءوس منكم ، أى كان رئيسَكم وعالياً عليكم . وقال بعض الشارِحين : معناه قد كان المعقِل منكم ، وهو الملجأ ، فى مكان لىّ العمائم ، وهو الرأس . وهذا ليس بظاهر . انتهى .

وهذا البيت أيضاً لم يعرف قائله .

أقول : البيت الذى رواه ابن الأعرابى غير ذينك البيتين . قال الصاغانى (فى العُباب) : وروى ابن الأعرابىّ بيت كُثيِّر :

وهاجرةٍ يا عَزُّ يلطُف حرُّها

لركبانها مِن حيث لىِّ العمائمِ

نَصبتُ لها وجهى وعَزَّةُ تَتَّقِى

بجِلبابِها والسِّترِ لفحَ السمائمِ

ويروى : « من تحت لوث العمائم » .

ولعلّ الزمخشرى لم ينشده لرجحان الرِّواية الثانية عنده .

وأمَّا البيت الذى أنشده صاحب المغنى ، وهو :

* إذا رِيْدةٌ من حيث ما نفحت له * إلخ .

فهو لأبى حية النُّمَيرىّ : شاعر إسلامىّ أدرك الدولة الأموية والعباسية . توفِّىَ سنة بضع وثمانين ومائة .

والريدة ، براءٍ مهملة مفتوحة ومثناة تحتية بعدها دال : الريح اللينة الهُبوب . ونفحت : هَبَّت . والريَّا : الرائحة .

وقد أورد أبو علىٍّ هذا البيت (فى الإيضاح الشعرى) وتكلَّم عليه فيه ، ولم يظفر به أحدٌ من شرَّاح المغنى ، فلا بأس بايراده . قال :

وصفَ أبو حيَّة النميرى بهذا البيت حِماراً . يقال ريحٌ رادَة ورَيْدة وريدانة : اللَّينة . وريَّاها : ريحها . وخليل ، يعنى أنفَه . يقول : تأتيه الريح لتنسُّمه إياها بأنفه . فإذا هذه ، هى التى هى ظرفٌ من الزمان ، لأنَّ المعنى : إذا نفحت ريحٌ تنسَّمها . وإذا كانت كذلك كانت « ريدة » مرتفعة بفعل مضمر يفسِّره نَفَحتْ ، مثل : ﴿ إذَا السّماء انشقَّتْ [1] ﴾ ونحو ذلك ، ومِن متعلِّقة بالمحذوف الذى فسّره « نفحَتْ » . وما أضيف إليه « حيث » محذوف كما يُحذف ما يضاف إليه إذْ فى يومئذٍ للدلالة عليه ، وأنّه قد عُلم أنَّ المعنى إذا نفحت من حيث ما نفحت . وإن شئتَ قلت : إن حيث مضافة إلى نفحت ، وريدة مرتَفعة بفعل مضمر دلّ عليه نفحت ، وإن كان قد أُضيف إليه حيث ، كما دلّ عليه الفعل الذى فى صلة أنَّ فى قولك : لو أنَّك جئتنى لأكرمتك ، وأغنى عنه . فكذلك هذا الفعلُ المضاف إليه حيث ، أغنى عن ذلك الفعل لمّا دلّ عليه ، كما قلنا فى لو . ألّا ترى أَنَّ المضافَ إليه مثلُ ما بعد الاسم الموصول ، فى أن كلَّ واحدٍ منهما لا يعمل فيما قبله . ومع

(١) الآية الأولى من سورة الانشقاق .

ذلك فقد أُغنى الفعلُ الذى فى صلة أنَّ عن الفعل الذى يقتضيه لوْ ، وإن كان قبل الصلة . فكذلك الفعل المضاف إليه حيثُ . انتهى بكلامه وحروفه .

و « ما » تكون زائدة فى التوجيهين .

ونُقل عن ابن مالك أنَّها فى التوجيه الأوّل عوضٌ عن الجملة المحذوفة ، كالتنوين الذى فى حِينئِذٍ .

وبالتوجيه الثانى يسقط قول ابن هشام : « فلو كانت نفحة مضافاً إليه [1] لزم بطلان التفسير ، إذ المضافُ إليه لا يعمل فيما قبل المضاف » . ويتأيَّد قولُ الدمامينى (فى الحاشية الهندية) : لا مانع من كون نفحت مضافاً إليه مع جَعْله مفسِّرا .

وما استند إليه منظورٌ فيه ، لأنَّ الظاهرَ من كلامهم أنَّ امتناع تفسير ما لا يعمل مخصوصٌ بباب الاشتغال .

* * *

تم بعون الله وتيسيره الجزء السادس – من خزانة الأدب – بتقسيم محققها

(١) ش : « مضافا إليها » .

الفهارس



(أ) فهرس التراجم

(ب) فهرس الشواهد

بقية باب الموصول

باب الحكاية بمَنْ وما وأى

باب أسماء الأفعال

باب الأصوات